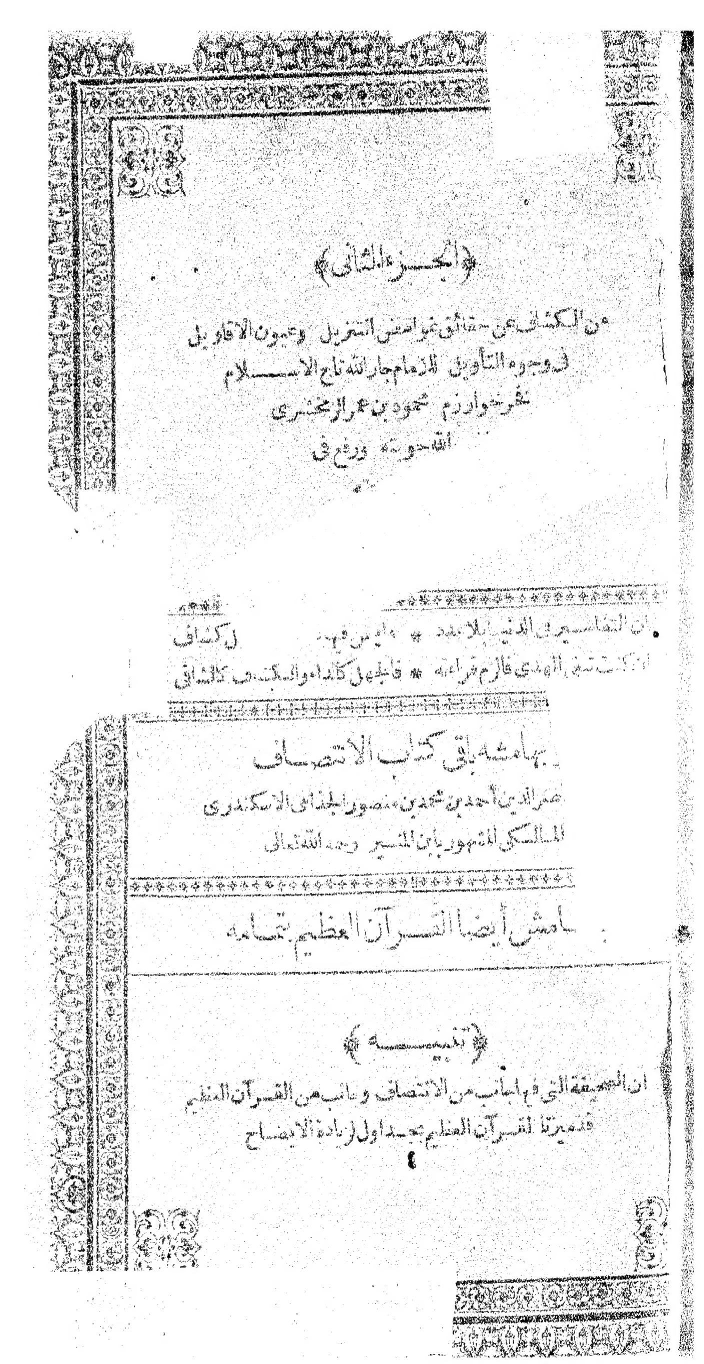
UNIVERSAL
LIBRARY



(الجزء الثاني)

من الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل
في وجوه التأويل للإمام جار الله تاج الإسلام
فخر خوارزم محمود بن عمر الزمخشري
الله [illegible] ورفع في

ان التفاسير في الدنيا بلا عدد * [illegible] كشاف
ان كنت تبغي الهدى فالزم قراءته * فالجهل كالداء والكشاف كالشافي

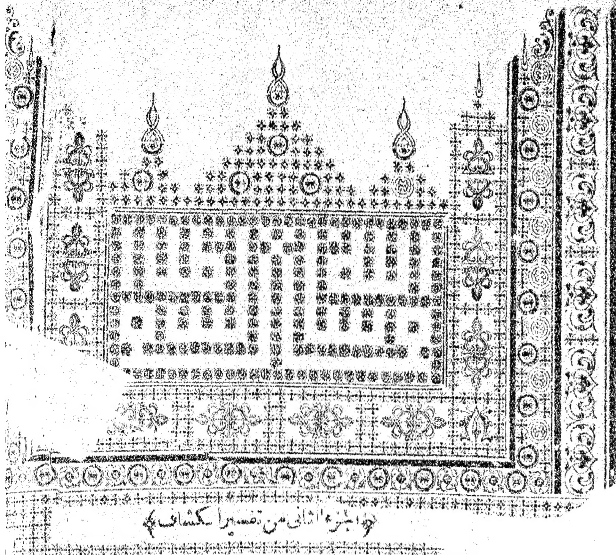
بهامشه باقي كتاب الانتصاف

صر الدين أحمد بن محمد بن منصور الجذامي الاسكندري
المالكي المشهور بابن المنير رحمه الله تعالى

امش أيضا القرآن العظيم بتمامه

(تنبيه)

ان الصحيفة التي فيها جانب من الانتصاف وجانب من القرآن العظيم
فقد ميزنا القرآن العظيم بجداول لزيادة الايضاح



﴿الجزء الثاني من تفسير الكشاف﴾

﴿سورة مريم مكية وهي تسعون وثمان أو تسع آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(كهيعص) قرأ بفتح الهاء وكسر الياء حمزة وبكسرهما عاصم وبضمهما الحسن
أي هذا المتلو من القرآن ذكر رحمة ربك وقرئ ذكر على الأمر * راعى سنة
والإخفاء عند الله سيان فكان الإخفاء أولى لأنه أبعد من الرياء وأدخل في
لا رياء فيه أو أخفاه لئلا يلام على طلب الولد في إبان الكبرة والشيخوخة أ
أو خفت صوته لضعفه وهرمه كما جاء في صفة الشيخ صوته خفات وسمعه تا
السلام فقيل ستون وخمس وستون وسبعون وخمس وسبعون وخمس وثما
وإنما ذكر العظم لأنه عمود البدن وبه قوامه وهو أصل بنائه فإذا وهن تداعى
وأصلبه فإذا وهن كان ما وراءه أوهن ووحده لأن الواحد هو الدال على مع
الجنس الذي هو العمود والقوام وأشد ما تركب منه الجسد قد أصابه الوهن ولو جمع لكا
معنى آخر وهو أنه لم يهن منه بعض عظامه ولكن كلها * ادغام السين في الشين عن أبي عمرو
بشواظ النار في بياضه وإنارته وانتشاره في الشعر وفشوه فيه وأخذه منه كل مأخذ باشتعال النا
مخرج الاستعارة ثم أسند الاشتعال إلى مكان الشعر ومنبته وهو الرأس وأخرج الشيب
الرأس اكتفاء بعلم المخاطب أنه رأس زكريا فمن ثم فصحت هذه الجملة وشهد لها بالبلاغة * توسل
سلف له معه من الاستجابة وعن بعضهم أن محتاجا سأله وقال أنا الذي أحسنت إلي وقت كذا
بمن توسل بنا إلينا وقضى حاجته * كان مواليه وهم عصبته إخوته وبنو عمه شرار بني إسرائيل
الدين أن يغيروه ويبدلوه وأن لا يحسنوا الخلافة على أمته فطلب عقبا من صلبه صالحا يقتدى
الدين ويرتسم مراسمه فيه (من ورائي) بعد موتي وقرأ ابن كثير من وراي بالقصر وهذا الظرف
بخفت لفساد المعنى ولكن بمحذوف أو بمعنى الولاية في الموالي أي خفت فعل الموالي وهو تبديلهم

ون وثمان
أو تسع آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

كهيعص ذكر رحمت
ربك عبده زكريا إذ
نادى ربه نداء خفيا قال
رب إني وهن العظم
مني واشتعل الرأس
شيبا ولم أكن بدعائك
رب شقيا وإني خفت

القول في سورة مريم ﷺ (بسم الله الرحمن الرحيم) قوله تعالى فهب لي من لدنك وليا الى قوله وقد بلغت من الكبر عتيا (قال ان قلت لم طلب أولا وهو وامرأته على صفة العتي الخ) قال أحمد وفيما أجاب به نظر لانه التزم ان زكريا استبعد ما وعده الله عز وجل بوقوعه ولا يجوز لنبي النطق بما لا يسوغ لمثل هذه الفائدة التي عينها الزمخشري ويمكن حصولها بدونه فالظاهر في الجواب والله أعلم ان طلبة زكريا انما كانت ولدا من حيث الجملة وبحسب ذلك أجيب وليس في الاجابة ما يدل على انه (٣) يولد له وهو هرم ولا انه من زوجته وهي عاقر فاحتمل عنده أن يكون الموعود بهذه الحالة واحتمل ان يعاد لهما قوتهما وشبابهما كما فعل الله ذلك لغيرهما أو أن يكون الولد من غير زوجته العاقر فاستبعد [illegible]

من لدنك وليا يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا

[illegible] عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا قال كذلك قال ربك هو على هين وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا قال رب اجعل لي آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويا فخرج على قومه من المحراب

الولد منهما مع حالهما فاستخبر أيكون وهما كذلك فقيل كذلك أي يكون الولد وأنتما كذلك فقد انصرف الاستبعاد الى عين الموعود

خلافتهم من ورائي أو خفت الذين يلون الامر من ورائي وقرأ عثمان ومحمد بن علي وعلي بن الحسين رضي الله عنهم خفت الموالي من ورائي وهذا على معنيين أحدهما أن يكون ورائي بمعنى خلفي وبعدي فيتعلق الظرف بالموالي أي قلوا وعجزوا عن اقامة أمر الدين فسأل ربه تقويتهم ومظاهرتهم بولي يرزقه والثاني ان يكون بمعنى قدامي فيتعلق بخفت ويريد أنهم خفوا قدامه ودرجوا ولم يبق منهم من به تقو واعتضاد (من لدنك) تأكيد لكونه وليا مرضيا بكونه مضافا الى الله تعالى وصادرا من عنده والا فهب لي وليا يرثني [illegible] اختراعا منك بلا سبب لاني وامرأتي لا نصلح للولادة (يرثني ويرث) الجزم جواب الدعاء والرفع [illegible] ابن عباس والجحدري يرثني وارث آل يعقوب نصب على الحال وعن [illegible] علي رضي الله عنه وجماعة وارث من آل يعقوب [illegible] والعلم لان الانبياء لا تورث المال [illegible] وقيل من [illegible]

التمييز لا للتعدية [illegible]

يعقوب بن اسحق وقيل هو يعقوب بن ماثان [illegible]

نسل سليمان بن داود (سميا) لم يسم أحد بيحيى قبله وهذا شاهد على ان الاسماء [illegible]

كانت العرب تنتحي في التسمية لكونها أنبه وأنوه وأنزه عن النبز حتى قال القائل في مدح قوم

سنع الاسامي مسبلي أزر * حمر تمس الارض بالهدب

وقال [illegible] سيابة البكري وقد سأله عن نسبه أنا ابن الحجاج فقال قصرت وعرفت وقيل مثلا وشبيها عن مجاهد كقوله هل تعلم له سميا وانما قيل للمثل سمي لان كل متشاكلين يسمى كل واحد منهما باسم المثل والشبيه والشكل والنظير فكل واحد منهما سمي لصاحبه ونحو يحيى في أسمائهم يعمر ويعيش ان كانت التسمية عربية وقد سموا [illegible] يموت أيضا وهو يموت بن المزرع قالوا لم يكن له مثل في انه لم يعص ولم يهم بمعصية قط وانه ولد بين شيخ فان و[illegible] عاقر وانه كان حصورا * أي كانت على صفة العقر حين أنا شاب وكهل فما رزقت الولد لاختلال أحد السببين أفحين اختل السببان جميعا أرزقه (فان قلت) لم طلب أولا وهو وامرأته على صفة العتي والعقر فلما أسعف بطلبته استبعد واستعجب (قلت) ليجاب بما أجيب به فيزداد المؤمنون ايقانا ويرتدع المبطلون والا فمعتقد زكريا أولا وآخرا كان على منهاج واحد في أن الله غني عن الاسباب * أي بلغت عتيا وهو اليبس والجساوة في المفاصل والعظام كالعود القاحل يقال عتا العود وعسا من أجل الكبر والطعن في السن العالية أو بلغت من مدارج الكبر ومراتبه ما يسمى عتيا وقرأ ابن وثاب وحمزة والكسائي بكسر العين وكذلك صليا وابن مسعود بفتحهما فيهما وقرأ أبي ومجاهد عسيا (كذلك) الكاف رفع أي الامر كذلك تصديق له ثم ابتدأ قال ربك أو نصب بقال وذلك اشارة الى مبهم يفسره هو على هين ونحوه وقضينا اليه ذلك الامر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين وقرأ الحسن وهو على هين ولا يخرج هذا الا على الوجه الاول أي الامر كما قلت وهو على ذلك يهون علي ووجه آخر وهو ان يشار بذلك الى ما تقدم من وعد الله لا الى قول زكريا وقال محذوف في كلتا القراءتين أي قال هو على هين قال وهو على هين وان شئت لم تنوه لان الله هو المخاطب والمعنى أنه قال ذلك ووعده وقوله الحق (شيأ) لان المعدوم ليس بشيء أو شيأ يعتد به كقولهم عجبت

زال الاشكال والله أعلم * قوله تعالى وقد خلقتك من قبل ولم تك شيأ (قال انما قيل ذلك لان المعدوم ليس بشيء أو شيأ يعتد به الخ) قال أحمد فسر أولا على ظاهر النفي الصرف وهو الحق لان المعدوم ليس شيأ قطعا خلافا للمعتزلة في قولهم ان المعدوم الممكن شيء ومن ثم كاع الزمخشري عن القطع على التفسير الاول الى الثاني بوجه من التأويل يلائم معتقد المعتزلة فحمل النفي الشيئية المعتد بها لان [illegible] الشيئية المطلقة ثابتة عنده للمعدوم والحق [illegible]

من لا شيء وقوله اذا رأى غيري ظنه رجلا * وقرأ الأعمش والكسائي وابن وثاب خلقناك * أي اجعل
لي علامة أعلم بها وقوع ما بشرت به * قال علامتك أن تمنع الكلام فلا تطيقه وأنت سليم الجوارح سوي
الخلق ما بك خرس ولا بكم * ودل ذكر الليالي هنا والايام في آل عمران على أن المنع من الكلام استمر به ثلاثة
أيام ولياليهن * فأوحى أشار عن مجاهد ويشهد له الا رمزا وعن ابن عباس كتب لهم على الارض (سبحوا)
صلوا أو على الظاهر وأن هي المفسرة * أي خذ التوراة بجد واستظهار بالتوفيق والتأييد (الحكم) الحكمة
ومنه واحكم كحكم فتاة الحي يقال حكم حكما كحلم حلما وهو الفهم للتوراة والفقه في الدين عن ابن عباس وقيل
دعاه الصبيان الى اللعب وهو صبي فقال ما للعب خلقنا عن الضحاك وعن معمر العقل وقيل النبوة لان الله
أحكم عقله في صباه وأوحى اليه (حنانا) رحمة لأبويه وغيرهما وتعطفا وشفقة أنشد سيبويه

وقالت حنان ما أتى بك ههنا * أذو نسب أم أنت بالحي عارف

وقيل حنانا من الله عليه وحن في معنى ارتاح واشتاق ثم استعمل في العطف والرأفة وقيل لله حنان كما قيل
رحيم على سبيل الاستعارة * والزكاة الطهارة وقيل الصدقة أي يتعطف على الناس ويتصدق عليهم * سلم الله
عليه في هذه الاحوال قال ابن عيينة انها أوحش المواطن (اذ) بدل من مريم بدل الاشتمال لان الاحيان
مشتملة على ما فيها وفيه أن المقصود بذكر مريم ذكر وقتها لهذا الوقوع هذه القصة العجيبة فيه * والانتباذ
الاعتزال والانفراد تخلت للعبادة في مكان مما يلي شرقي بيت المقدس أو من دارها معتزلة عن الناس وقيل
قعدت في مشرفة للاغتسال من الحيض محتجبة بحائط أو بشيء يسترها وكان موضعها المسجد فاذا حاضت
تحولت الى بيت خالتها فاذا طهرت عادت الى المسجد فبينا هي في مغتسلها أتاها الملك في صورة آدمي شاب
أمرد وضيء الوجه جعد الشعر سوي الخلق لم ينتقص من الصورة الآدمية شيئا أو حسن الصورة مستوي
الخلق وانما مثل لها في صورة الانسان لتستأنس بكلامه ولا تنفر عنه ولو بدا لها في الصورة الملكية لنفرت
ولم تقدر على استماع كلامه * ودل على عفافها وورعها أنها تعوذت بالله من تلك الصورة الجميلة الفائقة الحسن
وكان تمثيله على تلك الصفة ابتلاء لها وسبرا لعفتها وقيل كانت في منزل زوج أختها زكريا ولها محراب على
حدة تسكنه وكان زكريا اذا خرج أغلق عليها الباب فتمنت أن تجد خلوة في الجبل لتفلي رأسها فانفجر السقف
لها فخرجت فجلست في المشرفة وراء الجبل فأتاها الملك وقيل قام بين يديها في صورة ترب لها اسمه يوسف من
خدم بيت المقدس وقيل ان النصارى اتخذت المشرق قبلة لانتباذ مريم مكانا شرقيا * الروح جبريل لان الدين
يحيا به وبوحيه أو سماه الله روحه على المجاز محبة له وتقريبا كما تقول لحبيبك أنت روحي وقرأ أبو حيوة
روحنا بالفتح لانه سبب لما فيه روح العباد واصابة الروح عند الله الذي هو عدة المقربين في قوله فأما ان كان
من المقربين فروح وريحان أو لانه من المقربين وهم الموعودون بالروح أي مقربنا وذا روحنا * أرادت
ان كان يرجى منك أن تتقي الله وتخشاه وتحفل بالاستعاذة به فاني عائذة به منك كقوله تعالى بقية الله خير
لكم ان كنتم مؤمنين * أي انما أنا رسول من استعذت به (لأهب لك) لأكون سببا في هبة الغلام بالنفخ في
الدرع وفي بعض المصاحف انما أنا رسول ربك أمرني أن أهب لك أو هي حكاية لقول الله تعالى * جعل
المس عبارة عن النكاح الحلال لانه كناية عنه كقوله تعالى من قبل أن تمسوهن أو لامستم النساء والزنا ليس
كذلك انما يقال فيه فجر بها وخبث بها وما أشبه ذلك وليس بقمن أن تراعى فيه الكنايات والآداب * والبغي
الفاجرة التي تبغي الرجال وهي فعول عند المبرد بغوي فأدغمت الواو في الياء وقال ابن جني في كتاب التمام هي
فعيل ولو كانت فعولا لقيل بغو كما قيل فلان نهو عن المنكر (ولنجعله) تعليل معلله محذوف أي ولنجعله آية
للناس فعلنا ذلك أو هو معطوف على تعليل مضمر أي لنبين به قدرتنا ولنجعله آية ونحوه وخلق الله السموات
والارض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وقوله وكذلك مكنا ليوسف في الارض ولنعلمه (مقضيا) مقدرا
مسطورا في اللوح لا بد لك من جريه عليك أو كان أمرا حقيقا بأن يكون ويقضى لكونه آية ورحمة والمراد
بالآية العبرة والبرهان على قدرة الله وبالرحمة الشرائع والألطاف وما كان سببا في قوة الاعتقاد والتوصل

فأوحى اليهم أن سبحوا
بكرة وعشيا يا يحيى
خذ الكتاب بقوة
وآتيناه الحكم صبيا
وحنانا من لدنا وزكاة
وكان تقيا وبرا بوالديه
ولم يكن جبارا عصيا
وسلام عليه يوم ولد
ويوم يموت ويوم يبعث
حيا واذكر في الكتاب
مريم اذ انتبذت من
أهلها مكانا شرقيا
فاتخذت من دونهم
حجابا فأرسلنا اليها
روحنا فتمثل لها بشرا
سويا قالت اني أعوذ
بالرحمن منك ان كنت
تقيا قال انما أنا رسول
ربك لأهب لك غلاما
زكيا قالت أنى يكون
لي غلام ولم يمسسني
بشر ولم أك بغيا قال
كذلك قال ربك هو
علي هين ولنجعله آية
للناس ورحمة منا
وكان أمرا مقضيا

فحملته فانتبذت به
مكانا قصيا فأجاءها
المخاض الى جذع النخلة
قالت يا ليتني مت قبل
هذا وكنت نسيا منسيا
فناداها من تحتها أن
... قد جعل ربك

الى الطاعة والعمل الصالح فهو جدير بالتكوين * عن ابن عباس فاطمأنت الى قوله فدنا منها فنفخ في جيب درعها فوصلت النفخة الى بطنها فحملت وقيل كانت مدة الحمل ستة أشهر وعن عطاء وأبي العالية والضحاك سبعة أشهر وقيل ثمانية ولم يعش مولود وضع لثمانية الا عيسى وقيل ثلاث ساعات وقيل حملته في ساعة وصور في ساعة ووضعته في ساعة حين زالت الشمس من يومها وعن ابن عباس كانت مدة الحمل ساعة واحدة كما حملته نبذته وقيل حملته وهي بنت ثلاث عشرة سنة وقيل بنت عشر وقد كانت حاضت حيضتين قبل أن تحمل قالوا ما من مولود الا يستهل غيره (فانتبذت به) أي اعتزلت وهو في بطنها كقوله * تدوس بنا الجماجم والتريبا أي تدوس الجماجم ونحن على ظهورها ونحوه قوله تعالى تنبت بالدهن أي تنبت ودهنها فيها الجار والمجرور في موضع الحال (قصيا) بعيدا من أهلها وراء الجبل وقيل أقصى الدار وقيل كانت سميت لابن عم لها اسمه يوسف فلما قيل حملت من الزنا خاف عليها قتل الملك فهرب بها فلما كان ببعض الطريق حدثته نفسه بأن يقتلها فأتاه جبريل فقال انه من روح القدس فلا تقتلها فتركها (فأجاءها) أجاء منقول من جاء الا أن استعماله قد تغير بعد النقل الى معنى الالجاء ألا تراك لا تقول جئت المكان وأجاءنيه زيد كما تقول بلغته وأبلغنيه ونظيره آتى حيث لم يستعمل الا في الاعطاء ولم تقل أتيت المكان وآتانيه فلان * قرأ ابن كثير في رواية (المخاض) بالكسر يقال مخضت الحامل ... طلبت ... تعتمد عليه عند الولادة وكان جذع نخلة يابسة ... التعريف فيها اما أن يكون من تعريف الأسماء الغالبة ... معلوما عند الناس فاذا قيل جذع النخلة فهم منه ذلك دون غيره ... الجنس أي جذع هذه الشجرة خاصة كأن الله تعالى انما أرشدها الى النخلة ليطعمها ... خرسة النفساء الموافقة لها ولأن النخلة أقل شيء صبرا على البرد وثمارها انما هي من جمارها ... الآيات فيها اختارها لها وألجأها اليها * قرئ (مت) بالضم والكسر يقال مات يموت ومات يمات * النسي ما من حقه أن يطرح وينسى كخرقة الطامث ونحوها كالذبح اسم ما من شأنه أن يذبح في قوله تعالى وفديناه بذبح عظيم وعن يونس العرب اذا ارتحلوا عن الدار قالوا انظروا أنساءكم أي الشيء اليسير نحو العصا والقدح والشظاظ تمنت لو كانت شيئا تافها لا يؤبه له من شأنه وحقه أن ينسى في العادة وقد نسي وطرح فوجد فيه النسيان الذي هو حقه وذلك لما لحقها من فرط الحياء والتشور من الناس على حكم العادة البشرية لا كراهة لحكم الله أو لشدة التكليف عليها اذا بهتوها وهي عارفة ببراءة الساحة وبضد ما قرفت به من اختصاص الله اياها بغاية الاجلال والاكرام لأنه مقام دحض قلما تثبت عليه الأقدام أن تعرف اغتباطك بأمر عظيم وفضل ظاهر تستحق به المدح وتستوجب التعظيم ثم تراه عند الناس لجهلهم به عيبا يعاب به ويعنف بسببه أو لخوفها على الناس أن يعصوا الله بسببها وقرأ ابن وثاب والأعمش وحمزة وحفص نسيا بالفتح قال الفراء هما لغتان كالوتر والوتر والجسر والجسر ويجوز أن يكون مسمى بالمصدر كالحمل وقرأ محمد بن كعب القرظي نسأ بالهمز وهو الحليب المخلوط بالماء ينسؤه أهله لقلته ونزارته وقرأ الأعمش منسيا بالكسر على الاتباع كالمغيرة والمنخر (من تحتها) هو جبريل عليه السلام قيل كان يقبل الولد كالقابلة وقيل هو عيسى وهي قراءة عاصم وأبي عمرو وقيل تحتها أسفل من مكانها كقوله تجري من تحتها الأنهار وقيل كان أسفل منها تحت الأكمة فصاح بها (لا تحزني) وقرأ نافع وحمزة والكسائي وحفص من تحتها وفي ناداها ضمير الملك أو عيسى وعن قتادة الضمير في تحتها للنخلة وقرأ زر وعلقمة فخاطبها من تحتها سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن السري فقال هو الجدول
... لبيد
فتوسطا عرض السري فصدعا * مسجورة متجاورا قلامها
وقيل هو من السرو والمراد عيسى وعن الحسن كان والله عبدا سريا (فان قلت) ما كان حزنها لفقد الطعام
...

لها أمور الهية خارجة عن العادات خارقة لما ألفوا واعتادوا حتى يتبين لهم أن ولادها من غير فحل ليس ببدع من شأنها (تساقط) فيه تسع قراآت تساقط بادغام التاء وتتساقط باظهار التاءين وتساقط بطرح الثانية ويساقط بالياء وادغام التاء وتساقط وتسقط ويسقط وتسقط ويسقط التاء للنخلة والياء للجذع ورطبا تمييز أو مفعول على حسب القراءة وعن المبرد جواز انتصابه بهزي أي هزي بذلك والباء في بجذع النخلة صلة للتأكيد كقوله تعالى ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة أو على معنى افعلي الهز به كقوله يجرح في عراقيبها نصلي قالوا التمر للنفساء عادة من ذلك الوقت وكذلك التحنيك وقالوا كان من العجوة وقيل ما للنفساء خير من الرطب ولا للمريض خير من العسل وقيل اذا عسر ولادها لم يكن لها خير من الرطب * عن طلحة بن سليمان (جنيا) بكسر الجيم للاتباع أي جمعنا لك في السري والرطب فائدتين احداهما الاكل والشرب والثانية سلوة الصدر لكونهما معجزتين وهو معنى قوله فكلي واشربي وقري عينا أي وطيبي نفسا ولا تغتمي وارفضي عنك ما أحزنك وأهمك * وقرئ (وقري) بالكسر لغة نجد (فاما ترئن) بالهمز ابن الرومي عن أبي عمرو وهذا من لغة من يقول لبأت بالحج وحلأت السويق وذلك لتآخ بين الهمز وحرف اللين في الابدال (صوما) صمتا وفي مصحف عبد الله صمتا وعن أنس بن مالك مثله وقيل صياما الا أنهم كانوا لا يتكلمون في صيامهم وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صوم الصمت لانه نسخ في أمته أمرها الله بأن تنذر الصوم لئلا تشرع مع البشر المتهمين لها في الكلام لمعنيين أحدهما أن عيسى صلوات الله عليه يكفيها الكلام بما يبرئ به ساحتها والثاني كراهة مجادلة السفهاء ومناقلتهم وفيه أن السكوت عن السفيه واجب ومن أذل الناس سفيه لم يجد مسافها قيل أخبرتهم بأنها نذرت الصوم بالاشارة وقيل سوغ لها ذلك بالنطق (انسيا) أي أكلم الملائكة دون الانس الفري البديع وهو من فري الجلد (يا أخت هرون) كان أخاها من أبيها من أمثل بني اسرائيل وقيل هو أخو موسى صلوات الله عليهما وعن النبي صلى الله عليه وسلم انما عنوا هرون النبي وكانت من أعقابه في طبقة الاخوة بينها وبينه ألف سنة وأكثر وعن السدي كانت من أولاده وانما قيل يا أخت هرون كما يقال يا أخا همدان أي يا واحدا منهم وقيل رجل صالح أو طالح في زمانها شبهوها به أي كنت عندنا مثله في الصلاح أو شتموها به ولم ترد أخوة النسب ذكر أن هرون الصالح تبع جنازته أربعون ألفا كلهم يسمى هرون تبركا به وباسمه فقالوا كنا نشبهك بهرون هذا * وقرأ عمر بن لجاء التميمي (ما كان أباك امرأ سوء) وقيل احتمل يوسف النجار مريم وابنها الى غار فلبثوا فيه أربعين يوما حتى تعلت من نفاسها ثم جاءت تحمله فكلمها عيسى في الطريق فقال يا أماه أبشري فاني عبد الله ومسيحه فلما دخلت به على قومها وهم أهل بيت صالحون تباكوا وقالوا ذلك وقيل هموا برجمها حتى تكلم عيسى عليه السلام فتركوها (فأشارت اليه) أي هو الذي يجيبكم اذا ناطقتموه وقيل كان المستنطق لعيسى زكريا عليه السلام وعن السدي لما أشارت اليه غضبوا وقالوا لسخريتها بنا أشد علينا من زناها وروي أنه كان يرضع فلما سمع ذلك ترك الرضاع وأقبل عليهم بوجهه واتكأ على يساره وأشار بسبابته وقيل كلمهم بذلك ثم لم يتكلم حتى بلغ مبلغا يتكلم فيه الصبيان (كان) لايقاع مضمون الجملة في زمان ماض مبهم يصلح لقريبه وبعيده وهو ههنا لقريبه خاصة والدال عليه مبنى الكلام وأنه مسوق للتعجب ووجه آخر أن يكون تكلم حكاية حال ماضية أي كيف عهد قبل عيسى أن يكلم الناس صبيا في المهد فيما سلف من الزمان حتى نكلم هذا * أنطقه الله أولا بأنه عبد الله ردا لقول النصارى (الكتاب) هو الانجيل * واختلفوا في نبوته فقيل أعطيها في طفولته أكمل الله عقله واستنبأه طفلا نظرا في ظاهر الآية وقيل معناه أن ذلك سبق في قضائه أو جعل الآتي لا محالة كأنه قد وجد (مباركا أينما كنت) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نفاعا حيث كنت وقيل معلما للخير * وقرئ (وبرا) عن أبي نهيك جعل ذاته برا لفرط بره أو نصبه بفعل في معنى أوصاني وهو كلفني لان أوصاني بالصلاة وكلفنيها واحد (والسلام علي) قيل أدخل لام التعريف لتعرفه بالذكر قبله كقولك جاءنا رجل فكان من فعل الرجل كذا والمعنى ذلك السلام الموجه الى يحيى في المواطن الثلاثة موجه الي والصحيح أن يكون هذا التعريف تعريضا باللعنة على متهمي مريم عليها السلام وأعدائها من اليهود وتحقيقه

وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا فكلي واشربي وقري عينا فاما ترين من البشر أحدا فقولي اني نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم انسيا فأتت به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيأ فريا يا أخت هرون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا فأشارت اليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا قال اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا وجعلني مباركا أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكوة ما دمت حيا وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا ذلك عيسى ابن مريم

أن اللام للجنس فإذا قال وجاء من السلام على خاصة فقد عرض بأن ضده عليكم ونظيره قوله تعالى والسلام على من اتبع الهدى يعني أن العذاب على من كذب وتولى وكان المقام مقام مناكرة وعناد فهو مئنة لنحو هذا من التعريض * قرأ عاصم وابن عامر (قول الحق) بالنصب وعن ابن مسعود قال الحق وقال الله وعن الحسن قول الحق بضم القاف وكذلك في الانعام قوله الحق والقول والقال والقول بمعنى واحد كالرهب والرهب والرهب وارتفاعه على أنه خبر بعد خبر أو بدل أو خبر مبتدأ محذوف وأما انتصابه فعلى المدح ان فسر بكلمة الله وعلى أنه مصدر مؤكد لمضمون الجملة ان أريد قول الثبات والصدق كقولك هو عبد الله حقا والحق لا الباطل وانما قيل لعيسى كلمة الله وقول الحق لأنه لم يولد الا بكلمة الله وحدها وهي قوله كن من غير واسطة أب تسمية للمسبب باسم السبب كما سمي العشب بالسماء والشحم بالندى ويحتمل اذا أريد بقول الحق عيسى أن [illegible] الحق اسم الله عز وجل وأن يكون بمعنى الثبات والصدق ويعضده قوله الذي فيه يمترون أي أمر [illegible] ممشا كول (يمترون) يشكون والمرية الشك أو يتمارون يتلاحون قالت اليهود ساحر كذ [illegible] ثالث ثلاثة وقرأ علي بن أبي طالب رضي الله عنه تمترون على الخطاب وعن أبي بن كعب [illegible] الناس فيه يمترون * كذب النصارى وبكتهم بالدلالة على انتفاء الولد عنه وانه مما لا يتأتى ولا يتصور [illegible] الله [illegible] المحال غير المستقيم ان تكون ذاته كذات من ينشأ منه الولد ثم بين احالة [illegible] ومن كان متنزها عن شبه الحيوان الوالد * والقول ههنا مجاز ومعناه أن ارادته للشي [illegible] فشبه ذلك بامر الآمر المطاع اذا ورد على المأمور الممتثل * قرأ المدنيون وأبو عمرو [illegible] فاعبدوه كقوله وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا والاستاذ وأبو عبيد بالكسر على أن الله بالكسر بغير واو وبأن الله أي بسبب ذلك فاعبدوه (الاحزاب) اليهود والنصارى عن الحسن [illegible] النصارى لتحزبهم ثلاث فرق نسطورية ويعقوبية وملكانية وعن الحسن الذين تحزبوا على الانبياء لما قص عليهم قصة عيسى اختلفوا فيه من بين الناس (من مشهد يوم عظيم) أي من شهودهم هول الحساب والجزاء في يوم القيامة أو من مكان الشهود فيه وهو الموقف أو من وقت الشهود أو من شهادة ذلك اليوم عليهم وأن تشهد عليهم الملائكة والانبياء والسنتهم وأيديهم وأرجلهم بالكفر وسوء الاعمال أو من مكان الشهادة أو وقتها وقيل هو ما قالوه وشهدوا به في عيسى وأمه * لا يوصف الله تعالى بالتعجب وانما المراد أن أسماعهم وأبصارهم يومئذ جدير بأن يتعجب منهما بعدما كانوا صما وعميا في الدنيا وقيل معناه التهديد بما سيسمعون ويبصرون مما يسوء سمعهم ويصدع قلوبهم * أوقع الظاهر أعني الظالمين موقع الضمير اشعارا بأن لا ظلم أشد من ظلمهم حيث أغفلوا الاستماع والنظر حين يجدي عليهم ويسعدهم والمراد بالضلال المبين اغفال النظر والاستماع (قضي الامر) فرغ من الحساب وتصادر الفريقان الى الجنة والنار وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سئل عنه أي عن قضاء الامر فقال حين يذبح الكبش والفريقان ينظران واذ بدل من يوم الحسرة أو منصوب بالحسرة (وهم في غفلة) متعلق بقوله في ضلال مبين عن الحسن وأنذرهم اعتراض أو هو متعلق بانذرهم أي وأنذرهم على هذه الحال غافلين غير مؤمنين * يحتمل أنه يميتهم ويخرب ديارهم وأنه يفني أجسادهم ويفني الارض ويذهب بها * الصديق من أبنية المبالغة ونظيره الضحيك والنطيق والمراد فرط صدقه وكثرة ما صدق به من غيوب الله وآياته وكتبه ورسله وكان الرجحان والغالب في هذا التصديق للكتب والرسل أي كان مصدقا لجميع الانبياء وكتبهم وكان نبيا في نفسه كقوله تعالى بل جاء بالحق وصدق المرسلين أو كان بليغا في الصدق لأن ملاك أمر النبوة الصدق ومصدق الله بآياته ومعجزاته حري أن يكون كذلك وهذه الجملة وقعت اعتراضا بين المبدل منه وبدله أعني ابراهيم و (اذ قال) نحو قولك رأيت زيدا ونعم الرجل أخاك ويجوز أن يتعلق اذ بكان أو بصديقا نبيا أي كان جامعا لخصائص الصديقين والانبياء حين خاطب أباه تلك المخاطبات والمراد بذكر الرسول اياه وقصته في الكتاب أن يتلو ذلك على الناس ويبلغه اياهم كقوله واتل عليهم نبأ ابراهيم

قول الحق الذي فيه يمترون ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون وان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم فاختلف الاحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا لكن الظالمون [illegible] ضلال مبين

[illegible] غفلة وهم لا يؤ[illegible] انا نحن نرث الارض ومن عليها والينا يرجعون واذكر في الكتاب ابراهيم انه كان صديقا نبيا اذ قال لابيه يا أبت لم تعبد

أمور الا فالله عزوجل هو ذاكره ومصوره في تنزيله * التاء في (يا أبت) عوض من ياء الاضافة ولا يقال يا أبتي لئلا
يجمع بين العوض والمعوض منه وقيل يا أبتا لكون الالف بدلا من الياء وشبه ذلك سيبويه بأينق وتعويض
الياء فيه عن الواو الساقطة * انظر حين أراد أن ينصح أباه ويعظه فيما كان متورطا فيه من الخطأ العظيم
والارتكاب الشنيع الذي عصى فيه أمر العقلاء وانسلخ عن قضية التمييز ومن الغباوة التي ليس بعدها غباوة
كيف رتب الكلام معه في أحسن اتساق وساقه أرشق مساق مع استعمال المجاملة واللطف والرفق واللين
والادب الجميل والخلق الحسن منتصحا في ذلك بنصيحة ربه عز وعلا حدث أبو هريرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم أوحى الله الى ابراهيم عليه السلام انك خليلي حسن خلقك ولو مع الكفار تدخل مداخل الابرار
فان كلمتي سبقت لمن حسن خلقه أن أظله تحت عرشي وأسكنه حظيرة القدس وأدنيه من جواري وذلك أنه
طلب منه أولا العلة في خطئه طلب منبه على تماديه موقظ لافراطه وتناهيه لان المعبود لو كان حيا مميزا
سميعا بصيرا مقتدرا على الثواب والعقاب نافعا ضارا الا أنه بعض الخلق لاستخف عقل من أهله للعبادة
ووصفه بالربوبية ولسجل عليه بالغي المبين والظلم العظيم وان كان أشرف الخلق وأعلاهم منزلة كالملائكة
والنبيين قال الله تعالى ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد اذ أنتم مسلمون
وذلك أن العبادة هي غاية التعظيم فلا تحق الا لمن له غاية الانعام وهو الخالق الرازق المحيي المميت المثيب
المعاقب الذي منه أصول النعم وفروعها فاذا وجهت الى غيره وتعالى علوا كبيرا أن تكون هذه الصفة لغيره
لم تكن الا ظلما وعتوا وغيا وكفرا وجحودا وخروجا عن الصحيح النير الى الفاسد المظلم فما ظنك بمن وجه عبادته الى
جماد ليس به حس ولا شعور فلا يسمع يا عابده ذكرك له وثناءك عليه ولا يرى هيآت خضوعك وخشوعك
له فضلا أن يغني عنك بأن تستدفعه بلاء فيدفعه أو تسنح لك حاجة فيكفيكها * ثم ثنى بدعوته الى الحق مترفقا
به متلطفا فلم يسم أباه بالجهل المفرط ولا نفسه بالعلم الفائق ولكنه قال ان معي طائفة من العلم وشيأ منه ليس
معك وذلك علم الدلالة على الطريق السوي فلا تستنكف وهب أني واياك في مسير وعندي معرفة بالهداية
دونك فاتبعني أنجك من أن تضل وتتيه * ثم ثلث بتثبيطه ونهيه عما كان عليه بأن الشيطان الذي استعصى
على ربك الرحمن الذي جميع ما عندك من النعم من عنده وهو عدوك الذي لا يريد بك الا كل هلاك وخزي
ونكال وعدو أبيك آدم وأبناء جنسك كلهم هو الذي ورطك في هذه الضلالة وأمرك بها وزينها لك فأنت
ان حققت النظر عابد الشيطان الا ان ابراهيم عليه السلام لامعانه في الاخلاص ولارتقاء همته في الربانية لم
يذكر من جنايتي الشيطان الا التي تختص منهما برب العزة من عصيانه واستكباره ولم يلتفت الى ذكر
معاداته لآدم وذريته كأن النظر في عظم ما ارتكب من ذلك غمر فكره وأطبق على ذهنه * ثم ربع بتخويفه
سوء العاقبة وبما يجره ما هو فيه من التبعة والوبال ولم يخل ذلك من حسن الادب حيث لم يصرح بأن العقاب
لاحق له وأن العذاب لاصق به ولكنه قال أخاف أن يمسك عذاب فذكر الخوف والمس ونكر العذاب وجعل
ولاية الشيطان ودخوله في جملة أشياعه وأوليائه أكبر من العذاب وذلك أن رضوان الله أكبر من الثواب
نفسه وسماه الله تعالى المشهود له بالفوز العظيم حيث قال ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم
فكذلك ولاية الشيطان التي هي معارضة رضوان الله أكبر من العذاب نفسه وأعظم وصدر كل نصيحة من
النصائح الاربع بقوله يا أبت توسلا اليه واستعطافا * ما في ما لا يسمع وما لم يأتك يجوز أن تكون موصولة
وموصوفة والمفعول في لا يسمع ولا يبصر منسي غير منوي كقولك ليس به استماع ولا ابصار (شيأ) يحتمل
وجهين أحدهما أن يكون في موضع المصدر أي شيأ من الغناء ويجوز أن يقدر نحوه مع الفعلين السابقين
والثاني أن يكون مفعولا به من قولهم أغن عني وجهك (اني قد جاءني من العلم ما لم يأتك) فيه تجدد العلم عنده
لما أطلعه على سماجة صورة أمره وهدم مذهبه بالحجج القاطعة وناصحه المناصحة العجيبة مع تلك الملاطفات
أقبل عليه الشيخ بفظاظة الكفر وغلظة العناد فناداه باسمه ولم يقابل يا أبت بيا بني وقدم الخبر على المبتدأ في
قوله (أراغب أنت عن آلهتي يا ابراهيم) لانه كان أهم عنده وهو عنده أعنى وفيه ضرب من التعجب والانكار

ما لا يسمع ولا يبصر ولا
يغني عنك شيأ يا أبت
اني قد جاءني من العلم
ما لم يأتك فاتبعني
أهدك صراطا سويا
يا أبت لا تعبد الشيطان
ان الشيطان كان
للرحمن عصيا يا أبت
اني أخاف أن يمسك
عذاب من الرحمن
فتكون للشيطان وليا
قال أراغب أنت عن
آلهتي يا ابراهيم لئن لم
تنته

رغبته عن آلهته وأن آلهته ما ينبغي أن يرغب عنها أحد وفي هذا سلوان وثلج لصدر رسول الله صلى الله عليه وسلم عما كان يلقى من مثل ذلك من كفار قومه (لأرجمنك) لأرمينك بلساني يريد الشتم والذم ومنه الرجيم المرمي باللعن أو لأقتلنك من رجم الزاني أو لأطردنك رميا بالحجارة وأصل الرجم الرمي بالرجام (مليا) زمانا طويلا من الملاوة أو مليا بالذهاب عني والهجران قبل أن أثخنك بالضرب حتى لا تقدر أن تبرح يقال فلان ملي بكذا اذا كان مطيقا له مضطلعا به (فان قلت) علام عطف واهجرني (قلت) على معطوف عليه محذوف يدل عليه لأرجمنك أي فاحذرني واهجرني لأن لأرجمنك تهديد وتقريع (قال سلام عليك) سلام توديع ومتاركة كقوله تعالى لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين وقوله واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وهذا دليل على جواز متاركة المنصوح والحال هذه ويجوز أن يكون قد دعا له بالسلامة استمالة له ألا ترى أنه وعده الاستغفار (فان قلت) كيف جاز له أن يستغفر للكافر وأن يعده ذلك (قلت) قالوا أراد اشتراط التوبة عن الكفر كما ترد الأوامر والنواهي الشرعية على الكفار والمراد اشتراط الايمان وكما يؤمر المحدث والفقير بالصلاة والزكاة ويراد اشتراط الوضوء والنصاب وقالوا انما استغفر له بقوله واغفر لأبي انه كان من الضالين لأنه وعده أن يؤمن واستشهدوا عليه بقوله تعالى وما كان استغفار ابراهيم لأبيه الا عن موعدة وعدها اياه ولقائل أن يقول ان الذي منع من الاستغفار للكافر انما هو السمع فأما القضية العقلية فلا تأباه فيجوز أن يكون الوعد بالاستغفار والوفاء به قبل ورود السمع بناء على قضية العقل والذي يدل على صحته قوله تعالى الا قول ابراهيم لأبيه لأستغفرن لك فلو كان شارطا للايمان لم يكن مستنكرا ومستثنى عما وجبت فيه الأسوة وأما عن موعدة وعدها اياه فالواعد هو ابراهيم لا آزر أي ما قال واغفر لأبي الا عن قوله لأستغفرن لك وتشهد له قراءة حماد الراوية وعدها أباه والله أعلم (حفيا) الحفي البليغ في البر والالطاف حفي به وتحفى به (وأعتزلكم) أراد بالاعتزال المهاجرة الى الشام * المراد بالدعاء العبادة لأنه منها ومن وسائطها ومنه قوله صلى الله عليه وسلم الدعاء هو العبادة ويدل عليه قوله تعالى فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله ويجوز أن يراد الدعاء الذي حكاه الله في سورة الشعراء * عرض بشقاوتهم بدعاء آلهتهم في قوله (عسى أن لا أكون بدعاء ربي شقيا) مع التواضع لله بكلمة عسى وما فيه من هضم النفس * ما خسر على الله أحد ترك الكفار الفسقة لوجهه فعوضه أولادا مؤمنين أنبياء (من رحمتنا) هي النبوة عن الحسن وعن الكلبي المال والولد وتكون عامة في كل خير ديني ودنيوي أوتوه * لسان الصدق الثناء الحسن وعبر باللسان عما يوجد باللسان كما عبر باليد عما يطلق باليد وهي العطية قال * اني أتتني لسان لا أسر بها * يريد الرسالة ولسان العرب لغتهم وكلامهم استجاب الله دعوته واجعل لي لسان صدق في الآخرين فصيره قدوة حتى ادعاه أهل الأديان كلهم وقال عز وجل ملة أبيكم ابراهيم وملة ابراهيم حنيفا ثم أوحينا اليك أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا وأعطى ذلك ذريته فأعلى ذكرهم وأثنى عليهم كما أعلى ذكره وأثنى عليه * المخلص بالكسر الذي أخلص العبادة عن الشرك والرياء أو أخلص نفسه وأسلم وجهه لله وبالفتح الذي أخلصه الله * الرسول الذي معه كتاب من الأنبياء والنبي الذي ينبئ عن الله عز وجل وان لم يكن معه كتاب كيوشع * الأيمن من اليمين أي من ناحيته اليمنى أو من اليمن صفة للطور أو للجانب * شبهه بمن قربه بعض العظماء للمناجاة حيث كلمه بغير واسطة ملك وعن أبي العالية قربه حتى سمع صريف القلم الذي كتبت به التوراة (من رحمتنا) من أجل رحمتنا له وترأفنا عليه وهبنا له هرون أو بعض رحمتنا كما في قوله ووهبنا لهم من رحمتنا وأخاه على هذا الوجه بدل وهرون عطف بيان كقولك رأيت رجلا أخاك زيدا وكان هرون أكبر من موسى فوقعت الهبة على معاضدته وموازرته كذا عن ابن عباس رضي الله عنه * ذكر اسمعيل عليه السلام بصدق الوعد وان كان ذلك موجودا في غيره من الأنبياء تشريفا له واكراما كالتلقيب بنحو الحليم والأواه والصديق ولأنه المشهور المتواصف من خصاله عن ابن عباس رضي الله عنه أنه وعد صاحبا له أن ينتظره في مكان فانتظره سنة وناهيك أنه وعد من نفسه الصبر على الذبح فوفى حيث قال ستجدني ان شاء الله من الصابرين * كان يبدأ بأهله في الأمر

لأرجمنك واهجرني مليا قال سلام عليك سأستغفر لك ربي انه كان بي حفيا وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعو ربي عسى أن لا أكون بدعاء ربي شقيا فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له اسحق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق عليا واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصا وكان رسولا نبيا وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجيا ووهبنا له من رحمتنا

---

* قوله تعالى سأستغفر لك ربي انه كان بي حفيا (قال ان قلت لم استغفر لأبيه وهو كافر الخ) قال أحمد وهذه لفظة من الاعتزال مستطيرة من شرر قاعدة التحسين والتقبيح والحق أن العقل لا مدخل له في أن يحكم لله تعالى قبل ورود الشرع به ثم لم يوف الزمخشري بها فانه جعل العقل يسوغ الاستغفار وجعل الشرع مانعا منه ولا يتصور وهذا على قاعدتهم المهدمة كما لا يتصور ورود الشرع بما يخالف العقل في الالهيات نعم قد يحكم الشرع بما لا يظهر العقل عندهم خلافه وأما ما يظهر العقل خلافه فلا

قوله تعالى ويقول الانسان أئذا ما مت لسوف أخرج حيا (قال ان قلت كيف اجتمعت اللام وهي للحال مع حرف الاستقبال الخ) قال أحمد ولاعتقاد تناقض الحرفين منع الكوفيين اجتماعهما واوا انما جردت اللام من معناها لتلائم سوف دون أن تجرد سوف لتلائم اللام لانه لو عكس هذا للغت سوف اذ لا معنى لها سوى الاستقبال واما اللام اذا جردت من الحال بقي لها التوكيد فلم تلغ فتعين والله أعلم * قوله تعالى أولا يذكر الانسان انا خلقناه من قبل ولم يك شيأ (قال ذكر الله الانسان النشأة الاولى ليعترف بالاخرى الخ) قال أحمد مذهب أهل السنة ان اعادة المعدوم جائزة عقلا ثم واقعة نقلا والمعتزلة وان وافقت على ذلك الا أنها تزعم ان المعدوم له ذات ثابتة في العدم يتعين عليها بأنها شيء فليس عندهم عدم صرف ونفي محض قبل الوجود ولا بعده فكأنهم لولا ذلك لقالوا بقول الفلاسفة الذين هم مختصرهم ولانكروا اعادة المعدوم كما أنكروا اقدما وعقيدة أهل السنة هي المطابقة للآية لان النشأة الاولى لم يتقدمها وجود ولان النشأ أتها لم يكن شيأ قبل ذلك واما النشأة الثانية فقد تقدمها وجود وكان النشأ قبلها شيأ في زمان وجوده ثم عدم أو وقع وبطلت شيئيته فظهر فرق ما بين النشأتين كما نطق به القرآن واما المعتزلة فان قالوا ان الاجسام يعدمها الله ثم يوجدها فقد قالوا الحق لكن لا يتم على أصلهم فرق بين النشأتين لان المعدوم فيهما كان شيأ قبل النشأة فان قالوا الا تعدم الاجسام وانما تتفرق ثم تجمع

رب السموات والارض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا ويقول الانسان أئذا ما مت لسوف أخرج حيا أولا يذكر

وما كان تاركا لك كقوله تعالى ما ودعك ربك وما قلى أي ما كان امتناع النزول الا لامتناع الامر به وأما احتباس الوحي فلم يكن عن ترك الله لك وتوديعه اياك ولكن لتوقفه على المصلحة وقيل هي حكاية قول المتقين حين يدخلون الجنة أي وما ننزل الجنة الا بأن من الله علينا بثواب أعمالنا وأمرنا بدخولها وهو المالك لرقاب الامور كلها السالفة والمترقبة والحاضرة اللاطف في أعمال الخير والموفق لها والمجازي عليها ثم قال الله تعالى تقريرا لقولهم وما كان ربك نسيا لاعمال العاملين غافلا عما يجب أن يثابوا به وكيف يجوز النسيان والغفلة على ذي ملكوت السماء والارض وما بينهما * ثم قال لرسوله صلى الله عليه وسلم حين عرفته على هذه الصفة فأقبل على العمل واعبده يثبك كما أثاب غيرك من المتقين وقرأ الاعرج رضي الله عنه وما يتنزل بالياء على الحكاية عن جبريل عليه السلام والضمير للوحي وعن ابن مسعود رضي الله عنه الا بقول ربك * يجب أن يكون الخلاف في النسي مثله في البغي (رب السموات والارض) بدل من ربك ويجوز أن يكون خبر مبتدا محذوف أي هو رب السموات والارض (فاعبده) كقوله * وقائلة خولان فانكح فتاتهم * وعلى هذا الوجه يجوز أن يكون وما كان ربك نسيا من كلام المتقين وما بعده من كلام رب العزة * (فان قلت) هلا عدى (اصطبر) بعلى التي هي صلته كقوله تعالى واصطبر عليها (قلت) لان العبادة جعلت بمنزلة القرن في قولك للمحارب اصطبر لقرنك أي اثبت له فيما يورد عليك من شداته أريد أن العبادة تورد عليك شدائد ومشاق فاثبت لها ولا تهن ولا يضق صدرك عن القاء عداتك من أهل الكتاب اليك الاغاليط وعن احتباس الوحي عليك مدة وشماتة المشركين بك * أي لم يسم شيء بالله قط وكانوا يقولون لاصنامهم آلهة والعزى اله واما الذي عوض فيه الالف واللام من الهمزة فمخصوص به المعبود الحق غير مشارك فيه وعن ابن عباس رضي الله عنهما لا يسمى أحد الرحمن غيره ووجه آخر هل تعلم من سمي باسمه على الحق دون الباطل لان التسمية على الباطل في كونها غير معتد بها كلا تسمية وقيل مثلا وشبيها أي اذا صح أن لا معبود يوجه اليه العباد العبادة الا هو وحده لم يكن بد من عبادته والاصطبار على مشاقها وتكاليفها * يحتمل أن يراد بالانسان الجنس باسره وأن يراد بعض الجنس وهم الكفرة (فان قلت) لم جازت ارادة الاناسي كلهم وكلهم غير قائلين ذلك (قلت) لما كانت هذه المقالة موجودة فيمن هو من جنسهم صح اسناده الى جميعهم كما يقولون بنو فلان قتلوا فلانا وانما القاتل رجل منهم قال الفرزدق

فسيف بني عبس وقد ضربوا به * نبا بيدي ورقاء عن رأس خالد

فقد أسند الضرب الى بني عبس مع قوله نبا بيدي ورقاء وهو ورقاء بن زهير بن جذيمة العبسي * (فان قلت) بم انتصب اذا وانتصابه باخرج ممتنع لاجل اللام لا تقول اليوم لزيد قائم (قلت) بفعل مضمر يدل عليه المذكور (فان قلت) لام الابتداء الداخلة على المضارع تعطي معنى الحال فكيف جامعت حرف الاستقبال (قلت) لم تجامعها الا مخلصة للتوكيد كما أخلصت الهمزة في يا الله للتعويض واضمحل عنها معنى التعريف وما في اذا ما للتوكيد أيضا فكأنهم قالوا أحقا أنا سنخرج أحياء حين يتمكن فينا الموت والهلاك على وجه الاستنكار والاستبعاد * والمراد الخروج من الارض أو من حال الفناء أو هو من قولهم خرج فلان عالما وخرج شجاعا اذا كان نادرا في ذلك يريد سأخرج حيا نادرا على سبيل الهزؤ * وقرأ الحسن وأبو حيوة لسوف أخرج وعن طلحة بن مصرف رضي الله عنه لسأخرج كقراءة ابن مسعود رضي الله عنه ولسيعطيك وتقديم الظرف وايلاؤه حرف الانكار من قبل ان ما بعد الموت هو وقت كون الحياة منكرة ومنه جاء انكارهم فهو كقولك للمسيء الى المحسن أحين تمت عليك نعمة فلان أسأت اليه * الواو عطفت لا يذكر على يقول ووسطت همزة الانكار بين المعطوف عليه وحرف العطف يعني أيقول ذلك ولا يتذكر حال النشأة الاولى حتى لا ينكر الاخرى فان تلك أعجب وأغرب وأدل على قدرة الخالق حيث أخرج الجواهر والاعراض من العدم الى الوجود ثم

(١٢) كما صرح به الزمخشري لأنه تفطن لأن القول بأن الأجسام تنعدم ثم يوجدها الله تعالى مع القول بأن المعدوم شيء يبطل الفرق بين النشأتين ولم يطق ذلك وقد نطق به القرآن فالتزم أن الأجسام لا تنعدم ليتم له الفرق بين النشأة (١٣) الثانية وإنما هي على هذا التقرير جمع وتأليف لموجود وبين النشأة الأولى التي هي إيجاد معدوم فتنبه لبعد غوره ولكن هرب من القطر فوقع تحت الميزاب فهو والحالة هذه كالمستغيث من الرمضاء بالنار والله ولي التوفيق ومعنى تفريق الله تعالى بين النشأتين أن الجاحد متهافت لأنه اعترف بالأولى وهي أصعب بالنسبة إلى قياس العقل وأنكر الثانية وهي أسهل وأهون لأن ذلك راجع إلى قدرته تعالى فإن الكل لدى قدرة الله تعالى هين على سواء * عاد كلامه

أوقع التأليف مشحونا ضروب الحكم التي تحار الفطن فيها من غير حذو على مثال واقتداء بمؤلف ولكن اختراعا وإبداعا من عند قادر جلت قدرته ودقت حكمته وأما الثانية فقد تقدمت نظيرتها وعادت لها كالمثال المحتذى عليه وليس فيها إلا تأليف الأجزاء الموجودة الباقية وتركيبها وردها إلى ما كانت عليه مجموعة بعد التفكيك والتفريق وقوله تعالى ولم يك شيئا دليل على هذا المعنى وكذلك قوله تعالى وهو أهون عليه على أن رب العزة سواء عليه النشأتان لا يتفاوت في قدرته الصعب والسهل ولا يحتاج إلى احتذاء على مثال ولا استعانة بحكيم ولا نظر في مقياس ولكن يواجه جاحد البعث بذلك دفعا في بحر معاندته وكشفا عن صفحة جهله * القراء كلهم على لا يذكر بالتشديد إلا نافعا وابن عامر وعاصما رضي الله عنهم فقد خففوا وفي حرف أبي يتذكر (من قبل) من قبل الحالة التي هو فيها وهي حالة بقائه * في إقسام الله تعالى باسمه تقدست أسماؤه مضافا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تفخيم لشأن رسول الله ورفع منه كما رفع من شأن السماء والأرض في قوله تعالى فورب السماء والأرض إنه لحق والواو في (والشياطين) يجوز أن تكون للعطف وبمعنى مع وهي بمعنى مع أوقع والمعنى أنهم يحشرون مع قرنائهم من الشياطين الذين أغووهم يقرن كل كافر مع شيطان في سلسلة (فإن قلت) هذا إذا أريد بالإنسان الكفرة خاصة فإن أريد الأناسي على العموم فكيف يستقيم حشرهم مع الشياطين (قلت) إذا حشر جميع الناس حشرا واحدا وفيهم الكفرة مقرونين بالشياطين فقد حشروا مع الشياطين كما حشروا مع الكفرة (فإن قلت) هلا عزل السعداء عن الأشقياء في الحشر كما عزلوا عنهم في الجزاء (قلت) لم يفرق بينهم وبينهم في المحشر وأحضروا حيث تجاثوا حول جهنم وأوردوا معهم النار ليشاهد السعداء الأحوال التي نجاهم الله منها وخلصهم فيزدادوا لذلك غبطة إلى غبطة وسرورا إلى سرور ويشمتوا بأعداء الله وأعدائهم فتزداد مساءتهم وحسرتهم وما يغيظهم من سعادة أولياء الله وشماتتهم بهم * (فإن قلت) ما معنى إحضارهم جثيا (قلت) أما إذا فسر الإنسان بالخصوص فالمعنى أنهم يقبلون من المحشر إلى شاطئ جهنم عتلا على حالهم التي كانوا عليها في الموقف جثاة على ركبهم غير مشاة على أقدامهم وذلك أن أهل الموقف وصفوا بالجثو قال الله تعالى وترى كل أمة جاثية على العادة المعهودة في مواقف المقاولات والمناقلات من تجاثي أهلها على الركب لما في ذلك من الاستيفاز والقلق وإطلاق الحبا خلاف الطمأنينة أو لما يدهمهم من شدة الأمر التي لا يطيقون معها القيام على أرجلهم فيحبون على ركبهم حبوا وإن فسر بالعموم فالمعنى أنهم يتجاثون عند موافاة شاطئ جهنم على أن جثيا حال مقدرة كما كانوا في الموقف متجاثين لأنه من توابع التواقف للحساب قبل التوصل إلى الثواب والعقاب * المراد بالشيعة وهي فعلة كفرقة وفتية الطائفة التي شاعت أي تبعت غاويا من الغواة قال الله تعالى إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا يريد نمتاز من كل طائفة من طوائف الغي والفساد أعصاهم فأعصاهم وأعتاهم فأعتاهم فإذا اجتمعوا طرحناهم في النار على الترتيب نقدم أولاهم بالعذاب فأولاهم * أو أراد بالذين هم أولى بها صليا المنتزعين كما هم كأنه قال ثم لنحن أعلم بتصلية هؤلاء وهم أولى بالصلي من بين سائر الصالين ودركاتهم أسفل وعذابهم أشد ويجوز أن يريد بأشدهم عتيا رؤساء الشيع وأئمتهم لتضاعف جرمهم بكونهم ضلالا ومضلين قال الله تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم * واختلف في إعراب (أيهم أشد) فعن الخليل أنه مرتفع على الحكاية تقديره لننزعن الذين يقال فيهم أيهم أشد وسيبويه على أنه مبني على الضم لسقوط صدر الجملة التي هي صلته حتى لو جيء به لأعرب وقيل أيهم هو أشد ويجوز أن يكون النزع واقعا على من كل شيعة كقوله سبحانه ووهبنا لهم من رحمتنا أي لننزعن بعض كل شيعة فكأن قائلا قال من هم فقيل أيهم أشد عتيا وأيهم

الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا

(قال والإنسان يحتمل أن يراد به العموم الخ) قال أحمد التبست عليه إرادة العموم بتناول العموم وبينهما بون ومن ثم خلت عبارته عن التحرز والصون فصرح بأن الله تعالى أراد بالإنسان العموم ومعنى إرادة العموم أن يريد الله تعالى نسبة كلمة الشك والكفر إلى كل فرد من أفراد الإنسان ومعاذ الله وقد صرح الزمخشري بأن الناطق بكلمة الشك بعض الجنس ففي العبارة خلل كما ترى

(قوله كما صرح به الزمخشري الخ) كذا بالأصل وليس فيه جواب الشرط في قوله فإن قالوا لا تنعدم الخ (ليحرر) فهو ما كتبه اهـ مصححه

أشد بالنصب عن طلحة بن مصرف وعن معاذ بن مسلم الهراء أستاذ الفراء (فان قلت) بم يتعلق على والباء فان تعلقهما بالمصدرين لا سبيل اليه (قلت) هما للبيان لا للصلة أو يتعلقان بأفعل أي عتوهم أشد على الرحمن وصليهم أولى بالنار كقولهم هو أشد على خصمه وهو أولى بكذا (وان منكم) التفات الى الانسان ويعضده قراءة ابن عباس وعكرمة رضي الله عنهما وان منهم أو خطاب الناس من غير التفات الى المذكور فان أريد الجنس كله فمعنى الورود دخولهم فيها وهي جامدة فيعبرها المؤمنون وتنهار بغيرهم عن ابن عباس رضي الله عنهما يردونها كأنها اهالة وروى دواية وعن جابر بن عبد الله أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال اذا دخل أهل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض أليس قد وعدنا ربنا أن نرد النار فيقال لهم قد وردتموها وهي جامدة وعنه رضي الله عنه أنه سئل عن هذه الآية فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الورود الدخول لا يبقى بر ولا فاجر الا دخلها فتكون على المؤمنين بردا وسلاما كما كانت على ابراهيم حتى ان للنار ضجيجا من بردها وأما قوله تعالى أولئك عنها مبعدون فالمراد عن عذابها وعن ابن مسعود والحسن وقتادة هو الجواز على الصراط لان الصراط ممدود عليها وعن ابن عباس قد يرد الشيء الشيء ولا يدخله كقوله تعالى ولما ورد ماء مدين ووردت القافلة البلد وان لم تدخله ولكن قربت منه وعن مجاهد ورود المؤمن النار هو مس الحمى جسده في الدنيا لقوله عليه السلام الحمى من فيح جهنم وفي الحديث الحمى حظ كل مؤمن من النار ويجوز أن يراد بالورود جثوهم حولها وان أريد الكفار خاصة فالمعنى بين * الحتم مصدر حتم الامر اذا أوجبه فسمي به الموجب كقولهم خلق الله وضرب الامير أي كان ورودهم واجبا على الله أوجبه على نفسه وقضى به وعزم على أن لا يكون غيره * قرئ (ننجي) وننجي وينجي وينجى على ما لم يسم فاعله ان أريد الجنس بأسره فهو ظاهر وان أريد الكفرة وحدهم فمعنى ثم ننجي (الذين اتقوا) أن المتقين يساقون الى الجنة عقيب ورود الكفار لا أنهم يواردونهم ثم يتخلصون وفي قراءة ابن مسعود وابن عباس والجحدري وابن أبي ليلى ثم ننجي بفتح الثاء أي هنالك وقوله (ونذر الظالمين فيها جثيا) دليل على أن المراد بالورود الجثو حولها وأن المؤمنين يفارقون الكفرة الى الجنة بعد تجاثيهم وتبقى الكفرة في مكانهم جاثين (بينات) مرتلات الالفاظ ملخصات المعاني مبينات المقاصد اما محكمات أو متشابهات قد تبعها البيان بالمحكمات أو بتبيين الرسول قولا أو فعلا أو ظاهرات الاعجاز تحدى بها فلم يقدر على معارضتها أو حججا وبراهين والوجه أن تكون حالا مؤكدة كقوله تعالى وهو الحق مصدقا لان آيات الله لا تكون الا واضحة وحججا (للذين آمنوا) يحتمل أنهم يناطقون المؤمنين بذلك ويواجهونهم به وأنهم يفوهون به لاجلهم وفي معناهم كقوله تعالى وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه * قرأ ابن كثير (مقاما) بالضم وهو موضع الاقامة والمنزل والباقون بالفتح وهو موضع القيام والمراد المكان والموضع * والندي المجلس ومجتمع القوم وحيث ينتدون والمعنى أنهم اذا سمعوا الآيات وهم جهلة لا يعلمون الا ظاهرا من الحياة الدنيا وذلك مبلغهم من العلم قالوا أي الفريقين من المؤمنين بالآيات والجاحدين لها أوفر حظا من الدنيا حتى يجعل ذلك عيارا على الفضل والنقص والرفعة والضعة ويروى أنهم كانوا يرجلون شعورهم ويدهنون ويتطيبون ويتزينون بالزين الفاخرة ثم يدعون مفتخرين على فقراء المسلمين أنهم أكرم على الله منهم (كم) مفعول (أهلكنا) و (من) تبيين لابهامها أي كثيرا من القرون أهلكنا وكل أهل عصر قرن لمن بعدهم لانهم يتقدمونهم و (هم أحسن) في محل النصب صفة لكم ألا ترى أنك لو تركت هم لم يكن لك بد من نصب أحسن على الوصفية * الاثاث متاع البيت وقيل هو ما جد من الفرش والخرثي ما لبس منها وأنشد الحسن بن علي الطوسي

تقادم العهد من أم الوليد بنا * دهرا وصار أثاث البيت خرثيا

* قرئ على خمسة أوجه (رئيا) وهو المنظر والهيئة فعل بمعنى مفعول من رأيت وريا على القلب كقولهم راء في رأى وريا على قلب الهمزة ياء والادغام أو من الري الذي هو النعمة والترفه من قولهم ريان من النعيم وريا على حذف الهمزة رأسا ووجهه أن يخفف المقلوب وهو ريئا بحذف همزته والقاء حركتها على الياء الساكنة

وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا ورئيا قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا

والعبارة الصحيحة ان يقال يحتمل ان يكون التعريف جنسيا فيكون عموما أو عهديا فيكون اللفظ من أول وهلة خاصا والله أعلم * قوله تعالى وان منكم الا واردها (قال يحتمل ان يكون استئنافا خطاب الناس ويحتمل ان يكون التفاتا) قال أحمد احتمال الالتفات مفرع على ارادة العموم من الاول فيكون المخاطبون أولا هم المخاطبين ثانيا الا ان الخطاب الاول بلفظ الغيبة والثاني بلفظ الحضور وأما اذا بنينا على ان الاول انما أريد منه خصوص على التقديرين جميعا فالثاني ليس التفاتا وانما هو عدول الى خطاب العامة عن خطاب خاص القوم معينين والله أعلم

ورئيا واشتقاقه من الرى وهو الجمع لان الزى محاسن مجموعة والمعنى أحسن من هؤلاء * أى مدله الرحمن
أى أمهله وأملى له فى العمر فأخرج على لفظ الامر ايذانا بوجوب ذلك وأنه مفعول لامحالة كالمأمور به
الممتثل لتقطع معاذير الضال ويقال له يوم القيامة أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر أو كقوله تعالى انما نملى لهم
ليزدادوا اثما أو من كان فى الضلالة فليمدد له الرحمن مدا فى معنى الدعاء بأن يمهله الله وينفس فى مدة حياته
فى هذه الآية وجهان أحدهما أن تكون متصلة بالآية التى هى رابعتها والآيتان اعتراض بينهما
أى قالوا أى الفريقين خير مقاما وأحسن نديا (حتى اذا رأوا ما يوعدون) أى لا يبرحون يقولون هذا القول
ويتولعون به لا يتكافون عنه الى أن يشاهدوا الموعود رأى عين (اما العذاب) فى الدنيا وهو غلبة المسلمين
عليهم وتعذيبهم اياهم قتلا وأسرا واظهار الله دينه على الدين كله على أيديهم واما يوم القيامة وهو ما ينالهم من
الخزى والنكال فحينئذ يعلمون عند المعاينة أن الامر على عكس ما قدروه وأنهم شر مكانا وأضعف جندا لا خير
مقاما وأحسن نديا وأن المؤمنين على خلاف صفتهم والثانى أن تتصل بما يليها والمعنى أن الذين فى الضلالة
ممدود لهم فى ضلالتهم والخذلان لاحق بهم لعلم الله بهم وبأن الالطاف لا تنفع فيهم وليسوا من أهلها والمراد
بالضلالة ما دعاهم من جهلهم وغلوهم فى كفرهم الى القول الذى قالوه ولا ينفكون عن ضلالتهم الى أن
يعاينوا نصرة الله المؤمنين أو يشاهدوا الساعة ومقدماتها (فان قلت) حتى هذه ما هى (قلت) هى التى
تحكى بعدها الجمل ألا ترى الجملة الشرطية واقعة بعدها وهى قوله اذا رأوا ما يوعدون (فسيعلمون من هو شر
مكانا وأضعف جندا) فى مقابلة خير مقاما وأحسن نديا لان مقامهم هو مكانهم ومسكنهم والندى المجلس
الجامع لوجوه قومهم وأعوانهم وأنصارهم والجند هم الانصار والاعوان (ويزيد) معطوف على موضع
فليمدد لانه واقع موقع الخبر تقديره من كان فى الضلالة مد أو يمد له الرحمن ويزيد أى يزيد فى ضلال الضال
بخذلانه ويزيد المهتدين هداية بتوفيقه (والباقيات الصالحات) أعمال الآخرة كلها وقيل الصلوات وقيل
سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر أى هى (خير ثوابا) من مفاخرات الكفار (وخير مردا) أى مرجعا
وعاقبة أو منفعة من قولهم ليس لهذا الامر مرد وهل يرد بكائى زندا (فان قلت) كيف قيل خير ثوابا كأن
لمفاخراتهم ثوابا حتى يجعل ثواب الصالحات خيرا منه (قلت) كأنه قيل ثوابهم النار على طريقة قوله فأعتبوا
بالصيلم وقوله

شجعاء جرتها الذميل تلوكه * أصلا اذا راح المطى غراثا

وقوله * تحية بينهم ضرب وجيع * ثم بنى عليه خير ثوابا وفيه ضرب من التهكم الذى هو أغيظ للمتهدد من أن
يقال له عقابك النار (فان قلت) فما وجه التفضيل فى الخير كأن لمفاخرهم شركا فيه (قلت) هذا من وجيز
كلامهم يقولون الصيف أحر من الشتاء أى أبلغ فى حره من الشتاء فى برده * لما كانت مشاهدة الاشياء
ورؤيتها طريقا الى الاحاطة بها علما وصحة الخبر عنها استعملوا أرأيت فى معنى أخبر والفاء جاءت لافادة
معناها الذى هو التعقيب كأنه قال أخبر أيضا بقصة هذا الكافر واذكر حديثه عقيب حديث أولئك (أطلع
الغيب) من قولهم اطلع الجبل اذا ارتقى الى أعلاه وطلع الثنية قال جرير * لاقيت مطلع الجبال وعورا *
ويقولون مر مطلعا لذلك الامر أى عاليا له مالكا له ولاختيار هذه الكلمة شأن يقول أوقد بلغ من عظمة
شأنه أن ارتقى الى علم الغيب الذى توحد به الواحد القهار والمعنى أن ما ادعى أن يؤتاه وتألى عليه لا يتوصل
اليه الا بأحد هذين الطريقين اما علم الغيب واما عهد من عالم الغيب فبأيهما توصل الى ذلك * قرأ حمزة
والكسائى ولدا وهو جمع ولد كأسد فى أسد أو بمعنى الولد كالعرب فى العرب وعن يحيى بن يعمر ولدا بالكسر
وقيل فى العهد كلمة الشهادة وعن قتادة هل له عمل صالح قدمه فهو يرجو بذلك ما يقول وعن الكلبى هل
عهد الله اليه أنه يؤتيه ذلك عن الحسن رحمه الله نزلت فى الوليد بن المغيرة والمشهور أنها فى العاص بن وائل
قال خباب بن الارت كان لى عليه دين فاقتضيته فقال لا والله حتى تكفر بمحمد قلت لا والله لا أكفر بمحمد حيا
ولا ميتا ولا حين تبعث قال فانى اذا مت بعثت قلت نعم قال اذا بعثت جئتنى وسيكون لى ثم مال وولد فأعطيك
وقيل صاغ له خباب حليا فاقتضاه الاجر فقال انكم تزعمون أنكم تبعثون وأن فى الجنة ذهبا وفضة وحريرا

حتى اذا رأوا ما يوعدون اما العذاب واما الساعة فسيعلمون من هو شر مكانا وأضعف جندا ويزيد الله الذين اهتدوا هدى والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير مردا أفرأيت الذى كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا

فأنا أقضيك ثم فإني أوتى مالا وولدا حينئذ (كلا) ردع وتنبيه على الخطأ أي هو مخطئ فيما يصوره لنفسه ويتمناه فليرتدع عنه (فإن قلت) كيف قيل (سنكتب) بسين التسويف وهو كما قاله كتب من غير تأخير قال الله تعالى ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد (قلت) فيه وجهان أحدهما سنظهر له ونعلمه أنا كتبنا قوله على طريقة قوله * إذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة * أي تبين وعلم بالانتساب أني لست بابن لئيمة والثاني أن المتوعد يقول للجاني سوف أنتقم منك يعني أنه لا يخل بالانتصار وإن تطاول به الزمان واستأخر فجرد هنا لمعنى الوعيد (ونمد له من العذاب مدا) أي نطول له من العذاب ما يستأهله ونعذبه بالنوع الذي يعذب به الكفار المستهزؤن أو نزيده من العذاب ونضاعف له من المدد يقال مده وأمده بمعنى وتدل عليه قراءة علي بن أبي طالب ونمد له بالضم وأكد ذلك بالمصدر وذلك من فرط غضب الله نعوذ به من التعرض لما نستوجب به غضبه (ونرثه ما يقول) أي نزوي عنه ما زعم أنه يناله في الآخرة ونعطيه من يستحقه والمعنى مسمى ما يقول ومعنى ما يقول وهو المال والولد يقول الرجل أنا أملك كذا فتقول له ولي فوق ما تقول ويحتمل أنه قد تمنى وطمع أن يؤتيه الله في الدنيا مالا وولدا وبلغت به أشعبيته أن تألى على ذلك في قوله لأوتين لأنه جواب قسم مضمر ومن يتأل على الله يكذبه فيقول الله عز وجل هب أنا أعطيناه ما اشتهاه أما نرثه منه في العاقبة (ويأتينا فردا) غدا بلا مال ولا ولد كقوله عز وجل ولقد جئتمونا فرادى الآية فما يجدي عليه تمنيه وتأليه ويحتمل أن هذا القول إنما يقوله ما دام حيا فإذا قبضناه حلنا بينه وبين أن يقوله ويأتينا رافضا له منفردا عنه غير قائل له أو لا ننسى قوله هذا ولا نلغيه بل نثبته في صحيفته لنضرب به وجهه في الموقف ونعيره به (ويأتينا) على فقره ومسكنته (فردا) من المال والولد لم نوله سؤله ولم نؤته متمناه فيجتمع عليه الخطبان تبعة قوله ووباله وفقد المطموع فيه فردا على الوجه الأول حال مقدرة نحو فادخلوها خالدين لأنه وغيره سواء في إتيانه فردا حين يأتي ثم يتفاوتون بعد ذلك * أي ليتعززوا بآلهتهم حيث يكونون لهم عند الله شفعاء وأنصارا ينقذونهم من العذاب (كلا) ردع لهم وإنكار لتعززهم بالآلهة وقرأ ابن نهيك كلا (سيكفرون بعبادتهم) أي سيجحدون كلا سيكفرون بعبادتهم كقولك زيدا مررت بغلامه وفي محتسب ابن جني كلا بفتح الكاف والتنوين وزعم أن معناه كل هذا الرأي والاعتقاد كلا ولقائل أن يقول إن صحت هذه الرواية فهي كلا التي هي للردع قلب الواقف عليها ألفها نونا كما في قواريرا والضمير في سيكفرون للآلهة أي سيجحدون عبادتهم وينكرونها ويقولون والله ما عبدتمونا وأنتم كاذبون قال الله تعالى وإذا رأى الذين أشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو من دونك فألقوا إليهم القول إنكم لكاذبون أو للمشركين أي ينكرون لسوء العاقبة أن يكونوا قد عبدوها قال الله تعالى ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين (عليهم ضدا) في مقابلة لهم عزا والمراد ضد العز وهو الذل والهوان أي يكونون عليهم ضدا لما قصدوه وأرادوه كأنه قيل ويكونون عليهم ذلا لا لهم عزا أو يكونون عليهم عونا والضد العون يقال من أضدادكم أي أعوانكم وكأن العون سمي ضدا لأنه يضاد عدوك وينافيه بإعانته لك عليه (فإن قلت) لم وحد (قلت) وحد توحيد قوله عليه السلام وهم يد على من سواهم لاتفاق كلمتهم وأنهم كشيء واحد لفرط تضامهم وتوافقهم ومعنى كون الآلهة عونا عليهم أنهم وقود النار وحصب جهنم ولأنهم عذبوا بسبب عبادتها وإن رجعت الواو في سيكفرون ويكونون إلى المشركين فإن المعنى ويكونون عليهم أي أعداؤهم ضدا أي كفرة بهم بعد أن كانوا يعبدونها * الأز والهز والاستفزاز أخوات ومعناها التهييج وشدة الإزعاج أي تغريهم على المعاصي وتهيجهم لها بالوساوس والتسويلات والمعنى خلينا بينهم وبينهم ولم نمنعهم ولو شاء لمنعهم قسرا والمراد تعجيب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الآيات التي ذكر فيها العتاة والمردة من الكفار وأقاويلهم وملاحتهم ومعاندتهم للرسل واستهزاؤهم بالدين من تماديهم في الغي وإفراطهم في العناد وتصميمهم على الكفر واجتماعهم على دفع الحق بعد وضوحه وانتفاء الشك عنه وانهماكهم لذلك في اتباع الشياطين وما تسول لهم * عجلت عليه بكذا إذا استعجلته منه أي لا تعجل عليهم بأن يهلكوا ويبيدوا حتى تستريح أنت والمسلمون من شرورهم وتطهر الأرض بقطع دابرهم فليس بينك وبين

كلا سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مدا ونرثه ما يقول ويأتينا فردا واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا فلا تعجل عليهم إنما نعد لهم عدا

قوله تعالى لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا (يحتمل أن تكون الواو في لا يملكون ضميرا الخ) قال أحمد وفي هذا [illegible] تعسف من حيث أنه اذا جعله علامة لمن فقد كشف معناها وأفصح بأنها متناولة جماعة ثم أعاد على لفظها بالافراد ضمير اتخذ فيه عودة على لفظها بعد الاعادة على معناها وهو يخالف ذلك وهو مستنكر عندهم لأنه اجمال بعد ايضاح وذلك تعكيس في طريق البلاغة وسنتها الواضحة الايضاح بعد الاجمال والواو على اعرابه وان لم تكن عائدة على من الا أنها (٧١) كاشفة لمعناها كشف الضمير العائد اليه فتنبه لهذا النقد فانه أروج من النقد وفي عنق الحسناء يستحسن العقد * قوله تعالى تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا (قال معناه كدت أفعل هذا بالسموات والأرض الخ) قال أحمد ويظهر لي وراءها معنى آخر

يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين الى جهنم وردا لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا ادا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا

طلب من هلاكهم الا أيام محصورة وأنفاس معدودة كأنها في سرعة تقضيها الساعة التي تعد فيها لو عدت ومنه قوله تعالى ولا تستعجل لهم كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه كان اذا قرأها بكى وقال آخر العدد خروج نفسك آخر العدد فراق أهلك آخر العدد دخول قبرك وعن ابن السماك أنه كان عند المأمون فقرأها فقال اذا كانت الأنفاس بالعدد ولم يكن لها مدد فما أسرع ما تنفد * نصب (يوم) بمضمر أي يوم (نحشر) ونسوق نفعل بالفريقين ما لا يحيط به الوصف أو اذكر يوم نحشر ويجوز أن ينتصب بلا يملكون * ذكر المتقون بلفظ التبجيل وهو أنهم يجمعون الى ربهم الذي غمرهم برحمته وخصهم برضوانه وكرامته كما يفد الوفاد على الملوك منتظرين للكرامة عندهم وعن علي رضي الله عنه ما يحشرون والله على أرجلهم ولكنهم على نوق رحالها الذهب وعلى نجائب سروجها ياقوت وذكر الكافرون بأنهم يساقون الى النار باهانة واستخفاف كأنهم نعم عطاش تساق الى الماء * والورد العطاش لأن من يرد الماء لا يرده الا لعطش وحقيقة الورد المسير الى الماء قال

ردي ردي ورد قطاة صما * كدرية أعجبها برد الما

وقيل به الواردون وقرأ الحسن يحشر المتقون ويساق المجرمون * الواو في (لا يملكون) ان جعل ضميرا فهو للعباد ودل عليه ذكر المتقين والمجرمين لأنهم على هذه القسمة ويجوز أن تكون علامة للجمع كالتي في أكلوني البراغيث والفاعل من اتخذ لأنه في معنى الجمع ومحل من اتخذ رفع على البدل أو على الفاعلية ويجوز أن ينتصب على تقدير حذف المضاف أي الا شفاعة من اتخذ والمراد لا يملكون أن يشفع لهم واتخاذ العهد الاستظهار بالايمان والعمل وعن ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه ذات يوم أيعجز أحدكم أن يتخذ كل صباح ومساء عند الله عهدا قالوا وكيف ذلك قال يقول كل صباح ومساء اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة اني أعهد اليك بأني أشهد أن لا اله الا أنت وحدك لا شريك لك وأن محمدا عبدك ورسولك وانك ان تكلني الى نفسي تقربني من الشر وتباعدني من الخير واني لا أثق الا برحمتك فاجعل لي عندك عهدا توفينيه يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد فاذا قال ذلك طبع عليه بطابع ووضع تحت العرش فاذا كان يوم القيامة نادى مناد أين الذين لهم عند الرحمن عهد فيدخلون الجنة وقيل كلمة الشهادة أو يكون من عهد الأمير الى فلان بكذا اذا أمره به أي لا يشفع الا المأمور بالشفاعة المأذون له فيها وتعضده مواضع في التنزيل وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا الا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من أذن له الرحمن ورضي له قولا * قرئ (ادا) بالكسر والفتح قال ابن خالويه الاد والاد العجب وقيل العظيم المنكر والادة الشدة وأدني الأمر وآدني أثقلني وعظم علي ادا (يكاد) قراءة الكسائي ونافع بالياء * وقرئ (ينفطرن) الانفطار من فطره اذا شقه والتفطر من فطره اذا شققه وكرر الفعل فيه وقرأ ابن مسعود ينصدعن * أي تهد هدا أو مهدودة أو مفعول له أي لأنها تهد (فان قلت) ما معنى انفطار السموات وانشقاق الأرض وخرور الجبال ومن أين تؤثر هذه الكلمة في الجمادات (قلت) فيه وجهان أحدهما أن الله سبحانه يقول كدت أفعل هذا بالسموات والأرض والجبال عند وجود هذه الكلمة غضبا مني على من تفوه بها لولا حلمي ووقاري واني لا أعجل بالعقوبة كما قال ان الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا ان أمسكهما من أحد من بعده انه كان حليما غفورا والثاني

والله أعلم وذلك أن الله تعالى قد استعار الدلالة على وجوده عز وجل موصوفا بصفات الكمال الواجبة له أن جعلها تسبيحا بحمده قال تعالى تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وان من شيء الا يسبح بحمده وما دلت عليه السموات والأرض والجبال بل وكل ذرة من ذراتها أن الله تعالى مقدس عن نسبة الولد اليه بل كل شيء له آية * تدل على أنه واحد فالمعتقد نسبة الولد الى الله تعالى قد عطل دلالة هذه الموجودات على تنزيه الله وتقديسه فيستعير لابطال ما فيها من روح الدلالة التي خلقت لأجلها ابطال صورها بالهد والانفطار والانشقاق فسبحان من قوم عباده فجعل ... اذا سمعها العقل يسبح بتسبيح داود يكاد يتزلزل له من هو عن باب التوفيق مطرود مهدود

أن يكون استعظاما للكلمة وتهويلا من فظاعتها وتصويرا لأثرها في الدين وهدمها لأركانه وقواعده وأن
مثال ذلك الأثر في المحسوسات أن يصيب هذه الاجرام العظيمة التي هي قوام العالم ما تنفطر منه وتنشق
وتخر وفي قوله لقد جئتم وما فيه من المخاطبة بعد الغيبة وهو الذي يسمى الالتفات في علم البلاغة زيادة
تسجيل عليهم بالجرأة على الله والتعرض لسخطه وتنبيه على عظم ما قالوا * في (أن دعوا) ثلاثة أوجه أ
يكون مجرورا بدلا من الهاء في منه كقوله

على حالة لو أن في القوم حاتما * على جوده لضن بالماء حاتم

ومنصوبا بتقدير سقوط اللام وافضاء الفعل أي هدا لأن دعوا علل الخرور بالهد والهد بدعاء الولد للرحمن
ومرفوعا بأنه فاعل هدا أي هدها دعاء الولد للرحمن وفي اختصاص الرحمن وتكريره مرات من الفائدة
هو الرحمن وحده لا يستحق هذا الاسم غيره من قبل أن أصول النعم وفروعها منه خلق العالمين وخلق لهم
جميع ما معهم كما قال بعضهم فلينكشف عن بصرك غطاؤه فأنت وجميع ما عندك عطاؤه فمن أضاف اليه
ولدا فقد جعله كبعض خلقه وأخرجه بذلك عن استحقاق اسم الرحمن هو من دعا بمعنى سمى المتعدي
مفعولين فاقتصر على أحدهما الذي هو الثاني طلبا للعموم والاحاطة بكل ما دعي له ولدا أو من دعا بمعنى
الذي مطاوعه ما في قوله عليه السلام من ادعى الى غير مواليه وقول الشاعر * انا بني نهشل لا ند
أي لا ننتسب اليه * انبغى مطاوع بغى اذا طلب أي ما يتأتى له اتخاذ الولد وما ينطلب لو طلب مثلا لأنه محال
غير داخل تحت الصحة أما الولادة المعروفة فلا مقال في استحالتها وأما التبني فلا يكون الا فيما هو من جنس
المتبني وليس القديم سبحانه جنسا لشيء تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا (من) موصوفة لأنها وقعت بعد كل
نكرة وقوعها بعد رب في قوله * رب من أنضجت غيظا صدره * وقرأ ابن مسعود وأبو حيوة (آت الرحمن)
على أصله قبل الاضافة * الاحصاء الحصر والضبط يعني حصرهم بعلمه وأحاط بهم (وعدهم عدا)
الذين اعتقدوا في الملائكة وعيسى وعزير أنهم أولاد الله كانوا بين كفرين أحدهما القول بأن الرحمن
يصح أن يكون والدا والثاني اشراك الذين زعموهم لله أولادا في عبادته كما يخدم الناس أبناء الملوك خدمتهم
لآبائهم فهدم الله الكفر الاول فيما تقدم من الآيات ثم عقبه بهدم الكفر الآخر والمعنى ما من معبود لهم
في السموات والارض من الملائكة ومن الناس الا وهو يأتي الرحمن أي يأوي اليه ويلتجئ الى ربوبيته
عبدا منقادا مطيعا خاشعا خاشيا راجيا كما يفعل العبيد وكما يجب عليهم لا يدعي لنفسه ما يدعيه له هؤلاء
الضلال ونحوه قوله تعالى أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته
ويخافون عذابه وكلهم متقلبون في ملكوته مقهورون بقهره وهو مهيمن عليهم محيط بهم وبجمل أمورهم
وتفاصيلها وكيفيتهم وكميتهم لا يفوته شيء من أحوالهم وكل واحد منهم يأتيه يوم القيامة منفردا ليس معه
من هؤلاء المشركين أحد وهم برآء منهم * قرأ جناح بن حبيش (ودا) بالكسر والمعنى سيحدث لهم في القلوب
مودة ويزرعها لهم فيها من غير تودد منهم ولا تعرض للاسباب التي توجب الود ويكتسب بها الناس مودات
القلوب من قرابة أو صداقة أو اصطناع معروف أو غير ذلك وانما هو اختراع منه ابتداء اختصاصا منه لاوليائه
بكرامة خاصة كما قذف في قلوب أعدائهم الرعب والهيبة اعظاما لهم واجلالا لمكانهم * والسين اما لأن
السورة مكية وكان المؤمنون حينئذ ممقوتين بين الكفرة فوعدهم الله تعالى ذلك اذا دجا الا
واما أن يكون ذلك يوم القيامة يحببهم الى خلقه بما يعرض من حسناتهم وينشر من ديوان أعم
وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلي رضي الله عنه يا علي قل اللهم اجعل لي عندك عهدا
صدور المؤمنين مودة فأنزل الله هذه الآية وعن ابن عباس رضي الله عنهما يعني يحبهم
الى خلقه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل يا جبريل قد أحببت
جبريل ثم ينادي في أهل السماء ان الله قد أحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل ال
في أهل الارض وعن قتادة ما أقبل العبد الى الله الا أقبل الله بقلوب العباد

أن دعوا للرحمن ولدا
وما ينبغي للرحمن أن
يتخذ ولدا ان كل من في
السموات والارض
الا آتي الرحمن عبدا
لقد أحصاهم وعدهم
عدا وكلهم آتيه يوم
القيامة فردا ان الذين
آمنوا وعملوا الصالحات
سيجعل لهم الرحمن ودا
فانما يسرناه

السورة ومقطعها فكأنه قال بلغ هذا المنزل أو بشر به وأنذر فإنما أنزلناه (بلسانك) أي بلغتك وهو اللسان العربي المبين وسهلناه وفصلناه (لتبشر به) وتنذر * واللد الشداد الخصومة بالباطل الآخذون في كل لديد أي في كل شق من المراء والجدال لفرط لجاجهم يريد أهل مكة وقوله (وكم أهلكنا) تخويف لهم وانذار وقرئ (تحس) من حسه اذا شعر به ومنه الحواس والمحسوسات * وقرأ حنظلة (تسمع) مضارع أسمعت والركز الصوت الخفي ومنه ركز الرمح اذا غيب طرفه في الارض والركاز المال المدفون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة مريم أعطي عشر حسنات بعدد من كذب زكريا وصدق به ويحيى ومريم وعيسى وابراهيم واسحق ويعقوب وموسى وهرون واسمعيل وادريس وعشر حسنات بعدد من دعا الله في الدنيا وبعدد من لم يدع الله

﴿سورة طه مكية وهي مائة وأربع وثلاثون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(طه) أبو عمرو فخم الطاء لاستعلائها وأمال الهاء وفخمهما ابن كثير وابن عامر على الاصل والباقون أمالوهما وعن الحسن رضي الله عنه طه وفسر بأنه أمر بالوطء وأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقوم في تهجده على إحدى رجليه فأمر بأن يطأ الارض بقدميه معا وأن الاصل طأ فقلبت همزته هاء أو قلبت ألفا في يطأ فيمن قال لا هناك المرتع ثم بني عليه الامر والهاء للسكت ويجوز أن يكتفي بشطري الاسمين وهما الدالان بلفظهما على المسميين والله أعلم بصحة ما يقال ان طاها في لغة عك في معنى يا رجل ولعل عكا تصرفوا في يا هذا كأنهم في لغتهم قالبون الياء طاء فقالوا في يا طا واختصروا هذا فاقتصروا على ها وأثر الصنعة ظاهر لا يخفى في البيت المستشهد به

ان السفاهة طاها في خلائقكم * لا قدس الله أخلاق الملاعين

والاقوال الثلاثة في الفواتح أعني التي قدمتها في أول الكاشف عن حقائق التنزيل هي التي يعول عليها الالباء المتقنون (ما أنزلنا) ان جعلت طه تعديدا لاسماء الحروف على الوجه السابق ذكره فهو ابتداء كلام وان جعلتها اسما للسورة احتملت أن تكون خبرا عنها وهي في موضع المبتدأ و(القرآن) ظاهر أوقع موقع الضمير لانها قرآن وأن يكون جوابا لها وهي قسم وقرئ ما نزل عليك القرآن (لتشقى) لتتعب بفرط تأسفك عليهم وعلى كفرهم وتحسرك على أن يؤمنوا كقوله تعالى فلعلك باخع نفسك والشقاء يجيء في معنى التعب ومنه المثل أشقى من رائض مهر أي ما عليك الا أن تبلغ وتذكر ولم يكتب عليك أن يؤمنوا لا محالة بعد أن لم تفرط في أداء الرسالة والموعظة الحسنة وقيل ان أبا جهل والنضر بن الحرث قالا له انك شقي لانك تركت دين آبائك فأريد رد ذلك بأن دين الاسلام وهذا القرآن هو السلم الى نيل كل فوز والسبب في درك كل سعادة وما فيه الكفرة هو الشقاوة بعينها وروي أنه عليه الصلاة والسلام صلى بالليل حتى اسمغدت قدماه فقال له جبريل عليه السلام أبق على نفسك فان لها عليك حقا أي ما أنزلناه لتنهك نفسك بالعبادة وتذيقها المشقة الفادحة وما بعثت الا بالحنيفية السمحة وكل واحد من لتشقى وتذكرة علة للفعل الا أن الاول وجب مجيئه مع اللام لانه ليس لفاعل الفعل المعلل ففاتته شريطة الانتصاب على المفعولية والثاني جاز قطع اللام عنه ونصبه لاستجماعه الشرائط (فان قلت) أما يجوز أن تقول ما أنزلنا عليك القرآن أن تشقى كقوله تعالى أن تحبط أعمالكم (قلت) بلى ولكنها نصبة طارئة كالنصبة في واختار موسى قومه وأما النصبة في تذكرة فهي كالتي في ضربت زيدا لانه أحد المفاعيل الخمسة التي هي أصول وقوانين لغيرها (فان قلت) هل يجوز أن يكون تذكرة بدلا من محل لتشقى (قلت) لا لاختلاف الجنسين ولكنها نصب على الاستثناء المنقطع الذي الا فيه بمعنى لكن ويحتمل أن يكون المعنى انا أنزلنا عليك القرآن لتحتمل متاعب التبليغ ومقاولة العتاة من أعداء الاسلام ومقاتلتهم وغير ذلك من أنواع المشاق وتكاليف النبوة وما أنزلنا عليك هذا المتعب الشاق الا ليكون تذكرة وعلى هذا الوجه يجوز أن يكون تذكرة حالا ومفعولا له (لمن يخشى) لمن يؤول أمره الى الخشية

بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوما لدا وكم أهلكنا قبلهم من قرن هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا

﴿سورة طه مكية وهي مائة وأربع وثلاثون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى الا تذكرة لمن يخشى

﴿القول في سورة طه﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى الا تذكرة لمن يخشى (قال ويحتمل أن يكون المعنى انا أنزلنا عليك القرآن لتحتمل الخ) قال أحمد وفي هذا الوجه الثاني بعد فان فيه اثبات كون الشقاء سببا في نزوله عكس الاول وان لم تكن اللام سببية فكانت للصيرورة مثلا ولم يكن فيه ما جرت عادة الله تعالى به مع نبيه صلى الله عليه وسلم من نهيه عن الشقاء والحزن عليهم وضيق الصدر بهم وكان مضمون هذه الآية مثناها عن قوله تعالى فلا يكن في صدرك حرج فلعلك باخع نفسك على آثارهم ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر

تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلى الرحمن على العرش استوى له ما فى السموات وما فى الارض وما بينهما وما تحت الثرى وان تجهر بالقول فانه يعلم السر وأخفى الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى وهل أتاك حديث موسى اذ رأى نارا فقال لاهله امكثوا انى آنست نارا

ولمن يعلم الله منه أنه يبدل بالكفر ايمانا وبالقسوة خشية * فى نصب (تنزيلا) وجوه أن يكون بدلا من تذكرة اذا جعل حالا لا اذا كان مفعولا له لان الشئ لا يعلل بنفسه وأن ينصب بنزل مضمرا وأن ينصب بأنزلنا لان معنى ما أنزلناه الا تذكرة أنزلناه تذكرة وأن ينصب على المدح والاختصاص وأن ينصب بيخشى مفعولا به أى أنزله الله تذكرة لمن يخشى تنزيل الله وهو معنى حسن واعراب بين وقرئ تنزيل بالرفع على خبر مبتدا محذوف * ما بعد تنزيلا الى قوله له الاسماء الحسنى تعظيم وتفخيم لشأن المنزل لنسبته الى من هذه أفعاله وصفاته ولا يخلو من أن يكون متعلقه اما تنزيلا نفسه فيقع صلة له واما محذوفا فيقع صفة له (فان قلت) ما فائدة النقلة من لفظ التكلم الى لفظ الغائب (قلت) غير واحدة منها عادة الافتنان فى الكلام وما يعطيه من الحسن والروعة ومنها أن هذه الصفات انما تسردت مع لفظ الغيبة ومنها أنه قال أولا أنزلنا ففخم بالاسناد الى ضمير الواحد المطاع ثم ثنى بالنسبة الى المختص بصفات العظمة والتمجيد فضوعفت الفخامة من طريقين ويجوز أن يكون أنزلنا حكاية لكلام جبريل والملائكة النازلين معه * ووصف السموات بالعلى دلالة على عظم قدرة من يخلق مثلها فى علوها وبعد مرتقاها * قرئ (الرحمن) مجرورا صفة لمن خلق والرفع أحسن لانه اما أن يكون رفعا على المدح على تقدير هو الرحمن واما أن يكون مبتدأ مشارا بلامه الى من خلق (فان قلت) الجملة التى هى (على العرش استوى) ما محلها اذا جررت الرحمن أو رفعته على المدح (قلت) اذا جررت فهى خبر مبتدا محذوف لا غير وان رفعت جاز أن تكون كذلك وأن تكون مع الرحمن خبرين للمبتدا * لما كان الاستواء على العرش وهو سرير الملك مما يردف الملك جعلوه كناية عن الملك فقالوا استوى فلان على العرش يريدون ملك وان لم يقعد على السرير البتة وقالوه أيضا لشهرته فى ذلك المعنى ومساواته ملك فى مؤداه وان كان أشرح وأبسط وأدل على صورة الامر ونحوه قولك يد فلان مبسوطة ويد فلان مغلولة بمعنى أنه جواد أو بخيل لا فرق بين العبارتين الا فيما قلت حتى ان من لم يبسط يده قط بالنوال أو لم تكن له يد رأسا قيل فيه يده مبسوطة لمساواته عندهم قولهم هو جواد ومنه قول الله عز وجل وقالت اليهود يد الله مغلولة أى هو بخيل بل يداه مبسوطتان أى هو جواد من غير تصور يد ولا غل ولا بسط والتفسير بالنعمة والتمحل للتثنية من ضيق العطن والمسافرة عن علم البيان مسيرة أعوام (وما تحت الثرى) ما تحت سبع الارضين عن محمد بن كعب وعن السدى هو الصخرة التى تحت الارض السابعة * أى يعلم ما أسررته الى غيرك وأخفى من ذلك وهو ما أخطرته ببالك أو ما أسررته فى نفسك (وأخفى) منه وهو ما ستسره فيها وعن بعضهم أن أخفى فعل يعنى أنه يعلم أسرار العباد وأخفى عنهم ما يعلمه هو كقوله تعالى يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما وليس بذاك (فان قلت) كيف طابق الجزاء الشرط (قلت) معناه وان تجهر بذكر الله من دعاء أو غيره فاعلم أنه غنى عن جهرك فاما أن يكون نهيا عن الجهر كقوله تعالى واذكر ربك فى نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول واما تعليما للعباد أن الجهر ليس لاسماع الله وانما هو لغرض آخر (الحسنى) تأنيث الاحسن وصفت بها الاسماء لان حكمها حكم المؤنث كقولك الجماعة الحسنى ومثلها مآرب أخرى ومن آياتنا الكبرى والذى فضلت به أسماؤه فى الحسن سائر الاسماء دلالتها على معانى التقديس والتمجيد والتعظيم والربوبية والافعال التى هى النهاية فى الحسن * قفى بقصة موسى عليه السلام ليتأسى به فى تحمل أعباء النبوة وتكاليف الرسالة والصبر وعلى مقاساة الشدائد حتى ينال عند الله الفوز والمقام المحمود * يجوز أن ينتصب (اذ) ظرفا للحديث لانه حدث أو لمضمر أى حين (رأى نارا) كان كيت وكيت أو مفعولا لاذكر استأذن موسى شعيبا عليهما السلام فى الخروج الى أمه وخرج بأهله فولد له فى الطريق ابن فى ليلة شاتية مظلمة مثلجة وقد ضل الطريق وتفرقت ماشيته ولا ماء عنده وقدح فصلد زنده فرأى النار عند ذلك قيل كانت ليلة جمعة (امكثوا) أقيموا فى مكانكم الايناس الابصار البين الذى لا شبهة فيه ومنه انسان العين لانه يتبين به الشئ والانس لظهورهم كما قيل الجن لاستتارهم وقيل هو ابصار ما يؤنس به * لما وجد منه الايناس فكان مقطوعا متيقنا حققه لهم بكلمة ان

وأمثاله كثيرة فالظاهر والله أعلم هو التأويل الاول قوله عز وجل فانه يعلم السر وأخفى (قال هو أفعل التفضيل ومنهم من قال ان أخفى فعل ماض الخ) قال أحمد لا يخفى ان جعله فعلا قاصر لفظا ومعنى أما لفظا فانه يلزم منه عطف الجملة الفعلية على الاسمية ان كان المعطوف عليه الجملة الكبرى أو عطف الماضى على المضارع ان كان المعطوف عليه الصغرى وكلاهما دون الاحسن وأما معنى فان المقصود الحض على ترك الجهر باسقاط فائدته من حيث ان الله تعالى يعلم السر وما هو أخفى منه فكيف يبقى للجهر فائدة وكلاهما على هذا التأويل مناسب لترك الجهر وأما اذا جعل فعلا فيخرج عن مقصود السياق وان اشتمل على فائدة أخرى وليس هذا كقوله تعالى يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما لان بين السياقين

ليوطن أنفسهم (لعلي) لما كان الاتيان بالقبس ووجود الهدى مترقبين متوقعين بنى الامر فيهما على الرجاء والطمع وقال (لعلي) ولم يقطع فيقول اني (آتيكم) لئلا يعد ما ليس بمستيقن الوفاء به * القبس النار المقتبسة في رأس عود أو فتيلة أو غيرهما ومنه قيل المقبسة لما يقتبس فيه من سعفة أو نحوها (هدى) أي قوما يهدونني الطريق أو ينفعونني بهداهم في أبواب الدين عن مجاهد وقتادة وذلك لان أفكار الابرار مغمورة بالهمة الدينية في جميع أحوالهم لا يشغلهم عنها شاغل والمعنى ذوي هدى أو اذا وجد الهداة فقد وجد الهدى ومعنى الاستعلاء في على النار أن أهل النار يستعلون المكان القريب منها كما قال سيبويه في مررت بزيد انه لصوق بقرب من زيد أو لان المص[illegible] بها والمستمتعين بها اذا تكنفوها قياما وقعودا كانوا مشرفين عليها ومنه قول الاعشى * وبات على النار [illegible]ى والمحلق * قرأ أبو عمرو وابن كثير (أني) بالفتح أي نودي بأني (أنا ربك) وكسر الباقون أي نودي فقيل يا موسى أو لان النداء ضرب من القول فعومل معاملته تكرير الضمير في اني أنا ربك لتوكيد الدلالة وتحقيق المعرفة واماطة الشبهة روي أنه لما نودي يا موسى قال من المتكلم فقال له الله عز وجل اني أنا ربك وان ابليس وسوس اليه فقال لعلك تسمع كلام شيطان فقال أنا عرفت أنه كلام الله بأني أسمعه من جميع جهاتي الست وأسمعه بجميع أعضائي وروي أنه حين انتهى رأى شجرة خضراء من أسفلها الى أعلاها كأنها نار بيضاء تتقد وسمع تسبيح الملائكة ورأى نورا عظيما فخاف وبهت فألقيت عليه السكينة ثم نودي وكانت الشجرة عوسجة وروي كلما دنا أو بعد لم يختلف ما كان يسمع من الصوت وعن ابن اسحق لما دنا استأخرت عنه فلما رأى ذلك رجع وأوجس في نفسه خيفة فلما أراد الرجعة دنت منه ثم كلم * قيل أمر بخلع النعلين لانهما كانتا من جلد حمار ميت غير مدبوغ عن السدي وقتادة وقيل ليباشر الوادي بقدميه متبركا به وقيل لان الحفوة تواضع لله ومن ثم طاف السلف بالكعبة حافين ومنهم من استعظم دخول المسجد بنعليه وكان اذا ندر منه الدخول منتعلا تصدق والقرآن يدل على ان ذلك احترام البقعة وتعظيم لها وتشريف لقدسها وروي انه خلع نعليه وألقاهما من وراء الوادي (طوى) بالضم والكسر منصرف وغير منصرف بتأويل المكان والبقعة وقيل مرتين نحو ثنى أي نودي نداءين أو قدس الوادي كرة بعد كرة (وأنا اخترتك) اصطفيتك للنبوة وقرأ حمزة وأنا اخترناك (لما يوحى) للذي يوحى أو للوحي تعلق اللام باستمع أو باخترتك (لذكري) لتذكرني فان ذكري ان أعبد ويصلى لي أو لتذكرني فيها لاشتمال الصلاة على الاذكار عن مجاهد أو لاني ذكرتها في الكتب وأمرت بها أو لان أذكرك بالمدح والثناء وأجعل لك لسان صدق أو لذكري خاصة لا تشوبه بذكر غيري أو لاخلاص ذكري وطلب وجهي لا ترائي بها ولا تقصد بها غرضا آخر أو لتكون لي ذاكرا غير ناس فعل المخلصين في جعلهم ذكر ربهم على بال منهم وتوكيل هممهم وأفكارهم به كما قال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله أو لاوقات ذكري وهي مواقيت الصلاة لقوله تعالى ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا واللام مثلها في قولك جئتك لوقت كذا وكان ذلك لست ليال خلون وقوله تعالى يا ليتني قدمت لحياتي وقد حمل على ذكر الصلاة بعد نسيانها من قوله عليه السلام من نام عن صلاة أو نسيها فليصلها اذا ذكرها وكان حق العبارة أن يقال لذكرها كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذكرها ومن يتمحل له يقول اذا ذكر الصلاة فقد ذكر الله أو بتقدير حذف المضاف أي لذكر صلاتي أو لان الذكر والنسيان من الله عز وجل في الحقيقة وقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم للذكرى (أكاد أخفيها) فلا أقول هي آتية لفرط ارادتي اخفاءها ولولا ما في الاخبار باتيانها مع تعمية وقتها من اللطف لما أخبرت به وقيل معناه أكاد أخفيها من نفسي ولا دليل في الكلام على هذا المحذوف ومحذوف لا دليل عليه مطرح والذي غرهم منه أن في مصحف أبي أكاد أخفيها من نفسي وفي بعض المصاحف أكاد أخفيها من نفسي فكيف أظهركم عليها وعن أبي الدرداء وسعيد بن جبير أخفيها بالفتح من خفاه اذا أظهره أي قرب اظهارها كقوله تعالى اقتربت الساعة وقد جاء في بعض اللغات أخفاه بمعنى خفاه وبه فسر بيت امرئ القيس

فان تدفنوا الداء لا نخفه * وان تبعثوا الحرب لا نقعد

لعلي آتيكم منها بقبس
أو أجد على النار هدى
فلما أتاها نودي يا موسى
اني أنا ربك فاخلع نعليك
انك بالوادي المقدس
طوى وأنا اخترتك
فاستمع لما يوحى انني أنا
الله لا اله الا أنا فاعبدني
وأقم الصلاة لذكري ان
الساعة آتية أكاد أخفيها

---

* قوله تعالى ان الساعة آتية أكاد أخفيها (قال معناه قاربت ان لا أقول هي آتية الخ) قال أحمد ولا يقنع في رد هذا التأويل بالهوينا فانه بين الفساد وذلك ان خفاءها عن الله تعالى محال عقلا فكيف يوصف المحال العقلي بقرب الوقوع وأحسن ما في محامل الآية ما ذكره الاستاذ أبو علي حيث قال المراد أكاد أزيل خفاءها أي أظهرها اذ الخفاء الغطاء وهو أيضا ما تجعله المرأة فوق ثيابها يسترها ثم تقول العرب أخفيته اذا أزلت خفاءه كما تقول أشكيته وأعتبته اذا أزلت شكايته وعتبه وحينئذ يلتئم القراءتان أعني فتح الهمزة وضمها والله سبحانه وتعالى أعلم

فما كاد أخفيها محتمل للمعنيين (لتجزى) متعلق بآتية (بما تسعى) بسعيها * أي لا يصدنك عن تصديقها والضمير
للقيامة ويجوز أن يكون للصلاة (فإن قلت) العبارة لنهي من لا يؤمن عن صد موسى والمقصود نهي موسى
عن التكذيب بالبعث أو أمره بالتصديق فكيف صلحت هذه العبارة لأداء هذا المقصود (قلت) فيه وجهان
أحدهما أن صد الكافر عن التصديق بها سبب للتكذيب فذكر السبب ليدل على المسبب والثاني أن صد
الكافر مسبب عن رخاوة الرجل في الدين ولين شكيمته فذكر المسبب ليدل على السبب كقولهم لا أرينك
ههنا المراد نهيه عن مشاهدته والكون بحضرته وذلك سبب رؤيته إياه فكان ذكر المسبب دليلا على السبب
كأنه قيل فكن شديد الشكيمة صليب المعجم حتى لا يتلوح منك لمن يكفر بالبعث أنه يطمع في صدك عما أنت
عليه يعني أن من لا يؤمن بالآخرة هم الجم الغفير إذ لا شيء أطم على الكفرة ولا هم أشد له نكيرا من البعث
فلا يهولنك وفور دهمائهم ولا عظم سوادهم ولا تجعل الكثرة مزلة قدمك واعلم أنهم وإن كثروا تلك الكثرة
فقدوتهم فيما هم فيه هو الهوى واتباعه لا البرهان وتدبره وفي هذا حث عظيم على العمل بالدليل وزجر بليغ
عن التقليد وإنذار بأن الهلاك والردى مع التقليد وأهله (وما تلك بيمينك يا موسى) كقوله تعالى وهذا بعلي
شيخا في انتصاب الحال بمعنى الإشارة ويجوز أن تكون تلك اسما موصولا صلته بيمينك إنما سأله ليريه عظم
ما يخترعه عز وعلا في الخشبة اليابسة من قلبها حية نضناضة وليقرر في نفسه المباينة البعيدة بين المقلوب
عنه والمقلوب إليه وينبهه على قدرته الباهرة ونظيره أن يريك الزراد زبرة من حديد ويقول لك ما هي
فتقول زبرة حديد ثم يريك بعد أيام لبوسا مسردا فيقول لك هي تلك الزبرة صيرتها إلى ما ترى من عجيب
الصنعة وأنيق السرد * قرأ ابن أبي إسحق عصي على لغة هذيل ومثله يا بشري أرادوا كسر ما قبل ياء المتكلم
فلم يقدروا عليه فقلبوا الألف إلى أخت الكسرة وقرأ الحسن (عصاي) بكسر الياء لالتقاء الساكنين وهو
مثل قراءة حمزة بمصرخي وعن ابن أبي إسحق سكون الياء (أتوكأ عليها) أعتمد عليها إذا أعييت أو وقفت على
رأس القطيع وعند الطفرة * هش الورق خبطه أي أخبطه على رؤس غنمي تأكله وعن لقمان بن عاد
أكلت حقا وابن لبون وجذع وهشة ثقب وسيلا دفع والحمد لله من غير شبع سمعته من غير واحد من العرب
ونخب واد قريب من الطائف كثير السدر وفي قراءة النخعي أهش وكلاهما من هش الخبز يهش إذا كان
ينكسر لهشاشته وعن عكرمة أهس بالسين أي أنحي عليها زاجرا لها والهس زجر الغنم * ذكر على التفصيل
والإجمال المنافع المتعلقة بالعصا كأنه أحس بما يعقب هذا السؤال من أمر عظيم يحدثه الله تعالى فقال
ما هي إلا عصا لا تنفع إلا منافع بنات جنسها وكما تنفع العيدان ليكون جوابه مطابقا للغرض الذي فهمه من
فحوى كلام ربه ويجوز أن يريد عز وجل أن يعدد المرافق الكثيرة التي علقها بالعصا ويستكثرها ويستعظمها
ثم يريه على عقب ذلك الآية العظيمة كأنه يقول له أين أنت عن هذه المنفعة العظمى والمأربة الكبرى
المنسية عندها كل منفعة ومأربة كنت تعتد بها وتحتفل بشأنها وقالوا إنما سأله ليبسط منه ويقلل هيبته
وقالوا إنما أجمل موسى ليسأله عن تلك المآرب فيزيد في إكرامه وقالوا انقطع لسانه بالهيبة فأجمل وقالوا اسم
العصا نبعة وقيل في المآرب كانت ذات شعبتين ومحجن فإذا طال الغصن حناه بالمحجن وإذا طلب كسره لواه
بالشعبتين وإذا سار ألقاها على عاتقه فعلق بها أدواته من القوس والكنانة والحلاب وغيرها وإذا كان في
البرية ركزها وعرض الزندين على شعبتيها وألقى عليها الكساء واستظل وإذا قصر رشاؤه وصله بها وكان
يقاتل بها السباع عن غنمه وقيل كان فيها من المعجزات أنه كان يستقي بها فتطول بطول البئر وتصير شعبتاها
دلوا وتكونان شمعتين بالليل وإذا ظهر عدو حاربت عنه وإذا اشتهى ثمرة ركزها فأورقت وأثمرت وكان
يحمل عليها زاده وسقاءه فجعلت تماشيه ويركزها فينبع الماء فإذا رفعها نضب وكانت تقيه الهوام * السعي
المشي بسرعة وخفة حركة (فإن قلت) كيف ذكرت بألفاظ مختلفة بالحية والجان والثعبان (قلت) أما
الحية فاسم جنس يقع على الذكر والأنثى والصغير والكبير وأما الثعبان والجان فبينهما تناف لأن
الثعبان العظيم من الحيات والجان الدقيق وفي ذلك وجهان أحدهما أنها كانت وقت انقلابها حية

لتجزى كل نفس بما
تسعى فلا يصدنك عنها
من لا يؤمن بها واتبع
هواه فتردى وما تلك
بيمينك يا موسى قال هي
عصاي أتوكأ عليها
وأهش بها على غنمي
ولي فيها مآرب أخرى
قال ألقها يا موسى
فألقاها فإذا هي حية
تسعى قال خذها ولا تخف
سنعيدها سيرتها الأولى
واضمم يدك إلى جناحك
تخرج بيضاء من غير
سوء آية أخرى

تنقلب حية صفراء دقيقة ثم تتورم ويتزايد جرمها حتى تصير ثعبانا فأريد بالجان أول حالها وبالثعبان مآلها
والثاني أنها كانت في شخص الثعبان وسرعة حركة الجان والدليل عليه قوله تعالى فلما رآها تهتز كأنها جان
وقيل كان لها عرف كعرف الفرس وقيل كان بين لحييها أربعون ذراعا * لما رأى ذلك الامر العجيب الهائل
ملكه من الفزع والنفار ما يلحق البشر عند الاهوال والمخاوف وعن ابن عباس انقلبت ثعبانا ذكرا يبتلع الصخر
والشجر فلما رآه يبتلع كل شيء خاف ونفر وعن بعضهم انما خافها لانه عرف ما لقي آدم منها وقيل لما قال له ربه
لا تخف بلغ من ذهاب خوفه وطمأنينة نفسه أن أدخل يده في فمها وأخذ بلحييها * السيرة من السير كالركبة
من الركوب يقال سار فلان سيرة حسنة ثم اتسع فيها فنقلت الى معنى المذهب والطريقة وقيل سير الاولين
فيجوز أن ينتصب على الظرف أي سنعيدها في طريقتها الاولى أي في حال ما كانت عصا وأن يكون أعاد منقولا
من عاده بمعنى عاد اليه ومنه بيت زهير * وعادك أن تلاقيها عداء * فيتعدى الى مفعولين ووجه ثالث حسن
وهو أن يكون سنعيدها مستقلا بنفسه غير متعلق بسيرتها بمعنى أنها أنشئت أول ما أنشئت عصا ثم ذهبت
وبطلت بالقلب حية فسنعيدها بعد ذهابها كما أنشأناها أولا ونصب سيرتها بفعل مضمر أي تسير سيرتها
الاولى يعني سنعيدها سائرة سيرتها الاولى حيث كنت تتوكأ عليها ولك فيها المآرب التي عرفتها * قيل لكل
ناحيتين جناحان كجناحي العسكر لجنبتيه وجناحا الانسان جنباه والاصل المستعار منه جناحا
الطائر سميا جناحين لانه يجنحهما عند الطيران والمراد الى جنبك تحت العضد دل على ذلك قوله تخرج
* السوء الرداءة والقبح في كل شيء فكني به عن البرص كما كني عن العورة بالسوأة وكان جذيمة صاحب الزباء
أبرص فكنوا عنه بالابرش والبرص أبغض شيء الى العرب وبهم عنه نفرة عظيمة وأسماعهم لاسمه مجاجة
فكان جديرا بأن يكنى عنه ولا ترى أحسن ولا ألطف ولا أحر للمفاصل من كنايات القرآن وآدابه يروى
أنه كان آدم فأخرج يده من مدرعته بيضاء لها شعاع كشعاع الشمس يغشي البصر * بيضاء وآية حالان
معا ومن غير سوء من صلة البيضاء كما تقول ابيضت من غير سوء وفي نصب آية وجه آخر وهو أن يكون
باضمار نحو خذ ودونك وما أشبه ذلك حذف لدلالة الكلام وقد تعلق بهذا المحذوف (لنريك) أي خذ هذه
الآية أيضا بعد قلب العصا حية لنريك بهاتين الآيتين بعض آياتنا الكبرى أو لنريك بهما الكبرى من
آياتنا أو لنريك من آياتنا الكبرى فعلنا ذلك * لما أمره بالذهاب الى فرعون الطاغي لعنه الله عرف أنه كلف
أمرا عظيما وخطبا جسيما يحتاج معه الى احتمال ما لا يحتمله الا ذو جأش رابط وصدر فسيح فاستوهب ربه أن
يشرح صدره ويفسح قلبه ويجعله حليما حمولا يستقبل ما عسى يرد عليه من الشدائد التي يذهب معها صبر
الصابر بجميل الصبر وحسن الثبات وأن يسهل عليه في الجملة أمره الذي هو خلافة الله في أرضه وما يصحبها
من مزاولة معاظم الشؤون ومقاساة جلائل الخطوب (فان قلت) لي في قوله (اشرح لي صدري ويسر لي
أمري) ما جدواه والكلام بدونه مستتب (قلت) قد أبهم الكلام أولا فقيل اشرح لي ويسر لي فعلم أن ثم
مشروحا وميسرا ثم بين ورفع الابهام بذكرهما فكان آكد لطلب الشرح والتيسير لصدره وأمره من أن
يقول اشرح صدري ويسر أمري على الايضاح الساذج لانه تكرير للمعنى الواحد من طريقي الاجمال
والتفصيل * عن ابن عباس كان في لسانه رتة لما روي من حديث الجمرة ويروى أن يده احترقت وأن فرعون
اجتهد في علاجها فلم تبرأ ولما دعاه قال الى أي رب تدعوني قال الى الذي أبرأ يدي وقد عجزت عنها وعن بعضهم
انما لم تبرأ يده لئلا يدخلها مع فرعون في قصعة واحدة فتنعقد بينهما حرمة المواكلة واختلف في زوال العقدة
بكمالها فقيل ذهب بعضها وبقي بعضها لقوله تعالى وأخي هرون هو أفصح مني لسانا وقوله تعالى ولا يكاد يبين
وكان في لسان الحسين بن علي رضي الله عنهما رتة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ورثها من عمه موسى
وقيل زالت بكمالها لقوله تعالى قد أوتيت سؤلك يا موسى * وفي تنكير العقدة وان لم يقل عقدة لساني أنه طلب
حل بعضها ارادة أن يفهم عنه فهما جيدا ولم يطلب الفصاحة الكاملة و (من لساني) صفة للعقدة
كأنه قيل عقدة من عقد لساني * الوزير من الوزر لانه يتحمل عن الملك أوزاره ومؤنه أو من الوزر لان الملك

لنريك من آياتنا
الكبرى اذهب الى
فرعون انه طغى قال
رب اشرح لي صدري
ويسر لي أمري واحلل
عقدة من لساني يفقهوا
قولي واجعل لي وزيرا
من أهلي هرون

قوله تعالى قال رب اشرح
لي صدري ويسر لي أمري
(قال ان قلت ما فائدة
لي والكلام مستتب
بدونها الخ) قال أحمد
ويحتمل عندي والله أعلم
أن تكون فائدتها
الاعتراف بأن منفعة
شرح الصدر راجعة
اليه وعائدة عليه فان
الله عز وجل لا ينتفع
بارساله ولا يستغني
بشرح صدره تعالى
وتقدس على خلاف
رسول الملك اذا طلب
عنه أن يرد عليه فانما
يطلب منه ما يعود
نفعه على من يرسله
ويسهل له غرضه
من رسالته والله أعلم

* قوله تعالى قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى الذي جعل لكم الارض مهدا وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى (قال هذا من باب الالتفات الخ) قال أحد الالتفات انما يكون في كلام المتكلم الواحد يصرف كلامه على وجوه شتى وما نحن فيه ليس من ذلك فان الله تعالى حكى عن موسى عليه السلام قوله لفرعون علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى ثم قوله الذي جعل لكم الارض مهدا الى قوله فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى فاما ان يجعل من قول موسى فيكون من باب قول خواص الملك أمرنا وعمرنا وانما يريدون الملك وليس هذا بالتفات واما أن يكون كلام موسى قد انتهى عند قوله ولا ينسى ثم ابتدأ الله تعالى وصف ذاته بصفات انعامه على خلقه فليس التفاتا أيضا وانما هو انتقال من حكاية الى انشاء خطاب وعلى هذا التأويل ينبغي للقارئ ان يقف وقفة عند قوله ولا ينسى ليستقيم بانتهاء الحكاية ويحتمل وجها آخر وهو ان موسى وصف الله تعالى بهذه الصفات على لفظ الغيبة فقال الذي جعل لكم الارض مهدا وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماء فاخرج به أزواجا من نبات شتى فلما حكاه الله تعالى عنه أسند الضمير الى ذاته لان الحاكي هو المحكي في كلام موسى فرجع الضمير الى واحد وهذا الوجه وجه حسن دقيق الحاشية وهذا أقرب الوجوه الى الالتفات لكن الزمخشري لم يذكره والله أعلم

قد جئناك بآية من ربك والسلام على من اتبع الهدى انا قد أوحي الينا أن العذاب على من كذب وتولى قال فمن ربكما يا موسى قال ربنا الذي أعطى كل شئ خلقه ثم هدى قال فما بال القرون الاولى قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى الذي جعل لكم الارض مهدا وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به

أقوالكم وأفعالكم وجائز أن لا يقدر شئ وكأنه قيل أنا حافظ لكما وناصر سامع مبصر واذا كان الحافظ والناصر كذلك تم الحفظ وصحت النصرة وذهبت المبالاة بالعدو * كانت بنو اسرائيل في ملكة فرعون والقبط يعذبونهم بتكليف الاعمال الصعبة من الحفر والبناء ونقل الحجارة والسخرة في كل شئ مع قتل الولدان واستخدام النساء (قد جئناك بآية من ربك) جملة جارية من الجملة الاولى وهي انا رسولا ربك مجرى البيان والتفسير لان دعوى الرسالة لا تثبت الا ببينتها التي هي المجئ بالآية انما وحد قوله بآية ولم يثن ومعه آيتان لان المراد في هذا الموضع تثبيت الدعوى ببرهانها فكأنه قال قد جئناك بمعجزة وبرهان وحجة على ما ادعيناه من الرسالة وكذلك قد جئتكم ببينة من ربكم فأت بآية ان كنت من الصادقين أولو جئتك بشئ مبين * يريد وسلام الملائكة الذين هم خزنة الجنة على المهتدين وتوبيخ خزنة النار والعذاب على المكذبين * خاطب الاثنين ووجه النداء الى أحدهما وهو موسى لانه الاصل في النبوة وهرون وزيره وتابعه ويحتمل أن يحمله خبثه ودعارته على استدعاء كلام موسى دون كلام أخيه لما عرف من فصاحة هرون والرتة في لسان موسى ويدل عليه قوله أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين (خلقه) أول مفعولي أعطى أي أعطى خليقته كل شئ يحتاجون اليه ويرتفقون به أو ثانيهما أي أعطى كل شئ صورته وشكله الذي يطابق المنفعة المنوطة به كما أعطى العين الهيئة التي تطابق الابصار والاذن الشكل الذي يوافق الاستماع وكذلك الانف واليد والرجل واللسان كل واحد منها مطابق لما علق به من المنفعة غير ناب عنه أو أعطى كل حيوان نظيره في الخلق والصورة حيث جعل الحصان والحجر زوجين والبعير والناقة والرجل والمرأة فلم يزاوج منها شيأ غير جنسه وما هو على خلاف خلقه وقرئ خلقه صفة للمضاف أو للمضاف اليه أي كل شئ خلقه الله لم يخله من عطائه وانعامه (ثم هدى) أي عرف كيف يرتفق بما أعطى وكيف يتوصل اليه ولله در هذا الجواب ما أخصره وما أجمعه وما أبينه لمن ألقى الذهن ونظر بعين الانصاف وكان طالبا للحق * سأله عن حال من تقدم وخلا من القرون وعن شقاء من شقي منهم وسعادة من سعد فأجابه بأن هذا سؤال عن الغيب وقد استأثر الله به لا يعلمه الا هو وما أنا الا عبد مثلك لا أعلم منه الا ما أخبرني به علام الغيوب وعلم أحوال القرون مكتوب عند الله في اللوح المحفوظ لا يجوز على الله أن يخطئ شيأ أو ينساه * يقال ضللت الشئ اذا أخطأته في مكانه فلم تهتد له كقولك ضللت الطريق والمنزل وقرئ يضل من أضله اذا ضيعه وعن ابن عباس لا يترك من كفر به حتى ينتقم منه ولا يترك من وحده حتى يجازيه ويجوز أن يكون فرعون قد نازعه في احاطة الله بكل شئ وتبينه لكل معلوم فتعنت وقال ما تقول في سوالف القرون وتمادي كثرتهم وتباعد أطراف عددهم كيف أحاط بهم وبأجزائهم وجواهرهم فأجاب بأن كل كائن محيط به علمه وهو مثبت عنده في كتاب ولا يجوز عليه الخطأ والنسيان كما يجوز عليك أيها العبد الذليل والبشر الضئيل أي لا يضل كما تضل أنت ولا ينسى كما تنسى يا مدعي الربوبية بالجهل والوقاحة (الذي جعل) مرفوع صفة لربي أو خبر مبتدإ محذوف أو منصوب على المدح وهذا من مظانه ومجازه (مهدا) قراءة أهل الكوفة أي مهدها مهدا أو يتمهدونها فهي لهم كالمهد وهو ما يمهد للصبي (وسلك) من قوله تعالى ما سلككم في سقر سلكناه نسلكه في قلوب المجرمين أي حصل لكم فيها سبلا ووسطها بين الجبال والاودية والبراري (فأخرجنا) انتقل فيه من لفظ الغيبة الى لفظ المتكلم المطاع لما ذكرت من الافتنان والايذان بانه مطاع تنقاد الاشياء المختلفة لامره وتذعن الاجناس المتفاوتة

* قوله تعالى فاجعل بيننا وبينك موعدا لا نخلفه نحن ولا أنت مكانا سوى قال موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى (قال ان جعلت موعدا الاول اسم مكان ليطابق قوله مكانا سوى لزمك الخ) قال أحمد وفي اعماله وقد وصف بقوله لا نخلفه بعد الا أن تجعل الجملة معترضة فهو مع ذلك لا يخلو من بعد من حيث ان الجملة عقيب النكرة بجيرها الشأن ان تكون صفة والله أعلم ويحتمل عندي وجه آخر اخصر واسلم وهو ان يجعل موعدا اسم مكان فيطابق مكانا ويكون بدلا منه ويطابق

الجواب بالزمان بالتقرير الذي ذكره ويبقى عود الضمير فنقول هو والحالة هذه عائد على المصدر المفهوم من اسم المكان لان حروفه فيه والموعد اذا كان اسم مكان فاصله مكان وعد كما اذا كان اسم زمان فاصله زمان وعد واذا جاز رجوع الضمير الى ما دلت قوة الكلام عليه وان لم يكن منطوقا به بوجه فرجوعه الى ما هو كالمنطوق به أولى ومما يحقق ذلك انهم قالوا من صدق كان خيرا له يعنون كان الصدق خيرا له فاعادوا الضمير على المصدر وقدروه منطوقا به للنطق بالفعل الذي هو مشتق منه واذا وضح ذلك فاسم المكان مشتق من المصدر اشتقاق الفعل منه فالنطق به كاف في اعادة الضمير على مصدره والله أعلم وعلى هذين التأويلين يكون جواب موسى عليه السلام من جوامع كلم الانبياء لانه سئل ان يواعدهم مكانا فعلم أنهم لا بد أن يسألوه مواعدة على زمان أيضا فاستلف الجواب عنه وضمنها جوابا مفردا * ولقائل أن يقول ان كان المسؤول منه المواعدة على المكان فلم أجاب بالزمان الذي لم يسئل عنه صريحا وجعل جواب ما سئل عنه ضمنا (وجوابه) والله أعلم ان يقول اكتفى بقرينة السؤال عن صريح الجواب وأما ما لم يسئل عنه فلو ضمنه لم يفهم قصده اليه اذ لا قرينة تدل عليه والله أعلم

أزواجا من نبات شتى كلوا وارعوا أنعامكم ان في ذلك لآيات لأولي النهى منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى ولقد أريناه آياتنا كلها فكذب وأبى قال أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك يا موسى فلنأتينك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك موعدا

مشيئته لا يمتنع شيء على ارادته ومثله قوله تعالى وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها أمن خلق السموات والارض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة وفيه تخصيص أيضا بأنا نحن نقدر على مثل هذا ولا يدخل تحت قدرة أحد (أزواجا) أصنافا سميت بذلك لانها مزدوجة ومقترنة بعضها مع بعض (شتى) صفة للازواج جمع شتيت كمريض ومرضى ويجوز أن يكون صفة للنبات والنبات مصدر سمي به النابت كما سمي بالنبت فاستوى فيه الواحد والجمع يعني أنها شتى مختلفة النفع والطعم واللون والرائحة والشكل بعضها يصلح للناس وبعضها للبهائم قالوا من نعمته عز وعلا أن أرزاق العباد انما تحصل بعمل الانعام وقد جعل الله علفها مما يفضل عن حاجتهم ولا يقدرون على أكله * أي قائلين (كلوا وارعوا) حال من الضمير في فأخرجنا المعنى أخرجنا أصناف النبات آذنين في الانتفاع بها مبيحين أن تأكلوا بعضها وتعلفوا بعضها * أراد بخلقهم من الارض خلق أصلهم وهو آدم عليه السلام منها وقيل ان الملك لينطلق فيأخذ من تربة المكان الذي يدفن فيه فيبددها على النطفة فيخلق من التراب والنطفة معا * وأراد باخراجهم منها أنه يؤلف أجزاءهم المتفرقة المختلطة بالتراب ويردهم كما كانوا أحياء ويخرجهم الى المحشر يوم يخرجون من الاجداث سراعا عدد الله عليهم ما علق بالارض من مرافقهم حيث جعلها لهم فراشا ومهادا يتقلبون عليها وسوى لهم فيها مسالك يترددون فيها كيف شاؤا وأنبت فيها أصناف النبات التي منها أقواتهم وعلوفات بهائمهم وهي أصلهم الذي منه تفرعوا وأمهم التي منها ولدوا ثم هي كفاتهم اذا ماتوا ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تمسحوا بالارض فانها بكم برة (أريناه) بصرناه أو عرفناه صحتها ويقناه بها وانما كذب لظلمه كقوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا وقوله تعالى لقد علمت ما أنزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر * وفي قوله تعالى (آياتنا كلها) وجهان أحدهما أن يحذى بهذا التعريف الاضافي حذو التعريف باللام لو قيل الآيات كلها أعني أنها كانت لا تعطي الا تعريف العهد والاشارة الى الآيات المعلومة التي هي تسع الآيات المختصة بموسى عليه السلام العصا واليد وفلق البحر والحجر والجراد والقمل والضفادع والدم ونتق الجبل والثاني أن يكون موسى قد أراه آياته وعدد عليه ما أوتيه غيره من الانبياء من آياتهم ومعجزاتهم وهو نبي صادق لا فرق بين ما يخبر عنه وبين ما يشاهد به فكذب بها جميعا (وأبى) أن يقبل شيئا منها وقيل فكذب الآيات وأبى قبول الحق * يلوح من جيب قوله (أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك) ان فرائصه كانت ترعد خوفا مما جاء به موسى عليه السلام لعلمه وايقانه انه على الحق وان المحق لو أراد قود الجبال لانقادت وان مثله لا يخذل ولا يقل ناصره وانه غالبه على ملكه لا محالة وقوله بسحرك تعلل وتحير والا فكيف يخفى عليه ان ساحرا لا يقدر أن يخرج ملكا مثله من أرضه ويغلبه على ملكه بالسحر * لا يخلو الموعد في قوله (فاجعل بيننا وبينك موعدا) من أن يجعل زمانا أو مكانا أو مصدرا فان جعلته زمانا نظرا في أن قوله تعالى موعدكم يوم الزينة مطابق له لزمك شيئان أن تجعل الزمان مخلفا وان يعضل عليك ناصب مكانا وان جعلته مكانا لقوله تعالى مكانا سوى لزمك أيضا ان توقع الاخلاف على المكان وأن لا يطابق قوله موعدكم يوم الزينة وقراءة الحسن غير مطابقة له مكانا وزمانا جميعا لانه قرأ يوم الزينة بالنصب فبقي أن يجعل مصدرا بمعنى الوعد ويقدر

مضاف محذوف أى مكان موعد ويجعل الضمير في نخلفه للموعد ومكانا بدل من المكان المحذوف (فان قلت) فكيف طابقه قوله موعدكم يوم الزينة ولا بد من أن تجعله زمانا والسؤال واقع عن المكان لا عن الزمان (قلت) هو مطابق معنى وان لم يطابق لفظا لانه لا بد لهم من أن يجتمعوا يوم الزينة في مكان بعينه مشتهر باجتماعهم فيه في ذلك اليوم فبذكر الزمان علم المكان وأما قراءة الحسن فالموعد فيها مصدر لا غير والمعنى انجاز وعدكم يوم الزينة وطباق هذا أيضا من طريق المعنى ويجوز أن لا يقدر مضاف محذوف ويكون المعنى اجعل بيننا وبينك وعدا لا نخلفه (فان قلت) فبم ينتصب مكانا (قلت) بالمصدر أو بفعل يدل عليه المصدر (فان قلت) فكيف يطابقه الجواب (قلت) أما على قراءة الحسن فظاهر وأما على قراءة العامة فعلى تقدير وعدكم وعد يوم الزينة ويجوز على قراءة الحسن أن يكون موعدكم مبتدأ بمعنى الوقت وضحى خبره على نية التعريف فيه لانه ضحى ذلك اليوم بعينه وقيل في يوم الزينة يوم عاشوراء ويوم النيروز ويوم عيد كان لهم في كل عام ويوم كانوا يتخذون فيه سوقا ويتزينون ذلك اليوم قرئ (نخلفه) بالرفع على الوصف للموعد وبالجزم على جواب الامر وقرئ (سوى) وسوى بالكسر والضم ومنونا وغير منون ومعناه منصفا بيننا وبينك عن مجاهد وهو من الاستواء لان المسافة من الوسط الى الطرفين مستوية لا تفاوت فيها ومن لم ينون فوجهه أن يجرى الوصل مجرى الوقف * قرئ (وأن تحشر الناس) بالتاء والياء يريد وأن تحشر يا فرعون وان يحشر اليوم ويجوز أن يكون فيه ضمير فرعون ذكره بلفظ الغيبة اما على العادة التي يخاطب بها الملوك أو خاطب القوم بقوله موعدكم وجعل يحشر لفرعون ومحل أن يحشر الرفع أو الجر عطفا على اليوم أو الزينة وانما واعدهم ذلك اليوم ليكون علو كلمة الله وظهور دينه وكبت الكافر وزهوق الباطل على رؤس الاشهاد وفي المجمع الغاص لتقوى رغبة من رغب في اتباع الحق ويكل حد المبطلين وأشياعهم ويكثر المحدث بذلك الامر العلم في كل بدو وحضر ويشيع في جميع أهل الوبر والمدر (لا تفتروا على الله كذبا) أى لا تدعوا آياته ومعجزاته سحرا * قرئ (فيسحتكم) والسحت لغة أهل الحجاز والاسحات لغة أهل نجد وبني تميم ومنه قول الفرزدق الا مسحتا أو مجلف في بيت لا تزال الركب تصطك في تسوية اعرابه * عن ابن عباس ان نجواهم ان غلبنا موسى اتبعناه وعن قتادة ان كان ساحرا فسنغلبه وان كان من السماء فله أمر وعن وهب لما قال ويلكم الآية قالوا ما هذا بقول ساحر والظاهر انهم تشاوروا في السر وتجاذبوا أهداب القول ثم قالوا ان هذان لساحران فكانت نجواهم في تلفيق هذا الكلام وتزويره خوفا من غلبتهما وتثبيطا للناس عن اتباعهما * قرأ أبو عمرو (ان هذين لساحران) على الجهة الظاهرة المكشوفة وابن كثير وحفص ان هذان لساحران على قولك ان زيد لمنطلق واللام هي الفارقة بين ان النافية والمخففة من الثقيلة وقرأ أبي ان ذان الا ساحران وقرأ ابن مسعود أن هذان ساحران بفتح أن وبغير لام بدل من النجوى وقيل في القراءة المشهورة ان هذان لساحران هي لغة بلحرث بن كعب جعلوا الاسم المثنى نحو الاسماء التي آخرها ألف كعصا وسعدى فلم يقلبوها ياء في الجر والنصب وقال بعضهم ان بمعنى نعم ولساحران خبر مبتدأ محذوف واللام داخلة على الجملة تقديره لهما ساحران وقد أعجب به أبو اسحق * سموا مذهبهم الطريقة (المثلى) والسنة الفضلى وكل حزب بما لديهم فرحون وقيل أرادوا أهل طريقتكم المثلى وهم بنو اسرائيل لقول موسى فأرسل معنا بني اسرائيل وقيل الطريقة اسم لوجوه الناس وأشرافهم الذين هم قدوة لغيرهم يقال هم طريقة قومهم ويقال للواحد أيضا هو طريقة قومه (فأجمعوا كيدكم) يعضده قوله فجمع كيده * وقرئ فاجمعوا كيدكم أى أزمعوه واجعلوه مجمعا عليه حتى لا تختلفوا ولا يتخلف عنه واحد منكم كالمسئلة المجمع عليها أمروا بان يأتوا صفا لانه أهيب في صدور الرائين وروى أنهم كانوا سبعين ألفا مع كل واحد منهم حبل وعصا وقد أقبلوا اقبالة واحدة وعن أبي عبيدة أنه فسر الصف بالمصلى لان الناس يجتمعون فيه لعيدهم وصلاتهم مصطفين * ووجه صحته أن يقع علما لمصلى بعينه فأمروا بأن يأتوه أو يراد ائتوا مصلى من المصليات (وقد أفلح اليوم من استعلى) اعتراض يعنى وقد فاز من غلب * أن مع ما بعده اما منصوب بفعل

لا نخلفه نحن ولا أنت مكانا سوى قال موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى فتولى فرعون فجمع كيده ثم أتى قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى فتنازعوا أمرهم بينهم وأسروا النجوى قالوا ان هذان لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى فأجمعوا كيدكم ثم ائتوا صفا وقد أفلح اليوم من استعلى قالوا يا موسى اما أن تلقي واما أن نكون أول من ألقى قال بل ألقوا فاذا حبالهم

* قوله تعالى قالوا يا موسى اما أن تلقي واما أن نكون أول من ألقى (قال لقد ألهمهم الله حسن الادب مع موسى عليه السلام في تخييره واعطاء النصفة من أنفسهم) قال أحمد وقيل ذلك تأدبوا معه بقولهم فاجعل بيننا وبينك موعدا لا نخلفه فتفوضوا ضرب الموعد اليه كما ألهم الله عز وجل موسى ههنا أن يجعلهم مبتدئين بما معهم ليكون القاؤه العصا بعد فيقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق كذلك ألهمه من الاول أن يجعل موعدهم يوم زينتهم وعيدهم ليكون الحق أبلج على رؤس الاشهاد فيكون أفصح لكيدهم وأهتك لسترهم والله أعلم * قوله عز وجل وألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا (قال وقال ما في يمينك ولم يقل عصاك الخ) قال أحمد وانما المقصود بتحقيرها في جنب القدرة تحقير كيد السحرة بطريق الاولى لانها اذا كانت أعظم (٢٩) منه وهي حقيرة في جانب قدرة الله تعالى فالظن بكيدهم وقد تلقفته هذه المحقرة الضئيلة ولاصحاب البلاغة طريق في علو المدح بتعظيم جيش عدو الممدوح ليلزم من ذلك تعظيم جيش الممدوح وقد قهره واستولى عليه فصغر الله

مخير أو مرفوع بانه خبر مبتدأ محذوف معناه اختر أحد الامرين أو الامر القاؤك أو القاؤنا وهذا التخيير منهم استعمال أدب حسن معه وتواضع له وخفض جناح وتنبيه على اعطائهم النصفة من أنفسهم وكأن الله عز وعلا ألهمهم ذلك وعلم موسى صلوات الله عليه اختيار القائهم أولا مع ما فيه من مقابلة أدب بأدب حتى يبرز واما معهم من مكايد السحر ويستنفدوا أقصى طوقهم ومجهودهم فاذا فعلوا أظهر الله سلطانه وقذف بالحق على الباطل فدمغه وسلط المعجزة على السحر فمحقته وكانت آية نيرة للناظرين وعبرة بينة للمعتبرين * يقال في اذا هذه اذا المفاجأة والتحقيق فيها أنها اذا الكائنة بمعنى الوقت الطالبة ناصبا لها وجملة تضاف اليها خصت في بعض المواضع بأن يكون ناصبها فعلا مخصوصا وهو فعل المفاجأة والجملة ابتدائية لا غير فتقدير قوله تعالى فاذا حبالهم وعصيهم ففاجأ موسى وقت تخييل سعي حبالهم وعصيهم وهذا تمثيل والمعنى على مفاجأته حبالهم وعصيهم مخيلة اليه السعي * وقرئ (عصيهم) بالضم وهو الاصل والكسر اتباع ونحوه دلي ودلي وقسي وقسي * وقرئ (تخيل) على اسناده الى ضمير الحبال والعصي وابدال قوله (أنها تسعى) من الضمير بدل الاشتمال كقولك أعجبني زيد كرمه وتخيل على كون الحبال والعصي مخيلة سعيها وتخيل بمعنى تتخيل وطريقه طريق تخيل وتخيل على أن الله تعالى هو المخيل للمحنة والابتلاء يروى أنهم لطخوها بالزئبق فلما ضربت عليها الشمس اضطربت واهتزت فخيلت ذلك * ايجاس الخوف اضمار شيء منه وكذلك توجس الصوت تسمع نبأة يسيرة منه وكان ذلك لطبع الجبلة البشرية وأنه لا يكاد يمكن الخلو من مثله وقيل خاف أن يخالج الناس شك فلا يتبعوه (انك أنت الاعلى) فيه تقرير لغلبته وقهره وتوكيد بالاستئناف وبكلمة التشديد وبتكرير الضمير وبلام التعريف وبلفظ العلو وهو الغلبة الظاهرة وبالتفضيل وقوله (ما في يمينك) ولم يقل عصاك جائز أن يكون تصغيرا لها أي لا تبال بكثرة حبالهم وعصيهم وألق العويد الفرد الصغير الجرم الذي في يمينك فانه بقدرة الله يتلقفها على وحدته وكثرتها وصغره وعظمها وجائز أن يكون تعظيما لها أي لا تحتفل بهذه الاجرام الكبيرة الكثيرة فان في يمينك شيئا أعظم منها كلها وهذه على كثرتها أقل شيء وأنزره عنده فألقه يتلقفها باذن الله ويمحقها * وقرئ (تلقف) بالرفع على الاستئناف أو على الحال أي ألقها متلقفة وقرئ تلقف بالتخفيف (صنعوا) ههنا بمعنى زوروا وافتعلوا كقوله تعالى تلقف ما يأفكون * وقرئ (كيد ساحر) بالرفع والنصب فمن رفع فعلى أن ما موصولة ومن نصب فعلى أنها كافة وقرئ كيد سحر بمعنى ذي سحر أو ذوي سحر أو هم لتوغلهم في سحرهم كأنهم السحر بعينه وبذاته أو بين الكيد لانه يكون سحرا وغير سحر كما تبين المائة بدرهم ونحوه علم فقه وعلم نحو (فان قلت) لم وحد ساحر ولم يجمع (قلت) لان القصد في هذا الكلام الى معنى الجنسية لا الى معنى العدد فلو جمع لخيل أن المقصود هو العدد ألا ترى الى قوله (ولا يفلح

وعصيهم يخيل اليه من سحرهم أنها تسعى فأوجس في نفسه خيفة موسى قلنا لا تخف انك أنت الاعلى وألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا انما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح

أمر العصا بالتهامه كيد السحرة الداحض بها في طرفة عين * عاد كلامه (قال ويجوز أن يكون تعظيما للامر اذ فيه تثبيت لقلب موسى على النصر) قال أحمد وههنا لطيفة وهو انه تلقى من هذا النظم أولا قصد التحقير وثانيا قصد التعظيم فلا بد من نكتة تناسب الامرين والله أعلم هي ارادة المذكور مبهما لان ما في يمينك أبهم من عصاك وللعرب مذهب في التنكير والابهام والاجمال تسلكه مرة للتحقير بأن ما أبهمته وانه عند الناطق به أهون من أن يخصه ويوضحه ومرة للتعظيم شأنه وليؤذن انه من عناية المتكلم والسامع بمكان يغني فيه الرمز والاشارة فهذا هو الوجه في اسناده مبهما وعندي في الآية وجه سوى قصد التعظيم والتحقير والله أعلم وهو ان موسى عليه السلام أول ما علم ان العصا آية من الله تعالى عند ما سأله عنها بقوله تعالى وما تلك بيمينك يا موسى ثم أظهر له تعالى آيتها فلما دخل وقت الحاجة الى ظهور الآية منها قال تعالى وألق ما في يمينك ليتيقظ بهذه الصيغة للوقت الذي قال الله تعالى له وما تلك بيمينك وقد أظهر له آيتها فيكون ذلك تنبيها له وتأنيسا حيث خوطب بما عهد ان يخاطب به وقت ظهور آيتها وذلك مقام يناسب التأنيس والتثبيت ألا ترى الى قوله تعالى فأوجس في نفسه خيفة موسى والله سبحانه وتعالى أعلم

الساحر حيث أتى فألقي السحرة سجدا قالوا آمنا برب هرون وموسى قال آمنتم له قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم الذى علمكم السحر فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم فى جذوع النخل ولتعلمن أينا أشد عذابا وأبقى قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذى فطرنا فاقض ما أنت (٣٠) قاض إنما تقضى هذه الحياة الدنيا إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى إنه من يأت ربه مجرما فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى جنات عدن تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادى فاضرب لهم طريقا فى البحر يبسا لا تخاف دركا ولا تخشى فأتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم وأضل فرعون قومه

الساحر) أى هذا الجنس (فإن قلت) لم نكر أولا وعرف ثانيا (قلت) إنما نكر من أجل تنكير المضاف لا من أجل تنكيره فى نفسه كقول العجاج * فى سعى دنيا طالما قد مدت * وفى حديث عمر رضى الله عنه لا فى أمر دنيا ولا فى أمر آخرة المراد تنكير الأمر كأنه قيل إن ما صنعوا كيد سحرى وفى سعى دنيوى وأمر دنيوى وآخرى (حيث أتى) كقولهم حيث سير وأية سلك وأينما كان * سبحان الله ما أعجب أمرهم قد ألقوا حبالهم وعصيهم للكفر والجحود ثم ألقوا رؤسهم بعد ساعة للشكر والسجود فما أعظم الفرق بين الإلقاءين وروى أنهم لم يرفعوا رؤسهم حتى رأوا الجنة والنار ورأوا ثواب أهلها وعن عكرمة لما خر واسجدا أراهم الله فى سجودهم منازلهم التى يصيرون إليها فى الجنة (لكبيركم) لعظيمكم يريد أنه أسحرهم وأعلاهم درجة فى صناعتهم أو لمعلمكم من قول أهل مكة للمعلم أمرنى كبيرى وقال لى كبيرى كذا يريدون معلمهم وأستاذهم فى القرآن وفى كل شئ قرئ * (فلأقطعن) ولأصلبن بالتخفيف والقطع من خلاف أن تقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى لأن كل واحد من العضوين خالف الآخر بأن هذا يد وذاك رجل وهذا يمين وذاك شمال ومن لابتداء الغاية لأن القطع مبتدأ وناشئ من مخالفة العضو العضو لا من وفاقه إياه ومحل الجار والمجرور النصب على الحال أى لأقطعنها مختلفات لأنها إذا خالف بعضها بعضا فقد اتصفت بالاختلاف * شبه تمكن المصلوب فى الجذع بتمكن الشئ الموعى فى وعائه فلذلك قيل فى جذوع النخل (أينا) يريد نفسه لعنه الله وموسى صلوات الله عليه بدليل قوله آمنتم له واللام مع الإيمان فى كتاب الله لغير الله تعالى كقوله تعالى يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين وفيه نفاجة باقتداره وقهره وما ألفه وضرى به من تعذيب الناس بأنواع العذاب وتوضيع لموسى عليه السلام واستضعاف له مع الهزء به لأن موسى لم يكن قط من التعذيب فى شئ (والذى فطرنا) عطف على ما جاءنا أو قسم * قرئ (تقضى هذه الحيوة الدنيا) ووجهها أن الحياة فى القراءة المشهورة منتصبة على الظرف فاتسع فى الظرف بإجرائه مجرى المفعول به كقولك فى صمت يوم الجمعة صيم يوم الجمعة وروى أن السحرة رؤسهم كانوا اثنين وسبعين الاثنان من القبط والسائر من بنى إسرائيل وكان فرعون أكرههم على تعلم السحر وروى أنهم قالوا لفرعون أرنا موسى نائما ففعل فوجدوه تحرسه عصاه فقالوا ما هذا بسحر الساحر لأن الساحر إذا نام بطل سحره فأبى إلا أن يعارضوه (تزكى) تطهر من أدناس الذنوب وعن ابن عباس قال لا إله إلا الله قيل فى هذه الآيات الثلاث هى حكاية قولهم وقيل خبر من الله لا على وجه الحكاية (فاضرب لهم طريقا) فاجعل لهم من قولهم ضرب له فى ماله سهما وضرب اللبن عمله * اليبس مصدر وصف به يقال يبس يبسا ويبسا ونحوهما العدم والعدم ومن ثم وصف به المؤنث فقيل شاتنا يبس وناقتنا يبس إذا جف لبنها وقرئ يبسا ويابسا ولا يخلو اليبس من أن يكون مخففا عن اليبس أو صفة على فعل أو جمع يابس كصاحب وصحب وصف به الواحد تأكيدا كقوله ومعى جياعا جعله لفرط جوعه كجماعة جياع (لا تخاف) حال من الضمير فى فاضرب وقرئ لا تخف على الجواب * وقرأ أبو حيوة (دركا) بالسكون والدرك والدرك اسمان من الإدراك أى لا يدركك فرعون وجنوده ولا يلحقونك * فى (ولا تخشى) إذا قرئ لا تخف ثلاثة أوجه أن يستأنف كأنه قيل وأنت لا تخشى أى ومن شأنك أنك آمن لا تخشى وأن لا تكون الألف المنقلبة عن الياء التى هى لام الفعل ولكن زائدة للإطلاق من أجل الفاصلة كقوله فأضلونا السبيلا وتظنون بالله الظنونا وأن يكون مثل قوله * كأن لم ترى قبلى أسيرا يمانيا * (ما غشيهم) من باب الاختصار ومن جوامع الكلم

* قوله تعالى فألقي السحرة سجدا الآية (قال سبحان من فرق بين الإلقاءين الفائتهم حبالهم وعصيهم الخ) قال أحمد وفى تكرير لفظ الإلقاء والعدول عن مثل فسجد السحرة إيقاظ السامع لألطاف الله تعالى فى نقل عباده من غاية الكفر والعناد إلى نهاية الإيمان والسداد وهذا الإيقاظ لا يحصل على الوجه الذى هذا القصد إلا بتكرير لفظ واحد على معنيين متناقضين وهو يناسب ما قدمته آنفا فى إعجاز الخطاب فى قوله وألق ما فى يمينك وما تلك بيمينك فتأمله فإن الحق حسن متناسب والله الموفق * قوله تعالى فاضرب لهم طريقا فى البحر يبسا (قال قرئ بسكون الباء وبفتحها الخ) قال أحمد وجه آخر وهو أن قد كل جزء من أجزاء الطريق طريقا وقد كانت بهذه المثابة لأنها كانت اثنى عشر طريقا لكل سبط طريق والله أعلم

* قوله تعالى وأضل فرعون قومه وما هدى (قال انما قيل وما هدى تهكما به) قال أحمد فان قلت التهكم أن يأتي بعبارة والمقصود عكس مقتضاها كقولهم انك لأنت الحليم الرشيد وغرضهم وصفه بضد هذين الوصفين وأما قوله تعالى وما هدى فمضمونه هو الواقع فهو حينئذ مجرد اخبار عن عدم هدايته لقومه * قلت هو كذلك ولكن العرف في مثل ما هدى زيد عمرا ثبوت كون زيد عالما بطريق الهداية مهتديا في نفسه ولكنه لم يهد عمرا وفرعون أضل الضالين في نفسه فكيف يتوهم انه يهدي غيره وتحقيق ذلك ان قوله تعالى وأضل فرعون قومه كاف في الاخبار بعدم هدايته لهم مع مزيد اضلاله اياهم فان من لا يهدي قد لا يضل فيكون كفافا واذا تحقق تمام الاول في الاخبار تعين كون الثاني لمعنى سواه وهو التهكم والله أعلم * قوله تعالى ومن (٣١) يحلل عليه غضبي فقد هوى (قال الغضب عقوبة الله تعالى لهم الخ) قال أحمد لا يسعه أن يحمل الغضب الا على العقوبة لانه ينفي صفة الارادة في جملة ما ينفونه من صفات الكمال وأما على قاعدة السنة فيجوز أن يكون المراد من الغضب ارادة العقوبة فيكون من أوصاف الذات ويحتمل أن يراد به معاملتهم بما يعامل به من غضب عليه شاهدا فيكون من صفات الافعال وأما وصفه بالحلول فلا يتأتى حمله على الارادة ويكون بمنزلة قوله عليه الصلاة والسلام ينزل ربنا الى سماء الدنيا على التأويل المعروف أو عبر عن حلول أثر الارادة بحلولها تعبيرا عن الاثر بالمؤثر كما يقول الناظر الى عجيب من مخلوقات الله تعالى انظر الى قدرة الله يعني أثر القدرة لا نفسها والله أعلم * قوله تعالى وما أعجلك عن قومك ياموسى قال هم هؤلاء على أثري وعجلت اليك رب لترضى (قال فيه ان قلت سئل عن سبب العجلة الخ) قال أحمد وانما أراد الله تعالى بسؤاله عن سبب العجلة وهو أعلم أن يعلم موسى أدب السفر وهو انه ينبغي تأخير رئيس القوم عنهم في المسير ليكون نظره محيطا بطائفته ونافذا فيهم ومهيمنا عليهم وهذا المعنى لا يحصل في تقدمه عليهم ألا ترى الله عز وجل كيف علم هذا الادب لوطا فقال اتبع أدبارهم فامره أن يكون أخيرهم على ان موسى عليه السلام انما أغفل هذا الامر مبادرة الى رضا الله عز وجل ومسارعة الى الميعاد وذلك شأن الموعود بما يسره يود لو ركب اليه أجنحة الطير ولا أسر من مواعدة الله تعالى له صلى الله عليه وسلم

الكلم التي تستقل مع قلتها بالمعاني الكثيرة أي غشيهم ما لا يعلم كنهه الا الله وقرئ فغشاهم من اليم ما غشاهم والتغشية التغطية وفاعل غشاهم اما الله سبحانه أو ما غشاهم أو فرعون لانه الذي ورط جنوده وتسبب لهلاكهم وقوله (وما هدى) تهكم به في قوله وما أهديكم الا سبيل الرشاد (يابني اسرائيل) خطاب لهم بعد انجائهم من البحر واهلاك آل فرعون وقيل هو للذين كانوا منهم في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الله عليهم بما فعل بآبائهم والوجه هو الاول أي قلنا يابني اسرائيل وحذف القول كثير في القرآن * وقرئ (أنجيتكم) الى رزقتكم وعلى لفظ الوعد والمواعدة * وقرئ (الأيمن) بالجر على الجوار نحو جحر ضب خرب ذكرهم النعمة في نجاتهم وهلاك عدوهم وفيما واعد موسى صلوات الله عليه من المناجاة بجانب الطور وكتب التوراة في الالواح وانما عدى المواعدة اليهم لانها لابستهم واتصلت بهم حيث كانت لنبيهم ونقبائهم واليهم رجعت منافعها التي قام بها دينهم وشرعهم وفيما أفاض عليهم من سائر نعمه وأرزاقه * طغيانهم في النعمة أن يتعدوا حدود الله فيها بان يكفروها ويشغلهم اللهو والتنعم عن القيام بشكرها وأن ينفقوها في المعاصي وأن يزووا حقوق الفقراء فيها وأن يسرفوا في انفاقها وأن يبطروا فيها ويأشروا ويتكبروا * وقرئ (فيحل) وعن عبد الله لا يحلن (ومن يحلل) المكسور في معنى الوجوب من حل الدين يحل اذا وجب أداؤه ومنه قوله تعالى حتى يبلغ الهدي محله والمضموم في معنى النزول * وغضب الله عقوباته ولذلك وصف بالنزول (هوى) هلك وأصله ان يسقط من جبل فيهلك

قالت هوى من رأس مرقبة * ففتتت تحتها كبده

ويقولون هوت أمه وأسقط سقوطا لا نهوض بعده * الاهتداء هو الاستقامة والثبات على الهدى المذكور وهو التوبة والايمان والعمل الصالح ونحوه قوله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا وكلمة التراخي دلت على تباين المنزلتين دلالتها على تباين الوقتين في جاءني زيد ثم عمرو أعني أن منزلة الاستقامة على الخير مباينة لمنزلة الخير نفسه لانها أعلى منها وأفضل (وما أعجلك) أي شيء عجل بك عنهم على سبيل الانكار وكان قد مضى مع النقباء الى الطور على الموعد المضروب ثم تقدمهم شوقا الى كلام ربه وتنجز ما وعد به بناء على اجتهاده وظنه أن ذلك أقرب الى رضا الله تعالى وزل عنه أنه عز وجل ما وقت أفعاله الا نظرا الى دواعي الحكمة وعلما بالمصالح المتعلقة بكل وقت فالمراد بالقوم النقباء وليس لقول من جوز أن يراد جميع قومه وأن يكون قد فارقهم قبل الميعاد وجه صحيح يأباه قوله (هم أولاء على أثري) وعن أبي عمرو ويعقوب اثري بالكسر وعن عيسى بن عمر أثري بالضم وعنه أيضا أولى بالقصر والاثر أفصح من الاثر وأما الاثر فمسموع في فرند السيف مدون في الاصول يقال أثر السيف وأثره وهو بمعنى الاثر غريب (فان قلت) ما أعجلك سؤال عن سبب

وما هدى يابني اسرائيل قد أنجيناكم من عدوكم وواعدناكم جانب الطور الأيمن ونزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبي ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى وما أعجلك عن قومك ياموسى قال هم أولاء على أثري

العجلة فكان الذى ينطبق عليه من الجواب أن يقال طلب زيادة رضاك أو الشوق الى كلامك وتنجز موعدك وقوله هم أولاء على أثرى كما ترى غير منطبق عليه (قلت) قد تضمن ما واجهه به رب العزة شيئين أحدهما انكار العجلة فى نفسها والثانى السؤال عن سبب المستنكر والحامل عليه فكان أهم الأمرين الى موسى بسط العذر وتمهيد العلة فى نفس ما أنكر عليه فاعتل بأنه لم يوجد منى الا تقدم يسير مثله لا يعتد به فى العادة ولا يحتفل به وليس بينى وبين من سبقته الا مسافة قريبة يتقدم بمثلها الوفد رأسهم ومقدمهم ثم عقبه بجواب السؤال عن السبب فقال (وعجلت اليك رب لترضى) ولقائل أن يقول حار لما ورد عليه من التهيب لعتاب الله فاذهله ذلك عن الجواب المنطبق المرتب على حدود الكلام * أراد بالقوم المفتونين الذين خلفهم مع هرون وكانوا ستمائة ألف ما نجا من عبادة العجل منهم الا اثنا عشر ألفا (فان قلت) فى القصة أنهم أقاموا بعد مفارقته عشرين ليلة وحسبوها أربعين مع أيامها وقالوا قد أكملنا العدة ثم كان أمر العجل بعد ذلك فكيف التوفيق بين هذا وبين قوله تعالى لموسى عند مقدمه انا قد فتنا قومك (قلت) قد أخبر الله تعالى عن الفتنة المترقبة بلفظ الموجودة الكائنة على عادته أو افترص السامرى غيبته فعزم على اضلالهم غب انطلاقه وأخذ فى تدبير ذلك فكان بدء الفتنة موجودا * قرئ (وأضلهم السامرى) أى وهو أشدهم ضلالا لانه ضال مضل وهو منسوب الى قبيلة من بنى اسرائيل يقال لها السامرة وقيل السامرة قوم من اليهود يخالفونهم فى بعض دينهم وقيل كان من أهل باجرما وقيل كان علجا من كرمان واسمه موسى بن ظفر وكان منافقا قد أظهر الاسلام وكان من قوم يعبدون البقر * الاسف الشديد الغضب ومنه قوله عليه السلام فى موت الفجأة رحمة للمؤمن وأخذة أسف للكافر وقيل الحزين (فان قلت) متى رجع الى قومه (قلت) بعد ما استوفى الاربعين ذا القعدة وعشر ذى الحجة * وعدهم الله سبحانه أن يعطيهم التوراة التى فيها هدى ونور ولا وعد أحسن من ذلك وأجل حكى لنا أنها كانت ألف سورة كل سورة ألف آية يحمل أسفارها سبعون جملا (العهد) الزمان يريد مدة مفارقته لهم يقال طال عهدى بك أى طال زمانى بسبب مفارقتك وعدوه أن يقيموا على أمره وما تركهم عليه من الايمان فأخلفوا موعده بعبادتهم العجل (بملكنا) قرئ بالحركات الثلاث أى ما أخلفنا موعدك بأن ملكنا أمرنا أى لو ملكنا أمرنا وخلينا ورأينا لما أخلفناه ولكن غلبنا من جهة السامرى وكيده * أى حملنا أحمالا من حلى القبط التى استعرناها منهم أو أرادوا بالاوزار أنها آثام وتبعات لانهم كانوا معهم فى حكم المستأمنين فى دار الحرب وليس للمستأمن أن يأخذ مال الحربى على أن الغنائم لم تكن تحل حينئذ (فقذفناها) فى نار السامرى التى أوقدها فى الحفرة وأمرنا أن نطرح فيها الحلى وقرئ حملنا (فكذلك ألقى السامرى) أراهم أنه يلقى حليا فى يده مثل ما ألقوا وانما ألقى التربة التى أخذها من موطئ حيزوم فرس جبريل أوحى اليه وليه الشيطان أنها اذا خالطت مواتا صار حيوانا (فأخرج لهم) السامرى من الحفرة عجلا خلقه الله من الحلى التى سبكتها النار يخور كما تخور العجاجيل (فان قلت) كيف أثرت تلك التربة فى احياء الموات (قلت) أما يصح أن يؤثر الله سبحانه روح القدس بهذه الكرامة الخاصة كما آثره بغيرها من الكرامات وهى أن يباشر فرسه بحافره تربة اذا لاقت تلك التربة جمادا أنشأه الله ان شاء عند مباشرته حيوانا ألا ترى كيف أنشأ المسيح من غير أب عند نفخه فى الدرع (فان قلت) فلم خلق الله العجل من الحلى حتى صار فتنة لبنى اسرائيل وضلالا (قلت) ليس بأول محنة محن الله بها عباده ليثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ويضل الله الظالمين ومن عجب من خلق العجل فليكن من خلق ابليس أعجب والمراد بقوله انا قد فتنا قومك هو خلق العجل للامتحان أى امتحناهم بخلق العجل وحملهم السامرى على الضلال وأوقعهم فيه حين قال لهم (هذا الهكم واله موسى فنسى) أى فنسى موسى أن يطلبه ههنا وذهب يطلبه عند الطور أو فنسى السامرى أى ترك ما كان عليه من الايمان الظاهر (يرجع) من رفعه فعلى أن أن مخففة من الثقيلة ومن نصب فعلى انها الناصبة للافعال (من قبل) من قبل أن يقول لهم السامرى ما قال كأنهم أول ما وقعت عليه أبصارهم حين طلع من الحفرة افتتنوا به واستحسنوه فقبل أن ينطق السامرى بادرهم

وعجلت اليك رب لترضى قال فانا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامرى فرجع موسى الى قومه غضبان أسفا قال ياقوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا أفطال عليكم العهد أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم فأخلفتم موعدى قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا ولكنا حملنا أوزارا من زينة القوم فقذفناها فكذلك ألقى السامرى فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار فقالوا هذا الهكم واله موسى فنسى أفلا يرون أن لا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا ولقد قال لهم هرون من قبل ياقوم

* قوله تعالى قال فانا قد فتنا قومك من بعدك (قال ان قلت لم خلق الله العجل فتنة لهم) قال أحمد هذا السؤال وجوابه تقدما له فى أول سورة الاعراف وقد أوضحنا ان الله تعالى اغنا تعبدنا بالبحث عن علل أحكامه لا علل أفعاله وجواب هذا السؤال فى قوله تعالى لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون فهذا الامر جائز وقد أخبر الله تعالى بوقوعه فلا نبتغى وراء ذلك سببا لا كن الزمخشرى تقتضى قاعدته

هرون عليه السلام بقوله (انما فتنتم به وان ربكم الرحمن) * لا مزيدة والمعنى ما منعك أن تتبعني في الغضب لله وشدة الزجر عن الكفر والمعاصي وهلا قاتلت من كفر بمن آمن ومالك لم تباشر الامر كما كنت أباشره أنا لو كنت شاهدا أو مالك لم تلحقني * قرئ (بلحيتي) بفتح اللام وهي لغة أهل الحجاز كان موسى صلوات الله عليه رجلا حديدا مجبولا على الحدة والخشونة والتصلب في كل شئ شديد الغضب لله ولدينه فلم يتمالك حين رأى قومه يعبدون عجلا من دون الله بعد ما رأوا من الآيات العظام أن ألقى ألواح التوراة لما غلب ذهنه من الدهشة العظيمة غضبا لله واستنكافا وحمية وعنف بأخيه وخليفته على قومه فأقبل عليه اقبال العدو المكاشف قابضا على شعر رأسه وكان أفرع وعلى شعر وجهه يجره اليه * أي لو قاتلت بعضهم ببعض لتفرقوا وتفانوا فاستأنيتك أن تكون أنت المتدارك بنفسك المتلافي برأيك وخشيت عتابك على اطراح ما وصيتني به من ضم النشر وحفظ الدهماء ولم يكن لي بد من رقبة وصيتك والعمل على موجبها * الخطب مصدر خطب الامر اذا طلبه فاذا قيل لمن يفعل شيأ ما خطبك فمعناه ما طلبك له * قرئ (بصرت بما لم يبصروا به) بالكسر والمعنى علمت ما لم تعلموه وفطنت ما لم تفطنوا له * قرأ الحسن (قبضة) بضم القاف وهي اسم المقبوض كالغرفة والمضغة وأما القبضة فالمرة من القبض واطلاقها على المقبوض من تسمية المفعول بالمصدر كضرب الامير وقرأ أيضا فقبصت قبصة بالصاد المهملة الضاد بجميع الكف والصاد بأطراف الاصابع ونحوهما الخضم والقضم الخاء بجميع الفم والقاف بمقدمه قرأ ابن مسعود من أثر فرس الرسول (فان قلت) لم سماه الرسول دون جبريل وروح القدس (قلت) حين حل ميعاد الذهاب الى الطور أرسل الله الى موسى جبريل راكب حيزوم فرس الحياة ليذهب به فأبصره السامري فقال ان لهذا شأنا فقبض قبضة من تربة موطئه فلما سأله موسى عن قصته قال قبضت من أثر فرس المرسل اليك يوم حلول الميعاد ولعله لم يعرف أنه جبريل * عوقب في الدنيا بعقوبة لا شئ أطم منها وأوحش وذلك أنه منع من مخالطة الناس منعا كليا وحرم عليهم ملاقاته ومكالمته ومبايعته ومواجهته وكل ما يعايش به الناس بعضهم بعضا واذا اتفق أن يماس أحدا رجلا أو امرأة حم الماس والممسوس فتحامى الناس وتحاموه وكان يصيح لا مساس وعاد في الناس أوحش من القاتل اللاجئ الى الحرم ومن الوحشي النافر في البرية ويقال ان قومه باق فيهم ذلك الى اليوم * وقرئ (لا مساس) بوزن فجار ونحوه قولهم في الظباء اذا وردت الماء فلا عباب وان فقدته فلا أباب وهي أعلام للمسة والعبة والابة وهي المرة من الاب وهو الطلب (لن تخلفه) أي لن يخلفك الله موعده الذي وعدك على الشرك والفساد في الارض ينجزه لك في الآخرة بعد ما عاقبك بذلك في الدنيا فأنت ممن خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين * وقرئ لن تخلفه وهذا من أخلفت الموعد اذا وجدته مخلفا قال الاعشى

أثوى وقصر ليله ليزودا * فمضى وأخلف من قتيلة موعدا

وعن ابن مسعود نخلفه بالنون أي لن يخلفه الله كأنه حكى قوله عز وجل كما مر في لاهب لك (ظلت) وظلت وظللت والاصل ظللت فحذفوا اللام الاولى ونقلوا حركتها الى الظاء ومنهم من لم ينقل (لنحرقنه) ولنحرقنه ولنحرقنه وفي حرف ابن مسعود لنذبحنه ولنحرقنه ولنحرقنه القراءتان من الاحراق وذكر أبو علي الفارسي في لنحرقنه أنه يجوز أن يكون حرق مبالغة في حرق اذا برد بالمبرد وعليه القراءة الثالثة وهي قراءة علي بن أبي طالب رضي الله عنه (لننسفنه) بكسر السين وضمها وهذه عقوبة ثالثة وهي ابطال ما افتتن به وفتن واهدار سعيه وهدم مكره ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين * قرأ طلحة الله الذي لا اله الا هو الرحمن رب العرش (وسع كل شئ علما) وعن مجاهد وقتادة وسع ووجهه أن وسع متعد الى مفعول واحد وهو كل شئ وأما علما فانتصابه على التمييز وهو في المعنى فاعل فلما ثقل نقل الى التعدية الى مفعولين فنصبهما معا على المفعولية لان المميز فاعل في المعنى كما تقول في خاف زيد عمرا خوفت زيدا عمرا فترد بالنقل ما كان فاعلا مفعولا * الكاف في (كذلك) منصوب المحل وهذا موعد من الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم أي مثل ذلك الاقتصاص ونحو ما اقتصصنا عليك قصة موسى وفرعون نقص عليك من سائر أخبار الامم وقصصهم وأحوالهم تكثيرا

انما فتنتم به وان ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى قال يا هرون ما منعك اذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعن أفعصيت أمري قال يا ابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي اني خشيت أن تقول فرقت بين بني اسرائيل ولم ترقب قولي قال فما خطبك يا سامري قال بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها وكذلك سولت لي نفسي قال فاذهب فان لك في الحيوة أن تقول لا مساس وان لك موعدا لن تخلفه وانظر الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفا انما الهكم الله الذي لا اله الا هو وسع كل شئ علما كذلك

قاعدته في وجوب رعاية المصالح على الله تعالى وتحتم هداية الخلق عليه أن يؤول ذلك بحرفه فذرهم وما يفترون

ويجوز أن يكون فيه ضمير الله أو الرسول ويدل عليه القراءة بالنون * وقرئ (يمشون) يريد أن قريشا يتقلبون في بلاد عاد وثمود ويمشون (في مساكنهم) ويعاينون آثار هلاكهم * الكلمة السابقة هي العدة بتأخير جزائهم الى الآخرة يقول لولا هذه العدة لكان مثل اهلاكنا عادا وثمود لازما لهؤلاء الكفرة واللزام اما مصدر لازم وصف به واما فعال بمعنى مفعل أي ملزم كأنه آلة اللزوم لفرط لزومه كما قالوا لزاز خصم (وأجل مسمى) لا يخلو من أن يكون معطوفا على كلمة أو على الضمير في كان أي لكان الاخذ العاجل وأجل مسمى لازمين لهم كما كانا لازمين لعاد وثمود ولم ينفرد الاجل المسمى دون الاخذ العاجل (بحمد ربك) في موضع الحال أي وأنت حامد لربك على أن وفقك للتسبيح وأعانك عليه والمراد بالتسبيح الصلاة أو على ظاهره قدم الفعل على الاوقات أولا والاوقات على الفعل آخرا فكأنه قال صل لله قبل طلوع الشمس يعني الفجر وقبل غروبها يعني الظهر والعصر لانهما واقعتان في النصف الاخير من النهار بين زوال الشمس وغروبها وتعمد آناء الليل وأطراف النهار مختصا لها بصلاتك وذلك أن أفضل الذكر ما كان بالليل لاجتماع القلب وهدو الرجل والخلو بالرب وقال الله عز وجل ان ناشئة الليل هي أشد وطأ وأقوم قيلا وقال أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما ولان الليل وقت السكون والراحة فاذا صرف الى العبادة كانت على النفس أشد وأشق وللبدن أتعب وأنصب فكانت أدخل في معنى التكليف وأفضل عند الله وقد تناول التسبيح في آناء الليل صلاة العتمة وفي أطراف النهار صلاة المغرب وصلاة الفجر على التكرار ارادة الاختصاص كما اختصت في قوله حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى عند بعض المفسرين (فان قلت) ما وجه قوله وأطراف النهار على الجمع وانما هما طرفان كما قال أقم الصلاة طرفي النهار (قلت) الوجه أمن الالباس وفي التثنية زيادة بيان ونظير مجيء الامرين في الآيتين مجيئهما في قوله ظهراهما مثل ظهور الترسين * وقرئ وأطراف النهار عطفا على آناء الليل ولعل للمخاطب أي اذكر الله في هذه الاوقات طمعا ورجاء أن تنال عند الله ما به ترضى نفسك ويسر قلبك وقرئ ترضى أي يرضيك ربك (ولا تمدن عينيك) أي نظر عينيك ومد النظر تطويله وأن لا يكاد يرده استحسانا للمنظور اليه واعجابا به وتمنيا أن يكون له كما فعل نظارة قارون حين قالوا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون انه لذو حظ عظيم حتى واجههم أولو العلم والايمان بويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا وفيه أن النظر غير الممدود معفو عنه وذلك مثل نظر من باده الشيء بالنظر ثم غض الطرف ولما كان النظر الى الزخارف كالمركوز في الطباع وان من أبصر منها شيئا أحب أن يمد اليه نظره ويملأ منه عينيه قيل ولا تمدن عينيك أي لا تفعل ما أنت معتاد له وضار به ولقد شدد العلماء من أهل التقوى في وجوب غض البصر عن أبنية الظلمة وعدد الفسقة في اللباس والمراكب وغير ذلك لانهم انما اتخذوا هذه الاشياء لعيون النظارة فالناظر اليها محصل لغرضهم وكالمغري لهم على اتخاذها (أزواجا منهم) أصنافا من الكفرة ويجوز أن ينتصب حالا من هاء الضمير والفعل واقع على منهم كأنه قال الى الذي متعنا به وهو أصناف بعضهم وناسا منهم (فان قلت) علام انتصب (زهرة) (قلت) على أحد أربعة أوجه على الذم وهو النصب على الاختصاص وعلى تضمين متعنا معنى أعطينا وخولنا وكونه مفعولا ثانيا له وعلى ابداله من محل الجار والمجرور وعلى ابداله من أزواجا على تقدير ذوي زهرة (فان قلت) ما معنى الزهرة فيمن حرك (قلت) معنى الزهرة بعينه وهو الزينة والبهجة كما جاء في الجهرة الجهرة وقرئ أرنا الله جهرة وأن تكون جمع زاهر وصفا لهم بأنهم زاهرو هذه الدنيا لصفاء ألوانهم مما يلهون ويتنعمون وتهلل وجوههم وبهاء زيهم وشارتهم بخلاف ما عليه المؤمنون والصلحاء من شحوب الالوان والتقشف في الثياب (لنفتنهم) لنبلوهم حتى يستوجبوا العذاب لوجود الكفران منهم أو لنعذبهم في الآخرة بسببه (ورزق ربك) هو ما ادخر له من ثواب الآخرة الذي هو خير منه في نفسه وأدوم أو ما رزقه من نعمة الاسلام والنبوة أو لان أموالهم الغالب عليها الغصب والسرقة والحرمة من بعض الوجوه والحلال (خير وأبقى) لان الله لا ينسب الى نفسه الا ما حل وطاب دون ما حرم وخبث

والحرام

يمشون في مساكنهم ان في ذلك لآيات لاولى النهى ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما وأجل مسمى فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى

* قوله تعالى ورزق ربك خير وأبقى (قال معناه ان رزق هؤلاء الكفرة في الدنيا أكثره مكتسب من الحرام الخ) قال أحمد ولان غرض القدرية من هذا البيان رازقا غير الله تعالى كما أثبتوا خالقا سوى الله تعالى لكان البحث لفظيا فالحق والسنة أن كل ما تقوم به البنية رزق من الله تعالى سواء كان حلالا أو غيره ولا يلزم من كونه الله تعالى رزقه أن يكون حلالا فكما خلق الله تعالى على يدي العبد ما حرمه عليه كذلك يرزقه ما أباح له تناوله لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون والله الموفق للصواب

والحرام لا يسمى رزقاً أصلاً وعن عبد الله بن قسيط عن رافع قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يهودي وقال قل له يقول لك رسول الله أقرضني إلى رجب فقال والله لا أقرضته إلا برهن فقال رسول الله إني لأمين في السماء وإني لأمين في الأرض احمل إليه درعي الحديد فنزلت ولا تمدن عينيك (وأمر أهلك بالصلاة) أي وأقبل أنت مع أهلك على عبادة الله والصلاة واستعينوا بها على خصاصتكم ولا تهتم بأمر الرزق والمعيشة فإن رزقك مكفي من عندنا ونحن رازقوك ولا نسألك أن ترزق نفسك ولا أهلك ففرغ بالك لأمر الآخرة وفي معناه قول الناس من كان في عمل الله كان الله في عمله وعن عروة بن الزبير أنه كان إذا رأى ما عند السلاطين قرأ ولا تمدن عينيك الآية ثم ينادي الصلاة الصلاة رحمكم الله وعن بكر بن عبد الله المزني كان إذا أصابت أهله خصاصة قال قوموا فصلوا بهذا أمر الله رسوله ثم يتلو هذه الآية * اقترحوا على عادتهم في التعنت آية على النبوة فقيل لهم أولم تأتكم آية هي أم الآيات وأعظمها في باب الإعجاز يعني القرآن من قبل أن القرآن برهان ما في سائر الكتب المنزلة ودليل صحته لأنه معجزة وتلك ليست بمعجزات فهي مفتقرة إلى شهادته على صحة ما فيها افتقار المحتج عليه إلى شهادة الحجة * وقرئ الصحف بالتخفيف * ذكر الضمير الراجع إلى البينة لأنها في معنى البرهان والدليل قرئ (نذل ونخزى) على لفظ ما لم يسم فاعله (كل) أي كل واحد منا ومنكم (متربص) العاقبة ولما يؤول إليه أمرنا وأمركم * وقرئ السواء بمعنى الوسط والجيد أو المستوي والسوء والسوأى والسوى تصغير السوء وقرئ فتمتعوا فسوف تعلمون قال أبو رافع حفظته من رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة طه أعطي يوم القيامة ثواب المهاجرين والأنصار وقال لا يقرأ أهل الجنة من القرآن إلا طه ويس

﴿سورة الأنبياء مكية وهي مائة واثنتا عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

هذه اللام لا تخلو من أن تكون صلة لاقترب أو تأكيداً لإضافة الحساب إليهم كقولك أزف للحي رحيلهم الأصل أزف رحيل الحي ثم أزف للحي الرحيل ثم أزف للحي رحيلهم ونحوه ما أورده سيبويه في باب ما يثنى فيه المستقر توكيداً عليك زيد حريص عليك وفيك زيد راغب فيك ومنه قولهم لا أبا لك لأن اللام مؤكدة لمعنى الإضافة وهذا الوجه أغرب من الأول والمراد اقتراب الساعة وإذا اقتربت الساعة فقد اقترب ما يكون فيها من الحساب والثواب والعقاب وغير ذلك ونحوه واقترب الوعد الحق (فإن قلت) كيف وصف بالاقتراب وقد عدت دون هذا القول أكثر من خمسمائة عام (قلت) هو مقترب عند الله والدليل عليه قوله عز وجل ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون ولأن كل آت وإن طالت أوقات استقباله وترقبه قريب إنما البعيد هو الذي وجد وانقرض ولأن ما بقي في الدنيا أقصر وأقل مما سلف منها بدليل انبعاث خاتم النبيين الموعود مبعثه في آخر الزمان وقال عليه السلام بعثت في نسم الساعة وفي خطبة بعض المتقدمين ولت الدنيا حذاء ولم تبق إلا صبابة كصبابة الإناء وإذا كانت بقية الشيء وإن كثرت في نفسها قليلة بالإضافة إلى معظمه كانت خليقة بأن توصف بالقلة وقصر الذرع وعن ابن عباس رضي الله عنه أن المراد بالناس المشركون وهذا من إطلاق اسم الجنس على بعضه للدليل القائم وهو ما يتلوه من صفات المشركين * وصفهم بالغفلة مع الإعراض على معنى أنهم غافلون عن حسابهم ساهون لا يتفكرون في عاقبتهم ولا يتفطنون لما ترجع إليه خاتمة أمرهم مع اقتضاء عقولهم أنه لا بد من جزاء للمحسن والمسيء وإذا قرعت لهم العصا ونبهوا عن سنة الغفلة وفطنوا لذلك بما يتلى عليهم من الآيات والنذر أعرضوا وسدوا أسماعهم ونفروا * وقرر إعراضهم عن تنبيه المنبه وإيقاظ الموقظ بأن الله يجدد لهم الذكر وقتاً فوقتاً ويحدث لهم الآية بعد الآية والسورة بعد السورة ليكرر على أسماعهم التنبيه والموعظة لعلهم يتعظون فما يزيدهم استماع الآي والسور وما فيها من فنون المواعظ والبصائر التي هي أحق الحق وأجد الجد إلا لعباً وتلهياً

وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقاً نحن نرزقك والعاقبة للتقوى وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه أولم تأتهم بينة ما في الصحف الأولى ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولاً فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى قل كل متربص فتربصوا فستعلمون من أصحاب الصراط السوي ومن اهتدى

سورة الأنبياء مكية وهي مائة واثنتا عشرة آية

(بسم الله الرحمن الرحيم)

اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ما يأتيهم من ذكر من

ربهم

﴿القول في سورة الأنبياء﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) * قوله تعالى قال ربي يعلم القول في السماء والارض وهو السميع العليم (قال ان قلت لم عدل عن قوله يعلم السر مع ان المتقدم وأسروا النجوى الخ) قال أحمد وهذا من اتباع القرآن الرأي نعوذ بالله من ذلك لاسيما رأي ينفي صفات الكمال عن الله تعالى (٣) وما الذي دل عليه السميع العليم من نفي صفتي السمع والعلم في تفسيرهما بذلك مع انه لا يفهم في اللغة سميع الا بسمع ولا عليم (٤٠) الا بعلم فانها صفات مشتقات من مصادر لا بد من فهمها وثبوتها أولا ثم ثبوت ما اشتقت منه ومن أنكر السمع والعلم فقد سارع الى انكار السميع العليم وهو لا يشعر وليس غرضنا في هذا المصنف سوى الايقاظ لما انطوى عليه الكشاف من غوائل البدع ليتجنبها الناظر وأما الادلة الكلامية فمن فيها تتلقى وحاله فيما يورده من أمثال هذه النزغات مختلف فمرة يوردها عند كلام يحتمل في ظاهره اشعارا بغرضه فيحطه عليه فحينئذ نتنازع في الظاهر ثم تارة نترقى الى بيان ظهوره في عكس مراده أو نصوصيته حتى لا يحتمل ما يدعيه بوجه ما وقد يلجئنا الانصاف الى تسليم الظهور له فننكر وجه التأويل الذي يرشد اليه دليل العقل ومرة يوردها من هذا الرأي عند كلام لا يحتمله ولا يشعر به بوجه وغرضه التنفيس حتى لا يخلي شيأ من كلامه من تعصب واصرار على باطل فننبه على ذلك أيضا وما ذكره عند هذه الآية من قبيل ما يدل النص على عكس مراده فيه وقد أوضحناه

محدث الا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم وأسروا النجوى الذين ظلموا هل هذا الا بشر مثلكم أفتأتون السحر وأنتم تبصرون قال ربي يعلم القول في السماء والارض وهو السميع العليم بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر فليأتنا بآية كما أرسل الاولون ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها

واستحضار والذكر هو الطائفة النازلة من القرآن وقرأ ابن أبي عبلة (محدث) بالرفع صفة على المحل * قوله (وهم يلعبون لاهية قلوبهم) حالان مترادفتان أو متداخلتان ومن قرأ لاهية بالرفع فالحال واحدة لان لاهية قلوبهم خبر بعد خبر لقوله وهم واللاهية من لها عنه اذا ذهل وغفل يعني أنهم وان فطنوا فهم في قلة جدوى فطنتهم كأنهم لم يفطنوا أصلا وثبتوا على رأس غفلتهم وذهولهم عن التأمل والتبصر بقلوبهم (فان قلت) النجوى وهي اسم من التناجي لا تكون الا خفية فما معنى قوله وأسروا (قلت) معناه وبالغوا في اخفائها أو جعلوها بحيث لا يفطن أحد لتناجيهم ولا يعلم أنهم متناجون أبدل (الذين ظلموا) من واو وأسروا اشعارا بأنهم الموسومون بالظلم الفاحش فيما أسروا به أو جاء على لغة من قال أكلوني البراغيث أو هو منصوب المحل على الذم أو هو مبتدأ خبره وأسروا النجوى قدم عليه والمعنى وهؤلاء أسروا النجوى فوضع المظهر موضع المضمر تسجيلا على فعلهم بأنه ظلم (هل هذا الا بشر مثلكم أفتأتون السحر وأنتم تبصرون) هذا الكلام كله في محل النصب بدلا من النجوى أي وأسروا هذا الحديث ويجوز أن يتعلق بقالوا مضمرا اعتقدوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكون الا ملكا وان كل من ادعى الرسالة من البشر وجاء بالمعجزة هو ساحر ومعجزته سحر فلذلك قالوا على سبيل الانكار أفتحضرون السحر وأنتم تشاهدون وتعاينون أنه سحر (فان قلت) لم أسروا هذا الحديث وبالغوا في اخفائه (قلت) كان ذلك شبه التشاور فيما بينهم والتحاور في طلب الطريق الى هدم أمره وعمل المنصوبة في التثبيط عنه وعادة المتشاورين في خطب أن لا يشركوا أعداءهم في شوراهم ويتجاهدوا في طي سرهم عنهم ما أمكن واستطيع ومنه قول الناس استعينوا على حوائجكم بالكتمان ويرفع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويجوز أن يسروا نجواهم بذلك ثم يقولوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ان كان ما تدعونه حقا فأخبرونا بما أسررنا (فان قلت) هلا قيل يعلم السر لقوله وأسروا النجوى (قلت) القول عام يشمل السر والجهر فكان في العلم به العلم بالسر وزيادة فكان آكد في بيان الاطلاع على نجواهم من أن يقول يعلم السر كما أن قوله يعلم السر آكد من أن يقول يعلم سرهم ثم بين ذلك بأنه السميع العليم لذاته فكيف تخفى عليه خافية (فان قلت) فلم ترك هذا الآكد في سورة الفرقان في قوله قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والارض (قلت) ليس بواجب أن يجيء بالآكد في كل موضع ولكن يجيء بالوكيد تارة وبالآكد أخرى كما يجيء بالحسن في موضع وبالاحسن في غيره ليفتن الكلام افتنانا وتجمع الغاية وما دونها على أن أسلوب تلك الآية خلاف أسلوب هذه من قبل أنه قدم ههنا أنهم أسروا النجوى فكأنه أراد أن يقول ان ربي يعلم ما أسروه فوضع القول موضع ذلك للمبالغة وثم قصد وصف ذاته بأن أنزله الذي يعلم السر في السموات والارض فهو كقوله علام الغيوب عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة * وقرئ (قال ربي) حكاية لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم * أضربوا عن قولهم هو سحر الى أنه تخاليط أحلام ثم الى أنه كلام مفترى من عنده ثم الى انه قول شاعر وهكذا الباطل لجلج والمبطل متحير رجاع غير ثابت على قول واحد ويجوز أن يكون تنزيلا من الله تعالى لاقوالهم في درج الفساد وأن قولهم الثاني أفسد من الاول والثالث أفسد من الثاني وكذلك الرابع من الثالث * صحة التشبيه في قوله (كما أرسل الاولون) من حيث انه في معنى كما أتى الاولون بالآيات لان ارسال الرسل متضمن للاتيان بالآيات ألا ترى

(٣) قوله وما الذي الخ كذا بالاصل وليحرر فهما وكشفا اهـ مصححه

انه لا فرق بين أن تقول أرسل محمد صلى الله عليه وسلم وبين قولك أتى محمد بالمعجزة (أفهم يؤمنون) فيه أنهم
أعتى من الذين اقترحوا على أنبيائهم الآيات وعاهدوا أنهم يؤمنون عندها فلما جاءتهم نكثوا وخالفوا
فأهلكهم الله فلو أعطيناهم ما يقترحون لكانوا أنكث وأنكث * أمرهم أن يسألوا أهل الذكر وهم
أهل الكتاب حتى يعلموهم أن رسل الله الموحى إليهم كانوا بشرا ولم يكونوا ملائكة كما اعتقدوا وإنما أحالهم
على أولئك لأنهم كانوا يشايعون المشركين في معاداة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى ولتسمعن من
الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا فلا يكاذبونهم فيما هم فيه ردء لرسول الله صلى
الله عليه وسلم (لا يأكلون الطعام) صفة لجسدا والمعنى وما جعلنا الأنبياء عليهم السلام قبله ذوي جسد غير
طاعمين ووحد الجسد لإرادة الجنس كأنه قال ذوي ضرب من الأجساد وهذا رد لقولهم ما لهذا الرسول يأكل
الطعام (فإن قلت) نعم قد رد إنكارهم أن يكون الرسول بشرا يأكل ويشرب بما ذكرت فماذا رد من قولهم
بقوله (وما كانوا خالدين) (قلت) يحتمل أن يقولوا إنه بشر مثلنا يعيش كما نعيش ويموت كما نموت أو يقولوا
هلا كان ملكا لا يطعم ويخلد إما معتقدين أن الملائكة لا يموتون أو مسمين حياتهم المتطاولة وبقاءهم الممتد
خلودا (صدقناهم الوعد) مثل واختار موسى قومه والأصل في الوعد ومن قومه ومنه صدقوهم القتال
وصدقني سن بكره (ومن نشاء) هم المؤمنون ومن في بقائه مصلحة (ذكركم) شرفكم وصيتكم كما قال وإنه
لذكر لك ولقومك أو موعظتكم أو فيه مكارم الأخلاق التي كنتم تطلبون بها الثناء أو حسن الذكر كحسن
الجوار والوفاء بالعهد وصدق الحديث وأداء الأمانة والسخاء وما أشبه ذلك (وكم قصمنا من قرية) واردة عن
غضب شديد ومنادية على سخط عظيم لأن القصم أفظع الكسر وهو الكسر الذي يبين تلاؤم الأجزاء بخلاف
الفصم وأراد بالقرية أهلها ولذلك وصفها بالظلم وقال (قوما آخرين) لأن المعنى أهلكنا قوما وأنشأنا قوما
آخرين وعن ابن عباس أنها حضور وهي وسحول قريتان باليمن تنسب إليهما الثياب وفي الحديث كفن
رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثوبين سحوليين وروي حضوريين بعث الله إليهم نبيا فقتلوه فسلط الله عليهم
بختنصر كما سلطه على أهل بيت المقدس فاستأصلهم وروي أنهم لما أخذتهم السيوف نادى مناد من السماء
يا لثارات الأنبياء فندموا واعترفوا بالخطأ وذلك حين لم ينفعهم الندم وظاهر الآية على الكثرة ولعل ابن عباس
ذكر حضور بأنها إحدى القرى التي أرادها الله بهذه الآية * فلما علموا شدة عذابنا وبطشتنا علم حس
ومشاهدة لم يشكوا فيها ركضوا من ديارهم والركض ضرب الدابة بالرجل ومنه قوله تعالى اركض برجلك
فيجوز أن يركبوا دوابهم يركضونها هاربين منهزمين من قريتهم لما أدركتهم مقدمة العذاب ويجوز أن
يشبهوا في سرعة عدوهم على أرجلهم بالراكبين الراكضين لدوابهم فقيل لهم (لا تركضوا) والقول محذوف
(فإن قلت) من القائل (قلت) يحتمل أن يكون بعض الملائكة أو من ثم من المؤمنين أو يجعلوا خلقاء بأن
يقال لهم ذلك وإن لم يقل أو يقوله رب العزة ويسمعه ملائكته لينفعهم في دينهم أو يلهمهم ذلك فيحدثوا به
نفوسهم (وارجعوا إلى ما أترفتم فيه) من العيش الرافه والحال الناعمة والإتراف إبطار النعمة وهي الترفة
(لعلكم تسئلون) تهكم بهم وتوبيخ أي ارجعوا إلى نعيمكم ومساكنكم لعلكم تسئلون غدا عما جرى عليكم ونزل
بأموالكم ومساكنكم فتجيبوا السائل عن علم ومشاهدة أو ارجعوا واجلسوا كما كنتم في مجالسكم وترتبوا
في مراتبكم حتى يسألكم عبيدكم وحشمكم ومن تملكون أمره وينفذ فيه أمركم ونهيكم ويقولوا لكم بم
تأمرون وماذا ترسمون وكيف نأتي ونذر كعادة المنعمين المخدمين أو يسألكم الناس في أنديتكم المعاون
في نوازل الخطوب ويستشيرونكم في المهمات والعوارض ويستشفون بتدابيركم ويستضيئون بآرائكم
أو يسألكم الوافدون عليكم والطماع ويستمطرون سحائب أكفكم ويمترون أخلاف معروفكم وأياديكم
إما لأنهم كانوا أسخياء ينفقون أموالهم رئاء الناس وطلب الثناء أو كانوا بخلاء فقيل لهم ذلك تهكما إلى تهكم
وتوبيخا إلى توبيخ (تلك) إشارة إلى يا ويلنا لأنها دعوى كأنه قيل فما زالت تلك الدعوى (دعواهم) والدعوى
بمعنى الدعوة قال تعالى وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين (فإن قلت) لم سميت دعوى (قلت) لأن
المولول كأنه يدعو الويل فيقول تعالى يا ويل فهذا وقتك وتلك مرفوع أو منصوب اسما أو خبرا وكذلك

أفهم يؤمنون وما
أرسلنا قبلك إلا رجالا
نوحي إليهم فاسئلوا
أهل الذكر إن كنتم
لا تعلمون وما جعلناهم
جسدا لا يأكلون
الطعام وما كانوا خالدين
ثم صدقناهم الوعد
فأنجيناهم ومن نشاء
وأهلكنا المسرفين لقد
أنزلنا إليكم كتابا فيه
ذكركم أفلا تعقلون
وكم قصمنا من قرية كانت
ظالمة وأنشأنا بعدها
قوما آخرين فلما أحسوا
بأسنا إذا هم منها
يركضون لا تركضوا
وارجعوا إلى ما أترفتم
فيه ومساكنكم لعلكم
تسئلون قالوا يا ويلنا
إنا كنا ظالمين فما زالت
تلك دعواهم حتى
جعلناهم حصيدا
خامدين وما خلقنا
السماء والأرض وما
بينهما لاعبين لو أردنا
أن نتخذ لهوا

* قوله تعالى لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا (قال معناه سبحاننا أن نتخذ لهوا ولعبا الخ) قال أحمد وله تحت قوله واستغنائنا عن القبيح دفين من البدعة والضلالة ولكنه من الكنوز التي يحمى عليها في نار جهنم وذلك ان القدرية يوجبون على الله تعالى رعاية المصالح وفعل ما يتوهمونه حسنا بعقولهم ويظنون أن الحكمة تقتضي ذلك فلا يستغني الحكيم على زعمهم عن خلق الحسن على وفق الحكمة بخلاف القبيح فان الحكمة تقتضي الاستغناء عنه فالى ذلك يلوح الزمخشري وما هي الا نزغة سبق اليها ضلال الفلاسفة ومن ثم يقولون ليس في الامكان أكمل من هذا العالم لانه لو كان في القدرة أكمل منه وأحسن ثم لم يخلقه الله تعالى لكان بخلا ينافي الجود أو عجزا ينافي القدرة حتى اتبعهم في ذلك من (٤٢) لا نسميه من أهل الملة عفا الله عنه ان كان هذا مما يدخل تحت ذيل العفو فالحق ان الله تعالى مستغن عن جميع الافعال حسنة كانت أو غيرها مصلحة كانت أو مفسدة وان له أن لا يخلق ما يتوهمه القدرية حسنا وله أن يفعل ما يتوهمونه في الشاهد قبيحا وان كل موجود من فاعل وفعل على الاطلاق فبقدرته وجد فليس في الوجود الا الله وصفاته وأفعاله وهو مستغن عن العالم بأسره وحسنه وقبحه فلو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم على أتقى قلب رجل منكم لم يزد ذلك في ملكه شيأ ولو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم على أفجر قلب رجل منكم لم ينقص ذلك من ملكه شيأ اللهم الهمنا الحق واستعملنا به * عاد كلامه (قال وفي قوله تعالى بل نقذف بالحق على الباطل استعارة حسنة استعار القذف الخ) قال أحمد ومثل هذا التنبيه من حسناته ولولا ان السيئة التي قبلها تتعلق بالعقيدة لتلونا ان الحسنات يذهبن السيئات والله أعلم * قوله تعالى لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون (قال فيه ان قلت لم استعمل الاستحسار ههنا في النفي الخ) قال أحمد وبمثله أجيب عن قوله تعالى وما ربك بظلام للعبيد فانظره * قوله تعالى أم اتخذوا آلهة من الارض هم ينشرون (قال ان قلت كيف أنكر عليهم اتخاذ آلهة الخ) قال أحمد فيكون المنكر عليهم صريح الدعوى ولازمها وهو أبلغ في الانكار والله سبحانه وتعالى أعلم

قيل

لاتخذناه من لدنا ان كنا فاعلين بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون وله من في السموات والارض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون أم اتخذوا آلهة

دعواهم * الحصيد الزرع المحصود أي جعلناهم مثل الحصيد شبههم به في استئصالهم واصطلامهم كما تقول جعلناهم رمادا أي مثل الرماد والضمير المنصوب هو الذي كان مبتدأ والمنصوبان بعده كانا خبرين له فلما دخل عليها جعل نصبها جميعا على المفعولية (فان قلت) كيف ينصب جعل ثلاثة مفاعيل (قلت) حكم الاثنين الآخرين حكم الواحد لان معنى قولك جعلته حلوا حامضا جعلته جامعا للطعمين وكذلك معنى ذلك جعلناهم جامعين لمماثلة الحصيد والخمود أي وما سوينا هذا السقف المرفوع وهذا المهاد الموضوع وما بينهما من أصناف الخلائق مشحونة بضروب البدائع والعجائب كما تسوي الجبابرة سقوفهم وفرشهم وسائر زخارفهم للهو واللعب وانما سويناها للفوائد الدينية والحكم الربانية لتكون مطارح افتكار واعتبار واستدلال ونظر لعبادنا مع ما يتعلق لهم بها من المنافع التي لا تعد والمرافق التي لا تحصى * ثم بين أن السبب في ترك اتخاذ اللهو واللعب وانتفائه عن أفعالي هو أن الحكمة صارفة عنه والا فأنا قادر على اتخاذه ان كنت فاعلا لاني على كل شيء قدير * وقوله (لاتخذناه من لدنا) كقوله رزقا من لدنا أي من جهة قدرتنا وقيل اللهو الولد بلغة اليمن وقيل المرأة وقيل من لدنا أي من الملائكة لا من الانس رد لولادة المسيح وعزير (بل) اضراب عن اتخاذ اللهو واللعب وتنزيه منه لذاته كأنه قال سبحاننا أن نتخذ اللهو واللعب بل من عادتنا وموجب حكمتنا واستغنائنا عن القبيح أن نغلب اللعب بالجد وندحض الباطل بالحق واستعار لذلك القذف والدمغ تصويرا لابطاله واهداره ومحقه فجعله كأنه جرم صلب كالصخرة مثلا قذف به على جرم رخو أجوف فدمغه ثم قال (ولكم الويل مما تصفون) به مما لا يجوز عليه وعلى حكمته وقرئ فيدمغه بالنصب وهو في ضعف قوله

سأترك منزلي لبني تميم * وألحق بالحجاز فأستريحا

وقرئ فيدمغه (ومن عنده) هم الملائكة والمراد أنهم مكرمون منزلون لكرامتهم عليه منزلة المقربين عند الملوك على طريق التمثيل والبيان لشرفهم وفضلهم على جميع خلقه * (فان قلت) الاستحسار مبالغة في الحسور فكان الابلغ في وصفهم أن ينفي عنهم أدنى الحسور (قلت) في الاستحسار بيان أن ما هم فيه يوجب غاية الحسور وأقصاه وأنهم أحقاء لتلك العبادات الباهظة بأن يستحسروا فيما يفعلون * أي تسبيحهم متصل دائم في جميع أوقاتهم لا يتخلله فترة بفراغ أو شغل آخر * هذه أم المنقطعة الكائنة بمعنى بل والهمزة قد آذنت بالاضراب عما قبلها والانكار لما بعدها والمنكر هو اتخاذهم (آلهة من الارض هم ينشرون) الموتى ولعمري ان من أعظم المنكرات أن ينشر الموتى بعض الموات (فان قلت) كيف أنكر عليهم اتخاذ آلهة تنشر وما كانوا يدعون ذلك لآلهتهم وكيف وهم أبعد شيء عن هذه الدعوى وذلك أنهم كانوا مع اقرارهم لله عز وجل بأنه خالق السموات والارض ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله وبأنه القادر على المقدورات كلها وعلى النشأة الاولى منكرين البعث ويقولون من يحيي العظام وهي رميم وكان عندهم من

* عاد كلامه (قال ان قلت لا بد لقوله هم من فائدة والا فالكلام مستقل بدونها الخ) قال أحمد وفي هذه النكتة نظر لان الآلات الحصر مفقودة وليس ذلك من قبيل صديقي زيد فان المبتدأ في الآية أخص شئ لانه ضمير وأيضا فلا ينبني على ذلك الزامهم حصر الالوهية فيهم وتخصيص الانشار بهم ونفيه عن الله تعالى اذ هذا لا يناسب السياق فانه قال عقبها لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا ومعناه لو كان فيهما اله غير الله شريكا لله لفسدتا ولو كان مقتضى ما قال الزمخشري أن يقال لو لم يكن فيهما آلهة الا الاصنام لفسدتا وأما والمتلو على خلاف ذلك فلا وجه لما قال الزمخشري وعندي انه يحتمل والله أعلم أن تكون فائدة قوله هم الايذان بانهم لم يدعوا لها الانشار وان قوله هم ينشرون استئناف الزام لهم وكأنه قال اتخذوا آلهة مع الله عز وجل فهم اذن يحيون الموتى ضرورة كونهم آلهة ثم لما انتظم من دعواهم الالوهية للاصنام والزامهم على ذلك أن يصفوهم بالقدرة الكاملة على احياء الموتى نظم في ابطال هذه الدعوى وما ألزمهم عليها دليل قوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا * وأزيد هذا التقرير وضوحا فأقول ان (٤٣) دليل التمانع المفترق من بحر هذه الآية المقتبس من نورها يورده المتكلمون على صورة التقسيم فيقولون لو وجد مع الله آخر وربما قالوا لو فرضنا وجود الهين فاما أن يكونا جميعا موصوفين بصفات الكمال اللاتي يندرج فيها القدرة على احياء الموتى وانشارهم وغير ذلك من الارض هم ينشرون لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون من الممكنات أولا يتصف بها واحد منهما أو يتصف بها أحدهما دون الآخر ثم يبطلون جميع الاقسام وهو المسمى برهان الخلف وأدق الاقسام ابطالا قسم اتصافهما جميعا بصفات الكمال وما عداه فبادي الرأي يبطل فانظر كيف اختار له تعالى ابطال هذا القسم الحق بالبطلان فاوضح فساده في أخصر أسلوب وأوجزه وأبلغ بديع الكلام ومعجزه وانما ينتظم هذا على أن يكون المقصد من قوله هم ينشرون الزامهم ادعاء صفات الالوهية لآلهتهم حتى يتحرى انهم اختاروا القسم الذي أبطله الله تعالى وكل ابطال ما عداه من الاقسام الى ما ركبه في عباده من العقول وكل خطب بعد بطلان هذا القسم جلل والله الموفق فتأمل هذا الفصل بعين الانصاف تجده أنفس الانصاف والله المستعان * قوله تعالى لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون (قال) لما بين تعالى انه رب الارباب وخالقهم ومالكهم ناسب هذا التنبيه على ما يجب له تعالى على خلقه من الاجلال والاعظام فان آحاد الملوك تمنع مهابته أن يسئل عن فعل فعله فما ظنك بخالق الملوك وربهم ثم ان آحاد الملوك يجوز عليهم الخطأ والزلل وقد استقر في العقول ان أفعال الله تعالى كلها مفعولة بدواعي الحكمة ولا يجوز عليه الخطأ ولا فعل القبائح (قال أحمد) حقه أن يتحاشى لفظة ما اسوأ أدبها مع الله تعالى أعني قوله دواعي الحكمة فان الدواعي والصوارف انما تستعمل في حق المحدثين

قبيل المحال الخارج عن قدرة القادر كثاني القديم فكيف يدعونه للجماد الذي لا يوصف بالقدرة رأسا (قلت) الامر كما ذكرت ولكنهم بادعائهم لها الالهية يلزمهم أن يدعوا لها الانشار لانه لا يستحق هذا الاسم الا القادر على كل مقدور والانشار من جملة المقدورات وفيه باب من التهكم بهم والتوبيخ والتجهيل واشعار بان ما استبعدوه من الله لا يصح استبعاده لان الالهية لما صحت صح معها الاقتدار على الابداء والاعادة ونحو قوله (من الارض) قولك فلان من مكة أو من المدينة تريد مكي أو مدني ومعنى نسبتها الى الارض الايذان بانها الاصنام التي تعبد في الارض لان الآلهة على ضربين أرضية وسماوية ومن ذلك حديث الامة التي قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أين ربك فاشارت الى السماء فقال انها مؤمنة لانه فهم منها أن مرادها نفي الآلهة الارضية التي هي الاصنام لا اثبات السماء مكانا لله عز وجل ويجوز أن يراد آلهة من جنس الارض لانها اما أن تنحت من بعض الحجارة أو تعمل من بعض جواهر الارض (فان قلت) لا بد من نكتة في قوله هم (قلت) النكتة فيه افادة معنى الخصوصية كأنه قيل أم اتخذوا آلهة لا يقدر على الانشار الا هم وحدهم وقرأ الحسن ينشرون وهما لغتان أنشر الله الموتى ونشرها * وصفت آلهة بالا كما توصف بغير لو قيل آلهة غير الله (فان قلت) ما منعك من الرفع على البدل (قلت) لان لو بمنزلة ان في ان الكلام معه موجب والبدل لا يسوغ الا في الكلام غير الموجب كقوله تعالى ولا يلتفت منكم أحد الا امرأتك وذلك لان أعم العام يصح نفيه ولا يصح ايجابه والمعنى لو كان يتولاهما ويدبر أمرهما آلهة شتى غير الواحد الذي هو فاطرهما لفسدتا وفيه دلالة على أمرين أحدهما وجوب أن لا يكون مدبرهما الا واحدا والثاني أن لا يكون ذلك الواحد الا اياه وحده لقوله الا الله (فان قلت) لم وجب الامران (قلت) لعلمنا أن الرعية تفسد بتدبير الملكين لما يحدث بينهما من التغالب والتناكر والاختلاف وعن عبد الملك بن مروان حين قتل عمرو بن سعيد الاشدق كان والله أعز علي من دم ناظري ولكن لا يجتمع فحلان في شول وهذا ظاهر وأما طريقة التمانع فللمتكلمين فيها تجاول وطراد ولان هذه الافعال محتاجة الى تلك الذات المتميزة بتلك الصفات حتى تثبت وتستقر * اذا كانت عادة الملوك والجبابرة أن لا يسألهم من في مملكتهم عن أفعالهم وعما يوردون ويصدرون من تدبير ملكهم تهيبا واجلالا مع جواز الخطا والزلل وأنواع الفساد عليهم كان ملك الملوك ورب الارباب خالقهم ورازقهم أولى بان لا يسئل عن أفعاله مع ما علم واستقر في العقول من أن ما يفعله كله مفعول بدواعي الحكمة ولا يجوز عليه الخطأ ولا فعل القبائح (وهم يسئلون) أي هم مملوكون مستعبدون خطاؤن فما

كقولك هو يعصمها وفي دواعي الناس اليه أو صوارفهم عنه وقوله لا يجوز عليه فعل القبائح ولت وهذا من الطراز الاول ولو أنه في الدليل قد نسيت وما بالعهد من قدم * وبعدما انقضى دليل التوحيد وابطال الشرك من سمعك أيها الزمخشري وقلمك رطب بتقريره فلم نكصت وانتكست أتقول ان أحدا شريك الله في ملكه يفعل ما يشاء من الأفعال التي تسميها قبائح فتنفيها عن قدرة الله تعالى وارادته وما الفرق بين من يشرك بالله ملكا من الملائكة وبين من يشرك نفسه بربه حتى يقول انه يفعل ويخلق لنفسه ما شاء الله أو لم يشأ تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا والقدرية ارتضوا لانفسهم شركا لان غيرهم أشرك بالملائكة وهم أشركوا أنفسهم وبالشياطين والجن وجميع الحيوانات نعوذ بالله من مسالك المهالك * قوله تعالى سبحانه بل عباد مكرمون (قال معناه مكرمون مفضلون على سائر عباد الله) قيل قال أحمد وهذا التفسير من حمل القرآن على الرأي فانه لما كان يعتقد تفضيل الملائكة على الرسل نزل الآية على معتقده وليس غرضنا الا بيان أن تحميل الآية ما لا تحتمله وتناول منها ما لا تعطيه لانه ادعى انهم مكرمون على سائر الخلق لا على بعضهم فدعواه

أم اتخذوا من دونه آلهة قل هاتوا برهانكم هذا ذكر من معي وذكر من قبلي بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين أولم ير الذين كفروا أن السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون

أخلقهم بأن يقال لهم لم فعلتم في كل شيء فعلوه * كرر (أم اتخذوا من دونه آلهة) استفظاعا لشأنهم واستعظاما لكفرهم أي وصفتم الله تعالى بأن له شريكا فهاتوا برهانكم على ذلك اما من جهة العقل واما من جهة الوحي فانكم لا تجدون كتابا من كتب الأولين الا وتوحيد الله وتنزيهه عن الانداد مدعو اليه والاشراك به منهي عنه متوعد عليه * أي (هذا) الوحي الوارد في معنى توحيد الله ونفي الشركاء عنه كما ورد علي فقد ورد على جميع الانبياء فهو ذكر أي عظة للذين معي يعني أمته وذكر للذين من قبلي يريد أمم الانبياء عليهم السلام وقرئ (ذكر من معي وذكر من قبلي) بالتنوين ومن مفعول منصوب بالذكر كقوله أو اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما وهو الأصل والاضافة من اضافة المصدر الى المفعول كقوله غلبت الروم في أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون وقرئ من معي ومن قبلي على من الاضافة في هذه القراءة وادخال الجار على مع غريب والعذر فيه أنه اسم هو ظرف نحو قبل وبعد وعند ولدن وما أشبه ذلك فدخل عليه من كما يدخل على أخواته وقرئ ذكر معي وذكر قبلي كأنه قيل بل عندهم ما هو أصل الشر والفساد كله وهو الجهل وفقد العلم وعدم التمييز بين الحق والباطل فمن ثم جاء هذا الاعراض ومن هناك ورد هذا الانكار * وقرئ (الحق) بالرفع على توسيط التوكيد بين السبب والمسبب والمعنى أن اعراضهم بسبب الجهل هو الحق لا الباطل ويجوز أن يكون المنصوب أيضا على هذا المعنى كما تقول هذا عبد الله الحق لا الباطل (يوحى) ونوحي مشهورتان وهذه الآية مقررة لما سبقها من آي التوحيد * نزلت في خزاعة حيث قالوا الملائكة بنات الله * نزه ذاته عن ذلك ثم أخبر عنهم بأنهم عباد والعبودية تنافي الولادة الا أنهم (مكرمون) مقربون عندي مفضلون على سائر العباد لما هم عليه من أحوال وصفات ليست لغيرهم فذلك هو الذي غر منهم من زعم أنهم أولادي تعاليت عن ذلك علوا كبيرا وقرئ مكرمون (ولا يسبقونه) بالضم من سابقته فسبقته أسبقه والمعنى أنهم يتبعون قوله ولا يقولون شيأ حتى يقوله فلا يسبق قولهم قوله والمراد بقولهم فأنيب اللام مناب الاضافة أي لا يتقدمون قوله بقولهم كما تقول سبقت بفرسي فرسه * وكما أن قولهم تابع لقوله فعملهم أيضا كذلك مبني على أمره لا يعملون عملا ما لم يؤمروا به وجميع ما يأتون ويذرون مما قدموا وأخروا بعين الله وهو مجازيهم عليه فلاحاطتهم بذلك يضبطون أنفسهم ويراعون أحوالهم ويعمرون أوقاتهم ومن تحفظهم أنهم لا يجسرون أن يشفعوا الا لمن ارتضاه الله وأهله للشفاعة في ازدياد الثواب والتعظيم ثم انهم مع هذا كله من خشية الله (مشفقون) أي متوقعون من أمارة ضعيفة كائنون على حذر ورقبة لا يأمنون مكر الله وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه رأى جبريل عليه السلام ليلة المعراج ساقطا كالحلس من خشية الله * وبعد أن وصف كرامتهم عليه وقرب منزلتهم عنده وأثنى عليهم وأضاف اليهم تلك الافعال السنية والاعمال المرضية فاجأ بالوعيد الشديد وأنذر بعذاب جهنم من أشرك منهم ان كان ذلك على سبيل الفرض والتمثيل مع احاطة علمه بأنه لا يكون كما قال ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون قصد بذلك تفظيع أمر الشرك وتعظيم شأن التوحيد * قرئ (ألم ير) بغير واو (رتقا) بفتح التاء وكلاهما في معنى المفعول كالخلق والنقض أي كانتا مرتوقتين (فان قلت) الرتق صالح أن يقع موقع مرتوقتين لانه مصدر فما بال الرتق (قلت) هو على تقدير موصوف أي كانتا شيأ رتقا ومعنى ذلك أن السماء كانت لاصقة بالارض لا فضاء بينهما أو كانت السموات متلاصقات وكذلك الارضون لا فرج بينها ففتقها الله وفرج بينها وقيل ففتقناهما بالمطر والنبات بعدما كانت مصمتة وانما

... قوله تعالى وجعلنا في الارض رواسي أن تميد بهم (قال معناه كراهة أن تميد بهم أو تكون لا محذوفة لأمن الالباس) قال أحمد وأولى من هذين الوجهين ان يكون من قولهم أعددت هذه الخشبة ان يميل الحائط فادعمه قال سيبويه ومعناه ان ادعم الحائط اذا مال وانما قدم ذكر الميل اهتماما بشأنه ولانه أيضا هو السبب في الادعام والادعام سبب في اعداد الخشبة فعامل سبب السبب معاملة السبب وعليه حمل قوله تعالى ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى ٤٥ كذلك ما نحن فيه يكون الاصل وجعلنا في الارض رواسي لاجل ان تثبتها اذا مادت بهم فجعل الميد هو السبب كما جعل الميل في المثل المذكور سببا وصار الكلام وجعلنا في الارض رواسي ان

قيل كانتا دون كن لان المراد جماعة السموات وجماعة الارض ونحوه قولهم لقاحان سوداوان أي جماعتان فعل في المضمر نحو ما فعل في المظهر (فان قلت) متى رأوهما رتقا حتى جاء تقريرهم بذلك (قلت) فيه وجهان أحدهما أنه وارد في القرآن الذي هو معجزة في نفسه فقام مقام المرئي المشاهد والثاني أن تلاصق الارض والسماء وتباينهما كلاهما جائز في العقل فلابد للتباين دون التلاصق من مخصص وهو القديم سبحانه (وجعلنا) لا يخلو أن يتعدى الى واحد أو اثنين فان تعدى الى واحد فالمعنى خلقنا من الماء كل حيوان كقوله والله خلق كل دابة من ماء أو كأنما خلقناه من الماء لفرط احتياجه اليه وحبه له وقلة صبره عنه كقوله تعالى خلق الانسان من عجل وان تعدى الى اثنين فالمعنى صيرنا كل شيء حي بسبب من الماء لا بد له منه ومن هذا نحو من في قوله عليه السلام ما أنا من دد ولا الدد مني وقرئ حيا وهو المفعول الثاني والظرف لغو * أي كراهة (أن تميد بهم) وتضطرب أو لئلا تميد بهم فحذف لا واللام وانما جاز حذف لا لعدم الالتباس كما تزاد لذلك في نحو قوله لئلا يعلم وهذا مذهب الكوفيين * الفج الطريق الواسع (فان قلت) في الفجاج معنى الوصف فما لها قدمت على السبل ولم تؤخر كما في قوله تعالى لتسلكوا منها سبلا فجاجا (قلت) لم تقدم وهي صفة ولكن جعلت حالا كقوله * لعزة موحشا طلل قديم * (فان قلت) ما الفرق بينهما من جهة المعنى (قلت) أحدهما الاعلام بأنه جعل فيها طرقا واسعة والثاني بأنه حين خلقها خلقها على تلك الصفة فهو بيان لما أبهم ثمة محفوظا حفظه بالامساك بقدرته من أن يقع على الارض ويتزلزل أو بالشهب عن تسمع الشياطين على سكانه من الملائكة (عن آياتها) أي عما وضع الله فيها من الادلة والعبر بالشمس والقمر وسائر النيرات ومسايرها وطلوعها وغروبها على الحساب القويم والترتيب العجيب الدال على الحكمة البالغة والقدرة الباهرة وأي جهل أعظم من جهل من أعرض عنها ولم يذهب به وهمه الى تدبرها والاعتبار بها والاستدلال على عظمة شأن من أوجدها عن عدم ودبرها ونصبها هذه النصبة وأودعها ما أودعها مما لا يعرف كنهه الا هو عزت قدرته ولطف علمه وقرئ عن آيتها على التوحيد اكتفاء بالواحدة في الدلالة على الجنس أي هم متفطنون لما يرد عليهم من السماء من المنافع الدنيوية كالاستضاءة بقمريها والاهتداء بكواكبها وحياة الارض والحيوان بامطارها * وهم عن كونها آية بينة على الخالق (معرضون) * كل التنوين فيه عوض من المضاف اليه أي كلهم (في فلك يسبحون) والضمير للشمس والقمر والمراد بهما جنس الطوالع كل يوم وليلة جعلوها متكاثرة لتكاثر مطالعها وهو السبب في جمعهما بالشموس والاقمار والا فالشمس واحدة والقمر واحد وانما جعل الضمير واو العقلاء للوصف بفعلهم وهو السباحة (فان قلت) الجملة ما محلها (قلت) محلها النصب على الحال من الشمس والقمر (فان قلت) كيف استبد بهما دون الليل والنهار بنصب الحال عنهما (قلت) كما تقول رأيت زيدا وهندا متبرجة ونحو ذلك اذا جئت بصفة تختص ببعض ما تعلق به العامل ومنه قوله تعالى في هذه السورة ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة أو لا محل لها لاستئنافها (فان قلت) لكل واحد من القمرين فلك على حدة فكيف قيل جميعهم يسبحون في فلك (قلت) هذا كقولهم كساهم الامير حلة وقلدهم سيفا أي كل واحد منهم أو كساهم وقلدهم هذين الجنسين فاكتفى بما يدل على الجنس اختصارا ولان الغرض الدلالة على الجنس * كانوا يقدرون أنه سيموت فيشمتون بموته

وجعلنا في الارض رواسي ان تميد بهم وجعلنا فيها فجاجا سبلا لعلهم يهتدون وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفان مت فهم الخالدون كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير

تميد فتثبتها ثم حذف قوله فتثبتها لأمن الالباس ايجازا واختصارا وهذا التقرير أقرب الى الواقع مما أول الزمخشري الآية عليه فان مقتضى تأويله أن لا تميد الارض بأهلها لان الله كره ذلك ومكروه الله تعالى محال ان يقع كما ان مراده واجب ان يقع والمشاهد خلاف ذلك فكم من زلزلة مادت لها الارض وكادت تقلب عاليها سافلها وأما على تقريرنا فالمراد ان الله تعالى يثبت الارض بالجبال اذا مادت وهذا لا يأبى وقوع الميد كما ان قوله ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى لا يأبى وقوع الضلال والنسيان من احداهما لكنه مهد ما يتعقبه التثبيت وكذلك الواقع من الزلازل انما هو كاللمحة ثم يثبتها الله تعالى

* قوله تعالى أهذا الذي يذكر آلهتكم (قال فيه الذكر يكون بخير وبخلافه فإذا أطلق بقيد القرينة فإن كان الذاكر صديقا فهو ثناء وإن كان عدوا فهو ذم) قال أحمد وكذلك القول ومنه قول موسى عليه السلام أتقولون للحق لما جاءكم معناه أتعيبون الحق لما جاءكم ثم ابتدأ فقال أسحر (٤٦) هذا وإنما لم يجعله معمولا للقول ومحكيا به لأنهم قفوا القول بأنه سحر فقالوا إن هذا لسحر مبين ولم يشككوا أنفسهم ولا استفهموا وقد مضى فيه غير هذا وإنما أطلقوا قولهم أهذا الذي يذكر آلهتكم

فنفى الله تعالى عنه الشماتة بهذا أي قضى الله أن لا يخلد في الدنيا بشرا فلا أنت ولا هم إلا عرضة للموت فإذا كان الأمر كذلك فإن مت أنت أيبقى هؤلاء وفي معناه قول القائل

فقل للشامتين بنا أفيقوا * سيلقى الشامتون كما لقينا

* أي نختبركم بما يجب فيه الصبر من البلايا وبما يجب فيه الشكر من النعم وإلينا مرجعكم فنجازيكم على حسب ما يوجد منكم من الصبر أو الشكر وإنما سمى ذلك ابتلاء وهو عالم بما سيكون من أعمال العاملين قبل وجودهم لأنه في صورة الاختبار * (وفتنة) مصدر مؤكد لنبلوكم من غير لفظه * الذكر يكون بخير وبخلافه فإذا دلت الحال على أحدهما أطلق ولم يقيد كقولك للرجل سمعت فلانا يذكرك فإن كان الذاكر صديقا فهو ثناء وإن كان عدوا فذم ومنه قوله تعالى سمعنا فتى يذكرهم وقوله (أهذا الذي يذكر آلهتكم) والمعنى أنهم عاكفون على ذكر آلهتهم بهممهم وما يجب أن لا تذكر به من كونهم شفعاء وشهداء ويسوءهم أن يذكرها ذاكر بخلاف ذلك وأما ذكر الله وما يجب أن يذكر به من الوحدانية فهم به كافرون لا يصدقون به أصلا فهم أحق بأن يتخذوا هزؤا منك فإنك محق وهم مبطلون وقيل معنى بذكر الرحمن قولهم ما نعرف الرحمن إلا مسيلمة وقولهم وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وقيل بذكر الرحمن بما أنزل عليك من القرآن والجملة في موضع الحال أي يتخذونك هزؤا وهم على حال هي أصل الهزء والسخرية وهي الكفر بالله * كانوا يستعجلون عذاب الله وآياته الملجئة إلى العلم والإقرار (ويقولون متى هذا الوعد) فأراد نهيهم عن الاستعجال وزجرهم فقدم أولا ذم الإنسان على إفراط العجلة وأنه مطبوع عليها ثم نهاهم وزجرهم كأنه قال ليس ببدع منكم أن تستعجلوا فإنكم مجبولون على ذلك وهو طبعكم وسجيتكم وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه أراد بالإنسان آدم عليه السلام وأنه حين بلغ الروح صدره ولم يتبالغ فيه أراد أن يقوم وروي أنه لما دخل الروح في عينيه نظر إلى ثمار الجنة ولما دخل جوفه اشتهى الطعام وقيل خلقه الله تعالى في آخر النهار يوم الجمعة قبل غروب الشمس فأسرع في خلقه قبل مغيبها وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه النضر بن الحرث والظاهر أن المراد الجنس وقيل العجل الطين بلغة حمير وقال شاعرهم * والنخل ينبت بين الماء والعجل * والله أعلم بصحته (فإن قلت) لم نهاهم عن الاستعجال مع قوله خلق الإنسان من عجل وقوله وكان الإنسان عجولا أليس هذا من تكليف ما لا يطاق (قلت) هذا كما ركب فيه الشهوة وأمره أن يغلبها لأنه أعطاه القدرة التي يستطيع بها قمع الشهوة وترك العجلة وقرئ خلق الإنسان * جواب لو محذوف وحين مفعول به ليعلم أي لو يعلمون الوقت الذي يستعلمون عنه بقولهم متى هذا الوعد وهو وقت صعب شديد تحيط بهم فيه النار من وراء وقدام فلا يقدرون على دفعها ومنعها من أنفسهم ولا يجدون ناصرا ينصرهم لما كانوا بتلك الصفة من الكفر والاستهزاء والاستعجال ولكن جهلهم به هو الذي هونه عندهم * ويجوز أن يكون (يعلم) متروكا بلا تعدية بمعنى لو كان معهم علم ولم يكونوا جاهلين لما كانوا مستعجلين وحين منصوب بمضمر أي حين (لا يكفون عن وجوههم النار) يعلمون أنهم كانوا على الباطل وينتفي عنهم هذا الجهل العظيم أي لا يكفونها بل تفجؤهم فتغلبهم * يقال للمغلوب في المحاجة مبهوت ومنه فبهت الذي كفر أي غلب إبراهيم عليه السلام الكافر وقرأ الأعمش بل يأتيهم بغتة فيبهتهم على التذكير والضمير للوعد أو للحين (فإن قلت) فإلام يرجع الضمير المؤنث في هذه القراءة (قلت) إلى النار أو إلى الوعد لأنه في معنى النار وهي التي وعدوها أو على تأويل العدة أو الموعدة أو إلى الحين لأنه في معنى الساعة أو إلى البغتة وقيل في القراءة الأولى الضمير للساعة * وقرأ الأعمش بغتة بفتح الغين (ولا هم ينظرون) تذكير بإنظاره إياهم وإمهاله وتفسيح وقت التذكر عليهم أي لا يمهلون بعد طول الإمهال

فتنة وإلينا ترجعون وإذا رآك الذين كفروا إن يتخذونك إلا هزوا أهذا الذي يذكر آلهتكم وهم بذكر الرحمن هم كافرون خلق الإنسان من عجل سأريكم آياتي فلا تستعجلون ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون بل تأتيهم بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون قل من يكلؤكم بالليل والنهار

ولم يقولوا أهذا الذي يذكر آلهتكم بكل سوء لأنهم استفظعوا حكاية ما يقوله النبي من القدح في آلهتهم ربما بأنها لا تسمع ولا تبصر ولا تنفع ولا تضر ونحو هذا من نقل ذمها مفصلا فأوموا إليه بالإشارة المذكورة كما يتحاشى المؤمن من حكاية كلمة الكفر في الرواية فيفهم المقصود بطريق التعريض فسبحان من أضلهم حتى تأدبوا مع الأوثان وأساءوا الأدب على الرحمن

* سلى

* سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن استهزائهم به بأن له في الأنبياء عليهم السلام أسوة وأن ما يفعلونه به يحيق بهم كما حاق بالمستهزئين بالأنبياء عليهم السلام ما فعلوا (من الرحمن) أي من بأسه وعذابه (بل هم) معرضون عن ذكره لا يخطرونه ببالهم فضلا أن يخافوا بأسه حتى إذا رزقوا الكلاءة منه عرفوا من الكالئ وصلحوا للسؤال عنه والمراد أنه أمر رسوله عليه الصلاة والسلام بسؤالهم عن الكالئ ثم بين أنهم لا يصلحون لذلك لإعراضهم عن ذكر من يكلؤهم ثم أضرب عن ذلك بما في أم من معنى بل وقال (أم لهم آلهة تمنعهم) من العذاب تتجاوز منعنا وحفظنا * ثم استأنف فبين أن ما ليس بقادر على نصر نفسه ومنعها ولا بمصحوب من الله بالنصر والتأييد كيف يمنع غيره وينصره * ثم قال بل ما هم فيه من الحفظ والكلاءة إنما هو منا لا من مانع يمنعهم من إهلاكنا وما كلأناهم وآباءهم الماضين إلا تمتيعا لهم بالحياة الدنيا وإمهالا كما متعنا غيرهم من الكفار وأمهلناهم (حتى طال عليهم) الأمد وامتدت بهم أيام الروح والطمأنينة فحسبوا أن لا يزالوا على ذلك لا يغلبون ولا ينزع عنهم ثوب أمنتهم واستمتاعهم وذلك طمع فارغ وأمل كاذب (أفلا يرون أنا) ننقص أرض الكفر ودار الحرب ونحذف أطرافها بتسليط المسلمين عليها وإظهارهم على أهلها وردها دار إسلام (فإن قلت) أي فائدة في قوله (نأتي الأرض) (قلت) الفائدة فيه تصوير ما كان الله يجريه على أيدي المسلمين وأن عساكرهم وسراياهم كانت تغزو أرض المشركين وتأتيها غالبة عليها ناقصة من أطرافها * قرئ (ولا يسمع الصم) ولا تسمع الصم بالتاء والياء أي لا تسمع أنت الصم ولا يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يسمع الصم من أسمع (فإن قلت) الصم لا يسمعون دعاء المبشر كما لا يسمعون دعاء المنذر فكيف قيل (إذا ما ينذرون) (قلت) اللام في الصم إشارة إلى هؤلاء المنذرين كائنة للعهد لا للجنس والأصل ولا يسمعون إذا ما ينذرون فوضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على تصامهم وسدهم أسماعهم إذا أنذروا أي هم على هذه الصفة من الجراءة والجسارة على التصام من آيات الإنذار (ولئن مستهم) من هذا الذي ينذرون به أدنى شيء لأذعنوا وذلوا وأقروا بأنهم ظلموا أنفسهم حين تصاموا وأعرضوا وفي المس والنفحة ثلاث مبالغات لأن النفح في معنى القلة والنزارة يقال نفحته الدابة وهو رمح يسير ونفحه بعطية رضخه ولبناء المرة * ووصفت (الموازين) بالقسط وهو العدل مبالغة كأنها في أنفسها قسط أو على حذف المضاف أي ذوات القسط واللام في (ليوم القيامة) مثلها في قولك جئته لخمس ليال خلون من الشهر ومنه بيت النابغة

ترسمت آيات لها فعرفتها * لستة أعوام وذا العام سابع

وقيل لأهل يوم القيامة أي لأجلهم (فإن قلت) ما المراد بوضع الموازين (قلت) فيه قولان أحدهما إرصاد الحساب السوي والجزاء على حسب الأعمال بالعدل والنصفة من غير أن يظلم عباده مثقال ذرة فمثل ذلك بوضع الموازين لتوزن بها الموزونات والثاني أنه يضع الموازين الحقيقية ويزن بها الأعمال عن الحسن هو ميزان له كفتان ولسان ويروى أن داود عليه السلام سأل ربه أن يريه الميزان فلما رآه غشي عليه ثم أفاق فقال يا إلهي من الذي يقدر أن يملأ كفته حسنات فقال يا داود إني إذا رضيت عن عبدي ملأتها بتمرة (فإن قلت) كيف توزن الأعمال وإنما هي أعراض (قلت) فيه قولان أحدهما توزن صحائف الأعمال والثاني تجعل في كفة الحسنات جواهر بيض مشرقة وفي كفة السيئات جواهر سود مظلمة * وقرئ (مثقال حبة) على كان التامة كقوله تعالى وإن كان ذو عسرة * وقرأ ابن عباس ومجاهد (آتينا بها) وهي مفاعلة من الإتيان بمعنى المجازاة والمكافأة لأنهم أتوه بالأعمال وأتاهم بالجزاء * وقرأ حميد أثبنا بها من الثواب وفي حرف أبي جئنا بها وأنث ضمير المثقال لإضافته إلى الحبة كقولهم ذهبت بعض أصابعه * أي آتيناهما (الفرقان) وهو التوراة (و) آتينا به (ضياء وذكرا للمتقين) والمعنى أنه في نفسه ضياء وذكر أو آتيناهما بما فيه من الشرائع والمواعظ ضياء وذكرا وعن ابن عباس رضي الله عنهما الفرقان الفتح كقوله يوم الفرقان وعن الضحاك فلق البحر وعن محمد بن كعب المخرج من الشبهات * وقرأ ابن عباس ضياء بغير واو وهو حال عن الفرقان والذكر الموعظة أو ذكر ما يحتاجون إليه في دينهم ومصالحهم أو الشرف * محل (الذين) جر على

من الرحمن بل هم عن ذكر ربهم معرضون أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا لا يستطيعون نصر أنفسهم ولا هم منا يصحبون بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر أفلا يرون أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها أفهم الغالبون قل إنما أنذركم بالوحي ولا يسمع الصم الدعاء إذا ما ينذرون ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك ليقولن يا ويلنا إنا كنا ظالمين ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياء وذكرا للمتقين الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون

الوصفية أو نصب على المدح أو رفع عليه (وهذا ذكر مبارك) هو القرآن وبركته كثرة منافعه وغزارة خيره
* الرشد الاهتداء لوجوه الصلاح قال الله تعالى فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم أموالهم * وقرئ رشده
والرشد والرشد كالعدم والعدم ومعنى اضافته اليه أنه رشد مثله وأنه رشد له شأن (من قبل) أي من قبل
موسى وهرون عليهما السلام * ومعنى علمه به أنه علم منه أحوالا بديعة وأسرارا عجيبة وصفات قد رضيها
وأحمدها حتى أهله لمخالته ومخالصته وهذا كقولك في خير من الناس أنا عالم بفلان فكلامك هذا من
الاحتواء على محاسن الاوصاف بمنزل (اذ) اما أن يتعلق بآتينا أو برشده أو بمحذوف أي اذكر من أوقات
رشده هذا الوقت * قوله (ما هذه التماثيل) تجاهل لهم وتغاب ليحقر آلهتهم ويصغر شأنها مع علمه بتعظيمهم
واجلالهم لها * لم ينو للعاكفين مفعولا وأجراه مجرى ما لا يتعدى كقولك فاعلون العكوف لها أو واقفون
لها (فان قلت) هلا قيل عليها عاكفون كقوله تعالى يعكفون على أصنام لهم (قلت) لو قصد التعدية لعداه
بصلته التي هي على * ما أقبح التقليد والقول المتقبل بغير برهان وما أعظم كيد الشيطان للمقلدين حين
استدرجهم الى أن قلدوا آباءهم في عبادة التماثيل وعفروا لها جباههم وهم معتقدون أنهم على شئ
وجادون في نصرة مذهبهم ومجادلون لاهل الحق عن باطلهم وكفى أهل التقليد سبة أن عبدة الاصنام منهم
(أنتم) من التأكيد الذي لا يصح الكلام مع الاخلال به لان العطف على ضمير هو في حكم بعض الفعل ممتنع
ونحوه اسكن أنت وزوجك الجنة أراد أن المقلدين والمقلدين جميعا منخرطون في سلك ضلال لا يخفى على
من به أدنى مسكة لاستناد الفريقين الى غير دليل بل الى هوى متبع وشيطان مطاع * لاستبعادهم أن
يكون ما هم عليه ضلالا بقوا متعجبين من تضليله اياهم وحسبوا أن ما قاله انما قاله على وجه المزاح والمداعبة
لا على طريق الجد فقالوا له هذا الذي جئتنا به أهو جد وحق أم لعب وهزل * الضمير في (فطرهن) للسموات
والارض أو للتماثيل وكونه للتماثيل أدخل في تضليلهم وأثبت للاحتجاج عليهم * وشهادته على ذلك ادلاؤه
بالحجة عليه وتصحيحه بها كما تصحح الدعوى بالشهادة كأنه قال وأنا أبين ذلك وأبرهن عليه كما تبين الدعاوى
بالبينات لاني لست مثلكم فأقول ما لا أقدر على اثباته بالحجة كما لم تقدروا على الاحتجاج لمذهبكم ولم تزيدوا
على أنكم وجدتم عليها آباءكم * قرأ معاذ بن جبل بالله * وقرئ تولوا بمعنى تتولوا ويقويها قوله فتولوا عنه
مدبرين (فان قلت) ما الفرق بين الباء والتاء (قلت) ان الباء هي الاصل والتاء بدل من الواو المبدلة منها وان
التاء فيها زيادة معنى وهو التعجب كأنه تعجب من تسهل الكيد على يده وتأتيه لان ذلك كان أمرا مقنوطا
منه لصعوبته وتعذره ولعمري ان مثله صعب متعذر في كل زمان خصوصا في زمن نمروذ مع عتوه
واستكباره وقوة سلطانه وتهالكه على نصرة دينه ولكن اذا الله سني عقد شئ تيسرا * روى أن آزر خرج به
في يوم عيد لهم فبدؤا ببيت الاصنام فدخلوه وسجدوا لها ووضعوا بينها طعاما خرجوا به معهم وقالوا الى أن
نرجع بركت الآلهة على طعامنا فذهبوا وبقى ابراهيم فنظر الى الاصنام وكانت سبعين صنما مصطفة وثم صنم
عظيم مستقبل الباب وكان من ذهب وفي عينيه جوهرتان تضيآن بالليل فكسرها كلها بفأس في يده حتى
اذا لم يبق الا الكبير علق الفأس في عنقه عن قتادة قال ذلك سرا من قومه وروى سمعه رجل واحد
(جذاذا) قطاعا من الجذ وهو القطع وقرئ بالكسر والفتح وقرئ جذذا جمع جذيذ وجذذا جمع جذة
* وانما استبقى الكبير لانه غلب في ظنه أنهم لا يرجعون الا اليه لما تسامعوه من انكاره لدينهم وسبه
لآلهتهم فيبكتهم بما أجاب به من قوله بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم وعن الكلبي (اليه) الى كبيرهم
ومعنى هذا لعلهم يرجعون اليه كما يرجع الى العالم في حل المشكلات فيقولون له ما لهؤلاء مكسورة وما لك
صحيحا والفأس على عاتقك قال هذا بناء على ظنه بهم لما جرب وذاق من مكابرتهم لعقولهم واعتقادهم في
آلهتهم وتعظيمهم لها أو قاله مع علمه أنهم لا يرجعون اليه استهزاء بهم واستجهالا وان قياس حال من يسجد له
ويؤهله للعبادة أن يرجع اليه في حل كل مشكل (فان قلت) فاذا رجعوا الى الصنم بمكابرتهم لعقولهم
ورسوخ الاشراك في أعراقهم فأي فائدة دينية في رجوعهم اليه حتى يجعله ابراهيم صلوات الله عليه غرضا

وهذا ذكر مبارك
أنزلناه أفأنتم له منكرون
ولقد آتينا ابراهيم
رشده من قبل وكنا به
عالمين اذ قال لابيه
وقومه ما هذه التماثيل
التي أنتم لها عاكفون
قالوا وجدنا آباءنا لها
عابدين قال لقد كنتم
أنتم وآباؤكم في ضلال
مبين قالوا أجئتنا بالحق
أم أنت من اللاعبين
قال بل ربكم رب
السموات والارض الذي
فطرهن وأنا على ذلكم
من الشاهدين وتالله
لاكيدن أصنامكم
بعد أن تولوا مدبرين
فجعلهم جذاذا الا كبيرا
لهم لعلهم اليه يرجعون
قالوا من فعل هذا
بآلهتنا انه لمن الظالمين

(قلت)

(قلت) اذا رجعوا اليه تبين أنه عاجز لا ينفع ولا يضر وظهر أنهم في عبادته على جهل عظيم * أي ان من فعل هذا الكسر والحطم لشديد الظلم معدود في الظلمة اما لجرأته على الآلهة الحقيقة عندهم بالتوقير والاعظام واما لانهم رأوا افراطا في حطمها وتماديا في الاستهانة بها (فان قلت) ما حكم الفعلين بعد (سمعنا فتى) وأي فرق بينهما (قلت) هما صفتان لفتى الا أن الاول وهو (يذكرهم) لا بد منه لسمع لانك لا تقول سمعت زيدا وتسكت حتى تذكر شيأ مما يسمع وأما الثاني فليس كذلك (فان قلت) (ابراهيم) ما هو (قلت) قيل هو خبر مبتدا محذوف أو منادى والصحيح أنه فاعل يقال لان المراد الاسم لا المسمى (على أعين الناس) في محل الحال بمعنى معاينا مشاهدا أي بمرأى منهم ومنظر (فان قلت) فما معنى الاستعلاء في على (قلت) هو وارد على طريق المثل أي يثبت اتيانه في الاعين ويتمكن فيها ثبات الراكب على المركوب وتمكنه منه (لعلهم يشهدون) عليه بما سمع منه وبما فعله أو يحضرون عقوبتنا له روي أن الخبر بلغ نمرود وأشراف قومه فأمروا باحضاره * هذا من معاريض الكلام ولطائف هذا النوع لا يتغلغل فيها الا أذهان الراضة من علماء المعاني والقول فيه أن قصد ابراهيم صلوات الله عليه لم يكن الى أن ينسب الفعل الصادر عنه الى الصنم وانما قصد تقريره لنفسه واثباته لها على أسلوب تعريضي يبلغ فيه غرضه من الزامهم الحجة وتبكيتهم وهذا كما لو قال لك صاحبك وقد كتبت كتابا بخط رشيق وأنت شهير بحسن الخط أأنت كتبت هذا وصاحبك أمي لا يحسن الخط ولا يقدر الا على خرمشة فاسدة فقلت له بل كتبته أنت كان قصدك بهذا الجواب تقريره لك مع الاستهزاء به لا نفيه عنك واثباته للامي أو المخرمش لان اثباته والامر دائر بينكما للعاجز منكما استهزاء به واثبات للقادر ولقائل أن يقول غاظته تلك الاصنام حين أبصرها مصطفة مرتبة وكان غيظ كبيرها أكبر وأشد لما رأى من زيادة تعظيمهم له فاسند الفعل اليه لانه هو الذي تسبب لاستهانته بها وحطمه لها والفعل كما يسند الى مباشره يسند الى الحامل عليه ويجوز أن يكون حكاية لما يقود الى تجويزه مذهبهم كأنه قال لهم ما تنكرون أن يفعله كبيرهم فان من حق من يعبد ويدعى الها أن يقدر على هذا وأشد منه ويحكى انه قال فعله كبيرهم هذا غضب أن تعبد معه هذه الصغار وهو أكبر منها * وقرأ محمد بن السميفع فعله كبيرهم يعني فلعله أي فلعل الفاعل كبيرهم * فلما ألقمهم الحجر وأخذ بمخانقهم رجعوا الى أنفسهم فقالوا أنتم الظالمون على الحقيقة لا من ظلمتموه حين قلتم من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين * نكسته قلبته فجعلت أسفله أعلاه وانتكس انقلب أي استقاموا حين رجعوا الى أنفسهم وجاؤا بالفكرة الصالحة ثم انتكسوا وانقلبوا عن تلك الحالة فأخذوا في المجادلة بالباطل والمكابرة وان هؤلاء مع تقاصر حالها عن حال الحيوان الناطق آلهة معبودة مضارة منهم أو انتكسوا عن كونهم مجادلين لابراهيم عليه السلام مجادلين عنه حين نفوا عنها القدرة على النطق أو قلبوا على رؤسهم حقيقة لفرط اطراقهم خجلا وانكسارا وانخزالا مما بهتهم به ابراهيم عليه السلام فما أحاروا جوابا الا ما هو حجة عليهم وقرئ نكسوا بالتشديد ونكسوا على لفظ ما سمي فاعله أي نكسوا أنفسهم على رؤسهم قرأ به رضوان بن عبد المعبود (أف) صوت اذا صوت به علم أن صاحبه متضجر أضجره ما رأى من ثباتهم على عبادتها بعد انقطاع عذرهم وبعد وضوح الحق وزهوق الباطل فتأفف بهم واللام لبيان المتأفف به أي لكم ولآلهتكم هذا التأفف * أجمعوا رأيهم لما غلبوا باهلاكه وهكذا المبطل اذا قرعت شبهته بالحجة وافتضح لم يكن أحد أبغض اليه من المحق ولم يبق له مفزع الا مناصبته كما فعلت قريش برسول الله صلى الله عليه وسلم حين عجزوا عن المعارضة والذي أشار باحراقه نمروذ وعن ابن عمر رضي الله عنهما رجل من أعراب العجم يريد الاكراد وروي أنهم حين هموا باحراقه حبسوه ثم بنوا بيتا كالحظيرة بكوثى وجمعوا شهرا أصناف الخشب الصلاب حتى ان كانت المرأة لتمرض فتقول ان عافاني الله لاجمعن حطبا لابراهيم عليه السلام ثم أشعلوا نارا عظيمة كادت الطير تحترق في الجو من وهجها ثم وضعوه في المنجنيق مقيدا مغلولا فرموا به فيها فناداها جبريل عليه السلام (يا نار كوني بردا وسلاما) ويحكى ما أحرقت منه الا وثاقه وقال له جبريل عليه السلام حين رمي به هل لك حاجة فقال أما اليك فلا قال فسل ربك قال

قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم قالوا فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فاسئلوهم ان كانوا ينطقون فرجعوا الى أنفسهم فقالوا انكم أنتم الظالمون ثم نكسوا على رؤسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون قال أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيأ ولا يضركم أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم

حسبي من سؤالي علمه بحالي وعن ابن عباس رضي الله عنه انما نجا بقوله حسبي الله ونعم الوكيل وأطل عليه نمروذ من الصرح فاذا هو في روضة ومعه جليس له من الملائكة فقال اني مقرب الى الهك فذبح أربعة آلاف بقرة وكف عن ابراهيم وكان ابراهيم صلوات الله وسلامه عليه اذ ذاك ابن ست عشرة سنة واختاروا المعاقبة بالنار لانها أهول ما يعاقب به وأفظعه ولذلك جاء لا يعذب بالنار الا خالقها ومن ثم قالوا (ان كنتم فاعلين) أي ان كنتم ناصرين آلهتكم نصرا مؤزرا فاختاروا له أهول المعاقبات وهي الاحراق بالنار والا فرطتم في نصرتها ولهذا عظموا النار وتكلفوا في تشهير أمرها وتفخيم شأنها ولم يألوا جهدا في ذلك جعلت النار لمطاوعتها فعل الله وارادته كمأمور أمر بشئ فامتثله والمعنى ذات برد وسلام فبولغ في ذلك كأن ذاتها برد وسلام والمراد ابردي فيسلم منك ابراهيم أو ابردي بردا غير ضار وعن ابن عباس رضي الله عنه لو لم يقل ذلك لاهلكته بردها (فان قلت) كيف بردت النار وهي نار (قلت) نزع الله عنها طبعها الذي طبعها عليه من الحر والاحراق وأبقاها على الاضاءة والاشراق والاشتعال كما كانت والله على كل شئ قدير ويجوز أن يدفع بقدرته عن جسم ابراهيم عليه السلام أذى حرها ويذيقه فيها عكس ذلك كما يفعل بخزنة جهنم ويدل عليه قوله (على ابراهيم) * وأرادوا أن يكيدوه ومكروا به فما كانوا الا مغلوبين مقهورين غالبوه بالجدال فغلبه الله ولقنه بالمبكت وفزعوا الى القوة والجبروت فنصره وقواه * نجيا من العراق الى الشام وبركاته الواصلة الى العالمين أن أكثر الانبياء عليهم السلام بعثوا فيه فانتشرت في العالمين شرائعهم وآثارهم الدينية وهي البركات الحقيقية وقيل بارك الله فيه بكثرة الماء والشجر والثمر والخصب وطيب عيش الغني والفقير وعن سفيان أنه خرج الى الشام فقيل له الى أين فقال الى بلد يملأ فيه الجراب بدرهم وقيل ما من ماء عذب الا وينبع أصله من تحت الصخرة التي ببيت المقدس وروي أنه نزل بفلسطين ولوط بالمؤتفكة وبينهما مسيرة يوم وليلة * النافلة ولد الولد وقيل سأل اسحق فأعطيه وأعطي يعقوب نافلة أي زيادة وفضلا من غير سؤال (يهدون بأمرنا) فيه أن من صلح ليكون قدوة في دين الله فالهداية محتومة عليه مأمور هو بها من جهة الله ليس له أن يخل بها ويتثاقل عنها وأول ذلك أن يهتدي بنفسه لان الانتفاع بهداه أعم والنفوس الى الاقتداء بالمهدي أميل (فعل الخيرات) أصله أن تفعل الخيرات ثم فعلا الخيرات ثم فعل الخيرات * وكذلك اقام الصلاة وايتاء الزكاة (حكما) حكمة وهو ما يجب فعله أو فصلا بين الخصوم وقيل هو النبوة * والقرية سدوم أي في أهل رحمتنا أو في الجنة ومنه الحديث هذه رحمتي أرحم بها من أشاء (من قبل) من قبل هؤلاء المذكورين * هو نصر الذي مطاوعه انتصر وسمعت هذليا يدعو على سارق اللهم انصرهم منه أي اجعلهم منتصرين منه * والكرب الطوفان وما كان فيه من تكذيب قومه * أي واذكرهما واذ بدل منهما * والنفش الانتشار بالليل * وجمع الضمير لانه أرادهما والمتحاكمين اليهما وقرئ لحكمهما * والضمير في (ففهمناها) للحكومة أو الفتوى وقرئ فأفهمناها حكم داود بالغنم لصاحب الحرث فقال سليمان عليه السلام وهو ابن احدى عشرة سنة غير هذا أرفق بالفريقين فعزم عليه ليحكمن فقال أرى أن تدفع الغنم الى أهل الحرث ينتفعون بألبانها وأولادها وأصوافها والحرث الى أرباب الشاء يقومون عليه حتى يعود كهيئته يوم أفسد ثم يترادان فقال القضاء ما قضيت وأمضى الحكم بذلك (فان قلت) أحكما بوحي أم باجتهاد (قلت) حكما جميعا بالوحي الا أن حكومة داود نسخت بحكومة سليمان عليهما السلام وقيل اجتهدا جميعا فجاء اجتهاد سليمان عليه السلام أشبه بالصواب (فان قلت) ما وجه كل واحدة من الحكومتين (قلت) أما وجه حكومة داود عليه السلام فلأن الضرر لما وقع بالغنم سلمت بجنايتها الى المجني عليه كما قال أبو حنيفة رضي الله عنه في العبد اذا جنى على النفس يدفعه المولى بذلك أو يفديه وعند الشافعي رضي الله عنه يبيعه في ذلك أو يفديه ولعل قيمة الغنم كانت على قدر النقصان في الحرث ووجه حكومة سليمان عليه السلام أنه جعل الانتفاع بالغنم بازاء ما فات من الانتفاع بالحرث من غير أن يزول ملك المالك عن الغنم وأوجب على صاحب الغنم أن يعمل في الحرث حتى يزول الضرر والنقصان مثاله ما قال أصحاب الشافعي فيمن غصب عبدا فأبق من يده أنه يضمن

ان كنتم فاعلين قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم وأرادوا به كيدا فجعلناهم الاخسرين ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلوة وايتاء الزكوة وكانوا لنا عابدين ولوطا آتيناه حكما وعلما ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث انهم كانوا قوم سوء فاسقين وأدخلناه في رحمتنا انه من الصالحين ونوحا اذ نادى من قبل فاستجبنا له فنجيناه وأهله من الكرب العظيم ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا انهم كانوا قوم سوء فأغرقناهم أجمعين وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان

القيمة فينتفع بها المغصوب منه بازاء ما فوته الغاصب من منافع العبد فاذا ظهر ترادا (فان قلت) فلو وقعت هذه الواقعة في شريعتنا ما حكمها (قلت) أبو حنيفة وأصحابه رضي الله عنهم لا يرون فيه ضمانا بالليل أو بالنهار الا أن يكون مع البهيمة سائق أو قائد والشافعي رضي الله عنه يوجب الضمان بالليل وفي قوله ففهمناها سليمان دليل على أن الاصوب كان مع سليمان عليه السلام وفي قوله (وكلا آتينا حكما وعلما) دليل على أنهما جميعا كانا على الصواب (يسبحن) حال بمعنى مسبحات أو استئناف كأن قائلا قال كيف سخرهن فقال يسبحن (والطير) اما معطوف على الجبال أو مفعول معه (فان قلت) لم قدمت الجبال على الطير (قلت) لان تسخيرها وتسبيحها أعجب وأدل على القدرة وأدخل في الاعجاز لانها جماد والطير حيوان الا أنه غير ناطق روي أنه كان يمر بالجبال مسبحا وهي تجاوبه وقيل كانت تسير معه حيث سار (فان قلت) كيف تنطق الجبال وتسبح (قلت) بان يخلق الله فيها الكلام كما خلقه في الشجرة حين كلم موسى وجواب آخر وهو أن يسبح من رآها تسير بتسيير الله فلما حملت على التسبيح وصفت به (وكنا فاعلين) أي قادرين على أن نفعل هذا وان كان عجبا عندكم وقيل وكنا نفعل بالانبياء مثل ذلك * اللبوس اللباس قال * البس لكل حالة لبوسها * والمراد الدرع قال قتادة كانت صفائح فأول من سردها وحلقها داود فجمعت الخفة والتحصين (لتحصنكم) قرئ بالنون والياء والتاء وتخفيف الصاد وتشديدها فالنون لله عز وجل والتاء للصنعة أو للبوس على تأويل الدرع والياء لداود أو للبوس * قرئ الريح والرياح بالرفع والنصب فيهما فالرفع على الابتداء والنصب على العطف على الجبال (فان قلت) وصفت هذه الرياح بالعصف تارة وبالرخاوة أخرى فما التوفيق بينهما (قلت) كانت في نفسها رخية طيبة كالنسيم فاذا مرت بكرسيه أبعدت به في مدة يسيرة على ما قال غدوها شهر ورواحها شهر فكان جمعها بين الامرين أن تكون رخاء في نفسها وعاصفة في عملها مع طاعتها لسليمان وهبوبها على حسب ما يريد ويحتكم آية الى آية ومعجزة الى معجزة وقيل كانت في وقت رخاء وفي وقت عاصفا لهبوبها على حكم ارادته * وقد أحاط علمنا بكل شئ فنجري الاشياء كلها على ما يقتضيه علمنا وحكمتنا * أي يغوصون له في البحار فيستخرجون الجواهر ويتجاوزون ذلك الى الاعمال والمهن وبناء المدائن والقصور واختراع الصنائع العجيبة كما قال يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل * والله حافظهم أن يزيغوا عن أمره أو يبدلوا أو يغيروا أو يوجد منهم فساد في الجملة فيما هم مسخرون فيه * أي ناداه بأني مسني الضر وقرئ اني بالكسر على اضمار القول أو لتضمن النداء معناه * والضر بالفتح الضرر في كل شئ وبالضم الضرر في النفس من مرض وهزال فرق بين البناءين لافتراق المعنيين ألطف في السؤال حيث ذكر نفسه بما يوجب الرحمة وذكر ربه بغاية الرحمة ولم يصرح بالمطلوب ويحكى أن عجوزا تعرضت لسليمان بن عبد الملك فقالت يا أمير المؤمنين مشت جرذان بيتي على العصي فقال لها ألطفت في السؤال لا جرم لأردنها تثب وثب الفهود وملأ بيتها حبا كان أيوب عليه السلام روميا من ولد اسحق بن يعقوب عليهم السلام وقد استنبأه الله وبسط عليه الدنيا وكثر أهله وماله كان له سبعة بنين وسبع بنات وله أصناف البهائم وخمسمائة فدان يتبعها خمسمائة عبد لكل عبد امرأة وولد ونخيل فابتلاه الله بذهاب ولده انهدم عليهم البيت فهلكوا وبذهاب ماله وبالمرض في بدنه ثماني عشرة سنة وعن قتادة ثلاث عشرة سنة وعن مقاتل سبعا وسبعة أشهر وسبع ساعات وقالت له امرأته يوما لو دعوت الله فقال لها كم كانت مدة الرخاء فقالت ثمانين سنة فقال أنا أستحي من الله أن أدعوه وما بلغت مدة بلائي مدة رخائي فلما كشف الله عنه أحيا ولده ورزقه مثلهم ونوافل منهم وروي أن امرأته ولدت بعد ستة وعشرين ابنا * أي لرحمتنا العابدين وأنا نذكرهم بالاحسان لا ننساهم أو رحمة منا لايوب وتذكرة لغيره من العابدين ليصبروا كما صبر حتى يثابوا كما أثيب في الدنيا والآخرة * قيل في ذي الكفل هو الياس وقيل زكريا وقيل يوشع بن نون وكأنه سمي بذلك لانه ذو الحظ من الله والمجدود على الحقيقة وقيل كان له ضعف عمل الانبياء في زمانه وضعف ثوابهم وقيل خمسة من الانبياء ذوو اسمين

وكلا آتينا حكما وعلما وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون ولسليمان الريح عاصفة تجري بأمره الى الارض التي باركنا فيها وكنا بكل شئ عالمين ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون عملا دون ذلك وكنا لهم حافظين وأيوب اذ نادى ربه أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين واسمعيل وادريس وذا الكفل كل من الصابرين وأدخلناهم في رحمتنا انهم من الصالحين

* قوله تعالى ولسليمان الريح عاصفة (قال ان قلت قد وصفت هذه الريح بانها رخاء وبانها عاصف فما وجه ذلك قلت ما هي الا جمع بينهما وكانت في نفسها رخاء طيبة وفي سرعة حركتها كالعاصف) قال أحمد وهذا كما ورد وصف عصا موسى تارة بانها جان وتارة بانها ثعبان والجان الرقيق من الحيات والثعبان العظيم الجافي منها ووجه ذلك أنها جمعت الوصفين فكانت في خفتها وفي سرعة حركتها كالجان وكانت في عظم خلقها كالثعبان ففي كل واحد من الريح والعصا على هذا التقرير معجزتان والله سبحانه وتعالى أعلم

* قوله تعالى فنفخنا فيه من روحنا (قال ان قلت نفخ الروح في الجسد عبارة عن احيائه وحينئذ يكون معناه فأحيينا مريم ويشكل اذ انك قلت معناه فنفخنا الروح في (٥٢) عيسى في مريم أي أحييناه في جوفها انتهى كلامه) قال أحمد وقد اختار الزمخشري في قوله عز وجل اذ أوحينا الى أمك ما يوحى أن اقذفيه في التابوت فاقذفيه في اليم فليلقه اليم بالساحل أن تكون الضمائر كلها راجعة الى موسى أما الأول فلا اشكال فيه وأما التابوت اذا قذف في اليم وموسى فيه فقد قذف موسى في اليم وكذلك الثالث واختار غيره عود الضميرين الأخيرين الى التابوت لأنه فهم من قوله فاقذفيه تحبيرا في اليم أن المراد التابوت وأما موسى فلم يقذف في اليم والزمخشري نزل قذف التابوت في اليم وموسى فيه منزلة قذفه في اليم وفي هذه الآية مصداق لما اختاره فان الله تعالى نزل نفخ الروح في عيسى لكونه في جوف مريم منزلة نفخ الروح في مريم فعبر عما يفهم ظاهره هذا

وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا اله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين وزكريا اذ نادى ربه رب لا تذرني فردا وأنت خير الوارثين فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه انهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين ان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون وتقطعوا أمرهم بينهم كل الينا راجعون فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران

اسرائيل ويعقوب الياس وذو الكفل عيسى والمسيح يونس وذو النون محمد وأحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين (النون) الحوت فأضيف اليه برم بقومه لطول ما ذكرهم فلم يذكروا وأقاموا على كفرهم فراغمهم وظن أن ذلك يسوغ حيث لم يفعله الا غضبا لله وأنفة لدينه وبغضا للكفر وأهله وكان عليه أن يصابر وينتظر الاذن من الله في المهاجرة عنهم فابتلي ببطن الحوت * ومعنى مغاضبته لقومه أنه أغضبهم بمفارقته لخوفهم حلول العقاب عليهم عندها وقرأ أبو شرف مغضبا * قرئ نقدر ونقدر مخففا ومثقلا ويقدر بالياء بالتخفيف ويقدر ويقدر على البناء للمفعول مخففا ومثقلا وفسرت بالتضييق عليه وبتقدير الله عليه عقوبة وعن ابن عباس أنه دخل على معاوية فقال لقد ضربتني أمواج القرآن البارحة فغرقت فيها فلم أجد لنفسي خلاصا الا بك قال وما هي يا معاوية فقرأ هذه الآية وقال أو يظن نبي الله أن لا يقدر عليه قال هذا من القدر لا من القدرة والمخفف يصح أن يفسر بالقدرة على معنى أن لن نعمل فيه قدرتنا وأن يكون من باب التمثيل بمعنى فكانت حاله ممثلة بحال من ظن أن لن نقدر عليه في مراغمته قومه من غير انتظار لأمر الله ويجوز أن يسبق ذلك الى وهمه بوسوسة الشيطان ثم يردعه ويرده بالبرهان كما يفعل المؤمن المحقق بنزغات الشيطان وما يوسوس اليه في كل وقت ومنه قوله تعالى وتظنون بالله الظنونا والخطاب للمؤمنين (في الظلمات) أي في الظلمة الشديدة المتكاثفة في بطن الحوت كقوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات وقوله يخرجونهم من النور الى الظلمات وقيل ظلمات بطن الحوت والبحر والليل وقيل ابتلع حوته حوت أكبر منه فحصل في ظلمتي بطني الحوتين وظلمة البحر * أي بأنه (لا اله الا أنت) أو بمعنى أي عن النبي صلى الله عليه وسلم ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء الا استجيب له وعن الحسن ما نجاه والله الا اقراره على نفسه بالظلم (ننجي) وننجي ونجي والنون لا تدغم في الجيم ومن تمحل لصحته فجعله فعل وقال نجي النجاء المؤمنين فأرسل الياء وأسنده الى مصدره ونصب المؤمنين بالنجاء فمتعسف بارد التعسف * سأل ربه أن يرزقه ولدا يرثه ولا يدعه وحيدا بلا وارث ثم رد أمره الى الله مستسلما فقال (وأنت خير الوارثين) أي ان لم ترزقني من يرثني فلا أبالي فانك خير وارث * اصلاح زوجه أن جعلها صالحة للولادة بعد عقرها وقيل تحسين خلقها وكانت سيئة الخلق * الضمير للمذكورين من الانبياء عليهم السلام يريد أنهم ما استحقوا الاجابة الى طلباتهم الا لمبادرتهم أبواب الخير ومسارعتهم في تحصيلها كما يفعل الراغبون في الامور الجادون * وقرئ (رغبا ورهبا) بالاسكان وهو كقوله تعالى يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه (خاشعين) قال الحسن ذللا لأمر الله وعن مجاهد الخشوع الخوف الدائم في القلب وقيل متواضعين وسئل الاعمش فقال أما اني سألت ابراهيم فقال ألا تدري قلت أفدني قال بينه وبين الله اذا أرخى ستره وأغلق بابه فلير الله منه خيرا لعلك ترى أنه أن يأكل خشنا ويلبس خشنا ويطأطئ رأسه (أحصنت فرجها) احصانا كليا من الحلال والحرام جميعا كما قالت ولم يمسسني بشر ولم أك بغيا * (فان قلت) نفخ الروح في الجسد عبارة عن احيائه قال الله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي أي أحييته واذا ثبت ذلك كان قوله (فنفخنا فيها من روحنا) ظاهر الاشكال لأنه يدل على احياء مريم (قلت) معناه نفخنا الروح في عيسى فيها أي أحييناه في جوفها ونحو ذلك أن يقول الزمار نفخت في بيت فلان أي نفخت في المزمار في بيته ويجوز أن يراد وفعلنا النفخ في مريم من جهة روحنا وهو جبريل عليه السلام لأنه نفخ في جيب درعها فوصل النفخ الى جوفها (فان قلت) هلا قيل آيتين كما قال وجعلنا الليل والنهار آيتين (قلت) لأن حالهما بمجموعهما آية واحدة وهي ولادتها اياه من غير فحل * الأمة الملة وهذه اشارة الى ملة الاسلام أي ان ملة الاسلام هي ملتكم التي يجب أن تكونوا عليها لا تنحرفون عنها يشار اليها ملة واحدة غير مختلفة (وأنا) الهكم اله واحد (فاعبدون) ونصب الحسن أمتكم على البدل من هذه ورفع أمة

خبرا وعنه ورفعهما جميعا خبرين لهذه أو نوى للثاني مبتدأ والخطاب للناس كافة * والأصل وتقطعتم الى أن
الكلام حرف الى الغيبة على طريقة الالتفات كأنه ينعى عليهم ما أفسدوه الى آخرين ويقبح عندهم فعلهم
ويقول لهم ألا ترون الى عظيم ما ارتكب هؤلاء في دين الله والمعنى جعلوا أمر دينهم فيما بينهم قطعا كما يتوزع
الجماعة الشيء ويتقسمونه فيطير لهذا نصيب ولذاك نصيب تمثيلا لاختلافهم فيه وصيرورتهم فرقا وأحزابا
شتى * ثم توعدهم بأن هؤلاء الفرق المختلفة اليه يرجعون فهو محاسبهم ومجازيهم * الكفران مثل في حرمان
الثواب كما أن الشكر مثل في اعطائه اذا قيل لله شكور وقد نفى نفي الجنس ليكون أبلغ من أن يقول فلا
نكفر سعيه (وانا له كاتبون) أي نحن كاتبو ذلك السعي ومثبتوه في صحيفة عمله وما نحن مثبتوه فهو غير
ضائع ومثاب عليه صاحبه * استعير الحرام للممتنع وجوده ومنه قوله عز وجل ان الله حرمهما على
الكافرين أي منعهما منهم وأبى ان يكونا لهم * وقرئ حرم وحرم بالفتح والكسر وحرم وحرم * ومعنى
(أهلكناها) عزمنا على اهلاكها أو قدرنا اهلاكها * ومعنى الرجوع الرجوع من الكفر الى الاسلام
والانابة ومجاز الآية أن قوما عزم الله على اهلاكهم غير متصور أن يرجعوا وينيبوا الى أن تقوم القيامة
فحينئذ يرجعون ويقولون يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين يعني أنهم مطبوع على قلوبهم
فلا يزالون على كفرهم ويموتون عليه حتى يروا العذاب وقرئ انهم بالكسر وحق هذا أن يتم الكلام قبله
فلا بد من تقدير محذوف كأنه قيل وحرام على قرية أهلكناها ذاك وهو المذكور في الآية المتقدمة من
العمل الصالح والسعي المشكور غير المكفور ثم علل فقيل انهم لا يرجعون عن الكفر فكيف لا يمتنع ذلك
والقراءة بالفتح يصح حملها على هذا أي لأنهم لا يرجعون ولا صلة على الوجه الأول (فان قلت) بم تعلقت
(حتى) واقعة غاية له وأية الثلاث هي (قلت) هي متعلقة بحرام وهي غاية له لأن امتناع رجوعهم لا يزول
حتى تقوم القيامة وهي حتى التي يحكى بعدها الكلام والكلام المحكي الجملة من الشرط والجزاء أعني اذا
وما في حيزها * حذف المضاف الى (يأجوج ومأجوج) وهو سدهما كما حذف المضاف الى القرية وهو أهلها
وقيل فتحت كما قيل أهلكناها وقرئ آجوج وهما قبيلتان من جنس الانس يقال الناس عشرة أجزاء تسعة
منها يأجوج ومأجوج (وهم) راجع الى الناس المسوقين الى المحشر وقيل هم يأجوج ومأجوج يخرجون
حين يفتح السد * الحدب النشز من الأرض وقرأ ابن عباس رضي الله عنه من كل جدث وهو القبر الثاء
حجازية والفاء تميمية * وقرئ (ينسلون) بضم السين ونسل وعسل أسرع و (اذا) هي اذا المفاجأة وهي تقع
في المجازاة سادة مسد الفاء كقوله تعالى اذا هم يقنطون فاذا جاءت الفاء معها تعاونتا على وصل الجزاء بالشرط
فيتأكد ولو قيل اذا هي شاخصة أو فهي شاخصة كان سديدا (هي) ضمير مبهم توضحه الأبصار وتفسره كما
فسر الذين ظلموا وأسروا (يا ويلنا) متعلق بمحذوف تقديره يقولون يا ويلنا ويقولون في موضع الحال من
الذين كفروا (وما تعبدون من دون الله) يحتمل الأصنام وابليس وأعوانه لأنهم بطاعتهم لهم واتباعهم
خطواتهم في حكم عبدتهم ويصدقه ما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل المسجد وصناديد قريش
في الحطيم وحول الكعبة ثلثمائة وستون صنما فجلس اليهم فعرض له النضر بن الحرث فكلمه رسول الله
صلى الله عليه وسلم حتى أفحمه ثم تلا عليهم انكم وما تعبدون من دون الله الآية فأقبل عبد الله بن الزبعرى
فرآهم يتهامسون فقال فيم خوضكم فأخبره الوليد بن المغيرة بقول رسول الله فقال عبد الله أما والله لو وجدته
لخصمته فدعوه فقال ابن الزبعرى أأنت قلت ذلك قال نعم قال قد خصمتك ورب الكعبة أليس اليهود
عبدوا عزيرا والنصارى عبدوا المسيح وبنو مليح عبدوا الملائكة فقال صلى الله عليه وسلم بل هم عبدوا
الشياطين التي أمرتهم بذلك فأنزل الله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية يعني عزيرا والمسيح
والملائكة عليهم السلام (فان قلت) لم قرنوا بآلهتهم (قلت) لأنهم لا يزالون لمقارنتهم في زيادة غم وحسرة
حيث أصابهم ما أصابهم بسببهم والنظر الى وجه العدو باب من العذاب ولأنهم قدروا أنهم يستشفعون
بهم في الآخرة ويستنفعون بشفاعتهم فاذا صادفوا الأمر على عكس ما قدروا لم يكن شيء أبغض اليهم منهم

لسعيه وانا له كاتبون
وحرام على قرية أهلكناها
أنهم لا يرجعون حتى
اذا فتحت يأجوج
ومأجوج وهم من كل
حدب ينسلون واقترب
الوعد الحق فاذا هي
شاخصة أبصار الذين
كفروا يا ويلنا قد كنا
في غفلة من هذا بل كنا
ظالمين انكم وما تعبدون
من دون الله حصب
جهنم أنتم لها واردون
لو كان هؤلاء آلهة
ما وردوها وكل

(فإن قلت) إذا عنيت بما تعبدون الأصنام فما معنى (لهم فيها زفير) (قلت) إذا كانوا هم وأصنامهم في قرن واحد جاز أن يقال لهم زفير وإن لم يكن الزافرين إلا هم دون الأصنام للتغليب ولعدم الإلباس * والحصب المحصوب به أي يحصب بهم في النار والحصب الرمي وقرئ بسكون الصاد وصفا بالمصدر وقرئ حطب وحضب بالضاد متحركا وساكنا * وعن ابن مسعود يجعلون في توابيت من نار فلا يسمعون ويجوز أن يصمهم الله كما يعميهم (الحسنى) الخصلة المفضلة في الحسن تأنيث الأحسن إما السعادة وإما البشرى بالثواب وإما التوفيق للطاعة * روي أن عليا رضي الله عنه قرأ هذه الآية ثم قال أنا منهم وأبو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف ثم أقيمت الصلاة فقام يجر رداءه وهو يقول (لا يسمعون حسيسها) والحسيس الصوت يحس * والشهوة طلب النفس اللذة * وقرئ (لا يحزنهم) من أحزن و(الفزع الأكبر) قيل النفخة الأخيرة بقوله تعالى يوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الأرض وعن الحسن الانصراف إلى النار وعن الضحاك حين يطبق على النار وقيل حين يذبح الموت على صورة كبش أملح * أي تستقبلهم (الملائكة) مهنئين على أبواب الجنة ويقولون هذا وقت ثوابكم الذي وعدكم ربكم قد حل * العامل في (يوم نطوي) لا يحزنهم أو الفزع أو تتلقاهم وقرئ تطوى السماء على البناء للمفعول * (والسجل) بوزن العتل والسجل بلفظ الدلو وروي فيه الكسر وهو الصحيفة أي كما يطوى الطومار للكتابة أي ليكتب فيه أو لما يكتب فيه لأن الكتاب أصله المصدر كالبناء ثم يوقع على المكتوب ومن جمع فمعناه للمكتوبات أي لما يكتب فيه من المعاني الكثيرة وقيل السجل ملك يطوي كتب بني آدم إذا رفعت إليه وقيل كاتب كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم والكتاب على هذا اسم الصحيفة المكتوب فيها (أول خلق) مفعول نعيد الذي يفسره (نعيده) والكاف مكفوفة بما والمعنى نعيد أول الخلق كما بدأناه تشبيها للإعادة بالإبداء في تناول القدرة لهما على السواء (فإن قلت) وما أول الخلق حتى يعيده كما بدأه (قلت) أوله إيجاده عن العدم فكما أوجده أولا عن عدم يعيده ثانيا عن عدم (فإن قلت) ما بال خلق منكرا (قلت) هو كقولك هو أول رجل جاءني تريد أول الرجال ولكنك وحدته ونكرته إرادة تفصيلهم رجلا رجلا فكذلك معنى أول خلق بمعنى أول الخلائق لأن الخلق مصدر لا يجمع ووجه آخر وهو أن ينتصب الكاف بفعل مضمر يفسره نعيده وما موصولة أي نعيد مثل الذي بدأناه نعيده وأول خلق ظرف لبدأناه أي أول ما خلق أو حال من ضمير الموصول الساقط من اللفظ الثابت في المعنى (وعدا) مصدر مؤكد لأن قوله نعيده عدة للإعادة (إنا كنا فاعلين) أي قادرين على أن نفعل ذلك عن الشعبي رحمه الله * زبور داود عليه السلام * والذكر التوراة وقيل اسم لجنس ما أنزل على الأنبياء من الكتب والذكر أم الكتاب يعني اللوح * أي يرثها المؤمنون بعد إجلاء الكفار كقوله تعالى وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين وعن ابن عباس رضي الله عنهما هي أرض الجنة وقيل الأرض المقدسة ترثها أمة محمد صلى الله عليه وسلم * الإشارة إلى المذكور في هذه السورة من الأخبار والوعد والوعيد والمواعظ البالغة * والبلاغ الكفاية وما تبلغ به البغية * أرسل صلى الله عليه وسلم (رحمة للعالمين) لأنه جاء بما يسعدهم إن اتبعوه ومن خالف ولم يتبع فإنما أتي من عند نفسه حيث ضيع نصيبه منها ومثاله أن يفجر الله عينا غديقة فيسقي ناس زروعهم ومواشيهم بمائها فيفلحوا ويبقى ناس مفرطون عن السقي فيضيعوا فالعين المفجرة في نفسها نعمة من الله ورحمة للفريقين ولكن الكسلان محنة

لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون إن في هذا لبلاغا لقوم عابدين وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين

* قوله تعالى كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين (قال فيه إن قلت ما أول الخلق حتى يعيده كما بدأه قلت أول الخلق إيجاد من العدم وكما أوجده أولا عن عدم يعيده ثانيا عن عدم) قلت أول الخلق إيجاد من هذا الذي ذكره ههنا في إيماده قد عاد به إلى الحق ورجع عما قاله في سورة مريم حيث (٥٤) فسر الإعادة بجمع المتفرق خاصة إلا أنه كدر صفو اعترافه بالحق بتفسير قوله إنا كنا فاعلين القدرة على الفعل ولا يلزم من هذا من القدرة على الفعل حصوله تحقيقا على أن الموعود به إنما هو إعادة الأجسام عن عدم وإن كانت القدرة صالحة لذلك ولكن إعادة الأجزاء على صورها المجتمعة مؤتلفة على ما تقدم له في سورة مريم إلا أن يكون الباعث له على تفسير الفعل بالقدرة أن الفعل [illegible] أو لم [illegible] ووقوعه مستقبل فعين تفسيره من ثم حمل الفعل على القدرة على فقد قارب ومع ذلك فالحق بقاء الفعل على ظاهره لأن الأفعال المستقبلة التي علم الله وقوعها كالماضية في التحقق فمن ثم عبر عن المستقبل بالماضي في مواضع كثيرة من الكتاب العزيز والغرض الإيذان بتحقيق وقوعه والله أعلم

على نفسه حيث حرمها ما ينفعها وقيل كونه رحمة للفجار من حيث ان عقوبتهم أخرت بسببه وأمنوا به عذاب الاستئصال * انما لقصر الحكم على شئ أو لقصر الشئ على حكم كقولك انما زيد قائم وانما يقوم زيد وقد اجتمع المثالان في هذه الآية لان (انما يوحى الي) مع فاعله بمنزلة انما يقوم زيد و(أنما الهكم اله واحد) بمنزلة انما زيد قائم وفائدة اجتماعهما الدلالة على أن الوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقصور على استئثار الله بالوحدانية وفي قوله فهل أنتم مسلمون أن الوحي الوارد على هذا السنن موجب أن تخلصوا التوحيد لله وان تخلعوا الانداد وفيه أن صفة الوحدانية يصح أن تكون طريقها السمع ويجوز أن يكون المعنى ان الذي يوحى الي فتكون ما موصولة * آذن منقول من أذن اذا علم ولكنه كثر استعماله في الجري مجرى الانذار ومنه قوله تعالى فأذنوا بحرب من الله ورسوله * وقول ابن حلزة

* آذنتنا ببينها أسماء * والمعنى أني بعد توليكم واعراضكم عن قبول ما عرض عليكم من وجوب توحيد الله وتنزيهه عن الانداد والشركاء كرجل بينه وبين أعدائه هدنة فأحس منهم بغدرة فنبذ اليهم العهد وشهر النبذ وأشاعه وآذنهم جميعا بذلك (على سواء) أي مستوين في الاعلام به لم يطوه عن أحد منهم وكاشف كلهم وقشر العصا عن لحائها (ما توعدون) من غلبة المسلمين عليكم كائن لا محالة ولا بد من أن يلحقكم بذلك الذلة والصغار وان كنت لا أدري متى يكون ذلك لان الله لم يعلمني علمه ولم يطلعني عليه والله عالم لا يخفى عليه ما تجاهرون به من كلام الطاعنين في الاسلام (وما تكتمون) في صدوركم من الاحن والاحقاد للمسلمين وهو مجازيكم عليه * وما أدري لعل تأخير هذا الموعد امتحان لكم لينظر كيف تعملون أو تمتيع لكم (الى حين) ليكون ذلك حجة عليكم وليقع الموعد في وقت هو فيه حكمة * قرئ (قل) وقال على حكاية قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و(رب احكم) على الاكتفاء بالكسرة ورب احكم على الضم وربي أحكم على أفعل التفضيل وربي أحكم من الاحكام أمر باستعجال العذاب لقومه فعذبوا ببدر * ومعنى (بالحق) لا تحابهم وشدد عليهم كما هو حقهم كما قال اشدد وطأتك على مضر * قرئ (تصفون) بالتاء والياء كانوا يصفون الحال على خلاف ما جرت عليه وكانوا يطمعون أن تكون لهم الشوكة والغلبة فكذب الله ظنونهم وخيب آمالهم ونصر رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وخذلهم * عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ اقترب للناس حسابهم حاسبه الله حسابا يسيرا وصافحه وسلم عليه كل نبي ذكر اسمه في القرآن

﴿سورة الحج مكية غير ست آيات وهي هذان خصمان الى قوله الى صراط الحميد وهي ثمان وسبعون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* الزلزلة شدة التحريك والازعاج وأن يضاعف زليل الاشياء عن مقارها ومراكزها * ولا تخلو (الساعة) من أن تكون على تقدير الفاعلة لها كأنها هي التي تزلزل الاشياء على المجاز الحكمي فتكون الزلزلة مصدرا مضافا الى فاعله أو على تقدير المفعول فيها على طريقة الاتساع في الظرف واجرائه مجرى المفعول به كقوله تعالى بل مكر الليل والنهار وهي الزلزلة المذكورة في قوله اذا زلزلت الارض زلزالها واختلف في وقتها فعن الحسن أنها تكون يوم القيامة وعن علقمة والشعبي عند طلوع الشمس من مغربها * أمر بني آدم بالتقوى ثم علل وجوبها عليهم بذكر الساعة ووصفها بأهول صفة لينظروا الى تلك الصفة ببصائرهم ويتصوروها بعقولهم حتى يبقوا على أنفسهم ويرحموها من شدائد ذلك اليوم بامتثال ما أمرهم به ربهم من التردي بلباس التقوى الذي لا يؤمنهم من تلك الافزاع الا أن يتردوا به وروى ان هاتين الآيتين نزلتا ليلا في غزوة بني المصطلق فقرأهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ير أكثر باكيا من تلك الليلة فلما أصبحوا لم يحطوا السروج عن الدواب ولم يضربوا الخيام وقت النزول ولم يطبخوا قدرا وكانوا من بين حزين وباك ومفكر (يوم ترونها) منصوب بتذهل والضمير للزلزلة * وقرئ تذهل كل مرضعة على البناء للمفعول وتذهل كل مرضعة أي

قل انما يوحى الي انما الهكم اله واحد فهل أنتم مسلمون فان تولوا فقل آذنتكم على سواء وان أدري أقريب أم بعيد ما توعدون انه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون وان أدري لعله فتنة لكم ومتاع الى حين قال رب احكم بالحق وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون

﴿سورة الحج مكية وهي ثمان وسبعون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شئ عظيم يوم ترونها تذهل كل

﴿القول في سورة الحج﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قوله تعالى يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وماهم بسكارى (قال يقال مرضع على النسب ومرضعة على أصل اسم الفاعل) قال أحمد والفرق بينهما أن وروده على النسب لا يلاحظ فيه حدوث الصفة المشتق منها ولكن مقتضاه أنه موصوف بها وعلى غير النسب يلاحظ حدوث الفعل (٥٦) وخروج الصفة عليه وكذلك هو في الآية لقوله عما أرضعت فأخرج الصفة على الفعل وألحقه التاء (قال وقوله وترى الناس سكارى وماهم بسكارى أثبت لهم أولا السكر المجازى ثم نفى عنهم السكر الحقيقي) قال أحمد والعلماء يقولون ان من أدلة المجاز صدق نقيضه كقولك للبليد حمار اذا وصفته بالبلادة ثم يصدق أن تقول وماهو بحمار فتنفى عنه الحقيقة فكذلك الآية بعد أن أثبت السكر المجازى نفى الحقيقي أبلغ نفى مؤكدا بالباء والسر في تأكيده التنبيه على أن هذا السكر الذي هو بهم في تلك الحالة ليس من المعهود في شيء وانما هو الحاقة أمر لم يعهدوا قبله مثله والاستدراك بقوله ولكن عذاب الله شديد راجع الى قوله وماهم بسكارى وكأنه تعليل لاثبات السكر المجازى كأنه قيل اذا لم يكونوا سكارى من الخمر وهو السكر المعهود فما هذا السكر الغريب وما سببه فقال سببه شدة عذاب الله تعالى ونقل عن جعفر بن محمد الصادق رضى الله عنه أنه قال هو الوقت الذي يقول كل من الانبياء عليهم الصلاة والسلام فيه نفسي نفسي

تذهلها الزلزلة والذهول الذهاب عن الامر مع دهشة * (فان قلت) لم قيل (مرضعة) دون مرضع (قلت) المرضعة التي هي في حال الارضاع ملقمة ثديها الصبي والمرضع التي شأنها أن ترضع وان لم تباشر الارضاع في حال وصفها به فقيل مرضعة ليدل على أن ذلك الهول اذا فوجئت به هذه وقد ألقمت الرضيع ثديها نزعته عن فيه لما يلحقها من الدهشة (عما أرضعت) عن ارضاعها أو عن الذي أرضعته وهو الطفل وعن الحسن تذهل المرضعة عن ولدها لغير فطام وتضع الحامل ما في بطنها لغير تمام * قرئ (وترى) بالضم من أريتك قائما أو رؤيتك قائما و (الناس) منصوب ومرفوع والنصب ظاهر ومن رفع جعل الناس اسم ترى وأنثه على تأويل الجماعة * وقرئ سكرى وبسكرى وهو نظير جوعى وعطشى في جوعان وعطشان وسكارى وبسكارى نحو كسالى وعجالى وعن الاعمش سكرى وبسكرى بالضم وهو غريب والمعنى وتراهم سكارى على التشبيه وماهم بسكارى على التحقيق ولكن ما رهقهم من خوف عذاب الله هو الذي أذهب عقولهم وطير تمييزهم وردهم في نحو حال من يذهب السكر بعقله وتمييزه وقيل وتراهم سكارى من الخوف وماهم سكارى من الشراب (فان قلت) لم قيل أولا ترون ثم قيل ترى على الافراد (قلت) لان الرؤية أولا علقت بالزلزلة فجعل الناس جميعا رائين لها وهي معلقة أخيرا بكون الناس على حال السكر فلا بد أن يجعل كل واحد منهم رائيا لسائرهم * قيل نزلت في النضر بن الحرث وكان جدلا يقول الملائكة بنات الله والقرآن أساطير الاولين والله غير قادر على احياء من بلى وصار ترابا وهي عامة في كل من تعاطى الجدال فيما يجوز على الله وما لا يجوز من الصفات والافعال ولا يرجع الى علم ولا يعض فيه بضرس قاطع وليس فيه اتباع للبرهان ولا نزول على النصفة فهو يخبط خبط عشواء غير فارق بين الحق والباطل (ويتبع) في ذلك خطوات (كل شيطان) عات * علم من حاله وظهر وتبين أنه من جعله وليا لم تثمر له ولايته الا الاضلال عن طريق الجنة والهداية الى النار وما أرى رؤساء أهل الاهواء والبدع والحشوية المتلقبين بالامامة في دين الله الا داخلين تحت كل هذا دخولا أوليا بل هم أشد الشياطين اضلالا وأقطعهم لطريق الحق حيث دونوا الضلال تدوينا ولقنوه أشياعهم تلقينا وكأنهم ساطوه بلحومهم ودمائهم واياهم عنى من قال

ويا رب مقفو الخطا بين قومه * طريق نجاة عندهم مستو نهج
ولو قرؤا في اللوح ما خط فيه من * بيان اعوجاج في طريقته عجوا

اللهم ثبتنا على المعتقد الصحيح الذي رضيته لملائكتك في سمواتك وأنبيائك في أرضك وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين * والكتبة عليه مثل أي كأنما كتب اضلال من يتولاه عليه ورقم به لظهور ذلك في حاله * وقرئ أنه فانه بالفتح والكسر فمن فتح فلان الاول فاعل كتب والثاني عطف عليه ومن كسر فعلى حكاية المكتوب كما هو كأنما كتب عليه هذا الكلام كما تقول كتبت ان الله هو الغني الحميد أو على تقدير قيل أو على أن كتب فيه معنى القول * قرأ الحسن من البعث بالتحريك ونظيره الجلب والطرد في الجلب والطرد كأنه قيل ان ارتبتم في البعث فمزيل ريبكم أن تنظروا في بدء خلقكم * والعلقة قطعة الدم الجامدة * والمضغة اللحمة الصغيرة قدر ما يمضغ * والمخلقة المسواة الملساء من النقصان والعيب يقال خلق السواك والعود اذا سواه وملسه من قولهم صخرة خلقاء اذا كانت ملساء كأن الله تعالى يخلق المضغ متفاوتة منها ما هو كامل

مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكرى وماهم بسكرى ولكن عذاب الله شديد ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد كتب عليه أنه من تولاه فانه يضله ويهديه الى عذاب السعير يا أيها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة

العلقة أملس من العيوب ومنها ما هو على عكس ذلك فيتبع ذلك التفاوت تفاوت الناس في خلقهم وصورهم وطولهم وقصرهم وتمامهم ونقصانهم * وإنما نقلناكم من حال إلى حال ومن خلقة إلى خلقة (لنبين لكم) بهذا التدريج قدرتنا وحكمتنا وأن من قدر على خلق البشر من تراب أولا ثم من نطفة ثانيا ولا تناسب بين الماء والتراب وقدر على أن يجعل النطفة علقة وبينهما تباين ظاهر ثم يجعل العلقة مضغة والمضغة عظاما قدر على إعادة ما أبدأه بل هذا أدخل في القدرة من تلك وأهون في القياس وورود الفعل غير معدى إلى المبين إعلام بأن أفعاله هذه يتبين بها من قدرته وعلمه ما لا يكتنهه الذكر ولا يحيط به الوصف وقرأ ابن أبي عبلة ليبين لكم ويقر بالياء وقرئ ونقر ونخرجكم بالنون والنصب ويقر ويخرجكم ويقر ويخرجكم بالنصب والرفع وعن يعقوب نقر بالنون وضم القاف من قر الماء إذا صبه فالقراءة بالرفع إخبار بأنه يقر (في الأرحام ما يشاء) أن يقره من ذلك (إلى أجل مسمى) وهو وقت الوضع آخر ستة أشهر أو تسعة أو سنتين أو أربع * أو كما شاء وقدر وما لم يشأ إقراره مجته الأرحام أو أسقطته والقراءة بالنصب تعليل معطوف على تعليل ومعناه خلقناكم مدرجين هذا التدريج لغرضين أحدهما أن نبين قدرتنا والثاني أن نقر في الأرحام من نقر حتى يولدوا وينشئوا ويبلغوا حد التكليف فأكلفهم ويعضد هذه القراءة قوله (ثم لتبلغوا أشدكم) * ووحده لأن الغرض الدلالة على الجنس ويحتمل نخرج كل واحد منكم طفلا * الأشد كمال القوة والعقل والتمييز وهو من ألفاظ الجموع التي لم يستعمل لها واحد كالأسدة والقتود والأباطيل وغير ذلك وكأنها شدة في غير شيء واحد فبنيت لذلك على لفظ الجمع * وقرئ ومنكم من يتوفى أي يتوفاه الله (أرذل العمر) الهرم والخرف حتى يعود كهيئته الأولى في أوان طفولته ضعيف البنية سخيف العقل قليل الفهم بين أنه كما قدر على أن يرقيه في درجات الزيادة حتى يبلغه حد التمام فهو قادر على أن يحطه حتى ينتهي به إلى الحالة السفلى (لكيلا يعلم من بعد علم شيئا) أي ليصير نساء بحيث إذا كسب علما في شيء لم ينشب أن ينساه ويزل عنه علمه حتى يسأل عنه من ساعته يقول لك من هذا فتقول فلان فما يلبث لحظة إلا سألك عنه وقرأ أبو عمرو العمر بسكون الميم * الهامدة الميتة اليابسة وهذه دلالة ثانية على البعث ولظهورها وكونها مشاهدة معاينة كررها الله في كتابه (اهتزت وربت) تحركت بالنبات وانتفخت وقرئ ربأت أي ارتفعت * البهيج الحسن السار للناظر إليه * أي ذلك الذي ذكرنا من خلق بني آدم وإحياء الأرض مع ما في تضاعيف ذلك من أصناف الحكم واللطائف حاصل بهذا وهو السبب في حصوله ولولاه لم يتصور كونه وهو (أن الله هو الحق) أي الثابت الموجود وأنه قادر على إحياء الموتى وعلى كل مقدور وأنه حكيم لا يخلف ميعاده وقد وعد الساعة والبعث فلا بد أن يفي بما وعد * عن ابن عباس أنه أبو جهل بن هشام وقيل كرر كما كررت سائر الأقاصيص وقيل الأول في المقلدين وهذا في المقلدين * والمراد بالعلم العلم الضروري * وبالهدى الاستدلال والنظر لأنه يهدي إلى المعرفة * وبالكتاب المنير الوحي * أي يجادل بظن وتخمين لا بأحد هذه الثلاثة * وثني العطف عبارة عن الكبر والخيلاء كتصعير الخد ولي الجيد وقيل عن الإعراض عن الذكر وعن الحسن ثاني عطفه بفتح العين أي مانع تعطفه (ليضل) تعليل للمجادلة قرئ بضم الياء وفتحها (فإن قلت) ما كان غرضه من جداله الضلال (عن سبيل الله) فكيف علل به وما كان أيضا مهتديا حتى إذا جادل خرج بالجدال من الهدى إلى الضلال (قلت) لما أدى جداله إلى الضلال جعل كأنه غرضه ولما كان الهدى معرضا له فتركه وأعرض عنه وأقبل على الجدال بالباطل جعل كالخارج من الهدى إلى الضلال * وخزيه ما أصابه يوم بدر من الصغار والقتل * والسبب فيما مني به من خزي الدنيا وعذاب الآخرة هو ما قدمت يداه وعدل الله في معاقبته الفجار وإثابته الصالحين (على حرف) على طرف من الدين لا في وسطه وقلبه وهذا مثل لكونهم على قلق واضطراب في دينهم لا على سكون وطمأنينة كالذي يكون على طرف من العسكر فإن أحس بظفر وغنيمة قر واطمأن وإلا فر وطار على وجهه قالوا نزلت في أعاريب قدموا المدينة وكان أحدهم إذا صح بدنه ونتجت فرسه مهرا سريا وولدت امرأته غلاما سويا وكثر ماله وماشيته قال ما أصبت منذ دخلت في ديني هذا إلا خيرا واطمأن وإن كان الأمر بخلافه قال ما أصبت

لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شيء قدير وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله له في الدنيا خزي ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق ذلك بما قدمت يداك وأن الله ليس بظلام للعبيد ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه ذلك هو

الاثمر او انقلب وعن أبي سعيد الخدري أن رجلا من اليهود أسلم فأصابته مصائب فتشاءم بالاسلام فأتى
النبي صلى الله عليه وسلم فقال أقلني فقال ان الاسلام لا يقال فنزلت * المصاب بالمحنة بترك التسليم لقضاء الله
والخروج الى ما يسخط الله جامع على نفسه محنتين احداهما ذهاب ما أصيب به والثانية ذهاب ثواب الصابرين
فهو خسران الدارين وقرئ خاسر الدنيا والآخرة بالنصب والرفع فالنصب على الحال والرفع على الفاعلية
ووضع الظاهر موضع الضمير وهو وجه حسن أو على أنه خبر مبتدا محذوف * استعير (الضلال البعيد) من
ضلال من أبعد في التيه ضالا فطالت وبعدت مسافة ضلالته * (فان قلت) الضرر والنفع منفيان عن
الاصنام مثبتان لها في الآيتين وهذا تناقض (قلت) اذا حصل المعنى ذهب هذا الوهم وذلك أن الله تعالى
سفه الكافر بانه يعبد جمادا لا يملك ضرا ولا نفعا وهو يعتقد فيه بجهله وضلاله أنه يستنفع به حين يستشفع به
ثم قال يوم القيامة يقول هذا الكافر بدعاء وصراخ حين يرى استضراره بالاصنام ودخوله النار بعبادتها
ولا يرى أثر الشفاعة التي ادعاها لها (لمن ضره أقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير) أو كرر يدعو
كأنه قال يدعو يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه ثم قال لمن ضره بكونه معبودا أقرب من نفعه بكونه
شفيعا لبئس المولى وفي حرف عبد الله من ضره بغير لام * المولى الناصر والعشير الصاحب كقوله فبئس
القرين * هذا كلام قد دخله اختصار والمعنى أن الله ناصر رسوله في الدنيا والآخرة فمن كان يظن من
حاسديه وأعاديه أن الله يفعل خلاف ذلك ويطمع فيه ويغيظه أنه يظفر بمطلوبه فليستقص وسعه وليستفرغ
مجهوده في ازالة ما يغيظه بأن يفعل ما يفعل من بلغ منه الغيظ كل مبلغ حتى مد حبلا الى سماء بيته فاختنق
فلينظر وليصور في نفسه أنه ان فعل ذلك هل يذهب نصر الله الذي يغيظه * وسمي الاختناق قطعا لان
المختنق يقطع نفسه بحبس مجاريه ومنه قيل للبهر القطع * وسمي فعله كيدا لانه وضعه موضع الكيد حيث
لم يقدر على غيره أو على سبيل الاستهزاء لانه لم يكد به محسوده انما كاد به نفسه والمراد ليس في يده الا ما ليس
بمذهب لما يغيظه وقيل فليمدد بحبل الى السماء المظلة وليصعد عليه فليقطع الوحي أن ينزل عليه وقيل كان
قوم من المسلمين لشدة غيظهم وحنقهم على المشركين يستبطئون ما وعد الله رسوله من النصر وآخرون من
المشركين يريدون اتباعه ويخشون أن لا يثبت أمره فنزلت * وقد فسر النصر بالرزق وقيل معناه أن
الارزاق بيد الله لا تنال الا بمشيئته ولا بد للعبد من الرضا بقسمته فمن ظن أن الله غير رازقه وليس به صبر
واستسلام فليبلغ غاية الجزع وهو الاختناق فان ذلك لا يقلب القسمة ولا يرده مرزوقا * أي ومثل ذلك
الانزال أنزلنا القرآن كله (آيات بينات و) لان (الله يهدي) به الذين يعلم أنهم يؤمنون أو يثبت الذين آمنوا
ويزيدهم هدى أنزله كذلك مبينا * الفصل مطلق يحتمل الفصل بينهم في الاحوال والاماكن جميعا فلا
يجازيهم جزاء واحدا بغير تفاوت ولا يجمعهم في موطن واحد وقيل الاديان خمسة أربعة للشيطان وواحد
للرحمن * جعل الصابئون مع النصارى لانهم نوع منهم وقيل يفصل بينهم يقضي بينهم أي بين المؤمنين
والكافرين وأدخلت ان على كل واحد من جزأي الجملة لزيادة التوكيد ونحوه قول جرير

ان الخليفة ان الله سربله * سربال ملك به ترجى الخواتيم

* سميت مطاوعتها له فيما يحدث فيها من أفعاله ويجريها عليه من تدبيره وتسخيره لها سجودا له تشبيها
لمطاوعتها بادخال أفعال المكلف في باب الطاعة والانقياد وهو السجود الذي كل خضوع دونه (فان قلت) فما
تصنع بقوله (وكثير من الناس) وبما فيه من الاعتراضين أحدهما أن السجود على المعنى الذي فسرته به
لا يسجده بعض الناس دون بعض والثاني أن السجود قد أسند على سبيل العموم الى من في الارض من
الانس والجن أولا فاسناده الى كثير منهم آخرا مناقضة (قلت) لا أنظم كثيرا في المفردات المتناسقة الداخلة
تحت حكم الفعل وانما أرفعه بفعل مضمر يدل عليه قوله يسجد أي ويسجد له كثير من الناس سجود طاعة
وعبادة ولم أقل أفسر يسجد الذي هو ظاهر بمعنى الطاعة والعبادة في حق هؤلاء لان اللفظ الواحد لا يصح
استعماله في حالة واحدة على معنيين مختلفين أو أرفعه على الابتداء والخبر محذوف وهو مثاب لان خبر مقابله
يدل عليه وهو قوله حق عليه العذاب ويجوز أن يجعل من الناس خبرا له أي من الناس الذين هم الناس

الضلال البعيد يدعو
لمن ضره أقرب من
نفعه لبئس المولى
ولبئس العشير ان الله
يدخل الذين آمنوا
وعملوا الصالحات
جنات تجري من تحتها
الانهار ان الله يفعل
ما يريد من كان يظن
أن لن ينصره الله في
الدنيا والآخرة فليمدد
بسبب الى السماء ثم
ليقطع فلينظر هل
يذهبن كيده ما يغيظ
وكذلك أنزلناه آيات
بينات وأن الله يهدي
من يريد ان الذين آمنوا
والذين هادوا والصابئين
والنصارى والمجوس
والذين أشركوا ان الله
يفصل بينهم يوم
القيامة ان الله على كل
شئ شهيد ألم تر أن الله
يسجد له من في السموات
ومن في الارض والشمس
والقمر والنجوم
والجبال والشجر
والدواب وكثير من
الناس وكثير حق عليه
العذاب ومن يهن الله
فما له من مكرم

على

على الحقيقة وهم الصالحون والمتقون ويجوز أن يبالغ في تكثير المحقوقين بالعذاب فيعطف كثير على كثير
ثم يخبر عنهم بحق عليهم العذاب كأنه قيل وكثير وكثير من الناس حق عليهم العذاب * وقرئ حق بالضم
وقرئ حقا أي حق عليهم العذاب حقا * ومن أهانه الله بأن كتب عليه الشقاوة لما سبق في علمه من كفره
أو فسقه فقد بقي مهانا لن تجد له مكرما * وقرئ مكرم بفتح الراء بمعنى الاكرام انه (يفعل ما يشاء) من الاكرام
والاهانة ولا يشاء من ذلك الا ما يقتضيه عمل العاملين واعتقاد المعتقدين * الخصم صفة وصف بها الفوج
أو الفريق فكأنه قيل هذان فوجان أو فريقان يختصمان وقوله هذان للفظ واختصموا للمعنى كقوله ومنهم
من يستمع اليك حتى اذا خرجوا ولو قيل هؤلاء خصمان أو اختصما جاز يراد المؤمنون والكافرون قال ابن
عباس رجع الى أهل الاديان الستة (في ربهم) أي في دينه وصفاته وروي ان أهل الكتاب قالوا للمؤمنين
نحن أحق بالله وأقدم منكم كتابا ونبينا قبل نبيكم وقال المؤمنون نحن أحق بالله آمنا بمحمد وآمنا بنبيكم
وبما أنزل الله من كتاب وأنتم تعرفون كتابنا ونبينا ثم تركتموه وكفرتم به حسدا فهذه خصومتهم في ربهم
(فالذين كفروا) هو فصل الخصومة المعنى بقوله تعالى ان الله يفصل بينهم يوم القيامة وفي رواية عن
الكسائي خصمان بالكسر * وقرئ قطعت بالتخفيف كأن الله تعالى يقدر لهم نيرانا على مقادير جثثهم
تشتمل عليهم كما تقطع الثياب الملبوسة ويجوز أن تظاهر على كل واحد منهم تلك النيران كالثياب المظاهرة
على اللابس بعضها فوق بعض ونحوه سرابيلهم من قطران (الحميم) الماء الحار عن ابن عباس رضي الله
عنه لو سقطت منه نقطة على جبال الدنيا لاذابتها (يصهر) يذاب وعن الحسن بتشديد الهاء للمبالغة أي اذا
صب الحميم على رؤسهم كان تأثيره في الباطن نحو تأثيره في الظاهر فيذيب أحشاءهم وأمعاءهم كما يذيب
جلودهم وهو أبلغ من قوله وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم * والمقامع السياط في الحديث لو وضعت
مقمعة منها في الارض فاجتمع عليها الثقلان ما أقلوها * وقرأ الاعمش ردوا فيها والاعادة والرد لا يكون
الا بعد الخروج فالمعنى كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم فخرجوا أعيدوا فيها ومعنى الخروج ما روي عن
الحسن أن النار تضربهم بلهبها فترفعهم حتى اذا كانوا في أعلاها ضربوا بالمقامع فهووا فيها سبعين خريفا
(و) قيل لهم (ذوقوا عذاب الحريق) والحريق الغليظ من النار المنتشر العظيم الاهلاك (يحلون) عن ابن
عباس من حليت المرأة فهي حال (ولؤلؤا) بالنصب على ويؤتون لؤلؤا كقوله وحورا عينا ولولوا بقلب
الهمزة الثانية واوا ولوليا بقلبهما واوين ثم قلب الثانية ياء كادل ولول كادل فيمن جر ولولؤ وليليا بقلبهما
ياء عن ابن عباس * وهداهم الله وألهمهم أن يقولوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وهداهم الى طريق الجنة
* يقال فلان يحسن الى الفقراء وينعش المضطهدين لا يراد حال ولا استقبال وانما يراد استمرار وجود
الاحسان منه والنعشة في جميع أزمنته وأوقاته ومنه قوله تعالى (ويصدون عن سبيل الله) أي الصدود
منهم مستمر دائم (للناس) أي الذين يقع عليهم اسم الناس من غير فرق بين حاضر وباد وتائي وطاري ومكي
وآفاقي وقد استشهد به أصحاب أبي حنيفة قائلين ان المراد بالمسجد الحرام مكة على امتناع جواز بيع دور مكة
واجارتها وعند الشافعي لا يمتنع ذلك وقد حاور اسحق بن راهويه فاحتج بقوله الذين أخرجوا من ديارهم وقال
أنسب الديار الى مالكيها أو غير مالكيها واشترى عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه دار السجن من مالكيه
أو غير مالكيه (سواء) بالنصب قراءة حفص والباقون على الرفع ووجه النصب أنه ثاني مفعولي جعلناه أي
جعلناه مستويا (العاكف فيه والباد) وفي القراءة بالرفع الجملة مفعول ثان * الالحاد العدول عن القصد
وأصله الحاد الحافر وقوله (بالحاد بظلم) حالان مترادفتان ومفعول يرد متروك ليتناول كل متناول كأنه قال
ومن يرد فيه مرادا ما عادلا عن القصد ظالما (نذقه من عذاب أليم) يعني أن الواجب على من كان فيه أن
يضبط نفسه ويسلك طريق السداد والعدل في جميع ما يهم به ويقصده وقيل الالحاد في الحرم منع الناس
عن عمارته وعن سعيد بن جبير الاحتكار وعن عطاء قول الرجل في المبايعة لا والله وبلى والله وعن عبد الله
ابن عمر أنه كان له فسطاطان أحدهما في الحل والآخر في الحرم فاذا أراد أن يعاتب أهله عاتبهم في الحل

ان الله يفعل ما يشاء هذان خصمان اختصموا في ربهم فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رؤسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم والجلود ولهم مقامع من حديد كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير وهدوا الى الطيب من القول وهدوا الى صراط الحميد ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم واذ بوأنا

فقيل له فقال كنا نحدث أن من الالحاد فيه أن يقول الرجل لا والله وبلى والله وقرئ يرد بفتح الياء من الورود ومعناه من أتى فيه بالحاد ظالما وعن الحسن ومن يرد الحاده بظلم أراد الحادا فيه فأضافه على الاتساع في الظرف كمكر الليل ومعناه من يرد أن يلحد فيه ظالما وخبر ان محذوف لدلالة جواب الشرط عليه تقديره ان الذين كفروا ويصدون عن المسجد الحرام نذيقهم من عذاب أليم وكل من ارتكب فيه ذنبا فهو كذلك عن ابن مسعود الهمة في الحرم تكتب ذنبا * واذكر حين جعلنا (لابراهيم مكان البيت) مباءة أي مرجعا يرجع اليه للعمارة والعبادة رفع البيت الى السماء أيام الطوفان وكان من ياقوتة حمراء فأعلم الله ابراهيم مكانه بريح أرسلها يقال لها الخجوج كنست ما حوله فبناه على أسه القديم * وأن هي المفسرة (فان قلت) كيف يكون النهي عن الشرك والأمر بتطهير البيت تفسيرا للتبوئة (قلت) كانت التبوئة مقصودة من أجل العبادة فكأنه قيل تعبدنا ابراهيم قلنا له (لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي) من الاصنام والاوثان والاقذار أن تطرح حوله وقرئ يشرك بالياء على الغيبة (وأذن في الناس) ناد فيهم وقرأ ابن محيصن وآذن والنداء بالحج أن يقول حجوا أو عليكم بالحج وروي أنه صعد أبا قبيس فقال يا أيها الناس حجوا بيت ربكم وعن الحسن أنه خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أن يفعل ذلك في حجة الوداع (رجالا) مشاة جمع راجل كقائم وقيام وقرئ رجالا بضم الراء مخفف الجيم ومثقله ورجالى كعجالى عن ابن عباس (وعلى كل ضامر) حال معطوفة على حال كأنه قال رجالا وركبانا (يأتين) صفة لكل ضامر لانه في معنى الجمع وقرئ يأتون صفة للرجال والركبان والعميق البعيد وقرأ ابن مسعود معيق يقال بئر بعيدة العمق والمعق * نكر المنافع لانه أراد منافع مختصة بهذه العبادة دينية ودنيوية لا توجد في غيرها من العبادات وعن أبي حنيفة رحمه الله أنه كان يفاضل بين العبادات قبل أن يحج فلما حج فضل الحج على العبادات كلها لما شاهد من تلك الخصائص * وكنى عن النحر والذبح بذكر اسم الله لان أهل الاسلام لا ينفكون عن ذكر اسمه اذا نحروا أو ذبحوا وفيه تنبيه على أن الغرض الاصلي فيما يتقرب به الى الله أن يذكر اسمه وقد حسن الكلام تحسينا بينا أن جمع بين قوله ليذكروا اسم الله وقوله على ما رزقهم ولو قيل لينحروا في أيام معلومات بهيمة الانعام لم تر شيئا من ذلك الحسن والروعة * الايام المعلومات أيام العشر عند أبي حنيفة وهو قول الحسن وقتادة وعند صاحبيه أيام النحر * البهيمة مبهمة في كل ذات أربع في البر والبحر فبينت بالانعام وهي الابل والبقر والضأن والمعز * الامر بالاكل منها أمر اباحة لان أهل الجاهلية كانوا لا يأكلون من نسائكهم ويجوز أن يكون ندبا لما فيه من مساواة الفقراء ومواساتهم ومن استعمال التواضع ومن ثمة استحب الفقهاء أن يأكل الموسع من أضحيته مقدار الثلث وعن ابن مسعود أنه بعث بهدي وقال فيه اذا نحرته فكل وتصدق وابعث منه الى عتبة يعني ابنه وفي الحديث كلوا وادخروا وائتجروا (البائس) الذي أصابه بؤس أي شدة و(الفقير) الذي أضعفه الاعسار * قضاء التفث قص الشارب والاظفار ونتف الابط والاستحداد والتفث الوسخ فالمراد قضاء ازالة التفث * وقرئ وليوفوا بتشديد الفاء (نذورهم) مواجب حجهم أو ما عسى ينذرونه من أعمال البر في حجهم (وليطوفوا) طواف الافاضة وهو طواف الزيارة الذي هو من أركان الحج ويقع به تمام التحلل وقيل طواف الصدر وهو طواف الوداع (العتيق) القديم لانه أول بيت وضع للناس عن الحسن وعن قتادة أعتق من الجبابرة كم من جبار سار اليه ليهدمه فمنعه الله وعن مجاهد لم يملك قط وعنه أعتق من الغرق وقيل بيت كريم من قولهم عتاق الخيل والطير (فان قلت) قد تسلط عليه الحجاج فلم يمنع (قلت) ما قصد التسلط على البيت وانما تحصن به ابن الزبير فاحتال لاخراجه ثم بناه ولما قصد التسلط عليه أبرهة فعل به ما فعل (ذلك) خبر مبتدأ محذوف أي الامر والشأن ذلك كما يقدم الكاتب جملة من كتابه في بعض المعاني ثم اذا أراد الخوض في معنى آخر قال هذا وقد كان كذا * والحرمة ما لا يحل هتكه وجميع ما كلفه الله تعالى بهذه الصفة من مناسك الحج وغيرها فيحتمل أن يكون عاما في جميع تكاليفه ويحتمل أن يكون خاصا فيما يتعلق بالحج وعن زيد ابن أسلم الحرمات خمس الكعبة الحرام والمسجد الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام والمحرم حتى يحل (فهو خير له) أي فالتعظيم خير له ومعنى التعظيم العلم بأنها واجبة المراعاة والحفظ والقيام بمراعاتها * المتلو

لابراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه وأحلت لكم الانعام

لا يستثنى

* قوله تعالى ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق (قال) يجوز في هذا التشبيه أن يكون مركبا ومفرقا فان كان مركبا فكأنه قال من أشرك بالله فقد أهلك نفسه إهلاكا ليس بعده نهاية بأن صور حاله بصورة من خر من السماء فاختطفته الطير فصيرته مزعا في حواصلها أو عصفت به الريح حتى هوت به في بعض المطاوح البعيدة وان كان مفرقا فقد شبه الايمان في علوه بالسماء والذي ترك الايمان وأشرك بالله بالساقط من السماء وشبه الاهواء التي تتوزع أفكاره بالطير المختطفة والشيطان الذي يطوح به في وادي الضلالة بالريح تهوي بما عصفت به في بعض المطاوح المتلفة (قال أحمد) اما على تقدير أن يكون مفرقا فيحتاج تأويل تشبيه المشرك بالهاوي من السماء الى التنبيه على أحد أمرين اما أن يكون الاشراك المراد ردة فانه حينئذ كان علا الى السماء بإيمانه ثم هبط بارتداده واما أن يكون الاشراك أصليا فيكون قد عد تمكن المشرك من الايمان ومن العلو به ثم عدوله عنه اختيارا بمنزلة من علا الى السماء ثم هبط كما قال تعالى والذين كفروا أولياؤهم (٦١) الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات فهم مخرجين من النور وما دخلوه قط ولكن كانوا متمكنين منه وقد مضى تقرير هذا المعنى بأبسط من هذا وفي تقريره

الا ما يتلى عليكم فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق ذلك ومن يعظم شعائر الله

لا يستثنى من الانعام ولكن المعنى (الا ما يتلى عليكم) آية تحريمه وذلك قوله في سورة المائدة حرمت عليكم الميتة والدم والمعنى أن الله قد أحل لكم الانعام كلها الا ما استثناه في كتابه فحافظوا على حدوده وإياكم أن تحرموا مما أحل شيأ كتحريم عبدة الاوثان البحيرة والسائبة وغير ذلك وأن تحلوا مما حرم الله كإحلالهم أكل الموقوذة والميتة وغير ذلك * لما حث على تعظيم حرماته وأحمد من يعظمها أتبعه الامر باجتناب الاوثان وقول الزور لان توحيد الله ونفي الشركاء عنه وصدق القول أعظم الحرمات وأسبقها خطوا وجمع الشرك وقول الزور في قران واحد وذلك أن الشرك من باب الزور لان المشرك زاعم أن الوثن تحق له العبادة فكأنه قال فاجتنبوا عبادة الاوثان التي هي رأس الزور واجتنبوا قول الزور كله لا تقربوا شيأ منه لتماديه في القبح والسماجة وما ظنك بشيء من قبيله عبادة الاوثان * وسمى الاوثان رجسا وكذلك الخمر والميسر والأزلام على طريق التشبيه يعني أنكم كما تنفرون بطباعكم عن الرجس وتجتنبونه فعليكم أن تنفروا عن هذه الاشياء مثل تلك النفرة ونبه على هذا المعنى بقوله رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه جعل العلة في اجتنابه أنه رجس والرجس مجتنب (من الاوثان) بيان للرجس وتمييز له كقولك عندي عشرون من الدراهم لان الرجس مبهم يتناول غير شيء كأنه قيل فاجتنبوا الرجس الذي هو الاوثان * والزور من الزور والازورار وهو الانحراف كما أن الافك من أفكه اذا صرفه وقيل قول الزور قولهم هذا حلال وهذا حرام وما أشبه ذلك من افترائهم وقيل شهادة الزور عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه صلى الصبح فلما سلم قام قائما واستقبل الناس بوجهه وقال عدلت شهادة الزور الاشراك بالله عدلت شهادة الزور الاشراك بالله عدلت شهادة الزور الاشراك بالله وتلا هذه الآية وقيل الكذب والبهتان وقيل قول أهل الجاهلية في تلبيتهم لبيك لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه وما ملك * يجوز في هذا التشبيه أن يكون من المركب والمفرق فان كان تشبيها مركبا فكأنه قال من أشرك بالله فقد أهلك نفسه اهلاكا ليس بعده نهاية بأن صور حاله بصورة حال من خر من السماء فاختطفته الطير فتفرق مزعا في حواصلها أو عصفت به الريح حتى هوت به في بعض المطاوح البعيدة وان كان مفرقا فقد شبه الايمان في علوه بالسماء والذي ترك الايمان وأشرك بالله بالساقط من السماء والاهواء التي تتوزع أفكاره بالطير المختطفة والشيطان الذي يطوح به في وادي الضلالة بالريح التي تهوي بما عصفت به في بعض المهاوي المتلفة * وقرئ فتخطفه بكسر الخاء والطاء وبكسر التاء

تشبيه الأفكار المتوزعة للكافر بالطير المختطفة وفي تشبيه تطويح الشيطان بالهوي مع الريح في مكان سحيق نظر لان الامرين تذكر في سياق تقسيم حال الكافر الى قسمين فاذا جعل الاول مثلا لاختلاف الاهواء والافكار والثاني مثلا لنزغ الشيطان فقد جعلهما شيأ واحدا لان توزع الافكار واختلاف الاهواء مضاف الى نزغ الشيطان فلا يتحقق التقسيم المقصود والذي يظهر في تقرير التشبيهين غير ذلك فنقول لما انقسمت حال الكافر الى قسمين لا مزيد عليهما ولا يدخل بينهما التذبذب والتمادي على الشك وعدم التصميم على ضلالة واحدة فهذا القسم من المشركين مشبه بمن اختطفته الطير وتوزعته فلا يستولي طائر على مزعة منه الا انتهبها منه آخر وتلك حال المذبذب لا يلوح له خيال الا اتبعه ونزل عما كان عليه والثاني مشرك مصمم على معتقد باطل لو نشر بالمناشير لم يكع ولم يرجع لا سبيل الى تشكيكه ولا مطمع في نقله عما هو عليه فهو فرح مبتهج بضلالته فهذا مشبه في اقراره على كفره باستقرار من هوت به الريح الى واد سافل فاستقر فيه ونظير تشبيهه بالاستقرار في الوادي السحيق الذي هو أبعد الاحياء عن السماء وصف ضلاله بالبعد في قوله تعالى أولئك في ضلال بعيد وضلوا ضلالا بعيدا أي صمموا على ضلالهم فبعد رجوعهم الى الحق فهذا تحقيق القسمين والله أعلم

مع كسرهما وهي قراءة الحسن وأصلها تخطفه * وقرئ الرياح * تعظيم الشعائر وهي الهدايا لانها من معالم الحج أن يختارها عظام الاجرام حسانا سمانا غالية الاثمان ويترك المكاس في شرائها فقد كانوا يغالون في ثلاث ويكرهون المكاس فيهن الهدي والاضحية والرقبة وروى ابن عمر عن أبيه رضي الله عنهما أنه أهدى نجيبة طلبت منه بثلثمائة دينار فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبيعها ويشتري بثمنها بدنا فنهاه عن ذلك وقال بل أهدها وأهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة بدنة فيها جمل لابي جهل في أنفه برة من ذهب وكان ابن عمر يسوق البدن مجللة بالقباطي فيتصدق بلحومها وبجلالها ويعتقد أن طاعة الله في التقرب بها واهدائها الى بيته المعظم أمر عظيم لا بد أن يقام به ويسارع فيه (فانها من تقوى القلوب) أي فان تعظيمها من أفعال ذوي تقوى القلوب فحذفت هذه المضافات ولا يستقيم المعنى الا بتقديرها لانه لا بد من راجع من الجزاء الى من ليرتبط به وانما ذكرت القلوب لانها مراكز التقوى التي اذا ثبتت فيها وتمكنت ظهر أثرها في سائر الاعضاء (الى أجل مسمى) الى أن تنحر ويتصدق بلحومها ويؤكل منها * و(ثم) للتراخي في الوقت فاستعيرت للتراخي في الاحوال والمعنى أن لكم في الهدايا منافع كثيرة في دنياكم ودينكم وانما يعتد الله بالمنافع الدينية قال سبحانه تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة وأعظم هذه المنافع وأبعدها شوطا في النفع (محلها الى البيت) أي وجوب نحرها أو وقت وجوب نحرها في الحرم منتهية الى البيت كقوله هديا بالغ الكعبة والمراد نحرها في الحرم الذي هو في حكم البيت لان الحرم هو حريم البيت ومثل هذا في الاتساع قولك بلغنا البلد وانما شارفتموه واتصل مسيركم بحدوده وقيل المراد بالشعائر المناسك كلها ومحلها الى البيت العتيق يأباه * شرع الله لكل أمة أن ينسكوا له أي يذبحوا لوجهه على وجه التقرب وجعل العلة في ذلك أن يذكر اسمه تقدست أسماؤه على المناسك * وقرئ (منسكا) بفتح السين وكسرها وهو مصدر بمعنى النسك والمكسور يكون بمعنى الموضع (فله أسلموا) أي أخلصوا له الذكر خاصة واجعلوه لوجهه سالما أي خالصا لا تشوبوه باشراك * المخبتون المتواضعون الخاشعون من الخبت وهو المطمئن من الارض وقيل هم الذين لا يظلمون واذا ظلموا لم ينتصروا * وقرأ الحسن (والمقيمي الصلاة) بالنصب على تقدير النون وقرأ ابن مسعود والمقيمين الصلاة على الاصل (البدن) جمع بدنة سميت لعظم بدنها وهي الابل خاصة ولان رسول الله صلى الله عليه وسلم ألحق البقر بالابل حين قال البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة فجعل البقر في حكم الابل صارت البدنة في الشريعة متناولة للجنسين عند أبي حنيفة وأصحابه والا فالبدن هي الابل وعليه تدل الآية وقرأ الحسن والبدن بضمتين كثمر في جمع ثمرة وابن أبي اسحق بالضمتين وتشديد النون على لفظ الوقف وقرئ بالنصب والرفع كقوله والقمر قدرناه (من شعائر الله) أي من أعلام الشريعة التي شرعها الله واضافتها الى اسمه تعظيم لها (لكم فيها خير) كقوله لكم فيها منافع ومن شأن الحاج أن يحرص على شئ فيه خير ومنافع بشهادة الله عن بعض السلف أنه لم يملك الا تسعة دنانير فاشترى بها بدنة فقيل له في ذلك فقال سمعت ربي يقول لكم فيها خير وعن ابن عباس دنيا وآخرة وعن ابراهيم من احتاج الى ظهرها ركب ومن احتاج الى لبنها شرب * وذكر اسم الله أن يقول عند النحر الله أكبر لا اله الا الله والله أكبر اللهم منك واليك (صواف) قائمات قد صففن أيديهن وأرجلهن وقرئ صوافن من صفون الفرس وهو أن يقوم على ثلاث وينصب الرابعة على طرف سنبكه لان البدنة تعقل احدى يديها فتقوم على ثلاث وقرئ صوافي أي خوالص لوجه الله وعن عمرو بن عبيد صوافنا بالتنوين عوضا من حرف الاطلاق عند الوقف وعن بعضهم صواف نحو مثل العرب أعط القوس باريها بسكون الياء * وجوب الجنوب وقوعها على الارض من وجب الحائط وجبة اذا سقط ووجبت الشمس جبة غربت والمعنى فاذا وجبت جنوبها وسكنت نسائسها حل لكم الاكل منها والاطعام (القانع) السائل من قنعت اليه وكنعت اذا خضعت له وسألته قنوعا (والمعتر) المتعرض بغير سؤال أو القانع الراضي بما عنده وبما يعطى من غير سؤال من قنعت قنعا وقناعة والمعتر المتعرض بسؤال وقرأ الحسن والمعتري وعره وعراه واعتره واعتراه بمعنى وقرأ أبو رجاء القنع وهو الراضي لا غير يقال قنع فهو قنع وقانع * من الله على عباده واستحمد اليهم بأن سخر لهم البدن مثل التسخير الذي رأوا وعلموا يأخذونها منقادة

فانها من تقوى القلوب لكم فيها منافع الى أجل مسمى ثم محلها الى البيت العتيق ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الانعام فالهكم اله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلوة ومما رزقناهم ينفقون والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فاذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين ان الله يدافع عن الذين آمنوا ان الله لا يحب كل خوان كفور أذن للذين يقاتلون

الزمخشري

إنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلوة وآتوا الزكوة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور وإن يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وقوم لوط وأصحاب مدين وكذب موسى فأمليت للكافرين ثم أخذتهم فكيف كان نكير فكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية

للادخار طمعة فيه فقلوبها أو يحبسونها إضافة قوائمها ثم يطعمون في أيامهم أو لولا تسخير الله لم تطق ولم تكن بأعجز من بعض الوحوش التي هي أصغر منها أجراما وأقل قوة وكفى بما يتأبد من الإبل شاهدا وعبرة * أي لن يصيب رضا الله اللحوم المتصدق بها ولا الدماء المهراقة بالنحر والمراد أصحاب اللحوم والدماء والمعنى لن يرضى المضحون والمقربون ربهم إلا بمراعاة النية والإخلاص والاحتفاظ بشروط التقوى في حل ما قرب به وغير ذلك من المحافظات الشرعية وأوامر الورع فإذا لم يراعوا ذلك لم تغن عنهم التضحية والتقريب وإن كثر ذلك منهم * وقرئ لن تنال الله ولكن تناله بالتاء والياء وقيل كان أهل الجاهلية إذا نحروا البدن نضحوا الدماء حول البيت ولطخوه بالدم فلما حج المسلمون أرادوا مثل ذلك فنزلت * كرر تذكير النعمة بالتسخير ثم قال لتشكروا الله على هدايته إياكم لإعلام دينه ومناسك حجه بأن تكبروا وتهللوا فاختصر الكلام بأن ضمن التكبير معنى الشكر وعدى تعديته * خص المؤمنين بدفعه عنهم ونصرته لهم كما قال إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا وقال إنهم لهم المنصورون وقال وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وجعل العلة في ذلك أنه لا يحب أضدادهم وهم الخونة الكفرة الذين يخونون الله والرسول ويخونون أماناتهم ويكفرون نعم الله ويغمطونها ومن قرأ يدافع فمعناه يبالغ في الدفع عنهم كما يبالغ من يغالب فيه لأن فعل الغالب يجيء أقوى وأبلغ * أذن ويقاتلون قرئا على لفظ المبني للفاعل والمفعول جميعا والمعنى أذن لهم في القتال فحذف المأذون فيه لدلالة يقاتلون عليه (أنهم ظلموا) أي بسبب كونهم مظلومين وهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مشركو مكة يؤذونهم أذى شديدا وكانوا يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين مضروب ومشجوج يتظلمون إليه فيقول لهم اصبروا فإني لم أومر بالقتال حتى هاجر فأنزلت هذه الآية وهي أول آية أذن فيها بالقتال بعد ما نهي عنه في نيف وسبعين آية وقيل نزلت في قوم خرجوا مهاجرين فاعترضهم مشركو مكة فأذن لهم في مقاتلتهم * والإخبار بكونه قادرا على نصرهم عدة منه بالنصر واردة على سنن كلام الجبابرة وما مر من دفعه عن الذين آمنوا مؤذن بمثل هذه العدة أيضا (أن يقولوا) في محل الجر على الإبدال من حق أي بغير موجب سوى التوحيد الذي ينبغي أن يكون موجب الإقرار والتمكين لا موجب الإخراج والتسيير ومثله هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله * دفع الله بعض الناس ببعض إظهاره وتسليطه المسلمين منهم على الكافرين بالمجاهدة ولولا ذلك لاستولى المشركون على أهل الملل المختلفة في أزمنتهم وعلى متعبداتهم فهدموها ولم يتركوا للنصارى بيعا ولا لرهبانهم صوامع ولا لليهود صلوات ولا للمسلمين مساجد أو لغلب المشركون من أمة محمد صلى الله عليه وسلم على المسلمين وعلى أهل الكتاب الذين في ذمتهم وهدموا متعبدات الفريقين وقرئ دفاع ولهدمت بالتخفيف وسميت الكنيسة صلاة لأنه يصلى فيها وقيل هي كلمة معربة أصلها بالعبرانية صلوثا (من ينصره) أي ينصر دينه وأولياءه * هو إخبار من الله عز وجل بظهر الغيب عما ستكون عليه سيرة المهاجرين رضي الله عنهم إن مكنهم في الأرض وبسط لهم في الدنيا وكيف يقومون بأمر الدين وعن عثمان رضي الله عنه هذا والله ثناء قبل بلاء يريد أن الله قد أثنى عليهم قبل أن يحدثوا من الخير ما أحدثوا وقالوا فيه دليل على صحة أمر الخلفاء الراشدين لأن الله لم يعط التمكين ونفاذ الأمر مع السيرة العادلة غيرهم من المهاجرين لا حظ في ذلك للأنصار والطلقاء وعن الحسن هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الذين منصوب بدل من قوله من ينصره والظاهر أنه مجرور تابع للذين أخرجوا (ولله عاقبة الأمور) أي مرجعها إلى حكمه وتقديره وفيه تأكيد لما وعده من إظهار أوليائه وإعلاء كلمتهم * يقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم تسلية له لست بأوحدي في التكذيب فقد كذب الرسل قبلك أقوامهم وكفاك بهم أسوة (فإن قلت) لم قيل (وكذب موسى) ولم يقل وقوم موسى (قلت) لأن موسى ما كذبه قومه بنو إسرائيل وإنما كذبه غير قومه وهم القبط وفيه شيء آخر كأنه قيل بعدما ذكر تكذيب كل قوم رسولهم وكذب موسى أيضا مع وضوح آياته

* قوله تعالى فقد كذبت قبلهم إلى قوله وكذب موسى فأمليت للكافرين ثم أخذتهم (قال) فإن قلت لم قيل وكذب موسى ولم يقل وقوم موسى بدون تكرير التكذيب قلت لأن قوم موسى هم بنو إسرائيل ولم يكذبوه وإنما كذبه القبط أو لأن آيات موسى كانت باهرة ظاهرة فكأنه قال وكذب موسى أيضا على ظهور آياته) قال أحمد ويحتمل عندي والله أعلم أنه لما صدر الكلام بحكاية تكذيبهم ثم عدد أصناف المكذبين وطوائفهم ولم ينته إلى موسى إلا بعد طول الكلام حسن تكريره ليلي قوله فأمليت للكافرين فيتصل المسبب بالسبب كما قال في آية ق بعد تعديدهم كل كذب الرسل فحق وعيد فربط العقاب والوعيد ووصلهما بالتكذيب بعد أن جدد ذكره والله أعلم

وعظم معجزاته فأهلك بغيره * النكير بمعنى الانكار والتغيير حيث أبدلهم بالنعمة محنة وبالحياة هلاكا وبالعمارة خرابا * كل مرتفع أظلك من سقف بيت أو خيمة أو ظلة أو كرم فهو عرش * والخاوي الساقط من خوى النجم اذا سقط أو الخالي من خوى المنزل اذا خلا من أهله وخوى بطن الحامل وقوله (على عروشها) لا يخلو من أن يتعلق بخاوية فيكون المعنى أنها ساقطة على سقوفها أي خرت سقوفها على الأرض ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق السقوف أو أنها ساقطة أو خالية مع بقاء عروشها وسلامتها واما أن يكون خبرا بعد خبر كأنه قيل هي خالية وهي على عروشها أي قائمة مطلة على عروشها على معنى أن السقوف سقطت الى الأرض فصارت في قرار الحيطان وبقيت الحيطان مائلة فهي مشرفة على السقوف الساقطة (فان قلت) ما محل الجملتين من الاعراب أعني وهي ظالمة فهي خاوية (قلت) الاولى في محل النصب على الحال والثانية لا محل لها لانها معطوفة على أهلكناها وهذا الفعل ليس له محل * قرأ الحسن معطلة من أعطله بمعنى عطله ومعنى المعطلة انها عامرة فيها الماء ومعها آلات الاستقاء الا انها عطلت أي تركت لا يستقى منها لهلاك أهلها * والمشيد المجصص أو المرفوع البنيان والمعنى كم قرية أهلكنا وكم بئر عطلنا عن سقاتها وقصر مشيد أخليناه عن ساكنيه فترك ذلك لدلالة معطلة عليه وفي هذا دليل على أن على عروشها بمعنى مع أوجه * روي أن هذه بئر نزل عليها صالح عليه السلام مع أربعة آلاف نفر ممن آمن به ونجاهم الله من العذاب وهي بحضرموت وانما سميت بذلك لان صالحا حين حضرها مات وثمة بلدة عند البئر اسمها حاضوراء بناها قوم صالح وأمروا عليهم جلهس بن جلاس وأقاموا بها زمانا ثم كفروا وعبدوا صنما وأرسل الله اليهم حنظلة بن صفوان نبيا فقتلوه فأهلكهم الله وعطل بئرهم وخرب قصورهم * يحتمل أنهم لم يسافروا وحثوا على السفر ليروا مصارع من أهلكهم الله بكفرهم ويشاهدوا آثارهم فيعتبروا وأن يكونوا قد سافروا ورأوا ذلك ولكن لم يعتبروا فجعلوا كأن لم يسافروا ولم يروا * وقرئ (فيكون لهم قلوب) بالياء * أي يعقلون ما يجب أن يعقل من التوحيد ويسمعون ما يجب سماعه من الوحي (فانها) الضمير ضمير الشأن والقصة يجيء مذكرا ومؤنثا وفي قراءة ابن مسعود فانه ويجوز أن يكون ضميرا مبهما يفسره (الابصار) وفي تعمى ضمير راجع اليه والمعنى أن أبصارهم صحيحة سالمة لا عمى بها وانما العمى بقلوبهم أو لا يعتد بعمى الابصار فكأنه ليس بعمى بالاضافة الى عمى القلوب (فان قلت) أي فائدة في ذكر الصدور (قلت) الذي قد تعورف واعتقد أن العمى على الحقيقة مكانه البصر وهو أن تصاب الحدقة بما يطمس نورها واستعماله في القلب استعارة ومثل فلما أريد اثبات ما هو خلاف المعتقد من نسبة العمى الى القلوب حقيقة ونفيه عن الابصار احتاج هذا التصوير الى زيادة تعيين وفضل تعريف ليتقرر أن مكان العمى هو القلوب لا الابصار كما تقول ليس المضاء للسيف ولكنه للسانك الذي بين فكيك فقولك الذي بين فكيك تقرير لما ادعيته للسانه وتثبيت لان محل المضاء هو لا غير وكأنك قلت ما نفيت المضاء عن السيف وأثبته للسانك فلتة ولا سهوا مني ولكن تعمدت به اياه بعينه تعمدا * أنكر استعجالهم بالمتوعد به من العذاب العاجل أو الآجل كأنه قال ولم يستعجلون به كأنهم يجوزون الفوت وانما يجوز ذلك على ميعاد من يجوز عليه الخلف والله عز وعلا لا يخلف الميعاد وما وعده ليصيبنهم ولو بعد حين وهو سبحانه حليم لا يعجل ومن حلمه ووقاره واستقصاره المدد الطوال أن يوما واحدا عنده كألف سنة عندكم وقيل معناه كيف يستعجلون بعذاب من يوم واحد من أيام عذابه في طول ألف سنة من سنيكم لان أيام الشدائد مستطالة أو كأن ذلك اليوم الواحد لشدة عذابه كألف سنة من سني العذاب وقيل ولن يخلف الله وعده في النظرة والامهال وقرئ تعدون بالتاء والياء * ثم قال وكم من أهل قرية كانوا مثلكم ظالمين قد أنظرتهم حينا ثم أخذتهم بالعذاب والمرجع الي والى حكمي (فان قلت) لم كانت الاولى معطوفة بالفاء وهذه بالواو (قلت) الاولى وقعت بدلا عن قوله فكيف كان نكير وأما هذه فحكمها حكم ما تقدمها من الجملتين المعطوفتين بالواو أعني قوله ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كألف سنة * يقال سعيت في أمر فلان اذا أصلحه أو أفسده بسعيه * وعاجزه سابقه لان كل واحد منهما في طلب اعجاز الآخر

عن

على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد أفلم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون وكأين من قرية أمليت لها وهي ظالمة ثم أخذتها والي المصير قل يا أيها الناس انما أنا لكم نذير مبين فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة

* قوله تعالى وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون (قال فيه انذار بحلم الله تعالى ووقاره واستقصاره الامد الطويل حتى ان يوما واحدا عنده كألف سنة) قال أحمد الوقار المقرون بالحلم يفهم لغة السكون وطمأنينة الاعضاء عند المزعجات والاناة والتؤدة ونحو ذلك مما لا يطلق على الله تعالى الا بتوقيف وأما الوقار في قوله تعالى ما لكم لا ترجون لله وقارا فقد فسر بالعظمة فليس من هذا وعلى الجملة فهو موقوف على ثبت في النقل

عن اللحاق به فإذا سبقه قيل أعجزه وعجزه والمعنى سعوا في معناها بالفساد من الطعن فيها حيث سموها سحرا
وشعرا وأساطير ومن تثبيط الناس عنها سابقين أو مسابقين في زعمهم وتقديرهم طامعين أن كيدهم
للإسلام يتم لهم (فإن قلت) كان القياس أن يقال إنما أنا لكم بشير ونذير لذكر الفريقين بعده (قلت)
الحديث مسوق إلى المشركين ويا أيها الناس نداء لهم وهم الذين قيل فيهم أفلم يسيروا في الأرض ووصفوا
بالاستعجال وإنما أقحم المؤمنون وثوابهم ليغاظوا (من رسول ولا نبي) دليل بين على تغاير الرسول والنبي
وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن الأنبياء فقال مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا قيل فكم الرسل منهم
قال ثلثمائة وثلاثة عشر جما غفيرا والفرق بينهما أن الرسول من الأنبياء من جمع إلى المعجزة الكتاب المنزل
عليه والنبي غير الرسول من لم ينزل عليه كتاب وإنما أمر أن يدعو الناس إلى شريعة من قبله والسبب في
نزول هذه الآية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أعرض عنه قومه وشاقوه وخالفه عشيرته ولم يشايعوه
على ما جاء به تمنى لفرط ضجره من إعراضهم ولحرصه وتهالكه على إسلامهم أن لا ينزل عليه ما ينفرهم لعله
يتخذ ذلك طريقا إلى استمالتهم واستنزالهم عن غيهم وعنادهم فاستمر به ما تمناه حتى نزلت عليه سورة والنجم
وهو في نادي قومه وذلك التمني في نفسه فأخذ يقرؤها فلما بلغ قوله ومناة الثالثة الأخرى (ألقى الشيطان
في أمنيته) التي تمناها أي وسوس إليه بما شيعها به فسبق لسانه على سبيل السهو والغلط إلى أن قال تلك
الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى وروي الغرانقة ولم يفطن له حتى أدركته العصمة فتنبه عليه وقيل نبهه
جبريل عليه السلام أو تكلم الشيطان بذلك فأسمعه الناس فلما سجد في آخرها سجد معه جميع من في
النادي وطابت نفوسهم وكان تمكين الشيطان من ذلك محنة من الله وابتلاء زاد المنافقون به شكا وظلمة
والمؤمنون نورا وإيقانا والمعنى أن الرسل والأنبياء من قبلك كانت هجيراهم كذلك إذا تمنوا مثل ما تمنيت
مكن الله الشيطان ليلقي في أمانيهم مثل ما ألقى في أمنيتك إرادة امتحان من حولهم والله سبحانه له أن
يمتحن عباده بما شاء من صنوف المحن وأنواع الفتن ليضاعف ثواب الثابتين ويزيد في عقاب المذبذبين وقيل
تمنى قرأ وأنشد

تمنى كتاب الله أول ليلة * تمنى داود الزبور على رسل

وأمنيته قراءته وقيل تلك الغرانيق إشارة إلى الملائكة أي هم الشفعاء لا الأصنام (فينسخ الله ما يلقي
الشيطان) أي يذهب به ويبطله (ثم يحكم الله آياته) أي يثبتها * والذين (في قلوبهم مرض) المنافقون
والشاكون (والقاسية قلوبهم) المشركون المكذبون (وإن الظالمين) يريد وإن هؤلاء المنافقين والمشركين
وأصله وإنهم فوضع الظاهر موضع الضمير قضاء عليهم بالظلم (أنه الحق من ربك) أي ليعلموا أن تمكين
الشيطان من الإلقاء هو الحق من ربك والحكمة (وإن الله لهادي الذين آمنوا إلى) أن يتأولوا ما يتشابه في
الدين بالتأويلات الصحيحة ويطلبوا لما أشكل منه المحمل الذي تقتضيه الأصول المحكمة والقوانين الممهدة
حتى لا تلحقهم حيرة ولا تعتريهم شبهة ولا تزل أقدامهم وقرئ لهاد الذين آمنوا بالتنوين * الضمير في (مرية
منه) للقرآن أو للرسول صلى الله عليه وسلم * اليوم العقيم يوم بدر وإنما وصف يوم الحرب بالعقيم لأن أولاد
النساء يقتلون فيه فيصرن كأنهن عقم لم يلدن أو لأن المقاتلين يقال لهم أبناء الحرب فإذا قتلوا وصف يوم
الحرب بالعقيم على سبيل المجاز وقيل هو الذي لا خير فيه يقال ريح عقيم إذا لم تنشئ مطرا ولم تلقح شجرا وقيل
لا مثل له في عظم أمره لقتال الملائكة عليهم السلام فيه وعن الضحاك أنه يوم القيامة وأن المراد بالساعة
مقدماته ويجوز أن يراد بالساعة وبيوم عقيم يوم القيامة كأنه قيل حتى تأتيهم الساعة أو يأتيهم عذابها
فوضع يوم عقيم موضع الضمير * (فإن قلت) التنوين في (يومئذ) عن أي جملة ينوب (قلت) تقديره الملك يوم
يؤمنون أو يوم تزول مريتهم لقوله ولا يزال الذين كفروا في مرية منه حتى تأتيهم الساعة * لما جمعتهم
المهاجرة في سبيل الله سوى بينهم في الموعد أن يعطي من مات منهم مثل ما يعطي من قتل تفضلا منه
وإحسانا * والله عليم بدرجات العاملين ومراتب استحقاقهم (حليم) عن تفريط المفرط منهم بفضله وكرمه
روي أن طوائف من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم قالوا يا نبي الله هؤلاء الذين قتلوا

ورزق كريم والذين سعوا في آياتنا معاجزين أولئك أصحاب الجحيم وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وإن الظالمين لفي شقاق بعيد وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وإن الله لهادي الذين آمنوا إلى صراط مستقيم ولا يزال الذين كفروا في مرية منه حتى تأتيهم الساعة بغتة أو يأتيهم عذاب يوم عقيم الملك يومئذ لله يحكم بينهم فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فأولئك لهم عذاب مهين والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا وإن الله لهو خير الرازقين ليدخلنهم مدخلا يرضونه وإن الله لعليم حليم

﴿القول في سورة المؤمنون﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ * قوله تعالى قد أفلح المؤمنون الآية (قال اختلف في الايمان على قولين أحدهما ان كل من نطق بالشهادتين مواطئا قلبه ولسانه فقد اتصف بالايمان والآخر انه صفة مدح لا يستحقها الا البر التقي دون الفاسق الشقي) قال أحمد والاول مذهب الاشعرية والثاني مذهب المعتزلة والموحد الفاسق عندهم لا مؤمن ولا كافر ولو لم يبن المعتزلة هذا المعتقد تحريم

الجنة على الموحد الفاسق بناء على انه لا يندرج وعد المؤمنين لكان البحث معهم لفظيا ولكن رتبوا على ذلك أمرا عظيما من أصول الدين وقواعده وقد نقل القاضي عنهم في رسالة الايمان خبطا طويلا فنقل عن قدمائهم كعمرو بن عبيد وطبقته ان الايمان هو التصديق بالقلب وجميع فرائض الدين فعلا وتركا والآخر ونقل عن أبي الهذيل العلاف ان الايمان هو جميع فرائض الدين ونوافله ومختصر دليل القاضي لاهل السنة ان الايمان لغة هو مجرد التصديق اتفاقا فوجب أن يكون كذلك شرعا عملا بقوله تعالى وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه مع سلامته عن معارضة النقل فانه لو كان لبينه عليه الصلاة والسلام ولو بينه لنقل لانه مما يبتني عليه قاعدة الوعد والوعيد ولم ينقل لان النقل اما آحادا أو تواترا

الاخلاق (لعلكم تفلحون) أي افعلوا هذا كله وأنتم راجون للفلاح طامعون فيه غير مستيقنين ولا تتكلوا على أعمالكم وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله في سورة الحج سجدتان قال نعم ان لم تسجدهما فلا تقرأهما وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فضلت سورة الحج بسجدتين وبذلك احتج الشافعي رضي الله عنه فرأى سجدتين في سورة الحج وأبو حنيفة وأصحابه رضي الله عنهم لا يرون فيها الا سجدة واحدة لانهم يقولون قرن السجود بالركوع فدل ذلك على انها سجدة صلاة لا سجدة تلاوة (وجاهدوا) أمر بالغزو وبمجاهدة النفس والهوى وهو الجهاد الاكبر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه رجع من بعض غزواته فقال رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر (في الله) أي في ذات الله ومن أجله * يقال هو حق عالم وجد عالم أي عالم حقا وجدا ومنه (حق جهاده) (فان قلت) ما وجه هذه الاضافة وكان القياس حق الجهاد فيه أو حق جهادكم فيه كما قال وجاهدوا في الله (قلت) الاضافة تكون بأدنى ملابسة واختصاص فلما كان الجهاد مختصا بالله من حيث انه مفعول لوجهه ومن أجله صحت اضافته اليه ويجوز أن يتسع في الظرف كقوله ويوم شهدناه سليما وعامرا (اجتباكم) اختاركم لدينه ولنصرته (وما جعل عليكم في الدين من حرج) فتح باب التوبة للمجرمين وفسح بانواع الرخص والكفارات والديات والاروش ونحوه قوله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وأمة محمد صلى الله عليه وسلم هي الامة المرحومة الموسومة بذلك في الكتب المتقدمة * نصب الملة بمضمون ما تقدمها كأنه قيل وسع دينكم توسعة ملة أبيكم ثم حذف المضاف وأقام المضاف اليه مقامه أو على الاختصاص أي أعني بالدين ملة أبيكم كقولك الحمد لله الحميد (فان قلت) لم يكن (ابراهيم) أبا للامة كلها (قلت) هو أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان أبا لامته لان أمة الرسول في حكم أولاده (هو) يرجع الى الله تعالى وقيل الى ابراهيم ويشهد للقول الاول قراءة أبي بن كعب الله سماكم (من قبل وفي هذا) أي من قبل القرآن في سائر الكتب وفي القرآن أي فضلكم على الامم وسماكم بهذا الاسم الاكرم (ليكون الرسول شهيدا عليكم) أنه قد بلغكم (وتكونوا شهداء على الناس) بان الرسل قد بلغتهم * واذ خصكم بهذه الكرامة والاثرة فاعبدوه وثقوا به ولا تطلبوا النصرة والولاية الا منه فهو خير مولى وناصر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحج أعطي من الاجر كحجة حجها وعمرة اعتمرها بعدد من حج واعتمر فيما مضى وفيما بقي

﴿سورة المؤمنون مكية وهي مائة وتسع عشرة آية وثماني عشرة عند الكوفيين﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(قد) نقيضة لما هي تثبت المتوقع ولما تنفيه ولا شك أن المؤمنين كانوا متوقعين لمثل هذه البشارة وهي الاخبار بثبات الفلاح لهم فخوطبوا بما دل على ثبات ما توقعوه * والفلاح الظفر بالمراد وقيل البقاء في الخير و(أفلح) دخل في الفلاح كأبشر دخل في البشارة ويقال أفلحه أصاره الى الفلاح وعليه قراءة طلحة بن مصرف أفلح على البناء للمفعول وعنه أفلحوا على أكلوني البراغيث أو على الابهام والتفسير وعنه أفلح بضمة بغير واو اجتزاء بها عنها كقوله فلو أن الاطبا كان حولي * (فان قلت) ما المؤمن (قلت) هو في اللغة المصدق وأما في الشريعة فقد اختلف فيه على قولين أحدهما ان كل من نطق بالشهادتين مواطئا قلبه لسانه فهو مؤمن

لعلكم تفلحون وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير

﴿سورة المؤمنون مكية وهي مائة وتسع عشرة آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكوة فاعلون والذين هم لفروجهم حافظون

والآخر أنه صفة مدح لا يستحقها الا البر التقي دون الفاسق الشقي * الخشوع في الصلاة خشية القلب والباد البصر عن قتادة وهو الزامه موضع السجود وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يصلي رافعا بصره الى السماء فلما نزلت هذه الآية رمى ببصره نحو مسجده وكان الرجل من العلماء اذا قام الى الصلاة هاب الرحمن أن يشد بصره الى شيء أو يحدث نفسه بشأن من شأن الدنيا وقيل هو جمع الهمة لها والاعراض عما سواها ومن الخشوع أن يستعمل الآداب فيتوقى كف الثوب والعبث بجسده وثيابه والالتفات والتمطي والتثاؤب والتغميض وتغطية الفم والسدل والفرقعة والتشبيك والاختصار وتقليب الحصا روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أبصر رجلا يعبث بلحيته في الصلاة فقال لو خشع قلبه خشعت جوارحه ونظر الحسن الى رجل يعبث بالحصا وهو يقول اللهم زوجني الحور العين فقال بئس الخاطب أنت تخطب وأنت تعبث (فان قلت) لم أضيفت الصلاة اليهم (قلت) لان الصلاة دائرة بين المصلي والمصلى له فالمصلي هو المنتفع بها وحده وهي عدته وذخيرته فهي صلاته وأما المصلى له فغني متعال عن الحاجة اليها والانتفاع بها * اللغو ما لا يعنيك من قول أو فعل كاللعب والهزل وما توجب المروءة الغاءه واطراحه يعني أن بهم من الجد ما يشغلهم عن الهزل لما وصفهم بالخشوع في الصلاة أتبعه الوصف بالاعراض عن اللغو ليجمع لهم الفعل والترك الشاقين على الانفس اللذين هما قاعدتا بناء التكليف * الزكاة اسم مشترك بين عين ومعنى فالعين القدر الذي يخرجه المزكي من النصاب الى الفقير والمعنى فعل المزكي الذي هو التزكية وهو الذي أراده الله فجعل المزكين فاعلين له ولا يسوغ فيه غيره لانه ما من مصدر الا يعبر عن معناه بالفعل ويقال لمحدثه فاعل تقول للضارب فاعل الضرب وللقاتل فاعل القتل وللمزكي فاعل التزكية وعلى هذا الكلام كله والتحقيق فيه أنك تقول في جميع الحوادث من فاعل هذا فيقال لك فاعله الله أو بعض الخلق ولم يمتنع الزكاة الدالة على العين أن يتعلق بها فاعلون لخروجها من صحة أن يتناولها الفاعل ولكن لان الخلق ليسوا بفاعليها وقد أنشد لامية بن أبي الصلت

المطعمون الطعام في السنة الازمة * والفاعلون للزكوات

ويجوز أن يراد بالزكاة العين ويقدر مضاف محذوف وهو الاداء وحمل البيت على هذا أصح لانها فيه مجموعة (على أزواجهم) في موضع الحال أي الا والين على أزواجهم أو قوامين عليهن من قولك كان فلان على فلانة فمات عنها فخلف عليها فلان ونظيره كان زياد على البصرة أي واليا عليها ومنه قولهم فلانة تحت فلان ومن ثمة سميت المرأة فراشا والمعنى أنهم لفروجهم حافظون في كافة الاحوال الا في حال تزوجهم أو تسريهم أو تعلق على بمحذوف يدل عليه غير ملومين كأنه قيل يلامون الا على أزواجهم أي يلامون على كل مباشر الا على ما أطلق لهم فانهم غير ملومين عليه أو تجعله صلة لحافظين من قولك احفظ علي عنان فرسي على تضمينه معنى النفي كما ضمن قولهم نشدتك بالله الا فعلت معنى ما طلبت منك الا فعلك (فان قلت) هلا قيل من ملكت (قلت) لانه أريد من جنس العقلاء ما يجري مجرى غير العقلاء وهم الاناث * جعل المستثنى حدا أوجب الوقوف عنده ثم قال فمن أحدث ابتغاء وراء هذا الحد مع فسحته واتساعه وهو اباحة أربع من الحرائر ومن الاماء ما شئت (فأولئك هم) الكاملون في العدوان المتناهون فيه (فان قلت) هل فيه دليل على تحريم المتعة (قلت) لا لان المنكوحة نكاح المتعة من جملة الازواج اذا صح النكاح * وقرئ (لامانتهم) سمي الشيء المؤتمن عليه والمعاهد عليه أمانة وعهدا ومنه قوله تعالى ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها وقال وتخونوا أماناتكم وانما تؤدى العيون لا المعاني ويخان المؤتمن عليه لا الامانة في نفسها * والراعي القائم على الشيء بحفظ واصلاح كراعي الغنم وراعي الرعية ويقال من راعي هذا الشيء أي متوليه وصاحبه ويحتمل العموم في كل ما ائتمنوا عليه وعوهدوا من جهة الله تعالى ومن جهة الخلق والخصوص فيما حملوه من أمانات الناس وعهودهم * وقرئ (على صلاتهم) (فان قلت) كيف كرر ذكر الصلاة أولا وآخرا (قلت) هما ذكران مختلفان فليس بتكرير وصفوا أولا بالخشوع في صلاتهم وآخرا بالمحافظة عليها وذلك أن لا يسهوا عنها ويؤدوها في أوقاتها ويقيموا أركانها ويوكلوا نفوسهم بالاهتمام بها وبما ينبغي أن تتم به أوصافها وأيضا فقد وحدت

الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون والذين هم على صلواتهم يحافظون

آخر ماده * قوله تعالى والذين هم للزكاة فاعلون (قال) الزكاة تطلق ويراد بها العين المخرجة وتطلق ويراد بها فعل المزكي وهو التزكية ويتعين هنا أن يكون المراد التزكية لقوله فاعلون اذ العين المخرجة لم يفعلها المزكي ثم ضبط المصدر على الاطلاق بانه الذي يصدق عليه انه فعل الفاعل فعلى هذا تكون العين المخرجة مصدرا بالنسبة الى الله تعالى وكذلك السموات والارض وكل مخلوق من جوهر وعرض قال لجميع الحوادث اذا قيل من فاعلها فيقال الله أو بعض الخلق (قال أحمد) ويقول السني فاعل جميعها هو الله وحده لا شريك له ولكن اذا سئل بصيغة مشتقة من الفعل على طريقة اسم الفاعل مثل ان يقال له من القائم من القاعد أجاب بمن خلق الله الفعل على يديه وجعله محلا لكونه مو

أولا ليفاد الخشوع في جنس الصلاة أي صلاة كانت وجمعت آخرا لتفاد المحافظة على أعدادها وهي الصلوات الخمس والوتر والسنن المرتبة مع كل صلاة وصلاة الجمعة والعيدين والجنازة والاستسقاء والكسوف والخسوف وصلاة الضحى والتهجد وصلاة التسبيح وصلاة الحاجة وغيرها من النوافل * أي (أولئك) الجامعون لهذه الأوصاف (هم الوارثون) الأحقاء بأن يسموا وراثا دون من عداهم ثم ترجم الوارثين بقوله (الذين يرثون الفردوس) فجاء بفخامة وجزالة لإرثهم لا تخفى على الناظر ومعنى الإرث ما مر في سورة مريم * أنث الفردوس على تأويل الجنة وهو البستان الواسع الجامع لأصناف الثمر روي أن الله عز وجل بنى جنة الفردوس لبنة من ذهب ولبنة من فضة وجعل خلالها المسك الأذفر وفي رواية ولبنة من مسك مذرى وغرس فيها من جيد الفاكهة وجيد الريحان * السلالة الخلاصة لأنها تسل من بين الكدر وفعالة بناء للقلة كالقلامة والقمامة وعن الحسن ماء بين ظهراني الطين (فإن قلت) ما الفرق بين من ومن (قلت) الأول للابتداء والثاني للبيان كقوله من الأوثان (فإن قلت) ما معنى (جعلنا) الإنسان (نطفة) (قلت) معناه أنه خلق جوهر الإنسان أولا طينا ثم جعل جوهره بعد ذلك نطفة * القرار المستقر والمراد الرحم وصفت بالمكانة التي هي صفة المستقر فيها كقولك طريق سائر أو بمكانتها في نفسها لأنها مكنت بحيث هي وأحرزت * قرئ عظما فكسونا العظم وعظاما فكسونا العظم وعظما فكسونا العظام وعظاما فكسونا العظام وضع الواحد مكان الجمع لزوال اللبس لأن الإنسان ذو عظام كثيرة (خلقا آخر) أي خلقا مباينا للخلق الأول مباينة ما أبعدها حيث جعله حيوانا وكان جمادا وناطقا وكان أبكم وسميعا وكان أصم وبصيرا وكان أكمه وأودع باطنه وظاهره بل كل عضو من أعضائه وكل جزء من أجزائه عجائب فطرة وغرائب حكمة لا تدرك بوصف الواصف ولا تبلغ بشرح الشارح وقد احتج به أبو حنيفة فيمن غصب بيضة فأفرخت عنده قال يضمن البيضة ولا يرد الفرخ لأنه خلق آخر سوى البيضة (فتبارك الله) فتعالى أمره في قدرته وعلمه (أحسن الخالقين) أي أحسن المقدرين تقديرا فترك ذكر المميز لدلالة الخالقين عليه ونحوه طرح المأذون فيه في قوله أذن للذين يقاتلون لدلالة الصلة وروي عن عمر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغ قوله خلقا آخر قال فتبارك الله أحسن الخالقين وروي أن عبد الله بن سعد بن أبي سرح كان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم فنطق بذلك قبل إملائه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم اكتب هكذا نزلت فقال عبد الله إن كان محمد نبيا يوحى إليه فأنا نبي يوحى إلي فلحق بمكة كافرا ثم أسلم يوم الفتح * قرأ ابن أبي عبلة وابن محيصن لمائتون والفرق بين الميت والمائت أن الميت كالحي صفة ثابتة وأما المائت فيدل على الحدوث تقول زيد مائت الآن ومائت غدا كقولك يموت ونحوهما ضيق وضائق في قوله تعالى وضائق به صدرك جعل الإماتة التي هي إعدام الحياة والبعث الذي هو إعادة ما يفنيه ويعدمه دليلين أيضا على اقتدار عظيم بعد الإنشاء والاختراع (فإن قلت) فإذا لا حياة إلا حياة الإنشاء وحياة البعث (قلت) ليس في ذكر الحياتين نفي الثالثة وهي حياة القبر كما لو ذكرت ثلثي ما عندك وطويت ذكر ثلثه لم يكن دليلا على أن الثلث ليس عندك وأيضا فالغرض ذكر هذه الأجناس الثلاثة الإنشاء والإماتة والإعادة والمطوي ذكرها من جنس الإعادة * الطرائق السموات لأنه طورق بعضها فوق بعض كمطارقة النعل وكل شيء فوقه مثله فهو طريقة أو لأنها طرق الملائكة ومتقلباتهم وقيل الأفلاك لأنها طرائق الكواكب فيها مسيرها * أراد بالخلق السموات كأنه قال خلقناها فوقهم (وما كنا) عنها (غافلين) وعن حفظها وإمساكها أن تقع فوقهم بقدرتنا أو أراد به الناس وأنه إنما خلقها فوقهم ليفتح عليهم الأرزاق والبركات منها وينفعهم بأنواع منافعها وما كان غافلا عنهم وما يصلحهم (بقدر) بتقدير يسلمون معه من المضرة ويصلون إلى المنفعة أو بمقدار ما علمناه من حاجاتهم ومصالحهم (فأسكناه في الأرض) كقوله فسلكه ينابيع في الأرض وقيل جعلناه ثابتا في الأرض وقيل إنها خمسة أنهار سيحون نهر الهند وجيحون نهر بلخ ودجلة والفرات نهرا العراق والنيل نهر مصر أنزلها الله من عين واحدة من عيون الجنة فاستودعها الجبال وأجراها في الأرض وجعل فيها منافع للناس في أصناف

أولئك هم الوارثون
الذين يرثون الفردوس
هم فيها خالدون ولقد
خلقنا الإنسان من
سلالة من طين ثم
جعلناه نطفة في قرار
مكين ثم خلقنا النطفة
علقة فخلقنا العلقة
مضغة فخلقنا المضغة
عظاما فكسونا العظام
لحما ثم أنشأناه خلقا
آخر فتبارك الله أحسن
الخالقين ثم إنكم بعد
ذلك لميتون ثم إنكم
يوم القيامة تبعثون
ولقد خلقنا فوقكم
سبع طرائق وما كنا
عن الخلق غافلين وأنزلنا
من السماء ماء بقدر
فأسكناه في الأرض

معايشهم * وكما قدر على انزاله فهو قادر على رفعه وازالته وقوله (على ذهاب به) من أوقع النكرات وأحزها للفصل والمعنى على وجه من وجوه الذهاب به وطريق من طرقه وفيه ايذان باقتدار المذهب وأنه لا يتعايا عليه شيء اذا أراده وهو أبلغ في الايعاد من قوله قل أرأيتم ان أصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين فعلى العباد أن يستعظموا النعمة في الماء ويقيدوها بالشكر الدائم ويخافوا نفارها اذا لم تشكر * خص هذه الانواع الثلاثة لانها أكرم الشجر وأفضلها وأجمعها للمنافع ووصف النخل والعنب بان ثمرهما جامع بين أمرين بأنه فاكهة يتفكه بها وطعام يؤكل رطبا ويابسا رطبا وعنبا وتمرا وزبيبا والزيتون بأن دهنه صالح للاستصباح والاصطباغ جميعا ويجوز أن يكون قوله ومنها تأكلون من قولهم يأكل فلان من حرفة يحترفها ومن ضيعة يغتلها ومن تجارة يتربح بها يعنون أنها طعمته وجهته التي منها يحصل رزقه كأنه قال وهذه الجنات وجوه أرزاقكم ومعايشكم منها ترزقون وتتعيشون (وشجرة) عطف على جنات وقرئت مرفوعة على الابتداء أي ومما أنشئ لكم شجرة (طور سيناء) وطور سينين لا يخلو اما أن يضاف فيه الطور الى بقعة اسمها سيناء وسينون واما أن يكون اسما للجبل مركبا من مضاف ومضاف اليه كامرئ القيس وكبعلبك فمن أضاف فمن كسر سين سيناء فقد منع الصرف للتعريف والعجمة أو التأنيث لانها بقعة وفعلاء لا يكون ألفه للتأنيث كعلباء وحرباء ومن فتح فلم يصرف لان الالف للتأنيث كصحراء وقيل هو جبل فلسطين وقيل بين مصر وأيلة ومنه نودي موسى عليه السلام وقرأ الاعمش سينا على القصر (بالدهن) في موضع الحال أي تنبت وفيها الدهن وقرئ تنبت وفيه وجهان أحدهما أن أنبت بمعنى نبت وأنشد لزهير

رأيت ذوي الحاجات حول بيوتهم * قطينا لهم حتى اذا أنبت البقل

والثاني أن مفعوله محذوف أي تنبت زيتونها وفيه الزيت وقرئ تنبت بضم التاء وفتح الباء وحكمه حكم تنبت وقرأ ابن مسعود تخرج الدهن وصبغ الآكلين وغيره تخرج بالدهن وفي حرف أبي تثمر بالدهن وعن بعضهم تنبت بالدهان وقرأ الاعمش وصبغا وقرئ وصباغ ونحوهما دبغ ودباغ والصبغ الغمس للائتدام وقيل هي أول شجرة نبتت بعد الطوفان ووصفها الله تعالى بالبركة في قوله توقد من شجرة مباركة * قرئ نسقيكم بتاء مفتوحة أي تسقيكم الانعام (ومنها تأكلون) أي تتعلق بها منافع من الركوب والحمل وغير ذلك كما تتعلق بما لا يؤكل لحمه من الخيل والبغال والحمير وفيها منفعة زائدة وهي الاكل الذي هو انتفاع بذواتها والقصد بالانعام الى الابل لانها هي المحمول عليها في العادة وقرنها بالفلك التي هي السفائن لانها سفائن البر قال ذو الرمة * سفينة بر تحت خدي زمامها * يريد صيدحه (غيره) بالرفع على المحل وبالجر على اللفظ والجملة استئناف تجري مجرى التعليل للامر بالعبادة (أفلا تتقون) أفلا تخافون أن ترفضوا عبادة الله الذي هو ربكم وخالقكم ورازقكم وشكر نعمته التي لا تحصونها واجب عليكم ثم تذهبوا فتعبدوا غيره مما ليس من استحقاق العبادة في شيء (أن يتفضل عليكم) أن يطلب الفضل عليكم ويرأسكم كقوله تعالى وتكون لكما الكبرياء في الارض (بهذا) اشارة الى نوح عليه السلام أو الى ما كلمهم به من الحث على عبادة الله أي ما سمعنا بمثل هذا الكلام أو بمثل هذا الذي يدعي وهو بشر أنه رسول الله وما أعجب شأن الضلال لم يرضوا للنبوة ببشر وقد رضوا للالهية بحجر وقولهم ما سمعنا بهذا يدل على أنهم وآباءهم كانوا في فترة متطاولة أو تكذبوا في ذلك لانهماكهم في الغي وتشمرهم لان يدفعوا الحق بما أمكنهم وبما عن لهم من غير تمييز منهم بين صدق وكذب ألا تراهم كيف جننوه وقد علموا أنه أرجح الناس عقلا وأوزنهم قولا * والجنة الجنون أو الجن أي به جن يخبلونه (حتى حين) أي احتملوه واصبروا عليه الى زمان حتى ينجلي أمره عن عاقبة فان أفاق من جنونه والا قتلتموه * في نصرته اهلاكهم فكأنه قال أهلكهم بسبب تكذيبهم اياي أو انصرني بدل ما كذبوني كما تقول هذا بذاك أي بدل ذاك ومكانه والمعنى أبدلني من غم تكذيبهم سلوة النصرة عليهم أو انصرني بانجاز ما وعدتهم من العذاب وهو ما كذبوه فيه حين قال لهم اني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم (بأعيننا) بحفظنا وكلاءتنا كأن معه من الله حفاظا يكلؤونه بعيونهم لئلا يتعرض له ولا يفسد عليه مفسد عمله ومنه

وانا على ذهاب به لقادرون
فأنشأنا لكم به جنات
من نخيل وأعناب لكم
فيها فواكه كثيرة ومنها
تأكلون وشجرة تخرج
من طور سيناء تنبت
بالدهن وصبغ للآكلين
وان لكم في الانعام
لعبرة نسقيكم مما في
بطونها ولكم فيها منافع
كثيرة ومنها تأكلون
وعليها وعلى الفلك
تحملون ولقد أرسلنا
نوحا الى قومه فقال يا قوم
اعبدوا الله ما لكم من
اله غيره أفلا تتقون
فقال الملأ الذين كفروا
من قومه ما هذا الا
بشر مثلكم يريد أن
يتفضل عليكم ولو شاء الله
لأنزل ملائكة ما سمعنا
بهذا في آبائنا الاولين
ان هو الا رجل به جنة
فتربصوا به حتى حين
قال رب انصرني بما
كذبون فأوحينا اليه أن
اصنع الفلك بأعيننا

قولهم عليه من الله عين كالئة (ووحينا) أي نأمرك كيف تصنع ونعلمك روي أنه أوحى اليه أن يصنعها على مثال جؤجؤ الطائر * روي أنه قيل لنوح عليه السلام اذا رأيت الماء يفور من التنور فاركب أنت ومن معك في السفينة فلما نبع الماء من التنور أخبرته امرأته فركب وقيل كان تنور آدم عليه السلام وكان من حجارة فصار الى نوح واختلف في مكانه فعن الشعبي في مسجد الكوفة عن يمين الداخل مما يلي باب كندة وكان نوح عمل السفينة وسط المسجد وقيل بالشام بموضع يقال له عين وردة وقيل بالهند وعن ابن عباس رضي الله عنه التنور وجه الارض وعن قتادة أشرف موضع في الارض أي أعلاه وعن علي رضي الله عنه فار التنور وطلع الفجر وقيل معناه أن فوران التنور كان عند تنوير الفجر وقيل هو مثل كقولهم حمي الوطيس والقول هو الاول * يقال سلك فيه دخله وسلك غيره وأسلكه قال * حتى اذا أسلكوهم في قتائدة (من كل زوجين) من كل أمتي زوجين وهما أمة الذكر وأمة الانثى كالجمال والنوق والحصن والرماك (اثنين) واحدين مزدوجين كالجمل والناقة والحصان والرمكة روي أنه لم يحمل الا ما يلد ويبيض وقرئ من كل بالتنوين أي من كل أمة زوجين واثنين تأكيد وزيادة بيان * جيء بعلى مع سبق الضار كما جيء باللام مع سبق النافع قال الله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين ونحوه قوله تعالى لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت وقول عمر رضي الله عنه ليتها كانت كفافا لا علي ولا لي * (فان قلت) لم نهاه عن الدعاء لهم بالنجاة (قلت) لما تضمنته الآية من كونهم ظالمين وايجاب الحكمة أن يغرقوا لا محالة لما عرف من المصلحة في اغراقهم والمفسدة في استبقائهم وبعد أن أملى لهم الدهر المتطاول فلم يزيدوا الا ضلالا ولزمتهم الحجة البالغة لم يبق الا أن يجعلوا عبرة للمعتبرين * ولقد بالغ في ذلك حيث أتبع النهي عنه الامر بالحمد على هلاكهم والنجاة منهم كقوله فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين * ثم أمره أن يدعو بدعاء هو أهم وأنفع له وهو طلب أن ينزله في السفينة أو في الارض عند خروجه منها منزلا يبارك له فيه ويعطيه الزيادة في خير الدارين وأن يشفع الدعاء بالثناء عليه المطابق لمسئلته وهو قوله (وأنت خير المنزلين) (فان قلت) هلا قيل فقولوا لقوله فاذا استويت أنت ومن معك لانه في معنى فاذا استويتم (قلت) لانه نبيهم وامامهم فكان قوله قولهم مع ما فيه من الاشعار بفضل النبوة واظهار كبرياء الربوبية وأن رتبة تلك المخاطبة لا يترقى اليها الا ملك أو نبي * وقرئ منزلا بمعنى انزالا أو موضع انزال كقوله ليدخلنهم مدخلا يرضونه (ان) هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بين النافية وبينها والمعنى وان الشأن والقصة (كنا لمبتلين) أي مصيبين قوم نوح ببلاء عظيم وعقاب شديد أو مختبرين بهذه الآيات عبادنا لننظر من يعتبر ويذكر كقوله تعالى ولقد تركناها آية فهل من مدكر (قرنا آخرين) هم عاد قوم هود عن ابن عباس رضي الله عنهما وتشهد له حكاية الله تعالى قول هود واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح ومجيء قصة هود على أثر قصة نوح في سورة الاعراف وسورة هود والشعراء * (فان قلت) حق أرسل أن يعدى بالى كأخواته التي هي وجه وأنفذ وبعث فما باله عدي في القرآن بالى تارة وبفي أخرى كقوله كذلك أرسلناك في أمة وما أرسلنا في قرية من نذير (فأرسلنا فيهم رسولا) أي في عاد وفي موضع آخر والى عاد أخاهم هودا (قلت) لم يعد بفي كما عدي بالى ولم يجعل صلة مثله ولكن الامة أو القرية جعلت موضعا للارسال كما قال رؤبة * أرسلت فيها مصعبا ذا اقحام * وقد جاء بعث على ذلك في قوله ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا (أن) مفسرة لارسلنا أي قلنا لهم على لسان الرسول (اعبدوا الله) * (فان قلت) ذكر مقال قوم هود في جوابه في سورة الاعراف وسورة هود بغير واو قال الملأ الذين كفروا من قومه انا لنراك في سفاهة قالوا يا هود ما جئتنا ببينة وههنا مع الواو فأي فرق بينهما (قلت) الذي بغير واو على تقدير سؤال سائل قال فما قال قومه فقيل له قالوا كيت وكيت وأما الذي مع الواو فعطف لما قالوه على ما قاله ومعناه أنه اجتمع في الحصول هذا الحق وهذا الباطل وشتان ما هما (بلقاء الآخرة) بلقاء ما فيها من الحساب والثواب والعقاب كقولك يا حبذا جوار مكة أي جوار الله في مكة * حذف الضمير والمعنى من مشربه أو حذف منه

ووحينا فاذا جاء أمرنا وفار التنور فاسلك فيها من كل زوجين اثنين وأهلك الا من سبق عليه القول منهم ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون فاذا استويت أنت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين وقل رب أنزلني منزلا مباركا وأنت خير المنزلين ان في ذلك لآيات وان كنا لمبتلين ثم أنشأنا من بعدهم قرنا آخرين فأرسلنا فيهم رسولا منهم أن اعبدوا الله ما لكم من اله غيره أفلا تتقون وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة وأترفناهم في الحياة الدنيا ما هذا الا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون ولئن أطعتم بشرا مثلكم

لدلالة ما قبله عليه (اذا) واقع في جزاء الشرط وجواب الذين قاولوهم من قومهم أي تخسرون عقولكم
وتغبنون في آرائكم * ثنى (أنكم) للتوكيد وحسن ذلك الفصل ما بين الاول والثاني بالظرف ومخرجون
خبر عن الاول أو جعل أنكم مخرجون مبتدأ واذا متم خبرا على معنى اخراجكم اذا متم ثم أخبر بالجملة عن
أنكم أو رفع أنكم مخرجون بفعل هو جزاء الشرط كأنه قيل اذا متم وقع اخراجكم ثم أوقعت الجملة الشرطية
خبرا عن أنكم وفي قراءة ابن مسعود أيعدكم اذا متم * قرئ (هيهات) بالفتح والكسر والضم كلها بتنوين وبلا
تنوين وبالسكون على لفظ الوقف * (فان قلت) ما توعدون هو المستبعد ومن حقه أن يرتفع بهيهات كما ارتفع
في قوله * فهيهات هيهات العقيق وأهله * فما هذه اللام (قلت) قال الزجاج في تفسيره البعد لما توعدون
أو بعد لما توعدون فيمن نون فنزله منزلة المصدر وفيه وجه آخر وهو أن يكون اللام لبيان المستبعد ما هو
بعد التصويت بكلمة الاستبعاد كما جاءت اللام في هيت لك لبيان المهيت به * هذا ضمير لا يعلم ما يعنى به الا بما
يتلوه من بيانه وأصله ان الحياة (الا حياتنا الدنيا) ثم وضع هي موضع الحياة لان الخبر يدل عليها ويبينها
ومنه هي النفس تتحمل ما حملت وهي العرب تقول ما شاءت والمعنى لا حياة الا هذه الحياة لان ان النافية
دخلت على هي التي في معنى الحياة الدالة على الجنس فنفتها فوازنت لا التي تنفي ما بعدها نفي الجنس (نموت
ونحيا) أي يموت بعض ويولد بعض ينقرض قرن ويأتي قرن آخر * ثم قالوا ما هو الا مفتر على الله فيما يدعيه
من استنبائه له وفيما يعدنا من البعث وما نحن بمصدقين (قليل) صفة للزمان كقديم وحديث في قولك
ما رأيته قديما ولا حديثا وفي معناه عن قريب وما توكيد لمعنى قلة المدة وقصرها (الصيحة) صيحة جبريل
عليه السلام صاح عليهم فدمرهم (بالحق) بالوجوب لانهم قد استوجبوا الهلاك أو بالعدل من الله من
قولك فلان يقضي بالحق اذا كان عادلا في قضاياه * شبههم في دمارهم بالغثاء وهو حميل السيل مما بلي واسود
من العيدان والورق ومنه قوله تعالى فجعله غثاء أحوى وقد جاء مشددا في قول امرئ القيس
* من السيل والغثاء فلكة مغزل * بعدا وسحقا ونحوهما مصادر موضوعة مواضع أفعالها وهي من
جملة المصادر التي قال سيبويه نصبت بأفعال لا يستعمل اظهارها ومعنى بعدا بعدوا أي هلكوا يقال بعد بعدا
وبعدا نحو رشد رشدا ورشدا (للقوم الظالمين) بيان لمن دعي عليه بالبعد نحو هيت لك ولما توعدون (قرونا)
قوم صالح ولوط وشعيب وغيرهم وعن ابن عباس رضي الله عنهما بني اسرائيل (أجلها) الوقت الذي حد
لهلاكها وكتب (تترى) فعلى الالف للتأنيث لان الرسل جماعة وقرئ تترى بالتنوين والتاء بدل من الواو
كما في تولج وتيقور أي متواترين واحدا بعد واحد من الوتر وهو الفرد أضاف الرسل اليه تعالى والى أممهم
ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات لان الاضافة تكون بالملابسة والرسول ملابس
المرسل والمرسل اليه جميعا (فأتبعنا) الامم أو القرون (بعضهم بعضا) في الاهلاك (وجعلناهم) أخبارا يسمر
بها ويتعجب منها * الاحاديث تكون اسم جمع للحديث ومنه أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وتكون
جمعا للاحدوثة التي هي مثل الاضحوكة والالعوبة والاعجوبة وهي ما يتحدث به الناس تلهيا وتعجبا وهو
المراد ههنا * (فان قلت) ما المراد بالسلطان المبين (قلت) يجوز أن تراد العصا لانها كانت أم آيات موسى
وأولاها وقد تعلقت بها معجزات شتى من انقلابها حية وتلقفها ما أفكته السحرة وانفلاق البحر وانفجار
العيون من الحجر بضربهما بها وكونها حارسا وشمعة وشجرة خضراء مثمرة ودلوا ورشاء فجعلت كأنها
ليست بعضها لما استبدت به من الفضل فلذلك عطفت عليها كقوله تعالى وجبريل وميكال ويجوز أن
تراد الآيات أنفسها أي هي آيات وحجة بينة (عالين) متكبرين ان فرعون علا في الارض لا يريدون علوا
في الارض أو متطاولين على الناس قاهرين بالبغي والظلم * البشر يكون واحدا وجمعا بشرا سويا لبشرين
فاما ترين من البشر * ومثل وغير يوصف بهما الاثنان والجمع والمذكر والمؤنث انكم اذا مثلهم ومن
الارض مثلهن ويقال أيضا هما مثلاه وهم أمثاله ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم (وقومهما)
يعني بني اسرائيل كأنهم يعبدوننا خضوعا وتذللا أو لانه كان يدعي الالهية فادعى للناس العبادة وأن طاعتهم

انكم اذا لخاسرون
أيعدكم أنكم اذا متم
وكنتم ترابا وعظاما أنكم
مخرجون هيهات
هيهات لما توعدون ان
هي الا حياتنا الدنيا
نموت ونحيا وما نحن
بمبعوثين ان هو الا رجل
افترى على الله كذبا
وما نحن له بمؤمنين قال
رب انصرني بما كذبون
قال عما قليل ليصبحن
نادمين فأخذتهم
الصيحة بالحق فجعلناهم
غثاء فبعدا للقوم
الظالمين ثم أنشأنا من
بعدهم قرونا آخرين
ما تسبق من أمة
أجلها وما يستأخرون
ثم أرسلنا رسلنا تترى
كلما جاء أمة رسولها
كذبوه فأتبعنا بعضهم
بعضا وجعلناهم
أحاديث فبعدا للقوم
لا يؤمنون ثم أرسلنا
موسى وأخاه هرون
بآياتنا وسلطان مبين
الى فرعون وملئه
فاستكبروا وكانوا قوما
عالين فقالوا أنؤمن
لبشرين مثلنا وقومهما
لنا عابدون فكذبوهما
فكانوا من المهلكين
ولقد آتينا

* وقوله عز وجل يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا (قال هذا النداء والخطاب ليسا على ظاهرهما وكيف والرسل انما أرسلوا متفرقين في أزمنة مختلفة (٧٤) وانما المعنى الاعلام بان كل رسول في زمانه نودي بذلك) قال أحمد هذه نفحة اعتزالية فان مذهب أهل السنة ان الله تعالى متكلم آمر ناه أزلا ولا يشترط في تحقق الامر وجود المخاطب فعلى هذا قوله كلوا من الطيبات واعملوا صالحا على ظاهره وحقيقته عند أهل الحق وهو ثابت أزلا على تقدير وجود المخاطبين فيما لا يزال متفرقين كما في هذا الخطاب أو مجتمعين كما في زعمه والمعتزلة لما أبت اعتقاد قدم الكلام ألزمتهم القدم حتى حملوا هذه الآية ونحوها على المجاز وخلاف الظاهر وما بال الزمخشري خص هذه الآية بأنها على خلاف الظاهر ومعتقده يوجب حمل مثل قوله أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وجميع الأوامر العامة للأمة على خلاف الظاهر

له عبادة على الحقيقة (موسى الكتاب) أي قوم موسى التوراة (لعلهم) يعملون بشرائعها ومواعظها كما قال على خوف من فرعون وملائهم يريد آل فرعون وكما يقولون هاشم وثقيف وتميم ويراد قومهم ولا يجوز أن يرجع الضمير في لعلهم الى فرعون وملئه لان التوراة انما أوتيها بنو اسرائيل بعد اغراق فرعون وملئه ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الاولى * (فان قلت) لو قيل آيتين هل كان يكون له وجه (قلت) نعم لان مريم ولدت من غير مسيس وعيسى روح من الله ألقي اليها وقد تكلم في المهد وكان يحيي الموتى مع معجزات أخر فكان آية من غير وجه واللفظ محتمل للتثنية على تقدير (وجعلنا ابن مريم) آية (وأمه آية) ثم حذفت الاولى لدلالة الثانية عليها * الربوة والرباوة في رائها الحركات وقرئ بربوة ورباوة بالضم ورباوة بالكسر وهي الارض المرتفعة قيل هي ايليا أرض بيت المقدس وانها كبد الارض وأقرب الارض الى السماء بثمانية عشر ميلا عن كعب وقيل دمشق وغوطتها وعن الحسن فلسطين والرملة وعن أبي هريرة الزموا هذه الرملة رملة فلسطين فانها الربوة التي ذكرها الله وقيل مصر * والقرار المستقر من أرض مستوية منبسطة وعن قتادة ذات ثمار وماء يعني انه لاجل الثمار يستقر فيها ساكنوها * والمعين الماء الظاهر الجاري على وجه الارض وقد اختلف في زيادة ميمه وأصالته فوجه من جعله مفعولا أنه مدرك بالعين لظهوره من عانه اذا أدركه بعينه نحو ركبه اذا ضربه بركبته ووجه من جعله فعيلا انه نفاع بظهوره وجريه من الماعون وهو المنفعة * هذا النداء والخطاب ليسا على ظاهرهما وكيف والرسل انما أرسلوا متفرقين في أزمنة مختلفة وانما المعنى الاعلام بان كل رسول في زمانه نودي لذلك ووصي به ليعتقد السامع أن أمرا نودي له جميع الرسل ووصوا به حقيق أن يؤخذ به ويعمل عليه * والمراد بالطيبات ما حل وطاب وقيل طيبات الرزق حلال وصاف وقوام فالحلال الذي لا يعصى الله فيه والصافي الذي لا ينسى الله فيه والقوام ما يمسك النفس ويحفظ العقل أو أريد ما يستطاب ويستلذ من المآكل والفواكه ويشهد له مجيئه على عقب قوله وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين ويجوز أن يقع هذا الاعلام عند ايواء عيسى ومريم الى الربوة فذكر على سبيل الحكاية أي آويناهما وقلنا لهما هذا أي أعلمناهما أن الرسل كلهم خوطبوا بهذا فكلا مما رزقناكما واعملا صالحا اقتداء بالرسل * وقرئ وان بالكسر على الاستئناف وأن بمعنى ولان وأن مخففة من الثقيلة و (أمتكم) مرفوعة معها * وقرئ (زبرا) جمع زبور أي كتبا مختلفة يعني جعلوا دينهم أديانا وزبرا قطعا استعيرت من زبر الفضة والحديد وزبرا مخففة الباء كرسل في رسل * أي كل فرقة من فرق هؤلاء المختلفين المتقطعين دينهم فرح بباطله مطمئن النفس معتقد أنه على الحق * الغمرة الماء الذي يغمر القامة فضربت مثلا لما هم مغمورون فيه من جهلهم وعمايتهم أو شبهوا باللاعبين في غمرة الماء لما هم عليه من الباطل قال

* كأنني ضارب في غمرة لعب *

وعن علي رضي الله عنه في غمراتهم (حتى حين) الى أن يقتلوا أو يموتوا سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ونهى عن الاستعجال بعذابهم والجزع من تأخيره * وقرئ يمدهم ويسارع ويسرع بالياء والفاعل الله سبحانه وتعالى ويجوز في يسارع ويسرع أن يتضمن ضمير الممد به ويسارع مبنيا للمفعول والمعنى أن هذا الامداد ليس الا استدراجا لهم الى المعاصي واستجرارا الى زيادة الاثم وهم يحسبونه مسارعة لهم في الخيرات وفيما لهم فيه نفع واكرام ومعاجلة بالثواب قبل وقته ويجوز أن يراد في جزاء الخيرات كما يفعل بأهل الخير من المسلمين و (بل) استدراك لقوله أيحسبون يعني بل هم أشباه البهائم لا فطنة بهم ولا شعور حتى يتأملوا ويتفكروا في ذلك أهو استدراج أم مسارعة في الخير (فان قلت) أين الراجع من خبر أن الى اسمها اذا لم يستكن فيه ضميره (قلت) هو محذوف تقديره نسارع به ويسارع به ويسارع الله به كقوله ان ذلك لمن عزم الامور أي ان ذلك منه وذلك لاستطالة الكلام مع أمن الالباس

موسى الكتاب لعلهم يهتدون وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا اني بما تعملون عليم وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون فذرهم في غمرتهم حتى حين أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون والذين هم بآيات ربهم يؤمنون والذين هم بربهم لا يشركون والذين

(يؤتون ما آتوا) يعطون ما أعطوا وفي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعائشة يأتون ما أتوا أي يفعلون
ما فعلوا وعنها أنها قالت قلت يا رسول الله هو الذي يزني ويسرق ويشرب الخمر وهو على ذلك يخاف الله قال لا
يا ابنة الصديق ولكن هو الذي يصلي ويصوم ويتصدق وهو على ذلك يخاف الله أن لا يقبل منه (يسارعون
في الخيرات) يحتمل معنيين أحدهما أن يراد يرغبون في الطاعات أشد الرغبة فيبادرونها والثاني أنهم
يتعجلون في الدنيا المنافع ووجوه الاكرام كما قال فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة وآتيناه أجره
في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين لانهم اذا سورع بها لهم فقد سارعوا في نيلها وتعجلوها وهذا الوجه
أحسن طباقا للآية المتقدمة لان فيه اثبات ما نفي عن الكفار للمؤمنين وقرئ يسرعون في الخيرات (وهم لها
سابقون) أي فاعلون السبق لاجلها أو سابقون الناس لاجلها أو اياها سابقون أي ينالونها قبل الآخرة
حيث عجلت لهم في الدنيا ويجوز أن يكون لها سابقون خبرا بعد خبر ومعنى وهم لها كمعنى قوله

* أنت لها أحمد من بين البشر * يعني أن هذا الذي وصف به الصالحين غير خارج من حد الوسع والطاقة
وكذلك كل ما كلفه عباده وما عملوه من الاعمال فغير ضائع عنده بل هو مثبت لديه في كتاب يريد اللوح أو
صحيفة الاعمال ناطق بالحق لا يقرؤن منه يوم القيامة الا ما هو صدق وعدل لا زيادة فيه ولا نقصان ولا يظلم
منهم أحد أو أراد أن الله لا يكلف الا الوسع فان لم يبلغ المكلف أن يكون على صفة هؤلاء السابقين بعد أن
يستفرغ وسعه ويبذل طاقته فلا عليه ولدينا كتاب فيه عمل السابق والمقتصد ولا نظلم أحدا من حقه
ولا نحطه دون درجته * بل قلوب الكفرة في غفلة غامرة لها (من هذا) أي مما عليه هؤلاء الموصوفون من
المؤمنين (ولهم أعمال) متجاوزة متخطية لذلك أي لما وصف به المؤمنون (هم لها) معتادون وبها ضارون
لا يفطمون عنها حتى يأخذهم الله بالعذاب * وحتى هذه هي التي يبتدأ بعدها الكلام والكلام الجملة
الشرطية والعذاب قتلهم يوم بدر أو الجوع حين دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اللهم اشدد
وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فابتلاهم الله بالقحط حتى أكلوا الجيف والكلاب
والعظام المحترقة والقد والاولاد * الجؤار الصراخ باستغاثة قال * جأر ساعات النيام لربه * أي يقال لهم
حينئذ (لا تجأروا) فان الجؤار غير نافع لكم (انكم منا لا تنصرون) لا تغاثون ولا تمنعون منا أو من جهتنا لا يلحقكم
نصر ومعونة * قالوا الضمير في (به) للبيت العتيق أو للحرم كانوا يقولون لا يظهر علينا أحد لانا أهل الحرم
والذي سوغ هذا الاضمار شهرتهم بالاستكبار بالبيت وأنه لم تكن لهم مفخرة الا أنهم ولاته والقائمون به
ويجوز أن يرجع الى آياتي الا أنه ذكر لانها في معنى كتابي ومعنى استكبارهم بالقرآن تكذيبهم به استكبارا
ضمن مستكبرين معنى مكذبين فعدي تعديته أو يحدث لكم استماعه استكبارا وعتوا فأنتم مستكبرون
بسببه أو تتعلق الباء بسامرا أي تسمرون بذكر القرآن وبالطعن فيه وكانوا يجتمعون حول البيت بالليل
يسمرون وكانت عامة سمرهم ذكر القرآن وتسميته سحرا وشعرا وسب رسول الله صلى الله عليه وسلم
أو بتهجرون والسامر نحو الحاضر في الاطلاق على الجمع وقرئ سمرا وسمارا وتهجرون وتهجرون من أهجر
في منطقه اذا أفحش والهجر بالضم الفحش ومن هجر الذي هو مبالغة في هجر اذا هذى والهجر بالفتح الهذيان
(القول) القرآن يقول أفلم يتدبروه ليعلموا أنه الحق المبين فيصدقوا به وبمن جاء به بل (أجاءهم ما لم يأت
آباءهم) فلذلك أنكروه واستبدعوه كقوله لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم فهم غافلون أو ليخافوا عند تدبر آياته
وأقاصيصه مثل ما نزل بمن قبلهم من المكذبين أم جاءهم من الامن ما لم يأت آباءهم حين خافوا الله فآمنوا
به وبكتبه ورسله وأطاعوه وآباؤهم اسمعيل وأعقابه من عدنان وقحطان وعن النبي صلى الله عليه وسلم
لا تسبوا مضر ولا ربيعة فانهما كانا مسلمين ولا تسبوا قسا فانه كان مسلما ولا تسبوا الحرث بن كعب ولا أسد
ابن خزيمة ولا تميم بن مر فانهم كانوا على الاسلام وما شككتم فيه من شيء فلا تشكوا في أن تبعا كان مسلما
وروي في أن ضبة كان مسلما وكان على شرطة سليمان بن داود (أم لم يعرفوا) محمدا وصحة نسبه وحلوله في سطة
هاشم وأمانته وصدقه وشهامته وعقله واتسامه بانه خير فتيان قريش والخطبة التي خطبها أبو طالب

يؤتون ما آتوا وقلوبهم
وجلة أنهم الى ربهم
راجعون أولئك
يسارعون في الخيرات
وهم لها سابقون ولا
نكلف نفسا الا وسعها
ولدينا كتاب ينطق
بالحق وهم لا يظلمون
بل قلوبهم في غمرة من
هذا ولهم أعمال من
دون ذلك هم لها عاملون
حتى اذا أخذنا مترفيهم
بالعذاب اذا هم
يجأرون لا تجأروا
اليوم انكم منا
لا تنصرون قد كانت
آياتي تتلى عليكم
فكنتم على أعقابكم
تنكصون مستكبرين
به سامرا تهجرون أفلم
يدبروا القول أم جاءهم
ما لم يأت آباءهم الاولين
أم لم يعرفوا رسولهم
فهم له منكرون أم
يقولون به جنة بل
جاءهم بالحق

* قوله تعالى بل جاءهم بالحق وأكثرهم للحق كارهون (قال فإن قلت أكثرهم يعطي أن أقلهم لا يكره الحق فكيف ذلك والكل كفرة قلت فيهم من أبى الإسلام حذرا من مخالفة آبائه ومن أن يقال صبأ كأبي طالب لا كراهة للحق) قال أحمد وأحسن من هذا أن يكون الضمير في قوله وأكثرهم على الجنس للناس كافة ولما ذكر هذه الطائفة من الجنس بنى الكلام في قوله وأكثرهم على الجنس بجملته كقوله إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وكقوله وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين ويدل على ذلك قوله تعالى بل جاءهم بالحق والنبي صلى الله عليه وسلم جاء

الناس كلهم وبعث إلى الكافة ويحتمل أن يحمل الأكثر على الكل كما حمل القليل على النفي والله أعلم وأما قول الزمخشري إن من تمادى على الكفر وآثر البقاء عليه تقليدا لآبائه ليس كارها للحق فمردود فإن من أحب شيئا كره ضده فإذا أحبوا البقاء على الكفر فقد كرهوا الانتقال عنه إلى الإيمان ضرورة والله أعلم ثم انتهى الكلام إلى استبعاد إيمان أبي طالب وتحقيق القول فيه أنه مات على الكفر ووجه ذلك بأنه أشهر عمومة النبي صلى الله عليه وسلم فلو كان لو قد أسلم لاشتهر إسلامه كما اشتهر إسلام العباس وحمزة وأجدر لأنه أشهر وللقائل بإسلامه أن يعتذر عن عدم شهرته بأنه إنما أسلم قبيل الاحتضار فلم يظهر له مواقف في الإسلام يشتهر بها كما ظهر لغيره من عمومته عليه الصلاة والسلام هذا والظاهر أنه لم يسلم وحسبك دليلا على ذلك قوله عليه الصلاة والسلام سألت الله تعالى فيه وأنه بعد ذلك لفي ضحضاح من نار يغلي رأسه من قدميه * فإن قيل لا يلزم من ذلك موته على الكفر لأن كثيرا من عصاة الموحدين يعذب بأكثر من ذلك * قلنا من أثبت إسلامه ادعى أن ذلك كان قبيل الاحتضار فالإسلام يجب ما قبله وتلك الدقيقة التي صار فيها من المسلمين لا تحتمل من المعاصي ما يوجب ذلك والله أعلم

وأكثرهم للحق كارهون ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن بل أتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون أم تسألهم خرجا فخراج ربك خير وهو خير الرازقين وإنك لتدعوهم إلى صراط مستقيم وإن الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا في طغيانهم يعمهون ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم

في نكاح خديجة بنت خويلد كفى برغائها مناديا * الجنة الجنون وكانوا يعلمون أنه بريء منها وأنه أرجحهم عقلا وأثقبهم ذهنا ولكنه جاءهم بما خالف شهواتهم وأهواءهم ولم يوافق ما نشؤوا عليه وسيط بلحومهم ودمائهم من اتباع الباطل ولم يجدوا له مردا ولا مدفعا لأنه الحق الأبلج والصراط المستقيم فأخلدوا إلى البهت وعولوا على الكذب من النسبة إلى الجنون والسحر والشعر (فإن قلت) قوله (وأكثرهم) فيه أن أقلهم كانوا لا يكرهون الحق (قلت) كان فيهم من يترك الإيمان به أنفة واستنكافا من توبيخ قومه وأن يقولوا صبأ وترك دين آبائه لا كراهة للحق كما يحكى عن أبي طالب (فإن قلت) يزعم بعض الناس أن أبا طالب صح إسلامه (قلت) يا سبحان الله كأن أبا طالب كان أخمل أعمام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يشتهر إسلام حمزة والعباس رضي الله عنهما ويخفى إسلام أبي طالب * دل بهذا على عظم شأن الحق وأن السموات والأرض ما قامت ولا من فيهن إلا به فلو اتبع أهواءهم لانقلب باطلا ولذهب ما يقوم به العالم فلا يبقى له بعده قوام أو أراد أن الحق الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وهو الإسلام لو اتبع أهواءهم وانقلب شركا لجاء الله بالقيامة ولأهلك العالم ولم يؤخر وعن قتادة أن الحق هو الله ومعناه ولو كان الله إلها يتبع أهواءهم ويأمر بالشرك والمعاصي لما كان إلها ولكان شيطانا ولما قدر أن يمسك السموات والأرض (بذكرهم) أي بالكتاب الذي هو ذكرهم أي وعظهم أو وصيتهم وفخرهم أو بالذكر الذي كانوا يتمنونه ويقولون لو أن عندنا ذكرا من الأولين لكنا عباد الله المخلصين وقرئ بذكراهم * قرئ خرجا فخراج وخراجا فخرج وخرجا فخرج وخراجا فخراج وهو ما تخرجه إلى الإمام من زكاة أرضك وإلى كل عامل من أجرته وجعله وقيل الخرج ما تبرعت به والخراج ما لزمك أداؤه والوجه أن الخرج أخص من الخراج كقولك خراج القرية وخرج الكردة زيادة اللفظ لزيادة المعنى ولذلك حسنت قراءة من قرأ خرجا فخراج ربك يعني أم تسألهم على هدايتك لهم قليلا من عطاء الخلق فالكثير من عطاء الخالق خير قد ألزمهم الحجة في هذه الآيات وقطع معاذيرهم وعللهم بأن الذي أرسل إليهم رجل معروف أمره وحاله مخبور سره وعلنه خليق بأن يجتبى مثله للرسالة من بين ظهرانيهم وأنه لم يعرض له حتى يدعي بمثل هذه الدعوى العظيمة بباطل ولم يجعل ذلك سلما إلى النيل من دنياهم واستعطاء أموالهم ولم يدعهم إلا إلى دين الإسلام الذي هو الصراط المستقيم مع إبراز المكنون من أدوائهم وهو إخلالهم بالتدبر والتأمل واستهتارهم بدين الآباء الضلال من غير برهان وتعللهم بأنه مجنون بعد ظهور الحق وثبات التصديق من الله بالمعجزات والآيات النيرة وكراهتهم للحق وإعراضهم عما فيه حظهم من الذكر * يحتمل أن هؤلاء وصفتهم أنهم لا يؤمنون بالآخرة (لناكبون) أي عادلون عن هذا الصراط المذكور وهو قوله إلى صراط مستقيم وأن كل من لا يؤمن بالآخرة فهو عن القصد ناكب * لما أسلم ثمامة بن أثال الحنفي ولحق باليمامة ومنع الميرة من أهل مكة وأخذهم الله بالسنين حتى أكلوا العلهز جاء أبو سفيان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له أنشدك الله والرحم ألست تزعم أنك بعثت رحمة للعالمين فقال بلى فقال قتلت الآباء بالسيف والأبناء بالجوع والمعنى

* قوله تعالى فما استكانوا لربهم وما يتضرعون (قال استكان استفعل من الكون أي انتقل من كون إلى كون كما قيل استحال إذا انتقل من حال إلى حال) قال أحمد هذا التأويل أسلم وأحق من تأويل من اشتقه من السكون وجعله افتعل ثم أشبعت الفتحة فتولدت الألف كتولدها في قوله * ساغ من ذفرى غضوب جسرة * فإن هذا الإشباع ليس بفصيح وهو من ضرورات الشعر فينبغي أن ترفع منزلة القرآن عن وروده فيه لكن تنظير الزمخشري له باستحال وهم فإن استكان على تأويله أحد أقسام استفعل الذي معناه التحول كقولهم استحجر الطين واستنوق الجمل وأما استحال فثلاثيه حال حول إذا انتقل من حال إلى حال وإذا كان الثلاثي يفيد معنى التحول لم يبق لصيغة استفعل فيها أثر فليس استحال من استفعل التحول ولكنه من استفعل بمعنى فعل وهو أحد أقسامه إذ لم يزد السداسي فيه على الثلاثي معنى والله أعلم ثم نعود إلى تأويله فنقول المعنى عليه فما انتقلوا من كون التكبر والتجبر والاعتياص إلى كون الخضوع والضراعة إلى الله تعالى * ولقائل أن يقول استكان يفيد على التأويل المذكور الانتقال من كون إلى كون فليس حمله على أنه انتقال عن التكبر إلى الخضوع بأولى من العكس وترى هذه الصيغة لا تفهم إلا أحد الانتقالين فلو كانت مشتقة من مطلق الكون لكانت محتملة للانتقالين جميعا * والجواب أن أصلها كذلك على الإطلاق ولكن غلب العرف على استعمالها في الانتقال الخاص كما غلب في غيرها والله أعلم وكان

وما يتضرعون حتى إذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد إذا هم فيه مبلسون وهو الذي أنشأ لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون وهو الذي ذرأكم في الأرض وإليه تحشرون وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار أفلا تعقلون بل قالوا مثل ما قال الأولون قالوا أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل إن هذا إلا أساطير الأولين قل

لو كشف الله عنهم هذا الضر وهو الهزال والقحط الذي أصابهم برحمته عليهم ووجدوا الخصب لارتدوا إلى ما كانوا عليه من الاستكبار وعداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وإفراطهم فيها ولذهب عنهم هذا الإبلاس وهذا التملق بين يديه يسترحمونه * واستشهد على ذلك بأنا أخذناهم أولا بالسيوف وبما جرى عليهم يوم بدر من قتل صناديدهم وأسرهم فما وجدت منهم بعد ذلك استكانة ولا تضرع حتى فتحنا عليهم باب الجوع الذي هو أشد من الأسر والقتل وهو أطم العذاب فأبلسوا الساعة وخضعت رقابهم وجاء أعتاهم وأشدهم شكيمة في العناد يستعطفك أو محناهم بكل محنة من القتل والجوع فما رؤي فيهم لين مقادة وهم كذلك حتى إذا عذبوا بنار جهنم فحينئذ يبلسون كقوله ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون والإبلاس اليأس من كل خير وقيل السكوت مع التحير (فإن قلت) ما وزن استكان (قلت) استفعل من الكون أي انتقل من كون إلى كون كما قيل استحال إذا انتقل من حال إلى حال ويجوز أن يكون افتعل من السكون أشبعت فتحة عينه كما جاء بمنتزاح (فإن قلت) هلا قيل وما تضرعوا أو فما يستكينون (قلت) لأن المعنى محناهم فما وجدت منهم عقيب المحنة استكانة وما من عادة هؤلاء أن يستكينوا ويتضرعوا حتى يفتح عليهم باب العذاب الشديد وقرئ فتحنا * إنما خص السمع والأبصار والأفئدة لأنه يتعلق بها من المنافع الدينية والدنيوية ما لا يتعلق بغيرها ومقدمة منافعها أن يعملوا أسماعهم وأبصارهم في آيات الله وأفعاله ثم ينظروا ويستدلوا بقلوبهم ومن لم يعملها فيما خلقت له فهو بمنزلة عادمها كما قال تعالى فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء إذ كانوا يجحدون بآيات الله ومقدمة شكر النعمة فيها الإقرار بالمنعم بها وأن لا يجعل له ند ولا شريك * أي تشكرون شكرا قليلا (وما) مزيدة للتأكيد بمعنى حقا (ذرأكم) خلقكم وبثكم بالتناسل (وإليه) تجمعون يوم القيامة بعد تفرقكم (وله اختلاف الليل والنهار) أي هو مختص به وهو متوليه ولا يقدر على تصريفهما غيره * وقرئ يعقلون بالياء عن أبي عمرو أي قال أهل مكة كما قال الكفار قبلهم * الأساطير جمع أسطار جمع سطر قال رؤبة * إني وأسطار سطرن سطرا *

لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون سيقولون لله قل أفلا تذكرون قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل

جدي أبو العباس أحمد بن فارس الفقيه الوزير رحمه الله يذكر أنه لما دخل بغداد زمن الإمام الناصر رضي الله عنه أظهر من جملة كراماته له أن جمع له الوزير جميع علماء بغداد وتقدمهم محفلا للمناظرة وكان يذكر أن مما انجر الكلام إليه حينئذ هذه الآية وأن أحدهم وكان يعرف بالأجل اللغوي خصه الوزير بالسؤال عنها فقال هو مشتق من قول العرب كنت لك إذا انخضعت وهي لغة هذلية فاستحسن منه ذلك * قال أحمد وقد وقفت عليها بعد ذلك في غريب أبي عبيد الهروي وهو أحسن محامل الآية وأسلمها والله أعلم وعلى هذا يكون من استفعل بمعنى فعل كقولهم استقر واستعلى وحال واستحال على ما مر وقد قال لي بعضهم يوما لم لا تحمله على هذا التأويل من استفعل المبني للمبالغة مثل استحسر واستعصم من حسر وعصم فقلت لا يسعني ذلك لأن المعنى يأباه وذلك أنها جاءت في النفي والمقصود منها ذم هؤلاء بالجفوة والقسوة وعدم الخضوع مع ما يوجب نهاية الضراعة من أخذهم بالعذاب فلو ذهبت إلى جعلها للمبالغة أفادت نفي المبالغة لأن نفي الأبلغ أدنى من نفي الأدنى وكأنهم على ذلك ذموا بنفي الخضوع الكثير وإنهم ما بلغوا في الضراعة نهايتها وليس الواقع فإنهم ما استكانوا بالضراعة ولا بلغة منها فكيف تنفي عنهم النهاية الموهمة لحصول البداية والله أعلم

* قوله تعالى ادفع بالتي هي أحسن السيئة (قال) فيه هذا أبلغ من أن يقال ادفع بالحسنة السيئة لما فيه من التفضيل كأنه قال ادفع بالحسنى السيئة والمعنى الصفح عن اساءتهم ومقابلتها بما أمكن من الاحسان حتى اذا اجتمع الصفح والاحسان وبذل الاستطاعة فيه كانت حسنة مضاعفة بازاء سيئة وهذه قضية قوله بالتي هي أحسن (قال أحمد) ما ذكره تقريرا للمفاضلة عبارة عن الاشتراك في أمر والتميز بغيره ولا اشتراك بين الحسنة والسيئة فانهما ضدان متقابلان فكيف تتحقق المفاضلة * قلت المراد أن الحسنة من باب الحسنات أزيد من السيئة من (٧٨) باب السيئات فتجيء المفاضلة بما هو أعم من كون هذه حسنة وهذه سيئة وذلك شأن كل مفاضلة بين ضدين تقولهم العسل أحلى من الخل يعنون أنه في الاصناف الحلوة أميز من الخل في الاصناف الحامضة وليس لأن بينهما اشتراكا كما تقدم ومن هذا القبيل ما يحكى عن أشعب الطامع أنه قال نشأت أنا والأعمش في حجر فلان فما زال يعلو وأسفل حتى استوينا يعني أنهما استويا في بلوغ كل منهما الغاية أشعب بلغ الغاية على السفلة والأعمش بلغ الغاية على العلية هذا تفسير كلامه عن نفسه ونعود الى الآية فنقول هي تحتمل وجها آخر من التفضيل أقرب متناولا وهو أن تكون المفاضلة بين الحسنات التي تدفع بها السيئة فانها قد تدفع بالصفح والاغضاء ويقنع في دفعها بذلك وقد يزاد على الصفح الاكرام وقد تبلغ غايته ببذل الاستطاعة فهذه الانواع من الدفع كلها دفع بحسنة ولكن أحسن هذه الحسنات في الدفع هي الاخيرة لاشتمالها على عدد من الحسنات فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بأحسن الحسنات في دفع السيئة فعلى هذا تجري المفاضلة على حقيقة من غير احتياج الى تأويل والله أعلم فتأمله فانه حسن جدا ٣ (أما ترئنهم) هذه نسخة وفي أخرى وأما ترئني بالهمز كما قرئ الخ اهـ مصححه

وهي ما كتبه الاولون مما لا حقيقة له وجمع أسطورة أوفق * أي أجيبوني عما استعلمتكم منه ان كان عندكم فيه علم وفيه استهانة بهم وتجويز لفرط جهالتهم بالديانات أن يجهلوا مثل هذا الظاهر البين * وقرئ تذكرون بحذف التاء الثانية ومعناه أفلا تتذكرون فتعلموا أن من فطر الارض ومن فيها اختراعا كان قادرا على اعادة الخلق وكان حقيقا بأن لا يشرك به بعض خلقه في الربوبية * قرئ الاول باللام لا غير والاخيران باللام وهو هكذا في مصاحف أهل الحرمين والكوفة والشأم وبغير اللام وهو هكذا في مصاحف أهل البصرة فباللام على المعنى لأن قولك من ربه ولمن هو في معنى واحد وبغير اللام على اللفظ * ويجوز قراءة الاول بغير لام ولكنها لم تثبت في الرواية (أفلا تتقون) أفلا تخافونه فلا تشركوا به وتعصوا رسله * أجرت فلانا على فلان اذا أغثته منه ومنعته يعني وهو يغيث من يشاء ممن يشاء ولا يغيث أحد منه أحدا (تسحرون) تخدعون عن توحيده وطاعته والخادع هو الشيطان والهوى * وقرئ أتيتهم وأتيتهم بالفتح والضم (بالحق) بأن نسبة الولد اليه محال والشرك باطل (وانهم لكاذبون) حيث يدعون له ولدا ومعه شريكا (لذهب كل اله بما خلق) لانفرد كل واحد من الآلهة بخلقه الذي خلقه واستبد به ولرأيتم ملك كل واحد منهم متميزا من ملك الآخرين ولغلب بعضهم بعضا كما ترون حال ملوك الدنيا ممالكهم متمايزة وهم متغالبون وحين لم تروا أثرا لتمايز الممالك والتغالب فاعلموا أنه اله واحد بيده ملكوت كل شيء * (فان قلت) اذا لا تدخل الا على كلام هو جزاء وجواب فكيف وقع قوله لذهب جزاء وجوابا ولم يتقدمه شرط ولا سؤال سائل (قلت) الشرط محذوف تقديره ولو كان معه آلهة وانما حذف لدلالة قوله وما كان معه من اله عليه وهو جواب لمن معه المحاجة من المشركين (عما يصفون) من الانداد والاولاد (عالم الغيب) بالجر صفة لله وبالرفع خبر مبتدأ محذوف * ما والنون مؤكدتان أي ان كان لا بد من أن تريني ما تعدهم من العذاب في الدنيا أو في الآخرة (فلا تجعلني) قرينا لهم ولا تعذبني بعذابهم عن الحسن أخبره الله أن له في أمته نقمة ولم يخبره أفي حياته أم بعد موته فأمره أن يدعو بهذا الدعاء (فان قلت) كيف يجوز أن يجعل الله نبيه المعصوم مع الظالمين حتى يطلب أن لا يجعله معهم (قلت) يجوز أن يسأل العبد ربه ما علم أنه يفعله وأن يستعيذ به مما علم أنه لا يفعله اظهارا للعبودية وتواضعا لربه واخباتا له واستغفاره صلى الله عليه وسلم اذا قام من مجلسه سبعين مرة أو مائة مرة لذلك وما أحسن قول الحسن في قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه وليتكم ولست بخيركم كان يعلم أنه خيرهم ولكن المؤمن يهضم نفسه * ٣ وقرئ اما ترئنهم بالهمز مكان تريني كما قرئ فاما ترئن ولترؤن الجحيم وهي ضعيفة * وقوله رب مرتين قبل الشرط وقبل الجزاء حث على فضل تضرع وجؤار * كانوا ينكرون الوعيد بالعذاب ويضحكون منه واستعجالهم له لذلك فقيل لهم ان الله قادر على انجاز ما وعد ان تأملتم فما وجه هذا الانكار * هو أبلغ من أن يقال بالحسنة السيئة لما فيه من التفضيل كأنه قال ادفع بالحسنى السيئة والمعنى الصفح عن اساءتهم

أفلا تتقون قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل فأنى تسحرون بل أتيناهم بالحق وانهم لكاذبون ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون قل رب اما تريني ما يوعدون رب فلا تجعلني في القوم الظالمين وانا على أن نريك ما نعدهم لقادرون ادفع بالتي هي أحسن السيئة نحن أعلم

* قوله تعالى فاذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون (قال ان قلت قد ناقض هذا قوله فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون)
قال أحمد يجب أن لا يسلك هذا المسلك فى ايراد الاسئلة عن فوائد الكتاب العزيز الذى لا يأتيه الباطل (٧٩) من بين يديه ولا من خلفه
تنزيل من حكيم حميد وسؤال الادب أن يقال فمن فهم من عن الجمع بين هاتين الآيتين فما وجهه ولو سأل سائل عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن شئ من كتاب الله تعالى بهذه الصيغة

ومقابلتها بما أمكن من الاحسان حتى اذا اجتمع الصفح والاحسان وبذل الاستطاعة فيه كانت حسنة مضاعفة بازاء سيئة وهذه قضية قوله بالتى هى أحسن وعن ابن عباس رضى الله عنهما هى شهادة أن لا اله الا الله والسيئة الشرك وعن مجاهد السلام يسلم عليه اذا لقيه وعن الحسن الاغضاء والصفح وقيل هى منسوخة بآية السيف وقيل محكمة لان المداراة محثوث عليها ما لم تؤد الى ثلم دين وازراء بمروءة (بما يصفون) بما يذكرونه من أحوالك بخلاف صفتها أو بوصفهم لك وسوء ذكرهم والله أعلم بذلك منك وأقدر على جزائهم * الهمز النخس والهمزات جمع المرة منه ومنه مهماز الرائض والمعنى أن الشياطين يحثون الناس على المعاصى ويغرونهم عليها كما تهمز الراضة الدواب حثا لها على المشى ونحو الهمز الاز فى قوله تعالى تؤزهم أزا أمر بالتعوذ من نخساتهم بلفظ المبتهل الى ربه المكرر لندائه وبالتعوذ من أن يحضروه أصلا ويحوموا حوله وعن ابن عباس رضى الله عنه عند تلاوة القرآن وعن عكرمة عند النزع (حتى) يتعلق بيصفون أى لا يزالون على سوء الذكر الى هذا الوقت والآية فاصلة بينهما على وجه الاعتراض والتأكيد للاغضاء عنهم مستعينا بالله على الشيطان أن يستزله عن الحلم ويغريه على الانتصار منهم أو على قوله وانهم لكاذبون * خطاب الله بلفظ الجمع للتعظيم كقوله * فان شئت حرمت النساء سواكم * وقوله * ألا فارحمونى يا اله محمد * اذا أيقن بالموت واطلع على حقيقة الامر أدركته الحسرة على ما فرط فيه من الايمان والعمل الصالح فيه فسأل ربه الرجعة وقال (لعلى أعمل صالحا) فى الايمان الذى تركته والمعنى لعلى آتى بما تركته من الايمان وأعمل فيه صالحا كما تقول لعلى أبنى على أس تريد أؤسس أساوأبنى عليه وقيل فيما تركت من المال وعن النبى صلى الله عليه وسلم اذا عاين المؤمن الملائكة قالوا نرجعك الى الدنيا فيقول الى دار الهموم والاحزان بل قدوما الى الله وأما الكافر فيقول رب ارجعون (كلا) ردع عن طلب الرجعة وانكار واستبعاد * والمراد بالكلمة الطائفة من الكلام المنتظم بعضها مع بعض وهى قوله لعلى أعمل صالحا فيما تركت (هو قائلها) لا محالة لا يخليها ولا يسكت عنها لاستيلاء الحسرة عليه وتسلط الندم أو هو قائلها وحده لا يجاب اليها ولا تسمع منه (ومن ورائهم برزخ) والضمير للجماعة أى أمامهم حائل بينهم وبين الرجعة الى يوم البعث وليس المعنى أنهم يرجعون يوم البعث وانما هو اقناط كلى لما علم أنه لا رجعة يوم البعث الا الى الآخرة * الصور بفتح الواو عن الحسن والصور بالكسر والفتح عن أبى رزين وهذا دليل لمن فسر الصور بجمع الصورة * ونفى الانساب يحتمل أن التقاطع يقع بينهم حيث يتفرقون معاقبين ومثابين ولا يكون التواصل بينهم والتآلف الا بالاعمال فتلغو الانساب وتبطل وأنه لا يعتد بالانساب لزوال التعاطف والتراحم بين الاقارب اذ يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه وعن ابن مسعود ولا يساءلون بادغام التاء فى السين (فان قلت) قد ناقض هذا ونحو قوله ولا يسأل حميم حميما قوله وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون وقوله يتعارفون بينهم فكيف التوفيق بينهما (قلت) فيه جوابان أحدهما ان يوم القيامة مقداره خمسون ألف سنة ففيه أزمنة وأحوال مختلفة يتساءلون ويتعارفون فى بعضها وفى بعضها لا يفطنون لذلك لشدة الهول والفزع والثانى أن التناكر يكون عند النفخة الاولى فاذا كانت الثانية قاموا فتعارفوا وتساءلوا وعن ابن عباس * الموزون جمع موزون وهى الموزونات من الاعمال أى الصالحات التى لها وزن وقدر عند الله تعالى من قوله تعالى فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا (فى جهنم خالدون) بدل من خسروا أنفسهم ولا محل للبدل والمبدل منه لان الصلة لا محل لها أو خبر بعد خبر لاولئك أو خبر مبتدا محذوف (تلفح) تسفع وقال الزجاج اللفح والنفح واحد الا أن اللفح أشد تأثيرا * والكلوح أن تتقلص الشفتان وتتشمر عن الاسنان كما ترى الرؤس المشوية وعن مالك ابن دينار كان سبب توبة عتبة الغلام أنه مر فى السوق برأس أخرج من التنور فغشى عليه ثلاثة أيام ولياليهن

عما يصفون وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون حتى اذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلى أعمل صالحا فيما تركت كلا انها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون فاذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم فى جهنم خالدون تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون ألم تكن آياتى تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون قالوا ربنا

لا يوجع ظهوره بالدرة ويعاد كلامه الى جواب السؤال (قال وجه الجمع بينهما أن يحمل ذلك على اختلاف موقف القيامة) قال أحمد وكثيرا ما ينتهز الزمخشرى الفرصة فى انكار الشفاعة وتمهيد له للرد على القائلين بها اذا انتهى الى مثل قوله ولا تنفعها شفاعة لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة ويتغافل حينئذ عن طريق الجمع بين ما ظاهره نفى الشفاعة وبين ما ظاهره ثبوتها بحمل الامر على اختلاف الاحوال فى القيامة والله الموفق

غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون قال اخسؤا فيها ولا تكلمون انه كان فريق من عبادي يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا حتى أنسوكم ذكري وكنتم منهم تضحكون اني جزيتهم اليوم بما صبروا أنهم هم الفائزون قال كم لبثتم في الارض عدد سنين قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم فاسئل العادين قال ان لبثتم الا قليلا لو أنكم كنتم تعلمون أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم الينا لا ترجعون فتعالى الله الملك الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخي شفته السفلى حتى تبلغ سرته وقرئ كلحون (غلبت علينا) ملكتنا من قولك غلبني فلان على كذا اذا أخذه منك وامتلكه * والشقاوة سوء العاقبة التي علم الله أنهم يستحقونها بسوء أعمالهم قرئ شقوتنا وشقاوتنا بفتح الشين وكسرها فيهما (اخسؤا فيها) ذلوا فيها وانزجروا كما تنزجر الكلاب اذا زجرت يقال خسأ الكلب وخسأ بنفسه (ولا تكلمون) في رفع العذاب فانه لا يرفع ولا يخفف قيل هو آخر كلام يتكلمون به ثم لا كلام بعد ذلك الا الشهيق والزفير والعواء كعواء الكلاب لا يفهمون ولا يفهمون وعن ابن عباس ان لهم ست دعوات اذا دخلوا النار قالوا ألف سنة ربنا أبصرنا وسمعنا فيجابون حق القول مني فينادون ألفا ربنا أمتنا اثنتين فيجابون ذلكم بأنه اذا دعي الله وحده كفرتم فينادون ألفا يا مالك ليقض علينا ربك فيجابون انكم ماكثون فينادون ألفا ربنا أخرنا فيجابون أولم تكونوا فينادون ألفا ربنا أخرجنا نعمل صالحا فيجابون أولم نعمركم فينادون ألفا رب ارجعون فيجابون اخسؤا فيها * في حرف أبي أنه كان فريق بالفتح بمعنى لأنه * السخري بالضم والكسر مصدر سخر كالسخر الا أن في ياء النسب زيادة قوة في الفعل كما قيل الخصوصية في الخصوص وعن الكسائي والفراء أن المكسور من الهزؤ والمضموم من السخرة والعبودية أي تسخروهم واستعبدوهم والاول مذهب الخليل وسيبويه قيل هم الصحابة وقيل أهل الصفة خاصة ومعناه اتخذتموهم هزؤا وتشاغلتم بهم ساخرين (حتى أنسوكم) بتشاغلكم بهم على تلك الصفة (ذكري) فتركتموه أي تركتم أن تذكروني فتخافوني في أوليائي * وقرئ (أنهم) بالفتح والكسر استئناف أي قد فازوا حيث صبروا فيجزوا بصبرهم أحسن الجزاء والفتح على أنه مفعول جزيتهم كقولك جزيتهم فوزهم (قال) في مصاحف أهل الكوفة وقل في مصاحف أهل الحرمين والبصرة والشام ففي قال ضمير الله أو المأمور بسؤالهم من الملائكة وفي قل ضمير الملك أو بعض رؤساء أهل النار * استقصروا مدة لبثهم في الدنيا اضافة الى خلودهم ولما هم فيه من عذابها لان الممتحن يستطيل أيام محنته ويستقصر ما مر عليه من أيام الدعة اليها أو لانهم كانوا في سرور وأيام السرور قصار أو لان المنقضي في حكم ما لم يكن وصدقهم الله في تقالهم لسني لبثهم في الدنيا ووبخهم على غفلتهم التي كانوا عليها * وقرئ (فسل العادين) والمعنى لا نعرف من عدد تلك السنين الا أنا نستقله ونحسبه يوما أو بعض يوم لما نحن فيه من العذاب وما فينا أن نعدها فسل من فيه أن يعد ومن يقدر أن يلقي اليه فكره وقيل فسل الملائكة الذين يعدون أعمار العباد ويحصون أعمالهم وقرئ العادين بالتخفيف أي الظلمة فانهم يقولون كما نقول وقرئ العاديين أي القدماء المعمرين فانهم يستقصرونها فكيف بمن دونهم وعن ابن عباس أنساهم ما كانوا فيه من العذاب بين النفختين * (عبثا) حال أي عابثين كقوله لاعبين أو مفعول له أي ما خلقناكم للعبث ولم يدعنا الى خلقكم الا حكمة اقتضت ذلك وهي أن نتعبدكم ونكلفكم المشاق من الطاعات وترك المعاصي ثم نرجعكم من دار التكليف الى دار الجزاء فنثيب المحسن ونعاقب المسيء (وأنكم الينا لا ترجعون) معطوف على أنما خلقناكم ويجوز أن يكون معطوفا على عبثا أي للعبث ولترككم غير مرجوعين وقرئ ترجعون بفتح التاء (الحق) الذي يحق له الملك لان كل شيء منه واليه أو الثابت الذي لا يزول ولا يزول ملكه * وصف العرش بالكرم لان الرحمة تنزل منه والخير والبركة أو لنسبته الى أكرم الاكرمين كما يقال بيت كريم اذا كان ساكنوه كراما وقرئ الكريم بالرفع ونحوه ذو العرش المجيد (لا برهان له به) كقوله ما لم ينزل به سلطانا وهي صفة لازمة نحو قوله يطير بجناحيه جيء بها للتوكيد لا أن يكون في الآلهة ما يجوز أن يقوم عليه برهان ويجوز أن يكون اعتراضا بين الشرط والجزاء كقولك من أحسن الى زيد لا أحق بالاحسان منه فالله مثيبه وقرئ أنه لا يفلح بفتح الهمزة ومعناه حسابه عدم الفلاح

* قوله عز وجل ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به (قال فيه لا برهان له به اما صفة لازمة أو كلام معترض لان في الصفة افهاما لان الها سوى الله يمكن أن يكون به برهان) (٨٠) قال أحمد ان كان صفة فالمقصود بها التهكم بمدعي اله مع الله كقوله بل أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا فانه في انزال السلطان به وان لم يكن في نفس الامر سلطان لا منزل ولا غير منزل ومن بعد ذلك يجيء الجملة بعد النكرة وصرفها عن أن تكون صفة لها ما قدمه عند قوله تعالى فاجعل بيننا وبينك موعدا لا نخلفه نحن ولا أنت حيث أعرب الزمخشري موعدا مصدرا ناصبا مكانا سوى واعترضه بان والاصل المصدر الموصوف لا يعمل الاعمال كره واعتذرت عنه بصرف الجملة عن أن تكون صفة وجعلها معترضة مؤكدة لمعنى الكلام والله أعلم

﴿القول في سورة النور﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ * قوله تعالى الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة (ذكر)
في الرفع وجهين أحدهما الابتداء والخبر محذوف وهو اعراب الخليل وسيبويه والتقدير وفيما فرض عليكم الزانية والزاني أي جلدهما
الثاني ان يكون الخبر فاجلدوا ودخلت الفاء لكون الالف واللام بمعنى الذي وقد ضمن معنى الشرط (قال أحمد) وانما عدل سيبويه الى
هذا الذي نقله عنه لوجهين لفظي ومعنوي أما اللفظي فلان الكلام أمر وهو يخيل اختيار النصب ومع ذلك قراءة العامة فلو جعل
فعل الامر خبرا وبني المبتدأ عليه لكان خلاف المختار عند الفصحاء فالتجأ الى تقدير الخبر (٨١) حتى لا يكون المبتدأ مبنيا على
الامر فتخلص من مخالفة الاختيار وقد مثلهما سيبويه في كتابه بقوله تعالى مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار الآية ووجه التمثيل انه صدر الكلام بقوله مثل الجنة ولا يستقيم جزما أن يكون قوله فيها أنهار خبره

فانما حسابه عند ربه انه لا يفلح الكافرون وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين

والاصل حسابه أنه لا يفلح هو فوضع الكافرون موضع الضمير لان من يدع في معنى الجمع وكذلك حسابه
انه لا يفلح في معنى حسابهم أنهم لا يفلحون جعل فاتحة السورة قد أفلح المؤمنون وأورد في خاتمتها انه لا يفلح
الكافرون فشتان ما بين الفاتحة والخاتمة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المؤمنون بشرته
الملائكة بالروح والريحان وما تقر به عينه عند نزول ملك الموت وروي أن أول سورة قد أفلح وآخرها
من كنوز العرش من عمل بثلاث آيات من أولها واتعظ بأربع آيات من آخرها فقد نجا وأفلح وعن عمر بن
الخطاب رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه الوحي يسمع عنده دوي كدوي النحل
فمكثنا ساعة فاستقبل القبلة ورفع يديه وقال اللهم زدنا ولا تنقصنا وأكرمنا ولا تهنا وأعطنا ولا تحرمنا
وآثرنا ولا تؤثر علينا وارض عنا وأرضنا ثم قال لقد أنزلت علي عشر آيات من أقامهن دخل الجنة ثم قرأ قد أفلح
المؤمنون حتى ختم العشر

﴿سورة النور مدنية وهي ثنتان وستون آية﴾

﴿سورة النور مدنية وهي ثنتان وستون آية وقيل أربع وستون﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

سورة أنزلناها وفرضناها وأنزلنا فيها آيات بينات لعلكم تذكرون الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله

(سورة) خبر مبتدأ محذوف و (أنزلناها) صفة أو هي مبتدأ موصوف والخبر محذوف أي فيما أوحينا اليك
سورة أنزلناها وقرئ بالنصب على زيدا ضربته ولا محل لانزلناها لانها مفسرة للمضمر فكانت في حكمه
أو على دونك سورة أو اتل سورة وأنزلناها صفة ومعنى (فرضناها) فرضنا أحكامها التي فيها وأصل الفرض
القطع أي جعلناها واجبة مقطوعا بها والتشديد للمبالغة في الايجاب وتوكيده أو لان فيها فرائض شتى وأنك
تقول فرضت الفريضة وفرضت الفرائض أو لكثرة المفروض عليهم من السلف ومن بعدهم (تذكرون)
بتشديد الذال وتخفيفها * رفعهما على الابتداء والخبر محذوف عند الخليل وسيبويه على معنى فيما فرض
عليكم (الزانية والزاني) أي جلدهما ويجوز أن يكون الخبر فاجلدوا وانما دخلت الفاء لكون الالف واللام
بمعنى الذي وتضمينه معنى الشرط تقديره التي زنت والذي زنى فاجلدوهما كما تقول من زنى فاجلدوه وكقوله
والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم وقرئ بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر
وهو أحسن من سورة أنزلناها لاجل الامر وقرئ والزان بلا ياء * والجلد ضرب الجلد يقال جلده كقولك
ظهره وبطنه ورأسه (فان قلت) أهذا حكم جميع الزناة والزواني أم حكم بعضهم (قلت) بل هو حكم من ليس
بمحصن منهم فان المحصن حكمه الرجم وشرائط الاحصان عند أبي حنيفة ست الاسلام والحرية والعقل
والبلوغ والتزوج بنكاح صحيح والدخول اذا فقدت واحدة منها فلا احصان وعند الشافعي الاسلام ليس
بشرط لما روي أن النبي صلى الله عليه وسلم رجم يهوديين زنيا وحجة أبي حنيفة قوله صلى الله عليه وسلم من
أشرك بالله فليس بمحصن (فان قلت) اللفظ يقتضي تعليق الحكم بجميع الزناة والزواني لان قوله الزانية
والزاني عام في الجميع يتناول المحصن وغير المحصن (قلت) الزانية والزاني يدلان على الجنسين المنافيين لجنسي
العفيف والعفيفة دلالة مطلقة والجنسية قائمة في الكل والبعض جميعا فأيهما قصد المتكلم فلا عليه كما

فمعنى تقدير خبره محذوفا وأصله وفيما نقص عليكم مثل الجنة

ثم لما كان هذا اجمالا لذكر المثل فصل المجمل بقوله فيها أنهار الى آخرها فكذلك ههنا كأنه قال وفيما
فرض عليكم شأن الزانية والزاني ثم فصل هذا المجمل بما ذكره من أحكام الجلد ويناسب هذا ترجمة الفقهاء في كتبهم حيث يقولون
مثلا الصلاة الزكاة السرقة ثم يذكرون في كل باب أحكامه يريدون مما نقص عليه فيه ويبوب عليه الصلاة وكذلك غيرها فهذا بيان
المقتضي عند سيبويه لاختيار حذف الخبر من حيث الصناعة اللفظية وأما من حيث المعنى فهو ان المعنى أتم وأكمل على حذف الخبر

يفعل بالاسم المشترك * وقرئ ولا يأخذكم بالياء ورأفة بفتح الهمزة ورآفة على فعالة والمعنى أن الواجب على المؤمنين أن يتصلبوا في دين الله ويستعملوا الجد والمتانة فيه ولا يأخذهم اللين والهوادة في استيفاء حدوده وكفى برسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة في ذلك حيث قال لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها وقوله (ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) من باب التهييج والهاب الغضب لله ولدينه وقيل لا تترحموا عليهما حتى لا تعطلوا الحدود أو حتى لا توجعوهما ضربا وفي الحديث يؤتى بوال نقص من الحد سوطا فيقول رحمة لعبادك فيقال له أأنت أرحم بهم مني فيؤمر به الى النار ويؤتى بمن زاد سوطا فيقول لينتهوا عن معاصيك فيؤمر به الى النار وعن أبي هريرة اقامة حد بأرض خير لاهلها من مطر أربعين ليلة وعلى الامام أن ينصب للحدود رجلا عالما بصيرا يعقل كيف يضرب والرجل يجلد قائما على مجرده ليس عليه الا ازاره ضربا وسطا لا مبرحا ولا هينا مفرقا على الاعضاء كلها لا يستثنى منها الا ثلاثة الوجه والرأس والفرج وفي لفظ الجلد اشارة الى أنه لا ينبغي أن يتجاوز الالم الى اللحم والمرأة تجلد قاعدة ولا ينزع من ثيابها الا الحشو والفرو وبهذه الآية استشهد أبو حنيفة على أن الجلد حد غير المحصن بلا تغريب وما احتج به الشافعي على وجوب التغريب من قوله صلى الله عليه وسلم البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام وما يروى عن الصحابة أنهم جلدوا ونفوا منسوخ عنده وعند أصحابه بالآية أو محمول على وجه التعزير والتأديب من غير وجوب وقول الشافعي في تغريب الحر واحد وله في العبد ثلاثة أقاويل يغرب سنة كالحر ويغرب نصف سنة كما يجلد خمسين جلدة ولا يغرب كما قال أبو حنيفة وبهذه الآية نسخ الحبس والاذى في قوله تعالى فأمسكوهن في البيوت وقوله تعالى فآذوهما * قيل تسميته عذابا دليل على انه عقوبة ويجوز أن يسمى عذابا لانه يمنع من المعاودة كما سمي نكالا * الطائفة الفرقة التي يمكن أن تكون حلقة وأقلها ثلاثة أو أربعة وهي صفة غالبة كأنها الجماعة الحافة حول الشئ وعن ابن عباس في تفسيرها أربعة الى أربعين رجلا من المصدقين بالله وعن الحسن عشرة وعن قتادة ثلاثة فصاعدا وعن عكرمة رجلان فصاعدا وعن مجاهد الواحد فما فوقه وفضل قول ابن عباس لان الاربعة هي الجماعة التي يثبت بها هذا الحد والصحيح أن هذه الكبيرة من أمهات الكبائر ولهذا قرنها الله بالشرك وقتل النفس في قوله ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما وقال ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا وعن النبي صلى الله عليه وسلم يا معشر الناس اتقوا الزنا فان فيه ست خصال ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة فأما اللاتي في الدنيا فيذهب البهاء ويورث الفقر وينقص العمر وأما اللاتي في الآخرة فيوجب السخطة وسوء الحساب والخلود في النار ولذلك وفى الله فيه عقد المائة بكماله بخلاف حد القذف وشرب الخمر وشرع فيه القتلة الهولة وهي الرجم ونهى المؤمنين عن الرأفة على المجلود فيه وأمر بشهادة الطائفة للتشهير فوجب أن تكون طائفة يحصل بها التشهير والواحد والاثنان ليسوا بتلك المثابة واختصاصهم بالمؤمنين لان ذلك أفضح والفاسق بين صلحاء قومه أخجل ويشهد له قول ابن عباس رضي الله عنهما الى أربعين رجلا من المصدقين بالله * الفاسق الخبيث الذي من شأنه الزنا والتقحب لا يرغب في نكاح الصوالح من النساء واللاتي على خلاف صفته وانما يرغب في فاسقة خبيثة من شكله أو في مشركة والفاسقة الخبيثة المسافحة كذلك لا يرغب في نكاحها الصلحاء من الرجال وينفرون عنها وانما يرغب فيها من هو من شكلها من الفسقة أو المشركين ونكاح المؤمن الممدوح عند الله الزانية ورغبته فيها وانخراطه بذلك في سلك الفسقة المتسمين بالزنا محرم عليه محظور لما فيه من التشبه بالفساق وحضور موقع التهمة والتسبب لسوء القالة فيه والغيبة وأنواع المفاسد ومجالسة الخطائين كم فيها من التعرض لاقتراف الآثام فكيف بمزاوجة الزواني والقحاب وقد نبه على ذلك بقوله وأنكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم وقيل كان بالمدينة موسرات من بغايا المشركين فرغب فقراء المهاجرين في نكاحهن فاستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وعن عائشة رضي الله عنها ان الرجل اذا زنى بامرأة ليس له أن يتزوجها لهذه الآية واذا باشرها كان زانيا وقد أجازه ابن عباس رضي الله عنهما وشبهه بمن سرق ثمر شجرة ثم اشتراه وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن ذلك فقال أوله سفاح وآخره نكاح

والحرام

ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين الزاني لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا

لانه يكون قد ذكر حكم الزانية والزاني مجملا حيث قال الزانية والزاني وأراد وفيما فرض عليكم حكم الزانية والزاني فلما تشوف السامع الى تفصيل هذا المجمل ذكر حكمهما مفصلا فهو أوقع في النفس من ذكره أول وهلة والله أعلم

*قوله تعالى الزاني لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك (قال ان قلت أي فرق بين الجملتين في المعنى قلت معنى الاولى صفة الزاني بكونه غير راغب في العفائف ولكن في الفواجر ومعنى الثانية صفة الزانية بكونها غير مرغوب فيها للاعفاء ولكن للزناة وهما معنيان مختلفان) قال أحمد وليس فيما ذكره ايضاح اطباق الجملتين ونحن نوضحه فنقول الاقسام الزاني لا يرغب الا في زانية الزانية لا ترغب الا في زان العفيف لا يرغب الا في عفيفة العفيفة لا ترغب الا في عفيف وهذه الاقسام الاربعة مختلفة المعاني وحاصرة للقسمة فنقول اختصرت الآية من هذه الاربعة قسمين واقتصرت على قسمين أخرى من المسكوت عنهما فجاءت مختصرة جامعة فالقسم الاول صريح في القسم الاول ويفهم الثالث والقسم الثاني صريح في القسم الثاني ويفهم الرابع والقسم الثالث والرابع متلازمان من حيث ان المقتضى لانحصار رغبة العفيف في العفيفة هو اجتماعهما في الصفة وذلك بعينه مقتض لانحصار رغبتها فيه ثم يفصل التعبير عن وصف الزناة والاعفاء بما لا ينفك عن ذكر الزناة وجودا وسلبا فان معنى الاول الزانية لا ينكحها عفيف ومعنى الثاني العفيفة لا ينكحها زان والسر في ذلك ان الكلام في أحكامهم فذكر الاعفاء بسلب نقائصهم حتى لا يخرج بالكلام عما هو المقصود منه ثم بينه في اسناد النكاح في هذين القسمين الذكور دون الاناث بخلاف قوله الزانية والزاني فانه جعل لكل واحد منهما تماما استقلالا وقدم الزانية على الزاني والسبب فيه ان الكلام الاول في حكم الزنا والاصل فيه المرأة لما يبدو منها من الايماض والاطماع والكلام الثاني في نكاح الزناة اذا وقع ذلك على الصحة والاصل في النكاح الذكور وهم المبتدئون بالخطبة فلم يسند الا لهم لهذا وان كان الغرض من الآية تنفير الاعفاء من الذكور والاناث من مناكحة الزناة ذكورا واناثا زجرا لهم عن الفاحشة ولذلك قرن الزنا والشرك ومن ثم كره مالك رحمه الله مناكحة المشهورين بالفاحشة وقد نقل بعض أصحابه الاجماع في المذهب على أن للمرأة أو لمن قام من أوليائها فسخ نكاح الفاسق ومالك أبعد الناس من اعتبار الكفاءة

والحرام لا يحرم الحلال وقيل المراد بالنكاح الوطء وليس بقول لامرين أحدهما أن هذه الكلمة أينما وردت في القرآن لم ترد الا في معنى العقد والثاني فساد المعنى وأداؤه الى قولك الزاني لا يزني الا بزانية والزانية لا يزني بها الا زان وقيل كان نكاح الزانية محرما في أول الاسلام ثم نسخ والناسخ قوله وانكحوا الايامى منكم وقيل الاجماع وروي ذلك عن سعيد بن المسيب رضي الله عنه (فان قلت) أي فرق بين معنى الجملة الاولى ومعنى الثانية (قلت) معنى الاولى صفة الزاني بكونه غير راغب في العفائف ولكن في الفواجر ومعنى الثانية صفة الزانية بكونها غير مرغوب فيها للاعفاء ولكن للزناة وهما معنيان مختلفان (فان قلت) كيف قدمت الزانية على الزاني أولا ثم قدم عليها ثانيا (قلت) سيقت تلك الآية لعقوبتهما على ما جنيا والمرأة هي المادة التي منها نشأت الجناية لانها لو لم تطمع الرجل ولم تومض له ولم تمكنه لم يطمع ولم يتمكن فلما كانت أصلا وأولا في ذلك بدئ بذكرها وأما الثانية فمسوقة لذكر النكاح والرجل أصل فيه لانه هو الراغب والخاطب ومنه يبدأ الطلب وعن عمرو بن عبيد رضي الله عنه لا ينكح بالجزم على النهي والمرفوع فيه أيضا معنى النهي ولكن أبلغ وآكد كما أن رحمك الله ويرحمك أبلغ من ليرحمك ويجوز أن يكون خبرا محضا على معنى أن عادتهم جارية على ذلك وعلى المؤمن أن لا يدخل نفسه تحت هذه العادة ويتصون عنها *وقرئ وحرم بفتح الحاء* القذف يكون بالزنا وبغيره والذي دل على أن المراد قذفهن بالزنا شيئان أحدهما ذكر المحصنات عقيب الزواني والثاني اشتراط أربعة شهداء لان القذف بغير الزنا يكفي فيه شاهدان والقذف بالزنا أن يقول الحر العاقل البالغ لمحصنة يا زانية أو لمحصن يا زاني يا ابن الزاني يا ابن الزانية يا ولد الزنا لست لابيك لست لرشدة والقذف بغير الزنا أن يقول يا آكل الربا يا شارب الخمر يا يهودي يا مجوسي يا فاسق يا خبيث يا ماص بظر أمه فعليه التعزير ولا يبلغ به أدنى حد العبيد وهو أربعون بل ينقص منه وقال أبو يوسف يجوز أن يبلغ به تسعة وسبعون وقال للامام أن يعزر الى المائة وشروط احصان القذف خمسة الحرية والبلوغ والعقل والاسلام والعفة *وقرئ بأربعة شهداء بالتنوين وشهداء صفة (فان قلت) كيف يشهدون مجتمعين أو متفرقين (قلت) الواجب عند أبي حنيفة وأصحابه رضي الله عنهم أن يحضروا في مجلس واحد وان جاؤا متفرقين كانوا قذفة وعند الشافعي رضي الله عنه يجوز أن يحضروا متفرقين (فان قلت) هل يجوز أن يكون زوج المقذوفة واحدا منهم (قلت) يجوز عند أبي حنيفة خلافا للشافعي (فان قلت) كيف يجلد القاذف (قلت) كما جلد الزاني الا أنه لا ينزع عنه من ثيابه الا ما ينزع عن المرأة من الحشو والفرو والقاذفة أيضا كالزانية وأشد الضرب ضرب التعزير ثم ضرب الزنا ثم ضرب شرب الخمر ثم ضرب القاذف قالوا لان سبب عقوبته محتمل للصدق والكذب الا أنه عوقب صيانة للاعراض وردعا عن هتكها (فان قلت) فاذا لم يكن المقذوف محصنا (قلت) يعزر القاذف ولا يحد الا أن يكون المقذوف معروفا بما قذف به فلا حد ولا تعزير *ورد شهادة القاذف معلق عند أبي حنيفة رضي الله عنه باستيفاء الحد فاذا شهد قبل الحد أو قبل تمام استيفائه قبلت شهادته فاذا استوفى لم تقبل شهادته أبدا وان تاب وكان من الابرار الاتقياء وعند الشافعي رضي الله عنه يتعلق رد

شهادته بنفس القذف فاذا تاب عن القذف بأن رجع عنه عاد مقبول الشهادة وكلاهما متمسك بالآية فأبو حنيفة رضي الله عنه جعل جزاء الشرط الذي هو الرمي الجلد ورد الشهادة عقيب الجلد على التأبيد فكانوا مردودي الشهادة عنده في أبدهم وهو مدة حياتهم وجعل قوله (وأولئك هم الفاسقون) كلاما مستأنفا غير داخل في حيز جزاء الشرط كأنه حكاية حال الرامين عند الله بعد انقضاء الجملة الشرطية و (الا الذين تابوا) استثناء من الفاسقين ويدل عليه قوله (فان الله غفور رحيم) والشافعي رضي الله عنه جعل جزاء الشرط الجملتين أيضا غير أنه صرف الابد الى مدة كونه قاذفا وهي تنتهي بالتوبة والرجوع عن القذف وجعل الاستثناء متعلقا بالجملة الثانية وحق المستثنى عنده أن يكون مجرورا بدلا من هم في لهم وحقه عند أبي حنيفة رضي الله عنه أن يكون منصوبا لانه عن موجب والذي يقتضيه ظاهر الآية ونظمها أن تكون الجمل الثلاث بمجموعهن جزاء الشرط كأنه قيل ومن قذف المحصنات فاجلدوهم وردوا شهادتهم وفسقوهم أي فاجمعوا لهم الجلد والرد والتفسيق الا الذين تابوا عن القذف وأصلحوا فان الله يغفر لهم فينقلبون غير مجلودين ولا مردودين ولا مفسقين (فان قلت) الكافر يقذف فيتوب عن الكفر فتقبل شهادته بالاجماع والقاذف من المسلمين يتوب عن القذف فلا تقبل شهادته عند أبي حنيفة رضي الله عنه كأن القذف مع الكفر أهون من القذف مع الاسلام (قلت) المسلمون لا يعبؤن بسب الكفار لانهم شهروا بعداوتهم والطعن فيهم بالباطل فلا يلحق المقذوف بقذف الكافر من الشين والشنار ما يلحقه بقذف مسلم مثله فشدد على القاذف من المسلمين ردعا وكفا عن الحاق الشنار (فان قلت) هل للمقذوف أو للامام أن يعفو عن حد القاذف (قلت) لهما ذلك قبل أن يشهد الشهود ويثبت الحد والمقذوف مندوب الى أن لا يرافع القاذف ولا يطالبه بالحد ويحسن من الامام أن يحمل المقذوف على كظم الغيظ ويقول له أعرض عن هذا ودعه لوجه الله قبل ثبات الحد فاذا ثبت لم يكن لواحد منهما أن يعفو لانه خالص حق الله ولهذا لم يصح أن يصالح عنه بمال (فان قلت) هل يورث الحد (قلت) عند أبي حنيفة رضي الله عنه لا يورث لقوله صلى الله عليه وسلم الحد لا يورث وعند الشافعي رضي الله عنه يورث واذا تاب القاذف قبل أن يثبت الحد سقط وقيل نزلت هذه الآية في حسان بن ثابت رضي الله عنه حين تاب مما قال في عائشة رضي الله عنها * قاذف امرأته اذا كان مسلما حرا بالغا عاقلا غير محدود في القذف والمرأة بهذه الصفة مع العفة صح اللعان بينهما اذا قذفها بصريح الزنا وهو أن يقول لها يا زانية أو زنيت أو رأيتك تزنين واذا كان الزوج عبدا أو محدودا في قذف والمرأة محصنة حد كما في قذف الاجنبيات وما لم ترافعه الى الامام لم يجب اللعان واللعان أن يبدأ الرجل فيشهد أربع شهادات بالله انه لمن الصادقين فيما رماها به من الزنا ويقول في الخامسة ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين فيما رماها به من الزنا وتقول المرأة أربع مرات أشهد بالله انه لمن الكاذبين فيما رماني به من الزنا ثم تقول في الخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين فيما رماني به من الزنا وعند الشافعي رضي الله عنه يقام الرجل قائما حتى يشهد والمرأة قاعدة وتقام المرأة والرجل قاعد حتى تشهد ويأمر الامام من يضع يده على فيه ويقول له اني أخاف ان لم تكن صادقا أن تبوء بلعنة الله وقال اللعان بمكة بين المقام والبيت وبالمدينة على المنبر وببيت المقدس في مسجده ولعان المشرك في الكنيسة وحيث يعظم واذا لم يكن له دين ففي مساجدنا الا في المسجد الحرام لقوله تعالى انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام ثم يفرق القاضي بينهما ولا تقع الفرقة بينهما الا بتفريقه عند أبي حنيفة وأصحابه رضي الله عنهم الا عند زفر فان الفرقة تقع باللعان وعن عثمان البتي لا فرقة أصلا وعند الشافعي رضي الله عنه تقع بلعان الزوج وتكون هذه الفرقة في حكم التطليقة البائنة عند أبي حنيفة ومحمد رضي الله عنهما ولا يتأبد حكمها فاذا أكذب الرجل نفسه بعد ذلك فحد جاز أن يتزوجها وعند أبي يوسف وزفر والحسن بن زياد والشافعي رضي الله عنهم هي فرقة بغير طلاق توجب تحريما مؤبدا ليس لهما أن يجتمعا بعد ذلك بوجه وروى أن آية القذف لما نزلت قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فقام عاصم بن عدي الانصاري رضي الله عنه فقال جعلني الله فداك ان وجد رجل

وأولئك هم الفاسقون الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فان الله غفور رحيم والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء الا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله انه لمن الصادقين والخامسة أن لعنت الله عليه ان كان من الكاذبين ويدرؤا عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين والخامسة أن غضب الله عليها ان كان من الصادقين ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله تواب حكيم ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل

الا في الدين وأمات النسب فقد بلغه انهم فرقوا بين عريقو هوى فاستعظمه وقال يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم

مع امرأته رجلا فأخبر جلد ثمانين وردت شهادته أبدا وفسق وإن ضربه بالسيف قتل وإن سكت سكت على غيظ وإلى أن يجيء بأربعة شهداء فقد قضى الرجل حاجته ومضى اللهم افتح وخرج فاستقبله هلال بن أمية أو عويمر فقال ما وراءك قال شر وجدت على بطن امرأتي خولة وهي بنت عاصم شريك بن سحماء فقال هذا والله سؤالي ما أسرع ما ابتليت به فرجعا فأخبر عاصم رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلم خولة فقالت لا أدري ألغيرة أدركته أم بخلا على الطعام وكان شريك نزيلهم وقال هلال لقد رأيته على بطنها فنزلت ولاعن بينهما وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند قوله وقولها ان لعنة الله عليه ان غضب الله عليها آمين وقال القوم آمين وقال لها ان كنت ألممت بذنب فاعترفي به فالرجم أهون عليك من غضب الله ان غضبه هو النار وقال تحينوا بها الولادة فان جاءت به أصهب أثيبج يضرب الى السواد فهو لشريك وان جاءت به أورق جعدا جماليا خدلج الساقين فهو لغير الذي رميت به قال ابن عباس رضي الله عنهما فجاءت بأشبه خلق الله لشريك فقال صلى الله عليه وسلم لولا الايمان لكان لي ولها شأن * وقرئ ولم تكن بالتاء لأن الشهداء جماعة أو لأنهم في معنى الأنفس التي هي بدل ووجه من قرأ أربع أن ينتصب لأنه في حكم المصدر والعامل فيه المصدر الذي هو فشهادة أحدهم وهي مبتدأ محذوف الخبر تقديره فواجب شهادة أحدهم أربع شهادات بالله وقرئ أن لعنة الله وأن غضب الله على تخفيف أن ورفع ما بعدها وقرئ أن غضب الله على فعل الغضب وقرئ بنصب الخامستين على معنى وتشهد الخامسة (فان قلت) لم خصت الملاعنة بأن تخمس بغضب الله (قلت) تغليظا عليها لانها هي أصل الفجور ومنبعه بخلابتها واطماعها ولذلك كانت مقدمة في آية الجلد ويشهد لذلك قوله صلى الله عليه وسلم لخولة فالرجم أهون عليك من غضب الله * الفضل التفضل وجواب لولا متروك وتركه دال على أمر عظيم لا يكتنه ورب مسكوت عنه أبلغ من منطوق به * الافك أبلغ ما يكون من الكذب والافتراء وقيل هو البهتان لا تشعر به حتى يفجأك وأصله الافك وهو القلب لأنه قول مأفوك عن وجهه والمراد ما أفك به على عائشة رضي الله عنها * والعصبة الجماعة من العشرة الى الأربعين وكذلك العصابة واعصوصبوا اجتمعوا وهم عبد الله بن أبي رأس النفاق وزيد بن رفاعة وحسان بن ثابت ومسطح بن أثاثة وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم * وقرئ كبره بالضم والكسر وهو عظمه والذي تولاه عبد الله لامعانه في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتهازه الفرص وطلبه سبيلا الى الغميزة * أي يصيب كل خائض في حديث الافك من تلك العصبة نصيبه من الاثم على مقدار خوضه * والعذاب العظيم لعبد الله لان معظم الشر كان منه يحكى أن صفوان رضي الله عنه مر بهودجها عليه وهو في ملأ من قومه فقال من هذه فقالوا عائشة رضي الله عنها فقال والله ما نجت منه ولا نجا منها وقال امرأة نبيكم باتت مع رجل حتى أصبحت ثم جاء يقودها * والخطاب في قوله (هو خير لكم) لمن ساءه ذلك من المؤمنين وخاصة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعائشة وصفوان بن المعطل رضي الله عنهم ومعنى كونه خيرا لهم أنهم اكتسبوا فيه الثواب العظيم لأنه كان بلاء مبينا ومحنة ظاهرة وأنه نزلت فيه ثماني عشرة آية كل واحدة منها مستقلة بما هو تعظيم لشأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتسلية له وتنزيه لأم المؤمنين رضوان الله عليها وتطهير لأهل البيت وتهويل لمن تكلم في ذلك أو سمع به فلم تمجه أذناه وعدة ألطاف للسامعين والتالين الى يوم القيامة وفوائد دينية وأحكام وآداب لا تخفى على متأمليها (بأنفسهم) أي بالذين منهم من المؤمنين والمؤمنات كقوله ولا تلمزوا أنفسكم وذلك نحو ما يروى أن أبا أيوب الأنصاري قال لأم أيوب ألا ترين ما يقال فقالت لو كنت بدل صفوان أكنت تظن بحرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم سوءا قال لا قالت ولو كنت أنا بدل عائشة رضي الله عنها ما خنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعائشة خير مني وصفوان خير منك (فان قلت) هلا قيل لولا إذ سمعتموه ظننتم بأنفسكم خيرا وقلتم ولم عدل عن الخطاب الى الغيبة وعن الضمير

* قوله تعالى لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا (قال معناه ظنوا بالذين منهم من المؤمنين والمؤمنات كقوله تعالى ولا تلمزوا أنفسكم) قال أحمد والسر في هذا التعبير تعطيف المؤمن على أخيه وتوبيخه على أن يذكره بسوء وتصوير ذلك بصورة من أخذ يقذف نفسه ويرميها بما ليس فيها من الفاحشة ولا شيء أشنع من ذلك والله أعلم * عاد كلامه (قال ونقل أن أبا أيوب الأنصاري قال لامرأته ألا ترين مقالة الناس قالت له لو كنت بدل صفوان أكنت تظن في حرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم سوءا قال لا قالت ولو كنت

هو خير لكم لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا وقالوا

أنا بدل عائشة ما خنته وصفوان خير منك وعائشة خير مني) قال أحمد ولقد ألهمت بنور الايمان الى هذا السر الذي انطوى عليه التعبير عن الغير من المؤمنين بالنفس فانها نزلت زوجها منزلة صفوان ونفسها منزلة عائشة ثم أثبتت لنفسها ولزوجها البراءة والأمانة حتى أثبتتها لصفوان وعائشة بطريق الأولى رضي الله عنها ويحتمل والله أعلم خلاف ما قاله الزمخشري وهو أن يكون التعبير بالأنفس حقيقة والمقصود إلزام سيء الظن بنفسه لأنه لم يعتمد بوازع الايمان في حق غيره وألغاه واعتبره في حق نفسه وادعى لها البراءة قبل معرفته بحكم الهوى لا بحكم الهدى والله أعلم

* قوله تعالى وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم (قال ان قلت القول لا يكون الا بالأفواه فما فائدة ذكرها قلت المراد ان هذا القول لم يكن عبارة عن علم قام بالقلب (٨٦) وانما هو مجرد قول اللسان) قال أحمد ويحتمل أن يكون المراد المبالغة أو تعريضا بأنهم ربما تشدق وتقعر بعض تشدق عالم وهذا أشد وأقطع وهو السر الذي أشار عنه قوله تعالى قد بدت البغضاء من أفواههم والله أعلم * قوله تعالى سبحانك هذا بهتان عظيم (قال) معناه التعجب

هذا افك مبين لولا جاؤا عليه بأربعة شهداء فاذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم اذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم يعظكم الله

الى الظاهر (قلت) ليبالغ في التوبيخ بطريقة الالتفات وليصرح بلفظ الايمان دلالة على أن الاشتراك فيه مقتض أن لا يصدق مؤمن على أخيه ولا مؤمنة على أختها قول عائب ولا طاعن وفيه تنبيه على أن حق المؤمن اذا سمع قالة في أخيه أن يبني الامر فيها على الظن لا على الشك وأن يقول بملء فيه بناء على ظنه بالمؤمن الخير (هذا افك مبين) هكذا بلفظ المصرح ببراءة ساحته كما يقول المستيقن المطلع على حقيقة الحال وهذا من الادب الحسن الذي قل القائم به والحافظ له وليتك تجد من يسمع فيسكت ولا يشيع ما سمعه باخوات * جعل الله التفصلة بين الرمي الصادق والكاذب ثبوت شهادة الشهود الاربعة وانتفاءها والذين رموا عائشة رضي الله عنها لم تكن لهم بينة على قولهم فقامت عليهم الحجة وكانوا (عند الله) أي في حكمه وشريعته كاذبين وهذا توبيخ وتعنيف للذين سمعوا الافك فلم يجدوا في دفعه وانكاره واحتجاج عليهم بما هو ظاهر مكشوف في الشرع من وجوب تكذيب القاذف بغير بينة والتنكيل به اذا قذف امرأة محصنة من عرض نساء المسلمين فكيف بأم المؤمنين الصديقة بنت الصديق حرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحبيبة حبيب الله * لولا الاولى للتحضيض وهذه لامتناع الشيء لوجود غيره والمعنى ولولا أني قضيت أن أتفضل عليكم في الدنيا بضروب النعم التي من جملتها الامهال للتوبة وأن أترحم عليكم في الآخرة بالعفو والمغفرة لعاجلتكم بالعقاب على ما خضتم فيه من حديث الافك * يقال أفاض في الحديث واندفع وهضب وخاض (اذ) ظرف لمسكم أو لأفضتم (تلقونه) يأخذه بعضكم من بعض يقال تلقى القول وتلقنه وتلقفه ومنه قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات * وقرئ على الاصل تتلقونه واذ تلقونه بادغام الذال في التاء وتلقونه من لقيه بمعنى لقفه وتلقونه من القائه بعضهم على بعض وتلقونه وتألقونه من الولق والألق وهو الكذب وتلقونه محكية عن عائشة رضي الله عنها وعن سفيان سمعت أمي تقرأ اذ تثقفونه وكان أبوها يقرأ بحرف عبد الله بن مسعود رضي الله عنه (فان قلت) ما معنى قوله (بأفواهكم) والقول لا يكون الا بالفم (قلت) معناه أن الشيء المعلوم يكون علمه في القلب فيترجم عنه اللسان وهذا الافك ليس الا قولا يجري على ألسنتكم ويدور في أفواهكم من غير ترجمة عن علم به في القلب كقوله تعالى يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم * أي تحسبونه صغيرة وهو عند الله كبيرة موجبة وعن بعضهم أنه جزع عند الموت فقيل له فقال أخاف ذنبا لم يكن مني على بال وهو عند الله عظيم وفي كلام بعضهم لا تقولن لشيء من سيآتك حقير فلعله عند الله نخلة وهو عندك نقير وصفهم بارتكاب ثلاثة آثام وعلق مس العذاب العظيم بها أحدها تلقي الافك بألسنتهم وذلك أن الرجل كان يلقى الرجل فيقول له ما وراءك فيحدثه بحديث الافك حتى شاع وانتشر فلم يبق بيت ولا ناد الا طار فيه والثاني التكلم مما لا علم لهم به والثالث استصغارهم لذلك وهو عظيمة من العظائم * (فان قلت) كيف جاز الفصل بين لولا وقلتم (قلت) للظروف شأن وهو تنزلها من الاشياء منزلة أنفسها لوقوعها فيها وأنها لا تنفك عنها فلذلك يتسع فيها ما لا يتسع في غيرها (فان قلت) فأي فائدة في تقديم الظرف حتى أوقع فاصلا (قلت) الفائدة فيه بيان أنه كان الواجب عليهم أن يتفادوا أول ما سمعوا بالافك عن التكلم به فلما كان ذكر الوقت أهم وجب التقديم (فان قلت) فما معنى يكون والكلام بدونه متلئب لو قيل ما لنا أن نتكلم بهذا (قلت) معناه معنى ينبغي ويصح أي ما ينبغي لنا أن نتكلم بهذا وما يصح لنا ونحوه ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق و (سبحانك) للتعجب من عظم الامر (فان قلت) ما معنى التعجب في كلمة التسبيح (قلت) الاصل في ذلك أن يسبح الله عند رؤية العجيب من صنائعه ثم كثر حتى استعمل في كل متعجب منه أو لتنزيه الله تعالى من أن تكون حرمة نبيه عليه السلام فاجرة (فان قلت) كيف جاز أن تكون امرأة

من عظيم الامر وأصله ان الانسان اذا رأى عجبا من صنائع الله تعالى سبحه ثم كثر حتى استعمل عند كل متعجب منه ثم أوردها هنا سؤالا على توجههم على ترك التعجب فقال ان قلت لم جاز أن تكون زوجة النبي

كافرة كامرأة نوح ولوط ولم يجز أن تكون فاجرة ولم يكن كفرها مستعجبا منه وفجورها متعجب منه قلت لأن الأنبياء مبعوثون الى الكفار ليدعوهم فاذا ألحقوا اليهم وكفر الزوجة غير مانع ولا منفر بخلاف الكشخنة (قال أحمد) وما أورد عليه أبرد من هذا السؤال كأن أحدا يشكل عليه أن ينسب الفاحشة الى مثل عائشة مما ينكره كل عاقل ويتعجب منه كل لبيب والله الموفق

النبي

النبي كافرة كامرأة نوح ولوط ولم يجز أن تكون فاجرة (قلت) لأن الأنبياء مبعوثون إلى الكفار ليدعوهم ويستعطفوهم فيجب أن لا يكون معهم ما ينفرهم عنهم ولم يكن الكفر عندهم مما ينفر وأما الكشخنة فمن أعظم المنفرات * أي كراهة (أن تعودوا) أو في أن تعودوا من قولك وعظت فلانا في كذا فتركه * وأبدهم ما داموا أحياء مكلفين و(إن كنتم مؤمنين) فيه تهييج لهم ليتعظوا وتذكير بما يوجب ترك العود وهو اتصافهم بالإيمان الصاد عن كل مقبح * ويبين الله لكم الدلالات على علمه وحكمته بما ينزل عليكم من الشرائع ويعلمكم من الآداب الجميلة ويعظكم به من المواعظ الشافية والله عالم بكل شيء فاعل لما يفعله بدواعي الحكمة * المعنى يشيعون الفاحشة عن قصد إلى الإشاعة وإرادة ومحبة لها وعذاب الدنيا الحد ولقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن أبي وحسانا ومسطحا وقعد صفوان لحسان فضربه ضربة بالسيف وكف بصره وقيل هو المراد بقوله والذي تولى كبره منهم (والله يعلم) ما في القلوب من الأسرار والضمائر (وأنتم لا تعلمون) يعني أنه قد علم محبة من أحب الإشاعة وهو معاقبه عليها * وكرر المنة بترك المعاجلة بالعقاب حاذفا جواب لولا كما حذفه ثمة وفي هذا التكرير مع حذف الجواب مبالغة عظيمة وكذلك في التواب والرؤف والرحيم * الفحشاء والفاحشة ما أفرط قبحه قال أبو ذؤيب * ضرائر حرمي تفاحش غارها * أي أفرطت غيرتها والمنكر ما تنكره النفوس فتنفر عنه ولا ترتضيه * وقرئ خطوات بفتح الطاء وسكونها وزكى بالتشديد والضمير لله تعالى ولولا أن الله تفضل عليكم بالتوبة الممحصة لما طهر منكم أحد آخر الدهر من دنس إثم الإفك ولكن الله يطهر التائبين بقبول توبتهم إذا محضوها وهو (سميع) لقولهم (عليم) بضمائرهم وإخلاصهم * وهو من ائتلى إذا حلف افتعال من الألية وقيل من قولهم ما ألوت جهدا إذا لم تدخر منه شيئا ويشهد للأول قراءة الحسن ولا يتأل والمعنى لا يحلفوا على أن لا يحسنوا إلى المستحقين للإحسان أو لا يقصروا في أن يحسنوا إليهم وإن كانت بينهم وبينهم شحناء لجناية اقترفوها فليعودوا عليهم بالعفو والصفح وليفعلوا بهم مثل ما يرجون أن يفعل بهم ربهم مع كثرة خطاياهم وذنوبهم نزلت في شأن مسطح وكان ابن خالة أبي بكر الصديق رضي الله عنهما وكان فقيرا من فقراء المهاجرين وكان أبو بكر ينفق عليه فلما فرط منه ما فرط آلى أن لا ينفق عليه وكفى به داعيا إلى المجاملة وترك الاشتغال بالمكافأة للمسيء * ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأها على أبي بكر فقال بلى أحب أن يغفر الله لي ورجع إلى مسطح نفقته وقال والله لا أنزعها أبدا وقرأ أبو حيوة وابن قطيب أن تؤتوا بالتاء على الالتفات ويعضده قوله ألا تحبون أن يغفر الله لكم (الغافلات) السليمات الصدور النقيات القلوب اللاتي ليس فيهن دهاء ولا مكر لأنهن لم يجربن الأمور ولم يرزن الأحوال فلا يفطن لما تفطن له المجربات العرافات قال

ولقد لهوت بطفلة ميالة * بلهاء تطلعني على أسرارها

وكذلك البله من الرجال في قوله عليه الصلاة والسلام أكثر أهل الجنة البله * وقرئ يشهد بالياء والحق بالنصب صفة للدين وهو الجزاء وبالرفع صفة لله ولو فليت القرآن كله وفتشت عما أوعد به العصاة لم تر الله تعالى قد غلظ في شيء تغليظه في إفك عائشة رضوان الله عليها ولا أنزل من الآيات القوارع المشحونة بالوعيد الشديد والعتاب البليغ والزجر العنيف واستعظام ما ركب من ذلك واستفظاع ما أقدم عليه ما أنزل فيه على طرق مختلفة وأساليب مفتنة كل واحد منها كاف في بابه ولو لم ينزل إلا هذه الثلاث لكفى بها حيث جعل القذفة ملعونين في الدارين جميعا وتوعدهم بالعذاب العظيم في الآخرة وبأن ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم تشهد عليهم بما أفكوا وبهتوا وأنه يوفيهم جزاءهم الحق الواجب الذي هم أهله حتى يعلموا عند ذلك (أن الله هو الحق المبين) فأوجز في ذلك وأشبع وفصل وأجمل وأكد وكرر وجاء بما لم يقع في وعيد المشركين عبدة الأوثان إلا ما هو دونه في الفظاعة وما ذاك إلا لأمر وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان بالبصرة يوم عرفة وكان يسأل عن تفسير القرآن حتى سئل عن هذه الآيات فقال من أذنب ذنبا ثم تاب منه قبلت توبته إلا من خاض في أمر عائشة وهذه منه مبالغة وتعظيم لأمر الإفك ولقد برأ الله تعالى أربعة بأربعة برأ يوسف بلسان

أن تعودوا لمثله أبدا إن
كنتم مؤمنين ويبين الله
لكم الآيات والله عليم
حكيم إن الذين يحبون
أن تشيع الفاحشة في
الذين آمنوا لهم عذاب
أليم في الدنيا والآخرة
والله يعلم وأنتم لا تعلمون
ولولا فضل الله عليكم
ورحمته وأن الله رؤف
رحيم يا أيها الذين آمنوا
لا تتبعوا خطوات
الشيطان ومن يتبع
خطوات الشيطان
فإنه يأمر بالفحشاء
والمنكر ولولا فضل الله
عليكم ورحمته ما زكى
منكم من أحد أبدا
ولكن الله يزكي من
يشاء والله سميع عليم
ولا يأتل أولوا الفضل
منكم والسعة أن يؤتوا
أولي القربى والمساكين
والمهاجرين في سبيل الله
وليعفوا وليصفحوا
ألا تحبون أن يغفر الله
لكم والله غفور رحيم
إن الذين يرمون
المحصنات الغافلات
المؤمنات لعنوا في الدنيا
والآخرة ولهم عذاب
عظيم يوم تشهد عليهم
ألسنتهم وأيديهم
وأرجلهم بما كانوا يعملون
يومئذ يوفيهم الله دينهم
الحق ويعلمون أن الله
هو الحق المبين

قوله تعالى ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات الآية (قال ان كانت عائشة هي المراد فلم جمع قلت المراد امّا أزواج النبي صلى
الله عليه وسلم حتى يكون هذا الوعيد لاحقا بقاذفهن واما عائشة وجمعت ارادة لها ولبناتها كما قال * قدني من نصر الخبيبين قدي * يعني
عبد الله بن الزبير وأتباعه وكان يكنى أبا خبيب) قال أحمد والاظهر أن المراد عموم المحصنات والمقصود بذكرهن على العموم وعيد من وقع
في عائشة على أبلغ الوجوه لانه اذا كان هذا وعيد قاذف آحاد المؤمنات فالظن بوعيد من قذف سيدتهن وزوج سيد البشر صلى الله عليه
وسلم على أن تعميم الوعيد أبلغ وأقطع من تخصيصه وهذا معنى قول زليخا ما جزاء من أراد بأهلك سوأ الا أن يسجن أو عذاب أليم فعممت
وأرادت يوسف تهويلا عليه وارجافا (٨٨) والمعصوم من عصمه الله تعالى * قوله تعالى الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات الآية
(قال) تحتمل الآية
أمرين أحدهما أن
يكون المراد الكلمات
الخبيثة للخبيثين والمراد
الافك ومن أفاض عليه
وعكسه في الطيبات
والطيبين الثاني أن
يكون المراد بالخبيثات
النساء وبالخبيثين

الخبيثات للخبيثين
والخبيثون للخبيثات
والطيبات للطيبين
والطيبون للطيبات
أولئك مبرؤن مما
يقولون لهم مغفرة ورزق
كريم يا أيها الذين آمنوا
لا تدخلوا بيوتا غير
بيوتكم حتى تستأنسوا
وتسلموا على أهلها

الرجال (قال أحمد) ان
كان الامر على التأويل
الثاني فهذه الآية
تفصيل لما أجمله قوله
تعالى الزانية لا ينكحها
الا زان وقد بينا أنها
مشتملة على هذه

الشاهد وشهد شاهد من أهلها وبرأ موسى من قول اليهود فيه بالحجر الذي ذهب بثوبه وبرأ مريم بانطاق
ولدها حين نادى من حجرها اني عبد الله وبرأ عائشة بهذه الآيات العظام في كتابه المعجز المتلو على وجه الدهر
مثل هذه التبرأة بهذه المبالغات فانظر كم بينها وبين تبرأة أولئك وما ذاك الا لاظهار علو منزلة رسول الله صلى
الله عليه وسلم والتنبيه على انافة محل سيد ولد آدم وخيرة الاولين والآخرين وحجة الله على العالمين ومن أراد
أن يتحقق عظمة شأنه صلى الله عليه وسلم وتقدم قدمه واحرازه لقصب السبق دون كل سابق فليتلق ذلك
من آيات الافك وليتأمل كيف غضب الله في حرمته وكيف بالغ في نفي التهمة عن حجابه (فان قلت) ان
كانت عائشة هي المرادة فكيف قيل المحصنات (قلت) فيه وجهان أحدهما أن يراد بالمحصنات أزواج رسول
الله صلى الله عليه وسلم وأن يخصصن بأن من قذفهن فهذا الوعيد لاحق به واذا أردن وعائشة كبراهن منزلة
وقربة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت المرادة أولا والثاني أنها أم المؤمنين فجمعت ارادة لها ولبناتها
من نساء الامة الموصوفات بالاحصان والغفلة والايمان كما قال * قدني من نصر الخبيبين قدي * أراد عبد
الله بن الزبير وأشياعه وكان أعداؤه يكنونه بخبيب ابنه وكان مضعوفا وكنيته المشهورة أبو بكر الا أن هذا في
الاسم وذاك في الصفة (فان قلت) ما معنى قوله هو الحق المبين (قلت) معناه ذو الحق المبين أي العادل
الظاهر العدل الذي لا ظلم في حكمه والمحق الذي لا يوصف بباطل ومن هذه صفته لم تسقط عنده اساءة مسيء
ولا احسان محسن فحق مثله أن يتقى ويجتنب محارمه * أي (الخبيثات) من القول تقال أو تعد (للخبيثين)
من الرجال والنساء (والخبيثون) منهم يتعرضون (للخبيثات) من القول وكذلك الطيبات والطيبون
(أولئك) اشارة الى الطيبين وانهم مبرؤن مما يقول الخبيثون من خبيثات الكلم وهو كلام جار مجرى المثل
لعائشة وما رميت به من قول لا يطابق حالها في النزاهة والطيب ويجوز أن يكون أولئك اشارة الى أهل
البيت وأنهم مبرؤن مما يقول أهل الافك وأن يراد بالخبيثات والطيبات النساء أي الخبائث يتزوجن
الخباث والخباث الخبائث وكذلك أهل الطيب * وذكر الرزق الكريم ههنا مثله في قوله وأعتدنا لها رزقا
كريما وعن عائشة لقد أعطيت تسعا ما أعطيتهن امرأة لقد نزل جبريل عليه السلام بصورتي في راحته
حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتزوجني ولقد تزوجني بكرا وما تزوج بكرا غيري ولقد توفي وان
رأسه لفي حجري ولقد قبر في بيتي ولقد حفته الملائكة في بيتي وان الوحي لينزل عليه في أهله فيتفرقون عنه
وان كان لينزل عليه وأنا معه في لحافه واني لابنة خليفته وصديقه ولقد نزل عذري من السماء ولقد خلقت
طيبة عند طيب ولقد وعدت مغفرة ورزقا كريما (تستأنسوا) فيه وجهان أحدهما أنه من الاستئناس
الظاهر الذي هو خلاف الاستيحاش لان الذي يطرق باب غيره لا يدري أيؤذن له أم لا فهو كالمستوحش

الاقسام الاربعة تصريحا وتضمينا فجاءت هذه الآية مصرحة بالجميع وقد اشتملت على فائدة أخرى وهي الاستشهاد من
على براءة أم المؤمنين بانها زوجة أطيب الطيبين فلا بد وأن تكون طاهرة طيبة مبرأة عما أفكت به وهذا التأويل الثاني هو الظاهر
فان بعد الآية لهم مغفرة ورزق كريم وبهذا وعد أزواجه عليه السلام في قوله تعالى نؤتها أجرها مرتين وأعتدنا لها رزقا كريما والله
أعلم * عاد كلامه (قال ونقل عن عائشة أنها قالت لقد أعطيت تسعا ما أعطيتهن امرأة فذكرت منهن انها خلقت طيبة عند طيب (قال
أحمد وهذا أيضا يحقق ما ذكرته من أن المراد بالطيبات والطيبين النساء والرجال وان المراد بذلك اظهار براءة عائشة بانها زوج أطيب
الطيبين فيلزم أن تكون طيبة وفاء بقوله والطيبون للطيبات والله أعلم * قوله تعالى لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا
وتسلموا على أهلها (قال فيه وجهان أحدهما انه من الاستئناس الذي هو ضد الاستيحاش أي حتى يؤذن لكم فتستأنسوا

من خفاء الحال عليه فاذا أذن له استأنس فالمعنى حتى يؤذن لكم كقوله لا تدخلوا بيوت النبي الا أن يؤذن لكم وهذا من باب الكناية والارداف لان هذا النوع من الاستئناس يردف الاذن فوضع موضع الاذن والثاني أن يكون من الاستئناس الذي هو الاستعلام والاستكشاف استفعال من أنس الشيء اذا أبصره ظاهرا مكشوفا والمعنى حتى تستعلموا وتستكشفوا الحال هل يراد دخولكم أم لا ومنه قولهم استأنس هل ترى أحدا واستأنست فلم أر أحدا أي تعرفت واستعلمت ومنه بيت النابغة على مستأنس وحد ويجوز أن يكون من الانس وهو أن يتعرف هل ثمة انسان وعن أبي أيوب الانصاري رضي الله عنه قلنا يا رسول الله ما الاستئناس قال يتكلم الرجل بالتسبيحة والتكبيرة والتحميدة ويتنحنح يؤذن أهل البيت * والتسليم أن يقول السلام عليكم أأدخل ثلاث مرات فان أذن له والا رجع وعن أبي موسى الاشعري أنه أتى باب عمر رضي الله عنهما فقال السلام عليكم أأدخل قالها ثلاثا ثم رجع وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الاستئذان ثلاثة واستأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أألج فقال صلى الله عليه وسلم لامرأة يقال لها روضة قومي الى هذا فعلميه فانه لا يحسن أن يستأذن قولي له يقول السلام عليكم أأدخل فسمعها الرجل فقالها فقال ادخل وكان أهل الجاهلية يقول الرجل منهم اذا دخل بيتا غير بيته حييتم صباحا وحييتم مساء ثم يدخل فربما أصاب الرجل مع امرأته في لحاف واحد فصد الله عن ذلك وعلم الاحسن والاجمل وكم من باب من أبواب الدين هو عند الناس كالشريعة المنسوخة قد تركوا العمل به وباب الاستئذان من ذلك بينا أنت في بيتك اذا رعف عليك الباب بواحد من غير استئذان ولا تحية من تحايا اسلام ولا جاهلية وهو ممن سمع ما أنزل الله فيه وما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن أين الاذن الواعية وفي قراءة عبد الله حتى تسلموا على أهلها وتستأذنوا وعن ابن عباس وسعيد بن جبير انما هو حتى تستأذنوا فأخطأ الكاتب ولا يعول على هذه الرواية وفي قراءة أبي حتى تستأذنوا (ذلكم) الاستئذان والتسليم (خير لكم) من تحية الجاهلية والدمور وهو الدخول بغير اذن واشتقاقه من الدمار وهو الهلاك كان صاحبه دامر لعظم ما ارتكب وفي الحديث من سبقت عينه استئذانه فقد دمر وروي أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم أأستأذن على أمي قال نعم قال انها ليس لها خادم غيري أأستأذن عليها كلما دخلت قال أتحب أن تراها عريانة قال الرجل لا قال فاستأذن (لعلكم تذكرون) أي أنزل عليكم أو قيل لكم هذا ارادة أن تذكروا وتتعظوا وتعملوا بما أمرتم به في باب الاستئذان * يحتمل (فان لم تجدوا فيها أحدا) من الآذنين (فلا تدخلوها) واصبروا حتى تجدوا من يأذن لكم ويحتمل فان لم تجدوا فيها أحدا من أهلها ولكم فيها حاجة فلا تدخلوها الا باذن أهلها وذلك أن الاستئذان لم يشرع لئلا يطلع الداخل على عورة ولا تسبق عينه الى ما لا يحل النظر اليه فقط وانما شرع لئلا يوقف على الاحوال التي يطويها الناس في العادة عن غيرهم ويتحفظون من اطلاع أحد عليها ولانه تصرف في ملك غيرك فلا بد من أن يكون برضاه والا أشبه الغصب والتغلب (فارجعوا) أي لا تلحوا في اطلاق الاذن ولا تلجوا في تسهيل الحجاب ولا تقفوا على الابواب منتظرين لان هذا مما يجلب الكراهة ويقدح في قلوب الناس خصوصا اذا كانوا ذوي مروءة ومرتاضين بالآداب الحسنة واذا نهي عن ذلك لادائه الى الكراهة وجب الانتهاء عن كل ما يؤدي اليها من قرع الباب بعنف والتصييح بصاحب الدار وغير ذلك مما يدخل في عادات من لم يتهذب من أكثر الناس وعن أبي عبيد ما قرعت بابا على عالم قط وكفى بقصة بني أسد زاجرة وما نزل فيها من قوله ان الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون (فان قلت) هل يصح أن يكون المعنى وان لم يؤذن لكم وأمرتم بالرجوع فامتثلوا ولا تدخلوا مع كراهتهم (قلت) بعد ان جزم النهي عن الدخول مع فقد الاذن وحده من أهل الدار حاضرين وغائبين لم يبق شبهة في كونه منهيا عنه مع انضمام الامر بالرجوع الى فقد الاذن (فان قلت) فاذا عرض أمر في دار من حريق أو هجوم سارق أو ظهور منكر يجب انكاره (قلت) ذلك مستثنى بالدليل * أي الرجوع أطيب لكم وأطهر لما فيه من سلامة الصدور والبعد من الريبة أو أنفع وأنمى خيرا * ثم أوعد المخاطبين بذلك بانه عالم بما يأتون وما يذرون مما خوطبوا به فموف جزاءه

ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون فان لم تجدوا فيها أحدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم والله بما تعملون عليم ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم

بالشيء عما هو رادف له الثاني أن يكون من الاستعلام من آنس اذا أبصر والمعنى حتى تستكشفوا الحال هل يراد دخولكم أم لا وذكر أيضا وجها بعيدا وهو أن المراد حتى تعلموا هل فيها انسان أم لا (قال أحمد) فيكون على هذا الاخير مبني من الانس استفعل والوجه الاول هو البين وسر التجوز فيه والعدول اليه عن الحقيقة ترغيب المخاطبين في الاتيان بالاستئذان بواسطة ذكر فان له فائدة وهي تميل النفوس اليها وتنفر من ضدها وهو الاستيحاش الحاصل بتقدير عدم الاستئذان ففيه تنهيض للدواعي على سلوك هذا الادب والله سبحانه وتعالى أعلم

عليه * استثنى من البيوت التي يجب الاستئذان على داخلها ما ليس بمسكون منها وذلك نحو الفنادق وهي الخانات والربط وحوانيت البياعين * والمتاع المنفعة كالاستكنان من الحر والبرد وايواء الرحال والسلع والشراء والبيع وروى أن أبا بكر رضي الله عنه قال يا رسول الله ان الله تعالى قد أنزل عليك آية في الاستئذان وانا نختلف في تجاراتنا فننزل هذه الخانات أفلا ندخلها الا باذن فنزلت وقيل الخربات يتبرز فيها والمتاع التبرز (والله يعلم ما تبدون وما تكتمون) وعيد للذين يدخلون الخربات والدور الخالية من أهل الريبة * من للتبعيض والمراد غض البصر عما يحرم والاقتصار به على ما يحل وجوز الاخفش أن تكون مزيدة وأباه سيبويه (فان قلت) كيف دخلت في غض البصر دون حفظ الفروج (قلت) دلالة على أن أمر النظر أوسع ألا ترى أن المحارم لا بأس بالنظر الى شعورهن وصدورهن وثديهن وأعضادهن وأسوقهن وأقدامهن وكذلك الجواري المستعرضات والاجنبية ينظر الى وجهها وكفيها وقدميها في احدى الروايتين وأما أمر الفرج فضيق وكفاك فرقا أن أبيح النظر الا ما استثنى منه وحظر الجماع الا ما استثنى منه ويجوز أن يراد مع حفظها عن الافضاء الى ما لا يحل حفظها عن الابداء وعن ابن زيد كل ما في القرآن من حفظ الفرج فهو عن الزنا الا هذا فانه أراد به الاستتار * ثم أخبر أنه (خبير) بأفعالهم وأحوالهم وكيف يجيلون أبصارهم وكيف يصنعون بسائر حواسهم وجوارحهم فعليهم اذ عرفوا ذلك أن يكونوا منه على تقوى وحذر في كل حركة وسكون * النساء مأمورات أيضا بغض الابصار ولا يحل للمرأة أن تنظر من الاجنبي الى ما تحت سرته الى ركبته وان اشتهت غضت بصرها رأسا ولا تنظر من المرأة الا الى مثل ذلك وغض بصرها من الاجانب أصلا أولى بها وأحسن ومنه حديث ابن أم مكتوم عن أم سلمة رضي الله عنها قالت كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم وعنده ميمونة فأقبل ابن أم مكتوم وذلك بعد أن أمرنا بالحجاب فدخل علينا فقال احتجبا فقلنا يا رسول الله أليس أعمى لا يبصرنا قال أفعمياوان أنتما ألستما تبصرانه (فان قلت) لم قدم غض الابصار على حفظ الفروج (قلت) لان النظر بريد الزنا ورائد الفجور والبلوى فيه أشد وأكثر ولا يكاد يقدر على الاحتراس منه * الزينة ما تزينت به المرأة من حلي أو كحل أو خضاب فما كان ظاهرا منها كالخاتم والفتخة والكحل والخضاب فلا بأس بابدائه للاجانب وما خفي منها كالسوار والخلخال والدملج والقلادة والاكليل والوشاح والقرط فلا تبديه الا لهؤلاء المذكورين وذكر الزينة دون مواقعها للمبالغة في الامر بالتصون والتستر لان هذه الزين واقعة على مواضع من الجسد لا يحل النظر اليها لغير هؤلاء وهي الذراع والساق والعضد والعنق والرأس والصدر والاذن فنهى عن ابداء الزين نفسها ليعلم أن النظر اذا لم يحل اليها لملابستها تلك المواقع بدليل أن النظر اليها غير ملابسة لها لا مقال في حله كان النظر الى المواقع أنفسها متمكنا في الحظر ثابت القدم في الحرمة شاهدا على أن النساء حقهن أن يحتطن في سترها ويتقين الله في الكشف عنها (فان قلت) ما تقول في القراميل هل يحل نظر هؤلاء اليها (قلت) نعم (فان قلت) أليس موقعها الظهر ولا يحل لهم النظر الى ظهرها وبطنها وربما ورد الشعر فوقعت القراميل على ما يحاذي ما تحت السرة (قلت) الامر كما قلت ولكن أمر القراميل خلاف أمر سائر الحلي لانه لا يقع الا فوق اللباس ويجوز النظر الى الثوب الواقع على الظهر والبطن للاجانب فضلا عن هؤلاء الا اذا كان يصف لرقته فلا يحل النظر اليه فلا يحل النظر الى القراميل واقعة عليه (فان قلت) ما المراد بموقع الزينة ذلك العضو كله أم المقدار الذي تلابسه الزينة منه (قلت) الصحيح أنه العضو كله كما فسرت مواقع الزينة الخفية وكذلك مواقع الزينة الظاهرة الوجه موقع الكحل في عينيه والخضاب بالوسمة في حاجبيه وشاربيه والغمرة في خديه والكف والقدم موقعا الخاتم والفتخة والخضاب بالحناء (فان قلت) لم سومح مطلقا في الزينة الظاهرة (قلت) لان سترها فيه حرج فان المرأة لا تجد بدا من مزاولة الاشياء بيديها ومن الحاجة الى كشف وجهها خصوصا في الشهادة والمحاكمة والنكاح وتضطر الى المشي في الطرقات وظهور قدميها وخاصة الفقيرات منهن وهذا معنى قوله (الا ما ظهر منها) يعني الا ما جرت العادة والجبلة على ظهوره والاصل فيه الظهور وانما سومح في الزينة الخفية أولئك المذكورون لما كانوا مختصين به من الحاجة المضطرة الى مداخلتهم ومخالطتهم ولقلة

والله يعلم ما تبدون
وما تكتمون قل للمؤمنين
يغضوا من أبصارهم
ويحفظوا فروجهم
ذلك أزكى لهم ان الله
خبير بما يصنعون وقل
للمؤمنات يغضضن من
أبصارهن ويحفظن
فروجهن ولا يبدين
زينتهن الا ما ظهر منها
وليضربن بخمرهن
على جيوبهن ولا
يبدين زينتهن الا
لبعولتهن أو آبائهن
أو آباء بعولتهن أو أبنائهن
أو أبناء بعولتهن أو
اخوانهن أو بني اخوانهن

* قوله تعالى ولا يبدين
زينتهن الا ما ظهر منها
(قال المراد النهي عن
ابداء مواضع الزينة
فليس النهي عن اظهار
الزينة مقصودا لعينه
ولكن جعل نفسها كناية
عن النهي عن ابداء
مواقعها بطريق الاولى)
قال أحمد وقوله تعالى
عقيب ذلك ولا يضربن
بأرجلهن ليعلم ما يخفين
من زينتهن يحقق أن
ابداء الزينة بعينه
مقصود بالنهي لانه
قد نهي عما هو ذريعة
اليه خاصة اذ الضرب
بالارجل لم يعلل النهي
عنه الا بعلم أن المرأة
ذات زينة وان لم تظهر
فضلا عن مواضعها
والله أعلم

توقع الفتنة من جهاتهم ولما في الطباع من النفرة عن مماسة القرائب وتحتاج المرأة الى صحبتهم في الاسفار
للنزول والركوب وغير ذلك * كانت جيوبهن واسعة تبدو منها نحورهن وصدورهن وما حواليها وكن يسدلن
الخمر من ورائهن فتبقى مكشوفة فأمرن بان يسدلنها من قدامهن حتى يغطينها ويجوز أن يراد بالجيوب
الصدور تسمية بما يليها ويلابسها ومنه قولهم ناصح الجيب وقولك ضربت بخمارها على جيبها كقولك
ضربت بيدي على الحائط اذا وضعتها عليه وعن عائشة رضي الله عنها ما رأيت نساء خيرا من نساء الانصار
لما نزلت هذه الآية قامت كل واحدة منهن الى مرطها المرحل فصدعت منه صدعة فاختمرن فأصبحن كان
على رؤسهن الغربان وقرئ جيوبهن بكسر الجيم لاجل الياء وكذلك بيوتا غير بيوتكم * قيل في نسائهن هن
المؤمنات لانه ليس للمؤمنة أن تتجرد بين يدي مشركة أو كتابية عن ابن عباس رضي الله عنهما والظاهر
أنه عنى بنسائهن وما ملكت أيمانهن من في صحبتهن وخدمتهن من الحرائر والاماء والنساء كلهن سواء في
حل نظر بعضهن الى بعض وقيل ما ملكت أيمانهن هم الذكور والاناث جميعا وعن عائشة رضي الله
عنها أنها أباحت النظر اليها لعبدها وقالت لذكوان انك اذا وضعتني في القبر وخرجت فأنت حر وعن سعيد
ابن المسيب مثله ثم رجع وقال لا تغرنكم آية النور فان المراد بها الاماء وهذا هو الصحيح لان عبد المرأة بمنزلة
الاجنبي منها خصيا كان أو فحلا وعن ميسون بنت بحدل الكلابية أن معاوية دخل عليها ومعه خصي
فتقنعت منه فقال هو خصي فقالت يا معاوية أترى أن المثلة به تحلل ما حرم الله وعند أبي حنيفة لا يحل
استخدام الخصيان وامساكهم وبيعهم وشراؤهم ولم ينقل عن أحد من السلف امساكهم (فان قلت) روى
أنه أهدي لرسول الله صلى الله عليه وسلم خصي فقبله (قلت) لا يقبل فيما تعم به البلوى الا حديث مكشوف
فان صح فلعله قبله ليعتقه أو لسبب من الاسباب (الاربة) الحاجة قيل هم الذين يتبعونكم ليصيبوا من
فضل طعامكم ولا حاجة لهم الى النساء لانهم بله لا يعرفون شيأ من أمرهن أو شيوخ صلحاء اذا كانوا معهن
غضوا أبصارهم أو بهم عنانة وقرئ غير بالنصب على الاستثناء أو الحال والجر على الوصفية * وضع الواحد
موضع الجمع لانه يفيد الجنس ويبين ما بعده أن المراد به الجمع ونحوه نخرجكم طفلا (لم يظهروا) اما من ظهر
على الشيء اذا اطلع عليه أي لا يعرفون ما العورة ولا يميزون بينها وبين غيرها واما من ظهر على فلان اذا قوي
عليه وظهر على القرآن أخذه وأطاقه أي لم يبلغوا أوان القدرة على الوطء وقرئ عورات وهي لغة هذيل
(فان قلت) لم لم يذكر الله الاعمام والاخوال (قلت) سئل الشعبي عن ذلك فقال لئلا يصفها العم عند ابنه
والخال كذلك ومعناه أن سائر القرابات يشترك الاب والابن في المحرمية الا العم والخال وأبناءهما فاذا رآها
الاب فربما وصفها لابنه وليس بمحرم فيداني تصوره لها بالوصف نظره اليها وهذا أيضا من الدلالات
البليغة على وجوب الاحتياط عليهن في التستر * كانت المرأة تضرب الارض برجلها ليتقعقع خلخالها فيعلم
أنها ذات خلخال وقيل كانت تضرب باحدى رجليها الاخرى ليعلم أنها ذات خلخالين واذا نهين عن اظهار
صوت الحلي بعد ما نهين عن اظهار الحلي علم بذلك أن النهي عن اظهار مواضع الحلي أبلغ وأبلغ * أوامر الله
ونواهيه في كل باب لا يكاد العبد الضعيف يقدر على مراعاتها وان ضبط نفسه واجتهد ولا يخلو من تقصير يقع
منه فلذلك وصى المؤمنين جميعا بالتوبة والاستغفار وبتأميل الفلاح اذا تابوا واستغفروا وعن ابن عباس
رضي الله عنهما توبوا مما كنتم تفعلونه في الجاهلية لعلكم تسعدون في الدنيا والآخرة (فان قلت) قد صحت
التوبة بالاسلام والاسلام يجب ما قبله فما معنى هذه التوبة (قلت) أراد بها ما يقوله العلماء ان من أذنب
ذنبا ثم تاب عنه يلزمه كلما تذكره أن يجدد عنه التوبة لانه يلزمه أن يستمر على ندمه وعزمه الى أن يلقى ربه
وقرئ أيه المؤمنون بضم الهاء ووجهه أنها كانت مفتوحة لوقوعها قبل الالف فلما سقطت الالف لالتقاء
الساكنين أتبعت حركتها حركة ما قبلها (الايامى) واليتامى أصلهما أيائم ويتائم فقلبا والايم للرجل والمرأة
وقد آم وآمت وتأيما اذا لم يتزوجا بكرين كانا أو ثيبين قال

فان تنكحي أنكح وان تتأيمي * وان كنت أفتى منكم أتأيم

أو بني أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولي الاربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا الى الله جميعا أيه المؤمنون لعلكم تفلحون وأنكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله

* قوله تعالى ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان أردن تحصنا (قال ان قلت لم أقحم قوله ان أردن تحصنا مع العربان

معاوضة فلا يجبر على الحطيطة كالبيع وقيل معنى وآتوهم أسلفوهم وقيل أنفقوا عليهم بعد أن يؤدوا ويعتقوا وهذا كله مستحب وروى أنه كان لحويطب بن عبد العزى مملوك يقال له الصبيح سأل مولاه أن يكاتبه فأبى فنزلت * كانت اماء أهل الجاهلية يساعين على مواليهن وكان لعبد الله بن أبي رأس النفاق ست جوار معاذة ومسيكة وأميمة وعمرة وأروى وقتيلة يكرههن على البغاء وضرب عليهن ضرائب فشكت ثنتان منهن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت * ويكنى بالفتى والفتاة عن العبد والأمة وفي الحديث ليقل أحدكم فتاي وفتاتي ولا يقل عبدي وأمتي * والبغاء مصدر البغي (فان قلت) لم أقحم قوله (ان أردن تحصنا) (قلت) لأن الاكراه لا يتأتى الا مع ارادة التحصن وآمر الطيعة المواتية للبغاء لا يسمى مكرها ولا أمره اكراها وكلمة ان وايثارها على اذا ايذان بأن المساعيات كن يفعلن ذلك برغبة وطواعية منهن وأن ما وجد من معاذة ومسيكة من حيز الشاذ النادر (غفور رحيم) لهم أو لهن أو لهم ولهن ان تابوا وأصلحوا وفي قراءة ابن عباس لهن غفور رحيم (فان قلت) لا حاجة الى تعليق المغفرة بهن لأن المكرهة على الزنا بخلاف المكره عليه في أنها غير آثمة (قلت) لعل الاكراه كان دون ما اعتبرته الشريعة من اكراه بقتل أو بما يخاف منه التلف أو ذهاب العضو من ضرب عنيف أو غيره حتى تسلم من الاثم وربما قصرت عن الحد الذي تعذر فيه فتكون آثمة (مبينات) هي الآيات التي بينت في هذه السورة وأوضحت في معاني الأحكام والحدود ويجوز أن يكون الأصل مبينا فيها فاتسع في الظرف وقرئ بالكسر أي بينت هي الأحكام والحدود جعل الفعل لها على المجاز أو من بين بمعنى تبين ومنه المثل قد بين الصبح لذي عينين (ومثلا من) أمثال من (قبلكم) أي قصة عجيبة من قصصهم كقصة يوسف ومريم يعني قصة عائشة رضي الله تعالى عنها (وموعظة) ما وعظ به في الآيات والمثل من نحو قوله ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله ولولا اذ سمعتموه ولولا اذ سمعتموه يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا * نظير قوله (الله نور السموات والأرض) مع قوله مثل نوره ويهدي الله لنوره قولك زيد كرم وجود ثم تقول ينعش الناس بكرمه وجوده والمعنى ذو نور السموات وصاحب نور السموات ونور السموات والأرض الحق شبهه بالنور في ظهوره وبيانه كقوله تعالى الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور أي من الباطل الى الحق وأضاف النور الى السموات والأرض لأحد معنيين اما للدلالة على سعة اشراقه وفشو اضاءته حتى تضيء له السموات والأرض واما أن يراد أهل السموات والأرض وأنهم يستضيئون به (مثل نوره) أي صفة نوره العجيبة الشأن في الاضاءة (كمشكاة) كصفة مشكاة وهي الكوة في الجدار غير النافذة (فيها مصباح) سراج ضخم ثاقب (في زجاجة) أراد قنديلا من زجاج شامي أزهر * شبهه في زهرته بأحد الدراري من الكواكب وهي المشاهير كالمشتري والزهرة والمريخ وسهيل ونحوها (توقد) هذا المصباح (من شجرة) أي ابتدأ ثقوبه من شجرة الزيتون يعني رويت ذبالته بزيتها (مباركة) كثيرة المنافع أو لأنها نبتت في الأرض التي بارك فيها للعالمين وقيل بارك فيها سبعون نبيا منهم ابراهيم عليه السلام وعن النبي صلى الله عليه وسلم عليكم بهذه الشجرة زيت الزيتون فتداووا به فانه مصحة من الباسور (لا شرقية ولا غربية) أي منبتها الشام وأجود الزيتون زيتون الشام وقيل لا في مضحى ولا مقنأة ولكن الشمس والظل يتعاقبان عليها وذلك أجود لحملها وأصفى لدهنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا خير في شجرة في مقنأة ولا نبات في مقنأة ولا خير فيها في مضحى وقيل ليست مما تطلع عليه الشمس في وقت شروقها أو غروبها فقط بل تصيبها بالغداة والعشي جميعا فهي شرقية وغربية ثم وصف الزيت بالصفاء والوبيص وأنه لتلألئه (يكاد) يضيء من غير نار (نور على نور) أي هذا الذي شبهت به الحق نور متضاعف قد تناصر فيه المشكاة والزجاجة والمصباح والزيت حتى لم تبق مما يقوي النور ويزيده اشراقا ويمده باضاءة بقية وذلك أن المصباح اذا كان في مكان متضايق كالمشكاة كان أضوأ له وأجمع لنوره بخلاف

المكان

الاكراه لا يكون الا اذا أردن تحصنا ولا يتصور الا كذلك اذ لولا ذلك لكن مطاوعات ولم يسمين باسم القتيل) وعند العبد الفقير الى الله تعالى ان فائدة ذلك

ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان أردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم ولقد أنزلنا اليكم آيات مبينات ومثلا من الذين خلوا من قبلكم وموعظة للمتقين الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور

والله أعلم أن يشنع عليه الخاطب الوقوع فيه لكن يتفطن أنه كان ينبغي له أن يأنف من هذه الرذيلة وان لم يكن زاجر شرعي ووجه التشنيع عليه أن مضمون الآية النداء عليه بأن أمته خير منه لأنها آثرت التحصن عن الفاحشة وهو يأبى الا اكراهها عليها ولو ابرز فكون هذا المعنى لم يقع الزاجر من النفس موقعه وعسى هذه الآية تأخذ بالنفوس الدنية فكيف بالنفوس العربية والله الموفق

المكان الواسع فان الضوء ينبث فيه وينتشر والقنديل أعون شئ على زيادة الانارة وكذلك الزيت وصفاؤه
(يهدى الله) لهذا النور الثاقب (من يشاء) من عباده أى يوفق لاصابة الحق من نظر وتدبر بعين عقله
والانصاف من نفسه ولم يذهب عن الجادة الموصلة اليه يمينا وشمالا ومن لم يتدبر فهو كالاعمى الذى سواء
عليه جنح الليل الدامس وضحوة النهار الشامس وعن على رضى الله عنه الله نور السموات والارض أى نشر
فيها الحق وبثه فأضاءت بنوره أو نور قلوب أهلها به وعن أبى بن كعب رضى الله عنه مثل نور من آمن به
وقرئ زجاجة الزجاجة بالفتح والكسر ودرى منسوب الى الدر أى أبيض متلألئ ودرئ بوزن سكيت
يدرأ الظلام بضوئه ودرئ كمريق ودرى كالسكينة عن أبى زيد وتوقد بمعنى تتوقد والفعل للزجاجة ويوقد
وتوقد بالتخفيف ويوقد بالتشديد ويوقد بحذف التاء وفتح الياء لاجتماع حرفين زائدين وهو غريب وتمسسه
بالياء لان التأنيث ليس بحقيقى والضمير فاصل (فى بيوت) يتعلق بما قبله أى كمشكاة فى بعض بيوت الله
وهى المساجد كأنه قيل مثل نوره كما يرى فى المسجد نور المشكاة التى من صفتها كيت وكيت أو بما بعده
وهو يسبح أى يسبح له رجال فى بيوت وفيها تكرير كقولك الزيد فى الدار جالس فيها أو بمحذوف كقوله فى
تسع آيات أى سبحوا فى بيوت والمراد بالاذن الامر ورفعها بناؤها كقوله بناها رفع سمكها فسواها واذ يرفع
ابراهيم القواعد وعن ابن عباس رضى الله عنهما هى المساجد أمر الله أن تبنى أو تعظيمها والرفع من قدرها
وعن الحسن رضى الله عنه ما أمر الله أن ترفع بالبناء ولكن بالتعظيم (ويذكر فيها اسمه) أوفق له وهو عام
فى كل ذكر وعن ابن عباس رضى الله عنهما وأن يتلى فيها كتابه * وقرئ يسبح على البناء للمفعول ويسند الى
أحد الظروف الثلاثة أعنى له فيها بالغدو ورجال مرفوع بما دل عليه يسبح وهو يسبح له وتسبح بالتاء وكسر
الباء وعن أبى جعفر رضى الله عنه بالتاء وفتح الباء ووجهه أن يسند الى أوقات الغدو والآصال على زيادة
الباء وتجعل الاوقات مسبحة والمراد بها كصيد عليه يومان والمراد وحشهما * والآصال جمع أصل وهو
العشى والمعنى بأوقات الغدو أى بالغدوات وقرئ والايصال وهو الدخول فى الاصيل يقال أصل كأظهر
وأعتم * التجارة صناعة التاجر وهو الذى يبيع ويشترى للربح فاما أن يريد لا يشغلهم نوع من هذه الصناعة
ثم خص البيع لانه فى الالهاء أدخل من قبل أن التاجر اذا اتجهت له بيعة رابحة وهى طلبته الكلية من
صناعته ألهته ما لا يلهيه شراء شئ يتوقع فيه الربح فى الوقت الثانى لان هذا يقين وذا مظنون واما أن
يسمى الشراء تجارة اطلاقا لاسم الجنس على النوع كما تقول رزق فلان تجارة رابحة اذا اتجه له بيع صالح
أو شراء وقيل التجارة لاهل الجلب اتجر فلان فى كذا اذا جلبه * التاء فى اقامة عوض من العين الساقطة
للاعلال والاصل اقوام فلما أضيفت أقيمت الاضافة مقام حرف التعويض فأسقطت ونحوه * وأخلفوك
عد الامر الذى وعدوا * وتقلب القلوب والابصار اما أن تتقلب وتتغير فى أنفسها وهو أن تضطرب من الهول
والفزع وتشخص كقوله واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر واما أن تتقلب أحوالها وتتغير فتفقه
القلوب بعد أن كانت مطبوعا عليها لا تفقه وتبصر الابصار بعد أن كانت عميا لا تبصر (أحسن ما عملوا)
أى أحسن جزاء أعمالهم كقوله للذين أحسنوا الحسنى والمعنى يسبحون ويخافون ليجزيهم ثوابهم مضاعفا
ويزيدهم على الثواب تفضلا وكذلك معنى قوله الحسنى وزيادة المثوبة الحسنى وزيادة عليها من التفضل
وعطاء الله تعالى اما تفضل واما ثواب واما عوض (والله يرزق) ما يتفضل به (بغير حساب) فاما الثواب فله
حساب لكونه على حسب الاستحقاق * السراب ما يرى فى الفلاة من ضوء الشمس وقت الظهيرة يسرب
على وجه الارض كأنه ماء يجرى * والقيعة بمعنى القاع أو جمع قاع وهو المنبسط المستوى من الارض كجيرة
فى جار وقرئ بقيعات بتاء مطولة كديمات وقيمات فى ديمة وقيمة وقد جعل بعضهم بقيعاة بتاء مدورة
كرجل عزهاة شبه ما يعمله من لا يعتقد الايمان ولا يتبع الحق من الاعمال الصالحة التى يحسبها تنفعه
عند الله وتنجيه من عذابه ثم تخيب فى العاقبة أمله ويلقى خلاف ما قدر بسراب يراه الكافر بالساهرة

يهدى الله لنوره من يشاء ويضرب الله الامثال للناس والله بكل شئ عليم فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلوة وايتاء الزكوة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب أو كظلمات فى بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض

وقد غلبه عطش يوم القيامة فيحسبه ماء فيأتيه فلا يجد ما رجاه ويجد زبانية الله عنده يأخذونه فيعتلونه إلى جهنم فيسقونه الحميم والغساق وهم الذين قال الله فيهم عاملة ناصبة وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وقيل نزلت في عتبة بن ربيعة بن أمية قد كان تعبد ولبس المسوح والتمس الدين في الجاهلية ثم كفر في الإسلام * اللجي العميق الكثير الماء منسوب إلى اللج وهو معظم ماء البحر * وفي (أخرج) ضمير الواقع فيه (لم يكد يراها) مبالغة في لم يرها أي لم يقرب أن يراها فضلا عن أن يراها ومثله قول ذي الرمة

إذا غير النأي المحبين لم يكد * رسيس الهوى من حب مية يبرح

أي لم يقرب من البراح فما باله يبرح شبه أعمالهم أولا في فوات نفعها وحضور ضررها بسراب لم يجده من خدعه من بعيد شيئا ولم يكفه خيبة وكمدا أن لم يجده شيئا كغيره من السراب حتى وجد عنده الزبانية تعتله إلى النار ولا يقتل ظمأه بالماء وشبهها ثانيا في ظلمتها وسوادها لكونها باطلة وفي خلوها عن نور الحق بظلمات متراكمة من لج البحر والأمواج والسحاب * ثم قال ومن لم يوله نور توفيقه وعصمته ولطفه فهو في ظلمة الباطل لا نور له وهذا الكلام مجراه مجرى الكنايات لأن الألطاف إنما تردف الإيمان والعمل أو كونهما مترقبين ألا ترى إلى قوله والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقوله ويضل الله الظالمين وقرئ سحاب ظلمات على الإضافة وسحاب ظلمات برفع سحاب وتنوينه وجر ظلمات بدلا من ظلمات الأولى (صافات) يصففن أجنحتهن في الهواء * والضمير في (علم) لكل أو لله وكذلك في (صلاته وتسبيحه) والصلاة الدعاء ولا يبعد أن يلهم الله الطير دعاءه وتسبيحه كما ألهمها سائر العلوم الدقيقة التي لا يكاد العقلاء يهتدون إليها (يزجي) يسوق ومنه البضاعة المزجاة التي يزجيها كل أحد لا يرضاها * والسحاب يكون واحدا كالعماء وجمعا كالرباب ومعنى تأليف الواحد أنه يكون قزعا فيضم بعضه إلى بعض وجاز بينه وهو واحد لأن المعنى بين أجزائه كما قيل في قوله * بين الدخول فحومل * والركام المتراكم بعضه فوق بعض * والودق المطر (من خلاله) من فتوقه ومخارجه جمع خلل كجبال في جبل وقرئ من خلله (وينزل) بالتشديد * ويكاد سنا على الإدغام * وبرقه جمع برقة وهي المقدار من البرق كالغرفة واللقمة وبرقه بضمتين للإتباع كما قيل في جمع فعلة فعلات كظلمات وسناء برقه على المد المقصور بمعنى الضوء والممدود بمعنى العلو والارتفاع من قولك سنى للمرتفع * و(يذهب بالأبصار) على زيادة الباء كقوله ولا تلقوا بأيديكم عن أبي جعفر المدني وهذا من تعديد الدلائل على ربوبيته وظهور أمره حيث ذكر تسبيح من في السموات والأرض وكل ما يطير بين السماء والأرض ودعاءهم له وابتهالهم إليه وأنه سخر السحاب التسخير الذي وصفه وما يحدث فيه من أفعاله حتى ينزل المطر منه وأنه يقسم رحمته بين خلقه ويقبضها ويبسطها على ما تقتضيه حكمته ويريهم البرق في السحاب الذي يكاد يخطف أبصارهم ليعتبروا ويحذروا ويعاقب بين الليل والنهار ويخالف بينهما بالطول والقصر وما هذه إلا براهين في غاية الوضوح على وجوده وثباته ودلائل منادية على صفاته لمن نظر وفكر وتبصر وتدبر (فإن قلت) متى رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسبيح من في السموات ودعاءهم وتسبيح الطير ودعاءه وتنزيل المطر من جبال برد في السماء حتى قيل له ألم تر (قلت) علمه من جهة إخبار الله إياه بذلك على طريق الوحي (فإن قلت) ما الفرق بين من الأولى والثانية والثالثة في قوله من السماء من جبال من برد (قلت) الأولى لابتداء الغاية والثانية للتبعيض والثالثة للبيان أو الأوليان للابتداء والآخرة للتبعيض ومعناه أنه ينزل البرد من السماء من جبال فيها وعلى الأول مفعول ينزل من جبال (فإن قلت) ما معنى من جبال فيها من برد (قلت) فيه معنيان أحدهما أن يخلق الله في السماء جبال برد كما خلق في الأرض جبال حجر والثاني أن يريد الكثرة بذكر الجبال كما يقال فلان يملك جبالا من ذهب * وقرئ خالق كل دابة ولما كان اسم الدابة موقعا على المميز وغير المميز غلب المميز فأعطي ما وراءه حكمه كأن الدواب كلهم مميزون فمن ثمة قيل فمنهم وقيل من يمشي في الماشي على بطن والماشي

إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور ألم تر أن الله يسبح له من في السموات والأرض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون ولله ملك السموات والأرض وإلى الله المصير ألم تر أن الله يزجي سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار يقلب الله الليل والنهار إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار والله خلق كل دابة

على أربع قوائم * (فان قلت) لم نكر الماء في قوله (من ماء) (قلت) لان المعنى أنه خلق كل دابة من نوع من الماء مختص بتلك الدابة أو خلقها من ماء مخصوص وهو النطفة ثم خالف بين المخلوقات من النطفة فمنها هوام ومنها بهائم ومنها ناس ونحوه قوله تعالى يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل (فان قلت) فما باله معرفا في قوله وجعلنا من الماء كل شيء حي (قلت) قصد ثمة معنى آخر وهو أن أجناس الحيوان كلها مخلوقة من هذا الجنس الذي هو جنس الماء وذلك أنه هو الاصل وان تخللت بينه وبينها وسائط قالوا خلق الملائكة من ريح خلقها من الماء والجن من نار خلقها منه وآدم من تراب خلقه منه * (فان قلت) لم جاءت الاجناس الثلاثة على هذا الترتيب (قلت) قدم ما هو أعرق في القدرة وهو الماشي بغير آلة مشي من أرجل أو قوائم ثم الماشي على رجلين ثم الماشي على أربع (فان قلت) لم سمى الزحف على البطن مشيا (قلت) على سبيل الاستعارة كما قالوا في الامر المستمر قد مشى هذا الامر ويقال فلان لا يتمشى له أمر ونحوه استعارة الشفة مكان الجحفلة والمشفر مكان الشفة ونحو ذلك أو على طريق المشاكلة لذكر الزاحف مع الماشين (وما أولئك بالمؤمنين) اشارة الى القائلين آمنا وأطعنا أو الى الفريق المتولي فمعناه على الاول اعلام من الله بأن جميعهم منتف عنهم الايمان لا الفريق المتولي وحده وعلى الثاني اعلام بأن الفريق المتولي لم يكن ما سبق لهم من الايمان ايمانا انما كان ادعاء باللسان من غير مواطأة القلب لانه لو كان صادرا عن صحة معتقد وطمأنينة نفس لم يتعقبه التولي والاعراض والتعريف في قوله بالمؤمنين دلالة على أنهم ليسوا بالمؤمنين الذين عرفت وهم الثابتون المستقيمون على الايمان الموصوفون في قوله تعالى انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا * معنى (الى الله ورسوله) الى رسول الله كقولك أعجبني زيد وكرمه تريد كرم زيد ومنه قوله * غلسته قبل القطا وفرطه * أراد قبل فرط القطا روى أنها نزلت في بشر المنافق وخصمه اليهودي حين اختصما في أرض فجعل اليهودي يجره الى رسول الله والمنافق يجره الى كعب بن الاشرف ويقول ان محمدا يحيف علينا وروى أن المغيرة بن وائل كان بينه وبين علي بن أبي طالب رضي الله عنه خصومة في ماء وأرض فقال المغيرة أما محمد فلست آتيه ولا أحاكم اليه فانه يبغضني وأنا أخاف أن يحيف علي (اليه) صلة يأتوا لان أتى وجاء قد جاءا معديين بالى أو يتصل بمذعنين لانه في معنى مسرعين في الطاعة وهذا أحسن لتقدم صلته ودلالته على الاختصاص والمعنى أنهم لمعرفتهم أنه ليس معك الا الحق المر والعدل البحت يزورّون عن المحاكمة اليك اذا ركبهم الحق لئلا تنتزعه من أحداقهم بقضائك عليهم لخصومهم وان ثبت لهم حق على خصم أسرعوا اليك ولم يرضوا الا بحكومتك لتأخذ لهم ما ذاب لهم في ذمة الخصم * ثم قسم الامر في صدودهم عن حكومته اذا كان الحق عليهم بين أن يكونوا مرضى القلوب منافقين أو مرتابين في أمر نبوته أو خائفين الحيف في قضائه ثم أبطل خوفهم حيفه بقوله (بل أولئك هم الظالمون) أي لا يخافون أن يحيف عليهم لمعرفتهم بحاله وانما هم ظالمون يريدون أن يظلموا من له الحق عليهم ويتم لهم جحوده وذلك شيء لا يستطيعونه في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن ثمة يأبون المحاكمة اليه * وعن الحسن قول المؤمنين بالرفع والنصب أقوى لان أولى الاسمين بكونه اسما لكان أوغلهما في التعريف وأن يقولوا أوغل لانه لا سبيل عليه للتنكير بخلاف قول المؤمنين وكان هذا من قبيل كان في قوله ما كان لله أن يتخذ من ولد ما يكون لنا أن نتكلم بهذا وقرئ ليحكم على البناء للمفعول (فان قلت) الام أسند يحكم ولا بد له من فاعل (قلت) هو مسند الى مصدره لان معناه ليفعل الحكم بينهم ومثله جمع بينهما وألف بينهما ومثله لقد تقطع بينكم فيمن قرأ بينكم منصوبا أي وقع التقطع بينكم وهذه القراءة مجاوبة لقوله دعوا * قرئ ويتقه بكسر القاف والهاء مع الوصل وبغير وصل وبسكون الهاء وبسكون القاف وكسر الهاء شبه تقه بكتف فخفف كقوله * قالت سليمى اشتر لنا سويقا * ولقد جمع الله في هذه الآية أسباب الفوز

* قوله تعالى والله خلق كل دابة من ماء (قال فيه ان قلت لم نكر الماء ههنا وعرفه في قوله وجعلنا من الماء كل شيء حي قلت الغرض فيما نحن فيه انه تعالى خلق كل دابة من نوع من الماء مخصوص وهو النطفة ثم خالف بين المخلوقات بحسب اختلاف نطفها فمنها كذا ومنها كذا ونحوه قوله يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل وأما آية اقترب

من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع يخلق الله ما يشاء ان الله على كل شيء قدير لقد أنزلنا آيات مبينات والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون وان يكن لهم الحق يأتوا اليه مذعنين أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله

فالغرض فيها أن أجناس الحيوانات كلها مخلوقة من هذا الجنس) قال أحمد وتحرير الفرق أن المقصد في الاولى اظهار الآية بأن شيأ واحدا تكونت منه بالقدرة أشياء مختلفة ذكر تفصيلها في آية النور والرعد والمقصد في آية اقترب أنه خلق الأشياء المتفقة في جنس الحياة من جنس الماء المختلف الانواع فذكره معرفا ليشمل أنواعه المختلفة فالآية في الاول لاخراج المختلف من المتفق والله أعلم

* وعن ابن عباس في تفسيرها (ومن يطع الله) في فرائضه (ورسوله) في سننه (ويخش الله) على ما مضى من
ذنوبه (ويتقه) فيما يستقبل وعن بعض الملوك أنه سأل عن آية كافية فتليت له هذه الآية * جهد يمينه
مستعار من جهد نفسه اذا بلغ أقصى وسعها وذلك اذا بالغ في اليمين وبلغ غاية شدتها ووكادتها وعن ابن عباس
رضي الله عنه من قال بالله فقد جهد يمينه وأصل أقسم جهد اليمين أقسم يجهد اليمين جهدا فحذف الفعل
وقدم المصدر فوضع موضعه مضافا الى المفعول كقوله فضرب الرقاب وحكم هذا المنصوب حكم الحال كأنه
قال جاهدين أيمانهم و(طاعة معروفة) خبر مبتدا محذوف أو مبتدا محذوف الخبر أي أمركم والذي
يطلب منكم طاعة معروفة معلومة لا يشك فيها ولا يرتاب كطاعة الخلص من المؤمنين الذين طابق باطن
أمرهم ظاهره لا أيمان تقسمون بها بأفواهكم وقلوبكم على خلافها أو طاعتكم طاعة معروفة بأنها بالقول
دون الفعل أو طاعة معروفة أمثل وأولى بكم من هذه الأيمان الكاذبة وقرأ اليزيدي طاعة معروفة
بالنصب على معنى أطيعوا طاعة (ان الله خبير) يعلم ما في ضمائركم ولا يخفى عليه شيء من سرائركم وانه
فاضحكم لا محالة ومجازيكم على نفاقكم * صرف الكلام عن الغيبة الى الخطاب على طريقة الالتفات وهو
أبلغ في تبكيتهم * يريد فان تتولوا فما ضررتموه وانما ضررتم أنفسكم فان الرسول ليس عليه الا ما حمله الله
وكلفه من أداء الرسالة فاذا أدى فقد خرج من عهدة تكليفه وأما أنتم فعليكم ما كلفتم من التلقي بالقبول
والاذعان فان لم تفعلوا وتوليتم فقد عرضتم نفوسكم لسخط الله وعذابه وان أطعتموه فقد أحرزتم نصيبكم من
الخروج عن الضلالة الى الهدى فالنفع والضرر عائدان اليكم وما الرسول الا ناصح وهاد وما عليه الا أن يبلغ
ماله نفع في قبولكم ولا عليه ضرر في توليكم * والبلاغ بمعنى التبليغ كالاداء بمعنى التأدية * ومعنى المبين
كونه مقرونا بالآيات والمعجزات * الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولمن معه ومنكم للبيان كالتي في
آخر سورة الفتح وعدهم الله أن ينصر الاسلام على الكفر ويورثهم الارض ويجعلهم فيها خلفاء كما فعل ببني
اسرائيل حين أورثهم مصر والشام بعد اهلاك الجبابرة وأن يمكن الدين المرتضى وهو دين الاسلام وتمكينه
تثبيته وتوطيده وأن يؤمن سربهم ويزيل عنهم الخوف الذي كانوا عليه وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم
وأصحابه مكثوا بمكة عشر سنين خائفين ولما هاجروا كانوا بالمدينة يصبحون في السلاح ويمسون فيه حتى قال
رجل ما يأتي علينا يوم نأمن فيه ونضع السلاح فقال صلى الله عليه وسلم لا تغبرون الا يسيرا حتى يجلس الرجل
منكم في الملأ العظيم محتبيا ليس معه حديدة فأنجز الله وعده وأظهرهم على جزيرة العرب وافتتحوا بعد بلاد
المشرق والمغرب ومزقوا ملك الأكاسرة وملكوا خزائنهم واستولوا على الدنيا ثم خرج الذين على خلاف سيرتهم
فكفروا بتلك الانعم وفسقوا وذلك قوله صلى الله عليه وسلم الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم يملك الله من يشاء فتصير
ملكا ثم تصير بزيزى قطع سبيل وسفك دماء وأخذ أموال بغير حقها * وقرئ كما استخلف على البناء للمفعول
وليبدلنهم بالتشديد (فان قلت) أين القسم المتلقى باللام والنون في (ليستخلفنهم) (قلت) هو محذوف تقديره
وعدهم الله وأقسم ليستخلفنهم أو نزل وعد الله في تحققه منزلة القسم فتلقى بما يتلقى به القسم كأنه قيل أقسم الله
ليستخلفنهم (فان قلت) ما محل (يعبدونني) (قلت) ان جعلته استئنافا لم يكن له محل كأن قائلا قال ما لهم
يستخلفون ويؤمنون فقال يعبدونني وان جعلته حالا عن وعدهم أي وعدهم الله ذلك في حال عبادتهم
واخلاصهم فمحله النصب (ومن كفر) يريد كفران النعمة كقوله فكفرت بأنعم الله (فأولئك هم الفاسقون)
أي هم الكاملون في فسقهم حيث كفروا تلك النعمة العظيمة وجسروا على غمطها (فان قلت) هل في هذه
الآية دليل على أمر الخلفاء الراشدين (قلت) أوضح دليل وأبينه لأن المستخلفين الذين آمنوا وعملوا
الصالحات هم هم (وأقيموا الصلاة) معطوف على أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وليس ببعيد أن يقع بين
المعطوف والمعطوف عليه فاصل وان طال لأن حق المعطوف أن يكون غير المعطوف عليه وكررت طاعة
الرسول تأكيدا لوجوبها وقرئ لا يحسبن بالياء وفيه أوجه أن يكون معجزين في الارض هما المفعولان
والمعنى لا يحسبن الذين كفروا أحدا يعجز الله في الارض حتى يطمعوا هم في مثل ذلك وهذا معنى قوي

عليهم ورسوله بل
أولئك هم الظالمون
انما كان قول المؤمنين
اذا دعوا الى الله ورسوله
ليحكم بينهم أن يقولوا
سمعنا وأطعنا وأولئك
هم المفلحون ومن يطع
الله ورسوله ويخش الله
ويتقه فأولئك هم
الفائزون وأقسموا بالله
جهد أيمانهم لئن
أمرتهم ليخرجن قل
لا تقسموا طاعة معروفة
ان الله خبير بما تعملون
قل أطيعوا الله
وأطيعوا الرسول فان
تولوا فانما عليه ما حمل
وعليكم ما حملتم وان
تطيعوه تهتدوا وما على
الرسول الا البلاغ
المبين وعد الله الذين
آمنوا منكم وعملوا
الصالحات ليستخلفنهم
في الارض كما استخلف
الذين من قبلهم وليمكنن
لهم دينهم الذي ارتضى
لهم وليبدلنهم من بعد
خوفهم أمنا يعبدونني
لا يشركون بي شيئا
ومن كفر بعد ذلك
فأولئك هم الفاسقون
وأقيموا الصلاة وآتوا
الزكاة وأطيعوا
الرسول لعلكم ترحمون
لا تحسبن الذين كفروا
معجزين في الارض

بعيد وأن يكون فيه ضمير الرسول لتقدم ذكره في قوله وأطيعوا الرسول وأن يكون الاصل لا يحسبنهم الذين كفروا معجزين ثم حذف الضمير الذي هو المفعول الاول وكان الذي سوغ ذلك أن الفاعل والمفعولين لما كانت لشيء واحد اقتنع بذكر اثنين عن ذكر الثالث وعطف قوله (ومأواهم النار) على لا يحسبن الذين كفروا معجزين كأنه قيل الذين كفروا لا يفوتون الله ومأواهم النار والمراد بهم المقسمون جهد أيمانهم * أمر بأن يستأذن العبيد وقيل العبيد والاماء والاطفال الذين لم يحتلموا من الاحرار (ثلاث مرات) في اليوم والليلة قبل صلاة الفجر لانه وقت القيام من المضاجع وطرح ما ينام فيه من الثياب ولبس ثياب اليقظة وبالظهيرة لانها وقت وضع الثياب للقائلة وبعد صلاة العشاء لانه وقت التجرد من ثياب اليقظة والالتحاف بثياب النوم وسمى كل واحدة من هذه الاحوال عورة لان الناس يختل تسترهم وتحفظهم فيها والعورة الخلل ومنها أعور الفارس وأعور المكان والاعور المختل العين * ثم عذرهم في ترك الاستئذان وراء هذه المرات وبين وجه العذر في قوله (طوافون عليكم) يعني أن بكم وبهم حاجة الى المخالطة والمداخلة يطوفون عليكم للخدمة وتطوفون عليهم للاستخدام فلو جزم الامر بالاستئذان في كل وقت لادى الى الحرج وروي أن مدلج بن عمرو وكان غلاما أنصاريا أرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت الظهر الى عمر ليدعوه فدخل عليه وهو نائم وقد انكشف عنه ثوبه فقال عمر لوددت أن الله عز وجل نهى آباءنا وأبناءنا وخدمنا أن لا يدخلوا علينا هذه الساعات الا باذن ثم انطلق معه الى النبي صلى الله عليه وسلم فوجده وقد أنزلت عليه هذه الآية وهي احدى الآيات المنزلة بسبب عمر رضي الله تعالى عنه وقيل نزلت في أسماء بنت أبي مرثد قالت انا لندخل على الرجل والمرأة ولعلهما يكونان في لحاف واحد وقيل دخل عليها غلام لها كبير في وقت كرهت دخوله فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان خدمنا وغلماننا يدخلون علينا في حال نكرهها * وعن أبي عمرو الحلم بالسكون وقرئ ثلاث عورات بالنصب بدلا عن ثلاث مرات اي أوقات ثلاث عورات وعن الاعمش عورات على لغة هذيل * (فان قلت) ما محل ليس عليكم (قلت) اذا رفعت ثلاث عورات كان ذلك في محل الرفع على الوصف والمعنى هن ثلاث عورات مخصوصة بالاستئذان واذا نصبت لم يكن له محل وكان كلاما مقررا للامر بالاستئذان في تلك الاحوال خاصة (فان قلت) بم ارتفع (بعضكم) (قلت) بالابتداء وخبره (على بعض) على معنى طائف على بعض وحذف لان طوافون يدل عليه ويجوز أن يرتفع بيطوف مضمرا لتلك الدلالة (الاطفال منكم) اي من الاحرار دون المماليك (الذين من قبلهم) يريد الذين بلغوا الحلم من قبلهم وهم الرجال أو الذين ذكروا من قبلهم في قوله يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا الآية والمعنى أن الاطفال مأذون لهم في الدخول بغير اذن الا في العورات الثلاث فاذا اعتاد الاطفال ذلك ثم خرجوا عن حد الطفولة بأن يحتلموا أو يبلغوا السن التي يحكم فيها عليهم بالبلوغ وجب أن يفطموا عن تلك العادة ويحملوا على أن يستأذنوا في جميع الاوقات كالرجال الكبار الذين لم يعتادوا الدخول عليكم الا باذن وهذا مما الناس منه في غفلة وهو عندهم كالشريعة المنسوخة وعن ابن عباس آية لا يؤمن بها أكثر الناس آية الاذن واني لآمر جاريتي أن تستأذن علي وسأله عطاء أأستأذن على أختي قال نعم وان كانت في حجرك تمونها وتلا هذه الآية وعنه ثلاث آيات جحدهن الناس الاذن كله وقوله ان أكرمكم عند الله أتقاكم فقال ناس أعظمكم بيتا وقوله واذا حضر القسمة وعن ابن مسعود عليكم أن تستأذنوا على آبائكم وأمهاتكم وأخواتكم وعن الشعبي ليست منسوخة فقيل له ان الناس لا يعملون بها فقال الله المستعان وعن سعيد بن جبير يقولون هي منسوخة ولا والله ما هي منسوخة ولكن الناس تهاونوا بها (فان قلت) ما السن التي يحكم فيها بالبلوغ (قلت) قال أبو حنيفة ثماني عشرة سنة في الغلام وسبع عشرة في الجارية وعامة العلماء على خمس عشرة فيهما وعن علي رضي الله عنه أنه كان يعتبر القامة ويقدره بخمسة أشبار وبه أخذ الفرزدق في قوله

ما زال مذ عقدت يداه ازاره * فسما فأدرك خمسة الاشبار

واعتبر غيره الانبات وعن عثمان رضي الله عنه أنه سأل عن غلام فقال هل اخضر ازاره * القاعد التي قعدت عن الحيض والولد لكبرها (لا يرجون نكاحا) لا يطمعن فيه * والمراد بالثياب الثياب الظاهرة كالملحفة

ومأواهم النار ولبئس المصير يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحا فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن

به أبواه ولا تقولوا يا محمد ولكن يا نبي الله ويا رسول الله مع التوقير والتعظيم والصوت المخفوض والتواضع
ويحتمل لا تجعلوا دعاء الرسول ربه مثل ما يدعو صغيركم كبيركم وفقيركم غنيكم يسأله حاجة فربما أجابه وربما
رده فان دعوات رسول الله صلى الله عليه وسلم مسموعة مستجابة (يتسللون) ينسلون قليلا قليلا ونظير
تسلل تدرج وتدخل * واللواذ الملاوذة وهو أن يلوذ هذا بذاك وذاك بهذا يعني ينسلون عن الجماعة في
الخفية على سبيل الملاوذة واستتار بعضهم ببعض و (لواذا) حال أي ملاوذين وقيل كان بعضهم يلوذ
بالرجل اذا استأذن فيأذن له فينطلق الذي لم يؤذن له معه وقرئ لواذا بالفتح * يقال خالفه الى الامر اذا
ذهب اليه دونه ومنه قوله تعالى وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه وخالفه عن الامر اذا صد عنه دونه
ومعنى (الذين يخالفون عن امره) الذين يصدون عن أمره دون المؤمنين وهم المنافقون فحذف المفعول
لان الغرض ذكر المخالف والمخالف عنه * الضمير في أمره لله سبحانه أو للرسول صلى الله عليه وسلم والمعنى
عن طاعته ودينه (فتنة) محنة في الدنيا (أو يصيبهم عذاب أليم) في الآخرة وعن ابن عباس رضي الله عنهما
فتنة قتل وعن عطاء زلازل وأهوال وعن جعفر بن محمد يسلط عليهم سلطان جائر * أدخل قد ليؤكد علمه
بما هم عليه من المخالفة عن الدين والنفاق ويرجع توكيد العلم الى توكيد الوعيد وذلك أن قد اذا دخلت على
المضارع كانت بمعنى ربما فوافقت ربما في خروجها الى معنى التكثير في نحو قوله

فان تمس مهجور الفناء فربما * أقام به بعد الوفود وفود

ونحو قول زهير

أخي ثقة لا تهلك الخمر ماله * ولكنه قد يهلك المال نائله

والمعنى أن جميع ما في السموات والارض مختصة به خلقا وملكا وعلما فكيف يخفى عليه أحوال المنافقين وان
كانوا يجتهدون في سترها عن العيون واخفائها * وسينبئهم يوم القيامة بما أبطنوا من سوء أعمالهم
وسيجازيهم حق جزائهم * والخطاب والغيبة في قوله (قد يعلم ما أنتم عليه ويوم يرجعون اليه) يجوز أن يكونا
جميعا للمنافقين على طريق الالتفات ويجوز أن يكون ما أنتم عليه عاما ويرجعون للمنافقين والله أعلم عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النور أعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل مؤمن ومؤمنة فيما
مضى وفيما بقي

﴿سورة الفرقان مكية وهي سبع وسبعون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* البركة كثرة الخير وزيادته ومنها تبارك الله وفيه معنيان تزايد خيره وتكاثر أو تزايد عن كل شيء وتعالى عنه
في صفاته وأفعاله * والفرقان مصدر فرق بين الشيئين اذا فصل بينهما وسمي به القرآن لفصله بين الحق
والباطل أو لانه لم ينزل جملة واحدة ولكن مفروقا مفصولا بين بعضه وبعض في الانزال ألا ترى الى قوله
وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا وقد جاء الفرق بمعناه قال

* ومشركي كافر بالفرق * وعن ابن الزبير رضي الله عنه على عباده وهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمته
كما قال لقد أنزلنا اليكم قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا * والضمير في (ليكون) لعبده أو للفرقان ويعضد رجوعه
الى الفرقان قراءة ابن الزبير (للعالمين) للجن والانس (نذيرا) منذرا أي مخوفا أو انذارا كالنكير بمعنى
الانكار ومنه قوله تعالى فكيف كان عذابي ونذر (الذي له) رفع على الابدال من الذي نزل أو رفع على المدح
أو نصب عليه (فان قلت) كيف جاز الفصل بين البدل والمبدل منه (قلت) ما فصل بينهما بشيء لان المبدل
منه صلته نزل وليكون تعليل له فكأن المبدل منه لم يتم الا به * (فان قلت) في الخلق معنى التقدير فما معنى
قوله (وخلق كل شيء فقدره تقديرا) كأنه قال وقدر كل شيء فقدره (قلت) المعنى أنه أحدث كل شيء احداثا
مراعى فيه التقدير والتسوية فقدره وهيأه لما يصلح له مثاله أنه خلق الانسان على هذا الشكل المقدر
المسوى الذي تراه فقدره للتكاليف والمصالح المنوطة به في بابي الدين والدنيا وكذلك كل حيوان وجماد جاء به
على الجبلة المستوية المقدرة بأمثلة الحكمة والتدبير فقدره لامر ما ومصلحة مطابقا لما قدر له غير متجاف

الذين يتسللون منكم
لواذا فليحذر الذين
يخالفون عن أمره أن
تصيبهم فتنة أو يصيبهم
عذاب أليم ألا ان لله ما في
السموات والارض
قد يعلم ما أنتم عليه ويوم
يرجعون اليه فينبئهم بما
عملوا والله بكل شيء عليم

(سورة الفرقان مكية
وهي سبع وسبعون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

تبارك الذي نزل الفرقان
على عبده ليكون للعالمين
نذيرا الذي له ملك
السموات والارض ولم
يتخذ ولدا ولم يكن له
شريك في الملك وخلق
كل شيء فقدره تقديرا

القول في سورة الفرقان

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* قوله تعالى تبارك الذي
نزل الفرقان على عبده
(قال يجوز أن يراد وصفه
بالفرقان تفرقته بين
الحق والباطل ويجوز
أن يراد نزوله مفرقا شيئا
فشيئا كما قال وقرآنا
فرقناه) قال أحمد
والاظهر ههنا المعنى
الثاني لان في اثناء
السورة بعد آيات وقالوا
لولا نزل عليه القرآن
جملة واحدة قال الله
تعالى كذلك أي أنزلناه
مفرقا كذلك لنثبت به
فؤادك فيكون وصفه
بالفرقان في أول السورة
والله أعلم كالمقدمة
والتوطئة لما يأتي بعد

عنه أوسمى احداث الله خلقا لانه لا يحدث شيأ لحكمته الا على وجه التقدير من غير تفاوت فاذا قيل خلق الله كذا فهو بمنزلة قولك أحدث وأوجد من غير نظر الى وجه الاشتقاق فكأنه قيل وأوجد كل شئ فقدره فى ايجاده لم يوجده متفاوتا وقيل فجعل له غاية ومنتهى ومعناه فقدره للبقاء الى أمد معلوم * الخلق بمعنى الافتعال كما فى قوله تعالى انما تعبدون من دون الله أوثانا وتخلقون افكا والمعنى أنهم آثروا على عبادة الله سبحانه عبادة آلهة لا عجز أبين من عجزهم لا يقدرون على شئ من أفعال الله ولا من أفعال العباد حيث لا يفتعلون شيأ وهم يفتعلون لان عبدتهم يصنعونهم بالنحت والتصوير (ولا يملكون) أى لا يستطيعون لانفسهم دفع ضرر عنها وجلب نفع اليها وهم يستطيعون واذا عجزوا عن الافتعال ودفع الضرر وجلب النفع التى يقدر عليها العباد كانوا عن الموت والحياة والنشور التى لا يقدر عليها الا الله أعجز (قوم آخرون) قيل هم اليهود وقيل عداس مولى حويطب بن عبد العزى ويسار مولى العلاء بن الحضرمى وأبو فكيهة الرومى قال ذلك النضر بن الحرث بن عبد الدار * جاء وأتى يستعملان فى معنى فعل فيعديان تعديته وقد يكونان على معنى وردوا ظلما كما تقول جئت المكان ويجوز أن يحذف الجار ويوصل الفعل * وظلمهم أن جعلوا العربى يتلقن من العجمى الرومى كلاما عربيا أعجز بفصاحته جميع فصحاء العرب * والزور أن بهتوه بنسبة ما هو برىء منه اليه (أساطير الاولين) ما سطره المتقدمون من نحو أحاديث رستم واسفنديار جمع أسطار أو أسطورة كأحدوثة (اكتتبها) كتبها لنفسه وأخذها كما تقول استكب الماء واصطبه اذا سكبه وصبه لنفسه وأخذه وقرئ اكتتبها على البناء للمفعول والمعنى اكتتبها كاتب له لانه كان أميا لا يكتب بيده وذلك من تمام اعجازه ثم حذفت اللام فأفضى الفعل الى الضمير فصار اكتتبها اياه كاتب كقوله واختار موسى قومه ثم بنى الفعل للضمير الذى هو اياه فانقلب مرفوعا مستترا بعد ان كان بارزا منصوبا وبقى ضمير الاساطير على حاله فصار اكتتبها كما ترى (فان قلت) كيف قيل اكتتبها (فهى تملى عليه) وانما يقال أمليت عليه فهو يكتتبها (قلت) فيه وجهان أحدهما أراد اكتتابها أو طلبه فهى تملى عليه أو كتبت له وهو أمى فهى تملى عليه أى تلقى عليه من كتابه يتحفظها لان صورة الالقاء على الحافظ كصورة الالقاء على الكاتب وعن الحسن انه قول الله سبحانه يكذبهم وانما يستقيم أن لو فتحت الهمزة للاستفهام الذى فى معنى الانكار ووجهه ان يكون نحو قوله

أفرح أن أرزأ الكرام وأن * أورث ذودا شصائصا نبلا

وحق الحسن أن يقف على الاولين (بكرة وأصيلا) أى دائما أو فى الخفية قبل أن ينتشر الناس وحين يأوون الى مساكنهم * أى يعلم كل سر خفى فى السموات والارض ومن جملته ما تسرونه أنتم من الكيد لرسوله صلى الله عليه وسلم مع علمكم أن ما تقولونه باطل وزور وكذلك باطن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وبراءته مما تبهتونه به وهو يجازيكم ويجازيه على ما علم منكم وعلم منه (فان قلت) كيف طابق قوله (انه كان غفورا رحيما) هذا المعنى (قلت) لما كان ما تقدمه فى معنى الوعيد عقبه بما يدل على القدرة عليه لانه لا يوصف بالمغفرة والرحمة الا القادر على العقوبة أو هو تنبيه على أنهم استوجبوا بمكابرتهم هذه أن يصب عليهم العذاب صبا ولكن صرف ذلك عنهم أنه غفور رحيم يمهل ولا يعاجل * وقعت اللام فى المصحف مفصولة عن هذا خارجة عن أوضاع الخط العربى وخط المصحف سنة لا تغير وفى هذا استهانة وتصغير لشأنه وتسميته بالرسول سخرية منهم وطنز كأنهم قالوا ما لهذا الزاعم أنه رسول ونحوه قول فرعون ان رسولكم الذى أرسل اليكم لمجنون أى ان صح أنه رسول الله فما باله حاله مثل حالنا (يأكل الطعام) كما نأكل ويتردد فى الاسواق لطلب المعاش كما نتردد يعنون أنه كان يجب أن يكون ملكا مستغنيا عن الاكل والتعيش * ثم نزلوا عن اقتراحهم أن يكون ملكا الى اقتراح أن يكون انسانا معه ملك حتى يتساندا فى الانذار والتخويف * ثم نزلوا أيضا فقالوا وان لم يكن مرفودا بملك فليكن مرفودا بكنز يلقى اليه من السماء يستظهر به ولا يحتاج الى تحصيل المعاش * ثم نزلوا فاقتنعوا بأن يكون رجلا له بستان يأكل منه ويرتزق كالدهاقين والمياسير أو يأكلون هم من ذلك البستان فينتفعون به فى دنياهم ومعاشهم * وأراد بالظالمين اياهم بأعيانهم وضع

واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيأ وهم يخلقون ولا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حيوة ولا نشورا وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاؤا ظلما وزورا وقالوا أساطير الاولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا قل أنزله الذى يعلم السر فى السموات والارض انه كان غفورا رحيما وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذيرا أو يلقى اليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها وقال الظالمون ان تتبعون

الظاهر موضع المضمر ليسجل عليهم بالظلم فيما قالوا وقرئ فيكون بالرفع أو يكون له جنة بالياء والنون (فان قلت) ما وجها الرفع والنصب في فيكون (قلت) النصب لانه جواب لولا بمعنى هلا وحكمه حكم الاستفهام والرفع على انه معطوف على أنزل ومحله الرفع الا تراك تقول لولا ينزل بالرفع وقد عطف عليه يلقى ويكون مرفوعين ولا يجوز النصب فيهما لانهما في حكم الواقع بعد لولا ولا يكون الا مرفوعا والقائلون هم كفار قريش النضر بن الحرث وعبد الله بن أبي أمية ونوفل بن خويلد ومن ضامهم (مسحورا) سحر فغلب على عقله أو ذا سحر وهو الرئة عنوا أنه بشر لا ملك (ضربوا لك الامثال) أي قالوا فيك تلك الاقوال واخترعوا لك تلك الصفات والاحوال النادرة من نبوة مشتركة بين انسان وملك والقاء كنز عليك من السماء وغير ذلك فبقوا متحيرين ضلالا لا يجدون قولا يستقرون عليه أو فضلوا عن الحق فلا يجدون طريقا اليه * تكاثر خير (الذي ان شاء) وهب لك في الدنيا (خيرا) مما قالوا وهو أن يعجل لك مثل ما وعدك في الآخرة من الجنات والقصور * وقرئ ويجعل بالرفع عطفا على جعل لان الشرط اذا وقع ماضيا جاز في جزائه الجزم والرفع كقوله

وان أتاه خليل يوم مسئلة * يقول لا غائب مالي ولا حرم

ويجوز في ويجعل لك اذا أدغمت أن تكون اللام في تقدير الجزم والرفع جميعا وقرئ بالنصب على انه جواب الشرط بالواو (بل كذبوا) عطف على ما حكى عنهم يقول بل أتوا بأعجب من ذلك كله وهو تكذيبهم بالساعة ويجوز أن يتصل بما يليه كأنه قال بل كذبوا بالساعة فكيف يلتفتون الى هذا الجواب وكيف يصدقون بتعجيل مثل ما وعدك في الآخرة وهم لا يؤمنون بالآخرة * السعير النار الشديدة الاستعار وعن الحسن رضي الله عنه انه اسم من أسماء جهنم (رأتهم) من قولهم دورهم تتراءى وتتناظر ومن قوله صلى الله عليه وسلم لا تراءى ناراهما كأن بعضها يرى بعضا على سبيل المجاز والمعنى اذا كانت منهم بمرأى الناظر في البعد سمعوا صوت غليانها وشبه ذلك بصوت المتغيظ والزافر ويجوز أن يراد اذا رأتهم زبانيتها تغيظوا وزفروا غضبا على الكفار وشهوة للانتقام منهم * الكرب مع الضيق كما أن الروح مع السعة ولذلك وصف الله الجنة بأن عرضها السموات والارض وجاء في الاحاديث ان لكل مؤمن من القصور والجنان كذا وكذا ولقد جمع الله على أهل النار أنواع التضييق والارهاق حيث ألقاهم في مكان ضيق يتراصون فيه تراصا كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسيره أنه يضيق عليهم كما يضيق الزج في الرمح وهم مع ذلك الضيق مسلسلون مقرنون في السلاسل قرنت أيديهم الى أعناقهم في الجوامع وقيل يقرن مع كل كافر شيطانه في سلسلة وفي أرجلهم الاصفاد * والثبور الهلاك ودعاؤه أن يقال واثبوراه أي تعال يا ثبور فهذا حينك وزمانك (لا تدعوا) أي يقال لهم ذلك أو هم أحقاء بأن يقال لهم وان لم يكن ثمة قول * ومعنى (وادعوا ثبورا كثيرا) انكم وقعتم فيما ليس ثبوركم فيه واحدا انما هو ثبور كثير اما لان العذاب أنواع وألوان كل نوع منها ثبور لشدته وفظاعته أو لانهم كلما نضجت جلودهم بدلوا غيرها فلا غاية لهلاكهم * الراجع الى الموصولين محذوف يعني وعدها المتقون وما يشاؤنه وانما قيل كانت لان ما وعده الله وحده فهو في تحققه كأنه قد كان أو كان مكتوبا في اللوح قبل ان برأهم بأزمنة متطاولة ان الجنة جزاؤهم ومصيرهم (فان قلت) ما معنى قوله (كانت لهم جزاء ومصيرا) (قلت) هو كقوله نعم الثواب وحسنت مرتفقا فمدح الثواب ومكانه كما قال بئس الشراب وساءت مرتفقا فذم العقاب ومكانه لان النعيم لا يتم للمتنعم الا بطيب المكان وسعته وموافقته للمراد والشهوة وأن لا تنغص وكذلك العقاب يتضاعف بغثاثة الموضع وضيقه وظلمته وجمعه لاسباب الاجتواء والكراهة فلذلك ذكر المصير مع ذكر الجزاء * والضمير في (كان) لما يشاؤن * والوعد الموعود أي كان ذلك موعودا واجبا على ربك انجازه حقيقا أن يسئل ويطلب لانه جزاء وأجر مستحق وقيل قد سأله الناس والملائكة في دعواتهم ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة ربنا وأدخلهم جنات

الا رجلا مسحورا انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا تبارك الذي ان شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجري من تحتها الانهار ويجعل لك قصورا بل كذبوا بالساعة وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا واذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا قل أذلك خير أم جنة الخلد التي وعد المتقون كانت لهم جزاء ومصيرا لهم فيها ما يشاؤن خالدين كان على ربك وعدا مسؤلا

* قوله تعالى اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا (قال فيه هو من قولهم دور بني فلان تتراءى أي على المجاز) قال أحمد لا حاجة الى حمله على المجاز فان رؤية جهنم جائزة وقدرة الله تعالى صالحة وقد تظافرت الظواهر على وقوع هذا الجائز وعلى ان الله تعالى يخلق لها ادراكا حسيا وعقليا الا ترى الى قوله سمعوا لها تغيظا والى محاجتها مع الجنة والى قولها هل من مزيد والى اشتكائها الى ربها فأذن لها في نفسين الى غير ذلك من الظواهر التي لا سبيل الى تأويلها اذ لا محوج اليه ولو فتح باب التأويل والمجاز في أحوال المعاد لتطرق الذي يسلك ذلك الى وادي الضلالة والتحيز الى فرق الفلاسفة فالحق انا متعبدون بالظاهر ما لم يمتنع مانع والله أعلم

عدن

* قوله تعالى ويوم نحشرهم وما يعبدون من دون الله الى قوله قوما بورا (قال) في هذه الآية كسر بين لمن يزعم ان الله تعالى يضل عباده حقيقة حيث يقول للمعبودين من دونه أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا بأنفسهم فيتبرؤن منهم ويستعيذون مما نسب اليهم ويقولون بل تفضلت على هؤلاء أوجب ان جعلوا عوض الشكر كفرا فاذا برأت الملائكة والرسل أنفسهم من ذلك فهم لله أشد تبرئة وتنزيها منه ولقد نزهوه حيث أضافوا التفضل بالنعمة الى الله تعالى وأسندوا الضلال الذي نشأ عنه الى الضالين فهو شرح للاسناد المجازي في قوله يضل من يشاء ولو كان مضلا حقيقة لكان الجواب العتيد أن يقولوا بل أنت أضللتهم (قال أحمد) قد تقدم شرح عقيدة أهل الحق في هذا المعنى وان الباعث لهم على اعتقاد كون الضلال من خلق الله تعالى التزامهم التوحيد المحض والايمان الصرف الذي دل على صحته بعد الادلة العقلية قوله تعالى الله خالق كل شئ والضلال شئ فوجب كونه خالقه هذا من حيث العموم واما من حيث الخصوص فامثال قوله تعالى تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء والاصل الحقيقة (١٠٥) وقول موسى عليه السلام ان هي الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء فلو كان الاضلال مستحيلا على الله تعالى لما جاز ان يخاطبه الكليم بما لا يجوز فاذا أوضح ذلك فالملائكة لم يسئلوا في هذه الآية عن المضل لعبادهم حقيقة فيقال لهم من أضل هؤلاء وانما قيل لهم أأنتم أضللتموهم أم هم ضلوا فليس الجواب المطابق العتيد ان يقولون أنت أضللتهم ولو كان معتقدهم ان الله تعالى هو المضل حقيقة لكان قولهم في جواب هذا السؤال بل أنت أضللتهم مجاوزة لحد السؤال ومحله وانما كان هذا الجواب مطابقا لو قيل لهم من أضل عبادي هؤلاء فقد وضح ان هذا السؤال لا يجاب عنه بما تخيله الزمخشري بتقدير أن يكون معتقدهم أن الله تعالى هو الذي أضلهم وان عدولهم عنه ليس لانهم لا يعتقدونه ولكن لانه لا يطابق وبقي وراء ذلك نظر في أن جوابهم هذا يدل على معتقدهم الموافق لاهل الحق لان أهل الحق يعتقدون أن الله تعالى وان خلق لهم الضلالة الا أن لهم اختيارا فيها وتمييزا لها ولم يكونوا عليها مقسورين كما هم مقسورون على أفعال كثيرة يخلقها الله فيهم كالحركات الرعشية ونحوها وقدمنا في مواضع أن كل فعل اختياري له نسبتان ان نظر الى كونه مخلوقا فهو منسوب الى الله تعالى وان نظر الى كونه اختياريا للعبد فهو منسوب الى العبد وبذلك نطقت الملائكة في قولهم بل متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر فنسبوا انسيان الذكر اليهم أي الانهماك في الشهوات الذي نشأ عنه النسيان لانهم اختاروه لانفسهم فصدقت نسبته اليهم ونسبوا السبب الذي اقتضى نسيانهم وانهماكهم في الشهوات الى الله تعالى وهو استدراجهم ببسط النعم عليهم فبها ضلوا فلا تنافي بين معتقد أهل الحق وبين مضمون قول الملائكة حينئذ بل هما متواطئان على أمر واحد والله أعلم

ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل

يحشرهم فيقول كلاهما بالنون والياء وقرئ يحشرهم بكسر الشين (وما يعبدون) يريد المعبودين من الملائكة والمسيح وعزير وعن الكلبي الاصنام ينطقها الله ويجوز أن يكون عاما لهم جميعا (فان قلت) كيف صح استعمال ما في العقلاء (قلت) هو موضوع على العموم للعقلاء وغيرهم بدليل قولك اذا رأيت شبحا من بعيد ماهو فاذا قيل لك انسان قلت حينئذ من هو ويدلك قولهم من لما يعقل أو أريد به الوصف كأنه قيل ومعبوديهم ألا تراك تقول اذا أردت السؤال عن صفة زيد ما زيد تعني أطويل أم قصير أفقيه أم طبيب * (فان قلت) ما فائدة أنتم وهم وهلا قيل أضللتم عبادي هؤلاء أم ضلوا السبيل (قلت) ليس السؤال عن الفعل ووجوده لانه لولا وجوده لما توجه هذا العتاب وانما هو عن متوليه فلا بد من ذكره وايلائه حرف الاستفهام حتى يعلم أنه المسؤل عنه (فان قلت) فالله سبحانه قد سبق علمه بالمسؤل عنه فما فائدة هذا السؤال (قلت) فائدته أن يجيبوا بما أجابوا به حتى يبكت عبدتهم بتكذيبهم اياهم فيبهتوا ويخذلوا وتزيد حسرتهم ويكون ذلك نوعا مما يلحقهم من غضب الله وعذابه ويغتبط المؤمنون ويفرحوا بحالهم ونجاتهم من فضيحة أولئك وليكون حكاية ذلك في القرآن لطفا للمكلفين وفيه كسر بين لقول من يزعم أن الله يضل عباده على الحقيقة حيث يقول للمعبودين من دونه أأنتم أضللتموهم أم هم ضلوا بأنفسهم فيتبرؤن من اضلالهم ويستعيذون به أن يكونوا مضلين ويقولون بل أنت تفضلت من غير سابقة على هؤلاء وآبائهم تفضل جواد كريم فجعلوا النعمة التي حقها أن تكون سبب الشكر سبب الكفر ونسيان الذكر وكان ذلك سبب هلاكهم فاذا برأت الملائكة والرسل أنفسهم من نسبة الاضلال الذي هو عمل الشياطين اليهم واستعاذوا منه فهم لربهم الغني العدل أشد تبرئة وتنزيها منه ولقد نزهوه حين أضافوا اليه التفضل بالنعمة والتمتيع بها وأسندوا نسيان الذكر والتسبب به للبوار الى الكفرة فشرحوا الاضلال المجازي الذي أسنده الله الى ذاته في قوله يضل من يشاء ولو كان هو المضل على الحقيقة لكان الجواب العتيد أن يقولوا بل أنت أضللتهم والمعنى أأنتم أوقعتموهم في الضلال عن طريق الحق أم هم ضلوا عنه بأنفسهم * وضل مطاوع أضله وكان القياس ضل عن السبيل الا أنهم تركوا الجار كما تركوه في هداه الطريق والاصل الى الطريق وللطريق وقولهم أضل البعير في معنى جعله ضالا أي ضائعا لما كان أكثر ذلك بتفريط من

صاحبه وقلة احتياط في حفظه فيل أضله سواء كان منه فعل أو لم يكن (سبحانك) تعجب منهم قد تعجبوا مما
قيل لهم لانهم ملائكة وأنبياء معصومون فما أبعدهم عن الاضلال الذي هو مختص بابليس وحزبه أو نطقوا
بسبحانك ليدلوا على أنهم المسبحون المتقدسون الموسومون بذلك فكيف يليق بحالهم أن يضلوا عباده
أو قصدوا به تنزيهه عن الانداد وأن يكون له نبي أو ملك أو غيرهما ندا ثم قالوا ما كان يصح لنا ولا يستقيم ونحن
معصومون أن نتولى أحدا دونك فكيف يصح لنا أن نحمل غيرنا على أن يتولونا دونك أو ما كان ينبغي لنا
أن نكون أمثال الشياطين في تولیهم الكفار كما تولاهم الكفار قال الله تعالى فقاتلوا أولياء الشيطان يريد
الكفرة وقال والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت وقرأ أبو جعفر المدني نتخذ على البناء للمفعول وهذا الفعل
أعني اتخذ يتعدى الى مفعول واحد كقولك اتخذ وليا والى مفعولين كقولك اتخذ فلانا وليا قال الله تعالى
أم اتخذوا آلهة من الارض وقال واتخذ الله ابراهيم خليلا فالقراءة الاولى من المتعدي الى واحد وهو من
أولياء والاصل أن نتخذ أولياء فزيدت من لتأكيد معنى النفي والثانية من المتعدي الى مفعولين فالاول
ما بني له الفعل والثاني من أولياء ومن للتبعيض أي لا نتخذ بعض أولياء وتنكير أولياء من حيث انهم أولياء
مخصوصون وهم الجن والاصنام * والذكر ذكر الله والايمان به أو القرآن والشرائع * والبور الهلاك
يوصف به الواحد والجمع ويجوز أن يكون جمع بائر كعائذ وعوذ * هذه المفاجأة بالاحتجاج والالزام حسنة
رائعة وخاصة اذا انضم اليها الالتفات وحذف القول ونحوها قوله تعالى يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا
يبين لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير وقول القائل

قالوا خراسان أقصى ما يراد بنا * ثم القفول فقد جئنا خراسانا

* وقرئ يقولون بالتاء والياء فمعنى من قرأ بالتاء فقد كذبوكم بقولكم انهم آلهة ومعنى من قرأ بالياء فقد كذبوكم
بقولهم سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء (فان قلت) هل يختلف حكم الباء مع التاء والياء
(قلت) اي والله هي مع التاء كقوله بل كذبوا بالحق والجار والمجرور بدل من الضمير كأنه قيل فقد كذبوا
بما تقولون وهي مع الياء كقولك كتبت بالقلم وقرئ يستطيعون بالتاء والياء أيضا يعني فما تستطيعون أنتم
يا كفار صرف العذاب عنكم وقيل الصرف التوبة وقيل الحيلة من قولهم انه ليتصرف أي يحتال أو فما
يستطيع آلهتكم أن يصرفوا عنكم العذاب أو أن يحتالوا لكم * الخطاب على العموم للمكلفين * والعذاب الكبير
لاحق بكل من ظلم والكافر ظالم لقوله ان الشرك لظلم عظيم والفاسق ظالم لقوله ومن لم يتب فأولئك هم
الظالمون * وقرئ يذقه بالياء وفيه ضمير الله أو ضمير مصدر يظلم * الجملة بعد الا صفة لموصوف محذوف والمعنى
وما أرسلنا قبلك أحدا من المرسلين الا آكلين وماشين وانما حذف اكتفاء بالجار والمجرور أعني من المرسلين
ونحوه قوله عز من قائل وما منا الا له مقام معلوم على معنى وما منا أحد * وقرئ ويمشون على البناء للمفعول
أي تمشيهم حوائجهم أو الناس ولو قرئ يمشون لكان أوجه لولا الرواية وقيل هو احتجاج على من قال ما لهذا
الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق (فتنة) أي محنة وابتلاء وهذا تصبير لرسول الله صلى الله عليه وسلم على
ما قالوه واستبدعوه من أكله الطعام ومشيه في الاسواق بعد ما احتج عليهم بسائر الرسل يقول وجرت عادتي
وموجب حكمتي على ابتلاء بعضكم أيها الناس ببعض والمعنى انه ابتلى المرسلين بالمرسل اليهم وبمناصبتهم لهم
العداوة وأقاويلهم الخارجة عن حد الانصاف وأنواع أذاهم وطلب منهم الصبر الجميل ونحوه ولتسمعن من
الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور
وموقع (أتصبرون) بعد ذكر الفتنة موقع أيكم بعد الابتلاء في قوله ليبلوكم أيكم أحسن عملا (بصيرا) عالما
بالصواب فيما يبتلي به وغيره فلا يضيقن صدرك ولا يستخفنك أقاويلهم فان في صبرك عليها سعادتك وفوزك في
الدارين وقيل هو تسلية له عما عيروه به من الفقر حين قالوا أو يلقى اليه كنز أو تكون له جنة وانه جعل الاغنياء
فتنة للفقراء لينظر هل يصبرون وانها حكمته ومشيئته يغني من يشاء ويفقر من يشاء وقيل جعلناك فتنة لهم
لانك لو كنت غنيا صاحب كنوز وجنان لكان ميلهم اليك وطاعتهم لك للدنيا أو ممزوجة بالدنيا فانما بعثناك
فقيرا ليكون طاعة من يطيعك خالصة لوجه الله من غير طمع دنيوي وقيل كان أبو جهل والوليد بن المغيرة

قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورا فقد كذبوكم بما تقولون فما تستطيعون صرفا ولا نصرا ومن يظلم منكم نذقه عذابا كبيرا وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الاسواق وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون وكان ربك بصيرا وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لقد استكبروا

والعاصى بن وائل ومن فى طبقتهم يقولون ان أسلمنا وقد أسلم قبلنا عمار وصهيب وبلال وفلان وفلان ترفعوا علينا ادلالا بالسابقة فهو افتتان بعضهم ببعض * أى لا يأملون لقاءنا بالخير لانهم كفرة أولا يخافون لقاءنا بالشر والرجاء فى لغة تهامة الخوف وبه فسر قوله تعالى لا ترجون لله وقارا جعلت الصيرورة الى دار جزائه بمنزلة لقائه لو كان ملقيا * اقترحوا من الآيات أن ينزل الله عليهم الملائكة فتخبرهم بأن محمدا صادق حتى يصدقوه أو يروا الله جهرة فيأمرهم بتصديقه واتباعه ولا يخلوا اما أن يكونوا عالمين بأن الله لا يرسل الملائكة الى غير الانبياء وأن الله لا يصح أن يرى وانما علقوا ايمانهم بما لا يكون واما أن لا يكونوا عالمين بذلك وانما أرادوا التعنت باقتراح آيات سوى الآيات التى نزلت وقامت بها الحجة عليهم كما فعل قوم موسى حين قالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة (فان قلت) ما معنى (فى أنفسهم) (قلت) معناه أنهم أضمروا الاستكبار عن الحق وهو الكفر والعناد فى قلوبهم واعتقدوه كما قال ان فى صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه (وعتوا) وتجاوزوا الحد فى الظلم يقال عتا علينا فلان * وقد وصف العتو بالكبير فبالغ فى افراطه يعنى أنهم لم يجسروا على هذا القول العظيم الا لانهم بلغوا غاية الاستكبار وأقصى العتو واللام جواب قسم محذوف وهذه الجملة فى حسن استئنافها غاية وفى أسلوبها قول القائل

وجارة جساس أبأنا بنابها * كليبا غلت ناب كليب بواؤها

وفى فحوى هذا الفعل دليل على التعجب من غير لفظ التعجب ألا ترى أن المعنى ما أشد استكبارهم وما أكبر عتوهم وما أغلى نابا بواؤها كليب (يوم يرون) منصوب بأحد شيئين اما بما دل عليه لا بشرى أى يوم يرون الملائكة يمنعون البشرى أو يعدمونها و يومئذ للتكرير واما باضمار اذكر أى اذكر يوم يرون الملائكة ثم قال (لا بشرى يومئذ للمجرمين) وقوله للمجرمين اما ظاهر فى موضع ضمير واما لانه عام فقد تناولهم بعمومه (حجرا محجورا) ذكره سيبويه فى باب المصادر غير المتصرفة المنصوبة بأفعال متروك اظهارها نحو معاذ الله وقعدك الله وعمرك الله وهذه كلمة كانوا يتكلمون بها عند لقاء عدو موتور أو هجوم نازلة أو نحو ذلك يضعونها موضع الاستعاذة قال سيبويه ويقول الرجل للرجل أتفعل كذا وكذا فيقول حجرا وهى من حجره اذا منعه لان المستعيذ طالب من الله أن يمنع المكروه فلا يلحقه فكان المعنى أسأل الله أن يمنع ذلك منعا ويحجره حجرا ومجيئه على فعل أو فعل فى قراءة الحسن تصرف فيه لاختصاصه بموضع واحد كما كان قعدك وعمرك كذلك وأنشدت لبعض الرجاز قالت وفيها حيدة وذعر * عوذ بربى منكم وحجر

(فان قلت) فاذ قد ثبت أنه من باب المصادر فما معنى وصفه بمحجور (قلت) جاءت هذه الصفة لتأكيد معنى الحجر كما قالوا ذيل ذائل والذيل الهوان وموت مائت والمعنى فى الآية أنهم يطلبون نزول الملائكة ويقترحونه وهم اذا رأوهم عند الموت أو يوم القيامة كرهوا لقاءهم وفزعوا منهم لانهم لا يلقونهم الا بما يكرهون وقالوا عند رؤيتهم ما كانوا يقولونه عند لقاء العدو الموتور وشدة النازلة وقيل هو من قول الملائكة ومعناه حراما محرما عليكم الغفران والجنة والبشرى أى جعل الله ذلك حراما عليكم * ليس هنا قدوم ولا ما يشبه القدوم ولكن مثلت حال هؤلاء وأعمالهم التى عملوها فى كفرهم من صلة رحم واغاثة ملهوف وقرى ضيف ومن على أسير وغير ذلك من مكارمهم ومحاسنهم بحال قوم خالفوا سلطانهم واستعصوا عليه فقدم الى أشيائهم وقصد الى ما تحت أيديهم فأفسدها ومزقها كل ممزق ولم يترك لها أثرا ولا عثيرا * والهباء ما يخرج من الكوة مع ضوء الشمس شبيه بالغبار وفى أمثالهم أقل من الهباء (منثورا) صفة للهباء شبهه بالهباء فى قلته وحقارته عنده وأنه لا ينتفع به ثم بالمنثور منه لانك تراه منتظما مع الضوء فاذا حركته الريح رأيته قد تناثر وذهب كل مذهب ونحوه قوله كعصف مأكول لم يكف أن شبههم بالعصف حتى جعله مؤوفا بالاكال ولا ان شبه عملهم بالهباء حتى جعله متناثرا أو مفعول ثالث لجعلناه أى فجعلناه جامعا لحقارة الهباء والتناثر كقوله كونوا قردة خاسئين أى جامعين للمسخ والخسء ولام الهباء واو بدليل الهبوة * المستقر المكان الذى يكونون فيه فى أكثر أوقاتهم مستقرين يتجالسون ويتحادثون * والمقيل المكان الذى يأوون

في أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجرا محجورا وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوما على الكافرين عسيرا ويوم يعض

اليه للاستراوح الى أزواجهم والتمتع بمغازلتهن وملامستهن كما أن المترفين فى الدنيا يعيشون على ذلك
الترتيب وروى أنه يفرغ من الحساب فى نصف ذلك اليوم فيقيل أهل الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار
وفى معناه قوله تعالى ان أصحاب الجنة اليوم فى شغل فاكهون هم وأزواجهم فى ظلال على الارائك
متكئون قيل فى تفسير الشغل افتضاض الابكار ولا نوم فى الجنة وانما سمى مكان دعتهم واسترواحهم الى
الحور مقيلا على طريق التشبيه وفى لفظ الاحسن رمز الى ما يتزين به مقيلهم من حسن الوجوه وملاحة
الصور الى غير ذلك من التحاسين والزين * وقرئ (تشقق) والاصل تتشقق فحذف بعضهم التاء وغيره
أدغمها ولما كان انشقاق السماء بسبب طلوع الغمام منها جعل الغمام كانه الذى تشقق به السماء كما تقول
شق السنام بالشفرة وانشق بها ونظيره قوله تعالى السماء منفطر به (فان قلت) أى فرق بين قولك انشقت
الارض بالنبات وانشقت عن النبات (قلت) معنى انشقت به أن الله شقها بطلوعه فانشقت به ومعنى
انشقت عنه أن التربة ارتفعت عنه عند طلوعه والمعنى أن السماء تنفتح بغمام يخرج منها وفى الغمام
الملائكة ينزلون وفى أيديهم صحائف أعمال العباد وروى تنشق سماء سماء وتنزل الملائكة الى الارض وقيل
هو غمام أبيض رقيق مثل الضبابة ولم يكن الا لبنى اسرائيل فى تيههم وفى معناه قوله تعالى هل ينظرون
الا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام والملائكة * وقرئ وننزل الملائكة وننزل الملائكة ونزل الملائكة ونزلت
الملائكة وأنزل الملائكة ونزل الملائكة ونزل الملائكة على حذف النون الذى هو فاء الفعل من تنزل قراءة
أهل مكة * الحق الثابت لان كل ملك يزول يومئذ ويبطل ولا يبقى الا ملكه * عض اليدين والانامل
والسقوط فى اليد وأكل البنان وحرق الاسنان والارم وقرعها كنايات عن الغيظ والحسرة لانها من روادفها
فيذكر الرادفة ويدل بها على المردوف فيرتفع الكلام به فى طبقة الفصاحة ويجد السامع عنده فى نفسه من
الروعة والاستحسان ما لا يجده عند لفظ المكنى عنه وقيل نزلت فى عقبة بن أبى معيط بن أمية بن عبد شمس
وكان يكثر مجالسة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل اتخذ ضيافة فدعا اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبى
أن يأكل من طعامه حتى ينطق بالشهادتين ففعل وكان أبى بن خلف صديقه فعاتبه وقال صبأت يا عقبة
قال لا ولكن آلى أن لا يأكل من طعامى وهو فى بيتى فاستحييت منه فشهدت له والشهادة ليست فى نفسى
فقال وجهى من وجهك حرام ان لقيت محمدا فلم تطأ قفاه وتبزق فى وجهه وتلطم عينه فوجده ساجدا فى دار
الندوة ففعل ذلك فقال النبى صلى الله عليه وسلم لا ألقاك خارجا من مكة الا علوت رأسك بالسيف فقتل يوم
بدر أمر عليا رضى الله عنه بقتله وقيل قتله عاصم بن ثابت بن أفلح الانصارى وقال يا محمد الى من الصبية قال
الى النار وطعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أبيا بأحد فرجع الى مكة فمات * واللام فى (الظالم) يجوز أن
تكون للعهد يراد به عقبة خاصة ويجوز أن تكون للجنس فيتناول عقبة وغيره * تمنى أن لو صحب الرسول
وسلك معه طريقا واحدا وهو طريق الحق ولم يتشعب به طرق الضلالة والهوى أو أراد انى كنت ضالا لم يكن
لى سبيل قط فليتنى حصلت لنفسى فى صحبة الرسول سبيلا * وقرئ يا ويلتى بالياء وهو الاصل لان الرجل
ينادى ويلته وهى هلكته يقول لها تعالى فهذا أوانك وانما قلبت الياء ألفا كما فى صحارى ومدارى * فلان
كناية عن الاعلام كما أن الهن كناية عن الاجناس فان أريد بالظالم عقبة فالمعنى ليتنى لم أتخذ أبيا خليلا فكنى
عن اسمه وان أريد به الجنس فكل من اتخذ من المضلين خليلا كان لخليله اسم علم لا محالة فجعله كناية عنه
(عن الذكر) عن ذكر الله أو القرآن أو موعظة الرسول ويجوز أن يريد نطقه بشهادة الحق وعزمه على
الاسلام * والشيطان اشارة الى خليله سماه شيطانا لانه أضله كما يضل الشيطان ثم خذله ولم ينفعه فى العاقبة
أو أراد ابليس وأنه هو الذى حمله على مخالة المضل ومخالفة الرسول ثم خذله أو أراد الجنس وكل من تشيطن
من الجن والانس ويحتمل أن يكون وكان الشيطان حكاية كلام الظالم وأن يكون كلام الله * اتخذت يقرأ
على الادغام والاظهار والادغام أكثر * الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وقومه قريش حكى الله عنه شكواه
قومه اليه وفى هذه الحكاية تعظيم للشكاية وتخويف لقومه لان الانبياء كانوا اذا التجؤا اليه وشكوا اليه
قومهم حل بهم العذاب ولم ينظروا * ثم أقبل عليه مسليا وموسيا وواعدا النصرة عليهم فقال (وكذلك)

الظالم على يديه يقول
ياليتنى اتخذت مع
الرسول سبيلا ياويلتى
ليتنى لم أتخذ فلانا خليلا
لقد أضلنى عن الذكر
بعد اذ جاءنى وكان
الشيطان للانسان
خذولا وقال الرسول
يارب ان قومى اتخذوا
هذا القرآن مهجورا
وكذلك جعلنا لكل
نبى عدوا من المجرمين
وكفى بربك هاديا ونصيرا
وقال الذين كفروا لولا

كان كل نبي قبلك مبتلى بعداوة قومه وكفاك بي هاديا الى طريق قهرهم والانتصار منهم وناصرا لك عليهم
* مهجورا تركوه وصدوا عنه وعن الايمان به وعن النبي صلى الله عليه وسلم من تعلم القرآن وعلمه وعلق مصحفا
لم يتعاهده ولم ينظر فيه جاء يوم القيامة متعلقا به يقول يارب العالمين عبدك هذا اتخذني مهجورا اقض بيني
وبينه وقيل هو من هجر اذا هذى أي جعلوه مهجورا فيه فحذف الجار وهو على وجهين أحدهما زعمهم أنه
هذيان وباطل وأساطير الاولين والثانى أنهم كانوا اذا سمعوه هجروا فيه كقوله تعالى لا تسمعوا لهذا القرآن
والغوا فيه ويجوز أن يكون المهجور بمعنى الهجر كالمجلود والمعقول والمعنى اتخذوه هجرا * والعدو يجوز أن
يكون واحدا وجمعا كقوله فانهم عدو لي وقيل المعنى وقال الرسول يوم القيامة (نزل) ههنا بمعنى أنزل لا غير
كخبر بمعنى أخبر والا كان متدافعا وهذا أيضا من اعتراضاتهم واقتراحاتهم الدالة على شرادهم عن الحق
وتجافيهم عن اتباعه قالوا هلا أنزل عليه دفعة واحدة في وقت واحد كما أنزلت الكتب الثلاثة وماله أنزل على
التفاريق والقائلون قريش وقيل اليهود وهذا فضول من القول ومماراة بما لا طائل تحته لان أمر الاعجاز
والاحتجاج به لا يختلف بنزوله جملة واحدة أو مفرقا وقوله (كذلك) جواب لهم أي كذلك أنزل مفرقا
* والحكمة فيه أن نقوي بتفريقه فؤادك حتى تعيه وتحفظه لان المتلقن انما يقوى قلبه على حفظ العلم شيئا
بعد شيء وجزأ عقيب جزء ولو ألقى عليه جملة واحدة لبعل به وتعيا بحفظه والرسول صلى الله عليه وسلم فارقت
حاله حال موسى وداود وعيسى عليهم السلام حيث كان أميا لا يقرأ ولا يكتب وهم كانوا قارئين كاتبين فلم يكن
له بد من التلقن والتحفظ فأنزل عليه منجما في عشرين سنة وقيل في ثلاث وعشرين وأيضا فكان ينزل على
حسب الحوادث وجوابات السائلين ولان بعضه منسوخ وبعضه ناسخ ولا يتأتى ذلك الا فيما أنزل مفرقا
(فان قلت) ذلك في كذلك يجب أن يكون اشارة الى شيء تقدمه والذي تقدم هو انزاله جملة واحدة فكيف
فسر به كذلك أنزلناه مفرقا (قلت) لان قولهم لولا أنزل عليه جملة معناه لم أنزل مفرقا والدليل على فساد هذا
الاعتراض أنهم عجزوا عن أن يأتوا بنجم واحد من نجومه وتحدوا بسورة واحدة من أصغر السور فأبرزوا
صفحة عجزهم وسجلوا به على أنفسهم حين لاذوا بالمناصبة وفزعوا الى المحاربة ثم قالوا هلا نزل جملة واحدة
كأنهم قدروا على تفاريقه حتى يقدروا على جملته (ورتلناه) معطوف على الفعل الذي تعلق به كذلك كأنه
قال كذلك فرقناه ورتلناه ومعنى ترتيله أن قدره آية بعد آية ووقفة عقيب وقفة ويجوز أن يكون المعنى وأمرنا
بترتيل قراءته وذلك قوله ورتل القرآن ترتيلا أي اقرأه بترسل وتثبت ومنه حديث عائشة رضي الله عنها في
صفة قراءته صلى الله عليه وسلم لا كسردكم هذا لو أراد السامع أن يعد حروفه لعدها وأصله الترتيل في الاسنان
وهو تفليجها يقال ثغر رتل ومرتل ويشبه بنور الاقحوان في تفليجه وقيل هو أن نزله مع كونه متفرقا على
تمكث وتمهل في مدة متباعدة وهي عشرون سنة ولم يفرقه في مدة متقاربة (ولا يأتونك) بسؤال عجيب من
سؤالاتهم الباطلة كأنه مثل في البطلان الا أتيناك نحن بالجواب الحق الذي لا محيد عنه وبما هو أحسن
معنى ومؤدى من سؤالهم * ولما كان التفسير هو التكشيف عما يدل عليه الكلام وضع موضع معناه
فقالوا تفسير هذا الكلام كيت وكيت كما قيل معناه كذا وكذا أو لا يأتونك بحال وصفة عجيبة يقولون هلا
كانت هذه صفتك وحالك نحو أن يقرن بك ملك ينذر معك أو يلقى اليك كنز أو تكون لك جنة أو ينزل
عليك القرآن جملة الا أعطيناك نحن من الاحوال ما يحق لك في حكمتنا ومشيئتنا أن تعطاه وما هو أحسن
تكشيفا لما بعثت عليه ودلالة على صحته يعني أن تنزيله مفرقا وتحديهم بأن يأتوا ببعض تلك التفاريق كلما
نزل شيء منها أدخل في الاعجاز وأنور للحجة من أن ينزل كله جملة ويقال لهم جيئوا بمثل هذا الكتاب في فصاحته
مع بعد ما بين طرفيه كأنه قيل لهم ان حاملكم على هذه السؤالات أنكم تضللون سبيله وتحتقرون مكانه
ومنزلته * ولو نظرتم بعين الانصاف وأنتم من المسحوبين على وجوههم الى جهنم لعلمتم أن مكانكم شر من
مكانه وسبيلكم أضل من سبيله وفي طريقته قوله قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله
وغضب عليه الآية ويجوز أن يراد بالمكان الشرف والمنزلة وان يراد الدار والمسكن كقوله أي الفريقين

نزل عليه القرآن جملة
واحدة كذلك لنثبت
به فؤادك ورتلناه
ترتيلا ولا يأتونك
بمثل الا جئناك بالحق
وأحسن تفسيرا الذين
يحشرون على وجوههم
الى جهنم أولئك شر
مكانا وأضل سبيلا
ولقد آتينا موسى
الكتاب وجعلنا معه
أخاه هرون وزيرا فقلنا
اذهبا الى القوم الذين
كذبوا بآياتنا
فدمرناهم تدميرا وقوم
نوح لما كذبوا الرسل
أغرقناهم

خير مقاما وأحسن نديا ووصف السبيل بالضلال من الاسناد المجازى وعن النبى صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة أثلاث ثلث على الدواب وثلث على وجوههم وثلث على أقدامهم ينسلون نسلا * الوزارة لا تنافى النبوة فقد كان يبعث فى الزمن الواحد أنبياء ويؤمرون بأن يوازر بعضهم بعضا * والمعنى فذهبا اليهم فكذبوهما فدمرناهم كقوله اضرب بعصاك البحر فانفلق أى فضرب فانفلق أراد اختصار القصة فذكر حاشيتيها أولها وآخرها لانهما المقصود من القصة بطولها أعنى الزام الحجة ببعثة الرسل واستحقاق التدمير بتكذيبهم وعن على رضى الله عنه فدمرتهم وعنه فدمراهم وقرئ فدمرانهم على التأكيد بالنون الثقيلة * كأنهم كذبوا نوحا ومن قبله من الرسل صريحا أو كان تكذيبهم لواحد منهم تكذيبا للجميع أو لم يروا بعثة الرسل أصلا كالبراهمة (وجعلناهم) وجعلنا اغراقهم أو قصتهم (للظالمين) اما أن يعنى بهم قوم نوح وأصله واعتدنا لهم الا أنه قصد تظليمهم فأظهر واما أن يتناولهم بعمومه * عطف عادا على هم فى جعلناهم أو على الظالمين لان المعنى ووعدنا الظالمين * وقرئ وثمود على تأويل القبيلة وأما المنصرف فعلى تأويل الحى أو لانه اسم الاب الاكبر * قيل فى أصحاب الرس كانوا قوما من عبدة الاصنام أصحاب آبار ومواش فبعث الله اليهم شعيبا فدعاهم الى الاسلام فتمادوا فى طغيانهم وفى ايذائه فبيناهم حول الرس وهو البئر غير المطوية عن أبى عبيدة انهارت بهم فخسف بهم وبديارهم وقيل الرس قرية بفلج اليمامة قتلوا نبيهم فهلكوا وهم بقية ثمود قوم صالح وقيل هم أصحاب النبى حنظلة بن صفوان كانوا مبتلين بالعنقاء وهى أعظم ما يكون من الطير سميت لطول عنقها وكانت تسكن جبلهم الذى يقال له فتخ وهى تنقض على صبيانهم فتخطفهم ان أعوزها الصيد فدعا عليها حنظلة فأصابتها الصاعقة ثم انهم قتلوا حنظلة فأهلكوا وقيل هم أصحاب الاخدود والرس هو الاخدود وقيل الرس بانطاكية قتلوا فيها حبيبا النجار وقيل كذبوا نبيهم ورسوه فى بئر أى دسوه فيها (بين ذلك) أى بين ذلك المذكور وقد يذكر الذاكر أشياء مختلفة ثم يشير اليها بذلك ويحسب الحاسب أعدادا متكاثرة ثم يقول فذلك كيت وكيت على معنى فذلك المحسوب أو المعدود (ضربنا له الامثال) بيناله القصص العجيبة من قصص الاولين ووصفنا لهم ما أجروا اليه من تكذيب الانبياء وجرى عليهم من عذاب الله وتدميره * والتتبير التفتيت والتكسير ومنه التبر وهو كسار الذهب والفضة والزجاج * وكلا الاول منصوب بما دل عليه ضربنا له الامثال وهو أنذرنا أو حذرنا والثانى بتبرنا لانه فارغ له * أراد بالقرية سدوم من قرى قوم لوط وكانت خمسا أهلك الله تعالى أربعا بأهلها وبقيت واحدة * ومطر السوء الحجارة يعنى أن قريشا مروا مرارا كثيرة فى متاجرهم الى الشام على تلك القرية التى أهلكت بالحجارة من السماء (أفلم يكونوا) فى مرار مرورهم ينظرون الى آثار عذاب الله ونكاله ويذكرون (بل كانوا) قوما كفرة بالبعث لا يتوقعون (نشورا) وعاقبة فوضع الرجاء موضع التوقع لانه انما يتوقع العاقبة من يؤمن فمن ثم لم ينظروا ولم يذكروا ومروا بها كما مرت ركابهم أو لا يأملون نشورا كما يأمله المؤمنون لطمعهم فى الوصول الى ثواب أعمالهم أو لا يخافون على اللغة التهامية * ان الاولى نافية والثانية مخففة من الثقيلة واللام هى الفارقة بينهما * واتخذه هزوا فى معنى استهزأ به والاصل اتخذه موضع هزؤ أو مهزوا به (أهذا) محكى بعد القول المضمر وهذا استصغار (وبعث الله رسولا) واخراجه فى معرض التسليم والاقرار وهم على غاية الجحود والانكار سخرية واستهزاء ولو لم يستهزؤا لقالوا أهذا الذى زعم أو ادعى انه مبعوث من عند الله رسولا وقولهم (ان كاد ليضلنا) دليل على فرط مجاهدة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى دعوتهم وبذله قصارى الوسع والطاقة فى استعطافهم مع عرض الآيات والمعجزات عليهم حتى شارفوا بزعمهم أن يتركوا دينهم الى دين الاسلام لولا فرط لجاجهم واستمساكهم بعبادة آلهتهم و(لولا) فى مثل هذا الكلام جار من حيث المعنى لا من حيث الصنعة مجرى التقييد للحكم المطلق (وسوف يعلمون) وعيد ودلالة على أنهم لا يفوتونه وان طالت مدة الامهال ولا بد للوعيد أن يلحقهم فلا يغرنهم التأخير وقوله (من أضل سبيلا) كالجواب عن قولهم ان كاد ليضلنا لانه نسبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم الى الضلال من حيث لا يضل غيره الا من هو ضال فى نفسه ويروى أنه من قول أبى جهل لعنه الله * من كان فى طاعة

وجعلناهم للناس آية وأعتدنا للظالمين عذابا أليما وعادا وثمود وأصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا وكلا ضربنا له الامثال وكلا تبرنا تتبيرا ولقد أتوا على القرية التى أمطرت مطر السوء أفلم يكونوا يرونها بل كانوا لا يرجون نشورا واذا رأوك ان يتخذونك الا هزوا أهذا الذى بعث الله رسولا ان كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلا

الهوى

الهوى في دينه يتبعه في كل ما يأتي ويذر لا يتبصر دليلا ولا يصغي إلى برهان فهو عابد هواه وجاعله إلهه فيقول لرسوله هذا الذي لا يرى معبودا إلا هواه كيف تستطيع أن تدعوه إلى الهدى أفتتوكل عليه وتجبره على الإسلام وتقول لا بد أن تسلم شئت أو أبيت ولا إكراه في الدين وهذا كقوله وما أنت عليهم بجبار لست عليهم بمصيطر وروي أن الرجل منهم كان يعبد الحجر فإذا رأى أحسن منه رمى به وأخذ آخر ومنهم الحرث بن قيس السهمي * أم هذه منقطعة معناه بل أتحسب كأن هذه المذمة أشد من التي تقدمتها حتى حقت بالإضراب عنها إليها وهي كونهم مسلوبي الأسماع والعقول لأنهم لا يلقون إلى استماع الحق أذنا ولا إلى تدبره عقلا ومشبهين بالأنعام التي هي مثل في الغفلة والضلال ثم أرجح ضلالة منها (فإن قلت) لم أخر هواه والأصل قولك اتخذ الهوى إلها (قلت) ما هو إلا تقديم المفعول الثاني على الأول للعناية كما تقول علمت منطلقا زيدا لفضل عنايتك بالمنطلق (فإن قلت) ما معنى ذكر الأكثر (قلت) كان فيهم من لم يصده عن الإسلام إلا داء واحد وهو حب الرياسة وكفى به داء عضالا (فإن قلت) كيف جعلوا أضل من الأنعام (قلت) لأن الأنعام تنقاد لأربابها التي تعلفها وتتعهدها وتعرف من يحسن إليها ممن يسيء إليها وتطلب ما ينفعها وتجتنب ما يضرها وتهتدي لمراعيها ومشاربها وهؤلاء لا ينقادون لربهم ولا يعرفون إحسانه إليهم من إساءة الشيطان الذي هو عدوهم ولا يطلبون الثواب الذي هو أعظم المنافع ولا يتقون العقاب الذي هو أشد المضار والمهالك ولا يهتدون للحق الذي هو المشرع الهني والعذب الروي (ألم تر إلى ربك) ألم تنظر إلى صنع ربك وقدرته ومعنى مد الظل أن جعله يمتد وينبسط فينتفع به الناس (ولو شاء لجعله ساكنا) أي لاصقا بأصل كل مظل من جبل وبناء وشجرة غير منبسط فلم ينتفع به أحد سمى انبساط الظل وامتداده تحركا منه وعدم ذلك سكونا * ومعنى كون الشمس دليلا أن الناس يستدلون بالشمس وبأحوالها في مسيرها على أحوال الظل من كونه ثابتا في مكان وزائلا ومتسعا ومتقلصا فيبنون حاجتهم إلى الظل واستغناءهم عنه على حسب ذلك * وقبضه إليه أنه ينسخه بضح الشمس (يسيرا) أي على مهل وفي هذا القبض اليسير شيئا بعد شيء من المنافع ما لا يعد ولا يحصر ولو قبض دفعة واحدة لتعطلت أكثر مرافق الناس بالظل والشمس جميعا (فإن قلت) ثم في هذين الموضعين كيف موقعها (قلت) موقعها لبيان تفاضل الأمور الثلاثة كأن الثاني أعظم من الأول والثالث أعظم منهما تشبيها لتباعد ما بينها في الفضل بتباعد ما بين الحوادث في الوقت ووجه آخر وهو أنه مد الظل حين بنى السماء كالقبة المضروبة ودحا الأرض تحتها فألقت القبة ظلها على الأرض فينانا ما في أديمه جوب لعدم النير ولو شاء لجعله ساكنا مستقرا على تلك الحالة ثم خلق الشمس وجعلها على ذلك الظل أي سلطها عليه ونصبها دليلا متبوعا له كما يتبع الدليل في الطريق فهو يزيد بها وينقص ويمتد ويتقلص ثم نسخه بها فقبضه قبضا سهلا يسيرا غير عسير ويحتمل أن يريد قبضه عند قيام الساعة بقبض أسبابه وهي الأجرام التي تلقي الظل فيكون قد ذكر إعدامه بإعدام أسبابه كما ذكر إنشاءه بإنشاء أسبابه وقوله قبضناه إلينا يدل عليه وكذلك قوله يسيرا كما قال ذلك حشر علينا يسير * شبه ما يستر من ظلام الليل باللباس الساتر * والسبات الموت والمسبوت الميت لأنه مقطوع الحياة وهذا كقوله وهو الذي يتوفاكم بالليل (فإن قلت) هلا فسرته بالراحة (قلت) النشور في مقابلته يأباه إباء العيوف الورد وهو مرنق وهذه الآية مع دلالتها على قدرة الخالق فيها إظهار لنعمته على خلقه لأن الاحتجاب بستر الليل كم فيه لكثير من الناس من فوائد دينية ودنيوية والنوم واليقظة وشبههما بالموت والحياة أي عبرة فيها لمن اعتبر وعن لقمان أنه قال لابنه يا بني كما تنام فتوقظ كذلك تموت فتنشر * قرئ الريح والرياح نشرا إحياء ونشرا جمع نشور وهي المحيية ونشرا تخفيف نشر وبشرا تخفيف بشر جمع بشور وبشرى و(بين يدي رحمته) استعارة مليحة أي قدام المطر (طهورا) بليغا في طهارته وعن أحمد بن يحيى هو ما كان طاهرا في نفسه مطهرا لغيره فإن كان ما قاله شرحا لبلاغته في الطهارة كان سديدا ويعضده قوله تعالى وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به وإلا فليس فعول من التفعيل في شيء والطهور على وجهين في العربية صفة واسم غير صفة فالصفة قولك ماء طهور كقولك طاهر

أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا ثم قبضناه إلينا قبضا يسيرا وهو الذي جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا وجعل النهار نشورا وهو الذي أرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته وأنزلنا من السماء ماء طهورا

---

* قوله تعالى أرأيت من اتخذ إلهه هواه (قال إن قلت لم قدم إلهه وهو المفعول الثاني وأجاب بأنه قدم عناية كقولك ظننت منطلقا زيدا إذا كانت عنايتك المنطلق) قال أحمد وفيه نكتة حسنة وهي إفادة الحصر فإن الكلام قبل دخول أرأيت مبتدأ وخبر المبتدأ هواه والخبر إلهه وتقديم الخبر كما علمت يفيد الحصر فكأنه قال أرأيت من لم يتخذ معبوده إلا هواه فهو أبلغ في ذمه وتوبيخه والله أعلم

والاسم قولك لما يتطهر به طهور كالوضوء والوقود لما يتوضأ به وتوقد به النار وقولهم تطهرت طهورا حسنا
كقولك وضوءا حسنا ذكره سيبويه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لا صلاة الا بطهور أي طهارة (فان قلت)
ما الذي يزيل عن الماء اسم الطهور (قلت) تيقن مخالطة النجاسة أو غلبتها على الظن تغير أحد أوصافه
الثلاثة أو لم يتغير أو استعماله في البدن لاداء عبادة عند أبي حنيفة وعند مالك بن أنس رضي الله عنهما ما لم
يتغير أحد أوصافه فهو طهور (فان قلت) فما تقول في قوله صلى الله عليه وسلم حين سئل عن بئر بضاعة فقال
الماء طهور لا ينجسه شيء الا ما غير لونه أو طعمه أو ريحه (قلت) قال الواقدي كان بئر بضاعة طريقا للماء الى
البساتين وانما قال (ميتا) لان البلدة في معنى البلد في قوله فسقناه الى بلد ميت وأنه غير جار على الفعل
كفعول ومفعال ومفعيل * وقرئ نسقيه بالفتح وسقى وأسقى لغتان وقيل أسقاه جعل له سقيا * الاناسي جمع
انسي أو انسان ونحوه ظرابي في ظربان على قلب النون ياء والاصل أناسين وظرابين وقرئ بالتخفيف بحذف
ياء أفاعيل كقولك أناعم في أناعيم (فان قلت) انزال الماء موصوفا بالطهارة وتعليله بالاحياء والسقي يؤذن
بأن الطهارة شرط في صحة ذلك كما تقول حملني الامير على فرس جواد لا صيد عليه الوحش (قلت) لما كان
سقي الاناسي من جملة ما أنزل له الماء وصفه بالطهور اكراما لهم وتتميما للمنة عليهم وبيانا أن من حقهم حين
أراد الله لهم الطهارة وأرادهم عليها أن يؤثروها في بواطنهم ثم في ظواهرهم وأن يربؤا بأنفسهم عن مخالطة
القاذورات كلها كما ربأ بهم ربهم (فان قلت) لم خص الانعام من بين ما خلق من الحيوان الشارب (قلت)
لان الطير والوحش تبعد في طلب الماء فلا يعوزها الشرب بخلاف الانعام ولانها قنية الاناسي وعامة
منافعهم متعلقة بها فكان الانعام عليهم بسقي أنعامهم كالانعام بسقيهم (فان قلت) فما معنى تنكير الانعام
والاناسي ووصفها بالكثرة (قلت) معنى ذلك أن علية الناس وجلهم منيخون بالقرب من الاودية والانهار
ومنابع الماء فبهم غنية عن سقي السماء وأعقابهم وهم كثير منهم لا يعيشهم الا ما ينزل الله من رحمته وسقيا
سمائه وكذلك قوله لنحيي به بلدة ميتا يريد بعض بلاد هؤلاء المتبعدين من مظان الماء (فان قلت) لم قدم
احياء الارض وسقي الانعام على سقي الاناسي (قلت) لان حياة الاناسي بحياة أرضهم وحياة أنعامهم فقدم
ما هو سبب حياتهم وتعيشهم على سقيهم ولانهم اذا ظفروا بما يكون سقيا أرضهم ومواشيهم لم يعدموا سقياهم
يريد ولقد صرفنا هذا القول بين الناس في القرآن وفي سائر الكتب والصحف التي أنزلت على الرسل عليهم
السلام وهو ذكر انشاء السحاب وانزال القطر ليفكروا ويعتبروا ويعرفوا حق النعمة فيه ويشكروا (فأبى)
أكثرهم الا كفران النعمة وجحودها وقلة الاكتراث لها وقيل صرفنا المطر بينهم في البلدان المختلفة
والاوقات المتغايرة وعلى الصفات المتفاوتة من وابل وطل وجود ورذاذ وديمة ورهام فأبوا الا الكفور وأن
يقولوا أمطرنا بنوء كذا ولا يذكروا صنع الله ورحمته وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما من عام أقل مطرا
من عام ولكن الله قسم ذلك بين عباده على ما شاء وتلا هذه الآية وروي أن الملائكة يعرفون عدد المطر
ومقداره في كل عام لانه لا يختلف ولكن تختلف فيه البلاد وينتزع من ههنا جواب في تنكير البلدة والانعام
والاناسي كأنه قال لنحيي به بعض البلاد الميتة ونسقيه بعض الانعام والاناسي وذلك البعض كثير (فان قلت)
هل يكفر من ينسب الامطار الى الانواء (قلت) ان كان لا يراها الا من الانواء ويجحد أن تكون هي والانواء
من خلق الله فهو كافر وان كان يرى أن الله خالقها وقد نصب الانواء دلائل وأمارات عليها لم يكفر * يقول
لرسوله صلى الله عليه وسلم (ولو شئنا) لخففنا عنك أعباء نذارة جميع القرى و(لبعثنا في كل قرية) نبيا ينذرها
وانما قصرنا الامر عليك وعظمناك به وأجللناك وفضلناك على سائر الرسل فقابل ذلك بالتشدد والتصبر
(فلا تطع الكافرين) فيما يريدونك عليه وانما أراد بهذا تهييجه وتهييج المؤمنين وتحريكهم * والضمير
للقرآن أو لترك الطاعة الذي يدل عليه فلا تطع والمراد أن الكفار يجدون ويجتهدون في توهين أمرك
فقابلهم من جدك واجتهادك وعضك على نواجذك بما تغلبهم به وتعلوهم وجعله جهادا كبيرا لما يحتمل
فيه من المشاق العظام ويجوز أن يرجع الضمير في به الى ما دل عليه ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا من
كونه نذير كافة القرى لانه لو بعث في كل قرية نذيرا لوجبت على كل نذير مجاهدة قريته فاجتمعت على

لنحيي به بلدة ميتا
ونسقيه مما خلقنا أنعاما
وأناسي كثيرا ولقد
صرفناه بينهم ليذكروا
فأبى أكثر الناس الا
كفورا ولو شئنا لبعثنا
في كل قرية نذيرا فلا
تطع الكافرين

رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المجاهدات كلها فكبر جهاده من أجل ذلك وعظم فقال له (وجاهدهم) بسبب كونك نذير كافة القرى (جهادا كبيرا) جامعا لكل مجاهدة * سمى الماءين الكثيرين الواسعين بحرين والفرات البليغ العذوبة حتى يضرب الى الحلاوة والاجاج نقيضه * ومرجهما خلاهما متجاورين متلاصقين وهو بقدرته يفصل بينهما ويمنعهما التمازج وهذا من عظيم اقتداره وفي كلام بعضهم وبحران أحدهما مع الآخر ممزوج وماء العذب منهما بالاجاج ممزوج (برزخا) حائلا من قدرته كقوله تعالى بغير عمد ترونها يريد بغير عمد مرئية وهو قدرته * وقرئ ملح على فعل وقيل كأنه حذف من مالح تخفيفا كما قال وصليانا بردا يريد باردا (فان قلت) (وحجرا محجورا) ما معناه (قلت) هي الكلمة التي يقولها المتعوذ وقد فسرناها وهي ههنا واقعة على سبيل المجاز كأن كل واحد من البحرين يتعوذ من صاحبه ويقول له حجرا محجورا كما قال لا يبغيان أي لا يبغي أحدهما على صاحبه بالممازجة فانتفاء البغي ثمة كالتعوذ ههنا جعل كل واحد منهما في صورة الباغي على صاحبه فهو يتعوذ منه وهي من أحسن الاستعارات وأشهدها على البلاغة * أراد فقسم البشر قسمين ذوي نسب أي ذكورا ينسب اليهم فيقال فلان بن فلان وفلانة بنت فلان وذوات صهر أي اناثا يصاهر بهن ونحوه قوله تعالى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى (وكان ربك قديرا) حيث خلق من النطفة الواحدة بشرا نوعين ذكرا وأنثى * الظهير والمظاهر كالعوين والمعاون وفعيل بمعنى مفاعل غير عزيز والمعنى ان الكافر يظاهر الشيطان على ربه بالعداوة والشرك روى أنها نزلت في أبي جهل ويجوز أن يريد بالظهير الجماعة كقوله والملائكة بعد ذلك ظهير كما جاء الصديق والخليط ويريد بالكافر الجنس وأن بعضهم مظاهر لبعض على اطفاء نور دين الله وقيل معناه وكان الذي يفعل هذا الفعل وهو عبادة ما لا ينفع ولا يضر على ربه هينا مهينا من قولهم ظهرت به اذا خلفته خلف ظهرك لا تلتفت اليه وهذا نحو قوله أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم * مثال (الا من شاء) والمراد الا فعل من شاء واستثناؤه عن الاجر قول ذي شفقة عليك قد سعى لك في تحصيل مال ما أطلب منك ثوابا على ما سعيت الا أن تحفظ هذا المال ولا تضيعه فليس حفظك المال لنفسك من جنس الثواب ولكن صوره هو بصورة الثواب وسماه باسمه فأفاد فائدتين احداهما قلع شبهة الطمع في الثواب من أصله كأنه يقول لك ان كان حفظك لمالك ثوابا فاني أطلب الثواب والثانية اظهار الشفقة البالغة وأنك ان حفظت مالك اعتد بحفظك ثوابا ورضي به كما يرضى المثاب بالثواب ولعمري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مع المبعوث اليهم بهذا الصدد وفوقه * ومعنى اتخاذهم الى الله سبيلا تقربهم اليه وطلبهم عنده الزلفى بالايمان والطاعة وقيل المراد التقرب بالصدقة والنفقة في سبيل الله * أمره بان يثق به ويسند أمره اليه في استكفاء شرورهم مع التمسك بقاعدة التوكل وأساس الالتجاء وهو طاعته وعبادته وتنزيهه وتحميده وعرفه أن الحي الذي لا يموت حقيق بان يتوكل عليه وحده ولا يتكل على غيره من الاحياء الذين يموتون وعن بعض السلف أنه قرأها فقال لا يصح لذي عقل أن يثق بعدها بمخلوق ثم أراه أن ليس اليه من أمر عباده شئ آمنوا أم كفروا وأنه خبير بأحوالهم كاف في جزاء أعمالهم (في ستة أيام) يعني في مدة مقدارها هذه المدة لانه لم يكن حينئذ نهار ولا ليل وقيل ستة أيام من أيام الآخرة وكل يوم ألف سنة والظاهر انها من أيام الدنيا وعن مجاهد أولها يوم الاحد وآخرها يوم الجمعة ووجهه أن يسمى الله لملائكته تلك الايام المقدرة بهذه الاسماء فلما خلق الشمس وأدارها وترتب أمر العالم على ما هو عليه جرت التسمية على هذه الايام وأما الداعي الى هذا العدد أعني الستة دون سائر الاعداد فلا نشك انه داعي حكمة لعلمنا أنه لا يقدر تقديرا الا بداعي حكمة وان كنا لا نطلع عليه ولا نهتدي الى معرفته ومن ذلك تقدير الملائكة الذين هم أصحاب النار تسعة عشر وحملة العرش ثمانية والشهور اثني عشر والسموات سبعا والارض كذلك والصلوات خمسا وأعداد النصب والحدود والكفارات وغير ذلك والاقرار بدواعي الحكمة في جميع أفعاله وبان ما قدره حق وصواب هو الايمان وقد نص عليه في قوله وما جعلنا أصحاب النار الا ملائكة وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد

وجاهدهم به جهادا كبيرا وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا وهو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم وكان الكافر على ربه ظهيرا وما أرسلناك الا مبشرا ونذيرا قل ما أسألكم عليه من أجر الا من شاء أن يتخذ الى ربه سبيلا وتوكل على الحي الذي لا يموت وسبح بحمده وكفى به بذنوب عباده خبيرا الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش

الذين آمنوا إيمانا ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون
ماذا أراد الله بهذا مثلا ثم قال وما يعلم جنود ربك الا هو وهو الجواب أيضا في أن لم يخلقها في لحظة وهو قادر
على ذلك وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه انما خلقها في ستة أيام وهو يقدر على أن يخلقها في لحظة تعليما
لخلقه الرفق والتثبت وقيل اجتمع خلقها يوم الجمعة فجعله الله عيدا للمسلمين * الذي خلق مبتدأ و (الرحمن)
خبره أو صفة للحي والرحمن خبر مبتدإ محذوف أو بدل عن المستتر في استوى * وقرئ الرحمن بالجر صفة
للحي * وقرئ فسل والباء في به صلة سل كقوله تعالى سأل سائل بعذاب واقع كما تكون عن صلته في نحو قوله
ثم لتسألن يومئذ عن النعيم فسأل به كقوله اهتم به واعتنى به واشتغل به وسأل عنه كقولك بحث عنه وفتش
عنه ونقر عنه أو صلة خبيرا وتجعل خبيرا مفعول سل يريد فسل عنه رجلا عارفا يخبرك برحمته أو فسل رجلا
خبيرا به وبرحمته أو فسل بسؤاله خبيرا كقولك رأيت به أسدا أي برؤيته والمعنى ان سألته وجدته خبيرا
أو تجعله حالا عن الهاء تريد فسل عنه عالما بكل شئ وقيل الرحمن اسم من أسماء الله مذكور في الكتب
المتقدمة ولم يكونوا يعرفونه فقيل فسل بهذا الاسم من يخبرك من أهل الكتاب حتى يعرف من ينكره ومن
ثمة كانوا يقولون ما نعرف الرحمن الا الذي باليمامة يعنون مسيلمة وكان يقال له رحمن اليمامة (وما الرحمن)
يجوز أن يكون سؤالا عن المسمى به لأنهم ما كانوا يعرفونه بهذا الاسم والسؤال عن المجهول بما ويجوز أن
يكون سؤالا عن معناه لأنه لم يكن مستعملا في كلامهم كما استعمل الرحيم والرحوم والراحم ولأنهم أنكروا
اطلاقه على الله تعالى (لما تأمرنا) أي للذي تأمرناه بمعنى تأمرنا سجوده على قوله أمرتك الخير أو لأمرك
لنا وقرئ بالياء كأن بعضهم قال لبعض أنسجد لما يأمرنا محمد صلى الله عليه وسلم أو يأمرنا المسمى بالرحمن
ولا نعرف ما هو وفي (زادهم) ضمير اسجدوا للرحمن لأنه هو المقول * البروج منازل الكواكب السبعة
السيارة الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو
والحوت سميت بالبروج التي هي القصور العالية لأنها للكواكب كالمنازل لسكانها واشتقاق البرج
من التبرج لظهوره * والسراج الشمس كقوله تعالى وجعل الشمس سراجا وقرئ سرجا وهي الشمس
والكواكب الكبار معها * وقرأ الحسن والأعمش وقمرا منيرا وهي جمع ليلة قمراء كأنه قال وذا قمر منيرا
لأن الليالي تكون قمرا بالقمر فأضافه اليها ونظيره في بقاء حكم المضاف بعد سقوطه وقيام المضاف اليه مقامه
قول حسان * بردى يصفق بالرحيق السلسل * يريد ماء بردى ولا يبعد أن يكون القمر بمعنى القمر كالرشد
والرشد والعرب والعرب * الخلفة من خلف كالركبة من ركب وهي الحالة التي يخلف عليها الليل والنهار كل
واحد منهما الآخر والمعنى جعلهما ذوي خلفة أي ذوي عقبة أي يعقب هذا ذاك وذاك هذا ويقال الليل
والنهار يختلفان كما يقال يعتقبان ومنه قوله واختلاف الليل والنهار ويقال بفلان خلفة واختلاف اذا
اختلف كثيرا الى متبرزه * وقرئ يذكر ويذكر وعن أبي بن كعب رضي الله عنه يتذكر والمعنى لينظر في
اختلافهما الناظر فيعلم أن لا بد لانتقالهما من حال الى حال وتغيرهما من ناقل ومغير ويستدل بذلك على
عظم قدرته ويشكر الشاكر على النعمة فيهما من السكون بالليل والتصرف بالنهار كما قال عز وعلا ومن رحمته
جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله أو ليكونا وقتين للمتذكرين والشاكرين من فاته في
أحدهما ورده من العبادة قام به في الآخر وعن الحسن رضي الله عنه من فاته عمله من التذكر والشكر
بالنهار كان له في الليل مستعتب ومن فاته بالليل كان له في النهار مستعتب (وعباد الرحمن) مبتدأ خبره في آخر
السورة كأنه قيل وعباد الرحمن الذين هذه صفاتهم أولئك يجزون الغرفة ويجوز أن يكون خبره الذين
يمشون وأضافهم الى الرحمن تخصيصا وتفضيلا * وقرئ وعباد الرحمن * وقرئ يمشون (هونا) حال أو صفة
للمشي بمعنى هينين أو مشيا هينا الا أن في وضع المصدر موضع الصفة مبالغة والهون الرفق واللين ومنه
الحديث أحبب حبيبك هونا ما وقوله المؤمنون هينون لينون والمثل اذا عز أخوك فهن ومعناه اذا عاسر
فياسر والمعنى أنهم يمشون بسكينة ووقار وتواضع لا يضربون بأقدامهم ولا يخفقون بنعالهم أشرا وبطرا

الرحمن فاسئل به خبيرا
وإذا قيل لهم اسجدوا
للرحمن قالوا وما الرحمن
أنسجد لما تأمرنا وزادهم
نفورا تبارك الذي جعل
في السماء بروجا وجعل
فيها سراجا وقمرا منيرا
وهو الذي جعل الليل
والنهار خلفة لمن أراد
أن يذكر أو أراد شكورا
وعباد الرحمن الذين
يمشون على الارض هونا

ولذلك كره بعض العلماء الركوب في الاسواق ولقوله يمشون في الاسواق (سلاما) تسلما منكم لا نجاهلكم ومتاركة لا خير بيننا ولا شر أي نتسلم منكم تسلما فأقيم السلام مقام التسلم وقيل قالوا سدادا من القول يسلمون فيه من الايذاء والاثم والمراد بالجهل السفه وقلة الادب وسوء الرعة من قوله

ألا لا يجهلن أحد علينا * فنجهل فوق جهل الجاهلينا

وعن أبي العالية نسختها آية القتال ولا حاجة الى ذلك لان الاغضاء عن السفهاء وترك المقابلة مستحسن في الادب والمروءة والشريعة وأسلم للعرض والورع * البيتوتة خلاف الظلول وهو أن يدركك الليل نمت أو لم تنم وقالوا من قرأ شيئا من القرآن في صلاته وان قل فقد بات ساجدا وقائما وقيل هما الركعتان بعد المغرب والركعتان بعد العشاء والظاهر أنه وصف لهم باحياء الليل أو أكثره يقال فلان يظل صائما ويبيت قائما (غراما) هلاكا وخسرانا ملحا لازما قال

يوم النسار ويوم الجفا * ر كانا عذابا وكانا غراما

وقال

ان يعاقب يكن غراما وان يعـ * ـط جزيلا فانه لا يبالي

ومنه الغريم لالحاحه ولزامه * وصفهم باحياء الليل ساجدين وقائمين ثم عقبه بذكر دعوتهم هذه ايذانا بانهم مع اجتهادهم خائفون مبتهلون الى الله في صرف العذاب عنهم كقوله تعالى والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة (ساءت) في حكم بئست وفيها ضمير مبهم يفسره مستقرا والمخصوص بالذم محذوف معناه ساءت مستقرا ومقاما هي وهذا الضمير هو الذي ربط الجملة باسم ان وجعلها خبرا لها ويجوز أن يكون ساءت بمعنى أحزنت وفيها ضمير اسم ان ومستقرا حال أو تمييز والتعليلان يصح أن يكونا متداخلين ومترادفين وأن يكونا من كلام الله وحكاية لقولهم قرئ يقتروا بكسر التاء وضمها ويقتروا بتخفيف التاء وتشديدها والقتر والاقتار والتقتير التضييق الذي هو نقيض الاسراف والاسراف مجاوزة الحد في النفقة * ووصفهم بالقصد الذي هو بين الغلو والتقصير وبمثله أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط وقيل الاسراف انما هو الانفاق في المعاصي فأما في القرب فلا اسراف وسمع رجل رجلا يقول لا خير في الاسراف فقال لا اسراف في الخير وعن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أنه شكر عبد الملك بن مروان حين زوجه ابنته وأحسن اليه فقال وصلت الرحم وفعلت وصنعت وجاء بكلام حسن فقال ابن لعبد الملك انما هو كلام أعده لهذا المقام فسكت عبد الملك فلما كان بعد أيام دخل عليه والابن حاضر فسأله عن نفقته وأحواله فقال الحسنة بين السيئتين فعرف عبد الملك أنه أراد ما في هذه الآية فقال لابنه يا بني أهذا أيضا مما أعده وقيل أولئك أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كانوا لا يأكلون طعاما للتنعم واللذة ولا يلبسون ثوبا للجمال والزينة ولكن كانوا يأكلون ما يسد جوعتهم ويعينهم على عبادة ربهم ويلبسون ما يستر عوراتهم ويكنهم من الحر والقر وقال عمر رضي الله عنه كفى سرفا أن لا يشتهي رجل شيئا الا اشتراه فأكله * والقوام العدل بين الشيئين لاستقامة الطرفين واعتدالهما ونظير القوام من الاستقامة السواء من الاستواء وقرئ قواما بالكسر وهو ما يقام به الشيء يقال أنت قوامنا بمعنى ما تقام به الحاجة لا يفضل عنها ولا ينقص والمنصوبان أعني بين ذلك قواما جائز أن يكونا خبرين معا وأن يجعل بين ذلك لغوا وقواما مستقرا وان يكون الظرف خبرا وقواما حالا مؤكدة وأجاز الفراء أن يكون بين ذلك اسم كان على أنه مبني لاضافته الى غير متمكن كقوله * لم يمنع الشرب منها غير أن نطقت * وهو من جهة الاعراب لا بأس به ولكن المعنى ليس بقوي لان ما بين الاسراف والتقتير قوام لا محالة فليس في الخبر الذي هو معتمد الفائدة فائدة (حرم الله) أي حرمها والمعنى حرم قتلها و(الا بالحق) متعلق بهذا القتل المحذوف أو بلا يقتلون ونفي هذه المقبحات العظام عن الموصوفين بتلك الخلال العظيمة في الدين للتعريض بما كان عليه أعداء المؤمنين من قريش وغيرهم كأنه قيل والذين برأهم الله وطهرهم مما أنتم عليه والقتل بغير حق يدخل فيه الوأد وغيره وعن ابن مسعود رضي الله عنه قلت يا رسول الله أي الذنب أعظم قال أن تجعل لله ندا وهو خلقك قلت ثم أي قال أن تقتل ولدك خشية أن يأكل

وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما انها ساءت مستقرا ومقاما والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما

معك قلت ثم أى قال أن تزانى حليلة جارك فأنزل الله تصديقه * وقرئ يلق فيه أثاما وقرئ يلقى باثبات الالف وقد مر مثله والاثام جزاء الاثم بوزن الوبال والنكال ومعناهما قال

جزى الله ابن عروة حيث أمسى * عقوقا والعقوق له أثام

وقيل هو الاثم ومعناه يلق جزاء أثام وقرأ ابن مسعود رضى الله عنه أياما أى شدائد يقال يوم ذو أيام اليوم العصيب (يضاعف) بدل من يلق لانهما فى معنى واحد كقوله

متى تأتنا تلمم بنا فى ديارنا * تجد حطبا جزلا ونارا تأججا

وقرئ يضعف ونضعف له العذاب بالنون ونصب العذاب وقرئ بالرفع على الاستئناف أو على الحال وكذلك يخلد وقرئ ويخلد على البناء للمفعول مخففا ومثقلا من الاخلاد والتخليد وقرئ وتخلد بالتاء على الالتفات (يبدل) مخفف ومثقل وكذلك سيآتهم (فان قلت) مامعنى مضاعفة العذاب وابدال السيآت حسنات (قلت) اذا ارتكب المشرك معاصى مع الشرك عذب على الشرك وعلى المعاصى جميعا فتضاعف العقوبة لمضاعفة المعاقب عليه وابدال السيآت حسنات أنه يمحوها بالتوبة ويثبت مكانها الحسنات الايمان والطاعة والتقوى وقيل يبدلهم بالشرك ايمانا وبقتل المسلمين قتل المشركين وبالزنا عفة واحصانا * يريد ومن يترك المعاصى ويندم عليها ويدخل فى العمل الصالح فانه بذلك تائب الى الله (متابا) مرضيا عنده مكفرا للخطايا محصلا للثواب أو فانه تائب متابا الى الله الذى يعرف حق التائبين ويفعل بهم مايستوجبونه والذى يحب التوابين ويحب المتطهرين وفى كلام بعض العرب لله أفرح بتوبة العبد من المضل الواجد والظمآن الوارد والعقيم الوالد أو فانه يرجع الى الله والى ثوابه مرجعا حسنا وأى مرجع * يحتمل أنهم ينفرون عن محاضر الكذابين ومجالس الخطائين فلا يحضرونها ولا يقربونها تنزها عن مخالطة الشر وأهله وصيانة لدينهم عما يثلمه لان مشاهدة الباطل شركة فيه ولذلك قيل فى النظارة الى كل مالم تسوغه الشريعة هم شركاء فاعليه فى الاثم لان حضورهم ونظرهم دليل الرضا به وسبب وجوده والزيادة فيه لان الذى سلط على فعله هو استحسان النظارة ورغبتهم فى النظر اليه وفى مواعظ عيسى ابن مريم عليه السلام اياكم ومجالسة الخطائين ويحتمل أنهم لا يشهدون شهادة الزور فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه وعن قتادة مجالس الباطل وعن ابن الحنفية اللهو والغناء وعن مجاهد أعياد المشركين * اللغو كل ماينبغى أن يلغى ويطرح والمعنى واذا مروا بأهل اللغو والمشتغلين به مروا معرضين عنهم مكرمين أنفسهم عن التوقف عليهم والخوض معهم كقوله تعالى واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغى الجاهلين وعن الحسن رضى الله عنه لم تسفههم المعاصى وقيل اذا سمعوا من الكفار الشتم والاذى أعرضوا وصفحوا وقيل اذا ذكروا النكاح كنوا عنه (لم يخروا عليها) ليس بنفى للخرور وانما هو اثبات له ونفى للصمم والعمى كما تقول لا يلقانى زيد مسلما هو نفى للسلام لا للقاء والمعنى أنهم اذا ذكروا بها أكبوا عليها حرصا على استماعها وأقبلوا على المذكر بها وهم فى اكبابهم عليها سامعون بآذان واعية مبصرون بعيون راعية لا كالذين يذكرون بها فتراهم مكبين عليها مقبلين على من يذكر بها مظهرين الحرص الشديد على استماعها وهم كالصم العميان حيث لا يعونها ولا يتبصرون مافيها كالمنافقين وأشباههم * قرئ ذريتنا وذرياتنا وقرة أعين وقرات أعين سألوا ربهم أن يرزقهم أزواجا وأعقابا عمالا لله يسرون بمكانهم وتقر بهم عيونهم وعن محمد بن كعب ليس شئ أقر لعين المؤمن من أن يرى زوجته وأولاده مطيعين لله وعن ابن عباس رضى الله عنهما هو الولد اذا رآه يكتب الفقه وقيل سألوا أن يلحق الله بهم أزواجهم وذريتهم فى الجنة ليتم لهم سرورهم * أراد أئمة فاكتفى بالواحد لدلالته على الجنس ولعدم اللبس كقوله تعالى ثم يخرجكم طفلا أو أراد واجعل كل واحد منا اماما أو أراد جمع آم كصائم وصيام أو أرادوا اجعلنا اماما واحدا لاتحادنا واتفاق كلمتنا وعن بعضهم فى الآية مايدل على أن الرياسة فى الدين يجب أن تطلب ويرغب فيها وقيل نزلت هذه الآيات فى العشرة المبشرين بالجنة (فان قلت) من فى قوله من أزواجنا ماهى (قلت) يحتمل أن تكون بيانية كأنه قيل هب لنا قرة

يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيآتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا والذين لا يشهدون الزور واذا مروا باللغو مروا كراما والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين اماما أولئك يجزون الغرفة

أعين ثم بينت القرة وفسرت بقوله من أزواجنا وذرياتنا ومعناه أن يجعلهم الله لهم قرة أعين وهو من قولهم رأيت منك أسدا أي أنت أسد وأن تكون ابتدائية على معنى هب لنا من جهتهم ما تقر به عيوننا من طاعة وصلاح (فان قلت) لم قال قرة أعين فنكر وقلل (قلت) أما التنكير فلاجل تنكير القرة لان المضاف لا سبيل الى تنكيره الا بتنكير المضاف اليه كأنه قيل هب لنا منهم سرورا وفرحا وانما قيل أعين دون عيون لانه أراد أعين المتقين وهي قليلة بالاضافة الى عيون غيرهم قال الله تعالى وقليل من عبادي الشكور ويجوز أن يقال في تنكير أعين انها أعين خاصة وهي أعين المتقين * المراد يجزون الغرفات وهي العلالي في الجنة فوحد اقتصارا على الواحد الدال على الجنس والدليل على ذلك قوله وهم في الغرفات آمنون وقراءة من قرأ في الغرفة (بما صبروا) بصبرهم على الطاعات وعن الشهوات وعلى أذى الكفار ومجاهدتهم وعلى الفقر وغير ذلك واطلاقه لاجل الشياع في كل مصبور عليه * وقرئ يلقون كقوله تعالى ولقاهم نضرة وسرورا ويلقون كقوله تعالى يلق أثاما * والتحية دعاء بالتعمير والسلام دعاء بالسلامة يعني أن الملائكة يحيونهم ويسلمون عليهم أو يحيي بعضهم بعضا ويسلم عليه أو يعطون التبقية والتخليد مع السلامة عن كل آفة اللهم وفقنا لطاعتك واجعلنا مع أهل رحمتك وارزقنا ما ترزقهم في دار رضوانك * لما وصف عبادة العباد وعدد صالحاتهم وحسناتهم وأثنى عليهم من أجلها ووعدهم الرفع من درجاتهم في الجنة أتبع ذلك بيان أنه انما اكترث لاولئك وعبأ بهم وأعلى ذكرهم ووعدهم ما وعدهم لاجل عبادتهم فأمر رسوله أن يصرح للناس ويجزم لهم القول بأن الاكتراث لهم عند ربهم انما هو للعبادة وحدها لا لمعنى آخر ولولا عبادتهم لم يكترث لهم البتة ولم يعتد بهم ولم يكونوا عنده شيأ يبالي به * والدعاء العبادة وما متضمنة لمعنى الاستفهام وهي في محل النصب وهي عبارة عن المصدر كأنه قيل وأي عبء يعبأ بكم لولا دعاؤكم يعني أنكم لا تستأهلون شيأ من العبء بكم لولا عبادتكم وحقيقة قولهم ما عبأت به ما اعتددت به من فوادح همومي ومما يكون عبأ على كما تقول ما اكترثت له أي ما اعتددت به من كوارثي ومما يهمني وقال الزجاج في تأويل ما يعبأ بكم ربي أي وزن يكون لكم عنده ويجوز أن تكون ما نافية (فقد كذبتم) يقول اذا أعلمتكم أن حكمي أني لا أعتد بعبادي الا لعبادتهم فقد خالفتم بتكذيبكم حكمي فسوف يلزمكم أثر تكذيبكم حتى يكبكم في النار ونظيره في الكلام أن يقول الملك لمن استعصى عليه ان من عادتي أن أحسن الى من يطيعني ويتبع أمري فقد عصيت فسوف ترى ما أحل بك بسبب عصيانك وقيل معناه ما يصنع بكم ربي لولا دعاؤه اياكم الى الاسلام وقيل ما يصنع بعذابكم لولا دعاؤكم معه آلهة (فان قلت) الى من يتوجه هذا الخطاب (قلت) الى الناس على الاطلاق ومنهم مؤمنون عابدون ومكذبون عاصون فخوطبوا بما وجد في جنسهم من العبادة والتكذيب * وقرئ فقد كذب الكافرون وقيل يكون العذاب لزاما وعن مجاهد رضي الله عنه هو القتل يوم بدر وأنه لوزم بين القتلى لزاما * وقرئ لزاما بالفتح بمعنى اللزوم كالثبات والثبوت والوجه أن ترك اسم كان غير منطوق به بعد ما علم أنه مما توعد به لاجل الابهام وتناول ما لا يكتنهه الوصف والله أعلم بالصواب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفرقان لقي الله يوم القيامة وهو مؤمن بأن الساعة آتية لا ريب فيها وأدخل الجنة بغير نصب

﴿سورة الشعراء مكية الا قوله والشعراء الى آخر السورة وهي
مائتان وسبع وعشرون آية وفي رواية ست وعشرون﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(طسم) بتفخيم الالف وامالتها واظهار النون وادغامها (الكتاب المبين) الظاهر اعجازه وصحة انه من عند الله والمراد به السورة أو القرآن والمعنى آيات هذا المؤلف من الحروف المبسوطة تلك آيات الكتاب المبين * البخع أن يبلغ بالذبح النخاع بالباء وهو عرق مستبطن الفقار وذلك أقصى حد الذابح ولعل للاشفاق يعني

بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما قل ما يعبؤ بكم ربي لولا دعاؤكم فقد كذبتم فسوف يكون لزاما

﴿سورة الشعراء مكية وهي مائتان وسبع وعشرون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

طسم تلك آيات الكتاب المبين لعلك باخع نفسك

* قوله تعالى هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين (قال ان قلت لم قال الاعين اذ الاعين صيغة جمع قلة قلت لان أعين المتقين قليل بالاضافة الى غيرهم يدل على ذلك قوله وقليل من عبادي الشكور) قال أحمد والظاهر أن المحكي كلام كل أحد من المتقين فكأنه قال يقول كل واحد منهم اجعل لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين وهذا أسلم من تأويله فان المتقين وان كانوا بالاضافة الى غيرهم قليلا الا أنهم في أنفسهم على كثرة من العدد والمعتبر في اطلاق جمع القلة أن يكون الجموع قليلا في نفسه لا بالنسبة والاضافة والله أعلم

أشفق على نفسك أن تقتلها حسرة على ما فاتك من إسلام قومك (ألا يكونوا مؤمنين) لئلا يؤمنوا
ولامتناع إيمانهم أو خيفة أن لا يؤمنوا وعن قتادة رضي الله عنه باخع نفسك على الإضافة * أراد آية ملجئة
إلى الإيمان قاصرة عليه (فظلت) معطوف على الجزاء الذي هو ننزل لأنه لو قيل أنزلنا لكان صحيحا ونظيره
فأصدق وأكن كأنه قيل أصدق وقد قرئ لو شئنا لأنزلنا وقرئ فتظل أعناقهم (فإن قلت) كيف صح مجيء
خاضعين خبرا عن الأعناق (قلت) أصل الكلام فظلوا لها خاضعين فأقحمت الأعناق لبيان موضع الخضوع
وترك الكلام على أصله كقوله ذهبت أهل اليمامة كأن الأهل غير مذكور أو لما وصفت بالخضوع الذي
هو للعقلاء قيل خاضعين كقوله تعالى لي ساجدين وقيل أعناق الناس رؤساؤهم ومقدموهم شبهوا بالأعناق
كما قيل لهم هم الرؤس والنواصي والصدور قال * في محفل من نواصي الناس مشهود * وقيل جماعات الناس
يقال جاءنا عنق من الناس لفوج منهم وقرئ فظلت أعناقهم لها خاضعة وعن ابن عباس رضي الله عنهما نزلت
هذه الآية فينا وفي بني أمية قال ستكون لنا عليهم الدولة فتذل لنا أعناقهم بعد صعوبة ويلحقهم هوان بعد
عزة * أي وما يجدد لهم الله بوحيه موعظة وتذكيرا إلا جددوا إعراضا عنه وكفرا به (فإن قلت) كيف خولف
بين الألفاظ والغرض واحد وهو الإعراض والتكذيب والاستهزاء (قلت) إنما خولف بينها لاختلاف
الأغراض كأنه قيل حين أعرضوا عن الذكر فقد كذبوا به وحين كذبوا به فقد خف عندهم قدره وصار عرضة
للاستهزاء والسخرية لأن من كان قابلا للحق مقبلا عليه كان مصدقا به لا محالة ولم يظن به التكذيب ومن
كان مصدقا به كان موقرا له (فسيأتيهم) وعيد لهم وإنذار بأنهم سيعلمون إذا مسهم عذاب الله يوم بدر أو يوم
القيامة (ما) الشيء الذي كانوا يستهزئون به وهو القرآن وسيأتيهم أنباؤه وأحواله التي كانت خافية عليهم
* وصف الزوج وهو الصنف من النبات بالكريم والكريم صفة لكل ما يرضى ويحمد في بابه يقال وجه كريم
إذا رضي في حسنه وجماله وكتاب كريم مرضي في معانيه وفوائده وقال * حتى يشق الصفوف من كرمه *
أي من كونه مرضيا في شجاعته وبأسه والنبات الكريم المرضي فيما يتعلق به من المنافع (إن في) إنبات تلك
الأصناف (لآية) على أن منبتها قادر على إحياء الموتى وقد علم الله أن أكثرهم مطبوع على قلوبهم غير
مرجو إيمانهم (وإن ربك لهو العزيز) في انتقامه من الكفرة (الرحيم) لمن تاب وآمن وعمل صالحا
(فإن قلت) ما معنى الجمع بين كم وكل ولو قيل كم أنبتنا فيها من زوج كريم (قلت) قد دل كل على الإحاطة
بأزواج النبات على سبيل التفصيل وكم على أن هذا المحيط متكاثر مفرط الكثرة فهذا معنى الجمع بينهما
وبه نبه على كمال قدرته (فإن قلت) فما معنى وصف الزوج بالكريم (قلت) يحتمل معنيين أحدهما أن
النبات على نوعين نافع وضار فذكر كثرة ما أنبت في الأرض من جميع أصناف النبات النافع وخلى ذكر
الضار والثاني أن يعم جميع النبات نافعه وضاره ويصفهما جميعا بالكرم وينبه على أنه ما أنبت شيئا إلا وفيه
فائدة لأن الحكيم لا يفعل فعلا إلا لغرض صحيح ولحكمة بالغة وإن غفل عنها الغافلون ولم يتوصل إلى
معرفتها العاقلون (فإن قلت) فحين ذكر الأزواج ودل عليها بكلمتي الكثرة والإحاطة وكانت بحيث
لا يحصيها إلا عالم الغيب كيف قال إن في ذلك لآية وهلا قال آيات (قلت) فيه وجهان أن يكون ذلك
مشارا به إلى مصدر أنبتنا فكأنه قال إن في الإنبات لآية أي آية وأن يراد أن في كل واحد من تلك الأزواج
لآية وقد سبقت لهذا الوجه نظائر * سجل عليهم بالظلم بأن قدم القوم الظالمين ثم عطفهم عليهم عطف
البيان كأن معنى القوم الظالمين وترجمته قوم فرعون وكأنهما عبارتان تعتقبان على مؤدى واحد إن شاء
ذاكرهم عبر عنهم بالقوم الظالمين وإن شاء عبر بقوم فرعون وقد استحقوا هذا الاسم من جهتين من جهة
ظلمهم أنفسهم بالكفر وشرارتهم ومن جهة ظلمهم لبني إسرائيل باستعبادهم لهم * قرئ ألا يتقون بكسر
النون بمعنى ألا يتقونني فحذفت النون لاجتماع النونين والياء للاكتفاء بالكسرة (فإن قلت) بم تعلق
قوله ألا يتقون (قلت) هو كلام مستأنف أتبعه عز وجل إرساله إليهم للإنذار والتسجيل عليهم بالظلم
تعجيبا لموسى من حالهم التي شنعت في الظلم والعسف ومن أمنهم العواقب وقلة خوفهم وحذرهم من أيام

ألا يكونوا مؤمنين إن
نشأ ننزل عليهم من
السماء آية فظلت
أعناقهم لها خاضعين
وما يأتيهم من ذكر
من الرحمن محدث إلا
كانوا عنه معرضين فقد
كذبوا فسيأتيهم أنباء
ما كانوا به يستهزئون
أولم يروا إلى الأرض
كم أنبتنا فيها من كل
زوج كريم إن في ذلك
لآية وما كان أكثرهم
مؤمنين وإن ربك لهو
العزيز الرحيم وإذ نادى

القول في سورة الشعراء

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* قوله تعالى كم أنبتنا
فيها من كل زوج كريم
(قال إن قلت ما فائدة
الجمع بين كل وكم وأجاب
بأن كلا دخلت
للإحاطة بأزواج النبات
وكم دلت على أن هذا
المحيط متكاثر مفرط
الكثرة) قال أحمد
[illegible] مقتضى ذلك
يكون المقصود بالتكثير
الأنواع والظاهر أن
المقصود آحاد الأزواج
والأنعام ويدل عليه أنه
لو أسقطت كلا فقلت
انظروا إلى الأرض
كم أنبت الله فيها من
الصنف الفلاني لكنت
مكثرا من آحاد ذلك
الصنف المشار إليه
فإذا أدخلت كلا فقد
أدخلت تكثير آحاد
كل صنف لا آحاد صنف
معين والله أعلم

أيام

الله ويحتمل أن يكون لا يتقون حالا من الضمير في الظالمين أي يظلمون غير متقين الله وعقابه فأدخلت
همزة الانكار على الحال وأما من قرأ ألا تتقون على الخطاب فعلى طريقة الالتفات اليهم وجبههم وضرب
وجوههم بالانكار والغضب عليهم كما ترى من يشكو من ركب جناية الى بعض أخصائه والجاني حاضر فاذا
اندفع في الشكاية وحر مزاجه وحمي غضبه قطع مباثة صاحبه وأقبل على الجاني يوبخه ويعنف به ويقول له
ألم تتق الله ألم تستحي من الناس (فان قلت) فما فائدة هذا الالتفات والخطاب مع موسى عليه الصلاة
والسلام في وقت المناجاة والملتفت اليهم غيب لا يشعرون (قلت) اجراء ذلك في تكليم المرسل اليهم في
معنى اجرائه بحضرتهم والقائه الى مسامعهم لانه مبلغه ومنهيه وناشره بين الناس وله فيه لطف وحث على
زيادة التقوى وكم من آية انزلت في شأن الكافرين وفيها أوفر نصيب للمؤمنين تدبرا لها واعتبارا بموردها وفي
ألا يتقون بالياء وكسر النون وجه آخر وهو أن يكون المعنى ألا يا ناس اتقون كقوله ألا يا اسجدوا * ويضيق
وينطلق بالرفع لانهما معطوفان على خبر ان وبالنصب لعطفهما على صلة أن والفرق بينهما في المعنى أن الرفع
يفيد أن فيه ثلاث علل خوف التكذيب وضيق الصدر وامتناع انطلاق اللسان والنصب على أن خوفه
متعلق بهذه الثلاثة (فان قلت) في النصب تعليق الخوف بالامور الثلاثة وفي جملتها نفي انطلاق اللسان
وحقيقة الخوف انما هي غم يلحق الانسان لامر سيقع وذلك كان واقعا فكيف جاز تعليق الخوف به (قلت)
قد علق الخوف بتكذيبهم وبما يحصل له بسببه من ضيق الصدر والحبسة في اللسان زائدة على ما كان به على
أن تلك الحبسة التي كانت به قد زالت بدعوته وقيل بقيت منها بقية يسيرة (فان قلت) اعتذارك هذا يرده
الرفع لان المعنى اني خائف ضيق الصدر غير منطلق اللسان (قلت) يجوز أن يكون هذا قبل الدعوة واستجابتها
ويجوز أن يريد القدر اليسير الذي بقي به ويجوز أن لا يكون مع حل العقدة من لسانه من الفصحاء المصاقع
الذين أوتوا سلاطة الالسنة وبسطة المقال وهرون كان بتلك الصفة فأراد أن يقرن به ويدل عليه قوله
تعالى وأخي هرون هو أفصح مني لسانا ومعنى (فأرسل الى هرون) أرسل اليه جبرئيل واجعله نبيا وأزرني
به واشدد به عضدي وهذا كلام مختصر وقد بسطه في غير هذا الموضع وقد أحسن في الاختصار حيث قال
فأرسل الى هرون فجاء بما يتضمن معنى الاستنباء ومثله في تقصير الطويلة والحسن قوله تعالى فقلنا اذهبا الى
القوم الذين كذبوا بآياتنا فدمرناهم تدميرا حيث اقتصر على ذكر طرفي القصة أولها وآخرها وهما الانذار
والتدمير ودل بذكرهما على ما هو الغرض من القصة الطويلة كلها وهو أنهم قوم كذبوا بآيات الله فأراد
الله الزام الحجة عليهم فبعث اليهم رسولين فكذبوهما فأهلكهم (فان قلت) كيف ساغ لموسى عليه السلام
أن يأمره الله بأمر فلا يتقبله بسمع وطاعة من غير توقف وتشبث بعلل وقد علم أن الله من ورائه (قلت) قد
امتثل وتقبل ولكنه التمس من ربه أن يعضده بأخيه حتى يتعاونا على تنفيذ أمره وتبليغ رسالته فمهد قبل
التماسه عذره فيما التمسه ثم التمس بعد ذلك وتمهيد العذر في التماس المعين على تنفيذ الامر ليس بتوقف في
امتثال الامر ولا بتعلل فيه وكفى بطلب العون دليلا على التقبل لا على التعلل * أراد بالذنب قتله القبطي
وقيل كان خباز فرعون واسمه فاتون يعني ولهم علي تبعة ذنب وهي قود ذلك القتل فأخاف أن يقتلوني به
فحذف المضاف أو سمى تبعة الذنب ذنبا كما سمى جزاء السيئة سيئة (فان قلت) قد أبيت أن تكون تلك الثلاث
عللا وجعلتها تمهيد العذر فيما التمسه فما قولك في هذه الرابعة (قلت) هذه استدفاع للبلية المتوقعة وفرق من
أن يقتل قبل أداء الرسالة فكيف يكون تعللا والدليل عليه ما جاء بعده من كلمة الردع والموعد بالكلاءة
والدفع * جمع الله له الاستجابتين معا في قوله (كلا فاذهبا) لانه استدفعه بلاءهم فوعده الدفع بردعه عن
الخوف والتمس منه الموازرة بأخيه فأجابه بقوله اذهبا أي اذهب أنت والذي طلبته وهو هرون (فان قلت)
علام عطف قوله فاذهبا (قلت) على الفعل الذي يدل عليه كلا كأنه قيل ارتدع يا موسى عما تظن فاذهب
أنت وهرون وقوله (معكم مستمعون) من مجاز الكلام يريد أنا لكما ولعدوكما كالناصر الظهير لكما عليه
اذا حضر واستمع ما يجري بينكما وبينه فأظهركما وغلبكما وكسر شوكته عنكما ونكسه ويجوز أن يكونا خبرين

ربك موسى أن ائت
القوم الظالمين قوم
فرعون ألا يتقون قال
رب اني أخاف أن يكذبون
ويضيق صدري ولا
ينطلق لساني فأرسل
الى هرون ولهم علي
ذنب فأخاف أن يقتلون
قال كلا فاذهبا بآياتنا
انا معكم مستمعون فأتيا
فرعون فقولا انا رسول
رب العالمين

لأن أو يكون مستمعون مستقرا ومعكم لغوا (فان قلت) لم جعلت مستمعون قرينة معكم في كونه من باب
المجاز والله تعالى يوصف على الحقيقة بأنه سميع وسامع (قلت) ولكن لا يوصف بالمستمع على الحقيقة لأن
الاستماع جار مجرى الاصغاء والاستماع من السمع بمنزلة النظر من الرؤية ومنه قوله تعالى قل أوحي الي أنه
استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا ويقال استمع الى حديثه وسمع حديثه أي أصغى اليه وأدركه
بحاسة السمع ومنه قوله صلى الله عليه وسلم من استمع الى حديث قوم وهم له كارهون صب في أذنيه البرم
* (فان قلت) هلا ثني الرسول كما ثني في قوله انا رسولا ربك (قلت) الرسول يكون بمعنى المرسل وبمعنى الرسالة
فجعل ثم بمعنى المرسل فلم يكن بد من تثنيته وجعل هنا بمعنى الرسالة فجازت التسوية فيه اذا وصف به بين
الواحد والتثنية والجمع كما يفعل في الصفة بالمصادر نحو صوم وزور قال

ألكني اليها وخير الرسو * ل أعلمهم بنواحي الخبر

فجعله للجماعة والشاهد في الرسول بمعنى الرسالة قوله

لقد كذب الواشون ما فهت عندهم * بسر ولا أرسلتهم برسول

ويجوز أن يوحد لأن حكمهما لتساندهما واتفاقهما على شريعة واحدة واتحادهما لذلك وللأخوة كان حكما
واحدا فكأنهما رسول واحد أو أريد أن كل واحد منا (أن أرسل) بمعنى أي أرسل لتضمن الرسول معنى
الارسال وتقول أرسلت اليك أن افعل كذا لما في الارسال من معنى القول كما في المناداة والكتابة ونحو ذلك
ومعنى هذا الارسال التخلية والاطلاق كقولك أرسل البازي يريد خلهم يذهبوا معنا الى فلسطين وكانت
مسكنهما * وروي أنهما انطلقا الى باب فرعون فلم يؤذن لهما سنة حتى قال البواب ان ههنا انسانا يزعم أنه
رسول رب العالمين فقال ائذن له لعلنا نضحك منه فأديا اليه الرسالة فعرف موسى فقال له (ألم نربك) حذف
فأتيا فرعون فقالا له ذلك لأنه معلوم لا يشتبه وهذا النوع من الاختصار كثير في التنزيل * الوليد الصبي
لقرب عهده من الولادة * وفي رواية عن أبي عمرو من عمرك بسكون الميم (سنين) قيل مكث عندهم ثلاثين
سنة وقيل وكز القبطي وهو ابن ثنتي عشرة سنة وفر منهم على أثرها والله أعلم بصحيح ذلك * وعن الشعبي
فعلتك بالكسر وهي قتلة القبطي لأنه قتله بالوكزة وهو ضرب من القتل وأما الفعلة فلأنها كانت وكزة
واحدة عدد عليه نعمته من تربيته وتبليغه مبلغ الرجال ووبخه بما جرى على يده من قتل خبازه وعظم ذلك
وفظعه بقوله وفعلت فعلتك التي فعلت (وأنت من الكافرين) يجوز أن يكون حالا أي قتلته وأنت اذ ذاك من
الكافرين بنعمتي أو وأنت اذ ذاك ممن تكفرهم الساعة وقد افترى عليه أو جهل أمره لأنه كان يعايشهم
بالتقية فان الله تعالى عاصم من يريد أن يستنبئه من كل كبيرة ومن بعض الصغائر فما بال الكفر ويجوز أن
يكون قوله وأنت من الكافرين حكما عليه بأنه من الكافرين بالنعم ومن كانت عادته كفران النعم لم يكن قتل
خواص المنعم عليه بدعا منه أو بأنه من الكافرين لفرعون والهيته أو من الذين كانوا يكفرون في دينهم فقد
كانت لهم آلهة يعبدونهم يشهد لذلك قوله تعالى ويذرك وآلهتك وقرئ الهتك * فأجابه موسى بأن تلك
الفعلة انما فرطت منه وهو (من الضالين) أي الجاهلين وقراءة ابن مسعود من الجاهلين مفسرة والمعنى
من الفاعلين فعل أولي الجهل والسفه كما قال يوسف لاخوته هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه اذ أنتم جاهلون
أو المخطئين كمن يقتل خطأ من غير تعمد للقتل أو الذاهبين عن الصواب أو الناسين من قوله أن تضل احداهما
فتذكر احداهما الأخرى وكذب فرعون ودفع الوصف بالكفر عن نفسه وبرأ ساحته بأن وضع الضالين
موضع الكافرين ربأ بمحل من رشح للنبوة عن تلك الصفة * ثم كر على امتنانه عليه بالتربية فأبطله من أصله
واستأصله من سنخه وأبى أن يسمى نعمته الا نقمة حيث بين أن حقيقة انعامه عليه تعبيد بني اسرائيل لأن
تعبيدهم وقصدهم بذبح أبنائهم هو السبب في حصوله عنده وتربيته فكأنه امتن عليه بتعبيد قومه اذا
حققت وتعبيدهم تذليلهم واتخاذهم عبيدا يقال عبدت الرجل وأعبدته اذا اتخذته عبدا قال

علام يعبدني قومي وقد كثرت * فيهم أباعر ما شاؤا وعبدان

أن أرسل معنا بني
اسرائيل قال ألم نربك
فينا وليدا ولبثت فينا
من عمرك سنين وفعلت
فعلتك التي فعلت وأنت
من الكافرين قال
فعلتها اذا وأنا من الضالين
ففررت منكم لما خفتكم
فوهب لي ربي حكما
وجعلني من المرسلين
وتلك نعمة تمنها علي أن
عبدت بني اسرائيل قال
فرعون

* قوله تعالى حكاية
عن فرعون وفعلت
فعلتك التي فعلت الآية
(قال عدد نعمته عليه
ووبخه بما جرى على
يده من قتل خبازه
وفظعه عليه بقوله
وفعلت فعلتك) قال
أحمد ووجه التفظيع
عليه من ذلك أن في
الاتيان به مجملا مبهما
ايذانا بأنه لفظاعته مما
لا ينطق به الا مكنيا
عنه ونظيره في التفخيم
المستفاد من الابهام
قوله تعالى فغشيهم من
اليم ما غشيهم اذ يغشى
السدرة ما يغشى فأوحى
الى عبده ما أوحى ومثله
كثير والله أعلم

(فان قلت) اذا جواب وجزاء معا والكلام وقع جوابا لفرعون فكيف وقع جزاء (قلت) قول فرعون وفعلت فعلتك فيه معنى انك جازيت نعمتي بما فعلت فقال له موسى نعم فعلتها مجازيا لك تسليما لقوله لان نعمته كانت عنده جديرة بان تجازى بنحو ذلك الجزاء (فان قلت) لم جمع الضمير في منكم وخفتكم مع افراده في تمنها وعبدت (قلت) الخوف والفرار لم يكونا منه وحده ولكن منه ومن ملئه المؤتمرين بقتله بدليل قوله ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك وأما الامتنان فمنه وحده وكذلك التعبيد (فان قلت) تلك اشارة الى ماذا وأن عبدت ما محلها من الاعراب (قلت) تلك اشارة الى خصلة شنعاء مبهمة لا يدرى ما هي الا بتفسيرها ومحل أن عبدت الرفع عطف بيان لتلك ونظيره قوله تعالى وقضينا اليه ذلك الامر أن دابر هؤلاء مقطوع والمعنى تعبيدك بني اسرائيل نعمة تمنها علي وقال الزجاج ويجوز أن يكون أن في موضع نصب المعنى انما صارت نعمة علي لان عبدت بني اسرائيل أي لو لم تفعل ذلك لكفلني أهلي ولم يلقوني في اليم * لما قال له بوابه ههنا من يزعم أنه رسول رب العالمين قال له عند دخوله (وما رب العالمين) يريد أي شيء رب العالمين وهذا السؤال لا يخلو اما أن يريد به أي شيء هو من الاشياء التي شوهدت وعرفت أجناسها فأجاب بما يستدل به عليه من أفعاله الخاصة ليعرفه أنه ليس بشيء مما شوهد وعرف من الاجرام والاعراض وأنه شيء مخالف لجميع الاشياء ليس كمثله شيء واما أن يريد به أي شيء هو على الاطلاق تفتيشا عن حقيقته الخاصة ما هي فاجابه بان الذي اليه سبيل وهو الكافي في معرفته معرفة ثباته بصفاته استدلالا بأفعاله الخاصة على ذلك وأما التفتيش عن حقيقته الخاصة التي هي فوق فطر العقول فتفتيش عما لا سبيل اليه والسائل عنه متعنت غير طالب للحق والذي يليق بحال فرعون ويدل عليه الكلام أن يكون سؤاله هذا انكارا لان يكون للعالمين رب سواه لادعائه الالهية فلما أجاب موسى بما أجاب عجب قومه من جوابه حيث نسب الربوبية الى غيره فلما ثنى بتقرير قوله جننه الى قومه وطنز به حيث سماه رسولهم فلما ثلث بتقرير آخر احتد واحتدم وقال لئن اتخذت الها غيري وهذا يدل على صحة هذا الوجه الاخير * (فان قلت) كيف قيل (وما بينهما) على التثنية والمرجوع اليه مجموع (قلت) أريد وما بين الجنسين فعل بالمضمر ما فعل بالظاهر من قال في الهيجا جمالين (فان قلت) ما معنى قوله (ان كنتم موقنين) وأين عن فرعون وملئه الايقان (قلت) معناه ان كان يرجى منكم الايقان الذي يؤدي اليه النظر الصحيح نفعكم هذا الجواب والا لم ينفع أو ان كنتم موقنين بشيء قط فهذا أولى ما توقنون به لظهوره وانارة دليله (فان قلت) ومن كان حوله (قلت) أشراف قومه قيل كانوا خمسمائة رجل عليهم الاساور وكانت للملوك خاصة (فان قلت) ذكر السموات والارض وما بينهما قد استوعب به الخلائق كلها فما معنى ذكرهم وذكر آبائهم بعد ذلك وذكر المشرق والمغرب (قلت) قد عم أولا ثم خصص من العام للبيان أنفسهم وآباءهم لان أقرب المنظور فيه من العاقل نفسه ومن ولد منه وما شاهد وعاين من الدلائل على الصانع والناقل من هيئة الى هيئة وحال الى حال من وقت ميلاده الى وقت وفاته ثم خصص المشرق والمغرب لان طلوع الشمس من أحد الخافقين وغروبها في الآخر على تقدير مستقيم في فصول السنة وحساب مستو من أظهر ما استدل به ولظهوره انتقل الى الاحتجاج به خليل الله عن الاحتجاج بالاحياء والاماتة على نمروذ بن كنعان فبهت الذي كفر * وقرئ رب المشارق والمغارب الذي أرسل اليكم بفتح الهمزة * (فان قلت) كيف قال أولا ان كنتم موقنين وآخرا ان كنتم تعقلون (قلت) لاين أولا فلما رأى منهم شدة الشكيمة في العناد وقلة الاصغاء الى عرض الحجج خاشن وعارض ان رسولكم لمجنون بقوله ان كنتم تعقلون (فان قلت) ألم يكن لاسجننك أخصر من لاجعلنك من المسجونين ومؤديا مؤداه (قلت) أما أخصر فنعم وأما مؤد مؤداه فلا لان معناه لاجعلنك واحدا ممن عرفت حالهم في سجوني وكان من عادته أن يأخذ من يريد سجنه فيطرحه في هوة ذاهبة في الارض بعيدة العمق فردا لا يبصر فيها ولا يسمع فكان ذلك أشد من القتل وأشد * الواو في قوله (أولو جئتك) واو الحال دخلت عليها همزة الاستفهام معناه أتفعل بي ذلك ولو جئتك بشيء مبين أي جائيا بالمعجزة وفي قوله (ان كنت من الصادقين) أنك لا يأتي بالمعجزة

وما رب العالمين قال رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين قال لمن حوله ألا تستمعون قال ربكم ورب آبائكم الاولين قال ان رسولكم الذي أرسل اليكم لمجنون قال رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون قال لئن اتخذت الها غيري لاجعلنك من المسجونين قال أولو جئتك بشيء مبين قال فأت به ان كنت من الصادقين فألقى عصاه

* قوله تعالى حكاية عن فرعون قال فأت به ان كنت من الصادقين (قال فيه علم فرعون أنه لا يأتي بالمعجزة الا صادق في دعواه لان المعجزة تصديق من الله تعالى لمدعي النبوة والحكيم لا يصدق الكاذب ومن العجب ان فرعون لم يخف عليه هذا وخفي على طائفة من أهل القبلة حيث جوزوا القبيح على الله تعالى حتى لزمهم تصديق الكاذبين بالمعجزات انتهى كلامه) قال أحمد لقيته سلم وجه تضييقه من تأصيل هذه الاباطيل وكلف هذا التكلف في كيده لاهل السنة وان كيده لفي تضليل بيناهو يعرض بتفضيل فرعون عليهم اذا هو قد حتم على اخوانه القدرية أنهم فراعنة وان كلا منهم اذا فتش نفسه وجد فيها نصيبا من فرعنته حيث يقول أنا ربكم الاعلى لانهم يعتقدون أن أفعالهم خلقهم وانهم لها مبدعون خالقون كلا انهم لهم المبتدعون المختلقون لانهم حجروا على الله تعالى ان يفعل الا ما تواطأت أوهامهم على انه حسن بالنسبة الى الخلق في الشاهد فهن ثم أشركوا به وهم لا يشعرون ولما هدى الله تعالى أهل السنة الى التوحيد الحق اعتقدوا ان كل شيء هو مخلوق لله تعالى لا شريك له في ملكه وان كل ممكن يجوز ان ينظمه سلطان القدرة الازلية في سلكه فكان من الممكنات ان يبتلي الله عباده بخرق العادات على أيدي الكاذبين ومراده اظهار الضلالات وقد اندرج ذلك لكونه ممكنا تحت سطوة القدرة حقا يقينا ثم لم يلزم من ذلك لله الحمد خرق في الدين (١٢٣) فان توهم ناظر بعين الهوى والغرض مفتون عما في قلبه من مرض ان ذلك يجر الى عدم الوثوق بمعجزات الانبياء حيث كان على يد غيرهم من الكذابين الاشقياء قيل معاذ الله أن نأخذ ذلك بنفس مطمئنة بصدق الانبياء آمنة بحصول العلم لحاصل ووقوع ما يجوزه العقل ولو قدح الامكان العقلي في علم حاصل يقيني لزم الآن الشك في أن جبال الارض قد عادت تبرا أحمر وترابها مسكا أذفر وانقلبت البحار دما عبيطا لان ذلك ممكن في العقل بلا خلاف ولا يشكك نفسه في هذا الامكان الا ذو خبل وعته وعمى وعمه وأين الزمخشري من الحديث الصحيح في الشاب الذي يكذب الدجال فيقسمه بالسيف جزلتين فيمشي بينهما ثم يقول له عد فيعود حيا فيقول له ما ازددت فيك الا بصيرة أنت الدجال الذي وصفه لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيرميه ثاني مرة فلا يسلط عليه قال النبي صلى الله عليه وسلم وهو حينئذ خير أهل الارض أو من خير أهل الارض أفرأيت هذا المؤمن لما نظر انخراق العادة على يد أكذب الكاذبين حتى شاهد ذلك في نفسه لم يشككه ذلك في معلومه فلم يتلكأ في معاودة تكذيبه ولكن يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء * قوله تعالى قالوا أرجه وأخاه (قال معناه أخره ومنه المرجئة الذين لا يقطعون بوعيد الفساق ويقولون هم مرجون لامر الله) قال أحمد ضاقت عليه المسالك في تفسير الارجاء حتى استدل عليه بالمرجئة وصرف هذا اللقب لاهل السنة فانهم هم الذين لا يقطعون بوعيد فساق المؤمنين ويقولون أمرهم الى الله ان شاء عفا عنهم وان شاء غفر لهم فان كانت المرجئة هم المؤمنون بقوله تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء اللهم فاشهد أنا مرجئة

احبسه

فاذا هي ثعبان مبين ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين قال للملأ حوله ان هذا لساحر عليم يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرون قالوا أرجه وأخاه وابعث في المدائن

الا الصادق في دعواه لان المعجزة تصديق من الله لمدعي النبوة والحكيم لا يصدق الكاذب ومن العجب ان مثل فرعون لم يخف عليه هذا وخفي على ناس من أهل القبلة حيث جوزوا القبيح على الله تعالى حتى لزمهم تصديق الكاذبين بالمعجزات وتقديره ان كنت من الصادقين في دعواك أتيت به فحذف الجزاء لان الامر بالاتيان به يدل عليه (ثعبان مبين) ظاهر الثعبانية لا شيء يشبه الثعبان كما تكون الاشياء المزورة بالشعوذة والسحر وروي أنها انقلبت حية ارتفعت في السماء قدر ميل ثم انحطت مقبلة الى فرعون وجعلت تقول ياموسى مرني بما شئت ويقول فرعون أسألك بالذي أرسلك الا أخذتها فأخذها فعادت عصا (للناظرين) دليل على أن بياضها كان شيأ يجمع النظارة على النظر اليه لخروجه عن العادة وكان بياضا نوريا روي ان فرعون لما أبصر الآية الاولى قال فهل غيرها فأخرج يده فقال له ما هذه قال يدك فما فيها فأدخلها في ابطه ثم نزعها ولها شعاع يكاد يغشي الابصار ويسد الافق * (فان قلت) ما العامل في قوله (قلت) هو منصوب نصبين نصب في اللفظ ونصب في المحل فالعامل في النصب اللفظي ما يقدر في الظرف والعامل في النصب المحلي وهو النصب على الحال قال * ولقد تحير فرعون لما أبصر الآيتين وبقي لا يدري أي طرفيه أطول حتى زل عنه ذكر دعوى الالهية وحط عن منكبيه كبرياء الربوبية وارتعدت فرائصه وانتفخ سحره خوفا وفرقا وبلغت به الاستكانة لقومه الذين هم بزعمه عبيده وهو الههم أن طفق يؤامرهم ويعترف لهم بما حذر منه وتوقعه وأحس به من جهة موسى عليه السلام وغلبته على ملكه وأرضه وقوله (ان هذا لساحر عليم) قول باهت اذا غلب ومتمحل اذا ألزم (تأمرون) من المؤامرة وهي المشاورة أو من الامر الذي هو ضد النهي جعل العبيد آمرين وربهم مأمورا لما استولى عليه من فرط الدهش والحيرة * وماذا منصوب اما لكونه في معنى المصدر واما لانه مفعول به من قوله أمرتك الخير * قرئ أرجئه وأرجه بالهمز والتخفيف وهما لغتان يقال أرجأته وأرجيته اذا أخرته ومنه المرجئة وهم الذين لا يقطعون بوعيد الفساق ويقولون هم مرجون لامر الله والمعنى أخره ومناظرته لوقت اجتماع السحرة وقيل

احبسه (حاشرين) شرطا يحشرون السحرة وعارضوا قوله ان هذا الساحر بقولهم بكل سحار فجاؤا بكلمة الاحاطة وصفة المبالغة ليطامنوا من نفسه ويسكنوا بعض قلقه * وقرأ الاعمش بكل ساحر * اليوم المعلوم يوم الزينة وميقاته وقت الضحى لانه الوقت الذى وقته لهم موسى صلوات الله عليه من يوم الزينة فى قوله موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى والميقات ما وقت به أى حدد من زمان أو مكان ومنه مواقيت الاحرام (هل أنتم مجتمعون) استبطاء لهم فى الاجتماع والمراد منه استعجالهم واستحثاثهم كما يقول الرجل لغلامه هل أنت منطلق اذا أراد أن يحرك منه ويحثه على الانطلاق كأنما يخيل له أن الناس قد انطلقوا وهو واقف ومنه قول تأبط شرا هل أنت باعث دينار لحاجتنا * أو عبد رب أخا عون بن مخراق يريد ابعثه الينا سريعا ولا تبطئ به (لعلنا نتبع السحرة) أى فى دينهم ان غلبوا موسى ولا نتبع موسى فى دينه وليس غرضهم باتباع السحرة وانما الغرض الكلى أن لا يتبعوا موسى فساقوا الكلام مساق الكناية لانهم اذا اتبعوهم لم يكونوا متبعين لموسى عليه السلام * وقرئ نعم بالكسر وهما لغتان ولما كان قوله (ان لنا لاجرا) فى معنى جزاء الشرط لدلالته عليه وكان قوله (وانكم اذا لمن المقربين) معطوفا عليه ومدخلا فى حكمه دخلت اذا قارة فى مكانها الذى تقتضيه من الجواب والجزاء وعدهم أن يجمع لهم الى الثواب على سحرهم الذى قدروا وأنهم يغلبون به موسى القربة عنده والزلفى * أقسموا بعزة فرعون وهى من أيمان الجاهلية وهكذا كل حلف بغير الله ولا يصح فى الاسلام الا الحلف بالله معلقا ببعض أسمائه أو صفاته كقولك بالله والرحمن وربى ورب العرش وعزة الله وقدرة الله وجلال الله وعظمة الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحلفوا بآبائكم ولا بأمهاتكم ولا بالطواغيت ولا تحلفوا الا بالله ولا تحلفوا بالله الا وأنتم صادقون ولقد استحدث الناس فى هذا الباب فى اسلامهم جاهلية نسيت لها الجاهلية الاولى وذلك أن الواحد منهم لو أقسم باسماء الله كلها وصفاته على شئ لم يقبل منه ولم يعتد بها حتى يقسم برأس سلطانه فاذا أقسم به فتلك عندهم جهد اليمين التى ليس وراءها حلف لحالف (ما يأفكون) ما يقلبونه عن وجهه وحقيقته بسحرهم وكيدهم ويزورونه فيخيلون فى حبالهم وعصيهم أنها حيات تسعى بالتمويه على الناظرين أو افكهم سمى تلك الاشياء افكا مبالغة * روى أنهم قالوا ان يك ما جاء به موسى سحرا فلن يغلب وان كان من عند الله فلن يخفى علينا فلما قذف عصاه فتلقفت ما أتوا به علموا أنه من الله فآمنوا وعن عكرمة رضى الله عنه أصبحوا سحرة وأمسوا شهداء * وانما عبر عن الخرور بالالقاء لانه ذكر مع الالقاآت فسلك به طريق المشاكلة وفيه أيضا مع مراعاة المشاكلة أنهم حين رأوا ما رأوا لم يتمالكوا أن رموا بأنفسهم الى الارض ساجدين كأنهم أخذوا فطرحوا طرحا (فان قلت) فاعل الالقاء ما هو لو صرح به (قلت) هو الله عز وجل بما خولهم من التوفيق أو ايمانهم أو ما عاينوا من المعجزة الباهرة ولك أن لا تقدر فاعلا لان ألقوا بمعنى خروا وسقطوا (رب موسى وهرون) عطف بيان لرب العالمين لان فرعون لعنه الله كان يدعى الربوبية فأرادوا أن يعزلوه ومعنى اضافته اليهما فى ذلك المقام أنه الذى يدعو اليه هذان والذى أجرى على أيديهما ما أجرى (فلسوف تعلمون) أى وبال ما فعلتم * الضر والضير والضور واحد أرادوا لا ضرر علينا فى ذلك بل لنا فيه أعظم النفع لما يحصل لنا فى الصبر عليه لوجه الله من تكفير الخطايا والثواب العظيم مع الاعواض الكثيرة أو لا ضير علينا فيما تتوعدنا به من القتل أنه لا بد لنا من الانقلاب الى ربنا بسبب من أسباب الموت والقتل أهون أسبابه وأرجاها أو لا ضير علينا فى قتلك انك ان قتلتنا انقلبنا الى ربنا انقلاب من يطمع فى مغفرته ويرجو رحمته لما رزقنا من السبق الى الايمان وخبر لا محذوف والمعنى لا ضير فى ذلك أو علينا (أن كنا) معناه لان كنا وكانوا أول جماعة مؤمنين من أهل زمانهم أو من رعية فرعون أو من أهل المشهد وقرئ ان كنا بالكسر وهو من الشرط الذى يجئ به المدل بأمره المتحقق لصحته وهم كانوا متحققين أنهم أول المؤمنين ونظيره قول العامل لمن يؤخر جعله ان كنت عملت لك فوفنى حقى ومنه قوله تعالى ان كنتم خرجتم جهادا فى سبيلى وابتغاء مرضاتى مع علمه أنهم لم يخرجوا الا لذلك * وقرئ أسر بقطع الهمزة ووصلها واسر (انكم متبعون) علل الامر بالاسراء باتباع فرعون وجنوده

حاشرين يأتوك بكل سحار عليم فجمع السحرة لميقات يوم معلوم وقيل للناس هل أنتم مجتمعون لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أئن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم اذا لمن المقربين قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون فألقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبون فألقى موسى عصاه فاذا هى تلقف ما يأفكون فألقى السحرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون قال آمنتم له قبل أن آذن لكم انه لكبيركم الذى علمكم السحر فلسوف تعلمون لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم أجمعين قالوا لا ضير انا الى ربنا منقلبون انا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا ان كنا أول المؤمنين وأوحينا الى موسى أن أسر بعبادى انكم متبعون فأرسل فرعون فى المدائن حاشرين

* قوله تعالى ان هؤلاء لشرذمة قليلون (١٢٤) (قال قللهم من أربعة أوجه عبر عنهم بالشرذمة وهي تفيد القلة ثم وصفهم بالقلة وجمع وصفهم ليعلم أن كل حزب منهم قليل واختار جمع السلامة ليفيد القلة) قال أحمد ووجه آخر في تقليلهم يكون خامسا وهو أن جمع الصفة والموصوف مفرد قد يكون مبالغة في اتصافه بذلك الوصف

ان هؤلاء لشرذمة قليلون وانهم لنا لغائظون وانا لجميع حاذرون فأخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم كذلك وأورثناها بني اسرائيل فأتبعوهم مشرقين فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى انا لمدركون قال كلا ان معي ربي سيهدين فأوحينا الى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم وأزلفنا ثم الآخرين وأنجينا موسى ومن معه أجمعين ثم أغرقنا الآخرين

آثارهم والمعنى أني بنيت تدبير أمركم وأمرهم على أن تتقدموا ويتبعوكم حتى يدخلوا مدخلكم ويسلكوا مسلككم من طريق البحر فأطبقه عليهم فأهلكهم وروي أنه مات في تلك الليلة في كل بيت من بيوتهم ولد فاشتغلوا بموتاهم حتى خرج موسى بقومه وروي أن الله أوحى الى موسى أن اجمع بني اسرائيل كل أربعة أبيات في بيت ثم اذبحوا الجداء واضربوا بدمائها على أبوابكم فاني سآمر الملائكة أن لا يدخلوا بيتا على بابه دم وسآمرهم بقتل أبكار القبط واخبزوا خبزا فطيرا فانه أسرع لكم ثم أسر بعبادي حتى تنتهي الى البحر فيأتيك أمري فأرسل فرعون في أثره ألف ألف وخمسمائة ألف ملك مسوّر مع كل ملك ألف وخرج فرعون في جمع عظيم وكانت مقدمته سبعمائة ألف كل رجل على حصان وعلى رأسه بيضة وعن ابن عباس رضي الله عنهما خرج فرعون في ألف ألف حصان سوى الاناث فلذلك استقل قوم موسى عليه السلام وكانوا ستمائة ألف وسبعين ألفا وسماهم شرذمة قليلين (ان هؤلاء) محكي بعد قول مضمر * والشرذمة الطائفة القليلة ومنها قولهم ثوب شراذم للذي بلي وتقطع قطعا ذكرهم بالاسم الدال على القلة ثم جعلهم قليلا بالوصف ثم جمع القليل فجعل كل حزب منهم قليلا واختار جمع السلامة الذي هو للقلة وقد يجمع القليل على أقلة وقلل ويجوز أن يريد بالقلة الذلة والقماءة ولا يريد قلة العدد والمعنى أنهم لقلتهم لا يبالى بهم ولا يتوقع غلبتهم وعلوهم ولكنهم يفعلون أفعالا تغيظنا وتضيق صدورنا ونحن قوم من عادتنا التيقظ والحذر واستعمال الحزم في الأمور فاذا خرج علينا خارج سارعنا الى حسم فساده وهذه معاذير اعتذر بها الى أهل المدائن لئلا يظن به ما يكسر من قهره وسلطانه * وقرئ حذرون وحاذرون وحادرون بالدال غير المعجمة فالحذر اليقظ والحاذر الذي يجدد حذره وقيل المؤدي في السلاح وانما يفعل ذلك حذرا واحتياطا لنفسه والحادر السمين القوي قال

أحب الصبي السوء من أجل أمه * وأبغضه من بغضها وهو حادر

أراد أنهم أقوياء أشداء وقيل مدججون في السلاح قد كسبهم ذلك حدارة في أجسامهم * وعن مجاهد سماها كنوزا لأنهم لم ينفقوا منها في طاعة الله والمقام المكان يريد المنازل الحسنة والمجالس البهية وعن الضحاك المنابر وقيل السرر في الحجال (كذلك) يحتمل ثلاثة أوجه النصب على أخرجناهم مثل ذلك الاخراج الذي وصفناه والجر على أنه وصف لمقام أي مقام كريم مثل ذلك المقام الذي كان لهم والرفع على أنه خبر لمبتدا محذوف أي الأمر كذلك (فأتبعوهم) فلحقوهم وقرئ فاتّبعوهم (مشرقين) داخلين في وقت الشروق من شرقت الشمس شروقا اذا طلعت (سيهدين) طريق النجاة من ادراكهم واضرارهم * وقرئ فلما تراءت الفئتان انا لمدّركون بتشديد الدال وكسر الراء من ادّرك الشيء اذا تتابع ففني ومنه قوله تعالى بل ادّارك علمهم في الآخرة قال الحسن جهلوا علم الآخرة وفي معناه بيت الحماسة

أبعد بني أمي الذين تتابعوا * أرجّي الحياة أم من الموت أجزع

والمعنى انا لمتتابعون في الهلاك على أيديهم حتى لا يبقى منا أحد * الفرق الجزء المتفرق منه وقرئ كل فلق والمعنى واحد * والطود الجبل العظيم المنطاد في السماء (وأزلفنا ثم) حيث انفلق البحر (الآخرين) قوم فرعون أي قربناهم من بني اسرائيل أو أدنينا بعضهم من بعض وجمعناهم حتى لا ينجو منهم أحد أو قدمناهم الى البحر وقرئ وأزلقنا بالقاف أي أزللنا أقدامهم والمعنى أذهبنا عزهم كقوله

تداركتما عبسا وقد ثل عرشها * وذبيان اذ زلت بأقدامها النعل

ويحتمل أن يجعل الله طريقهم في البحر على خلاف ما جعله لبني اسرائيل يبسا فيزلقهم فيه * عن عطاء بن السائب أن جبريل عليه السلام كان بين بني اسرائيل وبين آل فرعون فكان يقول لبني اسرائيل ليلحق آخركم بأولكم ويستقبل القبط فيقول رويدكم يلحق آخركم فلما انتهى موسى الى البحر قال له مؤمن آل فرعون وكان بين يدي موسى أين أمرت فهذا البحر امامك وقد غشيك آل فرعون قال أمرت بالبحر ولا يدري موسى

بالموصوف وتناهيه فيه بالنسبة الى غيره من الموصوفين به كقولهم معا نجياع مبالغة في وصفه بالجوع وكذلك ههنا جمع قليلا وكان الأصل افراده فيقال لشرذمة قليلة كما أفرد في قوله كم من فئة قليلة ليدل بجمعه على تناهيهم في القلة ما لكن ينبغي النظر في أن هذا السر يبقى في الوجوه المذكورة على ما هي عليه أو يسقط منها شيئا أو يخلفه فتأمله والله الموفق

* قوله تعالى حكاية عن ابراهيم عليه السلام واذا مرضت فهو يشفين (قال انما أضاف المرض الى نفسه لان كثيرا منه

ما يصنع فأوحى الله تعالى اليه أن اضرب بعصاك البحر فضربه فصار فيه اثنا عشر طريقا لكل سبط طريق وروى أن يوشع قال يا كليم الله أين أمرت فقد غشينا فرعون والبحر أمامنا قال موسى ههنا فخاض يوشع الماء وضرب موسى بعصاه البحر فدخلوا وروى أن موسى قال عند ذلك يا من كان قبل كل شئ والمكون لكل شئ والكائن بعد كل شئ ويقال هذا البحر هو بحر القلزم وقيل هو بحر من وراء مصر يقال له اساف (ان في ذلك لآية) أية آية وآية لا توصف وقد عاينها الناس وشاع أمرها فيهم * وما تنبه عليها أكثرهم ولا آمن بالله وبنو اسرائيل الذين كانوا أصحاب موسى المخصوصين بالانجاء قد سألوا بقرة يعبدونها واتخذوا العجل وطلبوا رؤية الله جهرة (وان ربك لهو العزيز) المنتقم من أعدائه (الرحيم) بأوليائه * كان ابراهيم عليه السلام يعلم أنهم عبدة أصنام ولكنه سألهم ليريهم أن ما يعبدونه ليس من استحقاق العبادة في شئ كما تقول للتاجر ما مالك وأنت تعلم أن ماله الرقيق ثم تقول له الرقيق جمال وليس بمال * (فان قلت) (ما تعبدون) سؤال عن المعبود فحسب فكان القياس أن يقولوا أصناما كقوله تعالى ويسئلونك ماذا ينفقون قل العفو ماذا قال ربكم قالوا الحق ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا (قلت) هؤلاء قد جاؤا بقصة أمرهم كاملة كالمبتهجين بها والمفتخرين فاشتملت على جواب ابراهيم وعلى ما قصدوه من اظهار ما في نفوسهم من الابتهاج والافتخار ألا تراهم كيف عطفوا على قولهم نعبد (فنظل لها عاكفين) ولم يقتصروا على زيادة نعبد وحده ومثاله أن تقول لبعض الشطار ما تلبس في بلادك فيقول ألبس البرد الأتحمي فأجر ذيله بين جواري الحي وانما قالوا نظل لأنهم كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل * لا بد في (يسمعونكم) من تقدير حذف المضاف معناه هل يسمعون دعاءكم * وقرأ قتادة يسمعونكم أي هل يسمعونكم الجواب عن دعائكم وهل يقدرون على ذلك وجاء مضارعا مع ايقاعه في اذ على حكاية الحال الماضية ومعناه استحضروا الأحوال الماضية التي كنتم تدعونها فيها وقولوا هل سمعوا أو أسمعوا قط وهذا أبلغ في التبكيت * لما أجابوه بجواب المقلدين لآبائهم قال لهم رقوا أمر تقليدكم هذا الى أقصى غاياته وهي عبادة الأقدمين الأولين من آبائكم فان التقدم والأولية لا يكون برهانا على الصحة والباطل لا ينقلب حقا بالقدم وما عبادة من عبد هذه الأصنام الا عبادة أعداء له ومعنى العداوة قوله تعالى كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا ولأن المغرى على عبادتها أعدى أعداء الانسان وهو الشيطان وانما قال (عدو لي) تصويرا للمسئلة في نفسه على معنى أني فكرت في أمري فرأيت عبادتي لها عبادة للعدو فاجتنبتها وآثرت عبادة من الخير كله منه وأراهم بذلك أنها نصيحة نصح بها نفسه أولا وبنى عليها تدبير أمره لينظروا فيقولوا ما نصحنا ابراهيم الا بما نصح به نفسه وما أراد لنا الا ما أراد لروحه ليكون أدعى لهم الى القبول وأبعث على الاستماع منه ولو قال فانه عدو لكم لم يكن بتلك المثابة ولأنه دخل في باب من التعريض وقد يبلغ التعريض للمنصوح ما لا يبلغه التصريح لأنه يتأمل فيه فربما قاده التأمل الى التقبل ومنه ما يحكى عن الشافعي رضي الله تعالى عنه أن رجلا واجهه بشئ فقال لو كنت بحيث أنت لاحتجت الى أدب وسمع رجل ناسا يتحدثون في الحجر فقال ما هو بيتي ولا بيتكم والعدو والصديق يجيئان في معنى الوحدة والجماعة قال

وقوم علي ذوي مئرة * أراهم عدوا وكانوا صديقا

ومنه قوله تعالى وهم لكم عدو شبها بالمصادر للموازنة كالقبول والولوع والحنين والصهيل (الا رب العالمين) استثناء منقطع كأنه قال ولكن رب العالمين (فهو يهدين) يريد أنه حين أتم خلقه ونفخ فيه الروح عقب ذلك هدايته المتصلة التي لا تنقطع الى كل ما يصلحه ويعنيه والا فمن هداه الى أن يغتذي بالدم في البطن امتصاصا ومن هداه الى معرفة الثدي عند الولادة والى معرفة مكانه ومن هداه لكيفية الارتضاع الى غير ذلك من هدايات المعاش والمعاد * وانما قال (مرضت) دون أمرضني لأن كثيرا من أسباب المرض يحدث بتفريط من الانسان في مطاعمه ومشاربه وغير ذلك ومن ثم قالت الحكماء لو قيل لأكثر الموتى ما سبب

بتفريط الانسان في مطعمه ومشربه) قال أحمد والذي ذكره غير الزمخشري أن

ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم واتل عليهم نبأ ابراهيم اذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين قال هل يسمعونكم اذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون فانهم عدو لي الا رب العالمين الذي خلقني فهو يهدين والذي هو يطعمني ويسقين واذا مرضت فهو يشفين والذي يميتني ثم يحيين والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين رب هب لي حكما وألحقني بالصالحين واجعل لي لسان صدق في الآخرين واجعلني من ورثة جنة النعيم واغفر لأبي انه كان من الضالين ولا تخزني يوم

السر في اضافة المرض الى نفسه التأدب مع الله تعالى بتخصيصه بنسبة الشفاء الذي هو نعمة ظاهرة اليه تعالى ولعل الزمخشري انما عدل عن هذا لان ابراهيم عليه السلام قد أضاف الاماتة الى الله تعالى وهي أشد من المرض فلم يثبت عنده المعنى المذكور ولكن المعنى الذي أبداه الزمخشري أيضا في المرض منكسر بالموت فان المرض

آبائكم لقالوا الخصم * وقرئ خطاياي والمراد ما يندر منه من بعض الصغائر لان الانبياء معصومون مختارون على العالمين وقيل هي قوله اني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم وقوله لسارة هي أختي وما هي الا معاريض كلام وتخييلات للكفرة وليست بخطايا يطلب لها الاستغفار (فان قلت) اذا لم يندر منهم الا الصغائر وهي تقع مكفرة فما له أثبت لنفسه خطيئة أو خطايا وطمع أن تغفر له (قلت) الجواب ما سبق لي أن استغفار الانبياء تواضع منهم لربهم وهضم لانفسهم ويدل عليه قوله أطمع ولم يجزم القول بالمغفرة وفيه تعليم لأممهم وليكون لطفا لهم في اجتناب المعاصي والحذر منها وطلب المغفرة مما يفرط منهم (فان قلت) لم علق مغفرة الخطيئة بيوم الدين وانما تغفر في الدنيا (قلت) لان أثرها يتبين يومئذ وهو الآن خفي لا يعلم * الحكم الحكمة أو الحكم بين الناس بالحق وقيل النبوة لان النبي ذو حكمة وذو حكم بين عباد الله * والالحاق بالصالحين أن يوفقه لعمل ينتظم به في جملتهم أو يجمع بينه وبينهم في الجنة ولقد أجابه حيث قال وانه في الآخرة لمن الصالحين * والاخزاء من الخزي وهو الهوان ومن الخزاية وهي الحياء وهذا أيضا من نحو استغفارهم مما علموا أنه مغفور وفي (يبعثون) ضمير العباد لانه معلوم أو ضمير الضالين وأن يجعل من جملة الاستغفار لابيه يعني ولا تخزني يوم يبعث الضالون وأبي فيهم (الا من أتى الله) الا حال من أتى الله (بقلب سليم) وهو من قولهم

* تحية بينهم ضرب وجيع * وما ثوابه الا السيف وبيانه أن يقال لك هل لزيد مال وبنون فتقول ماله وبنوه سلامة قلبه تريد نفي المال والبنين عنه واثبات سلامة القلب له بدلا عن ذلك وان شئت حملت الكلام على المعنى وجعلت المال والبنين في معنى الغنى كأنه قيل يوم لا ينفع غنى الا غنى من أتى الله بقلب سليم لان غنى الرجل في دينه بسلامة قلبه كما أن غناه في دنياه بماله وبنيه ولك أن تجعل الاستثناء منقطعا ولا بد لك مع ذلك من تقدير المضاف وهو الحال والمراد بها سلامة القلب وليست هي من جنس المال والبنين حتى يؤول المعنى الى أن المال والبنين لا ينفعان وانما ينفع سلامة القلب ولو لم يقدر المضاف لم يتحصل للاستثناء معنى وقد جعل من مفعولا لينفع أي لا ينفع مال ولا بنون الا رجلا سلم قلبه مع ماله حيث أنفقه في طاعة الله ومع بنيه حيث أرشدهم الى الدين وعلمهم الشرائع ويجوز على هذا الا من أتى الله بقلب سليم من فتنة المال والبنين ومعنى سلامة القلب سلامته من آفات الكفر والمعاصي ومما أكرم الله تعالى به خليله ونبه على جلالة محله في الاخلاص أن حكى استثناءه هذا حكاية راض باصابته فيه ثم جعله صفة له في قوله وان من شيعته لابراهيم اذ جاء ربه بقلب سليم ومن بدع التفاسير تفسير بعضهم السليم باللديغ من خشية الله وقول آخر هو الذي سلم وسلم وأسلم وسالم واستسلم وما أحسن ما رتب ابراهيم عليه السلام كلامه مع المشركين حين سألهم أولا عما يعبدون سؤال مقرر لا مستفهم ثم أنحى على آلهتهم فأبطل أمرها بانها لا تضر ولا تنفع ولا تبصر ولا تسمع وعلى تقليدهم آباءهم الاقدمين فكسره وأخرجه من أن يكون شبهة فضلا أن يكون حجة ثم صور المسألة في نفسه دونهم حتى تخلص منها الى ذكر الله عز وعلا فعظم شأنه وعدد نعمته من لدن خلقه وانشائه الى حين وفاته مع ما يرجى في الآخرة من رحمته ثم أتبع ذلك أن دعا بدعوات المخلصين وابتهل اليه ابتهال الاوابين ثم وصله بذكر يوم القيامة وثواب الله وعقابه وما يدفع اليه المشركون يومئذ من الندم والحسرة على ما كانوا فيه من الضلال وتمني الكرة الى الدنيا ليؤمنوا ويطيعوا * الجنة تكون قريبة من موقف السعداء ينظرون اليها ويغتبطون بأنهم المحشورون اليها والنار تكون بارزة مكشوفة للاشقياء بمرأى منهم يتحسرون على أنهم المسوقون اليها قال الله تعالى وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد وقال فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا * يجمع عليهم الغموم كلها والحسرات فتجعل النار بمرأى منهم فيهلكون غما في كل لحظة ويوبخون على اشراكهم فيقال لهم أين آلهتكم هل ينفعونكم بنصرتهم لكم أو هل ينفعون أنفسهم بانتصارهم لانهم وآلهتهم وقود النار وهو قوله (فكبكبوا فيها هم) أي الآلهة (والغاوون) وعبدتهم الذين برزت لهم الجحيم * والكبكبة تكرير الكب جعل التكرير في اللفظ دليلا على التكرير

يبعثون يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم وأزلفت الجنة للمتقين وبرزت الجحيم للغاوين وقيل لهم أينما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم أو ينتصرون فكبكبوا فيها هم والغاوون

كما يكون بسبب تفريط الانسان في نفسه كذلك الموت الناشئ عن سبب هذا المرض الذي يكون بتفريط الانسان وقد أضافه الى الله تعالى ويمكن أن يفرق بين نسبة الموت ونسبة المرض في مقتضى الادب بان الموت قد علم واشتهر انه قضاء محتوم من الله تعالى على سائر البشر وحكم عام لا يخص ولا كذلك المرض فكم من معافى منه قد يفجؤه الموت فالتأسي بعموم الموت لعله يسقط أثر كونه بلاء فيسوغ في الادب نسبته الى الله تعالى وأما المرض فلما كان مما يخص به بعض البشر دون بعض كان بلاء مخصوصا فاقتضى العلو في الادب مع الله تعالى ان ينسبه الانسان الى نفسه باعتبار ذلك السبب الذي لا يخلو منه ويقوي ذلك ان كل ما ذكره مع المرض أخبر عن وقوعه ناجزا وجزما لانه أمر لا بد منه وأما المرض فلما كان قد يتفق وقد لا أورده مقرونا بالشرط اذ قال واذا مرضت وكان يمكن أن يقول والذي أمرضني في يمكن حاجة ... فما عدل عن المطابقة المجانسة المأثورة الا لذلك والله أعلم

في

*قوله تعالى فما لنا من شافعين ولا صديق حميم (قال انما جمع الشافعون ووحد الصديق لكثرة الشفعاء فى العادة اذا نزل بانسان خطب من يعرفه ومن لا يعرفه وأما الصديق فقليل) قال أحمد العجب ان الصديق يقع على الواحد وعلى الجمع فما الدليل على ارادة الافراد ثم لو كان المراد الافراد لكان أعم لانه فى سياق النفى فينفى الواحد فما زاد عليه الى ما لا نهاية له والله أعلم *قوله تعالى كذبت قوم نوح المرسلين (قال المراد نوح كما تقول فلان يركب الدواب ويلبس البرود وماله الا دابة وبرد) قال أحمد لا حاجة الى تأويل الجمع بالواحد ههنا مع القطع بأن كل من كذب رسولا واحدا فقد كذب بجميع الرسل لانه ما من نبى الا ويستند صدقه الى المعجزة الدالة على الصدق فقد كذبوا كل من استند صدقه الى دليل المعجزة وكذلك وقعت الاشارة بقوله تعالى لا نفرق بين أحد من رسله لان التفرقة بينهم توجب تكذيب الكل وتصديق واحد يوجب تصديق الكل والله أعلم

وجنود ابليس أجمعون قالوا وهم فيها يختصمون تالله ان كنا لفى ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين وما أضلنا الا المجرمون فما لنا من شافعين ولا صديق حميم فلو أن لنا كرة فنكون من المؤمنين ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت قوم نوح المرسلين اذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون انى لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين فاتقوا الله وأطيعون قالوا أنؤمن لك واتبعك الارذلون قال وما علمى بما كانوا يعملون ان حسابهم الا على ربى

المعنى كأنه اذا ألقى فى جهنم ينكب مرة بعد مرة حتى يستقر فى قعرها اللهم أجرنا منها ياخير مستجار (وجنود ابليس) شياطينه أو متبعوه من عصاة الجن والانس *يجوز أن ينطق الله الاصنام حتى يصح التقاول والتخاصم ويجوز أن يجرى ذلك بين العصاة والشياطين *والمراد بالمجرمين الذين أضلوهم رؤساؤهم وكبراؤهم كقوله ربنا انا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا وعن السدى الاولون الذين اقتدينا بهم وعن ابن جريج ابليس وابن آدم القاتل لانه أول من سن القتل وأنواع المعاصى (فما لنا من شافعين) كما نرى المؤمنين لهم شفعاء من الملائكة والنبيين (ولا صديق) كما نرى لهم أصدقاء لانه لا يتصادق فى الآخرة الا المؤمنون وأما أهل النار فبينهم التعادى والتباغض قال الله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين أو فما لنا من شافعين ولا صديق حميم من الذين كنا نعدهم شفعاء وأصدقاء لانهم كانوا يعتقدون فى أصنامهم أنهم شفعاؤهم عند الله وكان لهم الاصدقاء من شياطين الانس أو أرادوا أنهم وقعوا فى مهلكة علموا أن الشفعاء والاصدقاء لا ينفعونهم ولا يدفعون عنهم فقصدوا بنفيهم نفى ما يتعلق بهم من النفع لان ما لا ينفع حكمه حكم المعدوم *والحميم من الاحتمام وهو الاهتمام وهو الذى يهمه ما يهمك أو من الحامة بمعنى الخاصة وهو الصديق الخاص (فان قلت) لم جمع الشافع ووحد الصديق (قلت) لكثرة الشفعاء فى العادة وقلة الصديق ألا ترى ان الرجل اذا امتحن بارهاق ظالم نهضت جماعة وافرة من أهل بلده لشفاعته رحمة له وحسبة وان لم يسبق له بأكثرهم معرفة وأما الصديق وهو الصادق فى ودادك الذى يهمه ما أهمك فأعز من بيض الانوق وعن بعض الحكماء أنه سئل عن الصديق فقال اسم لا معنى له ويجوز أن يريد بالصديق الجمع *الكرة الرجعة الى الدنيا *ولو فى مثل هذا الموضع فى معنى التمنى كأنه قيل فليت لنا كرة وذلك لما بين معنى لو وليت من التلاقى فى التقدير ويجوز أن تكون على أصلها ويحذف الجواب وهو لفعلنا كيت وكيت *القوم مؤنثة وتصغيرها قويمة *ونظير قوله (المرسلين) والمراد نوح عليه السلام قولك فلان يركب الدواب ويلبس البرود وماله الا دابة وبرد *قيل أخوهم لانه كان منهم من قول العرب يا أخا بنى تميم يريدون يا واحدا منهم ومنه بيت الحماسة

لا يسألون أخاهم حين يندبهم * فى النائبات على ما قال برهانا

*كان أمينا فيهم مشهورا بالامانة كمحمد صلى الله عليه وسلم فى قريش (وأطيعون) فى نصحى لكم وفى ما أدعوكم اليه من الحق (عليه) على هذا الامر وعلى ما أنا فيه يعنى دعاءه ونصحه ومعنى فاتقوا الله وأطيعون فاتقوا الله فى طاعتى وكرره ليؤكده عليهم ويقرره فى نفوسهم مع تعليق كل واحد منهما بعلة جعل علة الاول كونه أمينا فيما بينهم وفى الثانى حسم طمعه عنهم *وقرئ وأتباعك جمع تابع كشاهد وأشهاد أو جمع تبع كبطل وأبطال والواو للحال وحقها أن يضمر بعدها قد فى واتبعك *وقد جمع الارذل على الصحة وعلى التكسير فى قوله الذين هم أراذلنا والرذالة والنذالة الخسة والدناءة وانما استرذلوهم لاتضاع نسبهم وقلة نصيبهم من الدنيا وقيل كانوا من أهل الصناعات الدنية كالحياكة والحجامة والصناعة لا تزرى بالديانة وهكذا كانت قريش تقول فى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وما زالت أتباع الانبياء كذلك حتى صارت من سماتهم وأماراتهم ألا ترى الى هرقل حين سأل أبا سفيان عن اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قال ضعفاء الناس وأراذلهم قال ما زالت أتباع الانبياء كذلك وعن ابن عباس رضى الله عنهما هم الغاغة وعن عكرمة الحاكة والاساكفة وعن مقاتل السفلة (وما علمى) وأى شئ علمى والمراد انتفاء علمه باخلاص أعمالهم لله واطلاعه على سر أمرهم وباطنه وانما قال هذا لانهم قد طعنوا مع استرذالهم فى ايمانهم وأنهم

* قوله تعالى أتبنون بكل ريع آية تعبثون (قال كانوا يهتدون في أسفارهم بالنجوم فاتخذوا في طرقهم أعلاما فعبثوا بذلك اذ النجوم فيها غنية عنه وقيل المراد القصور المشيدة وقيل بروج الحمام) قال أحمد وتأويلها على القصور أظهر وقد ورد ذم ذلك على لسان نبينا صلى الله عليه وسلم حيث وصف الكائنين آخر الزمان بأنهم يتطاولون في البنيان وما أحسن قول مالك رضي الله عنه ولا يصلي الامام على شيء أرفع مما عليه أصحابه كالدكة تكون مرتفعة في المحراب ارتفاعا كبيرا لانهم يعبثون فعبر عن ترفعهم الى المحراب على سبيل التكبر وتطاولهم المأمومين بالعبث كتعبيره هو صلوات الله عليه وسلامه عن ترفع قومه في البنيان بالعبث وأما تأويل الآية على اتخاذهم الأعلام في

لم يؤمنوا عن نظر وبصيرة وانما آمنوا هوى وبديهة كما حكى الله عنهم في قوله الذين هم أراذلنا بادي الرأي ويجوز أن يتغابى لهم نوح عليه السلام فيفسر قولهم الارذلين بما هو الرذالة عنده من سوء الأعمال وفساد العقائد ولا يلتفت الى ما هو الرذالة عندهم ثم يبني جوابه على ذلك فيقول ما علي الا اعتبار الظواهر دون التفتيش عن أسرارهم والشق عن قلوبهم وان كان لهم عمل سيء فالله محاسبهم ومجازيهم عليه وما أنا الا منذر لا محاسب ولا مجاز (لو تشعرون) ذلك ولكنكم تجهلون فتنساقون مع الجهل حيث سيركم وقصد بذلك رد اعتقادهم وانكار أن يسمى المؤمن رذلا وان كان أفقر الناس وأوضعهم نسبا فان الغنى غنى الدين والنسب نسب التقوى (وما أنا بطارد المؤمنين) يريد ليس من شأني أن أتبع شهواتكم وأطيب نفوسكم بطرد المؤمنين الذين صح ايمانهم طمعا في ايمانكم وما علي الا أن أنذركم انذارا بينا بالبرهان الصحيح الذي يتميز به الحق من الباطل ثم أنتم أعلم بشأنكم * ليس هذا باخبار بالتكذيب لعلمه أن عالم الغيب والشهادة أعلم ولكنه أراد أني لا أدعوك عليهم لما غاظوني وآذوني وانما أدعوك لأجلك ولأجل دينك ولأنهم كذبوني في وحيك ورسالتك * فاحكم (بيني وبينهم) والفتاحة الحكومة والفتاح الحاكم لأنه يفتح المستغلق كما سمي فيصلا لأنه يفصل بين الخصومات * الفلك السفينة وجمعه فلك قال الله تعالى وترى الفلك فيه مواخر فالواحد بوزن قفل والجمع بوزن أسد كسروا فعلا على فعل كما كسروا فعلا على فعل لأنهما أخوان في قولك العرب والعرب والرشد والرشد فقالوا أسد وأسد وفلك وفلك ونظيره بعير هجان وابل هجان ودرع دلاص ودروع دلاص فالواحد بوزن كناز والجمع بوزن كرام * والمشحون المملوء يقال شحنها عليهم خيلا ورجالا * قرئ بكل ريع بالكسر والفتح وهو المكان المرتفع قال المسيب بن علس

في الآل يرفعها ويخفضها * ريع يلوح كأنه سحل

ومنه قولهم كم ريع أرضك وهو ارتفاعها * والآية العلم وكانوا ممن يهتدون بالنجوم في أسفارهم فاتخذوا في طرقهم أعلاما طوالا فعبثوا بذلك لأنهم كانوا مستغنين عنها بالنجوم وعن مجاهد بنوا بكل ريع بروج الحمام * والمصانع مآخذ الماء وقيل القصور المشيدة والحصون (لعلكم تخلدون) ترجون الخلود في الدنيا أو تشبه حالكم حال من يخلد وفي حرف أبي كأنكم * وقرئ تخلدون بضم التاء مخففا ومشددا (واذا بطشتم) بسوط أو سيف * كان ذلك ظلما وعلوا وقيل الجبار الذي يقتل ويضرب على الغضب وعن الحسن تبادرون تعجيل العذاب لا تتثبتون متفكرين في العواقب * بالغ في تنبيههم على نعم الله حيث أجملها ثم فصلها مستشهدا بعلمهم وذلك أنه أيقظهم عن سنة غفلتهم عنها حين قال (أمدكم بما تعلمون) ثم عددها عليهم وعرفهم المنعم بتعديد ما يعلمون من نعمته وأنه كما قدر أن يتفضل عليكم بهذه النعمة فهو قادر على الثواب والعقاب فاتقوه ونحوه قوله تعالى ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد * (فان قلت) كيف قرن البنين بالأنعام (قلت) هم الذين يعينونهم على حفظها والقيام عليها * (فان قلت) لو قيل (أوعظت) أم لم تعظ كان أخصر والمعنى واحد (قلت) ليس المعنى بواحد وبينهما فرق لأن المراد سواء علينا أفعلت هذا الفعل الذي هو الوعظ أم لم تكن أصلا

لو تشعرون وما أنا بطارد المؤمنين ان أنا الا نذير مبين قالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين قال رب ان قومي كذبون فافتح بيني وبينهم فتحا ونجني ومن معي من المؤمنين فأنجيناه ومن معه في الفلك المشحون ثم أغرقنا بعد الباقين ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت عاد المرسلين اذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون اني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر ان أجري الا على رب العالمين أتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون واذا بطشتم بطشتم جبارين فاتقوا الله وأطيعون واتقوا الذي أمدكم بما تعلمون أمدكم بأنعام وبنين وجنات وعيون اني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين ان هذا الا خلق الأولين وما نحن بمعذبين فكذبوه فأهلكناهم ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت ثمود المرسلين اذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون اني لكم رسول أمين

الطرقات وقد كانت لهم بالنجوم كفاية فنسبه بعدم من حيث ان الحاجة تدعو الى ذلك لغيم مطبق وما يجري مجراه ولو وضع هذا في زماننا اليوم لهذا القصد لم يكن عبثا والله أعلم

من أهله ومباشر به فهو أبلغ في قلة اعتداده بهم وعظه من قولك أم لم تعظ * من قرأ خلق الأولين بالفتح فمعناه
أن ما جئت به اختلاق الأولين وتخرصهم كما قالوا أساطير الأولين أو ما خلقنا هذا إلا خلق القرون الخالية
نحيا كما حيوا ونموت كما ماتوا ولا بعث ولا حساب ومن قرأ خلق بضمتين وبواحدة فمعناه ما هذا الذي نحن عليه
من الدين إلا خلق الأولين وعادتهم كانوا يدينونه ويعتقدونه ونحن بهم مقتدون أو ما هذا الذي نحن عليه من
الحياة والموت إلا عادة لم يزل عليها الناس في قديم الدهر أو ما هذا الذي جئت به من الكذب إلا عادة الأولين
كانوا يلفقون مثله ويسطرونه (أتتركون) يجوز أن يكون إنكارا لأن يتركوا مخلدين في نعيمهم لا يزالون
عنه وأن يكون تذكيرا بالنعمة في تخلية الله إياهم وما يتنعمون فيه من الجنات وغير ذلك مع الأمن والدعة (فيما
ههنا) في الذي استقر في هذا المكان من النعيم ثم فسره بقوله (في جنات وعيون) وهذا أيضا إجمال ثم تفصيل
* (فإن قلت) لم قال (ونخل) بعد قوله في جنات والجنة تتناول النخل أول شيء كما يتناول النعم الإبل كذلك من
بين الأزواج حتى إنهم ليذكرون الجنة ولا يقصدون إلا النخيل كما يذكرون النعم ولا يريدون إلا الإبل قال
زهير تسقي جنة سحقا (قلت) فيه وجهان أن يخص النخل بإفراده بعد دخوله في جملة سائر الشجر تنبيها على
انفراده عنها بفضله عليها وأن يريد بالجنات غيرها من الشجر لأن اللفظ يصلح لذلك ثم يعطف عليها النخل *
الطلعة هي التي تطلع من النخلة كنصل السيف في جوفه شماريخ القنو والقنو اسم للخارج من الجذع كما هو
بعرجونه وشماريخه * والهضيم اللطيف الضامر من قولهم كشح هضيم وطلع إناث النخل فيه لطف وفي طلع
الفحاحيل جفاء وكذلك طلع البرني ألطف من طلع اللون فذكرهم نعمة الله في أن وهب لهم أجود النخل
وأنفعه لأن الإناث ولادة التمر والبرني أجود التمر وأطيبه ويجوز أن يريد أن نخيلهم أصابت جودة المنابت
وسعة الماء وسلمت من العاهات فحملت الحمل الكثير وإذا كثر الحمل هضم وإذا قل جاء فاخرا وقيل الهضيم
اللين النضيج كأنه قال ونخل قد أرطب ثمره * وقرأ الحسن وتنحتون بفتح الحاء وقرئ فرهين وفارهين والفراهة
الكيس والنشاط ومنه خيل فرهة * استعير لامتثال الأمر وارتسامه طاعة الآمر المطاع أو جعل الأمر
مطاعا على المجاز الحكمي والمراد الآمر ومنه قولهم لك علي إمرة مطاعة وقوله تعالى وأطيعوا أمري (فإن
قلت) ما فائدة قوله (ولا يصلحون) (قلت) فائدته أن فسادهم فساد مصمت ليس معه شيء من الصلاح كما
تكون حال بعض المفسدين مخلوطة ببعض الصلاح * المسحر الذي سحر كثيرا حتى غلب على عقله وقيل هو
من السحر الرئة وأنه بشر * الشرب النصيب من الماء نحو السقي والقيت للحظ من السقي والقوت وقرئ
بالضم روي أنهم قالوا نريد ناقة عشراء تخرج من هذه الصخرة فتلد سقبا فقعد صالح يتفكر فقال له جبريل
عليه السلام صل ركعتين وسل ربك الناقة ففعل فخرجت الناقة وبركت بين أيديهم ونتجت سقبا مثلها في
العظم وعن أبي موسى رأيت مصدرها فإذا هو ستون ذراعا وعن قتادة إذا كان يوم شربها شربت ماءهم كله
ولهم شرب يوم لا تشرب فيه الماء (بسوء) بضرب أو عقر أو غير ذلك * عظم اليوم لحلول العذاب فيه ووصف
اليوم به أبلغ من وصف العذاب لأن الوقت إذا عظم بسببه كان موقعه من العظم أشد * وروي أن مسطعا
ألجأها إلى مضيق في شعب فرماها بسهم فأصاب رجلها فسقطت ثم ضربها قدار وروي أن عاقرها قال
لا أعقرها حتى ترضوا أجمعين فكانوا يدخلون على المرأة في خدرها فيقولون أترضين فتقول نعم وكذلك
صبيانهم * (فإن قلت) لم أخذهم العذاب وقد ندموا (قلت) لم يكن ندمهم ندم تائبين ولكن ندم خائفين أن
يعاقبوا على العقر عقابا عاجلا كمن يرى في بعض الأمور رأيا فاسدا ويبني عليه ثم يندم ويتحسر كندامة
الكسعي أو ندموا ندم تائبين ولكن في غير وقت التوبة وذلك عند معاينة العذاب وقال الله تعالى وليست
التوبة للذين يعملون السيئات الآية وقيل كانت ندامتهم على ترك الولد وهو بعيد * واللام في العذاب
إشارة إلى عذاب يوم عظيم * أراد بالعالمين الناس أي أتأتون من بين أولاد آدم عليه السلام على فرط كثرتهم
وتفاوت أجناسهم وغلبة إناثهم على ذكورهم في الكثرة ذكرانهم كأن الإناث قد أعوزتكم أو أتأتون أنتم من
بين من عداكم من العالمين الذكران يعني أنكم يا قوم لوط وحدكم مختصون بهذه الفاحشة والعالمون في هذا

فاتقوا الله وأطيعون
وما أسألكم عليه من
أجر إن أجري إلا على
رب العالمين أتتركون
في ما ههنا آمنين في
جنات وعيون وزروع
ونخل طلعها هضيم
وتنحتون من الجبال
بيوتا فارهين فاتقوا الله
وأطيعون ولا تطيعوا
أمر المسرفين الذين
يفسدون في الأرض
ولا يصلحون قالوا إنما
أنت من المسحرين
ما أنت إلا بشر مثلنا
فأت بآية إن كنت من
الصادقين قال هذه
ناقة لها شرب ولكم
شرب يوم معلوم ولا
تمسوها بسوء فيأخذكم
عذاب يوم عظيم فعقروها
فأصبحوا نادمين
فأخذهم العذاب
إن في ذلك لآية وما
كان أكثرهم مؤمنين
وإن ربك لهو العزيز
الرحيم كذبت قوم لوط
المرسلين إذ قال لهم
أخوهم لوط ألا تتقون
إني لكم رسول أمين
فاتقوا الله وأطيعون
وما أسألكم عليه من
أجر إن أجري إلا على
رب العالمين أتأتون
الذكران من العالمين
وتذرون ما خلق لكم
ربكم من

*قوله تعالى أتأتون الذكران من العالمين وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون (قال يحتمل أن يكون من أزواجكم بيانا لما خلق وأن يكون للتبعيض ويراد به العضو المباح منهن وفي قراءة ابن مسعود ما أصلح لكم ربكم من أزواجكم فكأنهم كانوا يفعلون ذلك بنسائهم) قال أحمد وقد أشار الزمخشري بهذه الاشارة الى الاستدلال بهذه الآية على حظر اتيان المرأة في غير المأتى وبيانه ان من لو كانت بيانا لكان المعنى حينئذ على ذمهم بترك الازواج ولا شك ان ترك الازواج مضموم الى اتيان الذكران وحينئذ يكون المنكر عليهم الجمع بين ترك الازواج واتيان الذكران لا أن ترك الازواج وحده منكر ولو كان الامر كذلك لكان النصب في الثاني متوجها على الجمع وكان اما الافصح أو المتعين وقد اجتمعت العامة على القراءة به مرفوعا ولا يتفقون على ترك الافصح الى ما لا مدخل له في الفصاحة أو في الجواز أصلا فلما وضح ذلك تبين ان هذا المعنى غير مراد فيتعين حمل من على التبعيضية فيكون المنكر عليهم أمرين كل واحد منهما مستقل بالانكار أحدهما اتيان الذكران والثاني مجانبة اتيان النساء في المأتى رغبة في اتيانهن في غيره وحينئذ يتوجه الرفع لفوات الجمع اللازم على الوجه الاول واستقلال كل واحد من هاتين العظيمتين بالنكير والله الموفق *قوله تعالى قالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين (قال أي من جملة من أخرجناه (١٣٠) ولعلهم كانوا يخرجون من أخرجوه على أسوا حال من تعنيف به واحتباس لاملاكه واشباه ذلك) قال أحمد وكثيرا ما ورد في القرآن خصوصا في هذه السورة العدول عن التعبير بالفعل الى التعبير بالصفة المشتقة ثم جعل الموصوف بها واحدا من جمع كقول فرعون لأجعلنك من المسجونين وقولهم سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين وقولهم لتكونن من المرجومين وقوله اني لعملكم من القالين شذاذ وقوله تعالى في غيرها رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وكذلك ذرنا نكن مع القاعدين وأمثاله كثيرة والسر في ذلك والله أعلم ان التعبير بالفعل انما يفهم وقوعه خاصة وأما التعبير بالصفة ثم جعل الموصوف بها واحدا من جمع فانه ينبه على أمر زائد على وقوعه وهو أن الصفة المذكورة كالسمة للموصوف ثابتة العلوق به كأنها لقب وكأنه من طائفة صارت كالنوع المخصوص المشهور ببعض السمات الرديئة واعتبر ذلك لو قلت رضوا بأن يتخلفوا لما كان في ذلك مزيد على الاخبار بوقوع التخلف منهم لا غير وانظر الى المساق وهو قوله رضوا بأن يكونوا مع الخوالف كيف ألحقهم لقبا رديا وصيرهم من نوع رذل مشهور بسمة التخلف حتى صارت له لقبا لاصقا به وهذا الجواب عام في جميع ما يرد عليك من أمثال ذلك فتأمله واقدره قدره والله الموفق للصواب *قوله تعالى الا عجوزا في الغابرين (قال الغبور صفتها كأنه قيل الا عجوزا غابرة ولم يكن الغبور صفتها وقت تنجيتهم فالمعنى هذا الا عجوزا مقدرا غبورها أي في الهلاك والعذاب) قال أحمد وان تجلت برفع القاعدة الممهدة آنفا فاعلم ان السر الذي اقتضى العدول عن أن يقول مثلا الا عجوزا غابرة الى ما ذكر في التلاوة ان المذكور في التلاوة يقتضي الاسجال عليها بأنها من أمة موسومين بهذه السمة من الهلاك كما قدمته الآن فهو أبلغ من مجرد وصفها بالغبور والله أعلم

أزواجكم بل أنتم قوم عادون قالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين قال اني لعملكم من القالين رب نجني وأهلي مما يعملون فنجيناه وأهله أجمعين الا عجوزا في الغابرين ثم دمرنا الآخرين وأمطرنا عليهم مطرا فساء

القول كل ما ينكح من الحيوان (من أزواجكم) يصلح أن يكون تبيينا لما خلق وأن يكون للتبعيض ويراد بما خلق العضو المباح منهن وفي قراءة ابن مسعود ما أصلح لكم ربكم من أزواجكم وكأنهم كانوا يفعلون مثل ذلك بنسائهم * العادي المتعدي في ظلمه المتجاوز فيه الحد ومعناه أترتكبون هذه المعصية على عظمها بل أنتم قوم عادون في جميع المعاصي فهذا من جملة ذاك أو بل أنتم قوم أحقاء بأن توصفوا بالعدوان حيث ارتكبتم مثل هذه العظيمة (لئن لم تنته) عن نهينا وتقبيح أمرنا (لتكونن) من جملة من أخرجناه من بين أظهرنا وطردناه من بلدنا ولعلهم كانوا يخرجون من أخرجوه على أسوا حال من تعنيف به واحتباس لاملاكه وكما يكون حال الظلمة اذا أجلوا بعض من يغضبون عليه وكما كان يفعل أهل مكة بمن يريد المهاجرة * و(من القالين) أبلغ من أن يقول اني لعملكم قال كما تقول فلان من العلماء فيكون أبلغ من قولك فلان عالم لانك تشهد له بكونه معدودا في زمرتهم ومعروفة مساهمته لهم في العلم ويجوز أن يريد من الكاملين في قلاكم والقلى البغض الشديد كأنه بغض يقلي الفؤاد والكبد وفي هذا دليل على عظم المعصية والمراد القلى من حيث الدين والتقوى وقد تقوى همة الدين في دين الله حتى تقرب كراهته للمعاصي من الكراهة الجبلية (مما يعملون) من عقوبة عملهم وهو الظاهر ويحتمل أن يريد بالتنجية العصمة * (فان قلت) فما معنى قوله (فنجيناه وأهله أجمعين الا عجوزا) (قلت) معناه أنه عصمه وأهله من ذلك الا العجوز فانها كانت غير معصومة منه لكونها راضية به ومعينة عليه ومحرشة والراضي بالمعصية في حكم العاصي (فان قلت) كان أهله مؤمنين ولولا ذلك لما طلب لهم النجاة فكيف استثنيت الكافرة منهم (قلت) الاستثناء انما وقع من الاهل وفي هذا الاسم لها معهم شركة بحق الزواج وان لم تشاركهم في الايمان (فان قلت) (في الغابرين) صفتها كأنه قيل الا عجوزا غابرة ولم يكن الغبور صفتها وقت تنجيتهم (قلت) معناه الا عجوزا مقدرا غبورها ومعنى الغابرين في العذاب والهلاك غير الناجين قيل انها هلكت مع من خرج من القرية بما أمطر عليهم من الحجارة والمراد بتدميرهم الائتفاك بهم *وأما الامطار فعن قتادة أمطر الله على

مطر المنذرين ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذب أصحاب الايكة المرسلين اذ قال لهم شعيب ألا تتقون اني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر ان أجري الا على رب العالمين أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين وزنوا بالقسطاس المستقيم ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الارض مفسدين واتقوا الذي خلقكم والجبلة الاولين قالوا انما أنت من المسحرين وما أنت الا بشر مثلنا وان نظنك لمن الكاذبين فأسقط علينا كسفا من السماء ان كنت من الصادقين قال ربي أعلم بما تعملون فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم

شذاذ القوم بحجارة من السماء فأهلكهم وعن ابن زيد لم يرض بالائتفاك حتى أتبعه مطرا من حجارة وفاعل ساء (مطر المنذرين) ولم يرد بالمنذرين قوما بأعيانهم انما هو للجنس والمخصوص بالذم محذوف وهو مطرهم * قرئ أصحاب الأيكة بالهمزة وبتخفيفها وبالجر على الاضافة وهو الوجه ومن قرأ بالنصب وزعم أن ليكة بوزن ليلة اسم بلد فتوهم قاد اليه خط المصحف حيث وجدت مكتوبة في هذه السورة وفي سورة ص بغير ألف وفي المصحف أشياء كتبت على خلاف قياس الخط المصطلح عليه وانما كتبت في هاتين السورتين على حكم لفظ اللافظ كما يكتب أصحاب النحو لان ولولا على هذه الصورة لبيان لفظ المخفف وقد كتبت في سائر القرآن على الاصل والقصة واحدة على أن ليكة اسم لا يعرف وروى أن أصحاب الايكة كانوا أصحاب شجر ملتف وكان شجرهم الدوم * (فان قلت) هلا قيل أخوهم شعيب كما في سائر المواضع (قلت) قالوا ان شعيبا لم يكن من أصحاب الايكة وفي الحديث ان شعيبا أخا مدين أرسل اليهم والى أصحاب الايكة * الكيل على ثلاثة أضرب واف وطفيف وزائد فأمر بالواجب الذي هو الايفاء ونهى عن المحرم الذي هو التطفيف ولم يذكر الزائد وكان تركه عن الامر والنهي دليلا على أنه ان فعله فقد أحسن وان لم يفعله فلا عليه قرئ بالقسطاس مضموما ومكسورا وهو الميزان وقيل القرسطون فان كان من القسط وهو العدل وجعلت العين مكررة فوزنه فعلاس والا فهو رباعي وقيل هو بالرومية العدل * يقال بخسته حقه اذا نقصته اياه ومنه قيل للمكس البخس وهو عام في كل حق ثبت لاحد أن لا يهضم وفي كل ملك أن لا يغصب عليه مالكه ولا يتحيف منه ولا يتصرف فيه الا باذنه تصرفا شرعيا * يقال عثا في الارض وعثي وعاث وذلك نحو قطع الطريق والغارة واهلاك الزروع وكانوا يفعلون ذلك مع توليهم أنواع الفساد فنهوا عن ذلك * وقرئ الجبلة بوزن الابلة والجبلة بوزن الخلقة ومعناهن واحد أي ذوي الجبلة وهو كقولك والخلق الاولين * (فان قلت) هل اختلف المعنى بادخال الواو ههنا وتركها في قصة ثمود (قلت) اذا أدخلت الواو فقد قصد معنيان كلاهما مناف للرسالة عندهم التسحير والبشرية وان الرسول لا يجوز أن يكون مسحرا ولا يجوز أن يكون بشرا واذا تركت الواو فلم يقصد الا معنى واحد وهو كونه مسحرا ثم قرر بكونه بشرا مثلهم * (فان قلت) ان المخففة من الثقيلة ولامها كيف تفرقتا على فعل الظن وثاني مفعوليه (قلت) أصلهما أن يتفرقا على المبتدا والخبر كقولك ان زيد لمنطلق فلما كان البابان أعني باب كان وباب ظننت من جنس باب المبتدا والخبر فعل ذلك في البابين فقيل ان كان زيد لمنطلقا وان ظننته لمنطلقا * قرئ كسفا بالسكون والحركة وكلاهما جمع كسفة نحو قطع وسدر وقيل الكسف والكسفة كالريع والريعة وهي القطعة وكسفه قطعه * والسماء السحاب أو المظلة وما كان طلبهم ذلك الا لتصميمهم على الجحود والتكذيب ولو كان فيهم أدنى ميل الى التصديق لما أخطروه ببالهم فضلا أن يطلبوه والمعنى ان كنت صادقا أنك نبي فادع الله أن يسقط علينا كسفا من السماء (ربي أعلم بما تعملون) يريد أن الله أعلم بأعمالكم وبما تستوجبون عليها من العقاب فان أراد أن يعاقبكم باسقاط كسف من السماء فعل وان أراد عقابا آخر فاليه الحكم والمشيئة (فأخذهم) الله بنحو ما اقترحوا من عذاب الظلة ان أرادوا بالسماء السحاب وان أرادوا المظلة فقد خالف بهم عن مقترحهم يروى أنه حبس عنهم الريح سبعا وسلط عليهم الومد فأخذ بأنفاسهم لا ينفعهم ظل ولا ماء ولا سرب فاضطروا الى أن خرجوا الى البرية فأظلتهم سحابة وجدوا لها بردا ونسيما فاجتمعوا تحتها فأمطرت عليهم نارا فاحترقوا وروى أن شعيبا بعث الى أمتين أصحاب مدين وأصحاب الايكة فأهلكت مدين بصيحة جبريل وأصحاب الايكة بعذاب يوم الظلة * (فان قلت) كيف كرر في هذه السورة في أول كل قصة وآخرها ما كرر (قلت) كل قصة منها كتنزيل برأسه وفيها من الاعتبار مثل ما في غيرها فكانت كل واحدة منها تدلي بحق في أن تفتتح بما افتتحت به صاحبتها وأن تختتم بما اختتمت به ولان في التكرير تقرير المعاني في الانفس وتثبيتها في الصدور ألا ترى أنه لا طريق الى تحفظ العلوم الا ترديد ما يراد تحفظه منها وكلما زاد ترديده كان أمكن له في القلب وأرسخ في الفهم وأثبت للذكر وأبعد من النسيان ولان هذه القصص طرقت بها آذان وقر عن الانصات للحق وقلوب غلف عن تدبره فكوثرت بالوعظ والتذكير وروجعت بالترديد والتكرير لعل ذلك يفتح أذنا أو يفتق

بما ذكره (قال) واعلم أن الآيات الأول كالمقدمات لهذه الآيات فان الله تعالى أبان أنه منزل بلغتهم التي لا يعرفون غيرها وعلى لسان عربي لو أشكل عليهم فهم شيء منه (١٢٢) لكان البيان عنده عتيدا ناجزا وما نزله على لسان عجمي قد يعتذرون بأنه لا يفهمهم ما اشتمل

ذهنا أو يعقل عقلا طائل تحته بالعقل أو يعاوقهما ما قد غطى عليه تراكم الصدا (وإنه) وإن هذا التنزيل يعني ما نزل من هذه القصص والآيات والمراد بالتنزيل المنزل * والباء في نزل به الروح ونزل به الروح على القراءتين للتعدية ومعنى نزل به الروح جعل الله الروح نازلا به (على قلبك) أي حفظكه وفهمك اياه وأثبته في قلبك اثبات ما لا ينسى كقوله تعالى سنقرئك فلا تنسى (بلسان عربي) اما أن يتعلق بالمنذرين فيكون المعنى لتكون من الذين أنذروا بهذا اللسان وهم خمسة هود وصالح وشعيب واسمعيل ومحمد عليهم الصلاة والسلام واما أن يتعلق بنزل فيكون المعنى نزله باللسان العربي لتنذر به لأنه لو نزله باللسان الأعجمي لتجافوا عنه أصلا ولقالوا ما نصنع بما لا نفهمه فيتعذر الانذار به وفي هذا الوجه أن تنزيله بالعربية التي هي لسانك ولسان قومك تنزيل له على قلبك لأنك تفهمه وتفهمه قومك ولو كان أعجميا لكان نازلا على سمعك دون قلبك لأنك تسمع أجراس حروف لا تفهم معانيها ولا تعيها وقد يكون الرجل عارفا بعدة لغات فاذا كلم بلغته التي لقنها أولا ونشأ عليها وتطبع بها لم يكن قلبه الا الى معاني الكلام يتلقاها بقلبه ولا يكاد يفطن للألفاظ كيف جرت وان كلم بغير تلك اللغة وان كان ماهرا بمعرفتها كان نظره أولا في ألفاظها ثم في معانيها فهذا تقرير أنه نزل على قلبه لنزوله بلسان عربي مبين (وإنه) وان القرآن يعني ذكره مثبت في سائر الكتب السماوية وقيل ان معانيه فيها وبه يحتج لأبي حنيفة في جواز القراءة بالفارسية في الصلاة على أن القرآن قرآن اذا ترجم بغير العربية حيث قيل وانه لفي زبر الأولين لكون معانيه فيها وقيل الضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك في أن يعلمه وليس بواضح وقرئ يكن بالتذكير وآية بالنصب على أنها خبره وأن يعلمه هو الاسم وقرئ تكن بالتأنيث وجعلت آية اسما وأن يعلمه خبرا وليست كالأولى لوقوع النكرة اسما والمعرفة خبرا وقد خرج لها وجه آخر ليتخلص من ذلك فقيل في تكن ضمير القصة وآية أن يعلمه جملة واقعة موقع الخبر ويجوز على هذا أن يكون لهم آية هي جملة الشأن وأن يعلمه بدلا عن آية ويجوز مع نصب الآية تأنيث تكن كقوله تعالى ثم لم تكن فتنتهم الا أن قالوا ومنه بيت لبيد

فمضى وقدمها وكانت عادة * منه اذا هي عردت اقدامها

وقرئ تعلمه بالتاء وعلماء بني اسرائيل عبد الله بن سلام وغيره قال الله تعالى واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين (فان قلت) كيف خط في المصحف علمؤا بواو قبل الألف (قلت) خط على لغة من يميل الألف الى الواو وعلى هذه اللغة كتبت الصلوة والزكوة والربوا * الأعجم الذي لا يفصح وفي لسانه عجمة واستعجام والأعجمي مثله الا أن فيه لزيادة ياء النسبة زيادة تأكيد وقرأ الحسن الأعجميين ولما كان من يتكلم بلسان غير لسانهم لا يفقهون كلامه قالوا له أعجم وأعجمي شبهوه بمن لا يفصح ولا يبين وقالوا لكل ذي صوت من البهائم والطيور وغيرها أعجم قال حميد * ولا عربيا شاقه صوت أعجما * سلكناه أدخلناه ومكناه والمعنى انا أنزلنا هذا القرآن على رجل عربي بلسان عربي مبين فسمعوا به وفهموه وعرفوا فصاحته وأنه معجز لا يعارض بكلام مثله وانضم الى ذلك اتفاق علماء أهل الكتب المنزلة قبله على أن البشارة بانزاله وتحلية المنزل عليه وصفته في كتبهم وقد تضمنت معانيه وقصصه وصح بذلك أنها من عند الله وليست بأساطير كما زعموا فلم يؤمنوا به وجحدوه وسموه شعرا تارة وسحرا أخرى وقالوا هو من تلقين محمد وافترائه (ولو نزلناه على بعض) الأعاجم الذي لا يحسن العربية فضلا أن يقدر على نظم مثله (فقرأه عليهم) هكذا فصيحا معجزا متحدى به لكفروا به كما كفروا ولتمحلوا لجحودهم عذرا ولسموه سحرا ثم قال (كذلك سلكناه) أي مثل هذا السلك سلكناه في قلوبهم وهكذا مكناه وقررناه فيها وعلى مثل هذه الحال وهذه الصفة من الكفر به والتكذيب له وضعناه فيها فكيفما فعل بهم وصنع وعلى أي وجه دبر أمرهم فلا سبيل الى أن يتغيروا عما هم عليه من جحوده وانكاره كما قال ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين (فان قلت) كيف أسند السلك بصفة التكذيب الى ذاته (قلت) أراد به الدلالة على تمكنه مكذبا في قلوبهم أشد التمكن وأثبته

على أفهامهم من معانيه فقد أزاح أعذارهم وحصص حججهم وسلكه في قلوبهم ومكنهم من فهمه أشد التمكين ولكن لم يوفقهم بل قدر عليهم أنهم لا يؤمنون (قال أحمد) يعني بقوله قدر عليهم أنهم لا يؤمنون علم أنهم لا يؤمنون لأن التقدير عنده العلم والخلق

وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين وانه لفي زبر الأولين أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني اسرائيل ولو نزلناه على بعض الأعجمين فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين كذلك سلكناه في قلوب المجرمين

ان الله تعالى أراد منهم أنهم لا يؤمنون وهذا التقرير جواب عن سؤال مقدر وهو أن يقال قلوبهم نابية عن قبول الحق لا يلجها ولا يدخلها فكيف سلك الحق فيها فالجواب تضمن هذا الجواب والله أعلم * قوله تعالى كذلك سلكناه في قلوب المجرمين (قال ان قلت كيف أسند السلك بصفة التكذيب الى ذاته قلت المراد الدلالة على تمكنه مكذبا في قلوبهم أشد التمكن فجعله بمنزلة أمر قد جبلوا عليه بدليل أنه أسند اليهم ترك الايمان به على عقبه في قوله لا يؤمنون به) قال أحمد

فجعله بمنزلة أمر قد جبلوا عليه وفطروا ألا ترى إلى قولهم هو مجبول على الشح يريدون تمكن الشح فيه لأن
الأمور الخلقية أثبت من العارضة والدليل عليه أنه أسند ترك الإيمان به إليهم على عقبه وهو قوله لا يؤمنون
به (فإن قلت) ما موقع (لا يؤمنون به) من قوله سلكناه في قلوب المجرمين (قلت) موقعه منه موقع الموضح
والملخص لأنه مسوق لثباته مكذبا مجحودا في قلوبهم فأتبع ما يقرر هذا المعنى من أنهم لا يزالون على
التكذيب به وجحوده حتى يعاينوا الوعيد ويجوز أن يكون حالا أي سلكناه فيها غير مؤمن به وقرأ الحسن
فتأتيهم بالتاء يعني الساعة وبغتة بالتحريك وفي حرف أبي ويروه بغتة (فإن قلت) ما معنى التعقيب في قوله
فيأتيهم بغتة فيقولوا (قلت) ليس المعنى ترادف رؤية العذاب ومفاجأته وسؤال النظرة فيه في الوجود وإنما
المعنى ترتبها في الشدة كأنه قيل لا يؤمنون بالقرآن حتى تكون رؤيتهم العذاب فما هو أشد منها وهو لحوقه
بهم مفاجأة فما هو أشد منه وهو سؤالهم النظرة ومثال ذلك أن تقول لمن تعظه إن أسأت مقتك الصالحون
فمقتك الله فإنك لا تقصد بهذا الترتيب أن مقت الله يوجد عقيب مقت الصالحين وإنما قصدك إلى ترتيب
شدة الأمر على المسيء وأنه يحصل له بسبب الإساءة مقت الصالحين فما هو أشد من مقتهم وهو مقت الله
وترى ثم يقع في هذا الأسلوب فيحل موقعه (أفبعذابنا يستعجلون) تبكيت لهم بإنكار وتهكم ومعناه كيف
يستعجل العذاب من هو معرض لعذاب يسأل فيه من جنس ما هو فيه اليوم من النظرة والإمهال طرفة
عين فلا يجاب إليها ويحتمل أن يكون هذا حكاية توبيخ يوبخون به عند استنظارهم يومئذ ويستعجلون على هذا
الوجه حكاية حال ماضية ووجه آخر متصل بما بعده وذلك أن استعجالهم بالعذاب إنما كان لاعتقادهم أنه
غير كائن ولا لاحق بهم وأنهم ممتعون بأعمار طوال في سلامة وأمن فقال تعالى أفبعذابنا يستعجلون أشرا
وبطرا واستهزاء واتكالا على الأمل الطويل * ثم قال هب أن الأمر كما يعتقدون من تمتيعهم وتعميرهم فإذا
لحقهم الوعيد بعد ذلك ما ينفعهم حينئذ ما مضى من طول أعمارهم وطيب معايشهم وعن ميمون بن مهران
أنه لقي الحسن في الطواف وكان يتمنى لقاءه فقال له عظني فلم يزده على تلاوة هذه الآية فقال ميمون لقد
وعظت فأبلغت * وقرئ يمتعون بالتخفيف (منذرون) رسل ينذرونهم (ذكرى) منصوبة بمعنى تذكرة
إما لأن أنذر وذكر متقاربان فكأنه قيل مذكرون تذكرة وإما لأنها حال من الضمير في منذرون أي
ينذرونهم ذوي تذكرة وإما لأنها مفعول له على معنى أنهم ينذرون لأجل الموعظة والتذكرة أو مرفوعة
على أنها خبر مبتدأ محذوف بمعنى هذه ذكرى والجملة اعتراضية أو صفة بمعنى منذرون ذوو ذكرى أو جعلوا
ذكرى لإمعانهم في التذكرة وإطنابهم فيها ووجه آخر وهو أن يكون ذكرى متعلقة بأهلكنا مفعولا له
والمعنى وما أهلكنا من أهل قرية ظالمين إلا بعدما ألزمناهم الحجة بإرسال المنذرين إليهم ليكون إهلاكهم
تذكرة وعبرة لغيرهم فلا يعصوا مثل عصيانهم (وما كنا ظالمين) فنهلك قوما غير ظالمين وهذا الوجه عليه
المعول (فإن قلت) كيف عزلت الواو عن الجملة بعد إلا ولم تعزل عنها في قوله وما أهلكنا من قرية إلا ولها
كتاب معلوم (قلت) الأصل عزل الواو لأن الجملة صفة لقرية وإذا زيدت فلتأكيد وصل الصفة بالموصوف
كما في قوله سبعة وثامنهم كلبهم * كانوا يقولون إن محمدا كاهن وما يتنزل عليه من جنس ما يتنزل به
الشياطين على الكهنة فكذبوا بأن ذلك مما لا يتسهل للشياطين ولا يقدرون عليه لأنهم مرجومون بالشهب
معزولون عن استماع كلام أهل السماء وقرأ الحسن الشياطون ووجهه أنه رأى آخره كآخر يبرين وفلسطين
فتخير بين أن يجري الإعراب على النون وبين أن يجريه على ما قبله فيقول الشياطين والشياطون كما تخيرت
العرب بين أن يقولوا هذه يبرون ويبرين وفلسطون وفلسطين وحقه أن تشتقه من الشيطوطة وهي
الهلاك كما قيل له الباطل وعن الفراء غلط الشيخ في قراءته الشياطون ظن أنها النون التي على هجائين فقال
النضر بن شميل إن جاز أن يحتج بقول العجاج ورؤبة فهلا جاز أن يحتج بقول الحسن وصاحبه يريد محمد بن
السميقع مع أنا نعلم أنهما لم يقرآ به إلا وقد سمعا فيه * قد علم أن ذلك لا يكون ولكنه أراد أن يحرك منه لازدياد
الإخلاص والتقوى وفيه لطف لسائر المكلفين كما قال ولو تقول علينا بعض الأقاويل فإن كنت في شك مما

لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم فيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون فيقولوا هل نحن منظرون أفبعذابنا يستعجلون أفرأيت إن متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون ذكرى وما كنا ظالمين وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون إنهم عن السمع لمعزولون فلا تدع مع الله إلها آخر فتكون من المعذبين وأنذر عشيرتك الأقربين واخفض جناحك

وما نقم من بقائه على ظاهره إلا أنه التوحيد المحض والإيمان الصرف وأن الله تعالى خلق قلوبهم تأبى عن قبول الحق والقدرية لا يبالغون في التوحيد إلى هذا الحد والله سبحانه وتعالى أعلم

أنزلنا اليك * فيه وجهان أحدهما أن يؤمر بانذار الأقرب فالأقرب من قومه ويبدأ فى ذلك بمن هو أولى بالبداءة ثم بمن يليه وأن يقدم انذارهم على انذار غيرهم كما روى عنه عليه السلام أنه لما دخل مكة قال كل ربا فى الجاهلية موضوع تحت قدمى هاتين وأول ما أضعه ربا العباس والثانى أن يؤمر بأن لا يأخذه ما يأخذ القريب للقريب من العطف والرأفة ولا يحابيهم فى الانذار والتخويف وروى أنه صعد الصفا لما نزلت فنادى الأقرب فالأقرب فخذا فخذا وقال يابنى عبد المطلب يابنى هاشم يابنى عبد مناف ياعباس عم النبي ياصفية عمة رسول الله انى لا أملك لكم من الله شيأ سلونى من مالى ما شئتم وروى أنه جمع بنى عبد المطلب وهم يومئذ أربعون رجلا الرجل منهم يأكل الجذعة ويشرب العس على رجل شاة وقعب من لبن فأكلوا وشربوا حتى صدروا ثم أنذرهم فقال يابنى عبد المطلب لو أخبرتكم أن بسفح هذا الجبل خيلا أكنتم مصدقى قالوا نعم قال فانى نذير لكم بين يدى عذاب شديد وروى أنه قال يابنى عبد المطلب يابنى هاشم يابنى عبد مناف افتدوا أنفسكم من النار فانى لا أغنى عنكم شيأ ثم قال ياعائشة بنت أبى بكر وياحفصة بنت عمر ويافاطمة بنت محمد وياصفية عمة محمد اشترين أنفسكن من النار فانى لا أغنى عنكن شيأ * الطائر اذا أراد أن يحط للوقوع كسر جناحه وخفضه واذا أراد أن ينهض للطيران رفع جناحه فجعل خفض جناحه عند الانحطاط مثلا فى التواضع ولين الجانب ومنه قول بعضهم وأنت الشهير بخفض الجناح * فلا تك فى رفعه أجدلا ينهاه عن التكبر بعد التواضع (فان قلت) المتبعون للرسول هم المؤمنون والمؤمنون هم المتبعون للرسول فما قوله (لمن اتبعك من المؤمنين) (قلت) فيه وجهان أن يسميهم قبل الدخول فى الايمان مؤمنين لمشارفتهم ذلك وأن يريد بالمؤمنين المصدقين بألسنتهم وهم صنفان صنف صدق واتبع رسول الله فيما جاء به وصنف ما وجد منه الا التصديق فحسب ثم اما أن يكونوا منافقين أو فاسقين والمنافق والفاسق لا يخفض لهما الجناح والمعنى من المؤمنين من عشيرتك وغيرهم يعنى أنذر قومك فان اتبعوك وأطاعوك فاخفض لهم جناحك وان عصوك ولم يتبعوك فتبرأ منهم ومن أعمالهم من الشرك بالله وغيره (وتوكل) على الله يكفك شر من يعصيك منهم ومن غيرهم والتوكل تفويض الرجل أمره الى من يملك أمره ويقدر على نفعه وضره وقالوا المتوكل من ان دهمه أمر لم يحاول دفعه عن نفسه بما هو معصية لله فعلى هذا اذا وقع الانسان فى محنة ثم سأل غيره خلاصه لم يخرج من حد التوكل لانه لم يحاول دفع ما نزل به عن نفسه بمعصية الله وفى مصاحف أهل المدينة والشأم فتوكل وبه قرأ نافع وابن عامر وله محملان فى العطف أن يعطف على فقل أو فلا تدع (على العزيز الرحيم) على الذى يقهر أعداءك بعزته وينصرك عليهم برحمته * ثم أتبع كونه رحيما على رسوله ما هو من أسباب الرحمة وهو ذكر ما كان يفعله فى جوف الليل من قيامه للتهجد وتقلبه فى تصفح أحوال المتهجدين من أصحابه ليطلع عليهم من حيث لا يشعرون ويستبطن سر أمرهم وكيف يعبدون الله وكيف يعملون لآخرتهم كما يحكى أنه حين نسخ فرض قيام الليل طاف تلك الليلة ببيوت أصحابه لينظر ما يصنعون لحرصه عليهم وعلى ما يوجد منهم من فعل الطاعات وتكثير الحسنات فوجدها كبيوت الزنابير لما سمع منها من دندنتهم بذكر الله والتلاوة * والمراد بالساجدين المصلون وقيل معناه يراك حين تقوم للصلاة بالناس جماعة وتقلبه فى الساجدين تصرفه فيما بينهم بقيامه وركوعه وسجوده وقعوده اذا أمهم وعن مقاتل أنه سأل أبا حنيفة رحمه الله هل تجد الصلاة فى الجماعة فى القرآن فقال لا يحضرنى فتلا له هذه الآية ويحتمل أنه لا يخفى عليه حالك كلما قمت وتقلبت مع الساجدين فى كفاية أمور الدين (انه هو السميع) لما تقوله (العليم) بما تنويه وتعمله وقيل هو تقلب بصره فيمن يصلى خلفه من قوله صلى الله عليه وسلم أتموا الركوع والسجود فوالله انى لأراكم من خلف ظهرى اذا ركعتم وسجدتم * وقرئ ويقلبك (كل أفاك أثيم) هم الكهنة والمتنبئة كشق وسطيح ومسيلمة وطليحة (يلقون السمع) هم الشياطين كانوا قبل أن يحجبوا بالرجم يسمعون الى الملإ الأعلى فيختطفون بعض ما يتكلمون به مما اطلعوا عليه من الغيوب ثم يوحون به الى أوليائهم من أولئك (وأكثرهم كاذبون) فيما يوحون به اليهم لانهم يسمعونهم ما لم يسمعوا وقيل يلقون الى أوليائهم السمع

لمن اتبعك من المؤمنين فان عصوك فقل انى برىء مما تعملون وتوكل على العزيز الرحيم الذى يراك حين تقوم وتقلبك فى الساجدين انه هو السميع العليم هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم يلقون السمع وأكثرهم كاذبون

والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا

أي المسموع من الملائكة وقيل الأفاكون يلقون السمع إلى الشياطين فيتلقون وحيهم إليهم أو يلقون المسموع من الشياطين إلى الناس وأكثر الأفاكين كاذبون يفترون على الشياطين ما لم يوحوا إليهم وترى أكثر ما يحكمون به باطلا وزورا وفي الحديث الكلمة يخطفها الجني فيقرها في أذن وليه فيزيد فيها أكثر من مائة كذبة والقر الصب (فإن قلت) كيف دخل حرف الجر على من المتضمنة لمعنى الاستفهام والاستفهام له صدر الكلام ألا ترى إلى قولك أعلى زيد مررت ولا تقول على أزيد مررت (قلت) ليس معنى التضمن أن الاسم دل على معنيين معا معنى الاسم ومعنى الحرف وإنما معناه أن الأصل أمن فحذف حرف الاستفهام واستمر الاستعمال على حذفه كما حذف من هل والأصل أهل قال * أهل رأونا بسفح القاع ذي الأكم * فإذا أدخلت حرف الجر على من فقدر الهمزة قبل حرف الجر في ضميرك كأنك تقول أعلى من تنزل الشياطين كقولك أعلى زيد مررت (فإن قلت) يلقون ما محله (قلت) يجوز أن يكون في محل النصب على الحال أي تنزل ملقين السمع وفي محل الجر صفة لكل أفاك لأنه في معنى الجمع وأن لا يكون له محل بأن يستأنف كأن قائلا قال لم تنزل على الأفاكين فقيل يفعلون كيت وكيت (فإن قلت) كيف قيل وأكثرهم كاذبون بعد ما قضى عليهم أن كل واحد منهم أفاك (قلت) الأفاكون هم الذين يكثرون الإفك ولا يدل ذلك على أنهم لا ينطقون إلا بالإفك فأراد أن هؤلاء الأفاكين قل من يصدق منهم فيما يحكي عن الجني وأكثرهم مفتر عليه (فإن قلت) وإنه لتنزيل رب العالمين وما تنزلت به الشياطين هل أنبئكم على من تنزل الشياطين لم فرق بينهن وهن أخوات (قلت) أريد التفريق بينهن بآيات ليست في معناهن ليرجع إلى المجيء بهن وتطرية ذكر ما فيهن كرة بعد كرة فيدل بذلك على أن المعنى الذي نزلن فيه من المعاني التي اشتدت كراهة الله لخلافها ومثاله أن يحدث الرجل بحديث وفي صدره اهتمام بشيء منه وفضل عناية فتراه يعيد ذكره ولا ينفك عن الرجوع إليه (والشعراء) مبتدأ و(يتبعهم الغاوون) خبره ومعناه أنه لا يتبعهم على باطلهم وكذبهم وفضول قولهم وما هم عليه من الهجاء وتمزيق الأعراض والقدح في الأنساب والنسيب بالحرم والغزل والابتهار ومدح من لا يستحق المدح ولا يستحسن ذلك منهم ولا يطرب على قولهم إلا الغاوون والسفهاء والشطار وقيل الغاوون الراوون وقيل الشياطين وقيل هم شعراء قريش عبد الله بن الزبعرى وهبيرة بن أبي وهب المخزومي ومسافع ابن عبد مناف وأبو عزة الجمحي ومن ثقيف أمية بن أبي الصلت قالوا نحن نقول مثل قول محمد وكانوا يهجونه ويجتمع إليهم الأعراب من قومهم يستمعون أشعارهم وأهاجيهم وقرأ عيسى بن عمر والشعراء بالنصب على إضمار فعل يفسره الظاهر قال أبو عبيد كان الغالب عليه حب النصب قرأ حمالة الحطب والسارق والسارقة وسورة أنزلناها وقرئ يتبعهم على التخفيف ويتبعهم بسكون العين تشبيها لبعه بعضد * ذكر الوادي والهيوم فيه تمثيل لذهابهم في كل شعب من القول واعتسافهم وقلة مبالاتهم بالغلو في المنطق ومجاوزة حد القصد فيه حتى يفضلوا أجبن الناس على عنترة وأشحهم على حاتم وأن يبهتوا البريء ويفسقوا التقي وعن الفرزدق أن سليمان بن عبد الملك سمع قوله

فبتن بجانبي مصرعات * وبت أفض أغلاق الختام

فقال قد وجب عليك الحد فقال يا أمير المؤمنين قد درأ الله عني الحد بقوله وأنهم يقولون ما لا يفعلون * استثنى الشعراء المؤمنين الصالحين الذين يكثرون ذكر الله وتلاوة القرآن وكان ذلك أغلب عليهم من الشعر وإذا قالوا شعرا قالوه في توحيد الله والثناء عليه والحكمة والموعظة والزهد والآداب الحسنة ومدح رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة وصلحاء الأمة وما لا بأس به من المعاني التي لا يتلطخون فيها بذنب ولا يتلبسون بشائنة ولا منقصة وكان هجاؤهم على سبيل الانتصار ممن يهجوهم قال الله تعالى لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم وذلك من غير اعتداء ولا زيادة على ما هو جواب لقوله تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وعن عمرو بن عبيد أن رجلا من العلوية قال له إن صدري ليجيش بالشعر فقال فما يمنعك منه فيما لا بأس به والقول فيه أن الشعر باب من الكلام فحسنه كحسن الكلام وقبيحه كقبيح

﴿القول في سورة النمل﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ *قوله تعالى وهم بالآخرة هم يوقنون (قال فيه كرر الضمير حتى صار معنى
الكلام ولا يوقن بالآخرة حق (١٣٦) الإيقان الا هؤلاء الجامعون بين الإيمان والعمل الصالح لأن خوف الآخرة يحملهم على
تحمل المشاق) قال أحمد قد تقدم في غير موضع اعتقاد أن ايقاع الضمير مبتدأ يفيد الحصر كما مر له في قوله تعالى هم ينشرون أن معناه لا ينشر الا هم وعد الضمير من آلات الحصر كما مر ليس بين وقد بينا محل الضمير في سورة اقتربت وجها سوى الحصر وأما وجه

وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون

(سورة النمل مكية وهي ثلاث وتسعون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين هدى وبشرى للمؤمنين الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم بالآخرة هم يوقنون إن الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم أعمالهم فهم يعمهون أولئك الذين لهم

تكراره ههنا والله أعلم فهو أنه لما كان أصل الكلام وهم يوقنون بالآخرة ثم قدم المجرور على عامله عناية به فوقع فاصلا بين المبتدأ والخبر فأريد أن يلي المبتدأ خبره وفصل المجرور بينهما فطري ذكره
ليليه الخبر ولم يبق معه والمطابقة بالمجرور وحيث بقي على حاله مقدما ولا يستنكر اعادة الكلمة مفصولة أو موصولة ﴿فان
بعدها ويحسب القطر بيتا قريبا منه أن الشاعر قال (٣) سل وكل ذا والمعتنى بذال * الخصم ألا في حالك عنى

الكلام وقيل المراد بالمستثنين عبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت والكعبان كعب بن مالك وكعب بن زهير والذين كانوا ينافحون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكافحون هجاة قريش وعن كعب بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له اهجهم فوالذي نفسي بيده لهو أشد عليهم من النبل وكان يقول لحسان قل وروح القدس معك * ختم السورة بآية ناطقة بما لا شيء أهيب منه وأهول ولا أنكى لقلوب المتأملين ولا أصدع لأكباد المتدبرين وذلك قوله (وسيعلم) وما فيه من الوعيد البليغ وقوله (الذين ظلموا) وإطلاقه وقوله (أي منقلب ينقلبون) وإبهامه وقد تلاها أبو بكر لعمر رضي الله عنهما حين عهد إليه وكان السلف الصالح يتواعظون بها ويتناذرون شدتها وتفسير الظلم بالكفر تعليل ولأن تخاف فتبلغ الأمن خير من أن تأمن فتبلغ الخوف وقرأ ابن عباس أي منفلت ينفلتون ومعناها أن الذين ظلموا يطمعون أن ينفلتوا من عذاب الله وسيعلمون أن ليس لهم وجه من وجوه الانفلات وهو النجاة اللهم اجعلنا ممن جعل هذه الآية بين عينيه فلم يغفل عنها وعلم أن من عمل سيئة فهو من الذين ظلموا والله أعلم بالصواب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الشعراء كان له من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح وكذب به وهود وشعيب وصالح وإبراهيم وبعدد من كذب بعيسى وصدق بمحمد عليهم الصلاة والسلام

﴿سورة النمل مكية وهي ثلاث وتسعون آية وقيل أربع وتسعون﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(طس) قرئ بالتفخيم والإمالة (تلك) إشارة إلى آيات السورة والكتاب المبين إما اللوح وإبانته أنه قد خط فيه كل ما هو كائن فهو يبينه للناظرين فيه إبانة وإما السورة وإما القرآن وإبانتهما أنهما يبينان ما أودعاه من العلوم والحكم والشرائع وأن إعجازهما ظاهر مكشوف وإضافة الآيات إلى القرآن والكتاب المبين على سبيل التفخيم لها والتعظيم لأن المضاف إلى العظيم يعظم بالإضافة إليه (فإن قلت) لم نكر الكتاب المبين (قلت) ليبهم بالتنكير فيكون أفخم له كقوله تعالى في مقعد صدق عند مليك مقتدر (فإن قلت) ما وجه عطفه على القرآن إذا أريد به القرآن (قلت) كما تعطف إحدى الصفتين على الأخرى في نحو قولك هذا فعل السخي والجواد الكريم لأن القرآن هو المنزل المبارك المصدق لما بين يديه فكان حكمه حكم الصفات المستقلة بالمدح فكأنه قيل تلك الآيات آيات المنزل المبارك آي كتاب مبين وقرأ ابن أبي عبلة وكتاب مبين بالرفع على تقدير وآيات كتاب مبين فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه (فإن قلت) ما الفرق بين هذا وبين قوله الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين (قلت) لا فرق بينهما إلا ما بين المعطوف والمعطوف عليه من التقدم والتأخر وذلك على ضربين ضرب جار مجرى التثنية لا يترجح فيه جانب على جانب وضرب فيه ترجح فالأول نحو قوله تعالى وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا ومنه ما نحن بصدده والثاني نحو قوله تعالى شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم (هدى وبشرى) في محل النصب أو الرفع فالنصب على الحال أي هادية ومبشرة والعامل فيها ما في تلك من معنى الإشارة والرفع على ثلاثة أوجه على هي هدى وبشرى وعلى البدل من الآيات وعلى أن يكون خبرا بعد خبر أي جمعت أنها آيات وأنها هدى وبشرى والمعنى في كونها هدى للمؤمنين أنها زادتهم هدى قال الله تعالى فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا (فإن قلت) (وهم بالآخرة هم يوقنون) كيف يتصل بما قبله (قلت) يحتمل أن يكون من جملة صلة الموصول ويحتمل أن تتم الصلة عنده ويكون جملة اعتراضية كأنه قيل وهؤلاء الذين يؤمنون ويعملون الصالحات من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة هم الموقنون بالآخرة وهو الوجه ويدل عليه أنه عقد جملة ابتدائية وكرر فيها المبتدأ الذي هو هم حتى صار معناها وما يوقن بالآخرة حق الإيقان إلا هؤلاء الجامعون بين الإيمان والعمل الصالح لأن خوف العاقبة يحملهم على تحمل المشاق

والاصل والعقابا الشعر فوقع منتصف الرجز أو منتهاه على القول بان مشطور الرجز بيت كامل عند اللام وبنى الشاعر على انه لا يقف عند المنتصف أو المنتهى من وقيفة ما فقدر بتلك الوقفة بعدا بين المعرف وآلة التعريف فطرأها ثانية فهذه النظرية لم تتوقف على أن يحول بين الاول وبين المكرر ولا كلمة واحدة سوى تقديره وقفة لطيفة لا غير فتأمل هذا الفصل فانه جدير بالتأمل والله أعلم * قوله تعالى ان الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم أعمالهم فهم يعمهون (قال ان قلت كيف أسند التزيين الى ذاته وقد أسنده الى الشيطان في قوله وزين لهم الشيطان أعمالهم قلت ان بين الاسنادين فرقا فالاسناد الى الله مجاز والى (١٢٧) الشيطان حقيقة وقد روى عن الحسن ان المراد زينا لهم أعمال البر فعموا عنها ولم يهتدوا الى العمل بها) قال أحمد وهذا الجواب مبني على القاعدة الفاسدة في ايجاب رعاية الصلاح والاصلح وامتناع ان يخلق الله تعالى للعبد الا ما هو مصلحة فمن ثم جعل اسناد التزيين الى الله تعالى مجازا والى الشيطان حقيقة ولو عكس الجواب لفاز بالصواب وتأمل ميله الى التأويل الآخر من ان المراد أعمال البر على بعده لانه لا يعرض لقاعدته بالنقض وانى لهم ذلك وقد أتى الله بنيانهم من القواعد على ان التزيين قد ورد في الخير في قوله تعالى ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم على ان غالب وروده في غير البر كقوله زين للناس حب الشهوات زين للذين كفروا الحياة الدنيا وكذلك زين لكثير من المشركين ومما يبعد حمله على اعمال البر اضافة الاعمال اليهم في قوله اعمالهم واعمال البر ليست مضافة اليهم لانهم لم يعملوها قط فظاهر الاضافة يعطي ذلك ألا ترى الى قوله تعالى ولما يدخل الايمان في قلوبكم وقوله قل لا تمنوا على اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان فاطلق الايمان في المكانين عن اضافته اليهم لانه لم يصدر منهم وأضاف الاسلام الظاهر اليهم لانه صدر منهم والله أعلم

سوء العذاب وهم في الآخرة هم الاخسرون وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم اذ قال موسى لاهله امكثوا اني آنست نارا سآتيكم منها بخبر أو آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون فلما جاءها نودي أن بورك من في النار ومن حولها

*(فان قلت) كيف أسند تزيين أعمالهم الى ذاته وقد أسنده الى الشيطان في قوله وزين لهم الشيطان أعمالهم (قلت) بين الاسنادين فرق وذلك أن اسناده الى الشيطان حقيقة واسناده الى الله عز وجل مجاز وله طريقان في علم البيان أحدهما أن يكون من المجاز الذي يسمى الاستعارة والثاني أن يكون من المجاز الحكمي فالطريق الاول انه لما متعهم بطول العمر وسعة الرزق وجعلوا انعام الله بذلك عليهم واحسانه اليهم ذريعة الى اتباع شهواتهم وبطرهم وايثارهم الروح والترفه ونفارهم عما يلزمهم فيه التكاليف الصعبة والمشاق المتعبة فكأنه زين لهم بذلك أعمالهم واليه أشارت الملائكة صلوات الله عليهم في قولهم ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر والطريق الثاني أن امهاله الشيطان وتخليته حتى يزين لهم ملابسة ظاهرة للتزيين فأسند اليه لان المجاز الحكمي يصححه بعض الملابسات وقيل هي أعمال الخير التي وجب عليهم أن يعملوها زينها لهم الله فعمهوا عنها وضلوا ويعزى الى الحسن * والعمه التحير والتردد كما يكون حال الضال عن الطريق وعن بعض الاعراب أنه دخل السوق وما أبصرها قط فقال رأيت الناس عمهين أراد مترددين في أعمالهم وأشغالهم (سوء العذاب) القتل والاسر يوم بدر * و(الاخسرون) أشد الناس خسرانا لانهم لو آمنوا لكانوا من الشهداء على جميع الامم فخسروا ذلك مع خسران النجاة وثواب الله (لتلقى القرآن) لتؤتاه وتلقنه (من) عند أي (حكيم) وأي (عليم) وهذا معنى مجيئهما نكرتين وهذه الآية بساط وتمهيد لما يريد أن يسوق بعدها من الاقاصيص وما في ذلك من لطائف حكمته ودقائق علمه (اذ) منصوب بمضمر وهو اذكر كأنه قال على اثر ذلك خذ من آثار حكمته وعلمه قصة موسى ويجوز أن ينتصب بعليم * وروى أنه لم يكن مع موسى عليه السلام غير امرأته وقد كنى الله عنها بالاهل فتبع ذلك ورود الخطاب على لفظ الجمع وهو قوله امكثوا * الشهاب الشعلة * والقبس النار المقبوسة وأضاف الشهاب الى القبس لانه يكون قبسا وغير قبس ومن قرأ بالتنوين جعل القبس بدلا أو صفة لما فيه من معنى القبس * والخبر ما يخبر به عن حال الطريق لانه كان قد ضله (فان قلت) سآتيكم منها بخبر ولعلي آتيكم منها بخبر كالمتدافعين لان أحدهما ترج والآخر تيقن (قلت) قد يقول الراجي اذا قوي رجاؤه سأفعل كذا وسيكون كذا مع تجويزه الخيبة (فان قلت) كيف جاء بسين التسويف (قلت) عدة لاهله أنه يأتيهم به وان أبطأ أو كانت المسافة بعيدة (فان قلت) فلم جاء بأو دون الواو (قلت) بنى الرجاء على أنه ان لم يظفر بحاجتيه جميعا لم يعدم واحدة منهما اما هداية الطريق واما اقتباس النار ثقة بعادة الله أنه لا يكاد يجمع بين حرمانين على عبده وما أدراه حين قال ذلك أنه ظافر على النار بحاجتيه الكليتين جميعا وهما العزان عز الدنيا وعز الآخرة (أن) هي المفسرة لان النداء فيه معنى القول والمعنى قيل له بورك (فان قلت) هل يجوز أن تكون المخففة من الثقيلة وتقديره نودي بأنه بورك والضمير ضمير الشأن (قلت) لا لانه لا بد من قد (فان قلت) فعلى اضمارها (قلت) لا يصح لانها علامة لا تحذف * ومعنى (بورك من في النار ومن حولها) بورك من في مكان النار ومن حول مكانها ومكانها البقعة التي حصلت فيها وهي البقعة المباركة المذكورة في قوله تعالى نودي من شاطئ الوادي الايمن

فى البقعة المباركة وتدل عليه قراءة أبى تباركت الارض ومن حولها وعنه بوركت النار والذى بوركت له البقعة وبورك من فيها وحولها حدوث أمر دينى فيها وهو تكليم الله موسى واستنباؤه له واظهار المعجزات عليه ورب خير يتجدد فى بعض البقاع فينشر الله بركة ذلك الخير فى أقاصيها ويبث آثار يمنه فى أباعدها فكيف بمثل ذلك الامر العظيم الذى جرى فى تلك البقعة وقيل المراد المبارك فيهم موسى والملائكة الحاضرون والظاهر أنه عام فى كل من كان فى تلك الارض وفى ذلك الوادى وحواليهما من أرض الشام ولقد جعل الله أرض الشام بالبركات موسومة فى قوله ونجيناه ولوطا الى الارض التى باركنا فيها للعالمين وحقت أن تكون كذلك فهى مبعث الانبياء صلوات الله عليهم ومهبط الوحى اليهم وكفاتهم أحياء وأمواتا (فان قلت) فما معنى ابتداء خطاب الله موسى بذلك عند مجيئه (قلت) هى بشارة له بأنه قد قضى أمر عظيم تنتشر منه فى أرض الشام كلها البركة (وسبحان الله رب العالمين) تعجيب لموسى عليه السلام من ذلك وايذان بأن ذلك الامر مريده ومكونه رب العالمين تنبيها على أن الكائن من جلائل الامور وعظائم الشؤن * الهاء فى (انه) يجوز أن يكون ضمير الشان والشان (أنا الله) مبتدأ وخبر و(العزيز الحكيم) صفتان للخبر وأن يكون راجعا الى ما دل عليه ما قبله يعنى أن مكلمك أنا والله بيان لانا والعزيز الحكيم صفتان للمبين وهذا تمهيد لما أراد أن يظهره على يده من المعجزة يريد أنا القوى القادر على ما يبعد من الاوهام كقلب العصا حية الفاعل كل ما أفعله بحكمة وتدبير * (فان قلت) علام عطف قوله (وألق عصاك) (قلت) على بورك لان المعنى نودى أن بورك من فى النار وأن ألق عصاك كلاهما تفسير لنودى والمعنى قيل له بورك من فى النار وقيل له ألق عصاك والدليل على ذلك قوله تعالى وأن ألق عصاك بعد قوله أن ياموسى انى أنا الله على تكرير حرف التفسير كما تقول كتبت اليك أن حج وأن اعتمر وان شئت أن حج واعتمر * وقرأ الحسن جأن على لغة من يجد فى الهرب من التقاء الساكنين فيقول شأبة ودأبة ومنها قراءة عمرو بن عبيد ولا الضألين (ولم يعقب) لم يرجع يقال عقب المقاتل اذا كر بعد الفرار قال

فما عقبوا اذ قيل هل من معقب * ولا نزلوا يوم الكريهة منزلا

وانما رعب لظنه أن ذلك لامر أريد به ويدل عليه (انى لا يخاف لدى المرسلون) و(الا) بمعنى لكن لانه لما أطلق نفى الخوف عن الرسل كان ذلك مظنة لطرو الشبهة فاستدرك ذلك والمعنى ولكن من ظلم منهم أى فرطت منه صغيرة مما يجوز على الانبياء كالذى فرط من آدم ويونس وداود وسليمان واخوة يوسف ومن موسى بوكزة القبطى ويوشك أن يقصد بهذا التعريض بما وجد من موسى وهو من التعريضات التى يلطف مأخذها وسماه ظلما كما قال موسى رب انى ظلمت نفسى فاغفر لى * والحسن والسوء حسن التوبة وقبح الذنب وقرئ ألا من ظلم بحرف التنبيه وعن أبى عمرو فى رواية عصمة حسنا (فى تسع آيات) كلام مستأنف وحرف الجر فيه يتعلق بمحذوف والمعنى اذهب فى تسع آيات (الى فرعون) ونحوه

فقلت الى الطعام فقال منهم * فريق يحسد الانس الطعاما

ويجوز أن يكون المعنى وألق عصاك وأدخل يدك فى تسع آيات أى فى جملة تسع آيات وعدادهن ولقائل أن يقول كانت الآيات احدى عشرة ثنتان منها اليد والعصا والتسع الفلق والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمسة والجدب فى بواديهم والنقصان فى مزارعهم * المبصرة الظاهرة البينة جعل الابصار لها وهو فى الحقيقة لمتأمليها لانهم لابسوها وكانوا بسبب منها بنظرهم وتفكرهم فيها ويجوز أن يراد حقيقة الابصار كل ناظر فيها من كافة أولى العقل وأن يراد ابصار فرعون وملئه لقوله واستيقنتها أنفسهم أو جعلت كأنها تبصر فتهدى لان العمى لا تقدر على الاهتداء فضلا أن تهدى غيرها ومنه قولهم كلمة عيناء وكلمة عوراء لان الكلمة الحسنة ترشد والسيئة تغوى ونحوه قوله تعالى لقد علمت ما أنزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر فوصفها بالبصارة كما وصفها بالابصار وقرأ على بن الحسين رضى الله عنهما وقتادة مبصرة وهى نحو مجبنة ومبخلة ومجفرة أى مكانا يكثر فيه التبصر * الواو فى (واستيقنتها) واو الحال وقد بعدها مضمرة * والعلو الكبر والترفع عن الايمان بما جاء به موسى كقوله تعالى فاستكبروا وكانوا قوما عالين فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا

وسبحان الله رب العالمين
ياموسى انه أنا الله العزيز
الحكيم وألق عصاك فلما
رآها تهتز كأنها جان ولى
مدبرا ولم يعقب ياموسى
لا تخف انى لا يخاف
لدى المرسلون الا من
ظلم ثم بدل حسنا بعد
سوء فانى غفور رحيم
وأدخل يدك فى جيبك
تخرج بيضاء من غير
سوء فى تسع آيات الى
فرعون وقومه انهم
كانوا قوما فاسقين فلما
جاءتهم آياتنا مبصرة
قالوا هذا سحر مبين
وجحدوا بها واستيقنتها
أنفسهم ظلما وعلوا
فانظر كيف كان عاقبة
المفسدين ولقد آتينا
داود وسليمان

وقومهما عابدون وقرئ عليا وعليا بالضم والكسر كما قرئ عتيا وعتيا * وفائدة ذكر الأنفس أنهم جحدوها
بألسنتهم واستيقنوها في قلوبهم وضمائرهم والاستيقان أبلغ من الإيقان وقد قوبل بين المبصرة والمبين
وأي ظلم أفحش من ظلم من اعتقد واستيقن أنها آيات بينة واضحة جاءت من عند الله ثم كابر بتسميتها سحرا
بينا مكشوفا لا شبهة فيه (علما) طائفة من العلم أو علما سنيا غزيرا * (فإن قلت) أليس هذا موضع الفاء دون
الواو كقولك أعطيته فشكر ومنعته فصبر (قلت) بلى ولكن عطفه بالواو إشعار بأن ما قالاه بعض ما أحدث
فيهما إيتاء العلم وشيء من مواجبه فأضمر ذلك ثم عطف عليه التحميد كأنه قال ولقد آتيناهما علما فعملا به
وعلماه وعرفا حق النعمة فيه والفضيلة (وقالا الحمد لله الذي فضلنا) * والكثير المفضل عليه من لم يؤت علما
أو من لم يؤت مثل علمهما وفيه أنهما فضلا على كثير وفضل عليهما كثير وفي الآية دليل على شرف العلم
وإنافة محله وتقدم حملته وأهله وأن نعمة العلم من أجل النعم وأجزل القسم وأن من أوتيه فقد أوتي فضلا
على كثير من عباد الله كما قال والذين أوتوا العلم درجات وما سماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورثة الأنبياء
إلا لمداناتهم لهم في الشرف والمنزلة لأنهم القوام بما بعثوا من أجله وفيها أنه يلزمهم لهذه النعمة الفاضلة
لوازم منها أن يحمدوا الله على ما أوتوه من فضلهم على غيرهم وفيها التذكير بالتواضع وأن يعتقد العالم أنه
وإن فضل على كثير فقد فضل عليه مثلهم وما أحسن قول عمر كل الناس أفقه من عمر * وورث منه النبوة
والملك دون سائر بنيه وكانوا تسعة عشر وكان داود أكثر تعبدا وسليمان أقضى وأشكر لنعمة الله (وقال
يا أيها الناس) تشهيرا لنعمة الله وتنويها بها واعترافا بمكانها ودعاء للناس إلى التصديق بذكر المعجزة التي هي
علم منطق الطير وغير ذلك مما أوتيه من عظائم الأمور * والمنطق كل ما يصوت به من المفرد والمؤلف المفيد
وغير المفيد وقد ترجم يعقوب بن السكيت كتابه بإصلاح المنطق وما أصلح فيه إلا مفردات الكلام وقالت
العرب نطقت الحمامة وكل صنف من الطير يتفاهم أصواته والذي علمه سليمان من منطق الطير هو ما يفهم
بعضه من بعض من معانيه وأغراضه ويحكى أنه مر على بلبل في شجرة يحرك رأسه ويميل ذنبه فقال
لأصحابه أتدرون ما يقول قالوا الله ونبيه أعلم قال يقول أكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء وصاحت
فاختة فأخبر أنها تقول ليت ذا الخلق لم يخلقوا وصاح طاوس فقال يقول كما تدين تدان وصاح هدهد
فقال يقول استغفروا الله يا مذنبين وصاح طيطوى فقال يقول كل حي ميت وكل جديد بال وصاح خطاف
فقال يقول قدموا خيرا تجدوه وصاحت رخمة فقال تقول سبحان ربي الأعلى ملء سمائه وأرضه وصاح
قمري فأخبر أنه يقول سبحان ربي الأعلى وقال الحدأ يقول كل شيء هالك إلا الله والقطاة تقول من سكت
سلم والببغاء تقول ويل لمن الدنيا همه والديك يقول اذكروا الله يا غافلين والنسر يقول يا ابن آدم عش
ما شئت آخرك الموت والعقاب يقول في البعد من الناس أنس والضفدع يقول سبحان ربي القدوس
* وأراد بقوله (من كل شيء) كثرة ما أوتي كما تقول فلان يقصده كل أحد ويعلم كل شيء تريد كثرة قصاده
ورجوعه إلى غزارة في العلم واستكثار منه ومثله قوله وأوتيت من كل شيء (إن هذا لهو الفضل المبين) قول
وارد على سبيل الشكر والمحمدة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم ولا فخر أي أقول هذا
القول شكرا ولا أقوله فخرا (فإن قلت) كيف قال علمنا وأوتينا وهو من كلام المتكبرين (قلت) فيه وجهان
أحدهما أن يريد نفسه وأباه والثاني أن هذه النون يقال لها نون الواحد المطاع وكان ملكا مطاعا فكلم
أهل طاعته على صفته وحاله التي كان عليها وليس التكبر من لوازم ذلك وقد يتعلق بتجمل الملك وتفخيمه
وإظهار آيينه وسياسته مصالح فيعود تكلف ذلك واجبا وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل نحوا
من ذلك إذا وفد عليه وفد أو احتاج أن يرجح في عين عدو ألا ترى كيف أمر العباس رضي الله عنه بأن يحبس
أبا سفيان حتى تمر عليه الكتائب * روي أن معسكره كان مائة فرسخ في مائة خمسة وعشرون للجن وخمسة
وعشرون للإنس وخمسة وعشرون للطير وخمسة وعشرون للوحش وكان له ألف بيت من قوارير على

وكما يرد التقليل من شأن التنكير فكذلك يرد التعظيم من شأنه كما مر آنفا في قوله تعالى وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم ولم يقل الحكيم العليم والغرض من التنكير التفخيم كأنه قال من لدن حكيم أي حكيم عليم فظاهر قوله ولقد آتينا داود وسليمان علما في سياق الامتنان تعظيم

علما وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين وورث سليمان داود وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء إن هذا لهو الفضل المبين وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير فهم

العلم الذي أوتياه كأنه قال علما أي علم وهو كذلك فإن علمهما كان مما يستغرب ويستغرب ومن ذلك علم منطق الطير وسائر الحيوانات الذي خصهما الله تعالى به وكل علم بالإضافة إلى علم الله تعالى قليل ضئيل والله أعلم * قوله تعالى وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين (قال) جعلا نعمة الله عليهما من حيث قولهما فضلنا وتواضعا بقولهما على كثير ولم يقولا على عباده اعترافا بأن غيرهما يفضلهما وهذا أبعد من الترفع

الخشب فيها ثلثمائة منكوحة وسبعمائة سرية وقد نسجت له الجن بساطا من ذهب وابريسم فرسخا في فرسخ وكان يوضع منبره في وسطه وهو من ذهب فيقعد عليه وحوله ستمائة ألف كرسي من ذهب وفضة فيقعد الانبياء على كراسي الذهب والعلماء على كراسي الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظله الطير باجنحتها حتى لا يقع عليه الشمس وترفع ريح الصبا البساط فتسير به مسيرة شهر ويروى أنه كان يأمر الريح العاصف تحمله ويأمر الرخاء تسيره فأوحى الله اليه وهو يسير بين السماء والارض اني قد زدت في ملكك لا يتكلم أحد بشيء الا ألقته الريح في سمعك فيحكى أنه مر بحراث فقال لقد أوتي آل داود ملكا عظيما فألقته الريح في أذنه فنزل ومشى الى الحراث وقال انما مشيت اليك لئلا تتمنى ما لا تقدر عليه ثم قال لتسبيحة واحدة يقبلها الله خير مما أوتي آل داود (يوزعون) يحبس أولهم على آخرهم أي توقف سلاف العسكر حتى تلحقهم التوالي فيكونوا مجتمعين لا يتخلف منهم أحد وذلك للكثرة العظيمة *قيل هو واد بالشام كثير النمل (فان قلت) لم عدي أتوا بعلى (قلت) يتوجه على معنيين أحدهما أن اتيانهم كان من فوق فأتى بحرف الاستعلاء كما قال أبو الطيب * ولشد ما قربت عليك الانجم * لما كان قربا من فوق والثاني أن يراد قطع الوادي وبلوغ آخره من قولهم أتى على الشيء اذا أنفده وبلغ آخره كأنهم أرادوا أن ينزلوا عند مقطع الوادي لانهم ما دامت الريح تحملهم في الهواء لا يخاف حطمهم *وقرئ نملة يا أيها النمل بضم الميم وبضم النون والميم وكان الاصل النمل بوزن الرجل والنمل الذي عليه الاستعمال تخفيف عنه كقولهم السبع في السبع قيل كانت تمشي وهي عرجاء تتكاوس فنادت يا أيها النمل الآية فسمع سليمان كلامها من ثلاثة أميال وقيل كان اسمها طاخية وعن قتادة أنه دخل الكوفة فالتف عليه الناس فقال سلوا عما شئتم وكان أبو حنيفة رحمه الله حاضرا وهو غلام حدث فقال سلوه عن نملة سليمان أكانت ذكرا أم أنثى فسألوه فأفحم فقال أبو حنيفة كانت أنثى فقيل له من أين عرفت قال من كتاب الله وهو قوله قالت نملة ولو كانت ذكرا لقال قال نملة وذلك أن النملة مثل الحمامة والشاة في وقوعها على الذكر والانثى فيميز بينهما بعلامة نحو قولهم حمامة ذكر وحمامة أنثى وهو وهي *وقرئ مسكنكم ولا يحطمنكم بتخفيف النون وقرئ لا يحطمنكم بفتح الطاء وكسرها وأصله يحتطمنكم *ولما جعلها قائلة والنمل مقولا لهم كما يكون في أولي العقل أجرى خطابهم مجرى خطابهم (فان قلت) لا يحطمنكم ما هو (قلت) يحتمل أن يكون جوابا للامر وأن يكون نهيا بدلا من الامر والذي جوز أن يكون بدلا منه أنه في معنى لا تكونوا حيث أنتم فيحطمكم على طريقة لا أرينك ههنا أراد لا يحطمنكم جنود سليمان فجاء بما هو أبلغ ونحوه عجبت من نفسي ومن اشفاقها *ومعنى تبسم ضاحكا تبسم شارعا في الضحك وآخذا فيه يعني أنه قد تجاوز حد التبسم الى الضحك وكذلك ضحك الانبياء عليهم السلام وأما ما روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه فالغرض المبالغة في وصف ما وجد منه من الضحك النبوي والا فبدو النواجذ على الحقيقة انما يكون عند الاستغراب وقرأ ابن السميفع ضحكا (فان قلت) ما أضحكه من قولها (قلت) شيآن اعجابه بما دل من قولها على ظهور رحمته ورحمة جنوده وشفقتهم وعلى شهرة حاله وحالهم في باب التقوى وذلك قولها وهم لا يشعرون تعني أنهم لو شعروا لم يفعلوا وسروره بما آتاه الله مما لم يؤت أحدا من ادراكه بسمعه ما همس به بعض الحكل الذي هو مثل في الصغر والقلة ومن احاطته بمعناه ولذلك اشتمل دعاؤه على استيزاع الله شكر ما أنعم به عليه من ذلك وعلى استيفائه لزيادة العمل الصالح والتقوى *وحقيقة أوزعني اجعلني أزع شكر نعمتك عندي وأكفه وأرتبطه لا ينفلت عني حتى لا أنفك شاكرا لك * وانما أدرج ذكر والديه لان النعمة على الوالد نعمة على الولد خصوصا

* قوله تعالى قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم (قال لما دخل قتادة الكوفة التفت عليه الناس فقال سلوا عما شئتم فقال أبو حنيفة وكان شابا سلوه عن النملة التي كلمت سليمان أذكرا كانت أم أنثى فسألوه فأفحم فقال أبو حنيفة كانت أنثى فقيل كيف ثبت ذلك قال لان الله عز وجل قال قالت نملة ولو كانت ذكرا لقال قال نملة) قال أحمد لا أدري العجب منه أم من أبي حنيفة ان ثبت ذلك عنه وذلك ان النملة كالحمامة والشاة تقع على الذكر وعلى الانثى لانه اسم جنس يقال نملة ذكر ونملة أنثى كما يقولون حمامة ذكر وحمامة أنثى وشاة ذكر وشاة أنثى فلفظها مؤنث ومعناه محتمل فيمكن ان تؤنث لاجل لفظها وان كانت واقعة على ذكر بل هذا هو الفصيح المستعمل الا ترى الى قوله عليه الصلاة والسلام لا تضحي بعوراء ولا عجفاء ولا عمياء كيف أخرج هذه الصفات على اللفظ مؤنثة ولا يعني الاناث من الانعام خاصة فحينئذ النملة في قوله تعالى قالت نملة روعي فيه تأنيث اللفظ واما المعنى فيحتمل على حد سواء وانما أطلت في هذا وان كان لا يترتب عليه حكم لانه نسب الى الامام أبي حنيفة على بصيرته باللغة ثم جعل هذا الجواب معجبا النعمان على غزارة علمه وتبصره بالمنقولات ثم قرر الكلام على ما هو

يوزعون حتى اذا أتوا على وادي النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه

النعمة الراجعة الى الدين فانه اذا كان تقيا نفعهما بدعائه وشفاعته وبدعاء المؤمنين لهما كلما دعوا له وقالوا
رضي الله عنك وعن والديك وروي أن النملة أحست بصوت الجنود ولا تعلم أنهم في الهواء فأمر سليمان
الريح فوقفت لئلا يذعرن حتى دخلن مساكنهن ثم دعا بالدعوة * ومعنى (وأدخلني برحمتك في عبادك
الصالحين) واجعلني من أهل الجنة * أم هي المنقطعة نظر الى مكان الهدهد فلم يبصره فقال (مالي لا أرى) ه
على معنى أنه لا يراه وهو حاضر لساتر ستره أو غير ذلك ثم لاح له أنه غائب فأضرب عن ذلك وأخذ يقول أهو
غائب كأنه يسأل عن صحة مالاح له ونحوه قولهم انها لابل أم شاء وذكر من قصة الهدهد أن سليمان حين تم له بناء
بيت المقدس تجهز للحج بحشره فوافى الحرم وأقام به ماشاء وكان يقرب كل يوم طول مقامه بخمسة آلاف ناقة
وخمسة آلاف بقرة وعشرين ألف شاة ثم عزم على السير الى اليمن فخرج من مكة صباحا يؤم سهيلا فوافى
صنعاء وقت الزوال وذلك مسيرة شهر فرأى أرضا حسناء أعجبته خضرتها فنزل ليتغدى ويصلي فلم يجدوا الماء
وكان الهدهد قناقنه وكان يرى الماء من تحت الارض كما يرى الماء في الزجاجة فيجيء الشياطين فيسلخونها
كما يسلخ الاهاب ويستخرجون الماء فتفقده لذلك وحين نزل سليمان حلق الهدهد فرأى هدهدا واقعا فانحط
اليه فوصف له ملك سليمان وما سخر له من كل شيء وذكر له صاحبه ملك بلقيس وأن تحت يدها اثني عشر ألف
قائد تحت كل قائد مائة ألف وذهب معه لينظر فما رجع الا بعد العصر وذكر أنه وقعت نفحة من الشمس على
رأس سليمان فنظر فاذا موضع الهدهد خال فدعا عريف الطير وهو النسر فسأله عنه فلم يجد عنده علمه ثم
قال لسيد الطير وهو العقاب علي به فارتفعت فنظرت فاذا هو مقبل فقصدته فناشدها الله وقال بحق الله
الذي قواك وأقدرك علي الا رحمتني فتركته وقالت ثكلتك أمك ان نبي الله قد حلف ليعذبنك قال وما استثنى
قالت بلى قال أو ليأتيني بعذر مبين فلما قرب من سليمان أرخى ذنبه وجناحيه يجرها على الارض تواضعا له
فلما دنا منه أخذ رأسه فمده اليه فقال يا نبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله فارتعد سليمان وعفا عنه ثم سأله
* تعذيبه أن يؤدب بما يحتمله حاله ليعتبر به أبناء جنسه وقيل كان عذاب سليمان للطير أن ينتف ريشه
ويشمسه وقيل أن يطلى بالقطران ويشمس وقيل أن يلقى للنمل تأكله وقيل ايداعه القفص وقيل التفريق
بينه وبين الفه وقيل لألزمنه صحبة الاضداد وعن بعضهم أضيق السجون معاشرة الاضداد وقيل لألزمنه
خدمة أقرانه (فان قلت) من أين حل له تعذيب الهدهد (قلت) يجوز أن يبيح له الله ذلك لما رأى فيه من
المصلحة والمنفعة كما أباح ذبح البهائم والطيور للأكل وغيره من المنافع واذا سخر له الطير ولم يتم ما سخر له من
أجله الا بالتأديب والسياسة جاز أن يباح له ما يستصلح به * وقرئ ليأتيني وليأتينن * والسلطان الحجة
والعذر (فان قلت) قد حلف على أحد ثلاثة أشياء فحلفه على فعليه لا مقال فيه ولكن كيف صح حلفه على
فعل الهدهد ومن أين درى أنه يأتي بسلطان حتى يقول والله ليأتيني بسلطان (قلت) لما نظم الثلاثة بأو في
الحكم الذي هو الحلف آل كلامه الى قولك ليكونن أحد الامور يعني ان كان الاتيان بالسلطان لم يكن
تعذيب ولا ذبح وان لم يكن كان أحدهما وليس في هذا ادعاء دراية على أنه يجوز أن يتعقب حلفه بالفعل
وحي من الله بأنه سيأتيه بسلطان مبين فثلث بقوله أو ليأتيني بسلطان مبين عن دراية وايقان (فمكث) قرئ
بفتح الكاف وضمها (غير بعيد) غير زمان بعيد كقوله عن قريب ووصف مكثه بقصر المدة للدلالة على اسراعه
خوفا من سليمان وليعلم كيف كان الطير مسخرا له ولبيان ما أعطي من المعجزة الدالة على نبوته وعلى قدرة الله
تعالى (أحطت) بادغام الطاء في التاء باطباق وبغير اطباق * ألهم الله الهدهد فكافح سليمان بهذا الكلام على
ما أوتي من فضل النبوة والحكمة والعلوم الجمة والاحاطة بالمعلومات الكثيرة ابتلاء له في علمه وتنبيها على
أن في أدنى خلقه وأضعفه من أحاط علما بما لم يحط به لتتحاقر اليه نفسه ويتصاغر اليه علمه ويكون لطفا له
في ترك الاعجاب الذي هو فتنة العلماء وأعظم بها فتنة والاحاطة بالشيء علما أن يعلم من جميع جهاته لا يخفى
منه معلوم قالوا وفيه دليل على بطلان قول الرافضة ان الامام لا يخفى عليه شيء ولا يكون في زمانه أحد أعلم
منه * سبأ قرئ بالصرف ومنعه وقد روي بسكون الباء وعن ابن كثير في رواية سبا بالالف كقولهم ذهبوا
أيدي سبا وهو سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان فمن جعله اسما للقبيلة لم يصرف ومن جعله اسما للحي أو

وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين وتفقد الطير فقال مالي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين لأعذبنه عذابا شديدا أو لأذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين فمكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به

عليه ... تالله في الله النصب العجاب والله الموفق للصواب

الأب الأكبر صرف قال   من سبأ الحاضرين مأرب إذ * يبنون من دون سيله العرما
وقال   الواردون وتيم في ذرى سبا * قد عض أعناقهم جلد الجواميس

ثم سميت مدينة مأرب بسبأ وبينها وبين صنعاء مسيرة ثلاث كما سميت معافر بمعافر بن أد ويحتمل أن يراد المدينة والقوم * والنبأ الخبر الذي له شأن * وقوله (من سبإ بنبإ) من جنس الكلام الذي سماه المحدثون البديع وهو من محاسن الكلام الذي يتعلق باللفظ بشرط أن يجيء مطبوعا أو يصنعه عالم بجوهر الكلام يحفظ معه صحة المعنى وسداده ولقد جاء ههنا زائدا على الصحة فحسن وبدع لفظا ومعنى ألا ترى أنه لو وضع مكان بنبأ بخبر لكان المعنى صحيحا وهو كما جاء أصح لما في النبأ من الزيادة التي يطابقها وصف الحال * المرأة بلقيس بنت شراحيل وكان أبوها ملك أرض اليمن كلها وقد ولده أربعون ملكا ولم يكن له ولد غيرها فغلبت على الملك وكانت هي وقومها مجوسا يعبدون الشمس والضمير في (تملكهم) راجع الى سبا فان أريد به القوم فالامر ظاهر وان أريدت المدينة فمعناه تملك أهلها * وقيل في وصف عرشها كان ثمانين ذراعا في ثمانين وسمكه ثمانين وقيل ثلاثين مكان ثمانين وكان من ذهب وفضة مكللا بأنواع الجواهر وكانت قوائمه من ياقوت أحمر وأخضر ودر وزمرد وعليه سبعة أبيات على كل بيت باب مغلق (فان قلت) كيف استعظم الهدهد عرشها مع ما كان يرى من ملك سليمان (قلت) يجوز أن يستصغر حالها الى حال سليمان فاستعظم لها ذلك العرش ويجوز أن لا يكون لسليمان مثله وان عظمت مملكته في كل شيء كما يكون لبعض أمراء الاطراف شيء لا يكون مثله للملك الذي يملك عليهم أمرهم ويستخدمهم ومن نوكى القصاص من يقف على قوله ولها عرش ثم يبتدئ عظيم وجدتها يريد أمر عظيم ان وجدتها وقومها يسجدون للشمس فر من استعظام الهدهد عرشها فوقع في عظيمة وهي مسخ كتاب الله (فان قلت) كيف قال (وأوتيت من كل شيء) مع قول سليمان وأوتينا من كل شيء كأنه سوى بينهما (قلت) بينهما فرق بين لان سليمان عليه السلام عطف قوله على ما هو معجزة من الله وهو تعليم منطق الطير فرجع أولا الى ما أوتي من النبوة والحكمة وأسباب الدين ثم الى الملك وأسباب الدنيا وعطفه الهدهد على الملك فلم يرد الا ما أوتيت من أسباب الدنيا اللائقة بحالها فبين الكلامين بون بعيد (فان قلت) كيف خفي على سليمان مكانها وكانت المسافة بين محطه وبين بلدها قريبة وهي مسيرة ثلاث بين صنعاء ومأرب (قلت) لعل الله عز وجل أخفى عنه ذلك لمصلحة رآها كما أخفى مكان يوسف على يعقوب * (فان قلت) من أين للهدهد التهدي الى معرفة الله ووجوب السجود له وانكار سجودهم للشمس واضافته الى الشيطان وتزيينه (قلت) لا يبعد أن يلهمه الله ذلك كما ألهمه وغيره من الطيور وسائر الحيوان المعارف اللطيفة التي لا يكاد العقلاء الرجاح العقول يهتدون لها ومن أراد استقراء ذلك فعليه بكتاب الحيوان خصوصا في زمن نبي سخرت له الطيور وعلم منطقها وجعل ذلك معجزة له * من قرأ بالتشديد أراد فصدهم عن السبيل لئلا يسجدوا فحذف الجار مع أن ويجوز أن تكون لا مزيدة ويكون المعنى فهم لا يهتدون الى أن يسجدوا ومن قرأ بالتخفيف فهو ألا يا اسجدوا ألا للتنبيه ويا حرف النداء ومناداه محذوف كما حذفه من قال * ألا يا اسلمي يا دارمي على البلى * وفي حرف عبد الله وهي قراءة الاعمش هلا وهلا بقلب الهمزتين هاء وعن عبد الله هلا تسجدون بمعنى ألا تسجدون على الخطاب وفي قراءة أبي ألا تسجدون لله الذي يخرج الخبء من السماء والارض ويعلم سركم وما تعلنون * وسمي المخبوء بالمصدر وهو النبات والمطر وغيرهما مما خبأه عز وعلا من غيوبه * وقرئ الخب على تخفيف الهمزة بالحذف والخبا على تخفيفها بالقلب وهي قراءة ابن مسعود ومالك بن دينار ووجهها أن تخرج على لغة من يقول في الوقف هذا الخبو ورأيت الخبا ومررت بالخبي ثم أجرى الوصل مجرى الوقف لا على لغة من يقول الكماة والحماة لانها ضعيفة مسترذلة * وقرئ يخفون ويعلنون بالياء والتاء وقيل من أحطت الى العظيم هو كلام الهدهد وقيل كلام رب العزة وفي اخراج الخبء أمارة على أنه من كلام الهدهد لهندسته ومعرفته الماء تحت الارض وذلك بالهام من يخرج الخبء في السموات والارض

وجئتك من سبإ بنبإ يقين اني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السموات والارض ويعلم ما تخفون وما تعلنون الله لا اله الا هو رب العرش العظيم قال

جلت قدرته ولطف علمه ولا يكاد تخفى على ذى الفراسة النظار بنور الله مخائل كل مختص بصناعة أو فن من العلم فى روائه ومنطقه وشمائله ولهذا ورد ما عمل عبد عملا الا ألقى الله عليه رداء عمله (فان قلت) أسجدة التلاوة واجبة فى القراءتين جميعا أم فى احداهما (قلت) هى واجبة فيهما جميعا لأن مواضع السجدة اما أمر بها أو مدح لمن أتى بها أو ذم لمن تركها واحدى القراءتين أمر بالسجود والأخرى ذم للتارك وقد اتفق أبو حنيفة والشافعى رحمهما الله على أن سجدات القرآن أربع عشرة وانما الاختلاف فى سجدة ص فهى عند أبى حنيفة سجدة تلاوة وعند الشافعى سجدة شكر وفى سجدتى سورة الحج وما ذكره الزجاج من وجوب السجدة مع التخفيف دون التشديد فغير مرجوع اليه (فان قلت) هل يفرق الواقف بين القراءتين (قلت) نعم اذا خفف وقف على فهم لا يهتدون ثم ابتدأ ألا يا اسجدوا وان شاء وقف على ألا يا ثم ابتدأ اسجدوا واذا شدد لم يقف الا على العرش العظيم (فان قلت) كيف سوّى الهدهد بين عرش بلقيس وعرش الله فى الوصف بالعظيم (قلت) بين الوصفين بون عظيم لأن وصف عرشها بالعظيم تعظيم له بالاضافة الى عروش أبناء جنسها من الملوك ووصف عرش الله بالعظيم تعظيم له بالنسبة الى سائر ما خلق من السموات والأرض * وقرئ العظيم بالرفع (سننظر) من النظر الذى هو التأمل والتصفح * وأراد أصدقت أم كذبت الا أن كنت من الكاذبين أبلغ لأنه اذا كان معروفا بالانخراط فى سلك الكاذبين كان كاذبا لا محالة واذا كان كاذبا اتهم بالكذب فيما أخبر به فلم يوثق به (تول عنهم) تنح عنهم الى مكان قريب تتوارى فيه ليكون ما يقولونه بمسمع منك و(يرجعون) من قوله تعالى يرجع بعضهم الى بعض القول فيقال دخل عليها من كوة فألقى الكتاب اليها وتوارى فى الكوة (فان قلت) لم قال فألقه اليهم على لفظ الجمع (قلت) لأنه قال وجدتها وقومها يسجدون للشمس فقال فألقه الى الذين هذا دينهم اهتماما منه بأمر الدين واشتغالا به عن غيره وبنى الخطاب فى الكتاب على لفظ الجمع لذلك (كريم) حسن مضمونه وما فيه أو وصفته بالكرم لأنه من عند ملك كريم أو مختوم قال صلى الله عليه وسلم كرم الكتاب ختمه وكان صلى الله عليه وسلم يكتب الى العجم فقيل له انهم لا يقبلون الا كتابا عليه خاتم فاصطنع خاتما وعن ابن المقفع من كتب الى أخيه كتابا ولم يختمه فقد استخف به وقيل مصدّر ببسم الله الرحمن الرحيم * هو استئناف وتبيين لما ألقى اليها كأنها لما قالت انى ألقى الى كتاب كريم قيل لها ممن هو وما هو فقالت انه من سليمان وانه كيت وكيت وقرأ عبد الله وانه من سليمان وانه عطفا على انى وقرئ أنه من سليمان وأنه بالفتح على أنه بدل من كتاب كأنه قيل ألقى الى أنه من سليمان ويجوز أن تريد لأنه من سليمان ولأنه كأنها عللت كرمه بكونه من سليمان وتصديره باسم الله وقرأ أبى أن من سليمان وان بسم الله على أن المفسرة وأن فى (ألا تعلوا) مفسرة أيضا لا تعلوا لا تتكبروا كما يفعل الملوك وقرأ ابن عباس رضى الله عنهما بالغين معجمة من الغلو وهو مجاوزة الحد يروى أن نسخة الكتاب من عبد الله سليمان بن داود الى بلقيس ملكة سبا السلام على من اتبع الهدى أما بعد فلا تعلوا على وأتونى مسلمين وكانت كتب الأنبياء عليهم السلام جملا لا يطيلون ولا يكثرون وطبع الكتاب بالمسك وختمه بخاتمه فوجدها الهدهد راقدة فى قصرها بمأرب وكانت اذا رقدت غلقت الأبواب ووضعت المفاتيح تحت رأسها فدخل من كوة وطرح الكتاب على نحرها وهى مستلقية وقيل نقرها فانتبهت فزعة وقيل أتاها والقادة والجنود حواليها فرفرف ساعة والناس ينظرون حتى رفعت رأسها فألقى الكتاب فى حجرها وكانت قارئة كاتبة عربية من نسل تبع بن شراحيل الحميرى فلما رأت الخاتم ارتعدت وخضعت وقالت لقومها ما قالت (مسلمين) منقادين أو مؤمنين * الفتوى الجواب فى الحادثة اشتقت على طريق الاستعارة من الفتاء فى السن والمراد بالفتوى ههنا الاشارة عليها بما عندهم فيما حدث لها من الرأى والتدبير وقصدت بالانقطاع اليهم والرجوع الى استشارتهم واستطلاع آرائهم استعطافهم وتطييب نفوسهم ليمالئوها ويقوموا معها (قاطعة أمرا) فاصلة وفى قراءة ابن مسعود رضى الله عنه قاضية * أى لا أبت أمرا الا بمحضركم وقيل كان أهل مشورتها ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا كل واحد على عشرة آلاف * أرادوا بالقوة قوة الأجساد وقوة الآلات والعدد * وبالبأس النجدة والبلاء فى الحرب (والأمر اليك)

سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين اذهب بكتابى هذا فألقه اليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون قالت يا أيها الملأ انى ألقى الى كتاب كريم انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم ألا تعلوا على وأتونى مسلمين قالت يا أيها الملأ أفتونى فى أمرى ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون قالوا نحن أولوا قوة وأولوا بأس شديد والأمر اليك فانظرى ماذا تأمرين

* قوله تعالى قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين (قال معناه أصدقت أم كذبت الا أن عبارة الآية أبلغ لأنه اذا كان معروفا بالكذب اتهم فى جملة اخباره فلم يوثق به) قال أحمد وهذا كما نبهت عليه فى سورة الشعراء من العدول عن الفعل الذى هو أم كذبت وعن مجرد صفته فى قوله أم كنت كاذبا الى جعله واحدا من العشرة الموسومة بالكذب فهو أبلغ فى مقصود سياق الآية من التهديد والله أعلم

أي هو موكول إليك ونحن مطيعون لك فمرنا بأمرك نطعك ولا نخالفك * كأنهم أشاروا عليها بالقتال
أو أرادوا نحن من أبناء الحرب لا من أبناء الرأي والمشورة وأنت ذات الرأي والتدبير فانظري ماذا ترين نتبع
رأيك * لما أحست منهم الميل إلى المحاربة رأت من الرأي الميل إلى الصلح والابتداء بما هو أحسن ورتبت
الجواب فزيفت أولا ما ذكروه وأرتهم الخطأ فيه بـ(أن الملوك إذا دخلوا قرية) عنوة وقهرا (أفسدوها)
أي خربوها ومن ثمة قالوا للفساد الخربة * وأذلوا أعزتها وأهانوا أشرافها وقتلوا وأسروا فذكرت لهم
عاقبة الحرب وسوء مغبتها ثم قالت (وكذلك يفعلون) أرادت وهذه عادتهم المستمرة الثابتة التي لا تتغير
لأنها كانت في بيت الملك القديم فسمعت نحو ذلك ورأت ثم ذكرت بعد ذلك حديث الهدية وما رأت من الرأي
السديد وقيل هو تصديق من الله لقولها وقد يتعلق الساعون في الأرض بالفساد بهذه الآية ويجعلونها
حجة لأنفسهم ومن استباح حراما فقد كفر فإذا احتج له بالقرآن على وجه التحريف فقد جمع بين كفرين
(مرسلة إليهم بهدية) أي مرسلة رسلا بهدية أصانعه بها عن ملكي (فناظرة) ما يكون منه حتى أعمل على
حسب ذلك فروي أنها بعثت خمسمائة غلام عليهم ثياب الجواري وحليهن الأساور والأطواق والقرطة
راكبي خيل مغشاة بالديباج محلاة اللجم والسروج بالذهب المرصع بالجواهر وخمسمائة جارية على رماك
في زي الغلمان وألف لبنة من ذهب وفضة وتاجا مكللا بالدر والياقوت المرتفع والمسك والعنبر وحقا فيه
درة عذراء وجزعة معوجة الثقب وبعثت رجلين من أشراف قومها المنذر بن عمرو وآخر ذا رأي وعقل
وقالت إن كان نبيا ميز بين الغلمان والجواري وثقب الدرة ثقبا مستويا وسلك في الخرزة خيطا ثم قالت
للمنذر إن نظر إليك نظر غضبان فهو ملك فلا يهولنك وإن رأيته بشا لطيفا فهو نبي فأقبل الهدهد فأخبر
سليمان فأمر الجن فضربوا لبن الذهب والفضة وفرشوه في ميدان بين يديه طوله سبعة فراسخ وجعلوا حول
الميدان حائطا شرفه من الذهب والفضة وأمر بأحسن الدواب في البر والبحر فربطوها عن يمين الميدان
ويساره على اللبن وأمر بأولاد الجن وهم خلق كثير فأقيموا عن اليمين واليسار ثم قعد على سريره والكراسي
من جانبيه واصطفت الشياطين صفوفا فراسخ والإنس صفوفا فراسخ والوحش والسباع والهوام والطيور
كذلك فلما دنا القوم ونظروا بهتوا ورأوا الدواب تروث على اللبن فتقاصرت إليهم نفوسهم ورموا بما معهم
ولما وقفوا بين يديه نظر إليهم بوجه طلق وقال ما وراءكم وقال أين الحق وأخبر جبريل عليه السلام بما فيه
فقال لهم إن فيه كذا وكذا ثم أمر الأرضة فأخذت شعرة ونفذت فيها فجعل رزقها في الشجرة وأخذت دودة
بيضاء الخيط بفيها ونفذت فيها فجعل رزقها في الفواكه ودعا بالماء فكانت الجارية تأخذ الماء بيدها فتجعله
في الأخرى ثم تضرب به وجهها والغلام كما يأخذه يضرب به وجهه ثم رد الهدية وقال للمنذر ارجع إليهم فقالت
هو نبي وما لنا به طاقة فشخصت إليه في اثني عشر ألف قيل تحت كل قيل ألوف * وفي قراءة ابن مسعود رضي
الله عنه فلما جاؤا (أتمدونني) وقرئ بحذف الياء والاكتفاء بالكسرة وبالإدغام كقوله أتحاجوني وبنون
واحدة أتمدوني * الهدية اسم المهدى كما أن العطية اسم المعطى فتضاف إلى المهدي والمهدى له تقول هذه
هدية فلان تريد هي التي أهداها أو أهديت إليه والمضاف إليه ههنا هو المهدى إليه * والمعنى أن ما عندي
خير مما عندكم وذلك أن الله آتاني الدين الذي فيه الحظ الأوفر والغنى الأوسع وآتاني من الدنيا ما لا يستزاد
عليه فكيف يرضى مثلي بأن يمد بمال ويصانع به (بل أنتم) قوم لا تعلمون إلا ظاهرا من الحياة الدنيا فلذلك
(تفرحون) بما تزادون ويهدى إليكم لأن ذلك مبلغ همتكم وحالي خلاف حالكم وما أرضى منكم بشيء
ولا أفرح به إلا بالإيمان وترك المجوسية (فإن قلت) ما الفرق بين قولك أتمدني بمال وأنا أغنى منك وبين
أن تقوله بالفاء (قلت) إذا قلته بالواو فقد جعلت مخاطبي عالما بزيادتي عليه في الغنى واليسار وهو مع
ذلك يمدني بالمال وإذا قلته بالفاء فقد جعلته ممن خفيت عليه حالي فأنا أخبره الساعة بما لا أحتاج معه
إلى إمداده كأني أقول له أنكر عليك ما فعلت فإني غني عنه وعليه ورد قوله فما آتاني الله (فإن قلت) فما
وجه الإضراب (قلت) لما أنكر عليهم الإمداد وعلل إنكاره أضرب عن ذلك إلى بيان السبب الذي
حملهم عليه وهو أنهم لا يعرفون سببا رضا ولا فرحا إلا أن يهدى إليهم حظ من الدنيا التي لا يعلمون غيرها

قالت إن الملوك إذا
دخلوا قرية أفسدوها
وجعلوا أعزة أهلها
أذلة وكذلك يفعلون
وإني مرسلة إليهم
بهدية فناظرة بم يرجع
المرسلون فلما جاء
سليمان قال أتمدونن
بمال فما آتاني الله
خير مما آتاكم بل أنتم
بهديتكم تفرحون

ويجوز أن تجعل الهدية مضافة الى المهدى ويكون المعنى بل أنتم بهديتكم هذه التي أهديتموها تفرحون فرح افتخار على الملوك بأنكم قدرتم على اهداء مثلها ويحتمل أن يكون عبارة عن الرد كأنه قال بل أنتم من حقكم أن تأخذوا هديتكم وتفرحوا بها (ارجع) خطاب للرسول وقيل للهدهد محملا كتابا آخر (لا قبل) لا طاقة وحقيقة القبل المقاومة والمقابلة أي لا يقدرون أن يقابلوهم وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه لا قبل لهم بهم * الضمير في منها لسبأ * والذل أن يذهب عنهم ما كانوا فيه من العز والملك * والصغار أن يقعوا في أسر واستعباد ولا يقتصر بهم على أن يرجعوا سوقة بعد أن كانوا ملوكا * يروى أنها أمرت عند خروجها الى سليمان عليه السلام فجعل عرشها في آخر سبعة أبيات بعضها في بعض في آخر قصر من قصور سبعة لها وغلقت الابواب ووكلت به حرسا يحفظونه ولعله أوحي الى سليمان عليه السلام باستيثاقها من عرشها فأراد أن يغرب عليها ويريها بذلك بعض ما خصه الله به من اجراء العجائب على يده مع اطلاعها على عظيم قدرة الله وعلى ما يشهد لنبوة سليمان عليه السلام ويصدقها وعن قتادة أراد أن يأخذه قبل أن تسلم لعلمه أنها اذا أسلمت لم يحل له أخذ مالها وقيل أراد أن يؤتى به فينكر ويغير ثم ينظر أتثبته أم تنكره اختبارا لعقلها * وقرئ عفرية والعفر والعفريت والعفرية والعفراة والعفار يه من الرجال الخبيث المنكر الذي يعفر أقرانه ومن الشياطين الخبيث المارد وقالوا كان اسمه ذكوان (لقوي) على حمله (أمين) آتي به كما هو لا آختزل منه شيأ ولا أبدله (الذي عنده علم من الكتاب) رجل كان عنده اسم الله الاعظم وهو يا حي يا قيوم وقيل يا الهنا واله كل شيء الها واحدا لا اله الا أنت وقيل يا ذا الجلال والاكرام وعن الحسن رضي الله عنه الله والرحمن وقيل هو آصف بن برخيا كاتب سليمان عليه السلام وكان صديقا عالما وقيل اسمه اسطوم وقيل هو جبريل وقيل ملك أيد الله به سليمان وقيل هو سليمان نفسه كأنه استبطأ العفريت فقال له أنا آتيك به أسرع مما تقول وعن ابن لهيعة بلغني أنه الخضر عليه السلام * علم من الكتاب من الكتاب المنزل وهو علم الوحي والشرائع وقيل هو اللوح والذي عنده علم منه جبريل عليه السلام * وآتيك في الموضعين يجوز أن يكون فعلا واسم فاعل والطرف تحريك أجفانك اذا نظرت فوضع موضع النظر ولما كان الناظر موصوفا بارسال الطرف في نحو قوله

وكنت اذا أرسلت طرفك رائدا * لقلبك يوما أتعبتك المناظر

وصف برد الطرف ووصف الطرف بالارتداد ومعنى قوله (قبل أن يرتد اليك طرفك) أنك ترسل طرفك الى شيء فقبل أن ترده أبصرت العرش بين يديك * ويروى أن آصف قال لسليمان عليه السلام مد عينيك حتى ينتهي طرفك فمد عينيه فنظر نحو اليمن ودعا آصف فغار العرش في مكانه بمأرب ثم نبع عند مجلس سليمان عليه السلام بالشام بقدرة الله قبل أن يرد طرفه ويجوز أن يكون هذا مثلا لاستقصار مدة المجيء به كما تقول لصاحبك افعل كذا في لحظة وفي ردة طرف والتفت ترني وما أشبه ذلك تريد السرعة (يشكر لنفسه) لانه يحط به عنها عبء الواجب ويصونها عن سمة الكفران وترتبط به النعمة ويستمد المزيد وقيل الشكر قيد للنعمة الموجودة وصيد للنعمة المفقودة وفي كلام بعض المتقدمين ان كفران النعمة بوار وقلما أقشعت نافرة فرجعت في نصابها فاستدع شاردها بالشكر واستدم راهنها بكرم الجوار واعلم أن سبوغ ستر الله متقلص عما قريب اذا أنت لم ترج لله وقارا (غني) عن الشكر (كريم) بالانعام على من يكفر نعمته والذي قاله سليمان عليه السلام عند رؤية العرش شاكرا لربه جرى على شاكلة أبناء جنسه من أنبياء الله والمخلصين من عباده يتلقون النعمة القادمة بحسن الشكر كما يشيعون النعمة المودعة بجميل الصبر (نكروا) اجعلوه متنكرا متغيرا عن هيئته وشكله كما يتنكر الرجل للناس لئلا يعرفوه قالوا وسعوه وجعلوا مقدمه مؤخره وأعلاه أسفله * وقرئ ننظر بالجزم على الجواب وبالرفع على الاستئناف (أتهتدي) لمعرفته أو للجواب الصواب اذا سئلت عنه أو للدين والايمان بنبوة سليمان عليه السلام اذا رأت تلك المعجزة البينة من تقدم عرشها وقد خلفته وأغلقت عليه الابواب ونصبت عليه الحراس * هكذا ثلاث كلمات حرف التنبيه وكاف التشبيه واسم الاشارة لم يقل أهذا عرشك ولكن أمثل هذا عرشك لئلا يكون تلقينا

ارجع اليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون قال يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك واني عليه لقوي أمين قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر ومن شكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان ربي غني كريم قال نكروا لها عرشها ننظر أتهتدي أم تكون من الذين لا يهتدون فلما جاءت قيل أهكذا عرشك قالت كأنه هو

* قوله تعالى أهكذا عرشك (قال فيه لم يقل أهذا عرشك لئلا يكون تلقينا فقالت كأنه هو ولم تقل هو هو ولا ليس به وذلك من رجاحة
عقلها حيث لم تقطع في المحتمل) قال أحمد وفي قولها كأنه هو عدول عن مطابقة الجواب للسؤال بأن تقول هكذا هو
مشككة محتملة ولعل قائلا يقول كلا العبارتين تشبيه اذ كاف التشبيه فيهما جميعا وان كانت في احداهما داخلة على اسم الاشارة وفي الاخرى داخلة على الضمير وكلاهما أعني اسم الاشارة والضمير واقع على الذات المشبهة وحينئذ تستوي العبارتان في المعنى ويفضل قولها هكذا هو بمطابقة السؤال فلا بد في اختيار كأنه هو من نكتة فنقول حكمته والله أعلم ان كأنه هي عبارة من قرب عنده الشبه حتى شكك نفسه في التغاير بين الأمرين فكاد يقول الذي هو هو وتلك حال بلقيس وأما هكذا هو فعبارة جازم بتغاير الأمرين حاكم بوقوع الشبه بينهما لا غير فلهذا عدلت الى العبارة المذكورة في التلاوة لمطابقتها لحالها والله أعلم وقول الزمخشري ولا ليس به وان كان من قوله فوهم والصواب ولا ليس هو والله سبحانه وتعالى أعلم

وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين وصدها ما كانت تعبد من دون الله انها كانت من قوم كافرين قيل لها ادخلي الصرح فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها قال انه صرح ممرد من قوارير قالت رب انى ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين ولقد أرسلنا الى ثمود أخاهم صالحا أن اعبدوا الله فاذا هم فريقان يختصمون قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون قالوا اطيرنا بك وبمن معك

فـ(قالت كأنه هو) ولم تقل هو هو ولا ليس به وذلك من رجاحة عقلها حيث لم تقطع في المحتمل (وأوتينا العلم) من كلام سليمان وملئه (فان قلت) علام عطف هذا الكلام وبم اتصل (قلت) لما كان المقام الذي سئلت فيه عن عرشها وأجابت بما أجابت به مقاما أجرى فيه سليمان وملؤه ما يناسب قولهم وأوتينا العلم نحو أن يقولوا عند قولها كأنه هو قد أصابت في جوابها وطبقت المفصل وهي عاقلة لبيبة وقد رزقت الاسلام وعلمت قدرة الله وصحة النبوة بالآيات التي تقدمت عند وفدة المنذر وبهذه الآية العجيبة من أمر عرشها عطفوا على ذلك قولهم وأوتينا نحن العلم بالله وبقدرته وبصحة ما جاء من عنده قبل علمها ولم نزل على دين الاسلام شكرا لله على فضلهم عليها وسبقهم الى العلم بالله والاسلام قبلها (وصدها) عن التقدم الى الاسلام عبادة الشمس ونشؤها بين ظهراني الكفرة ويجوز أن يكون من كلام بلقيس موصولا بقولها كأنه هو والمعنى وأوتينا العلم بالله وبقدرته وبصحة نبوة سليمان عليه السلام قبل هذه المعجزة أو قبل هذه الحالة تعني ما تبينت من الآيات عند وفدة المنذر ودخلنا في الاسلام ثم قال الله تعالى وصدها قبل ذلك عما دخلت فيه ضلالها عن سواء السبيل وقيل وصدها الله أو سليمان عما كانت تعبد بتقدير حذف الجار وايصال الفعل * وقرئ أنها بالفتح على أنه بدل من فاعل صد أو بمعنى لأنها * الصرح القصر وقيل صحن الدار * وقرأ ابن كثير سأقيها بالهمز ووجهه أنه سمع سؤقا فأجرى عليه الواحد * والممرد المملس وروي أن سليمان عليه السلام أمر قبل قدومها فبني له على طريقها قصر من زجاج أبيض وأجرى من تحته الماء وألقى فيه من دواب البحر السمك وغيره ووضع سريره في صدره فجلس عليه وعكف عليه الطير والجن والانس وانما فعل ذلك ليزيدها استعظاما لأمره وتحققا لنبوته وثباتا على الدين وزعموا أن الجن كرهوا أن يتزوجها فتفضي اليه بأسرارهم لأنها كانت بنت جنية وقيل خافوا أن يولد له منها ولد تجتمع له فطنة الجن والانس فيخرجون من ملك سليمان الى ملك هو أشد وأفظع فقالوا له ان في عقلها شيئا وهي شعراء الساقين ورجلها كحافر الحمار فاختبر عقلها بتنكير العرش واتخذ الصرح ليتعرف ساقها ورجلها فكشفت عنهما فاذا هي أحسن الناس ساقا وقدما الا أنها شعراء ثم صرف بصره وناداها انه صرح ممرد من قوارير (وقيل هي السبب في اتخاذ النورة أمر بها الشياطين فاتخذوها واستنكحها سليمان عليه السلام وأحبها وأقرها على ملكها وأمر الجن فبنوا لها سيلحين وغمدان وكان يزورها في الشهر مرة فيقيم عندها ثلاثة أيام وولدت له وقيل بل زوجها ذا تبع ملك همدان وسلطه على اليمن وأمر زوبعة أمير جن اليمن أن يطيعه فبنى له المصانع ولم يزل أميرا حتى مات سليمان (ظلمت نفسي) تريد بكفرها فيما تقدم وقيل حسبت أن سليمان عليه السلام يغرقها في اللجة فقالت ظلمت نفسي بسوء ظني بسليمان عليه السلام * وقرئ أن اعبدوا بالضم على اتباع النون الباء (فريقان) فريق مؤمن وفريق كافر وقيل أريد بالفريق صالح عليه السلام وقومه قبل أن يؤمن منهم أحد (يختصمون) يقول كل فريق الحق معي * السيئة العقوبة والحسنة التوبة (فان قلت) ما معنى استعجالهم بالسيئة قبل الحسنة وانما يكون ذلك اذا كانتا متوقعتين احداهما قبل الأخرى (قلت) كانوا يقولون لجهلهم ان العقوبة التي يعدها صالح عليه السلام ان وقعت على زعمه تبنا حينئذ واستغفرنا مقدرين ان التوبة مقبولة في ذلك الوقت وان لم تقع فنحن على ما نحن عليه فخاطبهم صالح عليه السلام على حسب قولهم واعتقادهم * ثم قال لهم هلا تستغفرون الله قبل نزول العذاب (لعلكم ترحمون) تنبيها لهم على الخطأ فيما قالوه وتجهيلا لهم فيما اعتقدوه * كان الرجل يخرج مسافرا فيمر بطائر فيزجره فان مر سانحا تيمن وان مر بارحا تشاءم فلما نسبوا الخير والشر الى الطائر استعير لما كان سببهما من قدر الله وقسمته أو من عمل العبد

الذي هو السبب في الرحمة والنقمة ومنه قالوا طائر الله لا طائرك أي قدر الله الغالب الذي ينسب إليه الخير والشر لا طائرك الذي تتشاءم به وتتيمن فلما قالوا اطيرنا بكم أي تشاءمنا وكانوا قد قحطوا (قال طائركم عند الله) أي سببكم الذي يجيء منه خيركم وشركم عند الله وهو قدره وقسمته إن شاء رزقكم وإن شاء حرمكم ويجوز أن يريد عملكم مكتوب عند الله فمنه نزل بكم ما نزل عقوبة لكم وفتنة ومنه قوله طائركم معكم وكل انسان ألزمناه طائره في عنقه وقرئ تطيرنا بكم على الأصل ومعنى تطير به تشاءم به وتطير منه نفر عنه (تفتنون) تختبرون أو تعذبون أو يفتنكم الشيطان بوسوسته إليكم الطيرة (المدينة) الحجر * وإنما جاز تمييز التسعة بالرهط لأنه في معنى الجماعة فكأنه قيل تسعة أنفس والفرق بين الرهط والنفر أن الرهط من الثلاثة إلى العشرة أو من السبعة إلى العشرة والنفر من الثلاثة إلى التسعة وأسماؤهم عن وهب الهذيل بن عبد رب غنم بن غنم رياب بن مهرج مصدع بن مهرج عمير بن كردبة عاصم بن مخرمة سبيط بن صدقة سمعان بن صفي قدار بن سالف وهم الذين سعوا في عقر الناقة وكانوا عتاة قوم صالح عليه السلام وكانوا من أبناء أشرافهم (ولا يصلحون) يعني أن شأنهم الافساد البحت الذي لا يخلط بشيء من الصلاح كما ترى بعض المفسدين قد يندر منه بعض الصلاح (تقاسموا) يحتمل أن يكون أمرا وخبرا في محل الحال باضمار قد أي قالوا متقاسمين * وقرئ تقسموا * وقرئ لتبيتنه بالتاء والياء والنون فتقاسموا مع النون والتاء يصح فيه الوجهان ومع الياء لا يصح الا أن يكون خبرا والتقاسم والتقسم كالتظاهر والتظهر التحالف والبيات مباغتة العدو ليلا وعن الاسكندر أنه أشير عليه بالبيات فقال ليس من آيين الملوك استراق الظفر * وقرئ مهلك بفتح الميم واللام وكسرها من هلك ومهلك بضم الميم من أهلك ويحتمل المصدر والزمان والمكان * (فإن قلت) كيف يكونون صادقين وقد جحدوا ما فعلوا فأتوا بالخبر على خلاف المخبر عنه (قلت) كأنهم اعتقدوا أنهم إذا بيتوا صالحا وبيتوا أهله فجمعوا بين البياتين ثم قالوا ما شهدنا مهلك أهله فذكروا أحدهما كانوا صادقين لأنهم فعلوا البياتين جميعا لا أحدهما وفي هذا دليل قاطع على أن الكذب قبيح عند الكفرة الذين لا يعرفون الشرع ونواهيه ولا يخطر ببالهم ألا ترى أنهم قصدوا قتل نبي الله ولم يرضوا لأنفسهم بأن يكونوا كاذبين حتى سووا للصدق في خبرهم حيلة يتفصون بها عن الكذب * مكرهم ما أخفوه من تدبير الفتك بصالح عليه السلام وأهله ومكر الله إهلاكهم من حيث لا يشعرون شبه بمكر الماكر على سبيل الاستعارة روي أنه كان لصالح مسجد في الحجر في شعب يصلي فيه فقالوا زعم صالح عليه السلام أنه يفرغ منا إلى ثلاث فنحن نفرغ منه ومن أهله قبل الثلاث فخرجوا إلى الشعب وقالوا إذا جاء يصلي قتلناه ثم رجعنا إلى أهله فقتلناهم فبعث الله صخرة من الهضب حيالهم فبادروا فطبقت الصخرة عليهم فم الشعب فلم يدر قومهم أين هم ولم يدروا ما فعل بقومهم وعذب الله كلا منهم في مكانه ونجى صالحا ومن معه وقيل جاؤا بالليل شاهري سيوفهم وقد أرسل الله الملائكة ملء دار صالح فدمغوهم بالحجارة يرون الحجارة ولا يرون راميا (أنا دمرناهم) استئناف ومن قرأ بالفتح رفعه بدلا من العاقبة أو خبر مبتدأ محذوف تقديره هي تدميرهم أو نصبه على معنى لأنا أو على أنه خبر كان أي كان عاقبة مكرهم الدمار (خاوية)

* قوله تعالى لنبيتنه وأهله ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك أهله وإنا لصادقون (قال فيه إن قلت كيف يكونون صادقين وقد جحدوا ما فعلوا فأتوا بالخبر على خلاف المخبر عنه قلت كأنهم اعتقدوا أنهم إذا بيتوا صالحا وبيتوا أهله وجمعوا بين البياتين جميعا لا أحدهما كانوا صادقين وفي هذا دليل قاطع على أن الكذب قبيح عند الكفرة الذين لا يعرفون الشرع ونواهيه ولا يخطر ببالهم ألا تراهم قصدوا قتل نبي الله ولم يرضوا لأنفسهم بأن يكونوا كاذبين حتى سووا للصدق حيلة يتفصون بها عن الكذب) قال أحمد وحيلة الزمخشري لتصحيح قاعدة التحسين والتقبيح بالعقل أقرب من حيلتهم أتى بها الله تعالى مكر الآن غرضه من تمهيد حيلتهم أن يستشهد على صحة القاعدة المذكورة في موافقة قوم لوط عليها إذ استقبحوا الكذب بعقولهم لا بالشرع وأنى يتم له ذلك وهم بهم كاذبون صريح الكذب في قولهم ما شهدنا مهلك أهله وذلك أنهم فعلوا الأمرين ومن فعل الأمرين فقد فعل أحدهما لم يكن في قرينته صريحا بقولنا كانت الحيلة تتم لو فعلوا أمرا واحدا هو علمهم فعل أمرين جميعا والجميع ومن ثم اختلف العلماء في أن من حلف لا أضرب زيدا فضرب زيدا وعمرا كان حانثا لاختلاف الحالف لا أضرب زيدا وعمرا ولا آكل رغيفين فأكل أحدهما فإن مثل هذا محل خلاف العلماء في الحنث وعدمه فإذا اتضح أن هؤلاء كاذبون صراحا في قولهم ما شهدنا مهلك أهله وأنه لا حيلة لهم في التخلص من الكذب فلا يعدو أمرهم أن يكونوا عقلاء فهم لا يتواطئون على اعتقاد الصدق بهذه الحيلة مع القطع بأنها ليست حيلة ولا شبهة تقرب عندهم من الصدق فيبطل ما قال الزمخشري لإثبات قاعدة دينه على زعمه إذ قاعدة التحسين والتقبيح بالعقل من قواعد عقائد الكفر يقبح موافقة قوم غير عقلاء على صحتها شبهة ما رضي بها لدينه والسلام

قال طائركم عند الله بل أنتم قوم تفتنون وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك أهله وإنا لصادقون ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم وقومهم أجمعين فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا إن في ذلك لآية لقوم يعلمون وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون

حال عمل فيها مادل عليه تلك وقرأ عيسى بن عمر خاوية بالرفع على خبر المبتدا المحذوف (و) اذكر (لوطا) أو أرسلنا لوطا لدلالة ولقد أرسلنا عليه * واذ بدل على الاول ظرف على الثاني (وأنتم تبصرون) من بصر القلب أي تعلمون أنها فاحشة لم تسبقوا اليها وان الله انما خلق الانثى للذكر ولم يخلق الذكر للذكر ولا الانثى للانثى فهي مضادة لله في حكمته وحكمه وعلمكم بذلك أعظم لذنوبكم وأدخل في القبح والسماجة وفيه دليل على أن القبيح من الله أقبح منه من عباده لانه أعلم العالمين وأحكم الحاكمين أو تبصرونها بعضكم من بعض لانهم كانوا في ناديهم يرتكبونها معالنين بها لا يتستر بعضهم من بعض خلاعة ومجانة وانهماكا في المعصية وكأن أبا نواس بنى على مذهبهم قوله * وبح باسم ما تأتي وذرني من الكنى * فلا خير في اللذات من دونها ستر
أو تبصرون آثار العصاة قبلكم وما نزل بهم (فان قلت) فسرت تبصرون بالعلم وبعده (بل أنتم قوم تجهلون) فكيف يكونون علماء جهلاء (قلت) أراد تفعلون فعل الجاهلين بأنها فاحشة مع علمكم بذلك أو تجهلون العاقبة أو أراد بالجهل السفاهة والمجانة التي كانوا عليها (فان قلت) تجهلون صفة لقوم والموصوف لفظه لفظ الغائب فهلا طابقت الصفة الموصوف فقرئ بالياء دون التاء وكذلك بل أنتم قوم تفتنون (قلت) اجتمعت الغيبة والمخاطبة فغلبت المخاطبة لانها أقوى وأرسخ أصلا من الغيبة * وقرأ الاعمش جواب قومه بالرفع والمشهور أحسن (يتطهرون) يتنزهون عن القاذورات كلها فينكرون هذا العمل القذر ويغيظنا انكارهم وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو استهزاء (قدرناها) قدرنا كونها (من الغابرين) كقوله قدرنا انها لمن الغابرين فالتقدير واقع على الغبور في المعنى * أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يتلو هذه الآيات الناطقة بالبراهين على وحدانيته وقدرته على كل شيء وحكمته وأن يستفتح بتحميده والسلام على أنبيائه والمصطفين من عباده وفيه تعليم حسن وتوقيف على أدب جميل وبعث على التيمن بالذكرين والتبرك بهما والاستظهار بمكانهما على قبول ما يلقى الى السامعين واصغائهم اليه وانزاله من قلوبهم المنزلة التي يبغيها المسمع ولقد توارث العلماء والخطباء والوعاظ كابرا عن كابر هذا الادب فحمدوا الله عز وجل وصلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمام كل علم مفاد وقبل كل عظة وتذكرة وفي مفتتح كل خطبة وتبعهم المترسلون فأجروا عليه أوائل كتبهم في الفتوح والتهاني وغير ذلك من الحوادث التي لها شأن وقيل هو متصل بما قبله وأمر بالتحميد على الهالكين من كفار الامم والصلاة على الانبياء عليهم السلام وأشياعهم الناجين وقيل هو خطاب للوط عليه السلام وأن يحمد الله على هلاك كفار قومه ويسلم على من اصطفاه الله ونجاه من هلكتهم وعصمه من ذنوبهم * معلوم أن لا خير فيما أشركوه أصلا حتى يوازن بينه وبين من هو خالق كل خير ومالكه وانما هو الزام لهم وتبكيت وتهكم بحالهم وذلك أنهم آثروا عبادة الاصنام على عبادة الله ولا يؤثر عاقل شيئا على شيء الا لداع يدعوه الى ايثاره من زيادة خير ومنفعة فقيل لهم مع العلم بأنه لا خير فيما آثروه وأنهم لم يؤثروه لزيادة الخير ولكن هوى وعبثا لينبهوا على الخطأ المفرط والجهل المورط واضلالهم التمييز ونبذهم المعقول وليعلموا أن الايثار يجب أن يكون للخير الزائد ونحوه ما حكاه عن فرعون أم أنا خير من هذا الذي هو مهين مع علمه أنه ليس لموسى مثل أنهاره التي كانت تجري تحته * ثم عدد سبحانه الخيرات والمنافع التي هي آثار رحمته وفضله كما عددها في موضع آخر ثم قال هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء * وقرئ يشركون بالياء والتاء وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان اذا قرأها يقول بل الله خير وأبقى وأجل وأكرم (فان قلت) ما الفرق بين أم وأم في أما تشركون وأمن خلق (قلت) تلك متصلة لان المعنى أيهما خير وهذه منقطعة بمعنى بل والهمزة لما قال آلله خير أم الآلهة قال بل أمن خلق السموات والارض خير تقريرا لهم بأن من قدر على خلق العالم خير من جماد لا يقدر على شيء وقرأ الاعمش أمن بالتخفيف ووجهه أن يجعل بدلا من الله كأنه قال أمن خلق السموات والارض خير أم ما تشركون * (فان قلت) أي نكتة في نقل الاخبار عن الغيبة الى التكلم عن ذاته في قوله فأنبتنا (قلت) تأكيد معنى اختصاص الفعل بذاته والايذان بأن انبات الحدائق المختلفة الاصناف والالوان والطعوم والروائح والاشكال مع حسنها وبهجتها بماء واحد لا يقدر عليه الا هو وحده ألا ترى كيف رشح

ولوطا اذ قال لقومه أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون أئنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم تجهلون فما كان جواب قومه الا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريتكم انهم أناس يتطهرون فأنجيناه وأهله الا امرأته قدرناها من الغابرين وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى آلله خير أما يشركون أمن خلق السموات والارض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق

---

* قوله تعالى آلله خير أما تشركون (قال فيه معلوم أن لا خير فيما أشركوه حتى يوازن بينه وبين من هو خالق كل خير ومالكه وانما هو الزام لهم وتبكيت) قال أحمد كلام مرضي بعد أن نضع خالق كل شيء مكان قوله خالق كل خير فانه مقتضى قدري أو أثر الشرك الخفي والتوحيد الابلج ما قلناه والله سبحانه وتعالى أعلم

معنى الاختصاص بقوله (ما كان لكم أن تنبتوا شجرها) ومعنى الكينونة الانبغاء أراد أن تأتي ذلك محال من غيره وكذلك قوله بل هم بعد الخطاب أبلغ في تخطئة رأيهم * والحديقة البستان عليه حائط من الاحداق وهو الاحاطة وقيل ذات لان المعنى جماعة حدائق ذات بهجة كما يقال النساء ذهبت والبهجة الحسن لان الناظر يبتهج به (أإله مع الله) أغيره يقرن به ويجعل شريكا له وقرئ أإلها مع الله بمعنى أتدعون أو أتشركون ولك أن تحقق الهمزتين وتوسط بينهما مدة وتخرج الثانية بين بين (يعدلون) به غيره أو يعدلون عن الحق الذي هو التوحيد (أمن جعل) وما بعده بدل من أمن خلق فكان حكمها حكمه (قرارا) دحاها وسواها للاستقرار عليها (حاجزا) كقوله برزخا * الضرورة الحالة المحوجة الى اللجاء والاضطرار افتعال منها يقال اضطره الى كذا والفاعل والمفعول مضطر والمضطر الذي أحوجه مرض أو فقر أو نازلة من نوازل الدهر الى اللجاء والتضرع الى الله وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو المجهود وعن السدي الذي لا حول له ولا قوة وقيل المذنب اذا استغفر (فان قلت) قد عم المضطرين بقوله يجيب المضطر اذا دعاه وكم من مضطر يدعوه فلا يجاب (قلت) الاجابة موقوفة على أن يكون المدعو به مصلحة ولهذا لا يحسن دعاء العبد الا شارطا فيه المصلحة وأما المضطر فمتناول للجنس مطلقا يصلح لكله ولبعضه فلا طريق الى الجزم على أحدهما الا بدليل وقد قام الدليل على البعض وهو الذي اجابته مصلحة فبطل التناول على العموم (خلفاء الارض) خلفاء فيها وذلك توارثهم سكناها والتصرف فيها قرنا بعد قرن أو أراد بالخلافة الملك والتسلط * وقرئ يذكرون بالياء مع الادغام وبالتاء مع الادغام والحذف وما مزيدة أي يذكرون تذكرا قليلا والمعنى نفي التذكر والقلة تستعمل في معنى النفي (يهديكم) بالنجوم في السماء والعلامات في الارض اذا جن الليل عليكم مسافرين في البر والبحر * (فان قلت) كيف قيل لهم (أمن يبدأ الخلق ثم يعيده) وهم منكرون للاعادة (قلت) قد أزيحت علتهم بالتمكين من المعرفة والاقرار فلم يبق لهم عذر في الانكار (من السماء) الماء (و) من (الارض) النبات (ان كنتم صادقين) أن مع الله الها فأين دليلكم عليه * (فان قلت) لم رفع اسم الله والله يتعالى أن يكون ممن في السموات والارض (قلت) جاء على لغة بني تميم حيث يقولون ما في الدار أحد الا حمار يريدون ما فيها الا حمار كأن أحدا لم يذكر ومنه قوله

عشية ما تغني الرماح مكانها * ولا النبل الا المشرفي المصمم

وقولهم ما أتاني زيد الا عمرو وما أعانه اخوانكم الا اخوانه (فان قلت) ما الداعي الى اختيار المذهب التميمي على الحجازي (قلت) دعت اليه نكتة سرية حيث أخرج المستثنى مخرج قوله الا اليعافير بعد قوله ليس بها أنيس ليؤول المعنى الى قولك ان كان الله ممن في السموات والارض فهم يعلمون الغيب يعني ان علمهم الغيب في استحالته كاستحالة أن يكون الله منهم كما أن معنى ما في البيت ان كانت اليعافير أنيسا ففيها أنيس بتا للقول بخلوها عن الأنيس (فان قلت) هلا زعمت ان الله ممن في السموات والارض كما يقول المتكلمون الله في كل مكان على معنى ان علمه في الاماكن كلها فكأن ذاته فيها حتى لا تحمله على مذهب بني تميم (قلت) يأبى ذلك أن كونه في السموات والارض مجاز وكونهم فيهن حقيقة وارادة المتكلم بعبارة واحدة حقيقة ومجازا غير صحيحة على أن قولك من في السموات والارض وجمعك بينه وبينهم في اطلاق اسم واحد فيه ايهام تسوية والايهامات مزالة عنه وعن صفاته تعالى ألا ترى كيف قال صلى الله عليه وسلم لمن قال ومن يعصهما فقد غوى بئس خطيب القوم أنت وعن عائشة رضي الله عنها من زعم أنه يعلم ما في غد فقد أعظم على الله الفرية والله تعالى يقول قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله وعن بعضهم أخفى غيبه عن الخلق ولم يطلع عليه أحدا لئلا يأمن أحد من عبيده مكره وقيل نزلت في المشركين حين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت الساعة (أيان) بمعنى متى ولو سمي به لكان فعالا من آن يئين ولا ينصرف وقرئ ايان بكسر الهمزة * وقرئ

ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أإله مع الله بل هم قوم يعدلون أمن جعل الارض قرارا وجعل خلالها أنهارا وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزا أإله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض أإله مع الله قليلا ما تذكرون أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته أإله مع الله تعالى الله عما يشركون أمن يبدأ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والارض أإله مع الله قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله وما يشعرون أيان يبعثون بل ادارك علمهم

---

* قوله تعالى أمن يجيب المضطر اذا دعاه (قال ان قلت فكم من مضطر لا يجاب قلت الاجابة موقوفة على كون المدعو به مصلحة وهذا لا يحسن دعاء العبد الا شارطا فيه المصلحة) قال أحمد الصواب ان الاجابة مقرونة بالمشيئة لا بالمصلحة واتفاقه الاجابة على المصلحة عند القدرية لايجابهم على الله تعالى رعاية المصالح وقول الزمخشري لا يحسن الدعاء من العبد الا شارطا فيه المصلحة فاسد فان المشيئة شرط في اجابة الدعاء اتفاقا ومع ذلك نهى النبي صلى الله عليه وسلم أن يقول الداعي اللهم اغفر لي ان شئت

بل أدرك بل ادرك بل ادارك بل تدارك بل أأدرك بهمزتين بل آأدرك بألف بينهما بل ادرك بالتخفيف والنقل بل ادّرك بفتح اللام وتشديد الدال وأصله بل ادرك على الاستفهام بلى أدرك بلى أأدرك أم تدارك أم أدرك فهذه ثنتا عشرة قراءة وادّارك أصله تدارك فأدغمت التاء في الدال وادّرك افتعل ومعنى أدرك علمهم انتهى وتكامل وادّارك تتابع واستحكم وهو على وجهين أحدهما أن أسباب استحكام العلم وتكامله بأن القيامة كائنة لا ريب فيها قد حصلت لهم ومكنوا من معرفته وهم شاكون جاهلون وهو قوله بل هم في شك منها بل هم منها عمون * يريد المشركين ممن في السموات والارض لانهم لما كانوا في جملتهم نسب فعلهم الى الجميع كما يقال بنو فلان فعلوا كذا وانما فعله ناس منهم (فان قلت) ان الآية سيقت لاختصاص الله بعلم الغيب وأن العباد لا علم لهم بشيء منه وأن وقت بعثهم ونشورهم من جملة الغيب وهم لا يشعرون به فكيف لاءم هذا المعنى وصف المشركين بانكارهم البعث مع استحكام أسباب العلم والتمكن من المعرفة (قلت) لما ذكر أن العباد لا يعلمون الغيب ولا يشعرون بالبعث الكائن ووقته الذي يكون فيه وكان هذا بيانا لعجزهم ووصفا لقصور علمهم وصل به أن عندهم عجزا أبلغ منه وهو أنهم يقولون للكائن الذي لا بد أن يكون وهو وقت جزاء أعمالهم لا يكون مع أن عندهم أسباب معرفة كونه واستحكام العلم به والوجه الثاني أن وصفهم باستحكام العلم وتكامله تهكم بهم كما تقول لأجهل الناس ما أعلمك على سبيل الهزؤ وذلك حيث شكوا وعموا عن اثباته الذي الطريق الى علمه مسلوك فضلا أن يعرفوا وقته الذي لا طريق الى معرفته وفي أدرك علمهم وادارك علمهم وجه آخر وهو أن يكون أدرك بمعنى انتهى وفني من قولك أدركت الثمرة لأن تلك غايتها التي عندها تعدم وقد فسره الحسن رضي الله عنه باضمحل علمهم وتدارك من تدارك بنو فلان اذا تتابعوا في الهلاك (فان قلت) فما وجه قراءة من قرأ بل أأدرك على الاستفهام (قلت) هو استفهام على وجه الانكار لادراك علمهم وكذلك من قرأ أم أدرك وأم تدارك لانها أم التي بمعنى بل والهمزة (فان قلت) فمن قرأ بلى أدرك وبلى أأدرك (قلت) لما جاء ببلى بعد قوله وما يشعرون كان معناه بلى يشعرون ثم فسر الشعور بقوله أدرك علمهم في الآخرة على سبيل التهكم الذي معناه المبالغة في نفي العلم فكأنه قال شعورهم بوقت الآخرة أنهم لا يعلمون كونها فيرجع الى نفي الشعور على أبلغ ما يكون وأما من قرأ بلى أأدرك على الاستفهام فمعناه بلى يشعرون متى يبعثون ثم أنكر علمهم بكونها واذا أنكر علمهم بكونها لم يتحصل لهم شعور بوقت كونها لأن العلم بوقت الكائن تابع للعلم بكون الكائن (في الآخرة) في شأن الآخرة ومعناها (فان قلت) هذه الاضرابات الثلاث ما معناها (قلت) ما هي الا تنزيل لأحوالهم وصفهم أولا بأنهم لا يشعرون وقت البعث ثم بأنهم لا يعلمون أن القيامة كائنة ثم بأنهم يخبطون في شك ومرية فلا يزيلونه والازالة مستطاعة ألا ترى أن من لم يسمع اختلاف المذاهب وتضليل أربابها بعضهم لبعض كان أمره أهون ممن سمع بها وهو جاثم لا يتشخص به طلب التمييز بين الحق والباطل ثم بما هو أسوأ حالا وهو العمى وأن يكون مثل البهيمة قد عكف همه على بطنه وفرجه لا يخطر بباله حقا ولا باطلا ولا يفكر في عاقبة وقد جعل الآخرة مبدأ عماهم ومنشأه فلذلك عداه بمن دون عن لأن الكفر بالعاقبة والجزاء هو الذي جعلهم كالبهائم لا يتدبرون ولا يتبصرون * العامل في اذا ما دل عليه أئنا لمخرجون وهو نخرج لأن بين يدي عمل اسم الفاعل فيه عقابا وهي همزة الاستفهام وان ولام الابتداء وواحدة منها كافية فكيف اذا اجتمعن والمراد الاخراج من الارض أو من حال الفناء الى الحياة وتكرير حرف الاستفهام بادخاله على اذا وان جميعا انكار على انكار وجحود عقيب جحود ودليل على كفر مؤكد مبالغ فيه والضمير في انا لهم ولآبائهم لأن كونهم ترابا قد تناولهم وآباءهم * (فان قلت) قدم في هذه الآية هذا على نحن وآباؤنا وفي آية أخرى قدم نحن وآباؤنا على هذا (قلت) التقديم دليل على أن المقدم هو الغرض المتعمد بالذكر وأن الكلام انما سيق لأجله ففي احدى الآيتين دل على أن اتخاذ البعث هو الذي تعمد بالكلام وفي الأخرى على أن اتخاذ المبعوث بذلك الصدد * لم تلحق علامة التأنيث بفعل العاقبة لأن تأنيثها غير حقيقي ولأن المعنى كيف كان آخر أمرهم * وأراد بالمجرمين الكافرين وانما عبر عن الكفر بلفظ

الاجرام

في الآخرة بل هم في شك منها بل هم منها عمون وقال الذين كفروا أئذا كنا ترابا وآباؤنا أئنا لمخرجون لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل ان هذا الا أساطير الأولين قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين

الاجرام ليكون لطفا للمسلمين في ترك الجرائم وتخوف عاقبتها ألا ترى الى قوله فدمدم عليهم ربهم بذنبهم وقوله
مما خطيئاتهم أغرقوا (ولا تحزن عليهم) لأنهم لم يتبعوك ولم يسلموا فيسلموا وهم قومه قريش كقوله تعالى
فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا (في ضيق) أي في حرج صدر من مكرهم وكيدهم
لك ولا تبال بذلك فان الله يعصمك من الناس يقال ضاق الشيء ضيقا وضيقا بالفتح والكسر وقد قرئ بهما
والضيق أيضا تخفيف الضيق قال الله تعالى ضيقا حرجا قرئ مخففا ومثقلا ويجوز أن يراد في أمر ضيق من
مكرهم * استعجلوا العذاب الموعود فقيل لهم (عسى أن يكون) ردفكم بعضه وهو عذاب يوم بدر فزيدت
اللام للتأكيد كالباء في ولا تلقوا بأيديكم أو ضمن معنى فعل يتعدى باللام نحو دنا لكم وأزف لكم ومعناه تبعكم
ولحقكم وقد عدي بمن قال * فلما ردفنا من عمير وصحبه * تولوا سراعا والمنية تعنق
يعني دنونا من عمير وقرأ الأعرج ردف لكم بوزن ذهب وهما لغتان والكسر أفصح وعسى ولعل وسوف
في وعد الملوك ووعيدهم يدل على صدق الأمر وجده وما لا مجال للشك بعده وانما يعنون بذلك اظهار وقارهم
وأنهم لا يعجلون بالانتقام لادلالهم بقهرهم وغلبتهم ووثوقهم أن عدوهم لا يفوتهم وأن الرمزة الى الأغراض
كافية من جهتهم فعلى ذلك جرى وعد الله ووعيده * الفضل والفاضلة الافضال ولفلان فواضل في قومه
وفضول ومعناه أنه مفضل عليهم بتأخير العقوبة وأنه لا يعاجلهم بها وأكثرهم لا يعرفون حق النعمة فيه
ولا يشكرونه ولكنهم بجهلهم يستعجلون وقوع العقاب وهم قريش * قرئ تكن يقال كننت الشيء وأكننته
اذا سترته وأخفيته يعني أنه يعلم ما يخفون وما يعلنون من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومكايدهم
وهو معاقبهم على ذلك بما يستوجبونه * سمي الشيء الذي يغيب ويخفى غائبة وخافية فكانت التاء فيهما
بمنزلتها في العافية والعاقبة ونظائرهما النطيحة والرمية والذبيحة في أنها أسماء غير صفات ويجوز أن يكونا
صفتين وتاؤهما للمبالغة كالراوية في قولهم ويل للشاعر من راوية السوء كأنه قال وما من شيء شديد الغيبوبة
والخفاء الا وقد علمه الله وأحاط به وأثبته في اللوح المبين الظاهر البين لمن ينظر فيه من الملائكة * قد اختلفوا
في المسيح فتحزبوا فيه أحزابا ووقع بينهم التناكر في أشياء كثيرة حتى لعن بعضهم بعضا وقد نزل القرآن ببيان
ما اختلفوا فيه لو أنصفوا وأخذوا به وأسلموا يريد اليهود والنصارى (للمؤمنين) لمن أنصف منهم وآمن أي
من بني اسرائيل أو منهم ومن غيرهم (بينهم) بين من آمن بالقرآن ومن كفر به (فان قلت) ما معنى يقضي
بحكمه ولا يقال زيد يضرب بضربه ويمنع بمنعه (قلت) معناه بما يحكم به وهو عدله لأنه لا يقضي الا بالعدل
فسمى المحكوم به حكما أو أراد بحكمته ويدل عليه قراءة من قرأ بحكمه جمع حكمة (وهو العزيز) فلا يرد
قضاؤه (العليم) بمن يقضي له وبمن يقضي عليه أو العزيز في انتقامه من المبطلين العليم بالفصل بينهم وبين
المحقين * أمره بالتوكل على الله وقلة المبالاة بأعداء الدين وعلل التوكل بأنه على الحق الأبلج الذي لا يتعلق به
الشك والظن وفيه بيان أن صاحب الحق حقيق بالوثوق بصنع الله وبنصرته وأن مثله لا يخذل (فان
قلت) (انك لا تسمع الموتى) يشبه أن يكون تعليلا آخر للتوكل فما وجه ذلك (قلت) وجهه أن الأمر
بالتوكل جعل مسببا عما كان يغيظ رسول الله صلى الله عليه وسلم من جهة المشركين وأهل الكتاب من
ترك اتباعه وتشييع ذلك بالأذى والعداوة فلاءم ذلك أن يعلل توكل متوكل مثله بأن اتباعهم أمر قد يئس
منه فلم يبق الا الاستنصار عليهم لعداوتهم واستكفاء شرورهم وأذاهم وشبهوا بالموتى وهم أحياء صحاح
الحواس لأنهم اذا سمعوا ما يتلى عليهم من آيات الله فكانوا أقماع القول لا تعيه آذانهم وكان سماعهم كلا سماع
كانت حالهم لانتفاء جدوى السماع كحال الموتى الذين فقدوا مصحح السماع وكذلك تشبيههم بالصم الذين
ينعق بهم فلا يسمعون وشبهوا بالعمي حيث يضلون الطريق ولا يقدر أحد أن ينزع ذلك عنهم وأن يجعلهم
هداة بصراء الا الله عز وجل (فان قلت) ما معنى قوله (اذا ولوا مدبرين) (قلت) هو تأكيد لحال الأصم
لأنه اذا تباعد عن الداعي بأن يولي عنه مدبرا كان أبعد عن ادراك صوته * وقرئ ولا يسمع الصم وما أنت
بهادي العمي على الاضافة وتهدي العمي وعن ابن مسعود وما ان تهدي العمي وهداه عن الضلال كقولك

ولا تحزن عليهم ولا
تكن في ضيق مما
يمكرون ويقولون متى
هذا الوعد ان كنتم
صادقين قل عسى أن
يكون ردف لكم بعض
الذي تستعجلون وان
ربك لذو فضل على
الناس ولكن أكثرهم
لا يشكرون وان ربك
ليعلم ما تكن صدورهم
وما يعلنون وما من
غائبة في السماء والأرض
الا في كتاب مبين ان
هذا القرآن يقص على
بني اسرائيل أكثر
الذي هم فيه يختلفون
وانه لهدى ورحمة
للمؤمنين ان ربك يقضي
بينهم بحكمه وهو
العزيز العليم فتوكل
على الله انك على الحق
المبين انك لا تسمع
الموتى ولا تسمع الصم
الدعاء اذا ولوا مدبرين
وما أنت بهادي العمي
عن ضلالتهم

سقاه عن العيمة أي أبعده عنها بالسقي وأبعده عن الضلال بالهدى (إن تسمع) أي ما يجدي إسماعك إلا على الذين علم الله أنهم يؤمنون بآياته أي يصدقون بها (فهم مسلمون) أي مخلصون من قوله بلى من أسلم وجهه لله يعني جعله سالمًا لله خالصًا له * سمي معنى القول ومؤداه بالقول وهو ما وعدوا من قيام الساعة والعذاب ووقوعه حصوله والمراد مشارفة الساعة وظهور أشراطها وحين لا تنفع التوبة * ودابة الأرض الجساسة جاء في الحديث أن طولها ستون ذراعًا لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب وروي لها أربع قوائم وزغب وريش وجناحان وعن ابن جريج في وصفها رأس ثور وعين خنزير وأذن فيل وقرن أيل وعنق نعامة وصدر أسد ولون نمر وخاصرة هر وذنب كبش وخف بعير وما بين المفصلين اثنا عشر ذراعًا بذراع آدم عليه السلام وروي لا تخرج إلا رأسها ورأسها يبلغ عنان السماء أو يبلغ السحاب وعن أبي هريرة فيها من كل لون وما بين قرنيها فرسخ للراكب وعن الحسن رضي الله عنه لا يتم خروجها إلا بعد ثلاثة أيام وعن علي رضي الله عنه أنها تخرج ثلاثة أيام والناس ينظرون فلا يخرج إلا ثلثها وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سئل من أين تخرج الدابة فقال من أعظم المساجد حرمة على الله تعالى يعني المسجد الحرام وروي أنها تخرج ثلاث خرجات تخرج بأقصى اليمن ثم تتكمن ثم تخرج بالبادية ثم تتكمن دهرًا طويلًا فبينا الناس في أعظم المساجد حرمة وأكرمها على الله فما يهولهم إلا خروجها من بين الركن حذاء دار بني مخزوم عن يمين الخارج من المسجد فقوم يهربون وقوم يقفون نظارة وقيل تخرج من الصفا فتكلمهم بالعربية بلسان ذلق فتقول (إن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون) يعني أن الناس كانوا لا يوقنون بخروجي لأن خروجها من الآيات وتقول ألا لعنة الله على الظالمين وعن السدي تكلمهم ببطلان الأديان كلها سوى دين الإسلام وعن ابن عمر رضي الله عنه تستقبل المغرب فتصرخ صرخة تنفذه ثم تستقبل المشرق ثم الشام ثم اليمن فتفعل مثل ذلك وروي تخرج من أجياد وروي بينا عيسى عليه السلام يطوف بالبيت ومعه المسلمون إذ تضطرب الأرض تحتهم تحرك القنديل وينشق الصفا مما يلي المسعى فتخرج الدابة من الصفا ومعها عصا موسى وخاتم سليمان فتضرب المؤمن في مسجده أو فيما بين عينيه بعصا موسى عليه السلام فتنكت نكتة بيضاء فتفشو تلك النكتة في وجهه حتى يضيء لها وجهه أو فتترك وجهه كأنه كوكب دري وتكتب بين عينيه مؤمن وتنكت الكافر بالخاتم في أنفه فتفشو النكتة حتى يسود لها وجهه وتكتب بين عينيه كافر وروي فتجلو وجه المؤمن بالعصا وتخطم أنف الكافر بالخاتم ثم تقول لهم يا فلان أنت من أهل الجنة ويا فلان أنت من أهل النار وقرئ تكلمهم من الكلم وهو الجرح والمراد به الوسم بالعصا والخاتم ويجوز أن يكون تكلمهم من الكلام أيضًا على معنى التكثير يقال فلان مكلم أي مجرح ويجوز أن يستدل بالتخفيف على أن المراد بالتكليم التجريح كما فسر تجرحهم بقراءة علي رضي الله عنه تجرحهم وأن يستدل بقراءة أبي تنبئهم وبقراءة ابن مسعود تكلمهم بأن الناس على أنه من الكلام والقراءة بإن مكسورة حكاية لقول الدابة إما لأن الكلام بمعنى القول أو بإضمار القول أي تقول الدابة ذلك أو هي حكاية لقوله تعالى عند ذلك (فإن قلت) إذا كانت حكاية لقول الدابة فكيف تقول بآياتنا (قلت) قولها حكاية لقول الله تعالى أو على معنى بآيات ربنا أو لاختصاصها بالله وأثرتها عنده وأنها من خواص خلقه أضافت آيات الله إلى نفسها كما يقول بعض خاصة الملك خيلنا وبلادنا وإنما هي خيل مولاه وبلاده ومن قرأ بالفتح فعلى حذف الجار أي تكلمهم بأن (فهم يوزعون) يحبس أولهم على آخرهم حتى يجتمعوا فيكبكبوا في النار وهذه عبارة عن كثرة العدد وتباعد أطرافه كما وصفت جنود سليمان بذلك وكذلك قوله فوجًا فإن الفوج الجماعة الكثيرة ومنه قوله تعالى يدخلون في دين الله أفواجًا وعن ابن عباس رضي الله عنهما أبو جهل والوليد بن المغيرة وشيبة بن ربيعة يساقون بين يدي أهل مكة وكذلك يحشر قادة سائر الأمم بين أيديهم إلى النار (فإن قلت) أي فرق بين من الأولى والثانية (قلت) الأولى للتبعيض والثانية للتبيين كقوله من الأوثان * الواو للحال كأنه قال أكذبتم بها بادي الرأي من غير فكر ولا نظر يؤدي إلى إحاطة العلم بكنهها وأنها حقيقة بالتصديق

إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون ويوم نحشر من كل أمة فوجًا ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون حتى إذا جاؤوا قال أكذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علمًا

أو

أو بالتكذيب أو للعطف أي أجحدتموها ومع جحودكم لم تلقوا أذهانكم لتحققها وتبصرها فان المكتوب اليه قد يجحد أن يكون الكتاب من عنده ومن كتبه ولا يدع مع ذلك أن يقرأه ويتفهم مضامينه ويحيط بمعانيه (أم ماذا كنتم تعملون) بها للتبكيت لا غير وذلك أنهم لم يعملوا الا التكذيب فلا يقدرون أن يكذبوا ويقولوا قد صدقنا بها وليس الا التصديق بها أو التكذيب ومثاله أن تقول لراعيك وقد علمته رعي سوء أتأكل نعمي أم ماذا تعمل بها فتجعل ما تبتدئ به وتجعله أصل كلامك وأساسه هو الذي صح عندك من أكله وفساده وترمي بقولك أم ماذا تعمل بها مع علمك أنه لا يعمل بها الا الأكل لتبهته وتعلمه علمك بأنه لا يجيء منه الا أكلها وأنه لا يقدر أن يدعي الحفظ والاصلاح لما شهر من خلاف ذلك أو أراد أما كان لكم عمل في الدنيا الا الكفر والتكذيب بآيات الله أم ماذا كنتم تعملون من غير ذلك يعني أنه لم يكن لهم عمل غيره كأنهم لم يخلقوا الا للكفر والمعصية وانما خلقوا للايمان والطاعة يخاطبون بهذا قبل كبهم في النار ثم يكبون فيها وذلك قوله (ووقع القول عليهم) يريد أن العذاب الموعود يغشاهم بسبب ظلمهم وهو التكذيب بآيات الله فيشغلهم عن النطق والاعتذار كقوله تعالى هذا يوم لا ينطقون * جعل الابصار للنهار وهو لأهله (فان قلت) ما للتقابل لم يراع في قوله ليسكنوا ومبصرا حيث كان أحدهما علة والآخر حالا (قلت) هو مراعى من حيث المعنى وهكذا النظم المطبوع غير المتكلف لأن معنى مبصرا ليبصروا فيه طرق التقلب في المكاسب * (فان قلت) لم قيل (ففزع) دون فيفزع (قلت) لنكتة وهي الاشعار بتحقق الفزع وثبوته وأنه كائن لا محالة واقع على أهل السموات والأرض لأن الفعل الماضي يدل على وجود الفعل وكونه مقطوعا به والمراد فزعهم عند النفخة الأولى حين يصعقون (الا من شاء الله) الا من ثبت الله قلبه من الملائكة قالوا هم جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت عليهم السلام وقيل الشهداء وعن الضحاك الحور وخزنة النار وحملة العرش وعن جابر منهم موسى عليه السلام لأنه صعق مرة ومثله قوله تعالى ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض الا من شاء الله * وقرئ أتوه وأتاه ودخرين فالجمع على المعنى والتوحيد على اللفظ والداخر والدخر الصاغر وقيل معنى الاتيان حضورهم الموقف بعد النفخة الثانية ويجوز أن يراد رجوعهم الى أمره وانقيادهم له (جامدة) من جمد في مكانه اذا لم يبرح * تجمع الجبال فتسير كما تسير الريح السحاب فاذا نظر اليها الناظر حسبها واقفة ثابتة في مكان واحد (وهي تمر) مرا حثيثا كما يمر السحاب وهكذا الاجرام العظام المتكاثرة العدد اذا تحركت لا تكاد تتبين حركتها كما قال النابغة في صفة جيش

بأرعن مثل الطود تحسب أنهم * وقوف لحاج والركاب تهملج

(صنع الله) من المصادر المؤكدة كقوله وعد الله وصبغة الله الا أن مؤكده محذوف وهو الناصب ليوم ينفخ والمعنى ويوم ينفخ في الصور وكان كيت وكيت أثاب الله المحسنين وعاقب المجرمين ثم قال صنع الله يريد به الاثابة والمعاقبة وجعل هذا الصنع من جملة الأشياء التي أتقنها وأتى بها على الحكمة والصواب حيث قال صنع الله (الذي أتقن كل شيء) يعني أن مقابلته الحسنة بالثواب والسيئة بالعقاب من جملة احكامه للأشياء واتقانه لها واجرائه لها على قضايا الحكمة أنه عالم بما يفعل العباد وبما يستوجبون عليه فيكافئهم على حسب ذلك ثم لخص ذلك بقوله (من جاء بالحسنة) الى آخر الآيتين فانظر الى بلاغة هذا الكلام وحسن نظمه وترتيبه ومكانة اضماده ورصانة تفسيره وأخذ بعضه بحجزة بعض كأنما أفرغ افراغا واحدا ولأمر ما أعجز القوى وأخرس الشقاشق ونحو هذا المصدر اذا جاء عقيب كلام جاء كالشاهد بصحته والمنادي على سداده وأنه ما كان ينبغي أن يكون الا كما قد كان ألا ترى الى قوله صنع الله وصبغة الله ووعد الله وفطرة الله بعدما وسمها باضافتها اليه بسمة التعظيم كيف تلاها بقوله الذي أتقن كل شيء ومن أحسن من الله صبغة لا يخلف الله الميعاد لا تبديل لخلق الله * وقرئ تفعلون على الخطاب (فله خير منها) يريد الاضعاف وأن العمل يتقضى والثواب يدوم وشتان ما بين فعل العبد وفعل السيد وقيل فله خير منها أي له خير حاصل من جهتها وهو الجنة وعن ابن عباس الحسنة كلمة الشهادة * وقرئ يومئذ مفتوحا مع الاضافة لأنه أضيف الى غير متمكن ومنصوبا مع تنوين

أم ماذا كنتم تعملون
ووقع القول عليهم بما
ظلموا فهم لا ينطقون
ألم يروا أنا جعلنا الليل
ليسكنوا فيه والنهار
مبصرا ان في ذلك
لآيات لقوم يؤمنون
ويوم ينفخ في الصور
ففزع من في السموات
ومن في الأرض الا
من شاء الله وكل أتوه
داخرين وترى الجبال
تحسبها جامدة وهي
تمر مر السحاب صنع
الله الذي أتقن كل شيء
انه خبير بما تفعلون
من جاء بالحسنة فله
خير منها وهم من فزع
يومئذ آمنون ومن
جاء بالسيئة فكبت
وجوههم في النار

* قوله تعالى إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرمها وله كل شيء (قال فيه المراد بالبلدة مكة وإضافة اسم الله تعالى إليها تشريف لها وذكر تحريمها لأنه أخص أوصافها وأسنده إلى ذاته تأكيدا للتشريف لها ثم قال وله كل شيء فجعل دخول كل شيء تحت ربوبيته وملكوته كالتابع لدخول هذه البلدة المعظمة وفي ذلك إشارة إلى أن ملكا قد ملك هذه البلدة المكرمة وملك إليها كل شيء إنه العظيم الشأن) قال أحمد وتحت قوله وله كل شيء فائدة أخرى سوى ذلك وهي أنه لما أضاف اسمه إلى البلدة المخصوصة تشريفا لها أتبع ذلك إضافة كل شيء سواها إلى ملكه قطعا لتوهم اختصاص ملكه بالبلدة المشار إليها وتنبيها على أن الإضافة الأولى إنما قصد بها التشريف لها لا لأنها ملك الله تعالى خاصة والله أعلم

هل تجزون إلا ما كنتم تعملون إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرمها وله كل شيء وأمرت أن أكون من المسلمين وأن أتلو القرآن فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فقل إنما أنا من المنذرين وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها وما ربك بغافل عما تعملون

﴿سورة القصص مكية وهي ثمان وثمانون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلو عليك من نبإ موسى وفرعون بالحق

فزع (فإن قلت) ما الفرق بين الفزعين (قلت) الفزع الأول هو ما لا يخلو منه أحد عند الإحساس بشدة تقع وهول يفجأ من رعب وهيبة وإن كان المحسن يأمن لحاق الضرر به كما يدخل الرجل على الملك بصدر هياب وقلب وجاب وإن كانت ساعة إعزاز وتكرمة وإحسان وتولية وأما الثاني فالخوف من العذاب (فإن قلت) فمن قرأ من فزع بالتنوين ما معناه (قلت) يحتمل معنيين من فزع واحد وهو خوف العقاب وأما ما يلحق الإنسان من التهيب والرعب لما يرى من الأهوال والعظائم فلا يخلون منه لأن البشرية تقتضي ذلك وفي الأخبار والآثار ما يدل عليه ومن فزع شديد مفرط الشدة لا يكتنهه الوصف وهو خوف النار * أمن يعدى بالجار وبنفسه كقوله تعالى أفأمنوا مكر الله * وقيل السيئة الإشراك * يعبر عن الجملة بالوجه والرأس والرقبة فكأنه قيل فكبوا في النار كقوله تعالى فكبكبوا فيها ويجوز أن يكون ذكر الوجوه إيذانا بأنهم يكبون على وجوههم فيها مكبوسين (هل تجزون) يجوز فيه الالتفات وحكاية ما يقال لهم عند الكب بإضمار القول * أمر رسوله بأن يقول (أمرت) أن أخص الله وحده بالعبادة ولا أتخذ له شريكا كما فعلت قريش وأن أكون من الحنفاء الثابتين على ملة الإسلام (وأن أتلو القرآن) من التلاوة أو التلو كقوله واتبع ما يوحى إليك * والبلدة مكة حرسها الله تعالى اختصها من بين سائر البلاد بإضافة اسمه إليها لأنها أحب بلاده إليه وأكرمها عليه وأعظمها عنده وهكذا قال النبي صلى الله عليه وسلم حين خرج في مهاجره فلما بلغ الحزورة استقبلها بوجهه الكريم فقال إني أعلم أنك أحب بلاد الله إلى الله ولولا أن أهلك أخرجوني ما خرجت وأشار إليها إشارة تعظيم لها وتقريب دالا على أنها موطن نبيه ومهبط وحيه * ووصف ذاته بالتحريم الذي هو خاص وصفها فأجزل بذلك قسمها في الشرف والعلو ووصفها بأنها محرمة لا ينتهك حرمتها إلا ظالم مضاد لربه ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم لا يختلى خلاها ولا يعضد شجرها ولا ينفر صيدها واللاجئ إليها آمن * وجعل دخول كل شيء تحت ربوبيته وملكوته كالتابع لدخولها تحتهما وفي ذلك إشارة إلى أن ملكا ملك مثل هذه البلدة عظيم الشأن قد ملكها وملك إليها كل شيء اللهم بارك لنا في سكانها وآمنا فيها شر كل ذي شر ولا تنقلنا من جوار بيتك إلا إلى دار رحمتك * وقرئ التي حرمها * واتل عليهم هذا القرآن عن أبي * وأن اتل عن ابن مسعود (فمن اهتدى) باتباعه إياي فيما أنا بصدده من توحيد الله ونفي الأنداد عنه والدخول في الملة الحنيفية واتباع ما أنزل علي من الوحي فمنفعة اهتدائه راجعة إليه لا إلي (ومن ضل) ولم يتبعني فلا علي وما أنا إلا رسول منذر وما على الرسول إلا البلاغ * ثم أمره أن يحمد الله على ما خوله من نعمة النبوة التي لا توازيها نعمة وأن يهدد أعداءه بما سيريهم الله من آياته التي تلجئهم إلى المعرفة والإقرار بأنها آيات الله وذلك حين لا تنفعهم المعرفة يعني في الآخرة عن الحسن وعن الكلبي الدخان وانشقاق القمر وما حل بهم من نقمات الله في الدنيا وقيل هو كقوله سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم الآية * وكل عمل يعملونه فالله عالم به غير غافل عنه لأن الغفلة والسهو لا يجوزان على عالم الذات وهو من وراء جزاء العاملين * قرئ تعملون بالتاء والياء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ طس سليمان كان له من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق سليمان وكذب به وهود وشعيب وصالح وإبراهيم ويخرج من قبره وهو ينادي لا إله إلا الله

﴿سورة القصص مكية وهي ثمان وثمانون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(من نبإ موسى وفرعون) مفعول نتلو أي نتلو عليك بعض خبرهما (بالحق) محقين كقوله تنبت بالدهن

* قوله تعالى وما ربك بغافل عما تعملون (قال فيه لأن العالم بالذات لا يجوز عليه الغفلة) قال أحمد قد سبق له جحد صفة العلم (القوم) وإيهام أن سلبها داخل في تنزيه الله تعالى لأنه يجعل استحالة الغفلة عليه معللة بأنه عالم بالذات لا بعلم والحق أن استحالة الغفلة عليه تعالى لأن علمه لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض بل هو علم قديم أزلي عام التعلق بجميع الواجبات والممكنات والمستحيلات

(لقوم يؤمنون) لمن سبق في علمنا أنه يؤمن لأن التلاوة إنما تنفع هؤلاء دون غيرهم (إن فرعون) جملة
مستأنفة كالتفسير للمجمل كأن قائلا قال وكيف كان نبؤهما فقال إن فرعون (علا في الأرض) يعني أرض
مملكته قد طغى فيها وجاوز الحد في الظلم والعسف (شيعا) فرقا يشيعونه على ما يريد ويطيعونه لا يملك أحد
منهم أن يلوي عنقه قال الأعشى

وبلدة يرهب الجواب دلجتها * حتى تراه عليها يبتغي الشيعا

أو يشيع بعضهم بعضا في طاعته أو أصنافا في استخدامه يتسخر صنفا في بناء وصنفا في حرث وصنفا في حفر
ومن لم يستعمله ضرب عليه الجزية أو فرقا مختلفة قد أغرى بينهم العداوة وهم بنو إسرائيل والقبط * والطائفة
المستضعفة بنو إسرائيل * وسبب ذبح الأبناء أن كاهنا قال له يولد مولود في بني إسرائيل يذهب ملكك على
يده وفيه دليل بين على ثخانة حمق فرعون فإنه إن صدق الكاهن لم يدفع القتل الكائن وإن كذب فما وجه القتل
و(يستضعف) حال من الضمير في وجعل أو صفة لشيعا أو كلام مستأنف و(يذبح) بدل من يستضعف وقوله
(إنه كان من المفسدين) بيان أن القتل ما كان إلا فعل المفسدين فحسب لأنه فعل لا طائل تحته صدق الكاهن
أو كذب * (فإن قلت) علام عطف قوله (ونريد أن نمن) وعطفه على نتلو ويستضعف غير سديد (قلت) هي
جملة معطوفة على قوله إن فرعون علا في الأرض لأنها نظيرة تلك في وقوعها تفسيرا لنبإ موسى وفرعون
واقتصاصا له ونريد حكاية حال ماضية ويجوز أن يكون حالا من يستضعف أي يستضعفهم فرعون ونحن
نريد أن نمن عليهم (فإن قلت) كيف يجتمع استضعافهم وإرادة الله المنة عليهم وإذا أراد الله شيئا كان ولم يتوقف
إلى وقت آخر (قلت) لما كانت منة الله بخلاصهم من فرعون قريبة الوقوع جعلت إرادة وقوعها كأنها
مقارنة لاستضعافهم (أئمة) مقدمين في الدين والدنيا يطأ الناس أعقابهم وعن ابن عباس رضي الله عنهما قادة
يقتدى بهم في الخير وعن مجاهد رضي الله عنه دعاة إلى الخير وعن قتادة رضي الله عنه ولاة كقوله تعالى
وجعلكم ملوكا (الوارثين) يرثون فرعون وقومه ملكهم وكل ما كان لهم * مكن له إذا جعل له مكانا يقعد عليه
أو يرقد فوطأه ومهده ونظيره أرض له ومعنى التمكين لهم في الأرض وهي أرض مصر والشام أن يجعلها
بحيث لا تنبو بهم ولا تغث عليهم كما كانت في أيام الجبابرة وينفذ أمرهم ويطلق أيديهم ويسلطهم * وقرئ
ويرى فرعون وهامان وجنودهما أي يرون (منهم ما) حذروه من ذهاب ملكهم وهلاكهم على يد مولود
منهم * اليم البحر قيل هو نيل مصر * (فإن قلت) ما المراد بالخوفين حتى أوجب أحدهما ونهى عن الآخر
(قلت) أما الأول فالخوف عليه من القتل لأنه كان إذا صاح خافت أن يسمع الجيران صوته فينموا عليه وأما
الثاني فالخوف عليه من الغرق ومن الضياع ومن الوقوع في يد بعض العيون المبثوثة من قبل فرعون في
تطلب الولدان وغير ذلك من المخاوف * (فإن قلت) ما الفرق بين الخوف والحزن (قلت) الخوف غم يلحق
الإنسان لمتوقع والحزن غم يلحقه لواقع وهو فراقه والإخطار به فنهيت عنهما جميعا وأومنت بالوحي إليها
ووعدت ما يسليها ويطامن قلبها ويملؤها غبطة وسرورا وهو رده إليها وجعله من المرسلين * وروي أنه ذبح في
طلب موسى عليه السلام تسعون ألفا وليدا وروي أنها حين أقربت وضربها الطلق وكانت بعض القوابل
الموكلات بحبالى بني إسرائيل مصافية لها فعالجتها فلما وقع إلى الأرض هالها
نور بين عينيه وارتعش كل مفصل منها ودخل حبه قلبها ثم قالت ما جئتك إلا لأقبل مولودك وأخبر فرعون
ولكني وجدت لابنك حبا ما وجدت مثله فاحفظيه فلما خرجت جاء عيون فرعون فلفته في خرقة ووضعته
في تنور مسجور لم تعلم ما تصنع لما طاش من عقلها فطلبوا فلم يلقوا شيئا فخرجوا وهي لا تدري مكانه فسمعت
بكاءه من التنور فانطلقت إليه وقد جعل الله النار عليه بردا وسلاما فلما ألح فرعون في طلب الولدان أوحى
الله إليها فألقته في اليم وقد روي أنها أرضعته ثلاثة أشهر في تابوت من بردي مطلي بالقار من داخله * اللام
في (ليكون) هي لام كي التي معناها التعليل كقولك جئتك لتكرمني سواء بسواء ولكن معنى التعليل فيها
وارد على طريق المجاز دون الحقيقة لأنه لم يكن داعيهم إلى الالتقاط أن يكون لهم عدوا وحزنا ولكن المحبة

لقوم يؤمنون إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم إنه كان من المفسدين ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الأرض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا إن فرعون وهامان وجنودهما

ولا يتوقف تنزيهه تعالى على تعطيل صفاته وكماله وجلاله تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا

والتبني غير أن ذلك لما كان نتيجة التقاطهم له وثمرته شبه بالداعي الذي يفعل الفاعل الفعل لأجله وهو الإكرام الذي هو نتيجة المجيء والتأدب الذي هو ثمرة الضرب في قولك ضربته ليتأدب وتحريره أن هذه اللام حكمها حكم الأسد حيث استعيرت لما يشبه التعليل كما يستعار الأسد لمن يشبه الأسد * وقرئ وحزنا وهما لغتان كالعدم والعدم (كانوا خاطئين) في كل شيء فليس خطؤهم في تربية عدوهم ببدع منهم أو كانوا مذنبين مجرمين فعاقبهم الله بأن ربي عدوهم ومن هو سبب هلاكهم على أيديهم وقرئ خاطين تخفيف خاطئين أو خاطين الصواب إلى الخطإ * روي أنهم حين التقطوا التابوت عالجوا فتحه فلم يقدروا عليه فعالجوا كسره فأعياهم فدنت آسية فرأت في جوف التابوت نورا فعالجته ففتحته فإذا بصبي نوره بين عينيه وهو يمص إبهامه لبنا فأحبوه وكانت لفرعون بنت برصاء وقالت له الأطباء لا تبرأ إلا من قبل البحر يوجد فيه شبه إنسان دواؤها ريقه فلطخت البرصاء برصها بريقه فبرأت وقيل لما نظرت إلى وجهه برأت فقالت إن هذه لنسمة مباركة فهذا أحد ما عطفهم عليه فقال الغواة من قومه هو الصبي الذي نحذر منه فأذن لنا في قتله فهم بذلك فقالت آسية (قرة عين لي ولك) فقال فرعون لك لا لي وروي في حديث لو قال هو قرة عين لي كما هو لك لهداه الله كما هداها وهذا على سبيل الفرض والتقدير أي لو كان غير مطبوع على قلبه كآسية لقال مثل قولها ولأسلم كما أسلمت هذا إن صح الحديث تأويله والله أعلم بصحته وروي أنها قالت له لعله من قوم آخرين ليس من بني إسرائيل قرة عين خبر مبتدإ محذوف ولا يقوى أن تجعله مبتدأ ولا تقتلوه خبرا ولو نصب لكان أقوى وقراءة ابن مسعود رضي الله عنه دليل على أنه خبر قرأ لا تقتلوه قرة عين لي ولك بتقديم لا تقتلوه (عسى أن ينفعنا) فإن فيه مخايل اليمن ودلائل النفع لأهله وذلك لما عاينت من النور وارتضاع الإبهام وبرء البرصاء ولعلها توسمت في سيماء النجابة المؤذنة بكونه نفاعا * أو نتبناه فإنه أهل للتبني ولأن يكون ولدا لبعض الملوك (فإن قلت) (وهم لا يشعرون) حال فما ذو حالها (قلت) ذو حالها آل فرعون وتقدير الكلام فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وقالت امرأة فرعون كذا وهم لا يشعرون أنهم على خطإ عظيم في التقاطه ورجاء النفع منه وتبنيه وقوله إن فرعون الآية جملة اعتراضية واقعة بين المعطوف والمعطوف عليه مؤكدة لمعنى خطئهم وما أحسن نظم هذا الكلام عند المرتاض بعلم محاسن النظم (فارغا) صفرا من العقل والمعنى أنها حين سمعت بوقوعه في يد فرعون طار عقلها لما دهمها من فرط الجزع والدهش ونحوه قوله تعالى وأفئدتهم هواء أي جوف لا عقول فيها ومنه بيت حسان

ألا أبلغ أبا سفيان عني * فأنت مجوف نخب هواء

وذلك أن القلوب مراكز العقول ألا ترى إلى قوله فتكون لهم قلوب يعقلون بها ويدل عليه قراءة من قرأ فرغا وقرئ قرعا أي خاليا من قولهم أعوذ بالله من صفر الإناء وقرع الفناء وفرغا من قولهم دماؤهم بينهم فرغ أي هدر يعني بطل قلبها وذهب وبقيت لا قلب لها من شدة ما ورد عليها (لتبدي به) لتصحر به والضمير لموسى والمراد بأمره وقصته وأنه ولدها (لولا أن ربطنا على قلبها) بإلهام الصبر كما يربط على الشيء المنفلت ليقر ويطمئن (لتكون من المؤمنين) من المصدقين بوعد الله وهو قوله إنا رادوه إليك ويجوز وأصبح فؤادها فارغا من الهم حين سمعت أن فرعون عطف عليه وتبناه إن كادت لتبدي بأنه ولدها لأنها لم تملك نفسها فرحا وسرورا بما سمعت لولا أنا طامنا قلبها وسكنا قلقه الذي حدث به من شدة الفرح والابتهاج لتكون من المؤمنين الواثقين بوعد الله لا بتبني فرعون وتعطفه * وقرئ مؤسى بالهمز جعلت الضمة في جارة الواو وهي الميم كأنها فيها فهمزت كما همز واو وجوه (قصيه) اتبعي أثره وتتبعي خبره * وقرئ فبصرت بالكسر يقال بصرت به عن جنب وعن جنابة بمعنى عن بعد * وقرئ عن جانب وعن جنب والجنب الجانب يقال قعد إلى جنبه وإلى جانبه أي نظرت إليه مزورة متجانفة مخاتلة * وهم لا يحسون بأنها أخته وكان اسمها مريم التحريم استعارة للمنع لأن من حرم عليه الشيء فقد منعه ألا ترى إلى قولهم محظور وحجر وذلك لأن الله منعه أن يرضع ثديا فكان لا يقبل ثدي مرضع قط حتى أهمهم ذلك * والمراضع جمع مرضع وهي المرأة التي ترضع

كانوا خاطئين وقالت امرأت فرعون قرة عين لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وهم لا يشعرون وأصبح فؤاد أم موسى فارغا إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين وقالت لأخته قصيه فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون وحرمنا عليه المراضع

أو جمع مرضع وهو موضع الرضاع يعني الثدي أو الرضاع (من قبل) من قبل قصصها أثره روي أنها لما قالت (وهم له ناصحون) قال هامان إنها لتعرفه وتعرف أهله فقالت إنما أردت وهم للملك ناصحون والنصح إخلاص العمل من شائب الفساد فانطلقت إلى أمها بأمرهم فجاءت بها والصبي على يد فرعون يعلله شفقة عليه وهو يبكي يطلب الرضاع فحين وجد ريحها استأنس والتقم ثديها فقال لها فرعون ومن أنت منه فقد أبى كل ثدي إلا ثديك فقالت إني امرأة طيبة الريح طيبة اللبن لا أوتى بصبي إلا قبلني فدفعه إليها وأجرى عليها وذهبت به إلى بيتها وأنجز الله وعده في الرد فعندها ثبت واستقر في علمها أن سيكون نبيا وذلك قوله (ولتعلم أن وعد الله حق) يريد وليثبت علمها ويتمكن (فإن قلت) كيف حل لها أن تأخذ الأجر على إرضاع ولدها (قلت) ما كانت تأخذه على أنه أجر على الرضاع ولكنه مال حربي كانت تأخذه على وجه الاستباحة وقوله (ولكن أكثرهم لا يعلمون) داخل تحت علمها المعنى لتعلم أن وعد الله حق ولكن أكثر الناس لا يعلمون أنه حق فيرتابون ويشبه التعريض بما فرط منها حين سمعت بخبر موسى فجزعت وأصبح فؤادها فارغا روي أنها حين ألقت التابوت في اليم جاءها الشيطان فقال لها يا أم موسى كرهت أن يقتل فرعون موسى فتؤجري ثم ذهبت فتوليت قتله فلما أتاها الخبر بأن فرعون أصابه قالت وقع في يد العدو فنسيت وعد الله ويجوز أن يتعلق ولكن بقوله ولتعلم ومعناه أن الرد إنما كان لهذا الغرض الديني وهو علمها بصدق وعد الله ولكن الأكثر لا يعلمون بأن هذا هو الغرض الأصلي الذي ما سواه تبع له من قرة العين وذهاب الحزن (واستوى) واعتدل وتم استحكامه وبلغ المبلغ الذي لا يزاد عليه كما قال لقيط

واستحملوا أمركم لله دركم * شزر المريرة لا قحما ولا ضرعا

وذلك أربعون سنة ويروى أنه لم يبعث نبي إلا على رأس أربعين سنة * العلم التوراة والحكم السنة وحكمة الأنبياء سنتهم قال الله تعالى واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة وقيل معناه آتيناه سيرة الحكماء العلماء وسمتهم قبل البعث فكان لا يفعل فعلا يستجهل فيه * المدينة مصر وقيل مدينة منف من أرض مصر * وحين غفلتهم ما بين العشاءين وقيل وقت القائلة وقيل يوم عيد لهم هم مشتغلون فيه بلهوهم وقيل لما شب وعقل أخذ يتكلم بالحق وينكر عليهم فأخافوه فلا يدخل قرية إلا على تغفل * وقرأ سيبويه فاستغاثه (من شيعته) ممن شايعه على دينه من بني إسرائيل وقيل هو السامري (من عدوه) من مخالفيه من القبط وهو فاتون وكان يتسخر الإسرائيلي لحمل الحطب إلى مطبخ فرعون * والوكز الدفع بأطراف الأصابع وقيل بجمع الكف وقرأ ابن مسعود فلكزه باللام (فقضى عليه) فقتله * (فإن قلت) لم جعل قتل الكافر من عمل الشيطان وسماه ظلما لنفسه واستغفر منه (قلت) لأنه قتله قبل أن يؤذن له في القتل فكان ذنبا يستغفر منه وعن ابن جريج ليس لنبي أن يقتل ما لم يؤمر (بما أنعمت علي) يجوز أن يكون قسما جوابه محذوف تقديره أقسم بإنعامك علي بالمغفرة لأتوبن (فلن أكون ظهيرا للمجرمين) وأن يكون استعطافا كأنه قال رب اعصمني بحق ما أنعمت علي من المغفرة فلن أكون إن عصمتني ظهيرا للمجرمين وأراد بمظاهرة المجرمين إما صحبة فرعون وانتظامه في جملته وتكثيره سواده حيث كان يركب بركوبه كالولد مع الوالد وكان يسمى ابن فرعون وإما مظاهرة من أدت مظاهرته إلى الجرم والإثم كمظاهرة الإسرائيلي المؤدية إلى القتل الذي لم يحل له وعن ابن عباس لم يستثن فابتلي به مرة أخرى يعني لم يقل فلن أكون إن شاء الله وهذا نحو قوله ولا تركنوا إلى الذين ظلموا وعن عطاء أن رجلا قال له إن أخي يضرب بقلمه ولا يعدو رزقه قال فمن الرأس يعني من يكتب له قال خالد بن عبد الله القسري قال فأين قول موسى وتلا هذه الآية وفي الحديث ينادي مناد يوم القيامة أين الظلمة وأشباه الظلمة وأعوان الظلمة حتى من لاق لهم دواة أو برى لهم قلما فيجمعون في تابوت من حديد فيرمى به في جهنم وقيل معناه بما أنعمت علي من القوة فلن أستعملها إلا في مظاهرة أوليائك

(بسم الله الرحمن الرحيم) قوله تعالى فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون (قال فيه) روي أنهم اتهموها لما قالت وهم له ناصحون بمعرفة موسى عليه السلام فقالت إنما أردت وهم للملك ناصحون

من قبل فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون فرددناه إلى أمه كي تقر عينها ولا تحزن ولتعلم أن وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين قال رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له إنه هو الغفور الرحيم قال رب بما أنعمت علي فلن أكون ظهيرا للمجرمين فأصبح في المدينة خائفا

تخلصت من التهمة) قال أحمد أوردت هذه التورية استخلاصا لنفسها إلا كونها من بيت النبوة وأخت النبي تحقيق لها لذلك * قوله تعالى قال رب بما أنعمت علي فلن أكون ظهيرا للمجرمين (قال) م فيه لقد تبرأ من معظم لا يرضى ظهير المجرمين ثم يكلهم فيما هم بصدده ويروى أنه يقال يوم القيامة أين الظلمة وأعوان الظلمة فمن ...

وأهل طاعتك والإيمان بك ولا أدع قبطيا يغلب أحدا من بني إسرائيل (يترقب) المكروه وهو الاستقادة منه أو الأخبار وما يقال فيه * ووصف الإسرائيلي بالغي لأنه كان سبب قتل رجل وهو يقاتل آخر * وقرئ يبطش بالضم * والذي هو عدو لهما القبطي لأنه ليس على دينهما ولأن القبط كانوا أعداء بني إسرائيل * والجبار الذي يفعل ما يريد من الضرب والقتل بظلم لا ينظر في العواقب ولا يدفع بالتي هي أحسن وقيل المتعظم الذي لا يتواضع لأمر الله ولما قال هذا أفشى على موسى فانتشر الحديث في المدينة ورقي إلى فرعون وهموا بقتله * قيل الرجل مؤمن آل فرعون وكان ابن عم فرعون و(يسعى) يجوز ارتفاعه وصفا لرجل وانتصابه حالا عنه لأنه قد تخصص بأن وصف بقوله من أقصى المدينة وإذا جعل صلة لجاء لم يجز في يسعى إلا الوصف * والائتمار التشاور يقال الرجلان يتآمران ويأتمران لأن كل واحد منهما يأمر صاحبه بشيء أو يشير عليه بأمر والمعنى يتشاورون بسببك (لك) بيان وليس بصلة الناصحين (يترقب) التعرض له في الطريق أو أن يلحق (تلقاء مدين) قصدها ونحوها ومدين قرية شعيب عليه السلام سميت بمدين بن ابراهيم ولم تكن في سلطان فرعون وبينها وبين مصر مسيرة ثمان وكان موسى لا يعرف إليها الطريق قال ابن عباس خرج وليس له علم بالطريق إلا حسن ظنه بربه * و(سواء السبيل) وسطه ومعظم نهجه وقيل خرج حافيا لا يعيش إلا بورق الشجر فما وصل حتى سقط خف قدمه وقيل جاءه ملك على فرس بيده عنزة فانطلق به إلى مدين (ماء مدين) ماءهم الذي يستقون منه وكان بئرا فيما روي * ووروده مجيئه والوصول إليه (وجد عليه) وجد فوق شفيره ومستقاه (أمة) جماعة كثيفة العدد (من الناس) من أناس مختلفين (من دونهم) في مكان أسفل من مكانهم * والذود الطرد والدفع وإنما كانتا تذودان لأن على الماء من هو أقوى منهما فلا يتمكنان من السقي وقيل كانتا تكرهان المزاحمة على الماء وقيل لئلا تختلط أغنامهما بأغنامهم وقيل تذودان عن وجوههما نظر الناظر لتسترهما (ما خطبكما) ما شأنكما وحقيقته ما مخطوبكما أي مطلوبكما من الذياد فسمي المخطوب خطبا كما سمي المشؤون شأنا في قولك ما شأنك يقال شأنت شأنه أي قصدت قصده * وقرئ لا نسقي ويصدر والرعاء بضم النون والياء والراء والرعاء اسم جمع كالرخال والثناء وأما الرعاء بالكسر فقياس كصيام وقيام (كبير) كبير السن (فسقى لهما) فسقى غنمهما لأجلهما وروي أن الرعاة كانوا يضعون على رأس البئر حجرا لا يقله إلا سبعة رجال وقيل عشرة وقيل أربعون وقيل مائة فأقله وحده وروي أنه سألهم دلوا من ماء فأعطوه دلوهم وقالوا استق بها وكانت لا ينزعها إلا أربعون فاستقى بها وصبها في الحوض ودعا بالبركة وروى غنمهما وأصدرهما وروي أنه دفعهم عن الماء حتى سقى لهما وقيل كانت بئرا أخرى عليها الصخرة وإنما فعل هذا رغبة في المعروف وإغاثة للملهوف والمعنى أنه وصل إلى ذلك الماء وقد ازدحمت عليه أمة من أناس مختلفة متكاثفة العدد ورأى الضعيفتين من ورائهم مع غنيمتهما مترقبتين لفراغهم فما أخطأت همته في دين الله تلك الفرصة مع ما كان به من النصب وسقوط خف القدم والجوع ولكنه رحمهما فأغاثهما وكفاهما أمر السقي في مثل تلك الزحمة بقوة قلبه وقوة ساعده وما آتاه الله من الفضل في متانة الفطرة ورصانة الجبلة وفيه مع إرادة اقتصاص أمره وما أوتي من البطش والقوة وما لم يغفل عنه على ما كان به من انتهاز فرصة الاحتساب ترغيب في الخير وانتهاز فرصه وبعث على الاقتداء في ذلك بالصالحين والأخذ بسيرهم ومذاهبهم (فإن قلت) لم ترك المفعول غير مذكور في قوله يسقون وتذودان ولا نسقي (قلت) لأن الغرض هو الفعل لا المفعول ألا ترى أنه إنما رحمهما لأنهما كانتا على الذياد وهم على السقي ولم يرحمهما لأن مذودهما غنم ومسقيهم إبل مثلا وكذلك قولهما لا نسقي حتى يصدر الرعاء المقصود فيه السقي لا المسقي (فإن قلت) كيف طابق جوابهما سؤاله (قلت) سألهما عن سبب الذود فقالتا السبب في ذلك أنا امرأتان ضعيفتان مستورتان لا نقدر على مساجلة الرجال ومزاحمتهم فلا بد لنا من تأخير السقي إلى أن يفرغوا وما لنا رجل يقوم بذلك وأبونا شيخ قد أضعفه الكبر فلا يصلح للقيام به أبدت إليه عذرهما في توليهما السقي بأنفسهما (فإن قلت) كيف ساغ لنبي الله الذي هو شعيب عليه السلام أن يرضى لابنتيه بسقي الماشية (قلت) الأمر في نفسه ليس بمحظور فالدين

ليقتله أو يرى أنهم قتلوا فيصلون في تابوت من حديد ويلقى في قعر النار

---

٣ يترقب فإذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه قال له موسى إنك لغوي مبين فلما أن أراد أن يبطش بالذي هو عدو لهما قال يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالأمس إن تريد إلا أن تكون جبارا في الأرض وما تريد أن تكون من المصلحين وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال يا موسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إني لك من الناصحين فخرج منها خائفا يترقب قال رب نجني من القوم الظالمين ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان قال ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير فسقى لهما ثم تولى إلى الظل فقال رب

* قوله تعالى قالت احداهما يا أبت استأجره ان خير من استأجرت القوي الامين (قال فيه هذا الكلام حكيم جامع لا يزاد عليه لانه اذا اجتمعت القوة والامانة في القائم بامرك فقد فرغ بالك وقد استغنت بارسال هذا الكلام الذي ساقه سياق المثل والحكمة عن أن تقول فانه قوي أمين) قال أحمد وهو أيضا أجمل في مدح النساء للرجال من المدح الخاص وأبقى للحشمة (١٥٩) وخصوصا ان كانت فهمت ان غرض أبيها عليه السلام أن يزوجها منه وما أحسن ما أخذ الفاروق رضي الله تعالى عنه هذا المعنى فقال أشكو الى الله ضعف الامين وخيانة القوي وفي مضمون هذه الشكاية سؤال الله تعالى

اني لما أنزلت الي من خير فقير فجاءته احداهما تمشي على استحياء قالت ان أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين قالت احداهما يا أبت استأجره ان خير من استأجرت القوي الامين قال اني أريد أن أنكحك احدى ابنتي هاتين على أن تأجرني ثماني حجج

أن يتحفه بمن جمع الوصفين فكان قويا أمينا يستعين به على ما كان بصدده رضي الله عنه وهذا الايهام من ابنة شعيب صلوات الله عليه وسلامه قد سلكته زليخا مع يوسف عليه السلام ولكن شتان ما بين الشيئين المجبول والمستعمل * ليس التكحل في العينين كالكحل * حيث قالت لسيدها ما جزاء من أراد باهلك سوءا الا أن يسجن أو عذاب أليم. تعني ما جزاء يوسف عما أراد في من السوء الا أن تسجنه أو تعذبه عذابا أليما ولكنها أوهمت وجه الطلب والظفر أن يتخلص الى النظر بان هذا الطلب منها الذي يمنعها أن تنطق بهذا الامر عنها من مراودة يوسف بطريق الاحرى و[illegible]

[illegible] وأما المرأة فالناس مختلفون في ذلك والعادات متباينة فيه وأحوال العرب فيه خلاف أحوال العجم ومذهب أهل البدو فيه غير مذهب أهل الحضر خصوصا اذا كانت الحالة حالة ضرورة (لما) لاي شيء (أنزلت الي) قليل أو كثير غث أو سمين (فقير) وانما عدي فقير باللام لانه ضمن معنى سائل وطالب قيل ذكر ذلك وان خضرة البقل تتراءى في بطنه من الهزال ما سأل الله الا أكلة ويحتمل أن يريد اني فقير من الدنيا لاجل ما أنزلت الي من خير الدين وهو النجاة من الظالمين لانه كان عند فرعون في ملك وثروة قال ذلك رضا بالبدل السني وفرحا به وشكرا له * وكان الظل ظل سمرة (على استحياء) في موضع الحال أي مستحيية متخفرة وقيل قد استترت بكم درعها روي انهما لما رجعتا الى أبيهما قبل الناس وأغنامهما حفل بطان قال لهما ما أعجلكما قالتا وجدنا رجلا صالحا رحمنا فسقى لنا فقال لاحداهما اذهبي فادعيه لي فتبعها موسى فألزقت الريح ثوبها بجسدها فوصفته فقال لها امشي خلفي وانعتي لي الطريق * فلما قص عليه قصته قال له لا تخف فلا سلطان لفرعون بأرضنا (فان قلت) كيف ساغ لموسى أن يعمل بقول امرأة وان يمشي معها وهي أجنبية (قلت) أما العمل بقول امرأة فكما يعمل بقول الواحد حرا كان أو عبدا ذكرا كان أو أنثى في الاخبار وما كانت الا مخبرة عن أبيها بانه يدعوه ليجزيه وأما مماشاته امرأة أجنبية فلا بأس بها في نظائر تلك الحال مع ذلك الاحتياط والتورع (فان قلت) كيف صح له أخذ الاجر على البر والمعروف (قلت) يجوز أن يكون قد فعل ذلك لوجه الله وعلى سبيل البر والمعروف وقبل اطعام شعيب واحسانه لا على سبيل أخذ الاجر ولكن على سبيل التقبل لمعروف مبتدإ كيف وقد قص عليه قصصه وعرفه انه من بيت النبوة من أولاد يعقوب ومثله حقيق بان يضيف ويكرم خصوصا في دار نبي من أنبياء الله وليس بمنكر أن يفعل ذلك لاضطرار الفقر والفاقة طلبا للاجر وقد روي ما يعضد كلا القولين روي انها لما قالت ليجزيك كره ذلك ولما قدم اليه الطعام امتنع وقال انا أهل بيت لا نبيع ديننا بطلاع الارض ذهبا ولا نأخذ على المعروف ثمنا حتى قال شعيب هذه عادتنا مع كل من ينزل بنا وعن عطاء بن السائب رفع صوته بدعائه ليسمعهما فلذلك قيل له ليجزيك أجر ما سقيت أي جزاء سقيك * والقصص مصدر كالعلل سمي به المقصوص * كبراهما كانت تسمى صفراء والصغرى صفيراء وصفراء هي التي ذهبت به وطلبت الى أبيها أن يستأجره وهي التي تزوجها * وعن ابن عباس ان شعيبا أحفظته الغيرة فقال وما علمك بقوته وأمانته فذكرت اقلال الحجر ونزع الدلو وانه صوب رأسه حين بلغته رسالته وأمرها بالمشي خلفه وقولها (ان خير من استأجرت القوي الامين) كلام حكيم جامع لا يزاد عليه لانه اذا اجتمعت هاتان الخصلتان أعني الكفاية والامانة في القائم بأمرك فقد فرغ بالك وتم مرادك وقد استغنت بارسال هذا الكلام الذي سياقه سياق المثل والحكمة أن تقول استأجره لقوته وأمانته (فان قلت) كيف جعل خير من استأجرت اسما لان والقوي الامين خبرا (قلت) هو مثل قوله

ألا ان خير الناس حيا وهالكا * أسير ثقيف عندهم في السلاسل

في أن العناية هي سبب التقديم وقد صدقت حتى جعل لها ما هو أحق بان يكون خبرا اسما وورود الفعل بلفظ الماضي للدلالة على انه أمر قد جرب وعرف ومنه قولهم أهون ما أعملت لسان ممخ وعن ابن مسعود رضي الله عنه أفرس الناس ثلاثة بنت شعيب وصاحب يوسف في قوله عسى أن ينفعنا وأبو بكر في عمر * روي انه أنكحه صفراء وقوله (هاتين) فيه دليل على انه كانت له غيرهما (تأجرني) من أجرته اذا كنت له أجيرا كقولك أبوته اذا كنت له أبا و(ثماني حجج) ظرفه أو من أجرته كذا اذا أثبته اياه ومنه تعزية رسول الله

صلى الله عليه وسلم أجركم الله ورحمكم وثماني حجج مفعول به ومعناه رعية ثماني حجج (فان قلت) كيف صح أن
ينكحه احدى ابنتيه من غير تمييز (قلت) لم يكن ذلك عقد النكاح ولكن مواعدة ومواصفة أمر قد عزم
عليه ولو كان عقدا لقال قد أنكحتك ولم يقل انى أريد أن أنكحك (فان قلت) فكيف صح أن يمهرها اجارة
نفسه في رعية الغنم ولا بد من تسليم ما هو مال ألا ترى الى أبي حنيفة كيف منع أن يتزوج امرأة بأن
يخدمها سنة وجوز أن يتزوجها بان يخدمها عبده سنة أو يسكنها داره سنة لانه في الاول مسلم نفسه وليس
بمال وفي الثاني هو مسلم مالا وهو العبد أو الدار (قلت) الامر على مذهب أبي حنيفة على ما ذكرت وأما
الشافعي فقد جوز التزوج على الاجارة لبعض الاعمال والخدمة اذا كان المستأجر له أو المخدوم فيه أمرا
معلوما ولعل ذلك كان جائزا في تلك الشريعة ويجوز أن يكون المهر شيأ آخر وانما أراد أن يكون راعي
غنمه هذه المدة وأراد أن ينكحه ابنته فذكر له المرادين وعلق الانكاح بالرعية على معنى انى أفعل هذا اذا
فعلت ذلك على وجه المعاهدة لا على وجه المعاقدة ويجوز أن يستأجره لرعيه ثماني سنين بمبلغ معلوم ويوفيه
اياه ثم ينكحه ابنته به ويجعل قوله على أن تأجرني ثماني حجج عبارة عما جرى بينهما (فان أتممت) عمل عشر
حجج (فمن عندك) فاتمامه من عندك ومعناه فهو من عندك لا من عندي يعني لا ألزمكه ولا أحتمه عليك
ولكنك ان فعلته فهو منك تفضل وتبرع والا فلا عليك (وما أريد أن أشق عليك) بالزام أتم الاجلين وايجابه
(فان قلت) ما حقيقة قولهم شققت عليه وشق عليه الامر (قلت) حقيقته أن الامر اذا تعاظمك فكأنه شق
عليك ظنك باثنين تقول تارة أطيقه وتارة لا أطيقه أو وعده المساهلة والمسامحة من نفسه وانه لا يشق
عليه فيما استأجره له من رعي غنمه ولا يفعل نحو ما يفعل المعاسرون من المسترعين من المناقشة في مراعاة
الاوقات والمداقة في استيفاء الاعمال وتكليف الرعاة أشغالا خارجة من حد الشرط وهكذا كان الانبياء
عليهم السلام آخذين بالاسمح في معاملات الناس ومنه الحديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم شريكي
فكان خير شريك لا يداري ولا يشاري ولا يماري وقوله (ستجدني ان شاء الله من الصالحين) يدل على ذلك
يريد بالصلاح حسن المعاملة ووطاءة الخلق ولين الجانب ويجوز أن يريد الصلاح على العموم ويدخل تحته
حسن المعاملة والمراد باشتراط مشيئة الله فيما وعد من الصلاح الاتكال على توفيقه فيه ومعونته لا أنه
يستعمل الصلاح ان شاء الله وان شاء استعمل خلافه (ذلك) مبتدأ و(بيني وبينك) خبره وهو اشارة الى
ما عاهده عليه شعيب يريد ذلك الذي قلته وعاهدتني فيه وشارطتني عليه قائم بيننا جميعا لا يخرج كلانا عنه
لا أنا عما شرطت علي ولا أنت عما شرطت على نفسك ثم قال أي أجل من الاجلين قضيت أطولهما الذي
هو العشر أو أقصرهما الذي هو الثمان (فلا عدوان علي) أي لا يعتدى علي في طلب الزيادة عليه (فان قلت)
تصور العدوان انما هو في أحد الاجلين الذي هو الاقصر وهو المطالبة بتتمة العشر فما معنى تعليق العدوان
بهما جميعا (قلت) معناه كما أني ان طولبت بالزيادة على العشر كان عدوانا لا شك فيه فكذلك ان طولبت
بالزيادة على الثمان أراد بذلك تقرير أمر الخيار وانه ثابت مستقر وأن الاجلين على السواء اما هذا واما هذا
من غير تفاوت بينهما في القضاء وأما التتمة فموكولة الى رأيي ان شئت أتيت بها والا لم أجبر عليها وقيل معناه
فلا أكون متعديا وهو في نفي العدوان عن نفسه كقولك لا اثم علي ولا تبعة علي وفي قراءة ابن مسعود أي
الاجلين ما قضيت وقرئ أيما بسكون الياء كقوله

تنظرت نصرا والسماكين أيهما * علي من الغيث استهلت مواطره

وعن ابن قطيب عدوان بالكسر (فان قلت) ما الفرق بين موقعي ما المزيدة في القراءتين (قلت) وقعت في
المستفيضة مؤكدة لابهام أي زائدة في شياعها وفي الشاذة تأكيدا للقضاء كأنه قال أي الاجلين صممت على
قضائه وجردت عزيمتي له * الوكيل الذي وكل اليه الامر ولما استعمل في موضع الشاهد والمهيمن والمقيت
عدي بعلى لذلك روي أن شعيبا كانت عنده عصي الانبياء فقال لموسى بالليل ادخل ذلك البيت فخذ عصا
من تلك العصي فأخذ عصا هبط بها آدم من الجنة ولم يزل الانبياء يتوارثونها حتى وقعت الى شعيب فمسها وكان

فان أتممت عشرا فمن عندك وما أريد أن أشق عليك ستجدني ان شاء الله من الصالحين قال ذلك بيني وبينك أيما الاجلين قضيت فلا عدوان علي والله على ما نقول وكيل فلما قضى موسى الاجل وسار باهله آنس من جانب الطور نارا قال لاهله امكثوا اني آنست

* قوله تعالى على أن تأجرني ثماني حجج (نقل من مذهب أبي حنيفة منع النكاح على مثل خدمته نفسه وجوازه على مثل خدمة عبده سنة وفرق بانه في الاول سلم نفسه وليس بمال وفي الثاني سلم عبده وهو مال ونقل عن الشافعي جواز النكاح على المنافع المتقومة مطلقا) قال أحمد ومذهب مالك على ثلاثة أقوال المنع والكراهة والجواز والعجب من اجازة أبي حنيفة النكاح على منافع العبد بخلاف منافع الزوج مع أن الآية أجازت النكاح على منافع الزوج ولم تتعرض لغيره وما ذاك الا لترجيح المعنى الذي أشار اليه الزمخشري [illegible] على أن

مكفوفا فضنّ بها فقال غيرها فما وقع في يده إلا هي سبع مرات فعلم أن له شأنا وقيل أخذها جبريل بعد موت
آدم فكانت معه حتى لقي بها موسى ليلا وقيل أودعها شعيبا ملك في صورة رجل فأمر بنته أن تأتيه بعصا
فأتته بها فردها سبع مرات فلم يقع في يدها غيرها فدفعها إليه ثم ندم لأنها وديعة فتبعه فاختصما فيها ورضيا أن
يحكم بينهما أول طالع فأتاهما الملك فقال ألقياها فمن رفعها فهي له فعالجها الشيخ فلم يطقها ورفعها موسى وعن
الحسن ما كانت إلا عصا من الشجر اعترضها اعتراضا وعن الكلبي الشجرة التي منها نودي شجرة العوسج
ومنها كانت عصاه ولما أصبح قال له شعيب إذا بلغت مفرق الطريق فلا تأخذ على يمينك فإن الكلأ وإن كان
بها أكثر إلا أن فيها تنينا أخشاه عليك وعلى الغنم فأخذت الغنم ذات اليمين ولم يقدر على كفها فمشى على أثرها
فإذا عشب وريف لم ير مثله فنام فإذا بالتنين قد أقبل فحاربته العصا حتى قتلته وعادت إلى جنب موسى
دامية فلما أبصرها دامية والتنين مقتولا ارتاح لذلك ولما رجع إلى شعيب مس الغنم فوجدها ملأى
البطون غزيرة اللبن فأخبره موسى ففرح وعلم أن لموسى والعصا شأنا وقال له إني وهبت لك من نتاج غنمي
هذا العام كل أدرع ودرعاء فأوحي إليه في المنام أن اضرب بعصاك مستقى الغنم ففعل ثم سقى فما أخطأت
واحدة إلا وضعت أدرع ودرعاء فوفى له بشرطه سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الأجلين قضى موسى
فقال أبعدهما وأبطأهما وروي أنه قال قضى أوفاهما وتزوج صغراهما وهذا خلاف الرواية التي سبقت
※ والجذوة باللغات الثلاث وقرئ بهن جميعا العود الغليظ كانت في رأسه نار أو لم تكن قال كثير

باتت حواطب ليلى يلتمسن لها ※ جزل الجذى غير خوار ولا دعر

وقال

وألقى على قيس من النار جذوة ※ شديدا عليه حرها والتهابها

※ من الأولى والثانية لابتداء الغاية أي أتاه النداء من شاطئ الوادي من قبل الشجرة ※ و(من الشجرة)
بدل من قوله من شاطئ الوادي بدل الاشتمال لأن الشجرة كانت نابتة على الشاطئ كقوله تعالى لجعلنا
لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم ※ وقرئ البقعة بالضم والفتح ※ والرهب بفتحتين وضمتين وفتح وسكون وضم
وسكون وهو الخوف (فإن قلت) ما معنى قوله (واضمم إليك جناحك من الرهب) (قلت) فيه معنيان
أحدهما أن موسى عليه السلام لما قلب الله العصا حية فزع واضطرب فاتقاها بيده كما يفعل الخائف من الشيء
فقيل له إن اتقاءك بيدك فيه غضاضة عند الأعداء فإذا ألقيتها فكما تنقلب حية فأدخل يدك تحت عضدك
مكان اتقائك بها ثم أخرجها بيضاء ليحصل الأمران اجتناب ما هو غضاضة عليك وإظهار معجزة أخرى والمراد
بالجناح اليد لأن يدي الإنسان بمنزلة جناحي الطائر وإذا أدخل يده اليمنى تحت عضد يده اليسرى فقد ضم
جناحه إليه والثاني أن يراد بضم جناحه إليه تجلده وضبطه نفسه وتشدده عند انقلاب العصا حية حتى
لا يضطرب ولا يرهب استعارة من فعل الطائر لأنه إذا خاف نشر جناحيه وأرخاهما وإلا فجناحاه مضمومان
إليه مشمران ومنه ما يحكى عن عمر بن عبد العزيز أن كاتبا له كان يكتب بين يديه فانفلتت منه فلتة ريح
فخجل وانكسر فقام وضرب بقلمه الأرض فقال له عمر خذ قلمك واضمم إليك جناحك وليفرخ روعك فإني
ما سمعتها من أحد أكثر مما سمعتها من نفسي ومعنى قوله من الرهب من أجل الرهب أي إذا أصابك الرهب
عند رؤية الحية فاضمم إليك جناحك جعل الرهب الذي كان يصيبه سببا وعلة فيما أمر به من ضم جناحه
إليه ومعنى واضمم إليك جناحك وقوله اسلك يدك في جيبك على أحد التفسيرين واحد ولكن خولف بين
العبارتين وإنما كرر المعنى الواحد لاختلاف الغرضين وذلك أن الغرض في أحدهما خروج اليد بيضاء
وفي الثاني إخفاء الرهب (فإن قلت) قد جعل الجناح وهو اليد في أحد الموضعين مضموما وفي الآخر
مضموما إليه وذلك قوله واضمم إليك جناحك وقوله واضمم يدك إلى جناحك فما التوفيق بينهما (قلت)
المراد بالجناح المضموم هو اليد اليمنى وبالمضموم إليه اليد اليسرى وكل واحدة من يمنى اليدين ويسراهما
جناح ومن بدع التفاسير أن الرهب الكم بلغة حمير وأنهم يقولون أعطني مما في رهبك وليت شعري كيف
صحته في اللغة وهل سمع من الأثبات الثقات الذين ترتضى عربيتهم ثم ليت شعري كيف موقعه في الآية

نارا لعلي آتيكم منها بخبر
أو جذوة من النار لعلكم
تصطلون فلما أتاها نودي
من شاطئ الوادي الأيمن
في البقعة المباركة من
الشجرة أن يا موسى إني
أنا الله رب العالمين وأن
ألق عصاك فلما رآها تهتز
كأنها جان ولى مدبرا ولم
يعقب يا موسى أقبل ولا
تخف إنك من الآمنين
اسلك يدك في جيبك
تخرج بيضاء من غير
سوء واضمم إليك
جناحك من الرهب

وكيف تطبيقه المفصل كسائر كلمات التنزيل على أن موسى عليه السلام ما كان عليه ليلة المناجاة
إلا زرمانقة من صوف لا كمي لها (فذانك) قرئ مخففا ومشددا فالمخفف مثنى ذاك والمشدد مثنى ذلك
(برهانان) حجتان بينتان نيرتان (فإن قلت) لم سميت الحجة برهانا (قلت) لبياضها وإنارتها من قولهم للمرأة
البيضاء برهرهة بتكرير العين واللام معا والدليل على زيادة النون قولهم أبره الرجل إذا جاء بالبرهان
ونظيره تسميتهم إياها سلطانا من السليط وهو الزيت لإنارتها * يقال ردأته أعنته والردء اسم ما يعان به فعل
بمعنى مفعول به كما أن الدفء اسم لما يدفأ به قال سلامة بن جندل

وردئ كل أبيض مشرفي * شحيذ الحد عضب ذي فلول

وقرئ ردا على التخفيف كما قرئ الخب (ردأ يصدقني) بالرفع والجزم صفة وجواب نحو وليا يرثني سواء (فإن
قلت) تصديق أخيه ما الفائدة فيه (قلت) ليس الغرض بتصديقه أن يقول له صدقت أو يقول للناس
صدق موسى وإنما هو أن يلخص بلسانه الحق ويبسط القول فيه ويجادل به الكفار كما يفعل الرجل المنطيق
ذو العارضة فذلك جار مجرى التصديق المفيد كما يصدق القول بالبرهان ألا ترى إلى قوله وأخي هرون هو
أفصح مني لسانا فأرسله معي وفضل الفصاحة إنما يحتاج إليه لذلك لا لقوله صدقت فإن سحبان وباقلا
يستويان فيه أو يصل جناح كلامه بالبيان حتى يصدقه الذي يخاف تكذيبه فأسند التصديق إلى هرون
لأنه السبب فيه إسنادا مجازيا ومعنى الإسناد المجازي أن التصديق حقيقة في المصدق فإسناده إليه حقيقة
وليس في السبب تصديق ولكن استعير له الإسناد لأنه لابس التصديق بالتسبب كما لابسه الفاعل بالمباشرة
والدليل على هذا الوجه قوله إني أخاف أن يكذبون وقراءة من قرأ ردأ يصدقوني وفيها تقوية للقراءة بالجزم
يصدقني * العضد قوام اليد وبشدتها تشتد قال طرفة

أبني لبيني لستم بيد * إلا يدا ليست لها عضد

ويقال في دعاء الخير شد الله عضدك وفي ضده فت الله في عضدك ومعنى (سنشد عضدك بأخيك) سنقويك به
ونعينك فإما أن يكون ذلك لأن اليد تشتد بشدة العضد والجملة تقوى بشدة اليد على مزاولة الأمور وإما
لأن الرجل شبه باليد في اشتدادها باشتداد العضد فجعل كأنه يد مشتدة بعضد شديدة (سلطانا) غلبة
وتسلطا أو حجة واضحة (بآياتنا) متعلق بنحو ما تعلق به في تسع آيات أي اذهبا بآياتنا أو بنجعل لكما سلطانا
أي نسلطكما بآياتنا أو بلا يصلون أي تمتنعون منهم بآياتنا أو هو بيان للغالبون لا صلة لامتناع تقدم
الصلة على الموصول ولو تأخر لم يكن إلا صلة له ويجوز أن يكون قسما جوابه لا يصلون مقدما عليه أو من لغو
القسم (سحر مفترى) سحر تعمله أنت ثم تفتريه على الله أو سحر ظاهر افتراؤه أو موصوف بالافتراء كسائر
أنواع السحر وليس بمعجزة من عند الله (في آبائنا) حال منصوبة عن هذا أي كائنا في زمانهم وأيامهم يريد
ما حدثنا بكونه فيهم ولا يخلون من أن يكونوا كاذبين في ذلك وقد سمعوا وعلموا بنحوه أو يريدوا أنهم لم يسمعوا
بمثله في فظاعته أو ما كان الكهان يخبرون بظهور موسى ومجيئه بما جاء به وهذا دليل على أنهم حجوا وبهتوا
وما وجدوا ما يدفعون به ما جاءهم من الآيات إلا قولهم هذا سحر وبدعة لم يسمعوا بمثلها يقول (ربي أعلم)
منكم بحال من أهله الله للفلاح الأعظم حيث جعله نبيا وبعثه بالهدى ووعده حسن العقبى يعني نفسه
ولو كان كما تزعمون كاذبا ساحرا مفتريا لما أهله لذلك لأنه غني حكيم لا يرسل الكاذبين ولا ينبئ الساحرين
ولا يفلح عنده الظالمون و(عاقبة الدار) هي العاقبة المحمودة والدليل عليه قوله تعالى أولئك لهم عقبى
الدار جنات عدن وقوله وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار والمراد بالدار الدنيا وعاقبتها وعقباها أن يختم للعبد
بالرحمة والرضوان وتلقي الملائكة بالبشرى عند الموت (فإن قلت) العاقبة المحمودة والمذمومة كلتاهما
يصح أن تسمى عاقبة الدار لأن الدنيا إما أن تكون خاتمتها بخير أو بشر فلم اختصت خاتمتها بالخير بهذه
التسمية دون خاتمتها بالشر (قلت) قد وضع الله سبحانه الدنيا مجازا إلى الآخرة وأراد بعباده أن لا يعملوا
فيها إلا الخير وما خلقهم إلا لأجله ليتلقوا خاتمة الخير وعاقبة الصدق ومن عمل فيها خلاف ما وضعها

فذانك برهانان من
ربك إلى فرعون وملئه
إنهم كانوا قوما فاسقين
قال رب إني قتلت منهم
نفسا فأخاف أن يقتلون
وأخي هرون هو أفصح
مني لسانا فأرسله معي
ردأ يصدقني إني أخاف
أن يكذبون قال سنشد
عضدك بأخيك ونجعل
لكما سلطانا فلا يصلون
إليكما بآياتنا أنتما ومن
اتبعكما الغالبون فلما
جاءهم موسى بآياتنا
بينات قالوا ما هذا إلا
سحر مفترى وما سمعنا
بهذا في آبائنا الأولين
وقال موسى ربي أعلم بمن
جاء بالهدى من عنده
ومن تكون له عاقبة
الدار إنه لا يفلح الظالمون
وقال فرعون يا أيها الملأ
ما علمت لكم من إله غيري

قوله تعالى ربي أعلم بمن
جاء بالهدى من عنده
ومن تكون له عاقبة
الدار (قال) العاقبة هي
العاقبة المحمودة والدليل
عليه قوله عز وجل
أولئك لهم عقبى الدار
جنات عدن وقوله وسيعلم
الكفار لمن عقبى الدار
والمراد الدار الدنيا وعاقبتها
أن يختم للإنسان فيها
بالرحمة والرضوان
وتلقاه الملائكة
بالبشرى عند الموت قال
فإن قلت العاقبة المحمودة
والمذمومة كلاهما يصح

أن تسمى عاقبة لأن الدنيا إما أن تكون خاتمتها خيرا أو شرا فلما اختصت خاتمتها بالخير بهذه التسمية دون خاتمتها الشر قلت لأن الله سبحانه وتعالى وضع الدنيا مجازا للآخرة وأراد لعباده فيها أن يعبدوه ولا يعملوا إلا الخير وما خلقهم إلا لأجله كما قال وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون فمن عمل في الدنيا على خلاف ذلك فقد حرف لأن عاقبتها الأصلية هي عاقبة الخير وأما عاقبة الشر فلا اعتداد بها لأنها من تحريف الفجار) قال أحمد وقد تقدم من قواعد أهل الحق ما يستصحب في هذا المقام والقدر الذي يحتاج إلى تجديده ههنا أن استدلاله على أن عاقبة الخير وعبادة الله تعالى هي المرادة له لا سواها بقوله تعالى وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون معارض بأمثال في أدلة أهل السنة على عقائدهم مثل قوله ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس الآية والمراد والله أعلم ولقد جعلنا العذاب جهنم خلقنا كثيرا من الثقلين ومن ذلك ما روي عن الفاروق رضي الله عنه أنه قال وإنكم آل المغيرة ذرء النار أي خلقها فإن دلت آية الذاريات ظاهرا على أن الله تعالى إنما خلق الثقلين لتكون عاقبتهم الجنة جزاء وثوابا على عبادتهم له فقد دلت آية الأعراف على أنه خلق كثيرا من الثقلين لتكون عاقبتهم جهنم جزاء على كفرهم وحينئذ يتعين الجمع بين الآيتين وحمل عموم آية الذاريات على خصوص الآية الأخرى وأن المراد وما خلقت السعداء من الثقلين إلا للعبادة في جمع بين الأدلة فقد ثبت أن العاقبتين كلتيهما مرادة لله تعالى هذا بعد تظافر البراهين العقلية على ذلك فوجب تسمية العاقبة المطلقة كثيرا وإرادة الخير بها أن الله تعالى هدى الناس إليها ١٦٣ ووعدهم ساوردتي سلوك طريقها من الحياة والنعيم المقيم ونهاهم عن ضدها ونوعدهم على سلوكها بأنواع العذاب الأليم وركب فيهم عقولا ترشدهم إلى عاقبة الخير وعكس بهم أنواع الخير ورغبهم فيها فكان من مقتضى أن لا يعدلوا عن عاقبة الخير ولا يسلكوا غير طريقها وأن يتخذوها نصب أعينهم فاطلقت العاقبة والمراد بها الخير تنبيها على ذلك والله أعلم والحاصل أنها إنما كانت هي المأمور بها والمحضوض عليها وعلمت ما هو مراد وإن لم تكن مرادة من كثير من الخلق وقال بعضهم ما يشبه أن تقول لم يفهم كون العاقبة المطلقة هي عاقبة الخير من إطلاقها ولكن من إضافتها المذكورة باللام في الآية المذكورة كقوله من تكون له عاقبة الدار وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار والعاقبة للمتقين فأفهمت اللام أن عاقبة الخير إنما هي لهم وعاقبة السوء عليهم لا لهم كما يقولون الدائرة لفلان يعنون دائرة الظفر والنصر والدائرة على فلان يعنون دائرة الخذلان والسوء فقلت لقد كان لي في ذلك مقال أولا وردا أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار ولم يقل عليهم فاستعمال اللام مكان على دليل على إبطال الاستدلال باللام على إرادة عاقبة الخير والله أعلم * قوله تعالى وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري الآية (قال عبر عن نفي المعلوم بنفي العلم وإنما كان كذلك لأن العلم لا يتعلق بالمعلوم إلا على ما هو عليه إن موجودا فموجود وإن معدوما فمعدوم فمن ثم عبر عن نفي كونه موجودا بنفي كونه معلوما) قال أحمد اشتد ما بلغ منه الوهم لم يتأمل كيف سقوط السهم وإنما أتى من حيث أن الله تعالى عبر كثيرا عن نفي المعلوم بنفي العلم في مثل قوله قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض أم تنبئونه بما لا يعلم في الأرض فلما اطرد ذلك عنده توهم أن هذا التعبير عن نفي المعلوم بنفي العلم شامل لكل علم ولو لم يتعلق بالمعلوم على ما هو به وليس هو كذلك بل هذا التعبير لا يسوغ إلا في علم الله تعالى لأمر يخص العلم القديم وهو عموم تعلقه حتى لا يعزب عنه أمر فلما لم يتعلق علمه بوجوده لزم أن لا يكون موجودا إذ لو كان موجودا لتعلق به بخلاف علم الخلق فلا يلزم من نفي الشيء ونفي العلم الحادث بوجوده ولا كذلك العلم القديم فإن بين نفي معلومه ونفي تعلقه بوجوده تلازما سوغ التعبير المذكور ولكن

الله له فقد حرف فإذا عاقبتها الأصلية هي عاقبة الخير وأما عاقبة السوء فلا اعتداد بها لأنها من نتائج تحريف الفجار وقرأ ابن كثير قال موسى بغير واو على ما في مصاحف أهل مكة وهي قراءة حسنة لأن الموضع موضع سؤال وبحث عما أجابهم به موسى عليه السلام عند تسميتهم مثل تلك الآيات الباهرة سحرا مفترى ووجه الأخرى أنهم قالوا ذلك وقال موسى عليه السلام هذا ليوازن الناظر بين القول والمقول ويتبصر فساد أحدهما وصحة الآخر وبضدها تتبين الأشياء * وقرئ تكون بالتاء والياء وروي أنه لما أمر ببناء الصرح جمع هامان العمال حتى اجتمع خمسون ألف بناء سوى الأتباع والأجراء وأمر بطبخ الآجر والجص ونجر الخشب وضرب المسامير فشيدوه حتى بلغ ما لم يبلغه بنيان أحد من الخلق فكان الباني لا يقدر أن يقوم على رأسه يبني فبعث الله تعالى جبريل عليه السلام عند غروب الشمس فضربه بجناحه فقطعه ثلاث قطع وقعت قطعة على عسكر فرعون فقتلت ألف ألف رجل ووقعت قطعة في البحر وقطعة في الغرب ولم يبق أحد من عماله إلا قد هلك وروي في هذه القصة أن فرعون ارتقى فوقه فرمى بنشابة نحو السماء فأراد الله أن يفتنهم فردت إليه وهي ملطوخة بالدم فقال قد قتلت إله موسى فعندها بعث الله جبريل عليه السلام لهدمه والله أعلم بصحته * قصد بنفي علمه بإله غيره نفي وجوده معناه ما لكم من إله غيري كما قال الله تعالى قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض معناه بما ليس فيهن وذلك لأن العلم تابع للمعلوم لا يتعلق به إلا على ما هو عليه فإذا كان الشيء معدوما لم يتعلق به موجودا فمن ثمة كان انتفاء العلم بوجوده لانتفاء وجوده وعبر عن انتفاء وجوده بانتفاء العلم بوجوده ويجوز أن يكون على ظاهره وأن إلها غيره غير معلوم عنده ولكنه مظنون

المعلوم أن فرعون كان يدعي الالهية ويعامل علمه معاملة علم الله تعالى في أنه لا يعزب عنه شيء فهو طغى وتكبر وعبر بنفي علمه عن نفي المعلوم تلبيسا على ملئه وتلبيسا على عقولهم الضعيفة والله أعلم ويناسب تعاظمه هذا قوله فأوقد لي يا هامان على الطين ولم يقل فاطبخ لي الآجر واتخذه من التعاظم كما قال تعالى وله العظمة والكبرياء ومن ارتدى برداء ما قصمه وعما يوقدون عليه في النار بتعاظم حاله فذكر هذه العبارة الجامعة لأنواع التكبر على وجه التكبر باعتيادها وتبابها وذلك من تعبير الملوك جل الله وعز ومن تعاظم فرعون أيضا نداؤه لوزيره باسمه وبحرف النداء وتوسيطه أثناء خلال الأمر وبناؤه الصرح ورجاؤه الاطلاع دليل على أنه لم يكن مصمما على الجحود قال الزمخشري وذلك مناقض لما أظهر من ١٢٤ الجحد الجازم في قوله ما علمت لكم من إله غيري فأما أن يخفى هذا التناقض على قومه لغباوتهم وكآبة أذهانهم وأما أن يغلطوا والهوى يخافوا تقية فيصبروا قال أحمد ولقائل والله أعلم أن يحمل قوله ما علمت لكم من إله غيري على الشك ونفى علمه خاصة وأجراه مجرى سائر علوم الخلق في أنه لا يلزم من نفي علمه بوجود أمر نفي ذلك الأمر لجواز أن يكون موجودا غائبا عن علمه وحينئذ لا يكون تناقضا ولم يمكن حمله هذا هو الأصل فما سوغنا أن يرفع التناقض عن كلامه لأنه أحقر من من ذلك * عاد كلامه قال وقوله تعالى فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم مقابلة لاستكباره بفعل عبر عنه بما صورته أخذه حصيات قبضت ثم نبذها أي طرحها في اليم وأن ذلك تمثيل لاستهانته بهم وإهلاكهم بهذا النوع من الهلاك والله أعلم * قوله تعالى وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار (قال فيه معناه دعوناهم أئمة دعاة إلى النار كما تقول جعلته بخيلا فاسقا إذا دعوته بذلك) قال أحمد لا فرق عند أهل السنة بين قوله تعالى وجعل الظلمات والنور وجعلنا الليل والنهار آيتين وبين هذه الآية في حمل الجعل على التسمية فيما نحن فيه فرارا من اعتقاد أن دعاءهم إلى النار مخلوق لله تعالى فهو بمثابة من حمله على التسمية في قوله تعالى وجعلنا الليل والنهار آيتين فرارا من جعل الليل والنهار مخلوقين لله تعالى فلا فرق بين نفي مخلوق واحد عن قدرته تعالى ونفي كل مخلوق نعوذ بالله من ذلك

فأوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحا لعلي أطلع إلى إله موسى وإني لأظنه من الكاذبين واستكبر هو وجنوده في الأرض بغير الحق وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار

بدليل قوله وإني لأظنه من الكاذبين وإذا ظن موسى عليه السلام كاذبا في إثباته إلها غيره ولم يعلمه كاذبا فقد ظن أن في الوجود إلها غيره ولو لم يكن المخذول ظانا ظنا كاليقين بل عالما بصحة قول موسى عليه السلام لقول موسى له لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر لما تكلف ذلك البنيان العظيم ولما تعب في بنائه ما تعب لعله يطلع بزعمه إلى إله موسى عليه السلام وإن كان جاهلا مفرط الجهل به وبصفاته حيث حسب أنه في مكان كما كان هو في مكان وأنه يطلع إليه كما كان يطلع إليه إذا قعد في عليته وأنه ملك السماء كما أنه ملك الأرض ولا ترى بينة أثبت شهادة على إفراط جهله وغباوته وجهل ملئه وغباوتهم من أنهم راموا نيل أسباب السموات بصرح يبنونه وليت شعري أكان يلبس على أهل بلاده ويضحك من عقولهم حيث صادفهم أغبى الناس وأخلاهم من الفطن وأشبههم بالبهائم بذلك أم كان في نفسه بتلك الصفة وإن صح ما حكي من رجوع النشابة إليه ملطوخة بالدم فتهكم به بالفعل كما جاء التهكم بالقول في غير موضع من كتاب الله بنظرائه من الكفرة ويجوز أن يفسر الظن على القول الأول باليقين كقوله * فقلت لهم ظنوا بألفي مدجج * ويكون بناء الصرح مناقضا لما ادعاه من العلم واليقين وقد خفيت على قومه لغباوتهم وبلههم أو لم تخف عليهم ولكن كلا كان يخاف على نفسه سوطه وسيفه وإنما قال (أوقد لي يا هامان على الطين) ولم يقل اطبخ لي الآجر واتخذه لأنه أول من عمل الآجر فهو يعلمه الصنعة ولأن هذه العبارة أحسن طباقا لفصاحة القرآن وعلو طبقته وأشبه بكلام الجبابرة وأمر هامان وهو وزيره ورديفه بالإيقاد على الطين منادى باسمه بيا في وسط الكلام دليل التعظيم والتجبر وعن عمر رضي الله عنه أنه حين سافر إلى الشأم ورأى القصور المشيدة بالآجر فقال ما علمت أن أحدا بنى بالآجر غير فرعون * والطلوع والاطلاع الصعود يقال طلع الجبل واطلع بمعنى * والاستكبار بالحق إنما هو لله تعالى وهو المتكبر على الحقيقة أي المتبالغ في كبرياء الشأن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما حكى عن ربه الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحدا منهما ألقيته في النار وكل مستكبر سواه فاستكباره بغير الحق (يرجعون) بالضم والفتح (فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم) من الكلام المفخم الذي دل به على عظمة شأنه وكبرياء سلطانه شبههم استحقارا لهم واستقلالا لعددهم وإن كانوا الكثير الكثير والجم الغفير بحصيات أخذهن آخذ في كفه فطرحهن في البحر ونحو ذلك قوله وجعلنا فيها رواسي شامخات وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه وما هي إلا تصويرات وتمثيلات لاقتداره وأن كل مقدور وإن عظم وجل فهو مستصغر إلى جنب قدرته (فإن قلت) ما معنى قوله (وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار) (قلت) معناه ودعوناهم أئمة دعاة إلى النار وقلنا إنهم أئمة دعاة إلى النار كما يدعى خلفاء الحق أئمة دعاة إلى الجنة وهو

* قوله تعالى بصائر للناس وهدى ورحمة لعلهم يتذكرون (قال معناه إرادة أن يتذكروا لأن الإرادة تشبه الترجي فاستعير لها أو يراد به ترجي موسى عليه السلام) قال أحمد الوجه الثاني هو الصواب واستعذر الأول فإنه قدري * قوله تعالى ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين (قال لولا الأولى ١٦٥ امتناعية والثانية تحضيضية والفاء الأولى عاطفة والثانية جواب والمعنى لولا أنهم قائلون

من قولك جعله بخيلا وفاسقا إذا دعاه وقال إنه بخيل وفاسق ويقول أهل اللغة في تفسير فسقه وبخله جعله بخيلا وفاسقا ومنه قوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا ومعنى دعوتهم إلى النار دعوتهم إلى موجباتها من الكفر والمعاصي (ويوم القيامة لا ينصرون) كما ينصر الأئمة الدعاة إلى الجنة ويجوز خذلناهم حتى كانوا أئمة الكفر ومعنى الخذلان منع الألطاف وإنما يمنعها من علم أنها لا تنفع فيه وهو المصمم على الكفر الذي لا تغني عنه الآيات والنذر ومجراه مجرى الكناية لأن منع الألطاف يردف التصميم والغرض بذكره التصميم نفسه فكأنه قيل صمموا على الكفر حتى كانوا أئمة فيه دعاة إليه وإلى سوء عاقبته (فإن قلت) فأي فائدة في ترك المردوف إلى الرادفة (قلت) ذكر الرادفة يدل على وجود المردوف فيعلم وجود المردوف مع الدليل الشاهد بوجوده فيكون أقوى لإثباته من ذكره ألا ترى أنك تقول لولا أنه مصمم على الكفر مقطوع أمره مثبوت حكمه لما منعت منه الألطاف فبذكر منع الألطاف يحصل العلم بوجود التصميم على الكفر وزيادة وهو قيام الحجة على وجوده ويتنصر لهذا الوجه قوله ويوم القيامة لا ينصرون كأنه قيل وخذلناهم في الدنيا وهم يوم القيامة مخذولون كما قال (وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة) أي طردا وإبعادا عن الرحمة (ويوم القيامة هم من المقبوحين) أي من المطرودين المبعدين (بصائر) نصب على الحال والبصيرة نور القلب الذي يستبصر به كما أن البصر نور العين الذي تبصر به يريد آتيناه التوراة أنوارا للقلوب لأنها كانت عميا لا تستبصر ولا تعرف حقا من باطل وإرشادا لأنهم كانوا يخبطون في ضلال (ورحمة) لأنهم لو عملوا بها وصلوا إلى نيل الرحمة (لعلهم يتذكرون) إرادة أن يتذكروا شبهت الإرادة بالترجي فاستعير لها ويجوز أن يراد به ترجي موسى عليه السلام لتذكرهم كقوله تعالى لعله يتذكر (الغربي) المكان الواقع في شق الغرب وهو المكان الذي وقع فيه ميقات موسى عليه السلام من الطور وكتب الله له في الألواح * والأمر المقضي إلى موسى عليه السلام الوحي الذي أوحي إليه والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وما كنت حاضرا المكان الذي أوحينا فيه إلى موسى عليه السلام ولا كنت (من) جملة (الشاهدين) للوحي إليه أو على الوحي إليه وهم نقباؤه الذين اختارهم للميقات حتى تقف من جهة المشاهدة على ما جرى من أمر موسى عليه السلام في ميقاته وكتبة التوراة له في الألواح وغير ذلك * (فإن قلت) كيف يتصل قوله (ولكنا أنشأنا قرونا) بهذا الكلام ومن أي وجه يكون استدراكا له (قلت) اتصاله به وكونه استدراكا له من حيث إن معناه ولكنا أنشأنا بعد عهد الوحي إلى عهدك قرونا كثيرة (فتطاول) على آخرهم وهو القرن الذي أنت فيهم (العمر) أي أمد انقطاع الوحي واندرست العلوم فوجب إرسالك إليهم فأرسلناك وكسبناك العلم بقصص الأنبياء وقصة موسى عليهم السلام كأنه قال وما كنت شاهدا لموسى وما جرى عليه ولكنا أوحيناه إليك فذكر سبب الوحي الذي هو إطالة الفترة ودل به على المسبب على عادة الله عز وجل في اختصاراته فإذن هذا الاستدراك شبيه الاستدراكين بعده (وما كنت ثاويا) أي مقيما (في أهل مدين) وهم شعيب والمؤمنون به (تتلو عليهم آياتنا) تقرؤها عليهم تعلما منهم يريد الآيات التي فيها قصة شعيب وقومه * ولكنا أرسلناك وأخبرناك بها وعلمناكها (إذ نادينا) يريد مناداة موسى عليه السلام ليلة المناجاة وتكليمه و(لكن) علمناك (رحمة) وقرئ رحمة بالرفع أي هي رحمة (ما أتاهم) من نذير في زمان الفترة بينك وبين عيسى وهي خمسمائة وخمسون سنة ونحوه قوله لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم * (لولا) الأولى امتناعية وجوابها محذوف والثانية تحضيضية وإحدى الفاءين للعطف والأخرى جواب لولا لكونها في حكم الأمر من قبل أن الأمر باعث على الفعل والباعث والمحضض من واد واحد والمعنى ولولا أنهم قائلون إذا عوقبوا لولا أرسلت إلينا رسولا لاحتجوا بذلك لما أرسلنا

ويوم القيامة لا ينصرون وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى بصائر للناس وهدى ورحمة لعلهم يتذكرون وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر وما كنت من الشاهدين ولكنا أنشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر وما كنت ثاويا في أهل مدين تتلو عليهم آياتنا ولكنا كنا مرسلين وما كنت بجانب الطور إذ نادينا ولكن رحمة من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين

اليوم احتجوا فإن قلت كيف استقام هذا المعنى وقد جعلت العقوبة هي السبب في الإرسال لا القول لدخول حرف الامتناع عليها دونه قلت القول هو المقصود بأن يكون سببا للإرسال ولكن العقوبة لما كانت هي السبب للقول وكان وجوده بوجودها جعلت العقوبة كأنها سبب الإرسال بواسطة القول فأدخلت عليها لولا وجيء بالقول معطوفا عليها بالفاء المعطية معنى السببية) قال أحمد وذلك مثل قوله تعالى أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى والسر في جعل سبب السبب سببا وعطف السبب الأصلي عليه أمران أحدهما أن مزيد العناية

عوقبوا بما قدموا من الشرك والمعاصي هلا أرسلت الينا رسولا محتجين علينا بذلك لما أرسلنا اليهم يعني أن
ارسال الرسول اليهم انما هو ليلزموا الحجة ولا يلزموها كقوله لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل أن
تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير لولا أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك (فان قلت) كيف استقام هذا المعنى وقد
جعلت العقوبة هي السبب في الارسال لا القول لدخول حرف الامتناع عليها دونه (قلت) القول هو المقصود
بأن يكون سببا لارسال الرسل ولكن العقوبة لما كانت هي السبب للقول وكان وجوده بوجودها جعلت
العقوبة كأنها سبب الارسال بواسطة القول فأدخلت عليها لولا وجيء بالقول معطوفا عليها بالفاء المعطية
معنى السببية ويؤول معناه الى قولك ولولا قولهم هذا اذا أصابتهم مصيبة لما أرسلنا ولكن اختيرت هذه
الطريقة لنكتة وهي أنهم لو لم يعاقبوا مثلا على كفرهم وقد عاينوا ما ألجئوا به الى العلم اليقين لم يقولوا لولا
أرسلت الينا رسولا وانما السبب في قولهم هذا هو العقاب لا غير لا التأسف على ما فاتهم من الايمان بخالقهم
وفي هذا من الشهادة القوية على استحكام كفرهم ورسوخه فيهم ما لا يخفى كقوله تعالى ولو ردوا لعادوا لما
نهوا عنه ولما كانت أكثر الاعمال تزاول بالايدي جعل كل عمل معبرا عنه باجتراح الايدي وتقديم الايدي وان
كان من أعمال القلوب وهذا من الاتساع في الكلام وتصيير الاقل تابعا للاكثر وتغليب الاكثر على الاقل (فلما
جاءهم الحق) وهو الرسول المصدق بالكتاب المعجز مع سائر المعجزات وقطعت معاذيرهم وسد طريق احتجاجهم
(قالوا لولا أوتي مثل ما أوتي موسى) من الكتاب المنزل جملة واحدة ومن قلب العصا حية وفلق البحر وغيرها من
الآيات فجاؤا بالاقتراحات المبنية على التعنت والعناد كما قالوا لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك وما أشبه ذلك
(أولم يكفروا) يعني أبناء جنسهم ومن مذهبهم مذهبهم وعنادهم عنادهم وهم الكفرة في زمن موسى عليه
السلام (بما أوتي موسى) وعن الحسن رحمه الله قد كان للعرب أصل في أيام موسى عليه السلام فمعناه على
هذا أولم يكفر آباؤهم (قالوا) في موسى وهرون (ساحران تظاهرا) أي تعاونا وقرئ اظاهرا على الادغام
وسحران بمعنى ذوا سحر أو جعلوهما سحرين مبالغة في وصفهما بالسحر أو أرادوا نوعين من السحر (بكل)
بكل واحد منهما (فان قلت) بم علقت قوله من قبل في هذا التفسير (قلت) بأولم يكفروا ولي أن أعلقه بأوتي
فينقلب المعنى الى أن أهل مكة الذين قالوا هذه المقالة كما كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن فقد
كفروا بموسى عليه السلام وبالتوراة وقالوا في موسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام ساحران تظاهرا
أو في الكتابين سحران تظاهرا وذلك حين بعثوا الرهط الى رؤساء اليهود بالمدينة يسألونهم عن محمد صلى الله
عليه وسلم فأخبروهم أنه نعته وصفته وأنه في كتابهم فرجع الرهط الى قريش فأخبروهم بقول اليهود فقالوا
عند ذلك ساحران تظاهرا (هو أهدى منهما) مما أنزل على موسى عليه السلام ومما أنزل علي * هذا الشرط من
نحو ما ذكرت أنه شرط المدل بالامر المتحقق لصحته لان امتناع الاتيان بكتاب أهدى من الكتابين أمر معلوم
متحقق لا مجال فيه للشك ويجوز أن يقصد بحرف الشك التهكم بهم * (فان قلت) ما الفرق بين فعل
الاستجابة في الآية وبينه في قوله * فلم يستجبه عند ذاك مجيب * حيث عدي بغير اللام (قلت) هذا الفعل
يتعدى الى الدعاء بنفسه والى الداعي باللام ويحذف الدعاء اذا عدي الى الداعي في الغالب فيقال استجاب
الله دعاءه أو استجاب له ولا يكاد يقال استجاب له دعاءه وأما البيت فمعناه فلم يستجب دعاءه على حذف

بحسب التقدير وهذا هو السر الذي أبداه سيبويه الثاني ان في هذا النظم تنبيها على سببية كل واحد منهما أما الاول فلاقترانه بحرف
التعليل وهو أن وأما الثاني فلاقترانه بفاء السببية ولا يتعاطى هذا المعنى الا من قولك أن تضل احداهما فتذكر لا من قول القائل ان تذكر
احداهما الاخرى اذا ضلت وكان بعض الفضلاء يورد هذه الآية اشكالا على النحاة وعلى أهل السنة من المتكلمين فيقول لولا عند أهل الفن
تدل على امتناع جوابها لوجود ما بعدها ١٦٩ وحينئذ يكون الواقع بعدها في الآية موجودا وهو عقوبة هؤلاء المذكورين بتقدير
عدم بعثة الرسل
وجوابها ممتنع غير
واقع وهو عدم الارسال
لانه ممتنع بالاولى ومتى
لم يقع عدم الارسال كان
الارسال واقعا ضرورة
فيشكل الواقع بعدها
على أهل السنة لانهم
يقولون لا عقاب قبل بعثة
الرسل فلا تتصور
العقوبة مع عدم
البعثة وذلك لانها واقعة
جزاء على مخالفة

فلما جاءهم الحق من
عندنا قالوا لولا أوتي مثل
ما أوتي موسى أولم يكفروا
بما أوتي موسى من قبل
قالوا سحران تظاهرا
وقالوا انا بكل كافرون
قل فأتوا بكتاب من عند
الله هو أهدى منهما
أتبعه ان كنتم صادقين
فان لم يستجيبوا لك فاعلم
انما يتبعون أهواءهم

أحكام الشرع فاذا لم
تكن شرع فلا مخالفة
ولا عقوبة ويشكل
الجواب على النحاة لانه
يلزم أن لا يكون واقعا
وهو عدم بعثة الرسل
لكن الواقع بعدها
متفق وقوعه ثم كان موردها الاشكال يجيب عنه بتقدير محذوف والاصل ولولا كراهة ان تصيبهم مصيبة وحينئذ المضاف
يزول الاشكال عن الطائفتين والتحقيق عندي في الجواب خلاف ذلك وانما جاء الاشكال من حيث عدم تحرير النحاة لمعنى لولا فانهم
لم انها تدل على ان ما بعدها موجود وان جوابها امتنع به والتحرير في معناها انها تدل على ان ما بعدها مانع من جوابها بكسر لو فان ذلك
لزوم جوابها لما بعدها ثم المانع قد يكون موجودا وقد يكون مفروضا والآية من قبيل فرض وجود المانع وكذلك اللزوم في لو قد

المضاف (فان قلت) فالاستجابة تقتضى دعاء ولا دعاء ههنا (قلت) قوله فأتوا بكتاب أمر بالاتيان والامر بعث على الفعل ودعاء اليه فكأنه قال فان لم يستجيبوا دعاءك الى الاتيان بالكتاب الاهدى فاعلم أنهم قد ألزموا ولم تبق لهم حجة الا اتباع الهوى ثم قال (ومن أضل ممن) لا يتبع فى دينه الا هواه بغير هدى من الله) أى مطبوعا على قلبه ممنوع الالطاف (ان الله لا يهدى) أى لا يلطف بالقوم الثابتين على الظلم الذين اللطف بهم عابث وقوله بغير هدى فى موضع الحال يعنى مخذولا مخلى بينه وبين هواه (ولقد وصلنا) بالتشديد والتخفيف والمعنى ان القرآن أتاهم متتابعا متواصلا وعدا ووعيدا وقصصا وعبرا ومواعظ ونصائح ارادة أن يتذكروا فيفلحوا أو نزل عليهم نزولا متصلا بعضه فى اثر بعض كقوله وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين * نزلت فى مؤمنى أهل الكتاب وعن رفاعة بن قرظة نزلت فى عشرة أنا أحدهم وقيل فى أربعين من مسلمى أهل الانجيل اثنان وثلاثون جاؤا مع جعفر من أرض الحبشة وثمانية من الشام والضمير فى من قبله للقرآن * (فان قلت) أى فرق بين الاستئنافين انه وانا (قلت) الاول تعليل الايمان به لان كونه حقا من الله حقيق بأن يؤمن به والثانى بيان لقوله آمنا به لانه يحتمل أن يكون ايمانا قريب العهد وبعيده فأخبروا أن ايمانهم به متقادم لان آباءهم القدماء قرؤا فى الكتب الاول ذكره وأبناءهم من بعدهم (من قبله) من قبل وجوده ونزوله (مسلمين) كائنين على دين الاسلام لان الاسلام صفة كل موحد مصدق للوحى (بما صبروا) بصبرهم على الايمان بالتوراة والايمان بالقرآن أو بصبرهم على الايمان بالقرآن قبل نزوله وبعد نزوله أو بصبرهم على أذى المشركين وأهل الكتاب ونحوه يؤتكم كفلين من رحمته (بالحسنة السيئة) بالطاعة المعصية المتقدمة أو بالحلم الأذى (سلام عليكم) توديع ومتاركة وعن الحسن رضى الله عنه كلمة حلم من المؤمنين (لا نبتغى الجاهلين) لا نريد مخالطتهم وصحبتهم (فان قلت) من خاطبوا بقولهم ولكم أعمالكم (قلت) اللاغين الذين دل عليهم قوله واذا سمعوا اللغو (انك لا تهدى من أحببت) لا تقدر أن تدخل فى الاسلام كل من أحببت أن يدخل فيه من قومك وغيرهم لانك عبد لا تعلم المطبوع على قلبه من غيره (ولكن الله) يدخل فى الاسلام (من يشاء) وهو الذى علم أنه غير مطبوع على قلبه وأن الالطاف تنفع فيه فيقرن به ألطافه حتى تدعوه الى القبول (وهو أعلم بالمهتدين) بالقابلين من الذين لا يقبلون قال الزجاج أجمع المسلمون أنها نزلت فى أبى طالب وذلك ان أبا طالب قال عند موته يا معشر بنى هاشم أطيعوا محمدا وصدقوه تفلحوا وترشدوا فقال النبى صلى الله عليه وسلم يا عم تأمرهم بالنصيحة لانفسهم وتدعها لنفسك قال فما تريد يا ابن أخى قال أريد منك كلمة واحدة فانك فى آخر يوم من أيام الدنيا أن تقول لا اله الا الله أشهد لك بها عند الله قال يا ابن أخى قد علمت انك لصادق ولكنى أكره أن يقال جزع عند الموت ولولا أن تكون عليك وعلى بنى أبيك غضاضة ومسبة بعدى لقلتها ولأقررت بها عينك عند الفراق لما أرى من شدة وجدك ونصيحتك ولكنى سوف أموت على ملة الاشياخ عبد المطلب وهاشم وعبد مناف * وقالت قريش وقيل ان القائل الحرث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف نحن نعلم انك على الحق ولكنا نخاف ان اتبعناك وخالفنا العرب بذلك وانما نحن أكلة رأس أى قليلون ان يتخطفونا من أرضنا فألقمهم الله الحجر بأنه مكن لهم فى الحرم الذى آمنه بحرمة البيت وآمن قطانه بحرمته وكانت العرب فى الجاهلية حولهم يتغاورون ويتناحرون وهم آمنون فى حرمهم لا يخافون وبحرمة البيت هم قارون بواد غير ذى زرع والثمرات والارزاق تجبى اليهم من كل أوب فاذا خولهم الله ما خولهم من الامن والرزق بحرمة البيت وحدها وهم كفرة عبدة أصنام فكيف يستقيم أن يعرضهم للتخوف والتخطف ويسلبهم الامن اذا ضموا الى حرمة البيت حرمة الاسلام واسناد الامن الى أهل الحرم حقيقة والى الحرم مجاز (يجبى اليه) تجلب وتجمع قرئ بالياء والتاء وقرئ تجنى بالنون من الجنى وتعديته بالى كقوله يجنى الى فيه ويجنى الى الخافة * وثمرات بضمتين وضمة وسكون ومعنى الكلية الكثرة كقوله وأوتيت من كل شئ (ولكن أكثرهم لا يعلمون) متعلق بقوله من لدنا أى قليل منهم يقرون بأن ذلك رزق من عند الله وأكثرهم جهلة لا يعلمون ذلك ولا يفطنون له ولو علموا انه من عند الله لعلموا ان الخوف والامن من عنده ولما خافوا التخطف اذا آمنوا به

ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ان الله لا يهدى القوم الظالمين ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرؤن بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغى الجاهلين انك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء وهو أعلم بالمهتدين وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا أولم نمكن لهم حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شئ رزقا من لدنا ولكن أكثرهم لا يعلمون

التى أو احدى الاثنتين لا لكونها لشيئين فلا يلزم نفيه عن ذى أحدهما ومنه وعلى هذا التحرير يزول الاشكال الوارد على لو فى قوله نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه فتأمل هذا المحل فانه قد خفى على كثير للناظر والله الموفق

* قوله تعالى وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولا يتلو عليهم آياتنا (قال هذا بيان لعدله وتقدسه عن الظلم حيث أخبر بأنه لا يهلكهم إلا إذا استحقوا العذاب ولا يستحقوا حتى تتأكد عليهم الحجة ببعثة الرسل) قال أحمد هذا إسلاف من الزمخشري لجواب ما أوقعه عن سؤال الوارد على القدرية لا جواب

وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلا وكنا نحن الوارثين وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولا يتلو عليهم آياتنا وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون وما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها وما عند الله خير وأبقى أفلا تعقلون أفمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه كمن متعناه متاع الحياة الدنيا ثم هو يوم القيامة من المحضرين ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون قال الذين حق عليهم القول ربنا

هم عنه ينشأ السؤال في هذه الآية فيقال لو كانت العقول تحكم عن الله تعالى بأحكام التكليف لقامت الحجة على الناس وإن لم يكن بعث رسل إذ العقل حاكم فلا يجدون الخلاص من هذا السؤال سبيلا

ويخلعوا أنداده * (فإن قلت) بم انتصب رزقا (قلت) إن جعلته مصدرا جاز أن ينتصب بمعنى ما قبله لأن معنى
يجبى إليه ثمرات كل شيء ويرزق ثمرات كل شيء واحد وأن يكون مفعولا له وإن جعلته بمعنى مرزوق كان حالا
من الثمرات لتخصصها بالإضافة كما تنتصب عن النكرة المتخصصة بالصفة * هذا تخويف لأهل مكة من سوء
عاقبة قوم كانوا في مثل حالهم من إنعام الله عليهم بالرقود في ظلال الأمن وخفض العيش فغمطوا النعمة
وقابلوها بالأشر والبطر فدمرهم الله وخرب ديارهم * وانتصبت (معيشتها) إما بحذف الجار وإيصال الفعل
كقوله تعالى واختار موسى قومه وإما على الظرف بنفسها كقولك زيد ظني مقيم أو بتقدير حذف الزمان
المضاف أصله بطرت أيام معيشتها كخفوق النجم ومقدم الحاج وإما بتضمين بطرت معنى كفرت وغمطت
وقيل البطر سوء احتمال الغنى وهو أن لا يحفظ حق الله فيه (إلا قليلا) من السكنى قال ابن عباس رضي الله
عنهما لم يسكنها إلا المسافر ومار الطريق يوما أو ساعة ويحتمل أن شؤم معاصي المهلكين بقي أثره في ديارهم
فكل من سكنها من أعقابهم لم يبق فيها إلا قليلا (وكنا نحن الوارثين) لتلك المساكن من ساكنيها أي تركناها
على حال لا يسكنها أحد أو خربناها وسويناها بالأرض

تتخلف الآثار عن أصحابها * حينا ويدركها الفناء فتتبع

وما كانت عادة ربك أن يهلك القرى في كل وقت (حتى يبعث في) القرية التي هي (أمها) أي أصلها وقصبتها التي
هي أعمالها وتوابعها (رسولا) لإلزام الحجة وقطع المعذرة مع علمه أنهم لا يؤمنون أو وما كان في حكم الله وسابق
قضائه أن يهلك القرى في الأرض حتى يبعث في أم القرى يعني مكة رسولا وهو محمد صلى الله عليه وسلم خاتم
الأنبياء * وقرئ أمها بضم الهمزة وكسرها لإتباع الجر * وهذا بيان لعدله وتقدسه عن الظلم حيث أخبر بأنه
لا يهلكهم إلا إذا استحقوا الإهلاك بظلمهم ولا يهلكهم مع كونهم ظالمين إلا بعد تأكيد الحجة والإلزام ببعثة
الرسل ولا يجعل علمه بأحوالهم حجة عليهم ونزه ذاته أن يهلكهم وهم غير ظالمين كما قال تعالى وما كان ربك ليهلك
القرى بظلم وأهلها مصلحون فنص في قوله بظلم أنه لو أهلكهم وهم مصلحون لكان ذلك ظلما منه وأن حاله
في غناه وحكمته منافية للظلم دل على ذلك بحرف النفي مع لامه كما قال الله تعالى وما كان الله ليضيع إيمانكم
* وأي شيء أصبتموه من أسباب الدنيا فما هو إلا تمتع وزينة أياما قلائل وهي مدة الحياة المتقضية (وما عند الله)
وهو ثوابه (خير) في نفسه من ذلك (وأبقى) لأن بقاءه دائم سرمد * وقرئ يعقلون بالياء وهو أبلغ في الموعظة
وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن الله خلق الدنيا وجعل أهلها ثلاثة أصناف المؤمن والمنافق والكافر
فالمؤمن يتزود والمنافق يتزين والكافر يتمتع * هذه الآية تقرير وإيضاح للتي قبلها والوعد الحسن الثواب
لأنه منافع دائمة على وجه التعظيم والاستحقاق وأي شيء أحسن منها ولذلك سمى الله الجنة بالحسنى * و(لاقيه)
كقوله تعالى ولقاهم نضرة وسرورا وعكسه فسوف يلقون غيا (من المحضرين) من الذين أحضروا النار ونحوه
لكنت من المحضرين فكذبوه فإنهم لمحضرون قيل نزلت في رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي جهل وقيل
في علي وحمزة وأبي جهل وقيل في عمار بن ياسر والوليد بن المغيرة (فإن قلت) فسر لي الفاءين وثم وأخبرني عن
مواقعها (قلت) قد ذكر في الآية التي قبلها متاع الحياة الدنيا وما عند الله وتفاوتهما ثم عقبه بقوله أفمن
وعدناه على معنى أبعد هذا التفاوت الظاهر يسوى بين أبناء الآخرة وأبناء الدنيا فهذا معنى الفاء الأولى
وبيان موقعها وأما الثانية فللتسبيب لأن لقاء الموعود مسبب عن الوعد الذي هو الضمان في الخبر وأما ثم
فلتراخي حال الإحضار عن حال التمتيع لا لتراخي وقته عن وقته * وقرئ ثم هو بسكون الهاء كما قيل عضد
في عضد شبه المنفصل بالمتصل وسكون الهاء في فهو وهو وهي أحسن لأن الحرف الواحد لا ينطق به وحده
فهو كالمتصل (شركائي) مبني على زعمهم وفيه تهكم * (فإن قلت) زعم يطلب مفعولين كقوله
* ولم أزعمك عن ذلك معزلا * فأين هما (قلت) محذوفان تقديره الذين كنتم تزعمونهم شركائي ويجوز حذف
المفعولين في باب ظننت ولا يصح الاقتصار على أحدهما (الذين حق عليهم القول) الشياطين أو أئمة الكفر ورؤوسه
ومعنى حق عليهم القول وجب عليهم مقتضاه وثبت وهو قوله لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين

وهؤلاء

و(هؤلاء) مبتدأ و(الذين أغوينا) صفته والراجع الى الموصول محذوف و(أغويناهم) الخبر * والكاف
صفة مصدر محذوف تقديره أغويناهم فغووا غيا مثل ما غوينا يعنون أنا لم نغو الا باختيارنا لا أن فوقنا
مغوين أغوونا بقسر منهم والجاء أو دعونا الى الغي وسولوه لنا فهؤلاء كذلك غووا باختيارهم لأن اغواءنا لهم
لم يكن الا وسوسة وتسويلا لا قسرا والجاء فلا فرق اذا بين غينا وغيهم وان كان تسويلنا داعيا لهم الى الكفر
فقد كان في مقابلته دعاء الله لهم الى الايمان بما وضع فيهم من أدلة العقل وما بعث اليهم من الرسل وأنزل عليهم
من الكتب المشحونة بالوعد والوعيد والمواعظ والزواجر وناهيك بذلك صارفا عن الكفر وداعيا الى الايمان
وهذا معنى ما حكاه الله عن الشيطان ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من
سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم والله تعالى قدم هذا المعنى أول شيء حيث قال
لابليس ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين (تبرأنا اليك) منهم ومما اختاروه من
الكفر بأنفسهم هوى منهم للباطل ومقتا للحق لا بقوة منا على استكراههم ولا سلطان (ما كانوا ايانا يعبدون)
انما كانوا يعبدون أهواءهم ويطيعون شهواتهم واخلاء الجملتين من العاطف لكونهما مقررتين لمعنى الجملة
الاولى (لو أنهم كانوا يهتدون) لوجه من وجوه الحيل يدفعون به العذاب أو لو أنهم كانوا مهتدين مؤمنين لما
رأوه أو تمنوا لو كانوا مهتدين أو تحيروا عند رؤيته وسدروا فلا يهتدون طريقا حكى أولا ما يوبخهم به من
اتخاذهم له شركاء ثم ما يقوله الشياطين أو أئمتهم عند توبيخهم لأنهم اذا وبخوا بعبادة الآلهة اعتذروا بأن
الشياطين هم الذين استغووهم وزينوا لهم عبادتها ثم ما يشبه الشماتة بهم من استغاثتهم آلهتهم وخذلانهم
لهم وعجزهم عن نصرتهم ثم ما يبكتون به من الاحتجاج عليهم بارسال الرسل وازاحة العلل (فعميت عليهم
الانباء) فصارت الانباء كالعمى عليهم جميعا لا تهتدي اليهم (فهم لا يتساءلون) لا يسأل بعضهم بعضا كما
يتساءل الناس في المشكلات لأنهم يتساوون جميعا في عمى الانباء عليهم والعجز عن الجواب وقرئ فعميت
والمراد بالنبأ الخبر عما أجاب به المرسل اليه رسوله واذا كانت الانبياء لهول ذلك اليوم يتتعتعون في الجواب
عن مثل هذا السؤال ويفوضون الامر الى علم الله وذلك قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم
قالوا لا علم لنا انك أنت علام الغيوب فما ظنك بالضلال من أممهم (فأما من تاب) من المشركين من الشرك
* وجمع بين الايمان والعمل الصالح (فعسى أن) يفلح عند الله وعسى من الكرام تحقيق ويجوز أن يراد ترجي
التائب وطمعه كأنه قال فليطمع أن يفلح * الخيرة من التخير كالطيرة من التطير تستعمل بمعنى المصدر وهو
التخير وبمعنى المتخير كقولهم محمد خيرة الله من خلقه (ما كان لهم الخيرة) بيان لقوله ويختار لأن معناه
ويختار ما يشاء ولهذا لم يدخل العاطف والمعنى أن الخيرة لله تعالى في أفعاله وهو أعلم بوجوه الحكمة فيها
ليس لأحد من خلقه أن يختار عليه قيل السبب فيه قول الوليد بن المغيرة لولا نزل هذا القرآن على رجل من
القريتين عظيم يعني لا يبعث الله الرسل باختيار المرسل اليهم وقيل معناه ويختار الذي لهم فيه الخيرة أي
يختار للعباد ما هو خير لهم وأصلح وهو أعلم بمصالحهم من أنفسهم من قولهم في الامرين ليس فيهما خيرة لمختار
(فان قلت) فأين الراجع من الصلة الى الموصول اذا جعلت ما موصولة (قلت) أصل الكلام ما كان لهم فيه
الخيرة فحذف فيه كما حذف منه في قوله ان ذلك لمن عزم الامور لأنه مفهوم (سبحان الله) أي الله بريء من
اشراكهم وما يحملهم عليه من الجراءة على الله واختيارهم عليه ما لا يختار (ما تكن صدورهم) من عداوة
رسول الله وحسده (وما يعلنون) من مطاعنهم فيه وقولهم هلا اختير عليه غيره في النبوة (وهو الله) وهو
المستأثر بالالهية المختص بها و(لا اله الا هو) تقرير لذلك كقولك الكعبة القبلة لا قبلة الا هي (فان قلت) الحمد
في الدنيا ظاهر فما الحمد في الآخرة (قلت) هو قولهم الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن الحمد لله الذي صدقنا
وعده وقيل الحمد لله رب العالمين والتحميد هناك على وجه اللذة لا الكلفة وفي الحديث يلهمون
التسبيح والتقديس (وله الحكم) القضاء بين عباده (أرأيتم) وقرئ أريتم بحذف الهمزة وليس بحذف
قياسي ومعناه أخبروني من يقدر على هذا * والسرمد الدائم المتصل من السرد وهو المتابعة ومنه قولهم
في الاشهر الحرم ثلاثة سرد وواحد فرد والميم مزيدة ووزنه فعمل ونظيره دلامص من الدلاص * (فان قلت)

هؤلاء الذين أغوينا
أغويناهم كما غوينا
تبرأنا اليك ما كانوا ايانا
يعبدون وقيل ادعوا
شركاءكم فدعوهم فلم
يستجيبوا لهم ورأوا
العذاب لو أنهم كانوا
يهتدون ويوم يناديهم
فيقول ماذا أجبتم
المرسلين فعميت عليهم
الانباء يومئذ فهم
لا يتساءلون فأما من
تاب وآمن وعمل صالحا
فعسى أن يكون من
المفلحين وربك يخلق
ما يشاء ويختار ما كان
لهم الخيرة سبحان الله
وتعالى عما يشركون
وربك يعلم ما تكن
صدورهم وما يعلنون
وهو الله لا اله الا هو له
الحمد في الاولى والآخرة
وله الحكم واليه
ترجعون قل أرأيتم
ان جعل الله عليكم الليل
سرمدا الى يوم القيامة
من اله غير الله يأتيكم
بضياء

هلا قيل بنهار تتصرفون فيه كما قيل بليل تسكنون فيه (قلت) ذكر الضياء وهو ضوء الشمس لان المنافع التي تتعلق به متكاثرة ليس التصرف في المعاش وحده والظلام ليس بتلك المنزلة ومن ثمة قرن بالضياء (أفلا تسمعون) لان السمع يدرك ما لا يدركه البصر من ذكر منافعه ووصف فوائده وقرن بالليل (أفلا تبصرون) لان غيرك يبصر من منفعة الظلام ما تبصره أنت من السكون ونحوه (ومن رحمته) زاوج بين الليل والنهار لاغراض ثلاثة لتسكنوا في أحدهما وهو الليل ولتبتغوا من فضل الله في الآخر وهو النهار ولارادة شكركم وقد سلكت بهذه الآية طريقة اللف في تكرير التوبيخ باتخاذ الشركاء ايذان بان لا شئ أجلب لغضب الله من الاشراك به كما لا شئ أدخل في مرضاته من توحيده اللهم فكما أدخلتنا في أهل توحيدك فأدخلنا في الناجين من وعيدك (ونزعنا) وأخرجنا (من كل أمة شهيدا) وهو نبيهم لان أنبياء الامم شهداء عليهم يشهدون بما كانوا عليه (فقلنا) للامة (هاتوا برهانكم) فيما كنتم عليه من الشرك ومخالفة الرسول (فعلموا) حينئذ (أن الحق لله) ولرسله لا لهم ولشياطينهم (وضل عنهم) وغاب عنهم غيبة الشئ الضائع (ما كانوا يفترون) من الكذب والباطل (قارون) اسم أعجمي مثل هرون ولم ينصرف للعجمة والتعريف ولو كان فاعولا من قرن لانصرف * وقيل معنى كونه من قومه انه آمن به وقيل كان اسرائيليا ابن عم موسى هو قارون بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب وموسى بن عمران بن قاهث وقيل كان موسى ابن أخيه وكان يسمى المنور لحسن صورته وكان أقرأ بني اسرائيل للتوراة ولكنه نافق كما نافق السامري وقال اذا كانت النبوة لموسى عليه السلام والمذبح والقربان الى هرون فمالي وروي أنه لما جاوز بهم موسى البحر وصارت الرسالة والحبورة لهرون يقرب القربان ويكون رأسا فيهم وكان القربان الى موسى فجعله موسى الى أخيه وجد قارون في نفسه وحسدهما فقال لموسى الامر لكما ولست على شئ الى متى أصبر قال موسى هذا صنع الله قال والله لا أصدقك حتى تأتي بآية فأمر رؤساء بني اسرائيل أن يجيء كل واحد بعصاه فحزمها وألقاها في القبة التي كان الوحي ينزل عليه فيها وكانوا يحرسون عصيهم الليل فأصبحوا واذا بعصا هرون تهتز ولها ورق أخضر وكانت من شجر اللوز فقال قارون ما هو بأعجب مما تصنع من السحر (فبغى عليهم) من البغي وهو الظلم قيل ملكه فرعون على بني اسرائيل فظلمهم وقيل من البغي وهو الكبر والبذخ تبذخ عليهم بكثرة ماله وولده وقيل زاد عليهم في الثياب شبرا * المفاتح جمع مفتح بالكسر وهو ما يفتح به وقيل هي الخزائن وقياس واحدها مفتح بالفتح * ويقال ناء به الحمل اذا أثقله حتى أماله * والعصبة الجماعة الكثيرة والعصابة مثلها واعصوصبوا اجتمعوا وقيل كانت تحمل مفاتيح خزائنه ستون بغلا لكل خزانة مفتاح ولا يزيد المفتاح على أصبع وكانت من جلود قال أبو رزين يكفي الكوفة مفتاح وقد بولغ في ذكر ذلك بلفظ الكنوز والمفاتح والنوء والعصبة وأولي القوة وقرأ بديل بن ميسرة لينوء بالياء ووجهه أن يفسر المفاتح بالخزائن ويعطيها حكم ما أضيفت اليه للملابسة والاتصال كقولك ذهبت أهل اليمامة * ومحل اذ منصوب بتنوء (لا تفرح) كقوله ولا تفرحوا بما آتاكم وقول القائل * ولست بمفراح اذا الدهر سرني * وذلك أنه لا يفرح بالدنيا الا من رضي بها واطمأن وأما من قلبه الى الآخرة ويعلم أنه مفارق ما فيه عن قريب لم تحدثه نفسه بالفرح وما أحسن ما قال القائل

أشد الغم عندي في سرور * تيقن عنه صاحبه انتقالا

(وابتغ فيما آتاك الله) من الغنى والثروة (الدار الآخرة) بان تفعل فيه أفعال الخير من أصناف الواجب والمندوب اليه وتجعله زادك الى الآخرة (ولا تنس نصيبك) وهو أن تأخذ منه ما يكفيك ويصلحك (وأحسن) الى عباد الله (كما أحسن الله اليك) أو أحسن بشكرك وطاعتك لله كما أحسن اليك * والفساد في الارض ما كان عليه من الظلم والبغي وقيل ان القائل موسى عليه السلام وقرئ واتبع (على علم) أي على استحقاق واستيجاب لما في من العلم الذي فضلت به الناس وذلك أنه كان أعلم بني اسرائيل بالتوراة وقيل هو علم الكيمياء عن سعيد بن المسيب كان موسى عليه السلام يعلم علم الكيمياء فأفاد يوشع بن نون ثلثه وكالب بن يوفنا ثلثه وقارون ثلثه فخدعهما قارون حتى أضاف علمهما الى علمه فكان يأخذ الرصاص والنحاس فيجعلهما ذهبا

فلا تسمعون قل أرأيتم
ان جعل الله عليكم
النهار سرمدا الى يوم
القيامة من اله غير الله
يأتيكم بليل تسكنون
فيه أفلا تبصرون ومن
رحمته جعل لكم الليل
والنهار لتسكنوا فيه
ولتبتغوا من فضله
ولعلكم تشكرون ويوم
يناديهم فيقول أين
شركاءي الذين كنتم
تزعمون ونزعنا من كل
أمة شهيدا فقلنا هاتوا
برهانكم فعلموا أن الحق
لله وضل عنهم ما كانوا
يفترون ان قارون كان
من قوم موسى فبغى
عليهم وآتيناه من
الكنوز ما ان مفاتحه
لتنوء بالعصبة أولي
القوة اذ قال له قومه
لا تفرح ان الله لا يحب
الفرحين وابتغ فيما
آتاك الله الدار الآخرة
ولا تنس نصيبك من
الدنيا وأحسن كما
أحسن الله اليك ولا
تبغ الفساد في الارض
ان الله لا يحب المفسدين
قال انما أوتيته على علم

وقيل علم الله موسى علم الكيمياء فعلمه موسى أخته فعلمته أخته قارون وقيل هو بصره بأنواع التجارة
والدهقنة وسائر المكاسب وقيل (عندى) معناه في ظنى كما تقول الامر عندى كذا كأنه قال انما أوتيته على
علم كقوله تعالى ثم اذا خولناه نعمة منا قال انما أوتيته على علم ثم زاد عندى أى هو في ظنى ورأيى هكذا
* يجوز أن يكون اثباتا لعلمه بأن الله قد أهلك من القرون قبله من هو أقوى منه وأغنى لانه قد قرأه في
التوراة وأخبر به موسى وسمعه من حفاظ التواريخ والايام كأنه قيل (أولم يعلم) في جملة ما عنده من العلم هذا
حتى لا يغتر بكثرة ماله وقوته ويجوز أن يكون نفيا لعلمه بذلك لانه لما قال أوتيته على علم عندى فتنفج بالعلم
وتعظم به قيل أعنده مثل ذلك العلم الذى ادعاه ورأى نفسه به مستوجبة لكل نعمة ولم يعلم هذا العلم النافع
حتى يقى به نفسه مصارع الهالكين (وأكثر جمعا) للمال أو أكثر جماعة وعددا * (فان قلت) ما وجه اتصال
قوله (ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون) بما قبله (قلت) لما ذكر قارون من أهلك من قبله من القرون الذين
كانوا أقوى منه وأغنى قال على سبيل التهديد له والله مطلع على ذنوب المجرمين لا يحتاج الى سؤالهم عنها
واستعلامهم وهو قادر على أن يعاقبهم عليها كقوله تعالى والله خبير بما تعملون والله بما تعملون عليم
وما أشبه ذلك (في زينته) قال الحسن في الحمرة والصفرة وقيل خرج على بغلة شهباء عليها الارجوان وعليها
سرج من ذهب ومعه أربعة آلاف على زيه وقيل عليهم وعلى خيولهم الديباج الاحمر وعن يمينه ثلثمائة غلام
وعن يساره ثلثمائة جارية بيض عليهن الحلى والديباج وقيل في تسعين ألفا عليهم المعصفرات وهو أول يوم
رؤى فيه المعصفر * كان المتمنون قوما مسلمين وانما تمنوه على سبيل الرغبة في اليسار والاستغناء كما هو عادة
البشر وعن قتادة تمنوه ليتقربوا به الى الله وينفقوه في سبيل الخير وقيل كانوا قوما كفارا الغابط هو الذى
يتمنى مثل نعمة صاحبه من غير أن تزول عنه والحاسد هو الذى يتمنى أن تكون نعمة صاحبه له دونه فمن
الغبطة قوله تعالى ياليت لنا مثل ما أوتى قارون ومن الحسد قوله ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض
وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم هل يضر الغبط فقال لا الا كما يضر العضاه الخبط * والحظ الجد وهو
البخت والدولة وصفوه بأنه رجل مجدود مبخوت يقال فلان ذو حظ وحظيظ ومحظوظ وما الدنيا الا أحاظ
وجدود * ويلك أصله الدعاء بالهلاك ثم استعمل في الزجر والردع والبعث على ترك ما لا يرتضى كما استعمل
لا أبا لك وأصله الدعاء على الرجل بالاقراف في الحث على الفعل * والراجع في (ولا يلقاها) الكلمة التى
تكلم بها العلماء أو للثواب لانه في معنى المثوبة أو الجنة أو للسيرة والطريقة وهى الايمان والعمل الصالح
(الصابرون) على الطاعات وعن الشهوات وعلى ما قسم الله من القليل عن الكثير * كان قارون يؤذى نبى
الله موسى عليه السلام كل وقت وهو يداريه للقرابة التى بينهما حتى نزلت الزكاة فصالحه عن كل ألف
دينار على دينار وعن كل ألف درهم على درهم فحسبه فاستكثره فشحت به نفسه فجمع بنى اسرائيل وقال ان
موسى أرادكم على كل شئ وهو يريد أن يأخذ أموالكم فقالوا أنت كبيرنا وسيدنا فمر بما شئت قال نبرطل
فلانة البغى حتى ترميه بنفسها فيرفضه بنو اسرائيل فجعل لها ألف دينار وقيل طستا من ذهب وقيل
طستا من ذهب مملوءة ذهبا وقيل حكمها فلما كان يوم عيد قام موسى فقال يا بنى اسرائيل من سرق
قطعناه ومن افترى جلدناه ومن زنى وهو غير محصن جلدناه وان أحصن رجمناه فقال قارون وان كنت
أنت قال وان كنت أنا قال فان بنى اسرائيل يزعمون أنك فجرت بفلانة فأحضرت فناشدها موسى بالذى فلق
البحر وأنزل التوراة أن تصدق فتداركها الله فقالت كذبوا بل جعل لى قارون جعلا على أن أقذفك بنفسى
فخر موسى ساجدا يبكى وقال يارب ان كنت رسولك فاغضب لى فأوحى اليه أن مر الارض بما شئت فانها
مطيعة لك فقال يا بنى اسرائيل ان الله بعثنى الى قارون كما بعثنى الى فرعون فمن كان معه فليلزم مكانه ومن
كان معى فليعتزل فاعتزلوا جميعا غير رجلين ثم قال يا أرض خذيهم فأخذتهم الى الركب ثم قال خذيهم
فأخذتهم الى الاوساط ثم قال خذيهم فأخذتهم الى الاعناق وقارون وأصحابه يتضرعون الى موسى عليه
السلام ويناشدونه بالله والرحم وموسى لا يلتفت اليهم لشدة غضبه ثم قال خذيهم فانطبقت عليهم وأوحى الله
الى موسى ما أفظك استغاثوا بك مرارا فلم ترحمهم أما وعزتى لو اياى دعوا مرة واحدة لوجدونى قريبا مجيبا

عندى أولم يعلم أن الله
قد أهلك من قبله من
القرون من هو أشد
منه قوة وأكثر جمعا
ولا يسئل عن ذنوبهم
المجرمون فخرج على
قومه في زينته قال
الذين يريدون الحياة
الدنيا ياليت لنا مثل
ما أوتى قارون انه لذو
حظ عظيم وقال الذين
أوتوا العلم ويلكم
ثواب الله خير لمن آمن
وعمل صالحا ولا يلقاها
الا الصابرون فخسفنا به
وبداره الارض فما كان
له من فئة ينصرونه من
دون الله وما كان

* قوله تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين (قال لم يعلق الوعد بترك العلو والفساد ولكن بترك ارادتهما كما قال تعالى ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار فعلق الوعيد بالركون الى الظلمة وعن علي أن الرجل ليعجبه ان يكون شراك نعله خيرا من شراك (١٧٣) نعل أخيه فيدخل تحتها وعن عمر بن عبد العزيز انه كان يرددها حتى قبض وعن الفضيل انه قرأها وقال ذهبت الاماني هونا ومن الطماع من يجعل العلو لفرعون والفساد لقارون لقوله ان فرعون علا في الارض وقوله ولا تبغ الفساد في الارض ويقول من لم يكن مثل فرعون وقارون فله تلك الدار الآخرة ولا يتدبر قوله والعاقبة للمتقين كما تدبرها علي وعمر الاستثناء والفضيل) قال أحمد هو تعريض لمذهب أهل السنة في ان كل موحد من أهل الجنة واغلاطهم واحسب أطمعهم الله تعالى بل حقق طمعهم في رحمته حيث يقول رسوله عليه الصلاة والسلام من قال لا اله الا الله دخل الجنة وان زنا وان سرق ثلاثا وفي الثالثة وان رغم أنف أبي ذر اللهم اقسم لنا من رجائك ما تحول به من القنوط ومن خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك والله الموفق للصواب

من المنتصرين وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا أن منّ الله علينا لخسف بنا ويكأنه لا يفلح الكافرون تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات الا ما كانوا يعملون ان الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد قل ربي أعلم من جاء بالهدى ومن هو في ضلال مبين وما كنت ترجو أن يلقى اليك الكتاب الا رحمة من ربك فلا تكونن ظهيرا للكافرين ولا يصدنك عن آيات الله

فأصبحت بنو اسرائيل يتناجون بينهم انما دعا موسى على قارون ليستبد بداره وكنوزه فدعا الله حتى خسف بداره وأمواله (من المنتصرين) من المنتقمين من موسى عليه السلام أو من الممتنعين من عذاب الله يقال نصره من عدوه فانتصر أي منعه منه فامتنع * قد يذكر الأمس ولا يراد به اليوم الذي قبل يومك ولكن الوقت المستقرب على طريق الاستعارة (مكانه) منزلته من الدنيا (وي) مفصولة عن كأن وهي كلمة تنبه على الخطأ وتندم ومعناه أن القوم قد تنبهوا على خطئهم في تمنيهم وقولهم يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون وتندموا ثم قالوا (كأنه لا يفلح الكافرون) أي ما أشبه الحال بأن الكافرين لا ينالون الفلاح وهو مذهب الخليل وسيبويه قال

وي كأن من يكن له نشب يحبب * ومن يفتقر يعش عيش ضر

وحكى الفراء أن اعرابية قالت لزوجها أين ابنك فقال وي كأنه وراء البيت وعند الكوفيين أن ويك بمعنى ويلك وأن المعنى ألم تعلم أنه لا يفلح الكافرون ويجوز أن تكون الكاف كاف الخطاب مضمومة الى وي كقوله ويك عنتر أقدم وأنه بمعنى لأنه واللام لبيان المقول لأجله هذا القول أو لأنه لا يفلح الكافرون كان ذلك وهو الخسف بقارون ومن الناس من يقف على وي ويبتدئ كأنه ومنهم من يقف على ويك * وقرأ الأعمش لولا منّ الله علينا وقرئ (لخسف بنا) وفيه ضمير الله ولانخسف بنا كقولك انقطع به ولتخسف بنا (تلك) تعظيم لها وتفخيم لشأنها يعني تلك التي سمعت بذكرها وبلغك وصفها * لم يعلق الوعد بترك العلو والفساد ولكن بترك ارادتهما وميل القلوب اليهما كما قال ولا تركنوا الى الذين ظلموا فعلق الوعيد بالركون وعن علي رضي الله عنه ان الرجل ليعجبه أن يكون شراك نعله أجود من شراك نعل صاحبه فيدخل تحتها وعن الفضيل أنه قرأها ثم قال ذهبت الأماني ههنا وعن عمر بن عبد العزيز أنه كان يرددها حتى قبض ومن الطماع من يجعل العلو لفرعون والفساد لقارون متعلقا بقوله ان فرعون علا في الأرض ولا تبغ الفساد في الأرض ويقول من لم يكن مثل فرعون وقارون فله تلك الدار الآخرة ولا يتدبر قوله (والعاقبة للمتقين) كما تدبره علي والفضيل وعمر * معناه فلا يجزون فوضع (الذين عملوا السيئات) موضع الضمير لأن في اسناد عمل السيئة اليهم مكررا فضل تهجين لحالهم وزيادة تبغيض للسيئة الى قلوب السامعين (الا ما كانوا يعملون) الا مثل ما كانوا يعملون وهذا من فضله العظيم وكرمه الواسع أن لا يجزي السيئة الا بمثلها ويجزي الحسنة بعشر أمثالها وبسبعمائة وهو معنى قوله فله خير منها (فرض عليك القرآن) أوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل بما فيه يعني أن الذي حملك صعوبة هذا التكليف لمثيبك عليها ثوابا لا يحيط به الوصف و(رادك) بعد الموت (الى معاد) أي معاد والى معاد ليس لغيرك من البشر وتنكير المعاد لذلك وقيل المراد به مكة ووجهه أن يراد رده اليها يوم الفتح ووجه تنكيره أنها كانت في ذلك اليوم معادا له شأن ومرجعا له اعتداد لغلبة رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها وقهره لأهلها ولظهور عز الاسلام وأهله وذل الشرك وحزبه والسورة مكية فكأن الله وعده وهو بمكة في أذى وغلبة من أهلها أنه يهاجر به منها ويعيده اليها ظاهرا ظافرا وقيل نزلت عليه حين بلغ الجحفة في مهاجره وقد اشتاق الى مولده ومولد آبائه وحرم ابراهيم فنزل جبريل فقال له أتشتاق الى مكة قال نعم فأوحاها اليه (فان قلت) كيف اتصل قوله تعالى (قل ربي أعلم) بما قبله (قلت) لما وعد رسوله الرد الى معاد قال قل للمشركين ربي أعلم من جاء بالهدى يعني نفسه وما يستحقه من الثواب في معاده (ومن هو في ضلال مبين) يعنيهم وما يستحقونه من العقاب في معادهم (فان قلت) قوله (الا رحمة من ربك) ما وجه

الاستثناء فيه (قلت) هذا كلام محمول على المعنى كأنه قيل وما ألقي عليك الكتاب الا رحمة من ربك ويجوز أن يكون الا بمعنى لكن للاستدراك أي ولكن لرحمة من ربك ألقي اليك * وقرئ يصدنك من أصده بمعنى صده وهي في لغة كلب وقال

أناس أصدوا الناس بالسيف عنهم * صدود السواقي عن أنوف الحوائم

(بعد اذ أنزلت اليك) بعد وقت انزاله واذ تضاف اليه أسماء الزمان كقولك حينئذ وليلتئذ ويومئذ وما أشبه ذلك * والنهي عن مظاهرة الكافرين ونحو ذلك من باب التهييج الذي سبق ذكره (الا وجهه) الا اياه والوجه يعبر به عن الذات قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ طسم القصص كان له من الأجر بعدد من صدق موسى وكذب به ولم يبق ملك في السموات والأرض الا شهد له يوم القيامة أنه كان صادقا أن كل شيء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون

﴿سورة العنكبوت مكية وهي تسع وستون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* الحسبان لا يصح تعليقه بمعاني المفردات ولكن بمضامين الجمل ألا ترى أنك لو قلت حسبت زيدا وظننت الفرس لم يكن شيأ حتى تقول حسبت زيدا عالما وظننت الفرس جوادا لأن قولك زيد عالم أو الفرس جواد كلام دال على مضمون فأردت الاخبار عن ذلك المضمون ثابتا عندك على وجه الظن لا اليقين فلم تجد بدا في العبارة عن ثباته عندك على ذلك الوجه من ذكر شطري الجملة مدخلا عليهما فعل الحسبان حتى يتم لك غرضك (فان قلت) فأين الكلام الدال على المضمون الذي يقتضيه الحسبان في الآية (قلت) هو في قوله (أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون) وذلك أن تقديره أحسبوا تركهم غير مفتونين لقولهم آمنا فالترك أول مفعولي حسب ولقولهم آمنا هو الخبر وأما غير مفتونين فتتمة الترك لانه من الترك الذي هو بمعنى التصيير كقوله * فتركته جزر السباع ينشنه * ألا ترى أنك قبل المجيء بالحسبان تقدر أن تقول تركهم غير مفتونين لقولهم آمنا على تقدير حاصل ومستقر قبل اللام (فان قلت) أن يقولوا هو علة تركهم غير مفتونين فكيف يصح أن يقع خبر مبتدا (قلت) كما تقول خروجه لمخافة الشر وضربه للتأديب وقد كان التأديب والمخافة في قولك خرجت مخافة الشر وضربته تأديبا تعليلين وتقول أيضا حسبت خروجه لمخافة الشر وظننت ضربه للتأديب فتجعلهما مفعولين كما جعلتهما مبتدأ وخبرا * والفتنة الامتحان بشدائد التكاليف من مفارقة الأوطان ومجاهدة الأعداء وسائر الطاعات الشاقة وهجر الشهوات والملاذ وبالفقر والقحط وأنواع المصائب في الأنفس والأموال وبمصابرة الكفار على أذاهم وكيدهم وضرارهم والمعنى أحسب الذين أجروا كلمة الشهادة على ألسنتهم وأظهروا القول بالايمان أنهم يتركون بذلك غير ممتحنين بل يمحنهم الله بضروب المحن حتى يبلو صبرهم وثبات أقدامهم وصحة عقائدهم ونصوع نياتهم ليتميز المخلص من غير المخلص والراسخ في الدين من المضطرب والمتمكن من العابد على حرف كما قال لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الأمور وروى أنها نزلت في ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جزعوا من أذى المشركين وقيل في عمار بن ياسر وكان يعذب في الله وقيل في ناس أسلموا بمكة فكتب اليهم المهاجرون لا يقبل منكم اسلامكم حتى تهاجروا فخرجوا فتبعهم المشركون فردوهم فلما نزلت كتبوا اليهم فخرجوا فاتبعهم المشركون فقاتلوهم فمنهم من قتل ومنهم من نجا وقيل في مهجع بن عبد الله مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو أول قتيل من المسلمين يوم بدر رماه عامر بن الحضرمي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد الشهداء مهجع وهو أول من يدعى الى باب الجنة من هذه الامة فجزع عليه أبواه وامرأته (ولقد فتنا) موصول بأحسب أو بلا يفتنون كقولك ألا يمتحن فلان وقد امتحن من هو خير منه يعني أن اتباع الانبياء عليهم السلام قبلهم قد أصابهم من الفتن والمحن نحو ما أصابهم أو ما هو أشد منه فصبروا كما قال وكأين من

بعد اذ أنزلت اليك وادع الى ربك ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله الها آخر لا اله الا هو كل شيء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون

﴿سورة العنكبوت مكية وهي تسع وستون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم

نبي قتل معه ربيون كثير فما وهنوا الآية وعن النبي صلى الله عليه وسلم قد كان من قبلكم يؤخذ فيوضع المنشار على رأسه فيفرق فرقتين ما يصرفه ذلك عن دينه ويمشط بأمشاط الحديد ما دون عظمه من لحم وعصب ما يصرفه ذلك عن دينه (فليعلمن الله) بالامتحان (الذين صدقوا) في الإيمان (وليعلمن الكاذبين) فيه (فإن قلت) كيف وهو عالم بذلك فيما لم يزل (قلت) لم يزل يعلمه معدوما ولا يعلمه موجودا إلا إذا وجد والمعنى وليميزن الصادق منهم من الكاذب ويجوز أن يكون وعدا ووعيدا كأنه قال وليثيبن الذين صدقوا وليعاقبن الكاذبين وقرأ علي رضي الله عنه والزهري وليعلمن من الإعلام أي وليعرفنهم الله الناس من هم أو ليسمنهم بعلامة يعرفون بها من بياض الوجوه وسوادها وكحل العيون وزرقتها (أن يسبقونا) أن يفوتونا يعني أن الجزاء يلحقهم لا محالة وهم لم يطمعوا في الفوت ولم يحدثوا به نفوسهم ولكنهم لغفلتهم وقلة فكرهم في العاقبة وإصرارهم على المعاصي في صورة من يقدر ذلك ويطمع فيه ونظيره وما أنتم بمعجزين في الأرض ولا تحسبن الذين كفروا سبقوا إنهم لا يعجزون (فإن قلت) أين مفعولا حسب (قلت) اشتمال صلة أن على مسند ومسند إليه سد مسد المفعولين كقوله تعالى أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ويجوز أن يضمن حسب معنى قدر وأم منقطعة ومعنى الإضراب فيها أن هذا الحسبان أبطل من الحسبان الأول لأن ذاك يقدر أنه لا يمتحن لإيمانه وهذا يظن أنه لا يجازى بمساويه (ساء ما يحكمون) بئس الذي يحكمونه حكمهم هذا أو بئس حكما يحكمونه حكمهم هذا فحذف المخصوص بالذم * لقاء الله مثل للوصول إلى العاقبة من تلقي ملك الموت والبعث والحساب والجزاء مثلت تلك الحال بحال عبد قدم على سيده بعد عهد طويل وقد اطلع مولاه على ما كان يأتي ويذر فإما أن يلقاه ببشر وترحيب لما رضي من أفعاله أو بضد ذلك لما سخطه منها فمعنى قوله (من كان يرجو لقاء الله) من كان يأمل تلك الحال وأن يلقى فيها الكرامة من الله والبشرى (فإن أجل الله) وهو الموت (لآت) لا محالة فليبادر العمل الصالح الذي يصدق رجاءه ويحقق أمله ويكتسب به القربة عند الله والزلفى (وهو السميع العليم) الذي لا يخفى عليه شيء مما يقوله عباده ومما يفعلونه فهو حقيق بالتقوى والخشية وقيل يرجو يخاف من قول الهذلي في صفة عسال * إذا لسعته الدبر لم يرج لسعها * (فإن قلت) فإن أجل الله لآت كيف وقع جوابا للشرط (قلت) إذا علم أن لقاء الله عنيت به تلك الحال الممثلة والوقت الذي تقع فيه تلك الحال هو الأجل المضروب للموت فكأنه قال من كان يرجو لقاء الله فإن لقاء الله لآت لأن الأجل واقع فيه اللقاء كما تقول من كان يرجو لقاء الملك فإن يوم الجمعة قريب إذا علم أنه يقعد للناس يوم الجمعة (ومن جاهد) نفسه في منعها ما تأمر به وحملها على ما تأباه (فإنما يجاهد) لها لأن منفعة ذلك راجعة إليها وإنما أمر الله عز وجل ونهى رحمة لعباده وهو الغني عنهم وعن طاعتهم * إما أن يريد قوما مسلمين صالحين قد أساؤا في بعض أعمالهم وسيآتهم مغمورة بحسناتهم فهو يكفرها عنهم أي يسقط عقابها بثواب الحسنات ويجزيهم أحسن الذي كانوا يعملون أي أحسن جزاء أعمالهم وإما قوما مشركين آمنوا وعملوا الصالحات فالله عز وجل يكفر سيآتهم بأن يسقط عقاب ما تقدم لهم من الكفر والمعاصي ويجزيهم أحسن جزاء أعمالهم في الإسلام * وصى حكمه حكم أمر في معناه وتصرفه يقال وصيت زيدا بأن يفعل خيرا كما تقول أمرته بأن يفعل ومنه بيت الإصلاح

وذبيانية وصت بنيها * بأن كذب القراطف والقروف

كأنه قال أمرتهم بأن ينتهبوها ومنه قوله تعالى ووصى بها إبراهيم بنيه أي وصاهم بكلمة التوحيد وأمرهم بها وقولك وصيت زيدا بعمرو معناه وصيته بتعهد عمرو ومراعاته ونحو ذلك وكذلك معنى قوله (ووصينا الإنسان بوالديه

﴿القول في سورة العنكبوت﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ * قوله تعالى وليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين (قال إن قلت هو لم يزل يعلم الصادقين والكاذبين قبل الامتحان فما وجه هذا الكلام قلت لم يزل يعلمه معدوما ولا يعلمه موجودا إلا إذا وجد) قال أحمد فيما ذكر إيهام بمذهب فاسد وهو اعتقاد أن العلم بالكائن غير العلم بأن سيكون والحق أن علم الله تعالى واحد يتعلق بالموجود زمان وجوده وقبله وبعده على ما هو عليه وفائدة ذكر العلم ههنا وإن كان سابقا على وجود المعلوم التنبيه

فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين أم حسب الذين يعملون السيآت أن يسبقونا ساء ما يحكمون من كان يرجوا لقاء الله فإن أجل الله لآت وهو السميع العليم ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه إن الله لغني عن العالمين والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيآتهم ولنجزينهم أحسن الذي كانوا يعملون ووصينا الإنسان

بالسبب على المسبب وهو الجزاء كأنه قال تعالى ليعلمنهم فليجازينهم بحسب علمه فيهم والله أعلم * قوله تعالى والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيآتهم ولنجزينهم أحسن الذي كانوا يعملون (قال المراد بهم أحد فريقين إما قوم مسلمون سيآتهم صغائر مغمورة بالحسنات وإما قوم آمنوا وعملوا الصالحات بعد الكفر فالإسلام يجب ما قبله) قال أحمد جرى واسماعين رحمه الله تعالى بناء على أصله الفاسد في وجوب الوعيد على مرتكب السيآت الكبائر إلا بالتوبة وأطلق تكفير الصغائر وإن لم تكن توبة إذا غمرتها الحسنات وكلا الأصلين قدري مجتنب والله الموفق

بوالديه حسنا) وصيناه بإيتاء والديه حسنا أو بإيلاء والديه حسنا أي فعلا ذا حسن أو ما هو في ذاته حسن لفرط حسنه كقوله تعالى وقولوا للناس حسنا وقرئ حسنا وإحسانا ويجوز أن تجعل حسنا من باب قولك زيدا بإضمار اضرب إذا رأيته متهيئا للضرب فتنصبه بإضمار أولهما أو افعل بهما لأن التوصية بهما دالة عليه وما بعده مطابق له كأنه قال قلنا أولهما معروفا (ولا تطعهما) في الشرك إذا حملاك عليه وعلى هذا التفسير إن وقف على بوالديه وابتدأ حسنا حسن الوقف وعلى التفسير الأول لا بد من إضمار القول معناه وقلنا إن جاهداك أيها الإنسان (ما ليس لك به علم) أي لا علم لك بإلهيته والمراد بنفي العلم نفي المعلوم كأنه قال لتشرك بي شيئا لا يصح أن يكون إلها ولا يستقيم وصاه بوالديه وأمره بالإحسان إليهما ثم نهاه عن طاعتهما إذا أراداه على ما ذكر على أن كل حق وإن عظم ساقط إذا جاء حق الله وأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق * ثم قال إلي مرجع من آمن منكم ومن أشرك فأجازيكم حق جزائكم وفيه شيئان أحدهما أن الجزاء إلي فلا تحدث نفسك بجفوة والديك وعقوقهما لشركهما ولا تحرمهما برك ومعروفك في الدنيا كما أني لا أمنعهما رزقي والثاني التحذير من متابعتهما على الشرك والحث على الثبات والاستقامة في الدين بذكر المرجع والوعيد روي أن سعد بن أبي وقاص الزهري رضي الله عنه حين أسلم قالت أمه وهي حمنة بنت أبي سفيان بن أمية بن عبد شمس يا سعد بلغني أنك قد صبأت فوالله لا يظلني سقف بيت من الضح والريح وإن الطعام والشراب علي حرام حتى تكفر بمحمد وكان أحب ولدها إليها فأبى سعد وبقيت ثلاثة أيام كذلك فجاء سعد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكا إليه فنزلت هذه الآية والتي في لقمان والتي في الأحقاف فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يداريها ويترضاها بالإحسان وروي أنها نزلت في عياش بن أبي ربيعة المخزومي وذلك أنه هاجر مع عمر بن الخطاب رضي الله عنهما مترافقين حتى نزلا المدينة فخرج أبو جهل بن هشام والحارث بن هشام أخواه لأمه أسماء بنت مخرمة امرأة من بني تميم من بني حنظلة فنزلا بعياش وقالا له إن من دين محمد صلة الأرحام وبر الوالدين وقد تركت أمك لا تطعم ولا تشرب ولا تأوي بيتا حتى تراك وهي أشد حبا لك منا فاخرج معنا وفتلا منه في الذروة والغارب فاستشار عمر رضي الله عنه فقال هما يخدعانك ولك علي أن أقسم مالي بيني وبينك فما زالا به حتى أطاعهما وعصى عمر فقال له عمر أما إذ عصيتني فخذ ناقتي فليس في الدنيا بعير يلحقها فإن رابك منهما ريب فارجع فلما انتهوا إلى البيداء قال أبو جهل إن ناقتي قد كلت فاحملني معك قال نعم فنزل ليوطئ لنفسه وله فأخذاه وشداه وثاقا وجلده كل واحد منهما مائة جلدة وذهبا به إلى أمه فقالت لا تزال في عذاب حتى ترجع عن دين محمد فنزلت (في الصالحين) في جملتهم والصلاح من أبلغ صفات المؤمنين وهو متمنى أنبياء الله قال الله تعالى حكاية عن سليمان عليه السلام وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين وقال في إبراهيم عليه السلام وإنه في الآخرة لمن الصالحين أو في مدخل الصالحين وهي الجنة وهذا نحو قوله تعالى ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم الآية * هم ناس كانوا يؤمنون بألسنتهم فإذا مسهم أذى من الكفار وهو المراد بفتنة الناس كان ذلك صارفا لهم عن الإيمان كما أن عذاب الله صارف للمؤمنين عن الكفر أو كما يجب أن يكون عذاب الله صارفا * وإذا نصر الله المؤمنين وغنمهم اعترضوهم وقالوا (إنا كنا معكم) أي مشايعين لكم في دينكم ثابتين عليه بثباتكم ما قدر أحد أن يفتننا فأعطونا نصيبنا من المغنم * ثم أخبر سبحانه أنه أعلم (بما في صدور العالمين) من العالمين بما في صدورهم ومن ذلك ما تكن صدور هؤلاء من النفاق وهذا إطلاع منه للمؤمنين على ما أبطنوه * ثم وعد المؤمنين وأوعد المنافقين وقرئ ليقولن بفتح اللام * أمروهم باتباع سبيلهم وهي طريقتهم التي كانوا عليها في دينهم وأمروا أنفسهم بحمل خطاياهم فعطف الأمر على الأمر ليجتمع هذان الأمران في الحصول أن تتبعوا سبيلنا وأن نحمل خطاياكم والمعنى تعليق الحمل بالاتباع وهذا قول صناديد قريش كانوا يقولون لمن آمن منهم لا نبعث نحن ولا أنتم فإن عسى كان ذلك فإنا نتحمل

بوالديه حسنا وإن جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما إلي مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله ولئن جاء نصر من ربك ليقولن إنا كنا معكم أوليس الله بأعلم بما في صدور العالمين وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء

---

* قوله تعالى وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء إنهم لكاذبون (قال وبعض المتسمين بالإسلام إذا أراد أن يشجع صاحبه على ذنب قال له افعل هذا وإثمه في عنقي (175) ومنه ما يحكى أن رجلا رفع إلى المنصور حوائجه فلما قضاها قال يا أمير المؤمنين بقيت لي إليك حاجة هي العظمى قال وما هي قال شفاعتك في المحشر فقال عمرو يا أمير المؤمنين إياك وهؤلاء فهم قطاع الطريق في المأمن) قال أحمد عمرو ابن عبيد أول القدرية المنكرين للشفاعة واستغفره وليست الآية مطابقة للحكاية ولكن الزمخشري يبني على أنه لا فرق بين اعتقاد الشفاعة واعتقاد أن الكفار يحملون خطايا أتباعهم فلذلك ساقهما مساقا واحدا نعوذ بالله من ذلك * وفي قوله تعالى إنهم لكاذبون نكتة حسنة يستدل بها على صحة مجيء الأمر بمعنى الخبر فإن من الناس من أنكره والتزم تخريج جميع ما ورد في ذلك

على أصل الامر ولم يتم له ذلك في هذه الآية لان الله تعالى أردف قولهم ولنحمل خطاياكم على صيغة الامر بقوله انهم لكاذبون والتكذيب انما يتطرق الى الاخبار * قوله تعالى فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما (قال عدل عن تسعمائة وخمسين لانه يحتمل فيه اطلاق العدد على الاكثر بخلاف مجيئه مع الاستثناء) قال أحمد لان الاستثناء استدراك ورجوع على الجملة بالتنقيص تحريرا

عنكم الاثم وترى في المتسمين بالاسلام من يستن بأولئك فيقول لصاحبه اذا أراد أن يشجعه على ارتكاب بعض العظائم افعل هذا واثمه في عنقي وكم من مغرور بمثل هذا الضمان من ضعفة العامة وجهلتهم ومنه ما يحكى أن أبا جعفر المنصور رفع اليه بعض أهل الحشو حوائجه فلما قضاها قال يا أمير المؤمنين بقيت الحاجة العظمى قال وما هي قال شفاعتك يوم القيامة فقال له عمرو بن عبيد رحمه الله اياك وهؤلاء فانهم قطاع الطريق في المأمن (فان قلت) كيف سماهم كاذبين وانما ضمنوا شيأ علم الله أنهم لا يقدرون على الوفاء به وضامن ما لا يعلم اقتداره على الوفاء به لا يسمى كاذبا لا حين ضمن ولا حين عجز لانه في الحالين لا يدخل تحت حد الكاذب وهو المخبر عن الشئ لا على ما هو عليه (قلت) شبه الله حالهم حيث علم أن ما ضمنوه لا طريق لهم الى أن يفوا به فكان ضمانهم عنده لا على ما عليه المضمون بالكاذبين الذين خبرهم لا على ما عليه المخبر عنه ويجوز أن يريد أنهم كاذبون لانهم قالوا ذلك وقلوبهم على خلافه كالكاذبين الذين يعدون الشئ وفي قلوبهم نية الخلف (وليحملن أثقالهم) أي أثقال أنفسهم (وأثقالا) يعني أثقالا أخر غير الخطايا التي ضمنوا للمؤمنين حملها وهي أثقال الذين كانوا سببا في ضلالهم (وليسألن) سؤال تقريع (عما كانوا يفترون) أي يختلقون من الاكاذيب والاباطيل * وقرئ من خطيآتهم * كان عمر نوح عليه السلام ألفا وخمسين سنة بعث على رأس أربعين ولبث في قومه تسعمائة وخمسين وعاش بعد الطوفان ستين وعن وهب أنه عاش ألفا وأربعمائة سنة (فان قلت) هلا قيل تسعمائة وخمسين سنة (قلت) ما أورده الله أحكم لانه لو قيل كما قلت لجاز أن يتوهم اطلاق هذا العدد على أكثره وهذا التوهم زائل مع مجيئه كذلك وكأنه قيل تسعمائة وخمسين سنة كاملة وافية العدد الا أن ذلك أخصر وأعذب لفظا وأملأ بالفائدة وفيه نكتة أخرى وهي أن القصة مسوقة لذكر ما ابتلي به نوح عليه السلام من أمته وما كابده من طول المصابرة تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتثبيتا له فكان ذكر رأس العدد الذي لا رأس أكثر منه أوقع وأوصل الى الغرض من استطالة السامع مدة صبره (فان قلت) فلم جاء المميز أولا بالسنة وثانيا بالعام (قلت) لان تكرير اللفظ الواحد في الكلام الواحد حقيق بالاجتناب في البلاغة الا اذا وقع ذلك لاجل غرض ينتحيه المتكلم من تفخيم أو تهويل أو تنويه أو نحو ذلك و(الطوفان) ما أطاف وأحاط بكثرة وغلبة من سيل أو ظلام ليل أو نحوهما قال العجاج * وغم طوفان الظلام الأثأبا * (أصحاب السفينة) كانوا ثمانية وسبعين نفسا نصفهم ذكور ونصفهم اناث منهم أولاد نوح عليه السلام سام وحام ويافث ونساؤهم وعن محمد بن اسحق كانوا عشرة خمسة رجال وخمس نسوة وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم كانوا ثمانية نوح وأهله وبنوه الثلاثة * والضمير في (وجعلناها) للسفينة أو للحادثة والقصة نصب (ابراهيم) باضمار اذكر وأبدل عنه (اذ) بدل الاشتمال لان الاحيان تشتمل على ما فيها أو هو معطوف على نوحا واذ ظرف لارسلنا يعني أرسلناه حين بلغ من السن والعلم مبلغا صلح فيه لان يعظ قومه وينصحهم ويعرض عليهم الحق ويأمرهم بالعبادة والتقوى وقرأ ابراهيم النخعي وأبو حنيفة رحمهما الله وابراهيم بالرفع على معنى ومن المرسلين ابراهيم (ان كنتم تعلمون) يعني ان كان فيكم علم بما هو خير لكم مما هو شر لكم أو ان نظرتم بعين الدراية المبصرة دون عين الجهل العمياء علمتم أنه خير لكم * وقرئ تخلقون من خلق بمعنى التكثير في خلق وتخلقون من تخلق بمعنى تكذب وتخرص * وقرئ أفكا وفيه وجهان أن يكون مصدرا نحو كذب ولعب والافك مخففا منه كالكذب واللعب من أصلهما وأن يكون صفة على فعل أي خلقا أفكا أي ذا افك وباطل واختلاقهم الافك تسميتهم الاوثان آلهة وشركاء لله أو شفعاء اليه أو سمى الاصنام افكا وعملهم لها ونحتهم خلقا للافك (فان قلت) لم نكر الرزق ثم عرفه (قلت) لانه أراد لا يستطيعون أن يرزقوكم شيأ من الرزق فابتغوا عند الله الرزق كله فانه هو الرزاق وحده لا يرزق غيره (اليه ترجعون) وقرئ بفتح التاء فاستعدوا للقائه بعبادته والشكر له على أنعمه * وان تكذبوني فلا تضروني

انهم لكاذبون وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم وليسألن يوم القيامة عما كانوا يفترون ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما فأخذهم الطوفان وهم ظالمون فأنجيناه وأصحاب السفينة وجعلناها آية للعالمين وابراهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون انما تعبدون من دون الله أوثانا وتخلقون افكا ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له اليه ترجعون

للعدد فلا يحتمل المبالغة لانها لا يجوز معها العدد * عاد كلامه (قال وفيه نكتة أخرى وهي ان القصة مسوقة لذكر ما ابتلي به نوح وكابده من طول المصابرة تسلية له عليه السلام فكان ذكر رأس العدد الذي لا رأس أكثر منه أوقع على الغرض قال وانما خالف بين اللفظين لتكذيبكم يتذكر في الاول السنة وفي الثاني العام تجنبا للتكرار الذي لا يحمد الا لقصد تفخيم أو تعظيم) قال أحمد ولو تقدم المستثنى

أو أداء ذلك ببعض تفخيم المستثنى منه وتكبيره عند السامع والله أعلم * قوله تعالى أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده (قال فيه يعيده ليس معطوفا على يبدئ وانما هو اخبار على حياله كما وقع كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة كقولك ما زلت أوثر فلانا وأستخلفه بعدي) قال أحمد وقد تقدم له عند قوله تعالى أمن يبدؤ الخلق ثم يعيده انه معطوف وصحح العطف وان كانوا ينكرون الاعادة لان الاعتراف بها لازم لهم

بتكذيبكم فان الرسل قبلي قد كذبتهم أممهم وما ضروهم وانما ضروا أنفسهم حيث حل بهم ما حل بسبب تكذيب الرسل وأما الرسول فقد تم أمره حين بلغ البلاغ المبين الذي زال معه الشك وهو اقترانه بآيات الله ومعجزاته أو وان كنت مكذبا فيما بينكم فلي في سائر الانبياء أسوة وسلوة حيث كذبوا وعلى الرسول أن يبلغ وما عليه أن يصدق ولا يكذب وهذه الآية والآيات التي بعدها الى قوله فما كان جواب قومه محتملة أن تكون من جملة قول ابراهيم صلوات الله عليه لقومه وأن تكون آيات وقعت معترضة في شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وشأن قريش بين أول قصة ابراهيم وآخرها (فان قلت) اذا كانت من قول ابراهيم فما المراد بالامم قبله (قلت) قوم شيث وادريس ونوح وغيرهم وكفى بقوم نوح أمة في معنى أمم جمة مكذبة ولقد عاش ادريس ألف سنة في قومه الى أن رفع الى السماء وآمن به ألف انسان منهم على عدد سنيه وأعقابهم على التكذيب * (فان قلت) فما تصنع بقوله قل سيروا في الارض (قلت) هي حكاية كلام الله حكاه ابراهيم عليه السلام لقومه كما يحكي رسولنا صلى الله عليه وسلم كلام الله على هذا المنهاج في أكثر القرآن (فان قلت) فاذا كانت خطابا لقريش فما وجه توسطها بين طرفي قصة ابراهيم والجملة أو الجمل الاعتراضية لابد لها من اتصال بما وقعت معترضة فيه ألا تراك لا تقول مكة وزيد أبوه قائم خير بلاد الله (قلت) ايراد قصة ابراهيم ليس الا ارادة للتنفيس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن تكون مسلاة له ومتفرجا بأن أباه ابراهيم خليل الله كان ممنوا بنحو ما مني به من شرك قومه وعبادتهم الاوثان فاعترض بقوله وان تكذبوا على معنى انكم يا معشر قريش ان تكذبوا محمدا فقد كذب ابراهيم قومه وكل أمة نبيها لان قوله فقد كذب أمم من قبلكم لا بد من تناوله لامة ابراهيم وهو كما ترى اعتراض واقع متصل ثم سائر الآيات الواقعة عقيبها من أذيالها وتوابعها لكونها ناطقة بالتوحيد ودلائله وهدم الشرك وتوهين قواعده وصفة قدرة الله وسلطانه ووضوح حجته وبرهانه * قرئ يروا بالياء والتاء ويبدئ ويبدأ وقوله (ثم يعيده) ليس بمعطوف على يبدئ وليست الرؤية واقعة عليه وانما هو اخبار على حياله بالاعادة بعد الموت كما وقع النظر في قوله تعالى فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة على البدء دون الانشاء ونحوه قولك ما زلت أوثر فلانا وأستخلفه على من أخلفه (فان قلت) هو معطوف بحرف العطف فلابد له من معطوف عليه فما هو (قلت) هو جملة قوله أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق وكذلك وأستخلفه معطوف على جملة قوله ما زلت أوثر فلانا (ذلك) يرجع الى ما رجع اليه هو في قوله وهو أهون عليه من معنى يعيد * دل بقوله (النشأة الآخرة) على أنهما نشأتان وأن كل واحدة منهما انشاء أي ابتداء واختراع واخراج من العدم الى الوجود لا تفاوت بينهما الا أن الآخرة انشاء بعد انشاء مثله والاولى ليست كذلك وقرئ النشأة والنشاءة كالرأفة والرآفة (فان قلت) ما معنى الافصاح باسمه مع ايقاعه مبتدأ في قوله ثم الله ينشئ النشأة الآخرة بعد اضماره في قوله كيف بدأ الخلق وكان القياس أن يقال كيف بدأ الله الخلق ثم ينشئ النشأة الآخرة (قلت) الكلام معهم كان واقعا في الاعادة وفيها كانت تصطك الركب فلما قررهم في الابداء بأنه من الله احتج عليهم بأن الاعادة انشاء مثل الابداء فاذا كان الله الذي لا يعجزه شيء هو الذي لم يعجزه الابداء فهو الذي وجب أن لا تعجزه الاعادة فكأنه قال ثم ذاك الذي أنشأ النشأة الاولى هو الذي ينشئ النشأة الآخرة فللدلالة والتنبيه على هذا المعنى أبرز اسمه وأوقعه مبتدأ (يعذب من يشاء) تعذيبه (ويرحم من يشاء) رحمته ومتعلق المشيئتين مفسر مبين في مواضع من القرآن وهو من يستوجبهما من الكافر والفاسق اذا لم يتوبا ومن المعصوم والتائب (تقلبون) تردون وترجعون (وما أنتم بمعجزين) ربكم أي لا تفوتونه ان هربتم من حكمه وقضائه (في الارض) الفسيحة (ولا في السماء) التي هي أفسح منها وأبسط لو كنتم فيها كقوله تعالى ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار

وان تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم وما على الرسول الا البلاغ المبين أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده ان ذلك على الله يسير قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة ان الله على كل شيء قدير يعذب من يشاء ويرحم من يشاء واليه تقلبون وما أنتم بمعجزين في الارض ولا في السماء وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير والذين

وقد أتى ههنا جملة معطوفا فالفرق والله أعلم أنه ههنا لو عطف الاعادة على البداءة لدخلت في الرؤية الماضية وهي لم تقع بعد ولا كذلك في آية النمل وللقائل ان يقول هاهنا وان لم تقع الا أنها اخبار الله تعالى بوقوعها

كالواقعة المرئية فعوملت معاملة ما رؤي وشوهد الآن جعله خبرا ثانيا أوضح والله أعلم * قوله تعالى قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة (قال ان قلت ما وجه الافصاح باسمه تعالى مع النشأة الآخرة بعد اضماره في البداءة أولا قلت لان النشأة الآخرة هي المقصودة وفيها كانت تصطك الركب فكانت خليقة بابراز اسمه تعالى

كفروا بآيات الله ولقائه أولئك يئسوا من رحمتي وأولئك لهم عذاب أليم فما كان جواب قومه إلا أن قالوا اقتلوه أو حرقوه فأنجاه الله من النار إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون وقال إنما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين فآمن له لوط وقال إني مهاجر إلى ربي إنه هو العزيز الحكيم ووهبنا له إسحق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب وآتيناه أجره في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين ولوطا إذ قال لقومه إنكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون في ناديكم المنكر فما كان جواب قومه إلا أن قالوا ائتنا بعذاب الله

السموات والارض فاتنفذوا وقيل ولا من فى السماء كما قال حسان رضى الله عنه

أمن يهجو رسول الله منكم * ويمدحه وينصره سواء

ويحتمل أن يراد لا تعجزونه كيفما هبطتم فى مهاوى الارض وأعماقها أو علوتم فى البروج والقلاع الذاهبة فى السماء كقوله تعالى ولو كنتم فى بروج مشيدة أو لا تعجزون أمره الجارى فى السماء والارض أن يجرى عليكم فيصيبكم ببلاء يظهر من الارض أو ينزل من السماء (بآيات الله) بدلائله على وحدانيته وكتبه ومعجزاته ولقائه والبعث (يئسوا من رحمتى) وعيد أى ييأسون يوم القيامة كقوله ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون أو هو وصف لحالهم لان المؤمن انما يكون راجيا خائفا فأما الكافر فلا يخطر بباله رجاء ولا خوف أو شبه حالهم فى انتفاء الرحمة عنهم بحال من يئس من الرحمة وعن قتادة رضى الله عنه أن الله ذم قوما هانوا عليه فقال أولئك يئسوا من رحمتى وقال انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون فينبغى للمؤمن أن لا ييأس من روح الله ولا من رحمته وأن لا يأمن عذابه وعقابه صفة المؤمن أن يكون راجيا لله عز وجل خائفا * قرئ (جواب قومه) بالنصب والرفع (قالوا) قال بعضهم لبعض أو قاله واحد منهم وكان الباقون راضين فكانوا جميعا فى حكم القائلين * وروى أنه لم ينتفع فى ذلك اليوم بالنار يعنى يوم ألقى ابراهيم فى النار وذلك لذهاب حرها * قرئ على النصب بغير اضافة وباضافة وعلى الرفع كذلك فالنصب على وجهين على التعليل أى لتتوادوا بينكم وتتواصلوا لاجتماعكم على عبادتها واتفاقكم عليها وائتلافكم كما يتفق الناس على مذهب فيكون ذلك سبب تحابهم وتصادقهم وأن يكون مفعولا ثانيا كقوله اتخذ الهه هواه أى اتخذتم الاوثان سبب المودة بينكم على تقدير حذف المضاف أو اتخذتموها مودة بينكم بمعنى مودودة بينكم كقوله تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله وفى الرفع وجهان أن يكون خبرا لان على أن ما موصولة وأن يكون خبر مبتدا محذوف والمعنى أن الاوثان مودة بينكم أى مودودة أو سبب مودة وعن عاصم مودة بينكم بفتح بينكم مع الاضافة كما قرئ لقد تقطع بينكم ففتح وهو فاعل وقرأ ابن مسعود رضى الله عنه أوثانا انما مودة بينكم فى الحياة الدنيا أى انما تتوادون عليها أو تودونها فى الحياة الدنيا (ثم يوم القيامة) يقوم بينكم التلاعن والتباغض والتعادى يتلاعن العبدة ويتلاعن العبدة والاصنام كقوله تعالى ويكونون عليهم ضدا * كان لوط ابن أخت ابراهيم عليهما السلام وهو أول من آمن له حين رأى النار لم تحرقه (وقال) يعنى ابراهيم (انى مهاجر) من كوثى وهى من سواد الكوفة الى حران ثم منها الى فلسطين ومن ثمة قالوا لكل نبى هجرة ولابراهيم هجرتان وكان معه فى هجرته لوط وامرأته سارة وهاجر وهو ابن خمس وسبعين سنة (الى ربى) الى حيث أمرنى بالهجرة اليه (انه هو العزيز) الذى يمنعنى من أعدائى (الحكيم) الذى لا يأمرنى الا بما هو مصلحتى (أجره) الثناء الحسن والصلاة عليه آخر الدهر والذرية الطيبة والنبوة وأن أهل الملل كلهم يتولونه * (فان قلت) ما بال اسمعيل عليه السلام لم يذكر وذكر اسحق وعقبه (قلت) قد دل عليه فى قوله وجعلنا فى ذريته النبوة والكتاب وكفى الدليل لشهرة أمره وعلو قدره * (فان قلت) ما المراد بالكتاب (قلت) قصد به جنس الكتاب حتى دخل تحته ما نزل على ذريته من الكتب الاربعة التى هى التوراة والزبور والانجيل والقرآن (ولوطا) معطوف على ابراهيم أو على ما عطف عليه و(الفاحشة) الفعلة البالغة فى القبح و(ما سبقكم بها من أحد من العالمين) جملة مستأنفة مقررة لفحاشة تلك الفعلة كأن قائلا قال لم كانت فاحشة فقيل له لان أحدا قبلهم لم يقدم عليها اشمئزازا منها فى طباعهم لافراط قبحها حتى أقدم عليها قوم لوط لخبث طينتهم وقذر طباعهم قالوا لم ينز ذكر على ذكر قبل قوم لوط قط * وقرئ انكم بغير استفهام فى الاول دون الثانى قال أبو عبيد وجدته فى الامام بحرف واحد بغير ياء ورأيت الثانى بحرفين الياء والنون * وقطع السبيل عمل قطاع الطريق من قتل الانفس وأخذ الاموال وقيل اعتراضهم السابلة بالفاحشة وعن الحسن قطع النسل باتيان ما ليس بحرث و(المنكر) عن ابن عباس رضى الله عنهما هو الحذف بالحصى والرمى بالبنادق والفرقعة ومضغ العلك والسواك بين الناس وحل الازرار والسباب والفحش فى المزاح وعن عائشة رضى الله عنها كانوا

(قوله تحقيقا لقصد الاعادة الى من سبقت اليه الاولى) قال أحمد والاصل الاظهار ثم الاضمار ويليه لقصد التفخيم الاظهار بعد الاظهار ويليه وهو أفخم الثلاثة الاظهار بعد الاضمار كما فى الآية والله أعلم

ان كنت من الصادقين قال رب انصرني على القوم المفسدين ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا انا مهلكوا أهل هذه القرية ان أهلها كانوا ظالمين قال ان فيها لوطا قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله الا امرأته كانت من الغابرين (١٦٩) ولما أن جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا وقالوا لا تخف ولا تحزن انا منجوك وأهلك الا امرأتك كانت من الغابرين انا منزلون على أهل هذه القرية رجزا من السماء بما كانوا يفسقون ولقد تركنا منها آية بينة لقوم يعقلون والى مدين أخاهم شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر ولا تعثوا في الارض مفسدين فكذبوه فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين وعادا وثمود وقد تبين لكم من مساكنهم وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الارض وما كانوا سابقين فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الارض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء

يتضارطون وقيل السخرية بمن مر بهم وقيل المجاهرة في ناديهم بذلك العمل وكل معصية فاظهارها أقبح من سترها ولذلك جاء من خرق جلباب الحياء فلا غيبة له ولا يقال للمجلس ناد الا مادام فيه أهله فاذا قاموا عنه لم يبق ناديا (ان كنت من الصادقين) فيما تعدنا من نزول العذاب * كانوا يفسدون الناس بحملهم على ما كانوا عليه من المعاصي والفواحش طوعا وكرها ولانهم ابتدعوا الفاحشة وسنوها فيمن بعدهم وقال الله تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون فأراد لوط عليه السلام أن يشتد غضب الله عليهم فذكر لذلك صفة المفسدين في دعائه (بالبشرى) هي البشارة بالولد والنافلة وهما اسحق ويعقوب * واضافة مهلكوا اضافة تخفيف لا تعريف والمعنى الاستقبال والقرية سدوم التي قيل فيها أجور من قاضي سدوم (كانوا ظالمين) معناه أن الظلم قد استمر منهم ايجاده في الايام السالفة وهم عليه مصرون وظلمهم كفرهم وألوان معاصيهم (ان فيها لوطا) ليس اخبارا لهم بكونه فيها وانما هو جدال في شأنه لانهم لما عللوا اهلاك أهلها بظلمهم اعترض عليهم بأن فيها من هو بريء من الظلم وأراد بالجدال اظهار الشفقة عليه وما يجب للمؤمن من التحزن لاخيه والتشمر في نصرته وحياطته والخوف من أن يمسه أذى أو يلحقه ضرر قال قتادة لا يرى المؤمن أن لا يحوط المؤمن ألا ترى الى جوابهم بأنهم أعلم منه (بمن فيها) يعنون نحن أعلم منك وأخبر بحال لوط وحال قومه وامتيازه منهم الامتياز البين وأنه لا يستأهل ما يستأهلون فخفض على نفسك وهون عليك الخطب * وقرئ لننجينه بالتشديد والتخفيف وكذلك منجوك (أن) صلة أكدت وجود الفعلين مترتبا أحدهما على الآخر في وقتين متجاورين لا فاصل بينهما كأنهما وجدا في جزء واحد من الزمان كأنه قيل كما أحس بمجيئهم فاجأته المساءة من غير ريث خيفة عليهم من قومه (وضاق بهم ذرعا) وضاق بشأنهم وبتدبير أمرهم ذرعه أي طاقته وقد جعلت العرب ضيق الذراع والذرع عبارة عن فقد الطاقة كما قالوا رحب الذراع بكذا اذا كان مطيقا له والاصل فيه أن الرجل اذا طالت ذراعه نال ما لا يناله القصير الذراع فضرب ذلك مثلا في العجز والقدرة * الرجز والرجس العذاب من قولهم ارتجز وارتجس اذا اضطرب لما يلحق المعذب من القلق والاضطراب * وقرئ منزلون مخففا ومشددا (منها) من القرية (آية بينة) هي آثار منازلهم الخربة وقيل بقية الحجارة وقيل الماء الاسود على وجه الارض وقيل الخبر عما صنع بهم (لقوم) متعلق بتركنا أو ببينة (وارجوا) وافعلوا ما ترجون به العاقبة فأقيم المسبب مقام السبب أو أمروا بالرجاء والمراد اشتراط ما يسوغه من الايمان كما يؤمر الكافر بالشرعيات على ارادة الشرط وقيل هو من الرجاء بمعنى الخوف * والرجفة الزلزلة الشديدة وعن الضحاك صيحة جبريل عليه السلام لان القلوب رجفت لها (في دارهم) في بلدهم وأرضهم أو في ديارهم فاكتفى بالواحد لانه لا يلبس (جاثمين) باركين على الركب ميتين (وعادا) منصوب باضمار أهلكنا لان قوله فأخذتهم الرجفة يدل عليه لانه في معنى الاهلاك (وقد تبين لكم) ذلك يعني ما وصفه من اهلاكهم (من) جهة (مساكنهم) اذا نظرتم اليها عند مروركم بها وكان أهل مكة يمرون عليها في أسفارهم فيبصرونها (وكانوا مستبصرين) عقلاء متمكنين من النظر والافتكار ولكنهم لم يفعلوا أو كانوا متبينين أن العذاب نازل بهم لان الله تعالى قد بين لهم على ألسنة الرسل عليهم السلام ولكنهم لجوا حتى هلكوا (سابقين) فائتين أدركهم أمر الله فلم يفوتوه * الحاصب لقوم لوط وهي ريح عاصف فيها حصباء وقيل ملك كان يرميهم والصيحة لمدين وثمود والخسف لقارون والغرق لقوم نوح وفرعون * الغرض تشبيه ما اتخذوه متكلا ومعتمدا في دينهم وتولوه من دون الله بما هو مثل عند الناس في الوهن وضعف القوة وهو نسج العنكبوت ألا ترى الى مقطع التشبيه وهو قوله (وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت) (فان قلت) ما معنى قوله (لو كانوا يعلمون) وكل أحد يعلم وهن بيت العنكبوت (قلت)

معناه لو كانوا يعلمون أن هذا مثلهم وأن أمر دينهم بالغ هذه الغاية من الوهن ووجه آخر وهو أنه اذا صح تشبيه ما اعتمدوه في دينهم ببيت العنكبوت وقد صح أن أوهن البيوت بيت العنكبوت فقد تبين أن دينهم أوهن الاديان لو كانوا يعلمون أو أخرج الكلام بعد تصحيح التشبيه مخرج المجاز فكأنه قال وان أوهن ما يعتمد عليه في الدين عبادة الاوثان لو كانوا يعلمون وللقائل أن يقول مثل المشرك الذي يعبد الوثن بالقياس الى المؤمن الذي يعبد الله مثل عنكبوت يتخذ بيتا بالاضافة الى رجل يبني بيتا بآجر وجص أو ينحته من صخر وكما أن أوهن البيوت اذا استقريتها بيتا بيتا بيت العنكبوت كذلك أضعف الاديان اذا استقريتها دينا دينا عبادة الاوثان لو كانوا يعلمون * قرئ تدعون بالتاء والياء وهذا توكيد للمثل وزيادة عليه حيث لم يجعل ما يدعونه شيئا (وهو العزيز الحكيم) فيه تجهيل لهم حيث عبدوا ما ليس بشئ لانه جماد ليس معه مصحح العلم والقدرة أصلا وتركوا عبادة القادر القاهر على كل شئ الحكيم الذي لا يفعل شيئا الا بحكمة وتدبير * كان الجهلة والسفهاء من قريش يقولون ان رب محمد يضرب المثل بالذباب والعنكبوت ويضحكون من ذلك فلذلك قال (وما يعقلها الا العالمون) أي لا يعقل صحتها وحسنها وفائدتها الا هم لان الامثال والتشبيهات انما هي الطرق الى المعاني المحتجبة في الاستار حتى تبرزها وتكشف عنها وتصورها للافهام كما صور هذا التشبيه الفرق بين حال المشرك وحال الموحد وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه تلا هذه الآية فقال العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه (بالحق) أي بالغرض الصحيح الذي هو حق لا باطل وهو أن تكونا مساكن عباده وعبرة للمعتبرين منهم ودلائل على عظم قدرته ألا ترى الى قوله (ان في ذلك لآية للمؤمنين) ونحوه قوله تعالى وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ثم قال ذلك ظن الذين كفروا * الصلاة تكون لطفا في ترك المعاصي فكأنها ناهية عنها (فان قلت) كم من مصل يرتكب ولا تنهاه صلاته (قلت) الصلاة التي هي الصلاة عند الله المستحق بها الثواب أن يدخل فيها مقدما للتوبة النصوح متقيا لقوله تعالى انما يتقبل الله من المتقين ويصليها خاشعا بالقلب والجوارح فقد روي عن حاتم كأن رجلي على الصراط والجنة عن يميني والنار عن يساري وملك الموت من فوقي وأصلي بين الخوف والرجاء ثم يحوطها بعد أن يصليها فلا يحبطها فهي الصلاة التي تنهى عن الفحشاء والمنكر وعن ابن عباس رضي الله عنهما من لم تأمره صلاته بالمعروف وتنهه عن المنكر لم يزدد بصلاته من الله الا بعدا وعن الحسن رحمه الله من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فليست صلاته بصلاة وهي وبال عليه وقيل من كان مراعيا للصلاة جره ذلك الى أن ينتهي عن السيآت يوما ما فقد روي أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانا يصلي بالنهار ويسرق بالليل فقال ان صلاته لتردعه وروي أن فتى من الانصار كان يصلي معه الصلوات ولا يدع شيئا من الفواحش الا ركبه فوصف له فقال ان صلاته ستنهاه فلم يلبث أن تاب وعلى كل حال ان المراعي للصلاة لا بد أن يكون أبعد من الفحشاء والمنكر ممن لا يراعيها وأيضا فكم من مصلين تنهاهم الصلاة عن الفحشاء والمنكر واللفظ لا يقتضي أن لا يخرج واحد من المصلين عن قضيتها كما تقول ان زيدا ينهى عن المنكر فليس غرضك أنه ينهى عن جميع المناكير وانما تريد أن هذه الخصلة موجودة فيه وحاصلة منه من غير اقتضاء للعموم (ولذكر الله أكبر) يريد وللصلاة أكبر من غيرها من الطاعات وسماها بذكر الله كما قال فاسعوا الى ذكر الله وانما قال ولذكر الله ليستقل بالتعليل كأنه قال وللصلاة أكبر لانها ذكر الله أو ولذكر الله عند الفحشاء والمنكر وذكر نهيه عنهما ووعيده عليهما أكبر فكان أولى بأن ينهى من اللطف الذي في الصلاة وعن ابن عباس رضي الله عنهما ولذكر الله اياكم برحمته أكبر من ذكركم اياه بطاعته (والله يعلم ما تصنعون) من الخير والطاعة فيثيبكم أحسن الثواب (بالتي هي أحسن) بالخصلة التي هي أحسن وهي مقابلة الخشونة باللين والغضب بالكظم والسورة بالاناة كما قال ادفع بالتي هي أحسن (الا الذين ظلموا) فأفرطوا في الاعتداء والعناد ولم يقبلوا النصح ولم ينفع فيهم الرفق فاستعملوا معهم الغلظة وقيل الا الذين آذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل الا الذين أثبتوا الولد والشريك وقالوا يد الله مغلولة وقيل معناه ولا تجادلوا الداخلين في الذمة المؤدين

للجزية

وهو العزيز الحكيم وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون خلق الله السموات والارض بالحق ان في ذلك لآية للمؤمنين اتل ما أوحي اليك من الكتاب وأقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن الا الذين ظلموا منهم

---

* قوله تعالى خلق الله السموات والارض بالحق (قال فيه أي بالغرض الصحيح) قال أحمد لفظة الغرض قدرية ومعتقد قدري وقد تقدم انكاره على القدرية ولو كان ما قالوه حقا من حيث المعنى لوجب اجتناب هذه العبارة التي لا تليق بالادب والله سبحانه وتعالى أعلم

بالجزية الا بالتى هى أحسن الا الذين ظلموا فنبذوا الذمة ومنعوا الجزية فان أولئك مجادلتهم بالسيف وعن
قتادة الآية منسوخة بقوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا مجادلة أشد من السيف
* وقوله (وقولوا آمنا بالذى أنزل الينا) من جنس المجادلة بالتى هى أحسن وعن النبى صلى الله عليه وسلم
ما حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وكتبه ورسله فان كان باطلا
لم تصدقوهم وان كان حقا لم تكذبوهم * ومثل ذلك الانزال (أنزلنا اليك الكتاب) أى أنزلناه مصدقا لسائر
الكتب السماوية تحقيقا لقوله آمنا بالذى أنزل الينا وأنزل اليكم وقيل وكما أنزلنا الكتب الى من كان قبلك
أنزلنا اليك الكتاب (فالذين آتيناهم الكتاب) هم عبد الله بن سلام ومن آمن معه (ومن هؤلاء) من أهل
مكة وقيل أراد بالذين أوتوا الكتاب الذين تقدموا عهد رسول الله من أهل الكتاب ومن هؤلاء ممن فى عهده
منهم (وما يجحد بآياتنا) مع ظهورها وزوال الشبهة عنها الا المتوغلون فى الكفر المصممون عليه وقيل هم
كعب بن الأشرف وأصحابه * وأنت أمى ما عرفك أحد قط بتلاوة كتاب ولا خط (اذا) لو كان شئ من ذلك
أى من التلاوة والخط (لارتاب المبطلون) من أهل الكتاب وقالوا الذى نجده فى كتبنا أمى لا يكتب ولا يقرأ
وليس به أو لارتاب مشركو مكة وقالوا لعله تعلمه أو كتبه بيده (فان قلت) لم سماهم مبطلين ولو لم يكن أميا
وقالوا ليس بالذى نجده فى كتبنا لكانوا صادقين محقين ولكان أهل مكة أيضا على حق فى قولهم لعله تعلمه
أو كتبه فانه رجل قارئ كاتب (قلت) سماهم مبطلين لأنهم كفروا به وهو أمى بعيد من الريب فكأنه قال
هؤلاء المبطلون فى كفرهم به لو لم يكن أميا لارتابوا أشد الريب فحين ليس بقارئ كاتب فلا وجه لارتيابهم
وشئ آخر وهو أن سائر الأنبياء عليهم السلام لم يكونوا أميين ووجب الايمان بهم وبما جاؤا به لكونهم
مصدقين من جهة الحكيم بالمعجزات فهب أنه قارئ كاتب فما لهم لم يؤمنوا به من الوجه الذى آمنوا منه
بموسى وعيسى عليهما السلام على أن المنزلين ليسا بمعجزين وهذا المنزل معجز فاذن هم مبطلون حيث لم يؤمنوا
به وهو أمى ومبطلون لو لم يؤمنوا به وهو غير أمى (فان قلت) ما فائدة قوله بيمينك (قلت) ذكر اليمين وهى
الجارحة التى يزاول بها الخط زيادة تصوير لما نفى عنه من كونه كاتبا ألا ترى أنك اذا قلت فى الاثبات رأيت
الأمير يخط هذا الكتاب بيمينه كان أشد لاثباتك أنه تولى كتبته فكذلك النفى (بل) القرآن (آيات بينات
فى صدور) العلماء به وحفاظه وهما من خصائص القرآن كون آياته بينات الاعجاز وكونه محفوظا فى الصدور
يتلوه أكثر الأمة ظاهرا بخلاف سائر الكتب فانها لم تكن معجزات وما كانت تقرأ الا من المصاحف ومنه
ما جاء فى صفة هذه الأمة صدورهم أناجيلهم (وما يجحد بآياتنا) الواضحة الا المتوغلون فى الظلم
المكابرون * قرئ آية وآيات أرادوا هلا أنزل عليه آية مثل ناقة صالح ومائدة عيسى عليهما السلام ونحو
ذلك (انما الآيات عند الله) ينزل أيتها شاء ولو شاء أن ينزل ما تقترحونه لفعل (وانما أنا نذير) كلفت الانذار
وابانته بما أعطيت من الآيات وليس لى أن أتخير على الله آياته فأقول أنزل على آية كذا دون آية كذا مع علمى
أن الغرض من الآية ثبوت الدلالة والآيات كلها فى حكم آية واحدة فى ذلك ثم قال (أولم يكفهم) آية
مغنية عن سائر الآيات ان كانوا طالبين للحق غير متعنتين هذا القرآن الذى تدوم تلاوته عليهم فى كل مكان
وزمان فلا يزال معهم آية ثابتة لا تزول ولا تضمحل كما تزول كل آية بعد كونها أو تكون فى مكان دون مكان
* ان فى مثل هذه الآية الموجودة فى كل مكان وزمان الى آخر الدهر (لرحمة) لنعمة عظيمة لا تشكر
* وتذكرة (لقوم يؤمنون) وقيل أولم يكفهم يعنى اليهود أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم بتحقيق ما فى
أيديهم من نعتك ونعت دينك وقيل ان ناسا من المسلمين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتب قد كتبوا فيها
بعض ما يقول اليهود فلما أن نظر اليها ألقاها وقال كفى بها حماقة قوم أو ضلالة قوم أن يرغبوا عما جاءهم به
نبيهم الى ما جاء به غير نبيهم فنزلت والوجه ما ذكرناه (كفى بالله بينى وبينكم شهيدا) أى قد بلغتكم ما أرسلت
به اليكم وأنذرتكم وأنكم قابلتمونى بالجحود والتكذيب (يعلم ما فى السموات والأرض) فهو مطلع على أمرى
وأمركم وعالم بحقى وباطلكم (والذين آمنوا بالباطل) منكم وهو ما تعبدون من دون الله (وكفروا بالله) وآياته

وقولوا آمنا بالذى أنزل
الينا وأنزل اليكم والهنا
والهكم واحد ونحن
له مسلمون وكذلك
أنزلنا اليك الكتاب
فالذين آتيناهم الكتاب
يؤمنون به ومن هؤلاء
من يؤمن به وما يجحد
بآياتنا الا الكافرون
وما كنت تتلو من قبله
من كتاب ولا تخطه
بيمينك اذا لارتاب
المبطلون بل هو آيات
بينات فى صدور الذين
أوتوا العلم وما يجحد
بآياتنا الا الظالمون
وقالوا لولا أنزل عليه
آيات من ربه قل انما
الآيات عند الله وانما
أنا نذير مبين أولم يكفهم
أنا أنزلنا عليك الكتاب
يتلى عليهم ان فى ذلك
لرحمة وذكرى لقوم
يؤمنون قل كفى بالله
بينى وبينكم شهيدا
يعلم ما فى السموات
والأرض والذين آمنوا
بالباطل وكفروا بالله
أولئك هم الخاسرون

(أولئك هم الخاسرون) المغبونون في صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالايمان الا أن الكلام ورد مورد الانصاف كقوله وانا أو اياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين وكقول حسان * فشركما لخيركما الفداء * وروى أن كعب بن الاشرف وأصحابه قالوا يا محمد من يشهد لك بانك رسول الله فنزلت * كان استعجال العذاب استهزاء منهم وتكذيبا والنضر بن الحرث هو الذي قال اللهم أمطر علينا حجارة من السماء كما قال أصحاب الايكة فاسقط علينا كسفا من السماء (ولولا أجل) قد سماه الله وبينه في اللوح لعذابهم وأوجبت الحكمة تأخيره الى ذلك الاجل المسمى (لجاءهم العذاب) عاجلا والمراد بالاجل الآخرة لما روى أن الله تعالى وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يعذب قومه ولا يستأصلهم وأن يؤخر عذابهم الى يوم القيامة وقيل يوم بدر وقيل وقت فنائهم بآجالهم (وليأتينهم بغتة) فجأة (وهم لا يشعرون) باتيانه (يستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة) أي ستحيط بهم (بالكافرين يوم يغشاهم العذاب) أو هي محيطة بهم في الدنيا لان المعاصي التي توجبها محيطة بهم أولانها مآلهم ومرجعهم لا محالة فكأنها الساعة محيطة بهم ويوم يغشاهم على هذا منصوب بمضمر أي يوم يغشاهم العذاب كان كيت وكيت و(من فوقهم ومن تحت أرجلهم) كقوله تعالى لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل (ونقول) قرئ بالنون والياء (ذوقوا ما كنتم تعملون) أي جزاءه (يا عبادي الذين آمنوا ان أرضي واسعة فاياي فاعبدون)

* معنى الآية أن المؤمن اذا لم يتسهل له العبادة في بلد هو فيه ولم يتمش له أمر دينه كما يجب فليهاجر عنه الى بلد يقدر أنه فيه أسلم قلبا وأصح دينا وأكثر عبادة وأحسن خشوعا ولعمري ان البقاع تتفاوت في ذلك التفاوت الكثير ولقد جربنا وجرب أولونا فلم نجد فيما درنا وداروا أعون على قهر النفس وعصيان الشهوة وأجمع للقلب الملتفت وأضم للهم المنتشر وأحث على القناعة وأطرد للشيطان وأبعد من كثير من الفتن وأضبط للامر الديني في الجملة من سكنى حرم الله وجوار بيت الله فلله الحمد على ما سهل من ذلك وقرب ورزق من الصبر وأوزع من الشكر وعن النبي صلى الله عليه وسلم من فر بدينه من أرض الى أرض وان كان شبرا من الارض استوجب الجنة وكان رفيق ابراهيم ومحمد وقيل هي في المستضعفين بمكة الذين نزل فيهم ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها وانما كان ذلك لان أمر دينهم ما كان يستتب لهم بين ظهراني الكفرة (فاياي فاعبدون) في التكلم نحو اياه ضربته في الغائب واياك عضتك في الخاطب والتقدير فاياي فاعبدوا فاعبدون (فان قلت) ما معنى الفاء في فاعبدون وتقديم المفعول (قلت) الفاء جواب شرط محذوف لان المعنى ان أرضي واسعة فان لم تخلصوا العبادة لي في أرض فأخلصوها لي في غيرها ثم حذف الشرط وعوض من حذفه تقديم المفعول مع افادة تقديمه معنى الاختصاص والاخلاص * ولما أمر عباده بالحرص على العبادة وصدق الاهتمام بها حتى يتطلبوا لها أوفق البلاد وان شسعت أتبعه قوله (كل نفس ذائقة الموت) أي واجدة مرارته وكربه كما يجد الذائق طعم المذوق ومعناه انكم ميتون فواصلون الى الجزاء ومن كانت هذه عاقبته لم يكن له بد من التزود لها والاستعداد بجهده (ثم الينا ترجعون والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم) لننزلنهم (من الجنة غرفا) علالي وقرئ لنثوينهم من الثواء وهو النزول للاقامة يقال ثوى في المنزل وأثوى هو وأثوى غيره وثوى غير متعد فاذا تعدى بزيادة همزة النقل لم يتجاوز مفعولا واحدا نحو ذهب وأذهبته والوجه في تعديته الى ضمير المؤمنين والى الغرف اما اجراؤه مجرى لننزلنهم ونبوئنهم أو حذف الجار وايصال الفعل أو تشبيه الظرف المؤقت بالمبهم * وقرأ يحيى بن وثاب فنعم بزيادة الفاء (الذين صبروا) على مفارقة الاوطان والهجرة لاجل الدين وعلى أذى المشركين وعلى المحن والمصائب وعلى الطاعات وعن المعاصي ولم يتوكلوا في جميع ذلك الا على الله * لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من أسلم بمكة بالهجرة خافوا الفقر والضيعة فكان يقول الرجل منهم كيف أقدم بلدة ليست لي فيها معيشة فنزلت * والدابة كل نفس دبت على وجه الارض عقلت أو لم تعقل (لا تحمل رزقها) لا تطيق أن تحمله لضعفها عن حمله (الله يرزقها واياكم) أي لا يرزق تلك الدواب الضعاف الا الله ولا يرزقكم أيضا أيها الاقوياء الا هو وان كنتم مطيقين لحمل أرزاقكم وكسبها لانه لو لم يقدركم ولم يقدر لكم أسباب الكسب لكنتم أعجز من الدواب التي لا تحمل وعن الحسن لا تحمل رزقها لا تدخره انما تصبح فيرزقها الله وعن ابن عيينة ليس شئ يخبأ الا الانسان

ويستعجلونك بالعذاب ولولا أجل مسمى لجاءهم العذاب وليأتينهم بغتة وهم لا يشعرون يستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون يا عبادي الذين آمنوا ان أرضي واسعة فاياي فاعبدون كل نفس ذائقة الموت ثم الينا ترجعون والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفا تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نعم أجر العاملين الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم

والنملة والفأرة وعن بعضهم رأيت البلبل يحتكر في حضنيه ويقال العقعق مخابئ الا أنه ينساها (وهو السميع) لقولكم نخشى الفقر والضيعة (العليم) بما في ضمائركم * الضمير في (سألتهم) لأهل مكة (فأنى يؤفكون) فكيف يصرفون عن توحيد الله وأن لا يشركوا به مع إقرارهم بأنه خالق السموات والأرض * قدر الرزق وقتره بمعنى إذا ضيقه (فإن قلت) الذي رجع إليه الضمير في قوله (ويقدر له) هو من يشاء فكأن بسط الرزق وقدره جعلا لواحد (قلت) يحتمل الوجهين معا أن يريد ويقدر لمن يشاء فوضع الضمير موضع من يشاء لأن من يشاء مبهم غير معين فكان الضمير مبهما مثله وأن يريد تعاقب الأمرين على واحد على حسب المصلحة (إن الله بكل شيء عليم) يعلم ما يصلح العباد وما يفسدهم * استحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم على أنهم ممن أقر بنحو ما أقروا به ثم نفعه ذلك في توحيد الله ونفي الأنداد والشركاء عنه ولم يكن إقرارا عاطلا كإقرار المشركين وعلى أنهم أقروا بما هو حجة عليهم حيث نسبوا النعمة إلى الله وقد جعلوا العبادة للصنم ثم قال (بل أكثرهم لا يعقلون) ما يقولون وما فيه من الدلالة على بطلان الشرك وصحة التوحيد أو لا يعقلون ما تريد بقولك الحمد لله ولا يفطنون لم حمدت الله عند مقالتهم (هذه) فيها ازدراء للدنيا وتصغير لأمرها وكيف لا يصغرها وهي لا تزن عنده جناح بعوضة * يريد ما هي لسرعة زوالها عن أهلها وموتهم عنها إلا كما يلعب الصبيان ساعة ثم يتفرقون (وإن الدار الآخرة لهي الحيوان) أي ليس فيها إلا حياة مستمرة دائمة خالدة لا موت فيها فكأنها في ذاتها حياة والحيوان مصدر حي وقياسه حييان فقلبت الياء الثانية واوا كما قالوا حيوة في اسم رجل وبه سمي ما فيه حياة حيوانا قالوا اشتر من الموتان ولا تشتر من الحيوان وفي بناء الحيوان زيادة معنى ليس في بناء الحياة وهي ما في بناء فعلان من معنى الحركة والاضطراب كالنزوان والنغصان واللهبان وما أشبه ذلك والحياة حركة كما أن الموت سكون فمجيئه على بناء دال على معنى الحركة مبالغة في معنى الحياة ولذلك اختيرت على الحياة في هذا الموضع المقتضي للمبالغة (لو كانوا يعلمون) فلم يؤثروا الحياة الدنيا عليها * (فإن قلت) بم اتصل قوله فإذا ركبوا (قلت) بمحذوف دل عليه ما وصفهم به وشرح من أمرهم معناه هم على ما وصفوا به من الشرك والعناد (فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين) كائنين في صورة من يخلص الدين لله من المؤمنين حيث لا يذكرون إلا الله ولا يدعون معه إلها آخر وفي تسميتهم مخلصين ضرب من التهكم (فلما نجاهم إلى البر) وأمنوا عادوا إلى حال الشرك * واللام في (ليكفروا) محتملة أن تكون لام كي وكذلك في (وليتمتعوا) فيمن قرأها بالكسر والمعنى أنهم يعودون إلى شركهم ليكونوا بالعود إلى شركهم كافرين بنعمة النجاة قاصدين التمتع بها والتلذذ لا غير على خلاف ما هو عادة المؤمنين المخلصين على الحقيقة إذا أنجاهم الله أن يشكروا نعمة الله في إنجائهم ويجعلوا نعمة النجاة ذريعة إلى ازدياد الطاعة لا إلى التمتع والتلذذ وأن تكون لام الأمر وقراءة من قرأ وليتمتعوا بالسكون تشهد له ونحوه قوله تعالى اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير (فإن قلت) كيف جاز أن يأمر الله تعالى بالكفر وبأن يعمل العصاة ما شاؤوا وهو ناه عن ذلك ومتوعد عليه (قلت) هو مجاز عن الخذلان والتخلية وأن ذلك الأمر متسخط إلى غاية ومثاله أن ترى الرجل قد عزم على أمر وعندك أن ذلك الأمر خطأ وأنه يؤدي إلى ضرر عظيم فتبالغ في نصحه واستنزاله عن رأيه فإذا لم تر منه إلا الإباء والتصميم حردت عليه وقلت أنت وشأنك وافعل ما شئت فلا تريد بهذا حقيقة الأمر وكيف والآمر بالشيء مريد له وأنت شديد الكراهة متحسر ولكنك كأنك تقول له فإذ قد أبيت قبول النصيحة فأنت أهل ليقال لك افعل ما شئت وتبعث عليه ليتبين لك إذا فعلت صحة رأي الناصح وفساد رأيك * كانت العرب حول مكة يغزو بعضهم بعضا ويتغاورون ويتناهبون وأهل مكة قارون آمنون فيها لا يغزون ولا يغار عليهم مع قلتهم وكثرة العرب فذكرهم الله هذه النعمة الخاصة عليهم ووبخهم بأنهم يؤمنون بالباطل الذي هم عليه ومثل هذه النعمة المكشوفة الظاهرة وغيرها من النعم التي لا يقدر عليها إلا الله وحده مكفورة عندهم * افتراؤهم على الله كذبا زعمهم أن لله شريكا * وتكذيبهم بما جاءهم من الحق كفرهم بالرسول والكتاب * وفي قوله (لما جاءه) تسفيه لهم يعني لم يتلعثموا في تكذيبه وقت سمعوه

وهو السميع العليم ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له إن الله بكل شيء عليم ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعقلون وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا فسوف يعلمون أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بالحق لما جاءه

* قوله تعالى وإن الدار الآخرة لهي الحيوان (قال إنما عدل عن الحياة إلى هذا البناء تنبيها على تعظيم حياة الآخرة ودوامها) قال أحمد والذي يخص هذا البناء إفادة ما لا يخلو من الحركة كالنزوان والغليان والحيوان من ذلك والله أعلم

ولم يفعلوا كما يفعل المراجيح العقول المثبتون في الامور يسمعون الخبر فيستعملون فيه الروية والفكر ويستأنون الى أن يصح لهم صدقه أو كذبه (أليس) تقرير لثوائهم في جهنم كقوله * ألستم خير من ركب المطايا * قال بعضهم ولو كان استفهاما ما أعطاه الخليفة مائة من الابل وحقيقته أن الهمزة همزة الانكار دخلت على النفي فرجع الى معنى التقرير فهما وجهان أحدهما ألا يثوون في جهنم وألا يستوجبون الثواء فيها وقد افتروا مثل هذا الكذب على الله وكذبوا بالحق هذا التكذيب والثاني ألم يصح عندهم أن في جهنم مثوى للكافرين حتى اجترؤا مثل هذه الجرأة * أطلق المجاهدة ولم يقيدها بمفعول ليتناول كل ما يجب مجاهدته من النفس الامارة بالسوء والشيطان وأعداء الدين (فينا) في حقنا ومن أجلنا ولوجهنا خالصا (لنهدينهم سبلنا) لنزيدنهم هداية الى سبل الخير وتوفيقا كقوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى وعن أبي سليمان الداراني والذين جاهدوا فيما علموا لنهدينهم الى ما لم يعلموا وعن بعضهم من عمل بما يعلم وفق لما لا يعلم وقيل ان الذي نرى من جهلنا بما لا نعلم انما هو من تقصيرنا فيما نعلم (لمع المحسنين) لناصرهم ومعينهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة العنكبوت كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل المؤمنين والمنافقين

﴿سورة الروم ستون آية مكية الا قوله فسبحان الله﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* القراءة المشهورة الكثيرة (غلبت) بضم الغين وسيغلبون بفتح الياء والارض أرض العرب لان الارض المعهودة عند العرب أرضهم والمعنى غلبوا في أدنى أرض العرب منهم وهي أطراف الشأم أو أراد أرضهم على انابة اللام مناب المضاف اليه أي في أدنى أرضهم الى عدوهم قال مجاهد هي أرض الجزيرة وهي أدنى أرض الروم الى فارس وعن ابن عباس رضي الله عنه الاردن وفلسطين * وقرئ في أداني الارض * والبضع ما بين الثلاث الى العشر عن الاصمعي وقيل احتربت الروم وفارس بين أذرعات وبصرى فغلبت فارس الروم فبلغ الخبر مكة فشق على النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين لان فارس مجوس لا كتاب لهم والروم أهل الكتاب وفرح المشركون وشمتوا وقالوا أنتم والنصارى أهل الكتاب ونحن وفارس أميون وقد ظهر اخواننا على اخوانكم ولنظهرن نحن عليكم فنزلت فقال لهم أبو بكر رضي الله عنه لا يقرر الله أعينكم فوالله لتظهرن الروم على فارس بعد بضع سنين فقال له أبي بن خلف كذبت يا أبا فصيل اجعل بيننا أجلا أناحبك عليه والمناحبة المراهنة فناحبه على عشر قلائص من كل واحد منهما وجعلا الاجل ثلاث سنين فأخبر أبو بكر رضي الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال البضع ما بين الثلاث الى التسع فزايده في الخطر وماده في الاجل فجعلاها مائة قلوص الى تسع سنين ومات أبي من جرح رسول الله وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية وذلك عند رأس سبع سنين وقيل كان النصر يوم بدر للفريقين فأخذ أبو بكر الخطر من ذرية أبي وجاء به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تصدق به وهذه الآية من الآيات البينة الشاهدة على صحة النبوة وأن القرآن من عند الله لانها انباء عن علم الغيب الذي لا يعلمه الا الله وقرئ غلبهم بسكون اللام والغلب والغلب مصدران كالجلب والجلب والحلب والحلب وقرئ غلبت الروم بالفتح وسيغلبون بالضم ومعناه أن الروم غلبوا على ريف الشأم وسيغلبهم المسلمون في بضع سنين وعند انقضاء هذه المدة أخذ المسلمون في جهاد الروم واضافة غلبهم تختلف باختلاف القراءتين فهي في احداهما اضافة المصدر الى المفعول وفي الثانية اضافته الى الفاعل ومثالهما محرم عليكم اخراجهم ولن يخلف الله وعده (فان قلت) كيف صحت المناحبة وانما هي قمار (قلت) عن قتادة رحمه الله أنه كان ذلك قبل تحريم القمار ومن مذهب أبي حنيفة ومحمد أن العقود الفاسدة من عقود الربا وغيرها جائزة في دار الحرب بين المسلمين والكفار وقد احتجا على صحة ذلك بما عقده أبو بكر بينه وبين أبي بن خلف (من قبل ومن بعد) أي في أول الوقتين وفي آخرهما حين غلبوا وحين يغلبون كأنه قيل من قبل كونهم غالبين وهو وقت كونهم مغلوبين ومن بعد كونهم مغلوبين وهو وقت كونهم غالبين يعني أن كونهم مغلوبين

أليس في جهنم مثوى للكافرين والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين

﴿سورة الروم مكية وهي ستون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الم غلبت الروم في أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين لله الامر من قبل ومن بعد

أولا وغالبين آخرا ليس الا بأمر الله وقضائه وتلك الايام نداولها بين الناس وقرئ من قبل ومن بعد على الجر من غير تقدير مضاف اليه واقتطاعه كأنه قيل قبلا وبعدا بمعنى أولا وآخرا (ويومئذ) ويوم تغلب الروم على فارس ويحل ما وعده الله عز وجل من غلبتهم (يفرح المؤمنون بنصر الله) وتغليبه من له كتاب على من لا كتاب له وغيظ من شمت بهم من كفار مكة وقيل نصر الله هو اظهار صدق المؤمنين فيما أخبروا به المشركين من غلبة الروم وقيل نصر الله أنه ولى بعض الظالمين بعضا وفرق بين كلمهم حتى تفانوا وتناقصوا وقل هؤلاء شوكة هؤلاء وفي ذلك قوة للاسلام وعن أبي سعيد الخدري وافق ذلك يوم بدر وفي هذا اليوم نصر المؤمنون (وهو العزيز الرحيم) ينصر عليكم تارة وينصركم أخرى (وعد الله) مصدر مؤكد كقولك لك على ألف درهم عرفا لان معناه أعترف لك بها اعترافا ووعد الله ذلك وعدا لان ما سبقه في معنى وعد * ذمهم الله عز وجل بأنهم عقلاء في أمور الدنيا بله في أمور الدين وذلك أنهم كانوا أصحاب تجارات ومكاسب وعن الحسن بلغ من حذق أحدهم أنه يأخذ الدرهم فينقره باصبعه فيعلم أردىء هو أم جيد * وقوله (يعلمون) بدل من قوله لا يعلمون وفي هذا الابدال من النكتة أنه أبدله منه وجعله بحيث يقوم مقامه ويسد مسده ليعلمك أنه لا فرق بين عدم العلم الذي هو الجهل وبين وجود العلم الذي لا يتجاوز الدنيا * وقوله (ظاهرا من الحياة الدنيا) يفيد أن للدنيا ظاهرا وباطنا فظاهرها ما يعرفه الجهال من التمتع بزخارفها والتنعم بملاذها وباطنها وحقيقتها أنها مجاز الى الآخرة يتزود منها اليها بالطاعة والاعمال الصالحة وفي تنكير الظاهر أنهم لا يعلمون الا ظاهرا واحدا من جملة الظواهر * وهم الثانية يجوز أن يكون مبتدأ و(غافلون) خبره والجملة خبر هم الاولى وأن يكون تكريرا للاولى وغافلون خبر الاولى وأية كانت فذكرها مناد على أنهم معدن الغفلة عن الآخرة ومقرها ومحلها وأنها منهم تنبع واليهم ترجع (في أنفسهم) يحتمل أن يكون ظرفا كأنه قيل أولم يحدثوا التفكر في أنفسهم أي في قلوبهم الفارغة من الفكر والتفكر لا يكون الا في القلوب ولكنه زيادة تصوير لحال المتفكرين كقولك اعتقده في قلبك وأضمره في نفسك وأن يكون صلة للتفكر كقولك تفكر في الامر وأجال فيه فكره و(ما خلق) متعلق بالقول المحذوف معناه أولم يتفكروا فيقولوا هذا القول وقيل معناه فيعلموا لان في الكلام دليلا عليه (الا بالحق وأجل مسمى) أي ما خلقها باطلا وعبثا بغير غرض صحيح وحكمة بالغة ولا لتبقى خالدة وانما خلقها مقرونة بالحق مصحوبة بالحكمة وبتقدير أجل مسمى لا بد لها من أن تنتهي اليه وهو قيام الساعة ووقت الحساب والثواب والعقاب الا ترى الى قوله تعالى أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم الينا لا ترجعون كيف سمى تركهم غير راجعين اليه عبثا * والباء في قوله الا بالحق مثلها في قولك دخلت عليه بثياب السفر واشترى الفرس بسرجه ولجامه تريد اشتراه وهو متلبس بالسرج واللجام غير منفك عنهما وكذلك المعنى ما خلقها الا وهي متلبسة بالحق مقترنة به (فان قلت) اذا جعلت في أنفسهم صلة للتفكر فما معناه (قلت) معناه أولم يتفكروا في أنفسهم التي هي أقرب اليهم من غيرها من المخلوقات وهم أعلم وأخبر بأحوالها منهم بأحوال ما عداها فيتدبروا ما أودعها الله ظاهرا وباطنا من غرائب الحكم الدالة على التدبير دون الاهمال وأنه لا بد لها من انتهاء الى وقت يجازيها فيه الحكيم الذي دبر أمرها على الاحسان احسانا وعلى الاساءة مثلها حتى يعلموا عند ذلك أن سائر الخلائق كذلك أمرها جار على الحكمة والتدبير وأنه لا بد لها من الانتهاء الى ذلك الوقت * والمراد بلقاء ربهم الاجل المسمى (أولم يسيروا) تقرير لسيرهم في البلاد ونظرهم الى آثار المدمرين من عاد وثمود وغيرهم من الامم العاتية * ثم أخذ يصف لهم أحوالهم وأنهم (كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الارض) وحرثوها قال الله تعالى لا ذلول تثير الارض وقيل لبقر الحرث المثيرة وقالوا سمي ثورا لاثارته الارض وبقرة لانها تبقرها أي تشقها (وعمروها) يعني أولئك المدمرون (أكثر مما عمروها) من عمارة أهل مكة وأهل مكة أهل واد غير ذي زرع ما لهم اثارة الارض أصلا ولا عمارة لها رأسا فما هو الا تهكم بهم وبضعف حالهم في دنياهم لان معظم

لا يعلمون يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا (قال) فيه يعلمون بدل من الاول وفي البدل إشكالة وهي الاشعار بأنه لا فرق بين عدم العلم الذي هو الجهل وبين العلم بظاهر الدنيا

ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون أولم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق وأجل مسمى وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون أولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الارض وعمروها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون

حتى كأنهما شيء واحد قابل أحدهما من الآخر وفائدة تنكير الظاهر أنهم لا يعلمون الا ظاهرا واحدا من جملة ظواهرها (قال) أحمد في التنكير تقليل لمعلومهم وتقليله يقربه من النفي حتى يطابق المبدل منه وروي عن الحسن أنه قال في تلاوته هذه الآية بلغ من صدق أحدهم في ظاهر الحياة الدنيا أنه ينقر الدينار باصبعه فيعلم أجيد هو أم رديء

ما يستظهر به أهل الدنيا ويتباهون به أمر الدهقنة وهم أيضاً أضعاف القوى فقوله كانوا أشد منهم قوة أى عاد وثمود وأضرابهم من هذا القبيل كقوله أولم يروا أن الله الذى خلقهم هو أشد منهم قوة وان كان هذا أبلغ لانه خالق القوى والقدر * فما كان تدميره اياهم ظالماً لهم لان حاله منافية للظلم ولكنهم ظلموا أنفسهم حيث عملوا ما أوجب تدميرهم * قرئ عاقبة بالنصب والرفع و(السوأى) تأنيث الاسوإ وهو الاقبح كما أن الحسنى تأنيث الاحسن والمعنى أنهم عوقبوا فى الدنيا بالدمار ثم كانت عاقبتهم السوأى الا أنه وضع المظهر موضع المضمر أى العقوبة التى هى أسوأ العقوبات فى الآخرة وهى جهنم التى أعدت للكافرين و(أن كذبوا) بمعنى لان كذبوا ويجوز أن يكون أن بمعنى أى لانه اذا كان تفسير الاساءة التكذيب والاستهزاء كانت فى معنى القول نحو نادى وكتب وما أشبه ذلك ووجه آخر وهو أن يكون أساؤا السوأى بمعنى اقترفوا الخطيئة التى هى أسوأ الخطايا وأن كذبوا عطف بيان لها وخبر كان محذوف كما يحذف جواب لما ولو ارادة الابهام (ثم اليه ترجعون) أى الى ثوابه وعقابه وقرئ بالتاء والياء * الابلاس أن يبقى بائساً ساكتاً متحيراً يقال ناظرته فأبلس اذا لم ينبس ويئس من أن يحتج ومنه الناقة المبلاس التى لا ترغو * وقرئ يبلس بفتح اللام من أبلسه اذا أسكته (من شركائهم) من الذين عبدوهم من دون الله (وكانوا بشركائهم كافرين) أى يكفرون بالهيتهم ويجحدونها أو وكانوا فى الدنيا كافرين بسببهم * وكتب شفعوا فى المصحف بواو قبل الالف كما كتب علماء بنى اسرائيل وكذلك كتبت السوأى بالف قبل الياء اثباتاً للهمزة على صورة الحرف الذى منه حركتها * الضمير فى (يتفرقون) للمسلمين والكافرين لدلالة ما بعده عليه وعن الحسن رضى الله عنه هو تفرق المسلمين والكافرين هؤلاء فى عليين وهؤلاء فى أسفل السافلين وعن قتادة رضى الله عنه فرقة لا اجتماع بعدها (فى روضة) فى بستان وهى الجنة والتنكير لابهام أمرها وتفخيمه والروضة عند العرب كل أرض ذات نبات وماء وفى أمثالهم أحسن من بيضة فى روضة يريدون بيضة النعامة (يحبرون) يسرون يقال حبره اذا سره سروراً تهلل له وجهه وظهر فيه أثره ثم اختلف فيه الاقاويل لاحتماله وجوه جميع المسار فعن مجاهد رضى الله عنه يكرمون وعن قتادة ينعمون وعن ابن كيسان يحلون وعن أبى بكر بن عياش التيجان على رؤسهم وعن وكيع السماع فى الجنة وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه ذكر الجنة وما فيها من النعيم وفى آخر القوم أعرابى فقال يا رسول الله هل فى الجنة من سماع قال نعم يا أعرابى ان فى الجنة لنهراً حافتاه الابكار من كل بيضاء خوصانية يتغنين بأصوات لم تسمع الخلائق بمثلها قط فذلك أفضل نعيم الجنة قال الراوى فسألت أبا الدرداء بم يتغنين قال بالتسبيح وروى ان فى الجنة لاشجاراً عليها أجراس من فضة فاذا أراد أهل الجنة السماع بعث الله تعالى ريحاً من تحت العرش فتقع فى تلك الاشجار فتحرك تلك الاجراس بأصوات لو سمعها أهل الدنيا لماتوا طرباً (محضرون) لا يغيبون عنه ولا يخفف عنهم كقوله وما هم بخارجين منها لا يفترعنهم * لما ذكر الوعد والوعيد أتبعه ذكر ما يوصل الى الوعد وينجى من الوعيد * والمراد بالتسبيح ظاهره الذى هو تنزيه الله من السوء والثناء عليه بالخير فى هذه الاوقات لما يتجدد فيها من نعمة الله الظاهرة وقيل الصلاة وقيل لابن عباس رضى الله عنهما هل تجد الصلوات الخمس فى القرآن قال نعم وتلا هذه الآية (تمسون) صلاتا المغرب والعشاء (وتصبحون) صلاة الفجر (وعشيا) صلاة العصر و(تظهرون) صلاة الظهر وقوله وعشياً متصل بقوله حين تمسون وقوله وله الحمد فى السموات والارض اعتراض بينهما ومعناه أن على المميزين كلهم من أهل السموات والارض أن يحمدوه (فان قلت) لم ذهب الحسن رحمه الله الى أن هذه الآية مدنية (قلت) لانه كان يقول فرضت الصلوات الخمس بالمدينة وكان الواجب بمكة ركعتين فى غير وقت معلوم والقول الاكثر أن الخمس انما فرضت بمكة وعن عائشة رضى الله عنها فرضت الصلاة ركعتين فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أقرت صلاة السفر وزيد فى صلاة الحضر وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره أن يكال له بالقفيز الاوفى فليقل فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون الآية وعنه عليه السلام من قال حين يصبح فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون الى قوله وكذلك

ثم كان عاقبة الذين أساؤا السوأى أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزؤن الله يبدؤ الخلق ثم يعيده ثم اليه ترجعون ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون ولم يكن لهم من شركائهم شفعؤا وكانوا بشركائهم كافرين ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم فى روضة يحبرون وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة فأولئك فى العذاب محضرون فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد فى السموات والارض وعشياً وحين تظهرون

تخرجون

* قوله تعالى ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا (قال فإن قلت أين نصب خوفا وطمعا مفعولا لهما وليسا فعلي فاعل الفعل المعلل فالوجه ذلك قلت المفعولون هنا فاعلون لأنهم راؤون فتقديره يجعلكم رائين البرق خوفا وطمعا أو على حذف مضاف تقديره إرادة خوفكم وطمعكم) قال أحمد الخوف والطمع من جملة مخلوقات الله تعالى وآثار قدرته وحينئذ يلزم اجتماع شرائط النصب فيهما وهي كونهما مصدرين ومقارنين في الوجود والفاعل الخالق واحد فلا بد من التنبيه على تخريج النصب على غير هذا الوجه فنقول معنى قول النحاة في المفعول له لا بد وأن يكون فعل الفاعل أي ولا بد أن يكون الفاعل متصفا به مثاله إذا قلت جئتك إكراما لك فقد وصفت نفسك بالإكرام فقلت في المعنى جئتك مكرما لك والله تعالى وإن خلق الخوف والطمع لعباده إلا أنه مقدس عن الاتصاف بهما فمن ثم احتيج إلى تأويل المصنف على المذهبين جميعا والله أعلم

يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيي الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا وينزل من السماء ماء فيحيي به الأرض بعد موتها إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون

تخرجون أدرك ما فاته في يومه ومن قالها حين يمسي أدرك ما فاته في ليلته وفي قراءة عكرمة حينا تمسون وحينا تصبحون والمعنى تمسون فيه وتصبحون فيه كقوله يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا بمعنى فيه (الحي من الميت) الطائر من البيضة و(الميت من الحي) البيضة من الطائر * وإحياء الأرض إخراج النبات منها (وكذلك تخرجون) ومثل ذلك الإخراج تخرجون من القبور وتبعثون والمعنى أن الإبداء والإعادة متساويان في قدرة من هو قادر على الطرد والعكس من إخراج الميت من الحي وإخراج الحي من الميت وإحياء الميت وإماتة الحي وقرئ الميت بالتشديد وتخرجون بفتح التاء (خلقكم من تراب) لأنه خلق أصلهم منه و(إذا) للمفاجأة وتقديره ثم فاجأتم وقت كونكم بشرا منتشرين في الأرض كقوله وبث منهما رجالا كثيرا ونساء (من أنفسكم أزواجا) لأن حواء خلقت من ضلع آدم عليه السلام والنساء بعدها خلقن من أصلاب الرجال أو من شكل أنفسكم وجنسها لا من جنس آخر وذلك لما بين الاثنين من جنس واحد من الإلف والسكون وما بين الجنسين المختلفين من التنافر (وجعل بينكم) التواد والتراحم بعصمة الزواج بعد أن لم تكن بينكم سابقة معرفة ولا لقاء ولا سبب يوجب التعاطف من قرابة أو رحم وعن الحسن رضي الله عنه المودة كناية عن الجماع والرحمة عن الولد كما قال ورحمة منا وقال ذكر رحمت ربك عبده ويقال سكن إليه إذا مال إليه كقولهم انقطع إليه واطمأن إليه ومنه السكن وهو الإلف المسكون إليه فعل بمعنى مفعول وقيل إن المودة والرحمة من قبل الله وإن الفرك من قبل الشيطان * الألسنة اللغات أو أجناس النطق وأشكاله خالف عز وعلا بين هذه الأشياء حتى لا تكاد تسمع منطقين متفقين في همس واحد ولا جهارة ولا حدة ولا رخاوة ولا فصاحة ولا لكنة ولا نظم ولا أسلوب ولا غير ذلك من صفات النطق وأحواله وكذلك الصور وتخطيطها والألوان وتنويعها ولاختلاف ذلك وقع التعارف وإلا فلو اتفقت وتشاكلت وكانت ضربا واحدا لوقع التجاهل والالتباس ولتعطلت مصالح كثيرة وربما رأيت توأمين يشتبهان في الحلية فيعروك الخطأ في التمييز بينهما وتعرف حكمة الله في المخالفة بين الحلى وفي ذلك آية بينة حيث ولدوا من أب واحد وفرعوا من أصل فذ وهم على الكثرة التي لا يعلمها إلا الله مختلفون متفاوتون * وقرئ للعالمين بفتح اللام وكسرها ويشهد للكسر قوله تعالى وما يعقلها إلا العالمون * هذا من باب اللف وترتيبه ومن آياته منامكم وابتغاؤكم من فضله بالليل والنهار إلا أنه فصل بين القرينين الأولين بالقرينين الآخرين لأنهما زمانان والزمان والواقع فيه كشيء واحد مع إعانة اللف على الاتحاد ويجوز أن يراد منامكم في الزمانين وابتغاؤكم فيهما والظاهر هو الأول لتكرره في القرآن وأسد المعاني ما دل عليه القرآن * يسمعونه بالآذان الواعية * في (يريكم) وجهان إضمار أن وإنزال الفعل منزلة المصدر وبهما فسر المثل تسمع بالمعيدي خير من أن تراه وقول القائل

وقالوا ما تشاء فقلت ألهو * إلى الإصباح آثر ذي أثير

(خوفا) من الصاعقة أو من الإخلاف (وطمعا) في الغيث وقيل خوفا للمسافر وطمعا للحاضر وهما منصوبان على المفعول له (فإن قلت) من حق المفعول له أن يكون فعلا لفاعل الفعل المعلل والخوف والطمع ليسا كذلك (قلت) فيه وجهان أحدهما أن المفعولين فاعلون في المعنى لأنهم راؤون فكأنه قيل يجعلكم رائين البرق خوفا وطمعا والثاني أن يكون على تقدير حذف المضاف أي إرادة خوف وإرادة طمع فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه ويجوز أن يكونا حالين أي خائفين وطامعين * وقرئ ينزل بالتشديد

* قوله تعالى ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ثم اذا دعاكم دعوة من الأرض اذا أنتم تخرجون الآية (قال ان قلت ما بال الاعادة استعظمت في قوله ثم اذا دعاكم حتى كأنها فضلت على قيام السموات والأرض قلت الاعادة في نفسها عظيمة ولكنها هونت بالنسبة الى الانشاء) قال أحمد انما يليق في السؤال تعظيم الاعادة من عطفها بثم ايذانا بتغاير رتبتها وعلو شأنها وقوله في الجواب انها هونت بالنسبة الى الانشاء لا يخلص فان الاعادة ذكرت ههنا عقيب قيام السموات والأرض بأمره وقيامهما ابتداء وانشاء أعظم من الاعادة فيلزم تعظيم الاعادة بالنسبة الى ما عطف عليه عن الانشاء ويعود الاشكال والخلاص والله أعلم جعل ثم على بابها لتراخي الزمان لا لتراخي المراتب وان سبرتها (١٨٨) لتراخي المراتب فعلى ان تكون مرتبة المعطوف عليه العليا ومرتبة المعطوف هي الدنيا وذلك نادر في مجيئها لتراخي المراتب فان المعطوف بها في أكثر المواضع أرفع درجة من المعطوف عليه والله أعلم * قوله تعالى وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه (قال) ان قلت لم أخرت الصلة ههنا وقدمت في قوله تعالى هو علي هين قلت لان المقصود ثمة غير ما نحن فيه فهذا خلاف القصد هنالك فانه اختصاص الله تعالى بالقدرة على ايلاد الهم والعاقر وأما القصد ههنا فلا معنى للاختصاص فيه كيف والأمر مبني على ما يعتقدونه في الشاهد من ان الاعادة أسهل من الابتداء فالاختصاص يغير المعنى (قال أحمد) كلام نفيس يستحق أن يكتب بذوب التبر لا بالحبر وانما يليق الاختصاص من تقديم ما حقه ان يؤخر وقد علمت مذهبه في مثل ذلك * عاد كلامه (قال) في تقرير معنى قوله وهو أهون عليه الافعال اما ممتنع عقلا لذاته واما ممتنع لصارف يصرف الحكيم عن فعله واما تفضل يتخير فيه بين أن يفعل وأن لا واما واجب على الحكيم أن يفعله فالانشاء الاول من قبيل التفضل وأما الاعادة فواجبة على الله تعالى لأجل الجزاء فلما كانت واجبة كانت أبعد الافعال عن الممتنع فلذلك وصفت بالتسهيل وكانت أهون من الانشاء (قال أحمد) لقد ضل وصد عن السبيل فلا نوافقه ولا نرافقه والحق ان لا واجب على الله تعالى وكل ما ذكره في هذا الفصل نزغات قدرية على انها أيضا غير مستقيمة على أصولهم المجتمعة فان مقتضاها وجوب الانشاء في الحكمة

ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ثم اذا دعاكم دعوة من الأرض اذا أنتم تخرجون وله من في السموات والأرض كل له قانتون وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه

(ومن آياته) قيام السموات والأرض واستمساكهما بغير عمد (بأمره) أي بقوله كونا قائمتين والمراد باقامته لهما ارادته لكونهما على صفة القيام دون الزوال وقوله (اذا دعاكم) بمنزلة قوله يريكم في ايقاع الجملة موقع المفرد على المعنى كأنه قال ومن آياته قيام السموات والأرض ثم خروج الموتى من القبور اذا دعاهم دعوة واحدة يا أهل القبور اخرجوا والمراد سرعة وجود ذلك من غير توقف ولا تلبث كما يجيب الداعي المطاع مدعوه كما قال القائل

دعوت كليبا دعوة فكأنما * دعوت بها ابن الطود أو هو أسرع

يريد بابن الطود الصدى أو الحجر اذا تدهدى وانما عطف هذا على قيام السموات والأرض بثم بيانا لعظم ما يكون من ذلك الأمر واقتداره على مثله وهو أن يقول يا أهل القبور قوموا فلا تبقى نسمة من الأولين والآخرين الا قامت تنظر كما قال تعالى ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون * وقولك دعوته من مكان كذا كما يجوز أن يكون مكانك يجوز أن يكون مكان صاحبك تقول دعوت زيدا من أعلى الجبل فنزل علي ودعوته من أسفل الوادي فطلع الي (فان قلت) بم تعلق (من الأرض) أبالفعل أم بالمصدر (قلت) هيهات اذا جاء نهر الله بطل نهر معقل * (فان قلت) ما الفرق بين اذا واذا (قلت) الأولى للشرط والثانية للمفاجأة وهي تنوب مناب الفاء في جواب الشرط * وقرئ تخرجون بضم التاء وفتحها (قانتون) منقادون لوجود أفعاله فيهم لا يمتنعون عليه (وهو أهون عليه) فيما يجب عندكم وينقاس على أصولكم ويقتضيه معقولكم لأن من أعاد منكم صنعة شيء كانت أسهل عليه وأهون من انشائها وتعتذرون للصانع اذا خطئ في بعض ما ينشئه بقولكم أول الغزو أخرق وتسمون الماهر في صناعته معاودا تعنون أنه عاودها كرة بعد أخرى حتى مرن عليها وهانت عليه (فان قلت) لم ذكر الضمير في قوله وهو أهون عليه والمراد به الاعادة (قلت) معناه وأن يعيده أهون عليه (فان قلت) لم أخرت الصلة في قوله وهو أهون عليه وقدمت في قوله هو علي هين (قلت) هنالك قصد الاختصاص وهو محزه فقيل هو علي هين وان كان مستصعبا عندكم أن يولد بين هم وعاقر وأما ههنا فلا معنى للاختصاص كيف والأمر مبني على ما يعقلون من أن الاعادة أسهل من الابتداء فلو قدمت الصلة لتغير المعنى (فان قلت) ما بال الاعادة استعظمت في قوله ثم اذا دعاكم حتى كأنها فضلت على قيام السموات والأرض بأمره ثم هونت بعد ذلك (قلت) الاعادة في نفسها عظيمة ولكنها هونت بالقياس الى الانشاء وقيل الضمير في عليه للخلق ومعناه أن البعث أهون على الخلق من الانشاء لأن تكوينه في حد الاستحكام والتمام أهون عليه وأقل تعبا وكدا من أن يتنقل في أحوال ويتدرج فيها الى أن يبلغ ذلك الحد وقيل الأهون بمعنى الهين ووجه آخر وهو أن الانشاء من قبيل التفضل الذي يتخير فيه الفاعل بين أن يفعله وأن لا يفعله والاعادة من قبيل الواجب الذي لا بد له من فعله لأنها لجزاء الأعمال وجزاؤها واجب والأفعال اما محال والمحال ممتنع أصلا خارج عن المقدور واما ما يصرف الحكيم عن فعله صارف وهو القبيح وهو رديف المحال لأن الصارف

يمنع وجود الفعل كما تمنعه الاحالة وإما تفضل والتفضل حالة بين بين للفاعل أن يفعله وأن لا يفعله وإما واجب لا بد من فعله ولا سبيل الى الاخلال به فكان الواجب أبعد الافعال من الامتناع وأقربها من الحصول فلما كانت الاعادة من قبيل الواجب كانت أبعد الافعال من الامتناع واذا كانت أبعدها من الامتناع كانت أدخلها في التأتي والتسهل فكانت أهون منها واذا كانت أهون من الانشاء (وله المثل الاعلى) أي الوصف الاعلى الذي ليس لغيره مثله قد عرف به * ووصف في السموات والارض على ألسنة الخلائق وألسنة الدلائل وهو أنه القادر الذي لا يعجز عن شيء من انشاء واعادة وغيرهما من المقدورات ويدل عليه قوله تعالى (وهو العزيز الحكيم) أي القاهر لكل مقدور الحكيم الذي يجري كل فعل على قضايا حكمته وعلمه وعن مجاهد المثل الاعلى قول لا اله الا الله ومعناه وله الوصف الاعلى الذي هو الوصف بالوحدانية ويعضده قوله تعالى ضرب لكم مثلا من أنفسكم وقال الزجاج وله المثل الاعلى في السموات والارض أي قوله تعالى وهو أهون عليه قد ضربه لكم مثلا فيما يصعب ويسهل يريد التفسير الاول (فان قلت) أي فرق بين من الاولى والثانية والثالثة في قوله تعالى من أنفسكم مما ملكت أيمانكم من شركاء (قلت) الاولى للابتداء كأنه قال أخذ مثلا وانتزعه من أقرب شيء منكم وهي أنفسكم ولم يبعد والثانية للتبعيض والثالثة مزيدة لتأكيد الاستفهام الجاري مجرى النفي ومعناه هل ترضون لانفسكم وعبيدكم أمثالكم بشر كبشر وعبيد كعبيد أن يشارككم بعضهم (فيما رزقناكم) من الاموال وغيرها تكونون أنتم وهم فيه على السواء من غير تفصلة بين حر وعبد * تهابون أن تستبدوا بتصرف دونهم وأن تفتاتوا بتدبير عليهم كما يهاب بعضكم بعضا من الاحرار فاذا لم ترضوا بذلك لانفسكم فكيف ترضون لرب الارباب ومالك الاحرار والعبيد أن تجعلوا بعض عبيده له شركاء (كذلك) أي مثل هذا التفصيل (نفصل الآيات) أي نبينها لان التمثيل مما يكشف المعاني ويوضحها لانه بمنزلة التصوير والتشكيل لها ألا ترى كيف صور الشرك بالصورة المشوهة (الذين ظلموا) أي أشركوا كقوله تعالى ان الشرك لظلم عظيم (بغير علم) أي اتبعوا أهواءهم جاهلين لان العالم اذا ركب هواه ربما ردعه علمه وكفه وأما الجاهل فيهيم على وجهه كالبهيمة لا يكفه شيء (من أضل الله) من خذله ولم يلطف به لعلمه أنه ممن لا لطف له فمن يقدر على هداية مثله وقوله (وما لهم من ناصرين) دليل على أن المراد بالاضلال الخذلان (فأقم وجهك للدين) فقوم وجهك له وعدله غير ملتفت عنه يمينا ولا شمالا وهو تمثيل لاقباله على الدين واستقامته عليه وثباته واهتمامه بأسبابه فان من اهتم بالشيء عقد عليه طرفه وسدد اليه نظره وقوم له وجهه مقبلا به عليه و(حنيفا) حال من المأمور أو من الدين (فطرت الله) أي الزموا فطرة الله أو عليكم فطرة الله وانما أضمرته على خطاب الجماعة لقوله منيبين اليه ومنيبين حال من الضمير في الزموا وقوله واتقوه وأقيموا ولا تكونوا معطوف على هذا المضمر والفطرة الخلقة ألا ترى الى قوله لا تبديل لخلق الله والمعنى أنه خلقهم قابلين للتوحيد ودين الاسلام غير نائين عنه ولا منكرين له لكونه مجاوبا للعقل مساوقا للنظر الصحيح حتى لو تركوا لما اختاروا عليه دينا آخر ومن غوى منهم فباغواء شياطين الانس والجن ومنه قوله صلى الله عليه وسلم كل عبادي خلقت حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم وأمروهم أن يشركوا بي غيري وقوله عليه السلام كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه هما اللذان يهودانه وينصرانه (لا تبديل لخلق الله) أي ما ينبغي أن تبدل تلك الفطرة أو تغير (فان قلت) لم وحد الخطاب أولا ثم جمع (قلت) خوطب رسول الله صلى الله عليه وسلم أولا وخطاب الرسول خطاب لامته مع ما فيه من التعظيم للامام ثم جمع بعد ذلك للبيان والتلخيص (من الذين) بدل من المشركين (فارقوا دينهم) تركوا دين الاسلام وقرئ فرقوا دينهم بالتشديد أي جعلوه أديانا مختلفة لاختلاف أهوائهم (وكانوا شيعا) فرقا كل واحدة تشايع امامها الذي أضلها (كل حزب) منهم فرح بمذهبه مسرور يحسب باطله حقا ويجوز أن يكون من الذين منقطعا عما قبله ومعناه من المفارقين دينهم كل حزب فرحين بما لديهم ولكنه رفع فرحون على الوصف لكل كقوله * وكل خليل غيرها ضم نفسه * الضر الشدة من هزال أو مرض أو قحط أو غير ذلك * والرحمة

وله المثل الاعلى في السموات والارض وهو العزيز الحكيم ضرب لكم مثلا من أنفسكم هل لكم من ما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم فمن يهدي من أضل الله وما لهم من ناصرين فأقم وجهك للدين حنيفا فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون منيبين اليه واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون واذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين اليه ثم اذا أذاقهم منه رحمة اذا فريق منهم بربهم يشركون

اذ لولا مصلحة اقتضت الانشاء لما وقع وتلك المصلحة توجب مثلها فقد وضح ان المصنف لا الى معالي السنة رقى ولا في حضيض الاعتزال بقي والله العصمة

الخلاص من الشدة واللام في (ليكفروا) مجاز مثلها في ليكون لهم عدوا (فتمتعوا) نظير اعملوا ما شئتم (فسوف تعلمون) وبال تمتعكم وقرأ ابن مسعود وليتمتعوا * السلطان الحجة وتكلمه مجاز كما تقول كتابه ناطق بكذا وهذا مما نطق به القرآن ومعناه الدلالة والشهادة كأنه قال فهو يشهد بشركهم وبصحته * وما في (بما كانوا) مصدرية أي بكونهم بالله يشركون ويجوز أن تكون موصولة ويرجع الضمير اليها ومعناه فهو يتكلم بالامر الذي بسببه يشركون ويحتمل أن يكون المعنى أم أنزلنا عليهم ذا سلطان أي ملكا معه برهان فذلك الملك يتكلم بالبرهان الذي بسببه يشركون (واذا أذقنا الناس رحمة) أي نعمة من مطر أو سعة أو صحة (فرحوا بها وان تصبهم سيئة) أي بلاء من جدب أو ضيق أو مرض والسبب فيها شؤم معاصيهم قنطوا من الرحمة * ثم أنكر عليهم بأنهم قد علموا أنه هو الباسط القابض فما لهم يقنطون من رحمته وما لهم لا يرجعون اليه تائبين من المعاصي التي عوقبوا بالشدة من أجلها حتى يعيد اليهم رحمته * حق ذي القربى صلة الرحم * وحق المسكين وابن السبيل نصيبهما من الصدقة المسماة لهما وقد احتج أبو حنيفة رحمه الله بهذه الآية في وجوب النفقة للمحارم اذا كانوا محتاجين عاجزين عن الكسب وعند الشافعي رحمه الله لا نفقة بالقرابة الا على الولد والوالدين قاس سائر القرابات على ابن العم لانه لا ولاد بينهم (فان قلت) كيف تعلق قوله (فآت ذا القربى) بما قبله حتى جيء بالفاء (قلت) لما ذكر ان السيئة أصابتهم بما قدمت أيديهم أتبعه ذكر ما يجب أن يفعل وما يجب ان يترك (يريدون وجه الله) يحتمل أن يراد بوجهه ذاته أو جهته وجانبه أي يقصدون بمعروفهم اياه خالصا وحقه كقوله تعالى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى أو يقصدون جهة التقرب الى الله لا جهة أخرى والمعنيان متقاربان ولكن الطريقة مختلفة * هذه الآية في معنى قوله تعالى يمحق الله الربا ويربي الصدقات سواء بسواء يريد وما أعطيتم أكلة الربا (من ربا ليربو) في أموالهم ليزيد ويزكو في أموالهم فلا يزكو عند الله ولا يبارك فيه (وما آتيتم من زكاة) أي صدقة تبتغون به وجهه خالصا لا تطلبون به مكافأة ولا رياء وسمعة (فأولئك هم المضعفون) ذوو الاضعاف من الحسنات ونظير المضعف المقوي والموسر لذي القوة واليسار وقرئ بفتح العين وقيل نزلت في ثقيف وكانوا يربون وقيل المراد أن يهب الرجل للرجل أو يهدي له ليعوضه أكثر مما وهب أو أهدى فليست تلك الزيادة بحرام ولكن المعوض لا يثاب على تلك الزيادة وقالوا الربا ربوان فالحرام كل قرض يؤخذ فيه أكثر منه أو يجر منفعة والذي ليس بحرام أن يستدعي بهبته أو بهديته أكثر منها وفي الحديث المستغزر يثاب من هبته وقرئ وما أتيتم من ربا بمعنى وما غشيتموه أو رهقتموه من اعطاء ربا وقرئ لتربوا أي لتزيدوا في أموالهم كقوله تعالى ويربي الصدقات أي يزيدها وقوله تعالى فأولئك هم المضعفون التفات حسن كأنه قال لملائكته وخواص خلقه فأولئك الذين يريدون وجه الله بصدقاتهم هم المضعفون فهو أمدح لهم من أن يقول فأنتم المضعفون والمعنى المضعفون به لانه لا بد من ضمير يرجع الى ما ووجه آخر وهو أن يكون تقديره فمؤتوه أولئك هم المضعفون والحذف لما في الكلام من الدليل عليه وهذا أسهل مأخذا والاول أملأ بالفائدة (الله) مبتدأ وخبره (الذي خلقكم) أي الله هو فاعل هذه الافعال الخاصة التي لا يقدر على شيء منها أحد غيره ثم قال (هل من شركائكم) الذين اتخذتموهم أندادا له من الاصنام وغيرها (من يفعل) شيأ قط من تلك الافعال حتى يصح ما ذهبتم اليه ثم استبعد حاله من حال شركائهم ويجوز أن يكون الذي خلقكم صفة للمبتدا والخبر هل من شركائكم وقوله (من ذلكم) هو الذي ربط الجملة بالمبتدا لان معناه من أفعاله ومن الاولى والثانية والثالثة كل واحدة منهن مستقلة بتأكيد لتعجيز شركائهم وتجهيل عبدتهم (الفساد في البر والبحر) نحو الجدب والقحط وقلة الريع في الزراعات والربح في التجارات ووقوع الموتان في الناس والدواب وكثرة الحرق والغرق واخفاق الصيادين والغاصة ومحق البركات من كل شيء وقلة المنافع في الجملة وكثرة المضار وعن ابن عباس أجدبت الارض وانقطعت مادة البحر وقالوا اذا انقطع القطر عميت دواب البحر وعن الحسن أن المراد بالبحر مدن البحر وقراه التي على شاطئه وعن عكرمة العرب تسمي الامصار البحار وقرئ في البر والبحور (بما كسبت أيدي الناس) بسبب معاصيهم وذنوبهم

ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون أم أنزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون واذا أذقنا الناس رحمة فرحوا بها وان تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم اذا هم يقنطون أولم يروا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ذلك خير للذين يريدون وجه الله وأولئك هم المفلحون وما آتيتم من ربا ليربو في أموال الناس فلا يربو عند الله وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه وتعالى عما يشركون ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس

كقوله تعالى وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم وعن ابن عباس ظهر الفساد في البر بقتل ابن آدم أخاه وفي البحر بأن جلندى كان يأخذ كل سفينة غصبا وعن قتادة كان ذلك قبل البعث فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجع راجعون عن الضلال والظلم ويجوز أن يريد ظهور الشر والمعاصي بكسب الناس ذلك * (فان قلت) ما معنى قوله (ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون) (قلت) أما على التفسير الاول فظاهر وهو أن الله قد أفسد أسباب دنياهم ومحقها ليذيقهم وبال بعض أعمالهم في الدنيا قبل أن يعاقبهم بجميعها في الآخرة لعلهم يرجعون عما هم عليه وأما على الثاني فاللام مجاز على معنى أن ظهور الشرور بسببهم مما استوجبوا به أن يذيقهم الله وبال أعمالهم ارادة الرجوع فكأنهم انما أفسدوا وتسببوا لفشو المعاصي في الارض لاجل ذلك وقرئ لنذيقهم بالنون * ثم أكد تسبب المعاصي لغضب الله ونكاله حيث أمرهم بأن يسيروا في الارض فينظروا كيف أهلك الله الامم وأذاقهم سوء العاقبة لمعاصيهم ودل بقوله (كان أكثرهم مشركين) على أن الشرك وحده لم يكن سبب تدميرهم وأن ما دونه من المعاصي يكون سببا لذلك * القيم البليغ الاستقامة الذي لا يتأتى فيه عوج (من الله) اما أن يتعلق بيأتي فيكون المعنى من قبل أن يأتي من الله يوم لا يرده أحد كقوله تعالى فلا يستطيعون ردها أو بمرد على معنى لا يرده هو بعد أن يجيء به ولا رد له من جهته * والمرد مصدر بمعنى الرد (يصدعون) يتصدعون أي يتفرقون كقوله تعالى ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون (فعليه كفره) كلمة جامعة لما لا غاية وراءه من المضار لان من كان ضاره كفره فقد أحاطت به كل مضرة (فلأنفسهم يمهدون) أي يسوون لانفسهم ما يسويه لنفسه الذي يمهد فراشه ويوطئه لئلا يصيبه في مضجعه ما ينبيه عليه وينغص عليه مرقده من نتوء أو قضض أو بعض ما يؤذي الراقد ويجوز أن يريد فعلى أنفسهم يشفقون من قولهم في المشفق أم فرشت فأنامت وتقديم الظرف في الموضعين للدلالة على أن ضرر الكفر لا يعود الا على الكافر لا يتعداه ومنفعة الايمان والعمل الصالح ترجع الى المؤمن لا تتجاوزه (ليجزي) متعلق بيمهدون تعليل له (من فضله) مما يتفضل عليهم بعد توفية الواجب من الثواب وهذا يشبه الكناية لان الفضل تبع للثواب فلا يكون الا بعد حصول ما هو تبع له أو أراد من عطائه وهو ثوابه لان الفضول والفواضل هي الاعطية عند العرب وتكرير (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) وترك الضمير الى الصريح لتقرير أنه لا يفلح عنده الا المؤمن الصالح وقوله (انه لا يحب الكافرين) تقرير بعد تقرير على الطرد والعكس (الرياح) هي الجنوب والشمال والصبا وهي رياح الرحمة وأما الدبور فريح العذاب ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا وقد عدد الاغراض في ارسالها وأنه أرسلها للبشارة بالغيث ولاذاقة الرحمة وهي نزول المطر وحصول الخصب الذي يتبعه والروح الذي مع هبوب الريح وزكاء الارض قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كثرت المؤتفكات زكت الارض وازالة العفونة من الهواء وتذرية الحبوب وغير ذلك (ولتجري الفلك) في البحر عند هبوبها * وانما زاد (بأمره) لان الريح قد تهب ولا تكون مؤاتية فلا بد من ارساء السفن والاحتيال لحبسها وربما عصفت فأغرقتها (ولتبتغوا من فضله) يريد تجارة البحر * ولتشكروا نعمة الله فيها (فان قلت) بم يتعلق وليذيقكم (قلت) فيه وجهان أن يكون معطوفا على مبشرات على المعنى كأنه قيل ليبشركم وليذيقكم وأن يتعلق بمحذوف تقديره وليذيقكم وليكون كذا وكذا أرسلناها * اختصر الطريق الى الغرض بأن أدرج تحت ذكر الانتقام والنصر ذكر الفريقين وقد أخلى الكلام أولا عن ذكرهما وقوله (وكان حقا علينا نصر المؤمنين) تعظيم للمؤمنين ورفع من شأنهم وتأهيل لكرامة سنية واظهار لفضل سابقة ومزية حيث جعلهم مستحقين على الله أن ينصرهم مستوجبين عليه أن يظهرهم ويظفرهم وقد يوقف على حقا ومعناه وكان الانتقام منهم حقا ثم يبتدأ علينا نصر المؤمنين وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما من امرئ مسلم يرد عن عرض أخيه الا كان حقا على الله أن يرد عنه نار جهنم يوم القيامة ثم تلا قوله تعالى وكان حقا علينا نصر المؤمنين (فيبسطه) متصلا تارة (ويجعله كسفا) أي قطعا تارة (فترى الودق يخرج من خلاله) في التارتين جميعا والمراد بالسماء سمت السماء

ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل كان أكثرهم مشركين فأقم وجهك للدين القيم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله يومئذ يصدعون من كفر فعليه كفره ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله انه لا يحب الكافرين ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته ولتجري الفلك بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ولقد أرسلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجاؤهم بالبينات فانتقمنا من الذين أجرموا وكان حقا علينا نصر المؤمنين الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله فاذا أصاب به من يشاء من عباده اذا هم يستبشرون وان كانوا من قبل أن ينزل عليهم

وشقها كقوله تعالى وفرعها في السماء * وباصابة العباد اصابة بلادهم وأراضيهم (من قبله) من باب التكرير
والتوكيد كقوله تعالى فكان عاقبتهما أنهما في النار خالدين فيها ومعنى التوكيد فيه الدلالة على أن عهدهم
بالمطر قد تطاول وبعد فاستحكم بأسهم وتمادى ابلاسهم فكان الاستبشار على قدر اغتمامهم بذلك * قرئ
أثر وآثار على التوحيد والجمع وقرأ أبو حيوة وغيره كيف تحيي أي الرحمة (ان ذلك) يعني ان ذلك القادر الذي
يحيي الأرض بعد موتها هو الذي يحيي الناس بعد موتهم (وهو على كل شيء) من المقدورات قادر وهذا من
جملة المقدورات بدليل الانشاء (فرأوه) فرأوا أثر رحمة الله لأن رحمة الله هي الغيث وأثرها النبات ومن قرأ
بالجمع رجع الضمير الى معناه لأن معنى آثار الرحمة النبات واسم النبات يقع على القليل والكثير لأنه مصدر
سمي به ما ينبت * ولئن هي اللام الموطئة للقسم دخلت على حرف الشرط و (لظلوا) جواب القسم سد مسد
الجوابين أعني جواب القسم وجواب الشرط ومعناه ليظلن ذمهم الله تعالى بأنه اذا حبس عنهم القطر
قنطوا من رحمته وضربوا أذقانهم على صدورهم مبلسين فاذا أصابهم برحمته ورزقهم المطر استبشروا
وابتهجوا فاذا أرسل ريحا فضرب زروعهم بالصفار ضجوا وكفروا بنعمة الله فهم في جميع هذه الأحوال على
الصفة المذمومة كان عليهم أن يتوكلوا على الله وفضله فقنطوا وأن يشكروا نعمته ويحمدوه عليها ففرحوا
على الفرح والاستبشار وأن يصبروا على بلائه فكفروا والريح التي اصفر لها النبات يجوز أن تكون حرورا
وحرجفا فكلتاهما مما يصوح له النبات ويصبح هشيما وقال مصفرا لأن تلك صفرة حادثة وقيل فرأوا السحاب
مصفرا لأنه اذا كان كذلك لم يمطر * قرئ بفتح الضاد وضمها وهما لغتان والضم أقوى في القراءة لما روى ابن عمر
رضي الله عنهما قال قرأتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم من ضعف فأقرأني من ضعف * قوله (خلقكم من
ضعف) كقوله خلق الانسان من عجل يعني أن أساس أمركم وما عليه جبلتكم وبنيتكم الضعف وخلق
الانسان ضعيفا أي ابتدأناكم في أول الأمر ضعافا وذلك حال الطفولة والنشء حتى بلغتم وقت الاحتلام
والشبيبة وتلك حال القوة الى الاكتهال وبلوغ الأشد ثم رددتم الى أصل حالكم وهو الضعف بالشيخوخة والهرم
وقيل من ضعف من النطف كقوله تعالى من ماء مهين وهذا الترديد في الأحوال المختلفة والتغيير من هيئة
الى هيئة وصفة الى صفة أظهر دليل وأعدل شاهد على الصانع العليم القادر (الساعة) القيامة سميت بذلك
لأنها تقوم في آخر ساعة من ساعات الدنيا أو لأنها تقع بغتة وبديهة كما تقول في ساعة لمن تستعجله وجرت
علما لها كالنجم للثريا والكوكب للزهرة * أرادوا لبثهم في الدنيا أو في القبور أو فيما بين فناء الدنيا الى
البعث وفي الحديث ما بين فناء الدنيا الى وقت البعث أربعون قالوا لا نعلم أهي أربعون سنة أم أربعون ألف
سنة وذلك وقت يفنون فيه وينقطع عذابهم وانما يقدرون وقت لبثهم بذلك على وجه استقصارهم له أو
ينسون أو يكذبون أو يخمنون (كذلك كانوا يؤفكون) أي مثل ذلك الصرف كانوا يصرفون عن الصدق
والتحقيق في الدنيا وهكذا كانوا يبنون أمرهم على خلاف الحق أو مثل ذلك الافك كانوا يؤفكون في
الاغترار بما تبين لهم الآن أنه ما كان الا ساعة * القائلون هم الملائكة والأنبياء والمؤمنون (في كتاب الله)
في اللوح أو في علم الله وقضائه أو فيما كتبه أي أوجبه بحكمته ردوا ما قالوه وحلفوا عليه وأطلعوهم على
الحقيقة * ثم وصلوا ذلك بتقريعهم على انكار البعث بقولهم (فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون) أنه حق
لتفريطكم في طلب الحق واتباعه (فان قلت) ما هذه الفاء وما حقيقتها (قلت) هي التي في قوله فقد جئنا
خراسانا وحقيقتها أنها جواب شرط يدل عليه الكلام كأنه قال ان صح ما قلتم من أن خراسان أقصى ما يراد بنا
فقد جئنا خراسان وآن لنا أن نخلص وكذلك ان كنتم منكرين البعث فهذا يوم البعث أي فقد تبين بطلان
قولكم وقرأ الحسن يوم البعث بالتحريك (لا ينفع) قرئ بالياء والتاء (يستعتبون) من قولك استعتبني فلان
فأعتبته أي استرضاني فأرضيته وذلك اذا كنت جانيا عليه وحقيقة أعتبته أزلت عتبه ألا ترى الى قوله

غضبتم أن تقتل عامر * يوم النسار فأعتبوا بالصيلم

كيف جعلهم غضابا ثم قال فأعتبوا أي أزيل غضبهم والغضب في معنى العتب والمعنى لا يقال لهم أرضوا

من قبله لمبلسين فانظر الى آثار رحمت الله كيف يحيي الأرض بعد موتها ان ذلك لمحيي الموتى وهو على كل شيء قدير ولئن أرسلنا ريحا فرأوه مصفرا لظلوا من بعده يكفرون فانك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم ان تسمع الا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون وقال الذين أوتوا العلم والايمان لقد لبثتم في كتاب الله الى يوم البعث فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم ولا هم يستعتبون

ربكم

ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل ولئن جئتهم بآية ليقولن الذين كفروا ان أنتم الا مبطلون كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون فاصبر ان وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون

﴿سورة لقمان مكية وهي أربع وثلاثون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الم تلك آيات الكتاب الحكيم هدى ورحمة للمحسنين الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون ومن الناس من يشتري لهو الحديث

ربكم بتوبة وطاعة ومثله قوله تعالى لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون (فان قلت) كيف جعلوا غير مستعتبين في بعض الآيات وغير معتبين في بعضها وهو قوله وان يستعتبوا فما هم من المعتبين (قلت) أما كونهم غير مستعتبين فهذا معناه وأما كونهم غير معتبين فمعناه أنهم غير راضين بما فيه فشبهت حالهم بحال قوم جنى عليهم فهم عاتبون على الجاني غير راضين منه فان يستعتبوا الله أي يسألوه ازالة ما هم فيه فما هم من المجابين الى ازالته (ولقد) وصفنا لهم كل صفة كأنها مثل في غرابتها وقصصنا عليهم كل قصة عجيبة الشأن كصفة المبعوثين يوم القيامة وقصتهم وما يقولون وما يقال لهم وما لا ينفع من اعتذارهم ولا يسمع من استعتابهم ولكنهم لقسوة قلوبهم ومج أسماعهم حديث الآخرة اذا جئتهم بآية من آيات القرآن قالوا جئتنا بزور وباطل * ثم قال مثل ذلك الطبع يطبع الله على قلوب الجهلة ومعنى طبع الله منع الالطاف التي ينشرح لها الصدور حتى تقبل الحق وانما يمنعها من علم أنها لا تجدي عليه ولا تغني عنه كما يمنع الواعظ الموعظة من يتبين له أن الموعظة تلغو ولا تنجع فيه فوقع ذلك كناية عن قسوة قلوبهم وركوب الصدا والرين اياها فكأنه قال كذلك تقسو وتصدأ قلوب الجهلة حتى يسموا المحقين مبطلين وهم أعرق خلق الله في تلك الصفة (فاصبر) على عداوتهم (ان وعد الله) بنصرتك واظهار دينك على الدين كله (حق) لا بد من انجازه والوفاء به * ولا يحملنك على الخفة والقلق جزعا مما يقولون ويفعلون فانهم قوم شاكون ضالون لا يستبدع منهم ذلك وقرئ بتخفيف النون وقرأ ابن أبي اسحق ويعقوب ولا يستحقنك أي لا يفتننك فيملكوك ويكونوا أحق بك من المؤمنين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الروم كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل ملك سبح الله بين السماء والارض وأدرك ما ضيع في يومه وليلته

﴿سورة لقمان مكية وهي أربع وثلاثون آية وقيل ثلاث وثلاثون﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(الكتاب الحكيم) ذي الحكمة أو وصف بصفة الله تعالى على الاسناد المجازي ويجوز أن يكون الاصل الحكيم قائله فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه فبانقلابه مرفوعا بعد الجر استكن في الصفة المشبهة (هدى ورحمة) بالنصب على الحال عن الآيات والعامل فيها ما في تلك من معنى الاشارة وبالرفع على أنه خبر بعد خبر أو خبر مبتدا محذوف (للمحسنين) الذين يعملون الحسنات وهي التي ذكرها من اقامة الصلاة وايتاء الزكاة والايقان بالآخرة ونظيره قول أوس

الالمعي الذي يظن بك الظن … كأن قد رأى وقد سمعا

حكي عن الاصمعي أنه سئل عن الالمعي فأنشده ولم يزد أو للذين يعملون جميع ما يحسن من الاعمال ثم خص منهم القائمين بهذه الثلاث لفضل اعتدادها * اللهو كل باطل ألهى عن الخير وعما يعني و (لهو الحديث) نحو السمر بالاساطير والاحاديث التي لا أصل لها والتحدث بالخرافات والمضاحيك وفضول الكلام وما لا ينبغي من كان وكان ونحو الغناء وتعلم الموسيقار وما أشبه ذلك وقيل نزلت في النضر بن الحرث وكان يتجر الى فارس فيشتري كتب الاعاجم فيحدث بها قريشا ويقول ان كان محمد يحدثكم بحديث عاد وثمود فأنا أحدثكم بأحاديث رستم وبهرام والاكاسرة وملوك الحيرة فيستملحون حديثه ويتركون استماع القرآن وقيل كان يشتري المغنيات فلا يظفر بأحد يريد الاسلام الا انطلق به الى قينته فيقول أطعميه واسقيه وغنيه ويقول هذا خير مما يدعوك اليه محمد من الصلاة والصيام وان تقاتل بين يديه وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم لا يحل بيع المغنيات ولا شراؤهن ولا التجارة فيهن ولا أثمانهن وعنه صلى الله عليه وسلم ما من رجل يرفع صوته بالغناء الا بعث الله عليه شيطانين أحدهما على هذا المنكب والآخر على هذا المنكب فلا يزالان يضربانه بأرجلهما حتى يكون هو الذي يسكت وقيل الغناء منفدة للمال مسخطة للرب مفسدة للقلب (فان قلت) ما معنى اضافة اللهو الى الحديث (قلت) معناها التبيين وهي الاضافة بمعنى من وأن يضاف الشيء الى ما هو منه كقولك صفة خز وباب ساج والمعنى من يشتري اللهو من الحديث لان اللهو يكون من

الحديث ومن غيره فبين بالحديث والمراد بالحديث الحديث المنكر كما جاء في الحديث الحديث في المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهيمة الحشيش ويجوز أن تكون الاضافة بمعنى من التبعيضية كأنه قيل ومن الناس من يشتري بعض الحديث الذي هو اللهو منه * وقوله يشتري اما من الشراء على ما روي عن النضر من شراء كتب الاعاجم أو من شراء القيان واما من قوله اشتروا الكفر بالايمان أي استبدلوه منه واختاروه عليه وعن قتادة اشتراؤه استحبابه يختار حديث الباطل على حديث الحق * وقرئ (ليضل) بضم الياء وفتحها و(سبيل الله) دين الاسلام أو القرآن (فان قلت) القراءة بالضم بينة لان النضر كان غرضه باشتراء اللهو أن يصد الناس عن الدخول في الاسلام واستماع القرآن ويضلهم عنه فما معنى القراءة بالفتح (قلت) فيه معنيان أحدهما ليثبت على ضلاله الذي كان عليه ولا يصدف عنه ويزيد فيه ويمده فان المخذول كان شديد الشكيمة في عداوة الدين وصد الناس عنه والثاني أن يوضع ليضل موضع ليضل من قبل أن من أضل كان ضالا لا محالة فدل بالرديف على المردوف (فان قلت) ما معنى قوله (بغير علم) (قلت) لما جعله مشتريا لهو الحديث بالقرآن قال يشتري بغير علم بالتجارة وبغير بصيرة بها حيث يستبدل الضلال بالهدى والباطل بالحق ونحوه قوله تعالى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين أي وما كانوا مهتدين للتجارة بصراء بها * وقرئ (ويتخذها) بالنصب والرفع عطفا على يشتري أو ليضل والضمير للسبيل لانها مؤنثة كقوله تعالى وتصدون عن سبيل الله من آمن به وتبغونها عوجا (ولى مستكبرا) زاما لا يعبأ بها ولا يرفع بها رأسا * تشبه حاله في ذلك حال من لم يسمعها وهو سامع (كأن في أذنيه وقرا) أي ثقلا ولا وقر فيهما وقرئ بسكون الذال (فان قلت) ما محل الجملتين المصدرتين بكأن (قلت) الاولى حال من مستكبرا والثانية من لم يسمعها ويجوز أن تكونا استئنافين والاصل في كأن المخففة كأنه والضمير ضمير الشأن (وعد الله حقا) مصدران مؤكدان الاول مؤكد لنفسه والثاني مؤكد لغيره لان قوله لهم جنات النعيم في معنى وعدهم الله جنات النعيم فأكد معنى الوعد بالوعد وأما حقا فدال على معنى الثبات أكد به معنى الوعد ومؤكدهما جميعا قوله لهم جنات النعيم (وهو العزيز) الذي لا يغلبه شيء ولا يعجزه يقدر على الشيء وضده فيعطي النعيم من شاء والبؤس من شاء وهو (الحكيم) لا يشاء الا ما توجبه الحكمة والعدل (ترونها) الضمير فيه للسموات وهو استشهاد برؤيتهم لها غير معمودة على قوله بغير عمد كما تقول لصاحبك أنا بلا سيف ولا رمح تراني (فان قلت) ما محلها من الاعراب (قلت) لا محل لها لانها مستأنفة أو هي في محل الجر صفة للعمد أي بغير عمد مرئية يعني أنه عمدها بعمد لا ترى وهي امساكها بقدرته (هذا) اشارة الى ما ذكر من مخلوقاته * والخلق بمعنى المخلوق و(الذين من دونه) آلهتهم بكتهم بأن هذه الاشياء العظيمة مما خلقه الله وأنشأه فأروني ماذا خلقته آلهتكم حتى استوجبوا عندكم العبادة * ثم أضرب عن تبكيتهم الى التسجيل عليهم بالتورط في ضلال ليس بعده ضلال * هو لقمان بن باعوراء ابن أخت أيوب أو ابن خالته وقيل كان من أولاد آزر وعاش ألف سنة وأدرك داود عليه السلام وأخذ منه العلم وكان يفتي قبل مبعث داود عليه السلام فلما بعث قطع الفتوى فقيل له فقال ألا أكتفي اذا كفيت وقيل كان قاضيا في بني اسرائيل وأكثر الاقاويل أنه كان حكيما ولم يكن نبيا وعن ابن عباس رضي الله عنهما لقمان لم يكن نبيا ولا ملكا ولكن كان راعيا أسود فرزقه الله العتق ورضي قوله ووصيته فقص أمره في القرآن لتمسكوا بوصيته وقال عكرمة والشعبي كان نبيا وقيل خير بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة وعن ابن المسيب كان أسود من سودان مصر خياطا وعن مجاهد كان عبدا أسود غليظ الشفتين متشقق القدمين وقيل كان نجارا وقيل كان راعيا وقيل كان يحتطب لمولاه كل يوم حزمة وعنه أنه قال لرجل ينظر اليه ان كنت تراني غليظ الشفتين فانه يخرج من بينهما كلام رقيق وان كنت تراني أسود فقلبي أبيض وروي أن رجلا وقف عليه في مجلسه فقال ألست الذي ترعى معي في مكان كذا قال بلى قال فما بلغ بك ما أرى قال صدق الحديث والصمت عما لا يعنيني وروي أنه دخل على داود عليه السلام وهو يسرد الدرع وقد لين الله

ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا أولئك لهم عذاب مهين واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقرا فبشره بعذاب أليم ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم خالدين فيها وعد الله حقا وهو العزيز الحكيم خلق السموات بغير عمد ترونها وألقى في الارض رواسي أن تميد بكم وبث فيها من كل دابة وأنزلنا من السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج كريم هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون في ضلال مبين

(القول في سورة لقمان)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* قوله تعالى واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه الآية (ذكر في ذلك اختلاف العلماء في نبوته وذكر أثناء ذلك أنه خير بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة) قال أحمد وفي هذا بعد بين وذلك ان الحكمة داخلة في النبوة وقطرة من بحرها وأعلى درجات الحكماء تنحط عن أدنى درجات الانبياء الا بقدر قدره وليس من الحكمة اختيار الحكمة المجردة عن النبوة

* قوله تعالى وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما (قال معناه ما ليس بشيء يريد بنفي العلم نفي المعلوم) قال أحمد هو من باب قوله * على لاحب لا يهتدى بمناره * أي ما ليس بإله فيكون لك علم بإلاهيته وليس كما ذكره في قول فرعون ما علمت لكم من إله غيري وقد

له الحديد كالطين فأراد أن يسأله فأدركته الحكمة فسكت فلما أتمها لبسها وقال نعم لبوس الحرب أنت فقال الصمت حكمة وقليل فاعله فقال له داود بحق ما سميت حكيما وروي أن مولاه أمره بذبح شاة وبأن يخرج منها أطيب مضغتين فأخرج اللسان والقلب ثم أمره بمثل ذلك بعد أيام وأن يخرج أخبث مضغتين فأخرج اللسان والقلب فسأله عن ذلك فقال هما أطيب ما فيها إذا طابا وأخبث ما فيها إذا خبثا وعن سعيد بن المسيب أنه قال لأسود لا تحزن فإنه كان من خير الناس ثلاثة من السودان بلال ومهجع مولى عمر ولقمان (أن) هي المفسرة لأن إيتاء الحكمة في معنى القول وقد نبه الله سبحانه على أن الحكمة الأصلية والعلم الحقيقي هو العمل بهما وعبادة الله والشكر له حيث فسر إيتاء الحكمة بالبعث على الشكر (غني) غير محتاج إلى الشكر (حميد) حقيق بأن يحمد وإن لم يحمده أحد * قيل كان اسم ابنه أنعم وقال الكلبي أشكم وقيل كان ابنه وامرأته كافرين فما زال بهما حتى أسلما (لظلم عظيم) لأن التسوية بين من لا نعمة إلا هي منه ومن لا نعمة منه البتة ولا يتصور أن تكون منه ظلم لا يكتنه عظمه * أي (حملته) تهن (وهنا على وهن) كقولك رجع عودا على بدء بمعنى يعود عودا على بدء وهو في موضع الحال والمعنى أنها تضعف ضعفا فوق ضعف أي يتزايد ضعفها ويتضاعف لأن الحمل كلما ازداد وعظم ازدادت ثقلا وضعفا وقرئ وهنا على وهن بالتحريك عن أبي عمرو يقال وهن يوهن ووهن يهن * وقرئ وفصله (أن اشكر) تفسير لوصينا (ما ليس لك به علم) أراد بنفي العلم به نفيه أي لا تشرك بي ما ليس بشيء يريد الأصنام كقوله تعالى ما يدعون من دونه من شيء (معروفا) صحابا أو مصاحبا معروفا حسنا بخلق جميل وحلم واحتمال وبر وصلة وما يقتضيه الكرم والمروءة (واتبع سبيل من أناب إلي) يريد واتبع سبيل المؤمنين في دينك ولا تتبع سبيلهما فيه وإن كنت مأمورا بحسن مصاحبتهما في الدنيا ثم إلي مرجعك ومرجعهما فأجازيك على إيمانك وأجازيهما على كفرهما علم بذلك حكم الدنيا وما يجب على الإنسان في صحبتهما ومعاشرتهما من مراعاة حق الأبوة وتعظيمه وما لهما من المواجب التي لا يسوغ الإخلال بها ثم بين حكمهما وحالهما في الآخرة وروي أنها نزلت في سعد بن أبي وقاص وأمه وفي القصة أنها مكثت ثلاثا لا تطعم ولا تشرب حتى شجروا فاها بعود وروي أنه قال لو كانت لها سبعون نفسا فخرجت لما ارتددت إلى الكفر (فإن قلت) هذا الكلام كيف وقع في أثناء وصية لقمان (قلت) هو كلام اعترض به على سبيل الاستطراد تأكيدا لما في وصية لقمان من النهي عن الشرك (فإن قلت) فقوله حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين كيف اعترض به بين المفسر والمفسر (قلت) لما وصى بالوالدين ذكر ما تكابده الأم وتعانيه من المشاق والمتاعب في حمله وفصاله هذه المدة المتطاولة إيجابا للتوصية بالوالدة خصوصا وتذكيرا بحقها العظيم مفردا ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن قال له من أبر أمك ثم أمك ثم أمك ثم قال بعد ذلك ثم أباك وعن بعض العرب أنه حمل أمه إلى الحج على ظهره وهو يقول في حدائه بنفسه

أحمل أمي وهي الحماله * ترضعني الدرة والعلاله * ولا يجازى والد فعاله

(فإن قلت) ما معنى توقيت الفصال بالعامين (قلت) المعنى في توقيته بهذه المدة أنها الغاية التي لا تتجاوز والأمر فيما دون العامين موكول إلى اجتهاد الأم إن علمت أنه يقوى على الفطام فلها أن تفطمه ويدل عليه قوله تعالى والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة وبه استشهد الشافعي رضي الله عنه على أن مدة الرضاع سنتان لا تثبت حرمة الرضاع بعد انقضائهما وهو مذهب أبي يوسف ومحمد وأما عند أبي حنيفة رضي الله عنه فمدة الرضاع ثلاثون شهرا وعن أبي حنيفة إن فطمته قبل العامين فاستغنى بالطعام ثم أرضعته لم يكن رضاعا وإن أكل أكلا ضعيفا لم يستغن به عن الرضاع ثم أرضعته فهو رضاع محرم * وقرئ مثقال حبة بالنصب والرفع فمن نصب كان الضمير للهنة من الإساءة أو الإحسان أي إن كانت مثلا في الصغر والقماءة كحبة الخردل فكانت مع صغرها في أخفى موضع وأحرزه كجوف الصخرة أو حيث كانت

ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن الله غني حميد وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إلي المصير وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا واتبع سبيل من أناب إلي ثم إلي مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض

عن معناه فيما تقدم * قوله تعالى حملته أمه وهنا على وهن الآية (قال فيه تخصيص حق الأم وهو مطابق لبدايته فذكرها في وجوب البر في الحديث المأثور) قال أحمد وهذا من قبيل ما يقوله الفقهاء إن للأم من حمل الولد قبل الحلم جلده وهو مما يفيدنا تأكيد ميمنتها والله أعلم * قوله تعالى إنها إن تك مثقال

في العالم العلوي أو السفلي (يأت بها الله) يوم القيامة فيحاسب بها عاملها (ان الله لطيف) يتوصل علمه الى
كل خفي (خبير) عالم بكنهه وعن قتادة لطيف باستخراجها خبير بمستقرها ومن قرأ بالرفع كان ضمير القصة
وانما أنث المثقال لاضافته الى الحبة كما قال * كما شرقت صدر القناة من الدم * وروى أن ابن لقمان قال له
أرأيت الحبة تكون في مقل البحر أي في مغاصه يعلمها الله فقال ان الله يعلم أصغر الاشياء في أخفى الامكنة لان
الحبة في الصخرة أخفى منها في الماء وقيل الصخرة هي التي تحت الارض وهي السجين يكتب فيها أعمال
الكفار * وقرئ فتكن بكسر الكاف من وكن الطائر يكن اذا استقر في وكنته وهي مقره ليلا (واصبر على
ما أصابك) يجوز أن يكون عاما في كل ما يصيبه من المحن وأن يكون خاصا بما يصيبه فيما أمر به من الامر
بالمعروف والنهي عن المنكر من أذى من يبعثهم على الخير وينكر عليهم الشر (ان ذلك) مما عزمه الله من
الامور أي قطعه قطع ايجاب والزام ومنه الحديث لا صيام لمن لم يعزم الصيام من الليل أي لم يقطعه بالنية
ألا ترى الى قوله عليه السلام لمن لم يبيت الصيام ومنه ان الله يحب ان تؤخذ برخصه كما يحب أن تؤخذ بعزائمه
وقولهم عزمة من عزمات ربنا ومنه عزمات الملوك وذلك أن يقول الملك لبعض من تحت يده عزمت عليك
الا فعلت كذا اذا قال ذلك لم يكن للمعزوم عليه بد من فعله ولا مندوحة في تركه وحقيقته أنه من تسمية
المفعول بالمصدر وأصله من معزومات الامور أي مقطوعاتها ومفروضاتها ويجوز أن يكون مصدرا في معنى
الفاعل أصله من عازمات الامور من قوله تعالى فاذا عزم الامر كقولك جد الامر وصدق القتال وناهيك
بهذه الآية مؤذنة بقدم هذه الطاعات وأنها كانت مأمورا بها في سائر الامم وأن الصلاة لم تزل عظيمة الشأن
سابقة القدم على ما سواها موصى بها في الاديان كلها * تصاعر وتصعر بالتشديد والتخفيف يقال أصعر خده
وصعره وصاعره كقولك أعلاه وعلاه وعالاه بمعنى والصعر والصيد داء يصيب البعير يلوي منه عنقه والمعنى
أقبل على الناس بوجهك تواضعا ولا تولهم شق وجهك وصفحته كما يفعل المتكبرون * أراد (ولا تمش) تمرح
(مرحا) أو أوقع المصدر موقع الحال بمعنى مرحا ويجوز أن يريد لا تمش لاجل المرح والاشر أي لا يكن غرضك
في المشي البطالة والاشر كما يمشي كثير من الناس لذلك لا لكفاية مهم ديني أو دنيوي ونحوه قوله تعالى
ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس * والمختال مقابل للماشي مرحا * وكذلك الفخور
للمصعر خده كبرا (واقصد في مشيك) واعدل فيه حتى يكون مشيا بين مشيين لا تدب دبيب المتماوتين ولا تثب
وثيب الشطار قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سرعة المشي تذهب بهاء المؤمن وأما قول عائشة في عمر رضي
الله عنهما كان اذا مشى أسرع فانما أرادت السرعة المرتفعة عن دبيب المتماوت * وقرئ وأقصد بقطع الهمزة
أي سدد في مشيك من أقصد الرامي اذا سدد سهمه نحو الرمية (واغضض من صوتك) وانقص منه واقصر
من قولك فلان يغض من فلان اذا قصر به ووضع منه (أنكر الاصوات) أوحشها من قولك شيء نكر اذا
أنكرته النفوس واستوحشت منه ونفرت * والحمار مثل في الذم البليغ والشتيمة وكذلك نهاقه ومن
استفحاشهم لذكره مجردا وتفاديهم من اسمه أنهم يكنون عنه ويرغبون عن التصريح به فيقولون الطويل
الاذنين كما يكنى عن الاشياء المستقذرة وقد عد في مساوي الآداب أن يجري ذكر الحمار في مجلس قوم من
أولي المروءة ومن العرب من لا يركب الحمار استنكافا وان بلغت منه الرجلة فتشبيه الرافعين أصواتهم بالحمير
وتمثيل أصواتهم بالنهاق ثم اخلاء الكلام من لفظ التشبيه واخراجه مخرج الاستعارة وأن جعلوا حميرا
وصوتهم نهاقا مبالغة شديدة في الذم والتهجين وافراط في التثبيط عن رفع الصوت والترغيب عنه وتنبيه على
أنه من كراهة الله بمكان (فان قلت) لم وحد صوت الحمير ولم يجمع (قلت) ليس المراد أن يذكر صوت كل واحد
من آحاد هذا الجنس حتى يجمع وانما المراد أن كل جنس من الحيوان الناطق له صوت وأنكر أصوات هذه
الاجناس صوت هذا الجنس فوجب توحيده (ما في السموات) الشمس والقمر والنجوم والسحاب وغير ذلك
(وما في الارض) البحار والانهار والمعادن والدواب وما لا يحصى (وأسبغ) قرئ بالسين والصاد وهكذا كل
سين اجتمع معه الغين والخاء والقاف تقول في سلخ صلخ وفي سقر صقر وفي سالغ صالغ * وقرئ نعمه ونعمة

يأت بها الله ان الله لطيف خبير يابني أقم الصلوة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الامور ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الارض مرحا ان الله لا يحب كل مختال فخور واقصد في مشيك واغضض من صوتك ان أنكر الاصوات لصوت الحمير ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الارض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا

حبة من خردل فتكن في صخرة (قال فيه هذا من البديع الذي يسمى التتميم) قال أحمد يعني انه تمم خفاها في نفسها باخفاء مكانها من الصخرة وهو من وادي قولها
كأنه علم في رأسه نار

وذمه

ونعمته (فان قلت) ما النعمة (قلت) كل نفع قصد به الاحسان والله تعالى خلق العالم كله نعمة لانه اما حيوان
واما غير حيوان فما ليس بحيوان نعمة على الحيوان والحيوان نعمة من حيث ان ايجاده حيا نعمة عليه لانه
لولا ايجاده حيا لما صح منه الانتفاع وكل ما أدى الى الانتفاع وصححه فهو نعمة (فان قلت) لم كان خلق العالم
مقصودا به الاحسان (قلت) لانه لا يخلقه الا لغرض والا كان عبثا والعبث لا يجوز عليه ولا يجوز أن يكون
لغرض راجع اليه من نفع لانه غنى غير محتاج الى المنافع فلم يبق الا أن يكون لغرض يرجع الى الحيوان وهو
نفعه * (فان قلت) فما معنى الظاهرة والباطنة (قلت) الظاهرة كل ما يعلم بالمشاهدة والباطنة ما لا يعلم
الا بدليل أو لا يعلم أصلا فكم فى بدن الانسان من نعمة لا يعلمها ولا يهتدى الى العلم بها وقد أكثروا فى ذلك
فعن مجاهد الظاهرة ظهور الاسلام والنصرة على الاعداء والباطنة الامداد من الملائكة وعن الحسن
رضى الله عنه الظاهرة الاسلام والباطنة الستر وعن الضحاك الظاهرة حسن الصورة وامتداد القامة
وتسوية الاعضاء والباطنة المعرفة وقيل الظاهرة البصر والسمع واللسان وسائر الجوارح الظاهرة
والباطنة القلب والعقل والفهم وما أشبه ذلك ويروى فى دعاء موسى عليه السلام الهى دلنى على أخفى
نعمتك على عبادك فقال أخفى نعمتى عليهم النفس ويروى ان أيسر ما يعذب به أهل النار الاخذ بالانفاس
* معناه (أ) يتبعونهم (ولو كان الشيطان يدعوهم) أى فى حال دعاء الشيطان اياهم الى العذاب * قرأ على بن
أبى طالب رضى الله عنه ومن يسلم بالتشديد يقال أسلم أمرك وسلم أمرك الى الله (فان قلت) ماله عدى بالى
وقد عدى باللام فى قوله بلى من أسلم وجهه لله (قلت) معناه مع اللام أنه جعل وجهه وهو ذاته ونفسه سالما
لله أى خالصا له ومعناه مع الى أنه سلم اليه نفسه كما يسلم المتاع الى الرجل اذا دفع اليه والمراد التوكل عليه
والتفويض اليه (فقد استمسك بالعروة الوثقى) من باب التمثيل مثلت حال المتوكل بحال من أراد أن يتدلى
من شاهق فاحتاط لنفسه بان استمسك بأوثق عروة من حبل متين مأمون انقطاعه (والى الله عاقبة الامور)
أى هى صائرة اليه * قرئ يحزنك ويحزنك من حزن وأحزن والذى عليه الاستعمال المستفيض أحزنه ويحزنه
والمعنى لا يهمنك كفر من كفر وكيده للاسلام فان الله عز وجل دافع كيده فى نحره ومنتقم منه ومعاقبه
على عمله (ان الله) يعلم ما فى صدور عباده فيفعل بهم على حسبه (نمتعهم) زمانا (قليلا) بدنياهم (ثم نضطرهم
الى عذاب غليظ) شبه الزامهم التعذيب وارهاقهم اياه باضطرار المضطر الى الشئ الذى لا يقدر على
الانفكاك منه والغلظ مستعار من الاجرام الغليظة والمراد الشدة والثقل على المعذب (قل الحمد لله) الزام
لهم على اقرارهم بأن الذى خلق السموات والارض هو الله وحده وأنه يجب أن يكون له الحمد والشكر وأن
لا يعبد معه غيره ثم قال (بل أكثرهم لا يعلمون) أن ذلك يلزمهم واذا نبهوا عليه لم ينتبهوا (ان الله هو الغنى)
عن حمد الحامدين المستحق للحمد وان لم يحمدوه * قرئ والبحر بالنصب عطفا على اسم أن وبالرفع عطفا
على محل أن ومعمولها على ولو ثبت كون الاشجار أقلاما وثبت البحر ممدودا بسبعة أبحر أو على الابتداء
والواو للحال على معنى ولو أن الاشجار أقلام فى حال كون البحر ممدودا وفى قراءة ابن مسعود وبحر يمده
على التنكير ويجب أن يحمل هذا على الوجه الاول * وقرئ يمده ويمده وبالتاء والياء (فان قلت) كان
مقتضى الكلام أن يقال ولو أن الشجر أقلام والبحر مداد (قلت) أغنى عن ذكر المداد قوله يمده لانه من
قولك مد الدواة وأمدها جعل البحر الاعظم بمنزلة الدواة وجعل الابحر السبعة مملوءة مدادا فهى تصب
فيه مدادها أبدا صبا لا ينقطع والمعنى ولو أن أشجار الارض أقلام والبحر ممدود بسبعة أبحر وكتبت بتلك
الاقلام وبذلك المداد كلمات الله لما نفدت كلماته ونفدت الاقلام والمداد كقوله تعالى قل لو كان البحر مدادا
لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى (فان قلت) زعمت أن قوله والبحر يمده حال فى أحد وجهى
الرفع وليس فيه ضمير راجع الى ذى الحال (قلت) هو كقوله * وقد أغتدى والطير فى وكناتها * وجئت
والجيش مصطف وما أشبه ذلك من الاحوال التى حكمها حكم الظروف ويجوز أن يكون المعنى وبحرها
والضمير للارض (فان قلت) لم قيل من شجرة على التوحيد دون اسم الجنس الذى هو شجر (قلت) أريد

أو لو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى والى الله عاقبة الامور ومن كفر فلا يحزنك كفره الينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا ان الله عليم بذات الصدور نمتعهم قليلا ثم نضطرهم الى عذاب غليظ ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون لله ما فى السموات والارض ان الله هو الغنى الحميد ولو أن ما فى الارض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله

---

* قوله تعالى ثم نضطرهم الى عذاب غليظ (قال شبه الزامهم التعذيب باضطرار المضطر الى الشئ الذى لا يقدر على الانفكاك منه) قال أحمد وتفسير هذا الاضطرار فى الحديث فى انهم لشدة ما يكابدون من النار يطلبون البرد فيرسل الله عليهم الزمهرير فيكون عليهم كشدة اللهب فيتمنون عود اللهب اضطرارا فهو اختيار عن اضطرار والى مثال هذه البلاغة تعلق الكندى حيث يقول
يرون الموت قداما وخلفا * فيختارون والموت اضطرار

تفصيل الشجر وتقصيها شجرة شجرة حتى لا يبقى من جنس الشجر ولا واحدة الا قد بريت أقلاما (فان قلت) الكلمات جمع قلة والموضع موضع التكثير لا التقليل فهلا قيل كلم الله (قلت) معناه أن كلماته لا تفي بكتبتها البحار فكيف بكلمه وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنها نزلت جوابا لليهود لما قالوا قد أوتينا التوراة وفيها كل الحكمة وقيل ان المشركين قالوا ان هذا يعنون الوحي كلام سينفد فأعلم الله أن كلامه لا ينفد وهذه الآية عند بعضهم مدنية وأنها نزلت بعد الهجرة وقيل هي مكية وانما أمر اليهود وفد قريش أن يقولوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ألست تتلو فيما أنزل عليك أنا قد أوتينا التوراة وفيها علم كل شيء (ان الله عزيز) لا يعجزه شيء (حكيم) لا يخرج من علمه وحكمته شيء ومثله لا تنفد كلماته وحكمه (الا كنفس واحدة) الا كخلقها وبعثها أي سواء في قدرته القليل والكثير والواحد والجمع لا يتفاوت وذلك أنه انما كانت تتفاوت النفس الواحدة والنفوس الكثيرة العدد أن لو شغله شأن عن شأن وفعل عن فعل وقد تعالى عن ذلك (ان الله سميع بصير) يسمع كل صوت ويبصر كل مبصر في حالة واحدة لا يشغله ادراك بعضها عن ادراك بعض فكذلك الخلق والبعث * كل واحد من الشمس والقمر يجري في فلكه ويقطعه الى وقت معلوم الشمس الى آخر السنة والقمر الى آخر الشهر وعن الحسن الاجل المسمى يوم القيامة لانه لا ينقطع جريهما الا حينئذ دل أيضا بالليل والنهار وتعاقبهما وزيادتهما ونقصانهما وجري النيرين في فلكيهما كل ذلك على تقدير وحساب وباحاطته بجميع أعمال الخلق على عظم قدرته وحكمته (فان قلت) يجري لأجل مسمى ويجري الى أجل مسمى أهو من تعاقب الحرفين (قلت) كلا ولا يسلك هذه الطريقة الا بليد الطبع ضيق العطن ولكن المعنيين أعني الانتهاء والاختصاص كل واحد منهما ملائم لصحة الغرض لان قولك يجري الى أجل مسمى معناه يبلغه وينتهي اليه وقولك يجري لأجل مسمى تريد يجري لادراك أجل مسمى تجعل الجري مختصا بادراك أجل مسمى ألا ترى أن جري الشمس مختص بآخر السنة وجري القمر مختص بآخر الشهر فكلا المعنيين غير ناب به موضعه (ذلك) الذي وصف من عجائب قدرته وحكمته التي يعجز عنها الاحياء القادرون العالمون فكيف بالجماد الذي تدعونه من دون الله انما هو بسبب أنه هو الحق الثابت الهيته وأن من دونه باطل الالهية (وأن الله هو العلي) الشأن (الكبير) السلطان أو ذلك الذي أوحي اليك من هذه الآيات بسبب بيان أن الله هو الحق وأن الها غيره باطل وأن الله هو العلي الكبير عن أن يشرك به * قرئ الفلك بضم اللام وكل فعل يجوز فيه فعل كما يجوز في كل فعل فعل على مذهب التعويض * وبنعمات الله بسكون العين وعين فعلات يجوز فيها الفتح والكسر والسكون (بنعمة الله) باحسانه ورحمته (صبار) على بلائه (شكور) لنعمائه وهما صفتا المؤمن فكأنه قال ان في ذلك لآيات لكل مؤمن * يرتفع الموج ويتراكب فيعود مثل الظلل والظلة كل ما أظلك من جبل أو سحاب أو غيرهما * وقرئ كالظلال جمع ظلة كقلة وقلال (فمنهم مقتصد) متوسط في الكفر والظلم خفض من غلوائه وانزجر بعض الانزجار أو مقتصد في الاخلاص الذي كان عليه في البحر يعني أن ذلك الاخلاص الحادث عند الخوف لا يبقى لاحد قط والمقتصد قليل نادر وقيل مؤمن قد ثبت على ما عاهد عليه الله في البحر والختر أشد الغدر ومنه قولهم انك لا تمد لنا شبرا من غدر الا مددنا لك باعا من ختر قال

وانك لو رأيت أبا عمير * ملأت يديك من غدر وختر

(لا يجزي) لا يقضي عنه شيئا ومنه قيل للمتقاضي المتجازي وفي الحديث في جذعة ابن نيار تجزي عنك ولا تجزي عن أحد بعدك وقرئ لا يجزئ لا يغني يقال أجزأت عنك مجزأ فلان والمعنى لا يجزي فيه فحذف (الغرور) الشيطان وقيل الدنيا وقيل تمنيكم في المعصية المغفرة وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه الغرة بالله أن يتمادى الرجل في المعصية ويتمنى على الله المغفرة وقيل ذكرك لحسنات نفسك ونسيانك لسيئاتها تلك غرة وقرئ بضم الغين وهو مصدر غره غرورا جعل الغرور غارا كما قيل جد جده أو أريد زينة الدنيا لانها غرور

ان الله عزيز حكيم ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة ان الله سميع بصير ألم تر أن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري الى أجل مسمى وأن الله بما تعملون خبير ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه الباطل وأن الله هو العلي الكبير ألم تر أن الفلك تجري في البحر بنعمة الله ليريكم من آياته ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور واذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد وما يجحد بآياتنا الا كل ختار كفور يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور

(فان قلت) قوله ولا مولود هو جاز عن والده شيأ وارد على طريق من التوكيد لم يرد عليه ما هو معطوف عليه (قلت) الامر كذلك لان الجملة الاسمية آكد من الفعلية وقد انضم الى ذلك قوله هو وقوله مولود والسبب في مجيئه على هذا السنن أن الخطاب للمؤمنين وعليتهم قبض آباؤهم على الكفر وعلى الدين الجاهلي فاريد حسم أطماعهم وأطماع الناس فيهم أن ينفعوا آباءهم في الآخرة وأن يشفعوا لهم وأن يغنوا عنهم من الله شيأ فلذلك جيء به على الطريق الآكد ومعنى التوكيد في لفظ المولود أن الواحد منهم لو شفع للاب الادنى الذي ولد منه لم تقبل شفاعته فضلا أن يشفع لمن فوقه من أجداده لان الولد يقع على الولد وولد الولد بخلاف المولود فانه لمن ولد منك وروي أن رجلا من محارب وهو الحرث بن عمرو بن حارثة أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أخبرني عن الساعة متى قيامها واني قد ألقيت حباتي في الارض وقد أبطأت عنا السماء فمتى تمطر وأخبرني عن امرأتي فقد اشتملت ما في بطنها أذكر أم أنثى واني علمت ما عملت أمس فما أعمل غدا وهذا مولدي قد عرفته فأين أموت فنزلت وعن النبي صلى الله عليه وسلم مفاتح الغيب خمس وتلا هذه الآية وعن ابن عباس رضي الله عنهما من ادعى علم هذه الخمسة فقد كذب اياكم والكهانة فان الكهانة تدعو الى الشرك والشرك وأهله في النار وعن المنصور أنه أهمه معرفة مدة عمره فرأى في منامه كأن خيالا أخرج يده من البحر وأشار اليه بالاصابع الخمس فاستفتى العلماء في ذلك فتأولوها بخمس سنين وبخمسة أشهر وبغير ذلك حتى قال أبو حنيفة رحمه الله تأويلها أن مفاتح الغيب خمس لا يعلمها الا الله وأن ما طلبت معرفته لا سبيل لك اليه (عنده علم الساعة) أي وقت مرساها (وينزل الغيث) في ابانه من غير تقديم ولا تأخير وفي بلد لا يتجاوزه به (ويعلم ما في الارحام) أذكر أم أنثى أتام أم ناقص وكذلك ما سوى ذلك من الاحوال (وما تدري نفس) برة أو فاجرة (ماذا تكسب غدا) من خير أو شر وربما كانت عازمة على خير فعملت شرا وعازمة على شر فعملت خيرا (وما تدري نفس) أين تموت وربما أقامت بأرض وضربت أوتادها وقالت لا أبرحها وأقبر فيها فترمي بها مرامي القدر حتى تموت في مكان لم يخطر ببالها ولا حدثتها به ظنونها وروي أن ملك الموت مر على سليمان فجعل ينظر الى رجل من جلسائه يديم النظر اليه فقال الرجل من هذا قال ملك الموت فقال كأنه يريدني وسأل سليمان أن يحمله على الريح ويلقيه ببلاد الهند ففعل ثم قال ملك الموت لسليمان كان دوام نظري اليه تعجبا منه لاني أمرت أن أقبض روحه بالهند وهو عندك وجعل العلم لله والدراية للعبد لما في الدراية من معنى الختل والحيلة والمعنى أنها لا تعرف وان أعملت حيلها ما يلحق بها ويختص ولا يتخطاها ولا شيء أخص بالانسان من كسبه وعاقبته فاذا لم يكن له طريق الى معرفتهما كان من معرفة ما عداهما أبعد وقرئ بأية أرض وشبه سيبويه تأنيث أي بتأنيث كل في قولهم كلتهن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة لقمان كان له لقمان رفيقا يوم القيامة وأعطي من الحسنات عشرا عشرا بعدد من عمل بالمعروف ونهى عن المنكر

﴿سورة السجدة مكية وهي ثلاثون آية وقيل تسع وعشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(الم) على أنها اسم السورة مبتدأ خبره (تنزيل الكتاب) وان جعلتها تعديدا للحروف ارتفع تنزيل الكتاب بانه خبر مبتدأ محذوف أو هو مبتدأ خبره (لا ريب فيه) والوجه أن يرتفع بالابتداء وخبره (من رب العالمين) ولا ريب فيه اعتراض لا محل له والضمير في فيه راجع الى مضمون الجملة كأنه قيل لا ريب في ذلك أي في كونه منزلا من رب العالمين ويشهد لوجاهته قوله (أم يقولون افتراه) لان قولهم هذا مفترى

ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت ان الله عليم خبير

﴿سورة السجدة مكية وهي ثلاثون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين أم يقولون افتراه

﴿قوله تعالى يا أيها الناس اتقوا ربكم الى قوله شيأ﴾ (قال ان قلت لم أكد الجملة الثانية دون الاولى قلت لان أكثر المسلمين كان آباؤهم قد ماتوا على الكفر فلما كان اغناء الكافر عن المسلم بعيدا لم يحتج تأكيدا ولما كان اغناء المسلم عن الكافر قد يقع في الاوهام أكده) قال أحمد وهذا الجواب موقف صحته على ان هذا الخطاب كان خاصا بالموجودين حينئذ والصحيح انه عام لهم ولكل من ينطلق عليه اسم الناس فالجواب المعتبر والله أعلم ان الله تعالى لما أكد الوصية على الآباء وقرن شكرهم بشكره عز وجل وأوجب على الولد أن يكفي والده ما يسوءه بحسب نهاية امكانه قطع هنا وهم الوالد في أن يكون الولد في القيامة يجزيه حقه عليه ويكفيه ما يلقاه من أهوال القيامة كما أوجب الله عليه في الدنيا ذلك في حقه فلما كان اجزاء الولد عن الوالد مظنون الوقوع لان الله حضه عليه في الدنيا كان جديرا بتأكيد النفي لازالة هذا الوهم ولا كذلك العكس فهذا جواب كاف شاف للغليل ان شاء الله تعالى

﴿القول في سورة السجدة﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ * قوله تعالى لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك (قال يعني قريشا لأنه لم يبعث فيهم نبي قط فان قلت اذا لم يتقدم بعثة نبي اليهم فلم قامت عليهم الحجة قلت قيام الحجة بالشرائع التي لا يدرك علمها الا بالرسل لا سبيل اليه وأما قيامها بمعرفة الله تعالى وتوحيده وحكمته فنعم لأن أدلة العقل معهم في كل زمان) قال أحمد مذهب أهل السنة أنه لا يدرك علم شيء من أحكام الله تعالى التكليفية الا بالشرع وما ذكره الزمخشري تفريع على قاعدة التحسين والتقبيح بالعقل وقد محا السمع فلم يبق لها أثر فأعرض عنه حتى يخوض في حديث غيره وانما قامت الحجة على العرب بمن تقدم من الرسل اليهم كأبيهم اسمعيل وغيره والمراد بقوله تعالى ما أتاهم من نذير يعني ذرية العرب في زمانه عليه الصلاة والسلام اذ لم يبعث اليهم نذير معاصر فلطف الله تعالى بهم وبعث فيهم رسولا منهم صلى الله عليه وسلم

بل هو الحق من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون الله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع أفلا تتذكرون يدبر الأمر من السماء الى الأرض ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين

انكار لأن يكون من رب العالمين وكذلك قوله (بل هو الحق من ربك) وما فيه من تقرير أنه من الله وهذا أسلوب صحيح محكم أثبت أولا أن تنزيله من رب العالمين وأن ذلك ما لا ريب فيه ثم أضرب عن ذلك الى قوله أم يقولون افتراه لأن أم هي المنقطعة الكائنة بمعنى بل والهمزة انكارا لقولهم وتعجيبا منه لظهور أمره في عجز بلغائهم عن مثل ثلاث آيات منه ثم أضرب عن الانكار الى اثبات أنه الحق من ربك ونظيره أن يعلل العالم في المسألة بعلة صحيحة جامعة قد احترز فيها أنواع الاحتراز كقول المتكلمين النظر أول الأفعال الواجبة على الاطلاق التي لا تعرى عن وجوب وامكان ثم يعترض عليه فيها بعض ما وقع احترازه منه فيرده بتلخيص أنه احترز من ذلك ثم يعود الى تقرير كلامه وتمشيته (فان قلت) كيف نفى أن يرتاب في أنه من الله وقد أثبت ما هو أطم من الريب وهو قولهم افتراه (قلت) معنى لا ريب فيه أن لا مدخل للريب في أنه تنزيل الله لأن نافي الريب ومميطه معه لا ينفك عنه وهو كونه معجزا للبشر ومثله أبعد شيء من الريب وأما قولهم افتراه فاما قول متعنت مع علمه أنه من الله لظهور الاعجاز له أو جاهل يقوله قبل التأمل والنظر لأنه سمع الناس يقولونه (ما أتاهم من نذير من قبلك) كقوله ما أنذر آباؤهم وذلك أن قريشا لم يبعث الله اليهم رسولا قبل محمد صلى الله عليه وسلم (فان قلت) فاذا لم يأتهم نذير لم تقم عليهم حجة (قلت) أما قيام الحجة بالشرائع التي لا يدرك علمها الا بالرسل فلا وأما قيامها بمعرفة الله وتوحيده وحكمته فنعم لأن أدلة العقل الموصلة الى ذلك معهم في كل زمان (لعلهم يهتدون) فيه وجهان أن يكون على الترجي من رسول الله صلى الله عليه وسلم كما كان لعله يتذكر على الترجي من موسى وهرون عليهما السلام وأن يستعار لفظ الترجي للارادة (فان قلت) ما معنى قوله (ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع) (قلت) هو على معنيين أحدهما أنكم اذا جاوزتم رضاه لم تجدوا لأنفسكم وليا أي ناصرا ينصركم ولا شفيعا يشفع لكم والثاني أن الله وليكم الذي يتولى مصالحكم وشفيعكم أي ناصركم على سبيل المجاز لأن الشفيع ينصر المشفوع له فهو كقوله تعالى وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير فاذا خذلكم لم يبق لكم ولي ولا نصير (الأمر) المأمور به من الطاعات والأعمال الصالحة ينزله مدبرا (من السماء الى الأرض) ثم لا يعمل به ولا يصعد اليه ذلك المأمور به خالصا كما يريده ويرتضيه الا في مدة متطاولة لقلة عمال الله والخلص من عباده وقلة الأعمال الصاعدة لأنه لا يوصف بالصعود الا الخالص ودل عليه قوله على أثره قليلا ما تشكرون أو يدبر أمر الدنيا كلها من السماء الى الأرض لكل يوم من أيام الله وهو ألف سنة كما قال وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون (ثم يعرج اليه) أي يصير اليه ويثبت عنده ويكتب في صحف ملائكته كل وقت من أوقات هذه المدة ما يرتفع من ذلك الأمر ويدخل تحت الوجود الى أن تبلغ المدة آخرها ثم يدبر أيضا ليوم آخر وهلم جرا الى أن تقوم الساعة وقيل ينزل الوحي مع جبريل عليه السلام من السماء الى الأرض ثم يرجع اليه ما كان من قبول الوحي أو رده مع جبريل وذلك في وقت هو في الحقيقة ألف سنة لأن المسافة مسيرة ألف سنة في الهبوط والصعود لأن ما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة سنة وهو يوم من أيامكم لسرعة جبريل لأنه يقطع مسيرة ألف سنة في يوم واحد وقيل يدبر أمر الدنيا من السماء الى الأرض الى أن تقوم الساعة ثم يعرج اليه ذلك الأمر كله أي يصير اليه ليحكم فيه (في يوم كان مقداره ألف سنة) وهو يوم القيامة وقرأ ابن أبي عبلة يعرج على البناء للمفعول * وقرئ يعدون بالتاء والياء (أحسن كل شيء) حسنه لأنه ما من شيء خلقه الا وهو مرتب على ما اقتضته الحكمة وأوجبته المصلحة فجميع المخلوقات حسنة وان تفاوتت الى حسن وأحسن كما قال لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم وقيل علم كيف يخلقه من قوله قيمة المرء ما يحسن وحقيقته يحسن معرفته أي يعرفه معرفة حسنة بتحقيق واتقان وقرئ خلقه على البدل أي أحسن فقد خلق كل شيء وخلقه على الوصف أي كل شيء خلقه فقد أحسنه * سميت الذرية نسلا لأنها تنسل منه أي

تفصل

تنفصل منه وتخرج من صلبه ونحوه قولهم الولد سليل ونجل و (سواه) قومه كقوله تعالى في أحسن تقويم
* ودل بإضافة الروح إلى ذاته على أنه خلق عجيب لا يعلم كنهه إلا هو كقوله ويسألونك عن الروح الآية
كأنه قال ونفخ فيه من الشيء الذي اختص هو به وبمعرفته (وقالوا) قيل القائل أبي بن خلف ولرضاهم بقوله
أسند إليهم جميعاً * وقرئ أئنا وإنا على الاستفهام وتركه (ضللنا) صرنا تراباً وذهبنا مختلطين بتراب الأرض
لا نتميز منه كما يضل الماء في اللبن أو غبنا (في الأرض) بالدفن فيها من قوله * وآب مضلوه بعين جلية * وقرأ
علي وابن عباس رضي الله عنهما ضللنا بكسر اللام يقال ضل يضل وضل يضل وقرأ الحسن رضي الله عنه صللنا
من صل اللحم وأصل إذا أنتن وقيل صرنا من جنس الصلة وهي الأرض (فإن قلت) بم انتصب الظرف في
أإذا ضللنا (قلت) بما يدل عليه أإنا لفي خلق جديد وهو نبعث أو يجدد خلقنا * لقاء ربهم هو الوصول إلى
العاقبة من تلقي ملك الموت وما وراءه فلما ذكر كفرهم بالإنشاء أضرب عنه إلى ما هو أبلغ في الكفر وهو أنهم
كافرون بجميع ما يكون في العاقبة لا بالإنشاء وحده ألا ترى كيف خوطبوا بتوفي ملك الموت وبالرجوع إلى
ربهم بعد ذلك مبعوثين للحساب والجزاء وهذا معنى لقاء الله على ما ذكرنا * والتوفي استيفاء النفس وهي
الروح قال الله تعالى الله يتوفى الأنفس وقال أخرجوا أنفسكم وهو أن يقبض كلها لا يترك منها شيء من قولك
توفيت حقي من فلان واستوفيته إذا أخذته وافياً كاملاً من غير نقصان والتفعل والاستفعال يلتقيان في
مواضع منها تقصيته واستقصيته وتعجلته واستعجلته وعن مجاهد رضي الله عنه حويت لملك الموت الأرض
وجعلت له مثل الطست يتناول منها حيث يشاء وعن قتادة يتوفاهم ومعه أعوان من الملائكة وقيل ملك
الموت يدعو الأرواح فتجيبه ثم يأمر أعوانه بقبضها (ولو ترى) يجوز أن يكون خطاباً لرسول الله صلى الله عليه
وسلم وفيه وجهان أن يراد به التمني كأنه قال وليتك ترى كقوله صلى الله عليه وسلم للمغيرة لو نظرت إليها والتمني
لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما كان الترجي له في لعلهم يهتدون لأنه تجرع منهم الغصص ومن عداوتهم
وضرارهم فجعل الله له تمني أن يراهم على تلك الصفة الفظيعة من الحياء والخزي والغم ليشمت بهم وأن تكون
لو الامتناعية قد حذف جوابها وهو لرأيت أمراً فظيعاً أو لرأيت أسوأ حال ترى ويجوز أن يخاطب به كل أحد
كما تقول فلان لئيم إن أكرمته أهانك وإن أحسنت إليه أساء إليك فلا تريد به مخاطباً بعينه فكأنك قلت إن
أكرم وإن أحسن إليه ولو وإذ كلاهما للمضي وإنما جاز ذلك لأن المترقب من الله بمنزلة الموجود المقطوع به في
تحققه ولا يقدر لترى ما يتناوله كأنه قيل ولو تكون منك الرؤية وإذ ظرف له * يستغيثون بقولهم (ربنا
أبصرنا وسمعنا) فلا يغاثون يعني أبصرنا صدق وعدك ووعيدك وسمعنا منك تصديق رسلك أو كنا عمياً وصماً
فأبصرنا وسمعنا (فارجعنا) هي الرجعة إلى الدنيا (لآتينا كل نفس هداها) على طريق الإلجاء والقسر
ولكننا بنينا الأمر على الاختيار دون الاضطرار فاستحبوا العمى على الهدى فحقت كلمة العذاب على أهل
العمى دون البصراء ألا ترى إلى ما عقبه به من قوله (فذوقوا بما نسيتم) فجعل ذوق العذاب نتيجة فعلهم من
نسيان العاقبة وقلة الفكر فيها وترك الاستعداد لها والمراد بالنسيان خلاف التذكر يعني أن الانهماك في
الشهوات أذهلكم وألهاكم عن تذكر العاقبة وسلط عليكم نسيانها ثم قال (إنا نسيناكم) على المقابلة أي
جازيناكم جزاء نسيانكم وقيل هو بمعنى الترك أي تركتم الفكر في العاقبة فتركناكم من الرحمة وفي استئناف
قوله إنا نسيناكم وبناء الفعل على إن واسمها تشديد في الانتقام منهم والمعنى فذوقوا هذا أي ما أنتم فيه من
نكس الرؤس والخزي والغم بسبب نسيان اللقاء * وذوقوا العذاب المخلد في جهنم بسبب ما عملتم من
المعاصي والكبائر الموبقة (إذا ذكروا بها) أي وعظوا سجدوا تواضعاً لله وخشوعاً وشكراً على ما رزقهم من
الإسلام (وسبحوا بحمد ربهم) ونزهوا الله من نسبة القبائح إليه وأثنوا عليه حامدين له (وهم لا يستكبرون)
كما يفعل من يصر مستكبراً كأن لم يسمعها ومثله قوله تعالى إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون
للأذقان سجداً ويقولون سبحان ربنا (تتجافى) ترتفع وتتنحى (عن المضاجع) عن الفرش ومواضع النوم
* داعين ربهم عابدين له لأجل خوفهم من سخطه وطمعهم في رحمته وهم المتهجدون وعن رسول الله صلى
الله عليه وسلم في تفسيرها قيام العبد من الليل وعن الحسن رضي الله عنه أنه التهجد وعن رسول الله

ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون وقالوا أإذا ضللنا في الأرض أإنا لفي خلق جديد بل هم بلقاء ربهم كافرون قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم إلى ربكم ترجعون ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحاً إنا موقنون ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا إنا نسيناكم وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا بها خروا سجداً وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون تتجافى جنوبهم عن المضاجع

* قوله تعالى وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون (قال معناه بما كنتم تعملون من الكفر والكبائر الموبقة) قال أحمد قد تقدم من مذاهب أهل السنة أن المقتضي لاستحقاق الخلود في العذاب هو الكفر خاصة وأما ما دونه من الكبائر فلا يوجب

شغلوا والمسئلة سمعية وأدلتها من الكتاب والسنة قطعية خلافا للقدرية * قوله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون (قال هذا حسم لاطماع المتمنين) قال أحمد يشير الى أهل السنة لاعتقادهم أن المؤمن العاصي موعود بالجنة ولا بد من دخوله اياها وفاء بالوعد الصادق وان أحدا لا يستحق على الله بعمله شيئا فلما وجد قوله تعالى جزاء بما كانوا يعملون اغتنم الفرصة في الاستشهاد على معتقد القدرية في ان الاعمال أسباب موجبة للجزاء ولا دليل في ذلك لمعتقدهم مع قوله صلى الله عليه وسلم لا يدخل أحد منكم الجنة بعمله قيل ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا الا أن يتغمدني الله بفضل منه ورحمة فهذا الحديث يوجب حمل الآية على وجه يجمع بينها وبينه وذلك اما أن تحمل الآية على ان المراد منها قسمة المنازل بينهم في الجنة فانها على حسب الاعمال وليس بذلك فان المذكور في الآية مجرد دخول الجنة لا اقتسام درجاتها وأما ان تحمل وهو الظاهر والله أعلم على ان الله تعالى لما وعد المؤمن جنته ووعده يجب ان يكون حقا وصدقا تعالى وتقدس صارت الاعمال بالوعد كأنها أسباب موجبات فعوملت في هذه العبارة معاملتها والمقصود من ذلك تأكيد صدق الوعد في النفوس وتصويره بصورة المستحق بالعمل كالاجرة المستحقة شاهدا على العمل من باب مجاز التشبيه والله أعلم وذكر الزمخشري الحديث المشهور وهو أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر اقرؤا ان شئتم فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين وكان جدي رحمه الله يستحسن ان تقرأ الآية تلو الحديث المذكور بسكون الياء من أخفي ورده الى المتكلم وهي من القراآت المستفيضة والسبب في اختيار ذلك مطابقة صدر الحديث ... الا عين رأت ولا أذن سمعت ليكون الكل راجعا الى الله تعالى مسندا الى ... من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر لعلهم يرجعون (قال) معناه

صلى الله عليه وسلم اذا جمع الله الاولين والآخرين يوم القيامة جاء مناد ينادي بصوت يسمع الخلائق كلهم سيعلم أهل الجمع اليوم من أولى بالكرم ثم يرجع فينادي ليقم الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم قليل ثم يرجع فينادي ليقم الذين كانوا يحمدون الله في البأساء والضراء فيقومون وهم قليل فيسرحون جميعا الى الجنة ثم يحاسب سائر الناس وعن أنس بن مالك رضي الله عنه كان أناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلون من صلاة المغرب الى صلاة العشاء الآخرة فنزلت فيهم وقيل هم الذين يصلون صلاة العتمة لا ينامون عنها (ما أخفي لهم) على البناء للمفعول ما أخفي لهم على البناء للفاعل وهو الله سبحانه وما أخفي لهم وما نخفي لهم وما أخفيت لهم الثلاثة للمتكلم وهو الله سبحانه وما بمعنى الذي أو بمعنى أي * وقرئ من قرة أعين وقرات أعين والمعنى لا تعلم النفوس كلهن ولا نفس واحدة منهن لا ملك مقرب ولا نبي مرسل أي نوع عظيم من الثواب ادخر الله لاولئك واخفاه من جميع خلائقه لا يعلمه الا هو مما تقر به عيونهم ولا مزيد على هذه العدة ولا مطمح وراءها ثم قال (جزاء بما كانوا يعملون) فحسم أطماع المتمنين وعن النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما أطلعتم عليه اقرؤا ان شئتم فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين وعن الحسن رضي الله عنه أخفى القوم أعمالا في الدنيا فأخفى الله لهم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت (كان مؤمنا) و (كان فاسقا) محمولان على لفظ من و (لا يستوون) محمول على المعنى بدليل قوله تعالى (أما الذين آمنوا * وأما الذين فسقوا * ونحوه قوله تعالى ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك و (جنات المأوى) نوع من الجنان قال الله تعالى ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى سميت بذلك لما روي عن ابن عباس رضي الله عنه قال تأوي اليها أرواح الشهداء وقيل هي عن يمين العرش وقرئ جنة المأوى على التوحيد (نزلا) عطاء باعمالهم والنزل عطاء النازل ثم صار عاما (فمأواهم النار) أي ملجؤهم ومنزلهم ويجوز أن يراد فجنة مأواهم النار أي النار لهم مكان جنة المأوى للمؤمنين كقوله فبشرهم بعذاب أليم (العذاب الادنى) عذاب الدنيا من القتل والاسر وما محنوا به من السنة سبع سنين وعن مجاهد رضي الله عنه عذاب القبر و (العذاب الاكبر) عذاب الآخرة أي نذيقهم عذاب الدنيا قبل أن يصلوا الى الآخرة (لعلهم يرجعون) أي يتوبون عن الكفر أو لعلهم يريدون الرجوع ويطلبونه كقوله تعالى فارجعنا نعمل صالحا وسميت ارادة الرجوع رجوعا كما سميت ارادة القيام قياما في قوله تعالى اذا قمتم الى الصلاة ويدل عليه قراءة من قرأ يرجعون على البناء للمفعول (فان قلت) من أين صح تفسير الرجوع بالتوبة ولعل من الله ارادة واذا أراد الله شيئا كان ولم يمتنع وتوبتهم مما لا يكون ألا ترى أنها

يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى نزلا بما كانوا يعملون وأما الذين فسقوا فمأواهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون ولنذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر لعلهم يرجعون ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه

لعلهم يتوبون فإن قلت من أين صح تفسير الرجوع بالتوبة ولعل من الله ارادة واذا أراد الله شيأ كان ووقع وتوبتهم مما لا يكون لانهم لو تابوا لم يكونوا اذا ذائقين العذاب الاكبر قلت ارادة الله تعالى تتعلق بأفعاله وأفعال عباده فاذا أراد شيأ من أفعاله كان ولم يمتنع للاقتدار وخلوص الداعي واما أفعال عباده فاما أن يريدها وهم مختارون لها أو مضطرون اليها بقسره فان أرادها وقد قسرهم عليها فحكمها حكم أفعاله وان أرادها على أن يختاروها وهو عالم أنهم لا يختارونها لم يقدح ذلك في اقتداره كما لا يقدح (٢٠٣) في اقتدارك ارادتك أن يختار عبدك الطاعة لك وهو لا يختارها لان اختياره لا يتعلق بقدرتك فلا يكون فقده دالا على عجزك (قال أحمد) هذا الفصل ردىء جدا مفرع على

لو كانت مما يكون لم يكونوا اذا ذائقين العذاب الاكبر (قلت) ارادة الله تتعلق بأفعاله وأفعال عباده فاذا أراد شيأ من أفعاله كان ولم يمتنع للاقتدار وخلوص الداعي وأما أفعال عباده فاما أن يريدها وهم مختارون لها أو مضطرون اليها بقسره والجائه فان أرادها وقد قسرهم عليها فحكمها حكم أفعاله وان أرادها على أن يختاروها وهو عالم أنهم لا يختارونها لم يقدح ذلك في اقتداره كما لا يقدح في اقتدارك ارادتك أن يختار عبدك طاعتك وهو لا يختارها لان اختياره لا يتعلق بقدرتك واذا لم يتعلق بقدرتك لم يكن فقده دالا على عجزك وروي في نزولها أنه شجر بين علي بن أبي طالب رضي الله عنه والوليد بن عقبة بن أبي معيط يوم بدر كلام فقال له الوليد اسكت فانك صبي أنا أشب منك شبابا وأجلد منك جلدا وأذرب منك لسانا وأحد منك سنانا وأشجع منك جنانا وأملأ منك حشوا في الكتيبة فقال له علي رضي الله عنه اسكت فانك فاسق فنزلت عامة للمؤمنين والفاسقين فتناولتهما وكل من كان في مثل حالهما وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما أنه قال للوليد كيف تشتم عليا وقد سماه الله مؤمنا في عشر آيات وسماك فاسقا * ثم في قوله (ثم أعرض عنها) للاستبعاد والمعنى أن الاعراض عن مثل آيات الله في وضوحها وانارتها وارشادها الى سواء السبيل والفوز بالسعادة العظمى بعد التذكير بها مستبعد في العقل والعدل كما تقول لصاحبك وجدت مثل تلك الفرصة ثم لم تنتهزها استبعادا لتركه الانتهاز ومنه ثم في بيت الحماسة لا يكشف الغماء الا ابن حرة * يرى غمرات الموت ثم يزورها استبعد أن يزور غمرات الموت بعد أن رآها واستيقنها واطلع على شدتها * (فان قلت) هلا قيل انا منه منتقمون (قلت) لما جعله أظلم كل ظالم ثم توعد المجرمين عامة بالانتقام منهم فقد دل على اصابة الاظلم النصيب الاوفر من الانتقام ولو قاله بالضمير لم يفد هذه الفائدة (الكتاب) للجنس والضمير في (لقائه) له ومعناه انا آتينا موسى عليه السلام مثل ما آتيناك من الكتاب ولقيناه مثل ما لقيناك من الوحي فلا تكن في شك من أنك لقيت مثله ولقيت نظيره كقوله تعالى فان كنت في شك مما أنزلنا اليك فاسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك ونحوه قوله من لقائه قوله وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم وقوله ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا * وجعلنا الكتاب المنزل على موسى عليه السلام (هدى) لقومه (وجعلنا منهم أئمة يهدون) الناس ويدعونهم الى ما في التوراة من دين الله وشرائعه لصبرهم وايقانهم بالآيات وكذلك لنجعلن الكتاب المنزل اليك هدى ونورا ولنجعلن من أمتك أئمة يهدون مثل تلك الهداية لما صبروا عليه من نصرة الدين وثبتوا عليه من اليقين وقيل من لقائك موسى عليه السلام ليلة الاسراء أو يوم القيامة وقيل من لقاء موسى عليه السلام الكتاب أي من تلقيه له بالرضا والقبول * وقرئ لما صبروا ولما صبروا أي لصبرهم وعن الحسن رضي الله عنه صبروا عن الدنيا وقيل انما جعل الله التوراة هدى لبني اسرائيل خاصة ولم يتعبد بما فيها ولد اسمعيل عليه السلام (يفصل بينهم) يقضي فيميز المحق في دينه من المبطل * الواو في (أولم يهد) للعطف على معطوف عليه منوي من جنس المعطوف والضمير في (لهم) لاهل مكة وقرئ بالنون والياء والفاعل ما دل عليه (كم أهلكنا) لان كم لا تقع فاعلة لا يقال جاءني كم رجل تقديره أولم يهد لهم كثرة اهلاكنا القرون أو هذا الكلام كما هو بمضمونه ومعناه كقولك يعصم لا اله الا الله الدماء والاموال ويجوز أن يكون فيه ضمير الله بدلالة القراءة بالنون و(القرون) عاد وثمود وقوم لوط (يمشون في مساكنهم) يعني أهل مكة يمرون في

ثم أعرض عنها انا من المجرمين منتقمون ولقد آتينا موسى الكتاب فلا تكن في مرية من لقائه وجعلناه هدى لبني اسرائيل وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون ان ربك هو يفصل بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون أولم يهد لهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم ان في ذلك لآيات أفلا يسمعون أولم يروا أنا نسوق الماء الى الارض

الاثر الثالث الجلي لا على الاثر الثالث الخفي فاعتصم بدليل الوحدانية على رده واجتنابه عن أصله والله المستعان وانما جرى في تفسيره على الارادة والحق في تفسيرها انها ترجي للمخاطبين امتناع الترجي على الله تعالى كما تقدم تفسيرها في مثله بما تقدم والله أعلم * قوله تعالى وأما الذين فسقوا فمأواهم النار (قال سبب نزولها انه شجر بين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه والوليد بن عقبة يوم بدر كلام فقال له الوليد اسكت فانك صبي أنا أشب منك شبابا وأجلد جلدا وأذرب لسانا وأحد منك سنانا وأشجع جنانا وأملأ حشوا في الكتيبة فقال له علي اسكت فانك فاسق قال الزمخشري فنزلت عامة للمؤمنين والكافرين تتناولهما (قال أحمد كون السبب المحقق لان المراد بالفاسق وبالذين فسقوا

متاجرهم على ديارهم وبلادهم وقرئ يمشون بالتشديد (الجرز) الارض التى جرز نباتها أى قطع اما لعدم الماء واما لانه رعى وأزيل ولا يقال للتى لا تنبت كالسباخ جرز ويدل عليه قوله (فنخرج به زرعا) وعن ابن عباس رضى الله عنه أنها أرض اليمن وعن مجاهد رضى الله عنه هى أبين * به بالماء (تأكل) من الزرع (أنعامهم) من عصفه (وأنفسهم) من حبه وقرئ يأكل بالياء * الفتح النصر أو الفصل بالحكومة من قوله ربنا افتح بيننا وكان المسلمون يقولون ان الله سيفتح لنا على المشركين أو يفتح بيننا وبينهم فاذا سمع المشركون قالوا (متى هذا الفتح) أى فى أى وقت يكون (ان كنتم صادقين) فى أنه كائن و(يوم الفتح) يوم القيامة وهو يوم الفصل بين المؤمنين وأعدائهم ويوم نصرهم عليهم وقيل هو يوم بدر وعن مجاهد والحسن رضى الله عنهما يوم فتح مكة (فان قلت) قد سألوا عن وقت الفتح فكيف ينطبق هذا الكلام جوابا على سؤالهم (قلت) كان غرضهم فى السؤال عن وقت الفتح استعجالا منهم على وجه التكذيب والاستهزاء فأجيبوا على حسب ما عرف من غرضهم فى سؤالهم فقيل لهم لا تستعجلوا به ولا تستهزؤا فكأنى بكم وقد حصلتم فى ذلك اليوم وآمنتم فلم ينفعكم الايمان واستنظرتم فى ادراك العذاب فلم تنظروا (فان قلت) فمن فسره بيوم الفتح أو بيوم بدر كيف يستقيم على تفسيره ان لا ينفعهم الايمان وقد نفع الطلقاء يوم فتح مكة وناسا يوم بدر (قلت) المراد أن المقتولين منهم لا ينفعهم ايمانهم فى حال القتل كما لم ينفع فرعون ايمانه عند ادراك الغرق (وانتظر) النصرة عليهم وهلاكهم (انهم منتظرون) الغلبة عليكم وهلاككم كقوله تعالى فتربصوا انا معكم متربصون وقرأ ابن السميفع رحمه الله منتظرون بفتح الظاء ومعناه وانتظر هلاكهم فانهم أحقاء بأن ينتظر هلاكهم يعنى انهم هالكون لا محالة أو وانتظر ذلك فان الملائكة فى السماء ينتظرونه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ الم تنزيل وتبارك الذى بيده الملك أعطى من الاجر كأنما أحيا ليلة القدر وقال من قرأ الم تنزيل فى بيته لم يدخل الشيطان بيته ثلاثة أيام

(سورة الاحزاب مدنية وهى ثلاث وسبعون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

عن زر قال قال لى أبى بن كعب رضى الله عنه كم تعدون سورة الاحزاب قلت ثلاثا وسبعين آية قال فوالذى يحلف به أبى بن كعب ان كانت لتعدل سورة البقرة أو أطول ولقد قرأنا منها آية الرجم الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم أراد أبى رضى الله عنه أن ذلك من جملة ما نسخ من القرآن وأما ما يحكى أن تلك الزيادة كانت فى صحيفة فى بيت عائشة رضى الله عنها فأكلتها الداجن فمن تأليفات الملاحدة والروافض * جعل نداءه بالنبى والرسول فى قوله (يا أيها النبى اتق الله) يا أيها النبى لم تحرم يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك وترك نداءه باسمه كما قال يا آدم يا موسى يا عيسى يا داود كرامة له وتشريفا وربأ بمحله وتنويها بفضله (فان قلت) ان لم يوقع اسمه فى النداء فقد أوقعه فى الاخبار فى قوله محمد رسول الله وما محمد الا رسول (قلت) ذاك لتعليم الناس بأنه رسول الله وتلقين لهم أن يسموه بذلك ويدعوه به فلا تفاوت بين النداء والاخبار ألا ترى الى ما لم يقصد به التعليم والتلقين من الاخبار كيف ذكره بنحو ما ذكره فى النداء لقد جاءكم رسول من أنفسكم وقال الرسول يا رب لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة والله ورسوله أحق أن يرضوه النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم ان الله وملائكته يصلون على النبى ولو كانوا يؤمنون بالله والنبى * اتق الله واظب على ما أنت عليه من التقوى واثبت عليه وازدد منه وذلك لان التقوى باب لا يبلغ آخره (ولا تطع الكافرين والمنافقين) لا تساعدهم على شئ ولا تقبل لهم رأيا ولا مشورة وجانبهم واحترس منهم فانهم أعداء الله وأعداء المؤمنين لا يريدون الا المضارة والمضادة وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم لما هاجر الى المدينة وكان يحب اسلام اليهود قريظة والنضير وبنى قينقاع وقد بايعه ناس منهم على النفاق فكان يلين لهم جانبه ويكرم صغيرهم وكبيرهم واذا أتى منهم قبيح تجاوز عنه وكان يسمع منهم فنزلت وروى أن أبا سفيان بن حرب وعكرمة ابن أبى جهل وأبا الاعور السلمى قدموا عليه فى الموادعة التى كانت بينه وبينهم وقام معهم عبد الله بن أبى

الجرز فنخرج به زرعا تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون ويقولون متى هذا الفتح ان كنتم صادقين قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ولا هم ينظرون فأعرض عنهم وانتظر انهم منتظرون

(سورة الاحزاب مدنية وهى ثلاث وسبعون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

يا أيها النبى اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين

الذين كفروا الا نهاك لست فى الوليد وهو كافر حينئذ ثم أدرج فيه المؤمن تعميما له فى وجوب خلوده فساق المؤمنين كفساق الكافرين فلم يزل يورد هذه المقالة الفرائد ولقد اتسع الخرق على الراقع

ومعتب بن قشير والجد بن قيس فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ارفض ذكر آلهتنا وقل انها تشفع وتنفع وندعك وربك فشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين وهموا بقتلهم فنزلت أي اتق الله في نقض العهد ونبذ الموادعة ولا تطع الكافرين من أهل مكة والمنافقين من أهل المدينة فيما طلبوا اليك وروى أن أهل مكة دعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أن يرجع عن دينه ويعطوه شطر أموالهم وأن يزوجه شيبة ابن ربيعة بنته وخوفه منافقو المدينة أنهم يقتلونه ان لم يرجع فنزلت (ان الله كان عليما) بالصواب من الخطأ والمصلحة من المفسدة (حكيما) لا يفعل شيئا ولا يأمر به الا بداعي الحكمة (واتبع ما يوحى اليك) في ترك طاعة الكافرين والمنافقين وغير ذلك (ان الله) الذي يوحى اليك خبير (بما تعملون) فموح اليك ما يصلح به أعمالكم فلا حاجة بكم الى الاستماع من الكفرة وقرئ يعملون بالياء أي بما يعمل المنافقون من كيدهم لكم ومكرهم بكم (وتوكل على الله) وأسند أمرك اليه وكله الى تدبيره (وكيلا) حافظا موكولا اليه كل أمر * ما جمع الله قلبين في جوف ولا زوجية وأمومة في امرأة ولا بنوة ودعوة في رجل والمعنى ان الله سبحانه كما لم ير في حكمته أن يجعل للانسان قلبين لانه لا يخلو اما أن يفعل بأحدهما مثل ما يفعل بالآخر من أفعال القلوب فأحدهما فضلة غير محتاج اليها واما أن يفعل بهذا غير ما يفعل بذاك فذلك يؤدي الى اتصاف الجملة بكونه مريدا كارها عالما ظانا موقنا شاكا في حالة واحدة لم ير أيضا أن تكون المرأة الواحدة أما لرجل زوجا له لان الام مخدومة مخفوض لها جناح الذل والزوجة مستخدمة متصرف فيها بالاستفراش وغيره كالمملوكة وهما حالتان متنافيتان وأن يكون الرجل الواحد دعيا لرجل وابنا له لان البنوة أصالة في النسب وعراقة فيه والدعوة الصاق عارض بالتسمية لا غير ولا يجتمع في الشيء الواحد أن يكون أصيلا غير أصيل وهذا مثل ضربه الله في زيد بن حارثة وهو رجل من كلب سبي صغيرا وكانت العرب في جاهليتها يتغاورون ويتسابون فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة فلما تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهبته له وطلبه أبوه وعمه فخير فاختار رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعتقه وكانوا يقولون زيد بن محمد فأنزل الله عز وجل هذه الآية وقوله ما كان محمد أبا أحد من رجالكم وقيل كان أبو معمر رجلا من أحفظ العرب وأرواهم فقيل له ذو القلبين وقيل هو جميل بن أسد الفهري وكان يقول ان لي قلبين أفهم بأحدهما أكثر مما يفهم محمد فروى انه انهزم يوم بدر فمر بأبي سفيان وهو معلق احدى نعليه بيده والاخرى في رجله فقال له ما فعل الناس فقال هم ما بين مقتول وهارب فقال له ما بال احدى نعليك في رجلك والاخرى في يدك فقال ما ظننت الا أنهما في رجلي فأكذب الله قوله وقولهم وضربه مثلا في الظهار والتبني وعن ابن عباس رضي الله عنهما كان المنافقون يقولون لمحمد قلبان فأكذبهم الله وقيل سها في صلاته فقالت اليهود له قلبان قلب مع أصحابه وقلب معكم وعن الحسن نزلت في أن الواحد يقول نفس تأمرني ونفس تنهاني * والتنكير في رجل وادخال من الاستغراقية على قلبين تأكيدان لما قصد من المعنى كأنه قال ما جعل الله لامة الرجال ولا لواحد منهم قلبين البتة في جوفه * (فان قلت) أي فائدة في ذكر الجوف (قلت) الفائدة فيه كالفائدة في قوله القلوب التي في الصدور وذلك ما يحصل للسامع من زيادة التصور والتجلي للمدلول عليه لانه اذا سمع به صور لنفسه جوفا يشتمل على قلبين فكان أسرع الى الانكار * وقرئ اللائي بياء وهمزة مكسورتين واللاي بياء ساكنة بعد الهمزة * وتظاهرون من ظاهر وتظاهرون من اظاهر بمعنى تظاهر وتظهرون من أظهر بمعنى تظهر وتظهرون من ظهر بمعنى ظاهر كعقد بمعنى عاقد وتظهرون من ظهر بلفظ فعل من الظهور ومعنى ظاهر من امرأته قال لها أنت علي كظهر أمي ونحوه في العبارة عن اللفظ لبى المحرم اذا قال لبيك وأفف الرجل اذا قال أف وأخوات لهن (فان قلت) فما وجه تعديته وأخواته بمن (قلت) كان الظهار طلاقا عند أهل الجاهلية فكانوا يتجنبون المرأة المظاهر منها كما يتجنبون المطلقة فكان قولهم تظاهر منها تباعد منها بجهة الظهار وتظهر منها تحرز منها وظاهر منها حاذر منها وظهر منها وحش منها وظهر منها خلص منها ونظيره آلى من امرأته لما ضمن معنى التباعد منها عدى بمن والا فآلى في أصله الذي هو بمعنى حلف وأقسم ليس هذا بحكمه (فان قلت) ما معنى

ان الله كان عليما حكيما واتبع ما يوحى اليك من ربك ان الله كان بما تعملون خبيرا وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم

التأويلات في سورة الأحزاب

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* قوله تعالى ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه (قال) أشد ما ذكر فيه من التأويلات انهم كانوا يدعون لابن خطل قلبين فنفى الله عنه ذلك وعن جميع ما كانوا يقولونه من الأقاويل المتناقضة كجعل الأدعياء أبناء والزوجات أمهات قال وهذه الأمور الثلاثة متناقضة أما الأول فلانه يلزم من اجتماع القلبين قيام أحد المتضادين بأحدهما وضده في الآخر وذلك كالعلم والجهل والأمن والخوف وغير ذلك وأما الثاني فلان الزوجة في مقام الامتهان والام في محل الاكرام فتنافي أن تكون الزوجة أما وأما الثالث فلان البنوة أصالة وعراقة والدعوة لاصقة عارضة فهما متنافيان وذكر الجوف ليصور به صورة اجتماع القلبين فيه حتى يبادره السامع بالانكار

قولهم أنت علي كظهر أمي (قلت) أرادوا أن يقولوا أنت علي حرام كبطن أمي فكنوا عن البطن بالظهر لئلا يذكروا البطن الذي ذكره يقارب ذكر الفرج وانما جعلوا الكناية عن البطن بالظهر لأنه عمود البطن ومنه حديث عمر رضي الله عنه يجيء به أحدهم على عمود بطنه أراد على ظهره ووجه آخر وهو أن اتيان المرأة وظهرها الى السماء كان محرما عندهم محظورا وكان أهل المدينة يقولون اذا أتيت المرأة ووجهها الى الارض جاء الولد أحول فلقصد المطلق منهم الى التغليظ في تحريم امرأته عليه شبهها بالظهر ثم لم يقنع بذلك حتى جعله ظهر أمه فلم يترك * (فان قلت) الدعي فعيل بمعنى مفعول وهو الذي يدعى ولدا فماله جمع على أفعلاء وبابه ما كان منه بمعنى فاعل كتقي وأتقياء وشقي وأشقياء ولا يكون ذلك في نحو رمي وسمي (قلت) ان شذوذه عن القياس كشذوذ قتلاء وأسراء والطريق في مثل ذلك التشبيه اللفظي (ذلكم) النسب هو (قولكم بأفواهكم) هذا ابني لا غير من غير أن يواطئه اعتقاد لصحته وكونه حقا * والله عز وجل لا يقول الا ما هو حق ظاهره وباطنه ولا يهدي الا سبيل الحق * ثم قال ما هو الحق وهدى الى ما هو سبيل الحق وهو قوله (ادعوهم لآبائهم) وبين أن دعاءهم لآبائهم هو أدخل الامرين في القسط والعدل وفي فصل هذه الجمل ووصلها من الحسن والفصاحة ما لا يغبى على عالم بطرق النظم * وقرأ قتادة وهو الذي يهدي السبيل وقيل كان الرجل في الجاهلية اذا أعجبه جلد الرجل وظرفه ضمه الى نفسه وجعل له مثل نصيب الذكر من أولاده من ميراثه وكان ينسب اليه فيقال فلان ابن فلان (فان لم تعلموا) لهم آباء تنسبونهم اليهم (فـ)ـهم (اخوانكم في الدين) وأولياؤكم في الدين فقولوا هذا أخي وهذا مولاي ويا أخي ويا مولاي يريد الاخوة في الدين والولاية فيه (ما تعمدت) في محل الجر عطفا على ما أخطأتم ويجوز أن يكون مرتفعا على الابتداء والخبر محذوف تقديره ولكن ما تعمدت قلوبكم فيه الجناح والمعنى لا اثم عليكم فيما فعلتموه من ذلك مخطئين جاهلين قبل ورود النهي ولكن الاثم فيما تعمدتموه بعد النهي أو لا اثم عليكم اذا قلتم لولد غيركم يا بني على سبيل الخطأ وسبق اللسان ولكن اذا قلتموه متعمدين ويجوز أن يراد العفو عن الخطأ دون العمد على طريق العموم كقوله عليه الصلاة والسلام ما أخشى عليكم الخطأ ولكن أخشى عليكم العمد وقوله عليه الصلاة والسلام وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما أكرهوا عليه ثم تناول لعمومه خطأ التبني وعمده (فان قلت) فاذا وجد التبني فما حكمه (قلت) اذا كان المتبنى مجهول النسب وأصغر سنا من المتبني ثبت نسبه منه وان كان عبدا له عتق مع ثبوت النسب وان كان لا يولد مثله لمثله لم يثبت النسب ولكنه يعتق عند أبي حنيفة رحمه الله تعالى وعند صاحبيه لا يعتق وأما المعروف النسب فلا يثبت نسبه بالتبني وان كان عبدا عتق (وكان الله غفورا رحيما) لعفوه عن الخطأ وعن العمد اذا تاب العامد (النبي أولى بالمؤمنين) في كل شيء من أمور الدين والدنيا (من أنفسهم) ولهذا أطلق ولم يقيد فيجب عليهم أن يكون أحب اليهم من أنفسهم وحكمه أنفذ عليهم من حكمها وحقه آثر لديهم من حقوقها وشفقتهم عليه أقدم من شفقتهم عليها وأن يبذلوها دونه ويجعلوها فداءه اذا أعضل خطب ووقاءه اذا لقحت حرب وأن لا يتبعوا ما تدعوهم اليه نفوسهم ولا ما تصرفهم عنه ويتبعوا كل ما دعاهم اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصرفهم عنه لان كل ما دعا اليه فهو ارشاد لهم الى نيل النجاة والظفر بسعادة الدارين وما صرفهم عنه فأخذ بحجزهم لئلا يتهافتوا فيما يرمي بهم الى الشقاوة وعذاب النار أو هو أولى بهم على معنى أنه أرأف بهم وأعطف عليهم وأنفع لهم كقوله تعالى بالمؤمنين رؤف رحيم وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما من مؤمن الا أنا أولى به في الدنيا والآخرة اقرؤا ان شئتم النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم فأيما مؤمن هلك وترك مالا فليرثه عصبته من كانوا وان ترك دينا أو ضياعا فالي وفي قراءة ابن مسعود النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو أب لهم وقال مجاهد كل نبي فهو أبو أمته ولذلك صار المؤمنون اخوة لان النبي صلى الله عليه وسلم أبوهم في الدين (وأزواجه أمهاتهم) تشبيه لهن بالامهات في بعض الاحكام وهو وجوب تعظيمهن واحترامهن وتحريم نكاحهن قال الله تعالى ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا وهن فيما وراء ذلك بمنزلة الاجنبيات ولذلك قالت عائشة رضي الله عنها لسنا أمهات النساء تعني أنهن انما كن أمهات الرجال لكونهن محرمات عليهم كتحريم أمهاتهم والدليل على ذلك أن هذا

وما جعل أدعياءكم أبناءكم
ذلكم قولكم بأفواهكم
والله يقول الحق وهو
يهدي السبيل ادعوهم
لآبائهم هو أقسط
عند الله فان لم تعلموا
آباءهم فاخوانكم في
الدين ومواليكم وليس
عليكم جناح فيما
أخطأتم به ولكن ما
تعمدت قلوبكم وكان
الله غفورا رحيما النبي
أولى بالمؤمنين من
أنفسهم وأزواجه
أمهاتهم وأولوا الارحام
بعضهم أولى ببعض

التحريم لم يتعد الى بناتهن وكذلك لم يثبت لهن سائر أحكام الامهات كان المسلمون في صدر الاسلام يتوارثون بالولاية في الدين وبالهجرة لا بالقرابة كما كانت تتألف قلوب قوم باسهام لهم في الصدقات ثم نسخ ذلك لما دجا الاسلام وعز أهله وجعل التوارث بحق القرابة (في كتاب الله) في اللوح أو فيما أوحى الى نبيه وهو هذه الآية أو في آية المواريث أو فيما فرض الله كقوله كتاب الله عليكم (من المؤمنين والمهاجرين) يجوز أن يكون بيانا لاولى الارحام أي الاقرباء من هؤلاء بعضهم أولى بان يرث بعضا من الاجانب ويجوز أن يكون لابتداء الغاية أي أولو الارحام بحق القرابة أولى بالميراث من المؤمنين بحق الولاية في الدين ومن المهاجرين بحق الهجرة * (فان قلت) مم استثنى (أن تفعلوا) (قلت) من أعم العام في معنى النفع والاحسان كما تقول القريب أولى من الاجنبي الا في الوصية تريد أنه أحق منه في كل نفع من ميراث وهبة وهدية وصدقة وغير ذلك الا في الوصية والمراد بفعل المعروف التوصية لانه لا وصية لوارث وعدى تفعلوا بالى لانه في معنى تسدوا وتزلوا والمراد بالاولياء المؤمنون والمهاجرون للولاية في الدين (ذلك) اشارة الى ما ذكر في الآيتين جميعا وتفسير الكتاب ما مر آنفا والجملة مستأنفة كالخاتمة لما ذكر من الاحكام * (و) اذكر حين (أخذنا من النبيين) جميعا (ميثاقهم) بتبليغ الرسالة والدعاء الى الدين القيم (ومنك) خصوصا (ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى) وانما فعلنا ذلك (ليسأل) الله يوم القيامة عند تواقف الاشهاد المؤمنين الذين صدقوا عهدهم ووفوا به من جملة من أشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى (عن صدقهم) عهدهم وشهادتهم فيشهد لهم الانبياء بانهم صدقوا عهدهم وشهادتهم وكانوا مؤمنين أو ليسأل المصدقين للانبياء عن تصديقهم لان من قال للصادق صدقت كان صادقا في قوله أو ليسأل الانبياء ما الذي أجابتهم به أممهم وتأويل مسئلة الرسل تبكيت الكافرين بهم كقوله أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله (فان قلت) لم قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم على نوح فمن بعده (قلت) هذا العطف لبيان فضيلة الانبياء الذين هم مشاهيرهم وذراريهم فلما كان محمد صلى الله عليه وسلم أفضل هؤلاء المفضلين قدم عليهم لبيان أنه أفضلهم ولولا ذلك لقدم من قدمه زمانه (فان قلت) فقد قدم عليه نوح عليه السلام في الآية التي هي أخت هذه الآية وهي قوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا اليك ثم قدم على غيره (قلت) مورد هذه الآية على طريقة خلاف طريقة تلك وذلك أن الله تعالى انما أوردها لوصف دين الاسلام بالاصالة والاستقامة فكأنه قال شرع لكم الدين الاصيل الذي بعث عليه نوح في العهد القديم وبعث عليه محمد خاتم الانبياء في العهد الحديث وبعث عليه من توسط بينهما من الانبياء المشاهير * (فان قلت) فماذا أراد بالميثاق الغليظ (قلت) أراد به ذلك الميثاق بعينه معناه وأخذنا منهم بذلك الميثاق ميثاقا غليظا والغلظ استعارة من وصف الاجرام والمراد عظم الميثاق وجلالة شأنه في بابه وقيل الميثاق الغليظ اليمين بالله على الوفاء بما حملوا * (فان قلت) علام عطف قوله (وأعد للكافرين) (قلت) على أخذنا من النبيين لان المعنى أن الله أكد على الانبياء الدعوة الى دينه لاجل اثابة المؤمنين وأعد للكافرين عذابا أليما أو على ما دل عليه ليسأل الصادقين كأنه قال فأثاب المؤمنين وأعد للكافرين (اذكروا) ما أنعم الله به عليكم يوم الاحزاب وهو يوم الخندق (اذ جاءتكم جنود) وهم الاحزاب فأرسل الله عليهم ريح الصبا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور (وجنودا لم تروها) وهم الملائكة وكانوا ألفا بعث الله عليهم صبا باردة في ليلة شاتية فأحصرتهم وسفت التراب في وجوههم وأمر الملائكة فقلعت الاوتاد وقطعت الاطناب وأطفأت النيران وأكفأت القدور وماجت الخيل بعضها في بعض وقذف في قلوبهم الرعب وكبرت الملائكة في جوانب عسكرهم فقال طليحة بن خويلد الاسدي أما محمد فقد بدأكم بالسحر فالنجاء النجاء فانهزموا من غير قتال وحين سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم باقبالهم ضرب الخندق على المدينة أشار عليه بذلك سلمان الفارسي رضي الله عنه ثم خرج في ثلاثة آلاف من المسلمين فضرب معسكره والخندق

(قال فيه قدم النبي صلى الله عليه وسلم على نوح لانهم ذكروا تخصيصا بعد التعميم تفضيلا لهم فقدم أفضل المخصوصين) قال أحمد وليس التقديم في الذكر بمقتض لذلك ألا ترى الى قوله [illegible] منهم [illegible] أمه [illegible]

في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين الا أن تفعلوا الى أوليائكم معروفا كان ذلك في الكتاب مسطورا واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا ليسأل الصادقين عن صدقهم وأعد للكافرين عذابا أليما يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله

فأخر ذكر النبي صلى الله عليه وسلم لختمه تشريفا له واذا ثبت أن التفضيل ليس من لوازم التقديم فيظهر والله أعلم في سر تقدمه عليه الصلاة والسلام على نوح ومن بعده في الذكر أنه هو المخاطب من بينهم والمنزل عليه هذا المتلو فكان تقدمه لذلك ثم لما قدم ذكره عليه الصلاة والسلام جرى ذكر الانبياء صلوات الله عليهم بعده على ترتيب أزمنة وجودهم والله أعلم

بينه وبين القوم وأمر بالذراري والنساء فرفعوا في الآطام واشتد الخوف وظن المؤمنون كل ظن ونجم النفاق من المنافقين حتى قال معتب بن قشير كان محمد يعدنا كنوز كسرى وقيصر لا نقدر أن نذهب إلى الغائط وكانت قريش قد أقبلت في عشرة آلاف من الأحابيش وبني كنانة وأهل تهامة وقائدهم أبو سفيان وخرج غطفان في ألف ومن تابعهم من أهل نجد وقائدهم عيينة بن حصن وعامر بن الطفيل في هوازن وضامتهم اليهود من قريظة والنضير ومضى على الفريقين قريب من شهر لا حرب بينهم إلا الترامي بالنبل والحجارة حتى أنزل الله النصر (تعملون) قرئ بالتاء والياء (من فوقكم) من أعلى الوادي من قبل المشرق بنو غطفان (ومن أسفل منكم) من أسفل الوادي من قبل المغرب قريش تحزبوا وقالوا سنكون جملة واحدة حتى نستأصل محمدا (زاغت الأبصار) مالت عن سننها ومستوى نظرها حيرة وشخوصا وقيل عدلت عن كل شيء فلم تلتفت إلا إلى عدوها لشدة الروع * الحنجرة رأس الغلصمة وهي منتهى الحلقوم والحلقوم مدخل الطعام والشراب قالوا إذا انتفخت الرئة من شدة الفزع أو الغضب أو الغم الشديد ربت وارتفع القلب بارتفاعها إلى رأس الحنجرة ومن ثمة قيل للجبان انتفخ سحره ويجوز أن يكون ذلك مثلا في اضطراب القلوب ووجيبها وإن لم تبلغ الحناجر حقيقة (وتظنون بالله الظنونا) خطاب للذين آمنوا ومنهم الثبت القلوب والأقدام والضعاف القلوب الذين هم على حرف والمنافقون الذين لم يوجد منهم الإيمان إلا بألسنتهم فظن الأولون بالله أنه يبتليهم ويفتنهم فخافوا الزلل وضعف الاحتمال وأما الآخرون فظنوا بالله ما حكى عنهم وعن الحسن ظنوا الظنونا مختلفة ظن المنافقون أن المسلمين يستأصلون وظن المؤمنون أنهم يبتلون وقرئ الظنون بغير ألف في الوصل والوقف وهو القياس وبزيادة ألف في الوقف زادوها في الفاصلة كما زادها في القافية من قال * أقلي اللوم عاذل والعتابا * وكذلك الرسولا والسبيلا وقرئ بزيادتها في الوصل أيضا إجراء له مجرى الوقف قال أبو عبيد وهن كلهن في الإمام بألف * وعن أبي عمرو إشمام زاي زلزلوا * وقرئ زلزالا بالفتح والمعنى أن الخوف أزعجهم أشد الإزعاج (إلا غرورا) قيل قائله معتب بن قشير حين رأى الأحزاب قال يعدنا محمد فتح فارس والروم وأحدنا لا يقدر أن يتبرز فرقا ما هذا إلا وعد غرور (طائفة منهم) هم أوس بن قيظي ومن وافقه على رأيه وعن السدي عبد الله بن أبي وأصحابه * ويثرب اسم المدينة وقيل أرض وقعت المدينة في ناحية منها (لا مقام لكم) قرئ بضم الميم وفتحها أي لا قرار لكم ههنا ولا مكان تقيمون فيه أو تقومون (فارجعوا) إلى المدينة أمروهم بالهرب من عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل قالوا لهم ارجعوا كفارا وأسلموا محمدا وإلا فليست يثرب لكم بمكان * قرئ عورة بسكون الواو وكسرها فالعورة الخلل والعورة ذات العورة يقال عور المكان عورا إذا بدا فيه خلل يخاف منه العدو والسارق ويجوز أن تكون عورة تخفيف عورة اعتذروا أن بيوتهم عرضة للعدو ممكنة للسراق لأنها غير محرزة ولا محصنة فاستأذنوه ليحصنوها ثم يرجعوا إليه فأكذبهم الله بأنهم لا يخافون ذلك وإنما يريدون الفرار (ولو دخلت عليهم) المدينة وقيل بيوتهم من قولك دخلت على فلان داره (من أقطارها) من جوانبها يريد ولو دخلت هذه العساكر المتحزبة التي يفرون خوفا منها مدينتهم وبيوتهم من نواحيها كلها وانثالت على أهاليهم وأولادهم ناهبين سابين (ثم سئلوا) عند ذلك الفزع وتلك الرجفة (الفتنة) أي الردة والرجعة إلى الكفر ومقاتلة المسلمين لأتوها لجاؤها وفعلوها * وقرئ لآتوها لأعطوها (وما تلبثوا بها) وما ألبثوا إعطاءها (إلا يسيرا) ريثما يكون السؤال والجواب من غير توقف أو وما لبثوا بالمدينة بعد ارتدادهم إلا يسيرا فإن الله يهلكهم والمعنى أنهم يتعللون بإعوار بيوتهم ويتمحلون ليفروا عن نصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وعن مصافة الأحزاب الذين ملؤهم هولا ورعبا وهؤلاء الأحزاب كما هم لو كبسوا عليهم أرضهم وديارهم وعرض عليهم الكفر وقيل لهم كونوا على المسلمين لسارعوا إليه وما تعللوا بشيء وما ذاك إلا لمقتهم الإسلام وشدة بغضهم لأهله وحبهم الكفر وتهالكهم على حزبه * عن ابن عباس عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة أن يمنعوه مما يمنعون منه أنفسهم وقيل هم قوم غابوا عن بدر فقالوا لئن أشهدنا الله قتالا لنقاتلن وعن محمد بن إسحق عاهدوا يوم أحد أن

بما تعملون بصيرا إذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ويستأذن فريق منهم النبي يقولون إن بيوتنا عورة وما هي بعورة إن يريدون إلا فرارا ولو دخلت عليهم من أقطارها ثم سئلوا الفتنة لآتوها وما تلبثوا بها إلا يسيرا ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار وكان

لا يفروا وما عهد فيهم ما نزل (مسؤلا) مطلوبا مقتضى حتى يوفى به (لن ينفعكم الفرار) مما لا بد لكم من
نزوله بكم من حتف أنف أو قتل * وإن نفعكم الفرار مثلا فمتعتم بالتأخير لم يكن ذلك التمتيع إلا زمانا قليلا * وعن
بعض المروانية أنه مر بحائط مائل فأسرع فتليت له هذه الآية فقال ذلك القليل نطلب * (فإن قلت)
كيف جعلت الرحمة قرينة السوء في العصمة ولا عصمة إلا من السوء (قلت) معناه أو يصيبكم بسوء إن أراد
بكم رحمة فاختصر الكلام وأجرى مجرى قوله * متقلدا سيفا ورمحا * أو حمل الثاني على الأول لما في العصمة
من معنى المنع (المعوقين) المثبطين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم المنافقون * كانوا يقولون
(لإخوانهم) من ساكني المدينة من أنصار رسول الله صلى الله عليه وسلم ما محمد وأصحابه إلا أكلة رأس ولو كانوا
لحما لالتهمهم أبو سفيان وأصحابه فخلوهم * و (هلم إلينا) أي قربوا أنفسكم إلينا وهي لغة أهل الحجاز يسوون
فيه بين الواحد والجماعة وأما تميم فيقولون هلم يا رجل وهلموا يا رجال وهو صوت سمي به فعل متعد مثل احضر
وقرب قل هلم شهداءكم (إلا قليلا) إلا إتيانا قليلا يخرجون مع المؤمنين يوهمونهم أنهم معهم ولا تراهم
يبارزون ويقاتلون إلا شيئا قليلا إذا اضطروا إليه كقوله ما قاتلوا إلا قليلا (أشحة عليكم) في وقت الحرب
أضناء بكم يترفرفون عليكم كما يفعل الرجل بالذاب عنه المناضل دونه عند الخوف (ينظرون إليك) في تلك الحالة
كما ينظر المغشي عليه من معالجة سكرات الموت حذرا وخورا ولواذا بك فإذا ذهب الخوف وحيزت الغنائم
ووقعت القسمة نقلوا ذلك الشح وتلك الضنة والرفرفة عليكم إلى الخير وهو المال والغنيمة ونسوا تلك الحالة
الأولى واجترؤا عليكم وضربوكم بألسنتهم وقالوا وفروا قسمتنا فإنا قد شاهدناكم وقاتلنا معكم وبمكاننا غلبتم
عدوكم وبنا نصرتم عليه ونصب (أشحة) على الحال أو على الذم وقرئ أشحة بالرفع وصلقوكم بالصاد * (فإن
قلت) هل يثبت للمنافق عمل حتى يرد عليه الإحباط (قلت) لا ولكنه تعليم لمن عسى يظن أن الإيمان باللسان
إيمان وإن لم يواطئه القلب وأن ما يعمل المنافق من الأعمال يجدي عليه فبين أن إيمانه ليس بإيمان وأن
كل عمل يوجد منه باطل وفيه بعث على إتقان المكلف أساس أمره وهو الإيمان الصحيح وتنبيه على أن الأعمال
الكثيرة من غير تصحيح المعرفة كالبناء على غير أساس وأنها مما يذهب عند الله هباء منثورا (فإن قلت) ما معنى
قوله (وكان ذلك على الله يسيرا) وكل شيء عليه يسير (قلت) معناه أن أعمالهم حقيقة بالإحباط تدعو إليه
الدواعي ولا يصرف عنه صارف (يحسبون) أن الأحزاب لم ينهزموا وقد انهزموا فانصرفوا عن الخندق إلى
المدينة راجعين لما نزل بهم من الخوف الشديد ودخلهم من الجبن المفرط (وإن يأت الأحزاب) كرة ثانية
تمنوا لخوفهم مما منوا به هذه الكرة أنهم خارجون إلى البدو حاصلون بين الأعراب (يسألون) كل قادم منهم
من جانب المدينة عن أخباركم وعما جرى عليكم (ولو كانوا فيكم) ولم يرجعوا إلى المدينة وكان قتال لم يقاتلوا
إلا تعلة رياء وسمعة * وقرئ بدى على فعل جمع باد كغاز وغزى وفي رواية صاحب الإقليد بدى بوزن عدى
ويساءلون أي يتساءلون ومعناه يقول بعضهم لبعض ماذا سمعت ماذا بلغك أو يتساءلون الأعراب كما تقول
رأيت الهلال وتراءيناه * كان عليكم أن تواسوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنفسكم فتؤازروه وتثبتوا معه
كما آساكم بنفسه في الصبر على الجهاد والثبات في مرحى الحرب حتى كسرت رباعيته يوم أحد وشج وجهه
(فإن قلت) فما حقيقة قوله (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) وقرئ أسوة بالضم (قلت) فيه وجهان
أحدهما أنه في نفسه أسوة حسنة أي قدوة وهو المؤتسى أي المقتدى به كما تقول في البيضة عشرون منا حديد
أي هي في نفسها هذا المبلغ من الحديد والثاني أن فيه خصلة من حقها أن يؤتسى بها وتتبع وهي المواساة
بنفسه (لمن كان يرجو الله) بدل من لكم كقوله للذين استضعفوا لمن آمن منهم * يرجو الله واليوم الآخر من
قولك رجوت زيدا وفضله أي فضل زيد أو يرجو أيام الله واليوم الآخر خصوصا والرجاء بمعنى الأمل أو
الخوف (وذكر الله كثيرا) وقرن الرجاء بالطاعات الكثيرة والتوفر على الأعمال الصالحة والمؤتسي برسول
الله صلى الله عليه وسلم من كان كذلك * وعدهم الله أن يزلزلوا حتى يستغيثوه ويستنصروه في قوله أم حسبتم
أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم فلما جاء الأحزاب وشخص بهم واضطربوا ورعبوا الرعب

عهد الله مسؤلا قل لن
ينفعكم الفرار إن فررتم
من الموت أو القتل
وإذا لا تمتعون إلا قليلا
قل من ذا الذي يعصمكم
من الله إن أراد بكم سوأ
أو أراد بكم رحمة ولا
يجدون لهم من دون
الله وليا ولا نصيرا قد
يعلم الله المعوقين منكم
والقائلين لإخوانهم
هلم إلينا ولا يأتون
البأس إلا قليلا أشحة
عليكم فإذا جاء الخوف
رأيتهم ينظرون إليك
تدور أعينهم كالذي
يغشى عليه من الموت
فإذا ذهب الخوف
سلقوكم بألسنة حداد
أشحة على الخير أولئك
لم يؤمنوا فأحبط الله
أعمالهم وكان ذلك على
الله يسيرا يحسبون
الأحزاب لم يذهبوا وإن
يأت الأحزاب يودوا لو
أنهم بادون في الأعراب
يسألون عن أنبائكم
ولو كانوا فيكم ما قاتلوا
إلا قليلا لقد كان لكم
في رسول الله أسوة
حسنة لمن كان يرجو الله
واليوم الآخر وذكر
الله كثيرا ولما رأى
المؤمنون الأحزاب

الشديد (قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله) وأيقنوا بالجنة والنصر وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه ان الاحزاب سائرون اليكم تسعا أو عشرا أي في آخر تسع ليال أو عشر فلما رأوهم قد أقبلوا للميعاد قالوا ذلك * وهذا اشارة الى الخطب أو البلاء (ايمانا) بالله وبمواعيده (وتسليما) لقضاياه وأقداره * نذر رجال من الصحابة أنهم اذا لقوا حربا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثبتوا وقاتلوا حتى يستشهدوا وهم عثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وحمزة ومصعب بن عمير وغيرهم رضي الله عنهم (فمنهم من قضى نحبه) يعني حمزة ومصعبا (ومنهم من ينتظر) يعني عثمان وطلحة وفي الحديث من أحب أن ينظر الى شهيد يمشي على وجه الارض فلينظر الى طلحة (فان قلت) ما قضاء النحب (قلت) وقع عبارة عن الموت لان كل حي لا بد له من أن يموت فكأنه نذر لازم في رقبته فاذا مات فقد قضى نحبه أي نذره وقوله فمنهم من قضى نحبه يحتمل موته شهيدا ويحتمل وفاءه بنذره من الثبات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم * (فان قلت) فما حقيقة قوله صدقوا ما عاهدوا الله عليه (قلت) يقال صدقني أخوك وكذبني اذا قال لك الصدق والكذب وأما المثل صدقني سن بكره فمعناه صدقني في سن بكره بطرح الجار وايصال الفعل فلا يخلو ما عاهدوا الله عليه اما أن يكون بمنزلة السن في طرح الجار واما أن يجعل المعاهد عليه مصدوقا على المجاز كأنهم قالوا للمعاهد عليه سنفي بك وهم وافون به فقد صدقوه ولو كانوا ناكثين لكذبوه ولكان مكذوبا (وما بدلوا) العهد ولا غيروه لا المستشهد ولا من ينتظر الشهادة ولقد ثبت طلحة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد حتى أصيبت يده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أوجب طلحة وفيه تعريض بمن بدلوا من أهل النفاق ومرض القلوب جعل المنافقون كأنهم قصدوا عاقبة السوء وأرادوها بتبديلهم كما قصد الصادقون عاقبة الصدق بوفائهم لان كلا الفريقين مسوق الى عاقبته من الثواب والعقاب فكأنهما استويا في طلبها والسعي لتحصيلها * ويعذبهم (ان شاء) اذا لم يتوبوا (أو يتوب عليهم) اذا تابوا (ورد الله الذين كفروا) الاحزاب (بغيظهم) مغيظين كقوله تنبت بالدهن (لم ينالوا خيرا) غير ظافرين وهما حالان بتداخل أو تعاقب ويجوز أن تكون الثانية بيانا للاولى أو استئنافا (وكفى الله المؤمنين القتال) بالريح والملائكة (وأنزل الذين) ظاهروا الاحزاب من أهل الكتاب (من صياصيهم) من حصونهم والصيصية ما تحصن به يقال لقرن الثور والظبي صيصية ولشوكة الديك وهي مخلبه التي في ساقه لانه يتحصن بها روى أن جبريل عليه السلام أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم صبيحة الليلة التي انهزم فيها الاحزاب ورجع المسلمون الى المدينة ووضعوا سلاحهم على فرسه الحيزوم والغبار على وجه الفرس وعلى السرج فقال ما هذا يا جبريل قال من متابعة قريش فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح الغبار عن وجه الفرس وعن سرجه فقال يا رسول الله ان الملائكة لم تضع السلاح ان الله يأمرك بالمسير الى بني قريظة وأنا عامد اليهم فان الله داقهم دق البيض على الصفا وانهم لكم طعمة فأذن في الناس أن من كان سامعا مطيعا فلا يصلي العصر الا في بني قريظة فما صلى كثير من الناس العصر الا بعد العشاء الآخرة لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فحاصرهم خمسا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم تنزلون على حكمي فأبوا فقال على حكم سعد بن معاذ فرضوا به فقال سعد حكمت فيهم أن تقتل مقاتلتهم وتسبى ذراريهم ونساؤهم فكبر النبي صلى الله عليه وسلم وقال لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة أرقعة ثم استنزلهم وخندق في سوق المدينة خندقا وقدمهم فضرب أعناقهم وهم من ثمانمائة الى تسعمائة وقيل كانوا ستمائة مقاتل وسبعمائة أسير * وقرئ الرعب بسكون العين وضمها وتأسرون بضم السين * وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم جعل عقارهم للمهاجرين دون الانصار فقالت الانصار في ذلك فقال انكم في منازلكم وقال عمر رضي الله عنه أما تخمس كما خمست يوم بدر قال لا انما جعلت هذه لي طعمة دون الناس قال رضينا بما صنع الله ورسوله (وأرضا لم تطؤها) عن الحسن رضي الله عنه فارس والروم وعن قتادة رضي الله عنه كنا نحدث أنها مكة وعن مقاتل رضي الله عنه هي خيبر وعن عكرمة كل أرض تفتح الى يوم القيامة ومن بدع التفاسير أنه أراد نساءهم * أردن شيئا من الدنيا من ثياب وزيادة نفقة وتغاير فغم ذلك

قالوا هذا ما وعدنا الله
ورسوله وصدق الله
ورسوله وما زادهم الا
ايمانا وتسليما من المؤمنين
رجال صدقوا ما عاهدوا
الله عليه فمنهم من قضى
نحبه ومنهم من ينتظر
وما بدلوا تبديلا ليجزي
الله الصادقين بصدقهم
ويعذب المنافقين ان
شاء أو يتوب عليهم ان
الله كان غفورا رحيما
ورد الله الذين كفروا
بغيظهم لم ينالوا خيرا
وكفى الله المؤمنين
القتال وكان الله قويا
عزيزا وأنزل الذين
ظاهروهم من أهل
الكتاب من صياصيهم
وقذف في قلوبهم
الرعب فريقا تقتلون
وتأسرون فريقا وأورثكم
أرضهم وديارهم
وأموالهم وأرضا لم
تطؤها وكان الله على
كل شيء قديرا يا أيها النبي
قل لأزواجك ان كنتن
تردن الحياة الدنيا
وزينتها فتعالين

رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فبدأ بعائشة رضي الله عنها وكانت أحبهن إليه فخيرها وقرأ عليها القرآن فاختارت الله ورسوله والدار الآخرة فرؤي الفرح في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اختارت جميعهن اختيارها فشكر لهن الله ذلك فأنزل لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج روي أنه قال لعائشة إني ذاكر لك أمرا ولا عليك أن تعجلي فيه حتى تستأمري أبويك ثم قرأ عليها القرآن فقالت أفي هذا أستأمر أبوي فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة وروي أنها قالت لا تخبر أزواجك أني اخترتك فقال إنما بعثني الله مبلغا ولم يبعثني متعنتا (فإن قلت) ما حكم التخيير في الطلاق (قلت) إذا قال لها اختاري فقالت اخترت نفسي أو قال اختاري نفسك فقالت اخترت لا بد من ذكر النفس في قول المخير أو المخيرة وقعت طلقة بائنة عند أبي حنيفة وأصحابه واعتبروا أن يكون ذلك في المجلس قبل القيام أو الاشتغال بما يدل على الإعراض واعتبر الشافعي اختيارها على الفور وهي عنده طلقة رجعية وهو مذهب عمر وابن مسعود وعن الحسن وقتادة والزهري رضي الله عنهم أمرها بيدها في ذلك المجلس وفي غيره وإذا اختارت زوجها لم يقع شيء بإجماع فقهاء الأمصار وعن عائشة رضي الله عنها خيرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخترناه ولم يعده طلاقا وروي أفكان طلاقا وعن علي رضي الله عنه إذا اختارت زوجها فواحدة رجعية وإن اختارت نفسها فواحدة بائنة وروي عنه أيضا أنها إن اختارت زوجها فليس بشيء * أصل تعال أن يقوله من في المكان المرتفع لمن في المكان المستوطئ ثم كثر حتى استوت في استعماله الأمكنة ومعنى تعالين أقبلن بإرادتكن واختياركن لأحد أمرين ولم يرد نهوضهن إليه بأنفسهن كما تقول أقبل يخاصمني وذهب يكلمني وقام يهددني (أمتعكن) أعطكن متعة الطلاق (فإن قلت) المتعة في الطلاق واجبة أم لا (قلت) المطلقة التي لم يدخل بها ولم يفرض لها في العقد متعتها واجبة عند أبي حنيفة وأصحابه وأما سائر المطلقات فمتعتهن مستحبة وعن الزهري رضي الله عنه متعتان إحداهما يقضي بها السلطان من طلق قبل أن يفرض ويدخل بها والثانية حق على المتقين من طلق بعدما يفرض ويدخل وخاصمت امرأة إلى شريح في المتعة فقال متعها إن كنت من المتقين ولم يجبره وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه المتعة حق مفروض وعن الحسن رضي الله عنه لكل مطلقة متعة إلا المختلعة والملاعنة والمتعة درع وخمار وملحفة على حسب السعة والإقتار إلا أن يكون نصف مهرها أقل من ذلك فيجب لها الأقل منهما ولا تنقص من خمسة دراهم لأن أقل المهر عشرة دراهم فلا ينقص من نصفها (فإن قلت) ما وجه قراءة من قرأ أمتعكن وأسرحكن بالرفع (قلت) وجهه الاستئناف (سراحا جميلا) من غير ضرار طلاقا بالسنة (منكن) للبيان لا للتبعيض * الفاحشة السيئة البليغة في القبح وهي الكبيرة * والمبينة الظاهر فحشها والمراد كل ما اقترفن من الكبائر وقيل هي عصيانهن رسول الله صلى الله عليه وسلم ونشوزهن وطلبهن منه ما يشق عليه أو ما يضيق به ذرعه ويغتم لأجله وقيل الزنا والله عاصم رسوله من ذلك كما مر في حديث الإفك وإنما ضوعف عذابهن لأن ما قبح من سائر النساء كان أقبح منهن وأقبح لأن زيادة قبح المعصية تتبع زيادة الفضل والمرتبة وزيادة النعمة على العاصي من المعصي وليس لأحد من النساء مثل فضل نساء النبي صلى الله عليه وسلم ولا على أحد منهن مثل ما لله عليهن من النعمة والجزاء يتبع الفعل وكون الجزاء عقابا يتبع كون الفعل قبيحا فمتى ازداد قبحا ازداد عقابه شدة ولذلك كان ذم العقلاء للعاصي العالم أشد منه للعاصي الجاهل لأن المعصية من العالم أقبح ولذلك فضل حد الأحرار على حد العبيد حتى إن أبا حنيفة وأصحابه لا يرون الرجم على الكافر (وكان ذلك على الله يسيرا) إيذان بأن كونهن نساء النبي صلى الله عليه وسلم ليس بمغن عنهن شيئا وكيف يغني عنهن وهو سبب مضاعفة العذاب فكان داعيا إلى تشديد الأمر عليهن غير صارف عنه * وقرئ يأت بالتاء والياء * مبينة بفتح الياء وكسرها من بين بمعنى تبين * يضاعف ويضعف على البناء للمفعول ويضاعف ونضعف بالياء والنون * وقرئ تقنت وتعمل بالتاء والياء ونؤتها بالياء والنون والقنوت الطاعة وإنما ضوعف أجرهن لطلبهن رضا رسول الله صلى الله عليه وسلم بحسن الخلق وطيب المعاشرة والقناعة وتوفرهن على عبادة الله والتقوى * أحد في الأصل بمعنى وحد وهو الواحد ثم وضع في

أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيرا ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين وأعتدنا لها رزقا كريما

* قوله تعالى لستن كأحد من النساء (قال فيه معناه لستن كجماعة واحدة من جماعات النساء أي اذا تقصيت أمة النساء جماعة جماعة لم يوجد منهن جماعة واحدة تساويهن في الفضل والسابقة ومثله ولم يفرقوا بين أحد منهم) قال أحمد أشار بذلك على حمل التفضيل بين نساء النبي عليه الصلاة والسلام وبين جماعات النساء لا آحادهن أن يطابق بين المتفاضلين

يا نساء النبي لستن كأحد من النساء ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولا معروفا وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى وأقمن الصلوة وآتين الزكوة وأطعن الله ورسوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة ان الله كان لطيفا خبيرا ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات

النفي العام مستويا فيه المذكر والمؤنث والواحد وما وراءه * ومعنى قوله (لستن كأحد من النساء) لستن كجماعة واحدة من جماعات النساء أي اذا تقصيت أمة النساء جماعة جماعة لم توجد منهن جماعة واحدة تساويكن في الفضل والسابقة ومثله قوله تعالى والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم يريد بين جماعة واحدة منهم تسوية بين جميعهم في أنهم على الحق المبين (ان اتقيتن) ان أردتن التقوى وان كنتن متقيات (فلا تخضعن بالقول) فلا تجبن بقولكن خاضعا أي لينا خنثا مثل كلام المريبات والمومسات (فيطمع الذي في قلبه مرض) أي ريبة وفجور وقرئ بالجزم عطفا على محل فعل النهي على أنهن نهين عن الخضوع بالقول ونهي المريض القلب عن الطمع كأنه قيل لا تخضعن فلا يطمع وعن ابن محيصن أنه قرأ بكسر الميم وسبيله ضم الياء مع كسرها واسناد الفعل الى ضمير القول أي فيطمع القول المريب (قولا معروفا) بعيدا من طمع المريب بجد وخشونة من غير تخنث أو قولا حسنا مع كونه خشنا * وقرن بكسر القاف من وقر يقر وقارا أو من قر يقر حذفت الاولى من راءي اقررن ونقلت كسرتها الى القاف كما تقول ظلن وقرن بفتحها وأصله اقررن فحذفت الراء وألقيت فتحتها على ما قبلها كقولك ظلن وذكر أبو الفتح الهمداني في كتاب التبيان وجها آخر قال قار يقار اذا اجتمع ومنه القارة لاجتماعها ألا ترى الى قول عضل والديش اجتمعوا فكونوا قارة و (الجاهلية الاولى) هي القديمة التي يقال لها الجاهلية الجهلاء وهي الزمن الذي ولد فيه ابراهيم عليه السلام كانت المرأة تلبس الدرع من اللؤلؤ فتمشي وسط الطريق تعرض نفسها على الرجال وقيل ما بين آدم ونوح وقيل بين ادريس ونوح وقيل زمن داود وسليمان والجاهلية الاخرى ما بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام ويجوز أن تكون الجاهلية الاولى جاهلية الكفر قبل الاسلام والجاهلية الاخرى جاهلية الفسوق والفجور في الاسلام فكأن المعنى ولا تحدثن بالتبرج جاهلية في الاسلام تتشبهن بها أهل جاهلية الكفر ويعضده ما روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي الدرداء رضي الله عنه ان فيك جاهلية قال جاهلية كفر أم اسلام فقال بل جاهلية كفر * أمرهن أمرا خاصا بالصلاة والزكاة ثم جاء به عاما في جميع الطاعات لأن هاتين الطاعتين البدنية والمالية هما أصل سائر الطاعات من اعتنى بهما حق اعتنائه جرتاه الى ما وراءهما ثم بين أنه انما نهاهن وأمرهن ووعظهن لئلا يقارف أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم المآثم وليتصونوا عنها بالتقوى * واستعار للذنوب الرجس وللتقوى الطهر لان عرض المقترف للمقبحات يتلوث بها ويتدنس كما يتلوث بدنه بالارجاس وأما المحسنات فالعرض معها نقي مصون كالثوب الطاهر وفي هذه الاستعارة ما ينفر أولي الالباب عما كرهه الله لعباده ونهاهم عنه ويرغبهم فيما رضيه لهم وأمرهم به و (أهل البيت) نصب على النداء أو على المدح وفي هذا دليل بين على أن نساء النبي صلى الله عليه وسلم من أهل بيته * ثم ذكرهن أن بيوتهن مهابط الوحي وأمرهن أن لا ينسين ما يتلى فيها من الكتاب الجامع بين أمرين هو آيات بينات تدل على صدق النبوة لأنه معجزة بنظمه وهو حكمة وعلوم وشرائع (ان الله كان لطيفا خبيرا) حين علم ما ينفعكم ويصلحكم في دينكم فأنزله عليكم أو علم من يصلح لنبوته ومن يصلح لأن يكونوا أهل بيته أو حيث جعل الكلام الواحد جامعا بين الغرضين * روي أن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم قلن يا رسول الله ذكر الله الرجال في القرآن بخير أفما فينا خير نذكر به انا نخاف أن لا تقبل منا طاعة وقيل السائلة أم سلمة وروي أنه لما نزل في نساء النبي صلى الله عليه وسلم ما نزل قال نساء المسلمين فما نزل فينا شيء فنزلت * والمسلم الداخل في السلم بعد الحرب المنقاد الذي لا يعاند أو المفوض أمره الى الله المتوكل عليه من أسلم وجهه الى الله * والمؤمن المصدق بالله ورسوله وبما يجب أن يصدق به * والقانت القائم بالطاعة الدائم عليها * والصادق

لأن الأولى جماعة وقد كان مستغنيا عن ذلك بحمل الكلام على واحدة ويكون المعنى أبلغ في التقدير ليست واحدة منكن كأحد من النساء أي كواحدة من النساء ويلزم من تفضيل كل واحدة منهن على كل واحدة من آحاد النساء تفضيل جماعتهن على كل جماعة ولا يلزم ذلك في العكس فتأمله والله أعلم وجاء التفضيل ههنا كمجيئه في قوله تعالى أفمن يخلق كمن لا يخلق وقوله وليس الذكر كالأنثى في تقديم الأفضل عند التفضيل وقد مضت في ذلك نكتة حسنة والله الموفق الذي

الذي يصدق في نيته وقوله وعمله * والصابر الذي يصبر على الطاعات وعن المعاصي * والخاشع المتواضع لله
بقلبه وجوارحه وقيل الذي اذا صلى لم يعرف من عن يمينه وشماله * والمتصدق الذي يزكي ماله ولا يخل
بالنوافل وقيل من تصدق في أسبوع بدرهم فهو من المتصدقين * ومن صام البيض من كل شهر فهو من
الصائمين * والذاكر الله كثيرا من لا يكاد يخلو من ذكر الله بقلبه أو لسانه أو بهما وقراءة القرآن والاشتغال
بالعلم من الذكر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من استيقظ من نومه وأيقظ امرأته فصليا جميعا ركعتين
كتبا من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات * والمعنى والحافظاتها والذاكراته فحذف لان الظاهر يدل عليه
(فان قلت) أي فرق بين العطفين أعني عطف الاناث على الذكور وعطف الزوجين على الزوجين (قلت)
العطف الاول نحو قوله تعالى ثيبات وأبكارا في أنهما جنسان مختلفان اذا اشتركا في حكم لم يكن بد من توسيط
العاطف بينهما وأما العطف الثاني فمن عطف الصفة على الصفة بحرف الجمع فكأن معناه ان الجامعين
والجامعات لهذه الطاعات (أعد الله لهم) * خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش بنت عمته
أميمة بنت عبد المطلب على مولاه زيد بن حارثة فأبت وأبى أخوها عبد الله فنزلت فقالا رضينا يا رسول الله
فأنكحها اياه وساق عنه اليها مهرها ستين درهما وخمارا وملحفة ودرعا وازارا وخمسين مدا من طعام وثلاثين
صاعا من تمر وقيل هي أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط وهي أول من هاجر من النساء وهبت نفسها للنبي
صلى الله عليه وسلم فقال قد قبلت وزوجها زيدا فسخطت هي وأخوها وقالا انما أردنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم فزوجنا عبده والمعنى وما صح لرجل ولا امرأة من المؤمنين (اذا قضى الله ورسوله) أي رسول الله
أو لان قضاء رسول الله هو قضاء الله (أمرا) من الامور * أن يختاروا من أمرهم ما شاؤا بل من حقهم أن
يجعلوا رأيهم تبعا لرأيه واختيارهم تلوا لاختياره (فان قلت) كان من حق الضمير أن يوحد كما تقول ما جاءني
من رجل ولا امرأة الا كان من شأنه كذا (قلت) نعم ولكنهما وقعا تحت النفي فعما كل مؤمن ومؤمنة فرجع
الضمير على المعنى لا على اللفظ * وقرئ يكون بالتاء والياء (الخيرة) ما يتخير (للذي أنعم الله عليه) بالاسلام
الذي هو أجل النعم وبتوفيقك لعتقه ومحبته واختصاصه (وأنعمت عليه) بما وفقك الله فيه فهو متقلب في
نعمة الله ونعمة رسوله صلى الله عليه وسلم وهو زيد بن حارثة (أمسك عليك زوجك) يعني زينب بنت جحش
رضي الله عنها وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أبصرها بعد ما أنكحها اياه فوقعت في نفسه فقال سبحان
الله مقلب القلوب وذلك أن نفسه كانت تجفو عنها قبل ذلك لا تريدها ولو أرادتها لاختطبها وسمعت زينب
بالتسبيحة فذكرتها لزيد ففطن وألقى الله في نفسه كراهة صحبتها والرغبة عنها لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني أريد أن أفارق صاحبتي فقال مالك أرابك منها شيء قال لا والله ما رأيت
منها الا خيرا ولكنها تتعظم علي لشرفها وتؤذيني فقال له أمسك عليك زوجك واتق الله ثم طلقها بعد فلما
اعتدت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أجد أحدا أوثق في نفسي منك اخطب علي زينب قال زيد
فانطلقت فاذا هي تخمر عجينها فلما رأيتها عظمت في صدري حتى ما أستطيع أن أنظر اليها حين علمت أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرها فوليتها ظهري وقلت يا زينب أبشري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يخطبك ففرحت وقالت ما أنا بصانعة شيئا حتى أؤامر ربي فقامت الى مسجدها ونزل القرآن زوجناكها
فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل بها وما أولم على امرأة من نسائه ما أولم عليها ذبح شاة وأطعم
الناس الخبز واللحم حتى امتد النهار (فان قلت) ما أراد بقوله (واتق الله) (قلت) أراد واتق الله فلا تطلقها
وقصد نهي تنزيه لا تحريم لان الاولى أن لا يطلق وقيل أراد واتق الله فلا تذمها بالنسبة الى الكبر وأذى
الزوج (فان قلت) ما الذي أخفى في نفسه (قلت) تعلق قلبه بها وقيل مودة مفارقة زيد اياها وقيل علمه بأن
زيدا سيطلقها وسينكحها لان الله قد أعلمه بذلك وعن عائشة رضي الله عنها لو كتم رسول الله صلى الله عليه وسلم
شيئا مما أوحي اليه لكتم هذه الآية (فان قلت) فماذا أراد الله منه أن يقوله حين قال له زيد أريد مفارقتها
وكان من الهجنة أن يقول له افعل فاني أريد نكاحها (قلت) كأن الذي أراد منه عز وجل أن يصمت عند

والحافظين فروجهم
والحافظات والذاكرين
الله كثيرا والذاكرات
أعد الله لهم مغفرة
وأجرا عظيما وما كان
لمؤمن ولا مؤمنة اذا
قضى الله ورسوله أمرا
أن يكون لهم الخيرة
من أمرهم ومن يعص
الله ورسوله فقد ضل
ضلالا مبينا واذ تقول
للذي أنعم الله عليه
وأنعمت عليه أمسك
عليك زوجك واتق الله

ذلك أو يقول له أنت أعلم بشأنك حتى لا يخالف سره في ذلك علانيته لأن الله يريد من الأنبياء تساوي الظاهر
والباطن والتصلب في الأمور والتجاوب في الأحوال والاستمرار على طريقة مستتبة كما جاء في حديث ارادة
رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل عبد الله بن أبي سرح واعتراض عثمان بشفاعته له أن عمر قال له لقد كان
عيني الى عينك هل تشير الي فأقتله فقال ان الأنبياء لا تومض ظاهرهم وباطنهم واحد (فان قلت) كيف
عاتبه الله في ستر ما استهجن التصريح ولا يستهجن النبي صلى الله عليه وسلم التصريح بشيء الا والشيء في نفسه
مستهجن وقالة الناس لا تتعلق الا بما يستقبح في العقول والعادات وما له لم يعاتبه في نفس الأمر ولم يأمره
بقمع الشهوة وكف النفس عن أن تنازع الى زينب وتتبعها ولم يعصم نبيه صلى الله عليه وسلم عن تعلق الهجنة
به وما يعرضه للقالة (قلت) كم من شيء يتحفظ منه الانسان ويستحيي من اطلاع الناس عليه وهو في نفسه
مباح متسع وحلال مطلق لا مقال فيه ولا عيب عند الله وربما كان الدخول في ذلك المباح سلما الى حصول
واجبات يعظم أثرها في الدين ويجل ثوابها ولو لم يتحفظ منه لأطلق كثير من الناس فيه ألسنتهم الا من أوتي
فضلا وعلما ودينا ونظرا في حقائق الأمور ولبوبها دون قشورها ألا ترى أنهم كانوا اذا طعموا في بيوت
رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوا مرتكزين في مجالسهم لا يريمون مستأنسين بالحديث وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يؤذيه قعودهم ويضيق صدره حديثهم والحياء يصده أن يأمرهم بالانتشار حتى نزلت ان
ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق ولو أبرز رسول الله صلى الله عليه وسلم مكنون
ضميره وأمرهم أن ينتشروا لشق عليهم ولكان بعض القالة فهذا من ذلك القبيل لأن طموح قلب الانسان
الى بعض مشتهياته من امرأة أو غيرها غير موصوف بالقبح في العقل ولا في الشرع لأنه ليس بفعل الانسان
ولا وجوده باختياره وتناول المباح بالطريق الشرعي ليس بقبيح أيضا وهو خطبة زينب ونكاحها من غير
استنزال زيد عنها ولا طلب اليه وهو أقرب منه من زر قميصه أن يواسيه بمفارقتها مع قوة العلم بأن نفس زيد
لم تكن من التعلق بها في شيء بل كانت تجفو عنها ونفس رسول الله صلى الله عليه وسلم متعلقة بها ولم يكن
مستنكرا عندهم أن ينزل الرجل عن امرأته لصديقه ولا مستهجنا اذا نزل عنها أن ينكحها الآخر فان
المهاجرين حين دخلوا المدينة استهم الأنصار بكل شيء حتى ان الرجل منهم اذا كانت له امرأتان نزل عن
احداهما وأنكحها المهاجر واذا كان الأمر مباحا من جميع جهاته ولم يكن فيه وجه من وجوه القبح ولا مفسدة
ولا مضرة بزيد ولا بأحد بل كان مستجرا مصالح ناهيك بواحدة منها أن بنت عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم
أمنت الأيمة والضيعة ونالت الشرف وعادت أما من أمهات المسلمين الى ما ذكر الله عز وجل من المصلحة
العامة في قوله لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم اذا قضوا منهن وطرا فبالحري أن
يعاتب الله رسوله حين كتمه وبالغ في كتمه بقوله أمسك عليك زوجك واتق الله وأن لا يرضى له الا اتحاد
الضمير والظاهر والثبات في مواطن الحق حتى يقتدي به المؤمنون فلا يستحيوا من المكافحة بالحق وان
كان مرا (فان قلت) الواو في وتخفي في نفسك وتخشى الناس والله أحق ما هي (قلت) واو الحال أي تقول
لزيد أمسك عليك زوجك مخفيا في نفسك ارادة أن لا يمسكها وتخفي خاشيا قالة الناس وتخشى الناس حقيقا
في ذلك بأن تخشى الله أو واو العطف كأنه قيل واذ تجمع بين قولك أمسك واخفاء خلافه وخشية الناس
والله أحق أن تخشاه حتى لا تفعل مثل ذلك * اذا بلغ البالغ حاجته من شيء له فيه همة قيل قضى منه وطره
والمعنى فلما لم يبق لزيد فيها حاجة وتقاصرت عنها همته وطابت عنها نفسه وطلقها وانقضت عدتها
(زوجناكها) وقراءة أهل البيت زوجتكها وقيل لجعفر بن محمد رضي الله عنهما أليس تقرأ على غير
ذلك فقال لا والذي لا اله الا هو ما قرأتها على أبي الا كذلك ولا قرأها الحسن بن علي على أبيه الا كذلك
ولا قرأها علي بن أبي طالب على النبي صلى الله عليه وسلم الا كذلك (وكان أمر الله مفعولا) جملة اعتراضية
يعني وكان أمر الله الذي يريد أن يكونه مفعولا مكونا لا محالة وهو مثل لما أراد كونه من تزويج رسول
الله صلى الله عليه وسلم زينب ومن نفي الحرج عن المؤمنين في اجراء أزواج المتبنين مجرى أزواج البنين

وتخفي في نفسك ما الله
مبديه وتخشى الناس
والله أحق أن تخشاه
فلما قضى زيد منها
وطرا زوجناكها لكيلا
يكون على المؤمنين
حرج في أزواج أدعيائهم
اذا قضوا منهن وطرا
وكان أمر الله مفعولا
ما كان على النبي من
حرج فيما

في

في تحريمهن عليهم بعد انقطاع علائق الزواج بينهم وبينهن ويجوز أن يراد بأمر الله المكون لأنه مفعول بكن وهو أمر الله (فرض الله له) قسم له وأوجب من قولهم فرض لفلان في الديوان كذا ومنه فروض العسكر لرزقاتهم (سنة الله) اسم موضوع موضع المصدر كقولهم تربا وجندلا مؤكد لقوله تعالى ما كان على النبي من حرج كأنه قيل سن الله ذلك سنة في الأنبياء الماضين وهو أن لا يحرج عليهم في الإقدام على ما أباح لهم ووسع عليهم في باب النكاح وغيره وقد كانت تحتهم المهائر والسراري وكانت لداود عليه السلام مائة امرأة وثلثمائة سرية ولسليمان عليه السلام ثلثمائة وسبعمائة (في الذين خلوا) في الأنبياء الذين مضوا (الذين يبلغون) يحتمل وجوه الإعراب الجر على الوصف للأنبياء والرفع والنصب على المدح على هم الذين يبلغون أو على أعني الذين يبلغون * وقرئ رسالة الله * قدرا مقدورا قضاء مقضيا وحكما مبتوتا ووصف الأنبياء بأنهم لا يخشون إلا الله تعريض بعد التصريح في قوله تعالى وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه (حسيبا) كافيا للمخاوف أو محاسبا على الصغيرة والكبيرة فيجب أن يكون حق الخشية من مثله (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم) أي لم يكن أبا رجل منكم على الحقيقة حتى يثبت بينه وبينه ما يثبت بين الأب وولده من حرمة الصهر والنكاح (ولكن) كان (رسول الله) وكل رسول أبو أمته فيما يرجع إلى وجوب التوقير والتعظيم له عليهم ووجوب الشفقة والنصيحة لهم عليه لا في سائر الأحكام الثابتة بين الآباء والأبناء وزيد واحد من رجالكم الذين ليسوا بأولاده حقيقة فكان حكمه حكمكم والادعاء والتبني من باب الاختصاص والتقريب لا غير (و) كان (خاتم النبيين) يعني أنه لو كان له ولد بالغ مبلغ الرجال لكان نبيا ولم يكن هو خاتم الأنبياء كما يروى أنه قال في إبراهيم حين توفي لو عاش لكان نبيا (فإن قلت) أما كان أبا للطاهر والطيب والقاسم وإبراهيم (قلت) قد أخرجوا من حكم النفي بقوله من رجالكم من وجهين أحدهما أن هؤلاء لم يبلغوا مبلغ الرجال والثاني أنه قد أضاف الرجال إليهم وهؤلاء رجاله لا رجالهم (فإن قلت) أما كان أبا للحسن والحسين (قلت) بلى ولكنهما لم يكونا رجلين حينئذ وهما أيضا من رجاله لا من رجالهم وشيء آخر وهو أنه إنما قصد ولده خاصة لا ولد ولده لقوله تعالى وخاتم النبيين ألا ترى أن الحسن والحسين قد عاشا إلى أن نيف أحدهما على الأربعين والآخر على الخمسين * وقرئ ولكن رسول الله بالنصب عطفا على أبا أحد وبالرفع على ولكن هو رسول الله ولكن بالتشديد على حذف الخبر تقديره ولكن رسول الله من عرفتموه أي لم يعش له ولد ذكر وخاتم بفتح التاء بمعنى الطابع وبكسرها بمعنى الطابع وفاعل الختم وتقويه قراءة ابن مسعود ولكن نبيا ختم النبيين (فإن قلت) كيف كان آخر الأنبياء وعيسى ينزل في آخر الزمان (قلت) معنى كونه آخر الأنبياء أنه لا ينبأ أحد بعده وعيسى ممن نبئ قبله وحين ينزل ينزل عاملا على شريعة محمد مصليا إلى قبلته كأنه بعض أمته (اذكروا الله) أثنوا عليه بضروب الثناء من التقديس والتحميد والتهليل والتكبير وما هو أهله وأكثروا ذلك (بكرة وأصيلا) أي في كافة الأوقات قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الله على فم كل مسلم وروي في كل قلب مسلم وعن قتادة قولوا سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وعن مجاهد هذه كلمات يقولها الطاهر والجنب والغفلان أعني اذكروا وسبحوا موجهان إلى البكرة والأصيل كقولك صم وصل يوم الجمعة والتسبيح من جملة الذكر وإنما اختصه من بين أنواعه اختصاص جبريل وميكائيل من بين الملائكة ليبين فضله على سائر الأذكار لأن معناه تنزيه ذاته عما لا يجوز عليه من الصفات والأفعال وتبرئته من القبائح ومثال فضله على غيره من الأذكار فضل وصف العبد بالنزاهة من أدناس المعاصي والطهر من أرجاس المآثم على سائر أوصافه من كثرة الصلاة والصيام والتوفر على الطاعات كلها والاشتمال على العلوم والاشتهار بالفضائل ويجوز أن يريد بالذكر وإكثاره تكثير الطاعات والإقبال على العبادات فإن كل طاعة وكل خير من جملة الذكر ثم خص من ذلك التسبيح بكرة وأصيلا وهي الصلاة في جميع أوقاتها لفضل الصلاة على غيرها أو صلاة الفجر والعشاءين لأن أداءها أشق ومراعاتها أشد * لما كان من شأن المصلي أن ينعطف في ركوعه وسجوده استعير لمن ينعطف على غيره حنوا عليه وترؤفا

فرض الله له سنة الله في الذين خلوا من قبل وكان أمر الله قدرا مقدورا الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله وكفى بالله حسيبا ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا

كعائد المريض في انعطافه عليه والمرأة في حنوّها على ولدها ثم كثر حتى استعمل في الرحمة والترؤف ومنه قولهم صلى الله عليك أي ترحم عليك وترأف (فان قلت) قوله (هو الذي يصلي عليكم) ان فسرته بيترحم عليكم ويترأف فما تصنع بقوله (وملائكته) وما معنى صلاتهم (قلت) هي قولهم اللهم صل على المؤمنين جعلوا لكونهم مستجابي الدعوة كأنهم فاعلون الرحمة والرأفة ونظيره قولك حياك الله أي أحياك وأبقاك وحييتك أي دعوت لك بأن يحييك الله لانك لاتكالك على اجابة دعوتك كأنك تبقيه على الحقيقة وكذلك عمرك الله وعمرتك وسقاك الله وسقيتك وعليه قوله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه أي ادعوا الله بأن يصلي عليه والمعنى هو الذي يترحم عليكم ويترأف حيث يدعوكم الى الخير ويأمركم باكثار الذكر والتوفر على الصلاة والطاعة (ليخرجكم) من ظلمات المعصية الى نور الطاعة (وكان بالمؤمنين رحيما) دليل على أن المراد بالصلاة الرحمة ويروى أنه لما نزل قوله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي قال أبو بكر رضي الله عنه ما خصك الله يا رسول الله بشرف الا وقد أشركنا فيه فأنزلت (تحيتهم) من اضافة المصدر الى المفعول أي يحيون يوم لقائه بسلام فيجوز أن يعظمهم الله بسلامه عليهم كما يفعل بهم سائر أنواع التعظيم وأن يكون مثلا كاللقاء على ما فسرنا وقيل هو سلام ملك الموت والملائكة معه عليهم وبشارتهم بالجنة وقيل سلام الملائكة عند الخروج من القبور وقيل عند دخول الجنة كما قال والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم * والاجر الكريم الجنة (شاهدا) على من بعثت اليهم وعلى تكذيبهم وتصديقهم أي مقبولا قولك عند الله لهم وعليهم كما يقبل قول الشاهد العدل في الحكم (فان قلت) وكيف كان شاهدا وقت الارسال وانما يكون شاهدا عند تحمل الشهادة أو عند أدائها (قلت) هي حال مقدرة كمسئلة الكتاب مررت برجل معه صقر صائدا به غدا أي مقدرا به الصيد غدا (فان قلت) قد فهم من قوله انا أرسلناك داعيا أنه مأذون له في الدعاء فما فائدة قوله (باذنه) (قلت) لم يرد به حقيقة الاذن وانما جعل الاذن مستعارا للتسهيل والتيسير لان الدخول في حق المالك متعذر فاذا صودف الاذن تسهل وتيسر فلما كان الاذن تسهيلا لما تعذر من ذلك وضع موضعه وذلك أن دعاء أهل الشرك والجاهلية الى التوحيد والشرائع أمر في غاية الصعوبة والتعذر فقيل باذنه للايذان بأن الامر صعب لا يتأتى ولا يستطاع الا اذا سهله الله ويسره ومنه قولهم في الشحيح انه غير مأذون له في الانفاق أي غير مسهل له الانفاق لكونه شاقا عليه داخلا في حكم التعذر * جلى به الله ظلمات الشرك واهتدى به الضالون كما يجلي ظلام الليل بالسراج المنير ويهتدى به أو أمد الله بنور نبوته نور البصائر كما يمد بنور السراج نور الابصار * ووصفه بالانارة لان من السراج ما لا يضيء اذا قل سليطه ودقت فتيلته وفي كلام بعضهم ثلاثة تضني رسول بطيء وسراج لا يضيء ومائدة ينتظر لها من يجيء وسئل بعضهم عن الموحشين فقال ظلام ساتر وسراج فاتر وقيل وذا سراج منيرا أو وتاليا سراجا منيرا ويجوز على هذا التفسير أن يعطف على كاف أرسلناك * الفضل ما يتفضل به عليهم زيادة على الثواب واذا ذكر المتفضل به وكبره فما ظنك بالثواب ويجوز أن يريد بالفضل الثواب من قولهم للعطايا فضول وفواضل وأن يريد أن لهم فضلا كبيرا على سائر الامم وذلك الفضل من جهة الله وانه آتاهم ما فضلوهم به (ولا تطع الكافرين) معناه الدوام والثبات على ما كان عليه أو التهييج (أذاهم) يحتمل اضافته الى الفاعل والمفعول يعني ودع أن تؤذيهم بضرر أو قتل وخذ بظاهرهم وحسابهم على الله في باطنهم أو ودع ما يؤذونك به ولا تجازهم عليه حتى تؤمر وعن ابن عباس رضي الله عنهما هي منسوخة بآية السيف (وتوكل على الله) فانه يكفيكهم وكفى به مفوضا اليه ولقائل أن يقول وصفه الله بخمسة أوصاف وقابل كلا منها بخطاب مناسب له قابل الشاهد بقوله وبشر المؤمنين لانه يكون شاهدا على أمته وهم يكونون شهداء على سائر الامم وهو الفضل الكبير والمبشر بالاعراض عن الكافرين والمنافقين لانه اذا أعرض عنهم أقبل بجميع اقباله على المؤمنين وهو مناسب للبشارة والنذير بدع أذاهم لانه اذا ترك أذاهم في الحاضر والاذى لا بد له من عقاب عاجل أو آجل كانوا منذرين به في المستقبل والداعي الى الله بتيسيره بقوله وتوكل على الله لان من توكل على الله يسر عليه كل عسير والسراج

هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور وكان بالمؤمنين رحيما تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجرا كريما يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا يا أيها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات

* قوله تعالى هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور الآية (قال ان جعلت يصلي بمعنى يرحم فما بال عطف الملائكة عليه فأجاب بأنهم لما كانوا يدعون الله بالرحمة ويستجيب دعاءهم بذلك جعلوا كأنهم فاعلون الرحمة كما تقول حياك الله بمعنى أحياك ثم تقول حييته بمعنى دعوت الله له بالحياة والقصد بذلك جعل الحياة محققة له كأنك قلت دعوت له بالحياة فاستجيبت الدعوة) قال أحمد كثيرا ما يفر الزمخشري من اعتقاد

المصير إلا كتفاء به وكيلا لأن من آثره الله برهانا على جميع خلقه كان جديرا بأن يكتفى به عن جميع خلقه
* النكاح الوطء وتسمية العقد نكاحا لملابسته له من حيث أنه طريق إليه ونظيره تسميتهم الخمر إثما لأنها
سبب في اقتراف الإثم ونحوه في علم البيان قول الراجز * أسنمة الآبال في سحابه * سمى الماء بأسنمة الآبال
لأنه سبب سمن المال وارتفاع أسنمته ولم يرد لفظ النكاح في كتاب الله إلا في معنى العقد لأنه في معنى الوطء
من باب التصريح به ومن آداب القرآن الكناية عنه بلفظ الملامسة والمماسة والقربان والتغشي والإتيان
(فإن قلت) لم خص المؤمنات والحكم الذي نطقت به الآية تستوي فيه المؤمنات والكتابيات (قلت)
في اختصاصهن تنبيه على أن أصل أمر المؤمن والأولى به أن يتخير لنطفته وأن لا ينكح إلا مؤمنة عفيفة
ويتنزه عن مزاوجة الفواسق فما بال الكوافر ويستنكف أن يدخل تحت لحاف واحد عدوة الله ووليه
فالتي في سورة المائدة تعليم ما هو جائز غير محرم من نكاح المحصنات من الذين أوتوا الكتاب وهذه فيها تعليم
ما هو الأولى بالمؤمن من نكاح المؤمنات (فإن قلت) ما فائدة ثم في قوله (ثم طلقتموهن) (قلت) فائدته نفي
التوهم عمن عسى يتوهم تفاوت الحكم بين أن يطلقها وهي قريبة العهد من النكاح وبين أن يبعد عهدها
بالنكاح ويتراخى بها المدة في حبالة الزوج ثم يطلقها (فإن قلت) إذا خلا بها خلوة يمكنه معها المساس هل
يقوم ذلك مقام المساس (قلت) نعم عند أبي حنيفة وأصحابه حكم الخلوة الصحيحة حكم المساس وقوله (فما لكم
عليهن من عدة) دليل على أن العدة حق واجب على النساء للرجال (تعتدونها) تستوفون عددها من قولك
عددت الدراهم فاعتدها كقولك كلته فاكتاله ووزنته فاتزنه وقرئ تعتدونها مخففا أي تعتدون فيها كقوله
ويوم شهدناه والمراد بالاعتداء ما في قوله تعالى ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا (فإن قلت) ما هذا التمتيع
أواجب أم مندوب إليه (قلت) إن كانت غير مفروض لها كانت المتعة واجبة ولا تجب المتعة عند أبي حنيفة
إلا لها وحدها دون سائر المطلقات وإن كانت مفروضا لها فالمتعة مختلف فيها فبعض على الندب والاستحباب
ومنهم أبو حنيفة وبعض على الوجوب (سراحا جميلا) من غير ضرار ولا منع واجب (أجورهن)
مهورهن لأن المهر أجر على البضع وإيتاؤها إما إعطاؤها عاجلا وإما فرضها وتسميتها في العقد (فإن قلت)
لم قال اللاتي آتيت أجورهن ومما أفاء الله عليك واللاتي هاجرن معك وما فائدة هذه التخصيصات (قلت) قد
اختار الله لرسوله الأفضل الأولى واستحبه بالأطيب الأزكى كما اختصه بغيرها من الخصائص وآثره بما سواها
من الأثرة وذلك أن تسمية المهر في العقد أولى وأفضل من ترك التسمية وإن وقع العقد جائزا وله أن يماسها
وعليه مهر المثل إن دخل بها والمتعة إن لم يدخل بها وسوق المهر إليها عاجلا أفضل من أن يسميه ويؤجله
وكان التعجيل ديدن السلف وسنتهم وما لا يعرف بينهم غيره وكذلك الجارية إذا كانت سبية مالكها وخطبة
سيفه ورمحه ومما غنمه الله من دار الحرب أحل وأطيب مما يشترى من شق الجلب والسبي على ضربين سبي
طيبة وسبي خبثة فسبي الطيبة ما سبي من أهل الحرب وأما من كان له عهد فالمسبي منهم سبي خبثة ويدل
عليه قوله تعالى (مما أفاء الله عليك) لأن فيء الله لا يطلق إلا على الطيب دون الخبيث كما أن رزق الله يجب
إطلاقه على الحلال دون الحرام وكذلك اللاتي هاجرن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرائبه غير المحارم
أفضل من غير المهاجرات معه وعن أم هانئ بنت أبي طالب خطبني رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت
إليه فعذرني ثم أنزل الله هذه الآية فلم أحل له لأني لم أهاجر معه كنت من الطلقاء * وأحللنا لك من وقع
لها أن تهب لك نفسها ولا تطلب مهرا من النساء المؤمنات إن اتفق ذلك ولذلك نكرها واختلف في اتفاق
ذلك فعن ابن عباس رضي الله عنهما لم يكن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد منهن بالهبة وقيل
الموهوبات أربع ميمونة بنت الحرث وزينب بنت خزيمة أم المساكين الأنصارية وأم شريك بنت جابر وخولة
بنت حكيم رضي الله عنهن * قرئ (إن وهبت) على الشرط وقرأ الحسن رضي الله عنه أن بالفتح على
التعليل بتقدير حذف اللام ويجوز أن يكون مصدرا محذوفا معه الزمان كقولك اجلس ما دام زيد جالسا
بمعنى وقت دوامه جالسا ووقت هبتها نفسها وقرأ ابن مسعود بغير إن (فإن قلت) ما معنى الشرط الثاني

ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها فمتعوهن وسرحوهن سراحا جميلا يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك وامرأة مؤمنة إن وهبت

أراد الحقيقة والمجاز معا بلفظ واحد وقد التزمه ههنا ولكن جعل الصلاة من الله حقيقة ومن الملائكة مجازا لأنه حملها على الرحمة وأما غيره فحملها على الدعاء وحملها من الملائكة حقيقة ومن الله مجازا والله أعلم

مع الاول (قلت) هو تقييد له شرط فى الاحلال هبتها نفسها وفى الهبة ارادة استنكاح رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنه قال أحللناها لك ان وهبت لك نفسها وأنت تريد أن تستنكحها لان ارادته هى قبول الهبة وما به تتم (فان قلت) لم عدل عن الخطاب الى الغيبة فى قوله تعالى (نفسها للنبى ان أراد النبى) ثم رجع الى الخطاب (قلت) للايذان بأنه مما خص به وأوثر ومجيئه على لفظ النبى للدلالة على أن الاختصاص تكرمة له لاجل النبوة وتكريره تفخيم له وتقرير لاستحقاقه الكرامة لنبوته * واستنكاحها طلب نكاحها والرغبة فيه وقد استشهد به أبو حنيفة على جواز عقد النكاح بلفظ الهبة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمته سواء فى الاحكام الا فيما خصه الدليل وقال الشافعى لا يصح وقد خص رسول الله صلى الله عليه وسلم بمعنى الهبة ولفظها جميعا لان اللفظ تابع للمعنى والمدعى للاشتراك فى اللفظ يحتاج الى دليل وقال أبو الحسن الكرخى ان عقد النكاح بلفظ الاجارة جائز لقوله تعالى اللاتى آتيت أجورهن وقال أبو بكر الرازى لا يصح لان الاجارة عقد مؤقت وعقد النكاح مؤبد فهما متنافيان (خالصة) مصدر مؤكد كوعد الله وصبغة الله أى خلص لك احلال ما أحللنا لك خالصة بمعنى خلوصا والفاعل والفاعلة فى المصادر غير عزيز كالخارج والقاعد والعافية والكاذبة والدليل على أنها وردت فى أثر الاحلالات الاربع مخصوصة برسول الله صلى الله عليه وسلم على سبيل التوكيد لها قوله (قد علمنا ما فرضنا عليهم فى أزواجهم وما ملكت أيمانهم) بعد قوله من دون المؤمنين وهى جملة اعتراضية وقوله (لكيلا يكون عليك حرج) متصل بخالصة لك من دون المؤمنين ومعنى هذه الجملة الاعتراضية أن الله قد علم ما يجب فرضه على المؤمنين فى الازواج والاماء وعلى أى حد وصفة يجب أن يفرض عليهم ففرضه وعلم المصلحة فى اختصاص رسول الله صلى الله عليه وسلم بما اختصه به ففعل ومعنى لكيلا يكون عليك حرج لئلا يكون عليك ضيق فى دينك حيث اختصصناك بالتنزيه واختيار ما هو أولى وأفضل وفى دنياك حيث أحللنا لك أجناس المنكوحات وزدناك الواهبة نفسها وقرئ خالصة بالرفع أى ذاك خلوص لك وخصوص من دون المؤمنين ومن جعل خالصة نعتا للمرأة فعلى مذهبه هذه المرأة خالصة لك من دونهم (وكان الله غفورا) للواقع فى الحرج اذا تاب (رحيما) بالتوسعة على عباده * روى أن أمهات المؤمنين حين تغايرن وابتغين زيادة النفقة وغظن رسول الله صلى الله عليه وسلم هجرهن شهرا ونزل التخيير فأشفقن أن يطلقهن فقلن يا رسول الله افرض لنا من نفسك ومالك ما شئت وروى ان عائشة رضى الله عنها قالت يا رسول الله انى أرى ربك يسارع فى هواك (ترجى) بهمز وغير همز تؤخر (وتؤوى) تضم يعنى تترك مضاجعة من تشاء منهن وتضاجع من تشاء أو تطلق من تشاء وتمسك من تشاء أو لا تقسم لايتهن شئت وتقسم لمن شئت أو تترك تزوج من شئت من نساء أمتك وتتزوج من شئت وعن الحسن رضى الله عنه كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا خطب امرأة لم يكن لاحد أن يخطبها حتى يدعها وهذه قسمة جامعة لما هو الغرض لانه اما أن يطلق واما أن يمسك فاذا أمسك ضاجع أو ترك وقسم أو لم يقسم واذا طلق وعزل فاما أن يخلى المعزولة لا يبتغيها أو يبتغيها روى أنه أرجى منهن سودة وجويرية وصفية وميمونة وأم حبيبة فكان يقسم لهن ما شاء كما شاء وكانت ممن آوى اليه عائشة وحفصة وأم سلمة وزينب رضى الله عنهن أرجى خمسا وآوى أربعا وروى أنه كان يسوى مع ما أطلق له وخير فيه الا سودة فانها وهبت ليلتها لعائشة وقالت لا تطلقنى حتى أحشر فى زمرة نسائك (ذلك) التفويض الى مشيئتك (أدنى) الى قرة عيونهن وقلة حزنهن ورضاهن جميعا لانه اذا سوى بينهن فى الايواء والارجاء والعزل والابتغاء وارتفع التفاضل ولم يكن لاحداهن مما تريد ومما لا تريد الا مثل ما للاخرى وعلمن أن هذا التفويض من عند الله بوحيه اطمأنت نفوسهن وذهب التنافس والتغاير وحصل الرضا وقرت العيون وسلت القلوب (والله يعلم ما فى قلوبكم) فيه وعيد لمن لم ترض منهن بما دبر الله من ذلك وفوض الى مشيئة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعث على تواطئ قلوبهن والتصافى بينهن والتوافق على طلب رضا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما فيه طيب نفسه * وقرئ تقر أعينهن بضم التاء ونصب الاعين وتقر أعينهن على البناء للمفعول (وكان الله عليما) بذات الصدور (حليما)

نفسها للنبى ان أراد
النبى أن يستنكحها
خالصة لك من دون
المؤمنين قد علمنا ما
فرضنا عليهم فى
أزواجهم وما ملكت
أيمانهم لكيلا يكون
عليك حرج وكان الله
غفورا رحيما ترجى
من تشاء منهن وتؤوى
اليك من تشاء ومن
ابتغيت ممن عزلت فلا
جناح عليك ذلك أدنى
أن تقر أعينهن ولا يحزن
ويرضين بما آتيتهن
كلهن والله يعلم ما فى
قلوبكم وكان الله عليما حليما

لا يعاجل بالعقاب فهو حقيق بأن يتقى ويحذر * كلهن تأكيد لنون يرضين وقرأ ابن مسعود ويرضين
كلهن بما آتيتهن على التقديم وقرئ كلهن تأكيدا لهن في آتيتهن * (لا يحل) وقرئ بالتاء لأن تأنيث
الجمع غير حقيقي وإذا جاز بغير فصل في قوله تعالى وقال نسوة كان مع الفصل أجوز (من بعد) من بعد التسع
لأن التسع نصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأزواج كما أن الأربع نصاب أمته منهن فلا يحل له أن
يتجاوز النصاب (ولا أن تبدل بهن) ولا أن تستبدل بهؤلاء التسع أزواجا أخر بكلهن أو بعضهن أراد الله لهن
كرامة وجزاء على ما اخترن ورضين فقصر النبي صلى الله عليه وسلم عليهن وهي التسع اللاتي مات عنهن عائشة
بنت أبي بكر حفصة بنت عمر أم حبيبة بنت أبي سفيان سودة بنت زمعة أم سلمة بنت أبي أمية صفية
بنت حيي الخيبرية ميمونة بنت الحرث الهلالية زينب بنت جحش الأسدية جويرية بنت الحرث
المصطلقية رضي الله عنهن * من في (من أزواج) لتأكيد النفي وفائدته استغراق جنس الأزواج بالتحريم
وقيل معناه لا تحل لك النساء من بعد النساء اللاتي نص إحلالهن لك من الأجناس الأربعة من الأعرابيات
والغرائب أو من الكتابيات أو من الإماء بالنكاح وقيل في تحريم التبدل هو من البدل الذي كان في الجاهلية
كان يقول الرجل للرجل بادلني بامرأتك وأبادلك بامرأتي فينزل كل واحد منهما عن امرأته لصاحبه ويحكى
أن عيينة بن حصن دخل على النبي صلى الله عليه وسلم وعنده عائشة من غير استئذان فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم يا عيينة أين الاستئذان قال يا رسول الله ما استأذنت على رجل قط ممن مضى منذ أدركت ثم قال من
هذه الجميلة إلى جنبك فقال صلى الله عليه وسلم هذه عائشة أم المؤمنين قال عيينة أفلا أنزل لك عن أحسن
الخلق فقال صلى الله عليه وسلم إن الله قد حرم ذلك فلما خرج قالت عائشة رضي الله عنها من هذا يا رسول الله قال
أحمق مطاع وإنه على ما ترين لسيد قومه وعن عائشة رضي الله عنها ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى
أحل له النساء تعني أن الآية قد نسخت ولا يخلو نسخها إما أن يكون بالسنة وإما بقوله تعالى إنا أحللنا لك
أزواجك وترتيب النزول ليس على ترتيب المصحف (ولو أعجبك) في موضع الحال من الفاعل وهو الضمير في
تبدل لا من المفعول الذي هو من أزواج لأنه موغل في التنكير وتقديره مفروضا إعجابك بهن وقيل هي
أسماء بنت عميس الخثعمية امرأة جعفر بن أبي طالب والمراد أنها ممن أعجبه حسنهن * واستثنى ممن حرم عليه
الإماء (رقيبا) حافظا مهيمنا وهو تحذير عن مجاوزة حدوده وتخطي حلاله إلى حرامه (أن يؤذن لكم) في معنى
الظرف تقديره وقت أن يؤذن لكم و(غير ناظرين) حال من لا تدخلوا وقع الاستثناء على الوقت والحال معا
كأنه قيل لا تدخلوا بيوت النبي صلى الله عليه وسلم إلا وقت الإذن ولا تدخلوها إلا غير ناظرين وهؤلاء قوم
كانوا يتحينون طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم فيدخلون ويقعدون منتظرين لإدراكه ومعناه لا تدخلوا
يا هؤلاء المتحينون للطعام إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه وإلا فلو لم يكن لهؤلاء خصوصا لما جاز
لأحد أن يدخل بيوت النبي صلى الله عليه وسلم إلا أن يؤذن له إذنا خاصا وهو الإذن إلى الطعام فحسب وعن
ابن أبي عبلة أنه قرأ غير ناظرين مجرورا صفة لطعام وليس بالوجه لأنه جرى على غير ما هو له فمن حق ضمير
ما هو له أن يبرز إلى اللفظ فيقال غير ناظرين إناه أنتم كقولك هند زيد ضاربته هي * وإنى الطعام إدراكه
يقال أنى الطعام إنى كقولك قلاه قلى ومنه قوله بين حميم آن بالغ إناه وقيل إناه وقته أي غير ناظرين وقت
الطعام وساعة أكله وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أولم على زينب بتمر وسويق وشاة وأمر أنسا أن
يدعو بالناس فترادفوا أفواجا يأكل فوج فيخرج ثم يدخل فوج إلى أن قال يا رسول الله دعوت حتى ما أجد
أحدا أدعوه فقال ارفعوا طعامكم وتفرق الناس وبقي ثلاثة نفر يتحدثون فأطالوا فقام رسول الله صلى الله
عليه وسلم ليخرجوا فانطلق إلى حجرة عائشة رضي الله عنها فقال السلام عليكم أهل البيت فقالوا وعليك
السلام يا رسول الله كيف وجدت أهلك وطاف بالحجرات فسلم عليهن ودعون له ورجع فإذا الثلاثة جلوس
يتحدثون وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم شديد الحياء فتولى فلما رأوه متوليا خرجوا فرجع ونزلت (ولا
مستأنسين لحديث) نهوا عن أن يطيلوا الجلوس يستأنس بعضهم ببعض لأجل حديث يحدثه به أو عن

لا يحل لك النساء من
بعد ولا أن تبدل بهن
من أزواج ولو أعجبك
حسنهن الا ما ملكت
يمينك وكان الله على كل
شيء رقيبا يا أيها الذين
آمنوا لا تدخلوا بيوت
النبي الا أن يؤذن لكم
الى طعام غير ناظرين
اناه ولكن اذا دعيتم
فادخلوا فاذا طعمتم
فانتشروا ولا مستأنسين
لحديث ان ذلكم كان
يؤذي النبي

أن يستأنسوا حديث أهل البيت واستئناسه تسمعه وتوجسه وهو مجرور معطوف على ناظرين وقيل هو منصوب على ولا تدخلوها مستأنسين * لا بد في قوله (فيستحيي منكم) من تقدير المضاف أي من اخراجكم بدليل قوله والله لا يستحيي من الحق يعني أن اخراجكم حق ما ينبغي أن يستحيا منه * ولما كان الحياء مما يمنع الحيي من بعض الافعال قيل (لا يستحيي من الحق) بمعنى لا يمتنع منه ولا يتركه ترك الحيي منكم وهذا أدب أدب الله به الثقلاء وعن عائشة رضي الله عنها حسبك في الثقلاء أن الله تعالى لم يحتملهم وقال فاذا طعمتم فانتشروا وقرئ لا يستحي بياء واحدة * الضمير في (سألتموهن) لنساء النبي صلى الله عليه وسلم ولم يذكرن لان الحال ناطقة بذكرهن (متاعا) حاجة (فاسألوهن) المتاع قيل ان عمر رضي الله عنه كان يحب ضرب الحجاب عليهن محبة شديدة وكان يذكره كثيرا ويود أن ينزل فيه وكان يقول لو أطاع فيكن ما رأتكن عين وقال يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب فنزلت وروي أنه مر عليهن وهن مع النساء في المسجد فقال لئن احتجبتن فان لكن على النساء فضلا كما أن لزوجكن على الرجال الفضل فقالت زينب رضي الله عنها يا ابن الخطاب انك لتغار علينا والوحي ينزل في بيوتنا فلم يلبثوا الا يسيرا حتى نزلت وقيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يطعم ومعه بعض أصحابه فأصابت يد رجل منهم يد عائشة فكره النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فنزلت آية الحجاب وذكر أن بعضهم قال أننهى أن نكلم بنات عمنا الا من وراء حجاب لئن مات محمد لأتزوجن عائشة فأعلم الله أن ذلك محرم (وما كان لكم) وما صح لكم ايذاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا نكاح أزواجه من بعده * وسمى نكاحهن بعده عظيما عنده وهو من أعلام تعظيم الله لرسوله وايجاب حرمته حيا وميتا واعلامه بذلك مما طيب به نفسه وسر قلبه واستغزر شكره فان نحو هذا مما يحدث الرجل به نفسه ولا يخلي منه فكره ومن الناس من تفرط غيرته على حرمته حتى يتمنى لها الموت لئلا تنكح من بعده وعن بعض الفتيان أنه كانت له جارية لا يرى الدنيا بها شغفا واستهتارا فنظر اليها ذات يوم فتنفس الصعداء وانتحب فعلا نحيبه مما ذهب به فكره هذا المذهب فلم يزل به ذلك حتى قتلها تصورا لما عسى يتفق من بقائها بعده وحصولها تحت يد غيره وعن بعض الفقهاء أن الزوج الثاني في هدم الثلاث مما يجري مجرى العقوبة فصين رسول الله صلى الله عليه وسلم عما يلاحظ ذلك (ان تبدوا شيئا) من نكاحهن على ألسنتكم (أو تخفوه) في صدوركم (فان الله) يعلم ذلك فيعاقبكم به وانما جاء به على أثر ذلك عاما لكل باد وخاف ليدخل تحته نكاحهن وغيره ولانه على هذه الطريقة أهول وأجزل روي أنها لما نزلت آية الحجاب قال الآباء والابناء والاقارب يا رسول الله أو نحن أيضا نكلمهن من وراء الحجاب فنزلت (لا جناح عليهن) أي لا اثم عليهن في أن لا يحتجبن من هؤلاء ولم يذكر العم والخال لانهما يجريان مجرى الوالدين وقد جاءت تسمية العم أبا قال الله تعالى واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق واسمعيل عم يعقوب وقيل كره ترك الاحتجاب عنهما لانهما يصفانها لابنائهما وأبناؤهما غير محارم * ثم نقل الكلام من الغيبة الى الخطاب وفي هذا النقل ما يدل على فضل تشديد فقيل (واتقين الله) فيما أمرتن به من الاحتجاب وأنزل فيه الوحي من الاستتار واحتطن فيه وفيما استثني منه ما قدرتن واحفظن حدودها واسلكن طريق التقوى في حفظهما وليكن عملكن في الحجب أحسن مما كان وأنتن غير محجبات ليفضل سركن علنكن (ان الله كان على كل شئ) من السر والعلن وظاهر الحجاب وباطنه (شهيدا) لا يتفاوت في علمه الاحوال * وقرئ وملائكته بالرفع عطفا على محل ان واسمه وهو ظاهر على مذهب الكوفيين ووجهه عند البصريين أن يحذف الخبر لدلالة يصلون عليه (صلوا عليه وسلموا) أي قولوا الصلاة على الرسول والسلام ومعناه الدعاء بأن يترحم عليه الله ويسلم (فان قلت) الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم واجبة أم مندوب اليها (قلت) بل واجبة وقد اختلفوا في حال وجوبها فمنهم من أوجبها كلما جرى ذكره وفي الحديث من ذكرت عنده فلم يصل علي فدخل النار فأبعده الله ويروى انه قيل يا رسول الله أرأيت قول الله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي فقال صلى الله عليه (تسليما)

فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق واذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا ان ذلكم كان عند الله عظيما ان تبدوا شيئا أو تخفوه فان الله كان بكل شئ عليما لا جناح عليهن في آبائهن ولا أبنائهن ولا اخوانهن ولا أبناء اخوانهن ولا أبناء أخواتهن ولا نسائهن ولا ما ملكت أيمانهن واتقين الله ان الله كان على كل شئ شهيدا ان الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما

من العلم المكنون ولولا أنكم سألتموني عنه ما أخبرتكم به إن الله وكل بي ملكين فلا أذكر عند عبد مسلم فيصلي علي إلا قال ذانك الملكان غفر الله لك وقال الله تعالى وملائكته جوابا لذينك الملكين آمين ولا أذكر عند عبد مسلم فلا يصلي علي إلا قال ذانك الملكان لا غفر الله لك وقال الله وملائكته لذينك الملكين آمين ومنهم من قال تجب في كل مجلس مرة وإن تكرر ذكره كما قيل في آية السجدة وتشميت العاطس وكذلك في كل دعاء في أوله وآخره ومنهم من أوجبها في العمر مرة وكذا قال في إظهار الشهادتين والذي يقتضيه الاحتياط الصلاة عليه عند كل ذكر لما ورد من الأخبار (فإن قلت) فالصلاة عليه في الصلاة أهي شرط في جوازها أم لا (قلت) أبو حنيفة وأصحابه لا يرونها شرطا وعن إبراهيم النخعي كانوا يكتفون عن ذلك يعني الصحابة بالتشهد وهو السلام عليك أيها النبي وأما الشافعي رحمه الله فقد جعلها شرطا (فإن قلت) فما تقول في الصلاة على غيره (قلت) القياس جواز الصلاة على كل مؤمن لقوله تعالى هو الذي يصلي عليكم وقوله تعالى وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم وقوله صلى الله عليه وسلم اللهم صل على آل أبي أوفى ولكن للعلماء تفصيلا في ذلك وهو أنها إن كانت على سبيل التبع كقولك صلى الله على النبي وآله فلا كلام فيها وأما إذا أفرد غيره من أهل البيت بالصلاة كما يفرد هو فمكروه لأن ذلك صار شعارا لذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولأنه يؤدي إلى الاتهام بالرفض وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقفن مواقف التهم (يؤذون الله ورسوله) فيه وجهان أحدهما أن يعبر بإيذائهما عن فعل ما يكرهانه ولا يرضيانه من الكفر والمعاصي وإنكار النبوة ومخالفة الشريعة وما كانوا يصيبون به رسول الله صلى الله عليه وسلم من أنواع المكروه على سبيل المجاز وإنما جعلته مجازا فيهما جميعا وحقيقة الإيذاء صحيحة في رسول الله صلى الله عليه وسلم لئلا أجعل العبارة الواحدة معطية معنى المجاز والحقيقة والثاني أن يراد يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل في أذى الله هو قول اليهود والنصارى والمشركين يد الله مغلولة وثالث ثلاثة والمسيح ابن الله والملائكة بنات الله والأصنام شركاؤه وقيل قول الذين يلحدون في أسمائه وصفاته وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما حكى عن ربه شتمني ابن آدم ولم ينبغ له أن يشتمني وآذاني ولم ينبغ له أن يؤذيني فأما شتمه إياي فقوله إني اتخذت ولدا وأما أذاه فقوله إن الله لا يعيدني بعد أن بدأني وعن عكرمة فعل أصحاب التصاوير الذين يرومون تكوين خلق مثل خلق الله وقيل في أذى رسول الله صلى الله عليه وسلم قولهم ساحر شاعر كاهن مجنون وقيل كسر رباعيته وشج وجهه يوم أحد وقيل طعنهم عليه في نكاح صفية بنت حيي وأطلق إيذاء الله ورسوله وقيد إيذاء المؤمنين والمؤمنات لأن أذى الله ورسوله لا يكون إلا غير حق أبدا وأما أذى المؤمنين والمؤمنات فمنه ومنه ومعنى (بغير ما اكتسبوا) بغير جناية واستحقاق للأذى وقيل نزلت في ناس من المنافقين يؤذون عليا رضي الله عنه ويسمعونه وقيل في الذين أفكوا على عائشة رضي الله عنها وقيل في زناة كانوا يتبعون النساء وهن كارهات وعن الفضيل لا يحل لك أن تؤذي كلبا أو خنزيرا بغير حق فكيف وكان ابن عون لا يكري الحوانيت إلا من أهل الذمة لما فيه من الروعة عند كر الحول * الجلباب ثوب واسع أوسع من الخمار ودون الرداء تلويه المرأة على رأسها وتبقي منه ما ترسله على صدرها وعن ابن عباس رضي الله عنهما الرداء الذي يستر من فوق إلى أسفل وقيل الملحفة وكل ما يستتر به من كساء أو غيره قال أبو زبيد * مجلبب من سواد الليل جلبابا * ومعنى (يدنين عليهن من جلابيبهن) يرخينها عليهن ويغطين بها وجوههن وأعطافهن يقال إذا زل الثوب عن وجه المرأة أدني ثوبك على وجهك وذلك أن النساء كن في أول الإسلام على هجيراهن في الجاهلية متبذلات تبرز المرأة في درع وخمار لا فصل بين الحرة والأمة وكان الفتيان وأهل الشطارة يتعرضون إذا خرجن بالليل إلى مقاضي حوائجهن في النخيل والغيطان للإماء وربما تعرضوا للحرة بعلة الأمة يقولون حسبناها أمة فأمرن أن يخالفن بزيهن عن زي الإماء بلبس الأردية والملاحف وستر الرؤوس والوجوه ليحتشمن ويهبن فلا يطمع فيهن طامع وذلك قوله (ذلك أدنى أن يعرفن) أي أولى وأجدر بأن يعرفن فلا يتعرض لهن ولا يلقين ما يكرهن

إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين

(فان قلت) ما معنى من في من جلابيبهن (قلت) هو للتبعيض الا أن معنى التبعيض محتمل وجهين أحدهما أن يتجلببن ببعض ما لهن من الجلابيب والمراد أن لا تكون الحرة متبذلة في درع وخمار كالامة والماهنة ولها جلبابان فصاعدا في بيتها والثاني أن ترخي المرأة بعض جلبابها وفضله على وجهها تتقنع حتى تتميز من الامة وعن ابن سيرين سألت عبيدة السلماني عن ذلك فقال أن تضع رداءها فوق الحاجب ثم تديره حتى تضعه على أنفها وعن السدي أن تغطي احدى عينيها وجبهتها والشق الآخر الا العين وعن الكسائي يتقنعن بملاحفهن منضمة عليهن أراد بالانضمام معنى الادناء (وكان الله غفورا) لما سلف منهن من التفريط مع التوبة لان هذا مما يمكن معرفته بالعقل (الذين في قلوبهم مرض) قوم كان فيهم ضعف ايمان وقلة ثبات عليه وقيل هم الزناة وأهل الفجور من قوله تعالى فيطمع الذي في قلبه مرض (والمرجفون) ناس كانوا يرجفون بأخبار السوء عن سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون هزموا وقتلوا وجرى عليهم كيت وكيت فيكسرون بذلك قلوب المؤمنين يقال أرجف بكذا اذا أخبر به على غير حقيقة لكونه خبرا متزلزلا غير ثابت من الرجفة وهي الزلزلة والمعنى لئن لم ينته المنافقون عن عداوتهم وكيدهم والفسقة عن فجورهم والمرجفون عما يؤلفون من أخبار السوء لنأمرنك بان تفعل بهم الافاعيل التي تسوءهم وتنوءهم ثم بان تضطرهم الى طلب الجلاء عن المدينة والى أن لا يساكنوك فيها (الا) زمنا (قليلا) ريثما يرتحلون ويلتقطون أنفسهم وعيالاتهم فسمي ذلك اغراء وهو التحريش على سبيل المجاز (ملعونين) نصب على الشتم أو الحال أي لا يجاورونك الا ملعونين دخل حرف الاستثناء على الظرف والحال معا كما مر في قوله الا أن يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه ولا يصح أن ينتصب عن أخذوا لان ما بعد كلمة الشرط لا يعمل فيما قبلها وقيل في قليلا هو منصوب على الحال أيضا ومعناه لا يجاورونك الا أقلاء أذلاء ملعونين (فان قلت) ما موقع لا يجاورونك (قلت) لا يجاورونك عطف على لنغرينك لانه يجوز أن يجاب به القسم ألا ترى الى صحة قولك لئن لم ينتهوا لا يجاورونك (فان قلت) أما كان من حق لا يجاورونك أن يعطف بالفاء وأن يقال لنغرينك بهم فلا يجاورونك (قلت) لو جعل الثاني مسببا عن الاول لكان الامر كما قلت ولكنه جعل جوابا آخر للقسم معطوفا على الاول وانما عطف بثم لان الجلاء عن الاوطان كان أعظم عليهم وأعظم من جميع ما أصيبوا به فتراخت حاله عن حال المعطوف عليه (سنة الله) في موضع مصدر مؤكد أي سن الله في الذين ينافقون الانبياء أن يقتلوا حيثما ثقفوا وعن مقاتل يعني كما قتل أهل بدر وأسروا * كان المشركون يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت قيام الساعة استعجالا على سبيل الهزء واليهود يسألونه امتحانا لان الله تعالى عمى وقتها في التوراة وفي كل كتاب فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يجيبهم بانه علم قد استأثر الله به لم يطلع عليه ملكا ولا نبيا ثم بين لرسوله أنها قريبة الوقوع تهديدا للمستعجلين واسكاتا للممتحنين (قريبا) شيئا قريبا أو لان الساعة في معنى اليوم أو في زمان قريب * السعير النار المسعورة الشديدة الايقاد * وقرئ تقلب على البناء للمفعول وتقلب بمعنى تتقلب ونقلب أي نقلب نحن وتقلب على أن الفعل للسعير ومعنى تقليبها تصريفها في الجهات كما ترى البضعة تدور في القدر اذا غلت فتراها ترامى بها الغليان من جهة الى جهة أو تغييرها عن أحوالها وتحويلها عن هيئاتها أو طرحها في النار مقلوبين منكوسين وخصت الوجوه بالذكر لان الوجه أكرم موضع على الانسان من جسده ويجوز أن يكون الوجه عبارة عن الجملة وناصب الظرف يقولون أو محذوف وهو اذكر واذا نصب بالمحذوف كان يقولون حالا * وقرئ سادتنا وساداتنا وهم رؤساء الكفر الذين لقنوهم الكفر وزينوه لهم * يقال ضل السبيل وأضله اياه وزيادة الالف لاطلاق الصوت جعلت فواصل الآي كقوافي الشعر وفائدتها الوقف والدلالة على أن الكلام انقطع وأن ما بعده مستأنف * وقرئ كثيرا تكثيرا لاعداد اللعائن وكبيرا ليدل على أشد اللعن وأعظمه (ضعفين) ضعفا لضلاله وضعفا لاضلاله يتفرقون ويستغيثون ويتمنون ولا ينفعهم شئ من ذلك الا

على وقرئ (حلما)

وكان الله غفورا رحيما لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا يسألك الناس عن الساعة قل انما علمها عند الله وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا ان الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيرا خالدين فيها أبدا لا يجدون وليا ولا نصيرا يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا وقالوا ربنا انا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا

* قوله تعالى لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا (قال فيه) المراد بقوله تعالى الا قليلا ريثما يرتحلون عيالاتهم وأنفسهم لا غير (قال أحمد) وفيها اشارة الى أن من توجه عليه الجلاء من منزل مملوك للغير بوجه شرعي يمهل ريثما ينتقل بنفسه ومتاعه وعياله برهة من الزمان حتى يتحصل له منزل آخر على حسب الاجتهاد والله أعلم

كالذين آذوا موسى) قيل نزلت في شأن زيد وزينب وما سمع فيه من قالة بعض الناس وقيل في أذى موسى عليه السلام هو حديث المومسة التي أرادها قارون على قذفه بنفسها وقيل اتهامهم إياه بقتل هرون وكان قد خرج معه الى الجبل فمات هناك فحملته الملائكة ومروا به عليهم ميتا فأبصروه حتى عرفوا أنه غير مقتول وقيل أحياه الله فأخبرهم ببراءة موسى عليه السلام وقيل قرفوه بعيب في جسده من برص أو أدرة فأطلعهم الله على انه بريء منه (وجيها) ذا جاه ومنزلة عنده فلذلك كان يميط عنه التهم ويدفع الأذى ويحافظ عليه لئلا يلحقه وصم ولا يوصف بنقيصة كما يفعل الملك بمن له عنده قربة ووجاهة وقرأ ابن مسعود والأعمش وأبو حيوة وكان عبد الله وجيها قال ابن خالويه صليت خلف ابن شنبوذ في شهر رمضان فسمعته يقرؤها وقراءة العامة أوجه لانها مفصحة عن وجاهته عند الله كقوله تعالى عند ذي العرش مكين وهذه ليست كذلك (فان قلت) قوله مما قالوا معناه من قولهم أو من مقولهم لان ما اما مصدرية أو موصولة وأيهما كان فكيف تصح البراءة منه (قلت) المراد بالقول أو المقول مؤداه ومضمونه وهو الامر المعيب ألا ترى أنهم سموا السبة بالقالة والقالة بمعنى القول (قولا سديدا) قاصدا الى الحق والسداد القصد الى الحق والقول بالعدل يقال سدد السهم نحو الرمية اذا لم يعدل به عن سمتها كما قالوا سهم قاصد والمراد نهيهم عما خاضوا فيه من حديث زينب من غير قصد وعدل في القول والبعث على أن يسد قولهم في كل باب لان حفظ اللسان وسداد القول رأس الخير كله والمعنى راقبوا الله في حفظ ألسنتكم وتسديد قولكم فانكم ان فعلتم ذلك أعطاكم الله ما هو غاية الطلبة من تقبل حسناتكم والاثابة عليها ومن مغفرة سيآتكم وتكفيرها وقيل اصلاح الاعمال التوفيق في المجيء بها صالحة مرضية وهذه الآية مقررة للتي قبلها بنيت تلك على النهي عما يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه على الامر باتقاء الله تعالى في حفظ اللسان ليترادف عليهم النهي والامر مع اتباع النهي ما يتضمن الوعيد من قصة موسى عليه السلام واتباع الامر الوعد البليغ فيقوى الصارف عن الاذى والداعي الى تركه * لما قال (ومن يطع الله ورسوله) وعلق بالطاعة الفوز العظيم أتبعه قوله (انا عرضنا الامانة) وهو يريد بالامانة الطاعة فعظم أمرها وفخم شأنها وفيه وجهان أحدهما أن هذه الاجرام العظام من السموات والارض والجبال قد انقادت لامر الله عز وعلا انقياد مثلها وهو ما يتأتى من الجمادات وأطاعت له الطاعة التي تصح منها وتليق بها حيث لم تمتنع على مشيئته وارادته ايجادا وتكوينا وتسوية على هيآت مختلفة وأشكال متنوعة كما قال قالتا أتينا طائعين وأما الانسان فلم تكن حاله فيما يصح منه من الطاعات ويليق به من الانقياد لاوامر الله ونواهيه وهو حيوان عاقل صالح للتكليف مثل حال تلك الجمادات فيما يصح منها ويليق بها من الانقياد وعدم الامتناع والمراد بالامانة الطاعة لانها لازمة الوجود كما أن الامانة لازمة الاداء وعرضها على الجمادات وإباؤها واشفاقها مجاز * وأما حمل الامانة فمن قولك فلان حامل للامانة ومحتمل لها تريد أنه لا يؤديها الى صاحبها حتى تزول عن ذمته ويخرج عن عهدتها لان الامانة كأنها راكبة للمؤتمن عليها وهو حاملها ألا تراهم يقولون ركبته الديون ولي عليه حق فاذا أداها لم تبق راكبة له ولا هو حاملا لها ونحوه قولهم لا يملك مولى لمولى نصرا يريدون أنه يبذل النصرة له ويسامحه بها ولا يمسكها كما يمسكها الخاذل ومنه قول القائل

أخوك الذي لا تملك الحس نفسه * وترفض عند المحفظات الكتائف

لا يمسك الرقة والعطف امساك المالك الضنين ما في يده بل يبذل ذلك ويسمح به ومنه قولهم أبغض حق أخيك لانه اذا أحبه لم يخرجه الى أخيه ولم يؤده واذا أبغضه أخرجه وأداه فمعنى فأبين أن يحملنها وحملها الانسان فأبين الا أن يؤدينها وأبى الانسان الا أن يكون محتملا لها لا يؤديها * ثم وصفه بالظلم لكونه تاركا للامانة وبالجهل لاخطائه ما يسعده مع تمكنه منه وهو أداؤها والثاني أن ما كلفه الانسان بلغ من عظمه وثقل محمله أنه عرض على أعظم ما خلق الله من الاجرام وأقواه وأشده أن يتحمله ويستقل به فأبى حمله والاستقلال به وأشفق منه وحمله الانسان على ضعفه ورخاوة قوته (انه كان ظلوما جهولا) حيث حمل الامانة ثم لم يف بها وضمنها ثم خاس بضمانه فيها ونحو هذا من الكلام كثير في لسان العرب وما جاء القرآن الا على

كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفورا رحيما

طرقهم وأساليبهم من ذلك قولهم لو قيل للشحم أين تذهب لقال أسوّي العوج وكم لهم من أمثال على ألسنة البهائم والجمادات وتصوّر مقاولة الشحم محال ولكن الغرض أن السمن في الحيوان مما يحسن قبيحه كما أن العجف مما يقبح حسنه فصوّر أثر السمن فيه تصويرا هو أوقع في نفس السامع وهي به آنس وله أقبل وعلى حقيقته أوقف وكذلك تصوير عظم الامانة وصعوبة أمرها وثقل محملها والوفاء بها (فان قلت) قد علم وجه التمثيل في قولهم للذي لا يثبت على رأي واحد أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى لانه مثلت حاله في تميله وترجحه بين الرأيين وتركه المضي على أحدهما بحال من يتردد في ذهابه فلا يجمع رجليه للمضي في وجهه وكل واحد من الممثل والممثل به شيء مستقيم داخل تحت الصحة والمعرفة وليس كذلك ما في هذه الآية فان عرض الامانة على الجماد وإباءه وإشفاقه محال في نفسه غير مستقيم فكيف صح بناء التمثيل على المحال وما مثال هذا الا أن تشبه شيأ والمشبه به غير معقول (قلت) الممثل به في الآية وفي قولهم لو قيل للشحم أين تذهب وفي نظائره مفروض والمفروضات تتخيل في الذهن كما المحققات مثلت حال التكليف في صعوبته وثقل محمله بحاله المفروضة لو عرضت على السموات والارض والجبال لأبين أن يحملنها وأشفقن منها * واللام في ليعذب لام التعليل على طريق المجاز لان التعذيب نتيجة حمل الامانة كما أن التأديب في ضربته للتأديب نتيجة الضرب * وقرأ الأعمش ويتوب ليجعل العلة قاصرة على فعل الحامل ويبتدئ ويتوب الله ومعنى قراءة العامة ليعذب الله حامل الامانة ويتوب على غيره ممن لم يحملها لانه اذا تيب على الوافي كان ذلك نوعا من عذاب الغادر والله أعلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الاحزاب وعلمها أهله وما ملكت يمينه أعطي الأمان من عذاب القبر

﴿سورة سبأ مكية وهي أربع وخمسون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

ما في السموات والارض كله نعمة من الله وهو الحقيق بأن يحمد ويثنى عليه من أجله ولما قال (الحمد لله) ثم وصف ذاته بالانعام بجميع النعم الدنيوية كان معناه أنه المحمود على نعم الدنيا كما تقول احمد أخاك الذي كساك وحملك تريد احمده على كسوته وحملانه ولما قال (وله الحمد في الآخرة) علم أنه المحمود على نعم الآخرة وهو الثواب (فان قلت) ما الفرق بين الحمدين (قلت) أما الحمد في الدنيا فواجب لانه على نعمة متفضل بها وهو الطريق الى تحصيل نعمة الآخرة وهي الثواب وأما الحمد في الآخرة فليس بواجب لانه على نعمة واجبة الايصال الى مستحقها انما هو تتمة سرور المؤمنين وتكملة اغتباطهم يلتذون به كما يلتذ من به العطاش بالماء البارد (وهو الحكيم) الذي أحكم أمور الدارين ودبرها بحكمته (الخبير) بكل كائن يكون * ثم ذكر مما يحيط به علما (ما يلج في الارض) من الغيث كقوله فسلكه ينابيع في الارض ومن الكنوز والدفائن والاموات وجميع ما هي له كفات (وما يخرج منها) من الشجر والنبات وماء العيون والغلة والدواب وغير ذلك (وما ينزل من السماء) من الامطار والثلوج والبرد والصواعق والارزاق والملائكة وأنواع البركات والمقادير كما قال تعالى وفي السماء رزقكم وما توعدون (وما يعرج فيها) من الملائكة وأعمال العباد (وهو) مع كثرة نعمه وسبوغ فضله (الرحيم الغفور) للمفرطين في أداء مواجب شكرها * وقرأ علي بن أبي طالب رضي الله عنه ننزل بالنون والتشديد * قولهم (لا تأتينا الساعة) نفي للبعث وانكار لمجيء الساعة أو استبطاء لما قد وعدوه من قيامها على سبيل الهزء والسخرية كقولهم متى هذا الوعد * أوجب ما بعد النفي ببلى على معنى أن ليس الامر الا اتيانها ثم أعيد ايجابه مؤكدا بما هو الغاية في التوكيد والتشديد وهو التوكيد باليمين بالله عز وجل ثم أمد التوكيد القسمي امدادا بما أتبع المقسم به من الوصف بما وصف به الى قوله ليجزي لان عظمة حال المقسم به تؤذن بقوة حال المقسم عليه وبشدة ثباته واستقامته لانه بمنزلة الاستشهاد على الامر وكلما كان المستشهد به أعلى كعبا وأبين فضلا وأرفع منزلة كانت الشهادة أقوى وآكد والمستشهد عليه أثبت وأرسخ (فان قلت) هل للوصف الذي وصف به المقسم به وجه اختصاص بهذا المعنى (قلت) نعم وذلك أن قيام الساعة من

مقامه

﴿سورة سبأ مكية وهي أربع وخمسون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض وله الحمد في الآخرة وهو الحكيم الخبير يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو الرحيم الغفور وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربي لتأتينكم عالم الغيب لا يعزب عنه

﴿القول في سورة سبأ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله تعالى الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض وله الحمد في الآخرة (قال فيه الحمد الاول واجب لانه على نعمة متفضل بها والثاني ليس بواجب لانه على نعمة واجبة على المنعم) قال أحمد والحق في الفرق بين الحمدين أن الاول عبادة مكلف بها والثاني غير مكلف به ولا متكلف وانما هو في النشأة الثانية كالطلبات في النشأة الاولى ولذلك قال عليه الصلاة والسلام يلهمون التسبيح كما يلهمون النفس والا فالنعمة الاولى كالثانية تفضل من الله تعالى على عباده لا عن استحقاق والله الموفق

مشاهد الغيوب وأدخلها في الخفية وأولها مسارعة الى القلب اذا قيل عالم الغيب حين أقسم باسمه على
اثبات قيام الساعة وأنه كائن لا محالة ثم وصف بما يرجع الى علم الغيب وأنه لا يفوت علمه شيء من الخفيات
اندرج تحته احاطته بوقت قيام الساعة فجاء ما تطلبه من وجه الاختصاص مجيئا واضحا (فان قلت) الناس
قد أنكروا اتيان الساعة وجحدوه فهب أنه حلف لهم بأغلظ الايمان وأقسم عليهم جهد القسم فيمين من هو
في معتقدهم مفتر على الله كذبا كيف تكون مصححة لما أنكروه (قلت) هذا لو اقتصر على اليمين ولم
يتبعها الحجة القاطعة والبينة الساطعة وهي قوله ليجزي فقد وضع الله في العقول وركب في الغرائز وجوب
الجزاء وأن المحسن لا بد له من ثواب والمسيء لا بد له من عقاب وقوله ليجزي متصل بقوله لتأتينكم تعليلا
له * قرئ لتأتينكم بالتاء والياء ووجه من قرأ بالياء أن يكون ضميره للساعة بمعنى اليوم أو يسند الى عالم
الغيب أي ليأتينكم أمره كما قال تعالى هل ينظرون الا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك وقال أو يأتي
أمر ربك * وقرئ عالم الغيب وعلام الغيب بالجر صفة لربي وعالم الغيب وعالم الغيوب بالرفع على المدح
ولا يعزب بالضم والكسر في الزاي من العزوب وهو البعد يقال روض عزيب بعيد من الناس (مثقال
ذرة) مقدار أصغر نملة (ذلك) اشارة الى مثقال ذرة * وقرئ ولا أصغر من ذلك ولا أكبر بالرفع على
أصل الابتداء وبالفتح على نفي الجنس كقولك لا حول ولا قوة الا بالله بالرفع والنصب وهو كلام منقطع
عما قبله (فان قلت) هل يصح عطف المرفوع على مثقال ذرة كأنه قيل لا يعزب عنه مثقال ذرة وأصغر
وأكبر وزيادة لا لتأكيد النفي وعطف المفتوح على ذرة بأنه فتح في موضع الجر لامتناع الصرف كأنه قيل
لا يعزب عنه مثقال ذرة ولا مثقال أصغر من ذلك ولا أكبر (قلت) يأبى ذلك حرف الاستثناء الا اذا جعلت
الضمير في عنه للغيب وجعلت الغيب اسما للخفيات قبل ان تكتب في اللوح لان اثباتها في اللوح نوع من
البروز عن الحجاب على معنى أنه لا ينفصل عن الغيب شيء ولا يزل عنه الا مسطورا في اللوح * وقرئ معجزين
وأليم بالرفع والجر * وعن قتادة الرجز سوء العذاب (ويرى) في موضع الرفع أي ويعلم أولو العلم يعني أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن يطأ أعقابهم من أمته أو علماء أهل الكتاب الذين أسلموا مثل كعب الاحبار
وعبد الله بن سلام رضي الله عنهما * الذي أنزل اليك الحق هما مفعولان ليرى وهو فصل ومن قرأ الحق
بالرفع جعله مبتدأ والحق خبرا والجملة في موضع المفعول الثاني وقيل يرى في موضع النصب معطوف على
ليجزي أي وليعلم أولو العلم عند مجيء الساعة أنه الحق علما لا يزاد عليه في الايقان ويحتجوا به على الذين كذبوا
وتولوا ويجوز أن يريد وليعلم من لم يؤمن من الاحبار أنه هو الحق فيزدادوا حسرة وغما (الذين كفروا)
قريش قال بعضهم لبعض (هل ندلكم على رجل) يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم يحدثكم بأعجوبة من
الاعاجيب انكم تبعثون وتنشؤون خلقا جديدا بعد أن تكونوا رفاتا وترابا ويمزق أجسادكم البلى كل ممزق أي
يفرقكم ويبدد أجزاءكم كل تبديد * أهو مفتر على الله كذبا فيما ينسب اليه من ذلك أم به جنون يوهمه ذلك
ويلقيه على لسانه * ثم قال سبحانه ليس محمد من الافتراء والجنون في شيء وهو مبرأ منهما بل هؤلاء القائلون
الكافرون بالبعث واقعون في عذاب النار وفيما يؤديهم اليه من الضلال عن الحق وهم غافلون عن ذلك
وذلك أجن الجنون وأشده اطباقا على عقولهم جعل وقوعهم في العذاب رسيلا لوقوعهم في الضلال كأنهما
كائنان في وقت واحد لان الضلال لما كان العذاب من لوازمه وموجباته جعلا كأنهما في الحقيقة مقترنان
* وقرأ زيد بن علي رضي الله عنه ينبئكم (فان قلت) فقد جعلت الممزق مصدرا كبيت الكتاب

ألم تعلم مسرحي القوافي * فلا عيا بهن ولا اجتلابا

فهل يجوز أن يكون مكانا (قلت) نعم ومعناه ما حصل من الاموات في بطون الطير والسباع وما مرت به
السيول فذهبت به كل مذهب وما سفته الرياح فطرحته كل مطرح * (فان قلت) ما العامل في اذا (قلت)
ما دل عليه انكم لفي خلق جديد وقد سبق نظيره * (فان قلت) الجديد فعيل بمعنى فاعل أم مفعول (قلت)
هو عند البصريين بمعنى فاعل تقول جد فهو جديد كحد فهو حديد وقل فهو قليل وعند الكوفيين بمعنى
مفعول من جده اذا قطعه وقالوا هو الذي جده الناسج الساعة في الثوب ثم شاع ويقولون ولهذا قالوا ملحفة

مثقال ذرة في السموات ولا في الارض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا في كتاب مبين ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة ورزق كريم والذين سعوا في آياتنا معاجزين أولئك لهم عذاب من رجز أليم ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل اليك من ربك هو الحق ويهدي الى صراط العزيز الحميد وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق انكم لفي خلق جديد

جديد وهي عند البصريين كقوله تعالى ان رحمة الله قريب ونحو ذلك (فان قلت) لم أسقطت الهمزة في قوله
افترى دون قوله آلسحر وكلتاهما همزة وصل (قلت) القياس الطرح ولكن أمرا اضطرهم الى ترك اسقاطها
في نحو آلسحر وهو خوف التباس الاستفهام بالخبر لكون همزة الوصل مفتوحة كهمزة الاستفهام * (فان
قلت) ما معنى وصف الضلال بالبعد (قلت) هو من الاسناد المجازي لان البعيد صفة الضال اذا بعد عن
الجادة وكلما ازداد عنها بعدا كان أضل (فان قلت) كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهورا علما في قريش
وكان انباؤه بالبعث شائعا عندهم فما معنى قوله هل ندلكم على رجل ينبئكم فنكروه لهم وعرضوا عليهم الدلالة
عليه كما يدل على مجهول في أمر مجهول (قلت) كانوا يقصدون بذلك الطنز والسخرية فأخرجوه مخرج التحلي
ببعض الاحاجي التي يتحاجى بها للضحك والتلهي متجاهلين به وبأمره * أعموا فلم ينظروا الى السماء والارض
وأنهما حيثما كانوا وأينما ساروا أمامهم وخلفهم محيطتان بهم لا يقدرون أن ينفذوا من أقطارهما وأن
يخرجوا عما هم فيه من ملكوت الله عز وجل ولم يخافوا أن يخسف الله بهم أو يسقط عليهم كسفا لتكذيبهم
الآيات وكفرهم بالرسول صلى الله عليه وسلم وبما جاء به كما فعل بقارون وأصحاب الايكة (ان في ذلك) النظر
الى السماء والارض والفكر فيهما وما يدلان عليه من قدرة الله (لآية) ودلالة (لكل عبد منيب) وهو
الراجع الى ربه المطيع له لان المنيب لا يخلو من النظر في آيات الله على أنه قادر على كل شيء من البعث ومن
عقاب من يكفر به * قرئ يشأ ويخسف ويسقط بالياء لقوله تعالى أفترى على الله كذبا وبالنون لقوله ولقد
آتينا وكسفا بفتح السين وسكونه * وقرأ الكسائي نخسف بهم بالادغام وليست بقوية (يا جبال) اما أن
يكون بدلا من فضلا واما من آتينا بتقدير قولنا يا جبال أو قلنا يا جبال * وقرئ أوبي وأوبي من التأويب
والاوب أي رجعي معه التسبيح أو ارجعي معه في التسبيح كلما رجع فيه لانه اذا رجعه فقد رجع فيه ومعنى
تسبيح الجبال أن الله سبحانه وتعالى يخلق فيها تسبيحا كما خلق الكلام في الشجرة فيسمع منها ما يسمع من
المسبح معجزة لداود وقيل كان ينوح على ذنبه بترجيع وتحزين وكانت الجبال تسعده على نوحه بأصدائها
والطير بأصواتها * وقرئ والطير رفعا ونصبا عطفا على لفظ الجبال ومحلها وجوزوا أن ينتصب مفعولا معه
وأن يعطف على فضلا بمعنى وسخرنا له الطير (فان قلت) أي فرق بين هذا النظم وبين أن يقال وآتينا داود
منا فضلا تأويب الجبال معه والطير (قلت) كم بينهما ألا ترى الى ما فيه من الفخامة التي لا تخفى من
الدلالة على عزة الربوبية وكبرياء الالهية حيث جعلت الجبال منزلة منزلة العقلاء الذين اذا أمرهم أطاعوا
وأذعنوا واذا دعاهم سمعوا وأجابوا اشعارا بأنه ما من حيوان وجماد وناطق وصامت الا وهو منقاد لمشيئته
غير ممتنع على ارادته (وألنا له الحديد) وجعلناه له لينا كالطين والعجين والشمع يصرفه بيده كيف يشاء من غير
نار ولا ضرب بمطرقة وقيل لان الحديد في يده لما أوتي من شدة القوة * وقرئ صابغات وهي الدروع الواسعة
الضافية وهو أول من اتخذها وكانت قبل صفائح وقيل كان يبيع الدرع بأربعة آلاف فينفق منها على
نفسه وعياله ويتصدق على الفقراء وقيل كان يخرج حين ملك بني اسرائيل متنكرا فيسأل الناس عن
نفسه ويقول لهم ما تقولون في داود فيثنون عليه فقيض الله له ملكا في صورة آدمي فسأله على عادته فقال
نعم الرجل لولا خصلة فيه فريع داود فسأله فقال لولا أنه يطعم عياله من بيت المال فسأل عند ذلك ربه أن
يسبب له ما يستغني به عن بيت المال فعلمه صنعة الدروع (وقدر) لا تجعل المسامير دقاقا فتقلق ولا غلاظا
فتفصم الحلق * والسرد نسج الدروع (واعملوا) الضمير لداود وأهله * (و) سخرنا (لسليمان الريح) فيمن
نصب ولسليمان الريح مسخرة فيمن رفع وكذلك فيمن قرأ الرياح بالرفع (غدوها شهر) جريها بالغداة مسيرة
شهر وجريها بالعشي كذلك * وقرئ غدوتها وروحتها وعن الحسن رضي الله عنه كان يغدو فيقيل باصطخر
ثم يروح فيكون رواحه بكابل ويحكى أن بعضهم رأى مكتوبا في منزل بناحية دجلة كتبه بعض أصحاب
سليمان نحن نزلناه وما بنيناه ومبنيا وجدناه غدونا من اصطخر فقلناه ونحن رائحون منه فبائتون
بالشام ان شاء الله * القطر النحاس المذاب من القطران (فان قلت) ماذا أراد بعين القطر (قلت)

افترى على الله كذبا أم
به جنة بل الذين
لا يؤمنون بالآخرة
في العذاب والضلال
البعيد أفلم يروا الى
ما بين أيديهم وما خلفهم
من السماء والارض
ان نشأ نخسف بهم
الارض أو نسقط عليهم
كسفا من السماء ان
في ذلك لآية لكل
عبد منيب ولقد آتينا
داود منا فضلا يا جبال
أوبي معه والطير وألنا
له الحديد أن اعمل
سابغات وقدر في السرد
واعملوا صالحا اني بما
تعملون بصير ولسليمان
الريح غدوها شهر
ورواحها شهر وأسلنا
له عين القطر ومن
الجن من يعمل بين يديه

أو اذيب له معدن النحاس ولكنه أساله كما ألان الحديد لداود فنبع كما ينبع الماء من العين فلذلك سماه عين القطر
باسم ما آل اليه كما قال انى أرانى أعصر خمرا وقيل كان يسيل فى الشهر ثلاثة أيام (باذن ربه) بامره (ومن يزغ
منهم) ومن يعدل (عن أمرنا) الذى أمرناه به من طاعة سليمان وقرئ يزغ من أزاغه * وعذاب السعير
عذاب الآخرة عن ابن عباس رضى الله عنهما وعن السدى كان معه ملك بيده سوط من نار كلما استعصى
عليه ضربه من حيث لا يراه الجنى * المحاريب المساكن والمجالس الشريفة المصونة عن الابتذال سميت
محاريب لانه يحامى عليها ويذب عنها وقيل هى المساجد * والتماثيل صور الملائكة والنبيين والصالحين
كانت تعمل فى المساجد من نحاس وصفر وزجاج ورخام ليراها الناس فيعبدوا نحو عبادتهم (فان قلت)
كيف استجاز سليمان عليه السلام عمل التصاوير (قلت) هذا مما يجوز أن تختلف فيه الشرائع لانه ليس
من مقبحات العقل كالظلم والكذب وعن أبى العالية لم يكن اتخاذ الصور اذ ذاك محرما ويجوز أن يكون غير
صور الحيوان كصور الاشجار وغيرها لان التمثال كل ما صور على مثل صورة غيره من حيوان وغير
حيوان أو تصور محذوفة الرؤس وروى أنهم عملوا له أسدين فى أسفل كرسيه ونسرين فوقه فاذا أراد أن
يصعد بسط الاسدان له ذراعيهما واذا قعد أظله النسران باجنحتهما * والجوابى الحياض الكبار قال

تروح على آل المحلق جفنة * كجابية الشيخ العراقى تفهق

لان الماء يجبى فيها أى يجمع جعل الفعل لها مجازا وهى من الصفات الغالبة كالدابة قيل كان يقعد على
الجفنة ألف رجل وقرئ بحذف الياء اكتفاء بالكسرة كقوله تعالى يوم يدع الداع (راسيات) ثابتات على
الاثافى لا تنزل عنها لعظمها (اعملوا آل داود) حكاية ما قيل لآل داود وانتصب (شكرا) على أنه مفعول له أى
اعملوا لله واعبدوه على وجه الشكر لنعمائه وفيه دليل على ان العبادة يجب أن تؤدى على طريق الشكر
أو على الحال أى شاكرين أو على تقدير اشكروا شكرا لان اعملوا فيه معنى اشكروا من حيث ان العمل للمنعم
شكر له ويجوز أن ينتصب باعملوا مفعولا به ومعناه انا سخرنا لكم الجن يعملون لكم ما شئتم فاعملوا أنتم شكرا
على طريق المشاكلة (والشكور) المتوفر على أداء الشكر الباذل وسعه فيه قد شغل به قلبه ولسانه وجوارحه
اعتقادا واعترافا وكدحا أكثر أوقاته وعن ابن عباس رضى الله عنهما من يشكر على أحواله كلها وعن السدى
من يشكر على الشكر وقيل من يرى عجزه عن الشكر وعن داود انه جزأ ساعات الليل والنهار على أهله
فلم تكن تأتى ساعة من الساعات الا وانسان من آل داود قائم يصلى وعن عمر رضى الله عنه أنه سمع رجلا
يقول اللهم اجعلنى من القليل فقال عمر ما هذا الدعاء فقال الرجل انى سمعت الله يقول وقليل من عبادى
الشكور فانا أدعوه أن يجعلنى من ذلك القليل فقال عمر كل الناس أعلم من عمر * قرئ فلما قضى عليه الموت
* ودابة الارض الارضة وهى الدويبة التى يقال لها السرفة والارض فعلها فاضيفت اليه يقال أرضت
الخشبة أرضا اذا أكلتها الارضة * وقرئ بفتح الراء من أرضت الخشبة أرضا وهو من باب فعلته ففعل كقولك
أكلت القوادح الاسنان أكلا فأكلت أكلا * والمنسأة العصا لانه ينسأ بها أى يطرد ويؤخر * وقرئ بفتح الميم
وتخفيف الهمزة قلبا وحذفا وكلاهما ليس بقياس ولكن اخراج الهمزة بين بين هو التخفيف القياسى
ومنساءته على مفعالة كما يقال فى الميضأة ميضاءة ومن سأته أى من طرف عصاه سميت بسأة القوس على
الاستعارة وفيها لغتان كقولهم قحة وقحة وقرئ أكلت منسأته (تبينت الجن) من تبين الشئ اذا ظهر وتجلى
* و (أن) مع صلتها بدل من الجن بدل الاشتمال كقولك تبين زيد جهله والظهور له فى المعنى أى ظهر أن
الجن (لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب) أو علم الجن كلهم علما بينا بعد التباس الامر على عامتهم
وضعفتهم وتوهمهم أن كبارهم يصدقون فى ادعائهم علم الغيب أو علم المدعون علم الغيب منهم عجزهم وانهم
لا يعلمون الغيب وان كانوا عالمين قبل ذلك بحالهم وانما أريد التهكم بهم كما تتهكم بمدعى الباطل اذا دحضت
حجته وظهر ابطاله بقولك هل تبينت انك مبطل وأنت تعلم انه لم يزل كذلك متبينا وقرئ تبينت الجن على
البناء للمفعول على أن المتبين فى المعنى هو أن مع ما فى صلتها لانه بدل وفى قراءة أبى تبينت الانس وعن الضحاك

باذن ربه ومن يزغ منهم
عن أمرنا نذقه من
عذاب السعير يعملون
له ما يشاء من محاريب
وتماثيل وجفان
كالجواب وقدور
راسيات اعملوا آل
داود شكرا وقليل من
عبادى الشكور فلما
قضينا عليه الموت
ما دلهم على موته الا
دابة الارض تأكل
منسأته فلما خر تبينت
الجن أن لو كانوا يعلمون
الغيب ما لبثوا فى
العذاب المهين لقد كان

تباينت الانس بمعنى تعارفت وتعالمت والضمير في كانوا للجن في قوله ومن الجن من يعمل بين يديه أي علمت الانس أن لو كان الجن يصدقون فيما يوهمونهم من علمهم الغيب ما لبثوا وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه تبينت الانس أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب روي أنه كان من عادة سليمان عليه السلام أن يعتكف في مسجد بيت المقدس المدد الطوال فلما دنا أجله لم يصبح الا رأى في محرابه شجرة نابتة قد أنطقها الله فيسألها لأي شيء أنت فتقول لكذا حتى أصبح ذات يوم فرأى الخروبة فسألها فقالت نبت لخراب هذا المسجد فقال ما كان الله ليخربه وأنا حي أنت التي على وجهك هلاكي وخراب بيت المقدس فنزعها وغرسها في حائط له وقال اللهم عم على الجن موتي حتى يعلم الناس أنهم لا يعلمون الغيب لأنهم كانوا يسترقون السمع ويموهون على الانس أنهم يعلمون الغيب وقال لملك الموت اذا أمرت بي فأعلمني فقال أمرت بك وقد بقيت من عمرك ساعة فدعا الشياطين فبنوا عليه صرحا من قوارير ليس له باب فقام يصلي متكئا على عصاه فقبض روحه وهو متكئ عليها وكانت الشياطين تجتمع حول محرابه أينما صلى فلم يكن شيطان ينظر اليه في صلاته الا احترق فمر به شيطان فلم يسمع صوته ثم رجع فلم يسمع فنظر فاذا سليمان قد خر ميتا ففتحوا عنه فاذا العصا قد أكلتها الأرضة فأرادوا أن يعرفوا وقت موته فوضعوا الأرضة على العصا فأكلت منها في يوم وليلة مقدارا فحسبوا على ذلك النحو فوجدوه قد مات منذ سنة وكانوا يعملون بين يديه ويحسبونه حيا فأيقن الناس أنهم لو علموا الغيب لما لبثوا في العذاب سنة وروي أن داود عليه السلام أسس بناء بيت المقدس في موضع فسطاط موسى عليه السلام فمات قبل أن يتمه فوصى به الى سليمان فأمر الشياطين باتمامه فلما بقي من عمره سنة سأل أن يعمى عليهم موته حتى يفرغوا منه وليبطل دعواهم علم الغيب وروي أن افريدون جاء ليصعد كرسيه فلما دنا ضرب الأسدان ساقه فكسراها فلم يجسر أحد بعد أن يدنو منه وكان عمر سليمان ثلاثا وخمسين سنة ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة فبقي في ملكه أربعين سنة وابتدأ في بناء بيت المقدس لأربع مضين من ملكه * قرئ (لسبأ) بالصرف ومنعه وقلب الهمزة ألفا * ومسكنهم بفتح الكاف وكسرها وهو موضع سكناهم وهو بلدهم وأرضهم التي كانوا مقيمين فيها أو مسكن كل واحد منهم وقرئ مساكنهم و(جنتان) بدل من آية أو خبر مبتدا محذوف تقديره الآية جنتان وفي الرفع معنى المدح تدل عليه قراءة من قرأ جنتين بالنصب على المدح (فان قلت) ما معنى كونهما آية (قلت) لم يجعل الجنتين في أنفسهما آية وانما جعل قصتهما وأن أهلهما أعرضوا عن شكر الله تعالى عليهما فخربهما وأبدلهم عنهما الخمط والأثل آية وعبرة لهم ليعتبروا ويتعظوا فلا يعودوا الى ما كانوا عليه من الكفر وغمط النعم ويجوز أن تجعلهما آية أي علامة دالة على الله وعلى قدرته واحسانه ووجوب شكره (فان قلت) كيف عظم الله جنتي أهل سبا وجعلهما آية ورب قرية من قريات العراق يحتف بها من الجنان ما شئت (قلت) لم يرد بستانين اثنين فحسب وانما أراد جماعتين من البساتين جماعة عن يمين بلدهم وأخرى عن شمالها وكل واحدة من الجماعتين في تقاربها وتضامها كأنها جنة واحدة كما تكون بلاد الريف العامرة وبساتينها أو أراد بستاني كل رجل منهم عن يمين مسكنه وشماله كما قال جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب (كلوا من رزق ربكم) اما حكاية لما قال لهم أنبياء الله المبعوثون اليهم أو لما قال لهم لسان الحال أو هم أحقاء بأن يقال لهم ذلك ولما قال كلوا من رزق ربكم (واشكروا له) أتبعه قوله (بلدة طيبة ورب غفور) يعني هذه البلدة التي فيها رزقكم بلدة طيبة وربكم الذي رزقكم وطلب شكركم رب غفور لمن شكره وعن ابن عباس رضي الله عنهما كانت أخصب البلاد وأطيبها تخرج المرأة وعلى رأسها المكتل فتعمل بيديها وتسير بين تلك الشجر فيمتلئ المكتل بما يتساقط فيه من الثمر طيبة لم تكن سبخة وقيل لم يكن فيها بعوض ولا ذباب ولا برغوث ولا عقرب ولا حية وقرئ بلدة طيبة وربا غفورا بالنصب على المدح وعن ثعلب معناه اسكن واعبد (العرم) الجرذ الذي نقب عليهم السكر ضربت لهم بلقيس الملكة بسد ما بين الجبلين بالصخر والقار فحقنت به ماء العيون والأمطار وتركت فيه خروقا على مقدار ما يحتاجون اليه في سقيهم فلما طغوا قيل بعث الله اليهم ثلاثة عشر نبيا يدعونهم الى الله ويذكرونهم نعمته عليهم فكذبوهم وقالوا ما نعرف لله نعمة فسلط الله

لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم

على سدهم الخلد فنقبه من أسفله فغرقهم وقيل العرم جمع عرمة وهي الحجارة المركومة ويقال للكدس من
الطعام عرمة والمراد المسناة التي عقدوها سكرا وقيل العرم اسم الوادي وقيل العرم المطر الشديد * وقرئ
العرم بسكون الراء وعن الضحاك كانوا في الفترة التي بين عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم * وقرئ أكل بالضم
والسكون وبالتنوين والاضافة والاكل الثمر * والخمط شجر الاراك وعن أبي عبيدة كل شجر ذي شوك وقال
الزجاج كل نبت أخذ طعما من مرارة حتى لا يمكن أكله * والاثل شجر يشبه الطرفاء أعظم منه وأجود
عودا ووجه من نون أن أصله ذواتي أكل أكل خمط فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه أو وصف الاكل
بالخمط كأنه قيل ذواتي أكل بشع ومن أضاف وهو أبو عمرو وحده فلأن أكل الخمط في معنى البرير كأنه قيل
ذواتي برير والاثل والسدر معطوفان على أكل لا على خمط لان الاثل لا أكل له وقرئ وأثلا وشيأ بالنصب
عطفا على جنتين وتسمية البدل جنتين لاجل المشاكلة وفيه ضرب من التهكم وعن الحسن رحمه الله قلل
السدر لانه أكرم ما بدلوا * وقرئ وهل يجازى وهل نجازي بالنون وهل يجازي والفاعل الله وحده وهل
يجزى والمعنى أن مثل هذا الجزاء لا يستحقه الا الكافر وهو العقاب العاجل وقيل المؤمن تكفر سيآته
بحسناته والكافر يحبط عمله فيجازى بجميع ما عمله من السوء ووجه آخر وهو أن الجزاء عام لكل مكافأة
يستعمل تارة في معنى المعاقبة وأخرى في معنى الاثابة فلما استعمل في معنى المعاقبة في قوله جزيناهم بما
كفروا بمعنى عاقبناهم بكفرهم قيل وهل يجازى الا الكفور بمعنى وهل يعاقب وهو الوجه الصحيح وليس
لقائل أن يقول لم قيل وهل يجازى الا الكفور على اختصاص الكفور بالجزاء والجزاء عام للكافر والمؤمن
لانه لم يرد الجزاء العام وانما أراد الخاص وهو العقاب بل لا يجوز أن يراد العموم وليس بموضعه ألا ترى أنك
لو قلت جزيناهم بما كفروا وهل يجازى الا الكافر والمؤمن لم يصح ولم يسد كلاما فتبين أن ما يتخيل من
السؤال مضمحل وأن الصحيح الذي لا يجوز غيره ما جاء عليه كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من
خلفه (القرى التي باركنا فيها) هي قرى الشام (قرى ظاهرة) متواصلة يرى بعضها من بعض لتقاربها فهي
ظاهرة لاعين الناظرين أو راكبة متن الطريق ظاهرة للسابلة لم تبعد عن مسالكهم حتى تخفى عليهم
(وقدرنا فيها السير) قيل كان الغادي منهم يقيل في قرية والرائح يبيت في قرية الى أن يبلغ الشام لا يخاف
جوعا ولا عطشا ولا عدوا ولا يحتاج الى حمل زاد ولا ماء (سيروا فيها) وقلنا لهم سيروا ولا قول ثم ولكنهم لما
مكنوا من السير وسويت لهم أسبابه كأنهم أمروا بذلك وأذن لهم فيه (فان قلت) ما معنى قوله (ليالي وأياما)
(قلت) معناه سيروا فيها ان شئتم بالليل وان شئتم بالنهار فان الامن فيها لا يختلف باختلاف الاوقات أو سيروا
فيها آمنين لا تخافون وان تطاولت مدة سفركم فيها وامتدت أياما وليالي أو سيروا فيها لياليكم وأيامكم مدة
أعماركم فانكم في كل حين وزمان لا تلقون فيها الا الامن * وقرئ ربنا باعد بين أسفارنا وبعد ويا ربنا على الدعاء
بطرا بالنعمة وبشموا من طيب العيش وملوا العافية فطلبوا الكد والتعب كما طلب بنو اسرائيل البصل
والثوم مكان المن والسلوى وقالوا لو كان جنى جناتنا أبعد كان أجدر أن نشتهيه وتمنوا أن يجعل الله بينهم وبين
الشام مفاوز ليركبوا الرواحل فيها ويتزودوا الازواد فعجل الله لهم الاجابة وقرئ ربنا بعد بين أسفارنا وبعد بين
أسفارنا على النداء واسناد الفعل الى بين ورفعه به كما تقول سير فرسخان وبوعد بين أسفارنا وقرئ ربنا باعد
بين أسفارنا وبين سفرنا وبعد برفع ربنا على الابتداء والمعنى خلاف الاول وهو استبعاد مسايرهم على قصرها
ودنوها لفرط تنعمهم وترفههم كأنهم كانوا يتشاجون على ربهم ويتحازنون عليه (أحاديث) يتحدث الناس بهم
ويتعجبون من أحوالهم * وفرقناهم تفريقا اتخذه الناس مثلا مضروبا يقولون ذهبوا أيدي سبا وتفرقوا
أيادي سبا قال كثير

أيادي سبا يا عز ما كنت بعدكم * فلم يحل بالعينين بعدك منظر

لحق غسان بالشام وأنمار بيثرب وجذام بتهامة والازد بعمان (صبار) عن المعاصي (شكور) للنعم * وقرئ
صدق بالتشديد والتخفيف ورفع ابليس ونصب الظن فمن شدد فعلى حقق عليهم ظنه أو وجده صادقا ومن
خفف فعلى صدق في ظنه أو صدق يظن ظنا نحو فعلته جهدك وبنصب ابليس ورفع الظن فمن شدد فعلى

بجنتيهم جنتين ذواتي
أكل خمط وأثل وشيء
من سدر قليل ذلك
جزيناهم بما كفروا
وهل نجازي الا الكفور
وجعلنا بينهم وبين
القرى التي باركنا فيها
قرى ظاهرة وقدرنا
فيها السير سيروا فيها
ليالي وأياما آمنين
فقالوا ربنا باعد بين
أسفارنا وظلموا
أنفسهم فجعلناهم
أحاديث ومزقناهم كل
ممزق ان في ذلك لآيات
لكل صبار شكور
ولقد صدق عليهم
ابليس ظنه فاتبعوه

وجده ظنه صادقا ومن خفف فعلى قال له ظنه الصدق حين خيله اغواءهم يقولون صدق ظنك وبالتخفيف
ورفعهما على صدق عليهم ظن ابليس ولو قرئ بالتشديد مع رفعهما لكان على المبالغة في صدق كقوله
صدقت فيهم ظنوني ومعناه أنه حين وجد آدم ضعيف العزم قد أصغى الى وسوسته قال ان ذريته أضعف عزما
منه فظن بهم اتباعه وقال لأضلنهم لأغوينهم وقيل ظن ذلك عند اخبار الله تعالى الملائكة أنه يجعل فيها من
يفسد فيها * والضمير في عليهم واتبعوه اما لاهل سبأ أو لبني آدم * وقلل المؤمنين بقوله (الا فريقا) لانهم
قليل بالاضافة الى الكفار كما قال لأحتنكن ذريته الا قليلا ولا تجد أكثرهم شاكرين (وما كان له عليهم)
من تسليط واستيلاء بالوسوسة والاستغواء الا لغرض صحيح وحكمة بينة وذلك أن يتميز المؤمن بالآخرة
من الشاك فيها وعلل التسليط بالعلم والمراد ما تعلق به العلم * وقرئ ليعلم على البناء للمفعول (حفيظ) محافظ
عليه وفعيل ومفاعل متآخيان (قل) لمشركي قومك (ادعوا الذين) عبدتموهم من دون الله من الاصنام
والملائكة وسميتموهم باسمه كما تدعون الله والتجئوا اليهم فيما يعروكم كما تلتجئون اليه وانتظروا استجابتهم
لدعائكم ورحمتهم كما تنتظرون أن يستجيب لكم ويرحمكم ثم أجاب عنهم بقوله (لا يملكون مثقال ذرة) من خير
أو شر أو نفع أو ضر (في السموات ولا في الارض وما لهم) في هذين الجنسين من شركة في الخلق ولا في الملك
كقوله تعالى ما أشهدتهم خلق السموات والارض (وما له منهم) من عوين يعينه على تدبير خلقه يريد انهم
على هذه الصفة من العجز والبعد عن أحوال الربوبية فكيف يصح أن يدعوا كما يدعى ويرجوا كما يرجى (فان
قلت) أين مفعولا زعم (قلت) أحدهما الضمير المحذوف الراجع منه الى الموصول وأما الثاني فلا يخلو اما أن
يكون من دون الله أو لا يملكون أو محذوفا فلا يصح الاول لان قولك هم من دون الله لا يلتئم كلاما ولا الثاني
لانهم ما كانوا يزعمون ذلك فكيف يتكلمون بما هو حجة عليهم وبما لو قالوه قالوا ما هو حق وتوحيد فبقي أن
يكون محذوفا تقديره زعمتموهم آلهة من دون الله فحذف الراجع الى الموصول كما حذف في قوله أهذا الذي
بعث الله رسولا استخفافا لطول الموصول بصلته وحذف آلهة لانه موصوف صفته من دون الله والموصوف
يجوز حذفه واقامة الصفة مقامه اذا كان مفهوما فاذن مفعولا زعم محذوفان جميعا بسببين مختلفين * تقول
الشفاعة لزيد على معنى أنه الشافع كما تقول الكرم لزيد وعلى معنى أنه المشفوع له كما تقول القيام لزيد فاحتمل
قوله (ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له) أن يكون على أحد هذين الوجهين أي لا تنفع الشفاعة الا كائنة
لمن أذن له من الشافعين ومطلقة له أو لا تنفع الشفاعة الا كائنة لمن أذن له أي لشفيعه أو هي اللام الثانية في
قولك أذن لزيد لعمرو أي لاجله وكأنه قيل الا لمن وقع الاذن للشفيع لاجله وهذا وجه لطيف وهو الوجه
وهذا تكذيب لقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله (فان قلت) بم اتصل قوله (حتى اذا فزع عن قلوبهم) ولأي شيء
وقعت حتى غاية (قلت) بما فهم من هذا الكلام من أن ثم انتظارا للاذن وتوقعا وتمهلا وفزعا من الراجين
للشفاعة والشفعاء هل يؤذن لهم أو لا يؤذن وأنه لا يطلق الاذن الا بعد ملي من الزمان وطول من التربص
ومثل هذه الحال دل عليه قوله عز وجل رب السموات والارض وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطابا يوم
يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من أذن له الرحمن وقال صوابا كأنه قيل يتربصون ويتوقفون كليا
فزعين وهلين حتى اذا فزع عن قلوبهم أي كشف الفزع عن قلوب الشافعين والمشفوع لهم بكلمة يتكلم بها
رب العزة في اطلاق الاذن * تباشروا بذلك وسأل بعضهم بعضا (ماذا قال ربكم قالوا) قال (الحق) أي
القول الحق وهو الاذن بالشفاعة لمن ارتضى * وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم
فاذا اذن لمن أذن أن يشفع فزعته الشفاعة * وقرئ أذن له أي أذن له الله وأذن له على البناء للمفعول وقرأ
الحسن فزع مخففا بمعنى فزع * وقرئ فزع على البناء للفاعل وهو الله وحده * وفرغ أي نفى الوجل عنها
وأفني من قولهم فرغ الزاد اذا لم يبق منه شيء ثم ترك ذكر الوجل وأسند الى الجار والمجرور كما تقول دفع
الى زيد اذا علم ما المدفوع وقد تخفف وأصله فرغ الوجل عنها أي انتفى عنها وفني ثم حذف الفاعل وأسند
الى الجار والمجرور * وقرئ افرنقع عن قلوبهم بمعنى انكشف عنها * وعن أبي علقمة أنه هاج به المرار

الا فريقا من المؤمنين
وما كان له عليهم من
سلطان الا لنعلم من
يؤمن بالآخرة ممن هو
منها في شك وربك على
كل شيء حفيظ قل
ادعوا الذين زعمتم من
دون الله لا يملكون
مثقال ذرة في السموات
ولا في الارض وما لهم
فيهما من شرك وما له
منهم من ظهير ولا
تنفع الشفاعة عنده
الا لمن أذن له حتى اذا
فزع عن قلوبهم قالوا
ماذا قال ربكم قالوا
الحق

* قوله تعالى وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين (قال) لما ألزمهم الحجة في بعد قوله قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير وهلم جرا إلى الآية المذكورة وهذا الإلزام إن لم يزد على إقرارهم بألسنتهم لم يتقاصر عنه أمره أن يقول وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين ومعناه إن أحد الفريقين من الموحدين الرازق من السموات والأرض بالعبادة ومن الذين يشركون به الجماد الذي لا يوصف بالقدرة على ذرة لعلى أحد الأمرين من الهدى أو الضلال وهذا من الكلام المنصف الذي كل من سمعه من موافق أو مخالف قال للمخاطب به قد أنصفك صاحبك والتعريض أفضل بالمجادل إلى الغرض وأهجم به على الغلبة مع قلة شغب الخصم وفل شوكته بالهوينا ونحوه قول الرجل لصاحبه الله يعلم الصادق مني ومنك

وهو العلي الكبير قل من يرزقكم من السموات والأرض قل الله وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين قل لا تسألون عما أجرمنا ولا نسأل عما تعملون قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتاح العليم قل أروني الذين ألحقتم به شركاء كلا بل

إن أحدنا لكاذب ومنه قول حسان

أتهجوه ولست له بكفء * فشركما لخيركما الفداء

(قال أحمد) وهذا تفسير مهذب واقتضاب مستعذب رده على معنى غزادر ونقابالترديد باستيفاء الخاطر كأني بعالم الهم حين بعيد ولا ينبغي أن ينكر بعد ذلك على الطريقة التي أكثر تعاطيها متأخرو الفقهاء في مجادلاتهم ومحاوراتهم وذلك قولهم أحد الأمرين لازم على الإبهام فهذا المسلك من هذا الوادي غير بعيد فتأمله والله الموفق * قوله تعالى قل لا تسألون عما أجرمنا ولا نسأل عما تعملون (قال وهذا القول أدخل في الإنصاف من الأول حيث أسند الإجرام إلى النفس وأراد به الزلات والصغائر التي لا يخلو عنها مؤمن وأسند العمل إلى المخاطبين وأراد به الكفر والمعاصي والكبائر) قال أحمد فعبر عن الهفوات بما يعبر به عن العظائم وعن العظائم بما يعبر به عن الهفوات التزاما للإنصاف وزاده على ذلك أنه ذكر الإجرام المنسوب إلى النفس بصيغة الماضي الذي يعطي تحقيق المعنى وعن العمل المنسوب إلى الخصم بما لا يعطي ذلك والله أعلم

فالتف عليه الناس فلما أفاق قال ما لكم تكأكأتم علي كتكأكئكم على ذي جنة افرنقعوا عني ولكامة مركبة من حروف المفارقة مع زيادة العين كما ركب اقمطر من حروف القمط مع زيادة الراء وقرئ الحق بالرفع أي مقوله الحق (وهو العلي الكبير) ذو العلو والكبرياء ليس لملك ولا نبي أن يتكلم ذلك اليوم إلا بإذنه وأن يشفع إلا لمن ارتضى * أمره بأن يقررهم بقوله (من يرزقكم) ثم أمره بأن يتولى الإجابة والإقرار عنهم بقوله يرزقكم الله وذلك للإشعار بأنهم مقرون به بقلوبهم إلا أنهم ربما أبوا أن يتكلموا به لأن الذي تمكن في صدورهم من العناد وحب الشرك قد ألجم أفواههم عن النطق بالحق مع علمهم بصحته ولأنهم إن تفوهوا بأن الله رازقهم لزمهم أن يقال لهم فما لكم لا تعبدون من يرزقكم وتؤثرون عليه من لا يقدر على الرزق ألا ترى إلى قوله قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار حتى قال فسيقولون الله ثم قال فماذا بعد الحق إلا الضلال فكأنهم كانوا يقرون بألسنتهم مرة ومرة كانوا يتلعثمون عنادا وضرارا وحذارا من إلزام الحجة ونحوه قوله عز وجل قل من رب السموات والأرض قل الله قل أفاتخذتم من دونه أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا * وأمره أن يقول لهم بعد الإلزام والإلجام الذي إن لم يزد على إقرارهم بألسنتهم لم يتقاصر عنه (وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين) ومعناه وإن أحد الفريقين من الذين يتوحدون الرازق من السموات والأرض بالعبادة ومن الذين يشركون به الجماد الذي لا يوصف بالقدرة لعلى أحد الأمرين من الهدى والضلال وهذا من الكلام المنصف الذي كل من سمعه من موال أو مناف قال لمن خوطب به قد أنصفك صاحبك وفي درجه بعد تقدمة ما قدم من التقرير البليغ دلالة غير خفية على من هو من الفريقين على الهدى ومن هو في الضلال المبين ولكن التعريض والتورية أفضل بالمجادل إلى الغرض وأهجم به على الغلبة مع قلة شغب الخصم وفل شوكته بالهوينا ونحوه قول الرجل لصاحبه علم الله الصادق مني ومنك وإن أحدنا لكاذب ومنه بيت حسان

أتهجوه ولست له بكفء * فشركما لخيركما الفداء

(فإن قلت) كيف خولف بين حرفي الجر الداخلين على الحق والضلال (قلت) لأن صاحب الحق كأنه مستعل على فرس جواد يركضه حيث شاء والضال كأنه منغمس في ظلام مرتبك فيه لا يدري أين يتوجه وفي قراءة أبي وإنا أو إياكم إما على هدى أو في ضلال مبين * هذا أدخل في الإنصاف وأبلغ فيه من الأول حيث أسند الإجرام إلى المخاطبين والعمل إلى المخاطبين وإن أراد بالإجرام الصغائر والزلات التي لا يخلو منها مؤمن وبالعمل الكفر والمعاصي العظام * وفتح الله بينهم وهو حكمه وفصله أنه يدخل هؤلاء الجنة وأولئك النار * (فإن قلت) ما معنى قوله (أروني) وكان يراهم ويعرفهم (قلت) أراد بذلك أن يريهم الخطأ العظيم في إلحاق الشركاء بالله وأن يقايس على أعينهم بينه وبين أصنامهم ليطلعهم على إحالة القياس إليه والإشراك به و(كلا) ردع لهم عن مذهبهم بعدما كسده بإبطال المقايسة كما قال إبراهيم عليه الصلاة والسلام أف لكم ولما تعبدون

من دون الله بعد ما نبههم وقد نبه على تفاحش غلطهم وأن لم يقدروا الله حق قدره بقوله (هو الله العزيز الحكيم) كأنه قال أين الذين ألحقتم به شركاء من هذه الصفات وهو راجع الى الله وحده أو ضمير الشأن كما في قوله تعالى قل هو الله أحد (الا كافة للناس) الا رسالة عامة لهم محيطة بهم لانها اذا شملتهم فقد كفتهم أن يخرج منها أحد منهم وقال الزجاج المعنى أرسلناك جامعا للناس في الانذار والابلاغ فجعله حالا من الكاف وحق التاء على هذا أن تكون للمبالغة كتاء الراوية والعلامة ومن جعله حالا من المجرور متقدما عليه فقد أخطأ لان تقدم حال المجرور عليه في الاحالة بمنزلة تقدم المجرور على الجار وكم ترى ممن يرتكب هذا الخطأ ثم لا يقنع به حتى يضم اليه أن يجعل اللام بمعنى الى لانه لا يستوي له الخطأ الاول الا بالخطأ الثاني فلا بد له من ارتكاب الخطأين * قرئ ميعاد يوم وميعاد يوم وميعاد يوما والميعاد ظرف الوعد من مكان أو زمان وهو هنا الزمان والدليل عليه قراءة من قرأ ميعاد يوم فأبدل منه اليوم (فان قلت) فما تأويل من أضافه الى يوم أو نصب يوما (قلت) أما الاضافة فاضافة تبيين كما تقول سحق ثوب وبعير سانية وأما نصب اليوم فعلى التعظيم باضمار فعل تقديره لكم ميعاد أعني يوما وأريد يوما من صفته كيت وكيت ويجوز أن يكون الرفع على هذا أعني التعظيم (فان قلت) كيف انطبق هذا جوابا على سؤالهم (قلت) ما سألوا عن ذلك وهم منكرون له الا تعنتا لا استرشادا فجاء الجواب على طريق التهديد مطابقا لمجيء السؤال على سبيل الانكار والتعنت وأنهم مرصدون ليوم يفاجؤهم فلا يستطيعون تأخرا عنه ولا تقدما عليه * الذي بين يديه ما نزل قبل القرآن من كتب الله يروى أن كفار مكة سألوا أهل الكتاب فأخبروهم أنهم يجدون صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتبهم فأغضبهم ذلك وقرنوا الى القرآن جميع ما تقدمه من كتب الله عز وجل في الكفر فكفروا بها جميعا وقيل الذي بين يديه يوم القيامة والمعنى أنهم جحدوا أن يكون القرآن من الله تعالى وأن يكون لما دل عليه من الاعادة للجزاء حقيقة * ثم أخبر عن عاقبة أمرهم ومآلهم في الآخرة فقال لرسوله عليه الصلاة والسلام أو للمخاطب (ولو ترى) في الآخرة موقفهم وهم يتجاذبون أطراف المحاورة ويتراجعونها بينهم لرأيت العجب فحذف الجواب * والمستضعفون هم الاتباع * والمستكبرون هم الرؤس والمقدمون * أولي الاسم أعني نحن حرف الانكار لان الغرض انكار أن يكونوا هم الصادين لهم عن الايمان واثبات أنهم هم الذين صدوا بأنفسهم عنه وأنهم أتوا من قبل اختيارهم كأنهم قالوا أنحن أجبرناكم وحلنا بينكم وبين كونكم ممكنين مختارين (بعد اذ جاءكم) بعد أن صممتم على الدخول في الايمان وصحت نياتكم في اختياره بل أنتم منعتم أنفسكم حظها وآثرتم الضلال على الهدى وأطعتم آمر الشهوة دون آمر النهى فكنتم مجرمين كافرين لاختياركم لا لقولنا وتسويلنا (فان قلت) اذ واذا من الظروف اللازمة للظرفية فلم وقعت اذ مضافا اليها (قلت) قد اتسع في الزمان ما لم يتسع في غيره فأضيف اليها الزمان كما أضيف الى الجمل في قولك جئتك بعد اذ جاء زيد وحينئذ ويومئذ وكان ذلك أوان الحجاج أمير وحين خرج زيد * لما أنكر المستكبرون بقولهم أنحن صددناكم أن يكونوا هم السبب في كفر المستضعفين وأثبتوا بقولهم (بل كنتم مجرمين) أن ذلك بكسبهم واختيارهم كر عليهم المستضعفون بقولهم (بل مكر الليل والنهار) فأبطلوا اضرابهم باضرابهم كأنهم قالوا ما كان الاجرام من جهتنا بل من جهة مكركم لنا دائبا ليلا ونهارا وحملكم ايانا على الشرك واتخاذ الانداد ومعنى مكر الليل والنهار مكركم في الليل والنهار فاتسع في الظرف باجرائه مجرى المفعول به واضافة المكر اليه أو جعل ليلهم ونهارهم ماكرين على الاسناد المجازي وقرئ بل مكر الليل والنهار بالتنوين ونصب الظرفين وبل مكر الليل والنهار بالرفع والنصب أي تكرون الاغواء مكرا دائبا لا تفترون عنه (فان قلت) ما وجه الرفع والنصب (قلت) هو مبتدأ أو خبر على معنى بل سبب ذلك مكركم أو مكركم أو مكركم سبب ذلك والنصب على بل تكرون الاغواء مكر الليل والنهار (فان قلت) لم قيل قال الذين استكبروا بغير عاطف وقيل وقال الذين استضعفوا (قلت) لان الذين استضعفوا مر أولا كلامهم فجيء بالجواب محذوف العاطف على طريقة الاستئناف ثم جيء بكلام آخر للمستضعفين فعطف على كلامهم الاول * (فان قلت) من صاحب

الضمير

هو الله العزيز الحكيم
وما أرسلناك الا كافة
للناس بشيرا ونذيرا
ولكن أكثر الناس
لا يعلمون ويقولون
متى هذا الوعد ان كنتم
صادقين قل لكم ميعاد
يوم لا تستأخرون عنه
ساعة ولا تستقدمون
وقال الذين كفروا لن
نؤمن بهذا القرآن ولا
بالذي بين يديه ولو ترى
اذ الظالمون موقوفون
عند ربهم يرجع
بعضهم الى بعض القول
يقول الذين استضعفوا
للذين استكبروا لولا
أنتم لكنا مؤمنين قال
الذين استكبروا للذين
استضعفوا أنحن
صددناكم عن الهدى
بعد اذ جاءكم بل كنتم
مجرمين وقال الذين
استضعفوا للذين
استكبروا بل مكر الليل
والنهار اذ تأمروننا
أن نكفر بالله ونجعل
له أندادا

وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا هل يجزون إلا ما كانوا يعملون وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أرسلتم به كافرون وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذبين قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ولكن أكثر الناس لا يعلمون وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحا فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون والذين يسعون في آياتنا معاجزين أولئك في العذاب محضرون قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا

الضمير في (وأسروا) (قلت) الجنس المشتمل على النوعين من المستكبرين والمستضعفين وهم الظالمون في
قوله إذ الظالمون موقوفون عند ربهم يندم المستكبرون على ضلالهم وإضلالهم والمستضعفون على ضلالهم
واتباعهم المضلين (في أعناق الذين كفروا) أي في أعناقهم فجاء بالصريح للتنويه بذمهم وللدلالة على ما
استحقوا به الأغلال وعن قتادة أسروا الكلام بذلك بينهم وقيل أسروا الندامة أظهروها وهو من الأضداد
* هذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما مني به من قومه من التكذيب والكفر بما جاء به والمنافسة
بكثرة الأموال والأولاد والمفاخرة وزخارفها والتكبر بذلك على المؤمنين والاستهانة بهم من أجله وقولهم أي
الفريقين خير مقاما وأحسن نديا وأنه لم يرسل قط إلى أهل قرية من نذير إلا قالوا له مثل ما قال لرسول الله
صلى الله عليه وسلم أهل مكة وكادوه بنحو ما كادوه به وقاسوا أمر الآخرة الموهومة أو المفروضة عندهم على
أمر الدنيا واعتقدوا أنهم لو لم يكرموا على الله لما رزقهم ولولا أن المؤمنين هانوا عليه لما حرمهم فعلى قياسهم
ذلك قالوا (وما نحن بمعذبين) أرادوا أنهم أكرم على الله من أن يعذبهم نظرا إلى أحوالهم في الدنيا * وقد
أبطل الله تعالى حسبانهم بأن الرزق فضل من الله يقسمه كما يشاء على حسب ما يراه من المصالح فربما وسع على
العاصي وضيق على المطيع وربما عكس وربما وسع عليهما وضيق عليهما فلا ينقاس عليه أمر الثواب الذي
مبناه على الاستحقاق * وقدر الرزق تضييقه قال تعالى ومن قدر عليه رزقه * وقرئ يقدر بالتشديد
والتخفيف * أراد وما جماعة أموالكم ولا جماعة أولادكم بالتي تقربكم وذلك أن الجمع المكسر عقلاؤه وغير
عقلائه سواء في حكم التأنيث ويجوز أن يكون التي هي التقوى وهي المقربة عند الله زلفى وحدها أي ليست
أموالكم بتلك الموضوعة للتقريب * وقرأ الحسن باللاتي تقربكم لأنها جماعات وقرئ بالذي يقربكم أي
بالشيء الذي يقربكم * والزلفى والزلفة كالقربى والقربة ومحلها النصب أي تقربكم قربة كقوله تعالى أنبتكم
من الأرض نباتا (إلا من آمن) استثناء من كم في تقربكم والمعنى أن الأموال لا تقرب أحدا إلا المؤمن الصالح
الذي ينفقها في سبيل الله والأولاد لا تقرب أحدا إلا من علمهم الخير وفقههم في الدين ورشحهم للصلاح
والطاعة (جزاء الضعف) من إضافة المصدر إلى المفعول أصله فأولئك لهم أن يجازوا الضعف ثم جزاء الضعف
ثم جزاء الضعف ومعنى جزاء الضعف أن تضاعف لهم حسناتهم الواحدة عشرا وقرئ جزاء الضعف على فأولئك
لهم الضعف جزاء وجزاء الضعف على أن يجازوا الضعف وجزاء الضعف مرفوعان الضعف بدل من جزاء * وقرئ
في الغرفات بضم الراء وفتحها وسكونها وفي الغرفة (فهو يخلفه) فهو يعوضه لا معوض سواه إما عاجلا بالمال
أو بالقناعة التي هي كنز لا ينفد وإما آجلا بالثواب الذي كل خلف دونه وعن مجاهد من كان عنده من هذا
المال ما يقيمه فليقتصد فإن الرزق مقسوم ولعل ما قسم له قليل وهو ينفق نفقة الموسع عليه فينفق جميع
ما في يده ثم يبقى طول عمره في فقر ولا يتأولن وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه فإن هذا في الآخرة ومعنى
الآية وما كان من خلف فهو منه (خير الرازقين) وأعلاهم رب العزة لأن كل ما رزق غيره من سلطان يرزق
جنده أو سيد يرزق عبده أو رجل يرزق عياله فهو من رزق الله أجراه على أيدي هؤلاء وهو خالق الرزق وخالق
الأسباب التي بها ينتفع المرزوق بالرزق وعن بعضهم الحمد لله الذي أوجدني وجعلني ممن يشتهي فكم من مشته
لا يجد وواجد لا يشتهي * هذا الكلام خطاب للملائكة وتقريع للكفار وارد على المثل السائر إياك أعني
واسمعي يا جارة ونحوه قوله تعالى أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله وقد علم سبحانه كون
الملائكة وعيسى منزهين براء مما وجه عليهم من السؤال الوارد على طريق التقرير والغرض أن يقول
ويقولوا ويسأل ويجيبوا فيكون تقريعهم أشد وتعييرهم أبلغ وخجلهم أعظم وهوانهم ألزم ويكون اقتصاص
ذلك لطفا لمن سمعه وزاجرا لمن اقتص عليه * والموالاة خلاف المعاداة ومنها اللهم وال من والاه وعاد من
عاداه وهي مفاعلة من الولي وهو القرب كما أن المعاداة من العدواء وهي البعد والولي يقع على الموالي
والموالى جميعا والمعنى أنت الذي نواليه من دونهم إذ لا موالاة بيننا وبينهم فبينوا بإثبات موالاة الله ومعاداة
الكفار براءتهم من الرضا بعبادتهم لهم لأن من كان على هذه الصفة كانت حاله منافية لذلك (بل كانوا

يعبدون الجن) يريدون الشياطين حيث أطاعوهم في عبادة غير الله وقيل صورت لهم الشياطين صور قوم
من الجن وقالوا هذه صور الملائكة فاعبدوها وقيل كانوا يدخلون في أجواف الاصنام اذا عبدت فيعبدون
بعبادتها * وقرئ نحشرهم ونقول بالنون والياء * الامر في ذلك اليوم لله وحده لا يملك فيه أحد منفعة
ولا مضرة لأحد لان الدار دار ثواب وعقاب والمثيب والمعاقب هو الله فكانت حالها خلاف حال الدنيا
التي هي دار تكليف والناس فيها مخلى بينهم يتضارون ويتنافعون والمراد أنه لا ضار ولا نافع يومئذ الا هو
وحده * ثم ذكر معاقبته الظالمين بقوله (ونقول للذين ظلموا) معطوفا على لا يملك * الاشارة الاولى الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم والثانية الى القرآن والثالثة الى الحق والحق أمر النبوة كله ودين الاسلام كما
هو وفي قوله (وقال الذين كفروا) وفي أن لم يقل وقالوا وفي قوله (للحق لما جاءهم) وما في اللامين من الاشارة
الى القائلين والمقول فيه وفي لما من المبادهة بالكفر دليل على صدور الكلام عن انكار عظيم وغضب شديد
وتعجيب من أمرهم بليغ كأنه قال وقال أولئك الكفرة المتمردون بجراءتهم على الله ومكابرتهم لمثل ذلك
الحق النير قبل أن يذوقوه (ان هذا الا سحر مبين) فبتوا القضاء على أنه سحر ثم بتوه على أنه بين ظاهر كل
عاقل تأمله سماه سحرا * وما آتيناهم كتبا يدرسونها فيها برهان على صحة الشرك ولا أرسلنا اليهم نذيرا
ينذرهم بالعقاب ان لم يشركوا كما قال عز وجل أم أنزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون
أو وصفهم بأنهم قوم أميون أهل جاهلية لا ملة لهم وليس لهم عهد بانزال كتاب ولا بعثة رسول كما قال أم
آتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون فليس لتكذيبهم وجه متشبث ولا شبهة متعلق كما يقول أهل
الكتاب وان كانوا مبطلين نحن أهل كتب وشرائع ومستندون الى رسل من رسل الله ثم توعدهم على
تكذيبهم بقوله (وكذب الذين) تقدموهم من الامم والقرون الخالية كما كذبوا * وما بلغ هؤلاء بعض
ما آتينا أولئك من طول الاعمار وقوة الاجرام وكثرة الاموال * فحين كذبوا رسلهم جاءهم انكاري
بالتدمير والاستئصال ولم يغن عنهم استظهارهم بما هم به مستظهرون فما بال هؤلاء * وقرئ يدرسونها من
التدريس وهو تكرير الدرس أو من درس الكتاب ودرس الكتب ويدرسونها بتشديد الدال يفتعلون من
الدرس * والمعشار كالمرباع وهما العشر والربع * (فان قلت) ما معنى (فكذبوا رسلي) وهو مستغنى
عنه بقوله وكذب الذين من قبلهم (قلت) لما كان معنى قوله وكذب الذين من قبلهم وفعل الذين من قبلهم
التكذيب وأقدموا عليه جعل تكذيب الرسل مسببا عنه ونظيره أن يقول القائل أقدم فلان على الكفر
فكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم ويجوز أن ينعطف على قوله وما بلغوا كقولك ما بلغ زيد معشار فضل عمرو
فتفضل عليه (فكيف كان نكير) أي للمكذبين الاولين فليحذروا من مثله (بواحدة) بخصلة واحدة
وقد فسرها بقوله (أن تقوموا) على أنه عطف بيان لها وأراد بقيامهم اما القيام عن مجلس رسول الله صلى
الله عليه وسلم وتفرقهم عن مجتمعهم عنده واما القيام الذي لا يراد به المثول على القدمين ولكن الانتصاب في
الامر والنهوض فيه بالهمة والمعنى انما أعظكم بواحدة ان فعلتموها أصبتم الحق وتخلصتم وهي أن تقوموا
لوجه الله خالصا متفرقين اثنين اثنين وواحدا واحدا (ثم تتفكروا) في أمر محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به
أما الاثنان فيتفكران ويعرض كل واحد منهما محصول فكره على صاحبه وينظران فيه نظر متصادقين
متناصفين لا يميل بهما اتباع هوى ولا ينبض لهما عرق عصبية حتى يهجم بهما الفكر الصالح والنظر
الصحيح على جادة الحق وسننه وكذلك الفرد يفكر في نفسه بعدل ونصفة من غير أن يكابرها ويعرض فكره
على عقله وذهنه وما استقر عنده من عادات العقلاء ومجاري أحوالهم والذي أوجب تفرقهم مثنى وفرادى
أن الاجتماع مما يشوش الخواطر ويعمي البصائر ويمنع من الروية ويخلط القول ومع ذلك يقل الانصاف
ويكثر الاعتساف ويثور عجاج التعصب ولا يسمع الا نصرة المذهب * وأراهم بقوله (ما بصاحبكم من
جنة) أن هذا الامر العظيم الذي تحته ملك الدنيا والآخرة جميعا لا يتصدى لادعاء مثله الا رجلان اما
مجنون لا يبالي بافتضاحه اذا طولب بالبرهان فعجز بل لا يدري ما الافتضاح وما رقبة العواقب واما عاقل

يعبدون الجن أكثرهم
بهم مؤمنون فاليوم
لا يملك بعضكم لبعض
نفعا ولا ضرا ونقول
للذين ظلموا ذوقوا
عذاب النار التي كنتم
بها تكذبون واذا تتلى
عليهم آياتنا بينات قالوا
ما هذا الا رجل يريد أن
يصدكم عما كان يعبد
آباؤكم وقالوا ما هذا
الا افك مفترى وقال
الذين كفروا للحق لما
جاءهم ان هذا الا سحر
مبين وما آتيناهم
من كتب يدرسونها
وما أرسلنا اليهم قبلك
من نذير وكذب الذين
من قبلهم وما بلغوا
معشار ما آتيناهم
فكذبوا رسلي فكيف
كان نكير قل انما أعظكم
بواحدة أن تقوموا
لله مثنى وفرادى ثم
تتفكروا ما بصاحبكم
من جنة ان هو الا
نذير لكم

راجح العقل مرشح للنبوة مختار من أهل الدنيا لا يدعيه إلا بعد صحته عنده بحجته وبرهانه وإلا فما يجدي على العاقل دعوى شيء لا بينة له عليه وقد علمتم أن محمدا صلى الله عليه وسلم ما به من جنة بل علمتموه أرجح قريش عقلا وأرزنهم حلما وأثقبهم ذهنا وآصلهم رأيا وأصدقهم قولا وأنزههم نفسا وأجمعهم لما يحمد عليه الرجال ويمدحون به فكان مظنة لأن تظنوا به الخير وترجحوا فيه جانب الصدق على الكذب وإذا فعلتم ذلك كفاكم أن تطالبوه بأن يأتيكم بآية فإذا أتى بها تبين أنه نذير مبين * (فإن قلت) ما بصاحبكم بم يتعلق (قلت) يجوز أن يكون كلاما مستأنفا تنبيها من الله عز وجل على طريقة النظر في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ويجوز أن يكون المعنى ثم تتفكروا فتعلموا ما بصاحبكم من جنة وقد جوز بعضهم أن تكون ما استفهامية (بين يدي عذاب شديد) كقوله عليه الصلاة والسلام بعثت في نسم الساعة (فهو لكم) جزاء الشرط الذي هو قوله ما سألتكم من أجر تقديره أي شيء سألتكم من أجر فهو لكم كقوله تعالى ما يفتح الله للناس من رحمة وفيه معنيان أحدهما نفي مسألة الأجر رأسا كما يقول الرجل لصاحبه إن أعطيتني شيئا فخذه وهو يعلم أنه لم يعطه شيئا ولكنه يريد به البت لتعليقه الأخذ بما لم يكن والثاني أن يريد بالأجر ما أراد في قوله تعالى قل ما أسألكم عليه من أجر إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا وفي قوله قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى لأن اتخاذ السبيل إلى الله نصيبهم وما فيه نفعهم وكذلك المودة في القرابة لأن القرابة قد انتظمته وإياهم (على كل شيء شهيد) حفيظ مهيمن يعلم أني لا أطلب الأجر على نصيحتكم ودعائكم إليه إلا منه ولا أطمع منكم في شيء * القذف والرمي تزجية السهم ونحوه بدفع واعتماد ويستعاران من حقيقتهما لمعنى الإلقاء ومنه قوله تعالى وقذف في قلوبهم الرعب أن اقذفيه في التابوت ومعنى (يقذف بالحق) يلقيه وينزله إلى أنبيائه أو يرمي به الباطل فيدمغه ويزهقه (علام الغيوب) رفع محمول على محل إن واسمها أو على المستكن في يقذف أو هو خبر مبتدأ محذوف وقرئ بالنصب صفة لربي أو على المدح وقرئ الغيوب بالحركات الثلاث فالغيوب كالبيوت والغيوب كالصبور وهو الأمر الذي غاب وخفي جدا * والحي إما أن يبدئ فعلا أو يعيده فإذا هلك لم يبق له إبداء ولا إعادة فجعلوا قولهم لا يبدئ ولا يعيد مثلا في الهلاك ومنه قول عبيد

أقفر من أهله عبيد * فاليوم لا يبدي ولا يعيد

والمعنى جاء الحق وهلك الباطل كقوله تعالى جاء الحق وزهق الباطل وعن ابن مسعود رضي الله عنه دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة وحول الكعبة ثلاثمائة وستون صنما فجعل يطعنها بعود نبعة ويقول جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد * والحق القرآن وقيل الإسلام وقيل السيف وقيل الباطل إبليس لعنه الله أي ما ينشئ خلقا ولا يعيده المنشئ والباعث هو الله تعالى وعن الحسن لا يبدئ لأهله خيرا ولا يعيده أي لا ينفعهم في الدنيا والآخرة وقال الزجاج أي شيء ينشئ إبليس ويعيده فجعله للاستفهام وقيل للشيطان الباطل لأنه صاحب الباطل أو لأنه هالك كما قيل له الشيطان من شاط إذا هلك * وقرئ ضللت أضل بفتح العين مع كسرها وضللت أضل بكسرها مع فتحها وهما لغتان نحو ظللت أظل وظللت أظل وقرئ إضل بكسر الهمزة مع فتح العين (فإن قلت) أين التقابل بين قوله فإنما أضل على نفسي وقوله فبما يوحي إلي ربي وإنما كان يستقيم أن يقال فإنما أضل على نفسي وإن اهتديت فإنما أهتدي لها كقوله تعالى من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها أو يقال فإنما أضل بنفسي (قلت) هما متقابلان من جهة المعنى لأن النفس كل ما عليها فهو بها أعني أن كل ما هو وبال عليها وضار لها فهو بها وبسببها لأنها الأمارة بالسوء وما لها مما ينفعها فبهداية ربها وتوفيقه وهذا حكم عام لكل مكلف وإنما أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يسنده إلى نفسه لأن الرسول إذا دخل تحته مع جلالة محله وسداد طريقته كان غيره أولى به (إنه سميع قريب) يدرك قول كل ضال ومهتد وفعله لا يخفى عليه منهما شيء (ولو ترى) جوابه محذوف يعني لرأيت أمرا عظيما وحالا هائلة ولو وإذ والأفعال التي هي فزعوا وأخذوا وحيل بينهم كلها للمضي والمراد بها الاستقبال لأن ما الله فاعله في المستقبل بمنزلة ما قد كان

بين يدي عذاب شديد قل ما سألتكم من أجر فهو لكم إن أجري إلا على الله وهو على كل شيء شهيد قل إن ربي يقذف بالحق علام الغيوب قل جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد قل إن ضللت فإنما أضل على نفسي وإن اهتديت فبما يوحي إلي ربي إنه سميع قريب ولو ترى إذ فزعوا

فلافوت وأخذوا من مكان قريب وقالوا آمنا به وأنى لهم التناوش من مكان بعيد وقد كفروا به من قبل ويقذفون بالغيب من مكان بعيد وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشياعهم من قبل انهم كانوا في شك مريب

﴿سورة الملائكة مكية وهي خمس وأربعون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلا أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع

ووجد لتحققه ووقت الفزع وقت البعث وقيام الساعة وقيل وقت الموت وقيل يوم بدر وعن ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في خسف البيداء وذلك أن ثمانين ألفا يغزون الكعبة ليخربوها فاذا دخلوا البيداء خسف بهم (فلا فوت) فلا يفوتون الله ولا يسبقونه وقرئ فلا فوت * والاخذ من مكان قريب من الموقف الى النار اذا بعثوا أو من ظهر الارض الى بطنها اذا ماتوا أو من صحراء بدر الى القليب أو من تحت أقدامهم اذا خسف بهم (فان قلت) علام عطف قوله وأخذوا (قلت) فيه وجهان العطف على فزعوا أي فزعوا وأخذوا فلا فوت لهم أو على لا فوت على معنى اذ فزعوا فلم يفوتوا وأخذوا وقرئ وأخذوا وهو معطوف على محل لا فوت ومعناه فلا فوت هناك وهناك أخذ (آمنا به) بمحمد صلى الله عليه وسلم لمرور ذكره في قوله ما بصاحبكم من جنة * والتناوش والتناول أخوان الا أن التناوش تناول سهل لشئ قريب يقال ناشه ينوشه وتناوشه القوم ويقال تناوشوا في الحرب ناش بعضهم بعضا وهذا تمثيل لطلبهم ما لا يكون وهو أن ينفعهم ايمانهم في ذلك الوقت كما ينفع المؤمنين ايمانهم في الدنيا مثلت حالهم بحال من يريد أن يتناول الشئ من غلوة كما يتناوله الآخر من قيس ذراع تناولا سهلا لا تعب فيه وقرئ التناؤش همزت الواو المضمومة كما همزت في أجوه وأدؤر وعن أبي عمرو التناؤش بالهمز التناول من بعد من قولهم نأشت اذا أبطأت وتأخرت ومنه البيت * تمنى نئيشا أن يكون أطاعني * أي أخيرا (ويقذفون) معطوف على وقد كفروا على حكاية الحال الماضية يعني وكانوا يتكلمون (بالغيب) ويأتون به (من مكان بعيد) وهو قولهم في رسول الله صلى الله عليه وسلم شاعر ساحر كذاب وهذا تكلم بالغيب والامر الخفي لانهم لم يشاهدوا منه سحرا ولا شعرا ولا كذبا وقد أتوا بهذا الغيب من جهة بعيدة من حاله لان أبعد شئ مما جاء به الشعر والسحر وأبعد شئ من عادته التي عرفت بينهم وجربت الكذب والزور وقرئ ويقذفون بالغيب على البناء للمفعول أي يأتيهم به شياطينهم ويلقنونهم اياه وان شئت فعلقه بقوله وقالوا آمنا به على أنه مثلهم في طلبهم تحصيل ما عطلوه من الايمان في الدنيا بقولهم آمنا في الآخرة وذلك مطلب مستبعد بمن يقذف شيأ من مكان بعيد لا مجال للظن في لحوقه حيث يريد أن يقع فيه لكونه غائبا عنه شاحطا والغيب الشئ الغائب ويجوز أن يكون الضمير للعذاب الشديد في قوله بين يدي عذاب شديد وكانوا يقولون وما نحن بمعذبين ان كان الامر كما تصفون من قيام الساعة والعقاب والثواب ونحن أكرم على الله من أن يعذبنا قايسين أمر الآخرة على أمر الدنيا فهذا كان قذفهم بالغيب وهو غيب ومقذوف به من جهة بعيدة لان دار الجزاء لا تنقاس على دار التكليف (ما يشتهون) من نفع الايمان يومئذ والنجاة به من النار والفوز بالجنة أو من الرد الى الدنيا كما حكى عنهم ارجعنا نعمل صالحا (بأشياعهم) بأشباههم من كفرة الامم ومن كان مذهبه مذهبهم (مريب) اما من أرابه اذا أوقعه في الريبة والتهمة أو من أراب الرجل اذا صار ذا ريبة ودخل فيها وكلاهما مجاز الا أن بينهما فريقا وهو أن المريب من الاول منقول ممن يصح أن يكون مريبا من الاعيان الى المعنى والمريب من الثاني منقول من صاحب الشك الى الشك كما تقول شعر شاعر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة سبا لم يبق رسول ولا نبي الا كان له يوم القيامة رفيقا ومصافحا

﴿سورة الملائكة مكية وهي خمس وأربعون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(فاطر السموات) مبتدئها ومبتدعها وعن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما ما كنت أدري ما فاطر السموات والارض حتى اختصم الي أعرابيان في بئر فقال أحدهما أنا فطرتها أي ابتدأتها وقرئ الذي فطر السموات والارض وجعل الملائكة وقرئ جاعل الملائكة بالرفع على المدح (رسلا) بضم السين وسكونها (أولي أجنحة) أصحاب أجنحة وأولو اسم جمع لذو كما أن أولاء اسم جمع لذا ونظيرهما في المتمكنة المخاض والخلفة (مثنى وثلاث ورباع) صفات لاجنحة وانما لم تنصرف لتكرر العدل فيها وذلك أنها عدلت عن ألفاظ

الاعداد عن صيغ الى صيغ أخر كما عدل عمر عن عامر وحذام عن حاذمة وعن تكرير الى غير تكرير وأما الوصفية فلا يفترق الحال فيها بين المعدولة والمعدول عنها ألا تراك تقول مررت بنسوة أربع وبرجال ثلاثة فلا يعرج عليها والمعنى أن الملائكة خلقا أجنحتهم اثنان اثنان أي لكل واحد منهم جناحان وخلقا أجنحتهم ثلاثة ثلاثة وخلقا أجنحتهم أربعة أربعة (يزيد في الخلق ما يشاء) أي يزيد في خلق الاجنحة وفي غيره ما تقتضيه مشيئته وحكمته والاصل الجناحان لانهما بمنزلة اليدين ثم الثالث والرابع زيادة على الاصل وذلك أقوى للطيران وأعون عليه (فان قلت) قياس الشفع من الاجنحة أن يكون في كل شق نصفه فما صورة الثلاثة (قلت) لعل الثالث يكون في وسط الظهر بين الجناحين يمدهما بقوة أو لعله لغير الطيران فقد مر بي في بعض الكتب أن صنفا من الملائكة لهم ستة أجنحة فجناحان يلفون بهما أجسادهم وجناحان يطيرون بهما في الامر من أمور الله وجناحان مرخيان على وجوههم حياء من الله وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه رأى جبريل عليه السلام ليلة المعراج وله ستمائة جناح وروى أنه سأل جبريل عليه السلام أن يتراءى له في صورته فقال انك لن تطيق ذلك قال اني أحب أن تفعل فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة مقمرة فأتاه جبريل في صورته فغشي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم أفاق وجبريل عليه السلام مسنده واحدى يديه على صدره والاخرى بين كتفيه فقال سبحان الله ما كنت أرى أن شيأ من الخلق هكذا فقال جبريل فكيف لو رأيت اسرافيل له اثنا عشر جناحا جناح منها بالمشرق وجناح بالمغرب وان العرش على كاهله وانه ليتضاءل الاحايين لعظمة الله حتى يعود مثل الوصع وهو العصفور الصغير وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى يزيد في الخلق ما يشاء هو الوجه الحسن والصوت الحسن والشعر الحسن وقيل الخط الحسن وعن قتادة الملاحة في العينين والآية مطلقة تتناول كل زيادة في الخلق من طول قامة واعتدال صورة وتمام في الاعضاء وقوة في البطش وحصافة في العقل وجزالة في الرأي وجراءة في القلب وسماحة في النفس وذلاقة في اللسان ولباقة في التكلم وحسن تأن في مزاولة الامور وما أشبه ذلك مما لا يحيط به الوصف * استعير الفتح للاطلاق والارسال ألا ترى الى قوله فلا مرسل له من بعده مكان لا فاتح له يعني أي شئ يطلق الله من رحمة أي من نعمة رزق أو مطر أو صحة أو أمن أو غير ذلك من صنوف نعمائه التي لا يحاط بعددها * وتنكير الرحمة للاشاعة والابهام كأنه قال من أية رحمة كانت سماوية أو أرضية فلا أحد يقدر على امساكها وحبسها وأي شئ يمسك الله فلا أحد يقدر على اطلاقه (فان قلت) لم أنث الضمير أولا ثم ذكر آخرا وهو راجع في الحالين الى الاسم المتضمن معنى الشرط (قلت) هما لغتان الحمل على المعنى وعلى اللفظ والمتكلم على الخيرة فيهما فأنث على معنى الرحمة وذكر على أن لفظ المرجوع اليه لا تأنيث فيه ولان الاول فسر بالرحمة فحسن اتباع الضمير التفسير ولم يفسر الثاني فترك على أصل التذكير وقرئ فلا مرسل لها (فان قلت) لا بد للثاني من تفسير فما تفسيره (قلت) يحتمل أن يكون تفسيره مثل تفسير الاول ولكنه ترك لدلالته عليه وأن يكون مطلقا في كل ما يمسكه من غضبه ورحمته وانما فسر الاول دون الثاني للدلالة على أن رحمته سبقت غضبه (فان قلت) فما تقول فيمن فسر الرحمة بالتوبة وعزاه الى ابن عباس رضي الله عنهما (قلت) ان أراد بالتوبة الهداية لها والتوفيق فيها وهو الذي أراده ابن عباس رضي الله عنهما ان قاله فمقبول وان أراد أنه ان شاء أن يتوب العاصي تاب وان لم يشأ لم يتب فمردود لان الله تعالى يشاء التوبة أبدا ولا يجوز عليه أن لا يشاءها (من بعده) من بعد امساكه كقوله تعالى فمن يهديه من بعد الله فبأي حديث بعد الله أي من بعد هداه وبعد آياته (وهو العزيز) الغالب القادر على الارسال والامساك (الحكيم) الذي يرسل ويمسك ما تقتضي الحكمة ارساله وامساكه * ليس المراد بذكر النعمة ذكرها باللسان فقط ولكن به وبالقلب وحفظها من الكفران والغمط وشكرها بمعرفة حقها والاعتراف بها وطاعة موليها ومنه قول الرجل لمن أنعم عليه اذكر أيادي عندك يريد حفظها وشكرها والعمل على موجبها والخطاب عام للجميع لان جميعهم مغمورون بسابغ نعمة الله وعن ابن عباس رضي الله عنهما يريد يا أهل مكة اذكروا نعمة الله عليكم حيث أسكنكم حرمه ومنعكم

يزيد في الخلق ما يشاء ان الله على كل شئ قدير ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم يا أيها الناس اذكروا نعمت الله عليكم هل من خالق غير الله

﴿القول في سورة الملائكة﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قوله تعالى هل من خالق غير الله يرزقكم الآية (قال فيه ان قلت ما محل يرزقكم قلت يحتمل أن يكون له محل اذا أوقعته صفة لخالق وان لا يكون له محل اذا جعلته تفسيرا وجعلت من خالق مرفوع المحل بفعل يدل عليه هذا كأنه قيل هل يرزقكم خالق غير الله أو جعلت يرزقكم كلاما مبتدأ) قال أحمد والوجه المؤخر أوجه الوجوه عاد كلامه (قال) فان قلت هل فيه دليل على ان الخالق لا يطلق على غير الله تعالى قلت نعم ان جعلت يرزقكم كلاما مبتدأ وهو الوجه الثالث من الاوجه الثلاثة وأما على الوجهين الآخرين وهما الوصف والتفسير فقد تقيد فيهما بالرزق من السموات والارض وخرج من الاطلاق فكيف يستشهد به على نفيه مطلقا (قال أحمد) القدرية اذا قرعت هذه الآية أسماعهم قالوا بجرأة على الله تعالى نعم ثم خالق غير الله لان كل أحد عندهم يخلق فعل نفسه فلهذا (٢٢٨) رأيت الزمخشري وسع الدائرة وجلب الوجوه الشاردة النافرة وجعل الوجهين يطابقان معتقده في اثبات خالق غير الله ووجها هو الحق والظاهر وأخره في الذكر تناسيا له والذي يحقق الوجه الثالث وانه هو المراد أن

من جميع العالم والناس يتخطفون من حولكم ونعمة الله العافية * وقرئ غير الله بالحركات الثلاث فالجر والرفع على الوصف لفظا ومحلا والنصب على الاستثناء (فان قلت) ما محل (يرزقكم) (قلت) يحتمل أن يكون له محل اذا أوقعته صفة لخالق وأن لا يكون له محل اذا رفعت محل من خالق باضمار يرزقكم وأوقعت يرزقكم تفسيرا له أو جعلته كلاما مبتدأ بعد قوله هل من خالق غير الله (فان قلت) هل فيه دليل على أن الخالق لا يطلق على غير الله تعالى (قلت) نعم ان جعلت يرزقكم كلاما مبتدأ وهو الوجه الثالث من الاوجه الثلاثة وأما على الوجهين الآخرين وهما الوصف والتفسير فقد تقيد فيهما بالرزق من السماء والارض وخرج من الاطلاق فكيف يستشهد به على اختصاصه بالاطلاق والرزق من السماء المطر ومن الارض النبات (لا اله الا هو) جملة مفصولة لا محل لها مثل يرزقكم في الوجه الثالث ولو وصلتها كما وصلت يرزقكم لم يساعد عليه المعنى لان قولك هل من خالق آخر سوى الله لا اله الا ذلك الخالق غير مستقيم لان قولك هل من خالق سوى الله اثبات لله فلو ذهبت تقول ذلك كنت مناقضا بالنفي بعد الاثبات (فأنى تؤفكون) فمن أي وجه تصرفون عن التوحيد الى الشرك * نعى به على قريش سوء تلقيهم لآيات الله وتكذيبهم بها وسلى رسوله صلى الله عليه وسلم بأن له في الانبياء قبله أسوة حسنة ثم جاء بما يشتمل على الوعد والوعيد من رجوع الامور الى حكمه ومجازاة المكذب والمكذب بما يستحقانه * وقرئ ترجع بضم التاء وفتحها (فان قلت) ما وجه صحة جزاء الشرط ومن حق الجزاء أن يتعقب الشرط وهذا سابق له (قلت) معناه وان يكذبوك فتأس بتكذيب الرسل من قبلك فوضع فقد كذبت رسل من قبلك موضع فتأس استغناء بالسبب عن المسبب أعني بالتكذيب عن التأسي (فان قلت) ما معنى التنكير في رسل (قلت) معناه فقد كذبت رسل أي رسل ذوو عدد كثير وأولو آيات ونذر وأهل أعمار طوال وأصحاب صبر وعزم وما أشبه ذلك وهذا أسلى له وأحث على المصابرة * وعد الله الجزاء بالثواب والعقاب (فلا تغرنكم) فلا تخدعنكم (الدنيا) ولا يذهلنكم التمتع بها والتلذذ بمنافعها عن العمل للآخرة وطلب ما عند الله (ولا يغرنكم بالله الغرور) لا يقولن لكم اعملوا ما شئتم فان الله غفور يغفر كل كبيرة ويعفو عن كل خطيئة والغرور الشيطان لان ذلك ديدنه وقرئ بالضم وهو مصدر غره كاللزوم والنهوك أو جمع غار كقاعد وقعود أخبرنا الله عز وجل ان الشيطان لنا عدو مبين واقتص علينا قصته وما فعل بأبينا آدم عليه السلام وكيف انتدب لعداوة جنسنا من قبل وجوده وبعده ونحن على ذلك نتولاه ونطيعه فيما يريد منا مما فيه هلاكنا فوعظنا عز وجل بأنه كما علم عدوكم الذي لا عدو أعرق في العداوة منه وأنتم تعاملونه معاملة من لا علم له بحاله (فاتخذوه عدوا) في عقائدكم وأفعالكم ولا يوجدن منكم

يرزقكم من السماء والارض لا اله الا هو فأنى تؤفكون وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك والى الله ترجع الامور يا أيها الناس ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا انما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير الذين كفروا لهم عذاب شديد

الآية مشتملة على توبيخ قوم على أنهم مشركون اذا سئلوا عمن يرزقهم من السموات والارض قالوا الله فقرروا وأبلغ ذلك وقرعوا به اقامة للحجة عليهم باقرارهم ولو كان على غير هذا الوجه فيما كان مقررا منه اثبات خالق غير الا الله لكنه لا يرزقهم ولا هؤلاء الكفرة قد تبرؤا عن ذلك فلا وجه لتقريعهم بما لا يقولونه فهذا ترجيح الوجه الثالث من حيث مقصود سياق الآية وأما من حيث النظم اللفظي فلان الجملتين اللتين هما قوله يرزقكم وقوله لا اله الا هو سيقتا سياقا واحدا والثانية مفصولة اتفاقا كما تقدم فكذلك ونظيرتها * قوله تعالى يا أيها الناس ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا الآية (قال معناه ولا يقولن لكم الشيطان اعملوا ما شئتم فان الله غفور يغفر كل كبيرة ويعفو عن كل خطيئة (قال أحمد هو يعرض باهل السنة في اعتقادهم جواز مغفرة الكبائر للموحدين وان لم يكن توبة وهذا الاعتقاد هو الحق لان الله تعالى حيث توعد على الكبائر قرن الوعيد بالمشيئة في مثل قوله ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فهم اذا مصدقون بوعد الله تعالى موقنون به على حسب ما ورد

الامايل على معاداته ومناصبته فى سركم وجهركم * ثم لخص سر أمره وخطأ من اتبعه بأن غرضه الذى يؤمه
فى دعوة شيعته ومتبعى خطواته هو أن يوردهم مورد الشقوة والهلاك وأن يكونوا من أصحاب السعير
* ثم كشف الغطاء وقشر اللحاء ليقطع الاطماع الفارغة والامانى الكاذبة فبنى الامر كله على الايمان والعمل
وتركهما * لما ذكر الفريقين الذين كفروا والذين آمنوا قال لنبيه (أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا) يعنى
أفمن زين له سوء عمله من هذين الفريقين كمن لم يزين له فكأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا فقال (فان
الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات) ومعنى تزيين العمل والاضلال واحد
وهو أن يكون العاصى على صفة لا تجدى عليه المصالح حتى يستوجب بذلك خذلان الله تعالى وتخليته وشأنه
فعند ذلك يهيم فى الضلال ويطلق آمر النهى ويعتنق طاعة الهوى حتى يرى القبيح حسنا والحسن قبيحا
كأنما غلب على عقله وسلب تمييزه ويقعد تحت قول أبى نواس

اسقنى حتى ترانى * حسنا عندى القبيح

واذا خذل الله المصممين على الكفر وخلاهم وشأنهم فان على الرسول أن لا يهتم بأمرهم ولا يلقى بالا الى
ذكرهم ولا يحزن ولا يتحسر عليهم اقتداء بسنة الله تعالى فى خذلانهم وتخليتهم وذكر الزجاج ان المعنى أفمن
زين له سوء عمله ذهبت نفسك عليهم حسرة فحذف الجواب لدلالة فلا تذهب نفسك عليه أو أفمن زين له سوء
عمله كمن هداه الله فحذف لدلالة فان الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء عليه * حسرات مفعول له يعنى
فلا تهلك نفسك للحسرات وعليهم صلة تذهب كما تقول هلك عليه حبا ومات عليه حزنا أو هو بيان للمتحسر
عليه ولا يجوز أن يتعلق بحسرات لان المصدر لا يتقدم عليه صلته ويجوز أن يكون حالا كأن كلها صارت
حسرات لفرط التحسر كما قال جرير

مشق الهواجر لحمهن مع السرى * حتى ذهبن كلاكلا وصدورا

يريد رجعن كلاكلا وصدورا أى لم يبق الا كلاكلها وصدورها ومنه قوله

فعلى اثرهم تساقط نفسى * حسرات وذكرهم لى سقام

وقرئ فلا تذهب نفسك (ان الله عليم بما يصنعون) وعيد لهم بالعقاب على سوء صنيعهم * وقرئ أرسل الريح
* (فان قلت) لم جاء فتثير على المضارعة دون ما قبله وما بعده (قلت) ليحكى الحال التى تقع فيها اثارة الرياح
السحاب وتستحضر تلك الصورة البديعة الدالة على القدرة الربانية وهكذا يفعلون بفعل فيه نوع تمييز
وخصوصية بحال تستغرب أو تهم المخاطب أو غير ذلك كما قال تأبط شرا

بأنى قد لقيت الغول تهوى * بسهب كالصحيفة صحصحان

فأضربها بلا دهش فخرت * صريعا لليدين وللجران

لانه قصد أن يصور لقومه الحالة التى تشجع فيها بزعمه على ضرب الغول كأنه يبصرهم اياها ويطلعهم على
كنهها مشاهدة للتعجب من جرأته على كل هول وثباته عند كل شدة وكذلك سوق السحاب الى البلد الميت
واحياء الارض بالمطر بعد موتها لما كانا من الدلائل على القدرة الباهرة قيل فسقناه وأحيينا معدولا بهما عن
لفظ الغيبة الى ما هو أدخل فى الاختصاص وأدل عليه * والكاف فى (كذلك) فى محل الرفع أى مثل احياء
الموات نشور الاموات وروى أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يحيى الله الموتى وما آية ذلك فى
خلقه فقال هل مررت بوادى أهلك محلا ثم مررت به يهتز خضرا قال نعم قال فكذلك يحيى الله الموتى وتلك آيته
فى خلقه وقيل يحيى الله الخلق بماء يرسله من تحت العرش كمنى الرجال تنبت منه أجساد الخلق * كان الكافرون
يتعززون بالاصنام كما قال عز وجل واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا والذين آمنوا بألسنتهم من غير
مواطأة قلوبهم كانوا يتعززون بالمشركين كما قال تعالى الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين
أيبتغون عندهم العزة فان العزة لله جميعا فبين أن لا عزة الا لله ولأوليائه وقال ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين
والمعنى فليطلبها عند الله فوضع قوله (فلله العزة جميعا) موضعه استغناء به عنه لدلالته عليه لان الشئ
لا يطلب الا عند صاحبه ومالكه ونظيره قولك من أراد النصيحة فهى عند الابرار تريد فليطلبها عندهم

والذين آمنوا وعملوا
الصالحات لهم مغفرة
وأجر كبير أفمن زين له
سوء عمله فرآه حسنا
فان الله يضل من يشاء
ويهدى من يشاء فلا
تذهب نفسك عليهم
حسرات ان الله عليم
بما يصنعون والله الذى
أرسل الرياح فتثير
سحابا فسقناه الى بلد
ميت فأحيينا به الارض
بعد موتها كذلك
النشور من كان يريد
العزة فلله العزة جميعا

الا انك أقمت ما يدل عليه مقامه ومعنى فلله العزة جميعا أن العزة كلها مختصة بالله عزة الدنيا وعزة الآخرة
* ثم عرف أن ما تطلب به العزة هو الايمان والعمل الصالح بقوله (اليه يصعد الكلم الطيب والعمل
الصالح يرفعه) والكلم الطيب لا اله الا الله عن ابن عباس رضي الله عنهما يعنى أن هذه الكلم لا تقبل
ولا تصعد الى السماء فتكتب حيث تكتب الأعمال المقبولة كما قال عز وجل ان كتاب الابرار لفي عليين
الا اذا اقترن بها العمل الصالح الذي يحققها ويصدقها فرفعها وأصعدها وقيل الرافع الكلم والمرفوع
العمل لأنه لا يقبل عمل الا من موحد وقيل الرافع هو الله تعالى والمرفوع العمل وقيل الكلم الطيب كل
ذكر من تكبير وتسبيح وتهليل وقراءة قرآن ودعاء واستغفار وغير ذلك وعن النبي صلى الله عليه وسلم هو قول
الرجل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر اذا قالها العبد عرج بها الملك الى السماء فحيا بها وجه
الرحمن فاذا لم يكن عمل صالح لم يقبل منه وفي الحديث لا يقبل الله قولا الا بعمل ولا يقبل قولا ولا عملا
الا بنية ولا يقبل قولا وعملا ونية الا باصابة السنة وعن ابن المقفع قول بلا عمل كثريد بلا دسم وسحاب بلا
مطر وقوس بلا وتر وقرئ اليه يصعد الكلم الطيب على البناء للمفعول واليه يصعد الكلم الطيب على
تسمية الفاعل من أصعد والمصعد هو الرجل أي يصعد الى الله عز وجل الكلم الطيب واليه يصعد الكلام
الطيب وقرئ والعمل الصالح يرفعه بنصب العمل والرافع الكلم أو الله عز وجل (فان قلت) مكر فعل غير
متعد لا يقال مكر فلان عمله فيم نصب (السيآت) (قلت) هذه صفة للمصدر أو لما في حكمه كقوله تعالى
ولا يحيق المكر السيئ الا بأهله أصله والذين مكروا المكرات السيآت أو أصناف المكر السيآت وعنى بهن
مكرات قريش حين اجتمعوا في دار الندوة وتداوروا الرأي في احدى ثلاث مكرات يمكرونها برسول الله
صلى الله عليه وسلم اما اثباته أو قتله أو اخراجه كما حكى الله سبحانه عنهم واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك
أو يقتلوك أو يخرجوك (ومكر أولئك هو يبور) يعني ومكر أولئك الذين مكروا تلك المكرات الثلاث هو
خاصة يبور أي يكسد ويفسد دون مكر الله بهم حين أخرجهم من مكة وقتلهم وأثبتهم في قليب بدر فجمع
عليهم مكراتهم جميعا وحقق فيهم قوله ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين وقوله ولا يحيق المكر السيئ
الا بأهله (أزواجا) أصنافا أو ذكرانا واناثا كقوله تعالى أو يزوجهم ذكرانا واناثا وعن قتادة رضي الله عنه
زوج بعضهم بعضا (بعلمه) في موضع الحال أي الا معلومة له * (فان قلت) ما معنى قوله وما يعمر من معمر
(قلت) معناه وما يعمر من أحد وانما سماه معمرا بما هو صائر اليه (فان قلت) الانسان اما معمر أي طويل
العمر أو منقوص العمر أي قصيره فأما أن يتعاقب عليه التعمير وخلافه فمحال فكيف صح قوله (وما يعمر
من معمر ولا ينقص من عمره) (قلت) هذا من الكلام المتسامح فيه ثقة في تأويله بأفهام السامعين واتكالا
على تسديدهم معناه بعقولهم وأنه لا يلتبس عليهم احالة الطول والقصر في عمر واحد وعليه كلام الناس
المستفيض يقولون لا يثيب الله عبدا ولا يعاقبه الا بحق وما تنعمت بلدا ولا اجتويته الا قل فيه ثوائي وفيه
تأويل آخر وهو أنه لا يطول عمر انسان ولا يقصر الا في كتاب وصورته أن يكتب في اللوح ان حج فلان أو غزا
فعمره أربعون سنة وان حج وغزا فعمره ستون سنة فاذا جمع بينهما فبلغ الستين فقد عمر واذا أفرد أحدهما فلم
يتجاوز به الأربعون فقد نقص من عمره الذي هو الغاية وهو الستون واليه أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم
في قوله ان الصدقة والصلة تعمران الديار وتزيدان في الأعمار وعن كعب أنه قال حين طعن عمر رضي الله
عنه لو أن عمر دعا الله لأخر في أجله فقيل لكعب أليس قد قال الله اذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا
يستقدمون قال فقد قال الله وما يعمر من معمر وقد استفاض على الألسنة أطال الله بقاءك وفسح في مدتك
وما أشبهه وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه يكتب في الصحيفة عمره كذا وكذا سنة ثم يكتب في أسفل ذلك
ذهب يوم ذهب يومان حتى يأتي على آخره وعن قتادة رضي الله عنه المعمر من بلغ ستين سنة والمنقوص من
عمره من يموت قبل ستين سنة والكتاب اللوح عن ابن عباس رضي الله عنهما ويجوز أن يراد بكتاب الله علم
الله أو صحيفة الانسان وقرئ ولا ينقص على تسمية الفاعل من عمره بالتخفيف * ضرب البحرين العذب

والمالح

اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه والذين يمكرون السيآت لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجا وما تحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا في كتاب ان ذلك على الله يسير وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج

والمالح مثلان للمؤمن والكافر ثم قال على سبيل الاستطراد في صفة البحرين وما علق بهما من نعمته وعطائه (ومن كل) أي ومن كل واحد منهما (تأكلون لحما طريا) وهو السمك (وتستخرجون حلية) وهي اللؤلؤ والمرجان (وترى الفلك فيه) في كل (مواخر) شواق للماء بجريها يقال مخرت السفينة الماء ويقال للسحاب بنات مخر لأنها تمخر الهواء والسفن الذي اشتقت منه السفينة قريب من المخر لأنها تسفن الماء كأنها تقشره كما تمخره (من فضله) من فضل الله ولم يجر له ذكر في الآية ولكن فيما قبلها ولو لم يجر لم يشكل لدلالة المعنى عليه * وحرف الرجاء مستعار لمعنى الإرادة ألا ترى كيف سلك به مسلك لام التعليل كأنما قيل لتبتغوا ولتشكروا * والفرات الذي يكسر العطش * والسائغ المريء السهل الانحدار لعذوبته وقرئ سيغ بوزن سيد وسيغ بالتخفيف وملح على فعل * والأجاج الذي يحرق بملوحته * ويحتمل غير طريقة الاستطراد وهو أن يشبه الجنسين بالبحرين ثم يفضل البحر الأجاج على الكافر بأنه قد شارك العذب في منافع من السمك واللؤلؤ وجري الفلك فيه والكافر خلو من النفع فهو في طريقة قوله تعالى ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة ثم قال وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله (ذلكم) مبتدأ و (الله ربكم له الملك) أخبار مترادفة أو الله وربكم خبران وله الملك جملة مبتدأة واقعة في قران قوله (والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير) ويجوز في حكم الإعراب إيقاع اسم الله صفة لاسم الإشارة أو عطف بيان وربكم خبرا لولا أن المعنى يأباه والقطمير لفافة النواة وهي القشرة الرقيقة الملتفة عليها * إن تدعوا الأوثان (لا يسمعوا دعاءكم) لأنهم جماد (ولو سمعوا) على سبيل الفرض والتمثيل (ما استجابوا لكم) لأنهم لا يدعون ما تدعون لهم من الإلهية ويتبرؤون منها وقيل ما نفعوكم (يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير) ولا يخبرك بالأمر مخبر هو مثل خبير عالم به يريد أن الخبير بالأمر وحده هو الذي يخبرك بالحقيقة دون سائر المخبرين به والمعنى أن هذا الذي أخبرتكم به من حال الأوثان هو الحق لأني خبير بما أخبرت به وقرئ يدعون بالياء والتاء (فإن قلت) لم عرف الفقراء (قلت) قصد بذلك أن يريهم أنهم لشدة افتقارهم إليه هم جنس الفقراء وإن كانت الخلائق كلهم مفتقرين إليه من الناس وغيرهم لأن الفقر مما يتبع الضعف وكلما كان الفقير أضعف كان أفقر وقد شهد الله سبحانه على الإنسان بالضعف في قوله وخلق الإنسان ضعيفا وقال الله سبحانه وتعالى الله الذي خلقكم من ضعف ولو نكر لكان المعنى أنتم بعض الفقراء (فإن قلت) قد قوبل الفقراء بالغني فما فائدة الحميد (قلت) لما أثبت فقرهم إليه وغناه عنهم وليس كل غني نافعا بغناه إلا إذا كان الغني جوادا منعما فإذا جاد وأنعم حمده المنعم عليهم واستحق عليهم الحمد ذكر الحميد ليدل به على أنه الغني النافع بغناه خلقه الجواد المنعم عليهم المستحق بإنعامه عليهم أن يحمدوه الحميد على ألسنة مؤمنيهم (بعزيز) بممتنع وهذا غضب عليهم لاتخاذهم له أندادا وكفرهم بآياته ومعاصيهم كما قال وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم وعن ابن عباس رضي الله عنهما يخلق بعدكم من يعبده لا يشرك به شيئا * الوزر والوقر أخوان ووزر الشيء إذا حمله * والوازرة صفة النفس والمعنى أن كل نفس يوم القيامة لا تحمل إلا وزرها الذي اقترفته لا تؤخذ نفس بذنب نفس كما تأخذ جبابرة الدنيا الولي بالولي والجار بالجار (فإن قلت) هلا قيل ولا تزر نفس وزر أخرى ولم قيل وازرة (قلت) لأن المعنى أن النفوس الوازرات لا ترى منهن واحدة إلا حاملة وزرها لا وزر غيرها (فإن قلت) كيف توفق بين هذا وبين قوله وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم (قلت) تلك الآية في الضالين المضلين وأنهم يحملون أثقال إضلال الناس مع أثقال ضلالهم وذلك كله أوزارهم ما فيها شيء من وزر غيرهم ألا ترى كيف كذبهم الله تعالى في قولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم بقوله تعالى وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء (فإن قلت) ما الفرق بين معنى قوله (ولا تزر وازرة وزر أخرى) وبين معنى (وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء) (قلت) الأول في الدلالة على عدل الله تعالى في حكمه وأنه تعالى لا يؤاخذ نفسا بغير ذنبها والثاني في أن لا غياث يومئذ لمن استغاث حتى إن نفسا قد أثقلتها الأوزار وبهظتها لو دعت إلى أن يخفف بعض وقرها لم تجب لم تغث وإن كان المدعو بعض قرابتها من أب أو ولد أو أخ (فإن قلت) إلام أسند

ومن كل تأكلون لحما طريا
وتستخرجون حلية
تلبسونها وترى الفلك
فيه مواخر لتبتغوا من
فضله ولعلكم تشكرون
يولج الليل في النهار ويولج
النهار في الليل وسخر
الشمس والقمر كل يجري
لأجل مسمى ذلكم الله
ربكم له الملك والذين
تدعون من دونه
ما يملكون من قطمير إن
تدعوهم لا يسمعوا
دعاءكم ولو سمعوا
ما استجابوا لكم ويوم
القيامة يكفرون
بشرككم ولا ينبئك مثل
خبير يا أيها الناس أنتم
الفقراء إلى الله والله هو
الغني الحميد إن يشأ
يذهبكم ويأت بخلق
جديد وما ذلك على الله
بعزيز ولا تزر وازرة
وزر أخرى وإن تدع مثقلة
إلى حملها لا يحمل منه شيء

كان في (ولو كان ذا قربى) (قلت) الى المدعو المفهوم من قوله وان تدع مثقلة (فان قلت) فلم ترك ذكر المدعو
(قلت) ليعم ويشمل كل مدعو (فان قلت) كيف استقام اضمار العام ولا يصح أن يكون العام ذا قربى للمثقلة
(قلت) هو من العموم الكائن على طريق البدل (فان قلت) ما تقول فيمن قرأ ولو كان ذو قربى على كان التامة
كقوله تعالى وان كان ذو عسرة (قلت) نظم الكلام أحسن ملاءمة للناقصة لان المعنى على أن المثقلة ان
دعت أحدا الى حملها لا يحمل منه شئ وان كان مدعوها ذا قربى وهو معنى صحيح ملتئم ولو قلت ولو وجد
ذو قربى لتفكك وخرج من اتساقه والتئامه على أن ههنا ما ساغ ان يستتر له ضمير في الفعل بخلاف
ما أوردته (بالغيب) حال من الفاعل أو المفعول أي يخشون ربهم غائبين عن عذابه أو يخشون عذابه غائبا
عنهم وقيل بالغيب في السر وهذه صفة الذين كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصحابه فكانت عادتهم
المستمرة أن يخشوا الله ❊ وهم الذين أقاموا الصلاة وتركوها منارا منصوبا وعلما مرفوعا يعني انما تقدر
على انذار هؤلاء وتحذيرهم من قومك وعلى تحصيل منفعة الانذار فيهم دون متمرديهم وأهل عنادهم (ومن
تزكى) ومن تطهر بفعل الطاعات وترك المعاصي وقرئ ومن ازكى فانما يزكى وهو اعتراض مؤكد لخشيتهم
واقامتهم الصلاة لانهما من جملة التزكي (والى الله المصير) وعد للمتزكين بالثواب (فان قلت) كيف اتصل
قوله انما تنذر بما قبله (قلت) لما غضب عليهم في قوله ان يشأ يذهبكم أتبعه الانذار بيوم القيامة وذكر
أهوالها ثم قال انما تنذر كأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أسمعهم ذلك فلم ينفع فنزل انما تنذر أو أخبره الله
تعالى بعلمه فيهم (الاعمى والبصير) مثل للكافر والمؤمن كما ضرب البحرين مثلا لهما أو للصنم ولله عز وجل
❊ والظلمات والنور والظل والحرور مثلان للحق والباطل وما يؤديان اليه من الثواب والعقاب ❊ والاحياء
والاموات مثل للذين دخلوا في الاسلام والذين لم يدخلوا فيه وأصروا على الكفر ❊ والحرور والسموم
الا أن السموم يكون بالنهار والحرور بالليل والنهار وقيل بالليل خاصة (فان قلت) لا المقرونة بواو العطف
ما هي (قلت) اذا وقعت الواو في النفي قرنت بها لتأكيد معنى النفي (فان قلت) هل من فرق بين هذه
الواوات (قلت) بعضها ضمت شفعا الى شفع وبعضها وترا الى وتر (ان الله يسمع من يشاء) يعني أنه قد علم
من يدخل في الاسلام ممن لا يدخل فيه فيهدي الذي قد علم أن الهداية تنفع فيه ويخذل من علم أنها لا تنفع فيه
❊ وأما أنت فخفي عليك أمرهم فلذلك تحرص وتتهالك على اسلام قوم من المخذولين ومثلك في ذلك مثل
من يريد أن يسمع المقبورين وينذر وذلك مما لا سبيل اليه ❊ ثم قال (ان أنت الا نذير) أي ما عليك الا أن تبلغ
وتنذر فان كان المنذر ممن يسمع الانذار نفع وان كان من المصرين فلا عليك ويحتمل أن الله يسمع من يشاء
أنه قادر على أن يهدي المطبوع على قلوبهم على وجه القسر والالجاء وغيرهم على وجه الهداية والتوفيق
وأما أنت فلا حيلة لك في المطبوع على قلوبهم الذين هم بمنزلة الموتى (بالحق) حال من أحد الضميرين يعني
محقا أو محقين أو صفة للمصدر أي ارسالا مصحوبا بالحق أو صلة لبشير ونذير على بشيرا بالوعد الحق ونذيرا
بالوعيد الحق ❊ والامة الجماعة الكثيرة قال الله تعالى وجد عليه أمة من الناس ويقال لاهل كل عصر أمة
وفي حدود المتكلمين الامة هم المصدقون بالرسول صلى الله عليه وسلم دون المبعوث اليهم وهم الذين يعتبر
اجماعهم والمراد ههنا أهل العصر (فان قلت) كم من أمة في الفترة بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام
ولم يخل فيها نذير (قلت) اذا كانت آثار النذارة باقية لم تخل من نذير الى أن تندرس وحين اندرست آثار
نذارة عيسى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم (فان قلت) كيف اكتفى بذكر النذير عن البشير في آخر الآية
بعد ذكرهما (قلت) لما كانت النذارة مشفوعة بالبشارة لا محالة دل ذكرها على ذكرها لا سيما وقد اشتملت
الآية على ذكرهما (بالبينات) بالشواهد على صحة النبوة وهي المعجزات (وبالزبر) وبالصحف (وبالكتاب
المنير) نحو التوراة والانجيل والزبور ولما كانت هذه الاشياء في جنسهم أسند المجئ بها اليهم اسنادا مطلقا
وان كان بعضها في جميعهم وهي البينات وبعضها في بعضهم وهي الزبر والكتاب وفيه مسلاة لرسول الله
صلى الله عليه وسلم (ألوانها) أجناسها من الرمان والتفاح والتين والعنب وغيرها مما لا يحصر أو هيئاتها من

ولو كان ذا قربى انما تنذر
الذين يخشون ربهم
بالغيب واقاموا الصلوة
ومن تزكى فانما يتزكى
لنفسه والى الله المصير
وما يستوي الاعمى
والبصير ولا الظلمات
ولا النور ولا الظل ولا
الحرور وما يستوي
الاحياء ولا الاموات
ان الله يسمع من يشاء
وما أنت بمسمع من في
القبور ان أنت الا نذير
انا أرسلناك بالحق بشيرا
ونذيرا وان من أمة
الا خلا فيها نذير وان
يكذبوك فقد كذب
الذين من قبلهم جاءتهم
رسلهم بالبينات وبالزبر
وبالكتاب المنير ثم أخذت
الذين كفروا فكيف
كان نكير ألم تر أن الله
أنزل من السماء ماء
فأخرجنا به ثمرات مختلفا
ألوانها ومن الجبال جدد
بيض وحمر مختلف ألوانها

الحمرة والصفرة والخضرة ونحوها * والجدد الخطط والطرائق قال لبيد * أو مذهب جدد على ألواحه *
ويقال جدة الحمار للخطة السوداء على ظهره وقد يكون للظبي جدتان مسكيتان تفصلان بين لوني ظهره
وبطنه (وغرابيب) معطوف على بيض أو على جدد كأنه قيل ومن الجبال مخطط ذو جدد ومنها ما هو على لون
واحد غرابيب وعن عكرمة رضي الله عنه هي الجبال الطوال السود (فان قلت) الغربيب تأكيد للأسود
يقال أسود غربيب وأسود حالك وهو الذي أبعد في السواد وأغرب فيه ومنه الغراب ومن حق التأكيد
أن يتبع المؤكد كقولك أصفر فاقع وأبيض يقق وما أشبه ذلك (قلت) وجهه أن يضمر المؤكد قبله ويكون
الذي بعده تفسيرا لما أضمر كقول النابغة والمؤمن العائذات الطير وانما يفعل ذلك لزيادة التوكيد حيث
يدل على المعنى الواحد من طريقي الاظهار والاضمار جميعا ولا بد من تقدير حذف المضاف في قوله تعالى
ومن الجبال جدد بمعنى ومن الجبال ذو جدد بيض وحمر وسود حتى يؤول الى قولك ومن الجبال مختلف ألوانه
كما قال ثمرات مختلفا ألوانها (ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه) يعني ومنهم بعض مختلف ألوانه
وقرئ ألوانها وقرأ الزهري جدد بالضم جمع جديدة وهي الجدة يقال جديدة وجدد وجدائد كسفينة وسفن
وسفائن وقد فسر بها قول أبي ذؤيب يصف حمار وحش * جون السراة له جدائد أربع * وروى عنه
جدد بفتحتين وهو الطريق الواضح المسفر وضعه موضع الطرائق والخطوط الواضحة المنفصل بعضها
من بعض * وقرئ والدواب مخففا ونظير هذا التخفيف قراءة من قرأ ولا الضألين لأن كل واحد منهما فرار
من التقاء الساكنين فحرك ذاك أولهما وحذف هذا آخرهما وقوله (كذلك) أي كاختلاف الثمرات والجبال
* المراد العلماء الذين علموه بصفاته وعدله وتوحيده وما يجوز عليه وما لا يجوز فعظموه وقدروه حق
قدره وخشوه حق خشيته ومن ازداد به علما ازداد منه خوفا ومن كان علمه به أقل كان آمن وفي الحديث
أعلمكم بالله أشدكم له خشية وعن مسروق كفى بالمرء علما أن يخشى وكفى بالمرء جهلا أن يعجب بعلمه وقال
رجل للشعبي أفتني أيها العالم فقال العالم من خشي الله وقيل نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه وقد
ظهرت عليه الخشية حتى عرفت فيه (فان قلت) هل يختلف المعنى اذا قدم المفعول في هذا الكلام أو أخر
(قلت) لا بد من ذلك فانك اذا قدمت اسم الله وأخرت العلماء كان المعنى ان الذين يخشون الله من بين عباده
هم العلماء دون غيرهم واذا عملت على العكس انقلب المعنى الى أنهم لا يخشون الا الله كقوله تعالى ولا
يخشون أحدا الا الله وهما معنيان مختلفان (فان قلت) ما وجه اتصال هذا الكلام بما قبله (قلت) لما قال
ألم تر بمعنى ألم تعلم أن الله أنزل من السماء ماء وعدد آيات الله وأعلام قدرته وآثار صنعته وما خلق من الفطر
المختلفة الأجناس وما يستدل به عليه وعلى صفاته أتبع ذلك (انما يخشى الله من عباده العلماء) كأنه قال انما
يخشاه مثلك ومن على صفتك ممن عرفه حق معرفته وعلمه كنه علمه وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنا أرجو
أن أكون أتقاكم لله وأعلمكم به (فان قلت) فما وجه قراءة من قرأ انما يخشى الله من عباده العلماء وهو عمر
ابن عبد العزيز ويحكى عن أبي حنيفة (قلت) الخشية في هذه القراءة استعارة والمعنى انما يجلهم ويعظمهم
كما يجل المهيب المخشي من الرجال بين الناس من بين جميع عباده (ان الله عزيز غفور) تعليل لوجوب الخشية
لدلالته على عقوبة العصاة وقهرهم واثابة أهل الطاعة والعفو عنهم والمعاقب المثيب حقه أن يخشى (يتلون
كتاب الله) يداومون على تلاوته وهي شأنهم وديدنهم وعن مطرف رحمه الله هي آية القراء وعن الكلبي
رحمه الله يأخذون بما فيه وقيل يعلمون ما فيه ويعملون به وعن السدي رحمه الله هم أصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم ورضي عنهم وعن عطاء هم المؤمنون (يرجون) خبر ان * والتجارة طلب الثواب بالطاعة
و(ليوفيهم) متعلق بلن تبور أي تجارة ينتفي عنها الكساد وتنفق عند الله ليوفيهم بنفاقها عنده (أجورهم)
وهي ما استحقوه من الثواب (ويزيدهم) من التفضل على المستحق وان شئت جعلت يرجون في موضع
الحال على وأنفقوا راجين ليوفيهم أي فعلوا جميع ذلك من التلاوة واقامة الصلاة والانفاق في سبيل الله
لهذا الغرض وخبر ان قوله (انه غفور شكور) على معنى غفور لهم شكور لأعمالهم والشكر مجاز عن الاثابة

وغرابيب سود ومن
الناس والدواب والأنعام
مختلف ألوانه كذلك انما
يخشى الله من عباده
العلماء ان الله عزيز
غفور ان الذين يتلون
كتاب الله وأقاموا الصلوة
وأنفقوا مما رزقناهم
سرا وعلانية يرجون
تجارة لن تبور ليوفيهم
أجورهم ويزيدهم من
فضله انه غفور شكور
والذي أوحينا اليك

* قوله تعالى ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله (قال يعني بالمصطفين أمة محمد عليه الصلاة والسلام ثم قسمهم الآية الى ظالم لنفسه وهو المرجأ لأمر الله والى مقتصد وهو الذي خلط عملا صالحا وآخر سيئا والى سابق ثم قال الزمخشري فان قلت كيف جعل الجنات بدلا من الفضل الكبير وذلك في تتمة الآية في قوله ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير ٢٤٤ جنات عدن يدخلونها قلت لان الاشارة بالفضل الى السبق بالخيرات وهو السبب في الجنات ونيل الثواب فأقام السبب مقام المسبب وفي اختصاص السابقين بذكر الجزاء دون الآخرين ما يوجب الحذر فليحذر المقتصد وليملك الظالم لنفسه

من الكتاب هو الحق مصدقا لما بين يديه ان الله بعباده لخبير بصير ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور الذي

(الكتاب) القرآن ومن للتبيين أو الجنس ومن للتبعيض (مصدقا) حال مؤكدة لان الحق لا ينفك عن هذا التصديق (لما بين يديه) لما تقدمه من الكتب (لخبير بصير) يعني انه خبرك وأبصر أحوالك فرآك أهلا لان يوحي اليك مثل هذا الكتاب المعجز الذي هو عيار على سائر الكتب (فان قلت) ما معنى قوله (ثم أورثنا الكتاب) (قلت) فيه وجهان أحدهما انا أوحينا اليك القرآن ثم أورثنا من بعدك أي حكمنا بتوريثه أو قال أورثناه وهو يريد نورثه لما عليه أخبار الله (الذين اصطفينا من عبادنا) وهم أمته من الصحابة والتابعين وتابعيهم ومن بعدهم الى يوم القيامة لان الله اصطفاهم على سائر الامم وجعلهم أمة وسطا ليكونوا شهداء على الناس واختصهم بكرامة الانتماء الى أفضل رسل الله وحمل الكتاب الذي هو أفضل كتب الله * ثم قسمهم الى ظالم لنفسه مجرم وهو المرجأ لأمر الله ومقتصد وهو الذي خلط عملا صالحا وآخر سيئا وسابق من السابقين والوجه الثاني أنه قدم ارساله في كل أمة رسولا وأنهم كذبوا رسلهم وقد جاؤهم بالبينات والزبر والكتاب المنير ثم قال ان الذين يتلون كتاب الله فأثنى على التالين لكتبه العاملين بشرائعه من بين المكذبين بها من سائر الامم واعترض بقوله والذي أوحينا اليك من الكتاب هو الحق ثم قال ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا أي من بعد أولئك المذكورين يريد بالمصطفين من عباده أهل الملة الحنيفية (فان قلت) فكيف جعلت (جنات عدن) بدلا من الفضل الكبير الذي هو السبق بالخيرات المشار اليه بذلك (قلت) لما كان السبب في نيل الثواب نزل منزلة المسبب كأنه هو الثواب فأبدلت عنه جنات عدن وفي اختصاص السابقين بعد التقسيم بذكر ثوابهم والسكوت عن الآخرين ما فيه من وجوب الحذر فليحذر المقتصد وليملك الظالم لنفسه حذرا وعليهما بالتوبة النصوح المخلصة من عذاب الله ولا يغترا بما رواه عمر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له فان شرط ذلك صحة التوبة لقوله تعالى عسى الله أن يتوب عليهم وقوله اما يعذبهم واما يتوب عليهم ولقد نطق القرآن بذلك في مواضع من استقراها اطلع على حقيقة الامر ولم يعلل نفسه بالخدع * وقرئ سباق ومعنى باذن الله بتيسيره وتوفيقه (فان قلت) لم قدم الظالم ثم المقتصد ثم السابق (قلت) للايذان بكثرة الفاسقين وغلبتهم وأن المقتصدين قليل بالاضافة اليهم والسابقون أقل من القليل * وقرئ جنة عدن على الافراد كأنها جنة مختصة بالسابقين وجنات عدن بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر أي يدخلون جنات عدن يدخلونها ويدخلونها على البناء للمفعول * ويحلون من حليت المرأة فهي حال (ولؤلؤا) معطوف على محل من أساور * ومن داخلة للتبعيض أي يحلون بعض أساور من ذهب كأنه بعض سابق لسائر الابعاض كما سبق المسورون به غيرهم وقيل ان ذلك الذهب في صفاء اللؤلؤ * وقرئ ولولؤا بتخفيف الهمزة الاولى * وقرئ الحزن والمراد حزن المتقين وهو ما أهمهم من خوف سوء العاقبة كقوله تعالى انا كنا قبل في أهلنا مشفقين فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم وعن ابن عباس رضي الله عنهما حزن الاعراض والآفات وعنه حزن الموت وعن الضحاك حزن ابليس ووسوسته وقيل هم المعاش وقيل حزن زوال النعم وقد أكثروا حتى قال بعضهم كراء الدار ومعناه أنه يعم كل حزن من أحزان الدين والدنيا حتى هذا وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس على أهل لا اله الا الله وحشة في قبورهم

حذرا وعليهما بالتوبة النصوح ولا يغترا بما رواه عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له فان شرط ذلك صحة التوبة فلا يعلل نفسه بالخداع) قال أحمد وقد صدرت هذه الآية بذكر المصطفين من عباد الله ثم قسمهم ولا الى الظالم والمقتصد والسابق ليلزم اندراج الظالم لنفسه من الموحدين في المصطفين وانه لنعم وأي نعمة أتم وأعظم من اصطفائه للتوحيد والعقائد السالمة من البدع فما بال المصنف يطنب في التسوية بين الموحد المصطفى والكافر المجترى وقوله جنات عدن يدخلونها الضمير فيه راجع الى المصطفين هو ما والجنات جزاؤهم على توحيدهم جميعا واعرابها جنات مبتدأ ويدخلونها الخبر وقوله يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير الى آخر الآية خبر بعد خبر وخير على خير والله المستعان

أحلنا دار المقامة من
فضله لا يمسنا فيها نصب
ولا يمسنا فيها لغوب
والذين كفروا لهم نار
جهنم لا يقضى عليهم
فيموتوا ولا يخفف
عنهم من عذابها كذلك
نجزي كل كفور وهم
يصطرخون فيها ربنا
أخرجنا نعمل صالحا
غير الذي كنا نعمل أولم
نعمركم ما يتذكر فيه
من تذكر وجاءكم النذير
فذوقوا فما للظالمين
من نصير إن الله عالم
غيب السموات والأرض
إنه عليم بذات الصدور
هو الذي جعلكم
خلائف في الأرض فمن
كفر فعليه كفره ولا
يزيد الكافرين كفرهم
عند ربهم إلا مقتا ولا
يزيد الكافرين كفرهم
إلا خسارا قل أرأيتم
شركاءكم الذين تدعون
من دون الله أروني ماذا
خلقوا من الأرض أم
لهم شرك في السموات
أم آتيناهم كتابا فهم
على بينة منه بل إن
يعد الظالمون بعضهم
بعضا إلا غرورا إن الله
يمسك السموات
والأرض أن تزولا
ولئن زالتا إن أمسكهما
من أحد من بعده

ولا في محشرهم ولا في مسيرهم وكأني بأهل لا إله إلا الله يخرجون من قبورهم وهم ينفضون التراب عن رؤسهم ويقولون الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن * وذكر الشكور دليل على أن القوم كثير والحسنات * المقامة بمعنى الإقامة يقال أقمت إقامة ومقاما ومقامة (من فضله) من عطائه وإفضاله من قولهم لفلان فضول على قومه وفواضل وليس من الفضل الذي هو التفضل لأن الثواب بمنزلة الأجر المستحق والتفضل كالتبرع * وقرئ لغوب بالفتح وهو اسم ما يلغب منه أي لا نتكلف عملا يلغبنا أو مصدر كالقبول والولوع أو صفة للمصدر كأنه لغوب لغوب كقولك موت مائت (فإن قلت) ما الفرق بين النصب واللغوب (قلت) النصب التعب والمشقة التي تصيب المنتصب للأمر المزاول له وأما اللغوب فما يلحقه من الفتور بسبب النصب فالنصب نفس المشقة والكلفة واللغوب نتيجته وما يحدث منه من الكلال والفترة (فيموتوا) جواب النفي ونصبه بإضمار أن وقرئ فيموتون عطفا على يقضى وإدخالا له في حكم النفي أي لا يقضى عليهم الموت فلا يموتون كقوله تعالى ولا يؤذن لهم فيعتذرون (كذلك) مثل ذلك الجزاء (نجزي) وقرئ يجازى ويجزى (كل كفور) بالنون (يصطرخون) يتصارخون يفتعلون من الصراخ وهو الصياح بجهد وشدة قال * كصرخة حبلى أسلمتها قبيلها * واستعمل في الاستغاثة لجهد المستغيث صوته * (فإن قلت) هلا اكتفى بصالحا كما اكتفى به في قوله تعالى فارجعنا نعمل صالحا وما فائدة زيادة (غير الذي كنا نعمل) على أنه يؤذن أنهم يعملون صالحا آخر غير الصالح الذي عملوه (قلت) فائدة زيادته التحسر على ما عملوه من غير الصالح مع الاعتراف به وأما الوهم فزائل لظهور حالهم في الكفر وركوب المعاصي ولأنهم كانوا يحسبون أنهم على سيرة صالحة كما قال الله تعالى وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا فقالوا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نحسبه صالحا فنعمله (أولم نعمركم) توبيخ من الله يعني فنقول لهم * وقرئ ما يذكر فيه من اذكر على الإدغام وهو متناول لكل عمر تمكن فيه المكلف من إصلاح شأنه وإن قصر إلا أن التوبيخ في المتطاول أعظم وعن النبي صلى الله عليه وسلم العمر الذي أعذر الله فيه إلى ابن آدم ستون سنة وعن مجاهد ما بين العشرين إلى الستين وقيل ثماني عشرة وسبع عشرة و(النذير) الرسول صلى الله عليه وسلم وقيل الشيب * وقرئ وجاءتكم النذر (فإن قلت) علام عطف وجاءكم النذير (قلت) على معنى أولم نعمركم لأن لفظه لفظ استخبار ومعناه معنى إخبار كأنه قيل قد عمرناكم وجاءكم النذير (إنه عليم بذات الصدور) كالتعليل لأنه إذا علم ما في الصدور وهو أخفى ما يكون فقد علم كل غيب في العالم وذات الصدور مضمراتها وهي تأنيث ذو في نحو قول أبي بكر رضي الله عنه ذو بطن خارجة جارية وقوله * لتغني عني ذا إنائك أجمعا * المعنى ما في بطنها من الحبل وما في إنائك من الشراب لأن الحبل والشراب يصحبان البطن والإناء ألا ترى إلى قولهم معها حبل وكذلك المضمرات تصحب الصدور وهي معها وذو موضوع لمعنى الصحبة * يقال للمستخلف خليفة وخليف فالخليفة تجمع خلائف والخليف خلفاء والمعنى أنه جعلكم خلفاءه في أرضه قد ملككم مقاليد التصرف فيها وسلطكم على ما فيها وأباح لكم منافعها لتشكروه بالتوحيد والطاعة (فمن كفر) منكم وغمط مثل هذه النعمة السنية فوبال كفره راجع عليه وهو مقت الله الذي ليس وراءه خزي وصغار * وخسار الآخرة الذي ما بعده خسار والمقت أشد البغض ومنه قيل لمن ينكح امرأة أبيه مقتي لكونه ممقوتا في كل قلب وهو خطاب للناس وقيل خطاب لمن بعث إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم جعلكم أمة خلفت من قبلها ورأت وشاهدت فيمن سلف ما ينبغي أن تعتبر به فمن كفر منكم فعليه جزاء كفره من مقت الله وخسار الآخرة كما أن من كفر من قبلكم (أروني) بدل من أرأيتم لأن معنى أرأيتم أخبروني كأنه قال أخبروني عن هؤلاء الشركاء وعما استحقوا به الإلهية والشركة أروني أي جزء من أجزاء الأرض استبدوا بخلقه دون الله أم لهم مع الله شركة في خلق السموات أم معهم كتاب من عند الله ينطق بأنهم شركاؤه فهم على حجة وبرهان من ذلك الكتاب أو يكون الضمير في آتيناهم للمشركين كقوله تعالى أم أنزلنا عليهم سلطانا أم آتيناهم كتابا من قبله * بل إن يعد بعضهم وهم الرؤساء (بعضا) وهم الأتباع (إلا غرورا) وهو قولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله * وقرئ بينات (أن تزولا) كراهة أن تزولا أو يمنعهما من أن تزولا لأن

الامساك الشنيع (انه كان حليما غفورا) غير معاجل بالعقوبة حيث يمسكهما وكانتا جديرتين بأن تهدّا هدّا لعظم كلمة الشرك كما قال تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض * وقرئ ولو زالتا وان أمسكهما جواب القسم في ولئن زالتا سدّ مسدّ الجوابين ومن الاولى مزيدة لتأكيد النفي والثانية للابتداء من بعده من بعد امساكه وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال لرجل مقبل من الشام من لقيت به قال كعبا قال وما سمعته يقول قال سمعته يقول ان السموات على منكب ملك قال كذب كعب أما ترك يهوديته بعد ثم قرأ هذه الآية * بلغ قريشا قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أهل الكتاب كذبوا رسلهم فقالوا لعن الله اليهود والنصارى أتتهم الرسل فكذبوهم فوالله لئن أتانا رسول لنكونن أهدى من احدى الامم فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبوه * وفي (احدى الامم) وجهان أحدهما من بعض الامم ومن واحدة من الامم من اليهود والنصارى وغيرهم والثاني من الامة التي يقال لها احدى الامم تفضيلا لها على غيرها في الهدى والاستقامة (مازادهم) اسناد مجازى لانه هو السبب في أن زادوا أنفسهم نفورا عن الحق وابتعادا عنه كقوله تعالى فزادتهم رجسا الى رجسهم (استكبارا) بدل من نفورا أو مفعول له على معنى فما زادهم الا أن نفروا استكبارا وعلوا (في الارض) أو حال بمعنى مستكبرين وماكرين برسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين * ويجوز أن يكون (ومكر السيء) معطوفا على نفورا (فان قلت) فما وجه قوله ومكر السيء (قلت) أصله وأن مكروا السيء أي المكر السيء ثم ومكرا السيء ثم ومكر السيء والدليل عليه قوله تعالى (ولا يحيق المكر السيء الا بأهله) ومعنى يحيق يحيط وينزل وقرئ ولا يحيق المكر السيء أي لا يحيق الله ولقد حاق بهم يوم بدر وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تمكروا ولا تعينوا ماكرا فان الله تعالى يقول ولا يحيق المكر السيء الا بأهله ولا تبغوا ولا تعينوا باغيا يقول الله تعالى انما بغيكم على أنفسكم وعن كعب انه قال لابن عباس رضي الله عنهما قرأت في التوراة من حفر مهواة وقع فيها قال أنا وجدت ذلك في كتاب الله وقرأ الآية وفي أمثال العرب من حفر لأخيه جبا وقع فيه منكبا وقرأ حمزة ومكر السيء باسكان الهمزة وذلك لاستثقاله الحركات مع الياء والهمزة ولعله اختلس فظن سكونا أو وقف وقفة خفيفة ثم ابتدأ ولا يحيق وقرأ ابن مسعود ومكرا سيئا (سنت الاولين) انزال العذاب على الذين كذبوا برسلهم من الامم قبلهم وجعل استقبالهم لذلك انتظارا له منهم وبين أن عادته التي هي الانتقام من مكذبي الرسل عادة لا يبدلها ولا يحولها أي لا يغيرها وأن ذلك مفعول له لا محالة واستشهد عليهم بما كانوا يشاهدونه في مسايرهم ومتاجرهم في رحلهم الى الشام والعراق واليمن من آثار الماضين وعلامات هلاكهم ودمارهم (ليعجزه) ليسبقه ويفوته (بما كسبوا) بما اقترفوا من معاصيهم (على ظهرها) على ظهر الارض (من دابة) من نسمة تدب عليها يريد بني آدم وقيل ما ترك بني آدم وغيرهم من سائر الدواب بشؤم ذنوبهم وعن ابن مسعود كاد الجعل يعذب في جحره بذنب ابن آدم ثم تلا هذه الآية وعن أنس ان الضب ليموت هزلا في جحره بذنب ابن آدم وقيل يحبس المطر فيهلك كل شيء (الى أجل مسمى) الى يوم القيامة (كان بعباده بصيرا) وعيد بالجزاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الملائكة دعته ثمانية أبواب الجنة أن ادخل من أي باب شئت

﴿سورة يس مكية وهي ثلاث وثمانون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* قرئ يس بالفتح كأين وكيف أو بالنصب على أتل يس وبالكسر على الاصل كجير وبالرفع على هذه يس أو بالضم كحيث وفخمت الالف وأميلت وعن ابن عباس رضي الله عنهما معناه يا انسان في لغة طيء والله أعلم بصحته وان صح فوجهه أن يكون أصله يا أنيسين فكثر النداء به على ألسنتهم حتى اقتصروا على شطره كما قالوا في القسم م الله في ايمن الله (والحكيم) ذي الحكمة أو لانه دليل ناطق بالحكمة كالحي أو لانه كلام حكيم فوصف بصفة المتكلم به (على صراط مستقيم) خبر بعد خبر أو صلة للمرسلين (فان قلت)

انه كان حليما غفورا
وأقسموا بالله جهد
أيمانهم لئن جاءهم نذير
ليكونن أهدى من
احدى الامم فلما جاءهم
نذير ما زادهم الا نفورا
استكبارا في الارض
ومكر السيء ولا يحيق
المكر السيء الا بأهله
فهل ينظرون الا سنت
الاولين فلن تجد لسنت
الله تبديلا ولن تجد
لسنت الله تحويلا
أولم يسيروا في الارض
فينظروا كيف كان
عاقبة الذين من قبلهم
وكانوا أشد منهم قوة
وما كان الله ليعجزه من
شيء في السموات ولا في
الارض انه كان عليما
قديرا ولو يؤاخذ الله
الناس بما كسبوا
ما ترك على ظهرها من
دابة ولكن يؤخرهم
الى أجل مسمى فاذا
جاء أجلهم فان الله كان
بعباده بصيرا

﴿سورة يس مكية وهي
ثلاث وثمانون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

يس والقرآن الحكيم
انك لمن المرسلين على
صراط مستقيم تنزيل
العزيز الرحيم لتنذر

﴿القول في سورة يس﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) يس والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين على صراط مستقيم (قال فيه ان قلت ما معنى قوله على صراط مستقيم وقد علم بكونه من المرسلين انه كذلك وأجاب بان الغرض وصفه و وصف ما جاء به فجمع بين الوصفين في نظام واحد فكأنه قال انك لمن المرسلين على طريق ثابت قال وأيضا في تنكير الصراط انه مخصوص من بين الصرط المستقيمة بصراط لا يكتنه وصفه انتهى كلامه) قال أحمد قد تقدم في مواضع ان التنكير قد يفيد تفخيما وتعظيما وهذا منه * قوله تعالى لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم (قال فيه انه على الوصف كقوله لتنذر قوما ما أتاهم من نذير قال وقد فسر ما أنذر آباؤهم على اثبات الانذار على أن ما مصدرية أو موصولة قال والفرق بين موقع الفاء على التفسيرين أنها على الاول متعلقة بالنفي منه جواب له والمعنى ان نفي انذارهم هو السبب في غفلتهم وعلى الثاني بقوله انك لمن المرسلين لتنذر كما تقول أرسلتك الى فلان لتنذره فانه غافل أو فهو غافل انتهى) قلت يعني انها على التفسير الثاني تفهم ان غفلتهم سبب في انذارهم قال فان قلت كيف يكونون منذرين على هذا التفسير غير منذرين في قوله ما أتاهم من نذير من قبلك وأجاب بان الآية في نفي انذارهم لا لنفي انذار آبائهم وآباؤهم القدماء من ولد اسمعيل وقد كانت النذارة فيهم * قال فما تصنع بأحد التفسيرين الذي مقتضاه ان آباءهم لم ينذروا وهو التفسير الاول في هذه الآية مع التفسير الثاني ٢٤٧ ومقتضاه أنهم أنذروا * وأجاب بان آباءهم الاباعد هم المنذرون لا آباؤهم الادنون قال ثم مثل تصميمهم على الكفر وانهم لا يرعوون ولا يرجعون بان جعلهم كالمغلولين المقمحين

قوما ما أنذر آباؤهم فهم غافلون لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون انا جعلنا في أعناقهم أغلالا

في أنهم لا يلتفتون الى الحق ولا يطأطئون رؤسهم له وكالحاصلين بين سدين لا يبصرون ما قدامهم ولا ما خلفهم قال والضمير للاغلال لان طوق الغل يكون في ملتقى طرفيه تحت الذقن حلقة فيها رأس العمود نادرا من الحلقة الى الذقن فلا تخليه يطأطئ رأسه فلا يزال مقمحا انتهى كلامه (قلت) اذا فرعت هذا التشبيه كان تصميمهم على الكفر مشبها بالاغلال وكان استكبارهم عن قبول الحق وعن الخضوع والتواضع لاستماعه مشبها بالاقماح لان المقمح لا يطأطئ رأسه وقوله فهي الى الاذقان تتمة للزوم الاقماح لهم وكان عدم الفكر في القرون الخالية مشبها بسد من خلفهم وعدم النظر في العواقب المستقبلة مشبها بسد من قدامهم * قال (فان قلت) فما قولك فيمن جعل الضمير للايدي وزعم ان الغل لما كان جامعا لليد والعنق وبذلك يسمى جامعة كان ذكر الاعناق دالا على ذكر الايدي * وأجاب بان الوجه هو الاول واستدل على هذا التفسير الثاني بقوله فهم مقمحون لانه جعل الاقماح نتيجة قوله فهي الى الاذقان ولو كان الضمير للايدي لم يكن معنى التسبب في الاقماح ظاهرا وترك الحق الابلج للباطل اللجلج انتهى كلامه (قلت) ويحتمل أن تكون الفاء المعقب كالفاء الاولى في قوله فهي الى الاذقان أو للتسبب ولا شك أن ضغط اليد مع العنق في الغل يوجب الاقماح فان اليد والعياذ بالله تعالى تبقى ممسكة بالغل تحت الذقن دافعة بها ومانعة من وطائها ويكون التشبيه أتم على هذا التفسير فان اليد متى كانت مرسلة مخلاة كان للمغلول بعض فرج باطلاقها ولعله يتحيل بها على فكاك الغل ولا كذلك اذا كانت مغلولة فيضاف الى ما ذكرناه من التشبيهات المفرقة أن يكون سداد أبواب الحيل عليهم في الهداية والانخلاع من ربقة الكفر المقدر عليهم مشبها بغل الايدي فان اليد آلة الحيلة الى الخلاص

أي حاجة اليه خبرا كان أو صلة وقد علم أن المرسلين لا يكونون الا على صراط مستقيم (قلت) ليس الغرض بذكره ما ذهبت اليه من تمييز من أرسل على صراط مستقيم عن غيره ممن ليس على صفته وانما الغرض وصفه ووصف ما جاء به من الشريعة فجمع بين الوصفين في نظام واحد كأنه قال انك لمن المرسلين الثابتين على طريق ثابت وأيضا فان التنكير فيه دال على أنه أرسل من بين الصرط المستقيمة على صراط مستقيم لا يكتنه وصفه * وقرئ تنزيل العزيز الرحيم بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف وبالنصب على أعني وبالجر على البدل من القرآن (قوما ما أنذر آباؤهم) قوما غير منذر آباؤهم على الوصف ونحوه قوله تعالى لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك وما أرسلنا اليهم قبلك من نذير وقد فسر ما أنذر آباؤهم على اثبات الانذار ووجه ذلك أن تجعل ما مصدرية لتنذر قوما انذار آبائهم أو موصولة منصوبة على المفعول الثاني لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم من العذاب كقوله تعالى انا أنذرناكم عذابا قريبا (فان قلت) أي فرق بين تعلقي قوله (فهم غافلون) على التفسيرين (قلت) هو على الاول متعلق بالنفي أي لم ينذروا فهم غافلون على أن عدم انذارهم هو سبب غفلتهم وعلى الثاني بقوله انك لمن المرسلين لتنذر كما تقول أرسلتك الى فلان لتنذره فانه غافل أو فهو غافل (فان قلت) كيف يكونون منذرين غير منذرين لمناقضة هذا ما في الآي الاخر (قلت) لا مناقضة لان الآي في نفي انذارهم لا في نفي انذار آبائهم وآباؤهم القدماء من ولد اسمعيل وكانت النذارة فيهم (فان قلت) ففي أحد التفسيرين أن آباءهم لم ينذروا وهو الظاهر فما تصنع به (قلت) أريد آباؤهم الادنون دون الاباعد (القول) قوله تعالى لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين يعني تعلق بهم هذا القول وثبت عليهم ووجب لانهم ممن علم أنهم يموتون على الكفر * ثم مثل تصميمهم على الكفر وأنه لا سبيل الى ارعوائهم بان جعلهم كالمغلولين المقمحين في أنهم لا يلتفتون الى الحق ولا يعطفون أعناقهم نحوه ولا يطأطئون رؤسهم له

فهي الى الاذقان فهم مقمحون وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون انما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب فبشره بمغفرة وأجر كريم انا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم وكل شئ أحصيناه في امام مبين واضرب لهم مثلا أصحاب القرية اذ جاءها المرسلون اذ أرسلنا اليهم اثنين فكذبوهما

وكالحاصلين بين سدين لا يبصرون ما قدامهم ولا ما خلفهم في أن لا تأمل لهم ولا تبصر وأنهم متعامون عن النظر في آيات الله (فان قلت) ما معنى قوله (فهي الى الاذقان) (قلت) معناه فالاغلال واصلة الى الاذقان ملزوزة اليها وذلك أن طوق الغل الذي في عنق المغلول يكون ملتقى طرفيه تحت الذقن حلقة فيها رأس العمود نادرا من الحلقة الى الذقن فلا تخليه يطأطئ رأسه ويوطئ قذاله فلا يزال مقمحا والمقمح الذي يرفع رأسه ويغض بصره يقال قمح البعير فهو قامح اذا روي فرفع رأسه ومنه شهرا قماح لان الابل ترفع رؤسها عن الماء لبرده فيهما وهما الكانونان ومنه اقتمحت السويق (فان قلت) فما قولك فيمن جعل الضمير للايدي وزعم أن الغل لما كان جامعا لليد والعنق وبذلك يسمى جامعة كان ذكر الاعناق دالا على ذكر الايدي (قلت) الوجه ما ذكرت لك والدليل عليه قوله فهم مقمحون ألا ترى كيف جعل الاقماح نتيجة قوله فهي الى الاذقان ولو كان الضمير للايدي لم يكن معنى التسبب في الاقماح ظاهرا على أن هذا الاضمار فيه ضرب من التعسف وترك الظاهر الذي يدعوه المعنى الى نفسه الى الباطن الذي يجفو عنه وترك للحق الابلج الى الباطل اللجلج (فان قلت) فقد قرأ ابن عباس رضي الله عنهما في أيديهم وابن مسعود في أيمانهم فهل تجوز على هاتين القراءتين أن تجعل الضمير للايدي أو للايمان (قلت) يأبى ذلك وان ذهب الاضمار المتعسف ظهور كون الضمير للاغلال وسداد المعنى عليه كما ذكرت * وقرئ سدا بالفتح والضم وقيل ما كان من عمل الناس فبالفتح وما كان من خلق الله فبالضم (فأغشيناهم) فأغشينا أبصارهم أي غطيناها وجعلنا عليها غشاوة عن أن تطمح الى مرئي وعن مجاهد فأغشيناهم فألبسنا أبصارهم غشاوة وقرئ بالعين من العشا وقيل نزلت في بني مخزوم وذلك أن أبا جهل حلف لئن رأى محمدا يصلي ليرضخن رأسه فأتاه وهو يصلي ومعه حجر ليدمغه به فلما رفع يده أثبتت الى عنقه ولزق الحجر بيده حتى فكوه عنها بجهد فرجع الى قومه فأخبرهم فقال مخزومي آخر أنا أقتله بهذا الحجر فذهب فأعمى الله عينيه (فان قلت) قد ذكر ما دل على انتفاء ايمانهم مع ثبوت الانذار ثم قفاه بقوله انما تنذر وانما كانت تصح هذه التقفية لو كان الانذار منفيا (قلت) هو كما قلت ولكن لما كان ذلك نفيا للايمان مع وجود الانذار وكان معناه أن البغية المرومة بالانذار غير حاصلة وهي الايمان قفى بقوله انما تنذر على معنى انما تحصل البغية بانذارك من غير هؤلاء المنذرين وهم المتبعون للذكر وهو القرآن أو الوعظ الخاشون ربهم (نحيي الموتى) نبعثهم بعد مماتهم وعن الحسن احياؤهم أن يخرجهم من الشرك الى الايمان (ونكتب ما) أسلفوا من الاعمال الصالحة وغيرها وما هلكوا عنه من أثر حسن كعلم علموه أو كتاب صنفوه أو حبيس حبسوه أو بناء بنوه من مسجد أو رباط أو قنطرة أو نحو ذلك أو سيئ كوظيفة وظفها بعض الظلام على المسلمين وسكة أحدث فيها تخسيرهم وشئ أحدث فيه صد عن ذكر الله من ألحان وملاه وكذلك كل سنة حسنة أو سيئة يستن بها ونحوه قوله تعالى ينبأ الانسان يومئذ بما قدم وأخر أي قدم من أعماله وأخر من آثاره وقيل هي آثار المشائين الى المساجد وعن جابر أردنا النقلة الى المسجد والبقاع حوله خالية فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتانا في ديارنا وقال يا بني سلمة بلغني أنكم تريدون النقلة الى المسجد فقلنا نعم بعد علينا المسجد والبقاع حوله خالية فقال عليكم دياركم فانما تكتب آثاركم قال فما وددنا حضرة المسجد لما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن عمر بن عبد العزيز لو كان الله مغفلا شيأ لاغفل هذه الآثار التي تعفيها الرياح * والامام اللوح وقرئ ويكتب ما قدموا وآثارهم على البناء للمفعول وكل شئ بالرفع (واضرب لهم مثلا) ومثل لهم مثلا من قولهم عندي من هذا الضرب كذا أي من هذا المثال وهذه الاشياء على ضرب واحد أي على مثال واحد والمعنى واضرب لهم مثلا مثل أصحاب القرية أي اذكر لهم قصة عجيبة قصة أصحاب القرية والمثل الثاني بيان للاول * وانتصاب اذ بانه بدل من أصحاب القرية انطاكية و(المرسلون) رسل عيسى عليه السلام الى أهلها بعثهم دعاة الى الحق وكانوا عبدة أوثان * أرسل اليهم اثنين فلما قربا من المدينة رأيا شيخا يرعى غنيمات له وهو حبيب النجار صاحب يس فسألهما فأخبراه فقال أمعكما آية فقالا نشفي المريض ونبرئ الاكمه والابرص وكان له ولد مريض من سنتين فمسحاه فقام فآمن حبيب وفشا الخبر فشفي

* قوله تعالى انما تنذر من اتبع الذكر الآية (قال ان قلت) قد ذكر ما دل على انتفاء ايمانهم مع ثبوت الانذار ثم قفاه بقوله انما تنذر وانما كانت التقفية تصح لو كان الانذار منفيا وأجاب بأن الامر كذلك ولكن لما بين أن البغية المرومة بالانذار وهي الايمان منتفية عنهم قفاه بقوله انما تنذر أي انما تحصل بغية الانذار ممن اتبع الذكر انتهى كلامه (قلت) في السؤال سوء أدب وينبغي أن يقال وما وجه ذكر الانذار الثاني في معرض المخالفة للاول مع أن الاول اثبات والانذار الثاني كذلك

على

على أيديهما خلق كثير ورقي حديثهما الى الملك وقال لهما ألنا اله سوى آلهتنا قالا نعم من أوجدك وآلهتك فقال حتى أنظر في أمركما فتبعهما الناس وضربوهما وقيل حبسا ثم بعث عيسى عليه السلام شمعون فدخل متنكرا وعاشر حاشية الملك حتى استأنسوا به ورفعوا خبره الى الملك فأنس به فقال له ذات يوم بلغني أنك حبست رجلين فهل سمعت ما يقولانه فقال لا حال الغضب بيني وبين ذلك فدعاهما فقال شمعون من أرسلكما قالا الله الذي خلق كل شئ وليس له شريك فقال صفاه وأوجزا قالا يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد قال وما آيتكما قالا ما يتمنى الملك فدعا بغلام مطموس العينين فدعوا الله حتى انشق له بصر وأخذا بندقتين فوضعاهما في الحدقتين فكانتا مقلتين ينظر بهما فقال له شمعون أرأيت لو سألت الهك حتى يصنع مثل هذا فيكون لك وله الشرف قال ليس لي عنك سر ان الهنا لا يبصر ولا يسمع ولا يضر ولا ينفع وكان شمعون يدخل معهم على الصنم فيصلي ويتضرع ويحسبون أنه منهم ثم قال ان قدر الهكما على احياء ميت آمنا به فدعوا بغلام مات من سبعة أيام فقام وقال اني أدخلت في سبعة أودية من النار وأنا أحذركم ما أنتم فيه فآمنوا وقال فتحت أبواب السماء فرأيت شابا حسن الوجه يشفع لهؤلاء الثلاثة قال الملك ومن هم قال شمعون وهذان فتعجب الملك فلما رأى شمعون أن قوله قد أثر فيه نصحه فآمن وآمن معه قوم ومن لم يؤمن صاح عليهم جبريل عليه السلام صيحة فهلكوا (فعززنا) فقوينا يقال المطر يعزز الارض اذا لبدها وشدها وتعزز لحم الناقة وقرئ بالتخفيف من عزه يعزه اذا غلبه أي فغلبنا وقهرنا (بثالث) وهو شمعون (فان قلت) لم ترك ذكر المفعول به (قلت) لان الغرض ذكر المعزز به وهو شمعون وما لطف فيه من التدبير حتى عز الحق وذل الباطل واذا كان الكلام منصبا الى غرض من الاغراض جعل سياقه له وتوجهه اليه كأن ما سواه مرفوض مطرح ونظيره قولك حكم السلطان اليوم بالحق الغرض المسوق اليه قولك بالحق فلذلك رفضت ذكر المحكوم له والمحكوم عليه * ارتفع بشر ونصب في قوله ما هذا بشرا لان الا نقض النفي فلا يبقى لما المشبهة بليس شبه فلا يبقى له عمل * (فان قلت) لم قيل انا اليكم مرسلون أولا و (انا اليكم لمرسلون) آخرا (قلت) لان الاول ابتداء اخبار والثاني جواب عن انكار * وقوله ربنا يعلم جار مجرى القسم في التوكيد وكذلك قولهم شهد الله وعلم الله وانما حسن منهم هذا الجواب الوارد على طريق التوكيد والتحقيق مع قولهم (وما علينا الا البلاغ المبين) أي الظاهر المكشوف بالآيات الشاهدة لصحته والا فلو قال المدعي والله اني لصادق فيما ادعي ولم يحضر البينة كان قبيحا (تطيرنا بكم) تشاءمنا بكم وذلك أنهم كرهوا دينهم ونفرت منه نفوسهم وعادة الجهال أن يتيمنوا بكل شئ مالوا اليه واشتهوه وآثروه وقبلته طباعهم ويتشاءموا بما نفروا عنه وكرهوه فان أصابهم نعمة أو بلاء قالوا ببركة هذا وبشؤم هذا كما حكى الله عن القبط وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه وعن مشركي مكة وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك وقيل حبس عنهم القطر فقالوا ذلك وعن قتادة ان أصابنا شئ كان من أجلكم (طائركم معكم) وقرئ طيركم أي سبب شؤمكم معكم وهو كفرهم أو أسباب شؤمكم معكم وهي كفرهم ومعاصيهم وقرأ الحسن أطيركم أي تطيركم * وقرئ أئن ذكرتم بهمزة الاستفهام وحرف الشرط وآأن بألف بينهما بمعنى أتطيرون ان ذكرتم وقرئ أأن ذكرتم بهمزة الاستفهام وان الناصبة يعني أتطيرتم لان ذكرتم وقرئ أن وان بغير استفهام لمعنى الاخبار أي تطيرتم لان ذكرتم أو ان ذكرتم تطيرتم وقرئ أين ذكرتم على التخفيف أي شؤمكم معكم حيث جرى ذكركم واذا شئم المكان بذكرهم كان بحلولهم فيه أشأم (بل أنتم قوم مسرفون) في العصيان ومن ثم أتاكم الشؤم لا من قبل رسل الله وتذكيرهم أو بل أنتم قوم مسرفون في ضلالكم متمادون في غيكم حيث تتشاءمون بمن يجب التبرك به من رسل الله (رجل يسعى) هو حبيب بن اسرائيل النجار وكان ينحت الاصنام وهو ممن آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم وبينهما ستمائة سنة كما آمن به تبع الاكبر وورقة بن نوفل وغيرهما ولم يؤمن بنبي أحد الا بعد ظهوره وقيل كان في غار يعبد الله فلما بلغه خبر الرسل أتاهم وأظهر دينه وقاول الكفرة فقالوا أو أنت تخالف ديننا فوثبوا عليه فقتلوه وقيل توطؤه بأرجلهم حتى خرج قصبه من دبره وقيل رجموه وهو يقول اللهم اهد قومي وقبره في سوق انطاكية

فعززنا بثالث فقالوا انا اليكم مرسلون قالوا ما أنتم الا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شئ ان أنتم الا تكذبون قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون وما علينا الا البلاغ المبين قالوا انا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب أليم قالوا طائركم معكم أئن ذكرتم بل أنتم قوم مسرفون وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا

* قوله تعالى انا اليكم مرسلون (قال ان قلت لم أسقط اللام هنا وأثبتها في الثانية عند قوله ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون قلت الاولى ابتداء اخبار والثاني جواب انكار) قال أحمد أي فلاق توكيده

فلما قتل غضب الله عليهم فأهلكوا بصيحة جبريل عليه السلام وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم سباق الامم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين على بن أبي طالب وصاحب يس ومؤمن آل فرعون (من لا يسئلكم أجرا وهم مهتدون) كلمة جامعة في الترغيب فيهم أي لا تخسرون معهم شيأ من دنياكم وتربحون صحة دينكم فينتظم لكم خير الدنيا وخير الآخرة * ثم أبرز الكلام في معرض المناصحة لنفسه وهو يريد مناصحتهم ليتلطف بهم ويداريهم ولانه أدخل في امحاض النصح حيث لا يريد لهم الا ما يريد لروحه ولقد وضع قوله (ومالى لا أعبد الذى فطرنى) مكان قوله ومالكم لا تعبدون الذى فطركم ألا ترى الى قوله (واليه ترجعون) ولولا أنه قصد ذلك لقال الذى فطرنى واليه أرجع * وقد ساقه ذلك المساق الى أن قال آمنت بربكم فاسمعون يريد فاسمعوا قولى وأطيعونى فقد نبهتكم على الصحيح الذى لا معدل عنه أن العبادة لا تصح الا لمن منه مبتدؤكم واليه مرجعكم * وما أدفع العقول وأنكرها لان تستحبوا على عبادته عبادة أشياء ان أرادكم هو بضر وشفع لكم هؤلاء لم تنفع شفاعتهم ولم يمكنوا من أن يكونوا شفعاء عنده ولم يقدروا على انقاذكم منه بوجه من الوجوه انكم في هذا الاستحباب لواقعون في ضلال ظاهر بين لا يخفى على ذى عقل وتمييز وقيل لما نصح قومه أخذوا يرجمونه فأسرع نحو الرسل قبل أن يقتل فقال لهم (انى آمنت بربكم فاسمعون) أي اسمعوا ايمانى تشهدوا لى به * وقرئ ان يردنى الرحمن بضر بمعنى أن يوردنى ضرا أي يجعلنى موردا للضر * أي لما قتل (قيل) له (ادخل الجنة) وعن قتادة أدخله الله الجنة وهو فيها حى يرزق أراد قوله تعالى بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين وقيل معناه البشرى بدخول الجنة وأنه من أهلها (فان قلت) كيف مخرج هذا القول في علم البيان (قلت) مخرجه مخرج الاستئناف لان هذا من مظان المسئلة عن حاله عند لقاء ربه كأن قائلا قال كيف كان لقاء ربه بعد ذلك التصلب في نصرة دينه والتسخى لوجهه بروحه فقيل قيل ادخل الجنة ولم يقل قيل له لانصباب الغرض الى المقول وعظمه لا الى المقول له مع كونه معلوما وكذلك (قال ياليت قومى يعلمون) مرتب على تقدير سؤال سائل عما وجد من قوله عند ذلك الفوز العظيم وانما تمنى علم قومه بحاله ليكون علمهم بها سببا لاكتساب مثلها لانفسهم بالتوبة عن الكفر والدخول في الايمان والعمل الصالح المفضيين بأهلهما الى الجنة وفي حديث مرفوع نصح قومه حيا وميتا وفيه تنبيه عظيم على وجوب كظم الغيظ والحلم عن أهل الجهل والترؤف على من أدخل نفسه في غمار الاشرار وأهل البغى والتشمر في تخليصه والتلطف في افتدائه والاشتغال بذلك عن الشماتة به والدعاء عليه ألا ترى كيف تمنى الخير لقتلته والباغين له الغوائل وهم كفرة عبدة أصنام * ويجوز أن يتمنى ذلك ليعلموا أنهم كانوا على خطأ عظيم في أمره وأنه كان على صواب ونصيحة وشفقة وان عداوتهم لم تكسبه الا فوزا ولم تعقبه الا سعادة لان في ذلك زيادة غبطة له وتضاعف لذة وسرور والاول أوجه * وقرئ المكرمين * (فان قلت) ما في قوله تعالى (بما غفر لى ربى) أي الماآت هي (قلت) المصدرية أو الموصولة أي بالذى غفره لى من الذنوب ويحتمل أن تكون استفهامية يعنى بأي شئ غفر لى ربى يريد ما كان منه معهم من المصابرة لاعزاز الدين حتى قتل الا أن قولك بم غفر لى بطرح الالف أجود وان كان اثباتها جائزا يقال قد علمت بما صنعت هذا أي بأي شئ صنعت وبم صنعت * المعنى أن الله كفى أمرهم بصيحة ملك ولم ينزل لاهلاكهم جندا من جنود السماء كما فعل يوم بدر والخندق (فان قلت) وما معنى قوله (وما كنا منزلين) (قلت) معناه وما كان يصح في حكمتنا أن ننزل في اهلاك قوم حبيب جندا من السماء وذلك لان الله تعالى أجرى هلاك كل قوم على بعض الوجوه دون البعض وما ذلك الا بناء على ما اقتضته الحكمة وأوجبته المصلحة ألا ترى الى قوله تعالى فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الارض ومنهم من أغرقنا (فان قلت) فلم أنزل الجنود من السماء يوم بدر والخندق قال تعالى فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها بألف من الملائكة مردفين بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بخمسة آلاف من الملائكة مسومين (قلت) انما كان يكفى ملك واحد فقد أهلكت مدائن قوم لوط بريشة من جناح جبريل وبلاد ثمود وقوم صالح بصيحة منه ولكن الله فضل محمدا صلى الله عليه وسلم بكل شئ على كبار الانبياء وأولى العزم من الرسل فضلا عن حبيب

من لا يسئلكم أجرا وهم مهتدون ومالى لا أعبد الذى فطرنى واليه ترجعون أأتخذ من دونه آلهة ان يردن الرحمن بضر لا تغن عنى شفاعتهم شيأ ولا ينقذون انى اذا لفى ضلال مبين انى آمنت بربكم فاسمعون قيل ادخل الجنة قال ياليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء وما كنا منزلين

الجبار

الخدار وأولاه من أسباب الكرامة والاعزاز مالم يوله أحدا فمن ذلك انه أنزل له جنودا من السماء وكأنه أشار بقوله وما أنزلنا وما كنا منزلين الى أن انزال الجنود من عظائم الامور التي لا يؤهل لها الا مثلك ما كنا نفعله بغيرك (ان كانت الا صيحة واحدة) ان كانت الاخذة أو العقوبة الا صيحة واحدة وقرأ أبو جعفر المدني بالرفع على كان التامة أي ما وقعت الا صيحة والقياس والاستعمال على تذكير الفعل لان المعنى ما وقع شئ الا صيحة ولكنه نظر الى ظاهر اللفظ وأن الصيحة في حكم فاعل الفعل ومثلها قراءة الحسن فأصبحوا لا ترى الا مساكنهم وبيت ذي الرمة * ومابقيت الا الضلوع الجراشع * وقرأ ابن مسعود الا زقية واحدة من زقا الطائر يزقو ويزقي اذا صاح ومنه المثل أثقل من الزواقي (خامدون) خمدوا كما تخمد النار فتعود رمادا كما قال لبيد

وما المرء الا كالشهاب وضوئه * يحور رمادا بعد اذ هو ساطع

(يا حسرة على العباد) نداء للحسرة عليهم كأنما قيل لها تعالي يا حسرة فهذه من أحوالك التي حقك أن تحضري فيها وهي حال استهزائهم بالرسل والمعنى أنهم أحقاء بأن يتحسر عليهم المتحسرون ويتلهف على حالهم المتلهفون أو هم متحسر عليهم من جهة الملائكة والمؤمنين من الثقلين ويجوز أن يكون من الله تعالى على سبيل الاستعارة في معنى تعظيم ما جنوه على أنفسهم ومحنوها به وفرط انكاره له وتعجيبه منه وقراءة من قرأ يا حسرتا تعضد هذا الوجه لان المعنى يا حسرتي وقرئ يا حسرة العباد على الاضافة اليهم لاختصاصها بهم من حيث انها موجهة اليهم ويا حسره على العباد على اجراء الوصل مجرى الوقف (ألم يروا) ألم يعلموا وهو معلق عن العمل في (كم) لان كم لا يعمل فيها عامل قبلها كانت للاستفهام أو للخبر لان أصلها الاستفهام الا أن معناه نافذ في الجملة كما نفذ في قولك ألم يروا ان زيدا لمنطلق وان لم يعمل في لفظه و(أنهم اليهم لا يرجعون) بدل من كم أهلكنا على المعنى لا على اللفظ تقديره ألم يروا كثرة اهلاكنا القرون من قبلهم كونهم غير راجعين اليهم وعن الحسن كسر ان على الاستئناف وفي قراءة ابن مسعود ألم يروا من أهلكنا والبدل على هذه القراءة بدل اشتمال وهذا مما يرد قول أهل الرجعة ويحكى عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قيل له ان قوما يزعمون أن عليا مبعوث قبل يوم القيامة فقال بئس القوم نحن اذن نكحنا نساءه وقسمنا ميراثه * قرئ لما بالتخفيف على أن ما صلة للتأكيد وان مخففة من الثقيلة وهي متلقاة باللام لا محالة ولما بالتشديد بمعنى الا كالتي في مسئلة الكتاب نشدتك الله لما فعلت وان نافية * والتنوين في كل هو الذي يقع عوضا من المضاف اليه كقولك مررت بكل قائما المعنى أن كلهم محشورون مجموعون محضرون للحساب يوم القيامة وقيل محضرون معذبون * (فان قلت) كيف أخبر عن كل بجميع ومعناهما واحد (قلت) ليس بواحد لان كلا يفيد معنى الاحاطة وأن لا ينفلت منهم أحد والجميع معناه الاجتماع وأن المحشر يجمعهم والجميع فعيل بمعنى مفعول يقال حي جميع وجاؤا جميعا * القراءة بالميتة على الخفة أشيع لسلسها على اللسان (وأحييناها) استئناف بيان لكون الارض الميتة آية وكذلك نسلخ ويجوز أن توصف الارض والليل بالفعل لانه أريد بهما الجنسان مطلقين لا أرض وليل بأعيانهما فعوملا معاملة النكرات في وصفهما بالافعال ونحوه

* ولقد أمر على اللئيم يسبني * وقوله (فمنه يأكلون) بتقديم الظرف للدلالة على أن الحب هو الشئ الذي يتعلق به معظم العيش ويقوم بالارتزاق منه صلاح الانس واذا قل جاء القحط ووقع الضر واذا فقد جاء الهلاك ونزل البلاء * قرئ (وفجرنا) بالتخفيف والتثقيل والفجر والتفجير كالفتح والتفتيح لفظا ومعنى وقرئ ثمره) بفتحتين وضمتين وضمة وسكون والضمير لله تعالى والمعنى ليأكلوا مما خلقه الله من الثمر (و) من (ما عملته أيديهم) من الغرس والسقي والآبار وغير ذلك من الاعمال الى أن بلغ الثمر منتهاه وابان أكله يعني أن الثمر في نفسه فعل الله وخلقه وفيه آثار من كد بني آدم وأصله من ثمرنا كما قال وجعلنا وفجرنا فنقل الكلام من التكلم الى الغيبة على طريقة الالتفات ويجوز أن يرجع الى النخيل وتترك الاعناب غير مرجوع اليها لانه علم أنها في حكم النخيل فيما علق به من أكل ثمره ويجوز أن يراد من ثمر المذكور وهو الجنات

ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم خامدون يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن ألم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون أنهم اليهم لا يرجعون وان كل لما جميع لدينا محضرون وآية لهم الارض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون سبحان

---

* قوله تعالى وان كل لما جميع لدينا محضرون (قال فيه ان قلت لم أخبر عن كل بجميع ومعناهما واحد وأجاب بأن كلا تفيد الاحاطة حتى لا ينفلت عنهم أحد وجميع تفيد الاجتماع وهو فعيل بمعنى مفعول وبينهما فرق انتهى كلامه) قال أحمد ومن ثم وقع أجمع في التوكيد تابعا لكل لانه أنص

منه وأن يمضي * قوله تعالى وآية لهم الارض الميتة أحييناها الآية (قال يجوز أن يكون أحييناها صفة للارض وصح ذلك لان المراد بالارض الجنس ولم يقصد بها أرض معينة وأن يكون بيانا لوجه الآية فيها) قال أحمد وغيره من النحاة يمنع وقوع الجملة صفة للمعرف وان كان جنسا وليس الغرض عنده معنا ويراعى هذا المانع المطابقة اللفظية في الوصفية ومنه * ولقد أمر على اللئيم يسبني *

* قوله تعالى لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار (قال) فيه معناه أن كل واحد منهما لا يدخل على الآخر في سلطانه فيطمس نوره [illegible] هما متعاقبان بمقتضى تدبيره تعالى قال فإن قلت لم جعلت الشمس غير مدركة والقمر غير سابق

قلت لأن الشمس بطيئة السير تقطع فلكها في سنة والقمر يقطع فلكه في شهر فكانت الشمس لبطئها جديرة بأن توصف بالإدراك والقمر لسرعته جديرا بأن يوصف بالسبق انتهى كلامه (قلت) يؤخذ من هذه الآية أن النهار تابع لليل وهو المذهب المعروف

كما قال رؤبة

فيها خطوط من بياض وبلق * كأنه في الجلد توليع البهق

فقيل له فقال أردت كأن ذاك ولك أن تجعل ما نافية على أن الثمر خلق الله ولم تعمله أيدي الناس ولا يقدرون عليه وقرئ على الوجه الأول وما عملت من غير راجع وهي في مصاحف أهل الكوفة كذلك وفي مصاحف أهل الحرمين والبصرة والشام مع الضمير (الأزواج) الأجناس والأصناف (ومما لا يعلمون) ومن أزواج لم يطلعهم الله عليها ولا توصلوا إلى معرفتها بطريق من طرق العلم ولا يبعد أن يخلق الله تعالى من الخلائق الحيوان والجماد ما لم يجعل للبشر طريقا إلى العلم به لأنه لا حاجة بهم في دينهم ودنياهم إلى ذلك العلم ولو كانت بهم إليه حاجة لأعلمهم بما لا يعلمون كما أعلمهم بوجود ما لا يعلمون وعن ابن عباس رضي الله عنهما لم يسمهم وفي الحديث ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما أطلعتهم عليه فأعلمنا بوجوده وإعداده ولم يعلمنا به ما هو ونحوه فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين وفي الإعلام بكثرة ما خلق مما علموه ومما جهلوه ما دل على عظم قدرته واتساع ملكه * سلخ جلد الشاة إذا كشطه عنها وأزاله ومنه سلخ الحية لخرشائها فاستعير لإزالة الضوء وكشفه عن مكان الليل وملقى ظله (مظلمون) داخلون في الظلام يقال أظلمنا كما تقول أعتمنا وأدجينا (لمستقر لها) لحد لها موقت مقدر تنتهي إليه من فلكها في آخر السنة شبه بمستقر المسافر إذا قطع مسيره أو لمنتهى لها من المشارق والمغارب لأنها تتقصاها مشرقا مشرقا ومغربا مغربا حتى تبلغ أقصاها ثم ترجع فذلك حدها ومستقرها لأنها لا تعدوه أو لحد لها من مسيرها كل يوم في مرأى عيوننا وهو المغرب وقيل مستقرها أجلها الذي أقر الله عليه أمرها في جريها فاستقرت عليه وهو آخر السنة وقيل الوقت الذي تستقر فيه وينقطع جريها وهو يوم القيامة * وقرئ تجري إلى مستقر لها وقرأ ابن مسعود لا مستقر لها أي لا تزال تجري لا تستقر وقرئ لا مستقر لها على أن لا بمعنى ليس (ذلك) الجري على ذلك التقدير والحساب الدقيق الذي تكل الفطن عن استخراجه وتتحير الأفهام في استنباطه ما هو إلا تقدير الغالب بقدرته على كل مقدور المحيط علما بكل معلوم * قرئ والقمر رفعا على الابتداء أو عطفا على الليل يريد ومن آياته القمر ونصبا بفعل يفسره قدرناه ولا بد (في قدرناه منازل) من تقدير مضاف لأنه لا معنى لتقدير نفس القمر منازل والمعنى قدرنا مسيره منازل وهي ثمانية وعشرون منزلا ينزل القمر كل ليلة في واحد منها لا يتخطاه ولا يتقاصر عنه على تقدير مستو لا يتفاوت يسير فيها من ليلة المستهل إلى الثامنة والعشرين ثم يستتر ليلتين أو ليلة إذا نقص الشهر وهذه المنازل هي مواقع النجوم التي نسبت إليها العرب الأنواء المستمطرة وهي الشرطان البطين الثريا الدبران الهقعة الهنعة الذراع النثرة الطرف الجبهة الزبرة الصرفة العواء السماك الغفر الزبانى الإكليل القلب الشولة النعائم البلدة سعد الذابح سعد بلع سعد السعود سعد الأخبية فرغ الدلو المقدم فرغ الدلو المؤخر الرشا فإذا كان في آخر منازله دق واستقوس و(عاد كالعرجون القديم) وهو عود العذق ما بين شماريخه إلى منبته من النخلة وقال الزجاج هو فعلون من الانعراج وهو الانعطاف * وقرئ العرجون بوزن الفرجون وهما لغتان كالبزيون والبزيون والقديم المحول وإذا قدم دق وانحنى واصفر فشبه به من ثلاثة أوجه وقيل أقل مدة الموصوف بالقدم الحول فلو أن رجلا قال كل مملوك لي قديم فهو حر أو كتب ذلك في وصية عتق منهم من مضى له حول أو أكثر * وقرئ سابق النهار على الأصل والمعنى أن الله تعالى قسم لكل واحد من الليل والنهار وآيتيهما قسما من الزمان وضرب له حدا معلوما ودبر أمرهما على التعاقب * فلا ينبغي للشمس أي لا يتسهل لها ولا يصح ولا يستقيم لوقوع التدبير على المعاقبة وأن جعل لكل واحد من النيرين سلطان على حياله (أن تدرك القمر) فتجتمع معه في وقت واحد وتداخله في سلطانه فتطمس نوره

الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر

للفقهاء وبيانه من الآية أنه جعل الشمس التي هي آية النهار غير مدركة للقمر الذي هو آية الليل ونفى الإدراك لأنه هو الذي يمكن أن يقع وذلك يستدعي تقدم القمر وتبعية الشمس فإنه لا يقال أدرك السابق اللاحق ولكن أدرك اللاحق السابق ولا
وبحسب الإمكان وقع النفي فالليل إذا متبوع والنهار تابع * فإن قيل هل يلزم على هذا أن يكون الليل سابق النهار وقد صرحت الآية بأنه ليس سابقا فالجواب أن هذا مشترك الإلزام وبيانه أن الأقسام المحتملة ثلاثة إما تبعية النهار لليل وهو مذهب الفقهاء

أو عكسه وهو المنقول عن طائفة من النحاة أو اجتماعهما وهذا القسم الثالث منفي باتفاق فلم يبق الا تبعية النهار لليل وعكسه وهذا السؤال وارد على ما جميعا الا ان من قال ان النهار سابق الليل لزمه أن يكون مقتضى البلاغة أن يقال ولا الليل يدرك النهار فان المتأخر اذا نفي ادراكه كان أبلغ من نفي سابقه مع انه يتمشى عن مقتضى قوله لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر تناسبا لا يجمع شمل المعنى باللفظ فان الله تعالى نفي أن تكون مدركة فضلا عن أن تكون سابقة فاذا ثبت ذلك فالجواب المحقق عنه أن المنفي السبقية الموجبة لتراخي النهار عن الليل وتخلل زمن آخر بينهما وحينئذ يثبت التعاقب وهو مراد الآية وأما سبق أول المتعاقبين للآخر منهما فانه غير معتبر ألا ترى الى جواب موسى بقوله هم أولاء على أثري فقد قربهم منه عذرا عن قوله تعالى (٢٥٣) وما أعجلك عن قومك فكأنه قول أعني هذه العجلة

*ولا يسبق الليل النهار يعني آية الليل آية النهار وهما النيران ولا يزال الأمر على هذا الترتيب الى أن يبطل الله ما دبر من ذلك وينقض ما ألف فيجمع بين الشمس والقمر ويطلع الشمس من مغربها (فان قلت) لم جعلت الشمس غير مدركة والقمر غير سابق (قلت) لان الشمس لا تقطع فلكها الا في سنة والقمر يقطع فلكه في شهر فكانت الشمس جديرة بأن توصف بالادراك لتباطئ سيرها عن سير القمر والقمر خليقا بأن يوصف بالسبق لسرعة سيره (وكل) التنوين فيه عوض عن المضاف اليه والمعنى وكلهم والضمير للشموس والاقمار على ما سبق ذكره (ذريتهم) أولادهم ومن يهمهم حمله وقيل اسم الذرية يقع على النساء لانهن مزارعها وفي الحديث انه نهى عن قتل الذراري يعني النساء (من مثله) من مثل الفلك (ما يركبون) من الابل وهي سفائن البر وقيل الفلك المشحون سفينة نوح ومعنى حمل الله ذرياتهم فيها أنه حمل فيها آباءهم الاقدمين وفي أصلابهم هم وذرياتهم وانما ذكر ذرياتهم دونهم لانه أبلغ في الامتنان عليهم وأدخل في التعجيب من قدرته في حمل أعقابهم الى يوم القيامة في سفينة نوح ومن مثله من مثل ذلك الفلك ما يركبون من السفن والزوارق (فلا صريخ) فلا مغيث أو فلا اغاثة يقال أتاهم الصريخ (ولا هم ينقذون) لا ينجون من الموت بالغرق (الا رحمة) الا لرحمة منا ولتمتيع بالحياة (الى حين) الى أجل يموتون فيه لا بد لهم منه بعد النجاة من موت الغرق ولقد أحسن من قال ولم أسلم لكي أبقى ولكن * سلمت من الحمام الى الحمام

وقرأ الحسن رضي الله عنه نغرقهم (اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم) كقوله تعالى أفلم يروا الى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والارض وعن مجاهد ما تقدم من ذنوبكم وما تأخر وعن قتادة ما بين أيديكم من الوقائع التي خلت يعني من مثل الوقائع التي ابتليت بها الامم المكذبة بأنبيائها وما خلفكم من أمر الساعة (لعلكم ترحمون) لتكونوا على رجاء رحمة الله وجواب اذا محذوف مدلول عليه بقوله (الا كانوا عنها معرضين) فكأنه قال واذا قيل لهم اتقوا أعرضوا ثم قال ودأبهم الاعراض عند كل آية وموعظة * كانت الزنادقة منهم يسمعون المؤمنين يعلقون أفعال الله تعالى بمشيئته فيقولون لو شاء الله لاغنى فلانا ولو شاء لاعزه ولو شاء لكان كذا فأخرجوا هذا الجواب مخرج الاستهزاء بالمؤمنين وبما كانوا يقولونه من تعليق الامور بمشيئة الله ومعناه أنطعم المقول فيه هذا القول بينكم وذلك أنهم كانوا دافعين أن يكون الغنى والفقر من الله لانهم معطلة لا يؤمنون بالصانع وعن ابن عباس رضي الله عنهما كان بمكة زنادقة فاذا أمروا بالصدقة على المساكين قالوا لا والله أيفقره الله ونطعمه نحن وقيل كانوا يوهمون أن الله تعالى لما كان قادرا على اطعامه ولا يشاء اطعامه فنحن أحق بذلك نزلت في مشركي قريش حين قال فقراء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطونا مما زعمتم من أموالكم أنها لله يعنون قوله وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا فحرموهم وقالوا لو شاء الله لاطعمكم (ان أنتم الا في ضلال مبين) قول الله لهم أو حكاية قول المؤمنين لهم أو هو من جملة

ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون وخلقنا لهم من مثله ما يركبون وان نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم ولا هم ينقذون الا رحمة منا ومتاعا الى حين واذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون وما تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين واذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه ان أنتم الا في ضلال مبين ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين ما ينظرون الا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون

لكونهم على أثره فكيف لو كان متقدما وهم في عقبه لا يتخلل بينهم وبينه مسافة فهذا لو اتفق لكان سياق الآية يوجب أنه لا يعدم الا بقوله ولا سبقا فيتفق ان يكون القول بسبقية النهار لليل مخالفا لصدر الآية على وجه لا يقبل التأويل فان بين عدم الادراك الدال على التأخير والتبعية وبين السبق تناقضا ومخالفا لبقية الآية فانه لو كان الليل تابعا ومتأخرا لكان أحرى ان يوصف بعدم الادراك ولا يبلغ به عدم السبق ويكون القول بتقدم الليل على النهار مطابقا لصدر الآية صريحا ولعجزها بوجه من التأويل مناسب لنظم القرآن وثبوت ضده أقرب الى الحق من حبل الوريد والله الموفق للصواب من القول وتسديده * قوله تعالى وان نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم الى قوله ومتاعا الى حين (قلت) من هنا أخذ أبو الطيب ولم أسلم لكي أبقى ولكن * سلمت من الحمام الى الحمام لانه تعالى أخبر انهم

جوابهم للمؤمنين * قرئ يخصمون بادغام التاء في الصاد مع فتح الخاء وكسرها واتباع الياء الخاء في الكسر ويختصمون على الاصل ويخصمون من خصمه والمعنى أنها تبغتهم وهم في أمنهم وغفلتهم عنها لا يخطرونها ببالهم مشتغلين بخصوماتهم في متاجرهم ومعاملاتهم وسائر ما يتخاصمون فيه ويتشاجرون ومعنى يخصمون يخصم بعضهم بعضا وقيل تأخذهم وهم عند أنفسهم يخصمون في الحجة في أنهم لا يبعثون (فلا يستطيعون) أن يوصوا في شئ من أمورهم (توصية) ولا يقدرون على الرجوع الى منازلهم وأهاليهم بل يموتون حيث تفجؤهم الصيحة * قرئ الصور بسكون الواو وهو القرن أو جمع صورة وحركها بعضهم و(الاجداث) القبور وقرئ بالفاء (ينسلون) يعدون بكسر السين وضمها وهي النفخة الثانية * قرئ ياويلتنا * وعن ابن مسعود رضي الله عنه من أهبنا من هب من نومه اذا انتبه وأهبه غيره وقرئ من هبنا بمعنى أهبنا وعن بعضهم أراد هب بنا فحذف الجار وأوصل الفعل وقرئ من بعثنا ومن هبنا على من الجارة والمصدر و(هذا) مبتدأ و(ما وعد) خبره وما مصدرية أو موصولة ويجوز أن يكون هذا صفة للمرقد وما وعد خبر مبتدا محذوف أي هذا وعد الرحمن أو مبتدأ محذوف الخبر أي ما وعد (الرحمن وصدق المرسلون) حق وعن مجاهد للكفار هجعة يجدون فيها طعم النوم فاذا صيح بأهل القبور قالوا من بعثنا وأما هذا ما وعد الرحمن فكلام الملائكة عن ابن عباس وعن الحسن كلام المتقين وقيل كلام الكافرين يتذكرون ما سمعوه من الرسل فيجيبون به أنفسهم أو بعضهم بعضا (فان قلت) اذا جعلت ما مصدرية كان المعنى هذا وعد الرحمن وصدق المرسلين على تسمية الموعود والمصدوق فيه بالوعد والصدق فما وجه قوله وصدق المرسلون اذا جعلتها موصولة (قلت) تقديره هذا الذي وعده الرحمن والذي صدقه المرسلون بمعنى والذي صدق فيه المرسلون من قولهم صدقوهم الحديث والقتال ومنه صدقني سن بكره (فان قلت) من بعثنا من مرقدنا سؤال عن الباعث فكيف طابقه ذلك جوابا (قلت) معناه بعثكم الرحمن الذي وعدكم البعث وأنبأكم به الرسل الا أنه جيء به على طريقة سيئت بها قلوبهم ونعيت اليهم أحوالهم وذكروا كفرهم وتكذيبهم وأخبروا بوقوع ما أنذروا به وكأنه قيل لهم ليس بالبعث الذي عرفتموه وهو بعث النائم من مرقده حتى يهمكم السؤال عن الباعث ان هذا هو البعث الاكبر ذو الاهوال والافزاع وهو الذي وعده الله في كتبه المنزلة على ألسنة رسله الصادقين (الا صيحة واحدة) قرئت منصوبة ومرفوعة (فاليوم لا تظلم نفس شيئا * ان أصحاب الجنة اليوم في شغل) حكاية ما يقال لهم في ذلك اليوم وفي مثل هذه الحكاية زيادة تصوير للموعود وتمكين له في النفوس وترغيب في الحرص عليه وعلى ما يثمره في شغل في أي شغل وفي شغل لا يوصف وما ظنك بشغل من سعد بدخول الجنة التي هي دار المتقين ووصل الى نيل تلك الغبطة وذلك الملك الكبير والنعيم المقيم ووقع في تلك الملاذ التي أعدها الله للمرتضين من عباده ثوابا لهم على أعمالهم مع كرامة وتعظيم وذلك بعد الوله والصبابة والتفصي من مشاق التكاليف ومضايق التقوى والخشية وتخطي الاهوال وتجاوز الاخطار وجواز الصراط ومعاينة ما لقي العصاة من العذاب وعن ابن عباس في افتضاض الابكار وعنه في ضرب الاوتار وعن ابن كيسان في التزاور وقيل في ضيافة الله وعن الحسن شغلهم عما فيه أهل النار التنعم بما هم فيه وعن الكلبي هم في شغل عن أهاليهم من أهل النار لا يهمهم أمرهم ولا يذكرونهم لئلا يدخل عليهم تنغيص في نعيمهم * قرئ في شغل بضمتين وضمة وسكون وفتحتين وفتحة وسكون * والفاكه والفكه المتنعم والمتلذذ ومنه الفاكهة لانها مما يتلذذ به وكذلك الفكاهة وهي المزاحة * وقرئ فاكهون وفكهون بكسر الكاف وضمها كقولهم رجل حدث وحدث ونطس ونطس وقرئ فاكهين وفكهين على أنه حال والظرف مستقر (هم) يحتمل أن يكون مبتدأ وأن يكون تأكيدا للضمير في شغل وفي فاكهون على أن أزواجهم يشاركنهم في ذلك الشغل والتفكه والاتكاء على الارائك تحت الظلال * وقرئ في ظلل والاريكة السرير في الحجلة وقيل الفراش فيها وقرأ ابن مسعود متكئين (يدعون) يفتعلون من الدعاء أي يدعون به لانفسهم كقولك اشتوى واجتمل اذا شوى وجمل لنفسه قال لبيد * فاشتوى ليلة ريح واجتمل * ويجوز أن يكون بمعنى يتداعونه كقولك ارتموه وتراموه وقيل يتمنون

فلا يستطيعون توصية ولا الى أهلهم يرجعون ونفخ في الصور فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون قالوا ياويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم جميع لدينا محضرون فاليوم لا تظلم نفس شيئا ولا تجزون الا ما كنتم تعملون ان أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون هم وأزواجهم في ظلال على الارائك متكئون لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون

ان سلموا من حوب الغرق فلك السلامة متاع الى حين أي الى أجل يموتون فيه ولا بد له قوله تعالى في شغل فاكهون (قلت) هذا مما التنكير فيه للتفخيم كأنه قيل في شغل أي شغل وكذا قوله تعالى سلام قولا من رب رحيم ومنه قوله تعالى وان اعبدوني هذا صراط مستقيم قال ومعناه لا صراط أقوم منه فالتنكير يفيد ذلك افادته اياه في قول كثير عزة قال كأن يوسعني يد أيام العلى لا أقترحي البيت ولولا ذلك لم يستقم معنى البيت قال ويجوز أن يكون معناه هذا صراط أقل الاحوال فيه ان

من

من قولهم ادع على ماشئت بمعنى تمنه على وفلان في خير ما ادعى أي في خير ماتمنى قال الزجاج وهو من الدعاء
أي مايدعو به أهل الجنة يأتيهم و(سلام) بدل مما يدعون كأنه قال لهم سلام يقال لهم (قولا من) جهة (رب
رحيم) والمعنى أن الله يسلم عليهم بواسطة الملائكة أو بغير واسطة مبالغة في تعظيمهم وذلك متمناهم ولهم ذلك
لا يمنعونه قال ابن عباس فالملائكة يدخلون عليهم بالتحية من رب العالمين وقيل ما يدعون مبتدأ وخبره سلام
بمعنى ولهم ما يدعون سالم خالص لا شوب فيه وقولا مصدر مؤكد لقوله تعالى ولهم ما يدعون سلام أي عدة
من رب رحيم والأوجه أن ينتصب على الاختصاص وهو من مجازه وقرئ سلم وهو بمعنى السلام في المعنيين
وعن ابن مسعود سلاما نصب على الحال أي لهم مرادهم خالصا (وامتازوا) وانفردوا عن المؤمنين وكونوا
على حدة وذلك حين يحشر المؤمنون ويسار بهم الى الجنة ونحوه قوله تعالى ويوم تقوم الساعة يومئذ
يتفرقون فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون وأما الذين كفروا الآية يقال مازه فانماز
وامتاز وعن قتادة اعتزلوا عن كل خير وعن الضحاك لكل كافر بيت من النار يكون فيه لا يرى ولا يرى
ومعناه أن بعضهم يمتاز من بعض * العهد الوصية وعهد اليه اذا وصاه وعهد الله اليهم ماركزه فيهم من أدلة
العقل وأنزل عليهم من دلائل السمع * وعبادة الشيطان طاعته فيما يوسوس به اليهم ويزينه لهم * وقرئ
اعهد بكسر الهمزة وباب فعل كله يجوز في حروف مضارعته الكسر الا في الياء واعهد بكسر الهاء وقد جوز
الزجاج أن يكون من باب نعم ينعم وضرب يضرب وأحهد بالحاء وأحد وهي لغة تميم ومنه قولهم دحا محا (هذا)
اشارة الى ما عهد اليهم من معصية الشيطان وطاعة الرحمن اذ لا صراط أقوم منه ونحو التنكير فيه ما في
قول كثير

لئن كان يهدى برد أنيابها العلى * لأفقر مني انني لفقير

أراد انني لفقير بليغ الفقر حقيق بأن أوصف به لكمال شرائطه في والا لم يستقم معنى البيت وكذلك قوله هذا
(صراط مستقيم) يريد صراط بليغ في بابه بليغ في استقامته جامع لكل شرط يجب أن يكون عليه ويجوز
أن يراد هذا بعض الصرط المستقيمة توبيخا لهم على العدول عنه والتفادي عن سلوكه كما يتفادى الناس عن
الطريق المعوج الذي يؤدي الى الضلالة والتهلكة كأنه قيل أقل أحوال الطريق الذي هو أقوم الطرق أن
يعتقد فيه كما يعتقد في الطريق الذي لا يضل السالك كما يقول الرجل لولده وقد نصحه النصح البالغ الذي ليس
بعده هذا فيما أظن قول نافع غير ضار توبيخا له على الاعراض عن نصائحه * وقرئ جبلا بضمتين وضمة وسكون
وضمتين وتشديدة وكسرتين وكسرة وسكون وكسرتين وتشديدة وهذه اللغات في معنى الخلق وقرئ جبلا
جمع جبلة كفطر وخلق وفي قراءة علي رضي الله عنه جيلا واحد الأجيال * روي أنهم يجحدون ويخاصمون
فتشهد عليهم جيرانهم وأهاليهم وعشائرهم فيحلفون ما كانوا مشركين فحينئذ يختم على أفواههم وتكلم
أيديهم وأرجلهم وفي الحديث يقول العبد يوم القيامة اني لا أجيز على شاهدا الا من نفسي فيختم على فيه
ويقال لأركانه انطقي فتنطق بأعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت أناضل
* وقرئ يختم على أفواههم وتتكلم أيديهم وقرئ ولتكلمنا أيديهم وتشهد بلام كي والنصب على معنى ولذلك
نختم على أفواههم وقرئ ولتكلمنا أيديهم ولتشهد بلام الأمر والجزم على أن الله يأمر الأعضاء بالكلام
والشهادة * الطمس تعفية شق العين حتى تعود ممسوحة (فاستبقوا الصراط) لا يخلو من أن يكون على
حذف الجار وايصال الفعل والأصل فاستبقوا الى الصراط أو يضمن معنى ابتدروا أو يجعل الصراط مسبوقا
لا مسبوقا اليه أو ينتصب على الظرف والمعنى أنه لو شاء لمسح أعينهم فلو راموا أن يستبقوا الى الطريق المهيع
الذي اعتادوا سلوكه الى مساكنهم والى مقاصدهم المألوفة التي ترددوا اليها كثيرا كما كانوا يستبقون اليه
ساعين في متصرفاتهم موضعين في أمور دنياهم لم يقدروا وتعايا عليهم أن يبصروا ويعلموا جهة السلوك
فضلا عن غيره أو لو شاء لأعماهم فلو أرادوا أن يمشوا مستبقين في الطريق المألوف كما كان ذلك هجيراهم
لم يستطيعوا أو لو شاء لأعماهم فلو طلبوا أن يخلفوا الصراط الذي اعتادوا المشي فيه لعجزوا ولم يعرفوا طريقا
يعني أنهم لا يقدرون الا على سلوك الطريق المعتاد دون ما وراءه من سائر الطرق والمسالك كما ترى العميان

سلام قولا من رب رحيم وامتازوا اليوم أيها المجرمون ألم أعهد اليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم ولقد أضل منكم جبلا كثيرا أفلم تكونوا تعقلون هذه جهنم التي كنتم توعدون اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون ولو نشاء لطمسنا على أعينهم فاستبقوا الصراط فأنى يبصرون ولو نشاء لمسخناهم على

يعتقد أنه مستقيم كما يقول الرجل لولده هذا فيما أظن قول نافع غير ضار توبيخا له على الاعراض عن نصائحه

يهتدون فيها الى أبوابه ومضروابه من المقاصد دون غيرها (على مكانتهم) وقرئ على مكاناتهم والمكانة والمكان واحد كالمقامة والمقام أى لمسخناهم مسخا يجمدهم مكانهم لا يقدرون أن يبرحوه باقبال ولا ادبار ولا مضى ولا رجوع واختلف فى المسخ فعن ابن عباس لمسخناهم قردة وخنازير وقيل حجارة وعن قتادة لأقعدناهم على أرجلهم وأزمناهم * وقرئ مضيا بالحركات الثلاث فالمضى والمضى كالعتى والعتى والمضى كالصبى (ننكسه فى الخلق) نقلبه فيه فنخلقه على عكس ما خلقناه من قبل وذلك أنا خلقناه على ضعف فى جسده وخلو من عقل وعلم ثم جعلناه يتزايد وينتقل من حال الى حال ويرتقى من درجة الى درجة الى أن يبلغ أشده ويستكمل قوته ويعقل ويعلم ماله وما عليه فاذا انتهى نكسناه فى الخلق فجعلناه يتناقص حتى يرجع فى حال شبيهة بحال الصبى فى ضعف جسده وقلة عقله وخلوه من العلم كما ينكس السهم فيجعل أعلاه أسفله قال عز وجل ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكى لا يعلم من بعد علم شيأ ثم رددناه أسفل سافلين وهذه دلالة على أن من ينقلهم من الشباب الى الهرم ومن القوة الى الضعف ومن رجاحة العقل الى الخرف وقلة التمييز ومن العلم الى الجهل بعد ما نقلهم خلاف هذا النقل وعكسه قادر على أن يطمس على أعينهم ويمسخهم على مكانتهم ويفعل بهم ما شاء وأراد وقرئ بكسر الكاف وننكسه وننكسه من التنكيس والانتكاس (أفلا يعقلون) بالياء والتاء * كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم شاعر وروى أن القائل عقبة بن أبى معيط فقيل (وما علمناه الشعر) أى وما علمناه بتعليم القرآن الشعر على معنى أن القرآن ليس بشعر وما هو من الشعر فى شئ وأين هو عن الشعر والشعر انما هو كلام موزون مقفى يدل على معنى فأين الوزن وأين التقفية وأين المعانى التى ينتحيها الشعراء عن معانيه وأين نظم كلامهم عن نظمه وأساليبه فاذا لا مناسبة بينه وبين الشعر اذا حققت اللهم الا أن هذا لفظه عربى كما أن ذلك كذلك (وما ينبغى له) وما يصح له ولا يتطلب لو طلبه أى جعلناه بحيث لو أراد قرض الشعر لم يتأت له ولم يتسهل كما جعلناه أميا لا يتهدى للخط ولا يحسنه لتكون الحجة أثبت والشبهة أدحض وعن الخليل كان الشعر أحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من كثير من الكلام ولكن كان لا يتأتى له (فان قلت) فقوله

أنا النبى لا كذب * أنا ابن عبد المطلب

وقوله

هل أنت الا اصبع دميت * وفى سبيل الله ما لقيت

(قلت) ما هو الا كلام من جنس كلامه الذى كان يرمى به على السليقة من غير صنعة ولا تكلف الا أنه اتفق ذلك من غير قصد الى ذلك ولا التفات منه اليه أن جاء موزونا كما يتفق فى كثير من انشاآت الناس فى خطبهم ورسائلهم ومحاوراتهم أشياء موزونة لا يسميها أحد شعرا ولا يخطر ببال المتكلم ولا السامع أنها شعر واذا فتشت فى كل كلام عن نحو ذلك وجدت الواقع فى أوزان البحور غير عزيز على أن الخليل ما كان يعد المشطور من الرجز شعرا ولما نفى أن يكون القرآن من جنس الشعر قال (ان هو الا ذكر وقرآن مبين) يعنى ما هو الا ذكر من الله تعالى يوعظ به الانس والجن كما قال ان هو الا ذكر للعالمين وما هو الا قرآن كتاب سماوى يقرأ فى المحاريب ويتلى فى المتعبدات وينال بتلاوته والعمل بما فيه فوز الدارين فكم بينه وبين الشعر الذى هو من همزات الشياطين (لينذر) القرآن أو الرسول وقرئ لتنذر بالتاء ولينذر من نذر به اذا علمه (من كان حيا) أى عاقلا متأملا لأن الغافل كالميت أو معلوما منه أنه يؤمن فيحيا بالايمان (ويحق القول) وتجب كلمة العذاب (على الكافرين) الذين لا يتأملون ولا يتوقع منهم الايمان (مما عملت أيدينا) مما تولينا نحن احداثه ولم يقدر على توليه غيرنا وانما قال ذلك لبدائع الفطرة والحكمة فيها التى لا يصح أن يقدر عليها الا هو وعمل الأيدى استعارة من عمل من يعملون بالأيدى (فهم لها مالكون) أى خلقناها لأجلهم فملكناها اياهم فهم متصرفون فيها تصرف الملاك مختصون بالانتفاع فيها لا يزاحمون أو فهم لها ضابطون قاهرون من قوله

أصبحت لا أحمل السلاح ولا * أملك رأس البعير ان نفرا

أى لا أضبطه وهو من جملة النعم الظاهرة والا فمن كان يقدر عليها لولا تذليله وتسخيره لها كما قال القائل

يصرفه الصبى بكل وجه * ويحبسه على الخسف الجرير

مكانتهم فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون ومن نعمره ننكسه فى الخلق أفلا يعقلون وما علمناه الشعر وما ينبغى له ان هو الا ذكر وقرآن مبين لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما فهم لها مالكون وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون ولهم فيها

* قوله تعالى ومن نعمره ننكسه فى الخلق (قال) فيه مناسبة لقوله ولو نشاء لطمسنا على أعينهم من حيث انه استدلال بقدرته على رده الى أرذل العمر والى الضعف بعد القوة كأنه قادر على طمس أعينهم والله أعلم

وتضربه الوليدة بالهراوى * فلا غير لديه ولا نكير

ولهذا ألزم الله سبحانه الراكب أن يشكر هذه النعمة ويسبح بقوله سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين * وقرئ ركوبهم وركوبتهم وهما ما يركب كالحلوب والحلوبة وقيل الركوبة جمع وقرئ ركوبهم أي ذو ركوبهم أو فمن منافعها ركوبهم (منافع) من الجلود والأوبار والأصواف وغير ذلك (ومشارب) من اللبن ذكرها مجملة وقد فصلها في قوله تعالى وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا الآية والمشارب جمع مشرب وهو موضع الشرب أو الشرب * اتخذوا الآلهة طمعا في أن يتقووا بهم ويعتضدوا بمكانهم والأمر على عكس ما قدروا وحيث هم جند لآلهتهم معدون (محضرون) يخدمونهم ويذبون عنهم ويغضبون لهم والآلهة لا استطاعة بهم ولا قدرة على النصر أو اتخذوهم لينصروهم عند الله ويشفعوا لهم والأمر على خلاف ما توهموا حيث هم يوم القيامة جند معدون لهم محضرون لعذابهم لأنهم يجعلون وقود النار * وقرئ فلا يحزنك بفتح الياء وضمها من حزنه وأحزنه والمعنى فلا يهمنك تكذيبهم وأذاهم وجفاؤهم فإنا عالمون بما يسرون لك من عداوتهم (وما يعلنون) وإنا مجازوهم عليه فحق مثلك أن يتسلى بهذا الوعيد ويستحضر في نفسه صورة حاله وحالهم في الآخرة حتى ينقشع عنه الهم ولا يرهقه الحزن (فإن قلت) ما تقول فيمن يقول إن قرأ قارئ أنا نعلم بالفتح انتقضت صلاته وإن اعتقد ما يعطيه من المعنى كفر (قلت) فيه وجهان أحدهما أن يكون على حذف لام التعليل وهو كثير في القرآن وفي الشعر وفي كل كلام وقياس مطرد وهذا معناه معنى الكسر سواء وعليه تلبية رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الحمد والنعمة لك كسره أبو حنيفة وفتحه الشافعي وكلاهما تعليل والثاني أن يكون بدلا من قولهم كأنه قيل فلا يحزنك أنا نعلم ما يسرون وما يعلنون وهذا المعنى قائم مع المكسورة إذا جعلتها مفعولة للقول فقد تبين أن تعلق الحزن بكون الله عالما وعدم تعلقه لا يدوران على كسر إن وفتحها وإنما يدوران على تقديرك فتفصل إن فتحت بأن تقدر معنى التعليل ولا تقدر البدل كما أنك تفصل بتقدير معنى التعليل إذا كسرت ولا تقدر معنى المفعولية ثم إن قدرته كاسرا أو فاتحا على ما عظم فيه الخطب ذلك القائل فما فيه إلا نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحزن على كون الله عالما بسرهم وعلانيتهم وليس النهي عن ذلك مما يوجب شيئا ألا ترى إلى قوله تعالى فلا تكونن ظهيرا للكافرين ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله إلها آخر * قبح الله عز وجل إنكارهم البعث تقبيحا لا ترى أعجب منه وأبلغ وأدل على تمادي كفر الإنسان وإفراطه في جحود النعم وعقوق الأيادي وتوغله في الخسة وتغلغله في القحة حيث قرره بأن عنصره الذي خلقه منه هو أخس شيء وأمهنه وهو النطفة المذرة الخارجة من الإحليل الذي هو قناة النجاسة * ثم عجب من حاله بأن يتصدى مثله على مهانة أصله ودناءة أوله لمخاصمة الجبار وشرز صفحته لمجادلته ويركب متن الباطل ويلج ويمحك ويقول من يقدر على إحياء الميت بعدما رمت عظامه ثم يكون خصامه في ألزم وصف له وألصقه به وهو كونه منشأ من موات وهو ينكر إنشاءه من موات وهي المكابرة التي لا مطمح وراءها وروي أن جماعة من كفار قريش منهم أبي بن خلف الجمحي وأبو جهل والعاصي بن وائل والوليد بن المغيرة تكلموا في ذلك فقال لهم أبي ألا ترون إلى ما يقول محمد إن الله يبعث الأموات ثم قال واللات والعزى لأصيرن إليه ولأخصمنه وأخذ عظما باليا فجعل يفته بيده وهو يقول يا محمد أترى الله يحيي هذا بعد ما قد رم قال صلى الله عليه وسلم نعم ويبعثك ويدخلك جهنم وقيل معنى قوله (فإذا هو خصيم مبين) فإذا هو بعدما كان ماء مهينا رجل مميز منطيق قادر على الخصام مبين معرب عما في نفسه فصيح كما قال تعالى أو من ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين * (فإن قلت) لم سمي قوله (من يحيي العظام وهي رميم) مثلا (قلت) لما دل عليه من قصة عجيبة شبيهة بالمثل وهي إنكار قدرة الله تعالى على إحياء الموتى أو لما فيه من التشبيه لأن ما أنكر من قبيل ما يوصف الله بالقدرة عليه بدليل النشأة الأولى فإذا قيل من يحيي العظام على طريق الإنكار لأن يكون ذلك مما يوصف الله تعالى بكونه قادرا عليه كان تعجيزا لله وتشبيها له بخلقه في أنهم غير موصوفين بالقدرة عليه * والرميم اسم لما بلي من العظام غير صفة كالرمة والرفات

منافع ومشارب أفلا يشكرون واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون لا يستطيعون نصرهم وهم لهم جند محضرون فلا يحزنك قولهم إنا نعلم ما يسرون وما يعلنون أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي أنشأها أول مرة

فلا يقال لم يؤنث وقد وقع خبرا لمؤنث ولا هو فعيل بمعنى فاعل أو مفعول ولقد استشهد بهذه الآية من يثبت الحياة في العظام ويقول ان عظام الميتة نجسة لان الموت يؤثر فيها من قبل أن الحياة تحلها وأما أصحاب أبي حنيفة فهي عندهم طاهرة وكذلك الشعر والعصب ويزعمون أن الحياة لا تحلها فلا يؤثر فيها الموت ويقولون المراد باحياء العظام في الآية ردها الى ما كانت عليه غضة رطبة في بدن حي حساس (وهو بكل خلق عليم) يعلم كيف يخلق لا يتعاظمه شئ من خلق المنشآت والمعادات ومن أجناسها وأنواعها وجلائلها ودقائقها * ثم ذكر من بدائع خلقه انقداح النار من الشجر الاخضر مع مضادة النار الماء وانطفائها به وهي الزناد التي تورى بها الاعراب وأكثرها من المرخ والعفار وفي أمثالهم في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار يقطع الرجل منهما غصنين مثل السواكين وهما خضراوان يقطر منهما الماء فيسحق المرخ وهو ذكر على العفار وهي أنثى فتنقدح النار باذن الله وعن ابن عباس رضي الله عنهما ليس من شجرة الا وفيها النار الا العناب قالوا ولذلك تتخذ منه كذينقات القصارين * قرئ الاخضر على اللفظ وقرئ الخضراء على المعنى ونحوه قوله تعالى من شجر من زقوم فمالئون منها البطون فشاربون عليه من الحميم * من قدر على خلق السموات والارض مع عظم شأنهما فهو على خلق الاناسي أقدر وفي معناه قوله تعالى لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس * وقرئ يقدر وقوله (أن يخلق مثلهم) يحتمل معنيين أن يخلق مثلهم في الصغر والقماءة بالاضافة الى السموات والارض أو أن يعيدهم لان المعاد مثل للمبتدا وليس به (وهو الخلاق) الكثير المخلوقات (العليم) الكثير المعلومات وقرئ الخالق (انما أمره) انما شأنه (اذا أراد شيأ) اذا دعاه داعي حكمة الى تكوينه ولا صارف (أن يقول له كن) أن يكونه من غير توقف (فيكون) فيحدث أي فهو كائن موجود لا محالة (فان قلت) ما حقيقة قوله أن يقول له كن فيكون (قلت) هو مجاز من الكلام وتمثيل لانه لا يمتنع عليه شئ من المكونات وأنه بمنزلة المأمور المطيع اذا ورد عليه أمر الآمر المطاع (فان قلت) فما وجه القراءتين في فيكون (قلت) أما الرفع فلانها جملة من مبتدا وخبر لان تقديرها فهو يكون معطوفة على مثلها وهي أمره أن يقول له كن وأما النصب فللعطف على يقول والمعنى أنه لا يجوز عليه شئ مما يجوز على الاجسام اذا فعلت شيأ مما تقدر عليه من المباشرة بمحل القدرة واستعمال الآلات وما يتبع ذلك من المشقة والتعب واللغوب انما أمره وهو القادر العالم لذاته أن يخلص داعيه الى الفعل فيتكون فمثله كيف يعجز عن مقدور حتى يعجز عن الاعادة (فسبحان) تنزيه له مما وصفه به المشركون وتعجيب من أن يقولوا فيه ما قالوا (بيده ملكوت كل شئ) هو مالك كل شئ والمتصرف فيه بمواجب مشيئته وقضايا حكمته وقرئ ملكة كل شئ ومملكة كل شئ وملك كل شئ والمعنى واحد (ترجعون) بضم التاء وفتحها وعن ابن عباس رضي الله عنهما كنت لا أعلم ما روى في فضائل يس وقراءتها كيف خصت بذلك فاذا انه لهذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل شئ قلبا وان قلب القرآن يس من قرأ يس يريد بها وجه الله غفر الله تعالى له وأعطى من الاجر كأنما قرأ القرآن اثنتين وعشرين مرة وأيما مسلم قرئ عنده اذا نزل به ملك الموت سورة يس نزل بكل حرف منها عشرة أملاك يقومون بين يديه صفوفا يصلون عليه ويستغفرون له ويشهدون غسله ويتبعون جنازته ويصلون عليه ويشهدون دفنه وأيما مسلم قرأ يس وهو في سكرات الموت لم يقبض ملك الموت روحه حتى يجيئه رضوان خازن الجنة بشربة من شراب الجنة يشربها وهو على فراشه فيقبض ملك الموت روحه وهو ريان ويمكث في قبره وهو ريان ولا يحتاج الى حوض من حياض الانبياء حتى يدخل الجنة وهو ريان وقال عليه الصلاة والسلام ان في القرآن سورة يشفع قارئها ويغفر لمستمعها ألا وهي سورة يس

وهو بكل خلق عليم الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا أنتم منه توقدون أوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم انما أمره اذا أراد شيأ أن يقول له كن فيكون فسبحان الذي بيده ملكوت كل شئ واليه ترجعون

﴿سورة والصافات مكية وهي مائة واحدى وثمانون آية وقيل واثنتان وثمانون﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(القول في سورة والصافات) ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قوله تعالى والصافات صفا فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا الآية (قال) في تفسيرها المقسم به طوائف الملائكة أو نفوسهم والمراد صفهم في الصلاة وزجرهم السحاب أي سوقهم وتلاوتهم ذكر الله أو العلماء والمراد تصاف أقدامهم في الصلاة وزجرهم بالمواعظ عن المعاصي وتلاوتهم الذكر أو الغزاة يصفون في الحرب ويزجرون الخيل ولا يشغلهم ذلك عن تلاوة الذكر فان قلت ما حكم الفاء العاطفة للصفات وأجاب بأنها تقع لثلاثة أوجه اما التعاقب وقوع الصفات وجودا كقوله يا لهف زيابة للحارث الصـ * ـابح فالغانم فالآيب أو على ترتبها التفاوت من بعض الوجوه كقولك اعمل الأحسن فالأجمل واما الترتب موصوفاتها كقوله رحم الله المحلقين فالمقصرين فعلى هذا ان وحدت الموصوف كانت الدلالة (٢٥٩) على ترتب الصفات في التفاضل وان ثلثته فهي للدلالة على ترتيب الموصوفات فيه ومعنى توحيدها ان تعتقد ان صفا ما ذكر في التفاسير المذكورة جامع للصفات الثلاثة ويجوز أولى الصفات وافضلها أو على العكس ومعنى تثليثها أن تجعل كل صفة لطائفة ويكون التفاضل بين الطوائف اما على أن الاول هو الافضل أو على العكس انتهى كلامه (قلت) قد يجوز أن يكون ترتبها في التفاضل على أن الاول هو الافضل وعلى العكس ولم يبين وجه كل واحد منهما من حيث صنعة البديع ونحن نبينه فنقول وجه البداءة بالافضل الاعتناء بالاهم فتقدم ووجه عكس هذا الترقي من الادنى الى الاعلى ومنه قوله

بهاليل منهم جعفر وابن أمه * علي ومنهم أحمد المتخير

ولا يقال ان هذا انما ساغ لان الواو لا تقتضي رتبة فان هذا غايته انه عذر وما ذكرناه بيان لما فيه من مقتضى البديع والبلاغة وفي هذه الآية دلالة على مذهب سيبويه والخليل في مثل والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى فانهما يقولان الواو الثانية وما بعدها عواطف وغيرهما يذهب الى أنها حروف قسم ثم وقوع الفاء في هذه الآية موقع الواو والمعنى واحد الا أن ما تريده الفاء من ترتيب ادليل واضح على أن الواو الواقعة في مثل هذا السياق للعطف لا للقسم

﴿سورة والصافات مكية وهي مائة واحدى وثمانون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

والصافات صفا فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا ان الهكم لواحد رب السموات والارض وما بينهما ورب المشارق انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب

* أقسم الله سبحانه بطوائف الملائكة أو بنفوسهم الصافات أقدامها في الصلاة من قوله تعالى وانا لنحن الصافون أو أجنحتها في الهواء واقفة منتظرة لأمر الله (فالزاجرات) السحاب سوقا (فالتاليات) لكلام الله من الكتب المنزلة وغيرها وقيل الصافات الطير من قوله تعالى والطير صافات والزاجرات كل ما زجر عن معاصي الله والتاليات كل من تلا كتاب الله ويجوز أن يقسم بنفوس العلماء العمال الصافات أقدامها في التهجد وسائر الصلوات وصفوف الجماعات فالزاجرات بالمواعظ والنصائح فالتاليات آيات الله والدارسات شرائعه أو بنفوس قواد الغزاة في سبيل الله التي تصف الصفوف وتزجر الخيل للجهاد وتتلو الذكر مع ذلك لا تشغلها عنه تلك الشواغل كما يحكى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه (فان قلت) ما حكم الفاء اذا جاءت عاطفة في الصفات (قلت) اما أن تدل على ترتب معانيها في الوجود كقوله

يا لهف زيابة للحارث الصـ * ـابح فالغانم فالآيب

كأنه قيل الذي صبح فغنم فآب واما على ترتبها في التفاوت من بعض الوجوه كقولك خذ الافضل فالاكمل واعمل الاحسن فالاجمل واما على ترتب موصوفاتها في ذلك كقوله رحم الله المحلقين فالمقصرين فعلى هذه القوانين الثلاثة ينساق أمر الفاء العاطفة في الصفات (فان قلت) فعلى أي هذه القوانين هي فيما أنت بصدده (قلت) ان وحدت الموصوف كانت للدلالة على ترتب الصفات في التفاضل وان ثلثته فهي للدلالة على ترتب الموصوفات فيه بيان ذلك انك اذا أجريت هذه الاوصاف على الملائكة وجعلتهم جامعين لها فعطفها بالفاء يفيد ترتبا لها في الفضل اما أن يكون الفضل للصف ثم للزجر ثم للتلاوة واما على العكس وكذلك ان أردت العلماء وقواد الغزاة وان أجريت الصفة الاولى على طوائف والثانية والثالثة على أخر فقد أفادت ترتب الموصوفات في الفضل أعني أن الطوائف الصافات ذوات فضل والزاجرات أفضل والتاليات أبهر فضلا أو على العكس وكذلك اذا أردت بالصافات الطير وبالزاجرات كل ما يزجر عن معصية وبالتاليات كل نفس تتلو الذكر فان الموصوفات مختلفة * وقرئ بادغام التاء في الصاد والزاي والذال (رب السموات) خبر بعد خبر أو خبر مبتدا محذوف و (المشارق) ثلثمائة وستون مشرقا وكذلك المغارب تشرق الشمس كل يوم في مشرق منها وتغرب في مغرب ولا تطلع ولا تغرب في واحد يومين (فان قلت) فما أراد بقوله رب المشرقين ورب المغربين (قلت) أراد مشرقي الصيف والشتاء ومغربيهما (الدنيا) القربى منكم * والزينة مصدر كالنسبة واسم لما يزان به الشيء كالليقة اسم لما تلاق به الدواة ويحتملهما قوله (بزينة الكواكب) فان أردت المصدر فعلى اضافته الى الفاعل أي بأن زانتها الكواكب وأصله بزينة الكواكب أو على اضافته الى المفعول أي بأن زان الله الكواكب وحسنها لانها انما زينت السماء لحسنها في أنفسها وأصله بزينة الكواكب وهي قراءة أبي بكر والأعمش وابن

* قوله تعالى وحفظا من كل شيطان مارد لا يسمعون (أبطل) أن يكون لا يسمعون صفة لأن الحفظ من شيطان لا يسمع لا معنى له وأبطل أن يكون أصله لئلا يسمعوا فحذف اللام وحذفها كثير ثم حذف أن وأهدر عملها مثل

ألا أيهذا الزاجري أحضر الوغى * وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدي واستبعد اجتماع هذين الحذفين وإن كان كل واحد منهما بانفراده سائغا ولما أبطل هذين الوجهين تعين عنده أن يكون ابتداء كلام اقتصاصا لما عليه أحوال المسترقة للسمع اهـ كلامه (قلت) كلا الوجهين مستقيم والجواب (٣٦٠) عن اشكاله الوارد على الوجه الاول أن عدم سماع الشيطان سببه الحفظ منه فحال الشيطان حال كونه محفوظا منه هي حاله حال كونه لا يسمع واحدى الحالين لازمة للاخرى فلا مانع أن يجتمع الحفظ منه وكونه موصوفا بعدم السماع في حالة واحدة لا على ان عدم السماع ثابت قبل الحفظ بل معه وبسببه ونظير هذه الآية على هذا التقدير

وحفظا من كل شيطان مارد لا يسمعون الى الملأ الأعلى ويقذفون من كل جانب دحورا ولهم عذاب واصب الا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب

قوله تعالى وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره فقوله تعالى مسخرات حال مما تقدمه العامل فيه الفعل الذي هو سخر ومعناه مستقيم لأن تسخيرها يستلزم كونها مسخرة فالحال التي سخرت فيها هي الحال التي كانت فيها مسخرة لا على معنى تسخيرها مع كونها مسخرة قبل ذلك وما أشار له الزمخشري وتشديدها في هذه الآية قريب من هذا التفسير الآتي ذكره مع تأويلا آخر كالمستشكل لهذا الوجه فجعل مسخرات جمع مسخر مصدر كممزق وجعل المعنى وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر أنواعا من التسخير وفيما ذكرناه كفاية ومن هذا النمط ثم أرسلنا رسلنا وهم ما كانوا رسلا الا بالارسال وهؤلاء ما كانوا لا يسمعون الا بالحفظ وأما الجواب عن اشكاله الثاني فورود حذفين في مثل قوله تعالى يبين الله لكم أن تضلوا وأصله لئلا تضلوا فحذف اللام ولا بد فيها من حذفهما

وثاب وإن أردت الاسم فللإضافة وجهان أن تقع الكواكب بيانا للزينة لأن الزينة مبهمة في الكواكب وغيرها مما يزان به وأن يراد ما زينت به الكواكب وجاء عن ابن عباس رضي الله عنهما بزينة الكواكب بضوء الكواكب ويجوز أن يراد أشكالها المختلفة كشكل الثريا وبنات نعش والجوزاء وغير ذلك ومطالعها ومساريها وقرئ على هذا المعنى بزينة الكواكب بتنوين زينة وجر الكواكب على الابدال ويجوز في نصب الكواكب أن يكون بدلا من محل بزينة (وحفظا) مما حمل على المعنى لأن المعنى إنا خلقنا الكواكب زينة للسماء وحفظا من الشياطين كما قال تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين ويجوز أن يقدر الفعل المعلل كأنه قيل وحفظا (من كل شيطان) زيناها بالكواكب وقيل وحفظناها حفظا * والمارد الخارج من الطاعة المتملس منها * الضمير في (لا يسمعون) لكل شيطان لأنه في معنى الشياطين وقرئ بالتخفيف والتشديد وأصله يتسمعون والتسمع تطلب السماع يقال تسمع فسمع أو فلم يسمع وعن ابن عباس رضي الله عنهما هم يتسمعون ولا يسمعون وبهذا ينصر التخفيف على التشديد (فإن قلت) لا يسمعون كيف اتصل بما قبله (قلت) لا يخلو من أن يتصل بما قبله على أن يكون صفة لكل شيطان أو استئنافا فلا تصح الصفة لأن الحفظ من شياطين لا يسمعون ولا يستمعون لا معنى له وكذلك الاستئناف لأن سائلا لو سأل لم تحفظ من الشياطين فأجيب بأنهم لا يسمعون لم يستقم فبقي أن يكون كلاما منقطعا مبتدأ اقتصاصا لما عليه حال المسترقة للسمع وأنهم لا يقدرون أن يسمعوا إلى كلام الملائكة أو يتسمعوا وهم مقذوفون بالشهب مدحورون عن ذلك * إلا من أمهل حتى خطف خطفة واسترق استراقة فعندها تعاجله الهلكة باتباع الشهاب الثاقب (فإن قلت) هل يصح قول من زعم أن أصله لئلا يسمعوا فحذفت اللام كما حذفت في قولك جئتك أن تكرمني فبقي أن لا يسمعوا فحذفت أن وأهدر عملها كما في قول القائل ألا أيهذا الزاجري أحضر الوغى (قلت) كل واحد من هذين الحذفين غير مردود على انفراده فأما اجتماعهما فمنكر من المنكرات على أن صون القرآن عن مثل هذا التعسف واجب (فإن قلت) أي فرق بين سمعت فلانا يتحدث وسمعت إليه يتحدث وسمعت حديثه وإلى حديثه (قلت) المعدى بنفسه يفيد الإدراك والمعدى بإلى يفيد الإصغاء مع الإدراك * والملأ الأعلى الملائكة لأنهم يسكنون السموات والإنس والجن هم الملأ الأسفل لأنهم سكان الأرض وعن ابن عباس رضي الله عنهما هم الكتبة من الملائكة وعنه أشراف الملائكة (من كل جانب) من جميع جوانب السماء من أي جهة صعدوا للاستراق (دحورا) مفعول له أي ويقذفون للدحور وهو الطرد أو مدحورين على الحال أو لأن القذف والطرد متقاربان في المعنى فكأنه قيل يدحرون أو قذفا وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي بفتح الدال على قذفا دحورا طرودا أو على أنه قد جاء مجيء القبول والولوع * والواصب الدائم وصب الأمر وصوبا يعني أنهم في الدنيا مرجومون بالشهب وقد أعد لهم في الآخرة نوع من العذاب دائم غير منقطع (من) في محل الرفع بدل من الواو في لا يسمعون أي لا يسمع الشياطين إلا الشيطان الذي (خطف الخطفة) وقرئ خطف بكسر الخاء والطاء وتشديدها وخطف بفتح الخاء وكسر الطاء

فاستفتهم أهم أشد خلقا أم من خلقنا إنا خلقناهم من طين لازب بل عجبت ويسخرون وإذا ذكروا لا يذكرون وإذا رأوا آية يستسخرون وقالوا إن هذا إلا سحر مبين أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون أوآباؤنا الأولون قل نعم وأنتم داخرون فإنما هي زجرة واحدة فإذا هم ينظرون وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم وقفوهم إنهم مسؤولون ما لكم لا تناصرون

وتشديدها وأصلها اختطف * وقرئ فأتبعه وفاتبعه * الهمزة وإن خرجت إلى معنى التقرير فهي بمعنى الاستفهام في أصلها فلذلك قيل (فاستفتهم) أي استخبرهم (أهم أشد خلقا) ولم يقل فقررهم والضمير لمشركي مكة قيل نزلت في أبي الأشد بن كلدة وكنى بذلك لشدة بطشه وقوته (أم من خلقنا) يريد ما ذكر من خلائقه من الملائكة والسموات والأرض والمشارق والكواكب والشهب الثواقب والشياطين المردة وغلب أولي العقل على غيرهم فقال من خلقنا والدليل عليه قوله بعد عد هذه الأشياء فاستفتهم أهم أشد خلقا أم من خلقنا بالفاء المعقبة وقوله أم من خلقنا مطلقا من غير تقييد بالبيان اكتفاء ببيان ما تقدمه كأنه قال خلقنا كذا وكذا من عجائب الخلق وبدائعه فاستفتهم أهم أشد خلقا أم الذي خلقناه من ذلك ويقطع به قراءة من قرأ أم من عددنا بالتخفيف والتشديد وأشد خلقا يحتمل أقوى خلقا من قولهم شديد الخلق وفي خلقه شدة وأصعب خلقا وأشقه على معنى الرد لإنكارهم البعث والنشأة الأخرى وأن من هان عليه خلق هذه الخلائق العظيمة ولم يصعب عليه اختراعها كان خلق البشر عليه أهون * وخلقهم (من طين لازب) إما شاهد عليهم بالضعف والرخاوة لأن ما يصنع من الطين غير موصوف بالصلابة والقوة أو احتجاج عليهم بأن الطين اللازب الذي خلقوا منه تراب فمن أين استنكروا أن يخلقوا من تراب مثله حيث قالوا أئذا كنا ترابا وهذا المعنى يعضده ما يتلوه من ذكر إنكارهم البعث وقيل من خلقنا من الأمم الماضية وليس هذا القول بملائم * وقرئ لازم ولاتب والمعنى واحد * والثاقب الشديد الإضاءة (بل عجبت) من قدرة الله على هذه الخلائق العظيمة (و) هم (يسخرون) منك ومن تعجبك وما تريهم من آثار قدرة الله أو من إنكارهم البعث وهم يسخرون من أمر البعث وقرئ بضم التاء أي بلغ من عظم آياتي وكثرة خلائقي أني عجبت منها فكيف بعبادي وهؤلاء بجهلهم وعنادهم يسخرون من آياتي أو عجبت من أن ينكروا البعث ممن هذه أفعاله وهم يسخرون ممن يصف الله بالقدرة عليه (فإن قلت) كيف يجوز العجب على الله تعالى وإنما هو روعة تعتري الإنسان عند استعظامه الشيء والله تعالى لا يجوز عليه الروعة (قلت) فيه وجهان أحدهما أن يجرد العجب لمعنى الاستعظام والثاني أن يتخيل العجب ويفرض وقد جاء في الحديث عجب ربكم من ألكم وقنوطكم وسرعة إجابته إياكم وكان شريح يقرأ بالفتح ويقول إن الله لا يعجب من شيء وإنما يعجب من لا يعلم فقال إبراهيم النخعي إن شريحا كان يعجبه علمه وعبد الله أعلم يريد عبد الله بن مسعود وكان يقرأ بالضم وقيل معناه قل يا محمد بل عجبت (وإذا ذكروا) ودأبهم أنهم إذا وعظوا بشيء لا يتعظون به (وإذا رأوا آية) من آيات الله البينة كانشقاق القمر ونحوه (يستسخرون) يبالغون في السخرية أو يستدعي بعضهم من بعض أن يسخر منها (وآباؤنا) معطوف على محل إن واسمها أو على الضمير في مبعوثون والذي جوز العطف عليه الفصل بهمزة الاستفهام والمعنى أيبعث أيضا آباؤنا على زيادة الاستبعاد يعنون أنهم أقدم فبعثهم أبعد وأبطل وقرئ أو آباؤنا (قل نعم) وقرئ نعم بكسر العين وهما لغتان وقرئ قال نعم أي الله تعالى أو الرسول صلى الله عليه وسلم والمعنى نعم تبعثون (وأنتم داخرون) صاغرون (فإنما) جواب شرط مقدر وتقديره إذا كان ذلك فما (هي إلا زجرة واحدة) وهي لا ترجع إلى شيء إنما هي مبهمة موضحها خبرها ويجوز فإنما البعثة زجرة واحدة وهي النفخة الثانية والزجرة الصيحة من قولك زجر الراعي الإبل أو الغنم إذا صاح عليها فرعت لصوته ومنه قوله

زجر أبي عروة السباع إذا * أشفق أن يختلطن بالغنم

يريد تصويته بها (فإذا هم) أحياء بصراء (ينظرون) يحتمل أن يكون (هذا يوم الدين) إلى قوله احشروا من كلام الكفرة بعضهم مع بعض وأن يكون من كلام الملائكة لهم وأن يكون يا ويلنا هذا يوم الدين كلام الكفرة و (هذا يوم الفصل) من كلام الملائكة جوابا لهم ويوم الدين اليوم الذي ندان فيه أي نجازى بأعمالنا ويوم الفصل يوم القضاء والفرق بين فرق الهدى والضلالة (احشروا) خطاب الله للملائكة أو خطاب بعضهم مع بعض (وأزواجهم) وضرباءهم عن النبي صلى الله عليه وسلم وهم نظراؤهم وأشباههم من العصاة أهل الزنا مع أهل الزنا وأهل السرقة مع أهل السرقة وقيل قرناؤهم من الشياطين وقيل نساؤهم اللاتي على دينهم (فاهدوهم) فعرفوهم طريق النار حتى يسلكوها * هذا تهكم بهم وتوبيخ لهم بالعجز عن التناصر بعدما كانوا

إلى خلاف ذلك في الدنيا متعاضدين متناصرين (بل هم اليوم مستسلمون) قد أسلم بعضهم بعضا وخذله عن عجز فكلهم مستسلم غير منتصر * وقرئ لا تتناصرون ولا تناصرون بالادغام * اليمين لما كانت أشرف العضوين وأمتنهما وكانوا يتيمنون بها فبها يصافحون ويماسحون ويناولون ويتناولون ويزاولون أكثر الأمور ويتشاءمون بالشمال ولذلك سموها الشؤمى كما سموا أختها اليمنى وتيمنوا بالسانح وتطيروا بالبارح وكان الأعسر معيبا عندهم وعضدت الشريعة ذلك فأمرت بمباشرة أفاضل الأمور باليمين وأراذلها بالشمال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب التيامن في كل شئ وجعلت اليمين لكاتب الحسنات والشمال لكاتب السيآت ووعد المحسن أن يؤتى كتابه بيمينه والمسئ أن يؤتاه بشماله استعيرت لجهة الخير وجانبه فقيل أتاه عن اليمين أي من قبل الخير وناحيته فصده عنه وأضله وجاء في بعض التفاسير من أتاه الشيطان من جهة اليمين أتاه من جهة الدين فلبس عليه الحق ومن أتاه من جهة الشمال أتاه من قبل الشهوات ومن أتاه من بين يديه أتاه من قبل التكذيب بالقيامة وبالثواب والعقاب ومن أتاه من خلفه خوفه الفقر على نفسه وعلى من يخلف بعده فلم يصل رحما ولم يؤد زكاة (فإن قلت) قولهم أتاه من جهة الخير وناحيته مجاز في نفسه فكيف جعلت اليمين مجازا عن المجاز (قلت) من المجاز ما غلب في الاستعمال حتى لحق بالحقائق وهذا من ذلك ولك أن تجعلها مستعارة للقوة والقهر لأن اليمين موصوفة بالقوة وبها يقع البطش والمعنى أنكم كنتم تأتوننا عن القوة والقهر وتقصدوننا عن السلطان والغلبة حتى تحملونا على الضلال وتقسرونا عليه وهذا من خطاب الأتباع لرؤسائهم والغواة لشياطينهم (بل لم تكونوا مؤمنين) بل أبيتم أنتم الإيمان وأعرضتم عنه مع تمكنكم منه مختارين له على الكفر غير ملجئين إليه (وما كان لنا عليكم) من تسلط نسلبكم به تمكنكم واختياركم (بل كنتم قوما) مختارين الطغيان (فحق علينا) فلزمنا (قول ربنا إنا لذائقون) يعني وعيد الله بأنا ذائقون لعذابه لا محالة لعلمه بحالنا واستحقاقنا بها العقوبة ولو حكى الوعيد كما هو لقال إنكم لذائقون ولكنه عدل به إلى لفظ المتكلم لأنهم متكلمون بذلك عن أنفسهم ونحوه قول القائل

* لقد زعمت هوازن قل مالي * ولو حكى قولها لقال قل مالك ومنه قول الحالف للحالف احلف لأخرجن ولتخرجن الهمزة لحكاية لفظ الحالف والتاء لإقبال المحلف على المحلف (فأغويناكم) فدعوناكم إلى الغي دعوة محصلة للبغية لقبولكم إياها واستحبابكم الغي على الرشد (إنا كنا غاوين) فأردنا غوايتكم لتكونوا أمثالنا (فإنهم) فإن الأتباع والمتبوعين جميعا (يومئذ) يوم القيامة مشتركون في العذاب كما كانوا مشتركين في الغواية (إنا) مثل ذلك الفعل (نفعل) بكل مجرم يعني أن سبب العقوبة هو الإجرام فمن ارتكبه استوجبها (إنهم كانوا إذا) سمعوا بكلمة التوحيد نفروا واستكبروا وعنها وأبوا إلا الشرك (لشاعر مجنون) يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم (بل جاء بالحق) رد على المشركين (وصدق المرسلين) كقوله مصدقا لما بين يديه * وقرئ لذائقوا العذاب بالنصب على تقدير النون كقوله * ولا ذاكر الله إلا قليلا * بتقدير التنوين * وقرئ على الأصل لذائقون العذاب (إلا ما كنتم تعملون) إلا مثل ما عملتم جزاء سيئا بعمل سيء (إلا عباد الله) ولكن عباد الله على الاستثناء المنقطع * فسر الرزق المعلوم بالفواكه وهي كل ما يتلذذ به ولا يتقوت لحفظ الصحة يعني أن رزقهم كله فواكه لأنهم مستغنون عن حفظ الصحة بالأقوات بأنهم أجسام محكمة مخلوقة للأبد فكل ما يأكلونه يأكلونه على سبيل التلذذ ويجوز أن يراد رزق معلوم منعوت بخصائص خلق عليها من طيب طعم ورائحة ولذة وحسن منظر وقيل معلوم الوقت كقوله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا وعن قتادة الرزق المعلوم الجنة وقوله في جنات يأباه وقوله (وهم مكرمون) هو الذي يقوله العلماء في حد الثواب على سبيل المدح والتعظيم وهو من أعظم ما يجب أن تتوق إليه نفوس ذوي الهمم كما أن من أعظم ما يجب أن تنفر عنه نفوسهم هوان أهل النار وصغارهم * التقابل أتم للسرور وآنس وقيل لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض * قال الزجاج في الخمر كأس وتسمى الخمر نفسها كأسا قال * وكأس شربت على لذة * وعن الأخفش كل كأس في القرآن فهي الخمر وكذا في تفسير ابن عباس (من معين) من شراب معين أو من نهر معين وهو الجاري على وجه الأرض الظاهر

بل هم اليوم مستسلمون
وأقبل بعضهم على
بعض يتساءلون قالوا
إنكم كنتم تأتوننا عن
اليمين قالوا بل لم تكونوا
مؤمنين وما كان لنا
عليكم من سلطان بل
كنتم قوما طاغين فحق
علينا قول ربنا إنا
لذائقون فأغويناكم
إنا كنا غاوين فإنهم
يومئذ في العذاب
مشتركون إنا كذلك
نفعل بالمجرمين إنهم
كانوا إذا قيل لهم لا إله
إلا الله يستكبرون
ويقولون أئنا لتاركوا
آلهتنا لشاعر مجنون
بل جاء بالحق وصدق
المرسلين إنكم لذائقوا
العذاب الأليم وما
تجزون إلا ما كنتم
تعملون إلا عباد الله
المخلصين أولئك لهم
رزق معلوم فواكه
وهم مكرمون في جنات
النعيم على سرر متقابلين
يطاف عليهم بكأس
من معين

للعيون ووصف بما يوصف به الماء لانه يجري في الجنة في أنهار كما يجري الماء قال الله تعالى وأنهار من خمر (بيضاء) صفة الكأس (لذة) اما أن توصف باللذة كأنها نفس اللذة وعينها أو هي تأنيث اللذ يقال لذ الشيء فهو لذ ولذيذ ووزنه فعل كقولك رجل طب قال

ولذ كطعم الصرخدي تركته * بأرض العدا من خشية الحدثان

يريد النوم * الغول من غاله يغوله غولا اذا أهلكه وأفسده ومنه الغول الذي في تكاذيب العرب وفي أمثالهم الغضب غول الحلم (ينزفون) على البناء للمفعول من نزف الشارب اذا ذهب عقله ويقال للسكران نزيف ومنزوف ويقال للمطعون نزف فمات اذا خرج دمه كله ونزحت الركية حتى نزفتها اذا لم تترك فيها ماء وفي أمثالهم أجبن من المنزوف ضرطا وقرئ ينزفون من أنزف الشارب اذا ذهب عقله أو شرابه قال

لعمري لئن أنزفتم أو صحوتم * لبئس الندامى كنتم آل أبجرا

ومعناه صار ذا نزف ونظيره أقشع السحاب وقشعته الريح وأكب الرجل وكببته وحقيقتهما دخلا في القشع والكب وفي قراءة طلحة بن مصرف ينزفون بضم الزاي من نزف ينزف كقرب يقرب اذا سكر والمعنى لا فيها فساد قط من أنواع الفساد التي تكون في شرب الخمر من مغص أو صداع أو خمار أو عربدة أو لغو أو تأثيم أو غير ذلك ولا هم يسكرون وهو أعظم مفاسدها فأفرزه وأفرده بالذكر (قاصرات الطرف) قصرن أبصارهن على أزواجهن لا يمددن طرفا الى غيرهم كقوله تعالى عربا * والعين النجل العيون شبههن ببيض النعام المكنون في الأداحي وبها تشبه العرب النساء وتسميهن بيضات الخدور (فان قلت) علام عطف قوله (فأقبل بعضهم على بعض) (قلت) على يطاف عليهم والمعنى يشربون فيتحادثون على الشراب كعادة الشرب قال

وما بقيت من اللذات الا * أحاديث الكرام على المدام

فيقبل بعضهم على بعض (يتساءلون) عما جرى لهم وعليهم في الدنيا الا أنه جيء به ماضيا على عادة الله في أخباره * قرئ من المصدقين من التصديق ومن المصدقين بتشديد الصاد من التصدق وقيل نزلت في رجل تصدق بماله لوجه الله فاحتاج فاستجدى بعض اخوانه فقال وأين مالك قال تصدقت به ليعوضني الله به في الآخرة خيرا منه فقال أئنك لمن المصدقين بيوم الدين أو من المتصدقين لطلب الثواب والله لا أعطيك شيأ (لمدينون) لمجزيون من الدين أو الجزاء أو لمسوسون مربوبون يقال دانه ساسه ومنه الحديث العاقل من دان نفسه (قال) يعني ذلك القائل (هل أنتم مطلعون) الى النار لأريكم ذلك القرين قيل ان في الجنة كوى ينظر أهلها منها الى أهل النار وقيل القائل هو الله عز وجل وقيل بعض الملائكة يقول لأهل الجنة هل تحبون أن تطلعوا فتعلموا أين منزلتكم من منزلة أهل النار وقرئ مطلعون فاطلع وفأطلع بالتشديد على لفظ الماضي والمضارع المنصوب ومطلعون فاطلع وفأطلع بالتخفيف على لفظ الماضي والمضارع المنصوب يقال طلع علينا فلان واطلع وأطلع بمعنى واحد والمعنى هل أنتم مطلعون الى القرين فاطلع أنا أيضا أو عرض عليهم الاطلاع فاعترضوه فاطلع هو بعد ذلك وان جعلت الاطلاع من أطلعه غيره فالمعنى أنه لما شرط في اطلاعه اطلاعهم وهو من آداب المجالسة أن لا يستبد بشيء دون جلسائه فكأنهم مطلعوه وقيل الخطاب على هذا للملائكة وقرئ مطلعون بكسر النون أراد مطلعون اياي فوضع المتصل موضع المنفصل كقوله * هم الفاعلون الخير والآمرونه * أو شبه اسم الفاعل في ذلك بالمضارع لتآخ بينهما كأنه قال تطلعون وهو ضعيف لا يقع الا في الشعر (في سواء الجحيم) في وسطها يقال تعبت حتى انقطع سوائي وعن أبي عبيدة قال لي عيسى بن عمر كنت أكتب يا أبا عبيدة حتى ينقطع سوائي (ان) مخففة من الثقيلة وهي تدخل على كاد كما تدخل على كان ونحوه ان كاد ليضلنا واللام هي الفارقة بينها وبين النافية * والارداء الاهلاك وفي قراءة عبد الله لتغوين (نعمة ربي) هي العصمة والتوفيق في الاستمساك بعروة الاسلام والبراءة من قرين السوء أو انعام الله بالثواب وكونه من أهل الجنة (من المحضرين) من الذين أحضروا العذاب كما أحضرته أنت وأمثالك * الذي عطفت عليه الفاء محذوف معناه أنحن مخلدون منعمون فما نحن بميتين ولا معذبين وقرئ بمائتين والمعنى أن هذه حال المؤمنين صفتهم

بيضاء لذة للشاربين لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون وعندهم قاصرات الطرف عين كأنهن بيض مكنون فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون قال قائل منهم اني كان لي قرين يقول أئنك لمن المصدقين أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمدينون قال هل أنتم مطلعون فاطلع فرآه في سواء الجحيم قال تالله ان كدت لتردين ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين أفما نحن بميتين الا موتتنا الاولى وما نحن بمعذبين

* قوله تبارك وتعالى يطاف عليهم بكأس من معين الى قوله فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون (قال) فيه معناه يتساءلون فيتحادثون على الشراب كعادة الشرب
وما بقيت من اللذات الا
أحاديث الكرام على الشراب
* قوله تعالى هل أنتم مطلعون (قال) فأطلع على صيغة المضارع المنصوب قال في وجه هذه القراءة ان معناها انه لا يستبد بأمر دونهم فشرط في اطلاعه اطلاعهم وذلك من آداب المجالسة

وما قضى الله به لهم العلم بأعمالهم أن لا يذوقوا الا الموتة الاولى بخلاف الكفار فانهم فيما يتمنون فيه الموت كل ساعة وقيل لبعض الحكماء ما شر من الموت قال الذى يتمنى فيه الموت يقوله المؤمن تحدثا بنعمة الله واغتباطا بحاله وبمسمع من قرينه ليكون توبيخا له يزيده تعذيبا وليحكيه الله فيكون لنا لطفا وزاجرا ويجوز أن يكون قولهم جميعا وكذلك قوله (ان هذا لهو الفوز العظيم) أى ان هذا الامر الذى نحن فيه وقيل هو من قول الله عز وجل تقريرا لقولهم وتصديقا له وقرئ لهو الرزق العظيم وهو ما رزقوه من السعادة تمت قصة المؤمن وقرينه ثم رجع الى ذكر الرزق المعلوم فقال (أذلك) الرزق (خير نزلا) أى خير حاصلا (أم شجرة الزقوم) وأصل النزل الفضل والريع فى الطعام يقال طعام كثير النزل فاستعير للحاصل من الشىء وحاصل الرزق المعلوم اللذة والسرور وحاصل شجرة الزقوم الالم والغم وانتصاب نزلا على التمييز ولك أن تجعله حالا كما تقول أثمر النخلة خير بلحا أم رطبا يعنى أن الرزق المعلوم نزل أهل الجنة وأهل النار نزلهم شجرة الزقوم فأيهما خير فى كونه نزلا والنزل ما يقام للنازل بالمكان من الرزق ومنه انزال الجند لارزاقهم كما يقال لما يقام لساكن الدار السكن ومعنى الاول أن للرزق المعلوم نزلا ولشجرة الزقوم نزلا فأيهما خير نزلا ومعلوم انه لا خير فى شجرة الزقوم ولكن المؤمنين لما اختاروا ما أدى الى الرزق المعلوم واختار الكافرون ما أدى الى شجرة الزقوم قيل لهم ذلك توبيخا على سوء اختيارهم (فتنة للظالمين) محنة وعذابا لهم فى الآخرة أو ابتلاء لهم فى الدنيا وذلك أنهم قالوا كيف يكون فى النار شجرة والنار تحرق الشجر فكذبوا وقرئ نابتة (فى أصل الجحيم) قيل منبتها فى قعر جهنم وأغصانها ترتفع الى دركاتها * والطلع للنخلة فاستعير لما طلع من شجرة الزقوم من حملها اما استعارة لفظية أو معنوية وشبه برؤس الشياطين دلالة على تناهيه فى الكراهة وقبح المنظر لان الشيطان مكروه مستقبح فى طباع الناس لاعتقادهم أنه شر محض لا يخلطه خير فيقولون فى القبيح الصورة كأنه وجه شيطان كأنه رأس شيطان واذا صوره المصورون جاؤا بصورته على أقبح ما يقدر وأهوله كما أنهم اعتقدوا فى الملك أنه خير محض لا شر فيه فشبهوا به الصورة الحسنة قال الله تعالى ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم وهذا تشبيه تخييلى وقيل الشيطان حية عرفاء لها صورة قبيحة المنظر هائلة جدا وقيل ان شجرا يقال له الاستن خشنا منتنا مرا منكر الصورة يسمى ثمره رؤس الشياطين وما سمت العرب هذا الثمر برؤس الشياطين الا قصدا الى أحد التشبيهين ولكنه بعد التسمية بذلك رجع أصلا ثالثا للتشبيه (منها) من الشجرة أى من طلعها (فمالئون) بطونهم لما يغلبهم من الجوع الشديد أو يقسرون على أكلها وان كرهوها ليكون بابا من العذاب فاذا شبعوا غلبهم العطش فيسقون شرابا من غساق أو صديد * شوبه أى مزاجه (من حميم) يشوى وجوههم ويقطع أمعاءهم كما قال فى صفة شراب أهل الجنة ومزاجه من تسنيم * وقرئ لشوبا بالضم وهو اسم ما يشاب به والاول تسمية بالمصدر (فان قلت) ما معنى حرف التراخى فى قوله ثم ان لهم عليها لشوبا وفى قوله (ثم ان مرجعهم) (قلت) فى الاول وجهان أحدهما أنهم يملؤن البطون من شجر الزقوم وهو حار يحرق بطونهم ويعطشهم فلا يسقون الا بعد ملى تعذيبا بذلك العطش ثم يسقون ما هو أحر وهو الشراب المشوب بالحميم والثانى أنه ذكر الطعام بتلك الكراهة والبشاعة ثم ذكر الشراب بما هو أكره وأبشع فجاء بثم للدلالة على تراخى حال الشراب عن حال الطعام ومباينة صفته لصفته فى الزيادة عليه ومعنى الثانى أنهم يذهب بهم عن مقارهم ومنازلهم فى الجحيم وهى الدركات التى أسكنوها الى شجرة الزقوم فيأكلون الى أن يتملؤا ويسقون بعد ذلك ثم يرجعون الى دركاتهم ومعنى التراخى فى ذلك بين وقرئ ثم ان منقلبهم ثم ان مصيرهم ثم ان منقلبهم الى الجحيم * علل استحقاقهم للوقوع فى تلك الشدائد كلها بتقليد الآباء فى الدين واتباعهم اياهم على الضلال وترك اتباع الدليل * والاهراع الاسراع الشديد كأنهم يحثون حثا وقيل اسراع فيه شبه بالرعدة (ولقد ضل قبلهم) قبل قومك قريش (منذرين) أنبياء حذروهم العواقب (المنذرين) الذين أنذروا وحذروا أى أهلكوا جميعا (الا عباد الله) الذين آمنوا منهم وأخلصوا دينهم أو أخلصهم الله لدينه على القراءتين * لما ذكر ارسال المنذرين فى الامم الخالية وسوء عاقبة المنذرين

ان هذا لهو الفوز العظيم لمثل هذا فليعمل العاملون أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم انا جعلناها فتنة للظالمين انها شجرة تخرج فى أصل الجحيم طلعها كأنه رؤس الشياطين فانهم لآكلون منها فمالئون منها البطون ثم ان لهم عليها لشوبا من حميم ثم ان مرجعهم لالى الجحيم انهم ألفوا آباءهم ضالين فهم على آثارهم يهرعون ولقد ضل قبلهم أكثر الاولين ولقد أرسلنا فيهم منذرين فانظر كيف كان عاقبة المنذرين الا عباد الله المخلصين ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون ونجيناه وأهله من الكرب العظيم وجعلنا ذريته

ذلك ذكر نوح ودعاءه اياه حين ايس من قومه * واللام الداخلة على نعم جواب قسم محذوف والمخصوص بالمدح محذوف وتقديره فوالله لنعم المجيبون نحن والجمع دليل العظمة والكبرياء والمعنى انا أجبناه أحسن الاجابة وأوصلها الى مراده وبغيته من نصرته على أعدائه والانتقام منهم بابلغ ما يكون (هم الباقين) هم الذين بقوا وحدهم وقد فنى غيرهم فقد روى أنه مات كل من كان معه في السفينة غير ولده أو هم الذين بقوا متناسلين الى يوم القيامة قال قتادة الناس كلهم من ذرية نوح وكان لنوح عليه السلام ثلاثة أولاد سام وحام ويافث فسام أبو العرب وفارس والروم وحام أبو السودان من المشرق الى المغرب ويافث أبو الترك ويأجوج ومأجوج (وتركنا عليه في الآخرين) من الامم هذه الكلمة وهي (سلام على نوح) يعني يسلمون عليه تسليما ويدعون له وهو من الكلام المحكي كقولك قرأت سورة أنزلناها (فان قلت) فما معنى قوله (في العالمين) (قلت) معناه الدعاء بثبوت هذه التحية فيهم جميعا وأن لا يخلو أحد منهم منها كأنه قيل ثبت الله التسليم على نوح وأدامه في الملائكة والثقلين يسلمون عليه عن آخرهم * علل مجازاة نوح عليه السلام بتلك التكرمة السنية من تبقية ذكره وتسليم العالمين عليه الى آخر الدهر بأنه كان محسنا ثم علل كونه محسنا بانه كان عبدا مؤمنا ليريك جلالة محل الايمان وأنه القصارى من صفات المدح والتعظيم ويرغبك في تحصيله والازدياد منه (من شيعته) ممن شايعه على أصول الدين وان اختلفت شرائعهما أو شايعه على التصلب في دين الله ومصابرة المكذبين ويجوز أن يكون بين شريعتيهما اتفاق في أكثر الاشياء وعن ابن عباس رضي الله عنهما من أهل دينه وعلى سنته وما كان بين نوح وابراهيم الا نبيان هود وصالح وكان بين نوح وابراهيم ألفان وستمائة وأربعون سنة (فان قلت) بم تعلق الظرف (قلت) بما في الشيعة من معنى المشايعة يعني وان ممن شايعه على دينه وتقواه حين جاء ربه بقلب سليم لابراهيم أو بمحذوف وهو اذكر (بقلب سليم) من جميع آفات القلوب وقيل من الشرك ولا معنى للتخصيص لانه مطلق فليس بعض الآفات أولى من بعض فيتناولها كلها (فان قلت) ما معنى المجيء بقلبه ربه (قلت) معناه أنه أخلص لله قلبه وعرف ذلك منه فضرب المجيء مثلا لذلك (أئفكا) مفعول له تقديره أتريدون آلهة من دون الله افكا وانما قدم المفعول على الفعل للعناية وقدم المفعول له على المفعول به لانه كان الاهم عنده أن يكافحهم بانهم على افك وباطل في شركهم ويجوز أن يكون افكا مفعولا يعني أتريدون به افكا ثم فسر الافك بقوله آلهة من دون الله على أنها افك في أنفسها ويجوز أن يكون حالا بمعنى أتريدون آلهة من دون الله آفكين (فما ظنكم) بمن هو الحقيق بالعبادة لان من كان رب العالمين استحق عليهم أن يعبدوه حتى تركتم عبادته الى عبادة الاصنام والمعنى انه لا يقدر في وهم ولا ظن ما يصد عن عبادته أو فما ظنكم به أي شئ هو من الاشياء حتى جعلتم الاصنام له أندادا أو فما ظنكم به ماذا يفعل بكم وكيف يعاقبكم وقد عبدتم غيره (في النجوم) في علم النجوم أو في كتابها أو في أحكامها وعن بعض الملوك أنه سئل عن مشتهاه فقال حبيب أنظر اليه ومحتاج أنظر له وكتاب أنظر فيه كان القوم نجامين فأوهمهم أنه استدل بامارة في علم النجوم على أنه سقيم (فقال اني سقيم) اني مشارف للسقم وهو الطاعون وكان أغلب الاسقام عليهم وكانوا يخافون العدوى ليتفرقوا عنه فهربوا منه الى عيدهم وتركوه في بيت الاصنام ليس معه أحد ففعل بالاصنام ما فعل (فان قلت) كيف جاز له أن يكذب (قلت) قد جوزه بعض الناس في المكيدة في الحرب والتقية وارضاء الزوج والصلح بين المتخاصمين والمتهاجرين والصحيح أن الكذب حرام الا اذا عرض وورى والذي قاله ابراهيم عليه السلام معراض من الكلام ولقد نوى به أن من في عنقه الموت سقيم ومنه المثل كفى بالسلامة داء وقول لبيد

فدعوت ربي بالسلامة جاهدا * ليصحني فاذا السلامة داء

ومات رجل فجأة فالتف عليه الناس وقالوا مات وهو صحيح فقال أعرابي أصحيح من الموت في عنقه وقيل (من) سقيم النفس لكفركم (فراغ الى آلهتهم) فذهب اليها في خفية من روغة الثعلب الى آلهتهم الى التي هي في زعمهم آلهة كقوله تعالى أين شركائي (ألا تأكلون مالكم لا تنطقون) استهزاء بها

هم الباقين وتركنا عليه في الآخرين سلام على نوح في العالمين انا كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين ثم أغرقنا الآخرين وان من شيعته لابراهيم اذ جاء ربه بقلب سليم اذ قال لابيه وقومه ماذا تعبدون أئفكا آلهة دون الله تريدون فما ظنكم برب العالمين فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم فتولوا عنه مدبرين فراغ الى آلهتهم فقال ألا تأكلون مالكم لا تنطقون

قوله تعالى والله خلقكم وما تعملون (قال) فيه يعني خلقكم وما تعملون من الاصنام كقوله بل ربكم رب السموات والارض الذي فطرهن فان قلت كيف يكون الشيء الواحد مخلوقا لله تعالى معمولا لهم * وأجاب بان هذا كما يقال عمل النجار الباب فالمراد عمل شكله لا جوهره وكذلك الاصنام جواهرها مخلوقة لله تعالى واشكالها وصورها معمولة لهم * فان قلت ما منعك أن تكون ما مصدرية لا موصولة ويكون المعنى والله خلقكم وعملكم كما تقول المجبرة * وأجاب بان أقرب ما يبطل به هذا السؤال بعد بطلانه بالحجج العقلية أن معنى الآية يأباه فان الله تعالى (٣٦٦) احتج عليهم بانه خلق العابد والمعبود فكيف يعبد المخلوق المخلوق على أن العابد منهما هو الذي عمل صورة المعبود * قال ولو قلت والله خلقكم وعملكم لم يكن الكلام طباق وشيء آخر وهو ان قوله وما تعملون ترجمة في قوله أتعبدون ما تنحتون ولا مقال في ان ما هذه موصولة فالتفرقة بينهما تعسف وتعصب * قال فان قلت أجعلها موصولة ومعناها وما تعملونه من أعمالكم

فراغ عليهم ضربا باليمين فاقبلوا اليه يزفون قال أتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه

وحينئذ توافق الاولى في أنها موصولة فلا يلزمني التفرقة بينهما وأجاب فقال بل الالزامان في عنقك لا يفكهما الا الاذعان للحق وذلك انك وان جعلتها موصولة فهي واقعة عندك على المصدر الذي هو جوهر الجسم وفي ذلك فك النظم وتبتير

وبأغطاطها عن حال عبدتها (فراغ عليهم) فاقبل عليهم مستخفيا كانه قال فضربهم (ضربا) لان راغ عليهم بمعنى ضربهم أو فراغ عليهم يضربهم ضربا أو فراغ عليهم ضربا بمعنى ضاربا وقرئ صفقا وسفقا ومعناهما الضرب ومعنى ضربا (باليمين) ضربا شديدا قويا لان اليمين أقوى الجارحتين وأشدهما وقيل بالقوة والمتانة وقيل بسبب الحلف وهو قوله تالله لأكيدن أصنامكم (يزفون) يسرعون من زفيف النعام ويزفون من أزف اذا دخل في الزفيف أو من أزفه اذا حمله على الزفيف أي يزف بعضهم بعضا ويزفون على البناء للمفعول أي يحملون على الزفيف ويزفون من وزف يزف اذا أسرع ويزفون من زفاه اذا حداه كأن بعضهم يزفوا بعضا لتسارعهم اليه (فان قلت) بين هذا وبين قوله تعالى قالوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم كالتناقض حيث ذكر ههنا أنهم أدبروا عنه خيفة العدوى فلما أبصروه يكسرهم أقبلوا اليه متبادرين ليكفوه ويوقعوا به وذكر ثم أنهم سألوا عن الكاسر حتى قيل لهم سمعنا ابراهيم يذمهم فلعله هو الكاسر ففي أحدهما أنهم شاهدوه يكسرها وفي الآخر انهم استدلوا بذمه على أنه الكاسر (قلت) فيه وجهان أحدهما أن يكون الذين أبصروه وزفوا اليه نفرا منهم دون جمهورهم وكبرائهم فلما رجع الجمهور والعلية من عيدهم الى بيت الاصنام ليأكلوا الطعام الذي وضعوه عندها للتبرك عليه ورأوها مكسورة اشمأزوا من ذلك وسألوا من فعل هذا بها ثم لم ينم عليه أولئك النفر نميمة صريحة ولكن على سبيل التورية والتعريض بقولهم سمعنا فتى يذكرهم لبعض الصوارف والثاني أن يكسرها ويذهب ولا يشعر بذلك أحد ويكون اقبالهم اليه يزفون بعد رجوعهم من عيدهم وسؤالهم عن الكاسر وقولهم فأتوا به على أعين الناس (والله خلقكم وما تعملون) يعني خلقكم وخلق ما تعملونه من الاصنام كقوله بل ربكم رب السموات والارض الذي فطرهن أي فطر الاصنام (فان قلت) كيف يكون الشيء الواحد مخلوقا لله معمولا لهم حيث أوقع خلقه وعملهم عليها جميعا (قلت) هذا كما يقال عمل النجار الباب والكرسي وعمل الصائغ السوار والخلخال والمراد عمل أشكال هذه الاشياء وصورها دون جواهرها والاصنام جواهر وأشكال فخالق جواهرها الله وعاملو أشكالها الذين يشكلونها بنحتهم وحذفهم بعض أجزائها حتى يستوي التشكيل الذي يريدونه (فان قلت) فما أنكرت أن تكون ما مصدرية لا موصولة ويكون المعنى والله خلقكم وعملكم كما تقول المجبرة (قلت) أقرب ما يبطل به هذا السؤال بعد بطلانه بحجج العقل والكتاب أن معنى الآية يأباه اباء جليا وينبو عنه نبوا ظاهرا وذلك أن الله عز وجل قد احتج عليهم بان العابد والمعبود جميعا خلق الله فكيف يعبد المخلوق المخلوق على ان العابد منهما هو الذي عمل صورة المعبود وشكله ولولاه لما قدر أن يصور نفسه ويشكلها ولو قلت والله خلقكم وخلق عملكم لم يكن محتجا عليهم ولا كان لكلامك طباق وشيء آخر وهو أن قوله وما تعملون ترجمة عن قوله ما تنحتون وما في ما تنحتون موصولة لا مقال فيها فلا يعدل بها عن أختها الا متعسف متعصب لمذهبه من غير نظر في علم البيان ولا تبصر لنظم القرآن (فان قلت) اجعلها موصولة حتى لا يلزمني ما ألزمت وأريد وما تعملونه من أعمالكم (قلت) بل الالزامان في عنقك لا يفكهما الا الاذعان للحق وذلك انك وان جعلتها

كما لو جعلتها مصدرية انتهى كلامه (قلت) اذا جاء سيل الله ذهب سيل معقل فنقول يتعين حملها على المصدرية وذلك موصولة انهم لم يعبدوا هذه الاصنام من حيث كونها حجارة ليست مصورة فلو كان كذلك لم يتعلقوا في تصويرها ولا اختصوا بعبادتهم حجرا دون حجر فدل أنهم انما يعبدونها باعتبار أشكالها وصورها التي هي أثر عملهم ففي الحقيقة انهم عبدوا عملهم وصلحت الحجة عليهم بانهم مثل أن المعبود مكتسب العابد وعمله فقد ظهر أن الحجة قائمة عليهم على تقدير أن تكون ما مصدرية أوضح قيام وأبلغه فاذا أثبت

فليتضح كلامه بالابطال أما قوله انها موصولة وان المراد بعملهم لها عمل أشكالها فخالف الظاهر فانه مفتقر الى حذف مضاف في موضع اللبس يكون تقديره والله خلقكم وما تعملون شكله وصورته بخلاف توجيه أهل السنة فانه غير مفتقر الى حذف البتة ثم اذا جعل المعبود نفس الجوهر فكيف يطابق توبيخهم ببيان أن المعبود من عمل العابد مع موافقته (٢٦٧) على أن جواهر الاصنام ليست من عملهم فما هو من عملهم وهو الشكل ليس معبودا لهم على هذا التأويل وما هو معبودهم وهو جوهر الصنم ليس من عملهم فلم يستقر له قرار في أن المعبود على تأويله من عمل العابد وعلى ما قررناه يتضح

موصولة فانك في ارادتك بها العمل غير محتج على المشركين كحالك وقد جعلتها مصدرية وأيضا فانك قاطع بذلك الوصلة بين ما تعملون وما تنحتون حيث تخالف بين المرادين بهما فتريد بما تنحتون الاعيان التي هي الاصنام وبما تعملون المعاني التي هي الاعمال وفي ذلك فك النظم وتبتيره كما اذا جعلتها مصدرية (الجحيم) النار الشديدة الوقود وقيل كل نار على نار وجمر فوق جمر فهي جحيم * والمعنى أن الله تعالى غلبه عليهم في المقامين جميعا وأذلهم بين يديه أرادوا أن يغلبوه بالحجة فلقنه الله وألهمه ما ألقمهم به الحجر وقهرهم فمالوا الى المكر فأبطل الله مكرهم وجعلهم الاذلين الاسفلين لم يقدروا عليه * أراد بذهابه الى ربه مهاجرته الى حيث أمره بالمهاجرة اليه من أرض الشام كما قال اني مهاجر الى ربي (سيهدين) سيرشدني الى ما فيه صلاحي في ديني ويعصمني ويوفقني كما قال موسى عليه السلام كلا ان معي ربي سيهدين كأن الله وعده وقال له سأهديك فأجرى كلامه على سنن موعد ربه أو بناه على عادة الله تعالى معه في هدايته وارشاده أو أظهر بذلك توكله وتفويضه أمره الى الله ولو قصد الرجاء والطمع لقال كما قال موسى عليه السلام عسى ربي أن يهديني سواء السبيل (هب لي من الصالحين) هب لي بعض الصالحين يريد الولد لان لفظ الهبة غلب في الولد وان كان قد جاء في الاخ في قوله تعالى ووهبنا له من رحمتنا أخاه هرون نبيا قال عز وجل ووهبنا له اسحق ويعقوب ووهبنا له يحيى وقال علي بن أبي طالب لابن عباس رضي الله عنهم حين هنأه بولده علي أبي الاملاك شكرت الواهب وبورك لك في الموهوب ولذلك وقعت التسمية بهبة الله وبموهوب ووهب وموهب * وقد انطوت البشارة على ثلاث على أن الولد غلام ذكر وأنه يبلغ أوان الحلم وأنه يكون حليما وأي حلم أعظم من حلمه حين عرض عليه أبوه الذبح فقال ستجدني ان شاء الله من الصابرين ثم استسلم لذلك وقيل ما نعت الله الانبياء عليهم السلام بأقل مما نعتهم بالحلم وذلك لعزة وجوده ولقد نعت الله به ابراهيم في قوله ان ابراهيم لأواه حليم ان ابراهيم لحليم أواه منيب لان الحادثة شهدت بحلمهما جميعا * فلما بلغ أن يسعى مع أبيه في أشغاله وحوائجه (فان قلت) (معه) بم يتعلق (قلت) لا يخلو اما أن يتعلق ببلغ أو بالسعي أو بمحذوف فلا يصح تعلقه ببلغ لاقتضائه بلوغهما معا حد السعي ولا بالسعي لان صلة المصدر لا تتقدم عليه فبقي أن يكون بيانا كأنه لما قال فلما بلغ السعي أي الحد الذي يقدر فيه على السعي قيل مع من فقال مع أبيه والمعنى في اختصاص الاب أنه أرفق الناس به وأعطفهم عليه وغيره ربما عنف به في الاستسعاء فلا يحتمله لانه لم تستحكم قوته ولم يصلب عوده وكان اذ ذاك ابن ثلاث عشرة سنة والمراد أنه على غضاضة سنه وتقلبه في حد الطفولة كان فيه من رصانة الحلم وفسحة الصدر ما جسره على احتمال تلك البلية العظيمة والاجابة بذلك الجواب الحكيم * أتي في المنام فقيل له اذبح ابنك ورؤيا الانبياء وحي كالوحي في اليقظة فلهذا قال (اني أرى في المنام أني أذبحك) فذكر تأويل الرؤيا كما يقول الممتحن وقد رأى أنه راكب في سفينة رأيت في المنام أني ناج من هذه المحنة وقيل رأى ليلة التروية كأن قائلا يقول له ان الله يأمرك بذبح ابنك هذا فلما أصبح روى في ذلك من الصباح الى الرواح أمن الله هذا الحلم أو من الشيطان فمن ثم سمي يوم التروية فلما أمسى رأى مثل ذلك فعرف أنه من الله فمن ثم سمي يوم عرفة ثم رأى مثله في الليلة الثالثة فهم بنحره فسمي اليوم يوم النحر وقيل ان الملائكة حين بشرته بغلام حليم قال هو اذن ذبيح الله فلما ولد وبلغ حد السعي معه قيل له أوف بنذرك (فانظر ماذا ترى) من الرأي على وجه المشاورة وقرئ ماذا تري أي ماذا تبصر من رأيك وتبديه وماذا ترى على البناء للمفعول أي ماذا تريك نفسك من الرأي (افعل ما تؤمر) أي ما تؤمر به فحذف الجار كما حذف من قوله * أمرتك الخير فافعل ما أمرت به * أو أمرك على اضافة المصدر الى المفعول

في الجحيم فأرادوا به كيدا فجعلناهم الاسفلين وقال اني ذاهب الى ربي سيهدين رب هب لي من الصالحين فبشرناه بغلام حليم فلما بلغ معه السعي قال يا بني اني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين فلما أسلما

وأما قوله أن المطابقة تنفك على تأويل أهل السنة بين ما تنحتون وما تعملون فغير صحيح فان لنا أن نحمل الاولى على أنها مصدرية وانهم في الحقيقة انما عبدوا نحتهم لان هذه الاصنام وهي حجارة قبل النحت لم يكونوا يعبدونها فلما عملوا فيها النحت عبدوها ففي الحقيقة ما عبدوا سوى نحتهم الذي هو عملهم فالمطابقة اذا حاصلة والالزام على هذا أوقع وأمتن ولو كان كما قال لقامت لهم الحجة ولقالوا كما يقول الزمخشري مكافحين لقوله والله خلقكم وما تعملون بأن يقولوا لولا كرامة لا يخلق الله فعلنا نحن لانا انما عملنا التشكيل والتصوير وهذا لم يخلقه الله وكانوا يعبدون الذريعة الى اقتحام الحجة وبأن الله

وتسمية المأمور به أمراً وقرئ ماتؤمر به (فان قلت) لم شاوره في أمر هو حتم من الله (قلت) لم يشاوره ليرجع الى رأيه ومشورته ولكن ليعلم ماعنده فيما نزل به من بلاء الله فيثبت قدمه ويصبره ان جزع ويأمن عليه الزلل ان صبر وسلم وليعلمه حتى يراجع نفسه فيوطنها ويهوّن عليها ويلقى البلاء وهو كالمستأنس به ويكتسب المثوبة بالانقياد لامر الله قبل نزوله ولان المغافصة بالذبح مما يستسمج وليكون سنة في المشاورة فقد قيل لو شاور آدم الملائكة في أكله من الشجرة لما فرط منه ذلك (فان قلت) لم كان ذلك بالمنام دون اليقظة (قلت) كما أرى يوسف عليه السلام سجود أبويه واخوته له في المنام من غير وحي الى أبيه وكما وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم دخول المسجد الحرام في المنام وماسوى ذلك من منامات الانبياء وذلك لتقوية الدلالة على كونهم صادقين مصدوقين لان الحال اماحال يقظة أوحال منام فاذا تظاهرت الحالتان على الصدق كان ذلك أقوى للدلالة من انفراد أحدهما * يقال سلم لامر الله وأسلم واستسلم بمعنى واحد وقد قرئ بهن جميعا اذا انقاد له وخضع وأصلها من قولك سلم هذا لفلان اذا خلص له ومعناه سلم من أن ينازع فيه وقولهم سلم لامر الله وأسلم له منقولان منه وحقيقة معناها أخلص نفسه لله وجعلها سالمة له خالصة وكذلك معنى استسلم استخلص نفسه لله وعن قتادة في أسلما أسلم هذا ابنه وهذا نفسه (وتله للجبين) صرعه على شقه فوقع أحد جبينيه على الارض تواضعا على مباشرة الامر بصبر وجلد ليرضيا الرحمن ويخزيا الشيطان وروى أن ذلك كان عند الصخرة التي بمنى وعن الحسن في الموضع المشرف على مسجد منى وعن الضحاك في المنحر الذي ينحر فيه اليوم (فان قلت) أين جواب لما (قلت) هو محذوف تقديره فلما أسلما وتله للجبين (وناديناه أن ياابراهيم قد صدقت الرؤيا) كان ماكان مما تنطق به الحال ولا يحيط به الوصف من استبشارهما واغتباطهما وحمدهما لله وشكرهما على ماأنعم به عليهما من دفع البلاء العظيم بعد حلوله وما اكتسبا في تضاعيفه بتوطين الانفس عليه من الثواب والاعواض ورضوان الله الذي ليس وراءه مطلوب وقوله (انا كذلك نجزى المحسنين) تعليل لتخويل ماخولهما من الفرج بعد الشدة والظفر بالبغية بعد اليأس (البلاء المبين) الاختبار البين الذي يتميز فيه المخلصون من غيرهم أو المحنة البينة الصعوبة التي لامحنة أصعب منها * الذبح اسم مايذبح وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو الكبش الذي قربه هابيل فتقبل منه وكان يرعى في الجنة حتى فدى به اسمعيل وعن الحسن فدى بوعل أهبط عليه من ثبير وعن ابن عباس لو تمت تلك الذبيحة لكانت سنة وذبح الناس أبناءهم (عظيم) ضخم الجثة سمين وهي السنة في الاضاحي وقوله عليه السلام استشرفوا ضحاياكم فانها على الصراط مطاياكم وقيل لانه وقع فداء عن ولد ابراهيم وروى أنه هرب من ابراهيم عليه السلام عند الجمرة فرماه بسبع حصيات حتى أخذه فبقيت سنة في الرمي وروى أنه رمى الشيطان حين تعرض له بالوسوسة عند ذبح ولده وروى أنه لما ذبحه قال جبريل الله أكبر الله أكبر فقال الذبيح لا اله الا الله والله أكبر فقال ابراهيم عليه السلام الله أكبر ولله الحمد فبقى سنة وحكى في قصة الذبيح أنه حين أراد ذبحه قال يابنى خذ الحبل والمدية وانطلق بنا الى الشعب نحتطب فلما توسط الشعب أخبره بما أمر فقال له اشدد رباطى لا أضطرب واكفف عنى ثيابك لا ينتضح عليها من دمى فينقص أجرى وتراه أمى فتحزن واستحد شفرتك وأسرع امرارها على حلقى حتى تجهز على ليكون أهون فان الموت شديد واقرأ على أمي سلامى وان رأيت أن ترد قميصي على أمي فافعل فانه عسى أن يكون أسهل لها فقال ابراهيم عليه السلام نعم العون أنت يابنى على أمر الله ثم أقبل عليه يقبله وقد ربطه وهما يبكيان ثم وضع السكين على حلقه فلم تعمل لان الله ضرب صفيحة من نحاس على حلقه فقال له كبنى على وجهى فانك اذا نظرت وجهى رحمتنى وأدركتك رقة تحول بينك وبين أمر الله ففعل ثم وضع السكين على قفاه فانقلب السكين ونودى ياابراهيم قد صدقت الرؤيا فنظر فاذا جبريل عليه السلام معه كبش أقرن أملح فكبر جبريل والكبش وابراهيم وابنه وأتى المنحر من منى فذبحه وقيل لما وصل موضع السجود منه الى الارض جاء الفرج وقد استشهد أبو حنيفة رحمه الله بهذه الآية فيمن نذر ذبح ولده أنه يلزمه ذبح شاة (فان قلت) من كان الذبيح من ولديه (قلت) قد اختلف فيه فعن ابن عباس وابن عمر ومحمد بن كعب القرظي

وجماعة

وتله للجبين وناديناه أن ياابراهيم قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزى المحسنين ان هذا لهو البلاء المبين وفديناه بذبح عظيم وتركنا عليه في الآخرين سلام على ابراهيم

الآن تكون لنا الحجة البالغة ولهم الاكاذيب الفارغة فهذا الزام بل الجام لمن خالف السنة وغل بعنقه وعقر بكفه وضرب على يده حتى يرجع الى الحق آيبا ويعترف بخطئه تائبا

* قوله تعالى قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزي المحسنين ان هذا لهو البلاء المبين وفديناه بذبح عظيم (قال) فيه فان قلت قد أوحى الى ابراهيم في المنام أن يذبح ولده ولم يذبح وقيل له قد صدقت الرؤيا وانما كان يصدقها لو صح منه الذبح ولم يصح * فاجاب بأنه قد بذل وسعه وفعل ما يفعله الذابح من بطحه على شقه وامرار الشفرة على حلقه ولكن الله سبحانه منع الشفرة أن تمضي فيه وهذا لا يقدح في فعل ابراهيم الا ترى انه لا يسمى عاصيا ولا مفرطا بل يسمى مطيعا ومجتهدا كما لو مضت فيه الشفرة وفرت الاوداج وانهرت الدم وليس هذا من ورود النسخ على المأمور به قبل الفعل ولا قبل أوان الفعل في شيء كما يسبق الى بعض الاوهام (٢٦٩) حتى يشتغل بالكلام عليه انتهى كلامه (قلت) كل ما ذكرناه يدل على امتناع النسخ قبل التمكن من الفعل وتلك قاعدة المعتزلة وأما أهل السنة فيثبتون جوازه لان التكليف ثابت قبل التمكن من الفعل فجاز رفعه كالموت وأيضا فكل نسخ كذلك لان القدرة على الفعل عندنا مقارنة لا متقدمة ثم يثبتون وقوعه بهذه الآية ووجه الدليل منها ان ابراهيم عليه السلام أمر بالذبح بدليل افعل ما تؤمر ونسخ قبل التمكن بدليل العدول الى الفداء فان ثم تحوم الزمخشري على انه بذل غاية وسعه من بطحه على شقه وامرار الشفرة على حلقه وانما امتنعت بامر من الله تعالى وغرضه بذلك أحد أمرين اما أن يكون الامر انما توجه عليه بمقدمات الذبح وقد حصلت لا بنفس الذبح أو توجه الامر بنفس الذبح وتعاطيه ولكن لم يتمكن وكلا الامرين لا يخلصه أما قوله أمر بمقدمات الذبح فباطل بقوله اني أرى في المنام أني أذبحك وقوله افعل ما تؤمر وأما قوله لم يتمكن لان الشفرة منعت بامر من الله تعالى بعد تسليم الامر بالذبح فحاصله انه لم يتمكن من الذبح المأمور به فكان النسخ اذا قبل التمكن وهو عين ما أنكره المعتزلة ولما لم يكن في هذين الجوابين لهم الا مخلص لجأ بعضهم الى تسليم انه أمر بالذبح ودعوى أنه ذبح ولكنه كان يلتحم وهو باطل لا ثبوت له وسياق الآية يبطل دعواه ويقل ثناءه

وجماعة من التابعين أنه اسمعيل والحجة فيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أنا ابن الذبيحين وقال له أعرابي يا ابن الذبيحين فتبسم فسئل عن ذلك فقال ان عبد المطلب لما حفر بئر زمزم نذر لله لئن سهل الله أمرها ليذبحن أحد ولده فخرج السهم على عبد الله فمنعه أخواله وقالوا له افد ابنك بمائة من الابل ففداه بمائة من الابل والثاني اسمعيل وعن محمد بن كعب القرظي قال كان مجتهد بني اسرائيل يقول اذا دعا اللهم اله ابراهيم واسمعيل واسرائيل فقال موسى عليه السلام يا رب ما لمجتهد بني اسرائيل اذا دعا قال اللهم اله ابراهيم واسمعيل واسرائيل واني بين أظهرهم قد أسمعتني كلامك واصطفيتني برسالتك قال يا موسى لم يحبني أحد حب ابراهيم قط ولا خير بيني وبين شيء قط الا اختارني وأما اسمعيل فانه جاد بدم نفسه وأما اسرائيل فانه لم ييأس من روحي في شدة نزلت به قط ويدل عليه أن الله تعالى لما أتم قصة الذبيح قال وبشرناه باسحق نبيا وعن محمد بن كعب أنه قال لعمر بن عبد العزيز هو اسمعيل فقال عمر ان هذا لشيء ما كنت أنظر فيه واني لاراه كما قلت ثم أرسل الى يهودي قد أسلم فسأله فقال ان اليهود لتعلم أنه اسمعيل ولكنهم يحسدونكم معشر العرب ويدل عليه أن قرني الكبش كانا منوطين في الكعبة في أيدي بني اسمعيل الى أن احترق البيت وعن الاصمعي قال سألت أبا عمرو بن العلاء عن الذبيح فقال يا أصمعي أين عزب عنك عقلك ومتى كان اسحق بمكة وانما كان اسمعيل بمكة وهو الذي بنى البيت مع أبيه والمنحر بمكة ومما يدل عليه أن الله تعالى وصفه بالصبر دون أخيه اسحق في قوله واسمعيل واليسع وذا الكفل كل من الصابرين وهو صبره على الذبح ووصفه بصدق الوعد في قوله انه كان صادق الوعد لانه وعد أباه الصبر من نفسه على الذبح فوفى به ولان الله بشره باسحق وولده يعقوب في قوله فضحكت فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب فلو كان الذبيح اسحق لكان خلفا للوعد في يعقوب وعن علي بن أبي طالب وابن مسعود والعباس وعطاء وعكرمة وجماعة من التابعين أنه اسحق والحجة فيه أن الله تعالى أخبر عن خليله ابراهيم حين هاجر الى الشام بانه استوهبه ولدا ثم اتبع ذلك البشارة بغلام حليم ثم ذكر رؤياه بذبح ذلك الغلام المبشر به ويدل عليه كتاب يعقوب الى يوسف من يعقوب اسرائيل الله بن اسحق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله (فان قلت) قد أوحى الى ابراهيم صلوات الله عليه في المنام بان يذبح ولده ولم يذبح وقيل له قد صدقت الرؤيا وانما كان يصدقها لو صح منه الذبح ولم يصح (قلت) قد بذل وسعه وفعل ما يفعل الذابح من بطحه على شقه وامرار الشفرة على حلقه ولكن الله سبحانه جاء بما منع الشفرة أن تمضي فيه وهذا لا يقدح في فعل ابراهيم عليه السلام ألا ترى أنه لا يسمى عاصيا ولا مفرطا بل يسمى مطيعا ومجتهدا كما لو مضت فيه الشفرة وفرت الاوداج وأنهرت الدم وليس هذا من ورود النسخ على المأمور به قبل الفعل ولا قبل أوان الفعل في شيء كما يسبق الى بعض الاوهام حتى يشتغل بالكلام فيه (فان قلت) الله تعالى هو المفتدي منه لانه الآمر بالذبح فكيف يكون فاديا حتى قال وفديناه (قلت) الفادي هو ابراهيم عليه الصلاة والسلام والله عز وجل وهب له الكبش ليفدي به وانما قال وفديناه اسناد الفداء الى السبب الذي هو الممكن من الفداء بهبته (فان قلت) فاذا كان ما أتى به ابراهيم من البطح وامرار الشفرة في حكم الذبح فما معنى الفداء والفداء انما هو التخليص من الذبح ببدل (قلت) قد علم بمنع الله أن حقيقة

الذبح لم تحصل من فرى الاوداج وانهار الدم فوهب الله له الكبش ليقيم ذبحه مقام تلك الحقيقة حتى لا تحصل تلك الحقيقة فى نفس اسمعيل ولكن فى نفس الكبش بدلا منه (فان قلت) فأى فائدة فى تحصيل تلك الحقيقة وقد استغنى عنها بقيام ما وجد من ابراهيم مقام الذبح من غير نقصان (قلت) الفائدة فى ذلك أن يوجد ما منع منه فى بدله حتى يكمل منه الوفاء بالمنذور وايجاد المأمور به من كل وجه (فان قلت) لم قيل ههنا (كذلك نجزى المحسنين) وفى غيرها من القصص انا كذلك (قلت) قد سبقه فى هذه القصة انا كذلك فكأنما استخف بطرحه اكتفاء بذكره مرة عن ذكره ثانية (نبيا) حال مقدرة كقوله تعالى فادخلوها خالدين (فان قلت) فرق بين هذا وبين قوله فادخلوها خالدين وذلك أن المدخول موجود مع وجود الدخول والخلود غير موجود معهما فقدرت مقدرين الخلود فكان مستقيما وليس كذلك المبشر به فانه معدوم وقت وجود البشارة وعدم المبشر به أوجب عدم حاله لا محالة لان الحال حلية والحلية لا تقوم الا بالمحلى وهذا المبشر به الذى هو اسحق حين وجد لم توجد النبوة أيضا بوجوده بل تراخت عنه مدة متطاولة فكيف يجعل نبيا حالا مقدرة والحال صفة الفاعل أو المفعول عند وجود الفعل منه أو به فالخلود وان لم يكن صفتهم عند دخول الجنة فتقديرها صفتهم لان المعنى مقدرين الخلود وليس كذلك النبوة فانه لا سبيل الى أن تكون موجودة أو مقدرة وقت وجود البشارة باسحق لعدم اسحق (قلت) هذا سؤال دقيق المسلك ضيق المسالك والذى يحل الاشكال أنه لا بد من تقدير مضاف محذوف وذلك قولك وبشرناه بوجود اسحق نبيا أى بأن يوجد مقدرة نبوته فالعامل فى الحال الوجود لا فعل البشارة وبذلك يرجع نظير قوله تعالى فادخلوها خالدين (من الصالحين) حال ثانية وورودها على سبيل الثناء والتقريظ لان كل نبى لا بد أن يكون من الصالحين وعن قتادة بشره الله بنبوة اسحق بعد ما امتحنه بذبحه وهذا جواب من يقول الذبيح اسحق لصاحبه عن تعلقه بقوله وبشرناه باسحق قالوا ولا يجوز أن يبشره الله بمولده ونبوته معا لان الامتحان بذبحه لا يصح مع علمه بأنه سيكون نبيا (وباركنا عليه وعلى اسحق) وقرئ وبركنا أى أفضنا عليهما بركات الدين والدنيا كقوله وآتيناه أجره فى الدنيا وانه فى الآخرة لمن الصالحين وقيل باركنا على ابراهيم فى أولاده وعلى اسحق بأن أخرجنا أنبياء بنى اسرائيل من صلبه وقوله (وظالم لنفسه) نظيره قال ومن ذريتى قال لا ينال عهدى الظالمين وفيه تنبيه على أن الخبث والطيب لا يجرى أمرهما على العرق والعنصر فقد يلد البر الفاجر والفاجر البر وهذا مما يهدم أمر الطبائع والعناصر وعلى أن الظلم فى أعقابهما لم يعد عليهما بعيب ولا نقيصة وان المرء انما يعاب بسوء فعله ويعاتب على ما اجترحت يداه لا على ما وجد من أصله أو فرعه (من الكرب العظيم) من الغرق أو من سلطان فرعون وقومه وغشمهم (ونصرناهم) الضمير لهما ولقومهما فى قوله ونجيناهما وقومهما (الكتاب المستبين) البليغ فى بيانه وهو التوراة كما قال انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور وقال من يجوز أن تكون التوراة عربية أن تشتق من ورى الزند فوعلة منه على أن التاء مبدلة من واو (الصراط المستقيم) صراط أهل الاسلام وهى صراط الذين أنعم الله عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين * قرئ الياس بكسر الهمزة والياس على لفظ الوصل وقيل هو ادريس النبى وقرأ ابن مسعود وان ادريس فى موضع الياس وقرئ ادراس وقيل هو الياس بن ياسين من ولد هرون أخى موسى (أتدعون بعلا) أتعبدون بعلا وهو علم لصنم كان لهم كمناة وهبل وقيل كان من ذهب وكان طوله عشرين ذراعا وله أربعة أوجه فتنوا به وعظموه حتى أخدموه أربعمائة سادن وجعلوهم أنبياءه فكان الشيطان يدخل فى جوف بعل ويتكلم بشريعة الضلالة والسدنة يحفظونها ويعلمونها الناس وهم أهل بعلبك من بلاد الشام وبه سميت مدينتهم بعلبك وقيل البعل الرب بلغة اليمن يقال من بعل هذه الدار أى من ربها والمعنى أتعبدون بعض البعول وتتركون عبادة الله (الله ربكم ورب آبائكم) قرئ بالرفع على الابتداء وبالنصب على البدل وكان حمزة اذا وصل نصب واذا وقف رفع * وقرئ على الياسين وادريسين وادراسين وادرسين على انها لغات فى الياس وادريس ولعل لزيادة الياء والنون فى السريانية معنى وقرئ على الياسين بالوصل على أنه جمع يراد به الياس وقومه كقولهم الخبيبون والمهلبون (فان قلت) فهلا حملت على

كذلك نجزى المحسنين انه من عبادنا المؤمنين وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين وباركنا عليه وعلى اسحق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين ولقد مننا على موسى وهرون ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم ونصرناهم فكانوا هم الغالبين وآتيناهما الكتاب المستبين وهديناهما الصراط المستقيم وتركنا عليهما فى الآخرين سلام على موسى وهرون انا كذلك نجزى المحسنين انهما من عبادنا المؤمنين وان الياس لمن المرسلين اذ قال لقومه ألا تتقون أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين الله ربكم ورب آبائكم الاولين فكذبوه فانهم لمحضرون الا عباد الله المخلصين وتركنا عليه فى الآخرين سلام على الياسين انا كذلك نجزى المحسنين انه من عبادنا المؤمنين وان لوطا لمن المرسلين اذ نجيناه وأهله أجمعين الا عجوزا فى الغابرين ثم دمرنا الآخرين وانكم لتمرون عليهم

هذا الياسين على القطع واخواته (قلت) لو كان جمعا لعرف بالالف واللام وأما من قرأ على آل ياسين فعلى أن
ياسين اسم أبي الياس أضيف اليه الآل (مصبحين) داخلين في الصباح يعني تمرون على منازلهم في متاجركم
الى الشام ليلا ونهارا أفما فيكم عقول تعتبرون بها * قرئ يونس بضم النون وكسرها * وسمي هربه من
قومه بغير اذن ربه اباقا على طريقة المجاز * والمساهمة المقارعة ويقال استهم القوم اذا اقترعوا * والمدحض
المغلوب المقروع وحقيقته المزلق عن مقام الظفر والغلبة وروي أنه حين ركب في السفينة وقفت فقالوا ههنا
عبد أبق من سيده وفيما يزعم البحارون أن السفينة اذا كان فيها آبق لم تجر فاقترعوا فخرجت القرعة على
يونس فقال أنا الآبق وزج بنفسه في الماء (فالتقمه الحوت وهو مليم) داخل في الملامة يقال رب لائم مليم
أي يلوم غيره وهو أحق منه باللوم وقرئ مليم بفتح الميم من ليم فهو مليم كما جاء مشيب في مشوب مبنيا على
شيب ونحوه مدعي بناء على دعي (من المسبحين) من الذاكرين الله كثيرا بالتسبيح والتقديس وقيل هو قوله
في بطن الحوت لا اله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين وقيل من المصلين وعن ابن عباس كل تسبيح في
القرآن فهو صلاة وعن قتادة كان كثير الصلاة في الرخاء قال وكان يقال ان العمل الصالح يرفع صاحبه اذا
عثر واذا صرع وجد متكأ وهذا ترغيب من الله عز وجل في اكثار المؤمن من ذكره بما هو أهله واقباله
على عبادته وجمع همه لتقييد نعمته بالشكر في وقت المهلة والفسحة لينفعه ذلك عنده تعالى في المضايق
والشدائد (للبث في بطنه) الظاهر لبثه فيه حيا الى يوم البعث وعن قتادة لكان بطن الحوت له قبرا الى يوم
القيامة وروي أنه حين ابتلعه أوحى الله الى الحوت اني جعلت بطنك له سجنا ولم أجعله لك طعاما واختلف
في مقدار لبثه فعن الكلبي أربعون يوما وعن الضحاك عشرون يوما وعن عطاء سبعة وعن بعضهم ثلاثة وعن
الحسن لم يلبث الا قليلا ثم أخرج من بطنه بعيد الوقت الذي التقم فيه * وروي أن الحوت سار مع السفينة
رافعا رأسه يتنفس فيه يونس ويسبح ولم يفارقهم حتى انتهوا الى البر فلفظه سالما لم يتغير منه شيء فأسلموا
وروي أن الحوت قذفه بساحل قرية من الموصل * والعراء المكان الخالي لا شجر فيه ولا شيء يغطيه (وهو
سقيم) اعتل مما حل به وروي أنه عاد بدنه كبدن الصبي حين يولد * واليقطين كل ما ينسدح على وجه الارض
ولا يقوم على ساق كشجر البطيخ والقثاء والحنظل وهو يفعيل من قطن بالمكان اذا أقام به وقيل هو الدباء
وفائدة الدباء أن الذباب لا يجتمع عنده وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم انك لتحب القرع قال أجل هي
شجرة أخي يونس وقيل هي التين وقيل شجرة الموز تغطى بورقها واستظل بأغصانها وأفطر على ثمارها وقيل
كان يستظل بالشجرة وكانت وعلة تختلف اليه فيشرب من لبنها وروي أنه مر زمان على الشجرة فيبست فبكى
جزعا فأوحى الله اليه بكيت على شجرة ولا تبكي على مائة ألف في يد الكافر (فان قلت) ما معنى وأنبتنا عليه
شجرة (قلت) أنبتناها فوقه مظلة له كما يطنب البيت على الانسان (وأرسلناه الى مائة ألف) المراد به ما سبق
من ارساله الى قومه وهم أهل نينوى وقيل هو ارسال ثان بعد ما جرى عليه الى الاولين أو الى غيرهم وقيل
أسلموا فسألوه أن يرجع اليهم فأبى لان النبي اذا هاجر عن قومه لم يرجع اليهم مقيما فيهم وقال لهم ان الله
باعث اليكم نبيا (أو يزيدون) في مرأى الناظر أي اذا رآها الرائي قال هي مائة ألف أو أكثر والغرض الوصف
بالكثرة (الى حين) الى أجل مسمى وقرئ ويزيدون بالواو وحتى حين (فاستفتهم) معطوف على مثله في أول
السورة وان تباعدت بينهما المسافة أمر رسوله باستفتاء قريش عن وجه انكار البعث أولا ثم ساق الكلام
موصولا بعضه ببعض ثم أمره باستفتائهم عن وجه القسمة الضيزى التي قسموها حيث جعلوا لله الاناث
ولانفسهم الذكور في قولهم الملائكة بنات الله مع كراهتهم الشديدة لهن ووأدهم واستنكافهم من ذكرهن
ولقد ارتكبوا في ذلك ثلاثة أنواع من الكفر أحدها التجسيم لان الولادة مختصة بالاجسام والثاني تفضيل
أنفسهم على ربهم حين جعلوا أوضع الجنسين له وأرفعهما لهم كما قال واذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا
ظل وجهه مسودا وهو كظيم أومن ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين والثالث أنهم استهانوا بأكرم
خلق الله عليه وأقربهم اليه حيث أنثوهم ولو قيل لاقلهم وأدناهم فيك أنوثة أو شكلك شكل النساء

مصبحين وبالليل أفلا
تعقلون وان يونس لمن
المرسلين اذ أبق الى
الفلك المشحون فساهم
فكان من المدحضين
فالتقمه الحوت وهو
مليم فلولا أنه كان من
المسبحين للبث في بطنه
الى يوم يبعثون فنبذناه
بالعراء وهو سقيم
وأنبتنا عليه شجرة من
يقطين وأرسلناه الى
مائة ألف أو يزيدون
فآمنوا فمتعناهم الى
حين فاستفتهم ألربك
البنات ولهم البنون

لبس لقائله جلد النمر ولانقلبت حماليقه وذلك في أهاجيهم بين مكشوف فكرر الله سبحانه الانواع كلها في
كتابه مرات ودل على فظاعتها في آيات وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا إدا تكاد السموات يتفطرن منه
وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه بل له ما في السموات والارض بديع
السموات والارض أنى يكون له ولد ألا انهم من افكهم ليقولون ولد الله وجعلوا له من عباده جزأ ويجعلون لله
البنات سبحانه ولهم ما يشتهون أم له البنات ولكم البنون ويجعلون لله ما يكرهون أصطفى البنات على
البنين أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا (أم خلقنا
الملائكة اناثا وهم شاهدون) (فان قلت) لم قال وهم شاهدون فخص علم المشاهدة (قلت) ما هو الا استهزاء بهم
وتجهيل وكذلك قوله أشهدوا خلقهم ونحوه قوله ما أشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق أنفسهم
وذلك أنهم كما لم يعلموا ذلك بطريق المشاهدة لم يعلموه بخلق الله علمه في قلوبهم ولا باخبار صادق ولا بطريق
استدلال ونظر ويجوز أن يكون المعنى أنهم يقولون ذلك كالقائل قولا عن ثلج صدر وطمأنينة نفس لافراط
جهلهم كأنهم قد شاهدوا خلقهم * وقرئ ولد الله أي الملائكة ولده والولد فعل بمعنى مفعول يقع على الواحد
والجمع والمذكر والمؤنث تقول هذه ولدي وهؤلاء ولدي * (فان قلت) (أصطفى البنات) بفتح الهمزة
استفهام على طريق الانكار والاستبعاد فكيف صحت قراءة أبي جعفر بكسر الهمزة على الاثبات (قلت)
جعله من كلام الكفرة بدلا عن قولهم ولد الله وقد قرأ بها حمزة والاعمش رضي الله عنهما وهذه القراءة وان
كان هذا محملها فهي ضعيفة والذي أضعفها أن الانكار قد اكتنف هذه الجملة من جانبيها وذلك قوله وانهم
لكاذبون (مالكم كيف تحكمون) فمن جعلها للاثبات فقد أوقعها دخيلة بين نسيبين * وقرئ تذكرون من
ذكر (أم لكم سلطان) أي حجة نزلت عليكم من السماء وخبر بأن الملائكة بنات الله (فأتوا بكتابكم) الذي أنزل
عليكم في ذلك كقوله تعالى أم أنزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون وهذه الآيات صادرة عن
سخط عظيم وانكار فظيع واستبعاد لاقاويلهم شديد وما الاساليب التي وردت عليها الا ناطقة بتسفيه
أحلام قريش وتجهيل نفوسها واستركاك عقولها مع استهزاء وتهكم وتعجيب من أن يخطر مخطر مثل ذلك
على بال ويحدث به نفسا فضلا أن يجعله معتقدا ويتظاهر به مذهبا (وجعلوا) بين الله وبين الجنة وأراد
الملائكة (نسبا) وهو زعمهم أنهم بناته والمعنى وجعلوا بما قالوا نسبة بين الله وبينهم وأثبتوا له بذلك جنسية
جامعة له وللملائكة (فان قلت) لم سمى الملائكة جنة (قلت) قالوا الجنس واحد ولكن من خبث من الجن
ومرد وكان شرا كله فهو شيطان ومن طهر منهم ونسك وكان خيرا كله فهو ملك فذكرهم في هذا الموضع باسم
جنسهم وانما ذكرهم بهذا الاسم وضعا منهم وتقصيرا بهم وان كانوا معظمين في أنفسهم أن يبلغوا منزلة
المناسبة التي أضافوها اليهم وفيه اشارة الى أن من صفته الاجتنان والاستتار وهو من صفات الاجرام
لا يصلح أن يناسب من لا يجوز عليه ذلك ومثاله أن تسوي بين الملك وبين بعض خواصه ومقربيه فيقول لك
أتسوي بيني وبين عبدي واذا ذكره في غير هذا المقام وقره وكناه * والضمير في (انهم لمحضرون) للكفرة
والمعنى أنهم يقولون ما يقولون في الملائكة وقد علم الملائكة أنهم في ذلك كاذبون مفترون وأنهم محضرون النار
معذبون بما يقولون والمراد المبالغة في التكذيب حيث أضيف الى علم الذين ادعوا لهم تلك النسبة وقيل قالوا
ان الله صاهر الجن فخرجت الملائكة وقيل قالوا ان الله والشيطان اخوان وعن الحسن أشركوا الجن في
طاعة الله ويجوز اذا فسر الجنة بالشياطين أن يكون الضمير في انهم لمحضرون لهم والمعنى ان الشياطين عالمون
بأن الله يحضرهم النار ويعذبهم ولو كانوا مناسبين له أو شركاء في وجوب الطاعة لما عذبهم (الا عباد الله
المخلصين) استثناء منقطع من المحضرين معناه ولكن المخلصين ناجون وسبحان الله اعتراض بين الاستثناء وبين
ما وقع منه ويجوز أن يقع الاستثناء من الواو في يصفون أي يصفه هؤلاء بذلك ولكن المخلصين برآء من أن
يصفوه به * الضمير في (عليه) لله عز وجل ومعناه فانكم ومعبوديكم ما أنتم وهم جميعا بفاتنين على الله الا أصحاب
النار الذين سبق في علمه أنهم لسوء أعمالهم يستوجبون أن يصلوها (فان قلت) كيف يفتنونهم على الله

(قلت)

أم خلقنا الملائكة اناثا
وهم شاهدون ألا انهم
من افكهم ليقولون
ولد الله وانهم لكاذبون
أصطفى البنات على
البنين مالكم كيف
تحكمون أفلا
تذكرون أم لكم سلطان
مبين فأتوا بكتابكم ان
كنتم صادقين وجعلوا
بينه وبين الجنة نسبا
ولقد علمت الجنة انهم
لمحضرون سبحان الله
عما يصفون الا عباد
الله المخلصين فانكم وما
تعبدون ما أنتم عليه

بفاتنين الامن هو صال الجحيم وما منا الاله مقام معلوم وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون وان كانوا ليقولون لو أن عندنا ذكرا من الاولين لكنا عباد الله المخلصين فكفروا به فسوف يعلمون ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون

(قلت) يفسدونهم عليه باغوائهم واستهوائهم من قولك فتن فلان على فلان امرأته كما تقول أفسدها عليه وخببها عليه ويجوز أن يكون الواو فى وما تعبدون بمعنى مع مثلها فى قولهم كل رجل وضيعته فكما جاز السكوت على كل رجل وضيعته وان كل رجل وضيعته جاز أن يسكت على قوله فانكم وما تعبدون لان قوله وما تعبدون ساد مسد الخبر لان معناه فانكم مع ما تعبدون والمعنى انكم مع آلهتكم أى فانكم قرناؤهم وأصحابهم لا تبرحون تعبدونها ثم قال ما أنتم عليه أى على ما تعبدون (بفاتنين) بباعثين أو حاملين على طريق الفتنة والاضلال (الا من هو) ضال مثلكم أو يكون فى أسلوب قوله

فانك والكتاب الى على * كدابغة وقد حلم الاديم

وقرأ الحسن صال الجحيم بضم اللام وفيه ثلاثة أوجه أحدها أن يكون جمعا وسقوط واوه لالتقاء الساكنين هى ولام التعريف (فان قلت) كيف استقام الجمع مع قوله من هو (قلت) من موحد اللفظ مجموع المعنى فحمل هو على لفظه والصالون على معناه كما حمل فى مواضع من التنزيل على لفظ من ومعناه فى آية واحدة والثانى أن يكون أصله صائل على القلب ثم يقال صال فى صائل كقولهم شاك فى شائك والثالث أن تحذف لام صال تخفيفا ويجرى الاعراب على عينه كما حذف من قولهم ما باليت به بالة وأصلها بالية من بالى كعافية من عافى ونظيره قراءة من قرأ وجنى الجنتين دان وله الجوار المنشآت باجراء الاعراب على العين (وما منا) أحد (الا له مقام معلوم) فحذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه كقوله أنا ابن جلا وطلاع الثنايا * بكفى كان من أرمى البشر مقام معلوم مقام فى العبادة والانتهاء الى أمر الله مقصور عليه لا يتجاوزه كما روى فمنهم راكع لا يقيم صلبه وساجد لا يرفع رأسه (لنحن الصافون) نصف أقدامنا فى الصلاة أو أجنحتنا فى الهواء منتظرين ما نؤمر وقيل نصف أجنحتنا حول العرش داعين للمؤمنين وقيل ان المسلمين انما اصطفوا فى الصلاة منذ نزلت هذه الآية وليس يصطف أحد من أهل الملل فى صلاتهم غير المسلمين (المسبحون) المنزهون أو المصلون والوجه أن يكون هذا وما قبله من قوله سبحان الله عما يصفون من كلام الملائكة حتى يتصل بذكرهم فى قوله ولقد علمت الجنة كأنه قيل ولقد علم الملائكة وشهدوا أن المشركين مفترون عليهم فى مناسبة رب العزة وقالوا سبحان الله فنزهوه عن ذلك واستثنوا عباد الله المخلصين وبرؤهم منه وقالوا للكفرة فاذا صح ذلك فانكم وآلهتكم لا تقدرون أن تفتنوا على الله أحدا من خلقه وتضلوه الا من كان مثلكم ممن علم الله لكفرهم لا لتقديره وارادته تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا أنهم من أهل النار وكيف نكون مناسبين لرب العزة ويجمعنا واياه جنسية واحدة وما نحن الا عبيد أذلاء بين يديه لكل منا مقام من الطاعة لا يستطيع أن يزل عنه ظفرا خشوعا لعظمته وتواضعا لجلاله ونحن الصافون أقدامنا لعبادته أو أجنحتنا مذعنين خاضعين مسبحين ممجدين وكما يجب على العباد لربهم وقيل هو من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى وما من المسلمين أحد الا له مقام معلوم يوم القيامة على قدر عمله من قوله تعالى عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا ثم ذكر أعمالهم وأنهم هم الذين يصطفون فى الصلاة ويسبحون الله وينزهونه عما يضيف اليه من لا يعرفه مما لا يجوز عليه * هم مشركو قريش كانوا يقولون (لو أن عندنا ذكرا) أى كتابا (من) كتب (الاولين) الذين نزل عليهم التوراة والانجيل لاخلصنا العبادة لله ولما كذبنا كما كذبوا ولما خالفنا كما خالفوا فجاءهم الذكر الذى هو سيد الاذكار والكتاب الذى هو معجز من بين الكتب فكفروا به ونحوه فلما جاءهم نذير ما زادهم الا نفورا (فسوف يعلمون) مغبة تكذيبهم وما يحل بهم من الانتقام * وان هى المخففة من الثقيلة واللام هى الفارقة وفى ذلك أنهم كانوا يقولونه مؤكدين للقول جادين فيه فكم بين أول أمرهم وآخره * الكلمة قوله (انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون) وانما سماها كلمة وهى كلمات عدة لانها لما انتظمت فى معنى واحد كانت فى حكم كلمة مفردة * وقرئ كلماتنا والمراد الموعد بعلوهم على عدوهم فى مقاوم الحجاج وملاحم القتال فى الدنيا وعلوهم عليهم فى الآخرة كما قال والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة ولا يلزم انهزامهم فى بعض المشاهد وما جرى عليهم من القتل فان الغلبة كانت لهم ولمن بعدهم فى العاقبة وكفى بمشاهد رسول الله صلى الله

عليه وسلم والخلفاء الراشدين مثلا يحتذى عليها وعبرا يعتبر بها وعن الحسن رحمه الله ما غلب نبي في حرب
ولا قتل فيها ولأن قاعدة أمرهم وأساسه والغالب منه الظفر والنصرة وان وقع في تضاعيف ذلك شوب من
الابتلاء والمحنة والحكم للغالب وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان لم ينصروا في الدنيا نصروا في الآخرة وفي
قراءة ابن مسعود على عبادنا على تضمين سبقت معنى حقت (فتول عنهم) فأعرض عنهم وأغض على أذاهم
(حتى حين) الى مدة يسيرة وهي مدة الكف عن القتال وعن السدي الى يوم بدر وقيل الى الموت وقيل
الى يوم القيامة (وأبصرهم) وما يقضى عليهم من الاسر والقتل والعذاب في الآخرة فسوف يبصرون
وما يقضى لك من النصرة والتأييد والثواب في العاقبة والمراد بالامر بابصارهم على الحال المنتظرة الموعودة
الدلالة على أنها كائنة واقعة لا محالة وأن كينونتها قريبة كأنها قدام ناظريك وفي ذلك تسلية له وتنفيس عنه
وقوله (فسوف يبصرون) للوعيد كما سلف لا للتبعيد * مثل العذاب النازل بهم بعد ما أنذروه فأنكروه
بجيش أنذر بهجومه قومه بعض نصاحهم فلم يلتفتوا الى انذاره ولا أخذوا أهبتهم ولا دبروا أمرهم تدبيرا
ينجيهم حتى أناخ بفنائهم بغتة فشن عليهم الغارة وقطع دابرهم وكانت عادة مغاويرهم أن يغيروا صباحا فسميت
الغارة صباحا وان وقعت في وقت آخر وما فصحت هذه الآية ولا كانت لها الروعة التي تحس بها ويروقك
موردها على نفسك وطبعك الا لمجيئها على طريقة التمثيل * وقرأ ابن مسعود فبئس صباح * وقرئ نزل
بساحتهم على اسناده الى الجار والمجرور كقولك ذهب بزيد ونزل على ونزل العذاب والمعنى فساء صباح المنذرين
صباحهم واللام في المنذرين مبهم في جنس من أنذروا لان ساء وبئس يقتضيان ذلك وقيل هو نزول
رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح بمكة وعن أنس رضي الله عنه لما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر
وكانوا خارجين الى مزارعهم ومعهم المساحي قالوا محمد والخميس ورجعوا الى حصنهم فقال عليه الصلاة
والسلام الله أكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين * وانما ثنى (وتول عنهم) ليكون
تسلية على تسلية وتأكيدا لوقوع الميعاد الى تأكيد وفيه فائدة زائدة وهي اطلاق الفعلين معا عن التقييد
بالمفعول وأنه يبصر وهم يبصرون ما لا يحيط به الذكر من صنوف المسرة وأنواع المساءة وقيل أريد بأحدهما
عذاب الدنيا وبالآخر عذاب الآخرة * أضيف الرب الى العزة لاختصاصه بها كأنه قيل ذو العزة كما تقول
صاحب صدق لاختصاصه بالصدق ويجوز أن يراد أنه ما من عزة لاحد من الملوك وغيرهم الا وهو ربها
ومالكها كقوله تعالى تعز من تشاء اشتملت السورة على ذكر ما قاله المشركون في الله ونسبوا اليه مما هو
منزه عنه وما عاناه المرسلون من جهتهم وما خولوه في العاقبة من النصرة عليهم فختمها بجوامع ذلك من
تنزيه ذاته عما وصفه به المشركون والتسليم على المرسلين (والحمد لله رب العالمين) على ما قيض لهم من حسن
العواقب والغرض تعليم المؤمنين أن يقولوا ذلك ولا يخلوا به ولا يغفلوا عن مضمنات كتابه الكريم ومودعات
قرآنه المجيد وعن علي رضي الله عنه من أحب أن يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيامة فليكن آخر
كلامه اذا قام من مجلسه سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ والصافات أعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل جني وشيطان
وتباعدت عنه مردة الشياطين وبرئ من الشرك وشهد له حافظاه يوم القيامة أنه كان مؤمنا بالمرسلين

﴿سورة ص مكية وهي ست وثمانون وقيل ثمان وثمانون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(ص) على الوقف وهي أكثر القراءة وقرئ بالكسر والفتح لالتقاء الساكنين ويجوز أن ينتصب بحذف
حرف القسم وايصال فعله كقولهم الله لافعلن كذا بالنصب أو باضمار حرف القسم والفتح في موضع الجر
كقولهم الله لافعلن بالجر وامتناع الصرف للتعريف والتأنيث لانها بمعنى السورة وقد صرفها من قرأ
بالجر والتنوين على تأويل الكتاب والتنزيل وقيل فيمن كسر هو من المصاداة وهي المعارضة والمعادلة و

فتول عنهم حتى حين
وأبصرهم فسوف
يبصرون أفبعذابنا
يستعجلون فاذا نزل
بساحتهم فساء صباح
المنذرين وتول عنهم
حتى حين وأبصر فسوف
يبصرون سبحان ربك
رب العزة عما يصفون
وسلام على المرسلين
والحمد لله رب العالمين

﴿سورة ص مكية وهي
ست وثمانون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

ص

والقرآن ذي الذكر بل الذين كفروا في عزة وشقاق كم أهلكنا من قبلهم من قرن فنادوا ولات حين مناص وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب

صدى وهو ما يعارض الصوت في الأماكن الخالية من الأجسام الصلبة ومعناه ما عارض القرآن بعملك فاعمل بأوامره وانته عن نواهيه (فان قلت) قوله ص (والقرآن ذي الذكر بل الذين كفروا في عزة وشقاق) كلام ظاهره متنافر غير منتظم فما وجه انتظامه (قلت) فيه وجهان أحدهما أن يكون قد ذكر اسم هذا الحرف من حروف المعجم على سبيل التحدي والتنبيه على الاعجاز كما مر في أول الكتاب ثم أتبعه القسم محذوف الجواب لدلالة التحدي عليه كأنه قال والقرآن ذي الذكر انه لكلام معجز والثاني أن يكون ص خبر مبتدا محذوف على أنها اسم للسورة كأنه قال هذه ص يعني هذه السورة التي أعجزت العرب والقرآن ذي الذكر كما تقول هذا حاتم والله تريد هذا هو المشهور بالسخاء والله وكذلك اذا أقسم بها كأنه قال أقسمت بص والقرآن ذي الذكر انه لمعجز ثم قال بل الذين كفروا في عزة واستكبار عن الاذعان لذلك والاعتراف بالحق وشقاق لله ورسوله واذا جعلتها مقسما بها وعطفت عليها والقرآن ذي الذكر جاز لك أن تريد بالقرآن التنزيل كله وأن تريد السورة بعينها ومعناه أقسم بالسورة الشريفة والقرآن ذي الذكر كما تقول مررت بالرجل الكريم وبالنسمة المباركة ولا تريد بالنسمة غير الرجل والذكر الشرف والشهرة من قولك فلان مذكور وانه لذكر لك ولقومك أو الذكرى والموعظة أو ذكر ما يحتاج اليه في الدين من الشرائع وغيرها كأقاصيص الأنبياء والوعد والوعيد والتنكير في عزة وشقاق للدلالة على شدتهما وتفاقمهما وقرئ في غرة أي في غفلة عما يجب عليهم من النظر واتباع الحق (كم أهلكنا) وعيد لذوي العزة والشقاق (فنادوا) فدعوا واستغاثوا وعن الحسن فنادوا بالتوبة (ولات) هي لا المشبهة بليس زيدت عليها تاء التأنيث كما زيدت على رب وثم للتوكيد وتغير بذلك حكمها حيث لم تدخل الا على الأحيان ولم يبرز الا أحد مقتضيها اما الاسم واما الخبر وامتنع بروزهما جميعا وهذا مذهب الخليل وسيبويه وعند الأخفش أنها لا النافية للجنس زيدت عليها التاء وخصت بنفي الأحيان و(حين مناص) منصوب بها كأنك قلت ولا حين مناص لهم وعنه أن ما ينتصب بعده بفعل مضمر أي ولا أرى حين مناص ويرتفع بالابتداء أي ولا حين مناص كائن لهم وعندهما أن النصب على ولات الحين حين مناص أي وليس الحين حين مناص والرفع على ولات حين مناص حاصلا لهم وقرئ حين مناص بالكسر ومثله قول أبي زبيد الطائي

طلبوا صلحنا ولات أوان * فأجبنا أن لات حين بقاء

(فان قلت) ما وجه الكسر في أوان (قلت) شبه باذ في قوله وأنت اذ صحيح في أنه زمان قطع منه المضاف اليه وعوض التنوين لان الأصل ولات أوان صلح (فان قلت) فما تقول في حين مناص والمضاف اليه قائم (قلت) نزل قطع المضاف اليه من مناص لان أصله حين مناصهم منزلة قطعه من حين لاتحاد المضاف والمضاف اليه وجعل تنوينه عوضا من الضمير المحذوف ثم بني الحين لكونه مضافا الى غير متمكن وقرئ ولات بكسر التاء على البناء كجير (فان قلت) كيف يوقف على لات (قلت) يوقف عليها بالتاء كما يوقف على الفعل الذي يتصل به تاء التأنيث وأما الكسائي فيقف عليها بالهاء كما يقف على الأسماء المؤنثة وأما قول أبي عبيد ان التاء داخلة على حين فلا وجه له واستشهاده بأن التاء ملتزقة بحين في الامام لا متشبث به فكم وقعت في المصحف أشياء خارجة عن قياس الخط والمناص المنجا والفوت يقال ناصه ينوصه اذا فاته واستناص طلب المناص قال حارثة بن بدر

غمر الجراء اذا قصرت عنانه * بيدي استناص ورام جري المسحل

(منذر منهم) رسول من أنفسهم (وقال الكافرون) ولم يقل وقالوا اظهارا للغضب عليهم ودلالة على أن هذا القول لا يتجسر عليه الا الكافرون المتوغلون في الكفر المنهمكون في الغي الذين قال فيهم أولئك هم الكافرون حقا وهل ترى كفرا أعظم وجهلا أبلغ من أن يسموا من صدقه الله بوحيه كاذبا ويتعجبوا من التوحيد وهو الحق الذي لا يصح غيره ولا يتعجبوا من الشرك وهو الباطل الذي لا وجه لصحته * روي أن اسلام عمر رضي الله تعالى عنه فرح به المؤمنون فرحا شديدا وشق على قريش وبلغ منهم فاجتمع خمسة وعشرون نفسا من صناديدهم ومشوا الى أبي طالب وقالوا أنت شيخنا وكبيرنا وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء يريدون الذين

﴿القول في سورة ص﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قوله تعالى وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم ان هذا الشيء يراد (قال) فيه معناه اصبروا فلا حيلة لكم في دفع أمر محمد ان هذا الشيء يراد أي يريده الله ويحكم بامضائه وما أراد الله كونه فلا مرد له ولا ينفع فيه الا الصبر اه كلامه (٢٧٦) * قوله تعالى أأنزل عليه الذكر من بيننا بل هم في شك من ذكري بل لما يذوقوا عذاب (قال معناه لم يذوقوه بعد فاذا ذاقوه زال عنهم ما بهم الخ) قلت ويؤخذ منه ان لما اللاحقة بالجواب وانما ينفى بها فعل يتوقع وجوده كما يقول سيبويه وفرق بينها وبين لم بأن لم نفي لفعل يتوقع وجوده لم يقبل مثبته قد ولما نفي لما يتوقع وجوده أدخل على مثبته قد واعلم اذ كرت ذلك لاني حديث عهد بالبحث في قوله عليه الصلاة والسلام الشفعة فيما لم يقسم فاني استدللت به على أن الشفعة خاصة بما يقبل القسمة فقيل لي ان شافعته انها أثبت الشفعة فيما نفي عنه القسمة فاما لانه لا تقبل قسمة واما انها تقبل ولم تقع القسمة عندهم و فأبطلت ذلك بأن آلة النفي المذكورة لم تقتضها قبول المحل الفعل المنفي وتوقع وجوده ألا تراك تقول الحجر لا يتكلم ولو قلت لم يتكلم لكان ركيكا من القول لاقتضائه قبوله للكلام * قوله تعالى أم لهم ملك السموات والارض وما بينهما فليرتقوا في الاسباب (قال) فيه تهكم بهم غاية التهكم فقال ان كانوا يصلحون لتدبير الخلائق والتصرف في قسمة الرحمة فكانت عندهم الحكمة

أجعل الآلهة الها واحدا ان هذا الشيء عجاب وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم ان هذا الشيء يراد ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة ان هذا الا اختلاق أأنزل عليه الذكر من بيننا بل هم في شك من ذكري بل لما يذوقوا عذاب أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب أم لهم ملك السموات والارض وما بينهما

دخلوا في الاسلام وجئناك لتقضي بيننا وبين ابن أخيك فاستحضر أبو طالب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا ابن أخي هؤلاء قومك يسألونك السؤال فلا تمل كل الميل على قومك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماذا يسألونني قالوا ارفضنا وارفض ذكر آلهتنا وندعك والهك فقال عليه السلام أرأيتم ان أعطيتكم ما سألتم أمعطي أنتم كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم فقالوا نعم وعشرا أي نعطيكها وعشر كلمات معها فقال قولوا لا اله الا الله فقاموا وقالوا (أجعل الآلهة الها واحدا ان هذا الشيء عجاب) أي بليغ في العجب وقرئ عجاب بالتشديد كقوله تعالى مكرا كبارا وهو أبلغ من المخفف ونظيره كريم وكرام وكرام وقوله أجعل الآلهة الها واحدا مثل قوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا في أن معنى الجعل التصيير في القول على سبيل الدعوى والزعم كأنه قال أجعل الجماعة واحدا في قوله لا ذلك في الفعل محال (الملأ) أشراف قريش يريد وانطلقوا عن مجلس أبي طالب بعدما بكتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجواب العتيد قائلين بعضهم لبعض (امشوا واصبروا) فلا حيلة لكم في دفع أمره (ان هذا) الامر (لشيء يراد) أي يريده الله تعالى ويحكم بامضائه وما أراد الله كونه فلا مرد له ولا ينفع فيه الا الصبر أو ان هذا الامر لشيء من نوائب الدهر يراد بنا فلا انفكاك لنا منه أو ان دينكم لشيء يراد أي يطلب ليؤخذ منكم وتغلبوا عليه * وأن بمعنى أي لان المنطلقين عن مجلس التقاول لا بد لهم من أن يتكلموا ويتفاوضوا فيما جرى لهم فكان انطلاقهم مضمنا معنى القول ويجوز أن يراد بالانطلاق الاندفاع في القول وأنهم قالوا امشوا أي اكثروا واجتمعوا من مشت المرأة اذا كثرت ولادتها ومنه الماشية للتفاؤل كما قيل لها الفاشية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ضموا فواشيكم * ومعنى واصبروا على آلهتكم واصبروا على عبادتها والتمسك بها حتى لا تزالوا عنها * وقرئ وانطلق الملأ منهم امشوا بغير أن على اضمار القول وعن ابن مسعود وانطلق الملأ منهم يمشون أن اصبروا (في الملة الآخرة) في ملة عيسى التي هي آخر الملل لان النصارى يدعونها وهم مثلثة غير موحدة أو في ملة قريش التي أدركنا عليها آباءنا أو ما سمعنا بهذا كائنا في الملة الآخرة على أن يجعل في الملة الآخرة حالا من هذا ولا تعلقه بما سمعنا كما في الوجه الاول أي ما سمعنا من أهل الكتاب ولا من الكهان أنه يحدث في الملة الآخرة توحيد الله * ما (هذا الا اختلاق) افتعال وكذب * أنكروا أن يختص بالشرف من بين أشرافهم ورؤسائهم وينزل عليه الكتاب من بينهم كما قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وهذا الانكار ترجمة عما كانت تغلي به صدورهم من الحسد على ما أوتي من شرف النبوة من بينهم (بل هم في شك) من القرآن يقولون في أنفسهم اما وا وقولهم ان هذا الا اختلاق كلام مخالف لاعتقادهم فيه يقولونه على سبيل الحسد (بل لما يذوقوا عذاب) بعد فاذا ذاقوه زال عنهم ما بهم من الشك والحسد حينئذ يعني أنهم لا يصدقون به الا أن يمسهم العذاب مضطرين الى تصديقه (أم عندهم خزائن ربك) يعني ما هم بمالكي خزائن الرحمة حتى يصيبوا بها من شاؤا ويصرفوها عمن شاؤا ويتخيروا للنبوة بعض صناديدهم ويترفعوا بها عن محمد عليه الصلاة والسلام وانما الذي يملك الرحمة وخزائنها العزيز القاهر على خلقه الوهاب الكثير المواهب المصيب بها مواقعها الذي يقسمها على ما تقتضيه حكمته وعدله كما قال أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا ثم رشح هذا المعنى فقال (أم لهم ملك السموات والارض) حتى يتكلموا في الامور الربانية والتدابير الالهية التي يختص بها رب العزة والكبرياء ثم تهكم بهم غاية التهكم فقال وان كانوا يصلحون لتدبير الخلائق والتصرف في قسمة الرحمة وكا

يعتزون بها بين من هو حقيق بإيتاء النبوة دون من لا يستحق فليرتقوا في المعارج والطرق الموصلة الى العرش حتى يستووا عليه ويدبروا أمر العالم وملكوت الله تعالى وينزلوا الوحي على من يختارونه قال ثم خساهم بقوله جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب معناه ان هؤلاء الأجناد متحزبون على النبي صلى الله عليه وسلم عما قليل يهزمون ويولون الأدبار اهـ كلامه (قلت) (٢٧٧) الاستواء المنسوب لله ليس

عندهم الحكمة التي يميزون بها بين من هو حقيق بإيتاء النبوة دون من لا تحق له (فليرتقوا في الأسباب) فليصعدوا في المعارج والطرق التي يتوصل بها الى العرش حتى يستووا عليه ويدبروا أمر العالم وملكوت الله وينزلوا الوحي الى من يختارون ويستصوبون ثم خساهم خساءة عن ذلك بقوله (جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب) يريد ما هم الا جيش من الكفار المتحزبين على رسل الله مهزوم مكسور عما قريب فلا تبال بما يقولون ولا تكترث لما به يهذون وما مزيدة وفيها معنى الاستعظام كما في قول امرئ القيس

وحديث ما على قصره

الا أنه على سبيل الهزء وهنالك اشارة الى حيث وضعوا فيه أنفسهم من الانتداب لمثل ذلك القول العظيم من قولهم لمن ينتدب لأمر ليس من أهله لست هنالك (ذو الأوتاد) أصله من ثبات البيت المطنب بأوتاده قال

والبيت لا يبتنى الا على عمد * ولا عماد اذا لم ترس أوتاد

فاستعير لثبات العز والملك واستقامة الأمر كما قال الأسود في ظل ملك ثابت الأوتاد وقيل كان يشبح المعذب بين أربع سوار كل طرف من أطرافه الى سارية مضروب فيه وتد من حديد ويتركه حتى يموت وقيل كان يمده بين أربعة أوتاد في الأرض ويرسل عليه العقارب والحيات وقيل كانت له أوتاد وحبال يلعب بها بين يديه (أولئك الأحزاب) قصد بهذه الاشارة الاعلام بأن الأحزاب الذين جعل الجند المهزوم منهم هم هم وأنهم هم الذين وجد منهم التكذيب * ولقد ذكر تكذيبهم أولا في الجملة الخبرية على وجه الابهام ثم جاء بالجملة الاستثنائية فأوضحه فيها بأن كل واحد من الأحزاب كذب جميع الرسل لأنهم اذا كذبوا واحدا منهم فقد كذبوهم جميعا وفي تكرير التكذيب وايضاحه بعد ابهامه والتنويع في تكريره بالجملة الخبرية أولا وبالاستثنائية ثانيا وما في الاستثنائية من الوضع على وجه التوكيد والتخصيص أنواع من المبالغة المسجلة عليهم باستحقاق أشد العقاب وأبلغه * ثم قال (فحق عقاب) أي فوجب لذلك أن أعاقبهم حق عقابهم (هؤلاء) أهل مكة ويجوز أن يكون اشارة الى جميع الأحزاب لاستحضارهم بالذكر أولأنهم كالحضور عند الله * والصيحة النفخة (ما لها من فواق) وقرئ بالضم ما لها من توقف مقدار فواق وهو ما بين حلبتي الحالب ورضعتي الراضع يعني اذا جاء وقتها لم تستأخر هذا القدر من الزمان كقوله تعالى فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة وعن ابن عباس ما لها من رجوع وترداد من أفاق المريض اذا رجع الى الصحة وفواق الناقة ساعة ترجع الدر الى ضرعها يريد أنها نفخة واحدة فحسب لا تثنى ولا تردد * القط القسط من الشيء لأنه قطعة منه من قطه اذا قطعه ويقال لصحيفة الجائزة قط لأنها قطعة من القرطاس وقد فسر بهما قوله تعالى (عجل لنا قطنا) أي نصيبنا من العذاب الذي وعدته كقوله تعالى ويستعجلونك بالعذاب وقيل ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعد الله المؤمنين الجنة فقالوا على سبيل الهزء عجل لنا نصيبنا منها أو عجل لنا صحيفة أعمالنا ننظر فيها (فان قلت) كيف تطابق قوله (اصبر على ما يقولون) وقوله (واذكر عبدنا داود) حتى عطف أحدهما على صاحبه (قلت) كأنه قال لنبيه عليه الصلاة والسلام اصبر على ما يقولون وعظم أمر معصية الله في أعينهم بذكر قصة داود وهو أنه نبي من أنبياء الله تعالى قد أولاه ما أولاه من النبوة والملك لكرامته عليه وزلفته لديه ثم زل زلة فبعث اليه الملائكة ووبخه عليها على طريق التمثيل والتعريض حتى فطن لما وقع فيه فاستغفر وأناب ووجد منه ما يحكى من بكائه الدائم وغمه الواصب ونقش جنايته في بطن كفه حتى لا يزال يجدد النظر اليها ويندم عليها فما الظن بكم مع كفركم ومعاصيكم أو قال له صلى الله عليه وسلم اصبر على ما يقولون وصن

[؟]اره عن مراده * قوله تعالى أولئك الأحزاب (قال فيه قصد بهذه الاشارة الاعلام بأن الأحزاب الذين جعل الجند المهزوم منهم هم هم الذين وجد التكذيب منهم اهـ كلامه) قلت وفي تكرار تكذيبهم فائدة أخرى وهي أن الكلام لما طال بتعديد آحاد المكذبين ثم أريد ذكر ما حاق بهم من العذاب جزاء لتكذيبهم كرر ذلك مصحوبا بالزيادة المذكورة ليلي قوله تعالى فحق عقاب على سبيل التطرية له عند طول الكلام وهو كما تقدم في قوله وكذب موسى حيث كرر الفعل ليقترن بقوله فأمليت للكافرين

مما يتوصل اليه بالصعود في المعارج والوصول الى العرش والاستقرار عليه والتمكن فوقه لأن الاستواء المنسوب الى الله تعالى ليس استواء استقرار بجسم تعالى الله عن ذلك واعلم

فليرتقوا في الأسباب جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الأوتاد وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة أولئك الأحزاب ان كل الا كذب الرسل فحق عقاب وما ينظر هؤلاء الا صيحة واحدة ما لها من فواق وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود

صفة فعل أي فعل فيه فعلا سماه استواء هذا تأويل القاضي أبي بكر وليست عبارة الزمخشري في هذا الفصل مطابقة للفصل على جاري عاداته في تحرير

* قوله عز وعلا يسبحن بالعشى والاشراق (قال) الاشراق حين تشرق الشمس أى يصفو نورها وهو وقت الضحى وأما شروقها فطلوعها
يقال شرقت الشمس ولما تشرق ومنه أخذ ابن عباس صلاة الضحى قال ويحتمل أن يكون من أشرق القوم اذا دخلوا فى وقت الشروق
ويكون المراد وقت صلاة الفجر لانتهائه بشروق الشمس اهـ كلامه (قلت) الوجه الثانى يفسر بين العشى والاشراق فان العشى ظرف بلا
اشكال فلو حمل الاشراق على الدخول فى وقت الشروق لكان مصدرا مع أن المراد به الظرف لانه فعل الشمس وصفتها التى تستعمل ظرفا
كالطلوع والغروب وشبههما (٢٧٨) * عاد كلامه الى قوله تعالى يسبحن (قال فيه ان قلت لم اختار يسبحن على مسبحات وأيهما أوقع
كان حالا وأجاب بان اختيارها لمعنى وهى الدلالة على حدوث التسبيح شيأ بعد شئ كأن السامع حاضر لها فيسمعها تسبح ومنه قول الاعشى
الى ضوء نار فى يفاع تحرق
ولو قال محرقة لم يكن شيأ) قلت وفى هذه النكتة فرق بحدوث

ذا الأيد انه أواب انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشى والاشراق والطير محشورة كل له أواب وشددنا ملكه وآتيناه

نفسك وحافظ عليها أن تزل فيما كلفت من مصابرتهم وتحمل أذاهم واذكر أخاك داود وكرامته على الله كيف زل تلك الزلة اليسيرة فلقى من توبيخ الله وتظليمه ونسبته الى البغى ما لقى (ذا الايد) ذا القوة فى الدين المضطلع بمشاقه وتكاليفه كان على نهوضه بأعباء النبوة والملك يصوم يوما ويفطر يوما وهو أشد الصوم ويقوم نصف الليل يقال فلان أيد وذو أيد وذو آد وأياد كل شئ ما يتقوى به (أواب) تواب رجاع الى مرضاة الله (فان قلت) ما دلك على أن الايد القوة فى الدين (قلت) قوله تعالى انه أواب لانه تعليل لذى الايد (والاشراق) ووقت الاشراق وهو حين تشرق الشمس أى تضئ ويصفو شعاعها وهو وقت الضحى وأما شروقها فطلوعها يقال شرقت الشمس ولما تشرق وعن أم هانئ دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا بوضوء فتوضأ ثم صلى صلاة الضحى وقال يا أم هانئ هذه صلاة الاشراق وعن طاوس عن ابن عباس قال هل تجدون ذكر صلاة الضحى فى القرآن قالوا لا فقرأ انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشى والاشراق وقال كانت صلاة يصليها داود عليه السلام وعنه ما عرفت صلاة الضحى الا بهذه الآية وعنه لم يزل فى نفسى من صلاة الضحى شئ حتى طلبتها فوجدتها بهذه الآية يسبحن بالعشى والاشراق وكان لا يصلى صلاة الضحى الا ثم صلاها بعد وعن كعب أنه قال لابن عباس انى لا أجد فى كتب الله صلاة بعد طلوع الشمس فقال أنا أوجدك ذلك فى كتاب الله تعالى يعنى هذه الآية ويحتمل أن يكون من أشرق القوم اذا دخلوا فى الشروق ومنه قوله تعالى فأخذتهم الصيحة مشرقين وقول أهل الجاهلية أشرق ثبير ويراد وقت صلاة الفجر لانتهائه بالشروق ويسبحن فى معنى ومسبحات على الحال (فان قلت) هل من فرق بين يسبحن ومسبحات (قلت) نعم وما اختير يسبحن على مسبحات الا لذلك وهو الدلالة على حدوث التسبيح من الجبال شيأ بعد شئ وحالا بعد حال وكأن السامع حاضر تلك الحال يسمعها تسبح ومثله قول الاعشى * الى ضوء نار فى يفاع تحرق * ولو قال محرقة لم يكن شيأ وقوله (محشورة) فى مقابلة يسبحن الا أنه لما لم يكن فى الحشر ما كان فى التسبيح من ارادة الدلالة على الحدوث شيأ بعد شئ جئ به اسما لا فعلا وذلك أنه لو قيل وسخرنا الطير يحشرن على أن الحشر يوجد من حاشرها شيأ بعد شئ والحاشر هو الله عز وجل لكان خلفا لان حشرها جملة واحدة أدل على القدرة وعن ابن عباس رضى الله عنهما كان اذا سبح جاوبته الجبال بالتسبيح واجتمعت اليه الطير فسبحت فذلك حشرها وقرئ والطير محشورة بالرفع (كل له أواب) كل واحد من الجبال والطير لاجل داود أى لاجل تسبيحه مسبح لانها كانت تسبح بتسبيحه ووضع الاواب موضع المسبح اما لانها كانت ترجع التسبيح والمرجع رجاع لانه يرجع الى فعله رجوعا بعد رجوع واما لان الاواب وهو التواب الكثير الرجوع الى الله وطلب مرضاته من عادته أن يكثر ذكر الله ويديم تسبيحه وتقديسه وقيل الضمير لله أى كل من داود والجبال والطير لله أواب أى مسبح مرجع للتسبيح (وشددنا ملكه) قويناه قال تعالى سنشد عضدك وقرئ شددنا على المبالغة قيل كان يبيت حول محرابه أربعون ألف مستلئم يحرسونه وقيل الذى شد الله به ملكه وألقى فى قلوب قومه الهيبة أن رجلا ادعى عنده على آخر بقرة وعجز عن اقامة البينة فأوحى الله تعالى اليه فى

من أصحابنا بين أن أحرم يوم أفعل كذا بصيغة اسم الفاعل وبين أحرم بصيغة المضارع فرأى ان المعلق بصيغة اسم الفاعل يكون محرما بوجود صيغة التعليق ولا كذلك المعلق بصيغة الفعل المضارع فانه لا يكون محرما حتى يحرم ويقال له أحرم فكأنه
رأى ان صيغة الفعل خصوصية فى الدلالة على حدوثه ولا كذلك اسم الفاعل وان كان متأخرا وأصحابنا اختلفوا ان قو
فى معنى قول سحنون فى اسم الفاعل يكون محرما يوم يفعل فمنهم من قال أراد الفور فيمشى احراما ومنهم من قال يكون محرما فى
بالتعليق الاول ولا يجدد شيأ ومذهب مالك التسوية بين صيغتى اسم الفاعل والفعل فى هذا المقام والله أعلم وحقق الزمخشرى هذه
بين اسم الفاعل والفعل فى قوله والطير محشورة كل له أواب فقال لما كان الواقع حشر الطير دفعة واحدة وكان ذلك أدل على القدرة
ذكر لا لاستعمال الفعل الدال على الحدوث شيأ فشيأ معنى فاستعمل فيه اسم المفعول على خلاف استعمال الفعل فى الاول

* قوله تعالى وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب الآية (ذكر) في تفسيرها فصلا أسرده على الاختصار والإيجاز لتندرج حقائق
فصل الخطاب قال كان أهل زمان داود يسأل بعضهم بعضا النزول له عن امرأته إذا أعجبته فيتزوجها وقد روي مثله عن الأنصار كانوا
يواسون المهاجرين بمثل ذلك فوقعت عين داود عليه السلام على امرأة أوريا فأعجبته فسأله إياها فاستحيا منه فنزل عنها
فتزوجها وأولدها سليمان فقيل له إنك مع كثرة نسائك لم يكن ينبغي لك أن تسأل رجلا ليس له إلا امرأة واحدة النزول عنها وكان
الأفضل قهر الهوى وقيل خطبها أوريا ثم خطبها داود فرغب إليه أهلها فاندرج في الخاطب على خطبة أخيه وأما ما يذكر أن داود تمنى
منزلة آبائه الأنبياء فقيل له إنهم ابتلوا فصبروا فسأل الابتلاء على الصبر فقيل له إنك تبتلى يوم كذا فاحترس ذلك اليوم
وأغلق عليه محرابه فتمثل له الشيطان في صورة حمامة ذهب فمد يده ليأخذها لولده الصغير فطارت فتبعها فرأى المرأة قد نقضت شعرها فبعث إلى أوريا صاحب بعث البلقاء أن قدم أوريا إلى التابوت وهو من غزاة البلقاء وكان المتقدم إليه يحرم عليه الرجوع حتى يفتح الله على يده أو يستشهد فتقدم

الحكمة وفصل الخطاب

فسلم فأمر بتقدمه مرة أخرى وثالثة فقتل فلم يحزن عليه كحزنه على الشهداء وتزوج امرأته المذكورة فهذا ونحوه مما يقبح الحديث به عن متسم بصلاح من آحاد المسلمين فضلا عن بعض أعلام الأنبياء وعن سعيد بن المسيب أن علي بن أبي طالب
قال من حدثكم بقصة داود كما يرويه القصاص جلدته مائة وستين حد الفرية وروي أن عمر بن عبد العزيز حدثه رجل بذلك
وعنده عالم محقق فكذب المحدث بذلك وقال إن كانت القصة على ما في كتاب الله فما التماس خلافها وأعظم بقول وإن كانت على ما ذكرت وكف
الله عنها سترا على نبيه عليه السلام فما ينبغي لك إظهارها بما ستره الله تعالى فقال عمر بن عبد العزيز لسماعي هذا الكلام أحب إلي مما طلعت
عليه الشمس * قال الزمخشري والذي يدل عليه المثل الذي ضربه الله أن قصته لم تكن إلا طلبه إلى زوج المرأة أن ينزل له عنها فقط ثم
أورد ذلك على طريقة التمثيل والتعريض دون التصريح وذلك أن التعريض داع إلى التأمل والتنبيه لوجه الخطأ
ولما فيه من اجتناب المجاهرة في الإنكار والتوبيخ وإلقائه بطريق التمثيل ليستخرج ذلك من غيره فيجعله مقياسا لاستقباح ذلك من
نفسه فيكون أدعى إلى الإقلاع على الخطيئة كما أوصى الحكماء بالشفقة في سياسة الولد والدلال له إذا وجدت منه هفوة منكرة قال وجاء ذلك على وجه

أن اقتل المدعى عليه فقال هذا منام فأعيد الوحي في اليقظة فأعلم الرجل فقال إن الله عز وجل لم يأخذني بهذا
الذنب ولكن بأني قتلت أباه هذا غيلة فقتله فقال الناس إن أذنب أحد ذنبا أظهره الله عليه فقتله فهابوه
(والحكمة) الزبور وعلم الشرائع وقيل كل كلام وافق الحق فهو حكمة * الفصل التمييز بين الشيئين وقيل
للكلام البين فصل بمعنى المفصول كضرب الأمير لأنهم قالوا كلام ملتبس وفي كلامه لبس والملتبس المختلط
فقيل في نقيضه فصل أي مفصول بعضه من بعض فمعنى فصل الخطاب البين من الكلام الملخص الذي يتبينه
من يخاطب به لا يلتبس عليه ومن فصل الخطاب وملخصه أن لا يخطئ صاحبه مظان الفصل والوصل فلا
يقف في كلمة الشهادة على المستثنى منه ولا يتلو قوله فويل للمصلين إلا موصولا بما بعده ولا والله يعلم وأنتم حتى
يصله بقوله لا تعلمون ونحو ذلك وكذلك مظان العطف وتركه والإضمار والإظهار والحذف والتكرار وإن
شئت كان الفصل بمعنى الفاصل كالصوم والزور وأردت بفصل الخطاب الفاصل من الخطاب الذي يفصل
بين الصحيح والفاسد والحق والباطل والصواب والخطأ وهو كلامه في القضايا والحكومات وتدابير الملك
والمشورات وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه هو قوله البينة على المدعي واليمين على المدعى عليه وهو
من الفصل بين الحق والباطل ويدخل فيه قول بعضهم هو قوله أما بعد لأنه يفتتح إذا تكلم في الأمر الذي له
شأن بذكر الله وتحميده فإذا أراد أن يخرج إلى الغرض المسوق إليه فصل بينه وبين ذكر الله بقوله أما بعد
ويجوز أن يراد الخطاب القصد الذي ليس فيه اختصار مخل ولا إشباع ممل ومنه ما جاء في صفة كلام رسول
الله صلى الله عليه وسلم فصل لا نزر ولا هذر * كان أهل زمان داود عليه السلام يسأل بعضهم بعضا أن ينزل له
عن امرأته فيتزوجها إذا أعجبته وكانت لهم عادة في المواساة بذلك قد اعتادوها وقد روينا أن الأنصار كانوا
يواسون المهاجرين بمثل ذلك فاتفق أن عين داود وقعت على امرأة رجل يقال له أوريا فأحبها فسأله النزول
له عنها فاستحيا أن يرده ففعل فتزوجها وهي أم سليمان فقيل له إنك مع عظم منزلتك وارتفاع مرتبتك وكبر
شأنك وكثرة نسائك لم يكن ينبغي لك أن تسأل رجلا ليس له إلا امرأة واحدة النزول عنها بل كان الواجب عليك
مغالبة هواك وقهر نفسك والصبر على ما امتحنت به وقيل خطبها أوريا ثم خطبها داود فآثره أهلها فكان ذنبه
أن خطب على خطبة أخيه المؤمن مع كثرة نسائه وأما ما يذكر أن داود عليه السلام تمنى منزلة آبائه إبراهيم
وإسحاق ويعقوب فقال يا رب إن آبائي قد ذهبوا بالخير كله فأوحى إليه أنهم ابتلوا ببلايا فصبروا عليها قد ابتلي
إبراهيم بنمرود وذبح ولده وإسحاق بذبحه وذهاب بصره ويعقوب بالحزن على يوسف فسأل الابتلاء فأوحى الله
إليه إنك لمبتلى في يوم كذا وكذا فاحترس فلما حان ذلك اليوم دخل محرابه وأغلق بابه وجعل يصلي ويقرأ الزبور
فجاءه الشيطان في صورة حمامة من ذهب فمد يده ليأخذها لابن له صغير فطارت فامتد إليها فطارت فوقعت

في كوة فتبعها فأبصر امرأة جميلة قد نقضت شعرها فغطى بدنها وهي امرأة أوريا وهو من غزاة البلقاء
فكتب الى أيوب بن صوريا وهو صاحب بعث البلقاء أن ابعث أوريا وقدمه على التابوت وكان من يتقدم على
التابوت لا يحل له أن يرجع حتى يفتح الله على يده أو يستشهد ففتح الله على يده وسلم فأمر برده مرة أخرى وثالثة
حتى قتل فأتاه خبر قتله فلم يحزن كما كان يحزن على الشهداء وتزوج امرأته فهذا ونحوه مما يقبح أن يحدث
به عن بعض المتسمين بالصلاح من أفناء المسلمين فضلا عن بعض أعلام الأنبياء وعن سعيد بن المسيب والحرث
الأعور أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال من حدثكم بحديث داود على ما يرويه القصاص جلدته مائة
وستين وهو حد الفرية على الأنبياء وروى أنه حدث بذلك عمر بن عبد العزيز وعنده رجل من أهل الحق
فكذب المحدث به وقال ان كانت القصة على ما في كتاب الله فما ينبغي أن يلتمس خلافها وأعظم بأن يقال غير
ذلك وان كانت على ما ذكرت وكف الله عنها سترا على نبيه فما ينبغي اظهارها عليه فقال عمر لسماعي هذا
الكلام أحب الي مما طلعت عليه الشمس والذي يدل عليه المثل الذي ضربه الله لقصته عليه السلام ليس
الا طلبه الى زوج المرأة أن ينزل له عنها فحسب (فان قلت) لم جاءت على طريقة التمثيل والتعريض دون
التصريح (قلت) لكونها أبلغ في التوبيخ من قبل أن التأمل اذا أداه الى الشعور بالمعرض به كان أوقع في
نفسه وأشد تمكنا من قلبه وأعظم أثرا فيه وأجلب لاحتشامه وحيائه وأدعى الى التنبه على الخطأ فيه من أن
يبادره به صريحا مع مراعاة حسن الأدب بترك المجاهرة ألا ترى الى الحكماء كيف أوصوا في سياسة الولد اذا
وجدت منه هنة منكرة بأن يعرض له بانكارها عليه ولا يصرح وأن تحكى له حكاية ملاحظة لحاله اذا
تأملها استسمج حال صاحب الحكاية فاستسمج حال نفسه وذلك أزجر له لأنه ينصب ذلك مثالا لحاله ومقياسا
لشأنه فيتصور قبح ما وجد منه بصورة مكشوفة مع أنه أصون لما بين الوالد والولد من حجاب الحشمة (فان
قلت) فلم كان ذلك على وجه التحاكم اليه (قلت) ليحكم بما حكم به من قوله لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه حتى
يكون محجوجا بحكمه ومعترفا على نفسه بظلمه (وهل أتاك نبأ الخصم) ظاهره الاستفهام ومعناه الدلالة على
أنه من الأنباء العجيبة التي حقها أن تشيع ولا تخفى على أحد والتشويق الى استماعه والخصم الخصماء وهو
يقع على الواحد والجمع كالضيف قال الله تعالى حديث ضيف ابراهيم المكرمين لأنه مصدر في أصله تقول
خصمه خصما كما تقول ضافه ضيفا (فان قلت) هذا جمع وقوله خصمان تثنية فكيف استقام ذلك (قلت)
معنى خصمان فريقان خصمان والدليل عليه قراءة من قرأ خصمان بغى بعضهم على بعض ونحوه قوله
هذان خصمان اختصموا في ربهم (فان قلت) فما تصنع بقوله ان هذا أخي وهو دليل على اثنين (قلت) هذا
قول البعض المراد بقوله بعضنا على بعض (فان قلت) فقد جاء في الرواية أنه بعث اليه ملكان (قلت) هب أن
التحاكم كان بين ملكين ولا يمنع ذلك أن يصحبهما آخرون (فان قلت) فاذا كان التحاكم بين اثنين كيف سماهم
جميعا خصما في قوله نبأ الخصم وخصمان (قلت) لما كان صحب كل واحد من المتحاكمين في صورة
الخصم صحت التسمية (فان قلت) بم انتصب (اذ) (قلت) لا يخلو اما أن ينتصب بأتاك أو بالنبأ أو بمحذوف
انتصابه بأتاك لأن اتيان النبأ رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقع الا في عهده لا في عهد داود ولا
النبأ الواقع في عهد داود لا يصح اتيانه رسول الله صلى الله عليه وسلم وان أردت بالنبأ القصة في نفسها
ناصبا فبقي أن ينتصب بمحذوف وتقديره وهل أتاك نبأ تحاكم الخصم ويجوز أن ينتصب بالخصم لما فيه
معنى الفعل وأما اذ الثانية فبدل من الأولى (تسوروا المحراب) تصعدوا سوره ونزلوا اليه والسور
المرتفع ونظيره في الأبنية تسنمه اذا علا سنامه وتذرّاه اذا علا ذروته وروى أن الله تعالى بعث اليه ملكين في
صورة انسانين فطلبا أن يدخلا عليه فوجداه في يوم عبادته فمنعهما الحرس فتسوروا عليه المحراب فلم
الا وهما بين يديه جالسان (ففزع منهم) قال ابن عباس ان داود عليه السلام جزأ زمانه أربعة أجزاء
العبادة ويوما للقضاء ويوما للاشتغال بخواص أموره ويوما يجمع بني اسرائيل فيعظهم ويبكيهم فجاؤه في
يوم العبادة ففزع منهم ولأنهم نزلوا عليه من فوق وفي يوم الاحتجاب والحرس حوله لا يتركون

يدخل

وهل أتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب اذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف

التحاكم ليحكم بقوله لقد ظلمك فتقوم الحجة عليه بحكمه قال وقوله وهل أتاك جاء على وجه الاستفهام تنبيها على أن هذه قصة عجيبة من حقها أن تشيع ولا تخفى على أحد وتشوق الى سماعها أيضا

بل في قوله هذا أخي ان الاخوة كيفما كانت اما من الصداقة أو من الدين أو من الشركة والخلطة تدلي بحق مانع من الاعتداء والظلم فلذلك قال ان هذا أخي وقال في الخطاب يحتمل أن يكون من المخاطبة ومعناه أنا في عالم أقدر على رده من الجدال ويحتمل أن يكون الخطبة مفاعلة أي خطبت تخطب على خطبتي فغلبني والمفاعلة لان الخطبة صدرت منهما جميعا وقال في ذكر النعاج انما التمثيل فكان كهم تمثيلا وكلامهم أيضا تمثيلا لانه أبلغ لما تقدم والتنبيه على ان هذا أمر يستحيا من التصريح به وانه مما يكنى عنه بحاجة فصاح به والستر على داود عليه السلام ووجه التمثيل فيه ان مثلت قصة أوريا بر جل له نعجة (٢٨١) واحدة وخليطه تسع وتسعون فأراد أن يتمها مائة بالنعجة المذكورة ثم قال فان قلت طريقة التمثيل انما تستعمل على جعل الخطاب من الخطابة فان كان من الخطبة فما وجهه قال الوجه حينئذ ان تجعل النعجة استعارة للمرأة كما استعار والها

خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا الى سواء الصراط ان هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال أكفلنيها وعزني في الخطاب قال

الشاة في قوله
ياشاة ما قنص لمن حلت له
الا ان لفظ الخلطاء يأباه اللهم الا أن يكون استداما مثل من داود عليه السلام (قلت) والفرق بين التمثيل والاستعارة انه على التمثيل يكون الذى سبق الى فهم داود عليه

دل عليه (خصمان) خبر مبتدا محذوف أي نحن خصمان (ولا تشطط) ولا تجر وقرئ ولا تشطط أي تبعد عن الحق وقرئ ولا تشطط ولا تشاطط وكلها من معنى الشطط وهو مجاوزة الحد وتخطي الحق (سواء الصراط) وسطه ومحجته ضربه مثلا لعين الحق ومحضه (أخي) بدل من هذا أو خبر لان والمراد اخوة الدين أو أخوة الصداقة والالفة أو أخوة الشركة والخلطة لقوله تعالى وان كثيرا من الخلطاء وكل واحدة من هذه الاخوات تدلي بحق مانع من الاعتداء والظلم وقرئ تسع وتسعون بفتح التاء ونعجة بكسر النون وهذا من اختلاف اللغات نحو نطع ونطع ولقوة ولقوة (أكفلنيها) ملكنيها وحقيقته اجعلني أكفلها كما أكفل ما تحت يدي (وعزني) وغلبني يقال عزه يعزه قال

قطاة عزها شرك فباتت * تجاذبه وقد علق الجناح

يعني جاءني بحجاج لم أقدر أن أورد عليه ما أرده به * وأراد بالخطاب مخاطبة المحاج المجادل أو أراد خطبت المرأة وخطبها هو فخاطبني خطابا أي غالبني في الخطبة فغلبني حيث زوجها دوني وقرئ وعازني من المعازة وهي المغالبة وقرأ أبو حيوة وعزني بتخفيف الزاي طلبا للخفة وهو تخفيف غريب وكأنه قاسه على نحو ظلت ومست (فان قلت) ما معنى ذكر النعاج (قلت) كان تحاكمهم في نفسه تمثيلا وكلامهم تمثيلا لان التمثيل أبلغ في التوبيخ لما ذكرنا وللتنبيه على أنه أمر يستحيا من كشفه فيكنى عنه كما يكنى عما يستسمج الافصاح به وللستر على داود عليه السلام والاحتفاظ بحرمته ووجه التمثيل فيه أن مثلت قصة أوريا مع داود بقصة رجل له نعجة واحدة ولخليطه تسع وتسعون فأراد صاحبه تتمة المائة فطمع في نعجة خليطه وأراده على الخروج من ملكها اليه وحاجه في ذلك محاجة حريص على بلوغ مراده والدليل عليه قوله وان كثيرا من الخلطاء وانما خص هذه القصة لما فيها من الرمز الى الغرض بذكر النعجة (فان قلت) انما يستقيم طريقة التمثيل اذا فسرت الخطاب بالمخاطبة فان فسرته بالمفاعلة من الخطبة لم يستقم (قلت) الوجه مع هذا التفسير أن أجعل النعجة استعارة عن المرأة كما استعاروا لها الشاة في نحو قوله ياشاة ما قنص لمن حلت له * فرميت غفلة عينه عن شاته وأجعله من قال كنعاج الملا تعسفن رملا لولا أن الخلطاء تأباه الا أن يضرب داود الخلطاء ابتداء في أثناء كلامه (فان قلت) الملائكة عليهم السلام كيف صح منهم أن يخبروا عن أنفسهم بما لم يتلبسوا به ولا كثير ولا هو من شأنهم (قلت) هو تصوير للمسألة وفرض لها فصوروها في أنفسهم وكانوا في صورة الاناسي كما تقول في تصوير المسائل زيد له أربعون شاة وعمرو له أربعون وأنت تشير اليهما فخلطاها وحال عليها الحول كم يجب فيها وما لزيد وعمرو سبد ولا لبد وتقول أيضا في تصويرها لك أربعون شاة ولي أربعون فخلطناها وما لكما من الاربعين أربعة ولا ربعها (فان قلت) ما وجه قراءة ابن مسعود ولي نعجة أنثى (قلت) يقال امرأة أنثى للحسناء الجميلة والمعنى وصفها بالعراقة في لين الانوثة وفتورها وذلك أملح لها وأزيد في تكسرها وتثنيها الا ترى الى وصفهم لها بالكسول والمكسال وقوله فتور القيام قطيع الكلام وقوله

السلام أن التحاكم على ظاهره وهو التخاصم في النعاج التي هي البهائم ثم ينتقل بواسطة التنبيه الى التمثيل بحاله وعلى الاستعارة يكون فهم عنهما التحاكم في النساء المعبر عنهن بالنعاج كناية ثم استشعر أنه هو المراد بذلك قال فان قلت ان الملائكة الاخبار عن أنفسهم بما لم يتلبسوا بشئ منه وأجاب بان ذلك على سبيل التصوير والفرض كما تقول في تصوير المسئلة زيد له أربعون شاة وعمرو له أربعون فخلطاها فماذا يجب عليهما من الزكاة وتقول أيضا لي أربعون شاة ولك أربعون وما لك ولا لي أربعة ولا ربعها فان قلت فما وجه قراءة ابن مسعود ولي نعجة أنثى وأجاب بانه يقال امرأة أنثى للحسناء الجميلة ومعناه العراقة في لين الانوثة وفتورها وذلك أملح لها وأزيد في تكسرها وتثنيها الا ترى الى وصفهم لها بالكسول والمكسال كقوله

فتور القيام وقطع الكلام اهـ كلامه (قلت) ولكن قوله ولى نعجة انما أورده على سبيل التقليل لما عنده والتحقير ليحمل على صاحبه بالبغي لطلبه هذا القليل الحقير وعنده الجم الغفير فكيف يليق وصف ما عنده والمراد تقليله بصفة الحسن التي توجب اقامة عذر خصمه ولذلك جاءت القراءة المشهورة على الاقتصار على ذكر النعجة وتأكيدها بقوله واحدة فهذا اشكال على قراءة ابن مسعود ويمكن الجواب عنه بان القصة الواقعة لما كانت امرأة أوريا المثلة بالنعجة فيها مشهورة بالحسن وصفها بانها في قصة الخصمين بالحسن زيادة في التطبيق لتأكيد التنبيه على انه هو المراد بالتمثيل ثم قال فان قلت لم سارع بتصديق أحد الخصمين قبل سماع كلام الآخر وأجاب بان ذلك كان بعد اعتراف خصمه ولكنه لم يحك في القرآن لانه معلوم اهـ كلامه (قلت) ويحتمل ان يكون ذلك من داود على سبيل الفرض والتقدير أي ان صح ذلك فقد ظلمك ونقل بعضهم ان هذه القصة لم تكن من الملائكة وليست تمثيلا وانما كانت من البشر اما خليطين في الغنم حقيقة واما كان

تمشي رويدا تكاد تنغرف (لقد ظلمك) جواب قسم محذوف وفي ذلك استنكار لفعل خليطه وتهجين لطمعه والسؤال مصدر مضاف الى المفعول كقوله تعالى من دعاء الخير وقد ضمن معنى الاضافة فعدي تعديتها كأنه قيل باضافة (نعجتك الى نعاجه) على وجه السؤال والطلب (فان قلت) كيف سارع الى تصديق أحد الخصمين حتى ظلم الآخر قبل استماع كلامه (قلت) ما قال ذلك الا بعد اعتراف صاحبه ولكنه لم يحك في القرآن لانه معلوم ويروى أنه قال أنا أريد أن آخذها منه وأكمل نعاجي مائة فقال داود ان رمت ذلك ضربنا منك هذا وهذا وأشار الى طرف الانف والجبهة فقال يا داود أنت أحق أن يضرب منك هذا وهذا وأنت فعلت كيت وكيت ثم نظر داود فلم ير أحدا فعرف ما وقع فيه و (الخلطاء) الشركاء الذين خلطوا أموالهم الواحد خليط وهي الخلطة وقد غلبت في الماشية والشافعي رحمه الله يعتبرها فاذا كان الرجلان خليطين في ماشية بينهما غير مقسومة أو لكل واحد منهما ماشية على حدة الا أن مراحهما ومسقاهما وموضع حلبهما والراعي والكلب واحد والفحولة مختلطة فهما يزكيان زكاة الواحد فان كان لهما أربعون شاة فعليهما شاة وان كانوا ثلاثة ولهم مائة وعشرون لكل واحد أربعون فعليهم واحدة كما لو كانت لواحد وعند أبي حنيفة لا تعتبر الخلطة والخليط والمنفرد عنده واحد ففي أربعين بين خليطين لا شيء عنده وفي مائة وعشرين بين ثلاثة ثلاث شياه (فان قلت) فهذه الخلطة ما تقول فيها (قلت) عليهما شاة واحدة فيجب على ذي النعجة أداء جزء من مائة جزء من الشاة عند الشافعي رحمه الله وعند أبي حنيفة لا شيء عليه (فان قلت) ماذا أراد بذكر حال الخلطاء في ذلك المقام (قلت) قصد به الموعظة الحسنة والترغيب في إيثار عادة الخلطاء الصلحاء الذين حكم لهم بالقلة وأن يكره اليهم الظلم والاعتداء الذي عليه أكثرهم مع التأسف على حالهم وأن يسلي المظلوم عما جرى عليه من خليطه وأن له في أكثر الخلطاء أسوة وقرئ ليبغي بفتح الياء على تقدير النون الخفيفة وحذفها كقوله

اضرب عنك الهموم طارقها

وهو جواب قسم محذوف وليبغ بحذف الياء اكتفاء منها بالكسرة وما في (وقليل ما هم) للابهام وفيه تعجب من قلتهم وان أردت أن تتحقق فائدتها وموقعها فاطرحها من قول امرئ القيس وحديث ما على قصره وانظر هل بقي له معنى قط لما كان الظن الغالب يداني العلم استعير له ومعناه وعلم داود وأيقن (أنما فتناه) انما ابتليناه لا محالة بامرأة أوريا هل يثبت أو يزل وقرئ فتناه بالتشديد للمبالغة وافتناه من قوله

لئن فتنتني لهي بالامس أفتنت

وفتناه وفتناه على أن الالف ضمير الملكين وعبر بالراكع عن الساجد لانه ينحني ويخضع كالساجد وبه استشهد أبو حنيفة وأصحابه في سجدة التلاوة على أن الركوع يقوم مقام السجود وعن الحسن لانه لا يكون ساجدا حتى يركع ويجوز أن يكون قد استغفر لذنبه وأحرم بركعتي الاستغفار والانابة فيكون المعنى وخر للسجود راكعا أي مصليا لان الركوع يجعل

اقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه وان كثيرا من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم وظن داود انما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا

أحدهما موسر وله نسوان كثيرة من المهائر والسراري والثاني معسر وماله الا امرأة واحدة فاستنزله عنها وفزع داود وخوفه ان يكونا مغتالين لانهما دخلا عليه في غير وقت القضاء وما كان

ذنب داود الا أنه صدق أحدهما على الآخر ونسبه الى الظلم قبل مسألته اهـ كلامه (قلت) مقصود هذا القائل عن تنزيه داود عن ذنب يبعث عليه شهوة النساء فاخذ الآية على ظاهرها وصرف الذنب الى العجلة في نسبة الظلم الى المدعى عليه الباعث على ذلك في الغالب انما هو التهاب الغضب وكراهيته أخف مما يكون الباعث عليه الشهوة والهوى ولعل هذا يؤكد رأيه في الآية بقوله تعالى عقيبها وصية لداود عليه السلام يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فانما وردت العناية بتوصيته فيما يتعلق بالاحكام الا والذي صدر منه أولا وبان منه من قبيل ما وقع له في الحكم بين الخصمين وقد التزم المحققون من أئمتنا ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام داود وغيره منزهون من الوقوع في صغائر الذنوب مبرؤن من التعسف والتحامل والاستخفاف لامثال هذه القصة وهذا هو الحق الابلج والسبيل الانهج ان شاء الله تعالى

وأناب فغفرنا له ذلك
وان له عندنا لزلفى
وحسن مآب يا داود
انا جعلناك خليفة في
الارض فاحكم بين
الناس بالحق ولا تتبع
الهوى فيضلك عن
سبيل الله ان الذين
يضلون عن سبيل الله
لهم عذاب شديد بما
نسوا يوم الحساب وما
خلقنا السماء والارض
وما بينهما باطلا ذلك
ظن الذين كفروا فويل
للذين كفروا من النار
أم نجعل الذين آمنوا
وعملوا الصالحات
كالمفسدين في الارض
أم نجعل المتقين كالفجار
كتاب أنزلناه اليك
مبارك ليدبروا آياته
وليتذكر أولوا
الالباب ووهبنا لداود
سليمان نعم العبد انه
أواب اذ عرض عليه

عن الصلاة (وأناب) ورجع الى الله تعالى بالتوبة والتنصل وروى أنه بقى ساجدا أربعين يوما وليلة لا يرفع رأسه الا لصلاة مكتوبة أو ما لا بد منه ولا يرقأ دمعه حتى نبت العشب من دمعه الى رأسه ولم يشرب ماء الا وثلثاه دمع وجهد نفسه راغبا الى الله تعالى في العفو عنه حتى كاد يهلك واشتغل بذلك عن الملك حتى وثب ابن له يقال له ايشا على ملكه ودعا الى نفسه واجتمع اليه أهل الزيغ من بنى اسرائيل فلما غفر له حاربه فهزمه وروى أنه نقش خطيئته في كفه حتى لا ينساها وقيل ان الخصمين كانا من الانس وكانت الخصومة على الحقيقة بينهما اما كانا خليطين في الغنم واما كان أحدهما موسرا وله نسوان كثيرة من المهائر والسرارى والثانى معسرا ماله الا امرأة واحدة فاستنزله عنها وانما فزع لدخولهما عليه في غير وقت الحكومة أن يكونا مغتالين وما كان ذنب داود الا أنه صدق أحدهما على الآخر وظلمه قبل مسئلته (خليفة في الارض) أى استخلفناك على الملك في الارض كمن يستخلفه بعض السلاطين على بعض البلاد ويملكه عليها ومنه قولهم خلفاء الله في أرضه أو جعلناك خليفة عمن كان قبلك من الانبياء القائمين بالحق وفيه دليل على أن حاله بعد التوبة بقيت على ما كانت عليه لم تتغير (فاحكم بين الناس بالحق) أى بحكم الله تعالى اذ كنت خليفته (ولا تتبع) هوى النفس في قضائك وغيره مما تصرف فيه من أسباب الدين والدنيا (فيضلك) الهوى فيكون سببا لضلالك (عن سبيل الله) عن دلائله التى نصبها في العقول وعن شرائعه التى شرعها وأوحى بها (يوم الحساب) متعلق بنسوا أى بنسيانهم يوم الحساب أو بقوله لهم أى لهم عذاب يوم القيامة بسبب نسيانهم وهو ضلالهم عن سبيل الله وعن بعض خلفاء بنى مروان أنه قال لعمر بن عبد العزيز أو للزهرى هل سمعت ما بلغنا قال وما هو قال بلغنا أن الخليفة لا يجرى عليه القلم ولا تكتب عليه معصية فقال يا أمير المؤمنين الخلفاء أفضل أم الانبياء ثم تلا هذه الآية (باطلا) خلقا باطلا لا لغرض صحيح وحكمة بالغة أو مبطلين عابثين كقوله تعالى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق وتقديره ذوى باطل أو عبثا فوضع باطلا موضعه كما وضعوا هنيأ موضع المصدر وهو صفة أى ما خلقناهما وما بينهما للعبث واللعب ولكن للحق المبين وهو أن خلقناها نفوسا أودعناها العقل والتمييز ومنحناها التمكين وأزحنا عللها ثم عرضناها للمنافع العظيمة بالتكليف وأعددنا لها عاقبة وجزاء على حسب أعمالهم (ذلك) اشارة الى خلقها باطلا والظن بمعنى المظنون أى خلقها للعبث لا للحكمة هو مظنون الذين كفروا (فان قلت) اذا كانوا مقرين بأن الله خالق السموات والارض وما بينهما بدليل قوله ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله فبم جعلوا ظانين أنه خلقها للعبث لا للحكمة (قلت) لما كان انكارهم البعث والحساب والثواب والعقاب مؤديا الى أن خلقها عبث وباطل جعلوا كأنهم يظنون ذلك ويقولونه لان الجزاء هو الذى سيقت اليه الحكمة في خلق العالم من رأسها فمن جحده فقد جحد الحكمة من أصلها ومن جحد الحكمة في خلق العالم فقد سفه الخالق وظهر بذلك أنه لا يعرفه ولا يقدره حق قدره فكان اقراره بكونه خالقا كلا اقرار (أم) منقطعة ومعنى الاستفهام فيها الانكار والمراد أنه لو بطل الجزاء كما يقول الكافرون لاستوت عند الله أحوال من أصلح وأفسد واتقى وفجر ومن سوى بينهم كان سفيها ولم يكن حكيما وقرئ مباركا وليتدبروا على الاصل ولتدبروا على الخطاب وتدبر الآيات التفكر فيها والتأمل الذى يؤدى الى معرفة ما يدبر ظاهرها من التأويلات الصحيحة والمعانى الحسنة لان من اقتنع بظاهر المتلو لم يحل منه بكثير طائل وكان مثله كمثل من له لقحة درور لا يحلبها ومهرة نثور لا يستولدها وعن الحسن قد قرأ هذا القرآن عبيد وصبيان لا علم لهم بتأويله حفظوا حروفه وضيعوا حدوده حتى ان أحدهم ليقول والله لقد قرأت القرآن فما أسقطت منه حرفا وقد والله أسقطه كله ما يرى القرآن عليه أثر في خلق ولا عمل والله ما هو بحفظ حروفه واضاعة حدوده والله ما هؤلاء بالحكماء ولا الوزعة لا كثر الله في الناس مثل هؤلاء اللهم اجعلنا من العلماء المتدبرين وأعذنا من القراء المتكبرين وقرئ نعم العبد على الاصل والمخصوص بالمدح محذوف وعلل كونه ممدوحا بكونه أوابا رجاعا اليه بالتوبة أو مسبحا مؤوبا بالتسبيح مرجعا له لان كل مؤوب أواب والصافن الذى في قوله

ألف الصفون فما يزال كأنه * مما يقوم على الثلاث كسيرا

وقيل الذي يقوم على طرف سنبك يد أو رجل وهو المتخيم وأما الصافن فالذي يجمع بين يديه وعن النبي صلى الله عليه وسلم من سره أن يقوم الناس له صفونا فليتبوأ مقعده من النار أي واقفين كما خدم الجبابرة (فإن قلت) ما معنى وصفها بالصفون (قلت) الصفون لا يكاد يكون في الهجن وإنما هو في العراب الخلص وقيل وصفها بالصفون والجودة ليجمع لها بين الوصفين المحمودين واقفة وجارية يعني إذا وقفت كانت ساكنة مطمئنة في مواقفها وإذا جرت كانت سراعا خفافا في جريها وروي أن سليمان عليه السلام غزا أهل دمشق ونصيبين فأصاب ألف فرس وقيل ورثها من أبيه وأصابها أبوه من العمالقة وقيل خرجت من البحر لها أجنحة فقعد يوما بعدما صلى الأولى على كرسيه واستعرضها فلم تزل تعرض عليه حتى غربت الشمس وغفل عن العصر أو عن ورد من الذكر كان له وقت العشي وتهيبوه فلم يعلموه فاغتم لما فاته فاستردها وعقرها مقربا لله وبقي مائة فما في أيدي الناس من الجياد فمن نسلها وقيل لما عقرها أبدله الله خيرا منها وهي الريح تجري بأمره (فإن قلت) ما معنى (أحببت حب الخير عن ذكر ربي) (قلت) أحببت مضمن معنى فعل يتعدى بعن كأنه قيل أنبت حب الخير عن ذكر ربي أو جعلت حب الخير مجزيا أو مغنيا عن ذكر ربي وذكر أبو الفتح الهمداني في كتاب التبيان أن أحببت بمعنى لزمت من قوله مثل بعير السوء إذا أحبا وليس بذاك والخير المال كقوله إن ترك خيرا وقوله وإنه لحب الخير لشديد والمال الخيل التي شغلته أو سمى الخيل خيرا كأنها نفس الخير لتعلق الخير بها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة وقال في زيد الخيل حين وفد عليه وأسلم ما وصف لي رجل فرأيته إلا كان دون ما بلغني إلا زيد الخيل وسماه زيد الخير وسأل رجل بلالا رضي الله عنه عن قوم يستبقون من السابق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له الرجل أردت الخيل فقال وأنا أردت الخير والتواري بالحجاب مجاز في غروب الشمس عن تواري الملك أو المخبأة بحجابها والذي دل على أن الضمير للشمس مرور ذكر العشي ولا بد للمضمر من جري ذكر أو دليل ذكر وقيل الضمير للصافنات أي حتى توارت بحجاب الليل يعني الظلام ومن بدع التفاسير أن الحجاب جبل دون قاف بمسيرة سنة تغرب الشمس من ورائه (فطفق مسحا) فجعل يمسح مسحا أي يمسح بالسيف بسوقها وأعناقها يعني يقطعها يقال مسح علاوته إذا ضرب عنقه ومسح المسفر الكتاب إذا قطع أطرافه بسيفه وعن الحسن كسف عراقيبها وضرب أعناقها أراد بالكسف القطع ومنه الكسف في ألقاب الزحاف في العروض ومن قاله بالشين المعجمة فمصحف وقيل مسحها بيده استحسانا لها وإعجابا بها (فإن قلت) بم اتصل قوله ردوها علي (قلت) بمحذوف تقديره قال ردوها علي فأضمر وأضمر ما هو جواب له كأن قائلا قال فماذا قال سليمان لأنه موضع مقتض للسؤال اقتضاء ظاهرا وهو اشتغال نبي من أنبياء الله بأمر الدنيا حتى تفوته الصلاة عن وقتها وقرئ بالسؤوق بهمز الواو لضمتها كما في أدؤر ونظيره الغؤور في مصدر غارت الشمس وأما من قرأ بالسؤق فقد جعل الضمة في السين كأنها في الواو للتلاصق كما قيل مؤسى ونظير ساق وسوق أسد وأسد وقرئ بالساق اكتفاء بالواحد عن الجمع لأمن الإلباس قيل فتن سليمان بعد ما ملك عشرين سنة وملك بعد الفتنة عشرين سنة وكان من فتنته أنه ولد له ابن فقالت الشياطين إن عاش لم ننفك من السخرة فسبيلنا أن نقتله أو نخبله فعلم ذلك فكان يغذوه في السحابة فما راعه إلا أن ألقي على كرسيه ميتا فتنبه على خطئه في أن لم يتوكل فيه على ربه فاستغفر ربه وتاب إليه وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال سليمان لأطوفن الليلة على سبعين امرأة كل واحدة تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله ولم يقل إن شاء الله فطاف عليهن فلم يحمل إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل والذي نفسي بيده لو قال إن شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا أجمعون فذلك قوله تعالى (ولقد فتنا سليمان) وهذا ونحوه مما لا بأس به وأما ما يروى من حديث الخاتم والشيطان وعبادة الوثن في بيت سليمان فالله أعلم بصحته حكوا أن سليمان بلغه خبر صيدون وهي مدينة في بعض الجزائر وأن بها ملكا عظيم الشأن لا يقوى عليه لتحصنه بالبحر فخرج إليه تحمله الريح حتى أناخ بها بجنوده

بالعشي الصافنات الجياد فقال إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب ردوها علي فطفق مسحا بالسوق والأعناق ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب قال رب اغفر لي وهب لي ملكا

قوله تعالى الصافنات الجياد (قال) الصفون أن يقف على ثلاث وعلى طرف الرابع وقيل هذا التخييم والصافن الذي يجمع بين يديه قال ووصفها بذلك لأنه لا يكون في الهجن غالبا وإنما يكون في العراب الخلص أو وصفها ليجمع لها الوصفين المحمودين جارية وواقفة فوصفها في جريها بالجودة والسرعة وفي وقوفها بالسكينة والطمأنينة لأن ذلك من لوازم الصفون غالبا

من الجن والإنس فقتل ملكها وأصاب بنتاً له اسمها جرادة من أحسن الناس وجهاً فاصطفاها لنفسه وأسلمت وأحبها وكانت لا يرقأ دمعها حزناً على أبيها فأمر الشياطين فمثلوا لها صورة أبيها فكستها مثل كسوته وكانت تغدو إليها وتروح مع ولائدها يسجدن له كعادتهن في ملكه فأخبر آصف سليمان بذلك فكسر الصورة وعاقب المرأة ثم خرج وحده إلى فلاة وفرش له الرماد فجلس عليه تائباً إلى الله متضرعاً وكانت له أم ولد يقال لها أمينة إذا دخل للطهارة أو لإصابة امرأة وضع خاتمه عندها وكان ملكه في خاتمه فوضعه عندها يوماً وأتاها الشيطان صاحب البحر وهو الذي دل سليمان على الماس حين أمر ببناء بيت المقدس واسمه صخر على صورة سليمان فقال يا أمينة خاتمي فتختم به وجلس على كرسي سليمان وعكفت عليه الطير والجن والإنس وغير سليمان عن هيئته فأتى أمينة لطلب الخاتم فأنكرته وطردته فعرف أن الخطيئة قد أدركته فكان يدور على البيوت يتكفف فإذا قال أنا سليمان حثوا عليه التراب وسبوه ثم عمد إلى السماكين ينقل لهم السمك فيعطونه كل يوم سمكتين فمكث على ذلك أربعين صباحاً عدد ما عبد الوثن في بيته فأنكر آصف وعظماء بني إسرائيل حكم الشيطان وسأل آصف نساء سليمان فقلن ما يدع امرأة منا في دمها ولا يغتسل من جنابة وقيل بل نفذ حكمه في كل شيء إلا فيهن ثم طار الشيطان وقذف الخاتم في البحر فابتلعته سمكة ووقعت السمكة في يد سليمان فبقر بطنها فإذا هو بالخاتم فتختم به ووقع ساجداً ورجع إليه ملكه وجاب صخرة لصخر فجعله فيها وسد عليه بأخرى ثم أوثقهما بالحديد والرصاص وقذفه في البحر وقيل لما افتتن كان يسقط الخاتم من يده لا يتماسك فيها فقال له آصف إنك لمفتون بذنبك والخاتم لا يقر في يدك فتب إلى الله عز وجل ولقد أبى العلماء المتقنون قبوله وقالوا هذا من أباطيل اليهود والشياطين لا يتمكنون من مثل هذه الأفاعيل وتسليط الله إياهم على عباده حتى يقعوا في تغيير الأحكام وعلى نساء الأنبياء حتى يفجروا بهن قبيح وأما اتخاذ التماثيل فيجوز أن تختلف فيه الشرائع ألا ترى إلى قوله من محاريب وتماثيل وأما السجود للصورة فلا يظن بنبي الله أن يأذن فيه وإذا كان بغير علمه فلا عليه وقوله (وألقينا على كرسيه جسداً) نابٍ عن إفادة معنى إنابة الشيطان منابه نبوّاً ظاهراً * وقدم الاستغفار على استيهاب الملك جرياً على عادة الأنبياء والصالحين في تقديمهم أمر دينهم على أمور دنياهم (لا ينبغي) لا يتسهل ولا يكون * ومعنى (من بعدي) دوني (فإن قلت) أما يشبه الحسد والحرص على الاستبداد بالنعمة أن يستعطي الله ما لا يعطيه غيره (قلت) كان سليمان عليه السلام ناشئاً في بيت الملك والنبوة ووارثاً لهما فأراد أن يطلب من ربه معجزة فطلب على حسب إلفه ملكاً زائداً على الممالك زيادة خارقة للعادة بالغة حد الإعجاز ليكون ذلك دليلاً على نبوته قاهراً للمبعوث إليهم وأن يكون معجزة حتى يخرق العادات فذلك معنى قوله لا ينبغي لأحد من بعدي وقيل كان ملكاً عظيماً فخاف أن يعطى مثله أحد فلا يحافظ على حدود الله فيه كما قالت الملائكة أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك وقيل ملكاً لا أسلبه ولا يقوم غيري فيه مقامي كما سلبته مرة وأقيم مقامي غيري ويجوز أن يقال علم الله فيما اختصه به من ذلك الملك العظيم مصالح في الدين وعلم أنه لا يضطلع بأعبائه غيره وأوجبت الحكمة استيهابه فأمره أن يستوهبه إياه فاستوهبه بأمر من الله على الصفة التي علم الله أنه لا يضبطه عليها إلا هو وحده دون سائر عباده أو أراد أن يقول ملكاً عظيماً فقال لا ينبغي لأحد من بعدي ولم يقصد بذلك إلا عظم الملك وسعته كما تقول لفلان ما ليس لأحد من الفضل والمال وربما كان للناس أمثال ذلك ولكنك تريد تعظيم ما عنده وعن الحجاج أنه قيل له إنك حسود فقال أحسد مني من قال هب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي وهذا من جرأته على الله وشيطنته كما حكي عنه طاعتنا أوجب من طاعة الله لأنه شرط في طاعته فقال فاتقوا الله ما استطعتم وأطلق طاعتنا فقال وأولي الأمر منكم * قرئ الريح والرياح (رخاء) لينة طيبة لا تزعزع وقيل طيعة له لا تمتنع عليه (حيث أصاب) حيث قصد وأراد حكى الأصمعي عن العرب أصاب الصواب فأخطأ الجواب وعن رؤبة أن رجلين من أهل اللغة قصداه ليسألاه عن هذه الكلمة فخرج إليهما فقال أين تصيبان فقالا هذه طلبتنا ورجعا ويقال أصاب الله بك خيراً (والشياطين) عطف على الريح (كل بناء) بدل من الشياطين (وآخرين) عطف على كل داخل في حكم البدل وهو بدل الكل من الكل

لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب والشياطين كل بناء وغواص وآخرين مقرنين في الأصفاد

كانوا يبنون له ما شاء من الأبنية ويغوصون له فيستخرجون اللؤلؤ وهو أول من استخرج الدر من البحر وكان يقرن مردة الشياطين بعضهم مع بعض في القيود والسلاسل للتأديب والكف عن الفساد وعن السدي كان يجمع أيديهم الى أعناقهم مغللين في الجوامع * والصفد القيد وسمي به العطاء لأنه ارتباط للمنعم عليه ومنه قول علي رضي الله عنه من برك فقد أسرك ومن جفاك فقد أطلقك ومنه قول القائل غل يدا مطلقها وأرق رقبة معتقها وقال حبيب ان العطاء اسار وتبعه من قال * ومن وجد الاحسان قيدا تقيدا * وفرقوا بين الفعلين فقالوا صفده قيده وأصفده أعطاه كوعده وأوعده أي (هذا) الذي أعطيناك من الملك والمال والبسطة (عطاؤنا) بغير حساب يعني جما كثيرا لا يكاد يقدر على حسبه وحصره (فامنن) من المنة وهي العطاء أي فأعط منه ما شئت (أو أمسك) مفوضا اليك التصرف فيه وفي قراءة ابن مسعود هذا فامنن أو أمسك عطاؤنا بغير حساب أو هذا التسخير عطاؤنا فامنن على من شئت من الشياطين بالاطلاق وأمسك من شئت منهم في الوثاق بغير حساب أي لا حساب عليك في ذلك (أيوب) عطف بيان و(اذ) بدل اشتمال منه (أني مسني) بأني مسني حكاية لكلامه الذي ناداه بسببه ولو لم يحك لقال بأنه مسه لأنه غائب * وقرئ بنصب بضم النون وفتحها مع سكون الصاد وبفتحهما وضمهما فالنصب والنصب كالرشد والرشد والنصب على أصل المصدر والنصب تثقيل نصب والمعنى واحد وهو التعب والمشقة * والعذاب الألم يريد مرضه وما كان يقاسي فيه من أنواع الوصب وقيل الضر في البدن والعذاب في ذهاب الأهل والمال (فان قلت) لم نسبه الى الشيطان ولا يجوز أن يسلطه الله على أنبيائه ليقضي من اتعابهم وتعذيبهم وطره ولو قدر على ذلك لم يدع صالحا الا وقد نكبه وأهلكه وقد تكرر في القرآن انه لا سلطان له الا الوسوسة فحسب (قلت) لما كانت وسوسته اليه وطاعته له فيما وسوس سببا فيما مسه الله به من النصب والعذاب نسبه اليه وقد راعى الأدب في ذلك حيث لم ينسبه الى الله في دعائه مع أنه فاعله ولا يقدر عليه الا هو وقيل أراد ما كان يوسوس به اليه في مرضه من تعظيم ما نزل به من البلاء ويغريه على الكراهة والجزع فالتجأ الى الله تعالى في أن يكفيه ذلك بكشف البلاء أو بالتوفيق في دفعه ورده بالصبر الجميل وروي أنه كان يعوده ثلاثة من المؤمنين فارتد أحدهم فسأل عنه فقيل ألقى اليه الشيطان ان الله لا يبتلي الأنبياء والصالحين وذكر في سبب بلائه أن رجلا استغاثه على ظالم فلم يغثه وقيل كانت مواشيه في ناحية ملك كافر فداهنه ولم يغزه وقيل أعجب بكثرة ماله (اركض برجلك) حكاية ما أجيب به أيوب أي أضرب برجلك الأرض وعن قتادة هي أرض الجابية فضربها فنبعت عين فقيل (هذا مغتسل بارد وشراب) أي هذا ماء تغتسل به وتشرب منه فيبرأ باطنك وظاهرك وتنقلب ما بك قلبة وقيل نبعت له عينان فاغتسل من احداهما وشرب من الأخرى فذهب الداء من ظاهره وباطنه باذن الله وقيل ضرب برجله اليمنى فنبعت عين حارة فاغتسل منها ثم باليسرى فنبعت باردة فشرب منها (رحمة منا وذكرى) مفعول لهما والمعنى أن الهبة كانت للرحمة له ولتذكير أولي الألباب لأنهم اذا سمعوا بما أنعمنا به عليه لصبره رغبهم في الصبر على البلاء وعاقبة الصابرين وما يفعل الله بهم (وخذ) معطوف على اركض * والضغث الحزمة الصغيرة من حشيش أو ريحان أو غير ذلك وعن ابن عباس قبضة من الشجر كان حلف في مرضه ليضربن امرأته مائة اذا برأ فحلل الله يمينه بأهون شيء عليه وعليها لحسن خدمتها اياه ورضاه عنها وهذه الرخصة باقية وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أتي بمخدج قد خبث بأمة فقال خذوا عثكالا فيه مائة شمراخ فاضربوه بها ضربة ويجب أن يصيب المضروب كل واحد من المائة اما أطرافها قائمة واما أعراضها مبسوطة مع وجود صورة الضرب وكان السبب في يمينه أنها أبطأت عليه ذاهبة في حاجة فحرج صدره وقيل باعت ذؤابتيها برغيفين وكانتا متعلق أيوب اذا قام وقيل قال لها الشيطان اسجدي لي سجدة فأرد عليكم مالكم وأولادكم فهمت بذلك فأدركتها العصمة فذكرت ذلك له فحلف وقيل أوهمها الشيطان أن أيوب اذا شرب الخمر برأ فعرضت له بذلك وقيل سألته أن يقرب للشيطان بعناق (وجدناه صابرا) علمناه صابرا (فان قلت) كيف وجده صابرا وقد شكا اليه ما به واسترحمه (قلت) الشكوى الى الله عز وعلا لا تسمى جزعا

هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب وان له عندنا لزلفى وحسن مآب واذكر عبدنا أيوب اذ نادى ربه أني مسني الشيطان بنصب وعذاب اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لأولي الألباب وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث انا وجدناه صابرا نعم العبد انه أواب

ولقد قال يعقوب عليه السلام انما أشكو بثي وحزني الى الله وكذلك شكوى العليل الى الطبيب وذلك أن أصبر الناس على البلاء لا يخلو من تمني العافية وطلبها فاذا صح أن يسمى صابرا مع تمني العافية وطلب الشفاء فليسم صابرا مع اللجا الى الله تعالى والدعاء بكشف ما به ومع التعالج ومشاورة الاطباء على أن أيوب عليه السلام كان يطلب الشفاء خيفة على قومه من الفتنة حيث كان الشيطان يوسوس اليهم كما كان يوسوس اليه أنه لو كان نبيا لما ابتلي بمثل ما ابتلي به وارادة القوة على الطاعة فقد بلغ أمره الى أن لم يبق منه الا القلب واللسان ويروى أنه قال في مناجاته الهي قد علمت أنه لم يخالف لساني قلبي ولم يتبع قلبي بصري ولم يهبني ما ملكت يميني ولم آكل الا ومعي يتيم ولم أبت شبعان ولا كاسيا ومعي جائع أو عريان فكشف الله عنه (ابراهيم واسحق ويعقوب) عطف بيان لعبادنا ومن قرأ عبدنا جعل ابراهيم وحده عطف بيان له ثم عطف ذريته على عبدنا وهي اسحق ويعقوب كقراءة ابن عباس واله أبيك ابراهيم واسمعيل واسحق * لما كانت أكثر الاعمال تباشر بالايدي غلبت فقيل في كل عمل هذا مما عملت أيديهم وان كان عملا لا يتأتى فيه المباشرة بالايدي أو كان العمال جذما لا أيدي لهم وعلى ذلك ورد قوله عز وعلا (أولي الايدي والابصار) يريد أولي الاعمال والفكر كأن الذين لا يعملون أعمال الآخرة ولا يجاهدون في الله ولا يفكرون أفكار ذوي الديانات ولا يستبصرون في حكم الزمنى الذين لا يقدرون على أعمال جوارحهم والمسلوبي العقول الذين لا استبصار بهم وفيه تعريض بكل من لم يكن من عمال الله ولا من المستبصرين في دين الله وتوبيخ على تركهم المجاهدة والتأمل مع كونهم متمكنين منهما وقرئ أولي الايادي على جمع الجمع وفي قراءة ابن مسعود أولي الايد على طرح الياء والاكتفاء بالكسرة وتفسيره بالايد من التأييد قلق غير متمكن (أخلصناهم) جعلناهم خالصين (بخالصة) بخصلة خالصة لا شوب فيها * ثم فسرها بذكرى الدار شهادة لذكرى الدار بالخلوص والصفاء وانتفاء الكدورة عنها وقرئ على الاضافة والمعنى بما خلص من ذكرى الدار على أنهم لا يشوبون ذكرى الدار بهم آخر انما همهم ذكرى الدار لا غير ومعنى ذكرى الدار ذكراهم الآخرة دائبا ونسيانهم اليها ذكر الدنيا أو تذكيرهم الآخرة وترغيبهم فيها وتزهيدهم في الدنيا كما هو شأن الانبياء وديدنهم وقيل ذكرى الدار الثناء الجميل في الدنيا ولسان الصدق الذي ليس لغيرهم (فان قلت) ما معنى أخلصناهم بخالصة (قلت) معناه أخلصناهم بسبب هذه الخصلة وبأنهم من أهلها أو أخلصناهم بتوفيقهم لها واللطف بهم في اختيارها وتعضد الاول قراءة من قرأ بخالصتهم (المصطفين) المختارين من أبناء جنسهم و(الاخيار) جمع خير أو خير على التخفيف كالاموات في جمع ميت أو ميت (واليسع) كأن حرف التعريف دخل على يسع وقرئ والليسع كأن حرف التعريف دخل على ليسع فيعل من اللسع * والتنوين في (وكل) عوض من المضاف اليه معناه وكلهم من الاخيار (هذا ذكر) أي هذا نوع من الذكر وهو القرآن لما أجرى ذكر الانبياء وأتمه وهو باب من أبواب التنزيل ونوع من أنواعه وأراد أن يذكر على عقبه بابا آخر وهو ذكر الجنة وأهلها قال هذا ذكر ثم قال (وان للمتقين) كما يقول الجاحظ في كتبه فهذا باب ثم يشرع في باب آخر ويقول الكاتب اذا فرغ من فصل من كتابه وأراد الشروع في آخر هذا وقد كان كيت وكيت والدليل عليه أنه لما أتم ذكر أهل الجنة وأراد أن يعقبه بذكر أهل النار قال هذا وان للطاغين وقيل معناه هذا شرف وذكر جميل يذكرون به أبدا وعن ابن عباس رضي الله عنه هذا ذكر من مضى من الانبياء (جنات عدن) معرفة لقوله جنات عدن التي وعد الرحمن وانتصابها على أنها عطف بيان لحسن مآب و(مفتحة) حال والعامل فيها ما في للمتقين من معنى الفعل وفي مفتحة ضمير الجنات والابواب بدل من الضمير تقديره مفتحة هي الابواب كقولهم ضرب زيد اليد والرجل وهو من بدل الاشتمال وقرئ جنات عدن مفتحة بالرفع على أن جنات عدن مبتدأ أو مفتحة خبره أو كلاهما خبر مبتدا محذوف أي هو جنات عدن هي مفتحة لهم * كأن اللدات سمين أترابا لان التراب مسهن في وقت واحد وانما جعلن على سن واحدة لان التحاب بين الاقران أثبت وقيل هي أتراب لازواجهن أسنانهن كأسنانهم * وقرئ يوعدون بالتاء والياء (ليوم الحساب) لاجل يوم الحساب كما تقول هذا ما تدخرونه

واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب أولي الايدي والابصار انا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار واذكر اسمعيل واليسع وذا الكفل وكل من الاخيار هذا ذكر وان للمتقين لحسن مآب جنات عدن مفتحة لهم الابواب متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب وعندهم قاصرات الطرف أتراب هذا ما توعدون ليوم الحساب ان هذا لرزقنا ماله من نفاد

* قوله تعالى هذا ذكر وان للمتقين لحسن مآب (قال فيه انما قال هذا ذكر ليذكر عقبه ذكرا آخر وهو ذكر الجنة وأهلها كما يقول الجاحظ في كتبه فهذا باب ثم يشرع في باب آخر) قلت وكما يقول الفقيه اذا ذكر أدلة المسئلة عند تمام الدليل الاول هذا دليل ثان كذا وكذا الى آخرها في نفسه ويدل عليه أنه عند انتهاء ذكر أهل الجنة قال هذا وان للطاغين لشر مآب فذكر أهل النار

ليوم الحساب أي ليوم تجزى كل نفس ما عملت (هذا) أي الأمر هذا أو هذا كما ذكر (فبئس المهاد) كقوله
لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش شبه ما تحتهم من النار بالمهاد الذي يفترشه النائم أي هذا حميم
فليذوقوه أو العذاب هذا فليذوقوه ثم ابتدأ فقال هو (حميم وغساق) أو هذا فليذوقوه بمنزلة وإياي فارهبون
أي ليذوقوا هذا فليذوقوه والغساق بالتخفيف والتشديد ما يغسق من صديد أهل النار يقال غسقت العين
إذا سال دمعها وقيل الحميم يحرق بحره والغساق يحرق ببرده وقيل لو قطرت منه قطرة في المشرق لنتنت أهل
المغرب ولو قطرت منه قطرة في المغرب لنتنت أهل المشرق وعن الحسن رضي الله عنه الغساق عذاب
لا يعلمه إلا الله تعالى إن الناس أخفوا لله طاعة فأخفى لهم ثوابا في قوله فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين
وأخفوا معصية فأخفى لهم عقوبة (وآخر) ومذوق آخر من شكل هذا المذوق من مثله في الشدة
والفظاعة (أزواج) أجناس وقرئ وأخر أي وعذاب آخر أو مذوق آخر وأزواج صفة لآخر لأنه يجوز أن
يكون ضروبا أو صفة للثلاثة وهي حميم وغساق وآخر من شكله وقرئ من شكله بالكسر وهي لغة
وأما الغنج فبالكسر لا غير (هذا فوج مقتحم معكم) هذا جمع كثيف قد اقتحم معكم النار أي دخل النار في
صحبتكم وقرانكم والاقتحام ركوب الشدة والدخول فيها والقحمة الشدة وهذه حكاية كلام الطاغين
بعضهم مع بعض أي يقولون هذا والمراد بالفوج أتباعهم الذين اقتحموا معهم الضلالة فيقتحمون معهم
العذاب (لا مرحبا بهم) دعاء منهم على أتباعهم تقول لمن تدعو له مرحبا أي أتيت رحبا من البلاد لا ضيقا
أو رحبت بلادك رحبا ثم تدخل عليه لا في دعاء السوء وبهم بيان للمدعو عليهم (إنهم صالوا النار) تعليل
لاستيجابهم الدعاء عليهم ونحوه قوله تعالى كلما دخلت أمة لعنت أختها وقيل هذا فوج مقتحم معكم كلام
الخزنة لرؤساء الكفرة في أتباعهم ولا مرحبا بهم إنهم صالوا النار كلام الرؤساء وقيل هذا كله كلام الخزنة
(قالوا) أي الأتباع (بل أنتم لا مرحبا بكم) يريدون الدعاء الذي دعوتم به علينا أنتم أحق به وعللوا ذلك بقولهم
(أنتم قدمتموه لنا) والضمير للعذاب أو لصليهم (فإن قلت) ما معنى تقديمهم العذاب لهم (قلت) المقدم هو
عمل السوء قال الله تعالى ذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت أيديكم ولكن الرؤساء لما كانوا السبب فيه
بإغوائهم وكان العذاب جزاءهم عليه قيل أنتم قدمتموه لنا فجعل الرؤساء هم المقدمين وجعل الجزاء هو المقدم
فجمع بين مجازين لأن العاملين هم المقدمون في الحقيقة لا رؤساؤهم والعمل هو المقدم لا جزاؤه
(فإن قلت) فالذي جعل قوله لا مرحبا بهم من كلام الخزنة ما يصنع بقوله بل أنتم لا مرحبا بكم والمخاطبون
أعني رؤساءهم لم يتكلموا بما يكون هذا جوابا لهم (قلت) كأنه قيل هذا الذي دعا به علينا الخزنة أنتم
يا رؤساء أحق به منا لإغوائكم إيانا وتسببكم فيما نحن فيه من العذاب وهذا صحيح كما لو زين قوم لقوم
بعض المساوي فارتكبوه فقيل للمزينين أخزى الله هؤلاء ما أسوأ فعلهم فقال المزين لهم للمزينين بل أنتم
أولى بالخزي منا فلولا أنتم لم نرتكب ذلك (قالوا) هم الأتباع أيضا (فزده عذابا ضعفا) أي مضاعفا
ومعناه ذا ضعف ونحوه قوله تعالى ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا وهو أن يزيد على عذابه مثله
فيصير ضعفين كقوله عز وجل ربنا آتهم ضعفين من العذاب وجاء في التفسير عذابا ضعفا حيات وأفاعي
(وقالوا) الضمير للطاغين (رجالا) يعنون فقراء المسلمين الذين لا يؤبه لهم (من الأشرار) من الأراذل الذين
لا خير فيهم ولا جدوى ولأنهم كانوا على خلاف دينهم فكانوا عندهم أشرارا (اتخذناهم سخريا) قرئ بلفظ
الإخبار على أنه صفة لرجالا مثل قوله كنا نعدهم من الأشرار وبهمزة الاستفهام على أنه إنكار على أنفسهم
وتأنيب لها في الاستسخار منهم وقوله (أم زاغت عنهم الأبصار) له وجهان من الاتصال أحدهما أن
يتصل بقوله ما لنا أي ما لنا لا نراهم في النار كأنهم ليسوا فيها بل أزاغت عنهم أبصارنا فلا نراهم وهم فيها
قسموا أمرهم بين أن يكونوا من أهل الجنة وبين أن يكونوا من أهل النار إلا أنه خفي عليهم مكانهم
والوجه الثاني أن يتصل باتخذناهم سخريا إما أن تكون أم متصلة على معنى أي الفعلين فعلنا بهم
الاستسخار منهم أم الازدراء بهم والتحقير وأن أبصارنا كانت تعلو عنهم وتقتحمهم على معنى إنكار الأمرين
جميعا على أنفسهم وعن الحسن كل ذلك قد فعلوا اتخذوهم سخريا وزاغت عنهم أبصارهم محقرة لهم

وأما

هذا وإن للطاغين لشر
مآب جهنم يصلونها
فبئس المهاد هذا
فليذوقوه حميم وغساق
وآخر من شكله أزواج
هذا فوج مقتحم معكم
لا مرحبا بهم إنهم
صالوا النار قالوا بل أنتم
لا مرحبا بكم أنتم
قدمتموه لنا فبئس
القرار قالوا ربنا من
قدم لنا هذا فزده عذابا
ضعفا في النار وقالوا
ما لنا لا نرى رجالا كنا
نعدهم من الأشرار
أتخذناهم سخريا أم
زاغت عنهم الأبصار

* قوله تعالى قالوا ربنا
من قدم لنا هذا فزده
عذابا ضعفا وقال في
موضع آخر آتهم ضعفين
من العذاب والعنهم
لعنا كبيرا والقصة
واحدة (قلت) وفيه
دليل على أن الضعفين
اثنان من شيء واحد
خلافا لمن قال غير ذلك
لأنه في موضع قال فزده
عذابا ضعفا والمراد
مثل عذابه فيكونا
عذابين وقال في
موضع آخر ضعفين
والمراد إذا عذابان

وإما أن تكون منقطعة بعد مضي اتخذناهم سخريا على الخبر أو الاستفهام كقولك انها لإبل أم شاء وأزيد عندك أم عندك عمرو ولك أن تقدر همزة الاستفهام محذوفة فيمن قرأ بغير همزة لأن أم تدل عليها فلا تفترق القراءتان إثبات همزة الاستفهام وحذفها وقيل الضمير في وقالوا للصناديد من قريش كأبي جهل والوليد وأضرابهما والرجال عمار وصهيب وبلال وأشباههم * وقرئ سخريا بالضم والكسر (ان ذلك) أي الذي حكيناه عنهم (لحق) لا بد أن يتكلموا به ثم بين ما هو فقال هو (تخاصم أهل النار) وقرئ بالنصب على أنه صفة لذلك لأن أسماء الإشارة توصف بأسماء الأجناس (فإن قلت) لم سمى ذلك تخاصما (قلت) شبه تقاولهم وما يجري بينهم من السؤال والجواب بما يجري بين المتخاصمين من نحو ذلك ولأن قول الرؤساء لا مرحبا بهم وقول الأتباع بل أنتم لا مرحبا بكم من باب الخصومة فسمى التقاول كله تخاصما لأجل اشتماله على ذلك (قل) يا محمد لمشركي مكة ما أنا إلا رسول (منذر) أنذركم عذاب الله للمشركين وأقول لكم إن دين الحق توحيد الله وأن يعتقد أن لا إله إلا الله (الواحد) بلا ند ولا شريك (القهار) لكل شيء وأن الملك والربوبية له في العالم كله وهو (العزيز) الذي لا يغلب إذا عاقب العصاة وهو مع ذلك (الغفار) لذنوب من التجأ إليه * أو قل لهم ما أنا إلا منذر لكم ما أعلم وأنا أنذركم عقوبة من هذه صفته فإن مثله حقيق بأن يخاف عقابه كما هو حقيق بأن يرجى ثوابه (قل هو نبأ عظيم) أي هذا الذي أنبأتكم به من كوني رسولا منذرا وأن الله واحد لا شريك له نبأ عظيم لا يعرض عن مثله إلا غافل شديد الغفلة * ثم احتج لصحة نبوته بأن ما ينبئ به عن الملأ الأعلى واختصامهم أمر ما كان له به من علم قط ثم علمه ولم يسلك الطريق الذي يسلكه الناس في علم ما لم يعلموا وهو الأخذ من أهل العلم وقراءة الكتب فعلم أن ذلك لم يحصل إلا بالوحي من الله (إن يوحى إلي إلا أنما أنا نذير) أي لأنما أنا نذير ومعناه ما يوحى إلي إلا للإنذار فحذف اللام وانتصب بإفضاء الفعل إليه ويجوز أن يرتفع على معنى ما يوحى إلي إلا هذا وهو أن أنذر وأبلغ ولا أفرط في ذلك أي ما أومر إلا بهذا الأمر وحده وليس إلي غير ذلك وقرئ إنما بالكسر على الحكاية أي إلا هذا القول وهو أن أقول لكم إنما أنا نذير مبين ولا أدعي شيئا آخر * وقيل النبأ العظيم قصص آدم عليه السلام والإنباء به من غير سماع من أحد وعن ابن عباس القرآن وعن الحسن يوم القيامة * (فإن قلت) بم يتعلق إذ يختصمون (قلت) بمحذوف لأن المعنى ما كان لي من علم بكلام الملأ الأعلى وقت اختصامهم و(إذ قال) بدل من إذ يختصمون * (فإن قلت) ما المراد بالملأ الأعلى (قلت) أصحاب القصة الملائكة وآدم وإبليس لأنهم كانوا في السماء وكان التقاول بينهم (فإن قلت) ما كان التقاول بينهم إنما كان بين الله تعالى وبينهم لأن الله سبحانه وتعالى هو الذي قال لهم وقالوا له فأنت بين أمرين إما أن تقول الملأ الأعلى هؤلاء وكان التقاول بينهم ولم يكن التقاول بينهم وإما أن تقول التقاول كان بين الله وبينهم فقد جعلته من الملأ الأعلى (قلت) كانت مقاولة الله سبحانه بواسطة ملك فكان المقاول في الحقيقة هو الملك المتوسط فصح أن التقاول كان بين الملائكة وآدم وإبليس وهم الملأ الأعلى والمراد بالاختصام التقاول على ما سبق * (فإن قلت) كيف صح أن يقول لهم (إني خالق بشرا) وما عرفوا ما البشر ولا عهدوا به قبل (قلت) وجهه أن يكون قد قال لهم إني خالق خلقا من صفته كيت وكيت ولكنه حين حكاه اقتصر على الاسم (فإذا سويته) فإذا أتممت خلقه وعدلته (ونفخت فيه من روحي) وأحييته وجعلته حساسا متنفسا (فقعوا) فخروا له كل للإحاطة وأجمعون للاجتماع فأفادا معا أنهم سجدوا عن آخرهم ما بقي منهم ملك إلا سجد وأنهم سجدوا جميعا في وقت واحد غير متفرقين في أوقات (فإن قلت) كيف ساغ السجود لغير الله (قلت) الذي لا يسوغ هو السجود لغير الله على وجه العبادة فأما على وجه التكرمة والتبجيل فلا يأباه العقل إلا أن يعلم الله فيه مفسدة فينهى عنه * (فإن قلت) كيف استثنى إبليس من الملائكة وهو من الجن (قلت) قد أمر بالسجود معهم فغلبوا عليه في قوله فسجد الملائكة ثم استثنى كما يستثنى الواحد منهم استثناء متصلا (وكان من

---

* قوله تعالى ان ذلك لحق تخاصم أهل النار (قال) ان قلت لم سمى ذلك تخاصما قلت شبه تقاولهم وما يجري بينهم من السؤال والجواب بما يجري بين المتخاصمين من نحو ذلك ولأن قول الرؤساء لا مرحبا بهم وقول أتباعهم بل أنتم لا مرحبا بكم من باب الخصومة (قلت) هذا يحقق أن

ان ذلك لحق تخاصم أهل النار قل إنما أنا منذر وما من إله إلا الله الواحد القهار رب السموات والأرض وما بينهما العزيز الغفار قل هو نبأ عظيم أنتم عنه معرضون ما كان لي من علم بالملأ الأعلى إذ يختصمون إن يوحى إلي إلا أنما أنا نذير مبين إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من طين فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس استكبر وكان من

ما تقدم من قوله لا مرحبا بهم إنهم صالوا النار من قول المتكبرين الكفار وقوله تعالى بل أنتم لا مرحبا بكم من قول الأتباع فالخصومة على هذا التأويل حاصلة من الجهتين فيتحقق التخاصم خلافا لمن قال ان الاول من كلام خزنة جهنم والثاني من كلام الأتباع فانه على هذا التقدير تخاصما تكون الخصومة من أحد الفريقين فالتفسير الأول أمكن وأثبت

* قوله تعالى ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي (قال) فيه لما كان ذو اليدين يباشر أكثر أعماله بيديه غلب العمل باليدين على سائر الأعمال التي تباشر بغير اليدين حتى قيل في عمل القلب هذا مما عملت يداك * قال ومعناه ان الوجه الذي استنكر له ابليس السجود لآدم واستنكف بسببه انه سجود لمخلوق مع انه دون الساجد لان آدم من طين وابليس من نار فرأى للنار فضلا على الطين وزل عنه ان الله سبحانه حين أمر أعز عباده عليه وأقربهم منه وهم الملائكة ان يسجدوا لهذا البشر لم يعتمدوا ولم يذهبوا بأنفسهم الى التكبر مع انحطاطه عن مراتبهم فقيل له ما منعك أن تسجد لهذا الذي هو مخلوق بيدي كما وقع لك مع انه لا شك أن في ذلك امتثال الأمر وإعظاما لخطابي كما فعلت الملائكة فذكر له العلة التي منعته من السجود وقيل له ما حالك على اعتبار هذه العلة دون اعتبار أمري ومثاله أن يأمر الملك وزيره أن يزور بعض اسقاط الحشم فيمتنع اعتبار السقوطه فيقول له ما منعك أن تتواضع لمن لا يخفى على سقوطه يريد هلا اعتبرت أمري وخطابي وتركت اعتبار سقوطه انتهى ٢٩٠ المقصود من الآية بعد تطويل واطناب واكثار واسهاب (قلت) انما أطال القول هنا ليفر من معتقدين لأهل السنة تشتمل عليهما هذه الآية * وأحدهما ان اليدين من صفات الذات أثبتهما السمع هذا مذهب أبي الحسن والقاضي بعد ابطالهما حمل اليدين على القدرة فان قدرة الله تعالى واحدة واليدان مذكورتان بصيغة التثنية وأبطلا حملهما على النعمة بان نعم الله لا تحصى فكيف تحصر بالتثنية وغيرهما من أهل السنة كالإمام الحرمين وغيره يجوز حملهما على القدرة والنعمة ويجيب عما ذكراه بأن المراد نعمة الدنيا والآخرة وهذا مما يحقق تفضيله على ابليس اذ لم يخلق ابليس لنعمة الآخرة وعلى ان المراد القدرة فالتثنية تعظيم ومثل ذلك يوجد في اللغة كثيرا * المعتقد الثاني أن النبي أفضل من الملك والزمخشري شديد العصبية في هذه المسئلة والانكار على من قال بذلك من أهل السنة لا جرم انه أجرى في بسط كلامه على آدم عليه السلام فتمثل قصته في انحطاط مرتبته على زعمه عن مرتبة الملائكة بقول الملك لوزيره زر بعض سقاط حشم الملك فجعل مثالا لآدم الذي هو عنصر الأنبياء عليهم السلام وأقام لابليس عذرا في وضوح اعتقاده انه أفضل من آدم لكونه من نار وآدم من طين وانما غلطه من جهة أخرى وهو أنه لم يقس نفسه على الملائكة اذ سجدوا له على علمهم أنه بالنسبة اليهم محطوط الرتبة ساقط المنزلة وجعل قوله تعالى لما خلقت بيدي انما ذكر لتقرير العلة التي منعت ابليس من السجود وهو كونه دونه وهذا نسأل الله العصمة المراد منه ضد ما فهم الزمخشري وانما ذكر ذلك تعظيما للمعصية ابليس اذ امتنع من تعظيم من عظمه الله اذ خلقه بيده وذلك تعظيم لآدم لا تحقير منه ويدل عليه الحديث الوارد في الشفاعة اذ يقول له الناس عندما يقصدونه فيا أنت آدم أبو البشر خلقك الله بيده وأسجد لك ملائكته وأسكنك جنته فانما يذكرون ذلك في سياق تعديد كراماته وخصائصه لا في سياق حطه معاذ الله وانا نسأل أن يعصمنا من مهاوي الهوى ومهالكه وان يرشدنا الى سبيل الحق ومسالكه انه ولي التوفيق وبالاجابة حقيق

الكافرين) أريد وجود كفره ذلك الوقت وان لم يكن قبله كافرا لان كان مطلق في جنس الأوقات الماضية
فهو صالح لأيها شئت ويجوز أن يراد وكان من الكافرين في الأزمنة الماضية في علم الله (فان قلت) ما وجه
قوله (خلقت بيدي) (قلت) قد سبق لنا أن ذا اليدين يباشر أكثر أعماله بيديه فغلب العمل باليدين على
سائر الأعمال التي تباشر بغيرهما حتى قيل في عمل القلب هو مما عملت يداك وحتى قيل من لا يدي له يداك
أوكتا وفوك نفخ وحتى لم يبق فرق بين قولك هذا مما عملته وهذا مما عملته يداك ومنه قوله تعالى مما عملت أيدينا
ولما خلقت بيدي (فان قلت) فما معنى قوله ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي (قلت) الوجه الذي استنكر له
ابليس السجود لآدم واستنكف منه أنه سجود لمخلوق فذهب بنفسه وتكبر أن يكون سجوده لغير الخالق
وانضم الى ذلك أن آدم مخلوق من طين وهو مخلوق من نار ورأى للنار فضلا على الطين فاستعظم أن يسجد
لمخلوق مع فضله عليه في المنصب وزل عنه أن الله سبحانه حين أمر به أعز عباده عليه وأقربهم منه زلفى وهم
الملائكة وهم أحق بأن يذهبوا بأنفسهم عن التواضع للبشر الضئيل ويستنكفوا من السجود له من غيرهم
ثم لم يفعلوا وتبعوا أمر الله وجعلوه قدام أعينهم ولم يلتفتوا الى التفاوت بين الساجد والمسجود له تعظيما لأمر
ربهم واجلالا لخطابه كان هو مع انحطاطه عن مراتبهم حريا بأن يقتدي بهم ويقتفي أثرهم ويعلم أنهم في
السجود لمن هو دونهم بأمر الله أوغل في عبادته منهم في السجود له لما فيه من طرح الكبرياء وخفض الجناح
فقيل له ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي أي ما منعك من السجود لشيء هو كما تقول مخلوق خلقته بيدي
لا شك في كونه مخلوقا امتثالا لأمري واعظاما لخطابي كما فعلت الملائكة فذكر له ما تركه من السجود مع ذكر
العلة التي تشبث بها في تركه وقيل له لم تركته مع وجود هذه العلة وقد أمرك الله به يعني كان عليك أن تعتبر
أمر الله ولا تعتبر هذه العلة ومثاله أن يأمر الملك وزيره أن يزور بعض سقاط الحشم فيمتنع اعتبارا لسقوطه
فيقول له ما منعك أن تتواضع لمن لا يخفى على سقوطه يريد هلا اعتبرت أمري وخطابي وتركت اعتبار
سقوطه وفيه أني خلقته بيدي فأنا أعلم بحاله ومع ذلك أمرت الملائكة بأن يسجدوا له لداعي حكمة دعاني اليه

من انعامه عليه بالتكرمة السنية وابتلاء الملائكة فمن أنت حتى يصرفك عن السجود له ما لم يصرفني عن الامر بالسجود له وقيل معنى لما خلقت بيدي لما خلقت بغير واسطة * وقرئ بيديّ كما قرئ بمصرخيّ وقرئ بيدي على التوحيد (من العالين) ممن علوت وفقت فأجاب بانه من العالين حيث (قال أنا خير منه) وقيل استكبرت الآن أم لم تزل منذ كنت من المستكبرين ومعنى الهمزة التقرير وقرئ استكبرت بحذف حرف الاستفهام لان أم تدل عليه أو بمعنى الاخبار * هذا على سبيل الاولى أي لو كان مخلوقا من نار لما سجدت له لانه مخلوق مثلي فكيف أسجد لمن هو دوني لانه من طين والنار تغلب الطين وتأكله وقد جرت الجملة الثانية من الاولى وهي (خلقتني من نار) مجرى المعطوف عطف البيان من المعطوف عليه في البيان والايضاح (منها) من الجنة وقيل من السموات وقيل من الخلقة التي انت فيها لانه كان يفتخر بخلقته فغير الله خلقته فاسود بعد ما كان أبيض وقبح بعد ما كان حسنا وأظلم بعد ما كان نورانيا * والرجيم المرجوم ومعناه المطرود كما قيل له المدحور والملعون لان من طرد رمي بالحجارة على أثره والرجم الرمي بالحجارة أو لان الشياطين يرجمون بالشهب * (فان قلت) قوله (لعنتي الى يوم الدين) كأن لعنة ابليس غايتها يوم الدين ثم تنقطع (قلت) كيف تنقطع وقد قال الله تعالى فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين ولكن المعنى أن عليه اللعنة في الدنيا فاذا كان يوم الدين اقترن له باللعنة ما ينسى عنده اللعنة فكأنها انقطعت * (فان قلت) ما الوقت المعلوم الذي أضيف اليه اليوم (قلت) الوقت الذي تقع فيه النفخة الاولى ويومه اليوم الذي وقت النفخة جزء من أجزائه ومعنى المعلوم أنه معلوم عند الله معين لا يستقدم ولا يستأخر (فبعزتك) أقسم بعزة الله تعالى وهي سلطانه وقهره * قرئ فالحق والحق منصوبين على أن الاول مقسم به كالله في ان عليك الله أن تبايعا وجوابه (لاملأن) * والحق أقول اعتراض بين المقسم به والمقسم عليه ومعناه ولا أقول الا الحق والمراد بالحق اما اسمه عز وعلا الذي في قوله ان الله هو الحق المبين أو الحق الذي هو نقيض الباطل عظمه الله باقسامه به ومرفوعين على أن الاول مبتدأ محذوف الخبر كقوله لعمرك أي فالحق قسمي لاملأن والحق أقول أي أقوله كقوله كله لم أصنع ومجرورين على أن الاول مقسم به قد أضمر حرف قسمه كقولك الله لافعلن والحق أقول أي ولا أقول الا الحق على حكاية لفظ المقسم به ومعناه التوكيد والتشديد وهذا الوجه جائز في المنصوب والمرفوع أيضا وهو وجه دقيق حسن وقرئ برفع الاول وجره مع نصب الثاني وتخريجه على ما ذكرنا (منك) من جنسك وهم الشياطين (وممن تبعك منهم) من ذرية آدم (فان قلت) أجمعين تأكيد لماذا (قلت) لا يخلو أن يؤكد به الضمير في منهم أو الكاف في منك مع من تبعك ومعناه لاملأن جهنم من المتبوعين والتابعين أجمعين لا أترك منهم أحدا أو لاملأنها من الشياطين وممن تبعهم من جميع الناس لا تفاوت في ذلك بين ناس وناس بعد وجود الاتباع منهم من أولاد الانبياء وغيرهم (عليه من أجر) الضمير للقرآن أو للوحي (وما أنا من المتكلفين) من الذين يتصنعون ويتحلون بما ليسوا من أهله وما عرفتموني قط متصنعا ولا مدعيا ما ليس عندي حتى أنتحل النبوة وأتقول القرآن (ان هو الا ذكر) من الله (للعالمين) للثقلين أوحي الي فانا أبلغه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم للمتكلف ثلاث علامات ينازع من فوقه ويتعاطى ما لا ينال ويقول ما لا يعلم (ولتعلمن نبأه) أي ما يأتيكم عند الموت أو يوم القيامة أو عند ظهور الاسلام وفشوه من صحة خبره وانه الحق والصدق وفيه تهديد وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ص كان له بوزن كل جبل سخره الله لداود عشر حسنات وعصمه أن يصر على ذنب صغير أو كبير

﴿سورة الزمر مكية الا قوله قل يا عبادي الذين أسرفوا الآية وتسمى سورة الغرف وهي خمس وسبعون آية وقيل ثنتان وسبعون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(تنزيل الكتاب) قرئ بالرفع على انه مبتدأ أخبر عنه بالظرف أو خبر مبتدأ محذوف والجار صلة التنزيل كما تقول نزل من عند الله أو غير صلة كقولك هذا الكتاب من فلان الى فلان فهو على هذا خبر بعد خبر أو خبر

من العالين قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين قال فاخرج منها فانك رجيم وان عليك لعنتي الى يوم الدين قال رب فأنظرني الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين قال فالحق والحق أقول لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين ان هو الا ذكر للعالمين ولتعلمن نبأه بعد حين

(سورة الزمر مكية وهي خمس وسبعون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم انا أنزلنا اليك الكتاب

مبتدأ محذوف تقديره هذا تنزيل الكتاب هذا من الله أو حال من التنزيل عمل فيها معنى الاشارة وبالنصب على اضمار فعل نحو اقرأ أو الزم (فان قلت) ما المراد بالكتاب (قلت) الظاهر على الوجه الاول أنه القرآن وعلى الثاني أنه السورة (مخلصا له الدين) ممحضا له الدين من الشرك والرياء بالتوحيد وتصفية السر وقرئ الدين بالرفع وحق من رفعه أن يقرأ مخلصا بفتح اللام كقوله تعالى وأخلصوا دينهم لله حتى يطابق قوله ألا لله الدين الخالص والخالص والمخلص واحد الا أن يصف الدين بصفة صاحبه على الاسناد المجازي كقولهم شعر شاعر وأما من جعل مخلصا حالا من العابد وله الدين مبتدأ وخبرا فقد جاء باعراب رجع به الكلام الى قولك لله الدين ألا لله الدين الخالص أي هو الذي وجب اختصاصه بأن تخلص له الطاعة من كل شائبة كدر لاطلاعه على الغيوب والاسرار ولانه الحقيق بذلك لخلوص نعمته عن استجرار المنفعة بها وعن قتادة الدين الخالص شهادة أن لا اله الا الله وعن الحسن الاسلام (والذين اتخذوا) يحتمل المتخذين وهم الكفرة والمتخذين وهم الملائكة وعيسى واللات والعزى عن ابن عباس رضي الله عنهما فالضمير في اتخذوا على الاول راجع الى الذين وعلى الثاني الى المشركين ولم يجر ذكرهم لكونه مفهوما والراجع الى الذين محذوف والمعنى والذين اتخذهم المشركون أولياء والذين اتخذوا في موضع الرفع على الابتداء (فان قلت) فالخبر ما هو (قلت) هو على الاول اما (ان الله يحكم بينهم) أو ما أضمر من القول قبل قوله ما نعبدهم وعلى الثاني ان الله يحكم بينهم (فان قلت) فاذا كان ان الله يحكم بينهم الخبر فما موضع القول المضمر (قلت) يجوز أن يكون في موضع الحال أي قائلين ذلك ويجوز أن يكون بدلا من الصلة فلا يكون له محل كما أن المبدل منه كذلك وقرأ ابن مسعود باظهار القول قالوا ما نعبدهم وفي قراءة أبي ما نعبدكم الا لتقربونا على الخطاب حكاية لما خاطبوا به آلهتهم وقرئ نعبدهم بضم النون اتباعا للعين كما تتبعها الهمزة في الامر والتنوين في عذاب اركض والضمير في بينهم لهم ولأوليائهم والمعنى ان الله يحكم بينهم بأنه يدخل الملائكة وعيسى الجنة ويدخلهم النار مع الحجارة التي نحتوها وعبدوها من دون الله يعذبهم بها حيث يجعلهم واياها حصب جهنم * واختلافهم أن الذين يعبدون موحدون وهم مشركون وأولئك يعادونهم ويلعنونهم وهم يرجون شفاعتهم وتقريبهم الى الله زلفى وقيل كان المسلمون اذا قالوا لهم من خلق السموات والارض أقروا وقالوا الله فاذا قالوا لهم فما لكم تعبدون الاصنام قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى فالضمير في بينهم عائد اليهم والى المسلمين والمعنى أن الله يحكم يوم القيامة بين المتنازعين من الفريقين * المراد بمنع الهداية منع اللطف تسجيلا عليهم بأن لا لطف لهم وأنهم في علم الله من الهالكين * وقرئ كذاب وكذوب وكذبهم قولهم في بعض من اتخذوا من دون الله أولياء بنات الله ولذلك عقبه محتجا عليهم بقوله (لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء) يعني لو أراد اتخاذ الولد لامتنع ولم يصح لكونه محالا ولم يتأت الا أن يصطفي من خلقه بعضه ويختصهم ويقربهم كما يختص الرجل ولده ويقربه وقد فعل ذلك بالملائكة فافتتنتم به وغركم اختصاصه اياهم فزعمتم أنهم أولاده جهلا منكم به وبحقيقته المخالفة لحقائق الاجسام والاعراض كأنه قال لو أراد اتخاذ الولد لم يزد على ما فعل من اصطفاء ما يشاء من خلقه وهم الملائكة الا أنكم لجهلكم به حسبتم اصطفاءهم اتخاذهم أولادا ثم تماديتم في جهلكم وسفهكم فجعلتموهم بنات فكنتم كذابين كفارين متبالغين في الافتراء على الله وملائكته غالين في الكفر ثم قال (سبحانه) فنزه ذاته عن أن يكون له أحد ما نسبوا اليه من الاولاد والاولياء ودل على ذلك بما ينافيه وهو أنه واحد فلا يجوز أن يكون له صاحبة لانه لو كانت له صاحبة لكانت من جنسه ولا جنس له واذا لم يتأت أن يكون له صاحبة لم يتأت أن يكون له ولد وهو معنى قوله أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة * وقهار غلاب لكل شيء ومن الأشياء آلهتهم فهو يغلبهم فكيف يكونون له أولياء وشركاء * ثم دل بخلق السموات والارض وتكوير كل واحد من الملوين على الآخر وتسخير النيرين وجريهما لأجل مسمى وبث الناس على كثرة عددهم من نفس واحدة وخلق الانعام على أنه واحد لا يشارك قهار لا يغالب * والتكوير اللف واللي يقال كار العمامة على رأسه وكورها وفيه أوجه

منها

بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين ألا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون ان الله لا يهدي من هو كاذب كفار لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء سبحانه هو الله الواحد القهار خلق السموات والارض

(القول في سورة الزمر)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* قوله تعالى ان الله لا يهدي من هو كاذب كفار (قال المراد بمنع الهداية منع اللطف تسجيلا عليهم بأن لا لطف لهم وأنهم عند الله من الهالكين انتهى كلامه) قلت مذهب أهل السنة حمل هذه الآية وأمثالها على الظاهر فان معتقدهم ان معنى هداية الله تعالى للمؤمن خلق الهدى فيه ومعنى اضلاله الكافر اغواؤه عن الهدى وخلق الكفر له ومع ذلك فيجوز عند أهل السنة ان يخلق الله تعالى للكافر لطفا يؤمن عنده طائعا خلافا للقدرية فقد عرفتنا التنبيه على مذهب أهل الحق لا غيره

* قوله تعالى ألا هو العزيز الغفار (قال أي لذنوب التائبين انتهى كلامه) قلت الحق أنه تعالى غفار للتائبين ولمن يشاء من المصرين على ما دون الشرك وقنوطهم من رحمة الله تعالى ولقد قيد الزمخشري الآية بما يجاري * قوله تعالى خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها (قال فيه فإن قلت ما وجه العطف بثم في قوله ثم جعل وأجاب بأنهما آيتان الخ) قال أحمد إنما امتنعه من حمل ثم على التراخي في الوجود أنها وقعت بين خلق الذرية من آدم وخلق حواء منه وهو متقدم على الذرية فضلا عن كونه متراخيا عن خلق الذرية فلم يستقم حملها على تراخي الوجود فاحتملوا في الوجه الآخر متعلقة بمعنى واحدة على تقدير خلقكم من نفس وحدت ثم جعل منها زوجها أي شفعها بزوجها فكانت ههنا على بابها التراخي الوجودي والله سبحانه وتعالى أعلم * قوله تعالى وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج (قال إنما جعلها منزلة لأن قضاياه تعالى وقسمه موصوفة بالنزول الخ)

منها أن الليل والنهار خلفة يذهب هذا ويغشى مكانه هذا وإذا غشي مكانه فكأنما ألبسه ولف عليه كما يلف اللباس على اللابس ومنه قول ذي الرمة في وصف السراب

تلوي الثنايا بأحقيها حواشيه * لي الملاء بأبواب التفاريج

ومنها أن كل واحد منهما يغيب الآخر إذا طرأ عليه فشبه في تغييبه إياه بشيء ظاهر لف عليه ما غيبه عن مطامح الأبصار ومنها أن هذا يكر على هذا كرورا متتابعا فشبه ذلك بتتابع أكوار العمامة بعضها على إثر بعض (ألا هو العزيز) الغالب القادر على عقاب المصرين (الغفار) لذنوب التائبين أو الغالب الذي يقدر على أن يعاجلهم بالعقوبة وهو يحلم عنهم ويؤخرهم إلى أجل مسمى فسمى الحلم عنهم مغفرة (فإن قلت ما وجه قوله (ثم جعل منها زوجها) وما يعطيه من معنى التراخي (قلت) هما آيتان من جملة الآيات التي عددها دالا على وحدانيته وقدرته تشعيب هذا الخلق الفائت للحصر من نفس آدم وخلق حواء من قصيراه إلا أن إحداهما جعلها الله عادة مستمرة والأخرى لم تجر بها العادة ولم تخلق أنثى غير حواء من قصيرى رجل فكانت أدخل في كونها آية وأجلب لعجب السامع فعطفها بثم على الآية الأولى للدلالة على مباينتها فضلا ومزية وتراخيها عنها فيما يرجع إلى زيادة كونها آية فهو من التراخي في الحال والمنزلة لا من التراخي في الوجود وقيل ثم متعلق بمعنى واحدة كأنه قيل خلقكم من نفس وحدت ثم شفعها الله بزوج وقيل أخرج ذرية آدم من ظهره كالذر ثم خلق بعد ذلك حواء (وأنزل لكم) وقضى لكم وقسم لأن قضاياه وقسمه موصوفة بالنزول من السماء حيث كتب في اللوح كل كائن يكون وقيل لا تعيش الأنعام إلا بالنبات والنبات لا يقوم إلا بالماء وقد أنزل الماء فكأنه أنزلها وقيل خلقها في الجنة ثم أنزلها (ثمانية أزواج) ذكرا وأنثى من الإبل والبقر والضأن والمعز والزوج اسم لواحد معه آخر فإذا انفرد فهو فرد ووتر قال الله تعالى فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى (خلقا من بعد خلق) حيوانا سويا من بعد عظام مكسوة لحما من بعد عظام عارية من بعد مضغ من بعد علق من بعد نطف * والظلمات الثلاث البطن والرحم والمشيمة وقيل الصلب والرحم والبطن (ذلكم) الذي هذه أفعاله هو (الله ربكم * فأنى تصرفون) فكيف يعدل بكم عن عبادته إلى عبادة غيره (فإن الله غني عنكم) عن إيمانكم وأنكم المحتاجون إليه لاستضراركم بالكفر واستنفاعكم بالإيمان (ولا يرضى لعباده الكفر) رحمة لهم لأنه يوقعهم في الهلكة (وإن تشكروا يرضه لكم) أي يرض الشكر لكم لأنه سبب فوزكم وفلاحكم فإذن ما كره كفركم ولا رضي شكركم إلا لكم ولصلاحكم لا لأن منفعة ترجع إليه لأنه الغني الذي لا يجوز عليه الحاجة ولقد تمحل بعض الغواة ليثبت لله تعالى ما نفاه عن ذاته من الرضا لعباده الكفر فقال هذا من العام الذي أريد به الخاص وما أراد إلا عباده الذين عناهم في قوله إن عبادي ليس لك عليهم سلطان يريد

بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى ألا هو العزيز الغفار خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث ذلكم الله ربكم له الملك لا إله إلا هو فأنى تصرفون إن تكفروا فإن الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لكم ولا تزر وازرة وزر أخرى ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم

قال أحمد وعن هذا الغلط بعينه قول الراجز

أعهدانا بالرفق بصاحبه قوله تعالى ولا يرضى لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لكم (حمل الرضا على الإرادة والعباد على العموم الخ) قال أحمد إن المصر على هذا المعتقد على قلبه رين أو في ميزان عقله غبن أليس يدعي أو يدعى له أنه الخريت في مضمار العبارات وبديع الزمان في صناعة البديع فكيف نبا عن جادة الإجادة فهما وأعار مناحي الحذاقة أذنا صما اللهم إلا أن يكون الهوى إذا تمكن أرى الباطل حقا وغطى على مكشوف العبارة فصناعة علم البيان تقتضي العربية فضلا عن القوانين العقلية أن المشروط متى نبه على الشرط لا يتصور وجود المشروط قبل الشرط عقلا ولا عادة واستقبال الشرط لغة وعقلا وإشعارا باتفاق الفريقين أهل السنة وشيعة البدعة أن إرادة الله تعالى لشكر عباده مثلا متقدمة على وجود الشكر منهم فحينئذ كيف ساغ حمل الرضا على الإرادة وقد جعل في الآية مشروطا وجزاء وجعل وقوع الشكر شرطا وجزاء يلزم من ذلك عقلا تقدم المراد وهو الشكر على الإرادة وهي الرضا ولغة تقدم المشروط على الشرط

والزمخشري أنقص من قال ان الشرط متى كان ماضيا معنى لزمته الفاء وقد قالت ان تشكر مني فقد أكرمتك قبل وقد قررت الآية
عن الطرفين المذكورين على انه لا بد من تأويل يصحح الشرطية مع ذلك فاذا أثبت بطلان حمل الرضا على الارادة عقلا ونقلا تعين
التماس المحمل الصحيح له وهو المجازاة على الشكر بما عهد أن يجازى به المرضي عنه من الثواب والكرامة فيكون معنى الآية والله أعلم
وان تشكروا يجازكم على شكركم ٢٩٤ جزاء المرضي عنه ولا شك ان المجازاة مستقبلة بالنسبة الى الشكر فجرى الشرط والجزاء على
مقتضاه الثقة والتعلم ذلك يقتضي الادلة العقلية على بطلان تقدم المراد على الارادة عقلا ومثل هذا يقع في قوله ولا يرضى لعباده الكفر أي لا يجازي

تعملون انه عليم بذات الصدور واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه ثم اذا خوله نعمة منه نسي ما كان يدعو اليه من قبل وجعل لله أندادا ليضل عن سبيله قل تمتع بكفرك قليلا انك من أصحاب النار أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر أولوا الالباب قل يا عبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة وأرض الله واسعة

المعصومين كقوله تعالى عينا يشرب بها عباد الله تعالى الله عما يقول الظالمون وقرئ يرضه بضم الهاء بوصل وبغير وصل وبسكونها (خوله) أعطاه قال أبو النجم

أعطى فلم يبخل ولم يبخل * كوم الذرى من خول المخول

وفي حقيقته وجهان أحدهما جعله خائل مال من قولهم هو خائل مال وخال مال اذا كان متعهدا له حسن القيام به ومنه ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يتخول أصحابه بالموعظة والثاني جعله يخول من خال يخول اذا اختال وافتخر وفي معناه قول العرب * ان الغني طويل الذيل مياس * (ما كان يدعو اليه) أي نسي الضر الذي كان يدعو الله الى كشفه وقيل نسي ربه الذي كان يتضرع اليه ويبتهل اليه وما بمعنى من كقوله تعالى وما خلق الذكر والانثى * وقرئ ليضل بفتح الياء وضمها بمعنى أن نتيجة جعله لله أندادا ضلاله عن سبيل الله أو اضلاله والنتيجة قد تكون غرضا في الفعل وقد تكون غير غرض وقوله (تمتع بكفرك) من باب الخذلان والتخلية كأنه قيل له اذ قد أبيت قبول ما أمرت به من الايمان والطاعة فمن حقك ألا تؤمر به بعد ذلك وتؤمر بتركه مبالغة في خذلانه وتخليته وشأنه لانه لا مبالغة في الخذلان أشد من أن يبعث على عكس ما أمر به ونظيره في المعنى قوله متاع قليل ثم مأواهم جهنم * قرئ أمن هو قانت بالتخفيف على ادخال همزة الاستفهام على من وبالتشديد على ادخال أم عليه ومن مبتدأ خبره محذوف تقديره أمن هو قانت كغيره وانما حذف لدلالة الكلام عليه وهو جري ذكر الكافر قبله وقوله بعده قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقيل معناه أمن هو قانت أفضل أمن هو كافر أو أهذا أفضل أمن هو قانت على الاستفهام المتصل والقانت القائم بما يجب عليه من الطاعة ومنه قوله عليه الصلاة والسلام أفضل الصلاة طول القنوت وهو القيام فيها ومنه القنوت في الوتر لأنه دعاء المصلي قائما (ساجدا) حال وقرئ ساجد وقائم على أنه خبر بعد خبر والواو للجمع بين الصفتين * وقرئ ويحذر عذاب الآخرة وأراد بالذين يعلمون العاملين من علماء الديانة كأنه جعل من لا يعمل غير عالم وفيه ازدراء عظيم بالذين يقتنون العلوم ثم لا يقنتون ويفتنون ثم يفتنون بالدنيا فهم عند الله جهلة حيث جعل القانتين هم العلماء ويجوز أن يرد على سبيل التشبيه أي كما لا يستوي العالمون والجاهلون كذلك لا يستوي القانتون والعاصون وقيل نزلت في عمار بن ياسر رضي الله عنه وأبي حذيفة بن المغيرة المخزومي * وعن الحسن أنه سئل عن رجل يتمادى في المعاصي ويرجو فقال هذا تمن وانما الرجاء قوله وتلا هذه الآية * وقرئ انما يذكر بالادغام (في هذه الدنيا) متعلق بأحسنوا لا بحسنة معناه الذين أحسنوا في هذه الدنيا فلهم حسنة في الآخرة وهي دخول الجنة أي حسنة غير مكتنهة بالوصف وقد علقه السدي بحسنة ففسر الحسنة بالصحة والعافية (فان قلت) اذا علق الظرف بأحسنوا فاعرابه ظاهر فما معنى تعليقه بحسنة ولا يصح أن يقع صفة لها لتقدمه (قلت) هو صفة لها اذا تأخر فاذا تقدم كان بيانا لمكانها فلم يخل التقدم بالتعلق وان لم يكن التعلق وصفا ومعنى (وأرض الله واسعة) أن لا عذر للمفرطين في الاحسان البتة حتى ان اعتلوا بأوطانهم وبلادهم وأنهم لا يتمكنون فيها من التوفر على الاحسان وصرف الهمم اليه قيل لهم فان أرض الله واسعة وبلاده كثيرة فلا تجتمعوا مع العجز وتحولوا الى بلاد أخر واقتدوا بالانبياء

قوله الكافر تخاله التفسير عليه من التنكيل والتقوية قوله تعالى أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل يستوي   والصالحين
الذين يعلمون والذين لا يعلمون (قال سئل الحسن عمن يتمادى على المعاصي ويرجو الخ) قال أحمد كلام الحسن رضي الله عنه صحيح غير منزل على كلام الزمخشري بغير تقطعه فان الحسن أراد ان المتمادي على المعصية مصر أعلم غير تائب اذا غلب رجاؤه خوفه كان متمنيا لان اللائق به أن يغلب خوفه رجاءه ولم يرد الحسن اقناط هذا من رحمة الله تعالى وحاشاه وأما قرينته حال الزمخشري فانه أتم على ما أضمره من اعتقاده المقالة فان معتقده ان مثل هذا العاصي وان كان موحدا يجب خلوده في نار جهنم ولا معنى لرجائه ولتمنيه عنده هذا المعتقد أورده مقالة الحسن كالترام الى تتميم هذه النزعة وهذا قليل يفرع معه ما في أثناء هذه السورة

والصالحين في مهاجرتهم إلى غير بلادهم ليزدادوا إحسانا إلى إحسانهم وطاعة إلى طاعتهم وقيل هو للذين كانوا في بلد المشركين فأمروا بالمهاجرة عنه كقوله تعالى ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها وقيل هي أرض الجنة و(الصابرون) الذين صبروا على مفارقة أوطانهم وعشائرهم وعلى غيرها من تجرع الغصص واحتمال البلايا في طاعة الله وازدياد الخير (بغير حساب) لا يحاسبون عليه وقيل بغير مكيال وغير ميزان يغرف لهم غرفا وهو تمثيل للتكثير وعن ابن عباس رضي الله عنهما لا يهتدي إليه حساب الحساب ولا يعرف وعن النبي صلى الله عليه وسلم ينصب الله الموازين يوم القيامة فيؤتى بأهل الصلاة فيوفون أجورهم بالموازين ويؤتى بأهل الصدقة فيوفون أجورهم بالموازين ويؤتى بأهل الحج فيوفون أجورهم بالموازين ويؤتى بأهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان ويصب عليهم الأجر صبا قال الله تعالى إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب حتى يتمنى أهل العافية في الدنيا أن أجسادهم تقرض بالمقاريض مما يذهب به أهل البلاء من الفضل (قل إني أمرت) بإخلاص الدين (وأمرت) بذلك لأجل (أن أكون أول المسلمين) أي مقدمهم وسابقهم في الدنيا والآخرة والمعنى أن الإخلاص له السبقة في الدين فمن أخلص كان سابقا (فإن قلت) كيف عطف أمرت على أمرت وهما واحد (قلت) ليسا بواحد لاختلاف جهتيهما وذلك أن الأمر بالإخلاص وتكليفه شيء والأمر به ليحرز القائم به قصب السبق في الدين شيء وإذا اختلف وجها الشيء وصفتاه ينزل بذلك منزلة شيئين مختلفين ولك أن تجعل اللام مزيدة مثلها في أردت لأن أفعل ولا تزاد إلا مع أن خاصة دون الاسم الصريح كأنها زيدت عوضا من ترك الأصل إلى ما يقوم مقامه كما عوض السين في اسطاع عوضا من ترك الأصل الذي هو أطوع والدليل على هذا الوجه مجيئه بغير لام في قوله وأمرت أن أكون من المسلمين وأمرت أن أكون من المؤمنين وأمرت أن أكون أول من أسلم وفي معناه أوجه أن أكون أول من أسلم في زماني ومن قومي لأنه أول من خالف دين آبائه وخلع الأصنام وحطمها وأن أكون أول الذين دعوتهم إلى الإسلام إسلاما وأن أكون أول من دعا نفسه إلى ما دعا إليه غيره لأكون مقتدى بي في قولي وفعلي جميعا ولا تكون صفتي صفة الملوك الذين يأمرون بما لا يفعلون وأن أفعل ما استحق به الأولية من أعمال السابقين دلالة على السبب بالمسبب يعني أن الله أمرني أن أخلص له الدين من الشرك والرياء وكل شوب بدليلي العقل والوحي * فإن عصيت ربي بمخالفة الدليلين استوجبت عذابه فلا أعصيه ولا أتابع أمركم وذلك حين دعوه إلى دين آبائه * (فإن قلت) ما معنى التكرير في قوله قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين وقوله (قل الله أعبد مخلصا له ديني) (قلت) ليس بتكرير لأن الأول إخبار بأنه مأمور من جهة الله بإحداث العبادة والإخلاص والثاني إخبار بأنه يختص الله وحده دون غيره بعبادته مخلصا له دينه ولدلالته على ذلك قدم المعبود على فعل العبادة وأخره في الأول فالكلام أولا واقع في الفعل نفسه وإيجاده وثانيا فيمن يفعل الفعل لأجله ولذلك رتب عليه قوله (فاعبدوا ما شئتم من دونه) والمراد بهذا الأمر الوارد على وجه التخيير المبالغة في الخذلان والتخلية على ما حققت فيه القول مرتين (قل إن) الكاملين في الخسران الجامعين لوجوهه وأسبابه هم (الذين خسروا أنفسهم) لوقوعها في هلكة لا هلكة بعدها (و) خسروا (أهليهم) لأنهم إن كانوا من أهل النار فقد خسروهم كما خسروا أنفسهم وإن كانوا من أهل الجنة فقد ذهبوا عنهم ذهابا لا رجوع بعده إليهم وقيل وخسروهم لأنهم لم يدخلوا مدخل المؤمنين الذين لهم أهل في الجنة يعني وخسروا أهليهم الذين كانوا يكونون لهم لو آمنوا ولقد وصف خسرانهم بغاية الفظاعة في قوله (ألا ذلك هو الخسران المبين) حيث استأنف الجملة وصدرها بحرف التنبيه ووسط الفصل بين المبتدأ والخبر وعرف الخسران ونعته بالمبين (ومن تحتهم) أطباق من النار هي (ظلل) للآخرين (ذلك) العذاب هو الذي يتوعد الله (به عباده) ويخوفهم ليجتنبوا ما يوقعهم فيه (يا عباد فاتقون) ولا تتعرضوا لما يوجب سخطي وهذه عظة

---

* قوله تعالى قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين وأمرت لأن أكون أول المسلمين إلى قوله قل الله أعبد مخلصا له ديني (قال فيه فإن قلت كيف عطف أمرت على أمرت وهما واحد وأجاب بأنه ليس بتكرير الخ) قال أحمد والله أحسن في تنزيه هذا المعنى في هذه الآية بقوله فاعبدوا ما شئتم من دونه فإن مقابلته بعدم الحصر توجب كونه للحصر والله أعلم وما أحسن ما بين وجوه المبالغة في وصف الله تعالى لفظاعة خسرانهم

إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين وأمرت لأن أكون أول المسلمين قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم قل الله أعبد مخلصا له ديني فاعبدوا ما شئتم من دونه قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا ذلك هو الخسران المبين لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ذلك يخوف الله به عباده يا عباد فاتقون والذين

فقال استأنف الجملة وصدرها بحرف التنبيه ووسط الفصل بين المبتدأ والخبر وعرف الخسران ونعته بالمبين وبين في تسمية الشيطان الطاغوت وجوها ثلاثة من المبالغة أحدها تسميته بالمصدر كأنه نفس الطغيان الثاني بناؤه على فعلوت وهي صيغة مبالغة كالرحموت وهي الرحمة الواسعة والملكوت وشبهه الثالث تقديم لامه على عينه ليفيد اختصاص الشيطان بهذه التسمية

من الله تعالى ونصيحة الله وقرئ بإعبادي (الطاغوت) فعلوت من الطغيان كالملكوت والرحموت إلا أن فيها قلبا بتقديم اللام على العين أطلقت على الشيطان أو الشياطين لكونها مصدرا وفيها مبالغات وهي التسمية بالمصدر كأن عين الشيطان طغيان وأن البناء بناء مبالغة فإن الرحموت الرحمة الواسعة والملكوت الملك المبسوط والقلب وهو للاختصاص إذ لا تطلق على غير الشيطان والمراد بها ههنا الجمع وقرئ الطواغيت (أن يعبدوها) بدل من الطاغوت بدل الاشتمال (لهم البشرى) هي البشارة بالثواب كقوله تعالى لهم البشرى في الحيوة الدنيا وفي الآخرة الله عز وجل يبشرهم بذلك في وحيه على ألسنة رسله وتتلقاهم الملائكة عند حضور الموت مبشرين وحين يحشرون قال الله تعالى يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات * وأراد بعباده (الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه) الذين اجتنبوا وأنابوا لا غيرهم وإنما أراد بهم أن يكونوا مع الاجتناب والإنابة على هذه الصفة فوضع الظاهر موضع الضمير وأراد أن يكونوا نقادا في الدين يميزون بين الحسن والأحسن والفاضل والأفضل فإذا اعترضهم أمران واجب وندب اختاروا الواجب وكذلك المباح والندب حراصا على ما هو أقرب عند الله وأكثر ثوابا ويدخل تحته المذاهب واختيار أثبتها على السبك وأقواها عند السبر وأبينها دليلا أو أمارة وأن لا تكون في مذهبك كما قال القائل * ولا تكن مثل عير قيد فانقادا * يريد المقلد وقيل يستمعون القرآن وغيره فيتبعون القرآن وقيل يستمعون أوامر الله فيتبعون أحسنها نحو القصاص والعفو والانتصار والإغضاء والإبداء والإخفاء لقوله تعالى وأن تعفوا أقرب للتقوى وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو الرجل يجلس مع القوم فيسمع الحديث فيه محاسن ومساو فيحدث بأحسن ما سمع ويكف عما سواه ومن الوقفة من يقف على فبشر عبادي ويبتدئ الذين يستمعون يرفعه على الابتداء وخبره (أولئك) * أصل الكلام أمن حق عليه كلمة العذاب فأنت تنقذه جملة شرطية دخل عليها همزة الإنكار والفاء فاء الجزاء ثم دخلت الفاء التي في أولها للعطف على محذوف يدل عليه الخطاب تقديره أأنت مالك أمرهم فمن حق عليه العذاب فأنت تنقذه والهمزة الثانية هي الأولى كررت لتوكيد معنى الإنكار والاستبعاد ووضع من في النار موضع الضمير فالآية على هذا جملة واحدة ووجه آخر وهو أن تكون الآية جملتين أفمن حق عليه العذاب فأنت تخلصه أفأنت تنقذ من في النار وإنما جاز حذف فأنت تخلصه لأن أفأنت تنقذ يدل عليه نزل استحقاقهم العذاب وهم في الدنيا منزلة دخولهم النار حتى نزل اجتهاد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكده نفسه في دعائهم إلى الإيمان منزلة إنقاذهم من النار وقوله أفأنت تنقذ يفيد أن الله تعالى هو الذي يقدر على الإنقاذ من النار وحده لا يقدر على ذلك أحد غيره فكما لا تقدر أنت أن تنقذ الداخل في النار من النار لا تقدر أن تخلصه مما هو فيه من استحقاق العذاب بتحصيل الإيمان فيه (غرف من فوقها غرف) علالي بعضها فوق بعض * (فإن قلت) ما معنى قوله (مبنية) (قلت) معناه والله أعلم أنها بنيت بناء المنازل التي على الأرض وسويت تسويتها (تجري من تحتها الأنهار) كما تجري من تحت المنازل من غير تفاوت بين العلو والسفل (وعد الله) مصدر مؤكد لأن قوله لهم غرف في معنى وعدهم الله ذلك (أنزل من السماء ماء) هو المطر وقيل كل ماء في الأرض فهو من السماء ينزل منها إلى الصخرة ثم يقسمه الله (فسلكه) فأدخله ونظمه (ينابيع في الأرض) عيونا ومسالك ومجاري كالعروق في الأجساد (مختلفا ألوانه) هيآته من خضرة وحمرة وصفرة وبياض وغير ذلك أو أصنافه من بر وشعير وسمسم وغيرها (يهيج) يتم جفافه عن الأصمعي لأنه إذا تم جفافه حان له أن يثور عن منابته ويذهب (حطاما) فتاتا ودرينا (إن في ذلك لذكرى) لتذكيرا وتنبيها على أنه لا بد من صانع حكيم وأن ذلك كائن عن تقدير وتدبير لا عن تعطيل وإهمال ويجوز أن يكون مثلا للدنيا كقوله تعالى إنما مثل الحياة الدنيا واضرب لهم مثل الحياة الدنيا وقرئ مصفارا (أفمن) عرف الله أنه من أهل اللطف فلطف به حتى انشرح صدره للإسلام ورغب فيه وقبله كمن لا لطف له فهو حرج الصدر قاسي القلب * ونور الله هو لطفه وقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية فقيل يا رسول الله كيف انشراح الصدر قال

اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنابوا إلى الله لهم البشرى فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من في النار لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية تجري من تحتها الأنهار وعد الله لا يخلف الله الميعاد ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الأرض ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يجعله حطاما إن في ذلك لذكرى لأولي الألباب أفمن شرح الله

* قوله تعالى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه (قال يدخل تحته المذاهب واختيار أثبتها على السبك وأقواها عند السبر الخ) قال أحمد لقد كنت أطمع أن يرجع عما هو عليه في هذا الكتاب من المذاهب الرديئة والمعتقدات الفاسدة حتى سمعته يقول هذا فإن ذلك التصميم كان عن تمكن في فؤاده الصمم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

اذا دخل النور القلب انشرح وانفسح فقيل يا رسول الله فما علامة ذلك قال الانابة الى دار الخلود والتجافي عن
دار الغرور والتأهب للموت قبل نزول الموت وهو نظير قوله أمن هو قانت في حذف الخبر (من ذكر الله)
من أجل ذكره أي اذا ذكر الله عندهم أو آياته اشمأزوا وازدادت قلوبهم قساوة كقوله تعالى فزادتهم
رجسا الى رجسهم وقرئ عن ذكر الله (فان قلت) ما الفرق بين من وعن في هذا (قلت) اذا قلت قسا
قلبه من ذكر الله فالمعنى ما ذكرت من أن القسوة من أجل الذكر وبسببه واذا قلت عن ذكر الله فالمعنى
غلظ عن قبول الذكر وجفا عنه ونظيره سقاه من العيمة أي من أجل عطشه وسقاه عن العيمة اذا أرواه حتى
أبعده عن العطش * عن ابن مسعود رضي الله عنه أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ملوا ملة فقالوا
له حدثنا فنزلت وايقاع اسم الله مبتدأ وبناء نزل عليه فيه تفخيم لأحسن الحديث ورفع منه واستشهاد على
حسنه وتأكيد لاستناده الى الله وأنه من عنده وأن مثله لا يجوز أن يصدر الا عنه وتنبيه على أنه وحي معجز
مباين لسائر الاحاديث و(كتابا) بدل من أحسن الحديث ويحتمل أن يكون حالا منه (ومتشابها) مطلق
في مشابهة بعضه بعضا فكان متناولا لتشابه معانيه في الصحة والاحكام والبناء على الحق والصدق ومنفعة
الخلق وتناسب ألفاظه وتناصفها في التخير والاصابة وتجاوب نظمه وتأليفه في الاعجاز والتبكيت ويجوز
أن يكون (مثاني) بيانا لكونه متشابها لان القصص المكررة لا تكون الا متشابهة والمثاني جمع مثنى بمعنى
مردد ومكرر لما ثنى من قصصه وأنبائه وأحكامه وأوامره ونواهيه ووعده ووعيده ومواعظه وقيل لانه يثنى
في التلاوة فلا يمل كما جاء في وصفه لا يتفه ولا يتشان ولا يخلق على كثرة الرد ويجوز أن يكون جمع مثنى مفعل
من التثنية بمعنى التكرير والاعادة كما كان قوله تعالى ثم ارجع البصر كرتين بمعنى كرة بعد كرة وكذلك لبيك
وسعديك وحنانيك (فان قلت) كيف وصف الواحد بالجمع (قلت) انما صح ذلك لان الكتاب جملة ذات
تفاصيل وتفاصيل الشيء هي جملته لا غير الا تراك تقول القرآن أسباع وأخماس وسور وآيات وكذلك تقول
أقاصيص وأحكام ومواعظ مكررات ونظيره قولك الانسان عظام وعروق وأعصاب الا أنك تركت
الموصوف الى الصفة وأصله كتابا متشابها فصولا مثاني ويجوز أن يكون كقولك برمة أعشار وثوب أخلاق
ويجوز أن لا يكون مثاني صفة ويكون منتصبا على التمييز من متشابها كما تقول رأيت رجلا حسنا شمائل
والمعنى متشابهة مثانيه (فان قلت) ما فائدة التثنية والتكرير (قلت) النفوس أنفر شيء عن حديث الوعظ
والنصيحة فما لم يكرر عليها عودا عن بدء لم يرسخ فيها ولم يعمل عمله ومن ثم كانت عادة رسول الله صلى الله
عليه وسلم أن يكرر عليهم ما كان يعظ به وينصح ثلاث مرات وسبعا ليركزه في قلوبهم ويغرسه في صدورهم
* اقشعر الجلد اذا تقبض تقبضا شديدا وتركيبه من حروف القشع وهو الاديم اليابس مضموما اليه حرف
رابع وهو الراء ليكون رباعيا ودالا على معنى زائد يقال اقشعر جلده من الخوف وقف شعره وهو مثل في
شدة الخوف فيجوز أن يريد به الله سبحانه التمثيل تصويرا لافراط خشيتهم وأن يريد التحقيق والمعنى أنهم
اذا سمعوا بالقرآن وبآيات وعيده أصابتهم خشية تقشعر منها جلودهم ثم اذا ذكروا الله ورحمته وجوده
بالمغفرة لانت جلودهم وقلوبهم وزال عنها ما كان بها من الخشية والقشعريرة (فان قلت) ما وجه تعديته لان
بالى (قلت) ضمن معنى فعل متعد بالى كأنه قيل سكنت أو اطمأنت الى ذكر الله لينة غير متقبضة راجية غير
خاشية (فان قلت) لم اقتصر على ذكر الله من غير ذكر الرحمة (قلت) لان أصل أمره الرحمة والرأفة ورحمته
هي سابقة غضبه فلاصالة رحمته اذا ذكر لم يخطر بالبال قبل كل شيء من صفاته الا كونه رؤفا رحيما (فان
قلت) لم ذكرت الجلود وحدها أولا ثم قرنت بها القلوب ثانيا (قلت) اذا ذكرت الخشية التي محلها القلوب
فقد ذكرت القلوب فكأنه قيل تقشعر جلودهم من آيات الوعيد وتخشى قلوبهم في أول وهلة فاذا ذكروا الله
ومبنى أمره على الرأفة والرحمة استبدلوا بالخشية رجاء في قلوبهم وبالقشعريرة لينا في جلودهم (ذلك)
اشارة الى الكتاب وهو (هدى الله يهدي به) يوفق به من يشاء يعني عباده المتقين حتى يخشوا تلك الخشية
ويرجوا ذلك الرجاء كما قال هدى للمتقين (ومن يضلل الله) ومن يخذله من الفساق والفجرة (فما له من هاد)
أو ذلك الكائن من الخشية والرجاء هدى الله أي أثر هداه وهو لطفه فسماه هدى لانه حاصل بالهدى يهدي به

صدره للاسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك في ضلال مبين الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد

* قوله تعالى أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيامة (قال فيه معناه كمن هو آمن فحذف الخبر اسوة أمثاله الخ) قال أحمد الملقى في النار والعياذ بالله لم يقصد الاتقاء بوجهه ولكنه لم يجد ما يتقي به النار غير وجهه ولو وجد لفعل فلما لقيها بوجهه كانت حاله حال المتقي بوجهه فعبر عن ذلك بالاتقاء من باب المجاز التمثيلي والله أعلم * قوله تعالى انك ميت وانهم ميتون (قال فيه قرئ انك مائت ومائتون الخ) قال أحمد فاستعمال

أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيامة وقيل للظالمين ذوقوا ما كنتم تكسبون كذب الذين من قبلهم فأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون فأذاقهم الله الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون قرآنا عربيا غير ذي عوج لعلهم يتقون ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون

بهذا الاثر من يشاء من عباده يعني من صحب أولئك ورآهم خاشين راجين فكان ذلك مرغبا لهم في الاقتداء بسيرتهم وسلوك طريقتهم ومن يضلل الله ومن لم يؤثر فيه ألطافه لقسوة قلبه واصراره على فجوره فما له من هاد من مؤثر فيه بشيء قط * يقال اتقاه بدرقته استقبله بها فوقى بها نفسه اياه واتقاه بيده وتقديره (أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب) كمن أمن العذاب فحذف الخبر كما حذف في نظائره وسوء العذاب شدته ومعناه أن الانسان اذا لقي مخوفا من المخاوف استقبله بيده وطلب أن يقي بها وجهه لانه أعز أعضائه عليه والذي يلقى في النار يلقى مغلولة يداه الى عنقه فلا يتهيأ له أن يتقي النار الا بوجهه الذي كان يتقي المخاوف بغيره وقاية له ومحاماة عليه وقيل المراد بالوجه الجملة وقيل نزلت في أبي جهل * وقال لهم خزنة النار (ذوقوا) وبال (ما كنتم تكسبون * من حيث لا يشعرون) من الجهة التي لا يحتسبون ولا يخطر ببالهم أن الشر يأتيهم منها بيناهم آمنون رافهون اذ فوجئوا من مأمنهم * والخزي الذل والصغار كالمسخ والخسف والقتل والجلاء وما أشبه ذلك من نكال الله (قرآنا عربيا) حال مؤكدة كما تقول جاءني زيد رجلا صالحا وانسانا عاقلا ويجوز أن ينتصب على المدح (غير ذي عوج) مستقيما بريئا من التناقض والاختلاف (فان قلت) فهلا قيل مستقيما أو غير معوج (قلت) فيه فائدتان احداهما نفي أن يكون فيه عوج قط كما قال ولم يجعل له عوجا والثانية أن لفظ العوج مختص بالمعاني دون الاعيان وقيل المراد بالعوج الشك واللبس وأنشد

وقد أتاك يقين غير ذي عوج * من الاله وقول غير مكذوب

* واضرب لقومك مثلا وقل لهم ما تقولون في رجل من المماليك قد اشترك فيه شركاء بينهم اختلاف وتنازع كل واحد منهم يدعي أنه عبده فهم يتجاذبونه ويتعاورونه في مهن شتى ومشاده واذا عنت له حاجة تدافعوه فهو متحير في أمره سادر قد تشعبت الهموم قلبه وتوزعت أفكاره لا يدري أيهم يرضي بخدمته وعلى أيهم يعتمد في حاجاته وفي آخر قد سلم لمالك واحد وخلص له فهو معتنق لما لزمه من خدمته معتمد عليه فيما يصلحه فهمه واحد وقلبه مجتمع أي هذين العبدين أحسن حالا وأجمل شأنا والمراد تمثيل حال من يثبت آلهة شتى وما يلزمه على قضية مذهبه من أن يدعي كل واحد منهم عبوديته ويتشاكسوا في ذلك ويتغالبوا كما قال تعالى ولعلا بعضهم على بعض ويبقى هو متحيرا ضائعا لا يدري أيهم يعبد وعلى ربوبية أيهم يعتمد وممن يطلب رزقه وممن يلتمس رفقه فهمه شعاع وقلبه أوزاع وحال من لم يثبت الا الها واحدا فهو قائم بما كلفه عارف بما أرضاه وما أسخطه متفضل عليه في عاجله مؤمل للثواب في آجله و (فيه) صلة شركاء كما تقول اشتركوا فيه * والتشاكس والتشاخس الاختلاف تقول تشاكست أحواله وتشاخست أسنانه (سالما لرجل) خالصا له وقرئ سلما بفتح الفاء والعين وفتح الفاء وكسرها مع سكون العين وهي مصادر سلم والمعنى ذا سلامة لرجل أي ذا خلوص له من الشركة من قولهم سلمت له الضيعة * وقرئ بالرفع على الابتداء أي وهناك رجل سالم لرجل وانما جعله رجلا ليكون أفطن لما شقي به أو سعد فان المرأة والصبي قد يغفلان عن ذلك (هل يستويان مثلا) هل يستويان صفة على التمييز والمعنى هل يستوي صفتاهما وحالاهما وانما اقتصر في التمييز على الواحد لبيان الجنس وقرئ مثلين كقوله تعالى وأكثر أموالا وأولادا مع قوله أشد منهم قوة ويجوز فيمن قرأ مثلين أن يكون الضمير في يستويان للمثلين لان التقدير مثل رجل ومثل رجل والمعنى هل يستويان فيما يرجع الى الوصفية كما تقول كفى بهما رجلين (الحمد لله) الواحد الذي لا شريك له دون كل معبود سواه أي يجب أن يكون الحمد متوجها اليه وحده والعبادة فقد ثبت أنه لا اله الا هو (بل أكثرهم لا يعلمون) فيشركون به غيره * كانوا يتربصون برسول الله صلى الله عليه وسلم موته فأخبر أن الموت يعمهم فلا معنى للتربص وشماتة الباقي بالفاني وعن قتادة نعى الى نبيه نفسه ونعى اليكم أنفسكم * وقرئ مائت

ومائتون

ميت مجازا اذ الخطاب مع الاحياء واستعمال مائت حقيقة اذ لا يعطي اسم الفاعل وجود الفعل حال الخطاب ونظيره قوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها يعني توفي الموت والتي لم تمت في منامها أي يتوفاها حين المنام تشبيها للنوم بالموت كقوله وهو الذي يتوفاكم بالليل فيمسك الانفس التي قضى عليها الموت الحقيقي أي لا يردها في وقتها حية ويرسل الاخرى أي النائمة الى الاجل الذي سماه

وماتون والفرق بين الميت والمائت أن الميت صفة لازمة كالسيد وأما المائت فصفة حادثة تقول زيد مائت غدا كما تقول سائد غدا أي سيموت وسيسود وإذا قلت زيد ميت فكما تقول حي في نقيضه فيما يرجع إلى اللزوم والثبوت والمعنى في قوله (إنك ميت وإنهم ميتون) إنك وإياهم وإن كنتم أحياء فأنتم في عداد الموتى لأن ما هو كائن فكأن قد كان (ثم إنكم) ثم إنك وإياهم فغلب ضمير المخاطب على ضمير الغيب (تختصمون) فتحتج أنت عليهم بأنك بلغت فكذبوا فاجتهدت في الدعوة فلجوا في العناد ويعتذرون بما لا طائل تحته تقول الأتباع أطعنا سادتنا وكبراءنا وتقول السادات أغوتنا الشياطين وآباؤنا الأقدمون وقد حمل على اختصام الجميع وأن الكفار يخاصم بعضهم بعضا حتى يقال لهم لا تختصموا لدي والمؤمنون الكافرين يبكتونهم بالحجج وأهل القبلة يكون بينهم الخصام قال عبد الله بن عمر لقد عشنا برهة من دهرنا ونحن نرى أن هذه الآية أنزلت فينا وفي أهل الكتابين قلنا كيف نختصم ونبينا واحد وديننا واحد وكتابنا واحد حتى رأيت بعضنا يضرب وجوه بعض بالسيف فعرفت أنها نزلت فينا وقال أبو سعيد الخدري كنا نقول ربنا واحد ونبينا واحد وديننا واحد فما هذه الخصومة فلما كان يوم صفين وشد بعضنا على بعض بالسيوف قلنا نعم هو هذا وعن إبراهيم النخعي قالت الصحابة ما خصومتنا ونحن إخوان فلما قتل عثمان رضي الله عنه قالوا هذه خصومتنا وعن أبي العالية نزلت في أهل القبلة والوجه الذي يدل عليه كلام الله هو ما قدمت أولا ألا ترى إلى قوله تعالى فمن أظلم ممن كذب على الله وقوله تعالى والذي جاء بالصدق وصدق به وما هو إلا بيان وتفسير للذين يكون بينهم الخصومة (كذب على الله) افترى عليه بإضافة الولد والشريك إليه (وكذب بالصدق) بالأمر الذي هو الصدق بعينه وهو ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم (إذ جاءه) فاجأه بالتكذيب لما سمع به من غير وقفة لإعمال روية واهتمام بتمييز بين حق وباطل كما يفعل أهل النصفة فيما يسمعون (مثوى للكافرين) أي لهؤلاء الذين كذبوا على الله وكذبوا بالصدق واللام في للكافرين إشارة إليهم (والذي جاء بالصدق وصدق به) هو رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بالصدق وآمن به وأراد به إياه ومن تبعه كما أراد بموسى إياه وقومه في قوله ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون فلذلك قال (أولئك هم المتقون) إلا أن هذا في الصفة وذاك في الاسم ويجوز أن يريد الفوج أو الفريق الذي جاء بالصدق وصدق به وهم الرسول الذي جاء بالصدق وصحابته الذين صدقوا به وفي قراءة ابن مسعود والذين جاؤوا بالصدق وصدقوا به وقرئ وصدق به بالتخفيف أي صدق به الناس ولم يكذبهم به يعني أداه إليهم كما نزل عليه من غير تحريف وقيل صار صادقا به أي بسببه لأن القرآن معجزة والمعجزة تصديق من الحكيم الذي لا يفعل القبيح لمن يجريها على يده ولا يجوز أن يصدق إلا الصادق فيصير لذلك صادقا بالمعجزة وقرئ وصدق به (فإن قلت) ما معنى إضافة الأسوأ والأحسن إلى الذي عملوا وما معنى التفضيل فيهما (قلت) أما الإضافة فما هي من إضافة أفعل إلى الجملة التي يفضل عليها ولكن من إضافة الشيء إلى ما هو بعضه من غير تفضيل كقولك الأشج أعدل بني مروان وأما التفضيل فإيذان بأن السيء الذي يفرط منهم من الصغائر والزلات المكفرة هو عندهم الأسوأ لاستعظامهم المعصية والحسن الذي يعملونه هو عند الله الأحسن لحسن إخلاصهم فيه فلذلك ذكر سيئهم بالأسوأ وحسنهم بالأحسن وقرئ أسواء الذي عملوا جمع سوء (أليس الله بكاف عبده) أدخلت همزة الإنكار على كلمة النفي فأفيد معنى إثبات الكفاية وتقريرها وقرئ بكاف عبده وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم وبكاف عباده وهم الأنبياء وذلك أن قريشا قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم إنا نخاف أن تخبلك آلهتنا وإنا نخشى عليك معرتها لعيبك إياها ويروى أنه بعث خالدا إلى العزى ليكسرها فقال له سادنها أحذركها يا خالد إن لها لشدة لا يقوم لها شيء فعمد خالد إليها فهشم أنفها فقال الله عز وجل أليس الله بكاف نبيه أن يعصمه من كل سوء ويدفع عنه كل بلاء في مواطن الخوف وفي هذا تهكم بهم لأنهم خوفوه ما لا يقدر على نفع ولا ضر أو أليس الله بكاف أنبياءه ولقد قالت أممهم نحو ذلك فكفاهم الله وذلك قول قوم هود إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء ويجوز أن يريد العبد والعباد على الإطلاق لأنه كافيهم في الشدائد وكافل مصالحهم وقرئ بكافي عباده على الإضافة ويكافي عباده ويكافي يحتمل أن يكون غير مهموز مفاعلة من الكفاية كقولك يجازي في يجزي وهو أبلغ من كفى

إنك ميت وإنهم ميتون ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون فمن أظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق إذ جاءه أليس في جهنم مثوى للكافرين والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون لهم ما يشاؤون عند ربهم ذلك جزاء المحسنين ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا ويجزيهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون أليس الله بكاف عبده

أي قدره لبيان التحقيق هذا أوضح ما قيل في تفسير الآية والله أعلم

لبنائه على لفظ المغالبة والمباراة وأن يكون مهموزا من المكافأة وهى المجازاة لما تقدم من قوله ويجزيهم
أجرهم (بالذين من دونه) أراد الاوثان التى اتخذوها آلهة من دونه (بعزيز) بغالب منيع (ذى انتقام)
ينتقم من أعدائه وفيه وعيد لقريش ووعد للمؤمنين بأنه ينتقم لهم منهم وينصرهم عليهم * قرئ كاشفات
ضره وممسكات رحمته بالتنوين على الاصل وبالاضافة للتخفيف (فان قلت) لم فرض المسألة فى نفسه دونهم
(قلت) لانهم خوفوه معرة الاوثان وتخبيلها فأمر بأن يقررهم أولا بأن خالق العالم هو الله وحده ثم يقول
لهم بعد التقرير فان أرادنى خالق العالم الذى أقررتم به بضر من مرض أو فقر أو غير ذلك من النوازل
أو برحمة من صحة أو غنى أو نحوها هل هؤلاء اللائى خوفتمونى اياهن كاشفات عنى ضره أو ممسكات رحمته
حتى اذا ألقمهم الحجر وقطعهم حتى لا يحيروا ببنت شفة قال (حسبى الله) كافيا لمعرة أوثانكم (عليه يتوكل
المتوكلون) وفيه تهكم ويروى أن النبى صلى الله عليه وسلم سألهم فسكتوا فنزل قل حسبى الله (فان قلت)
لم قيل كاشفات وممسكات على التأنيث بعد قوله تعالى ويخوفونك بالذين من دونه (قلت) أنثهن وكن اناثا
وهن اللات والعزى ومناة قال الله تعالى أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى ألكم الذكر وله الانثى
ليضعفها ويعجزها زيادة تضعيف وتعجيز عما آلهتهم به من كشف الضر وامساك الرحمة لان الانوثة من باب
اللين والرخاوة كما أن الذكورة من باب الشدة والصلابة كأنه قال الاناث اللاتى هن اللات والعزى ومناة
أضعف مما تدعون لهن وأعجز وفيه تهكم أيضا (على مكانتكم) على حالكم التى أنتم عليها وجهتكم من العداوة
التى تمكنتم منها والمكانة بمعنى المكان فاستعيرت عن العين للمعنى كما يستعار هنا وحيث للزمان وهما للمكان (فان
قلت) حق الكلام فانى عامل على مكانتى فلم حذف (قلت) للاختصار ولما فيه من زيادة الوعيد والايذان
بأن حاله لا تقف وتزداد كل يوم قوة وشدة لان الله ناصره ومعينه ومظهره على الدين كله ألا ترى الى قوله
(فسوف تعلمون من يأتيه) كيف توعدهم بكونه منصورا عليهم غالبا عليهم فى الدنيا والآخرة لانهم اذا
أتاهم الخزى والعذاب فذاك عزه وغلبته من حيث ان الغلبة تتم له بعز عزيز من أوليائه وبذل ذليل من
أعدائه (يخزيه) مثل مغرق وقوله صفة للعذاب أى عذاب مخزله وهو يوم بدر وعذاب دائم وهو عذاب
النار * وقرئ مكاناتكم (للناس) لاجلهم ولاجل حاجتهم اليه ليبشروا وينذروا فتقوى دواعيهم الى
اختيار الطاعة على المعصية ولا حاجة لى الى ذلك فأنا الغنى فمن اختار الهدى فقد نفع نفسه ومن اختار
الضلالة فقد ضرها * وما وكلت عليهم لتجبرهم على الهدى فان التكليف مبنى على الاختيار دون الاجبار
(الانفس) الجمل كما هى * وتوفيها اماتتها وهو أن يسلب ما هى به حية حساسة دراكة من صحة أجزائها
وسلامتها لانها عند سلب الصحة كأن ذاتها قد سلبت (والتى لم تمت فى منامها) يريد ويتوفى الانفس التى
لم تمت فى منامها أى يتوفاها حين تنام تشبيها للنائمين بالموتى ومنه قوله تعالى وهو الذى يتوفاكم بالليل حيث
لا يميزون ولا يتصرفون كما أن الموتى كذلك (فيمسك) الانفس (التى قضى عليها الموت) الحقيقى أى لا يردها
فى وقتها حية (ويرسل الاخرى) النائمة (الى أجل مسمى) الى وقت ضربه لموتها وقيل يتوفى الانفس يستوفيها
ويقبضها وهى الانفس التى تكون معها الحياة والحركة ويتوفى الانفس التى لم تمت فى منامها وهى أنفس
التمييز قالوا فالتى تتوفى فى النوم هى نفس التمييز لا نفس الحياة لان نفس الحياة اذا زالت زال معها النفس
والنائم يتنفس ورووا عن ابن عباس رضى الله عنهما فى ابن آدم نفس وروح بينهما مثل شعاع الشمس فالنفس
التى بها العقل والتمييز والروح التى بها النفس والتحرك فاذا نام العبد قبض الله نفسه ولم يقبض روحه
والصحيح ما ذكرت أولا لان الله عز وعلا علق التوفى والموت والمنام جميعا بالانفس وما عنوا بنفس الحياة
والحركة ونفس العقل والتمييز غير متصف بالموت والنوم وانما الجملة هى التى تموت وهى التى تنام (ان فى ذلك)
ان فى توفى الانفس مائتة ونائمة وامساكها وارسالها الى أجل لآيات على قدرة الله وعلمه لقوم يجيلون فيه
أفكارهم ويعتبرون * وقرئ قضى عليها الموت على البناء للمفعول (أم اتخذوا) بل اتخذ قريش والهمزة
للانكار (من دون الله) من دون اذنه (شفعاء) حين قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله ولا يشفع عنده أحد

ويخوفونك بالذين من
دونه ومن يضلل الله
فماله من هاد ومن يهد
الله فماله من مضل
أليس الله بعزيز ذى
انتقام ولئن سألتهم من
خلق السموات والارض
ليقولن الله قل أفرأيتم
ما تدعون من دون الله
ان أرادنى الله بضر هل
هن كاشفات ضره
أو أرادنى برحمة هل هن
ممسكات رحمته قل
حسبى الله عليه يتوكل
المتوكلون قل يا قوم
اعملوا على مكانتكم انى
عامل فسوف تعلمون من
يأتيه عذاب يخزيه
ويحل عليه عذاب مقيم
انا أنزلنا عليك الكتاب
للناس بالحق فمن اهتدى
فلنفسه ومن ضل فانما
يضل عليها وما أنت
عليهم بوكيل الله يتوفى
الانفس حين موتها
والتى لم تمت فى منامها
فيمسك التى قضى عليها
الموت ويرسل الاخرى
الى أجل مسمى ان فى
ذلك لآيات لقوم
يتفكرون أم اتخذوا
من دون الله شفعاء قل
أولو كانوا لا يملكون
شيئا ولا يعقلون

الا

قوله تعالى ثم اذا خولناه نعمة منا قال انما أوتيته على علم بل هي فتنة (قال فيه معناه على علم من الله بي وباستحقاقي الخ) قال أحمد كذلك يقول على قدري تقي على الله ان يثيبه في الآخرة ان الفرق بين حمد الدنيا وحمد الآخرة ان حمد ٣٠٢ الدنيا واجب على العبد لانه على نعمة متفضل بها وحمد الآخرة ليس بواجب عليه لانه على نعمة

الا باذنه ألا ترى الى قوله تعالى (قل لله الشفاعة جميعا) أي هو مالكها فلا يستطيع أحد شفاعة الا بشرطين أن يكون المشفوع له مرتضى وأن يكون الشفيع مأذونا له وههنا الشرطان مفقودان جميعا (أولو كانوا) معناه أيشفعون ولو كانوا (لا يملكون شيأ ولا يعقلون) أي ولو كانوا على هذه الصفة لا يملكون شيأ قط حتى يملكوا الشفاعة ولا عقل لهم (له ملك السموات والارض) تقرير لقوله تعالى لله الشفاعة جميعا لانه اذا كان له الملك كله والشفاعة من الملك كان مالكا لها (فان قلت) بم يتصل قوله (ثم اليه ترجعون) (قلت) بما يليه معناه له ملك السموات والارض اليوم ثم اليه ترجعون يوم القيامة فلا يكون الملك في ذلك اليوم الا له فله ملك الدنيا والآخرة مدار المعنى على قوله وحده أي اذا أفرد الله بالذكر ولم يذكر معه آلهتهم اشمأزوا أي نفروا وانقبضوا (واذا ذكر الذين من دونه) وهم آلهتهم ذكر الله معهم أو لم يذكر استبشروا لافتتانهم بها ونسيانهم حق الله الى هواهم فيها وقيل اذا قيل لا اله الا الله وحده لا شريك له نفروا لان فيه نفيا لآلهتهم وقيل أراد استبشارهم بما سبق اليه لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذكر آلهتهم حين قرأ والنجم عند باب الكعبة فسجدوا معه لفرحهم ولقد تقابل الاستبشار والاشمئزاز اذ كل واحد منهما غاية في بابه لان الاستبشار أن يمتلئ قلبه سرورا حتى تنبسط له بشرة وجهه ويتهلل والاشمئزاز أن يمتلئ غما وغيظا حتى يظهر الانقباض في أديم وجهه (فان قلت) ما العامل في اذا ذكر (قلت) العامل في اذا المفاجأة تقديره وقت ذكر الذين من دونه فاجؤا وقت الاستبشار بعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم وبشدة شكيمتهم في الكفر والعناد فقيل له ادع الله باسمائه العظمى وقل أنت وحدك تقدر على الحكم بيني وبينهم ولا حيلة لغيرك فيهم وفيه وصف لحالهم واعذار لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتسلية له ووعيد لهم وعن الربيع بن خثيم وكان قليل الكلام أنه أخبر بقتل الحسين رضي الله عنه وسخط على قاتله وقالوا الآن يتكلم فما زاد على أن قال آه أوقد فعلوا وقرأ هذه الآية وروى أنه قال على أثره قتل من كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلسه في حجره ويضع فاه على فيه (وبدا لهم من الله) وعيد لهم لا كنه لفظاعته وشدته وهو نظير قوله تعالى في الوعد فلا تعلم نفس ما أخفي لهم والمعنى وظهر لهم من سخط الله وعذابه ما لم يكن قط في حسابهم ولم يحدثوا به نفوسهم وقيل عملوا أعمالا حسبوها حسنات فاذا هي سيآت وعن سفيان الثوري أنه قرأها فقال ويل لاهل الرياء ويل لاهل الرياء وجزع محمد بن المنكدر عند موته فقيل له فقال أخشى آية من كتاب الله وتلاها فأنا أخشى أن يبدو لي من الله ما لم أحتسبه (وبدا لهم سيآت ما كسبوا) أي سيآت أعمالهم التي كسبوها أو سيآت كسبهم حين تعرض صحائفهم وكانت خافية عليهم كقوله تعالى أحصاه الله ونسوه أو أراد بالسيآت أنواع العذاب التي يجازون بها على ما كسبوا فسماها سيآت كما قال وجزاء سيئة سيئة مثلها (وحاق بهم) ونزل بهم وأحاط جزاء هزئهم التخويل مختص بالتفضل يقال خولني اذا أعطاك على غير جزاء (على علم) أي على علم مني أني سأعطاه لما في من فضل واستحقاق أو على علم من الله بي وباستحقاقي أو على علم مني بوجوه الكسب كما قال قارون على علم عندي (فان قلت) لم ذكر الضمير في أوتيته وهو للنعمة (قلت) ذهابا به الى المعنى لان قوله نعمة منا شيأ من النعم وقسما منها ويحتمل أن تكون ما في انما موصولة لا كافة فيرجع اليها الضمير على معنى ان الذي أوتيته على علم (بل هي فتنة) انكار لقوله كأنه قال ما خولناك ما خولناك من النعمة لما تقول بل هي فتنة أي ابتلاء وامتحان لك أتشكر أم تكفر (فان قلت) كيف ذكر الضمير ثم أنثه (قلت) حملا على المعنى أولا وعلى اللفظ آخرا ولان الخبر لما كان مؤنثا أعني فتنة ساغ تأنيث المبتدا لاجله لانه في معناه كقولهم ما جاءت حاجتك وقرئ بل هو فتنة على وفق انما أوتيته (فان قلت) ما السبب في عطف هذه الآية

قل لله الشفاعة جميعا له ملك السموات والارض ثم اليه ترجعون واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ولو أن للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وبدا لهم سيآت ما كسبوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن فاذا مس الانسان ضر دعانا ثم اذا خولناه نعمة منا قال انما أوتيته على علم

واجبة على الله عز وجل والقدرية تقول ذلك يقول وهي فتنة انما سلم منها أهل السنة اذ يعتقدون ان الثواب بفضل الله ورحمته لا باستحقاق ويتمسكون في ذلك بقول سيد البشر صلى الله عليه وسلم لا يدخل أحد الجنة بعمله قيل ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا الا أن يتغمدني الله برحمته فالاحمق من منى نفسه وركب رأسه وطمع انه يستحق على الله الجنة (قال فان قلت لم عطفت هذه الآية على التي قبلها بالفاء والآية التي قبلها في أول السورة بالواو وأجاب بان هذه الآية مسببة عن قوله واذا ذكر الله الخ) قال أحمد كلام جليل [illegible] لا عن [illegible] قبلها

بالفاء وعطف مثلها في أول السورة بالواو (قلت) السبب في ذلك أن هذه وقعت مسببة عن قوله وإذا ذكر
الله وحده اشمأزت على معنى أنهم يشمئزون عن ذكر الله ويستبشرون بذكر الآلهة فإذا مس أحدهم
ضر دعا من اشمأز من ذكره دون من استبشر بذكره وما بينهما من الآي اعتراض (فإن قلت) حق
الاعتراض أن يؤكد المعترض بينه وبينه (قلت) ما في الاعتراض من دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه
بأمر منه وقوله أنت تحكم بينهم ثم ما عقبه من الوعيد العظيم تأكيد لإنكار اشمئزازهم واستبشارهم
ورجوعهم إلى الله في الشدائد دون آلهتهم كأنه قيل قل يا رب لا يحكم بيني وبين هؤلاء الذين يجترئون عليك
مثل هذه الجرأة ويرتكبون مثل هذا المنكر إلا أنت وقوله ولو أن للذين ظلموا متناول لهم ولكل ظالم إن
جعل مطلقا أو إياهم خاصة إن عنيتهم به كأنه قيل ولو أن لهؤلاء الظالمين ما في الأرض جميعا ومثله معه
لافتدوا به حين أحكم عليهم بسوء العذاب وهذه الأسرار والنكت لا يبرزها إلا علماء النظم وإلا بقيت محتجبة
في أكمامها وأما الآية الأولى فلم تقع مسببة وما هي إلا جملة ناسبت جملة قبلها فعطفت عليها بالواو كقولك قام
زيد وقعد عمرو (فإن قلت) من أي وجه وقعت مسببة والاشمئزاز عن ذكر الله ليس بمقتض لالتجائهم إليه
بل هو مقتض لصدوفهم عنه (قلت) في هذا التسبيب لطف وبيانه أنك تقول زيد يؤمن بالله فإذا مسه ضر
التجأ إليه فهذا تسبيب ظاهر لا لبس فيه ثم تقول زيد كافر بالله فإذا مسه ضر التجأ إليه فتجيء بالفاء مجيئك
به ثمة كأن الكافر حين التجأ إلى الله التجاء المؤمن إليه مقيم كفره مقام الإيمان ومجريه مجراه في جعله سببا
في الالتجاء فأنت تحكي ما عكس فيه الكافر ألا ترى أنك تقصد بهذا الكلام الإنكار والتعجب من فعله
* الضمير في (قالها) راجع إلى قوله إنما أوتيته على علم لأنها كلمة أو جملة من القول * وقرئ قد قاله على معنى
القول والكلام وذلك والذين من قبلهم هم قارون وقومه حيث قال إنما أوتيته على علم عندي وقومه
راضون بها فكأنهم قالوها ويجوز أن يكون في الأمم الخالية آخرون قائلون مثلها (فما أغنى عنهم ما كانوا
يكسبون) من متاع الدنيا ويجمعون منه (من هؤلاء) من مشركي قومك (سيصيبهم) مثل ما أصاب أولئك
فقتل صناديدهم ببدر وحبس عنهم الرزق فقحطوا سبع سنين ثم بسط لهم فمطروا سبع سنين فقيل لهم
(أولم يعلموا) أنه لا قابض ولا باسط إلا الله عز وجل (أسرفوا على أنفسهم) جنوا عليها بالإسراف في المعاصي
والغلو فيها (لا تقنطوا) قرئ بفتح النون وكسرها وضمها (إن الله يغفر الذنوب جميعا) يعني بشرط التوبة وقد
تكرر ذكر هذا الشرط في القرآن فكان ذكره فيما ذكر فيه ذكرا له فيما لم يذكر فيه لأن القرآن في
حكم كلام واحد ولا يجوز فيه التناقض وفي قراءة ابن عباس وابن مسعود يغفر الذنوب جميعا لمن يشاء والمراد
بمن يشاء من تاب لأن مشيئة الله تابعة لحكمته وعدله لا لملكه وجبروته وقيل في قراءة النبي صلى الله عليه
وسلم وفاطمة رضي الله عنها يغفر الذنوب جميعا ولا يبالي ونظير نفي المبالاة نفي الخوف في قوله تعالى ولا يخاف
عقباها وقيل قال أهل مكة يزعم محمد أن من عبد الأوثان وقتل النفس التي حرم الله لم يغفر له فكيف ولم نهاجر
وقد عبدنا الأوثان وقتلنا النفس التي حرم الله فنزلت وروي أنه أسلم عياش بن أبي ربيعة والوليد بن الوليد
ونفر معهما ثم فتنوا وعذبوا فافتتنوا فكنا نقول لا يقبل الله لهم صرفا ولا عدلا أبدا فنزلت فكتب بها عمر رضي
الله عنه إليهم فأسلموا وهاجروا وقيل نزلت في وحشي قاتل حمزة رضي الله عنه وعن رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما أحب أن لي الدنيا وما فيها بهذه الآية فقال رجل يا رسول الله ومن أشرك فسكت ساعة ثم قال ألا
ومن أشرك ثلاث مرات (وأنيبوا إلى ربكم) وتوبوا إليه (وأسلموا له) وأخلصوا له العمل وإنما ذكر الإنابة
على أثر المغفرة لئلا يطمع طامع في حصولها بغير توبة وللدلالة على أنها شرط فيها لازم لا تحصل بدونه (واتبعوا
أحسن ما أنزل إليكم من ربكم) مثل قوله الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه (وأنتم لا تشعرون) أي
يفجؤكم وأنتم غافلون كأنكم لا تخشون شيئا لفرط غفلتكم وسهوكم (أن تقول نفس) كراهة أن تقول (فإن
قلت) لم نكرت (قلت) لأن المراد بها بعض الأنفس وهي نفس الكافر ويجوز أن يراد نفس متميزة من
الأنفس إما بلجاج في الكفر شديد أو بعذاب عظيم ويجوز أن يراد التكثير كما قال الأعشى

بل هي فتنة ولكن
أكثرهم لا يعلمون قد
قالها الذين من قبلهم
فما أغنى عنهم ما كانوا
يكسبون فأصابهم
سيئات ما كسبوا
والذين ظلموا من هؤلاء
سيصيبهم سيئات
ما كسبوا وما هم
بمعجزين أولم يعلموا أن
الله يبسط الرزق لمن
يشاء ويقدر إن في ذلك
لآيات لقوم يؤمنون
قل يا عبادي الذين
أسرفوا على أنفسهم
لا تقنطوا من رحمة الله
إن الله يغفر الذنوب
جميعا إنه هو الغفور
الرحيم وأنيبوا إلى ربكم
وأسلموا له من قبل أن
يأتيكم العذاب ثم
لا تنصرون واتبعوا
أحسن ما أنزل إليكم
من ربكم من قبل أن
يأتيكم العذاب بغتة
وأنتم لا تشعرون أن
تقول نفس يا حسرتا

* قوله تعالى ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة (قال فيه يعني الذين وصفوه تعالى بما لا يجوز عليه وهو متعال عنه الخ) قال أحمد قد عدا طور التفسير لمرض في قلبه لا دواء له الا التوفيق الذي حرمه ولا يعافيه منه الا الذي قدر عليه هذا الضلال وحتمه وسنقيم عليه حد الرد لانه قد أبدى صفحته ولولا شرط الكتاب لاضربنا عنه صفحا ولوينا عن الالتفات اليه كشحا وبالله التوفيق فنقول أما تعريضه بأن أهل السنة يعتقدون أن القبائح من فعل الله تعالى فيرجمه باعتقادهم المشار اليه قوله تعالى بعد آيات من هذه السورة الله خالق كل شئ وهو على كل شئ وكيل أما الزمخشري واخوانه القدرية فيغيرون في وجه هذه الآية ويقولون ليس خالق كل شئ لان القبائح أشياء وليست مخلوقة له فاعتقدوا أنهم نزهوا وانما أشركوا * وأما تعريضه بهم في أنهم يجوزون أن يخلق خلقا لا لغرض فذلك لان أفعاله تعالى لا تعلل لانه الفعال لما يشاء وعند القدرية ليس فعالا لما يشاء لان الفعل اما منطو على حكمة ومصلحة فيجب عليه أن يفعله عندهم واما عار عنها فيجب عليه أن لا يفعله فأين أثر المشيئة اذا * وأما اعتقاده ان في تكليف ما لا يطاق

على ما فرطت في جنب الله وان كنت لمن الساخرين أو تقول لو أن الله هداني لكنت من المتقين أو تقول حين ترى العذاب لو أن لي كرة فأكون من المحسنين بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة أليس في جهنم مثوى للمتكبرين وينجي الله الذين اتقوا

وربّ بقيع لو هتفت بجوّه * أتاني كريم ينفض الرأس مغضبا

وهو يريد أفواجا من الكرام ينصرونه لا كريما واحدا ونظيره ربّ بلد قطعت وربّ بطل قارعت وقد اختلس الطعنة ولا يقصد الا التكثير * وقرئ يا حسرتي على الاصل ويا حسرتاي على الجمع بين العوض والمعوض منه * والجنب الجانب يقال أنا في جنب فلان وجانبه وناحيته وفلان لين الجنب والجانب ثم قالوا فرط في جنبه وفي جانبه يريدون في حقه قال سابق البربري

أما تتقين الله في جنب وامق * له كبد حرّى عليك تقطع

وهذا من باب الكناية لانك اذا أثبت الامر في مكان الرجل وحيزه فقد أثبته فيه ألا ترى الى قوله

ان السماحة والمروءة والندى * في قبة ضربت على ابن الحشرج

ومنه قول الناس لمكانك فعلت كذا يريدون لاجلك وفي الحديث من الشرك الخفي أن يصلي الرجل لمكان الرجل وكذلك فعلت هذا من جهتك فمن حيث لم يبق فرق فيما يرجع الى أداء الغرض بين ذكر المكان وتركه قيل (فرطت في جنب الله) على معنى فرطت في ذات الله (فان قلت) فمرجع كلامك الى أن ذكر الجنب كلا ذكر سوى ما يعطي من حسن الكناية وبلاغتها فكأنه قيل فرطت في الله فما معنى فرطت في الله (قلت) لا بد من تقدير مضاف محذوف سواء ذكر الجنب أو لم يذكر والمعنى فرطت في طاعة الله وعبادة الله وما أشبه ذلك وفي حرف عبد الله وحفصة في ذكر الله * وما في ما فرطت مصدرية مثلها في بما رحبت (وان كنت لمن الساخرين) قال قتادة لم يكفه أن ضيع طاعة الله حتى سخر من أهلها ومحل وان كنت النصب على الحال كأنه قال فرطت وأنا ساخر أي فرطت في حال سخريتي * وروي أنه كان في بني اسرائيل عالم ترك علمه وفسق وأتاه ابليس وقال له تمتع من الدنيا ثم تب فأطاعه وكان له مال فأنفقه في الفجور فأتاه ملك الموت في ألذ ما كان فقال يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله ذهب عمري في طاعة الشيطان وأسخطت ربي فندم حين لم ينفعه الندم فأنزل الله خبره في القرآن (لو أن الله هداني) لا يخلو اما أن يريد به الهداية بالالجاء أو بالالطاف أو بالوحي فالالجاء خارج عن الحكمة ولم يكن من أهل الالطاف فيلطف به وأما الوحي فقد كان ولكنه أعرض ولم يتبعه حتى يهتدي وانما يقول هذا تحيرا في أمره وتعللا بما لا يجدي عليه كما حكى عنهم التعلل باغواء الرؤساء والشياطين ونحو ذلك ونحوه لو هدانا الله لهديناكم وقوله (بلى قد جاءتك آياتي) رد من الله عليه معناه بلى قد هديت بالوحي فكذبت به واستكبرت عن قبوله وآثرت الكفر على الايمان والضلالة على الهدى * وقرئ بكسر التاء على مخاطبة النفس (فان قلت) هلا قرن الجواب بما هو جواب له وهو قوله لو أن الله هداني ولم يفصل بينهما بآية (قلت) لانه لا يخلو اما أن يقدم على أخرى القرائن الثلاث فيفرق بينهن واما أن تؤخر القرينة الوسطى فلم يحسن الاول لما فيه من تبتير النظم بالجمع بين القرائن وأما الثاني فلما فيه من نقض الترتيب وهو التحسر على التفريط في الطاعة ثم التعلل بفقد الهداية ثم تمني الرجعة فكان الصواب ما جاء عليه وهو أنه حكى أقوال النفس على ترتيبها ونظمها ثم أجاب من بينها عما اقتضى الجواب (فان قلت) كيف صح أن تقع بلى جوابا لغير منفي (قلت) لو أن الله هداني فيه معنى ما هديت (كذبوا على الله) وصفوه بما لا يجوز عليه تعالى وهو متعال عنه فأضافوا اليه الولد والشريك وقالوا هؤلاء شفعاؤنا وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم وقالوا والله أمرنا بها ولا يبعد عنهم قوم يسفهونه بفعل القبائح وتجويز أن يخلق خلقا لا لغرض ويؤلم لا لعوض ويظلمونه بتكليف ما لا يطاق ويجسمونه بكونه مرئيا معاينا مدركا بالحاسة ويثبتون له يدا وقدما وجنبا مستترين بالبلكفة ويجعلون له أندادا باثباتهم معه قدماء (وجوههم مسودة)

تعالى الله تعالى فاعتقاد باطل لأن ذلك انما ثبت لازما لاعتقادهم ان الله تعالى خالق أفعال عبيده فالتكاليف بها تكاليف بما ليس مخلوقا لهم والقاعدة الاولى حق ولازم الحق حق ولا معنى للظلم الا التصرف في ملك الغير بغير اذنه والعباد ملك الله تعالى فكيف يتصور حقيقة الظلم منه تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا * وأما تعريضه بأنهم يجوزون أن يؤلم لا لعوض فيقال له ما قولك أيها الظالم في ايلام البهائم والاطفال ولا أعواض لها وليس مرتبا على استحقاق سابق خلافا للقدرية اذ يقولون لا بد في الالم من استحقاق سابق أو عوض * وأما اعتقاده أن تجويز رؤية الله تعالى يستلزم اعتقاد الجسمية فانه اغترار في اعتقاده بادلة العقل المجوزة لذلك مع البراءة من اعتقاد الجسمية ولم يشعر أنه تعالى يهدي بهداية قول نبي الهدى عليه الصلاة والسلام انكم سترون ربكم كالقمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته فهذا النص الذي يقصر عن التأويل ع ٠ ٣ ولا يردع المتمسك بشيء من التأويل وأما قوله انهم يتسترون بالبلكفة فيعني به قولهم بلا كيف أجل انهم السعداء لا تحركه بالباطل البتراء ولا تصده عن الهدى عن الضلال العوراء وأما تعريضه بأنهم يجعلون لله أندادا باثباتهم صفة قدماء فتلك لاثباتهم صفات الكمال كلا

بمفازتهم لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل له مقاليد السموات والارض والذين كفروا بآيات الله أولئك هم الخاسرون قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون ولقد أوحي اليك والى الذين من قبلك

والله انما يجعل لله أندادا القدرية اذ جعلوا أنفسهم يخلقون ما يريدون ويختارون على خلاف مراد ربهم حتى قالوا انه ما شاء كان وما شاء الله لا يكون وأما أهل السنة فهم يريدوا على ان اعتقدوا أن لله تعالى علما وقدرة وارادة وسمعا وبصرا وكلاما وحياة حسبما دل عليه العقل وأقفر وورد به الشرع وأي مفلس القدري اذا سمع قوله تعالى وسع ربنا كل شيء علما الا اعتقاد ان لله تعالى علما أو جحد آيات الله واطفاء نوره ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون * وأما قوله انهم يثبتون لله تعالى يدا وقدما ووجها فذلك فريق ما فيهم مقولم يقل بذلك أحد من أهل السنة وانما أثبت القاضي أبو بكر صفات سمعية وردت في القرآن اليدان والعينان والوجه ولم يتجاوز في اثباتها ما وردت عليه في كتاب الله العزيز على أن غيره من أهل السنة حمل اليدين على القدرة والنعمة والوجه على الذات وقد مر ذلك في مواضع من الكتاب فقد أنصف في هذه المباحثة عالم من نكته فلقنه عن مذهبه وتعريضه بمعتقده الفاسد لهتك ستره وكشفه وانما حملني على اغلاظ عبارته الغضب لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم وأهل سنته فانه قد أساء عليهم الأدب ونسبهم بكفره الى الكذب والله الموعد

جملة في موضع الحال ان كان ترى من رؤية البصر ومفعول ثان ان كان من رؤية القلب * قرئ ينجي وينجي (بمفازتهم) بفلاحهم يقال فاز بكذا اذا أفلح به وظفر بمراده منه وتفسير المفازة قوله (لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون) كأنه قيل ما مفازتهم فقيل لا يمسهم السوء أي ينجيهم بنفي السوء والحزن عنهم أو بسبب منجاتهم من قوله تعالى فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب أي بمنجاة منه لان النجاة من أعظم الفلاح وسبب منجاتهم العمل الصالح ولهذا فسر ابن عباس رضي الله عنهما المفازة بالاعمال الحسنة ويجوز بسبب فلاحهم لان العمل الصالح سبب الفلاح وهو دخول الجنة ويجوز أن يسمى العمل الصالح في نفسه مفازة لانه سببها وقرئ بمفازاتهم على أن لكل متق مفازة (فان قلت) لا يمسهم ما محله من الاعراب على التفسيرين (قلت) أما على التفسير الاول فلا محل له لانه كلام مستأنف وأما على الثاني فمحله النصب على الحال (له مقاليد السموات والارض) أي هو مالك أمرها وحافظها وهو من باب الكناية لان حافظ الخزائن ومدبر أمرها هو الذي يملك مقاليدها ومنه قولهم فلان ألقيت اليه مقاليد الملك وهي المفاتيح ولا واحد لها من لفظها وقيل مقليد ويقال اقليد وأقاليد والكلمة أصلها فارسية (فان قلت) ما للكتاب العربي المبين والفارسية (قلت) التعريب أحالها عربية كما أخرج الاستعمال المهمل من كونه مهملا (فان قلت) بم اتصل قوله (والذين كفروا) (قلت) بقوله وينجي الله الذين اتقوا أي ينجي الله المتقين بمفازتهم والذين كفروا هم الخاسرون واعترض بينهما بأنه خالق الاشياء كلها وهو مهيمن عليها فلا يخفى عليه شيء من أعمال المكلفين فيها وما يستحقون عليها من الجزاء وقد جعل متصلا بما يليه على أن كل شيء في السموات والارض فالله خالقه وفاتح بابه والذين كفروا وجحدوا أن يكون الامر كذلك أولئك هم الخاسرون وقيل سأل عثمان رضي الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير قوله تعالى له مقاليد السموات والارض فقال يا عثمان ما سألني عنها أحد قبلك تفسيرها لا اله الا الله والله أكبر وسبحان الله وبحمده وأستغفر الله ولا حول ولا قوة الا بالله هو الاول والآخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير وتأويله على هذا ان لله هذه الكلمات يوحد بها ويمجد وهي مفاتيح خير السموات والارض من تكلم بها من المتقين أصابه والذين كفروا بآيات الله وكلمات توحيده وتمجيده أولئك هم الخاسرون (أفغير الله) منصوب بأعبد و(تأمروني) اعتراض ومعناه أفغير الله أعبد بأمركم وذلك حين قال له المشركون استلم بعض آلهتنا ونؤمن بالهك أو ينصب بما يدل عليه جملة قوله تأمروني أعبد لانه في معنى تعبدونني وتقولون لي أعبد والاصل تأمرونني أن أعبد فحذف أن ورفع الفعل كما في قوله * ألا أيهذا الزاجري أحضر الوغى * ألا ترى انك تقول أفغير الله تقولون لي أعبده وأفغير الله تقولون لي أعبد فكذلك أفغير الله تأمروني أن أعبده

*قوله تعالى بل الله فاعبد (قال فيه أصل الكلام إن كنت عابدا فاعبد الله فحذف الشرط وجعل تقديم المفعول عوضا منه اهـ كلامه) قلت مقتضى كلام سيبويه في أمثال هذه الآية أن الأصل فيه فاعبد الله ثم حذفوا الفعل الأول اختصارا فلما وقعت الفاء أولا استنكروا الابتداء بها ومن شأنها التوسط بين المعطوف والمعطوف عليه فقدموا المفعول وصارت متوسطة لفظا ودالة على أن ثم محذوفا اقتضى وجودها ولتعطف عليه ما بعدها ويضاف إلى هذه الفائدة في التقديم فائدة الحصر كما تقدم (٣٠٥) من إشعار التقديم بالاختصاص

وأفغير الله تأمروني أن أعبد والدليل على صحة هذا الوجه قراءة من قرأ أعبد بالنصب * وقرئ تأمرونني على الأصل وتأمروني على إدغام النون أو حذفها * وقرئ ليحبطن عملك وليحبطن على البناء للمفعول ولنحبطن بالنون والياء أي ليحبطن الله أو الشرك * (فإن قلت) الموحى إليهم جماعة فكيف قال (لئن أشركت) على التوحيد (قلت) معناه أوحي إليك لئن أشركت ليحبطن عملك وإلى الذين من قبلك مثله أو أوحي إليك وإلى كل واحد منهم لئن أشركت كما تقول كسانا حلة أي كل واحد منا (فإن قلت) ما الفرق بين اللامين (قلت) الأولى موطئة للقسم المحذوف والثانية لام الجواب وهذا الجواب ساد مسد الجوابين أعني جوابي القسم والشرط (فإن قلت) كيف صح هذا الكلام مع علم الله تعالى أن رسله لا يشركون ولا تحبط أعمالهم (قلت) هو على سبيل الفرض والمحالات يصح فرضها لأغراض فكيف بما ليس بمحال ألا ترى إلى قوله ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا يعني على سبيل الإلجاء ولن يكون ذلك لامتناع الداعي إليه ووجود الصارف عنه * (فإن قلت) ما معنى قوله ولتكونن من الخاسرين (قلت) يحتمل ولتكونن من الخاسرين بسبب حبوط العمل ويحتمل ولتكونن في الآخرة من جملة الخاسرين الذين خسروا أنفسهم إن مت على الردة ويجوز أن يكون غضب الله على الرسول أشد فلا عمل له بعد الردة ألا ترى إلى قوله تعالى إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات (بل الله فاعبد) رد لما أمروه به من استلام بعض آلهتهم كأنه قال لا تعبد ما أمروك بعبادته بل إن كنت عاقلا فاعبد الله فحذف الشرط وجعل تقديم المفعول عوضا منه (وكن من الشاكرين) على ما أنعم به عليك من أن جعلك سيد ولد آدم وجوز الفراء نصبه بفعل مضمر هذا معطوف عليه تقديره بل الله أعبد فاعبد * لما كان العظيم من الأشياء إذا عرفه الإنسان حق معرفته وقدره في نفسه حق تقديره عظمه حق تعظيمه قيل (وما قدروا الله حق قدره) وقرئ بالتشديد على معنى وما عظموه كنه تعظيمه * ثم نبههم على عظمته وجلالة شأنه على طريقة التخييل فقال (والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه) والغرض من هذا الكلام إذا أخذته كما هو بجملته ومجموعه تصوير عظمته والتوقيف على كنه جلاله لا غير من غير ذهاب بالقبضة ولا باليمين إلى جهة حقيقة أو جهة مجاز وكذلك حكم ما يروى أن جبريل جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أبا القاسم إن الله يمسك السموات يوم القيامة على أصبع والأرضين على أصبع والجبال على أصبع والشجر على أصبع والثرى على أصبع وسائر الخلق على أصبع ثم يهزهن فيقول أنا الملك فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم تعجبا مما قال ثم قرأ تصديقا له وما قدروا الله حق قدره الآية وإنما ضحك أفصح العرب صلى الله عليه وسلم وتعجب لأنه لم يفهم منه إلا ما يفهمه علماء البيان من غير تصور إمساك ولا أصبع ولا هز ولا شيء من ذلك ولكن فهمه وقع أول شيء وآخره على الزبدة والخلاصة التي هي الدلالة على القدرة الباهرة وأن الأفعال العظام التي تتحير فيها الأفهام والأذهان ولا تكتنهها الأوهام هينة عليه هوانا لا يوصل السامع إلى الوقوف عليه إلا إجراء العبارة في مثل هذه الطريقة من التخييل ولا ترى بابا في علم البيان أدق ولا أرق ولا ألطف من هذا الباب ولا أنفع وأعون على تعاطي تأويل المشتبهات من كلام الله تعالى في القرآن وسائر الكتب السماوية وكلام الأنبياء فإن أكثره وعليته تخييلات

لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين بل الله فاعبد وكن من الشاكرين وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه

*قوله تعالى وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه (قال) فيه الغرض من هذا الكلام تصوير عظمته تعالى والتوقيف على كنه جلاله من غير ذهاب بالقبضة ولا باليمين إلى جهة حقيقة أو جهة مجاز وكذلك حكم ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن حبرا جاء إليه فقال يا أبا القاسم إن الله يمسك السموات يوم القيامة على أصبع والأرضين على أصبع والجبال على أصبع والشجر على أصبع

وسائر الخلق على أصبع ثم يهزهن فيقول أنا الملك فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم تعجبا مما قال الحبر ثم قرأ هذه الآية تصديقا له فإنما ضحك أفصح العرب لأنه لم يفهم منه إلا ما فهمه علماء البيان من غير تصور إمساك ولا أصبع ولا هز ولا شيء من ذلك ولكن فهمه وقع أول شيء وآخره على الزبدة والخلاصة التي هي الدلالة على القدرة الباهرة التي لا يوصل السامع إلى الوقوف عليها إلا إجراء العبارة على مثل هذه الطريقة من التخييل ثم قال وأكثر كلام الأنبياء والكتب السماوية وحيها تخييل فقد زلت فيه الأقدام قديما اهـ كلامه (قلت) إنما عنى بأجرائها هنا لفظ التخييل التمثيل وإنما العبارة موهمة منكرة في هذا المقام لا تليق بوجه من الوجوه والله أعلم

قد زلت فيها الاقدام قديما وما أتى الزالون الا من قلة عنايتهم بالبحث والتنقير حتى يعلموا أن في عداد العلوم
الدقيقة علما لو قدروه حق قدره لما خفي عليهم أن العلوم كلها مفتقرة اليه وعيال عليه اذ لا يحل عقدها
الموربة ولا يفك قيودها المكربة الا هو وكم آية من آيات التنزيل وحديث من أحاديث الرسول
قد ضيم وسيم الخسف بالتأويلات الغثة والوجوه الرثة لان من تأول ليس من هذا العلم في عير ولا نفير
ولا يعرف قبيلا منه من دبير والمراد بالارض الارضون السبع يشهد لذلك شاهدان قوله جميعا وقوله
والسموات ولان الموضع موضع تفخيم وتعظيم فهو مقتض للمبالغة ومع القصد الى الجمع وتأكيده بالجميع
أتبع الجميع مؤكده قبل مجيء الخبر ليعلم أول الامر أن الخبر الذي يرد لا يقع عن أرض واحدة ولكن عن
الاراضي كلهن والقبضة المرة من القبض فقبضت قبضة من أثر الرسول والقبضة بالضم المقدار المقبوض
بالكف ويقال أيضا أعطني قبضة من كذا تريد معنى القبضة تسمية بالمصدر كما روي أنه نهى عن خطفة السبع
وكلا المعنيين محتمل والمعنى والارضون جميعا قبضته أي ذوات قبضته يقبضهن قبضة واحدة يعني أن
الارضين مع عظمهن وبسطتهن لا يبلغن الا قبضة واحدة من قبضاته كأنه يقبضها قبضة بكف واحدة كما
تقول الجزور أكلة لقمان والقلة جرعته أي ذات أكلته وذات جرعته تريد أنهما لا يفيان الا بأكلة فذة من
أكلاته وجرعة فردة من جرعاته واذا أريد معنى القبضة فظاهر لان المعنى ان الارضين بجملتها مقدار
ما يقبضه بكف واحدة (فان قلت) ما وجه قراءة من قرأ قبضته بالنصب (قلت) جعلها ظرفا مشبها للمؤقت
بالمبهم * مطويات من الطي الذي هو ضد النشر كما قال تعالى يوم نطوي السماء كطي السجل للكتاب وعادة
طاوي السجل أن يطويه بيمينه وقيل قبضته ملكه بلا مدافع ولا منازع وبيمينه بقدرته وقيل مطويات
بيمينه مفنيات بقسمه لانه أقسم أن يفنيها ومن اشتم رائحة من علم البيان لم يخف عليه أن هذه التأويلات ليست من البيان في شيء
بالتعجب منه ومن قائله ثم يبكي حمية لكلام الله المعجز بفصاحته وما مني به من أمثاله وأثقل منه على الروح
وأصدع للكبد تدوين العلماء قوله واستحسانهم له وحكايته على فروع المنابر واستجلاب الاهتزاز به من
السامعين وقرئ مطويات على نظم السموات في حكم الارض ودخولها تحت القبضة ونصب مطويات
على الحال (سبحانه وتعالى) ما أبعد من هذه قدرته وعظمته وما أعلاه عما يضاف اليه من الشركاء * (فان
قلت) (أخرى) ما محلها من الاعراب (قلت) يحتمل الرفع والنصب أما الرفع فعلى قوله فاذا نفخ في الصور نفخة
واحدة وأما النصب فعلى قراءة من قرأ نفخة واحدة والمعنى ونفخ في الصور نفخة واحدة ثم نفخ فيه أخرى
وانما حذفت لدلالة أخرى عليها ولكونها معلومة بذكرها في غير مكان وقرئ قياما ينظرون يقلبون
أبصارهم في الجهات نظر المبهوت اذا فاجأه خطب وقيل ينظرون ماذا يفعل بهم ويجوز أن يكون القيام
بمعنى الوقوف والجمود في مكان لتحيرهم * قد استعار الله عز وجل النور للحق والقرآن والبرهان في مواضع
من التنزيل وهذا من ذاك والمعنى (وأشرقت الارض) بما يقيمه فيها من الحق والعدل ويبسطه من القسط
في الحساب ووزن الحسنات والسيئات وينادي عليه بأنه مستعار اضافته الى اسمه لانه هو الحق العدل
واضافة اسمه الى الارض لانه يزينها حيث ينشر فيها عدله وينصب فيها موازين قسطه ويحكم بالحق بين
أهلها ولا ترى أزين للبقاع من العدل ولا أعمر لها منه وفي هذه الاضافة أن ربها وخالقها هو الذي
يعدل فيها وانما يجور فيها غير ربها ثم ما عطف على اشراق الارض من وضع الكتاب والمجيء بالنبيين
والشهداء والقضاء بالحق وهو النور المذكور وترى الناس يقولون للملك العادل أشرقت الآفاق بعدلك
وأضاءت الدنيا بقسطك كما تقول أظلمت البلاد بجور فلان رسول الله صلى الله عليه وسلم الظلم ظلمات
يوم القيامة وكما فتح الآية باثبات العدل ختمها بنفي الظلم وأشرقت على البناء للمفعول من شرقت
بالضوء تشرق اذا امتلأت به واغتصت وأشرقها الله كما تملأ الارض عدلا وطبقها عدلا و (الكتاب)
صحائف الاعمال ولكنه اكتفى باسم الجنس وقيل اللوح المحفوظ (والشهداء) الذين يشهدون للامم
وعليهم من الحفظة والاخيار وقيل المستشهدون في سبيل الله * الزمر الافواج المتفرقة بعضها في اثر بعض
وقد تزمروا قال حتى احزألت زمر بعد زمر وقيل في زمرا أفواجا هي الطبقات المختلفة الشهداء والزهاد

سبحانه وتعالى عما
يشركون ونفخ في الصور
فصعق من في السموات
ومن في الارض الا من
شاء الله ثم نفخ فيه أخرى
فاذا هم قيام ينظرون
وأشرقت الارض بنور
ربها ووضع الكتاب
وجيء بالنبيين والشهداء
وقضي بينهم بالحق وهم
لا يظلمون ووفيت كل
نفس ما عملت وهو
أعلم بما يفعلون وسيق
الذين كفروا الى جهنم
زمرا حتى اذا جاؤها
فتحت أبوابها وقال لهم
خزنتها ألم يأتكم رسل
منكم يتلون عليكم
آيات ربكم وينذرونكم
لقاء يومكم هذا

والعلماء

والعلماء والقراء وغيرهم * وقرئ نذر منكم * (فان قلت) لم أضيف اليوم اليوم (قلت) أرادوا لقاء وقتكم
هذا وهو وقت دخولهم النار لا يوم القيامة وقد جاء استعمال اليوم والأيام مستفيضا في أوقات الشدة
(قالوا بلى) أتونا وتلوا علينا ولكن وجبت علينا كلمة الله لأملأن جهنم لسوء أعمالنا كما قالوا غلبت علينا
شقوتنا وكنا قوما ضالين فذكروا عملهم الموجب لكلمة العذاب وهو الكفر والضلال * اللام في المتكبرين
للجنس لأن (مثوى المتكبرين) فاعل بئس وبئس فاعلها اسم معرف بلام الجنس أو مضاف الى مثله
والمخصوص بالذم محذوف تقديره فبئس مثوى المتكبرين جهنم (حتى) هي التي تحكى بعدها الجمل والجملة
المحكية بعدها هي الشرطية الا أن جزاءها محذوف وانما حذف لأنه في صفة ثواب أهل الجنة فدل بحذفه
على أنه شيء لا يحيط به الوصف وحق موقعه ما بعد خالدين وقيل حتى اذا جاؤها جاؤها وفتحت أبوابها أي مع
فتح أبوابها وقيل أبواب جهنم لا تفتح الا عند دخول أهلها فيها وأما أبواب الجنة فمتقدم فتحها بدليل قوله
جنات عدن مفتحة لهم الأبواب فلذلك جيء بالواو كأنه قيل حتى اذا جاؤها وقد فتحت أبوابها (فان قلت) كيف
عبر عن الذهاب بالفريقين جميعا بلفظ السوق (قلت) المراد بسوق أهل النار طردهم اليها بالهوان والعنف
كما يفعل بالأسارى والخارجين على السلطان اذا سيقوا الى حبس أو قتل والمراد بسوق أهل الجنة سوق
مراكبهم لأنه لا يذهب بهم الا راكبين وحثها اسراعا بهم الى دار الكرامة والرضوان كما يفعل بمن يشرف
ويكرم من الوافدين على بعض الملوك فشتان ما بين السوقين (طبتم) من دنس المعاصي وطهرتم من خبث
الخطايا (فادخلوها) جعل دخول الجنة مسببا عن الطيب والطهارة فما هي الا دار الطيبين ومثوى
الطاهرين لأنها دار طهرها الله من كل دنس وطيبها من كل قذر فلا يدخلها الا مناسب لها موصوف بصفتها
فما أبعد أحوالنا من تلك المناسبة وما أضعف سعينا في اكتساب تلك الصفة الا أن يهب لنا الوهاب الكريم
توبة نصوحا تنقي أنفسنا من درن الذنوب وتميط وضر هذه القلوب (خالدين) مقدرين الخلود (الأرض)
عبارة عن المكان الذي أقاموا فيه واتخذوه مقرا ومتبوأ وقد أورثوها أي ملكوها وجعلوا ملوكها وأطلق
تصرفهم فيها كما يشاؤن تشبيها بحال الوارث وتصرفه فيما يرثه واتساعه فيه وذهابه في انفاقه طولا وعرضا
* (فان قلت) ما معنى قوله (حيث نشاء) وهل يتبوأ أحدهم مكان غيره (قلت) يكون لكل واحد منهم جنة
لا توصف سعة وزيادة على الحاجة فيتبوأ من جنته حيث يشاء ولا يحتاج الى جنة غيره (حافين) محدقين من
حوله (يسبحون بحمد ربهم) يقولون سبحان الله والحمد لله متلذذين لا متعبدين * (فان قلت) الام يرجع
الضمير في قوله (بينهم) (قلت) يجوز أن يرجع الى العباد كلهم وان ادخال بعضهم النار وبعضهم الجنة لا يكون
الا قضاء بينهم بالحق والعدل وأن يرجع الى الملائكة على أن ثوابهم وان كانوا معصومين جميعا لا يكون على
سنن واحد ولكن يفاضل بين مراتبهم على حسب تفاضلهم في أعمالهم فهو القضاء بينهم بالحق * (فان قلت)
قوله (وقيل الحمد لله) من القائل ذلك (قلت) المقضي بينهم اما جميع العباد واما الملائكة كأنه قيل وقضي
بينهم بالحق وقالوا الحمد لله على قضائه بيننا بالحق وانزال كل منا منزلته التي هي حقه * عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم من قرأ سورة الزمر لم يقطع الله رجاءه يوم القيامة وأعطاه الله ثواب الخائفين الذين خافوا
وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ كل ليلة بني اسرائيل والزمر

* سورة المؤمن مكية قال الحسن الا قوله وسبح بحمد ربك لأن الصلوات نزلت بالمدينة وقد قيل في
الحواميم كلها انها مكيات عن ابن عباس وابن الحنفية وهي خمس وثمانون آية وقيل ثنتان وثمانون *

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قرئ بامالة ألف حا وتفخيمها وبتسكين الميم وفتحها ووجه الفتح التحريك لالتقاء الساكنين وايثار أخف
الحركات نحو أين وكيف أو النصب باضمار اقرأ ومنع الصرف للتأنيث والتعريف أو للتعريف وأنها على
زنة أعجمي نحو قابيل وهابيل * التوب والثوب والأوب أخوات في معنى الرجوع * والطول الفضل والزيادة

قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى اذا جاؤها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين

* سورة المؤمن مكية وهي خمس وثمانون آية *

(بسم الله الرحمن الرحيم)

حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا اله الا هو اليه المصير ما يجادل في آيات الله الا الذين كفروا

﴿القول في سورة غافر﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قوله تعالى غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب الآية (قال) فيه فان قلت لم اختلفت هذه الصفات تعريفا وتنكيرا والموصوف معرفة يقتضي أن يكون مثله معارف وأجاب بان غافر الذنب وقابل التوب معرفتان لانهما صفتان لازمتان وليستا لحدوث الفعل حتى يكونا حالا أو استقبالا بل اضافتهما حقيقية وأما شديد العقاب فلا شك في أن اضافته غير حقيقية يريد لانه من الصفات المشبهة ولا تكون اضافتها محضة أبدا * عاد كلامه قال وجعله الزجاج بدلا وحده وانفراد البدل من بين الصفات فيه نبوّ ظاهر والوجه أن يقال ان جميعها ابدال غير أوصاف لوقوع هذه النكرة التي لا يصح أن تكون صفة كما وقعت قصيدة تفاعيلها (٣٠٨) كلها على مستفعلن تقضي عليها بأنها من بحر الرجز فان وقع فيها جزء واحد على متفاعلن كانت من الكامل (قلت) وهذا لان دخول مستفعلن في الكامل يمكن لان متفاعلن يصير بالاضمار اليه مستفعلن وليس وقوع متفاعلن في الرجز ممكنا اذ لا يصير اليه مستفعلن البتة فما يفضي الى الجمع بينهما فانه يتعين وهذا كما يقضي الفقهاء بالخاص على العام لانه الطريق في الجمع بين الدليلين وأجاز فيه وجها آخر وهو أن تكون كلها صفات معارف ويكون شديد العقاب محذوف الالف ليجانس ما قبله وذلك مثل قولهم ما يعرف سحادليه من عنادليه فثنوا ما هو وتر لاجل ما هو شفع على أن الخليل قد قال في قولهم ما يحسن بالرجل مثلك أن يفعل ذلك وما يحسن بالرجل خير منك أن يفعل كذا انه على نية الالف واللام كما جاء الجماء الغفير على نية حذف الالف واللام مضافا الى الزبيغ
ما يسهل ذلك وهو عدم اللبس وأمن الجهالة * وأجاز وجها آخر وهو أن يكون صفة قصد تنكيرها لما في الابهام من الدلالة على فرط الشدة * قال ولعل هذه النكتة هي الداعية الى اختيار البدل على الوصف اذا سلكت طريقة الابدال * قال فان قلت فما بال الواو في قوله وقابل التوب وأجاب بأن فيها نكتة جليلة وهي افادة الجمع بين رحمتين مغفرة الذنب وقبول التوب * قوله تعالى ما يجادل في آيات الله الآية (قال) الجدال المذموم هو الجدال بالباطل لادحاض الحق وقصد اطفاء نور الله فقد دل على ذلك قوله تعالى وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق وأما الجدال في الايضاح ملتبسها وحل مشكلها ومقادحة العلماء في استنباط معانيها ورد أهل الزيغ عنها فاعظم جهاد في سبيل الله تعالى وعلى هذا يحمل قوله عليه الصلاة والسلام ان جدالا في القرآن كفر وهذا أورده منكرا للتمييز بين جدال وجدال

يقال لفلان على فلان طول والافضال يقال طال عليه وتطوّل اذا تفضل * (فان قلت) كيف اختلفت هذه الصفات تعريفا وتنكيرا والموصوف معرفة يقتضي أن يكون مثله معارف (قلت) أما غافر الذنب وقابل التوب فمعرفتان لانه لم يرد بهما حدوث الفعلين وأنه يغفر الذنب ويقبل التوب الآن أو غدا حتى يكونا في تقدير الانفصال فتكون اضافتهما غير حقيقية وانما أريد ثبوت ذلك ودوامه فكان حكمهما حكم اله الخلق ورب العرش وأما شديد العقاب فامره مشكل لانه في تقدير شديد عقابه لا ينفك من هذا التقدير وقد جعله الزجاج بدلا وفي كونه بدلا وحده بين الصفات نبوّ ظاهر والوجه أن يقال لما صودف بين هؤلاء المعارف هذه النكرة الواحدة فقد آذنت بأن كلها أبدال غير أوصاف ومثال ذلك قصيدة جاءت تفاعيلها كلها على مستفعلن فهي محكوم عليها بأنها من بحر الرجز فان وقع فيها جزء واحد على متفاعلن كانت من الكامل ولقائل أن يقول هي صفات وانما حذف الالف واللام من شديد العقاب ليزاوج ما قبله وما بعده لفظا فقد غيروا كثيرا من كلامهم عن قوانينه لاجل الازدواج حتى قالوا ما يعرف سحادليه من عنادليه فثنوا ما هو وتر لاجل ما هو شفع على أن الخليل قال في قولهم ما يحسن بالرجل مثلك أن يفعل ذلك وما يحسن بالرجل خير منك أن يفعل انه على نية الالف واللام كما كان الجماء الغفير على نية طرح الالف واللام وكما سهل ذلك الامن من اللبس وجهالة الموصوف ويجوز أن يقال قد تعمد تنكيره وابهامه للدلالة على فرط الشدة وعلى ما لا شيء أدهى منه وأمر لزيادة الانذار ويجوز أن يقال هذه النكتة هي الداعية الى اختيار البدل على الوصف اذا سلكت طريقة الابدال (فان قلت) ما بال الواو في قوله وقابل التوب (قلت) فيها نكتة جليلة وهي افادة الجمع للمذنب التائب بين رحمتين بين أن يقبل توبته فيكتبها له طاعة من الطاعات وأن يجعلها محاءة للذنوب كأن لم يذنب كأنه قال جامع المغفرة والقبول وروي أن عمر رضي الله عنه افتقد رجلا ذا بأس شديد من أهل الشام فقيل له تتابع في هذا الشراب فقال عمر لكاتبه اكتب من عمر الى فلان سلام عليك وأنا أحمد اليك الله الذي لا اله الا هو بسم الله الرحمن الرحيم حم الى قوله اليه المصير وختم الكتاب وقال لرسوله لا تدفعه اليه حتى تجده صاحيا ثم أمر من عنده بالدعاء له بالتوبة فلما أتته الصحيفة جعل يقرؤها ويقول قد وعدني الله أن يغفر لي وحذرني عقابه فلم يبرح يرددها حتى بكى ثم نزع فأحسن النزوع وحسنت توبته فلما بلغ عمر أمره قال هكذا فاصنعوا اذا رأيتم أخا لكم قد زل زلة فسددوه ووفقوه وادعوا له الله أن يتوب عليه ولا تكونوا أعوانا للشياطين عليه * سجل على المجادلين في آيات الله بالكفر والمراد الجدال بالباطل من الطعن فيها والقصد الى ادحاض الحق واطفاء نور الله وقد دل على ذلك في قوله وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فأما الجدال فيها لايضاح ملتبسها وحل مشكلها ومقادحة أهل العلم في استنباط معانيها ورد أهل

فلا يغررك تقلبهم في البلاد كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فأخذتهم فكيف كان عقاب وكذلك حقت كلمت ربك على الذين كفروا انهم أصحاب النار الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا

أن يدفع به أو تنهاها فأعظم جهاد في سبيل الله وقوله صلى الله عليه وسلم ان جدالا في القرآن كفر وايراده منكرا وان لم يقل ان الجدال تمييز منه بين جدال وجدال (فان قلت) من أين تسبب لقوله (فلا يغررك) ما قبله (قلت) من حيث انهم لما كانوا مشهودا عليهم من قبل الله بالكفر والكافر لا أحد أشقى منه عند الله وجب على من تحقق ذلك أن لا ترجح أحوالهم في عينه ولا يغره اقبالهم في دنياهم وتقلبهم في البلاد بالتجارات النافقة والمكاسب المربحة وكانت قريش كذلك يتقلبون في بلاد الشام واليمن ولهم الاموال يتجرون فيها ويتربحون فان مصير ذلك وعاقبته الى الزوال ووراءه شقاوة الابد * ثم ضرب لتكذيبهم وعداوتهم للرسل وجدالهم بالباطل وما ادخر لهم من سوء العاقبة مثلا ما كان من نحو ذلك من الامم وما أخذهم به من عقابه وأحله بساحتهم من انتقامه * وقرئ فلا يغرك (الاحزاب) الذين تحزبوا على الرسل وناصبوهم وهم عاد وثمود وفرعون وغيرهم (وهمت كل أمة) من هذه الامم التي هي قوم نوح والاحزاب (برسولهم) وقرئ برسولها (ليأخذوه) ليتمكنوا منه ومن الايقاع به واصابته بما أرادوا من تعذيب أو قتل ويقال للاسير أخيذ (فأخذتهم) يعني أنهم قصدوا أخذه فجعلت جزاءهم على ارادة أخذه ان أخذتهم (فكيف كان عقاب) فانكم تمرون على بلادهم وتعاينون أثر ذلك وهذا تقرير فيه معنى التعجيب (انهم أصحاب النار) في محل الرفع بدل من كلمة ربك أي مثل ذلك الوجوب وجب على الكفرة كونهم من أصحاب النار ومعناه كما وجب اهلاكهم في الدنيا بالعذاب المستأصل كذلك وجب اهلاكهم بعذاب النار في الآخرة أو في محل النصب بحذف لام التعليل وايصال الفعل * والذين كفروا قريش ومعناه كما وجب اهلاك أولئك الامم كذلك وجب اهلاك هؤلاء لان علة واحدة تجمعهم أنهم من أصحاب النار * وقرئ كلمات * وروي أن حملة العرش أرجلهم في الارض السفلى ورؤسهم قد خرقت العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تتفكروا في عظم ربكم ولكن تفكروا فيما خلق الله من الملائكة فان خلقا من الملائكة يقال له اسرافيل زاوية من زوايا العرش على كاهله وقدماه في الارض السفلى وقد مرق رأسه من سبع سموات وانه ليتضاءل من عظمة الله حتى يصير كأنه الوصع وفي الحديث ان الله تعالى أمر جميع الملائكة أن يغدوا ويروحوا بالسلام على حملة العرش تفضيلا لهم على سائر الملائكة وقيل خلق الله العرش من جوهرة خضراء وبين القائمتين من قوائمه خفقان الطير المسرع ثمانين ألف عام وقيل حول العرش سبعون ألف صف من الملائكة يطوفون به مهللين مكبرين ومن ورائهم سبعون ألف صف قيام قد وضعوا أيديهم على عواتقهم رافعين أصواتهم بالتهليل والتكبير ومن ورائهم مائة ألف صف قد وضعوا الايمان على الشمائل ما منهم أحد الا وهو يسبح بما لا يسبح به الآخر * وقرأ ابن عباس العرش بضم العين (فان قلت) ما فائدة قوله (ويؤمنون به) ولا يخفى على أحد أن حملة العرش ومن حوله من الملائكة الذين يسبحون بحمد ربهم مؤمنون (قلت) فائدته اظهار شرف الايمان وفضله والترغيب فيه كما وصف الانبياء في غير موضع من كتابه بالصلاح لذلك وكما عقب أعمال الخير بقوله تعالى ثم كان من الذين آمنوا فأبان بذلك فضل الايمان وفائدة أخرى وهي التنبيه على أن الامر لو كان كما تقول المجسمة لكان حملة العرش ومن حوله مشاهدين معاينين ولما وصفوا بالايمان لانه انما يوصف بالايمان الغائب فلما وصفوا به على سبيل الثناء عليهم علم ان ايمانهم وايمان من في الارض وكل من غاب عن ذلك المقام سواء في أن ايمان الجميع بطريق النظر والاستدلال لا غير وأنه لا طريق الى معرفته الا هذا وأنه منزه عن صفات الاجرام وقد روعي التناسب في قوله ويؤمنون به (ويستغفرون للذين آمنوا) كأنه قيل ويؤمنون ويستغفرون لمن في مثل حالهم وصفتهم وفيه تنبيه على ان الاشتراك في الايمان يجب ان يكون أدعى شيء الى النصيحة وأبعثه على امحاض الشفقة وان تفاوتت

* قوله تعالى يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا الآية (قال) فيه ان قلت ما فائدة قوله ويؤمنون به ولا يخفى على أحد ان حملة العرش ومن حوله من الملائكة يؤمنون بالله تعالى وأجاب بان فائدته اظهار شرف الايمان كما وصف الانبياء في غير موضع من كتابه بالصلاح لذلك وكما عقب أعمال البر بقوله ثم كان من الذين آمنوا فأبان بذلك فضل الايمان وفائدة أخرى وهي التنبيه على ان الامر لو كان كما يقول المجسمون لكان حملة العرش ومن حوله مشاهدين ولما وصفوا بالايمان لانه انما يوصف بالايمان الغائب فلما وصفوا به على سبيل الثناء علم أن ايمانهم وايمان من في الارض وكل من غاب عن ذلك المقام سواء في أن ايمان الجميع بطريق النظر والاستدلال لا غير وانه لا طريق الى معرفته الا هذا * قال وفيه تنبيه على ان الاشتراك في وصف الايمان يجب ان يكون أدعى شيء الى النصيحة وأبعث شيء على امحاض الشفقة وان تفاوتت الاجناس وتباعدت الاماكن فانه لا تجانس بين ملك وبشر ومع ذلك لما اشتركا في صفة الايمان نزل ذلك منزلة الاشتراك الحقيقي والتناسب الجنسي حتى استغفر من حول العرش لمن فوق

الارض اه كلامه (قلت) كلام حسن إلا استدلاله بقوله ويؤمنون به على أنهم ليسوا مشاهدين فهذا لا يدل لأن الإيمان هو التصديق غير مشروط فيه غيبة المصدق به بدليل صحة إطلاق الإيمان بالآيات مع أنها مشاهدة كانشقاق القمر وقلب العصا حية وإنما ذهب الزمخشري بهذا التكلف عما في قلبه من مرض لكنه طاح بعيدا عن الغرض فقرر أن حملة العرش غير مشاهدين بدليل قوله تعالى ويؤمنون لأن معنى الإيمان عنده هو التصديق بالغائب ثم يأخذ من كونهم غير مشاهدين أن الباري عز وجل لو صحت رؤيته لرأوه فحيث لم يروه لزم أن تكون رؤيته تعالى مما لا يصححه العقل وقد أبطلنا ما ادعاه من أن الإيمان يستلزم عدم الرؤية ولو سلمناه فلا نسلم أنه يلزم من كون حملة العرش غير مشاهدين له تعالى أن تكون رؤيته غير صحيحة وقوله ولو كانت صحيحة لرأوه شرطية عقيمة النتاج لأن الرؤية عبارة عن إدراك يخلق الله تعالى هذا الإدراك لحملة العرش الآن يذهب بالزمخشري الوهم إلى أن مصححي الرؤية يعتقدون الجسمية والاستقرار على العرش فيلزمهم رؤية حملة العرش له تعالى الله عن ذلك وحاشى أهل السنة ومصححي الرؤية من ذلك

* قوله تعالى ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم إنك أنت العزيز الحكيم وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته الآية (قال) فيه فإن قلت قد ذكر أولا الرحمة والعلم ثم ذكر ما توجبه الرحمة وهو الغفران فأين موجب العلم وأجاب بأن معناه فاغفر للذين علمت منهم التوبة واتباع سبيلك * قال وقوله إنك أنت (٢١٠) العزيز الحكيم معناه الملك الذي لا يغلب وأنت مع ملكك وعزتك لا تفعل شيئا إلا بداعي الحكمة وموجب حكمتك أن تفي بوعدك ثم قال ومعنى السيئات العقوبات التي هي جزاء السيئات أو على حذف مضاف بالقت على أن السيئات تعني الصغائر أو الكبائر المتوب عنها والوقاية منها التكفير أو قبول التوبة * ثم قال فإن قلت ما الفائدة في استغفارهم وهم تائبون صالحون موعودون بالمغفرة والله لا يخلف الميعاد وأجاب بأن هذا بمنزلة الشفاعة وفائدته زيادة الكرامة والثواب اه كلامه (قلت) كلامه ههنا محشو بأنواع الاعتزال منها اعتقاد وجوب مراعاة المصلحة ودواعي الحكم على الله تعالى ومنها اعتقاد أن اجتناب الكبائر يكفر الصغائر وجوبا وإن لم يكن توبة ومنها اعتقاد امتناع غفران الله تعالى الكبائر التي لم يتب عنها ومنها اعتقاد وجوب قبول التوبة على الله تعالى ومنها إنكار الشفاعة واعتقاد أهل السنة أن الله تعالى لا يجب عليه مراعاة المصلحة وأنه يجوز أن يعذب على الصغائر وإن اجتنب الكبائر وأنه يجوز أن يغفر الكبائر ما عدا الشرك وإن لم يتب منها وأن قبول التوبة بفضله ورحمته لا بالوجوب عليه وأن الشفاعة لأهل الكبائر المصرين من الموحدين فهذه جواهر خمسة نسأل الله تعالى أن يعقد عقائدنا بها إلى الخاتمة وأن لا يحرمنا ألطافه ومراحمه آمين وجميع ما يحتاج إلى تزييفه مما ذكره على قواعد الاعتزال في هذا الموضع قد تقدم غير أنه جدد ههنا قوله إن فائدة الاستغفار كفائدة الشفاعة وذلك عنده زيادة الكرامة لا غير بناء أن المغفرة للتائب واجبة على الله فلا تسئل وهذا الذي قاله مما يجعل لنفسه فيه الفضيحة زائدة على بطلانه شهادة الآية بالألسن الفصيحة كيف يجعل المسؤول مجرد الكرامة لا غير ونص الآية فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم فهي ناطقة بأنهم يسألون من الله تعالى المغفرة للتائب ووقايته عذاب الجحيم وهو الذي أنكر الزمخشري كونه مسؤولا

ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم إنك أنت العزيز الحكيم وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم إن الذين كفروا ينادون لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم إذ تدعون إلى

الأجناس وتباعدت الأماكن فإنه لا تجانس بين ملك وإنسان ولا بين سماوي وأرضي قط ثم لما جاء بجامع الإيمان جاء معه التجانس الكلي والتناسب الحقيقي حتى استغفر من حول العرش لمن فوق الأرض قال الله تعالى ويستغفرون لمن في الأرض * أي يقولون (ربنا) وهذا المضمر يحتمل أن يكون بيانا ليستغفرون مرفوع المحل مثله وأن يكون حالا (فإن قلت) تعالى الله عن المكان فكيف صح أن يقال وسع كل شيء (قلت) الرحمة والعلم هما اللذان وسعا كل شيء في المعنى والأصل وسع كل شيء رحمتك وعلمك ولكن أزيل الكلام عن أصله بأن أسند الفعل إلى صاحب الرحمة والعلم وأخرجا منصوبين على التمييز للإغراق في وصفه بالرحمة والعلم كأن ذاته رحمة وعلم واسعان كل شيء (فإن قلت) قد ذكر الرحمة والعلم فوجب أن يكون ما بعد الفاء مشتملا على حديثهما جميعا وما ذكر إلا الغفران وحده (قلت) معناه فاغفر للذين علمت منهم التوبة واتباع سبيلك وسبيل الله سبيل الحق التي نهجها لعباده ودعا إليها (إنك أنت العزيز الحكيم) أي الملك الذي لا يغلب وأنت مع ملكك وعزتك لا تفعل شيئا إلا بداعي الحكمة وموجب حكمتك أن تفي بوعدك (وقهم السيئات) أي العقوبات أو جزاء السيئات فحذف المضاف على أن السيئات هي الصغائر أو الكبائر المتوب عنها والوقاية منها التكفير أو قبول التوبة (فإن قلت) ما الفائدة في استغفارهم لهم وهم تائبون صالحون موعودون المغفرة والله لا يخلف الميعاد (قلت) هذا بمنزلة الشفاعة وفائدته زيادة الكرامة والثواب * وقرئ جنة عدن وصلح بضم اللام والفتح أفصح يقال صلح فهو صالح وصلح فهو صليح وذريتهم * أي ينادون يوم القيامة فيقال لهم (لمقت الله أكبر) والتقدير لمقت الله أنفسكم أكبر من مقتكم أنفسكم فاستغنى بذكرها مرة و(إذ تدعون) منصوب

* قوله تعالى أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين (قال) فيه احدى الاماتتين خلقهم أمواتا أولا والاخرى اماتتهم عند انقضاء آجالهم ثم قال فان قلت كيف سمى خلقه لهم أمواتا اماتة وأجاب بأنه كما يقال سبحان من صغر جسم البعوضة وكبر جسم الفيل وكما يقال للحفار ضيق فم الركية ووسع أسفلها وليس ثم نقل من صغر الى كبر ولا عكسه ولا من ضيق الى وسع ولا عكسه وانما أردت الانشاء على تلك الصفات والسبب في صحته ان الكبر والصغر جائزان معا على المصنوع الواحد وكذلك الضيق والسعة فاذا اختار الصانع احد الجائزين وهو متمكن من الآخر جعل صرفا عن الآخر وهو متمكن منه اه كلامه (قلت) ما أسد كلامه هو وما أحسن ما صادق المسألة اذا بالنظر ما الشرع رحمه الله في مسألة ما اذا باعه احدى وزنتين معينتين على اللزوم لاحدهما والخيرة في عينها فانه يمتنع من ذلك لان المشترى لما كان متمكنا من تعيين كل واحدة منهما على سواء فاذا عين واحدة منهما بالاختيار زال عدوله عن الاخرى وقد كان متمكنا منها منزلة اختيارها أولا ثم الانتقال عنها الى هذه فاذا آل بيع احداهما بالاخرى غير معلومتي التماثل وهو الذى نلحه أصحابنا في قولهم ان من خير بين شيئين فاختار أحدهما عد منتقلا وقد سبقت هذه القاعدة لغير هذا الغرض فيما تقدم * قوله تعالى فهل الى خروج من سبيل (قال) أى الى نوع من الخروج سريع أو بطىء من سبيل قط أم اليأس واقع دون ذلك فلا خروج ولا سبيل اليه وهذا كلام من غلب عليه اليأس والقنوط وانما يقولون ذلك تعللا وتحيرا ولهذا جاء الجواب على حسب ذلك وهو قوله ذلكم بأنه اذا دعى الله وحده كفرتم معناه ان اعتياض السبيل الى خروجكم من النار بسبب كفركم بتوحيد الله تعالى وايمانكم بالاشراك انتهى كلامه (قلت) وعلى هذا النمط جاء الشعر في مثل قولهم

هل الى نجد وصول * وعلى الخيف نزول

وانما قصدهم ان هذا أمر غلب فيه اليأس على الطمع

الايمان فتكفرون قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل الى خروج من سبيل ذلكم بأنه اذا دعي الله وحده كفرتم وان يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلي الكبير هو الذى يريكم آياته وينزل لكم من السماء رزقا وما يتذكر الا من ينيب فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون

بالمقت الاول والمعنى أنه يقال لهم يوم القيامة كان الله يمقت أنفسكم الامارة بالسوء والكفر حين كان الانبياء يدعونكم الى الايمان فتأبون قبوله وتختارون عليه الكفر أشد مما تمقتونهن اليوم وأنتم في النار اذا أوقعتكم فيها باتباعكم هواهن وعن الحسن لما رأوا أعمالهم الخبيثة مقتوا أنفسهم فنودوا لمقت الله وقيل معناه لمقت الله اياكم الآن أكبر من مقت بعضكم لبعض كقوله تعالى يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا واذ تدعون تعليل والمقت أشد البغض فوضع في موضع أبلغ الانكار وأشده (اثنتين) اماتتين واحياءتين أو موتتين وحياتين وأراد بالاماتتين خلقهم أمواتا أولا واماتتهم عند انقضاء آجالهم وبالاحياءتين الاحياءة الاولى واحياءة البعث وناهيك تفسيرا لذلك قوله تعالى وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم وكذا عن ابن عباس رضى الله عنهما (فان قلت) كيف صح أن يسمى خلقهم أمواتا اماتة (قلت) كما صح أن تقول سبحان من صغر جسم البعوضة وكبر جسم الفيل وقولك للحفار ضيق فم الركية ووسع أسفلها وليس ثم نقل من كبر الى صغر ولا من صغر الى كبر ولا من ضيق الى سعة ولا من سعة الى ضيق وانما أردت الانشاء على تلك الصفات والسبب في صحته ان الصغر والكبر جائزان معا على المصنوع الواحد من غير ترجح لاحدهما وكذلك الضيق والسعة فاذا اختار الصانع أحد الجائزين وهو متمكن منهما على السواء فقد صرف المصنوع عن الجائز الآخر فجعل صرفه عنه كنقله منه ومن جعل الاماتتين التي بعد حياة الدنيا والتي بعد حياة القبر لزمه اثبات ثلاث احياآت وهو خلاف ما في القرآن الا أن يتمحل فيجعل احداها غير معتد بها أو يزعم أن الله تعالى يحييهم في القبور وتستمر بهم تلك الحياة فلا يموتون بعدها ويعدهم في المستثنين من الصعقة في قوله تعالى الا من شاء الله (فان قلت) كيف تسبب هذا لقوله تعالى (فاعترفنا بذنوبنا) (قلت) قد أنكروا البعث فكفروا وتبع ذلك من الذنوب ما لا يحصى لان من لم يخش العاقبة تخرق في المعاصى فلما رأوا الاماتة والاحياء قد تكررا عليهم علموا بأن الله قادر على الاعادة قدرته على الانشاء فاعترفوا بذنوبهم التي اقترفوها من انكار البعث وما تبعه من معاصيهم (فهل الى خروج) أى الى نوع من الخروج سريع أو بطىء (من سبيل) قط أم اليأس واقع دون ذلك فلا خروج ولا سبيل اليه وهذا كلام من غلب عليه اليأس والقنوط وانما يقولون ذلك تعللا وتحيرا ولهذا جاء الجواب على حسب ذلك وهو قوله (ذلكم) أى ذلكم الذى أنتم فيه وأن لا سبيل لكم الى خروج قط بسبب كفركم بتوحيد الله وايمانكم بالاشراك به (فالحكم لله) حيث حكم عليكم بالعذاب السرمدى وقوله (العلى الكبير) دلالة على الكبرياء والعظمة وعلى أن عقاب مثله لا يكون الا كذلك وهو الذى يطابق كبرياءه ويناسب جبروته وقيل كان الخرورية أخذوا قولهم لا حكم الا لله من هذا (يريكم آياته) من الريح والسحاب والرعد والبرق والصواعق ونحوها * والرزق المطر لانه سببه (وما يتذكر الا من ينيب) وما يتعظ وما يعتبر بآيات الله الا من يتوب من الشرك ويرجع الى الله فان المعاند لا سبيل الى تذكره واتعاظه ثم قال للمنيبين (فادعوا الله) أى اعبدوه (مخلصين له الدين) من الشرك * وان غاظ ذلك أعداءكم ممن ليس

رفيع الدرجات ذو العرش يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء لمن الملك اليوم لله الواحد القهار اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم إن الله سريع الحساب وأنذرهم يوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع

على دينكم (رفيع الدرجات ذو العرش يلقي الروح) ثلاثة أخبار لقوله هو مترتبة على قوله الذي يريكم أو أخبار مبتدإ محذوف وهي مختلفة تعريفا وتنكيرا وقرئ رفيع الدرجات بالنصب على المدح ورفيع الدرجات كقوله تعالى ذي المعارج وهي مصاعد الملائكة إلى أن تبلغ العرش وهي دليل على عزته وملكوته وعن ابن جبير سماء فوق سماء والعرش فوقهن ويجوز أن يكون عبارة عن رفعة شأنه وعلو سلطانه كما أن ذا العرش عبارة عن ملكه وقيل هي درجات ثوابه التي ينزلها أولياءه في الجنة (الروح من أمره) الذي هو سبب الحياة من أمره يريد الوحي الذي هو أمر بالخير وبعث عليه فاستعار له الروح كما قال تعالى أومن كان ميتا فأحييناه (لينذر) الله أو الملقى عليه وهو الرسول أو الروح وقرئ لتنذر أي لتنذر الروح لأنها تؤنث أو على خطاب الرسول ❊ وقرئ لينذر يوم التلاق على البناء للمفعول (يوم التلاق) يوم القيامة لأن الخلائق تلتقي فيه وقيل يلتقي فيه أهل السماء وأهل الأرض وقيل المعبود والعابد (يوم هم بارزون) ظاهرون لا يسترهم شيء من جبل أو أكمة أو بناء لأن الأرض بارزة قاع صفصف ولا عليهم ثياب إنما هم عراة مكشوفون كما جاء في الحديث يحشرون عراة حفاة غرلا (لا يخفى على الله منهم شيء) أي من أعمالهم وأحوالهم وعن ابن مسعود رضي الله عنه لا يخفى عليه منهم شيء (فإن قلت) قوله لا يخفى على الله منهم شيء بيان وتقرير لبروزهم والله تعالى لا يخفى عليه منهم شيء برزوا أو لم يبرزوا فما معناه (قلت) معناه أنهم كانوا يتوهمون في الدنيا إذا استتروا بالحيطان والحجب أن الله لا يراهم ويخفى عليه أعمالهم فهم اليوم صائرون من البروز والانكشاف إلى حال لا يتوهمون فيها مثل ما كانوا يتوهمونه قال الله تعالى ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون وقال تعالى يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وذلك لعلمهم أن الناس يبصرونهم وظنهم أن الله لا يبصرهم وهو معنى قوله وبرزوا لله الواحد القهار (لمن الملك اليوم لله الواحد القهار) حكاية لما يسئل عنه في ذلك اليوم ولما يجاب به ومعناه أنه ينادي مناد فيقول لمن الملك اليوم فيجيبه أهل المحشر لله الواحد القهار وقيل يجمع الله الخلائق يوم القيامة في صعيد واحد بأرض بيضاء كأنها سبيكة فضة لم يعص الله فيها قط فأول ما يتكلم به أن ينادي مناد لمن الملك اليوم لله الواحد القهار اليوم تجزى كل نفس الآية فهذا يقتضي أن يكون المنادي هو المجيب ❊ لما قرر أن الملك لله وحده في ذلك اليوم عدد نتائج ذلك وهي أن كل نفس تجزى ما كسبت وأن الظلم مأمون لأن الله ليس بظلام للعبيد وأن الحساب لا يبطئ لأن الله لا يشغله حساب عن حساب فيحاسب الخلق كله في وقت واحد وهو أسرع الحاسبين وعن ابن عباس رضي الله عنهما إذا أخذ في حسابهم لم يقل أهل الجنة إلا فيها ولا أهل النار إلا فيها ❊ الآزفة القيامة سميت بذلك لأزوفها أي لقربها ويجوز أن يريد بيوم الآزفة وقت الخطة الآزفة وهي مشارفتهم دخول النار فعند ذلك ترتفع قلوبهم عن مقارها فتلتصق بحناجرهم فلا هي تخرج فيموتوا ولا ترجع إلى مواضعها فيتنفسوا ويتروحوا ولكنها معترضة كالشجا كما قال تعالى فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا (فإن قلت) (كاظمين) بم انتصب (قلت) هو حال عن أصحاب القلوب على المعنى لأن المعنى إذ قلوبهم لدى حناجرهم كاظمين عليها ويجوز أن يكون حالا عن القلوب وأن القلوب كاظمة على غم وكرب فيها مع بلوغها الحناجر وإنما جمع الكاظم جمع السلامة لأنه وصفها بالكظم الذي هو من أفعال العقلاء كما قال تعالى رأيتهم لي ساجدين وقال فظلت أعناقهم لها خاضعين وتعضده قراءة من قرأ كاظمون ويجوز أن يكون حالا عن قوله وأنذرهم أي وأنذرهم مقدرين أو مشارفين الكظم كقوله تعالى فادخلوها خالدين ❊ الحميم المحب المشفق ❊ والمطاع مجاز في المشفع لأن حقيقة الطاعة نحو حقيقة الأمر في أنها لا تكون إلا لمن فوقك (فإن قلت) ما معنى قوله تعالى (ولا شفيع يطاع) (قلت) يحتمل أن يتناول النفي الشفاعة والطاعة معا وأن يتناول الطاعة دون الشفاعة كما تقول ما عندي كتاب يباع فهو محتمل نفي البيع وحده وأن عندك كتابا إلا أنك لا تبيعه ونفيهما جميعا وأن لا كتاب عندك ولا كونه مبيعا ونحوه ولا ترى الضب بها ينجحر يريد نفي الضب وانجحاره (فإن قلت) فعلى أي الاحتمالين يجب حمله (قلت) على نفي الأمرين جميعا من قبل أن الشفعاء هم أولياء الله وأولياء الله

قوله تعالى ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع (قال فيه يحتمل أن يكون المنفي الشفيع الذي هو الموصوف وصفته وهي الطاعة ويحتمل أن يكون المنفي الصفة وهي الطاعة والشفيع ثابت اهـ كلامه) قلت إنما جاء الاحتمال من حيث دخول النفي على مجموع الموصوف والصفة ونفي المجموع كما يكون بنفي كل واحد من جزئيه كذلك يكون بنفي أحدهما على أن المراد هنا كما قال نفي الأمرين جميعا قال وفائدة ذكر الموصوف أنه كالدليل على نفي الصفة لأنه إذا انتفى الموصوف انتفت الصفة قطعا (قلت) وكأن نفي الصفة مرتين من وجهين [illegible]

* قوله تعالى (يعلم خائنة الأعين) (قال الخائنة اما صفة للنظرة واما مصدر كالعافية قال ولا يحسن ان يراد الخائنة من الاعين لانه لا يساعد عليه قوله تعالى وما تخفي الصدور انتهى كلامه) قلت انما لم يساعد عليه لان خائنة الاعين على هذا التقدير معناه الاعين الخائنة وانما يقابل الاعين الصدور لا ما تخفيه الصدور بخلاف التأويل الاول فان المراد به نظرات الاعين فيطابق خفيات الصدور *
قوله تعالى حكاية عن فرعون ذروني أقتل موسى وليدع ربه (قال فيه) كانوا اذا هموا بقتله (٣١٣) كفوه عنه بقولهم ليس هذا ممن يخاف وانما هو ساحر لا يقاويه الا مثله وقتله

يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور والله يقضي بالحق والذين يدعون من دونه لا يقضون بشيء ان الله هو السميع البصير أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم أشد منهم قوة وآثارا في الأرض فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق ذلك بأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فكفروا فأخذهم الله انه قوي شديد العقاب ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين الى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم وما كيد الكافرين الا في ضلال وقال فرعون ذروني أقتل موسى

لا يحبون ولا يرضون الا من أحبه الله ورضيه وان الله لا يحب الظالمين فلا يحبونهم واذا لم يحبوهم لم ينصروهم ولم يشفعوا لهم قال الله تعالى وما للظالمين من أنصار وقال ولا يشفعون الا لمن ارتضى ولان الشفاعة لا تكون الا في زيادة التفضل وأهل التفضل وزيادته انما هم أهل الثواب بدليل قوله تعالى ويزيدهم من فضله وعن الحسن رضي الله عنه والله ما يكون لهم شفيع البتة (فان قلت) الغرض حاصل بذكر الشفيع ونفيه فما الفائدة في ذكر هذه الصفة ونفيها (قلت) في ذكرها فائدة جليلة وهي أنها ضمت اليه ليقام انتفاء الموصوف مقام الشاهد على انتفاء الصفة لان الصفة لا تتأتى بدون موصوفها فيكون ذلك ازالة لتوهم وجود الموصوف بيانه انك اذا عوتبت على القعود عن الغزو فقلت مالي فرس أركبه ولا معي سلاح أحارب به فقد جعلت عدم الفرس وفقد السلاح علة مانعة من الركوب والمحاربة كأنك تقول كيف يتأتى مني الركوب والمحاربة ولا فرس لي ولا سلاح معي فكذلك قوله ولا شفيع يطاع معناه كيف يتأتى التشفيع ولا شفيع فكان ذكر التشفيع والاستشهاد على عدم تأتيه بعدم الشفيع وضعا لانتفاء الشفيع موضع الامر المعروف غير المنكر الذي لا ينبغي أن يتوهم خلافه * الخائنة صفة للنظرة أو مصدر بمعنى الخيانة كالعافية بمعنى المعافاة والمراد استراق النظر الى ما لا يحل كما يفعل أهل الريب ولا يحسن أن يراد الخائنة من الاعين لان قوله وما تخفي الصدور لا يساعد عليه (فان قلت) بم اتصل قوله (يعلم خائنة الاعين) (قلت) هو خبر من أخبار هو في قوله هو الذي يريكم مثل يلقي الروح ولكن يلقي الروح قد علل بقوله لينذر يوم التلاق ثم استطرد ذكر أحوال يوم التلاق الى قوله ولا شفيع يطاع فبعد لذلك عن أخواته (والله يقضي بالحق) يعني والذي هذه صفاته وأحواله لا يقضي الا بالحق والعدل لاستغنائه عن الظلم * وآلهتكم لا يقضون بشيء وهذا تهكم بهم لان ما لا يوصف بالقدرة لا يقال فيه يقضي أو لا يقضي (ان الله هو السميع البصير) تقرير لقوله يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور ووعيد لهم بأنه يسمع ما يقولون ويبصر ما يعملون وأنه يعاقبهم عليه وتعريض بما يدعون من دون الله وأنها لا تسمع ولا تبصر * وقرئ يدعون بالتاء والياء * هم في (كانوا هم أشد منهم) فصل (فان قلت) من حق الفصل أن لا يقع الا بين معرفتين فما باله واقعا بين معرفة وغير معرفة وهو أشد منهم (قلت) قد ضارع المعرفة في أنه لا تدخله الالف واللام فأجري مجراها * وقرئ منكم وهي في مصاحف أهل الشأم (وآثارا) يريد حصونهم وقصورهم وعددهم وما يوصف بالشدة من آثارهم أو أرادوا أكثر آثارا كقوله متقلدا سيفا ورمحا (وسلطان مبين) وحجة ظاهرة وهي المعجزات فقالوا هو ساحر كذاب فسموا السلطان المبين سحرا وكذبا (فلما جاءهم بالحق) بالنبوة * (فان قلت) أما كان قتل الابناء واستحياء النساء من قبل خيفة أن يولد المولود الذي أنذرته الكهنة بظهوره وزوال ملكه على يده (قلت) قد كان ذلك القتل حينئذ وهذا قتل آخر وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله قالوا اقتلوا أعيدوا عليهم القتل كالذي كان أولا يريد أن هذا قتل غير القتل الاول (في ضلال) في ضياع وذهاب باطلا لم يجد عليهم يعني أنهم باشروا قتلهم أولا فما أغنى عنهم ونفذ قضاء الله باظهار من خافوه فما يغني عنهم هذا القتل الثاني وكان فرعون قد كف عن قتل الولدان فلما بعث موسى وأحس بأنه قد وقع أعاده عليهم غيظا وحنقا وظنا منه أنه يصدهم بذلك عن مظاهرة موسى وما علم أن كيده ضائع في الكرتين جميعا (ذروني أقتل موسى) كانوا

أوقع الشبهة عند الناس

انك انما قتلته خوفا وكان فرعون لعنه الله في ظاهر امره والله أعلم عالما انه نبي خائفا من قتله مع رغبته في ذلك لولا الجزع وأراد أن يكتم خوفه من قتله بان يقول لهم ذروني أقتله ليكفوه عنه فيتسبب الانكفاف عن قتله اليوم لا الى جزعه وخوفه ويدل على خوفه منه لكونه نبيا قوله وليدع ربه وهذا من تمويهاته المعروفة (قلت) هو من جنس قوله ان هؤلاء لشرذمة قليلون وانهم لنا لغائظون وانا لجميع حاذرون فقد تقدم أن مراده بذلك أن يظهر لقومه قلة احتفاله بهم ويوهمهم ان قتاله لهم ليس خوفا منهم ولكن

فيقتلنا عليهم وكان من عادته الحذر والتحصن وحماية الذريعة في المحافظة على حوزة المملكة لان ذلك خوف وهلع ولقد كذب انما كان قواده عتلوا أرعبا * قوله تعالى وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه الآية (قال) الظاهر ان الرجل من آل فرعون وقيل انه من بني اسرائيل ومن آل فرعون (٣١٤) متعلق بيكتم تقديره يكتم ايمانه من آل فرعون وهو بعيد لان بني اسرائيل كان ايمانهم ظاهرا فاشيا وانما استدرجهم هذا المؤمن في الايمان باستشهاده على صدق موسى باحضاره عليه السلام من عند من تنسب اليه الربوبية ببينات عدة لا بينة واحدة وأتى بها معرفة معناه البينات العظيمة التي شهدتموها

وليدع ربه اني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الارض الفساد وقال موسى اني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وان يك كاذبا فعليه كذبه وان يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم

وعرفتموها على ذلك ليلين بذلك جماحهم ويكسر من سورتهم ثم أخذهم بالاحتجاج بطريق التقسيم فقال لا يخلو أن يكون صادقا أو كاذبا فان يك كاذبا فضرر كذبه عائد عليه أو صادقا فيصبكم ان تعرضتم له بعض الذي يعدكم * قال وانما ذكر بعض مع تقديره انه نبي صادق والنبي الانصاف صادق في جميع ما يعد به لانه سلك معهم طريق المناصحة لهم والمداراة فجاء بما هو أقرب الى تسليمهم وأدخل في تصديقهم له ليسمعوا منه ولا يردوا عليه نصيحته وذلك أنه حين فرضه صادقا فقد أثبت أنه صادق في جميع ما يعد ولكنه أردفه يصبكم بعض الذي يعدكم لهضمه بعض حقه في ظاهر الكلام فيريهم أنه ليس بكلام من أعطاه حقه وافيا فضلا عن أن يكون متعصبا له

اذا هم بقتله كفوه بقولهم ليس بالذي تخافه وهو أقل من ذلك وأضعف وما هو الا بعض السحرة ومثله لا يقاوم الا ساحر مثله ويقولون اذا قتلته أدخلت الشبهة على الناس واعتقدوا أنك قد عجزت عن معارضته بالحجة والظاهر أن فرعون لعنه الله كان قد استيقن أنه نبي وأن ما جاء به آيات وما هو بسحر ولكن الرجل كان فيه خب وجربزة وكان قتالا سفاكا للدماء في أهون شئ فكيف لا يقتل من أحس منه بانه هو الذي يثل عرشه ويهدم ملكه ولكنه كان يخاف ان هم بقتله أن يعاجل بالهلاك وقوله (وليدع ربه) شاهد صدق على فرط خوفه منه ومن دعوته ربه وكان قوله ذروني أقتل موسى تمويها على قومه وايهاما أنهم هم الذين يكفونه وما كان يكفه الا ما في نفسه من هول الفزع (أن يبدل دينكم) أن يغير ما أنتم عليه وكانوا يعبدونه ويعبدون الاصنام بدليل قوله ويذرك وآلهتك * والفساد في الارض التقاتل والتهارج الذي يذهب معه الامن وتتعطل المزارع والمكاسب والمعايش ويهلك الناس قتلا وضياعا كانه قال انى أخاف أن يفسد عليكم دينكم بدعوتكم الى دينه أو يفسد عليكم دنياكم بما يظهر من الفتن بسببه وفي مصاحف أهل الحجاز وأن يظهر بالواو ومعناه انى أخاف فساد دينكم ودنياكم معا * وقرئ يظهر من أظهر والفساد منصوبا أى يظهر موسى الفساد وقرئ يظهر بتشديد الظاء والهاء من تظهر بمعنى تظاهر أى تتابع وتعاون * لما سمع موسى عليه السلام بما أجراه فرعون من حديث قتله قال لقومه (انى عذت) بالله الذي هو ربى وربكم وقوله وربكم فيه بعث لهم على أن يقتدوا به فيعوذوا بالله عياذه ويعتصموا بالتوكل عليه اعتصامه وقال (من كل متكبر) لتشمل استعاذته فرعون وغيره من الجبابرة وليكون على طريقة التعريض فيكون أبلغ وأراد بالتكبر الاستكبار عن الاذعان للحق وهو أقبح استكبار وأدله على دناءة صاحبه ومهانة نفسه وعلى فرط ظلمه وعسفه وقال (لا يؤمن بيوم الحساب) لانه اذا اجتمع في الرجل التجبر والتكذيب بالجزاء وقلة المبالاة بالعاقبة فقد استكمل أسباب القسوة والجراءة على الله وعباده ولم يترك عظيمة الا ارتكبها وعذت ولذت أخوان وقرئ عت بالادغام (رجل مؤمن) وقرئ رجل بسكون الجيم كما يقال عضد في عضد وكان قبطيا ابن عم لفرعون آمن بموسى سرا وقيل كان اسرائيليا و(من آل فرعون) صفة لرجل أو صلة ليكتم أى يكتم ايمانه من آل فرعون واسمه سمعان أو حبيب وقيل خربيل أو حزبيل والظاهر أنه كان من آل فرعون فان المؤمنين من بني اسرائيل لم يقلوا ولم يعزوا والدليل عليه قول فرعون أبناء الذين آمنوا معه وقول المؤمن فمن ينصرنا من بأس الله ان جاءنا دليل ظاهر على أنه يتنصح لقومه (أن يقول) لان يقول وهذا انكار منه عظيم وتبكيت شديد كأنه قال أترتكبون الفعلة الشنعاء التى هي قتل نفس محرمة وما لكم علة قط في ارتكابها الا كلمة الحق التى نطق بها وهى قوله (ربى الله) مع أنه لم يحضر لتصحيح قوله بينة واحدة ولكن بينات عدة من عند من نسب اليه الربوبية وهو ربكم لا ربه وحده وهو استدراج لهم الى الاعتراف به وليلين بذلك جماحهم ويكسر من سورتهم ولك أن تقدر مضافا محذوفا أى وقت أن يقول والمعنى أتقتلونه ساعة سمعتم منه هذا القول من غير روية ولا فكر في أمره وقوله (بالبينات) يريد بالبينات العظيمة التى عهدتموها وشهدتموها * ثم أخذهم بالاحتجاج على طريقة التقسيم فقال لا يخلو من أن يكون كاذبا أو صادقا (وان يك كاذبا فعليه كذبه) أى يعود عليه كذبه ولا يتخطاه ضرره (وان يك صادقا يصبكم بعض) ما يعدكم ان تعرضتم له (فان قلت) لم قال بعض (الذى يعدكم) وهو نبي صادق لا بد لما يعدهم أن يصيبهم كله لا بعضه (قلت) لانه احتاج في مقاولة خصوم موسى ومناكريه الى أن يلاوصهم ويداريهم ويسلك معهم طريق

* قال وتقديم الكاذب على الصادق من هذا القبيل اه كلامه (قلت) لقد أحسن الفهم والتفطن لأسرار هذا القول ويناسب تقديم الكاذب على الصادق ههنا قوله تعالى وشهد شاهد من أهلها إن كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين فقدم الشاهد أمارة صدقها على أمارة صدق يوسف وإن كان الصادق هو يوسف دونها لرفع التهمة وإبعاد الظن وإدلالا بأن الحق معه ولا يضره التأخير لهذه الفائدة * وقريب من هذا التصرف لإبعاد التهمة ما في قصة يوسف مع أخيه إذ بدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه حتى

إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الأرض فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا قال فرعون ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد وقال الذي آمن يا قوم إني أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم

قيل إنه لما انتهى إليه قال اللهم ما سرق هذا ولا هو يوسف سارقه فاطمأنت أنفسهم وانزاحت التهمة عن يوسف أن يكون قصده ذلك فقالوا والله لنفتشنه فاستخرجها من وعائه (قال) وقد قيل إن ما لقيه أبو بكر رضي الله عنه مع النبي صلى الله عليه وسلم أشد مما لقيه مؤمن آل فرعون ولقد طاف عليه الصلاة والسلام بالبيت فلقوه فأخذوا بمجامع ردائه وقالوا أنت الذي تنهانا عما كان يعبد آباؤنا فقال عليه السلام أنا ذلك فجاء أبو بكر فالتزمه وقال أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم رافعا صوته وعيناه تسفحان حتى أرسلوه وعن جعفر قال إن مؤمن آل فرعون قال ذلك سرا وقاله أبو بكر جهرا قال وقال مؤمن آل فرعون فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا ليعلمهم أنه يساهمهم فيه فيتقوا نصحه لهم

الإنصاف في القول ويأتيهم من جهة المناصحة فيجيء بما علم أنه أقرب إلى تسليمهم لقوله وأدخل في تصديقهم له وقبولهم منه فقال وإن يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم وهو كلام المنصف في مقاله غير المشتط فيه ليسمعوا منه ولا يردوا عليه وذلك أنه حين فرضه صادقا فقد أثبت أنه صادق في جميع ما يعد ولكنه أردفه يصبكم بعض الذي يعدكم ليهضمه بعض حقه في ظاهر الكلام فيريهم أنه ليس بكلام من أعطاه حقه وافيا فضلا أن يتعصب له أو يرمي بالحصى من ورائه وتقديم الكاذب على الصادق أيضا من هذا القبيل وكذلك قوله إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب (فإن قلت) فعن أبي عبيدة أنه فسر البعض بالكل وأنشد بيت لبيد

تراك أمكنة إذا لم أرضها * أو يرتبط بعض النفوس حمامها

(قلت) إن صحت الرواية عنه فقد حق فيه قول المازني في مسألة العلقى كان أجفى من أن يفقه ما أقول له (إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب) يحتمل أنه إن كان مسرفا كذابا خذله الله وأهلكه ولم يستقم له أمر فيتخلصون منه وأنه لو كان مسرفا كذابا لما هداه الله للنبوة ولما عضده بالبينات وقيل ما لقي أبو بكر من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أشد من ذلك طاف صلى الله عليه وسلم بالبيت فلقوه حين فرغ فأخذوا بمجامع ردائه فقالوا له أنت الذي تنهانا عما كان يعبد آباؤنا فقال أنا ذاك فقام أبو بكر الصديق رضي الله عنه فالتزمه من ورائه وقال أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم رافعا صوته بذلك وعيناه تسفحان حتى أرسلوه وعن جعفر الصادق أن مؤمن آل فرعون قال ذلك سرا وأبو بكر قاله ظاهرا (ظاهرين في الأرض) في أرض مصر عالين فيها على بني إسرائيل يعني أن لكم ملك مصر وقد علوتم الناس وقهرتموهم فلا تفسدوا أمركم على أنفسكم ولا تتعرضوا لبأس الله وعذابه فإنه لا قبل لكم به إن جاءكم ولا يمنعكم منه أحد وقال (ينصرنا) وجاءنا لأنه منهم في القرابة وليعلمهم بأن الذي ينصحهم به هو مساهم لهم فيه (ما أريكم إلا ما أرى) أي ما أشير عليكم برأي إلا بما أرى من قتله يعني لا أستصوب إلا قتله وهذا الذي تقولونه غير صواب (وما أهديكم) بهذا الرأي (إلا سبيل الرشاد) يريد سبيل الصواب والصلاح أو ما أعلمكم إلا ما أعلم من الصواب ولا أدخر منه شيئا ولا أسر عنكم خلاف ما أظهر يعني أن لسانه وقلبه متواطئان على ما يقول وقد كذب فقد كان مستشعرا للخوف الشديد من جهة موسى ولكنه كان يتجلد ولولا استشعاره لم يستشر أحدا ولم يقف الأمر على الإشارة * وقرئ الرشاد فعال من رشد بالكسر كعلام أو من رشد بالفتح كعباد وقيل هو من أرشد كجبار من أجبر وليس بذاك لأن فعالا من أفعل لم يجئ إلا في عدة أحرف نحو دراك وسآر وقصار وجبار ولا يصح القياس على القليل ويجوز أن يكون نسبة إلى الرشد كعواج وبتات غير منظور فيه إلى فعل (مثل يوم الأحزاب) مثل أيامهم لأنه لما أضافه إلى الأحزاب وفسرهم بقوم نوح وعاد وثمود ولم يلبس أن كل حزب منهم كان له يوم دمار اقتصر على الواحد من الجمع لأن المضاف إليه أغنى عن ذلك كقوله * كلوا في بعض بطنكم تعفوا * وقال الزجاج مثل يوم حزب حزب * ودأب هؤلاء دؤوبهم في عملهم من الكفر والتكذيب وسائر المعاصي وكون ذلك دائبا دائما منهم لا يفترون عنه ولا بد من حذف مضاف يريد مثل جزاء دأبهم (فإن قلت) بم انتصب مثل الثاني (قلت) بأنه عطف بيان لمثل الأول لأن آخر ما تناولته الإضافة قوم نوح ولو قلت أهلك الله الأحزاب قوم نوح وعاد وثمود لم يكن إلا عطف بيان لإضافة قوم إلى أعلام فسرى ذلك

* قوله تعالى وما الله يريد ظلما للعباد (قال فيه) يجوز أن يكون معناه معنى وما ربك بظلام للعبيد وهذا أبلغ لانه اذا لم يرد الظلم كان فعله عن
الظلم أبعد وحيث نكر الظلم أيضا كأنه نفى ان يريد ظلما ما لعباده قال ويجوز أن يكون معناه كمعنى قوله ولا يرضى لعباده الكفر فيكون
المعنى ان الله لا يريد لعباده ان يظلموا الا انه دمرهم على كونهم ظالمين (قلت) هذا من الطراز الاول وقد تقدم مذهب أهل السنة فيما
يتعلق بارادة الله تعالى خلافا لهذا وأشياعه * قوله تعالى كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان
أتاهم كبر مقتا عند الله وعند الذين (٣١٦) آمنوا (قال) في اعرابه الذين يجادلون بدل من من هو مسرف لان المراد كل مسرف وجاز
ابداله على معنى من لا على لفظها قال فان قلت ما فاعل كبر وأجاب بانه ضمير من هو مسرف

وما الله يريد ظلما للعباد ويا قوم انى أخاف عليكم يوم التناد يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم ومن يضلل الله فما له من هاد ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم في شك مما جاءكم به حتى اذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الأسباب

الحكم الى أول ما تناولته الاضافة (وما الله يريد ظلما للعباد) يعني أن تدميرهم كان عدلا وقسطا لانهم
استوجبوه بأعمالهم وهو أبلغ من قوله تعالى وما ربك بظلام للعبيد حيث جعل المنفي ارادة الظلم لان من
كان عن ارادة الظلم بعيدا كان عن الظلم أبعد وحيث نكر الظلم كأنه نفى أن يريد ظلما ما لعباده ويجوز أن
يكون معناه كمعنى قوله تعالى ولا يرضى لعباده الكفر أي لا يريد لهم أن يظلموا يعني أنه دمرهم لانهم كانوا
ظالمين * التنادي ما حكى الله تعالى في سورة الاعراف من قوله ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار ونادى
أصحاب النار أصحاب الجنة ويجوز أن يكون تصايحهم بالويل والثبور * وقرئ بالتشديد وهو أن يند بعضهم
من بعض كقوله تعالى يوم يفر المرء من أخيه وعن الضحاك اذا سمعوا زفير النار ندوا هربا فلا يأتون قطرا من
الاقطار الا وجدوا ملائكة صفوفا فبيناهم يموج بعضهم في بعض اذ سمعوا مناديا أقبلوا الى الحساب (تولون
مدبرين) عن قتادة منصرفين عن موقف الحساب الى النار وعن مجاهد فارين عن النار غير معجزين * هو
يوسف بن يعقوب عليهما السلام وقيل هو يوسف بن ابراهيم بن يوسف بن يعقوب أقام فيهم نبيا عشرين سنة
وقيل ان فرعون موسى هو فرعون يوسف عمر الى زمنه وقيل هو فرعون آخر ووبخهم بأن يوسف أتاكم
بالمعجزات فشككتم فيها ولم تزالوا شاكين كافرين (حتى اذا) قبض (قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا) حكما
من عند أنفسكم من غير برهان وتقدمة عزم منكم على تكذيب الرسل فاذا جاءكم رسول جحدتم وكذبتم بناء على
حكمكم الباطل الذي أسستموه وليس قولهم لن يبعث الله من بعده رسولا بتصديق لرسالة يوسف وكيف
وقد شكوا فيها وكفروا بها وانما هو تكذيب لرسالة من بعده مضموم الى تكذيب رسالته * وقرئ ألن يبعث
الله على ادخال همزة الاستفهام على حرف النفي كأن بعضهم يقرر بعضا بنفي البعث * ثم قال (كذلك يضل الله)
أي مثل هذا الخذلان المبين يخذل الله كل مسرف في عصيانه مرتاب في دينه (الذين يجادلون) بدل من من
هو مسرف (فان قلت) كيف جاز ابداله منه وهو جمع وذاك موحد (قلت) لانه لا يريد مسرفا واحدا فكأنه
قال كل مسرف (فان قلت) فما فاعل (كبر) (قلت) ضمير من هو مسرف (فان قلت) أما قلت هو جمع ولهذا
أبدلت منه الذين يجادلون (قلت) بلى هو جمع في المعنى وأما اللفظ فموحد فحمل البدل على معناه والضمير
الراجع اليه على لفظه وليس ببدع أن يحمل على اللفظ تارة وعلى المعنى أخرى وله نظائر ويجوز أن يرفع الذين
يجادلون على الابتداء ولا بد في هذا الوجه من حذف مضاف يرجع اليه الضمير في كبر تقديره جدال الذين
يجادلون كبر مقتا ويحتمل أن يكون الذين يجادلون مبتدأ وبغير سلطان أتاهم خبرا وفاعل كبر قوله (كذلك)
أي كبر مقتا مثل ذلك الجدال ويطبع الله كلام مستأنف ومن قال كبر مقتا عند الله جدالهم فقد حذف الفاعل
والفاعل لا يصح حذفه وفي كبر مقتا ضرب من التعجب والاستعظام لجدالهم والشهادة على خروجه من حد
أشكاله من الكبائر * وقرئ سلطان بضم اللام * وقرئ قلب بالتنوين * ووصف القلب بالتكبر والتجبر
لانه مركزهما ومنبعهما كما تقول رأت العين وسمعت الاذن ونحوه قوله عز وجل فانه آثم قلبه وان كان
الآثم هو الجملة ويجوز أن يكون على حذف المضاف أي على كل ذي قلب متكبر تجعل الصفة لصاحب

فحمل البدل على المعنى والضمير على اللفظ وليس ببدع انتهى كلامه (قلت) فيأتي كبر معاده لها لفظا من بعد ما عاد لها معناها
وهذا مما قدمت أن أهل العربية يستغربونه والاولى ان يجتنب في اعراب القرآن فان فيه ابهاما بعد ايضاح
والمعنى وفي قراءة الآية عكسه والصواب أن يجعل الضمير في قوله كبر راجعا الى مصدر الفعل المتقدم وهو قوله يجادلون تقديره كبر
جدالهم مقتا ويجعل الذين مبتدأ على تأويل حذف المضاف تقديره جدال الذين يجادلون في آيات الله والضمير في قوله كبر مقتا عائد الى
الجدال المحذوف والجملة مبتدأ وخبر ومثله في حذف المصدر المضاف وبناء الكلام عليه قوله تعالى أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد
الحرام كمن آمن بالله على أحد تأويليه ومثله كثير وفيه سوى ذلك من الوجوه السالفة مما يتطرق الى الوجه المتقدم فالوجه المعدول عنه

القلب

* قوله تعالى تدعونني لأكفر بالله وأشرك به ما ليس لي به علم (قال المراد بنفي العلم نفي المعلوم كأنه قال وأشرك به ما ليس بإله وما ليس بإله كيف يصح أن يعلم إلها) قلت وهذا من قبيل * على لاحب لا يهتدى بمناره * أي لا منار له فيهتدى به وكلام الزمخشري ههنا أشد من كلامه على قوله تعالى حكاية عن فرعون ما علمت لكم من إله غيري * قوله تعالى لا جرم أن ما تدعونني إليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة (قال فيه) سياق لا جرم عند البصريين أن يكون لا ردا لما دعاه إليه قومه وجرم بمعنى كسب أي وكسب دعاؤهم إليه بطلان دعوته أي ما حصل من ذلك الا ظهور بطلان دعوته ويجوز أن يكون لا جرم نظير لا بد من الجرم وهو القطع كما أنك تقول لا بد لك أن تفعل والبد من التبديد الذي هو التفريق ومعناه لا مفارقة لك من أن تفعل كذا وكذلك لا جرم معناه لا انقطاع لبطلان دعوة الأصنام بل هي باطلة أبدا

أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذبا وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل وما كيد فرعون إلا في تباب وقال الذي آمن يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد يا قوم إنما هذه الحيوة الدنيا متاع وإن الآخرة هي دار القرار من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب ويا قوم ما لي أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النار تدعونني لأكفر بالله وأشرك به ما ليس لي به علم وأنا أدعوكم إلى العزيز الغفار لا جرم أن ما تدعونني إليه

القاب * وقيل الصرح البناء الظاهر الذي لا يخفى على الناظر وإن بعد اشتقوه من صرح الشيء إذا ظهر و(أسباب السموات) طرقها وأبوابها وما يؤدي إليها وكل ما أداك إلى شيء فهو سبب إليه كالرشاء ونحوه (فإن قلت) ما فائدة هذا التكرير ولو قيل لعلي أبلغ أسباب السموات لأجزأ (قلت) إذا أبهم الشيء ثم أوضح كان تفخيما لشأنه فلما أراد تفخيم ما أمل بلوغه من أسباب السموات أبهمها ثم أوضحها ولأنه لما كان بلوغها أمرا عجيبا أراد أن يورده على نفس متشوقة إليه ليعطيه السامع حقه من التعجب فأبهمه ليشوق إليه نفس هامان ثم أوضحه * وقرئ فأطلع بالنصب على جواب الترجي تشبيها للترجي بالتمني * ومثل ذلك التزيين وذلك الصد (زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل) والمزين إما الشيطان بوسوسته كقوله تعالى وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل أو الله تعالى على وجه التسبيب لأنه مكن الشيطان وأمهله ومثله زينا لهم أعمالهم فهم يعمهون وقرئ وزين له سوء عمله على البناء للفاعل والفعل لله عز وجل دل عليه قوله إلى إله موسى وصد بفتح الصاد وضمها وكسرها على نقل حركة العين إلى الفاء كما قيل قيل * والتباب الخسران والهلاك وصد مصدر معطوف على سوء عمله وصدوا هو وقومه * قال (أهدكم سبيل الرشاد) فأجمل لهم ثم فسر فافتتح بذم الدنيا وتصغير شأنها لأن الإخلاد إليها هو أصل الشر كله ومنه يتشعب جميع ما يؤدي إلى سخط الله ويجلب الشقاوة في العاقبة وثنى بتعظيم الآخرة والاطلاع على حقيقتها وأنها هي الوطن والمستقر وذكر الأعمال سيئها وحسنها وعاقبة كل منهما ليثبط عما يتلف وينشط لما يزلف ثم وازن بين الدعوتين دعوته إلى دين الله الذي ثمرته النجاة ودعوتهم إلى اتخاذ الأنداد الذي عاقبته النار وحذر وأنذر واجتهد في ذلك واحتشد لا جرم أن الله استثناه من آل فرعون وجعله حجة عليهم وعبرة للمعتبرين وهو قوله تعالى فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب وفي هذا أيضا دليل بين على أن الرجل كان من آل فرعون والرشاد نقيض الغي وفيه تعريض شبيه بالتصريح أن ما عليه فرعون وقومه هو سبيل الغي (فلا يجزى إلا مثلها) لأن الزيادة على مقدار جزاء السيئة قبيحة لأنها ظلم وأما الزيادة على مقدار جزاء الحسنة فحسنة لأنها فضل * وقرئ يدخلون ويدخلون (بغير حساب) واقع في مقابلة إلا مثلها يعني أن جزاء السيئة له حساب وتقدير لئلا يزيد على الاستحقاق فأما جزاء العمل الصالح فبغير تقدير وحساب بل ما شئت من الزيادة على الحق والكثرة والسعة (فإن قلت) لم كرر نداء قومه ولم جاء بالواو في النداء الثالث دون الثاني (قلت) أما تكرير النداء ففيه زيادة تنبيه لهم وإيقاظ عن سنة الغفلة وفيه أنهم قومه وعشيرته وهم فيما يوبقهم وهو يعلم وجه خلاصهم ونصيحتهم عليه واجبة فهو يتحزن لهم ويتلطف بهم ويستدعي بذلك أن لا يتهموه فإن سرورهم سروره وغمهم غمه وينزلوا على تنصيحه لهم كما كرر إبراهيم عليه السلام في نصيحة أبيه يا أبت وأما المجيء بالواو العاطفة فلأن الثاني داخل على كلام هو بيان للمجمل وتفسير له فأعطى الداخل عليه حكمه في امتناع دخول الواو وأما الثالث فداخل على كلام ليس بتلك المثابة * يقال دعاه إلى كذا ودعاه له كما تقول هداه إلى الطريق وهداه له (ما ليس لي به علم) أي بربوبيته والمراد بنفي العلم نفي المعلوم كأنه قال وأشرك به ما ليس بإله وما ليس بإله كيف يصح أن يعلم إلها (لا جرم) سياقه على مذهب البصريين أن يجعل لا ردا لما دعاه إليه قومه وجرم فعل بمعنى حق وأن مع ما في حيزه فاعله أي حق ووجب بطلان دعوته أو بمعنى كسب من قوله تعالى ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا أي كسب ذلك الدعاء إليه بطلان دعوته على معنى أنه ما حصل من ذلك إلا ظهور بطلان دعوته ويجوز أن يقال إن لا جرم نظير لا بد فعل من الجرم وهو

القطع كان بدا فعل من التبديد وهو التفريق فكما أن معنى لا بد أنك تفعل كذا بمعنى لا بعد لك من فعله فكذلك لا جرم أن لهم النار أي لا قطع لذلك بمعنى أنهم أبدا يستحقون النار لا انقطاع لاستحقاقهم ولا قطع لبطلان دعوة الاصنام أي لا تزال باطلة لا ينقطع ذلك فينقلب حقا وروى عن العرب لا جرم أنه يفعل بضم الجيم وسكون الراء بزنة بد وفعل وفعل أخوان كرشد ورشد وعدم وعدم (ليس له دعوة) معناه أن ما تدعونني اليه ليس له دعوة الى نفسه قط أي من حق المعبود بالحق ان يدعو العباد الى طاعته ثم يدعو العباد اليها اظهارا لدعوة ربهم وما تدعون اليه والى عبادته لا يدعو هو الى ذلك ولا يدعي الربوبية ولو كان حيوانا ناطقا لضج من دعائكم وقوله (في الدنيا ولا في الآخرة) يعني أنه في الدنيا جماد لا يستطيع شيئا من دعاء وغيره وفي الآخرة اذا أنشأه الله حيوانا تبرأ من الدعاة اليه ومن عبدته وقيل معناه ليس له استجابة دعوة تنفع في الدنيا ولا في الآخرة أو دعوة مستجابة جعلت الدعوة التي لا استجابة لها ولا منفعة فيها كلا دعوة أو سميت الاستجابة باسم الدعوة كما سمي الفعل المجازى عليه باسم الجزاء في قولهم كما تدين تدان قال الله تعالى له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشئ (المسرفين) عن قتادة المشركين وعن مجاهد السفاكين للدماء بغير حلها وقيل الذين غلب شرهم خيرهم هم المسرفون * وقرئ فستذكرون أي فسيذكر بعضكم بعضا (وأفوض أمري الى الله) لأنهم توعدوه (فوقاه الله سيئات ما مكروا) شدائد مكرهم وما هموا به من الحاق أنواع العذاب بمن خالفهم وقيل نجا مع موسى (وحاق بآل فرعون) ما هموا به من تعذيب المسلمين ورجع عليهم كيدهم (النار) بدل من سوء العذاب أو خبر مبتدإ محذوف كأن قائلا قال ما سوء العذاب فقيل هو النار أو مبتدأ خبره (يعرضون عليها) وفي هذا الوجه تعظيم للنار وتهويل من عذابها وعرضهم عليها احراقهم بها يقال عرض الامام الاسارى على السيف اذا قتلهم به * وقرئ النار بالنصب وهي تعضد الوجه الاخير وتقديره يدخلون النار يعرضون عليها ويجوز أن ينتصب على الاختصاص (غدوا وعشيا) في هذين الوقتين يعذبون بالنار وفيما بين ذلك الله أعلم بحالهم فاما أن يعذبوا بجنس آخر من العذاب أو ينفس عنهم ويجوز أن يكون غدوا وعشيا عبارة عن الدوام هذا ما دامت الدنيا فاذا قامت الساعة قيل لهم (ادخلوا) يا (آل فرعون أشد) عذاب جهنم وقرئ أدخلوا آل فرعون أي يقال لخزنة جهنم أدخلوهم (فان قلت) قوله وحاق بآل فرعون سوء العذاب معناه أنه رجع عليهم ما هموا به من المكر بالمسلمين كقول العرب من حفر لأخيه جبا وقع فيه منكبا فاذا فسر سوء العذاب بنار جهنم لم يكن مكرهم راجعا عليهم لأنهم لا يعذبون بجهنم (قلت) يجوز أن يهم الانسان بأن يغرق قوما فيحرق بالنار ويسمى ذلك حيقا لأنه هم بسوء فأصابه ما يقع عليه اسم السوء ولا يشترط في الحيق أن يكون الحائق ذلك السوء بعينه ويجوز أن يهم فرعون لما سمع انذار المؤمن بالنار وقول المؤمن وأن المسرفين هم أصحاب النار فيفعل نحو ما فعل نمروذ ويعذبهم بالنار فحاق به مثل ما أضمره وهم بفعله ويستدل بهذه الآية على اثبات عذاب القبر * واذكر وقت يتحاجون (تبعا) تباعا كخدم في جمع خادم أو ذوي تبع أي اتباع أو وصفا بالمصدر * وقرئ كلا على التأكيد لاسم ان وهو معرفة والتنوين عوض من المضاف اليه يريد انا كلنا أو كلنا فيها (فان قلت) هل يجوز أن يكون كلا حالا قد عمل فيها فيها (قلت) لا لان الظرف لا يعمل في الحال متقدمة كما يعمل في الظرف متقدما تقول كل يوم لك ثوب ولا تقول قائما في الدار زيد (قد حكم بين العباد) قضى بينهم وفصل بأن أدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار (لخزنة جهنم) للقوام بتعذيب أهلها (فان قلت) هلا قيل الذين في النار لخزنتها (قلت) لأن في ذكر جهنم تهويلا وتفظيعا ويحتمل أن جهنم هي أبعد النار قعرا من قولهم بئر جهنام بعيدة القعر وقولهم في النابغة جهنام تسمية بها لزعمهم أنه يلقي الشعر على لسان المنتسب اليه فهو بعيد الغور في علمه بالشعر كما قال

ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة وأن مردنا الى الله وأن المسرفين هم أصحاب النار فستذكرون ما أقول لكم وأفوض أمري الى الله ان الله بصير بالعباد فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب واذ يتحاجون في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا فهل أنتم مغنون عنا نصيبا من النار قال الذين استكبروا انا كل فيها ان الله قد حكم بين العباد وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب قالوا

* قوله تعالى وقال الذين في النار لخزنة جهنم (قال) فان قلت فهلا قيل لخزنتها وأجاب ان في ذكر جهنم تهويلا وتفظيعا ويحتمل ان جهنم هي أبعد النار قعرا من قولهم بئر جهنام أي بعيدة القعر وكان النابغة يسمى جهنام لبعد غوره في الشعر انتهى كلامه (قلت) الاول أظهر والتفخيم فيه من وجهين أحدهما وضع الظاهر موضع المضمر وهو الذي أشار اليه والثاني ذكره وهو شيء واحد بظاهر غير الاول أفظع منه لان جهنم أفظع من النار اذ النار مطلقة وجهنم أشدها

قوله تعالى قالوا فادعوا (قال في معناه انهم لما ألزموهم الحجة بقولهم أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات واعترفوا بذلك وكان في ضمن
ذلك انهم ضيعوا أوقات الدعاء وأسباب الاجابة وراءهم قالوا لهم فادعوا وأنتم معناه انا نحن لا نجترئ ان ندعو لكم فادعوا أنتم وليس قولهم
فادعوا ترجية للكفار ولكن قطعا لرجائهم لانه اذا لم يسمع دعاء الملك المقرب فكيف يسمع دعاء الكافر * قوله تعالى يوم لا ينفع الظالمين
معذرتهم (قال فيه يحتمل انهم يعتذرون بمعذرة لكنها لا تنفعهم لانها باطلة ويحتمل انهم لا يعتذرون ولو جاؤا بمعذرة لم تكن مقبولة
انتهى كلامه) قلت هذا الاحتمال الاخير في قوله تعالى ولا شفيع يطاع ولكن بين (٣١٩) الموضعين فرقا يصير أحدهما
منه عكس الآخر

أبو نواس في خلف الاحمر قليذم من العيالم الخسف وفيها أعتى الكفار وأطغاهم فلعل الملائكة الموكلين
بعذاب أولئك أجوب دعوة لزيادة قربهم من الله تعالى فلهذا تعمدهم أهل النار بطلب الدعوة منهم (أولم
تك تأتيكم) الزام للحجة وتوبيخ وانهم خلفوا وراءهم أوقات الدعاء والتضرع وعطلوا الاسباب التي يستجيب
الله لها الدعوات (قالوا فادعوا) أنتم فانا لا نجترئ على ذلك ولا نشفع الا بشرطين كون المشفوع له غير ظالم
والاذن في الشفاعة مع مراعاة وقتها وذلك قبل الحكم الفاصل بين الفريقين وليس قولهم فادعوا لرجاء
المنفعة ولكن للدلالة على الخيبة فان الملك المقرب اذا لم يسمع دعاؤه فكيف يسمع دعاء الكافر (في الحيوة
الدنيا ويوم يقوم الاشهاد) أي في الدنيا والآخرة يعني أنه يغلبهم في الدارين جميعا بالحجة والظفر على مخالفيهم
وان غلبوا في الدنيا بعض الاحايين امتحانا من الله فالعاقبة لهم ويتيح الله من يقتص من أعدائهم ولو بعد
حين والاشهاد جمع شاهد كصاحب وأصحاب يريد الحفظة من الملائكة والانبياء والمؤمنين من أمة محمد
صلى الله عليه وسلم لتكونوا شهداء على الناس واليوم الثاني بدل من الاول يحتمل انهم يعتذرون بمعذرة
ولكنها لا تنفع لانها باطلة وانهم لو جاؤا بمعذرة لم تكن مقبولة لقوله تعالى ولا يؤذن لهم فيعتذرون (ولهم
اللعنة) البعد من رحمة الله (ولهم سوء الدار) أي سوء دار الآخرة وهو عذابها وقرئ تقوم ولا تنفع بالتاء
والياء يريد بالهدى جميع ما آتاه في باب الدين من المعجزات والتوراة والشرائع (وأورثنا) وتركنا على
بني اسرائيل من بعده (الكتاب) أي التوراة (هدى وذكرى) ارشادا وتذكرة وانتصابهما على المفعول له
أو على الحال وأولو الالباب المؤمنون به العاملون بما فيه (فاصبر ان وعد الله حق) يعني ان نصرة الرسل
في ضمان الله وضمان الله لا يخلف واستشهد بموسى وما آتاه من أسباب الهدى والنصرة على فرعون وجنوده
وابقاء آثار هداه في بني اسرائيل والله ناصرك كما نصرهم ومظهرك على الدين كله ومبلغ ملك أمتك مشارق
الارض ومغاربها فاصبر على ما يجرعك قومك من الغصص فان العاقبة لك وما سبق به وعدي من نصرتك
واعلاء كلمتك حق وأقبل على التقوى واستدرك الفرطات بالاستغفار ودم على عبادة ربك والثناء عليه
(بالعشي والابكار) وقيل هما صلاتا العصر والفجر (ان في صدورهم الا كبر) الا تكبر وتعظم وهو ارادة
التقدم والرياسة وأن لا يكون أحد فوقهم ولذلك عادوك ودفعوا آياتك خيفة أن تتقدمهم ويكونوا تحت
يدك وأمرك ونهيك لان النبوة تحتها كل ملك ورياسة أو ارادة أن تكون لهم النبوة دونك حسدا وبغيا
ويدل عليه قوله تعالى لو كان خيرا ما سبقونا اليه أو ارادة دفع الآيات بالجدال (ماهم ببالغيه) أي ببالغي
موجب الكبر ومقتضيه وهو متعلق ارادتهم من الرياسة أو النبوة أو دفع الآيات وقيل المجادلون هم اليهود
وكانوا يقولون يخرج صاحبنا المسيح بن داود يريدون الدجال ويبلغ سلطانه البر والبحر وتسير معه الانهار
وهو آية من آيات الله فيرجع الينا الملك فسمى الله تمنيهم ذلك كبرا ونفى أن يبلغوا متمناهم (فاستعذ بالله)
فالتجئ اليه من كيد من يحسدك ويبغي عليك (انه هو السميع) لما تقول ويقولون (البصير) بما تعمل ويعملون
فهو ناصرك عليهم وعاصمك من شرهم (فان قلت) كيف اتصل قوله (لخلق السموات والارض) بما قبله

أولم تك تأتيكم رسلكم
بالبينات قالوا بلى قالوا
فادعوا وما دعاء الكافرين
الا في ضلال انا لننصر
رسلنا والذين آمنوا في
الحيوة الدنيا ويوم يقوم
الاشهاد يوم لا ينفع
الظالمين معذرتهم ولهم
اللعنة ولهم سوء الدار
ولقد آتينا موسى الهدى
وأورثنا بني اسرائيل
الكتاب هدى وذكرى
لاولي الالباب فاصبر
ان وعد الله حق واستغفر
لذنبك وسبح بحمد ربك
بالعشي والابكار ان
الذين يجادلون في آيات
الله بغير سلطان أتاهم
ان في صدورهم الا كبر
ماهم ببالغيه فاستعذ
بالله انه هو السميع
البصير لخلق السموات
والارض أكبر من
خلق الناس ولكن أكثر
الناس

وذلك أنهما على تقدير
أن يكون المراد انهم لا
معذرة لهم البتة يكون
قد نفى صفة المعذرة
هي المنفعة التي لها تراد المعذرة قطعا لرجائهم كي لا يعتذروا البتة كأنه قيل اذا لم يحصل ثمرة المعذرة فكيف يقع ما لا ثمرة له وفي الآية
المتقدمة جعل نفي الموصوف بنفي الصفة وهذا أولى النفي في هذه الآية الفعل وفي المتقدمة أولى النفي الذات المنسوب اليها الفعل
قوله تعالى لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس (قال فيه) فان قلت كيف اتصل قوله لخلق السموات والارض بما قبله

وأجاب بان مجادلتهم في آيات الله كانت مشتملة على انكار البعث وهو أصل المجادلة ومدارها فحجوا بخلق السموات والارض لانهم كانوا مقرين بأن الله خالقها وبأنها خلق عظيم بخلق الناس بالقياس اليه شئ قليل مهين فمن قدر على خلقها مع عظمها كان على الانسان الضعيف أقدر وهو أبلغ من الاستشهاد بخلق مثله انتهى كلامه (قلت) الاولوية في هذا الاستشهاد ثابتة بدرجتين أحدهما ما ذكره من ان القادر على العظيم هو على الحقير أقدر الثانية أن مجادلتهم كانت في البعث وهو الاعادة ولا شك ان الابتداء أعظم وأصعب من الاعادة فاذا كان ابتداء خلق العظيم (٣٢٠) يعني السموات والارض داخلا تحت القدرة فابتداء خلق الحقير يعني الناس ادخل تحتها واعادته ادخل من ابتدائه فهو أولى بأن يكون مقدورا عليه مما اعترفوا به من خلق السموات والأرض بدرجتين والى هذا الترتيب وقعت الاشارة بقوله تعالى في الم غلبت الروم ومن آياته أن تقوم السماء والارض بامره ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا أنتم تخرجون فقرر أن قيام السماء والارض هو بامره أي بخلقه من آياته فكيف يعادها هو أحط من قيامها بدرجتين وهو اعادة البشر أهون عليه من الابتداء لتحقق الدرجتان المذكورتان فقال تعالى وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه واذا تأملت الذي ذكرته ظهر لك أن ما ذكره الزمخشري علمت أن ما ذكره هو لباب المراد فخذ عهدا به ان لم تعهد ذلك قوله تعالى ولكن أكثر الناس لا يشكرون (قال فيه) هلا قيل ولكن أكثرهم فيستغني عن التكرير وأجاب بأن في التكرير تخصيصا لكفران النعمة بهم وانهم هم الذين يكفرون فضل الله ولا يشكرونه ان الانسان لكفور ان الانسان لربه لكنود ان الانسان لظلوم كفار

لا يعلمون وما يستوي الاعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء قليلا ما تتذكرون ان الساعة لآتية لا ريب فيها ولكن أكثر الناس لا يؤمنون وقال ربكم ادعوني أستجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا ان الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون ذلكم الله ربكم خالق كل شئ لا اله الا هو

(قلت) ان مجادلتهم في آيات الله كانت مشتملة على انكار البعث وهو أصل المجادلة ومدارها فحجوا بخلق السموات والارض لانهم كانوا مقرين بأن الله خالقها وبأنها خلق عظيم لا يقادر قدره وخلق الناس بالقياس اليه شئ قليل مهين فمن قدر على خلقها مع عظمها كان على خلق الانسان مع مهانته أقدر وهو أبلغ من الاستشهاد بخلق مثله (لا يعلمون) لانهم لا ينظرون ولا يتأملون لغلبة الغفلة عليهم واتباعهم أهواءهم ضرب الاعمى والبصير مثلا للمحسن والمسيء وقرئ يتذكرون بالياء والتاء والتاء أعم (لا ريب فيها) لا بد من مجيئها ولا محالة وليس بمرتاب فيها لانه لا بد من جزاء (لا يؤمنون) لا يصدقون بها (ادعوني) اعبدوني والدعاء بمعنى العبادة كثير في القرآن ويدل عليه قوله تعالى ان الذين يستكبرون عن عبادتي والاستجابة الاثابة وفي تفسير مجاهد اعبدوني أثبكم وعن الحسن وقد سئل عنها اعملوا وأبشروا فانه حق على الله أن يستجيب للذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله وعن الثوري انه قيل له ادع الله فقال ان ترك الذنوب هو الدعاء وفي الحديث اذا شغل عبدي طاعتي عن الدعاء أعطيته أفضل ما أعطي السائلين وروى النعمان بن بشير رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الدعاء هو العبادة وقرأ هذه الآية ويجوز أن يريد الدعاء والاستجابة على ظاهرها ويريد بعبادتي دعائي لان الدعاء باب من العبادة ومن أفضل أبوابها يصدقه قول ابن عباس رضي الله عنه أفضل العبادة الدعاء وعن كعب أعطى الله هذه الامة ثلاث خلال لم يعطهن الا نبيا مرسلا كان يقول لكل نبي أنت شاهدي على خلقي وقال لهذه الامة لتكونوا شهداء على الناس وكان يقول ما عليك من حرج وقال لنا ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج وكان يقول ادعني أستجب لك وقال لنا ادعوني أستجب لكم وعن ابن عباس وحدوني أغفر لكم وهذا تفسير للدعاء بالعبادة ثم للعبادة بالتوحيد (داخرين) صاغرين (مبصرا) من الاسناد المجازي لان الابصار في الحقيقة لاهل النهار (فان قلت) لم قرن الليل بالمفعول له والنهار بالحال وهلا كانا حالين أو مفعولا لهما فيراعى حق المقابلة (قلت) هما متقابلان من حيث المعنى لان كل واحد منهما يؤدي مؤدى الآخر ولانه لو قيل لتبصروا فيه فاتت الفصاحة التي في الاسناد المجازي ولو قيل ساكنا والليل يجوز أن يوصف بالسكون على الحقيقة ألا ترى الى قولهم ليل ساج وساكن لا ريح فيه لم تتميز الحقيقة من المجاز (فان قلت) فهلا قيل لمفضل أو لمتفضل (قلت) لان الغرض تنكير الفضل وأن يجعل فضلا لا يوازيه فضل وذلك انما يستوي بالاضافة (فان قلت) فلو قيل ولكن أكثرهم فلا يتكرر ذكر الناس (قلت) في هذا التكرير تخصيص لكفران النعمة بهم وأنهم هم الذين يكفرون فضل الله ولا يشكرونه كقوله ان الانسان لكفور ان الانسان لربه لكنود ان الانسان لظلوم كفار (ذلكم) المعلوم المتميز بالافعال الخاصة التي لا يشاركه فيها أحد هو (الله ربكم خالق كل شئ لا اله الا هو) أخبار مترادفة أي هو الجامع لهذه الاوصاف من الالهية والربوبية

قوله تعالى قل انى نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءنى البينات من ربى (قال فيه) فان قلت النبى عليه الصلاة والسلام قد اتضحت له أدلة العقل على التوحيد قبل مجىء الوحى فعلام تحمل الآية وأجاب بان الامر كذلك ولكن البينات مقوية لادلة العقل ومؤكدة لها ومتضمنة ذكرها نحو قوله أتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون واشباه ذلك من التنبيه على أدلة العقل والسمع جميعا وانما ذكر ما يدل على الامرين جميعا لان ذكر الامرين أقوى فى ابطال مذهبهم وان كانت أدلة العقل وحدها كافية انتهى كلامه (قلت) اللائق بقواعد السنة أن يقال أما معرفة الله تعالى ومعرفة وحدانيته واستحالة كون الاصنام آلهة فمستفاد من أدلة

فأنى تؤفكون كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون الله الذى جعل لكم الارض قرارا (٣٤١) والسماء بناء وصوركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين هو الحى لا اله الا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين قل انى نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءنى البينات من ربى وأمرت أن أسلم لرب العالمين هو الذى خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخا ومنكم من يتوفى من قبل ولتبلغوا أجلا مسمى ولعلكم تعقلون هو الذى يحيى ويميت فاذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون ألم تر الى الذين يجادلون فى آيات الله أنى يصرفون الذين كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا فسوف يعلمون اذ الاغلال فى أعناقهم والسلاسل

والربوبية وخالق كل شىء وانشاؤه لا يمتنع عليه شىء والوحدانية لا ثانى له (فأنى تؤفكون) فكيف ومن أى وجه تصرفون عن عبادته الى عبادة الاوثان * ثم ذكر أن كل من جحد بآيات الله ولم يتأملها ولم يكن فيه همة طلب الحق وخشية العاقبة أفك كما أفكوا * وقرئ خالق كل شىء نصبا على الاختصاص وتؤفكون بالتاء والياء * هذه أيضا دلالة أخرى على تميزه بأفعال خاصة وهى أنه جعل الارض مستقرا (والسماء بناء) أى قبة ومنه أبنية العرب لمضاربهم لان السماء فى منظر العين كقبة مضروبة على وجه الارض (فأحسن صوركم) وقرئ بكسر الصاد والمعنى واحد قيل لم يخلق حيوانا أحسن صورة من الانسان وقيل لم يخلقهم منكوسين كالبهائم كقوله تعالى فى أحسن تقويم (فادعوه) فاعبدوه (مخلصين له الدين) أى الطاعة من الشرك والرياء قائلين (الحمد لله رب العالمين) وعن ابن عباس رضى الله عنهما من قال لا اله الا الله فليقل على أثرها الحمد لله رب العالمين * (فان قلت) أما نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عبادة الاوثان بأدلة العقل حتى جاءته البينات من ربه (قلت) بلى ولكن البينات لما كانت مقوية لادلة العقل ومؤكدة لها ومتضمنة ذكرها نحو قوله تعالى أتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون وأشباه ذلك من التنبيه على أدلة العقل كان ذكر البينات ذكر الادلة العقل والسمع جميعا وانما ذكر ما يدل على الامرين جميعا لان ذكر تناصر الادلة أدلة العقل وأدلة السمع أقوى فى ابطال مذهبهم وان كانت أدلة العقل وحدها كافية (لتبلغوا أشدكم) متعلق بفعل محذوف تقديره ثم يبقيكم لتبلغوا وكذلك لتكونوا وأما (ولتبلغوا أجلا مسمى) فمعناه ونفعل ذلك لتبلغوا أجلا مسمى وهو وقت الموت وقيل يوم القيامة * وقرئ شيوخا بكسر الشين وشيخا على التوحيد كقوله طفلا والمعنى كل واحد منكم أو اقتصر على الواحد لان الغرض بيان الجنس (من قبل) من قبل الشيخوخة أو من قبل هذه الاحوال اذا خرج سقطا (ولعلكم تعقلون) ما فى ذلك من العبر والحجج (فاذا قضى أمرا فانما) يكونه من غير كلفة ولا معاناة جعل هذا نتيجة من قدرته على الاحياء والاماتة وسائر ما ذكر من أفعاله الدالة على أن مقدورا لا يمتنع عليه كأنه قال فلذلك من الاقتدار اذا قضى أمرا كان أهون شىء وأسرعه (بالكتاب) بالقرآن (وبما أرسلنا به رسلنا) من الكتب (فان قلت) وهل قوله (فسوف يعلمون اذ الاغلال فى أعناقهم) الا مثل قولك سوف أصوم أمس (قلت) المعنى على اذا الآن الامور المستقبلة لما كانت فى أخبار الله تعالى متيقنة مقطوعا بها عبر عنها بلفظ ما كان ووجد والمعنى على الاستقبال * وعن ابن عباس والسلاسل يسحبون بالنصب وفتح الياء على عطف الجملة الفعلية على الاسمية وعنه والسلاسل يسحبون بجر السلاسل ووجهه أنه لو قيل اذ أعناقهم فى الاغلال مكان قوله اذ الاغلال فى أعناقهم لكان صحيحا مستقيما فلما كانتا عبارتين معتقبتين حمل قوله والسلاسل على العبارة الأخرى ونظيره

مشائيم ليسوا مصلحين عشيرة * ولا ناعب الا ببين غرابها

العقول وقد ترد الادلة العقلية فى مضامين السمعيات وأما وجوب عبادة الله تعالى وتحريم عبادة الاصنام فحكم شرعى لا يستفاد الا من السمع فعلى هذا يترك الجواب عن هذا السؤال وقوله تعالى انى نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله الخ أريد به والله أعلم تحريم عبادة غير الله فهذا لا يستفاد الا من نهى الله تعالى عن ذلك لا من العقل لكن قاعدة الزمخشرى تقتضى أن تحريم عبادة غير الله تعالى تتلقى من العقل قبل ورود الشرع اذ العقل عنده حاكم بمقتضى التحسين والتقبيح ولهذا أورد الاشكال عليه واحتاج الى الجواب عنه ثم قوله فى الجواب ان أدلة الشرع مقوية لادلة العقل ضعيف مع اعتقاده ان العقل يدل على الحكم قطعا وما دل قطعا كيف يحتمل الزيادة والتأكيد والقطعيات لا تفاوت فى ثبوتها

* قوله تعالى فادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين (قال فيه) فان قلت كان قياس النظم أن يقال فبئس مدخل المتكبرين كما تقول زر بيت الله فنعم المزار وأجاب بان الدخول الموقت بالخلود في معنى الثواء * قوله تعالى فاما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك فالينا يرجعون (قال فيه المصحح للحاق النون المؤكدة دخول ما المؤكدة للشرط ولولا ما لم يجز دخولها) * قلت وانما كان كذلك لان النون المؤكدة حقها ان تدخل في غير الواجب والشرط من قبيل الواجب الا أنه اذا أكد قوي ابهامه فقربته قوة الابهام من غير الواجب فساغ دخول النون فيه * ثم قال وقوله تعالى أو نتوفينك اما أن يشرك مع الاول في الشرط ويكون قوله فالينا يرجعون جزاء مشتركا بينهما فلا يستقيم المعنى على فاما نرينك بعض الذي نعدهم فالينا يرجعون وان جعل الجزاء مختصا بالثاني بقي الاول بغير جزاء وأجاب بأنه مختص بالثاني وجزاء الاول محذوف تقديره فاما نرينك بعض الذي نعدهم وهو ما حل بهم يوم بدر فذاك أو نتوفينك فالينا يرجعون فننتقم منهم اهـ كلامه (قلت) وانما حذف جواب الاول دون الثاني لان الاول ان وقع فذاك غاية الامل في انكائهم فالثابت على تقدير وقوعه معلوم وهو حصول المراد على التمام وأما ان لم يقع ووقع الثاني وهو توفيه قبل حلول انكائهم فهذا هو الذي يحتاج الى ذكره للتسلية وتطمين النفس على أنه وان تأخر جزاؤهم عن الدنيا فهو حتم في الآخرة ولا بد منه * قال ومثله قوله تعالى فاما نذهبن بك فانا منهم منتقمون أو نرينك الذي وعدناهم فانا عليهم مقتدرون كأنه يستشهد على أن جزاء الاول محذوف بذكره هذه الآية

كأنه قيل يسحبون وقرئ وبالسلاسل يسحبون (في النار يسجرون) من سجر التنور اذا ملأه بالوقود ومنه السجير كأنه سجر بالحب أي ملئ ومعناه أنهم في النار فهي محيطة بهم وهم مسجورون بالنار مملوءة بها أجوافهم ومنه قوله تعالى نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة اللهم أجرنا من نارك فانا عائذون بجوارك (ضلوا عنا) غابوا عن عيوننا فلا نراهم ولا ننتفع بهم (فان قلت) أما ذكرت في تفسير قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنهم مقرونون بآلهتهم فكيف يكونون معهم وقد ضلوا عنهم (قلت) يجوز أن يضلوا عنهم اذا وبخوا وقيل لهم أينما كنتم تشركون من دون الله فيغيثوكم ويشفعوا لكم وأن يكونوا معهم في سائر الاوقات وأن يكونوا معهم في جميع أوقاتهم الا أنهم لما لم ينفعوهم فكأنهم ضالون عنهم (بل لم نكن ندعوا من قبل شيأ) أي تبين لنا أنهم لم يكونوا شيأ وما كنا نعبد بعبادتهم شيأ كما تقول حسبت أن فلانا شيء فاذا هو ليس بشيء اذا خبرته فلم تر عنده خيرا (كذلك يضل الله الكافرين) مثل ضلال آلهتهم عنهم يضلهم عن آلهتهم حتى لو طلبوا الآلهة أو طلبتهم الآلهة لم يتصادفوا (ذلكم) الاضلال بسبب ما كان لكم من الفرح والمرح (بغير الحق) وهو الشرك وعبادة الاوثان (ادخلوا أبواب جهنم) السبعة المقسومة لكم قال الله تعالى لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم (خالدين) مقدرين الخلود (فبئس مثوى المتكبرين) عن الحق المستخفين به مثواكم أو جهنم (فان قلت) أليس قياس النظم أن يقال فبئس مدخل المتكبرين كما تقول زر بيت الله فنعم المزار وصل في المسجد الحرام فنعم المصلى (قلت) الدخول الموقت بالخلود في معنى الثواء (فاما نرينك) أصله فان نرك وما مزيدة لتأكيد معنى الشرط ولذلك ألحقت النون بالفعل ألا تراك لا تقول ان تكرمني أكرمك ولكن اما تكرمني أكرمك * (فان قلت) لا يخلو اما أن تعطف (أو نتوفينك) على نرينك وتشركهما في جزاء واحد وهو قوله تعالى (فالينا يرجعون) فقولك فاما نرينك بعض الذي نعدهم فالينا يرجعون غير صحيح وان جعلت فالينا يرجعون مختصا بالمعطوف الذي هو نتوفينك بقي المعطوف عليه بغير جزاء (قلت) فالينا يرجعون متعلق بنتوفينك وجزاء نرينك محذوف تقديره فاما نرينك بعض الذي نعدهم من العذاب وهو القتل والاسر يوم بدر فذاك أو ان نتوفينك قبل يوم بدر فالينا يرجعون يوم القيامة فننتقم منهم أشد الانتقام ونحوه قوله تعالى فاما نذهبن بك فانا منهم منتقمون أو نرينك الذي وعدناهم فانا عليهم مقتدرون (ومنهم من لم نقصص عليك) قيل بعث الله ثمانية آلاف نبي أربعة آلاف من بني اسرائيل وأربعة آلاف من سائر الناس وعن علي رضي الله عنه ان الله تعالى بعث نبيا أسود فهو ممن لم يقصص عليه وهذا في اقتراحهم الآيات على رسول الله صلى الله عليه وسلم عنادا يعني انا قد أرسلنا كثيرا من الرسل وما كان لواحد منهم (أن يأتي بآية الا باذن الله) فمن لي بأن آتي بآية مما تقترحونه الا أن يشاء الله ويأذن في الاتيان بها (فاذا جاء أمر الله) وعيد ورد عقيب اقتراح الآيات وأمر الله القيامة (المبطلون) هم المعاندون الذين اقترحوا الآيات وقد أتتهم الآيات فأنكروها وسموها سحرا * الانعام الابل خاصة * (فان قلت

يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون ثم قيل لهم أينما كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا بل لم نكن ندعوا من قبل شيأ كذلك يضل الله الكافرين ذلكم بما كنتم تفرحون في الارض بغير الحق وبما كنتم تمرحون ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين فاصبر ان وعد الله حق فاما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك فالينا يرجعون ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك وما كان لرسول أن يأتي بآية الا باذن الله فاذا جاء أمر الله قضي بالحق وخسر هنالك المبطلون الله الذي جعل لكم الانعام

قوله تعالى لتركبوا منها ومنها تأكلون ولكم فيها منافع ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم (قال فيه) فان قلت هلا قيل لتركبوا منها
ولتأكلوا منها ولتبلغوا ومنها تركبون ومنها تأكلون وعليها تبلغون وأجاب بأن في الركوب في الغزو والحج وفي بلوغ الحاجة
هجرة من بلد الى بلد لاقامة دين أو علم وهذه اغراض دينية اما واجبة أو مندوبة مما يتعلق به ارادة الحكيم وأما الأكل واصابة المنافع
فمن جنس المباح الذي لا يتعلق به الارادة اهـ كلامه (قلت) جواب متداع للسقوط مؤسس على قاعدة واهية وهي ان الأمر راجع
الى الارادة فالواجب والمندوب مرادان لانهما مندرجان في الأمر والمباح غير مراد لانه غير مأمور به وهذا من
هفوات المعتزلة في انكار كلام النفس فلا نطيل فيه النفس

وقاعدة أهل الحق أنه لا ربط بين الأمر والارادة فقد يأمر
بخلاف ما يريد ويريد خلاف ما يأمر به فالجواب الصحيح اذا أن المقصود المهم من الانعام المنفعة المشهورة فيها التي هي الركوب
وبلوغ الحوائج عليها بواسطة الأسفار والانتقال في ابتغاء الأوطار فلذلك ذكرها هنا مقرونة باللام الدالة على التعليل والغرض
وأما الأكل وبقية المنافع كالأصواف والأوبار والألبان وما يجري مجراها فهي وان كانت حاصلة منها فغير خاصة بها خصوص الركوب
والحمل وتوابع ذلك بل الأكل بالغنم خصوصا الضأن أشهر ولذلك اختيرت الضحايا منها على الغنم فلذلك جردت هذه المنافع بالاخبار عن
وجودها فيها غير مقرونة بما يدل على أنها المقصود * قوله تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا (قال) فان قلت أي فرق بين قوله فلم
يك ينفعهم ايمانهم وبينه لو قيل فلم ينفعهم وأجاب بان معنى كان

لم قال (لتركبوا منها) ولتبلغوا عليها ولم يقل لتأكلوا منها ولتصلوا الى منافع أو هلا قال منها تركبون ومنها
تأكلون وتبلغون عليها حاجة في صدوركم (قلت) في الركوب في الحج والغزو وفي بلوغ الحاجة الهجرة
من بلد الى بلد لاقامة دين أو طلب علم وهذه اغراض دينية اما واجبة أو مندوب اليها مما يتعلق به ارادة
الحكيم وأما الأكل واصابة المنافع فمن جنس المباح الذي لا يتعلق به ارادته ومعنى قوله (وعليها وعلى
الفلك تحملون) وعلى الانعام وحدها لا تحملون ولكن عليها وعلى الفلك في البر والبحر (فان قلت) هلا قيل
في الفلك كما قال قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين (قلت) معنى الايعاء ومعنى الاستعلاء كلاهما مستقيم
لأن الفلك وعاء لمن يكون فيها حمولة له يستعليها فلما صح المعنيان صحت العبارتان وأيضا فليطابق قوله
وعليها ويزاوجه (فأي آيات الله) جاءت على اللغة المستفيضة وقولك فأية آيات الله قليل لأن التفرقة بين
المذكر والمؤنث في الأسماء غير الصفات نحو حمار وحمارة غريب وهي في أي أغرب لابهامه (وآثارا)
قصورهم ومصانعهم وقيل مشيهم بأرجلهم لعظم أجرامهم (فما أغنى عنهم) ما نافية أو مضمنة معنى الاستفهام
ومحلها النصب والثانية موصولة أو مصدرية ومحلها الرفع يعني أي شيء أغنى عنهم مكسوبهم أو كسبهم
(فرحوا بما عندهم من العلم) فيه وجوه منها أنه أراد العلم الوارد على طريق التهكم في قوله تعالى بل ادارك
علمهم في الآخرة وعلمهم في الآخرة أنهم كانوا يقولون لا نبعث ولا نعذب وما أظن الساعة قائمة ولئن رجعت
الى ربي ان لي عنده للحسنى وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربي لأجدن خيرا منها منقلبا وكانوا
يفرحون بذلك ويدفعون به البينات وعلم الانبياء كما قال عز وجل كل حزب بما لديهم فرحون ومنها أن يريد
علم الفلاسفة والدهريين من بني يونان وكانوا اذا سمعوا بوحي الله دفعوه وصغروا علم الانبياء الى علمهم وعن
سقراط أنه سمع بموسى صلوات الله عليه وسلامه وقيل له لو هاجرت اليه فقال نحن قوم مهذبون فلا حاجة
بنا الى من يهذبنا ومنها أن يوضع قوله فرحوا بما عندهم من العلم ولا علم عندهم البتة موضع قوله لم يفرحوا
بما جاءهم من العلم مبالغة في نفي فرحهم بالوحي الموجب لأقصى الفرح والمسرة مع تهكم بفرط جهلهم
وخلوهم من العلم ومنها أن يراد فرحوا بما عند الرسل من العلم فرح ضحك منه واستهزاء به كأنه قال استهزؤا
بالبينات وبما جاؤا به من علم الوحي فرحين مرحين ويدل عليه قوله تعالى وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن
ومنها أن يجعل الفرح للرسل ومعناه أن الرسل لما رأوا جهلهم المتمادي واستهزاءهم بالحق وعلموا سوء عاقبتهم
وما يلحقهم من العقوبة على جهلهم واستهزائهم فرحوا بما أوتوا من العلم وشكروا الله عليه وحاق بالكافرين
جزاء جهلهم واستهزائهم ويجوز أن يريد بما فرحوا به من العلم علمهم بأمور الدنيا ومعرفتهم بتدبيرها كما قال
تعالى يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ذلك مبلغهم من العلم فلما جاءهم الرسل
بعلوم الديانات وهي أبعد شيء من علمهم لبعثها على رفض الدنيا والظلف عن الملاذ والشهوات لم يلتفتوا اليها
وصغروها واستهزؤا بها واعتقدوا أنه لا علم أنفع وأجلب للفوائد من علمهم ففرحوا به * البأس شدة العذاب
ومنه قوله تعالى بعذاب بئيس * (فان قلت) أي فرق بين قوله تعالى (فلم يك ينفعهم ايمانهم) وبينه لو قيل

لتركبوا منها ومنها تأكلون ولكم فيها منافع ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم وعليها وعلى الفلك تحملون ويريكم آياته فأي آيات الله تنكرون أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثارا في الأرض فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا

هنا منها في قوله ما كان لله أن يتخذ من ولد والمعنى فلم يستقم ولم يصح أن ينفعهم إيمانهم اهـ كلامه (قلت) كان الذي ثبت التصرف فيها بإجرائهم المجرى حروف العلة حتى حذفت للجازم هي كان الكثير استعمالها المكرر دورانها في الكلام وأما كان هذه فليست كثيرة التصرف حتى يتسع فيها بالحذف بل هي مثل صان وبان في العلة فالأولى بقاؤها على بابها المعروف وفائدة دخولها في هذه الآية وأمثالها المبالغة في نفي الفعل الداخلة عليه بتعديد جهتي نفيه عموما باعتبار الكون وخصوصا باعتباره في هذه الآية فلا فكأنه نفي مرتين والله أعلم

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قوله تعالى وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب الآية (قال فيه) فإن قلت ما فائدة من في قوله ومن بيننا وبينك حجاب وأجاب بأن فائدتها الدلالة على أن من جهتهم ابتداء الحجاب ومن جهتك أيضا ابتداء الحجاب فيلزم أن المسافة المتوسطة بينهما فارغة بالحجاب لا فراغ فيها ولولا ذكر من فيها كان المعنى على أن في المسافة بينهما حجابا فقط اهـ كلامه حاصل

(قلت) لا يتحقق المعنى بدخول من عما كان عليه قبل ولو كان الأمر كما ذكر لكانت من مقدرة مع بين الثانية لأنه جعلها مفيدة للابتداء في الثانية كما هي مفيدة للابتداء في الأولى فيكون التقدير إذا ومن بيننا ومن بينك حجاب وهذا يخل بمعنى بين إخلالا بينا فإنها تأبى تكرار العامل معها حتى لو قال القائل جلست بين زيد وجلست بين عمرو لم يكن مستقيما لأن تكرار العامل يصيرها داخلة على مفرد فقط ويقطعها عن قرينه المتقدم ومن شأنها الدخول على متعدد لأن في ضمن معناها التوسط وزاد الزمخشري على هذا

فلم ينفعهم إيمانهم (قلت) هو من كان في نحو قوله ما كان لله أن يتخذ من ولد والمعنى فلم يصح ولم يستقم أن ينفعهم إيمانهم (فإن قلت) كيف ترادفت هذه الفاآت (قلت) أما قوله تعالى فما أغنى عنهم فهو نتيجة قوله كانوا أكثر منهم وأما قوله فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فجار مجرى البيان والتفسير لقوله تعالى فما أغنى عنهم كقولك رزق زيد المال فمنع المعروف فلم يحسن إلى الفقراء وقوله فلما رأوا بأسنا تابع لقوله فلما جاءتهم كأنه قال فكفروا فلما رأوا بأسنا آمنوا وكذلك فلم يك ينفعهم إيمانهم تابع لإيمانهم لما رأوا بأس الله (سنت الله) بمنزلة وعد الله وما أشبهه من المصادر المؤكدة و (هنالك) مكان مستعار للزمان أي وخسروا وقت رؤية البأس وكذلك قوله وخسر هنالك المبطلون بعد قوله فإذا جاء أمر الله قضي بالحق أي وخسروا وقت مجيء أمر الله أو وقت القضاء بالحق عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المؤمن لم يبق روح نبي ولا صديق ولا شهيد ولا مؤمن إلا صلى عليه واستغفر له

﴿سورة السجدة مكية وهي أربع وخمسون وقيل ثلاث وخمسون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

إن جعلت (حم) اسما للسورة كانت في موضع المبتدأ و (تنزيل) خبره وإن جعلتها تعديدا للحروف كان تنزيل خبر المبتدأ محذوف و (كتاب) بدل من تنزيل أو خبر بعد خبر أو خبر مبتدأ محذوف وجوز الزجاج أن يكون تنزيل مبتدأ وكتاب خبره ووجهه أن تنزيلا تخصص بالصفة فساغ وقوعه مبتدأ (فصلت آياته) ميزت وجعلت تفاصيل في معان مختلفة من أحكام وأمثال ومواعظ ووعد ووعيد وغير ذلك وقرئ فصلت أي فرقت بين الحق والباطل أو فصل بعضها من بعض باختلاف معانيها من قولك فصل من البلد (قرآنا عربيا) نصب على الاختصاص والمدح أي أريد بهذا الكتاب المفصل قرآنا من صفته كيت وكيت وقيل هو نصب على الحال أي فصلت آياته في حال كونه قرآنا عربيا (لقوم يعلمون) أي لقوم عرب يعلمون ما نزل عليهم من الآيات المفصلة المبينة بلسانهم العربي المبين لا يلتبس عليهم شيء منه (فإن قلت) بم يتعلق قوله لقوم يعلمون (قلت) يجوز أن يتعلق بتنزيل أو بفصلت أي تنزيل من الله لأجلهم أو فصلت آياته لهم والأجود أن يكون صفة مثل ما قبله وما بعده أي قرآنا عربيا كائنا لقوم عرب لئلا يفرق بين الصلات والصفات وقرئ بشير ونذير صفة للكتاب أو خبر مبتدأ محذوف (فهم لا يسمعون) لا يقبلون ولا يطيعون من قولك تشفعت إلى فلان فلم يسمع قولي ولقد سمعه ولكنه لما لم يقبله ولم يعمل بمقتضاه فكأنه لم يسمعه * والأكنة جمع كنان وهو الغطاء * والوقر بالفتح الثقل وقرئ بالكسر وهذه تمثيلات لنبو قلوبهم عن تقبل الحق واعتقاده كأنها في غلف وأغطية تمنع من نفوذه فيها كقوله تعالى وقالوا قلوبنا غلف ومج أسماعهم له كأن بها صمما عنه ولتباعد المذهبين والدينين كأن بينهم وما هم عليه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وما هو عليه حجابا ساترا وحاجزا منيعا من جبل أو نحوه فلا تلاقي ولا ترائي (فاعمل) على دينك (إننا عاملون) على ديننا أو فاعمل في إبطال أمرنا إننا عاملون في إبطال أمرك وقرئ إنا عاملون * (فإن قلت) هل لزيادة من في قوله ومن بيننا وبينك حجاب فائدة (قلت) نعم لأنه لو قيل وبيننا وبينك حجاب لكان المعنى أن حجابا

سنت الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون

﴿سورة السجدة مكية وهي أربع وخمسون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون بشيرا ونذيرا فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل إننا عاملون قل

فالعمل بين الثانية غير الأول لأنه جعل الأولى بجهتهم والثانية بجهته وليس الأمر كما ظنه بل بين الأولى هي الثانية بعينها وهي عبارة عن الجهة المتوسطة بين المضافين وتكرارها إنما كان لأن المعطوف مضمر مخفوض فوجب تكرار خافضه وهو بين والدليل على هذا أنه لا تفاوت باتفاق بين أن تقول جلست بين زيد وعمرو وبين أن تقول جلست بين زيد وبين عمرو وإنما ذكرها مع الظاهر جوازا ومع المضمر وجوبا للمباينة فإذا وضح ذلك فالظاهر والله أعلم أن موقع من ههنا كموقعها في قوله تعالى وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا وذلك الإشعار بأن الجهة المتوسطة مثلا بينهم وبين النبي عليه الصلاة والسلام مبتدأ الحجاب لا غير ووجود من قريب من عدمها ألا ترى إلى آخر هذه الآية كيف لم يستعمل فيها من وهي قوله تعالى وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا وكلام الزمخشري هذا إذا امتحنته بالتحقيق الذي ذكرناه تبين ضعفه والله الموفق وفي هذه الآية وأخواتها من المبالغة والبلاغة ما لا يليق أن يتكلم إلا في درر الكتاب العزيز فإنها اشتملت على ذكر حجب ثلاثة متوالية كل واحد منها كاف في منعه فأولها الحجاب الحائل الخارج ويليه حجاب الصمم وأقصاها الحجاب الذي أكن القلب والسداد القفل تدع هذه الآية حجابا من تخيلا الأسئلة ولم تبق لهؤلاء الأشقياء مطمعا ولا مضربا إلا استبعده فنسأل الله كفايته * قوله تعالى قل إنما أنا بشر مثلكم الآية (قال) فإن قلت كيف كان هذا جوابا لما تقدمه (وأجاب) بما ملخصه فيقول إن بناء القبول منه عليه الصلاة والسلام كان الإباء منهم بإقامة الحجة على وجوب القبول منه فإنه بشر مثلهم لا قدرة له على إظهار المعجزات التي ظهرت وإنما القادر على إظهارها هو الله تعالى تصديقا له عليه الصلاة والسلام ثم بين لهم بعد قيام الحجة عليهم أهم ما بعث به وهو التوحيد والشرع تحت الاستقامة جميع تفاصيل الشرع وتم ذلك بإنذارهم على ترك القبول بالويل الطويل * قوله تعالى وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة (قال فيه) فإن قلت لم خص الزكاة وأجاب بأن أحب الأشياء إلى الإنسان ماله وهو شقيق روحه فبذله مصداق لاستقامته ونصوع طويته وما خدع المؤلفة قلوبهم إلا بلمظة من الدنيا وأهل الردة ما تظاهروا إلا بمنع الزكاة فنصبت لهم الحرب وجوهدوا اه كلامه (قلت) كلام حسن بعد تبديل قوله وما خدع المؤلفة فإن استعماله الخداع غير لائق لأنهم إنما تألفهم عليه الصلاة والسلام على الإيمان من قبيل الملاطفة ودفع السيئة بالحسنة وما أخذ هذا النحو

إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فاستقيموا إليه واستغفروه وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسي من فوقها

حاصل وسط الجهتين وأن لا زيادة من فالمعنى أن حجابا ابتدأ منا وابتدأ منك فالمسافة المتوسطة لجهتنا وجهتك مستوعبة بالحجاب لا فراغ فيها (فإن قلت) هلا قيل على قلوبنا أكنة كما قيل وفي آذاننا وقر ليكون الكلام على نمط واحد (قلت) هو على نمط واحد لأنه لا فرق في المعنى بين قولك قلوبنا في أكنة وعلى قلوبنا أكنة والدليل عليه قوله تعالى إنا جعلنا على قلوبهم أكنة ولو قيل إنا جعلنا قلوبهم في أكنة لم يختلف المعنى وترى المطابيع منهم لا يراعون الطباق والملاحظة إلا في المعاني (فإن قلت) من أين كان قوله (إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي) جوابا لقولهم قلوبنا في أكنة (قلت) من حيث إنه قال لهم إني لست بملك وإنما أنا بشر مثلكم وقد أوحي إلي دونكم فصحت بالوحي إلي وأنا بشر نبوتي وإذا صحت نبوتي وجب عليكم اتباعي وفيما أوحي إلي أن إلهكم إله واحد (فاستقيموا إليه) فاستووا إليه بالتوحيد وإخلاص العبادة غير ذاهبين يمينا ولا شمالا ولا ملتفتين إلى ما يسول لكم الشيطان من اتخاذ الأولياء والشفعاء (وتوبوا إليه) مما سبق لكم من الشرك (واستغفروه) وقرئ قال إنما أنا بشر (فإن قلت) لم خص من بين أوصاف المشركين منع الزكاة مقرونا بالكفر بالآخرة (قلت) لأن أحب شيء إلى الإنسان ماله وهو شقيق روحه فإذا بذله في سبيل الله فذلك أقوى دليل على ثباته واستقامته وصدق نيته ونصوع طويته ألا ترى إلى قوله عز وجل ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتا من أنفسهم أي يثبتون أنفسهم ويدلون على ثباتها بإنفاق الأموال وما خدع المؤلفة قلوبهم إلا بلمظة من الدنيا فقرت عصبيتهم ولانت شكيمتهم وأهل الردة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تظاهروا إلا بمنع الزكاة فنصبت لهم الحرب وجوهدوا وفيه بعث للمؤمنين على أداء الزكاة وتخويف شديد من منعها حيث جعل المنع من أوصاف المشركين وقرن بالكفر بالآخرة وقيل كانت قريش يطعمون الحاج ويحرمون من آمن منهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل لا يفعلون ما يكونون به أزكياء وهو الإيمان * الممنون المقطوع وقيل لا يمن عليهم لأنه إنما يمن التفضل فأما الأجر فحق أداؤه وقيل نزلت في المرضى والزمنى والهرمى إذا عجزوا عن الطاعة كتب لهم الأجر كأصح ما كانوا يعملون (أئنكم) بهمزتين الثانية بين بين وآئنكم بألف بين همزتين (ذلك) الذي قدر على خلق الأرض في مدة يومين هو (رب العالمين * رواسي) جبالا ثوابت (فإن قلت) ما معنى قوله (من فوقها) وهلا اقتصر على قوله وجعل فيها رواسي كقوله تعالى وجعلنا فيها رواسي شامخات وجعلنا في الأرض رواسي وجعل لها رواسي (قلت) لو كانت تحتها كالأساطين

* قوله تعالى أئنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون له اندادا ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك
وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين (قال فيه) ان قوله في أربعة أيام فذلكة لمدة خلق الله الارض وما فيها كأنه قال وقدر
أقواتها في يومين آخرين فذلك أربعة أيام سواء قال ومعنى سواء كاملة مستوية بلا زيادة ولا نقصان ونقل عن الزجاج ان معنى الا
تتمة أربعة أيام يريد بالتتمة اليومين * ثم قال فان قلت بم تعلق قوله للسائلين وأجاب بانه متعلق بمحذوف كأنه قيل هذا الحصر لاجل
سائل في كم خلقت الارض وما فيها أو يقدر أي قدر فيها الاقوات لاجل السائلين المحتاجين اليها من المقتاتين ثم قال وهذا الوجه الاخ
لا يستقيم الا على تفسير الزجاج انتهى كلامه (قلت) لم يبين امتناعه على التفسير الاول ونحن نبينه فنقول مقتضى التفسير الاول ان قو
في أربعة أيام فذلكة ومن شأنها الوقوع في طرف الكلام بعد تمامه فلو جعل قوله للسائلين متعلقا بقدر لزم وقوع الفذلكة في حشو
الكلام ولا كذلك على تفسير الزجاج فان الاربعة على قوله من تتمة الاول وهي متعلقة بقدر على تأويل حذف التم

لما تستقر عليها أو عرى كوزنا فيها كالمسامير لتمنعها من الميدان أرضا وانما اختار ارساءها فوق الارض
لتكون المنافع في الجبال معرضة لطالبيها حاضرة لمحصليها وليبصر أن الارض والجبال أثقال على أثقال كلها
مفتقرة الى ممسك لا بد له منه وهو ممسكها عز وعلا بقدرته (وبارك فيها) وأكثر خيرها وأنماه (وقدر فيها
أقواتها) أرزاق أهلها ومعايشهم وما يصلحهم وفي قراءة ابن مسعود وقسم فيها أقواتها (في أربعة أيام سواء)
فذلكة لمدة خلق الله الارض وما فيها كأنه قال كل ذلك في أربعة أيام كاملة مستوية بلا زيادة ولا نقصان
قيل خلق الله الارض في يوم الاحد ويوم الاثنين وما فيها يوم الثلاثاء ويوم الاربعاء وقال الزجاج في أربعة
أيام في تتمة أربعة أيام يريد بالتتمة اليومين وقرئ سواء بالحركات الثلاث الجر على الوصف والنصب على
استوت سواء أي استواء والرفع على هي سواء (فان قلت) بم تعلق قوله (للسائلين) (قلت) بمحذوف كأنه قيل
هذا الحصر لاجل من سأل في كم خلقت الارض وما فيها أو بقدر أي قدر فيها الاقوات لاجل الطالبين لها
المحتاجين اليها من المقتاتين وهذا الوجه الاخير لا يستقيم الا على تفسير الزجاج (فان قلت) هلا قيل في
يومين وأي فائدة في هذه الفذلكة (قلت) اذا قال في أربعة أيام وقد ذكر أن الارض خلقت في يومين علم أن
ما فيها خلق في يومين فبقيت المخايرة بين أن تقول في يومين وأن تقول في أربعة أيام سواء فكانت في أربعة
أيام سواء فائدة ليست في يومين وهي الدلالة على أنها كانت أياما كاملة بغير زيادة ولا نقصان ولو قال في
يومين وقد يطلق اليومان على أكثرهما لكان يجوز أن يريد باليومين الاولين والآخرين أكثرهما (ثم
استوى الى السماء) من قولك استوى الى مكان كذا اذا توجه اليه توجها لا يلوي على شئ وهو من الاستواء
الذي هو ضد الاعوجاج ونحوه قولهم استقام اليه وامتد اليه ومنه قوله تعالى فاستقيموا اليه والمعنى ثم دعاه
داعي الحكمة الى خلق السماء بعد خلق الارض وما فيها من غير صارف يصرفه عن ذلك قيل كان عرشه قبل
خلق السموات والارض على الماء فأخرج من الماء دخانا فارتفع فوق الماء وعلا عليه فأيبس الماء فجعله
أرضا واحدة ثم فتقها فجعلها أرضين ثم خلق السماء من الدخان المرتفع * ومعنى أمر السماء والارض
بالاتيان وامتثالهما أنه أراد تكوينهما فلم يمتنعا عليه ووجدتا كما أرادهما وكانتا في ذلك كالمأمور المطيع اذا
ورد عليه فعل الآمر المطاع وهو من المجاز الذي يسمى التمثيل ويجوز أن يكون تخييلا ويبنى الامر فيه على
أن الله تعالى كلم السماء والارض وقال لهما ائتيا شئتما ذلك أو أبيتماه فقالتا أتينا على الطوع لا على الكره
والغرض تصوير أثر قدرته في المقدورات لا غير من غير أن يحقق شئ من الخطاب والجواب ونحوه قول ا

تعلق الظرف بالظروف ليس الا ثم ذلك اتمام الكلام ببيان المقصود من خلق الاقوات بعد بيان من خلقها وتفسير الزجاج والله أعلم أرجح فانه يشتمل على ذكر مدة خلق

وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين

الاقوات بالتأويل القريب الذي قدره ويتضمن لما يقوم مقام الفذلكة اذ ذكر جملة العدد الذي هو ظرف خلقها وخلق أقواتها وعلى تفسير الزمخشري تكون الفذلكة
مذكورة من غير تقدم تصريح بجملة تفاصيلها فانه لم يذكر منها سوى يومين خاصة ومن شأن الفذلكة اقاتلا
أن يتقدم النص على جميع أعدادها مفصلة ثم تأتي هي على الجملة كقوله فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة اذا رجعتم تلك عشرة كاملة
* قوله تعالى ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين (قال فيه) اما أن يكون هذا من
مجاز التمثيل كأنه عدم امتناعهما على قدرته امتثال المأمور المطيع اذا ورد عليه الامر المطاع فهذا وجه واما أن يكون تخييلا فيبنى
الامر فيه على ان الله تعالى كلم السموات والارض فأجابتاه والغرض منه تصوير أثر القدرة في المقدور من غير أن يحقق شيئا من الخطاب
والجواب ومثله قول القائل قال الحائط للوتد لم تشقني فقال الوتد اسأل من يدقني لم يتركني ورأيي الحجر الذي ورائي اه كلامه (قلت)
قد تقدم انكاري عليه اطلاق التخييل على كلام الله تعالى فان معنى هذا الاطلاق لو كان صحيحا والمراد منه التصوير لوجب اجتناب
التعبير عنه بهذه العبارة لما فيها من ايهام وسوء أدب والله أعلم

قوله تعالى ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين الآية (قال) فان قلت لم ذكر الارض مع السماء وانتظمها في الامر بالاتيان معها والارض مخلوقة قبل السماء بيومين وأجاب بأنه قد خلق جرم الارض أولا غير مدحوة ثم دحاها بعد خلق السماء كما قال والارض بعد ذلك دحاها فالمعنى ائتيا على ما ينبغي من الشكل ائتي يا أرض مدحوة قرارا ومهادا وائتي يا سماء سقفا مقببة * ثم قال فان قلت ما معنى طوعا أو كرها وأجاب بأنه تمثيل للزوم تأثير القدرة فيهما كما يقول الجبار لمن تحت يده افعل هذا شئت أو أبيت * ثم قال فان قلت هلا قيل طائعتين على اللفظ وطائعات على المعنى لانها سموات وأرضون وأجاب بأنه لما جعلن مخاطبات ومجيبات وموصوفات بالطوع والكره قيل طائعين في موضع طائعات نحو قوله ساجدين اه كلامه (قلت) لم يحقق الجواب عن السؤال الآخر وذلك أن في ضمن الآية سؤالين أحدهما التذكير وهي مؤنثة وهذا هو السؤال الذي أورده الثاني أنها جمعت جمع العقلاء وهي لا تعقل وهذا لم يذكره فالجواب الذي ذكره مختص بالسؤال الذي لم يذكره وهذا نظير قوله ساجدين فان تلك الآية ليس فيها سوى السؤال عن كونها جمعت جمع العقلاء (٣٢٧) فأما السؤال الآخر فلأن الكلام راجع الى الكواكب وهي مذكرة والشمس وان كانت مؤنثة الا أنه غلب في الكلام المذكر على المؤنث على المنهاج المعروف فأما هذه الآية ففيها

فقضاهن سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح

على تأنيثها السؤال الآخر وهو أن جميع ما تقدم ذكره من السموات والارض مؤنثة فقال أولا لم ذكرها وثانيا لم أتى جمعها المذكر على نعت جمع العقلاء ليتحقق نسبة السؤال والجواب والطوع اللذين تختص بالعقلاء لا بها ولم يحقق جمع المؤنث عدول الى جمع المذكر لوجود الصيغة المرشدة الى العقل فيه ت الفائدة بذلك على تأويل السموات والارض بالافلاك مثلا وما في معناه من المذكر ثم غلب المذكر على المؤنث ولا يعدم مثل هذا التأويل في الارضين أيضا * قوله تعالى فقضاهن سبع سموات في يومين (قال فيه) قيل ان الله تعالى خلق السموات وما فيها في يوم الخميس ويوم الجمعة وفرغ آخر ساعة من يوم الجمعة وخلق آدم في تتمة اليوم وفيه تقوم القيامة ثم استدل بذلك على ما ذكره من أنه لو قال يومين في موضع أربعة أيام سواء لم يعلم أنهما يومان كاملان أو ناقصان اه كلامه (قلت) كأنه يستدل باهمال اليومين عن التأكيد بثم لم يكن خلق السموات بما فيها في جملة اليومين على أنه انما فذلك أيام خلق الارض بما فيها لانه لو فصلها لم يكن فيها دليل على معاينة الخلق لكل يوم منهما بل كان يجوز أن يكون الخلق في أحد اليومين وبعض الآخر كما كان في هذه الآية على النقل الذي زعمه الا انه لم يتم له منه غرض فان القائل ان يقول انما كان خلق السموات بما فيها في يومين كاملين لان آدم لم يكن في السموات التي خلقها فكان اليومان على مقتضى ما نقله تامين

القائل قال الجدار للوتد لم تشقني قال الوتد اسأل من يدقني فلم يتركني ورائي الحجر الذي ورائي (فان قلت) لم ذكر الارض مع السماء وانتظمها في الامر بالاتيان والارض مخلوقة قبل السماء بيومين (قلت) قد خلق جرم الارض أولا غير مدحوة ثم دحاها بعد خلق السماء كما قال تعالى والارض بعد ذلك دحاها فالمعنى ائتيا على ما ينبغي أن تأتيا عليه من الشكل والوصف ائتي يا أرض مدحوة قرارا ومهادا لاهلك وائتي يا سماء مقببة سقفا لهم ومعنى الاتيان الحصول والوقوع كما تقول أتى عمله مرضيا وجاء مقبولا ويجوز أن يكون المعنى لتأت كل واحدة منكما صاحبتها الاتيان الذي أريده وتقتضيه الحكمة والتدبير من كون الارض قرارا للسماء وكون السماء سقفا للارض وتنصره قراءة من قرأ آتيا وآتينا من المؤاتاة وهي الموافقة أي لتوات كل واحدة أختها ولتوافقها قالتا وافقنا وساعدنا أو يحتمل وافقا أمري ومشيئتي ولا تمتنعا (فان قلت) ما معنى طوعا أو كرها (قلت) هو مثل للزوم تأثير قدرته فيهما وأن امتناعهما من تأثير قدرته محال كما يقول الجبار لمن تحت يده لتفعلن هذا شئت أو أبيت ولتفعلنه طوعا أو كرها وانتصابهما على الحال بمعنى طائعتين أو مكرهتين (فان قلت) هلا قيل طائعتين على اللفظ أو طائعات على المعنى لانها سموات وأرضون (قلت) لما جعلن مخاطبات ومجيبات ووصفن بالطوع والكره قيل طائعين في موضع طائعات نحو قوله ساجدين (فقضاهن) يجوز أن يرجع الضمير فيه الى السماء على المعنى كما قال طائعين ونحوه أعجاز نخل خاوية ويجوز أن يكون ضميرا مبهما مفسرا بسبع سموات والفرق بين النصبين أن أحدهما على الحال والثاني على التمييز قيل خلق الله السموات وما فيها في يومين في يوم الخميس والجمعة وفرغ في آخر ساعة من يوم الجمعة فخلق فيها آدم وهي الساعة التي تقوم فيها القيامة وفي هذا دليل على ما ذكرت من انه لو قيل في يومين في موضع أربعة أيام سواء لم يعلم أنهما يومان كاملان أم ناقصان (فان قلت) فلو قيل خلق الارض في يومين كاملين وقدر فيها أقواتها في يومين كاملين أو قيل بعد ذكر اليومين تلك أربعة سواء (قلت) الذي أورده سبحانه أخصر وأفصح وأحسن طباقا لما عليه التنزيل من مغاصاة القرائح ومصاك الركب ليتميز الفاضل من الناقص والمتقدم من الناكص وترتفع الدرجات ويتضاعف الثواب (أمرها) ما أمر به فيها ودبره من خلق الملائكة والنيرات وغير ذلك

وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود إذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم ألا تعبدوا إلا الله قالوا لو شاء ربنا لأنزل ملائكة فإنا بما أرسلتم به كافرون فأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة أولم يروا أن الله الذي خلقهم

أو شأنها أو ما يصلحها (وحفظا) وحفظناها حفظا يعني من المسترقة بالثواقب ويجوز أن يكون مفعولا على المعنى كأنه قال وخلقنا المصابيح زينة وحفظا (فإن أعرضوا) بعد ما تتلو عليهم من هذه الحجج على وحدانيته وقدرته * فحذرهم أن تصيبهم صاعقة أي عذاب شديد الوقع كأنه صاعقة * وقرئ صعقة مثل صعقة عاد وثمود وهي المرة من الصعق أو الصعق يقال صعقته الصاعقة صعقا فصعق صعقا وهو من باب فعلته ففعل (من بين أيديهم ومن خلفهم) أي أتوهم من كل جانب واجتهدوا بهم وأعملوا فيهم كل حيلة فلم يروا منهم إلا العتو والإعراض كما حكى الله تعالى عن الشيطان لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم يعني لآتينهم من كل جهة ولأعملن فيهم كل حيلة وتقول استدرت بفلان من كل جانب فلم يكن لي فيه حيلة * وعن الحسن أنذروهم من وقائع الله فيمن قبلهم من الأمم وعذاب الآخرة لأنهم إذا حذروهم ذلك فقد جاؤهم بالوعظ من جهة الزمن الماضي وما جرى فيه على الكفار ومن جهة المستقبل وما سيجري عليهم * وقيل معناه إذ جاءتهم الرسل من قبلهم ومن بعدهم (فإن قلت) الرسل الذين من قبلهم ومن بعدهم كيف يوصفون بأنهم جاؤهم وكيف يخاطبونهم بقولهم إنا بما أرسلتم به كافرون (قلت) قد جاءهم هود وصالح داعيين إلى الإيمان وبجميع الرسل ممن جاء من بين أيديهم أي من قبلهم ومن يجيء من خلفهم أي من بعدهم فكأن الرسل جميعا قد جاؤهم * وقولهم إنا بما أرسلتم به كافرون خطاب منهم لهود وصالح ولسائر الأنبياء الذين دعوا إلى الإيمان بهم * أن في (أن لا تعبدوا) بمعنى أي أو مخففة من الثقيلة أصله بأنه لا تعبدوا أي بأن الشأن والحديث قولنا لكم لا تعبدوا * ومفعول شاء محذوف أي (لو شاء ربنا) إرسال الرسل (لأنزل ملائكة فإنا بما أرسلتم به كافرون) معناه فإذا أنتم بشر ولستم بملائكة فإنا لا نؤمن بكم وبما جئتم به وقولهم أرسلتم به ليس بإقرار بالإرسال وإنما هو على كلام الرسل وفيه تهكم كما قال فرعون إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون * روي أن أبا جهل قال في ملأ من قريش قد التبس علينا أمر محمد فلو التمستم لنا رجلا عالما بالشعر والكهانة والسحر فكلمه ثم أتانا ببيان عن أمره فقال عتبة بن ربيعة والله لقد سمعت الشعر والكهانة والسحر وعلمت من ذلك علما وما يخفى علي فأتاه فقال أنت يا محمد خير أم هاشم أنت خير أم عبد المطلب أنت خير أم عبد الله فيم تشتم آلهتنا وتضللنا فإن كنت تريد الرياسة عقدنا لك اللواء فكنت رئيسنا وإن تك بك الباءة زوجناك عشر نسوة تختارهن من أي بنات قريش شئت وإن كان بك المال جمعنا لك من أموالنا ما تستغني به ورسول الله صلى الله عليه وسلم ساكت فلما فرغ قال بسم الله الرحمن الرحيم حم إلى قوله صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فأمسك عتبة على فيه وناشده بالرحم ورجع إلى أهله ولم يخرج إلى قريش فلما احتبس عنهم قالوا ما نرى عتبة إلا قد صبأ فانطلقوا إليه وقالوا يا عتبة ما حبسك عنا إلا أنك قد صبأت فغضب وأقسم لا يكلم محمدا أبدا ثم قال والله لقد كلمته فأجابني بشيء والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر ولما بلغ صاعقة عاد وثمود أمسكت بفيه وناشدته الرحم أن يكف وقد علمتم أن محمدا إذا قال شيئا لم يكذب فخفت أن ينزل بكم العذاب (فاستكبروا في الأرض) أي تعظموا فيها على أهلها بما لا يستحقون به التعظم وهو القوة وعظم الأجرام أو استعلوا في الأرض واستولوا على أهلها بغير استحقاق الولاية (من أشد منا قوة) كانوا ذوي أجسام طوال وخلق عظيم وبلغ من قوتهم أن الرجل كان ينزع الصخرة من الجبل فيقتلعها بيده (فإن قلت) القوة هي الشدة والصلابة في البنية وهي نقيضة الضعف وأما القدرة فلأجله يصح الفعل من الفاعل من تميز بذات أو بصحة بنية وهي نقيضة العجز والله سبحانه وتعالى لا يوصف

* قوله تعالى أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة (قال فيه) القوة الشدة في البنية ونقيضها الضعف والقدرة ما لأجله يصح الفعل من الفاعل وهي نقيضة العجز فإن وصف الله تعالى بالقوة فذلك بمعنى القدرة وليست القوة على حقيقتها فكيف صح أشد منهم قوة ولا بد أن يراد بالقوة (٣٢٨) في الموضعين شيء واحد وأجاب عنه بأن القدرة في الإنسان صحة البنية والاعتدال والشدة والقوة زيادة في القدرة فكما صح أن يقال الله أقدر منهم صح أن يقال أقوى منهم على معنى أنه يقدر لذاته على ما لا يقدرون عليه بازدياد قدرتهم انتهى كلامه (قلت) فسر القدرة على خلاف ما هي في اعتقاد المتكلمين فإن سلم له من حيث اللغة فقد نكص عنه إلى حمل القدرة في الآية على مقتضاها في فن الكلام وجعل التفضيل من حيث أن الله تعالى قادر لذاته أي بلا قدرة والمخلوق قادر بقدرة على القاعدة الفاسدة القدرية ونظير هذا التفسير في الفساد تفسير قول القائل زيد أعلم من عمرو بإثبات صفة العلم للمفضول وسلبها بالكلية عن الأفضل وهل هذا الاعتقاد إلا عمى في اتباع الهوى وعمه فالحق أن التفضيل إنما هو من جهة أن القدرة الثابتة للعبد قدرة مقارنة لفعله قبله وبعده مفقودة غير مؤثرة في الفعل الراجح في محلها فضلا عن تجاوزها إلى غيره وقدرة الله جلت قدرته مؤثرة في المقدورات أزلا وأبدا عامة التعلق بجميع الكائنات من الممكنات فهذا هو النور الذي لا يلوح إلا من إثبات عقائد السنة لمن سبقت له من الله

قوله تعالى وأما ثمود فهديناهم (قال فيه) فدللناهم على طريقي الضلالة والرشد * ثم قال فإن قلت أليس معنى هديته حصلت له الهدى
والدليل عليه قولك هديته فاهتدى فكيف ساغ استعماله في الدلالة المجردة وأجاب بأنه مكنهم وأزاح عللهم ولم يبق لهم عذرا ولا علة
فكأنه حصل البغية فيهم بحصول موجبها * ثم قال ولو لم يكن في القرآن حجة على القدرية الذين هم مجوس هذه الأمة بشهادة نبيها عليه
الصلاة والسلام وكفى به شهيدا إلا هذه الآية لكفى به حجة انتهى كلامه (قلت) قد أنطقه الله الذي أنطق كل شيء بأن القدرية مجوس
هذه الأمة بشهادة النبي عليه الصلاة والسلام وقد شهد صحبه الأكرمون أن الطائفة الذين (٣٣٩) قال الزمخشري أثرهم القدرية
المتعسفة الذين أدنأتهم بأدناس الفساد متخبسة
فهم أول منخرط في هذا

هو أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يجحدون فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا في أيام نحسات لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى فأخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون ويوم يحشر أعداء الله إلى النار فهم يوزعون حتى إذا ما جاؤها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم

قوة إلا على معنى القدرة فكيف صح قوله (هو أشد منهم قوة) وإنما يصح إذا أريد بالقوة في الموضعين شيء واحد (قلت) القدرة في الإنسان هي صحة البنية والاعتدال والقوة والشدة والصلابة في البنية وحقيقتها زيادة القدرة فكما صح أن يقال الله أقدر منهم جاز أن يقال أقوى منهم على معنى أنه يقدر لذاته على ما لا يقدرون عليه بازدياد قدرهم (يجحدون) كانوا يعرفون أنها حق ولكنهم جحدوها كما يجحد المودع الوديعة وهو معطوف على فاستكبروا أي كانوا كفرة فسقة * الصرصر العاصفة التي تصرصر أي تصوت في هبوبها وقيل الباردة التي تحرق بشدة بردها تكرير لبناء الصر وهو البرد الذي يصر أي يجمع ويقبض (نحسات) قرئ بكسر الحاء وسكونها ونحس نحسا نقيض سعد سعدا وهو نحس وأما نحس فإما مخفف نحس أو صفة على فعل كالضخم وشبهه أو وصف بمصدر * وقرئ لنذيقهم على أن الإذاقة للريح أو للأيام النحسات وأضاف العذاب إلى الخزي وهو الذل والاستكانة على أنه وصف للعذاب كأنه قال عذاب خزي كما تقول فعل السوء تريد الفعل السيء والدليل عليه قوله تعالى (ولعذاب الآخرة أخزى) وهو من الإسناد المجازي ووصف العذاب بالخزي أبلغ من وصفهم به ألا ترى إلى البون بين قوليك هو شاعر وله شعر شاعر * وقرئ ثمود بالرفع والنصب منونا وغير منون والرفع أفصح لوقوعه بعد حرف الابتداء وقرئ بضم الثاء (فهديناهم) فدللناهم على طريقي الضلالة والرشد كقوله تعالى وهديناه النجدين (فاستحبوا العمى على الهدى) فاختاروا الدخول في الضلالة على الدخول في الرشد (فإن قلت) أليس معنى هديته حصلت فيه الهدى والدليل عليه قولك هديته فاهتدى بمعنى تحصيل البغية وحصولها كما تقول ردعته فارتدع فكيف ساغ استعماله في الدلالة المجردة (قلت) الدلالة على أنه مكنهم وأزاح عللهم ولم يبق لهم عذرا ولا علة فكأنه حصل البغية فيهم بتحصيل ما يوجبها ويقتضيها (صاعقة العذاب) داهية العذاب وقارعة العذاب و(الهون) الهوان وصف به العذاب مبالغة أو أبدله منه ولو لم يكن في القرآن حجة على القدرية الذين هم مجوس هذه الأمة بشهادة نبيها صلى الله عليه وسلم وكفى به شاهدا إلا هذه الآية لكفى بها حجة * وقرئ يحشر على البناء للمفعول ونحشر بالنون وضم الشين وكسرها ويحشر على البناء للفاعل أي يحشر الله عز وجل (أعداء الله) الكفار من الأولين والآخرين (يوزعون) أي يحبس أولهم على آخرهم أي يستوقف سوابقهم حتى يلحق بهم تواليهم وهي عبارة عن كثرة أهل النار نسأل الله أن يجيرنا منها بسعة رحمته * (فإن قلت) ما في قوله (حتى إذا ما جاؤها) ما هي (قلت) مزيدة للتأكيد ومعنى التأكيد فيها أن وقت مجيئهم النار لا محالة أن يكون وقت الشهادة عليهم ولا وجه لأن يخلو منها ومثله قوله تعالى أثم إذا ما وقع آمنتم به أي لا بد لوقت وقوعه من أن يكون وقت إيمانهم به * شهادة الجلود بالملامسة للحرام وما أشبه ذلك مما يفضي إليها من المحرمات (فإن قلت) كيف تشهد عليهم أعضاؤهم وكيف تنطق (قلت) الله عز وجل ينطقها كما أنطق الشجرة بأن يخلق فيها كلاما وقيل المراد بالجلود الجوارح وقيل هي كناية عن الفروج * أراد بكل شيء كل شيء من الحيوان كما أراد به في قوله تعالى والله على كل شيء قدير كل شيء من المقدورات والمعنى أن نطقنا ليس بعجب من قدرة الله الذي قدر على إنطاق كل حيوان وعلى خلقكم وإنشائكم أول مرة وعلى إعادتكم ورجعكم إلى جزائه وإنما قالوا لهم (لم شهدتم علينا)

في السلك ومنهبط في مهواة هذا الهلك * ولنرجع إلى أصل الكلام فنقول الهدى من الله تعالى عند أهل السنة
حقيقة هو خلق الهدى في قلوب المؤمنين والإضلال خلق الضلال في قلوب الكافرين ثم ورد الهدى على غير ذلك من الوجوه مجازا واتساعا
وهذه الآية فإن المراد فيها بالهدى الدلالة على طريقه كما فسره الزمخشري وقد اتفق الفريقان أهل السنة وأهل البدعة على أن استعمال
الهدى ههنا مجاز ثم إن أهل السنة يحملونه على المجاز في جميع موارده في الشرع فأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون وأي دليل

في هذه الآية على أهل السنة لأهل البدعة حتى يرميهم بما ينعكس الى نحره ويذيقه وبال أمره * قوله تعالى وقيضنا لهم قرناء
فيه كيف جاز أن يقيض لهم قرناء من الشياطين وهو ينهاهم عن اتباع خطواتهم وأجاب بان معناه انه خذلهم ومنعهم الـ
لتصميمهم على الكفر فلم يبق لهم قرناء سوى الشياطين والدليل عليه قوله تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن الآية انتهى كلامه (
جواب هذا السؤال على مذهب (٣٣٠) أهل السنة ان الامر على ظاهره فان قاعدة عقيدتهم ان الله تعالى قد يأمر
بما يريد وقوعه ويأمر
بما لا يريد حصوله
وبذلك نطقت هذه
الآية وأخواتها والله

أن الله لا يعلم كثيرا مما
تعملون وذلكم ظنكم
الذي ظننتم بربكم
أرداكم فأصبحتم من
الخاسرين فان يصبروا
فالنار مثوى لهم وان
يستعتبوا فما هم من
المعتبين وقيضنا لهم
قرناء فزينوا لهم ما بين
أيديهم وما خلفهم
وحق عليهم القول في
أمم قد خلت من قبلهم
من الجن والانس انهم
كانوا خاسرين وقال الذين
كفروا لا تسمعوا لهذا
القرآن والغوا فيه
لعلكم تغلبون فلنذيقن
الذين كفروا عذابا
شديدا ولنجزينهم
أسوأ الذي كانوا يعملون
ذلك جزاء أعداء الله
النار لهم فيها دار الخلد
جزاء بما

لما تعاظمهم من شهادتها وكبر عليهم من الافتضاح على ألسنة جوارحهم * المعنى أنكم كنتم تستترون
بالحيطان والحجب عند ارتكاب الفواحش وما كان استتاركم ذلك خيفة أن تشهد عليكم جوارحكم لانكم
غير عالمين بشهادتها عليكم بل كنتم جاحدين بالبعث والجزاء أصلا ولكنكم انما استترتم لظنكم (أن الله لا يعلم
كثيرا مما) كنتم (تعملون) وهو الخفيات من أعمالكم * وذلك الظن هو الذي أهلككم وفي هذا تنبيه
أن من حق المؤمن أن لا يذهب عنه ولا يزل عن ذهنه أن عليه من الله عينا كالئة ورقيبا مهيمنا حتى يكون في
أوقات خلواته من ربه أهيب وأحسن احتشاما وأوفر تحفظا وتصونا منه مع الملأ ولا يتبسط في سره
من التشبه بهؤلاء الظانين * وقرئ ولكن زعمتم (وذلكم) رفع بالابتداء و (ظنكم) و (أرداكم) خبران
ويجوز أن يكون ظنكم بدلا من ذلكم وأرداكم الخبر (فان يصبروا) لم ينفعهم الصبر ولم ينفكوا به من
في النار (وان يستعتبوا) وان يسألوا العتبى وهي الرجوع لهم الى ما يحبون جزعا مما هم فيه لم يعتبوا
لم يعطوا العتبى ولم يجابوا اليها ونحوه قوله عز وعلا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص وقرئ وان يستعتبوا
فما هم من المعتبين أي ان سئلوا أن يرضوا ربهم فما هم فاعلون أي لا سبيل لهم الى ذلك (وقيضنا لهم) وقدرنا
يعني لمشركي مكة يقال هذان ثوبان قيضان اذا كانا متكافئين والمقايضة المعاوضة (قرناء) أخدانا
الشياطين جمع قرين كقوله تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين (فان قلت)
جاز أن يقيض لهم القرناء من الشياطين وهو ينهاهم عن اتباع خطواتهم (قلت) معناه أنه خذلهم ومنعهم
التوفيق لتصميمهم على الكفر فلم يبق لهم قرناء سوى الشياطين والدليل عليه ومن يعش نقيض (ما بين
أيديهم وما خلفهم) ما تقدم من أعمالهم وما هم عازمون عليها أو ما بين أيديهم من أمر الدنيا واتباع الشهوات
وما خلفهم من أمر العاقبة وأن لا بعث ولا حساب (وحق عليهم القول) يعني كلمة العذاب (في أمم) في جملة
ومثل في هذه ما في قوله

ان تك عن أحسن الصنيعة مأ * فوكا ففي آخرين قد أفكوا

يريد فأنت في جملة آخرين وأنت في عداد آخرين لست في ذلك بأوحد (فان قلت) في أمم ما محله (قلت)
النصب على الحال من الضمير في عليهم أي حق عليهم القول كائنين في جملة أمم (انهم كانوا خاسرين) تعليل
لاستحقاقهم العذاب والضمير لهم وللامم * قرئ والغوا فيه بفتح الغين وضمها يقال لغي يلغى ولغا يلغو و
الساقط من الكلام الذي لا طائل تحته قال من اللغا ورفث التكلم والمعنى لا تسمعوا له اذا قرئ وتشاغلوا
عند قراءته برفع الاصوات بالخرافات والهذيان والزمل وما أشبه ذلك حتى تخلطوا على القارئ وتشوشوا
عليه وتغلبوه على قراءته كانت قريش يوصي بذلك بعضهم بعضا (فلنذيقن الذين كفروا) يجوز أن يريد بالذين
كفروا هؤلاء اللاغين والآخرين لهم باللغو خاصة وأن يذكر الذين كفروا عامة لينطووا تحت ذكرهم * و
ذكرنا اضافة أسوأ بما أغنى عن اعادته وعن ابن عباس (عذابا شديدا) يوم بدر و (أسوأ الذي كانوا يعملون)
الآخرة (ذلك) اشارة الى الاسوأ ويجب أن يكون التقدير أسوأ جزاء الذي كانوا يعملون حتى تستقيم هذه
الاشارة و (النار) عطف بيان للجزاء أو خبر مبتدأ محذوف (فان قلت) ما معنى قوله تعالى (لهم فيها دار الخلد)
(قلت) معناه أن النار في نفسها دار الخلد كقوله تعالى لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة والمعنى ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة وتقول لك في هذه الدار دار السرور وأنت تعني الدار بعينها (جزاء

تأولها الزمخشري
ليتبع أهواءه الفاسدة
في اعتقاده أن الله
تعالى لا ينهى عما يريد
وان وقع النهي عنده
فعلى خلاف الارادة تعالى الله عن ذلك وبه نستعيذ من جعل القرآن تبعا للهوى وحينئذ فنقول لو لم يكن كانوا
في القرآن حجة على القدرية الذين هم مجوس هذه الامة بشهادة نبيها عليه الصلاة والسلام سوى هذه الآية لكفى بها فهذا أمر
هذه المقالة التي أنطقهم بها الله الذي أنطق كل شيء في الآية التي قبل هذه

بآياتنا يجحدون) أي جزاء بما كانوا يلغون فيها فذكر الجحود الذي هو سبب اللغو (اللذين أضلانا) أي
الشيطانين اللذين أضلانا (من الجن والانس) لأن الشيطان على ضربين جني وانسي قال الله تعالى وكذلك
جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن وقال تعالى الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس وقيل
هما ابليس وقابيل لانهما سنا الكفر والقتل بغير حق * وقرئ أرنا بسكون الراء لثقل الكسرة كما قالوا في فخذ فخذ
وقيل معناه أعطنا اللذين أضلانا وحكوا عن الخليل أنك اذا قلت أرني ثوبك بالكسر فالمعنى بصرنيه واذا قلته
بالسكون فهو استعطاء معناه أعطني ثوبك ونظيره اشتهار الايتاء في معنى الاعطاء وأصله الاحضار (ثم)
لتراخي الاستقامة عن الاقرار في المرتبة وفضلها عليه لان الاستقامة لها الشأن كله ونحوه قوله تعالى انما
المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا والمعنى ثم ثبتوا على الاقرار ومقتضياته وعن أبي بكر الصديق
رضي الله عنه استقاموا فعلا كما استقاموا قولا وعنه أنه تلاها ثم قال ما تقولون فيها قالوا لم يذنبوا قال حملتم
الأمر على أشده قالوا فما تقول قال لم يرجعوا الى عبادة الاوثان وعن عمر رضي الله عنه استقاموا على الطريقة
لم يروغوا روغان الثعالب وعن عثمان رضي الله عنه أخلصوا العمل وعن علي رضي الله عنه أدوا الفرائض
وقال سفيان بن عبد الله الثقفي رضي الله عنه قلت يا رسول الله أخبرني بأمر أعتصم به قال قل ربي الله ثم استقم
قال فقلت ما أخوف ما تخاف علي فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بلسان نفسه فقال هذا (تتنزل عليهم
الملائكة) عند الموت بالبشرى وقيل البشرى في ثلاثة مواطن عند الموت وفي القبر واذا قاموا من قبورهم
(ألا تخافوا) أن بمعنى أي أو مخففة من الثقيلة وأصله بأنه لا تخافوا والهاء ضمير الشأن وفي قراءة ابن مسعود
رضي الله عنه لا تخافوا أي يقولون لا تخافوا والخوف غم يلحق لتوقع المكروه * والحزن غم يلحق لوقوعه من
فوات نافع أو حصول ضار والمعنى أن الله كتب لكم الامن من كل غم فلن تذوقوه أبدا وقيل لا تخافوا
ما تقدمون عليه ولا تحزنوا على ما خلفتم * كما أن الشياطين قرناء العصاة واخوانهم فكذلك الملائكة أولياء
المتقين وأحباؤهم في الدارين (تدعون) تتمنون * والنزل رزق النزيل وهو الضيف وانتصابه على الحال
(ممن دعا الى الله) عن ابن عباس رضي الله عنهما هو رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الى الاسلام (وعمل صالحا)
فيما بينه وبين ربه وجعل الاسلام نحلة له وعنه أنهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن عائشة رضي
الله عنها كنا نشك أن هذه الآية نزلت في المؤذنين وهي عامة في كل من جمع بين هذه الثلاث أن يكون
موحدا معتقدا لدين الاسلام عاملا بالخير داعيا اليه وما هم الا طبقة العالمين العاملين من أهل العدل
والتوحيد الدعاة الى دين الله وقوله (وقال انني من المسلمين) ليس الغرض أنه تكلم بهذا الكلام ولكن جعل
دين الاسلام مذهبه ومعتقده كما تقول هذا قول أبي حنيفة تريد مذهبه * يعني أن الحسنة والسيئة
متفاوتتان في أنفسهما فخذ بالحسنة التي هي أحسن من أختها اذا اعترضتك حسنتان فادفع بها السيئة التي
ترد عليك من بعض أعدائك ومثال ذلك رجل أساء اليك اساءة فالحسنة أن تعفو عنه والتي هي أحسن أن
تحسن اليه مكان اساءته اليك مثل أن يذمك فتمدحه ويقتل ولدك فتفتدي ولده من يد عدوه فانك اذا فعلت
ذلك انقلب عدوك المشاق مثل الولي الحميم مصافاة لك * ثم قال وما يلقى هذه الخليقة أو السجية التي هي
مقابلة الاساءة بالاحسان الا أهل الصبر * والا رجل خير وفق لحظ عظيم من الخير (فان قلت) فهلا قيل
فادفع بالتي هي أحسن (قلت) هو على تقدير قائل قال فكيف أصنع فقيل ادفع بالتي هي أحسن * وقيل
لا مزيدة والمعنى ولا تستوي الحسنة والسيئة (فان قلت) فكان القياس على هذا التفسير أن يقال ادفع
بالتي هي حسنة (قلت) أجل ولكن وضع التي هي أحسن موضع الحسنة ليكون أبلغ في الدفع بالحسنة
لأن من دفع بالحسنى هان عليه الدفع بما هو دونها وعن ابن عباس رضي الله عنهما بالتي هي أحسن
الصبر عند الغضب والحلم عند الجهل والعفو عند الاساءة وفسر الحظ بالثواب وعن الحسن رحمه الله والله
ما عظم حظ دون الجنة وقيل نزلت في أبي سفيان بن حرب وكان عدوا مؤذيا لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فصار وليا مصافيا * النزغ والنسغ بمعنى وهو شبه النخس والشيطان ينزغ الانسان كأنه ينخسه يبعثه على

كانوا بآياتنا يجحدون
وقال الذين كفروا ربنا
أرنا اللذين أضلانا من
الجن والانس نجعلهما
تحت أقدامنا ليكونا
من الاسفلين ان الذين
قالوا ربنا الله ثم استقاموا
تتنزل عليهم الملائكة
الا تخافوا ولا تحزنوا
وأبشروا بالجنة التي
كنتم توعدون نحن
أولياؤكم في الحيوة
الدنيا وفي الآخرة ولكم
فيها ما تشتهي أنفسكم
ولكم فيها ما تدعون نزلا
من غفور رحيم ومن
أحسن قولا ممن دعا
الى الله وعمل صالحا
وقال انني من المسلمين
ولا تستوي الحسنة
ولا السيئة ادفع بالتي
هي أحسن فاذا الذي
بينك وبينه عداوة
كأنه ولي حميم وما
يلقاها الا الذين صبروا
وما يلقاها الا ذو حظ
عظيم واما ينزغنك
من الشيطان نزغ

ما لا ينبغي وجعل النزغ نازغا كما قيل جد جده أو أريد وإما ينزغنك نازغ وصفا للشيطان بالمصدر أو لتسويله
والمعنى وإن صرفك الشيطان عما وصيت به من الدفع بالتي هي أحسن (فاستعذ بالله) من شره وامض
شأنك ولا تطعه ※ الضمير في (خلقهن) لليل والنهار والشمس والقمر لأن حكم جماعة ما لا يعقل حكم
أو الإناث يقال الأقلام بريتها وبريتهن أو لما قال ومن آياته كن في معنى الآيات فقيل خلقهن (فإن
أين موضع السجدة (قلت) عند الشافعي رحمه الله تعالى (تعبدون) وهي رواية مسروق عن عبد الله لتقدم
لفظ السجدة قبلها وعند أبي حنيفة رحمه الله يسأمون لأنها تمام المعنى وهي عن ابن عباس وابن عمر وكان
ابن المسيب لعل ناسا منهم كانوا يسجدون للشمس والقمر كالصابئين في عبادتهم الكواكب ويزعمون أنهم
يقصدون بالسجود لهما السجود لله فنهوا عن هذه الواسطة وأمروا أن يقصدوا بسجودهم وجه الله تعالى
إن كانوا إياه يعبدون وكانوا موحدين غير مشركين (فإن استكبروا) ولم يمتثلوا ما أمروا به وأبوا إلا
الواسطة فدعهم وشأنهم فإن لله عز سلطانه لا يعدم عابدا ولا ساجدا بالإخلاص وله العباد المقربون الذين
ينزهونه بالليل والنهار عن الأنداد وقوله (عند ربك) عبارة عن الزلفى والمكانة والكرامة ※ وقرئ لا يسأمون
بكسر الياء ※ الخشوع التذلل والتقاصر فاستعير لحال الأرض إذا كانت قحطة لا نبات فيها كما وصفها بالهمود في
قوله تعالى وترى الأرض هامدة وهو خلاف وصفها بالاهتزاز والربو وهو الانتفاخ إذا أخصبت وتزخرفت
بالنبات كأنها بمنزلة المختال في زيه وهي قبل ذلك كالذليل الكاسف البال في الأطمار الرثة ※ وقرئ وربأت أي
ارتفعت لأن النبت إذا هم أن يظهر ارتفعت له الأرض ※ يقال ألحد الحافر ولحد إذا مال عن الاستقامة
فحفر في شق فاستعير للانحراف في تأويل آيات القرآن عن جهة الصحة والاستقامة وقرئ يلحدون ويلحدون
على اللغتين وقوله (لا يخفون علينا) وعيد لهم على التحريف (فإن قلت) بم اتصل قوله (إن الذين
بالذكر) (قلت) هو بدل من قوله إن الذين يلحدون في آياتنا والذكر القرآن لأنهم لكفرهم به طعنوا فيه
وحرفوا تأويله (وإنه لكتاب عزيز) أي منيع محمي بحماية الله تعالى (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه)
مثل كأن الباطل لا يتطرق إليه ولا يجد إليه سبيلا من جهة من الجهات حتى يصل إليه ويتعلق به (فإن
قلت) أما طعن فيه الطاعنون وتأوله المبطلون (قلت) بلى ولكن الله قد تقدم في حمايته عن تعلق الباطل
بأن قيض قوما عارضوهم بإبطال تأويلهم وإفساد أقاويلهم فلم يخلوا طعن طاعن إلا ممحوقا ولا قول مبطل
إلا مضمحلا ونحوه قوله تعالى إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون (ما يقال لك) أي ما يقول لك كفار قومك
إلا مثل ما قال للرسل كفار قومهم من الكلمات المؤذية والمطاعن في الكتب المنزلة (إن ربك لذو مغفرة) ورحمة
لأنبيائه (وذو عقاب) لأعدائهم ويجوز أن يكون ما يقول لك الله إلا مثل ما قال للرسل من قبلك والمقول هو
قوله تعالى إن ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم فمن حقه أن يرجوه أهل طاعته ويخافه أهل معصيته والغرض
تخويف العصاة ※ كانوا لتعنتهم يقولون هلا نزل القرآن بلغة العجم فقيل لو كان كما يقترحون لم يتركوا
الاعتراض والتعنت وقالوا (لولا فصلت آياته) أي بينت ولخصت بلسان نفقهه (أأعجمي وعربي) الهمزة همزة
الإنكار يعني لأنكروا وقالوا أقرآن أعجمي ورسول عربي أو مرسل إليه عربي وقرئ أعجمي والأعجمي الذي
لا يفصح ولا يفهم كلامه من أي جنس كان والعجمي منسوب إلى أمة العجم وفي قراءة الحسن أعجمي بغير
همزة الاستفهام على الإخبار بأن القرآن أعجمي والمرسل أو المرسل إليه عربي والمعنى أن آيات الله على أي
طريقة جاءتهم وجدوا فيها متعنتا لأن القوم غير طالبين للحق وإنما يتبعون أهواءهم ويجوز في قراءة الحسن
هلا فصلت آياته تفصيلا فجعل بعضها بيانا للعجم وبعضها بيانا للعرب (فإن قلت) كيف يصح أن يراد بالعربي
المرسل إليهم وهم أمة العرب (قلت) هو على ما يجب أن يقع في إنكار المنكر لو رأى كتابا عجميا كتب
إلى قوم من العرب يقول كتاب أعجمي ومكتوب إليه عربي وذلك لأن مبنى الإنكار على تنافر حالتي الكتاب
والمكتوب إليه لا على أن المكتوب إليه واحد أو جماعة فوجب أن يجرد لما سيق إليه من الغرض ولا يوصل
به ما يخل غرضا آخر ألا تراك تقول وقد رأيت لباسا طويلا على امرأة قصيرة اللباس طويل واللابس

فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون فإن استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت إن الذي أحياها لمحيي الموتى إنه على كل شيء قدير إن الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا أفمن يلقى في النار خير أم من يأتي آمنا يوم القيامة اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك إن ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته أأعجمي وعربي

(قوله تعالى قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى) (أجاز) في الواو في هذه الآية وجوها منها أن تكون الواو لعطف الذين على الذين ووقر على هدى وشفاء ويكون من

العطف على عاملين قال وإما أن يكون والذين مرفوعا على تقدير والذين لا يؤمنون هو في آذانهم وقر على حذف المبتدأ أو في آذانهم منه وقر انتهى (قلت) أي بتقدير الرابطة يستغنى عن تقدير المبتدأ

ـمي ولو قلت والزنجية قصيرة جئت بما هو لكنة وفضول قول لأن الكلام لم يقع في ذكورة اللابس وأنوثته إنما وقع في غرض وراءهما (هو) أي القرآن (هدى وشفاء) إرشاد إلى الحق وشفاء (لما في الصدور) من الظن والشك * (فإن قلت) (والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر) منقطع عن ذكر القرآن فما وجه اتصاله به (قلت) لا يخلو إما أن يكون الذين لا يؤمنون في موضع الجر معطوفا على قوله تعالى للذين آمنوا على معنى قولك هو للذين آمنوا هدى وشفاء وهو للذين لا يؤمنون في آذانهم وقر إلا أن فيه عطفا على عاملين وإن كان الأخفش يجيزه وإما أن يكون مرفوعا على تقدير والذين لا يؤمنون هو في آذانهم وقر على حذف المبتدأ أو في آذانهم منه وقر * وقرئ وهو عليهم عم وعمى كقوله تعالى فعميت عليكم (ينادون من مكان بعيد) يعني أنهم لا يقبلونه ولا يرعونه أسماعهم فمثلهم في ذلك مثل من يصيح به من مسافة شاطة لا يسمع من مثلها الصوت فلا يسمع النداء (فاختلف فيه) فقال بعضهم هو حق وقال بعضهم هو باطل * والكلمة السابقة هي العدة بالقيامة وأن الخصومات تفصل في ذلك اليوم ولولا ذلك لقضي بينهم في الدنيا قال الله تعالى بل الساعة موعدهم ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى (فلنفسه) فنفسه نفع (فعليها) فنفسه ضر (وما ربك بظلام) فيعذب غير المسيء (إليه يرد علم الساعة) أي إذا سئل عنها قيل الله يعلم أو لا يعلمها إلا الله * وقرئ من ثمرات من أكمامهن والكم بكسر الكاف وعاء الثمرة كجف الطلعة أي وما يحدث شيء من خروج ثمرة ولا حمل حامل ولا وضع واضع إلا وهو عالم به يعلم عدد أيام الحمل وساعاته وأحواله من الخداج والتمام والذكورة والأنوثة والحسن والقبح وغير ذلك (أين شركائي) أضافهم إليه تعالى على زعمهم وبيانه في قوله تعالى أين شركائي الذين كنتم تزعمون وفيه تهكم وتقريع (آذناك) أعلمناك (ما منا من شهيد) أي ما منا أحد اليوم وقد أبصرنا وسمعنا يشهد بأنهم شركاؤك أي ما منا إلا من هو موحد لك أو ما منا من أحد يشاهدهم لأنهم ضلوا عنهم وضلت عنهم آلهتهم لا يبصرونها في ساعة التوبيخ وقيل هو كلام الشركاء أي ما منا من شهيد يشهد بما أضافوا إلينا من الشركة ومعنى ضلالهم عنهم على هذا التفسير أنهم لا ينفعونهم فكأنهم ضلوا عنهم (وظنوا) وأيقنوا (ما لهم من محيص) مهرب (فإن قلت) آذناك إخبار بإيذان كان منهم فإذا قد آذنوا فلم سئلوا (قلت) يجوز أن يعاد عليهم أين شركائي إعادة للتوبيخ وإعادته في القرآن على سبيل الحكاية دليل على إعادة المحكي ويجوز أن يكون المعنى إنك علمت من قلوبنا وعقائدنا الآن أنا لا نشهد تلك الشهادة الباطلة لأنه إذا علمه من نفوسهم فكأنهم أعلموه ويجوز أن يكون إنشاء للإيذان ولا يكون إخبارا بإيذان قد كان كما تقول أعلم الملك أنه كان من الأمر كيت وكيت (من دعاء الخير) من طلب السعة في المال والنعمة وقرأ ابن مسعود من دعاء بالخير (وإن مسه الشر) أي الضيقة والفقر (فيؤس قنوط) بولغ فيه من طريقين من طريق بناء فعول ومن طريق التكرير والقنوط أن يظهر عليه أثر اليأس فيتضاءل وينكسر أي يقطع الرجاء من فضل الله وروحه وهذه صفة الكافر بدليل قوله تعالى إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون * وإذا فرجنا عنه بصحة بعد مرض أو سعة بعد ضيق قال (هذا لي) أي هذا حقي وصل إلي لأني استوجبته بما عندي من خير وفضل وأعمال بر أو هذا لي لا يزول عني ونحوه قوله تعالى فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه * ونحوه قوله تعالى (وما أظن الساعة قائمة) إن نظن إلا ظنا وما نحن بمستيقنين يريد وما أظنها تكون * فإن كانت على طريق التوهم (إن لي) عند الله الحالة الحسنى من الكرامة والنعمة قايسا أمر الآخرة على أمر الدنيا وعن بعضهم للكافر أمنيتان يقول في الدنيا ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى ويقول في الآخرة يا ليتني كنت ترابا وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة * فلنخبرنهم بحقيقة ما عملوا من الأعمال الموجبة للعذاب ولنبصرنهم عكس ما اعتقدوا فيها أنهم يستوجبون عليها كرامة وقربة عند الله وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وذلك أنهم كانوا ينفقون أموالهم رئاء الناس وطلبا للافتخار والاستكبار لا غير وكانوا يحسبون أن ما هم

قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادون من مكان بعيد ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم وإنهم لفي شك منه مريب من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد إليه يرد علم الساعة وما تخرج من ثمرات من أكمامها وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه ويوم يناديهم أين شركائي قالوا آذناك ما منا من شهيد وضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل وظنوا ما لهم من محيص لا يسأم الإنسان من دعاء الخير وإن مسه الشر فيؤس قنوط ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي وما أظن الساعة قائمة ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى فلننبئن الذين كفروا بما عملوا ولنذيقنهم من عذاب غليظ وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض

عليه بسبب الغنى والصحة وأنهم محقوقون بذلك * هذا أيضا ضرب آخر من طغيان الانسان اذا أصابه الله بنعمة أبطرته النعمة وكأنه لم يلق بؤسا قط فنسي المنعم وأعرض عن شكره (ونأى بجانبه) أي ذهب بنفسه وتكبر وتعظم * وان مسه الضر والفقر أقبل على دوام الدعاء وأخذ في الابتهال والتضرع وقد استعير العرض لكثرة الدعاء ودوامه وهو من صفة الاجرام ويستعار له الطول أيضا كما استعير الغلظ لشدة العذاب وقرئ ونأى بجانبه بامالة الالف وكسر النون للاتباع وناء على القلب كما قالوا راء في رأى (فان قلت) حقق لي معنى قوله تعالى ونأى بجانبه (قلت) فيه وجهان أن يوضع جانبه موضع نفسه كما ذكرنا في قوله تعالى على ما فرطت في جنب الله ان مكان الشيء وجهته ينزل منزلة الشيء نفسه ومنه قوله ونفيت عنه مقام الذئب يريد ونفيت عنه الذئب ومنه ولمن خاف مقام ربه ومنه قول الكتاب حضرة فلان ومجلسه وكتبت الى جهته والى جهة العزيز يريدون نفسه وذاته فكأنه قال ونأى بنفسه كقولهم في المتكبر ذهب بنفسه وذهبت به الخيلاء كل مذهب وعصفت به الخيلاء وأن يراد بجانبه عطفه ويكون عبارة عن الانحراف والازورار كما قالوا ثنى عطفه وتولى بركنه (أرأيتم) أخبروني (ان كان) القرآن (من عند الله) يعني أن ما أنتم عليه من انكار القرآن وتكذيبه ليس بأمر صادر عن حجة قاطعة حصلتم منها على اليقين وثلج الصدور وانما هو قبل النظر واتباع الدليل أمر محتمل يجوز أن يكون من عند الله وأن لا يكون من عنده وأنتم لم تنظروا ولم تفحصوا فما أنكرتم أن يكون حقا وقد كفرتم به فأخبروني من أضل منكم وأنتم أبعدتم الشوط في مشاقته ومناصبته ولعله حق فأهلكتم أنفسكم وقوله تعالى (ممن هو في شقاق بعيد) موضوع موضع منكم بيانا لحالهم وصفتهم (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم) يعني ما يسر الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم وللخلفاء من بعده وأنصار دينه في آفاق الدنيا وبلاد المشرق والمغرب عموما وفي باحة العرب خصوصا من الفتوح التي لم يتيسر أمثالها لاحد من خلفاء الارض قبلهم ومن الاظهار على الجبابرة والاكاسرة وتغليب قليلهم على كثيرهم وتسليط ضعافهم على أقويائهم واجرائه على أيديهم أمورا خارجة من المعهود خارقة للعادات ونشر دعوة الاسلام في أقطار المعمورة وبسط دولته في أقاصيها والاستقراء يطلعك في التواريخ والكتب المدونة في مشاهد أهله وأيامهم على عجائب لا ترى وقعة من وقائعهم الا علما من أعلام الله وآية من آياته يقوى معها اليقين ويزداد بها الايمان ويتبين أن دين الاسلام هو دين الحق الذي لا يحيد عنه الا مكابر حسه مغالط نفسه وما الثبات والاستقامة الا صفة الحق والصدق كما أن الاضطراب والتزلزل صفة الفرية والزور وأن للباطل ريحا تخفق ثم تسكن ودولة تظهر ثم تضمحل (بربك) في موضع الرفع على أنه فاعل كفى و (أنه على كل شيء شهيد) بدل منه تقديره أولم يكفهم أن ربك على كل شيء شهيد ومعناه أن هذا الموعود من اظهار آيات الله في الآفاق وفي أنفسهم سيرونه ويشاهدونه فيتبينون عند ذلك أن القرآن تنزيل عالم الغيب الذي هو على كل شيء شهيد أي مطلع مهيمن يستوي عنده غيبه وشهادته فيكفيهم ذلك دليلا على أنه حق وأنه من عنده ولو لم يكن كذلك لما قوي هذه القوة ولما نصر حاملوه هذه النصرة * وقرئ في مرية بالضم وهي الشك (محيط) عالم بجمل الاشياء وتفاصيلها وظواهرها وبواطنها فلا تخفى عليه خافية منهم وهو مجازيهم على كفرهم ومريتهم في لقاء ربهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة السجدة أعطاه الله بكل حرف عشر حسنات

﴿سورة حم عسق مكية وتسمى سورة الشورى وهي ثلاث وخمسون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* قرأ ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما حم سق (كذلك يوحي اليك) أي مثل ذلك الوحي أو مثل الكتاب يوحي اليك والى الرسل (من قبلك الله) يعني أن ما تضمنته هذه السورة من المعاني قد أوحى اليك مثله في غيرها من السور وأوحاه من قبلك الى رسله على معنى أن الله تعالى كرر هذه المعاني في القرآن وفي جميع الكتب السماوية لما فيها من التنبيه البليغ واللطف العظيم لعباده من الاولين والآخرين ولم

ونأى بجانبه واذا مسه الشر فذو دعاء عريض قل أرأيتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به من أضل ممن هو في شقاق بعيد سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ألا انهم في مرية من لقاء ربهم ألا انه بكل شيء محيط

﴿سورة الشورى وهي ثلاث وخمسون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

حم عسق كذلك يوحي اليك والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم له ما في السموات وما في الارض وهو العلي العظيم تكاد السموات

يوحي إليك ولكن على لفظ المضارع ليدل على أن إيحاء مثله عادته * وقرئ يوحى إليك على البناء للمفعول
(فإن قلت) فما رافع اسم الله على هذه القراءة (قلت) ما دل عليه يوحى كأن قائلا قال من الموحي فقيل الله
كقراءة السلمي وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم على البناء للمفعول ورفع شركائهم
على معنى زينه لهم شركاؤهم (فإن قلت) فما رافعه فيمن قرأ نوحي بالنون (قلت) يرتفع بالابتداء * والعزيز
وما بعده أخبار أو العزيز الحكيم صفتان والظرف خبر * قرئ تكاد بالتاء والياء و ينفطرن و يتفطرن
وروى يونس عن أبي عمرو قراءة غريبة تتفطرن بتاءين مع النون ونظيرها حرف نادر روي في نوادر ابن
الأعرابي الإبل تتشمسن ومعناه يكدن ينفطرن من علو شأن الله وعظمته يدل عليه مجيئه بعد العلي العظيم
وقيل من دعائهم له ولدا كقوله تعالى تكاد السموات يتفطرن منه * (فإن قلت) لم قال من فوقهن (قلت)
لأن أعظم الآيات وأدلها على الجلال والعظمة فوق السموات وهي العرش والكرسي وصفوف الملائكة
المرتجة بالتسبيح والتقديس حول العرش وما لا يعلم كنهه إلا الله تعالى من آثار ملكوته العظمى فلذلك قال
يتفطرن من فوقهن) أي يبتدئ الانفطار من جهتهن الفوقانية أو لأن كلمة الكفر جاءت من الذين تحت
السموات فكان القياس أن يقال ينفطرن من تحتهن من الجهة التي جاءت منها الكلمة ولكنه بولغ في ذلك
فجعلت مؤثرة في جهة الفوق كأنه قيل يكدن ينفطرن من الجهة التي فوقهن دع الجهة التي تحتهن ونظيره
في المبالغة قوله عز وعلا يصب من فوق رؤسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم فجعل الحميم مؤثرا في أجزائهم
الباطنة وقيل من فوقهن من فوق الأرضين * (فإن قلت) كيف صح أن يستغفروا لمن في الأرض وفيهم
الكفار أعداء الله وقد قال الله تعالى أولئك عليهم لعنة الله والملائكة فكيف يكونون لاعنين مستغفرين لهم
(قلت) قوله (لمن في الأرض) يدل على جنس أهل الأرض وهذه الجنسية قائمة في كلهم وفي بعضهم فيجوز
أن يراد به هذا وهذا وقد دل الدليل على أن الملائكة لا يستغفرون إلا لأولياء الله وهم المؤمنون فما أراد
الله إلا إياهم ألا ترى إلى قوله تعالى في سورة المؤمن ويستغفرون للذين آمنوا وحكايته عنهم فاغفر للذين تابوا
واتبعوا سبيلك كيف وصفوا المستغفر لهم بما يستوجب به الاستغفار فما تركوا للذين لم يتوبوا من المصدقين
طمعا في استغفارهم فكيف للكفرة ويحتمل أن يقصدوا بالاستغفار طلب الحلم والغفران في قوله تعالى
إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا إلى أن قال إنه كان حليما غفورا وقوله تعالى إن ربك لذو مغفرة
للناس على ظلمهم والمراد الحلم عنهم وأن لا يعاجلهم بالانتقام فيكون عاما (فإن قلت) قد فسرت قوله تعالى تكاد
السموات يتفطرن بتفسيرين فما وجه طباق ما بعده لهما (قلت) أما على أحدهما فكأنه قيل تكاد السموات
ينفطرن هيبة من جلاله واحتشاما من كبريائه والملائكة الذين هم ملء السبع الطباق وحافون حول
العرش صفوفا بعد صفوف يداومون خضوعا لعظمته على عبادته وتسبيحه وتحميده ويستغفرون لمن في
الأرض خوفا عليهم من سطواته وأما على الثاني فكأنه قيل يكدن ينفطرن من إقدام أهل الشرك على
تلك الكلمة الشنعاء والملائكة يوحدون الله وينزهونه عما لا يجوز عليه من الصفات التي يضيفها إليه
الجاهلون به حامدين له على ما أولاهم من ألطافه التي علم أنهم عندها يستعصمون مختارين غير ملجئين
ويستغفرون لمؤمني أهل الأرض الذين تبرؤا من تلك الكلمة ومن أهلها أو يطلبون إلى ربهم أن يحلم عن
أهل الأرض ولا يعاجلهم بالعقاب مع وجود ذلك فيهم لما عرف في ذلك من المصالح وحرصا على نجاة
الخلق وطمعا في توبة الكفار والفساق منهم (والذين اتخذوا من دونه أولياء) جعلوا له شركاء وأندادا (الله
حفيظ عليهم) رقيب على أحوالهم وأعمالهم لا يفوته منها شيء وهو محاسبهم عليها ومعاقبهم لا رقيب عليهم
إلا هو وحده (وما أنت) يا محمد بموكل بهم ولا مفوض إليك أمرهم ولا قسرهم على الإيمان إنما أنت منذر
فحسب * ومثل ذلك (أوحينا إليك) وذلك إشارة إلى معنى الآية قبلها من أن الله تعالى هو الرقيب عليهم
وما أنت برقيب عليهم ولكن نذير لهم لأن هذا المعنى كرره الله في كتابه في مواضع جمة والكاف مفعول به
لأوحينا (قرآنا عربيا) حال من المفعول به أي أوحيناه إليك وهو قرآن عربي بين لا لبس فيه عليك

يتفطرن من فوقهن والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض ألا إن الله هو الغفور الرحيم والذين اتخذوا من دونه أولياء الله حفيظ عليهم وما أنت عليهم بوكيل وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا

لتفهم ما يقال لك ولا تتجاوز حد الانذار ويجوز أن يكون ذلك اشارة الى مصدر أوحينا أي ومثل ذلك الايحاء البين المفهم أوحينا اليك قرآنا عربيا بلسانك (لتنذر) يقال أنذرته كذا وأنذرته بكذا وقد عدى الاول أعني لتنذر أم القرى الى المفعول الاول والثاني وهو قوله وتنذر يوم الجمع الى المفعول الثاني (أم القرى) أهل أم القرى كقوله تعالى واسئل القرية (ومن حولها) من العرب * وقرئ لينذر بالياء والفعل للقرآن (يوم الجمع) يوم القيامة لان الخلائق تجمع فيه قال الله تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع وقيل يجمع بين الارواح والاجساد وقيل يجمع بين كل عامل وعمله و (لا ريب فيه) اعتراض لا محل له * قرئ فريق وفريقا بالرفع والنصب فالرفع على منهم فريق ومنهم فريق والضمير للمجموعين لان المعنى يوم جمع الخلائق والنصب على الحال منهم أي متفرقين كقوله تعالى ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون (فان قلت) كيف يكونون مجموعين متفرقين في حالة واحدة (قلت) هم مجموعون في ذلك اليوم مع افتراقهم في داري البؤس والنعيم كما يجتمع الناس يوم الجمعة متفرقين في مسجدين وان أريد بالجمع جمعهم في الموقف فالتفرق على معنى مشارفتهم للتفرق (لجعلهم أمة واحدة) أي مؤمنين كلهم على القسر والاكراه كقوله تعالى ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها وقوله تعالى ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا والدليل على أن المعنى هو الالجاء الى الايمان قوله أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين وقوله تعالى أفأنت تكره بادخال همزة الانكار على المكره دون فعله دليل على أن الله وحده هو القادر على هذا الاكراه دون غيره والمعنى ولو شاء ربك مشيئة قدرة لقسرهم جميعا على الايمان * ولكنه شاء مشيئة حكمة فكلفهم وبنى أمرهم على ما يختارون ليدخل المؤمنين في رحمته وهم المرادون بمن يشاء ألا ترى الى وضعهم في مقابلة الظالمين ويترك الظالمين بغير ولي ولا نصير في عذابه * معنى الهمزة في (أم) الانكار (فالله هو الولي) هو الذي يجب أن يتولى وحده ويعتقد انه المولى والسيد والفاء في قوله فالله هو الولي جواب شرط مقدر كأنه قيل بعد انكار كل ولي سواه ان أرادوا وليا بحق فالله هو الولي بالحق لا ولي سواه (وهو يحيي) أي ومن شأن هذا الولي أنه يحيي (وهو على كل شيء قدير) فهو الحقيق بأن يتخذوه وليا دون من لا يقدر على شيء (وما اختلفتم فيه من شيء) حكاية قول رسول الله صلى الله عليه وسلم للمؤمنين أي ما خالفكم فيه الكفار من أهل الكتاب والمشركين فاختلفتم أنتم وهم فيه من أمر من أمور الدين فحكم ذلك المختلف فيه مفوض الى الله تعالى وهو اثابة المحقين من المؤمنين ومعاقبة المبطلين (ذلكم) الحاكم بينكم هو (الله ربي عليه توكلت) في رد كيد أعداء الدين (واليه) أرجع في كفاية شرهم وقيل وما اختلفتم فيه وتنازعتم من شيء من الخصومات فتحاكموا فيه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تؤثروا على حكومته حكومة غيره كقوله تعالى فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول وقيل وما اختلفتم فيه من تأويل آية واشتبه عليكم فارجعوا في بيانه الى المحكم من كتاب الله والظاهر من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل وما وقع بينكم الخلاف فيه من العلوم التي لا تتصل بتكليفكم ولا طريق لكم الى علمه فقولوا الله أعلم كمعرفة الروح قال الله تعالى ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربي (فان قلت) هل يجوز حمله على اختلاف المجتهدين في أحكام الشريعة (قلت) لا لان الاجتهاد لا يجوز بحضرة الرسول صلى الله عليه وسلم (فاطر السموات) قرئ بالرفع والجر فالرفع على أنه أحد أخبار ذلكم أو خبر مبتدأ محذوف والجر على ضكمه الى الله فاطر السموات وذلكم الى أنيب اعتراض بين الصفة والموصوف (جعل لكم) خلق لكم (من أنفسكم) من جنسكم من الناس (أزواجا ومن الانعام أزواجا) أي وخلق من الانعام أزواجا ومعناه وخلق للانعام أيضا من أنفسها أزواجا (يذرؤكم) يقال ذرأ الله الخلق بثهم وكثرهم والذر والذرو والذرء أخوات (فيه) في هذا التدبير وهو أن جعل للناس والانعام أزواجا حتى كان بين ذكورهم واناثهم التوالد والتناسل والضمير في يذرؤكم يرجع الى المخاطبين والانعام مغلبا فيه المخاطبون العقلاء على الغيب مما لا يعقل وهي من الاحكام ذات العلتين (فان قلت) ما معنى يذرؤكم في هذا التدبير وهلا قيل يذرؤكم به (قلت) جعل هذا التدبير كالمنبع والمعدن للبث و...

لتنذر أم القرى ومن حولها وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه فريق في الجنة وفريق في السعير ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة ولكن يدخل من يشاء في رحمته والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير أم اتخذوا من دونه أولياء فالله هو الولي وهو يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله ذلكم الله ربي عليه توكلت واليه أنيب فاطر السموات والارض جعل لكم من أنفسكم أزواجا ومن الانعام أزواجا يذرؤكم فيه ليس كمثله

﴿القول في سورة حم عسق﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* قوله تعالى جعل لكم من أنفسكم أزواجا ومن الانعام أزواجا يذرؤكم فيه (قال ان الضمير المتصل بيذرؤ عائد على الانفس وعلى الانعام مغلبا فيه المخاطبون العقلاء على الغيب مما لا يعقل وهي من الاحكام ذات العلتين انتهى كلامه) قلت الصحيح انهما حكمان متماثلان غير متداخلين أحدهما ثبتيه على نعت

ضمير العقلاء أعم من كونه مخاطبا أو غائبا والثاني بحيثيه بعد ذلك على نعت الخطاب فالاول لتغليب العقل والثاني لتغليب

الى ليس كمثله شيء (قال) فيه تقول العرب مثلك لا يبخل فينفون البخل عن مثله والمراد نفيه ونظيره قولك للعربي العرب
م ومنه قولهم قد أيفعت لداته وبلغت أترابه وفي حديث رقيقة بنت صيفي في سقيا عبد المطلب ألا وفيهم الطيب الطاهر لداته
ربه وطيبه فاذا علم أنه من باب الكناية لم يكن فرق بين قولك ليس كالله شيء وبين قوله ليس كمثله شيء الا ما تعطيه الكناية من
وه قوله تعالى بل يداه مبسوطتان فان معناه بل هو جواد من غير تصور ولا بسط لانها وقعت عبارة عن الجود لا يقصدون
آخر حتى انهم يستعملونها فيمن لا يد له فكذلك استعمل هذا فيمن له مثل وفيمن لا مثل له ثم قال ولك أن تزعم ان كلمة التشبيه
تأكيد كما كررت في قول من قال وصاليات ككما يؤثفين ومن قال فأصبحت (٣٣٧) مثل كعصف مأكول انتهى
كلامه (قلت) هذا الوجه الثاني مردود على ما فيه من الانفلال

تقول للحيوان في خلق الازواج تكثير كما قال تعالى ولكم في القصاص حياة * قالوا مثلك لا يبخل
البخل عن مثله وهم يريدون نفيه عن ذاته قصدوا المبالغة في ذلك فسلكوا به طريق الكناية لانهم اذا
نفوه عمن يسد مسده وعمن هو على أخص أوصافه فقد نفوه عنه ونظيره قولك للعربي العرب لا تخفر الذمم
كان أبلغ من قولك أنت لا تخفر ومنه قولهم قد أيفعت لداته وبلغت أترابه يريدون ايفاعه وبلوغه وفي
حديث رقيقة بنت صيفي في سقيا عبد المطلب ألا وفيهم الطيب الطاهر لداته والقصد الى طهارته وطيبه فاذا
علم أنه من باب الكناية لم يقع فرق بين قوله ليس كالله شيء وبين قوله ليس كمثله شيء الا ما تعطيه الكناية من
فائدتها وكأنهما عبارتان معتقبتان على معنى واحد وهو نفي المماثلة عن ذاته ونحوه قوله عز وجل بل يداه
مبسوطتان فان معناه بل هو جواد من غير تصور يد ولا بسط لها لانها وقعت عبارة عن الجود لا يقصدون
شيئا آخر حتى انهم استعملوها فيمن لا يد له فكذلك استعمل هذا فيمن له مثل ومن لا مثل له ولك أن تزعم أن
كلمة التشبيه كررت للتأكيد كما كررها من قال وصاليات ككما يؤثفين ومن قال فأصبحت مثل كعصف
مأكول * وقرئ ويقدر (انه بكل شيء عليم) فاذا علم أن الغنى خير للعبد أغناه والا أفقره (شرع لكم من
الدين دين نوح ومحمد ومن بينهما من الانبياء ثم فسر المشروع الذي اشترك هؤلاء الاعلام من رسله فيه
بقوله (أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) والمراد اقامة دين الاسلام الذي هو توحيد الله وطاعته والايمان
برسله وكتبه وبيوم الجزاء وسائر ما يكون الرجل باقامته مسلما ولم يرد الشرائع التي هي مصالح الامم على
حسب أحوالها فانها مختلفة متفاوتة قال الله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ومحل أن أقيموا اما نصب
بدل من مفعول شرع والمعطوفين عليه واما رفع على الاستئناف كأنه قيل وما ذلك المشروع فقيل هو اقامة
الدين ونحوه قوله تعالى ان هذه أمتكم أمة واحدة (كبر على المشركين) عظم عليهم وشق عليهم (ما تدعوهم
اليه) من اقامة دين الله والتوحيد (يجتبي اليه) يجتلب اليه ويجمع والضمير للدين بالتوفيق والتسديد
(من يشاء) من ينفع فيهم توفيقه ويجري عليهم لطفه (وما تفرقوا) يعني أهل الكتاب بعد أنبيائهم (الا من
بعد) أن علموا أن الفرقة ضلال وفساد وأمر متوعد عليه على ألسنة الانبياء (ولولا كلمة سبقت من ربك) وهي
عدة التأخير الى يوم القيامة (لقضي بينهم) حين افترقوا لعظم ما اقترفوا (وان الذين أورثوا الكتاب من
بعدهم) وهم أهل الكتاب الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم (لفي شك) من كتابهم لا يؤمنون
به حق الايمان وقيل كان الناس أمة واحدة مؤمنين بعد أن أهلك الله أهل الارض أجمعين بالطوفان فلما
مات الآباء اختلف الابناء فيما بينهم وذلك حين بعث الله اليهم النبيين مبشرين ومنذرين وجاءهم العلم وانما
اختلفوا للبغي بينهم وقيل وما تفرق أهل الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بمبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم

شيء وهو السميع البصير له مقاليد السموات والارض يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه بكل شيء عليم شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم اليه الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه من ينيب وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ولولا كلمة سبقت من ربك الى أجل مسمى لقضي بينهم وان الذين أورثوا الكتاب من بعدهم لفي شك منه مريب

بالمعنى وذلك ان الذي يليق ههنا تأكيد نفي
كشاف ني المماثلة والكاف على هذا الوجه انما تؤكد المماثلة وفرق بين تأكيد المماثلة المنفية وبين
تأكيد نفي المماثلة فان نفي المماثلة المهملة عن التأكيد أبلغ وآكد في المعنى من نفي المماثلة المقترنة بالتأكيد اذ يلزم من نفي المماثلة
التي لم تؤكد نفي كل مماثلة ولا يلزم من نفي مماثلة محققة متأكدة بالغة نفي مماثلة دونها في التحقيق والتأكيد وحيث وردت
كلمة المماثلة وردت في الاثبات فأكدته فليس النظر في الآية بهذين النظرين متقاربا والله أعلم ومما يرشد الى صحة
ما ... انه ان للقائل أن يقول ليس زيد يشبه عمرا ولكن مشبه اله ولو عكس هذا لم يكن صحيحا وما ذاك الا انه يلزم من نفي أدنى
التشبيه نفي أعلاها ولا يلزم من نفي أعلاها نفي أدناها فتأكيد التشبيه قصر عن المبالغة والوجه الاول الذي ذكره هو الوجه
عنده وأقرب عطية الضعف في هذا الوجه الثاني بقوله ولك أن تزعم فافهم

* قوله تعالى من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب ر...
على العاملين بأن من عمل للآخرة (٣٢٨) وفق في عمله وضوعفت حسناته ومن كان عمله للدنيا أعطى منها شيأ لا ما ي...
وهو رزقه الذي قسم له

كقوله تعالى وما تفرق الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة وان الذين أورثوا الكتاب هم المشركون أورثوا القرآن من بعد ما أورث أهل الكتاب التوراة والانجيل وقرئ ورثوا وورثوا فلاجل التفرق ولما حدث بسببه من تشعب الكفر شعبا (فادع) الى الاتفاق والائتلاف على الملة الحنيفية (واستقم) عليها وعلى الدعوة اليها كما أمرك الله (ولا تتبع أهواءهم) المختلفة الباطلة (بما أنزل الله من كتاب) بأي كتاب صح أن الله أنزله يعني الايمان بجميع الكتب المنزلة لان المتفرقين آمنوا ببعض ببعض كقوله تعالى ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض الى قوله أولئك هم الكافرون حقا (لاعدل) في الحكم اذا تخاصمتم فتحاكمتم الي (لا حجة بيننا وبينكم) أي لا خصومة لان الحق قد ظهر وصرتم محجوجين به فلا حاجة الى المحاجة ومعناه لا ايراد حجة بيننا لان المتحاجين يورد هذا حجته وهذا حجته (الله يجمع بيننا) يوم القيامة فيفصل بيننا وينتقم لنا منكم وهذه محاجزة ومتاركة بعد ظهور الحق وقيام الحجة والالزام كيف حوجزوا وقد فعل بهم بعد ذلك ما فعل من القتل وتخريب البيوت وقطع النخيل والاجلاء المراد محاجزتهم في مواقف المقاولة لا المقاتلة (يحاجون في الله) يخاصمون في دينه (من بعد ما استجيب له) من بعد ما استجاب له الناس ودخلوا في الاسلام ليردوهم الى دين الجاهلية كقوله تعالى ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا كان اليهود والنصارى يقولون للمؤمنين كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم ونحن خير منكم وأولى بالحق وقيل من بعد ما استجاب الله لرسوله ونصره يوم بدر وأظهر دين الاسلام (داحضة) باطلة (أنزل الكتاب) أي جنس الكتاب (والميزان) والعدل والتسوية ومعنى انزال العدل أنه أنزله في كتبه وقيل الذي يوزن به (بالحق) ملتبسا بالحق مقترنا به بعيدا من الباطل أو بالغرض الصحيح كما اقتضته الحكمة أو بالواجب من التحليل والتحريم وغير ذلك (الساعة) في تأويل البعث فلذلك قيل (قريب) أو لعل مجيء الساعة قريب (فان قلت) كيف يوفق ذكر اقتراب الساعة مع انزال الكتاب والميزان (قلت) لان الساعة يوم الحساب ووضع الموازين للقسط فكأنه قيل أمركم الله بالعدل والتسوية والعمل بالشرائع قبل أن يفاجئكم اليوم الذي يحاسبكم فيه ويزن أعمالكم ويوفي لمن أوفى ويطفف لمن طفف * المماراة الملاحة لان كل واحد منهما يمري ما عند صاحبه (لفي ضلال بعيد) من الحق لان قيام الساعة غير مستبعد من قدرة الله ولدلالة الكتاب المعجز على انها آتية لا ريب فيها ولشهادة العقول على أنه لا بد من دار الجزاء (لطيف بعباده) بليغ البر بهم قد توصل بره الى جميعهم وتوصل من كل واحد منهم الى حيث لا يبلغه وهم أحد من كلياته وجزئياته (فان قلت) فما معنى قوله (يرزق من يشاء) بعد توصل بره الى جميعهم (قلت) كلهم مبرورون لا يخلو أحد من بره الا أن البر أصناف وله أوصاف والقسمة بين العباد تتفاوت على حسب تفاوت قضايا الحكمة والتدبير فيطير لبعض العباد صنف من البر لم يطر مثله لآخر ويصيب هذا حظ له وصف ليس ذلك الوصف لحظ صاحبه فمن قسم له منهم ما لا يقسم للآخر فقد رزقه وهو الذي أراد بقوله تعالى يرزق من يشاء كما يرزق أحد الأخوين ولدا دون الآخر على أنه أصابه بنعمة أخرى لم يرزقها صاحب الولد (وهو القوي) الباهر القدرة الغالب على كل شيء (العزيز) المنيع الذي لا يغلب * سمى ما يعمله العامل مما يبغي به الفائدة والزكاء حرثا على المجاز وفرق بين عملي العاملين بأن من عمل للآخرة وفق في عمله وضوعفت حسناته ومن كان عمله للدنيا أعطى شيأ منها لا ما يريده ويبتغيه وهو رزقه الذي قسم له وفرغ منه وما له نصيب قط في الآخرة ولم يذكر في عامل الآخرة وله في الدنيا نصيب على أن رزقه المقسوم له واصل اليه لا محالة للاستهانة بذلك الى جنب ما هو بصدده من زكاء عمله وفوزه في المآب * معنى الهمزة في (أم) التقرير والتقريع * وشركاؤهم شياطينهم الذين زينوا لهم الشرك وانكار البعث والعمل للدنيا لانهم لا يعلمون غيرها وهو الدين الذي شرعت لهم الشياطين

فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا واليه المصير والذين يحاجون في الله من بعد ما استجيب له حجتهم داحضة عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان وما يدريك لعل الساعة قريب يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق ألا ان الذين يمارون في الساعة لفي ضلال بعيد الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوي العزيز من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله

وفرغ منه وما له في الآخرة من نصيب ولم يذكر في معنى عامل الآخرة وله في الدنيا نصيب على أن رزقه المقسوم له واصل اليه لا محالة للاستهانة بذلك في جنب ما هو بصدده من زكاء عمله وفوزه في المآب وتمام...

من الاذن فيه والامر به وقيل شركاؤهم أوثانهم وانما أضيفت اليهم لانهم متخذوها شركاء لله فتارة تضاف اليهم لهذه الملابسة وتارة الى الله ولما كانت سببا لضلالتهم وافتتانهم جعلت شارعة لدين الكفر كما قال ابراهيم صلوات الله عليه ان أضللن كثيرا من الناس (ولولا كلمة الفصل) أى القضاء السابق بتأجيل الجزاء أو ولولا العدة بأن الفصل يكون يوم القيامة (لقضى بينهم) أى بين الكافرين والمؤمنين أو بين المشركين وشركائهم * وقرأ مسلم بن جندب وأن الظالمين بالفتح عطفا له على كلمة الفصل يعنى ولولا كلمة الفصل وتقدير تعذيب الظالمين فى الآخرة لقضى بينهم فى الدنيا (ترى الظالمين) فى الآخرة (مشفقين) خائفين خوفا شديدا أرق قلوبهم (مما كسبوا) من السيئات (وهو واقع بهم) يريد ووباله واقع بهم وواصل اليهم لا بد لهم منه أشفقوا أو لم يشفقوا * كأن روضة جنة المؤمن أطيب بقعة فيها وأنزهها (عند ربهم) منصوب بالظرف لا بلهم * وقرئ يبشر من بشره ويبشر من أبشره ويبشر من بشره والاصل ذلك الثواب الذى يبشر الله به عباده فحذف الجار كقوله تعالى واختار موسى قومه ثم حذف الراجع الى الموصول كقوله تعالى أهذا الذى بعث الله رسولا أو ذلك التبشير الذى يبشره الله عباده * روى أنه اجتمع المشركون فى مجمع لهم فقال بعضهم لبعض أترون محمدا يسأل على ما يتعاطاه أجرا فنزلت الآية (الا المودة فى القربى) يجوز أن يكون استثناء متصلا أى لا أسألكم أجرا الا هذا وهو أن تودوا أهل قرابتى ولم يكن هذا أجرا فى الحقيقة لان قرابته قرابتهم فكانت صلتهم لازمة لهم فى المروءة ويجوز أن يكون منقطعا أى لا أسألكم أجرا قط ولكنى أسألكم أن تودوا قرابتكم ولا تؤذوهم (فان قلت) هلا قيل الا مودة القربى أو الا المودة للقربى وما معنى قوله فى القربى (قلت) جعلوا مكانا للمودة ومقرا لها كقولك لى فى آل فلان مودة ولى فيهم هوى وحب شديد تريد أحبهم وهم مكان حبى ومحله وليست فى بصلة للمودة كاللام اذا قلت الا المودة للقربى انما هى متعلقة بمحذوف تعلق الظرف به فى قولك المال فى الكيس وتقديره الا المودة ثابتة فى القربى ومتمكنة فيها والقربى مصدر كالزلفى والبشرى بمعنى القرابة والمراد فى أهل القربى وروى أنها لما نزلت قيل يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم قال على وفاطمة وابناهما ويدل عليه ما روى عن على رضى الله عنه شكوت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حسد الناس لى فقال أما ترضى أن تكون رابع أربعة أول من يدخل الجنة أنا وأنت والحسن والحسين وأزواجنا عن أيماننا وشمائلنا وذريتنا خلف أزواجنا وعن النبى صلى الله عليه وسلم حرمت الجنة على من ظلم أهل بيتى وآذانى فى عترتى ومن اصطنع صنيعة الى أحد من ولد عبد المطلب ولم يجازه عليها فأنا أجازيه عليها غدا اذا لقينى يوم القيامة وروى أن الانصار قالوا فعلنا وفعلنا كأنهم افتخروا فقال عباس أو ابن عباس رضى الله عنهما لنا الفضل عليكم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاهم فى مجالسهم فقال يا معشر الانصار ألم تكونوا أذلة فأعزكم الله بى قالوا بلى يا رسول الله قال ألم تكونوا ضلالا فهداكم الله بى قالوا بلى يا رسول الله قال أفلا تجيبوننى قالوا ما نقول يا رسول الله قال ألا تقولون ألم يخرجك قومك فآويناك أو لم يكذبوك فصدقناك أو لم يخذلوك فنصرناك قال فما زال يقول حتى جثوا على الركب وقالوا أموالنا وما فى أيدينا لله ولرسوله فنزلت الآية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات على حب آل محمد مات شهيدا ألا ومن مات على حب آل محمد مات مغفورا له ألا ومن مات على حب آل محمد مات تائبا ألا ومن مات على حب آل محمد مات مؤمنا مستكمل الايمان ألا ومن مات على حب آل محمد بشره ملك الموت بالجنة ثم منكر ونكير ألا ومن مات على حب آل محمد يزف الى الجنة كما تزف العروس الى بيت زوجها ألا ومن مات على حب آل محمد فتح له فى قبره بابان الى الجنة ألا ومن مات على حب آل محمد جعل الله قبره مزار ملائكة الرحمة ألا ومن مات على حب آل محمد مات على السنة والجماعة ألا ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله ألا ومن مات على بغض آل محمد مات كافرا ألا ومن مات على بغض آل محمد لم يشم رائحة الجنة وقيل لم يكن بطن من بطون قريش الا وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبينهم قربى فلما كذبوه وأبوا أن يبايعوه نزلت والمعنى الا أن تودونى فى القربى أى فى حق القربى ومن أجلها كما تقول الحب فى الله والبغض فى الله بمعنى فى حقه ومن أجله يعنى أنكم قومى وأحق من أجابنى

ولولا كلمة الفصل لقضى بينهم وان الظالمين لهم عذاب أليم ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا وهو واقع بهم والذين آمنوا وعملوا الصالحات فى روضات الجنات لهم ما يشاؤن عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير ذلك الذى يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة فى القربى

قوله تعالى الا المودة فى القربى (قال فيه) ان قلت هلا قيل الا مودة القربى أو الا المودة للقربى وأجاب بانهم جعلوا مكانا للمودة ومقرا لها كقولك لى فى آل فلان هوى وحب شديد وليس فى صلة للمودة كاللام اذا قلت الا المودة للقربى وانما هى متعلقة بمحذوف تقديره الا المودة ثابتة فى القربى ومتمكنة فيها انتهى كلامه (قلت) وهذا المعنى هو الذى قصد بقوله فى الآية التى تقدمت ان قوله يذرؤكم فيه انما جاء عوضا عن قوله يذرؤكم به فافهمه

عرق ولا خدش عود ولا نكبة حجر الا بذنب ولما يعفو الله عنه أكثر وعن بعضهم من لم يعلم أن ما وصل اليه من الفتن والمصائب باكتسابه وأن ما عفا عنه مولاه أكثر كان قليل النظر في احسان ربه اليه وعن آخر العبد ملازم للجنايات في كل أوان وجناياته في طاعاته أكثر من جناياته في معاصيه لأن جناية المعصية من وجه وجناية الطاعة من وجوه والله يطهر عبده من جناياته بأنواع من المصائب ليخفف عنه أثقاله في القيامة ولولا عفوه ورحمته لهلك في أول خطوة وعن علي رضي الله عنه وقد رفعه من عفي عنه في الدنيا عفي عنه في الآخرة ومن عوقب في الدنيا لم تثن عليه العقوبة في الآخرة وعنه رضي الله عنه هذه أرجى آية للمؤمنين في القرآن (بمعجزين) بفائتين ما قضي عليكم من المصائب (من ولي) من متول بالرحمة (الجواري) السفن وقرئ الجوار (كالاعلام) كالجبال قالت الخنساء * كأنه علم في رأسه نار * وقرئ الرياح فيظللن بفتح اللام وكسرها من ظل يظل ويظل نحو ضل يضل ويضل (رواكد) ثوابت لا تجري (على ظهره) على ظهر البحر (لكل صبار) على بلاء الله (شكور) لنعمائه وهما صفتا المؤمن المخلص فجعلهما كناية عنه وهو الذي وكل همته بالنظر في آيات الله فهو يستملي منها العبر (أو يوبقهن) أو يهلكهن والمعنى أنه ان يشأ يبتلي المسافرين في البحر باحدى بليتين اما أن يسكن الريح فيركد الجواري على متن البحر ويمنعهن من الجري واما أن يرسل الريح عاصفة فيهلكهن اغراقا بسبب ما كسبوا من الذنوب (ويعف عن كثير) منها (فان قلت) علام عطف يوبقهن (قلت) على يسكن لأن المعنى ان يشأ يسكن الريح فيركدن أو يعصفها فيغرقن بعصفها (فان قلت) فما معنى ادخال العفو في حكم الايباق حيث جزم جزمه (قلت) معناه أو ان يشأ يهلك ناسا وينج ناسا على طريق العفو عنهم (فان قلت) فمن قرأ ويعفو (قلت) قد استأنف الكلام (فان قلت) فما وجوه القراآت الثلاث في (ويعلم) (قلت) أما الجزم فعلى ظاهر العطف وأما الرفع فعلى الاستئناف وأما النصب فللعطف على تعليل محذوف تقديره لينتقم منهم ويعلم الذين يجادلون ونحوه في العطف على التعليل المحذوف غير عزيز في القرآن منه قوله تعالى ولنجعله آية للناس وقوله تعالى وخلق الله السموات والارض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وأما قول الزجاج النصب على اضمار أن لأن قبلها جزاء تقول ما تصنع أصنع مثله وأكرمك وان شئت وأكرمك على وأنا أكرمك وان شئت وأكرمك جزما ففيه نظر لما أورده سيبويه في كتابه قال واعلم أن النصب بالفاء والواو في قوله ان تأتني آتك وأعطيك ضعيف وهو نحو من قوله وألحق بالحجاز فأستريحا فهذا يجوز وليس بحد الكلام ولا وجهه الا أنه في الجزاء صار أقوى قليلا لأنه ليس بواجب أنه يفعل الا أن يكون من الأول فعل فلما ضارع الذي لا يوجبه كالاستفهام ونحوه أجازوا فيه هذا على ضعفه اهـ ولا يجوز أن تحمل القراءة المستفيضة على وجه ضعيف ليس بحد الكلام ولا وجهه ولو كانت من هذا الباب لما أخلى سيبويه منها كتابه وقد ذكر نظائرها من الآيات المشكلة (فان قلت) فكيف يصح المعنى على جزم ويعلم (قلت) كأنه قال أو ان يشأ يجمع بين ثلاثة أمور هلاك قوم ونجاة قوم وتحذير آخرين (من محيص) من محيد عن عقابه ما الاولى ضمنت معنى الشرط فجاءت الفاء في جوابها بخلاف الثانية عن علي رضي الله عنه اجتمع لأبي بكر رضي الله عنه مال فتصدق به كله في سبيل الله والخير فلامه المسلمون وخطأه الكافرون فنزلت (والذين يجتنبون) عطف على الذين آمنوا وكذلك ما بعده ومعنى (كبائر الاثم) الكبائر من هذا الجنس وقرئ كبير الاثم وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنه كبير الاثم هو الشرك (هم يغفرون) أي هم الأخصاء بالغفران في حال الغضب لا يغول الغضب أحلامهم كما يغول حلوم الناس والمجيء بهم وايقاعه مبتدأ واسناد يغفرون اليه لهذه الفائدة ومثله هم ينتصرون (والذين استجابوا لربهم) نزلت في الانصار دعاهم الله عز وجل للايمان به وطاعته فاستجابوا له بأن آمنوا به وأطاعوه (وأقاموا الصلوة) وأتموا الصلوات الخمس * وكانوا قبل الاسلام وقبل مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة اذا كان بهم أمر اجتمعوا وتشاوروا فأثنى الله عليهم أي لا ينفردون برأي حتى يجتمعوا عليه وعن الحسن ما تشاور قوم الا هدوا لأرشد أمرهم * والشورى مصدر كالفتيا بمعنى التشاور ومعنى قوله (وأمرهم شورى

الريح فيظللن رواكد على ظهره ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور أو يوبقهن بما كسبوا ويعف عن كثير ويعلم الذين يجادلون في آياتنا ما لهم من محيص فما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش واذا ما غضبوا هم يغفرون والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلوة وأمرهم شورى بينهم

* قوله تعالى ان يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره (قال فيه معناه ثوابت لا تجري على ظهر البحر) قال أحمد وهم يقولون ان الريح لم ترد في القرآن الا عذابا بخلاف الرياح وهذه الآية تخرم الاطلاق فان الريح المذكورة هنا نعمة ورحمة اذ بواسطتها يسير الله السفن في البحر حتى لو سكنت لركدت السفن ولا يشكى أن الغالب من ورودها مفردة ما ذكروه وأما اطراده فلا وما ورد في الحديث اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا فالمراد الغالب في الاطلاق والله أعلم

قوله تعالى فمن عفا وأصلح فأجره على الله انه لا يحب الظالمين (قال فيه دلالة على أن الانتصار لا يكاد يؤمن فيه الخ) قال أحمد معنى حسن يجاب به عن قول القائل لم ذكر هذا عقب العفو مع أن الانتصار ليس بظلم فيشفي غليل السائل ويحصل منه على كل طائل ومن هذا النمط والله الموفق قوله تعالى وانا اذا أذقنا الانسان منا رحمة فرح بها وان تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم (٣٤٣) فان الانسان كفور (قال فيه لم يقل

ومما رزقناهم ينفقون والذين اذا أصابهم البغي هم ينتصرون وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله انه لا يحب الظالمين ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الارض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده وترى الظالمين لما رأوا العذاب يقولون هل الى مرد من سبيل وتراهم يعرضون عليها خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفي وقال الذين آمنوا ان الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة الا ان الظالمين في عذاب مقيم وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله ومن يضلل الله فما له من سبيل استجيبوا لربكم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله ما لكم من

أي ذو شورى وكذلك قولهم ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما الخلافة شورى * هو أن يقتصروا في الانتصار على ما جعله الله لهم ولا يعتدوا وعن النخعي أنه كان اذا قرأها قال كانوا يكرهون أن يذلوا أنفسهم فيجترئ عليهم الفساق (فان قلت) أهم محمودون على الانتصار (قلت) نعم لان من أخذ حقه غير متعد حد الله وما أمر به فلم يسرف في القتل ان كان ولي دم أورد على سفيه محاماة على عرضه وردعا له فهو مطيع وكل مطيع محمود * كلتا الفعلتين الاولى وجزاؤها سيئة لانها تسوء من تنزل به قال الله تعالى وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك يريد ما يسوءهم من المصائب والبلايا والمعنى أنه يجب اذا قوبلت الاساءة أن تقابل بمثلها من غير زيادة فاذا قال أخزاك الله قال أخزاك الله (فمن عفا وأصلح) بينه وبين خصمه بالعفو والاغضاء كما قال تعالى فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم (فأجره على الله) عدة مبهمة لا يقاس أمرها في العظم وقوله (انه لا يحب الظالمين) دلالة على أن الانتصار لا يكاد يؤمن فيه تجاوز السيئة والاعتداء خصوصا في حال الحرد والتهاب الحمية فربما كان المجازي من الظالمين وهو لا يشعر وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة نادى مناد من كان له على الله أجر فليقم قال فيقوم خلق فيقال لهم ما أجركم على الله فيقولون نحن الذين عفونا عمن ظلمنا فيقال لهم ادخلوا الجنة باذن الله (بعد ظلمه) من اضافة المصدر الى المفعول وتفسره قراءة من قرأ بعد ما ظلم (فأولئك) اشارة الى معنى من دون لفظه (ما عليهم من سبيل) للمعاقب ولا للعاتب والعائب (انما السبيل على الذين يظلمون الناس) يبتدئونهم بالظلم (ويبغون في الارض) يتكبرون فيها ويعلون ويفسدون (ولمن صبر) على الظلم والاذى (وغفر) ولم ينتصر وفوض أمره الى الله (ان ذلك) منه (لمن عزم الامور) وحذف الراجع لانه مفهوم كما حذف من قولهم السمن منوان بدرهم ويحكى أن رجلا سب رجلا في مجلس الحسن رحمه الله فكان المسبوب يكظم ويعرق فيمسح العرق ثم قام فتلا هذه الآية فقال الحسن عقلها والله وفهمها اذ ضيعها الجاهلون وقالوا العفو مندوب اليه ثم الامر قد ينعكس في بعض الاحوال فيرجع ترك العفو مندوبا اليه وذلك اذا احتيج الى كف زيادة البغي وقطع مادة الاذى وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما يدل عليه وهو أن زينب أسمعت عائشة بحضرته وكان ينهاها فلا تنتهي فقال لعائشة دونك فانتصري (ومن يضلل الله) ومن يخذل الله (فما له من ولي من بعده) فليس له من ناصر يتولاه من بعد خذلانه (خاشعين) متضائلين متقاصرين مما يلحقهم (من الذل) وقد يعلق من الذل بينظرون ويوقف على خاشعين (ينظرون من طرف خفي) أي يبتدئ نظرهم من تحريك لاجفانهم ضعيف خفي بمسارقة كما ترى المصبور ينظر الى السيف وهكذا نظر الناظر الى المكاره لا يقدر أن يفتح أجفانه عليها ويملأ عينيه منها كما يفعل في نظره الى المحاب وقيل يحشرون عميا فلا ينظرون الا بقلوبهم وذلك نظر من طرف خفي وفيه تعسف (يوم القيامة) اما أن يتعلق بخسروا ويكون قول المؤمنين واقعا في الدنيا واما أن يتعلق بقال أي يقولون يوم القيامة اذا رأوهم على تلك الصفة (من الله) من صلة لا مرد أي لا يرده الله بعد ما حكم به أو من صلة يأتي أي من قبل أن يأتي من الله يوم لا يقدر أحد على رده * والنكير الانكار أي ما لكم من مخلص من العذاب ولا تقدرون أن تنكروا شيئا مما اقترفتموه ودون في صحائف أعمالكم * أراد بالانسان الجمع لا الواحد لقوله وان تصبهم سيئة ولم يرد الا المجرمين لان اصابة السيئة بما قدمت أيديهم انما تستقيم فيهم * والرحمة النعمة من الصحة والغنى والامن والسيئة البلاء من المرض والفقر والمخاوف * والكفور البليغ الكفران ولم يقل فانه كفور ليسجل على أن هذا الجنس موسوم بكفران النعم كما قال ان الانسان لظلوم كفار ان الانسان لربه لكنود

كفور ليسجل على هذا الجنس أنه موسوم بكفران النعم الخ) قال أحمد وقد أغفل هذه النكتة بعينها في الآية التي قبل هذه وهي العوص الى وقال الذين آمنوا ان الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة الا ان الظالمين في عذاب مقيم فوضع الظالمين الاطفال موضع الضمير الذي كان من حقه ان يعود على اسم ان فيقال الا انهم في عذاب مقيم فأتى هذا الظاهر تسجيلا عليهم باسم ظلمهم بمسابق فيه

* قوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم الذي جعل لكم الأرض مهدا وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون والذي نزل من السماء ماء بقدر فأنشرنا به بلدة ميتا الآية (قال فيه فان قلت قوله ليقولن خلقهن العزيز العليم وما سرد من الأوصاف عقيبه ان كان من قولهم الخ) قال أحمد الذي يظهر ان الكلام مجزأ فبعضه من قولهم وبعضه من قول الله تعالى فالذي هو من قولهم خلقهن وما بعده من قول الله عز وجل وأصل الكلام انهم قالوا خلقهن الله ويدل عليه قوله في الآية الأخرى ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله ثم لما قالوا خلقهن الله وصف الله تعالى ذاته بهذه الصفات ولما سيق الكلام كله سياقة واحدة حذف الموصوف من كلامهم وأقيمت الصفات المذكورة في كلام الله تعالى مقامه كأنه كلام واحد ونظير هذا ان تقول للرجل من أكرمك من القوم فيقول أكرمني زيد فتقول أنت واصفا المذكور الكريم الجواد الذي من صفته كذا وكذا ثم لما وقع الانتقال من كلامهم الى كلام الله عز وجل جرى كلامه عز وجل على ما عرف من الافتنان في البلاغة فجاء أوله على لفظ الغيبة وآخره على الانتقال عنها الى التكلم في قوله فأنشرنا كل ذلك افتنان في افانين البلاغة ومن هذا النمط قوله تعالى حكاية عن موسى قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى الذي جعل لكم الأرض مهدا وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى فجاء أول الكلام حكاية (٣٤٦) عن موسى الى قوله ولا ينسى ثم وقع الانتقال من كلام موسى الى كلام الله تعالى فوصف ذاته

وما يأتيهم من نبي الا كانوا به يستهزؤن فأهلكنا أشد منهم بطشا ومضى مثل الأولين ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم الذي جعل لكم الأرض مهدا وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون والذي نزل من السماء ماء بقدر فأنشرنا به بلدة ميتا كذلك تخرجون والذي خلق الأزواج كلها وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه وتقولوا

كنتم واذ كنتم (فان قلت) كيف استقام معنى ان الشرطية وقد كانوا مسرفين على البت (قلت) هو من الشرط الذي ذكرت أنه يصدر عن المدل بصحة الأمر المتحقق لثبوته كما يقول الأجير ان كنت عملت لك فوفني حقي وهو عالم بذلك ولكنه يخيل في كلامه أن تفريطك في الخروج عن الحق فعل من له شك في الاستحقاق مع وضوحه استجهالا له (وما يأتيهم) حكاية حال ماضية مستمرة أي كانوا على ذلك وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن استهزاء قومه الضمير في (أشد منهم) للقوم المسرفين لأنه صرف الخطاب عنهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره عنهم (ومضى مثل الأولين) أي سلف في القرآن في غير موضع منه ذكر قصتهم وحالهم العجيبة التي حقها أن تسير مسير المثل وهذا وعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم ووعيد لهم (فان قلت) قوله (ليقولن خلقهن العزيز العليم) وما سرد من الأوصاف عقيبه ان كان من قولهم فما تصنع بقوله فأنشرنا به بلدة ميتا كذلك تخرجون وان كان من قول الله فما وجهه (قلت) هو من قول الله لا من قولهم ومعنى قوله ليقولن خلقهن العزيز العليم الذي من صفته كيت وكيت لينسبن خلقها الى الذي هذه أوصافه وليسندنه اليه (بقدر) بمقدار يسلم معه البلاد والعباد ولم يكن طوفانا (الأزواج) الأصناف (ما تركبون) أي تركبونه (فان قلت) يقال ركبوا الأنعام وركبوا في الفلك وقد ذكر الجنسين فكيف قال تركبونه (قلت) غلب المتعدي بغير واسطة لقوته على المتعدي بواسطة فقيل تركبونه (على ظهوره) على ظهور ما تركبون وهو الفلك والأنعام ومعنى ذكر نعمة الله عليهم أن يذكروها في قلوبهم معترفين بها مستعظمين لها ثم يحمدوا عليها بالسنتهم

أوصافا فاتصلة بكلام موسى حتى كأنه كلام واحد وابتدأ في ذكر صفاته على لفظ الغيبة الى قوله فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى فانظر الى تحقيق التطبيق بين الآيتين ترى العجب والله الموفق قوله تعالى وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون الآية (قال فيه يقال ركبت الدابة وركبت في الفلك الى آخره) قال أحمد لم يحرر العبارة في هذا الموضع فان قوله غلب المتعدي بغير واسطة على المتعدي بنفسه يوهم أن بين الفعلين تباينا وليس كذلك فان المتعدي الى الأنعام هو عين الفعل المتعدي الى السفن غاية ما ثم ان العرب خصته باعتبار بعض مفاعيله بالواسطة وباعتبار بعضها بالتعدي بنفسه والاختلاف بالتعدي والقصور أو باختلاف آلات التعدي وباختلاف أعداد المفاعيل لا يوجب الاختلاف في المعنى فمن ثم يعدون الفعل الواحد مرة بنفسه ومرة بواسطة مثل شكرت ونحوته ويعدون الأفعال المترادفة بآلات مختلفة مثل دعوت وصليت فانك تقول صلى النبي على آل أبي أوفى ولو قلت دعا على آل أبي أوفى لأفهم عكس المقصود ولكن دعا لآل أبي أوفى ويعدون بعضها الى مفعولين ومرادفه الى مفعول واحد كعلم وعرف فلا يترتب على الاختلاف بالتعدي والقصور الاختلاف في المعنى فالذي يحرر من هذا ان ركب باعتبار القبيلين معناه واحد وان خص أحدهما باقتران الواسطة والآخر بسقوطها فالصواب أحد أمرين اما تقدير المتعلقين على ما هما عليه لو انفردا فيكون التقدير ما تركبونه وتركبون فيه والأول تغليبه باعتبار التعدي بنفسه ويكون هذا من تغليب أحد اعتباري الفعل على الآخر وهو أسهل من التغليب في قوله تعالى فأجمعوا أمركم وشركاءكم على أحد التأويلين فيه فان التباين ثم ثابت بين الفعلين من حيث المعنى أعني أجمع على الأمر وجمع الشركاء فقاربا تغليب أحدهما على الآخر ثم جعل التغليب هو التعدي بنفسه والله أعلم

* قوله تعالى أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين (قال فيه كأنه قيل هبوا أن اضافة الولد اليه جائزة فرضا وتمثيلا أما تستحيون من الشطط في القسمة ومن ادعائه أنه آثركم على نفسه الخ) قال أحمد نحن معاشر أهل السنة نقول ان كل شيء بمشيئة الله تعالى حتى الضلالة والهدى اتباعا لدليل العقل وتصديقا لنص النقل في أمثال قوله تعالى يضل من يشاء ويهدي من يشاء وآية الزخرف هذه لا ترد هذا المعتقد الصحيح الا تأييدا ولا تفيده الا تصويبا وتسديدا فنقول اذا قال الكافر لو شاء الله ما كفرت فهذه كلمة حق أراد بها باطلا أما كونها كلمة حق فلما مهدناه وأما كونه أراد بها باطلا فمراد الكافر بذلك أن يكون له الحجة على (٣٤٧) الله توهما انه يلزم من مشيئة الله تعالى لضلال من ضل أن لا يعاقبه على ذلك لانه انما فعل مقتضى مشيئته كما توهم القدرية اخوان الوثنية ذلك فاشركوا بربهم واعتقدوا ان الضلالة وقعت بمشيئة الخلق على خلاف مشيئة الخالق فالذين أشركوا بالملائكة أرفع منهم درجة لان هؤلاء أشركوا أنفسهم الذين في ملكه بهم التوحيد بالربانية جل وعلا فاذا وضح ما قلناه فانكار الله عليهم مقالتهم هذه لانهم توهموا انها حجة على الله فدحض الله حجتهم وأكذب أمنيتهم وبين أن مقالتهم صادرة عن ظن كاذب وتخرص محض فقال مالهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون وان هم الا يظنون وقد أفصحت أخت هذه الآية مع هذه الآية عن هذا يتعقلونه وذلك قوله تعالى في سورة الانعام وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وان أنتم الا تخرصون فبين تعالى أن اطماع هؤلاء القاصرين بتكذيب الرسل والاشراك بالله اغترارهم بأن لهم الحجة على الله بقولهم لو شاء الله ما أشركنا فنسبهم تعالى حالهم في الاعتماد على ذلك الخيال أو آبائهم ثم بين انه معتقد نشأ عن ظن خاطئ وخيال مكذب فقال ان تتبعون الا الظن وان أنتم الا تخرصون ثم الما

سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون وجعلوا له من عباده جزأ ان الانسان لكفور مبين أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين واذا بشر أحدهم

بأسمائهم وهو ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان اذا وضع رجله في الركاب قال بسم الله فاذا استوى على الدابة قال الحمد لله على كل حال سبحان الذي سخر لنا هذا الى قوله لمنقلبون وكبر ثلاثا وهلل ثلاثا وقالوا اذا ركب في السفينة قال بسم الله مجراها ومرساها ان ربي لغفور رحيم وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما أنه رأى رجلا يركب دابة فقال سبحان الذي سخر لنا هذا فقال أبهذا أمرتم فقال وبم أمرنا قال أن تذكروا نعمة ربكم كان قد أغفل التحميد فنبهه عليه وهذا من حسن مراعاتهم لآداب الله ومحافظتهم على دقيقها وجليلها جعلنا الله من المقتدين بهم والسائرين بسيرتهم فما أحسن بالعاقل النظر في لطائف الصناعات فكيف بالنظر في لطائف الديانات (مقرنين) مطيقين يقال أقرن الشيء اذا أطاقه قال ابن هرمة

وأقرنت ما حملتني ولقلما * يطاق احتمال الصد يا دعد والهجر

وحقيقة أقرنه وجده قرينته وما يقرن به لان الصعب لا يكون قرينة الضعيف ألا ترى الى قولهم في الضعيف لا يقرن به الصعبة وقرئ مقرنين والمعنى واحد (فان قلت) كيف اتصل بذلك قوله وانا الى ربنا لمنقلبون (قلت) كم من راكب دابة عثرت به أو شمست أو تقحمت أو طاح من ظهرها فهلك وكم من راكبين في سفينة انكسرت بهم فغرقوا فلما كان الركوب مباشرة أمر مخطر واتصالا بسبب من أسباب التلف كان من حق الراكب وقد اتصل بسبب من أسباب التلف أن لا ينسى عند اتصاله به يومه وأنه هالك لا محالة فمنقلب الى الله غير منفلت من قضائه ولا يدع ذكر ذلك بقلبه ولسانه حتى يكون مستعدا للقاء الله باصلاحه من نفسه والحذر من أن يكون ركوبه ذلك من أسباب موته في علم الله وهو غافل عنه ويستعيذ بالله من مقام من يقول لقرنائه تعالوا نتنزه على الخيل أو في بعض الزوارق فيركبون حاملين مع أنفسهم أواني الخمر والمعازف فلا يزالون يسقون حتى تميل طلاهم وهم على ظهور الدواب أو في بطون السفن وهي تجري بهم لا يذكرون الا الشيطان ولا يمتثلون الا أوامره وقد بلغني ان بعض السلاطين ركب وهو يشرب من بلد الى بلد بينهما مسيرة شهر فلم يصح الا بعد ما اطمأنت به الدار فلم يشعر بمسيره ولا أحس به فكم بين فعل أولئك الراكبين وبين ما أمر الله به في هذه الآية وقيل يذكرون عند الركوب ركوب الجنازة (وجعلوا له من عباده جزأ) متصل بقوله ولئن سألتهم أي ولئن سألتهم عن خالق السموات والارض ليعترفن به وقد جعلوا له مع ذلك الاعتراف من عباده جزأ فوصفوه بصفات المخلوقين ومعنى من عباده جزأ أن قالوا الملائكة بنات الله فجعلوهم جزأ له وبعضا منه كما يكون الولد بضعة من والده وجزأ له ومن بدع التفاسير تفسير الجزء بالاناث وادعاء أن الجزء في لغة العرب اسم للاناث وما هو الا كذب على العرب ووضع مستحدث منحول ولم يقنعهم ذلك حتى اشتقوا منه أجزأت المرأة ثم صنعوا بيتا وبيتا

ان أجزأت حرة يوما فلا عجب * زوجتها من بنات الاوس مجزئة

وقرئ جزؤ بضمتين (لكفور مبين) لجحود للنعمة ظاهر جحوده لان نسبة الولد اليه كفر والكفر أصل الكفران كله (أم اتخذ) بل اتخذ والهمزة للانكار تجهيلا لهم وتعجيبا من شأنهم حيث لم يرضوا بأن جعلوا لله من عباده جزأ حتى جعلوا ذلك الجزء شر الجزأين وهو الاناث دون الذكور على أنهم أنفر خلق الله عن الاناث وأمقتهم لهن ولقد بلغ بهم المقت الى أن وأدوهن كأنه قيل هبوا أن اضافة اتخاذ الولد اليه جائزة فرضا وتمثيلا

أبطل أن يكون لهم في مقالتهم حجة على الله أثبت تعالى الحجة له عليهم بقوله فلله الحجة البالغة ثم أوضح أن الرد عليهم ليس إلا في احتجاجهم على الله بذلك لا لأن المقالة في نفسها كذب فقال فلو شاء لهداكم أجمعين وهو معنى قولهم لو شاء الله ما أشركنا من حيث إن لو مقتضاها امتناع الهداية لامتناع المشيئة فدلت الآية الأخيرة على أن الله تعالى لم يشأ هدايتهم بل شاء ضلالتهم ولو شاء هدايتهم لما ضلوا فهذا هو الدين القويم والصراط المستقيم والنور اللائح والمنهج الواضح والذي يدحض بحجته ولا مع اعتقاد أن الله تعالى شاء وقوع الضلالة منهم هو أنه تعالى جعل

العبد تابعا وتيسر الهداية وغيرها من الأفعال الكسبية حتى صارت الأفعال الصادرة منه مناط التكليف لأنها اختيارية يفرق بالضرورة بينها وبين الصوادر القسرية فهذه الآية أقامت الحجة وشخصت اصطفاه الله المعتقدات الصحيحة الحقة ولما كانت تفرقة دقيقة لم تنتظم في سلك الأفهام الكاملة فلا جرم أن أفهامهم تسفلت وأفكارهم تسفلت فقالت طائفة القدرية واعتقدت أن العبد فعال لما يريد على خلاف مشيئة ربه وبارت الجبرية فاعتقدت أن لا قدرة للعبد البتة ولا اختيار وأن جميع الأفعال صادرة منه على سبيل الاضطرار بالبنين
أما أهل الحق فهم الذين هداهم الله قسطا وأرشدهم إلى الطريق الوسطى فاتبعوا سبل السلام وساروا وأيدوا بالتوفيق التام معتقدين بأنوار العقول الراشدة إلى أن جميع الكائنات بقدرة الله تعالى ومشيئته ولم يغب عن أفهامهم أن يكون للأفعال العبد مقدورة لما وجدوه من التفرقة بين الاختيارية والقسرية بالضرورة لكنها قدرة تقارن بلا تأثير وتميز بين الاختياري والقسري في التصوير فهذا هو التحقيق والله ولي التوفيق

ما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم أو من ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسألون وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم ما لهم بذلك من علم

أما تستحيون من الشطط في القسمة ومن ادعائكم أنه آثركم على نفسه بخير الجزأين وأعلاهما وترك له شرهما وأدناهما * وتنكير بنات وتعريف البنين وتقديمهن في الذكر عليهم لما ذكرت في قوله تعالى يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور (بما ضرب للرحمن مثلا) بالجنس الذي جعله له مثلا أي شبها لأنه إذا جعل الملائكة جزءا لله وبعضا منه فقد جعله من جنسه ومماثلا له لأن الولد لا يكون إلا من جنس الوالد يعني أنهم نسبوا إليه هذا الجنس ومن حالهم أن أحدهم إذا قيل له قد ولدت لك بنت اغتم واربد وجهه غيظا وتأسفا وهو مملوء من الكرب وعن بعض العرب أن امرأته وضعت أنثى فهجر البيت الذي فيه المرأة فقالت

ما لأبي حمزة لا يأتينا * يظل في البيت الذي يلينا
غضبان أن لا نلد البنينا * ليس لنا من أمرنا ما شينا
* وإنما نأخذ ما أعطينا *

* والظلول بمعنى الصيرورة كما يستعمل أكثر الأفعال الناقصة بمعناها * وقرئ مسود ومسواد على أن في ظل ضمير المبشر ووجهه مسود جملة واقعة موقع الخبر * ثم قال أو يجعل للرحمن من الولد من هذه الصفة المذمومة صفته وهو أنه (ينشأ في الحلية) أي يتربى في الزينة والنعمة وهو إذا احتاج إلى مجاثاة الخصوم ومجاراة الرجال كان غير مبين ليس عنده بيان ولا يأتي ببرهان يحتج به من يخاصمه وذلك لضعف عقول النساء ونقصانهن عن فطرة الرجال يقال قلما تكلمت امرأة فأرادت أن تتكلم بحجتها إلا تكلمت بالحجة عليها وفيه أنه جعل النشء في الزينة والنعومة من المعايب والمذام وأنه من صفة ربات الحجال فعلى الرجل أن يجتنب ذلك ويأنف منه ويربأ بنفسه عنه ويعيش كما قال عمر رضي الله عنه اخشوشنوا واخشوشنوا وتمعددوا وتمعددوا وإن أراد أن يزين نفسه زينها من باطن بلباس التقوى وقرئ ينشأ وينشأ ويناشأ ونظير المناشأة بمعنى الإنشاء المغالاة بمعنى الإغلاء * وقد جمعوا في كفرة ثلاث كفرات وذلك أنهم نسبوا إلى الله الولد ونسبوا إليه أخس النوعين وجعلوه من الملائكة الذين هم أكرم عباد الله على الله فاستخفوا بهم واحتقروهم * وقرئ عباد الرحمن وعبيد الرحمن وعند الرحمن وهو مثل لزلفاهم واختصاصهم وإناثا وأنثا جمع الجمع ومعنى جعلوا سموا وقالوا إنهم إناث * وقرئ أشهدوا وأأشهدوا بهمزتين مفتوحة ومضمومة وآأشهدوا بألف بينهما وهذا تهكم بهم بمعنى أنهم يقولون ذلك من غير أن يستند قولهم إلى علم فإن الله لم يضطرهم إلى علم ذلك ولا تطرقوا إليه باستدلال ولا أحاطوا به عن خبر يوجب العلم فلم يبق إلا أن يشاهدوا خلقهم فأخبروا عن هذه المشاهدة (ستكتب شهادتهم) التي شهدوا بها على الملائكة من أنوثتهم (ويسألون) وهذا وعيد وقرئ سيكتب وسنكتب بالياء والنون وشهادتهم وشهاداتهم ويساءلون على يفاعلون (وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم) هما كفرتان أيضا مضمومتان إلى الكفرات الثلاث وهما عبادتهم الملائكة من دون الله وزعمهم أن عبادتهم بمشيئة الله كما يقول إخوانهم المجبرة (فإن قلت) ما أنكرت على من يقول قالوا ذلك على وجه الاستهزاء ولو قالوه جادين لكانوا مؤمنين (قلت) لا دليل على أنهم قالوه مستهزئين وادعاء ما لا دليل عليه باطل على أن الله تعالى قد حكى عنهم ذلك على سبيل الذم والشهادة بالكفر أنهم جعلوا له من عباده جزءا وأنه اتخذ بنات وأصفاهم

بالبنين وأنهم جعلوا الملائكة المكرمين اناثاً وأنهم عبدوهم وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم فلو كانوا ناطقين
بها على طريق الهزء لكان النطق بالمحكيات قبل هذا المحكي الذي هو ايمان عنده لو جدّوا في النطق به مدحاً
لهم من قبل أنها كلمات كفر نطقوا بها على طريق الهزء فبقي أن يكونوا جادين وتشترك كلها في أنها كلمات
كفر فان قالوا نجعل هذا الاخير وحده مقولاً على وجه الهزء دون ما قبله فما بهم الا تعويج كتاب الله الذي
لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لتسوية مذاهبهم الباطلة ولو كانت هذه كلمة حق نطقوا بها
هزؤاً لم يكن لقوله تعالى (ما لهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون) معنى لان من قال لا اله الا الله على طريق
الهزء كان الواجب أن ينكر عليه استهزاؤه ولا يكذب لانه لا يجوز تكذيب الناطق بالحق جاداً كان أو هازئاً
(فان قلت) ما قولك فيمن يفسر ما لهم بقولهم ان الملائكة بنات الله من علم ان هم الا يخرصون في ذلك القول
لا في تعليق عبادتهم بمشيئة الله (قلت) تمحل مبطل وتحريف مكابر ونحوه قوله تعالى سيقول الذين أشركوا
لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم * الضمير في (من قبله) للقرآن
أو الرسول والمعنى أنهم ألصقوا عبادة غير الله بمشيئة الله قولاً قالوه غير مستند الى علم ثم قال أم آتيناهم كتاباً
قبل هذا الكتاب نسبنا فيه الكفر والقبائح الينا فحصل لهم علم بذلك من جهة الوحي فاستمسكوا بذلك
الكتاب واحتجوا به بل لا حجة لهم يستمسكون بها الا قولهم (انا وجدنا آباءنا على أمة) على دين وقرئ على
امة بالكسر وكلتاهما من الأم وهو القصد فالامة الطريقة التي تؤم أي تقصد كالرحلة للمرحول اليه والامة
الحالة التي يكون عليها الآم وهو القاصد وقيل على نعمة وحالة حسنة (على آثارهم مهتدون) خبران
أو الظرف صلة لمهتدون (مترفوها) الذين أترفتهم النعمة أي أبطرتهم فلا يحبون الا الشهوات والملاهي
ويعافون مشاق الدين وتكاليفه * قرئ قل وقال وجئتكم وجئناكم يعني أتتبعون آباءكم ولو جئتكم بدين
أهدى من دين آبائكم * قالوا انا ثابتون على دين آبائنا لا ننفك عنه وان جئتنا بما هو أهدى وأهدى * قرئ
براء بفتح الباء وضمها وبريء فبريء وبراء نحو كريم وكرام وبراء مصدر كظماء ولذلك استوى فيه الواحد
والاثنان والجماعة والمذكر والمؤنث يقال نحن البراء منك والخلاء منك (الذي فطرني) فيه غير وجه أن
يكون منصوباً على أنه استثناء منقطع كأنه قال لكن الذي فطرني فانه سيهدين وأن يكون مجروراً بدلاً من
المجرور بمن كأنه قال انني براء مما تعبدون الا من الذي فطرني (فان قلت) كيف تجعله بدلاً وليس من جنس
ما يعبدون من وجهين أحدهما أن ذات الله مخالفة لجميع الذوات فكانت مخالفة لذوات ما يعبدون والثاني
أن الله تعالى غير معبود بينهم والاوثان معبودة (قلت) قالوا كانوا يعبدون الله مع أوثانهم وأن تكون
الا صفة بمعنى غير على أن ما في ما تعبدون موصوفة تقديره انني براء من آلهة تعبدونها غير الذي فطرني فهو
نظير قوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا * (فان قلت) ما معنى قوله (سيهدين) على التسويف
(قلت) قال مرة فهو يهدين ومرة فانه سيهدين فاجمع بينهما وقدر كأنه قال فهو يهدين وسيهدين فيدلان
على استمرار الهداية في الحال والاستقبال (وجعلها) وجعل ابراهيم صلوات الله عليه كلمة التوحيد التي
تكلم بها وهي قوله انني براء مما تعبدون الا الذي فطرني (كلمة باقية في عقبه) في ذريته فلا يزال فيهم من
يوحد الله ويدعو الى توحيده * لعل من أشرك منهم يرجع بدعاء من وحد منهم ونحوه ووصى بها ابراهيم
بنيه وقيل وجعلها الله * وقرئ كلمة على التخفيف وفي عقبه كذلك وفي عاقبه أي فيمن عقبه أي خلفه (بل
متعت هؤلاء) يعني أهل مكة وهم من عقب ابراهيم بالمد في العمر والنعمة فاغتروا بالمهلة وشغلوا بالتنعم
واتباع الشهوات وطاعة الشيطان عن كلمة التوحيد (حتى جاءهم الحق) وهو القرآن (ورسول مبين)
الرسالة واضحها بما معه من الآيات البينة فكذبوا به وسموه ساحراً وما جاء به سحراً ولم يوجد منهم ما رجاه
وقرئ بل متعنا (فان قلت) فما وجه قراءة من قرأ متعت بفتح التاء (قلت) كأن الله تعالى اعترض
على ذاته في قوله وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون فقال بل متعتهم بما متعتهم به من طول العمر
والسعة في الرزق حتى شغلهم ذلك عن كلمة التوحيد وأراد بذلك الاطناب في تعييرهم لانه اذا متعهم بزيادة
النعم

ان هم الا يخرصون
أم آتيناهم كتاباً من
قبله فهم به مستمسكون
بل قالوا انا وجدنا آباءنا
على أمة وانا على
آثارهم مهتدون
وكذلك ما أرسلنا من
قبلك في قرية من نذير
الا قال مترفوها انا
وجدنا آباءنا على أمة وانا
على آثارهم مقتدون
قال أولو جئتكم بأهدى
مما وجدتم عليه آباءكم
قالوا انا بما أرسلتم به
كافرون فانتقمنا منهم
فانظر كيف كان عاقبة
المكذبين واذ قال
ابراهيم لابيه وقومه
انني براء مما تعبدون
الا الذي فطرني فانه
سيهدين وجعلها كلمة
باقية في عقبه لعلهم
يرجعون بل متعت
هؤلاء وآباءهم حتى
جاءهم الحق ورسول
مبين

* قوله تعالى حتى جاءهم الحق ورسول مبين ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وانا به كافرون (قال فيه فان قلت قد جعل مجيء الحق والرسول غاية التمتيع ثم أردفه الى آخره) قال أحمد كلام نفيس لا مزيد عليه الا ان قوله تخيل بهذه الغاية أنهم تنبهوا عندها اطلاق ينبغي اجتنابه والله أعلم وما أحسن مجيء الغاية على هذا النحو مجيء الاضراب في بعض التارات فكما جاءت الغاية هنا (٣٥٠)

ومن المراد بها ان الفعل المذكور قبلها منقطع عندها على ما هو المفهوم منها بل المراد استمراره وزيادته فكأن تلك المخالفة الناقصة انتهت بوجود ما هو أكمل منها كذلك الاضراب في مثل قوله تعالى بل ادارك علمهم

النعم وجب عليهم أن يجعلوا ذلك سببا في زيادة الشكر والثبات على التوحيد والايمان لا أن يشركوا به ويجعلوا له أندادا فمثاله أن يشكو الرجل اساءة من أحسن اليه ثم يقبل على نفسه فيقول أنت السبب في ذلك بمعروفك واحسانك وغرضه بهذا الكلام توبيخ المسيء لا تقبيح فعله (فان قلت) قد جعل مجيء الحق والرسول غاية التمتيع ثم أردفه قوله (ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر) فما طريقة هذا النظم ومؤداه (قلت) المراد بالتمتيع ما هو سبب له وهو اشتغالهم بالاستمتاع عن التوحيد ومقتضياته فقال عز وعلا بل اشتغلوا عن التوحيد حتى جاءهم الحق ورسول مبين فخيل بهذه الغاية أنهم تنبهوا عندها عن غفلتهم لاقتضائها التنبه ثم ابتدأ قصتهم عند مجيء الحق فقال ولما جاءهم الحق جاؤا بما هو شر من غفلتهم التي كانوا عليها وهو أن ضموا الى شركهم معاندة الحق ومكابرة الرسول ومعاداته والاستخفاف بكتاب الله وشرائعه والاصرار على أفعال الكفرة والاحتكام على حكمة الله في تخير محمد من أهل زمانه بقولهم (لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) وهي الغاية في تشويه صورة أمرهم قرئ على رجل بسكون الجيم من القريتين من احدى القريتين كقوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان أي من أحدهما والقريتان مكة والطائف وقيل من رجلي القريتين وهما الوليد بن المغيرة المخزومي وحبيب بن عمرو بن عمير الثقفي عن ابن عباس وعن مجاهد عتبة بن ربيعة وكنانة بن عبد ياليل وعن قتادة الوليد بن المغيرة وعروة ابن مسعود الثقفي وكان الوليد يقول لو كان حقا ما يقول محمد لنزل هذا القرآن علي أو على أبي مسعود الثقفي وأبو مسعود كنية عروة بن مسعود ما زالوا ينكرون أن يبعث الله بشرا رسولا فلما علموا بتكرير الله الحجج أن الرسل لم يكونوا الا رجالا من أهل القرى جاؤا بالانكار من وجه آخر وهو تحكمهم أن يكون أحد هذين وقولهم هذا القرآن ذكر له على وجه الاستهانة به وأرادوا بعظم الرجل رياسته وتقدمه في الدنيا وعزب عن عقولهم أن العظيم من كان عند الله عظيما (أهم يقسمون رحمة ربك) هذه الهمزة للانكار المستقل بالتجهيل والتعجيب من اعتراضهم وتحكمهم وأن يكونوا هم المدبرين لأمر النبوة والتخير لها من يصلح لها ويقوم بها والمتولين لقسمة رحمة الله التي لا يتولاها الا هو بباهر قدرته وبالغ حكمته * ثم ضرب لهم مثلا فأعلم أنهم عاجزون عن تدبير خويصة أمرهم وما يصلحهم في دنياهم وأن الله عز وعلا هو الذي قسم بينهم معيشتهم وقدرها ودبر أحوالهم تدبير العالم بها فلم يسو بينهم ولكن فاوت بينهم في أسباب العيش وغاير بين منازلهم فجعل منهم أقوياء وضعفاء وأغنياء ومحاويج وموالي وخدما ليصرف بعضهم بعضا في حوائجهم ويستخدموهم في مهنهم ويتسخروهم في أشغالهم حتى يتعايشوا ويترافدوا ويصلوا الى منافعهم ويحصلوا على مرافقهم ولو وكلهم الى أنفسهم وولاهم تدبير أمرهم لضاعوا وهلكوا واذا كانوا في تدبير المعيشة الدنية في الحياة الدنيا على هذه الصفة فما ظنك بهم في تدبير أمر الدين الذي هو رحمة الله الكبرى ورأفته العظمى وهو الطريق الى حيازة حظوظ الآخرة والسلم الى حلول دار السلام * ثم قال (ورحمة ربك) يريد هذه الرحمة وهي دين الله وما يتبعه من الفوز في المآب خير مما يجمع هؤلاء من حطام الدنيا (فان قلت) معيشتهم ما يعيشون به من المنافع ومنهم من يعيش بالحلال ومنهم من يعيش بالحرام فاذن قد قسم الله تعالى الحرام كما قسم الحلال (قلت) الله تعالى قسم لكل عبد معيشته وهي مطاعمه ومشاربه وما يصلحهم من المنافع وأذن له في تناولها ولكن شرط عليه وكلفه أن يسلك في تناولها الطريق التي شرعها فاذا سلكها فقد تناول قسمته من المعيشة حلالا وسماها رزق الله واذا لم يسلكها تناولها حراما وليس له أن يسميها رزق الله فالله تعالى قاسم المعايش والمنافع ولكن العباد هم الذين يكسبونها صفة الحرمة بسوء تناولها

ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وانا به كافرون وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن

في الآخرة بل هم في شك منها بل هم منها عمون وهذه الاضرابات ليست على معنى أن الثاني مضاد للاول بل ثانيها آكد من أولها وجاء الاضراب مع التوافق والزيادة للاشعار بأن الثاني في الزيادة على الاول صار باعتبار زيادته ونقصان الاول كأنهما شيآن متنافيان يضرب عن أولهما ويثبت آخرهما ومثله كثير وبالله التوفيق * قوله تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا (قال فيه فان قلت معيشتهم ما يعيشون به من المنافع الخ) قال أحمد ان الرزق عند أهل السنة يطلق على ما يقوم الله به حال العبد حلالا كان أو حراما وهذه الآية معضدة والزمخشري بنى على أصل

* قوله تعالى ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم الآية (قال فيه معناه لولا كراهية أن يجتمعوا على الكفر لجعلنا للكفار سقوفا من فضة أي لوسعنا عليهم الدنيا لحقارتها عندنا انتهى كلامه) قال أحمد ولولا هنا أخت لولا في قوله ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم الآية فلك أن تصحح الكلام بتقدير كراهة ذلك ولك أن لا تقدر محذوفا كما قدمته فيكون وجه الكلام ههنا ان اجتماعهم على الكفر مانع من بسط الدنيا وهذا هو معنى لولا المطرد ان ما بعدها أبدا مانع من جوابها ولكن قد يكون المانع موجودا تحقيقا فيمتنع الجواب بلا اشكال كقوله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين وهو الاكثر وقد يكون وجوده مقدرا متوهما وعلى ذلك الآية أي لو وجد بسط الدنيا للكافر لقدر وجود مانعه عندنا وهو الاجتماع على الكفر مقدرا متوهما وكل ما أدى وجوده الى وجود مانعه لا يوجد (ثم قال) فحين لم يوسع على الكافرين للفتنة التي كان يؤدي اليها التوسعة من الاطباق على الكفر فهلا وسع على المسلمين ليطبق الناس على الايمان وأجاب بان التوسعة عليهم مفسدة أيضا لما تؤدي اليه من الدخول في الاسلام لاجل الدنيا وذلك من دين المنافقين اهـ كلامه (قال أحمد) سؤال وجواب مبنيان على قاعدتين فاسدتين احداهما تعليل أفعال الله تعالى والاخرى ان الله تعالى أراد الاسلام من الخلق أجمعين أما الاولى فقد أخرس الله السائل عنه بقوله لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون وأما الثانية فقد كفى الله المؤمنين الجواب عنه فيه بقوله ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا * قوله تعالى ومن

يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وانهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون انهم مهتدون حتى اذا جاءنا الآية (قال فيه

وقال عشي بصره بكسر الشين اذا أصابته الآفة الخ) قال أحمد في هذه الآية نكتتان بديعتان * احداهما الدلالة على ان النكرة الواقعة في سياق الشرط تفيد العموم وهي مسئلة اضطرب فيها الاصوليون وامام الحرمين من القائلين بافادتها العموم حتى استدرك على الائمة اطلاقهم القول بان النكرة في سياق الاثبات تخص وقال ان الشرط يعم والنكرة في سياقه تعم وقد رد عليه الفقيه أبو الحسن علي الابياري شارح كتابه ردا عنيفا وفي هذه الآية للامام ومن قال بقوله كفاية وذلك ان الشيطان ذكر فيها منكرا في سياق شرط ونحن نعلم انه انما أراد عموم الشياطين لا واحدا لوجهين أحدهما أنه قد ثبت ان لكل أحد شيطانا فكيف بالعاشي عن ذكر الله والآخر يؤخذ من الآية وهو أنه أعاد عليه الضمير مجموعا في قوله وانهم فانه عائد الى الشيطان قولا واحدا ولولا افادته عموم الشمول لما جاز عود ضمير الجمع عليه بلا اشكال فهذه نكتة تجد عند استماعها لحالي هذا الرأي سكتة * النكتة الثانية أن في هذه الآية ردا على من زعم ان العود على معنى من يمنع من العود على لفظها بعد ذلك واحتج المانع لذلك بأنه اجمال بعد تفسير وهو خلاف المعهود من الفصاحة وقد نقض الكندي هذا بقوله تعالى ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا قد أحسن الله له رزقا ونقض غيره بقوله ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا أولئك لهم عذاب مهين واذا تتلى عليه الآية وكان جدي رحمه الله قد استخرج من هذه الآية نقض ذلك لانه أعاد على اللفظ في قوله يعش وله قرين ثم على المعنى في قوله ليصدونهم ثم على اللفظ بقوله حتى اذا جاءنا وقد قدمت ان الذي منع ذلك

لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون ولبيوتهم أبوابا وسررا عليها يتكئون وزخرفا وان كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين

وهو عدولهم فيه مما شرعه الله الى ما لم يشرعه (لبيوتهم) بدل اشتمال من قوله لمن يكفر ويجوز أن يكونا بمنزلة اللامين في قولك وهبت له ثوبا لقميصه وقرئ سقفا بفتح السين وسكون القاف وبضمها وسكون القاف وبضمها جمع سقف كرهن ورهن ورهن وعن الفراء جمع سقيفة وسقفا بفتحتين كأنه لغة في سقف وسقوفا * ومعارج ومعاريج والمعارج جمع معرج أو اسم جمع لمعراج وهي المصاعد الى العلالي (عليها يظهرون) أي على المعارج يظهرون السطوح يعلونها فما اسطاعوا أن يظهروه * وسررا بفتح الراء لاستثقال الضمتين مع حرفي التضعيف (لما متاع الحياة) اللام هي الفارقة بين ان المخففة والنافية وقرئ بكسر اللام أي للذي هو متاع الحياة كقوله تعالى مثلا ما بعوضة ولما بالتشديد بمعنى الا وان نافية وقرئ الا وقرئ وما كل ذلك الا لما قال أهم يقسمون فقلل أمر الدنيا وصغرها أردفه ما يقرر قلة الدنيا عنده من قوله ولولا أن يكون الناس أمة واحدة أي ولولا كراهة أن يجتمعوا على الكفر ويطبقوا عليه لجعلنا لحقارة زهرة الحياة الدنيا عندنا للكفار سقوفا ومصاعد وأبوابا وسررا كلها من فضة وجعلنا لهم زخرفا أي زينة من كل شيء والزخرف الزينة والذهب ويجوز أن يكون الاصل سقفا من فضة وزخرف يعني بعضها من فضة وبعضها من ذهب فنصب عطفا على محل من فضة وفي معناه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لو وزنت عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء (فان قلت) فحين لم يوسع على الكافرين للفتنة التي كان يؤدي اليها التوسعة عليهم من اطباق الناس على الكفر لحبهم الدنيا وتهالكهم عليها فهلا وسع على المسلمين ليطبق الناس على الاسلام (قلت) التوسعة عليهم مفسدة أيضا لما تؤدي اليه من الدخول في الاسلام لاجل الدنيا والدخول في الدين لاجل الدنيا من دين المنافقين فكانت الحكمة فيما دبر حيث جعل في الفريقين أغنياء وفقراء وغلب الفقر على الغنى * قرئ ومن يعش بضم الشين وفتحها والفرق بينهما أنه اذا حصلت الآفة في بصره قيل عشي

قد يكون الاقتصار عنه على تحى * ذلك في جملة واحدة وأما اذا تعددت الجمل واستقلت كل منها فقد لا يمتنع ذلك حتى رددت على الزمخشري في قوله تعالى لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا فان الجملة واحدة

واذا نظر نظر العشى ولآفة به قيل عشا ونظيره عرج لمن به الآفة وعرج لمن مشى مشية العرجان من غير عرج قال الحطيئة * متى تأته تعشو الى ضوء ناره * أي تنظر اليها نظر العشى لما يضعف بصرك من عظم الوقود واتساع الضوء وهو بين في قول حاتم * أعشو اذا ما جارتي برزت * حتى يوارى جارتي الخدر * وقرئ يعشو على أن من موصولة غير مضمنة معنى الشرط وحق هذا القارئ أن يرفع نقيض ومعنى القراءة بالفتح ومن يعم (عن ذكر الرحمن) وهو القرآن كقوله تعالى صم بكم عمي وأما القراءة بالضم فمعناها ومن يتعام عن ذكره أي يعرف أنه الحق وهو يتجاهل ويتغابى كقوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم (نقيض له شيطانا) نخذله ونخل بينه وبين الشياطين كقوله تعالى وقيضنا لهم قرناء ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين وقرئ يقيض أي يقيض له الرحمن ويقيض له الشيطان * (فان قلت) لم جمع ضمير من وضمير الشيطان في قوله (وانهم ليصدونهم) (قلت) لان من مبهم في جنس العاشي وقد قيض له شيطان مبهم في جنسه فلما جاز أن يتناولا لابهامهما غير واحدين جاز أن يرجع الضمير اليهما مجموعا (حتى اذا جاءنا) العاشي وقرئ جاآنا على أن الفعل له ولشيطانه (قال) لشيطانه (ياليت بيني وبينك بعد المشرقين) يريد المشرق والمغرب فغلب كما قيل العمران والقمران (فان قلت) فما بعد المشرقين (قلت) تباعدهما والاصل بعد المشرق من المغرب والمغرب من المشرق فلما غلب وجمع المشرقين بالتثنية أضاف البعد اليهما (أنكم) في محل الرفع على الفاعلية يعني ولن ينفعكم كونكم مشتركين في العذاب كما ينفع الواقعين في الامر الصعب اشتراكهم فيه لتعاونهم في تحمل أعبائه وتقسمهم لشدته وعنائه وذلك أن كل واحد منكم به من العذاب ما لا تبلغه طاقته ولك أن تجعل الفعل للتمني في قوله ياليت بيني وبينك على معنى ولن ينفعكم اليوم ما أنتم فيه من تمني مباعدة القرين وقوله انكم في العذاب مشتركون تعليل أي لن ينفعكم تمنيكم لان حقكم أن تشتركوا أنتم وقرناؤكم في العذاب كما كنتم مشتركين في سببه وهو الكفر وتقويه قراءة من قرأ انكم بالكسر وقيل اذا رأى الممنو بشدة من مني بمثلها وجد ذلك روحا ونفس بعض كربه وهو التأسي الذي ذكرته الخنساء * أعزي النفس عنه بالتأسي * فهؤلاء لا يؤسيهم اشتراكهم ولا يروحهم لعظم ما هم فيه (فان قلت) ما معنى قوله تعالى اذ ظلمتم (قلت) معناه اذ صح ظلمكم وتبين ولم يبق لكم ولا لاحد شبهة في أنكم كنتم ظالمين وذلك يوم القيامة واذ بدل من اليوم ونظيره * اذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة * أي تبين أني ولد كريمة * كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعب نفسه في دعاء قومه وهم لا يزيدون على دعائه الا تصميما على الكفر وتماديا في الغي فأنكر عليه بقوله (أفأنت تسمع الصم) انكار تعجيب من أن يكون هو الذي يقدر على هدايتهم وأراد أنه لا يقدر على ذلك منهم الا هو وحده على سبيل الالجاء والقسر كقوله تعالى ان الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من في القبور * ما في قوله (فاما نذهبن بك) بمنزلة لام القسم في أنها اذا دخلت دخلت معها النون المؤكدة والمعنى فان قبضناك قبل أن نبصرك عذابهم ونشفي بذلك صدور المؤمنين منهم (فانا منهم منتقمون) أشد الانتقام في الآخرة كقوله تعالى أو نتوفينك فالينا يرجعون * وان أردنا أن ننجز في حياتك ما وعدناهم من العذاب النازل بهم وهو يوم بدر فهم تحت ملكتنا وقدرتنا لا يفوتوننا وصفهم بشدة الشكيمة في الكفر والضلال ثم أتبعه شدة الوعيد بعذاب الدنيا والآخرة * وقرئ نرينك بالنون الخفيفة * وقرئ بالذي أوحي اليك على البناء للفاعل وهو الله عز وجل والمعنى وسواء عجلنا لك الظفر والغلبة أو أخرنا الى اليوم الآخر فكن مستمسكا بما أوحينا اليك وبالعمل به فانه الصراط المستقيم الذي لا يحيد عنه الا ضال شقي وزد كل يوم صلابة في المحاماة على دين الله ولا يخرجك الضجر بأمرهم الى شيء من اللين والرخاوة في أمرك ولكن كما يفعل الثابت الذي لا ينشطه تعجيل ظفر ولا يثبطه تأخيره (وانه) وان الذي أوحي اليك (لذكر) لشرف لك ولقومك و(سوف تسألون) عنه يوم القيامة وعن قيامكم بحقه وعن تعظيمكم له وشكركم على أن رزقتموه وخصصتم به من بين العالمين * ليس المراد بسؤال الرسل حقيقة السؤال لاحالته ولكنه مجاز عن

يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وانهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون حتى اذا جاءنا قال ياليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم أنكم في العذاب مشتركون أفأنت تسمع الصم أو تهدي العمي ومن كان في ضلال مبين فاما نذهبن بك فانا منهم منتقمون أو نرينك الذي وعدناهم فانا عليهم مقتدرون فاستمسك بالذي أوحي اليك انك على صراط مستقيم وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون واسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون ولقد أرسلنا موسى بآياتنا الى فرعون وملئه فقال اني رسول رب العالمين

فانظره في موضعه * قوله تعالى واسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا (قال سؤال الرسل مجاز عن النظر في شرائعهم والنظر في ملاهم الخ) قال أحمد ويشهد لارادة سؤال الامم فاسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك والله أعلم

* قوله تعالى فلما جاءهم بآياتنا إذا هم منها يضحكون وما نريهم من آية إلا هي أكبر من أختها (قال جاز أن يجاب لما بإذا التي للمفاجأة لأن فعل المفاجأة مقدر معها وهو العامل فيها النصب الخ) قال أحمد الظاهر في تسويغ هذا الإطلاق والله أعلم أن كل واحدة من هذه الآي إذا أفردت بالفكر استغرقت عظمتها الفكر وبهرته حتى يجزم أنها النهاية وأن كل آية دونها فإذا انتقل الفكرة إلى أختها استوعبت أيضا الفكر بعظمها وذهل عن الأولى فيجزم بأن هذه النهاية وأن كل آية دونها والحاصل أنه لا يقدر الفكر على أن يجمع بين آيتين منها ليتحقق عنده الفاضلة من المفضولة بل مهما أفرده بالفكر جزم بأنه النهاية وعلى هذا التقدير يجري جميع ما يرد من أمثاله والله أعلم * قوله تعالى وأخذناهم بالعذاب لعلهم يرجعون الآية (قال معناه إرادة أن يرجعوا عن الكفر إلى الإيمان الخ) قال أحمد قد تقدم في غير موضع أن لعل حيثما وردت في سياق كلام الله تعالى فالمراد صرف الرجاء إلى المخلوقين أي ليكونوا بحيث يرجى منهم ذلك هذا هو الحق وعليه تأول سيبويه ما ورد أما الزمخشري فيحمل لعل على الإرادة

في أديانهم والفحص عن مللهم هل جاءت عبادة الأوثان قط في ملة من ملل الأنبياء وكفاه نظرا وفحصا نظره في كتاب الله المعجز المصدق لما بين يديه وإخبار الله فيه بأنهم يعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا وهذه الآية في نفسها كافية لا حاجة إلى غيرها والسؤال الواقع مجازا عن النظر حيث لا يصح السؤال على الحقيقة كثير منه مساءلة الشعراء الديار والرسوم والأطلال وقول من قال سل الأرض من شق أنهارك وغرس أشجارك وجنى ثمارك فإنها إن لم تجبك حوارا أجابتك اعتبارا وقيل إن النبي صلى الله عليه وسلم جمع له الأنبياء ليلة الإسراء في بيت المقدس فأمهم وقيل له سلهم فلم يشكك ولم يسأل وقيل معناه سل أمم من أرسلنا وهم أهل الكتابين التوراة والإنجيل وعن الفراء هم إنما يخبرونه عن كتب الرسل فإذا سألهم فكأنه سأل الأنبياء ما أجابوه به عند قوله إني رسول رب (العالمين) محذوف دل عليه قوله (فلما جاءهم بآياتنا) وهو مطالبتهم إياه بإحضار البينة على دعواه وإبراز الآية (إذا هم منها يضحكون) أي يسخرون منها ويهزؤون بها ويسمونها سحرا وإذا للمفاجأة (فإن قلت) كيف جاز أن يجاب لما بإذا المفاجأة (قلت) لأن فعل المفاجأة معها مقدر وهو عامل النصب في محلها كأنه قيل فلما جاءهم بآياتنا فاجؤوا وقت ضحكهم (فإن قلت) إذا جاءتهم آية واحدة من جملة التسع فما أختها التي فضلت عليها في الكبر من بقية الآيات (قلت) أختها التي هي آية مثلها وهذه صفة كل واحدة منها فكان المعنى على أنها أكبر من بقية الآيات على سبيل التفصيل والاستقراء واحدة بعد واحدة كما تقول هو أفضل رجل رأيته تريد تفضيله على أمة الرجال الذين رأيتهم إذا قررتهم رجلا رجلا (فإن قلت) هو كلام متناقض لأن معناه ما من آية من التسع إلا هي أكبر من كل واحدة منها فتكون كل واحدة منها فاضلة ومفضولة في حالة واحدة (قلت) الغرض بهذا الكلام أنهن موصوفات بالكبر لا يكدن يتفاوتن فيه وكذلك العادة في الأشياء التي تتلاقى في الفضل وتتفاوت منازلها فيه التفاوت اليسير أن تختلف آراء الناس في تفضيلها فيفضل بعضهم هذا وبعضهم ذاك فعلى ذلك بنى الناس كلامهم فقالوا رأيت رجالا بعضهم أفضل من بعض وربما اختلفت آراء الرجل الواحد فيها فتارة يفضل هذا وتارة يفضل ذاك ومنه بيت الحماسة

من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم * مثل النجوم التي يسري بها الساري

وقد فاضلت الأنمارية بين الكملة من بنيها ثم قالت لما أبصرت مراتبهم متدانية قليلة التفاوت ثكلتهم إن كنت أعلم أيهم أفضل هم كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفاها (لعلهم يرجعون) إرادة أن يرجعوا عن الكفر إلى الإيمان (فإن قلت) لو أراد رجوعهم لكان (قلت) إرادته فعل غيره ليس إلا أن يأمره به ويطلب منه إيجاده فإن كان ذلك على سبيل القسر وجد وإلا دار بين أن يوجد وبين أن لا يوجد على حسب اختيار المكلف وإنما لم يكن الرجوع لأن الإرادة لم تكن قسرا ولم يختاروه * والمراد بالعذاب السنون والطوفان والجراد وغير ذلك * وقرئ يا أيه الساحر بضم الهاء وقد سبق وجهه (فإن قلت) كيف سموه بالساحر مع قولهم (إننا لمهتدون) (قلت) قولهم إننا لمهتدون وعد منوي إخلافه وعهد معزوم على نكثه معلق بشرط أن يدعو لهم وينكشف عنهم العذاب ألا ترى إلى قوله تعالى (فلما كشفنا عنهم العذاب إذا هم ينكثون) فما كانت تسميتهم إياه بالساحر بمنافية لقولهم إننا لمهتدون وقيل كانوا يقولون للعالم الماهر ساحر لاستعظامهم علم السحر * بما عهد

وهو خلاف ... لأنه لا يتحاشى من اعتقاد أن الله يريد شيئا ويريد العبد خلافه فيقع مراد العبد ولا يقع مراد الرب تعالى الله عما يقول الأشرار ... علوا كبيرا فما أشنعها زلة وأشبهها خلة وأقذعها الآراء في هذا الموضع حتى إنه لولا تعين الرد عليه والإنكار لتعين ... ويتعذر ... به وما اهتدى وقد جرى على سنن أوائله في جعل حقيقة الأمر هو الإرادة وأضاف إلى ذلك اعتقاد أن العبد يوجد فعله ويخلقه على الله ... إرادة العبد يقع ومراد الرب لا يقع فهذه ظلمات ثلاث بعضها فوق بعض نعوذ بالله من هذه الغوائل ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا

عندك بعهده عندك من أن دعوتك مستجابة أو بعهده عندك وهو النبوة أو بما عهد عندك فوفيت به وهو الإيمان والطاعة أو بما عهد عندك من كشف العذاب عمن اهتدى (ونادى فرعون في قومه) جعلهم محلا لندائه وموقعا له والمعنى أنه أمر بالنداء في مجامعهم وأماكنهم من نادى فيها بذلك فأسند النداء إليه كقولك قطع الأمير اللص إذا أمر بقطعه ويجوز أن يكون عنده عظماء القبط فيرفع صوته بذلك فيما بينهم ثم ينشر عنه في جموع القبط فكأنه نودي به بينهم فقال (أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار) يعني أنهار النيل ومعظمها أربعة نهر الملك ونهر طولون ونهر دمياط ونهر تنيس قيل كانت تجري تحت قصره وقيل تحت سريره لارتفاعه وقيل بين يدي في جناني وبساتيني ويجوز أن تكون الواو عاطفة للأنهار على ملك مصر وتجري نصب على الحال منها وأن تكون الواو للحال واسم الإشارة مبتدأ والأنهار صفة لاسم الإشارة وتجري خبر للمبتدأ وليت شعري كيف ارتقت إلى دعوة الربوبية همة من تعظم بملك مصر وعجب الناس من مدى عظمته وأمر فنودي بها في أسواق مصر وأزقتها لئلا تخفى تلك الأبهة والجلالة على صغير ولا كبير وحتى يتربع في صدور الدهماء مقدار عزه وملكوته وعن الرشيد أنه لما قرأها قال لأولينها أخس عبيدي فولاها الخصيب وكان على وضوئه وعن عبد الله بن طاهر أنه وليها فخرج إليها فلما شارفها ووقع عليها بصره قال أهي القرية التي افتخر بها فرعون حتى قال أليس لي ملك مصر والله لهي أقل عندي من أن أدخلها فثنى عنانه (أم أنا خير) أم هذه متصلة لأن المعنى أفلا تبصرون أم تبصرون إلا أنه وضع قوله أنا خير موضع تبصرون لأنهم إذا قالوا له أنت خير فهم عنده بصراء وهذا من إنزال السبب منزلة المسبب ويجوز أن تكون منقطعة على بل أأنا خير والهمزة للتقرير وذلك أنه قدم تعديد أسباب الفضل والتقدم عليهم من ملك مصر وجري الأنهار تحته ونادى بذلك وملأ به مسامعهم ثم قال أنا خير كأنه يقول أثبت عندكم واستقر أني أنا خير وهذه حالي (من هذا الذي هو مهين) أي ضعيف حقير وقرئ أما أنا خير (ولا يكاد يبين) الكلام لما به من الرتة يريد أنه ليس معه من العدد وآلات الملك والسياسة ما يعتضد به وهو في نفسه مخل بما تنعت به الرجال من اللسن والفصاحة وكانت الأنبياء كلهم أبيناء بلغاء وأراد بإلقاء الأسورة عليه إلقاء مقاليد الملك إليه لأنهم كانوا إذا أرادوا تسويد الرجل سوروه بسوار وطوقوه بطوق من ذهب (مقترنين) إما مقترنين به من قولك قرنته فاقترن به وإما من اقترنوا بمعنى تقارنوا لما وصف نفسه بالملك والعزة ووازن بينه وبين موسى صلوات الله عليه فوصفه بالضعف وقلة الأعضاد اعترض فقال هلا إن كان صادقا ملكه ربه وسوده وسوره وجعل الملائكة أعضاده وأنصاره * وقرئ أساور جمع أسورة وأساوير جمع إسوار وهو السوار وأساورة على تعويض التاء من ياء أساوير * وقرئ ألقى عليه أسورة وأساور على البناء للفاعل وهو الله عز وجل (فاستخف قومه) فاستفزهم وحقيقته حملهم على أن يخفوا له ولما أراد منهم وكذلك استفزه من قولهم للخفيف فز (آسفونا) منقول من أسف أسفا إذا اشتد غضبه ومنه الحديث في موت الفجأة رحمة للمؤمن وأخذة أسف للكافر ومعناه أنهم أفرطوا في المعاصي وعدوا طورهم فاستوجبوا أن نعجل لهم عذابنا وانتقامنا وأن لا نحلم عنهم * وقرئ سلفا جمع سالف كخادم وخدم وسلفا بضمتين جمع سليف أي فريق قد سلف وسلفا جمع سلفة أي ثلة قد سلفت ومعناه فجعلناهم قدوة للآخرين من الكفار يقتدون بهم في استحقاق مثل عقابهم ونزوله بهم لإتيانهم بمثل أفعالهم وحديثا عجيب الشأن سائرا مسير المثل يحدثون به ويقال لهم مثلكم مثل قوم فرعون * لما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على قريش إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم امتعضوا من ذلك امتعاضا شديدا فقال عبد الله بن الزبعرى يا محمد أخاصة لنا ولآلهتنا أم لجميع الأمم فقال عليه السلام هو لكم ولآلهتكم ولجميع الأمم فقال خصمتك ورب الكعبة ألست تزعم أن عيسى ابن مريم نبي وتثني عليه خيرا وعلى أمه وقد علمت أن النصارى يعبدونهما وعزير يعبد والملائكة يعبدون فإن كان هؤلاء في النار فقد رضينا أن نكون نحن وآلهتنا معهم ففرحوا وضحكوا وسكت النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله إن الذين سبقت لهم منا الحسنى ونزلت هذه الآية والمعنى ولما ضرب عبد الله بن الزبعرى عيسى ابن مريم

ونادى فرعون في قومه قال يا قوم أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين فلولا ألقي عليه أسورة من ذهب أو جاء معه الملائكة مقترنين فاستخف قومه فأطاعوه إنهم كانوا قوما فاسقين فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين ولما ضرب ابن مريم مثلا

مثلا وجادل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعبادة النصارى اياه (اذا قومك) قريش من هذا المثل (يصدون)
ترتفع لهم جلبة وضجيج فرحا وجذلا وضحكا بما سمعوا منه من اسكات رسول الله صلى الله عليه وسلم بجدله كما
يرتفع لغط القوم ولجبهم اذا تعيوا بحجة ثم فتحت عليهم وأما من قرأ يصدون بالضم فمن الصدود أي من أجل
هذا المثل يصدون عن الحق ويعرضون عنه وقيل من الصديد وهو الجلبة وانهما لغتان نحو يعكف ويعكف
ونظائر لهما (وقالوا أآلهتنا خير ام هو) يعنون أن آلهتنا عندك ليست بخير من عيسى واذا كان عيسى من
حصب النار كان أمر آلهتنا هينا (ما ضربوه) أي ما ضربوا هذا المثل (لك الا جدلا) الا لاجل الجدل
والغلبة في القول لا لطلب الميز بين الحق والباطل (بل هم قوم خصمون) لد شداد الخصومة دأبهم اللجاج
كقوله تعالى قوما لدا وذلك ان قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله ما أريد به الا الاصنام وكذلك قوله
عليه السلام هو لكم ولآلهتكم ولجميع الامم انما قصد به الاصنام ومحال أن يقصد به الانبياء والملائكة الا
أن ابن الزبعرى بخبثه وخداعه وخبث دخلته لما رأى كلام الله ورسوله محتملا لفظه وجه العموم مع علمه بان
المراد به أصنامهم لا غير وجد للحيلة مساغا فصرف معناه الى الشمول والاحاطة بكل معبود غير الله على
طريقة اللجاج والجدل وحب المغالبة والمكابرة وتوقح في ذلك فتوقر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أجاب
عنه ربه بان الذين سبقت لهم منا الحسنى فدل به على أن الآية خاصة في الاصنام على أن ظاهر قوله وما
تعبدون لغير العقلاء وقيل لما سمعوا قوله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم قالوا نحن أهدى من
النصارى لانهم عبدوا آدميا ونحن نعبد الملائكة فنزلت وقوله أآلهتنا خير أم هو على هذا القول تفضيل
لآلهتهم على عيسى لان المراد بهم الملائكة وما ضربوه لك الا جدلا معناه وما قالوا هذا القول يعني أآلهتنا
خير أم هو الا للجدال وقرئ آلهتنا خير باثبات همزة الاستفهام وباسقاطها لدلالة أم العديلة عليها وفي
حرف ابن مسعود خير أم هذا ويجوز أن يكون جدلا حالا أي جدلين وقيل لما نزلت ان مثل عيسى عند الله
قالوا ما يريد محمد بهذا الا أن نعبده وأنه يستأهل أن يعبد وان كان بشرا كما عبدت النصارى المسيح وهو بشر
ومعنى يصدون يضجون ويضجرون والضمير في أم هو لمحمد صلى الله عليه وسلم وغرضهم بالموازنة بينه وبين
آلهتهم السخرية به والاستهزاء ويجوز أن يقولوا لما أنكر عليهم قولهم الملائكة بنات الله وعبدوهم ما قلنا
بدعا من القول ولا فعلنا نكرا من الفعل فان النصارى جعلوا المسيح ابن الله وعبدوه ونحن أشف منهم قولا
وفعلا فانا نسبنا اليه الملائكة وهم نسبوا اليه الاناسي فقيل لهم مذهب النصارى شرك بالله ومذهبكم شرك
مثله وما تنصلكم مما أنتم عليه بما أوردتموه الا قياس باطل بباطل وما عيسى (الا عبد) كسائر العبيد (أنعمنا
عليه) حيث جعلناه آية بان خلقناه من غير سبب كما خلقنا آدم وشرفناه بالنبوة وصيرناه عبرة عجيبة كالمثل
السائر (لبني اسرائيل) (ولو نشاء) لقدرتنا على عجائب الامور وبدائع الفطر (لجعلنا منكم) لولدنا منكم يا رجال
(ملائكة) يخلفونكم في الارض كما يخلفكم أولادكم كما ولدنا عيسى من أنثى من غير فحل لتعرفوا تميزنا بالقدرة
الباهرة ولتعلموا أن الملائكة أجسام لا تتولد الا من أجسام وذات القديم متعالية عن ذلك (وانه) وان عيسى
عليه السلام (لعلم للساعة) أي شرط من أشراطها تعلم به فسمي الشرط علما لحصول العلم به وقرأ ابن عباس
لعلم وهو العلامة وقرئ للعلم وقرأ أبي لذكر على تسمية ما يذكر به ذكرا كما سمي ما يعلم به علما وفي الحديث ان
عيسى عليه السلام ينزل على ثنية بالارض المقدسة يقال لها أفيق وعليه ممصرتان وشعر رأسه دهين وبيده
حربة وبها يقتل الدجال فيأتي بيت المقدس والناس في صلاة الصبح والامام يؤمهم فيتأخر الامام فيتقدمه
عيسى ويصلي خلفه على شريعة محمد عليه السلام ثم يقتل الخنازير ويكسر الصليب ويخرب البيع
والكنائس ويقتل النصارى الا من آمن به وعن الحسن ان الضمير للقرآن وان القرآن به تعلم الساعة لان
فيه الاعلام بها (فلا تمترن بها) من المرية وهي الشك (واتبعون) واتبعوا هداي وشرعي أو رسولي وقيل هذا
أمر لرسول الله أن يقوله (هذا صراط مستقيم) أي هذا الذي أدعوكم اليه أو هذا القرآن ان جعل الضمير في
وانه للقرآن (عدو مبين) قد أبانت عداوته لكم اذ أخرج أباكم من الجنة ونزع عنه لباس النور (بالبينات)

وان هو

اذا قومك منه يصدون
وقالوا أآلهتنا خير أم
هو ما ضربوه لك الا
جدلا بل هم قوم
خصمون ان هو الا عبد
أنعمنا عليه وجعلناه
مثلا لبني اسرائيل ولو
نشاء لجعلنا منكم
ملائكة في الارض
يخلفون وانه لعلم للساعة
فلا تمترن بها واتبعون
هذا صراط مستقيم
ولا يصدنكم الشيطان
انه لكم عدو مبين ولما
جاء عيسى بالبينات
قال قد جئتكم

بالمعجزات أو بآيات الانجيل والشرائع البينات الواضحات (بالحكمة) يعني الانجيل والشرائع (فان قلت) هلا بين لهم كل الذي يختلفون فيه ولكن بعضه (قلت) كانوا يختلفون في الديانات وما يتعلق بالتكاليف وفيما سوى ذلك مما لم يتعبدوا بمعرفته والسؤال عنه وانما بعث ليبين لهم ما اختلفوا فيه مما يعنيهم من أمر دينهم (الاحزاب) الفرق المتحزبة بعد عيسى وقيل اليهود والنصارى (فويل للذين ظلموا) وعيد للاحزاب (فان قلت) من بينهم الى من يرجع الضمير فيه (قلت) الى الذين خاطبهم عيسى في قوله قد جئتكم بالحكمة وهم قومه المبعوث اليهم (أن تأتيهم) بدل من الساعة والمعنى هل ينظرون الا اتيان الساعة (فان قلت) أما أدى قوله (بغتة) مؤدى قوله (وهم لا يشعرون) فيستغنى عنه (قلت) لا لان معنى قوله تعالى وهم لا يشعرون وهم غافلون لاشتغالهم بأمور دنياهم كقوله تعالى تأخذهم وهم يخصمون ويجوز أن تأتيهم بغتة وهم فطنون (يومئذ) منصوب بعدو أي تنقطع في ذلك اليوم كل خلة بين المتخالين في غير ذات الله وتنقلب عداوة ومقتا الا خلة المتصادقين في الله فانها الخلة الباقية المزدادة قوة اذا رأوا ثواب التحاب في الله تعالى والتباغض في الله وقيل (الا المتقين) الا المجتنبين أخلاء السوء وقيل نزلت في أبي بن خلف وعقبة بن أبي معيط (يا عبادي) حكاية لما ينادي به المتقون المتحابون في الله يومئذ * (والذين آمنوا) منصوب المحل صفة لعبادي لانه منادى مضاف أي الذين صدقوا (بآياتنا وكانوا مسلمين) مخلصين وجوههم لنا جاعلين أنفسهم سالمة لطاعتنا وقيل اذا بعث الله الناس فزع كل أحد فينادي مناد يا عبادي فيرجوها الناس كلهم ثم يتبعها الذين آمنوا فييأس الناس منها غير المسلمين * وقرئ يا عباد (تحبرون) تسرون سرورا يظهر حباره أي أثره على وجوهكم كقوله تعالى تعرف في وجوههم نضرة النعيم وقال الزجاج تكرمون اكراما يبالغ فيه والحبرة المبالغة فيما وصف بجميل * والكوب الكوز لا عروة له (وفيها) الضمير للجنة * وقرئ تشتهي وتشتهيه وهذا حصر لانواع النعم لانها اما مشتهاة في القلوب واما مستلذة في العيون (وتلك) اشارة الى الجنة المذكورة وهي مبتدأ و(الجنة) خبر و(التي أورثتموها) صفة الجنة أو الجنة صفة للمبتدأ الذي هو اسم الاشارة والتي أورثتموها خبر المبتدأ أو التي أورثتموها صفة و(بما كنتم تعملون) الخبر والباء تتعلق بمحذوف كما في الظروف التي تقع أخبارا وفي الوجه الاول تتعلق بأورثتموها شبهت في بقائها على أهلها بالميراث الباقي على الورثة * وقرئ ورثتموها (منها تأكلون) من للتبعيض أي لا تأكلون الا بعضها وأعقابها باقية في شجرها فهي مزينة بالثمار أبدا موقرة بها لا ترى شجرة عريانة من ثمرها كما في الدنيا وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا ينزع رجل في الجنة من ثمرها الا نبت مكانها مثلاها (لا يفتر عنهم) لا يخفف ولا ينقص من قولهم فترت عنه الحمى اذا سكنت عنه قليلا ونقص حرها * والمبلس اليائس الساكت سكوت يأس من فرج وعن الضحاك يجعل المجرم في تابوت من نار ثم يردم عليه فيبقى فيه خالدا لا يرى ولا يرى (هم) فصل عند البصريين عماد عند الكوفيين * وقرئ وهم فيها أي في النار * وقرأ علي وابن مسعود رضي الله عنهما يا مال بحذف الكاف للترخيم كقول القائل

* والحق يا مال غير ما تصف *

وقيل لابن عباس ان ابن مسعود قرأ ونادوا يا مال فقال ما أشغل أهل النار عن الترخيم وعن بعضهم حسن الترخيم أنهم يقتطعون بعض الاسم لضعفهم وعظم ما هم فيه * وقرأ أبو السرار الغنوي يا مال بالرفع كما يقال يا حار (ليقض علينا ربك) من قضى عليه اذا أماته فوكزه موسى فقضى عليه والمعنى سل ربك أن يقضي علينا (فان قلت) كيف قال ونادوا يا مالك بعدما وصفهم بالابلاس (قلت) تلك أزمنة متطاولة وأحقاب ممتدة فتختلف بهم الاحوال فيسكتون أوقاتا لغلبة اليأس عليهم وعلمهم أنه لا فرج لهم ويغوثون أوقاتا لشدة ما بهم (ماكثون) لابثون وفيه استهزاء والمراد خالدون ابن عباس رضي الله عنهما انما يجيبهم بعد ألف سنة وعن النبي صلى الله عليه وسلم يلقى على أهل النار الجوع حتى يعدل ما هم فيه من العذاب فيقولون ادعوا مالكا فيدعون يا مالك ليقض علينا ربك (لقد جئناكم بالحق) كلام الله عز وجل بدليل قراءة من قرأ لقد جئتكم ويجب أن يكون في قال ضمير الله عز وجل لما سألوا مالكا أن يسأل الله تعالى القضاء عليهم أجابهم الله بذلك (كارهون) لا تقبلونه وتنفرون

بالحكمة ولأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه فاتقوا الله وأطيعون ان الله هو ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم فاختلف الاحزاب من بينهم فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم هل ينظرون الا الساعة أن تأتيهم بغتة وهم لا يشعرون الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب وفيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين وأنتم فيها خالدون وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون ان المجرمين في عذاب جهنم خالدون لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال انكم ماكثون لقد جئناكم بالحق ولكن أكثركم للحق كارهون

* قوله تعالى قل ان كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين (قال فيه معناه ان صح وثبت ببرهان قاطع فأنا أول من يعظم ذلك الولد وأسبقكم الى طاعته والانقياد له الى آخره) قال أحمد لقد اجترأ عظيما واقتحم مهلكة في تمثيله ذلك بقول من سماه عدليا ان كان الله خالقا للكفر في القلوب ومعذبا عليه فأنا أول القائلين انه شيطان وليس باله فلينعم عليه ذنب بقول القائل قد ثبت قطعا عقلا وشرعا انه تعالى خالق لذلك في القلوب كما خلق الايمان وقد اقتضى دليل العقل الدال على ان لا خالق الا الله وتصديقا لمضمون قوله تعالى هل من خالق غير الله وقوله الله خالق كل شيء واذا ثبتت هذه المقدمة عقلا ونقلا لزمه فرك اذنه وغل عنقه اذ يلحد في الله الحادا ٢٥٧ لم يسبقه اليه أحد من عباده الكفرة ولا تجرأ عليه مارد من مردة الفجرة ومن خالف في كفر القدرية فقد وافق على كفر من تجرأ فقال هذه المقالة واقتحم هذه الضلالة لا محالة فانه قد صرح بكلمة الكفر على أقبح وجوهها وأشنع أنحائها والله المسؤول أن يعصمنا وهو حسبنا ونعم الوكيل

أم أبرموا أمرا فانا مبرمون أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون قل ان كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين سبحان رب السموات والارض رب العرش عما يصفون فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله وهو الحكيم العليم وتبارك الذي له ملك السموات والارض وما بينهما وعنده علم الساعة واليه

منهم وتشمئزون منه لان مع الباطل الدعة ومع الحق التعب (أم أبرم مشركو مكة (أمرا) من كيدهم ومكرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم (فانا مبرمون) كيدنا كما أبرموا كيدهم كقوله تعالى أم يريدون كيدا فالذين كفروا هم المكيدون * وكانوا يتنادون فيتناجون في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم (فان قلت) ما المراد بالسر والنجوى (قلت) السر ما حدث به الرجل نفسه أو غيره في مكان خال والنجوى ما تكلموا به فيما بينهم (بلى) نسمعهما ونطلع عليهما (ورسلنا) يريد الحفظة عندهم (يكتبون) ذلك وعن يحيى بن معاذ الرازي من ستر من الناس ذنوبه وأبداها للذي لا يخفى عليه شيء في السموات فقد جعله أهون الناظرين اليه وهو من علامات النفاق (قل ان كان للرحمن ولد) وصح ذلك وثبت ببرهان صحيح توردونه وحجة واضحة تدلون بها (فأنا أول) من يعظم ذلك الولد وأسبقكم الى طاعته والانقياد له كما يعظم الرجل ولد الملك لتعظيم أبيه وهذا كلام وارد على سبيل الفرض والتمثيل لغرض وهو المبالغة في نفي الولد والاطناب فيه وأن لا يترك الناطق به شبهة الا مضمحلة مع الترجمة عن نفسه بثبات القدم في باب التوحيد وذلك أنه علق العبادة بكينونة الولد وهي محال في نفسها فكان المعلق بها محالا مثلها فهو في صورة اثبات الكينونة والعبادة وفي معنى نفيهما على أبلغ الوجوه وأقواها ونظيره أن يقول العدلي للمجبر ان كان الله تعالى خالقا للكفر في القلوب ومعذبا عليه عذابا سرمدا فأنا أول من يقول هو شيطان وليس باله فمعنى هذا الكلام وما وضع له أسلوبه ونظمه نفي أن يكون الله تعالى خالقا للكفر وتنزيهه عن ذلك وتقديسه ولكن على طريق المبالغة فيه من الوجه الذي ذكرنا مع الدلالة على سماجة المذهب وضلالة الذاهب اليه والشهادة القاطعة باحالته والافصاح عن نفسه بالبراءة منه وغاية النفار والاشمئزاز من ارتكابه ونحو هذه الطريقة قول سعيد بن جبير رحمه الله للحجاج حين قال له أما والله لأبدلنك بالدنيا نارا تلظى لو عرفت أن ذلك اليك ما عبدت الها غيرك وقد تمحل الناس بما أخرجوه به من هذا الاسلوب الشريف المليء بالنكت والفوائد المستقل باثبات التوحيد على أبلغ وجوهه فقيل ان كان للرحمن ولد في زعمكم فأنا أول العابدين الموحدين لله المكذبين قولكم باضافة الولد اليه وقيل ان كان للرحمن ولد في زعمكم فأنا أول الآنفين من أن يكون له ولد من عبد يعبد اذا اشتد أنفه فهو عبد وعابد * وقرأ بعضهم العبدين وقيل هي ان النافية أي ما كان للرحمن ولد فأنا أول من قال بذلك وعبد ووحد وروي أن النضر بن عبد الدار بن قصي قال ان الملائكة بنات الله فنزلت فقال النضر ألا ترون أنه قد صدقني فقال له الوليد بن المغيرة ما صدقك ولكن قال ما كان للرحمن ولد فأنا أول الموحدين من أهل مكة أن لا ولد له * وقرئ ولد بضم الواو * ثم نزه ذاته موصوفة بربوبية السموات والارض والعرش عن اتخاذ الولد ليدل على أنه من صفة الاجسام ولو كان جسما لم يقدر على خلق هذا العالم وتدبير أمره (فذرهم يخوضوا) في باطلهم (ويلعبوا) في دنياهم (حتى يلاقوا يومهم) وهذا دليل على أن ما يقولونه من باب الجهل والخوض واللعب واعلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم من المطبوع على قلوبهم الذين لا يرجعون البتة وان ركب فيهم كل صعب وذلول وخذلان لهم وتخلية بينهم وبين الشيطان كقوله تعالى اعملوا ما شئتم وايعاد بالشقاء في العاقبة * ضمن اسمه تعالى معنى وصف فلذلك علق به الظرف في قوله في السماء وفي الارض كما

(قوله) تعالى وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله (قال فيه ضمن اسمه عز وجل معنى وصف فعلق به الظرف وهو قوله في السماء الخ)
٤٥ قال أحمد وتمام سؤال حذف الراجع مضافا الى الطول الذي ذكره وقوع الموصول خبرا عن مضمر لو ظهر الراجع لكان كالتكرار اذ كان أصل الكلام وهو الذي هو في السماء اله ولا شك أن الكلام مع المحذوف الراجع أخف وأسهل وان الراجع انما يتعين حذف مثله لامر ما كذا فانه لم يرد في الكتاب العزيز الا في قوله تماما على الذي أحسن ومع أي في موضعين على رأي قال ويحتمل الآية أن يكون في السماء صلة الذي على تأويل الاله الخ

تقول هو حاتم في طي حاتم في تغلب على تضمين معنى الجواد الذي شهر به كأنك قلت هو جواد في طي جواد في تغلب * وقرئ وهو الذي في السماء الله وفي الارض الله ومثله قوله تعالى وهو الله في السموات وفي الارض كأنه ضمن معنى المعبود أو المالك أو نحو ذلك والراجع الى الموصول محذوف لطول الكلام كقولهم ما أنا بالذي قائل لك شيأ وزاده طولا أن المعطوف داخل في حيز الصلة ويحتمل أن يكون في السماء صلة الذي واله خبر مبتدأ محذوف على أن الجملة بيان للصلة وأن كونه في السماء على سبيل الالهية والربوبية لا على معنى الاستقرار وفيه نفي الآلهة التي كانت تعبد في الارض (ترجعون) قرئ بضم التاء وفتحها ويرجعون بياء مضمومة ومفتوحة وقرئ تحشرون بالتاء * ولا يملك آلهتهم الذين يدعون من دون الله الشفاعة كما زعموا أنهم شفعاؤهم عند الله ولكن من (شهد بالحق) وهو توحيد الله وهو يعلم ما شهد به عن بصيرة وايقان واخلاص هو الذي يملك الشفاعة وهو استثناء منقطع ويجوز أن يكون متصلا لان في جملة الذين يدعون من دون الله الملائكة * وقرئ تدعون بالتاء وتدعون بالتاء وتشديد الدال (وقيله) قرئ بالحركات الثلاث وذكر في النصب عن الاخفش أنه حمله على أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم وقيله وعنه وقال قيله وعطفه الزجاج على محل الساعة كما تقول عجبت من ضرب زيد وعمرا وحمل الجر على لفظ الساعة والرفع على الابتداء والخبر ما بعده وجوز عطفه على علم الساعة على تقدير حذف المضاف معناه وعنده علم الساعة وعلم قيله والذي قالوه ليس بقوي في المعنى مع وقوع الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه بما لا يحسن اعتراضا ومع تنافر النظم وأقوى من ذلك وأوجه أن يكون الجر والنصب على اضمار حرف القسم وحذفه والرفع على قولهم أيمن الله وأمانة الله ويمين الله ولعمرك ويكون قوله (ان هؤلاء قوم لا يؤمنون) جواب القسم كأنه قيل وأقسم بقيله يارب أو وقيله يارب قسمي ان هؤلاء قوم لا يؤمنون (فاصفح عنهم) فاعرض عن دعوتهم يائسا عن ايمانهم وودعهم وتاركهم (وقل) لهم (سلام) أي تسلم منكم ومتاركة (فسوف يعلمون) وعيد من الله لهم وتسلية لرسوله صلى الله عليه وسلم والضمير في وقيله لرسول الله صلى الله عليه وسلم واقسام الله بقيله رفع منه وتعظيم لدعائه والتجائه اليه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الزخرف كان ممن يقال له يوم القيامة يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون ادخلوا الجنة بغير حساب

(سورة الدخان مكية الا قوله انا كاشفوا العذاب قليلا الآية وهي سبع وخمسون آية وقيل تسع وخمسون)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* الواو في (والكتاب) واو القسم ان جعلت حم تعديدا للحروف أو اسما للسورة مرفوعا على خبر الابتداء المحذوف وواو العطف ان كان حم مقسما به وقوله (انا أنزلناه) جواب القسم * والكتاب المبين القرآن * والليلة المباركة ليلة القدر وقيل ليلة النصف من شعبان ولها أربعة أسماء الليلة المباركة وليلة البراءة وليلة الصك وليلة الرحمة وقيل بينها وبين ليلة القدر أربعون ليلة وقيل في تسميتها ليلة البراءة والصك أن البندار اذا استوفى الخراج من أهله كتب لهم البراءة كذلك الله عز وجل يكتب لعباده المؤمنين البراءة في هذه الليلة وقيل هي مختصة بخمس خصال تفريق كل أمر حكيم وفضيلة العبادة فيها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى في هذه الليلة مائة ركعة أرسل الله اليه مائة ملك ثلاثون يبشرونه بالجنة وثلاثون يؤمنونه من عذاب النار وثلاثون يدفعون عنه آفات الدنيا وعشرة يدفعون عنه مكايد الشيطان ونزول الرحمة قال عليه الصلاة والسلام ان الله يرحم أمتي في هذه الليلة بعدد شعر أغنام بني كلب وحصول المغفرة قال عليه الصلاة والسلام ان الله تعالى يغفر لجميع المسلمين في تلك الليلة الا لكاهن أو ساحر أو مشاحن أو مدمن خمر أو عاق للوالدين أو مصر على الزنا وما أعطي فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم من تمام الشفاعة وذلك أنه سأل الثالث عشر من شعبان في أمته فأعطي الثلث منها ثم سأل ليلة الرابع عشر فأعطي الثلثين ثم سأل الخامس عشر فأعطي الجميع الا من شرد على الله شراد البعير ومن عادة الله في هذه الليلة أن يزيد زمزم زيادة ظاهرة والقول الاكثر ان المراد بالليلة المباركة ليلة القدر لقوله تعالى انا أنزلناه في

ترجعون ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة الا من شهد بالحق وهم يعلمون ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأنى يؤفكون وقيله يارب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون

﴿سورة الدخان مكية وهي سبع وخمسون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

حم والكتاب المبين انا أنزلناه في ليلة مباركة

انا كنا منذرين فيها يفرق كل أمر حكيم أمرا من عندنا انا كنا مرسلين رحمة من ربك انه هو السميع العليم رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين لا اله الا هو يحيي ويميت ربكم ورب آبائكم الاولين بل هم في شك يلعبون فارتقب يوم تأتي السماء

والمطابقة قوله فيها يفرق كل أمر حكيم لقوله تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر وقوله تعالى شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن وليلة القدر في أكثر الاقاويل في شهر رمضان (فان قلت) ما معنى انزال القرآن في هذه الليلة (قلت) قالوا أنزل جملة واحدة من السماء السابعة الى السماء الدنيا وأمر السفرة الكرام بانتساخه في ليلة القدر وكان جبريل عليه السلام ينزله على رسول الله صلى الله عليه وسلم نجوما نجوما (فان قلت) (انا كنا منذرين فيها يفرق كل أمر حكيم) ما موقع هاتين الجملتين (قلت) هما جملتان مستأنفتان ملفوفتان فسر بهما جواب القسم الذي هو قوله تعالى انا أنزلناه في ليلة مباركة كأنه قيل أنزلناه لان من شأننا الانذار والتحذير من العقاب وكان انزالنا اياه في هذه الليلة خصوصا لان انزال القرآن من الامور الحكيمة وهذه الليلة مفرق كل أمر حكيم * والمباركة الكثيرة الخير لما يتيح الله فيها من الامور التي يتعلق بها منافع العباد في دينهم ودنياهم ولو لم يوجد فيها الا انزال القرآن وحده لكفى به بركة * ومعنى يفرق يفصل ويكتب كل أمر حكيم من أرزاق العباد وآجالهم وجميع أمورهم منها الى الاخرى القابلة وقيل يبدأ في استنساخ ذلك من اللوح المحفوظ في ليلة البراءة ويقع الفراغ في ليلة القدر فتدفع نسخة الارزاق الى ميكائيل ونسخة الحروب الى جبريل وكذلك الزلازل والصواعق والخسف ونسخة الاعمال الى اسمعيل صاحب سماء الدنيا وهو ملك عظيم ونسخة المصائب الى ملك الموت وعن بعضهم يعطى كل عامل بركات أعماله فيلقي على ألسنة الخلق مدحه وعلى قلوبهم هيبته * وقرئ يفرق بالتشديد ويفرق كل على بنائه للفاعل ونصب كل والفارق الله عز وجل وقرأ زيد بن علي رضي الله عنه نفرق بالنون * كل أمر حكيم كل شأن ذي حكمة أي مفعول على ما تقتضيه الحكمة وهو من الاسناد المجازي لان الحكيم صفة صاحب الامر على الحقيقة ووصف الامر به مجاز (أمرا من عندنا) نصب على الاختصاص جعل كل أمر جزلا فخما بأن وصفه بالحكيم ثم زاده جزالة وكسبه فخامة بأن قال أعني بهذا الامر أمرا حاصلا من عندنا كائنا من لدنا وكما اقتضاه علمنا وتدبيرنا ويجوز أن يراد به الامر الذي هو ضد النهي ثم اما أن يوضع موضع فرقانا الذي هو مصدر يفرق لان معنى الامر والفرقان واحد من حيث انه اذا حكم بالشئ وكتبه فقد أمر به وأوجبه أو يكون حالا من أحد الضميرين في أنزلناه اما من ضمير الفاعل أي أنزلناه آمرين أمرا أو من ضمير المفعول أي أنزلناه في حال كونه أمرا من عندنا بما يجب أن يفعل (فان قلت) (انا كنا مرسلين رحمة من ربك) بم يتعلق (قلت) يجوز أن يكون بدلا من قوله انا كنا منذرين ورحمة من ربك مفعولا له على معنى انا أنزلنا القرآن لان من شأننا ارسال الرسل بالكتب الى عبادنا لاجل الرحمة عليهم وأن يكون تعليلا ليفرق أو لقوله أمرا من عندنا ورحمة مفعولا به وقد وصف الرحمة بالارسال كما وصفها به في قوله تعالى وما يمسك فلا مرسل له من بعده أي يفصل في هذه الليلة كل أمر أو تصدر الاوامر من عندنا لان من عادتنا أن نرسل رحمتنا وفصل كل أمر من قسمة الارزاق وغيرها من باب الرحمة وكذلك الاوامر الصادرة من جهته عز وعلا لان الغرض في تكليف العباد تعريضهم للمنافع والاصل انا كنا مرسلين رحمة منا فوضع الظاهر موضع الضمير ايذانا بأن الربوبية تقتضي الرحمة على المربوبين * وفي قراءة زيد بن علي أمرا من عندنا على هو أمر وهي تنصر انتصابه على الاختصاص * وقرأ الحسن رحمة من ربك على تلك رحمة وهي تنصر انتصابها بأنها مفعول له (انه هو السميع العليم) وما بعده تحقيق لربوبيته وأنها لا تحق الا لمن هذه أوصافه * وقرئ رب السموات ربكم ورب آبائكم بالجر بدلا من ربك (فان قلت) ما معنى الشرط الذي هو قوله (ان كنتم موقنين) (قلت) كانوا يقرون بأن للسموات والارض ربا وخالقا فقيل لهم ان ارسال الرسل وانزال الكتب رحمة من الرب ثم قيل ان هذا الرب هو السميع العليم الذي أنتم مقرون به ومعترفون بأنه رب السموات والارض وما بينهما ان كان اقراركم
٤٥ بايقان كما تقول ان هذا انعام زيد الذي تسامع الناس بكرمه واشتهروا سخاؤه ان بلغك حديثه وحدثت بقصته ثم رد أن يكونوا موقنين بقوله (بل هم في شك يلعبون) وأن اقرارهم غير صادر عن علم وتيقن ولا عن جد وحقيقة بل قول مخلوط بهزؤ ولعب (يوم تأتي السماء) مفعول به مرتقب يقال رقبته وارتقبته

وان عس

ثم ننظر به وانتظر به واختلف في الدخان فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وبه أخذ الحسن أنه دخان
يأتي من السماء قبل يوم القيامة يدخل في أسماع الكفرة حتى يكون رأس الواحد منهم كالرأس الحنيذ
ويعتري المؤمن منه كهيئة الزكام وتكون الارض كلها كبيت أوقد فيه ليس فيه خصاص وعن رسول
الله صلى الله عليه وسلم أول الآيات الدخان ونزول عيسى بن مريم ونار تخرج من قعر عدن ابين تسوق الناس
الى المحشر قال حذيفة يا رسول الله وما الدخان فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم الآية وقال يملأ ما بين المشرق
والمغرب يمكث أربعين يوما وليلة أما المؤمن فيصيبه كهيئة الزكمة وأما الكافر فهو كالسكران يخرج من
منخريه وأذنيه ودبره وعن ابن مسعود رضي الله عنه خمس قد مضت الروم والدخان والقمر والبطشة واللزام
ويروى أنه قيل لابن مسعود ان قاصا عند أبواب كندة يقول انه دخان يأتي يوم القيامة فيأخذ بأنفاس
الخلق فقال من علم علما فليقل به ومن لم يعلم فليقل الله أعلم فان من علم الرجل أن يقول لشيء لا يعلمه الله أعلم
ثم قال ألا وسأحدثكم ان قريشا لما استعصت على رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عليهم فقال اللهم اشدد
وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فأصابهم الجهد حتى أكلوا الجيف والعلهز وكان الرجل
يرى بين السماء والارض الدخان وكان يحدث الرجل فيسمع كلامه ولا يراه من الدخان فمشى اليه أبو سفيان
ونفر معه وناشدوه الله والرحم وواعدوه ان دعا لهم وكشف عنهم أن يؤمنوا فلما كشف عنهم رجعوا الى
شركهم (بدخان مبين) ظاهر حاله لا يشك أحد في أنه دخان (يغشى الناس) يشملهم ويلبسهم وهو في محل
الجر صفة لدخان (هذا عذاب) الى قوله مؤمنون منصوب المحل بفعل مضمر وهو يقولون ويقولون
منصوب على الحال أي قائلين ذلك (انا مؤمنون) موعدة بالايمان ان كشف عنهم العذاب (أنى لهم الذكرى)
كيف يذكرون ويتعظون ويفون بما وعدوه من الايمان عند كشف العذاب (وقد جاءهم) ما هو أعظم
وأدخل في وجوب الادكار من كشف الدخان وهو ما ظهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الآيات
والبينات من الكتاب المعجز وغيره من المعجزات فلم يذكروا وتولوا عنه وبهتوه بأن عداسا غلاما أعجميا
لبعض ثقيف هو الذي علمه ونسبوه الى الجنون ثم قال (انا كاشفوا العذاب قليلا انكم عائدون) أي ريثما
نكشف عنكم العذاب تعودون الى شرككم لا تلبثون غب الكشف على ما أنتم عليه من التضرع والابتهال
(فان قلت) كيف يستقيم على قول من جعل الدخان قبل يوم القيامة قوله انا كاشفوا العذاب قليلا
(قلت) اذا أتت السماء بالدخان تضور المعذبون به من الكفار والمنافقين وغوثوا وقالوا ربنا اكشف عنا
العذاب انا مؤمنون منيبون فيكشفه الله عنهم بعد أربعين يوما فريثما يكشفه عنهم يرتدون لا يتمهلون ثم
قال (يوم نبطش البطشة الكبرى) يريد يوم القيامة كقوله تعالى فاذا جاءت الطامة الكبرى (انا منتقمون)
أي ننتقم منهم في ذلك اليوم (فان قلت) بم انتصب يوم نبطش (قلت) بما دل عليه انا منتقمون وهو ننتقم
ولا يصح أن ينتصب بمنتقمون لان ان تحجب عن ذلك * وقرئ نبطش بضم الطاء وقرأ الحسن نبطش
بضم النون كأنه يحمل الملائكة على أن يبطشوا بهم البطشة الكبرى أو يجعل البطشة الكبرى باطشة
بهم وقيل البطشة الكبرى يوم بدر * وقرئ ولقد فتنا بالتشديد للتأكيد أو لوقوعه على القوم ومعنى الفتنة
أنه أمهلهم ووسع عليهم في الرزق فكان ذلك سببا في ارتكابهم المعاصي واقترافهم الآثام أو ابتلاهم
بارسال موسى اليهم ليؤمنوا فاختاروا الكفر على الايمان أو سلبهم ملكهم وأغرقهم (كريم) على الله وعلى
عباده المؤمنين أو كريم في نفسه لان الله لم يبعث نبيا الا من سراة قومه وكرامهم (أن أدوا الي) هي أن
المفسرة لان مجيء الرسول من بعث اليهم متضمن لمعنى القول لانه لا يجيئهم الا مبشرا ونذيرا وداعيا الى الله
أو المخففة من الثقيلة ومعناه وجاءهم بأن الشأن والحديث أدوا الي (عباد الله) مفعول به وهم بنو اسرائيل
يقول أدوهم الي وأرسلوهم معي كقوله تعالى أرسل معنا بني اسرائيل ولا تعذبهم ويجوز أن يكون
نداء لهم على أدوا الي يا عباد الله ما هو واجب لي عليكم من الايمان لي وقبول دعوتي واتباع سبيلي وعلل
ذلك بأنه (رسول أمين) غير ظنين قد ائتمنه الله على وحيه ورسالته (وأن لا تعلوا) أن هذه مثل

بدخان مبين يغشى الناس
هذا عذاب أليم ربنا
اكشف عنا العذاب
انا مؤمنون أنى لهم
الذكرى وقد جاءهم
رسول مبين ثم تولوا عنه
وقالوا معلم مجنون انا
كاشفوا العذاب قليلا
انكم عائدون يوم نبطش
البطشة الكبرى انا
منتقمون ولقد فتنا
قبلهم قوم فرعون
وجاءهم رسول كريم
أن أدوا الي عباد الله
اني لكم رسول أمين
وأن لا تعلوا

وجهيها أي لا تستكبروا (على الله) بالاستهانة برسوله ووحيه أو لا تستكبروا على نبي الله (بسلطان مبين) بحجة واضحة (أن ترجمون) أن تقتلون * وقرئ عتّ بالادغام ومعناه انه عائذ بربه متكل على أنه يعصمه منهم ومن كيدهم فهو غير مبال بما كانوا يتوعدونه به من الرجم والقتل (فاعتزلون) يريد ان لم تؤمنوا لي فلا موالاة بيني وبين من لا يؤمن فتنحوا عني واقطعوا أسباب الوصلة عني أي فخلوني كفافا لا لي ولا علي ولا تتعرضوا لي بشركم وأذاكم فليس جزاء من دعاكم الى ما فيه فلاحكم ذلك (أن هؤلاء) أن هؤلاء أي دعا ربه بذلك قيل كان دعاؤه اللهم عجل لهم ما يستحقونه باجرامهم وقيل هو قوله ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين وانما ذكر الله تعالى السبب الذي استوجبوا به الهلاك وهو كونهم مجرمين * وقرئ ان هؤلاء بالكسر على اضمار القول أي فدعا ربه فقال ان هؤلاء (فأسر) قرئ بقطع الهمزة من أسرى ووصلها من سرى وفيه وجهان اضمار القول بعد الفاء فقال اسر بعبادي وأن يكون جواب شرط محذوف كأنه قيل قال ان كان الامر كما تقول فأسر (بعبادي) يعني فأسر ببني اسرائيل فقد دبر الله أن تتقدموا ويتبعكم فرعون وجنوده فينجي المتقدمين ويغرق التابعين * الرهو فيه وجهان أحدهما أنه الساكن قال الأعشى

يمشين رهوا فلا الأعجاز خاذلة * ولا الصدور على الأعجاز تتكل

أي مشيا ساكنا على هينة أراد موسى لما جاوز البحر أن يضربه بعصاه فينطبق كما ضربه فانفلق فأمر بأن يتركه ساكنا على هيئته قارا على حاله من انتصاب الماء وكون الطريق يبسا لا يضربه بعصاه ولا يغير منه شيئا ليدخله القبط فاذا حصلوا فيه أطبقه الله عليهم والثاني أن الرهو الفجوة الواسعة وعن بعض العرب أنه رأى جملا فالجا فقال سبحان الله رهو بين سنامين أي اتركه مفتوحا على حاله منفرجا (انهم جند مغرقون) وقرئ بالفتح بمعنى لأنهم * المقام الكريم ما كان لهم من المجالس والمنازل الحسنة وقيل المنابر * والنعمة بالفتح من التنعم وبالكسر من الانعام * وقرئ فاكهين وفكهين (كذلك) الكاف منصوبة على معنى مثل ذلك الاخراج أخرجناهم منها (وأورثناها) أو في موضع الرفع على الامر كذلك (قوما آخرين) ليسوا منهم في شيء من قرابة ولا دين ولا ولاء وهم بنو اسرائيل كانوا متسخرين مستعبدين في أيديهم فأهلكهم الله على أيديهم وأورثهم ملكهم وديارهم * اذا مات رجل خطير قالت العرب في تعظيم مهلكه بكت عليه السماء والأرض وبكته الريح وأظلمت له الشمس * وفي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مؤمن مات في غربة غابت فيها بواكيه الا بكت عليه السماء والأرض وقال جرير * تبكي عليك نجوم الليل والقمرا * وقالت الخارجية

أيا شجر الخابور مالك مورقا * كأنك لم تجزع على ابن طريف

وذلك على سبيل التمثيل والتخييل مبالغة في وجوب الجزع والبكاء عليه وكذلك ما يروى عن ابن عباس رضي الله عنهما من بكاء مصلى المؤمن وآثاره في الأرض ومصاعد عمله ومهابط رزقه في السماء تمثيل ونفي ذلك عنهم في قوله تعالى (فما بكت عليهم السماء والأرض) فيه تهكم بهم وبحالهم المنافية لحال من يعظم فقده فيقال فيه بكت عليه السماء والأرض وعن الحسن فما بكى عليهم الملائكة والمؤمنون بل كانوا بهلاكهم مسرورين يعني فما بكى عليهم أهل السماء وأهل الأرض (وما كانوا منظرين) لما جاء وقت هلاكهم لم ينظروا الى وقت آخر ولم يمهلوا الى الآخرة بل عجل لهم في الدنيا (من فرعون) بدل من العذاب المهين كأنه في نفسه كان عذابا مهينا لافراطه في تعذيبهم واهانتهم ويجوز أن يكون المعنى من العذاب المهين واقعا من جهة فرعون * وقرئ من عذاب المهين ووجهه أن يكون تقدير قوله من فرعون من عذاب فرعون حتى يكون المهين هو فرعون وفي قراءة ابن عباس من فرعون لما وصف عذاب فرعون بالشدة والفظاعة قال من فرعون على معنى هل تعرفونه من هو في عتوه وشيطنته ثم عرف حاله في ذلك بقوله (انه كان عاليا من المسرفين) أي كبيرا رفيع الطبقة من بينهم فائقا لهم بليغا في اسرافه أو عاليا متكبرا كقوله تعالى ان فرعون علا في الأرض * ومن المسرفين خبر ثان كأنه قيل انه كان متكبرا مسرفا * الضمير في (اخترناهم) لبني اسرائيل و(على علم) في موضع الحال أي عالمين بمكان الخيرة وبأنهم أحقاء بأن يختاروا ويجوز أن يكون المعنى مع علم

على الله اني آتيكم بسلطان مبين واني عذت بربي وربكم أن ترجمون وان لم تؤمنوا لي فاعتزلون فدعا ربه أن هؤلاء قوم مجرمون فأسر بعبادي ليلا انكم متبعون واترك البحر رهوا انهم جند مغرقون كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين كذلك وأورثناها قوما آخرين فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين ولقد نجينا بني اسرائيل من العذاب المهين من فرعون انه كان عاليا من المسرفين ولقد اخترناهم على علم

٤٥

(انهم مرتقبون) ما يحل بك متربصون بك الدوائر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة حم الدخان في ليلة أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك وعنه عليه السلام من قرأ حم التي يذكر فيها الدخان في ليلة جمعة أصبح مغفورا له

﴿سورة الجاثية مكية وهي سبع وثلاثون آية وقيل ست﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(حم) ان جعلتها اسما مبتدأ مخبرا عنه بـ(تنزيل الكتاب) لم يكن بد من حذف مضاف تقديره تنزيل حم تنزيل الكتاب و(من الله) صلة للتنزيل وان جعلتها تعديدا للحروف كان تنزيل الكتاب مبتدأ والظرف خبرا (ان في السموات والارض) يجوز أن يكون على ظاهره وأن يكون المعنى ان في خلق السموات لقوله *(وفي خلقكم) (فان قلت) علام عطف (وما يبث) أعلى الخلق المضاف أم على الضمير المضاف اليه (قلت) بل على المضاف لان المضاف اليه ضمير متصل مجرور يقبح العطف عليه استقبحوا أن يقال مررت بك وزيد وهذا أبوك وعمرو وكذلك ان أكدوه كرهوا أن يقولوا مررت بك أنت وزيد * قرئ آيات لقوم يوقنون بالنصب والرفع على قولك ان زيدا في الدار وعمرا في السوق أو وعمرو في السوق وأما قوله آيات لقوم يعقلون فمن العطف على عاملين سواء نصبت أو رفعت فالعاملان اذا نصبت هما ان وفي أقيمت الواو مقامهما فعملت الجر في اختلاف الليل والنهار والنصب في آيات واذا رفعت فالعاملان الابتداء وفي عملت الرفع في آيات والجر في واختلاف وقرأ ابن مسعود وفي اختلاف الليل والنهار (فان قلت) العطف على عاملين على مذهب الاخفش سديد لا مقال فيه وقد أباه سيبويه فما وجه تخريج الآية عنده (قلت) فيه وجهان عنده أحدهما أن يكون على اضمار في والذي حسنه تقدم ذكره في الآيتين قبلها ويعضده قراءة ابن مسعود والثاني أن ينتصب آيات على الاختصاص بعد انقضاء المجرور معطوفا على ما قبله أو على التكرير ورفعها باضمار هي * وقرئ واختلاف الليل والنهار بالرفع وقرئ آية وكذلك وما يبث من دابة آية وقرئ وتصريف الريح والمعنى ان المنصفين من العباد اذا نظروا في السموات والارض النظر الصحيح علموا أنها مصنوعة وأنه لا بد لها من صانع فآمنوا بالله وأقروا فاذا نظروا في خلق أنفسهم وتنقلها من حال الى حال وهيئة الى هيئة وفي خلق ما على ظهر الارض من صنوف الحيوان ازدادوا ايمانا وأيقنوا وانتفى عنهم اللبس فاذا نظروا في سائر الحوادث التي تتجدد في كل وقت كاختلاف الليل والنهار ونزول الامطار وحياة الارض بها بعد موتها (وتصريف الرياح) جنوبا وشمالا وقبولا ودبورا عقلوا واستحكم علمهم وخلص يقينهم وسمي المطر رزقا لانه سبب الرزق (تلك) اشارة الى الآيات المتقدمة أي تلك الآيات آيات الله و(نتلوها) في محل الحال أي متلوة (عليك بالحق) والعامل ما دل عليه تلك من معنى الاشارة ونحوه هذا بعلي شيخا وقرئ يتلوها بالياء (بعد الله وآياته) أي بعد آيات الله كقولهم أعجبني زيد وكرمه يريدون أعجبني كرم زيد ويجوز أن يراد بعد حديث الله وهو كتابه وقرآنه كقوله تعالى الله نزل أحسن الحديث * وقرئ (يؤمنون) بالتاء والياء * الافاك الكذاب * والاثيم المتبالغ في اقتراف الآثام (يصر) يقبل على كفره ويقيم عليه وأصله من اصرار الحمار على العانة وهو أن ينحي عليها صارا أذنيه (مستكبرا) عن الايمان بالآيات والاذعان لما تنطق به من الحق مزدريا لها معجبا بما عنده قيل نزلت في النضر بن الحرث وما كان يشتري من أحاديث الاعاجم ويشغل الناس بها عن استماع القرآن والآية عامة في كل ما كان مضارا لدين الله (فان قلت) ما معنى ثم في قوله ثم يصر مستكبرا (قلت) كمعناه في قول القائل * يرى غمرات الموت ثم يزورها * وذلك أن غمرات الموت حقيقة بأن ينجو رائيها بنفسه ويطلب الفرار عنها وأما زيارتها والاقدام على مزاولتها فأمر مستبعد فمعنى ثم الايذان بأن فعل المقدم عليها بعد ما رآها وعاينها شيء يستبعد في العادات والطباع وكذلك آيات الله الناطقة بالحق من تليت عليه وسمعها كان مستبعدا في العقول اصراره على الضلالة

أنهم مرتقبون

﴿سورة الجاثية مكية وهي سبع وثلاثون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ان في السموات والارض لآيات للمؤمنين وفي خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيى به الارض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون ويل لكل أفاك أثيم يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كأن لم يسمعها فبشره بعذاب أليم

والارض من يعلم الغيب فاذا انقسم السامع من ثبوت الاول تسددت النفرة الى ثبوت الثاني فنزمت بالنفي والله أعلم

واستكباره عن الإيمان بها (كأن) مخففة والأصل كأنه لم يسمعها والضمير ضمير الشأن كما في قوله
كأن ظبية تعطو إلى ناضر السلم * ومحل الجملة النصب على الحال أي يصر مثل غير السامع (وإذا) بلغه شيء من
آياتنا وعلم أنه منها (اتخذها) أي اتخذ الآيات (هزوا) ولم يقل اتخذه للإشعار بأنه إذا أحس بشيء من الكلام
أنه من جملة الآيات التي أنزلها الله تعالى على محمد صلى الله عليه وسلم خاض في الاستهزاء بجميع الآيات ولم
يقتصر على الاستهزاء بما بلغه ويحتمل وإذا علم من آياتنا شيئا يمكن أن يتشبث به المعاند ويجعله محملا يتسلق به
على الطعن والغميزة افترصه واتخذ آيات الله هزوا وذلك نحو افتراص ابن الزبعرى قوله عز وجل إنكم وما
تعبدون من دون الله حصب جهنم ومغالطته رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله خصمتك ويجوز أن يرجع
الضمير إلى شيء لأنه في معنى الآية كقول أبي العتاهية

نفسي بشيء من الدنيا معلقة * الله والقائم المهدي يكفيها

حيث أراد عتبة * وقرئ علم (أولئك) إشارة إلى كل أفاك أثيم لشموله الأفاكين * والوراء اسم للجهة التي
يواريها الشخص من خلف أو قدام قال

أليس ورائي إن تراخت منيتي * أدب مع الولدان أزحف كالنسر

ومنه قوله عز وجل (من ورائهم) أي من قدامهم (ما كسبوا) من الأموال في رحلهم ومتاجرهم
(ولا ما اتخذوا من دون الله) من الأوثان (هذا) إشارة إلى القرآن يدل عليه قوله تعالى والذين كفروا بآيات
ربهم لأن آيات ربهم هي القرآن أي هذا القرآن كامل في الهداية كما تقول زيد رجل تريد كامل في الرجولية
وأيما رجل * والرجز أشد العذاب * وقرئ بجر أليم ورفعه (ولتبتغوا من فضله) بالتجارة أو بالغوص على
اللؤلؤ والمرجان واستخراج اللحم الطري وغير ذلك من منافع البحر (فإن قلت) ما معنى منه في قوله (جميعا
منه) وما موقعها من الإعراب (قلت) هي واقعة موقع الحال والمعنى أنه سخر هذه الأشياء كائنة منه وحاصلة
من عنده يعني أنه مكونها وموجدها بقدرته وحكمته ثم مسخرها لخلقه ويجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف
تقديره هي جميعا منه وأن يكون وسخر لكم تأكيدا لقوله تعالى سخر لكم ثم ابتدئ قوله ما في السموات وما
في الأرض جميعا منه وأن يكون ما في الأرض مبتدأ ومنه خبره وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما منة وقرأ
سلمة بن محارب منه على أن يكون منه فاعل سخر على الإسناد المجازي أو على أنه خبر مبتدأ محذوف أي ذلك أو
هو منه * حذف المقول لأن الجواب دال عليه والمعنى قل لهم اغفروا يغفروا (لا يرجون أيام الله) لا يتوقعون
وقائع الله بأعدائه من قولهم لوقائع العرب أيام العرب وقيل لا يأملون الأوقات التي وقتها الله لثواب
المؤمنين ووعدهم الفوز فيها قيل نزلت قبل آية القتال ثم نسخ حكمها وقيل نزلت في عمر رضي الله عنه
وقد شتمه رجل من غفار فهم أن يبطش به وعن سعيد بن المسيب كنا بين يدي عمر بن الخطاب رضي الله عنه
فقرأ قارئ هذه الآية فقال عمر ليجزي عمر بما صنع (ليجزي) تعليل للأمر بالمغفرة أي إنما أمروا بأن يغفروا
لما أراده الله من توفيتهم جزاء مغفرتهم يوم القيامة * (فإن قلت) قوله (قوما) ما وجه تنكيره وإنما أراد
الذين آمنوا وهم معارف (قلت) هو مدح لهم وثناء عليهم كأنه قيل ليجزي أيما قوم وقوما مخصوصين
لصبرهم وإغضائهم على أذى أعدائهم من الكفار وعلى ما كانوا يجرعونهم من الغصص (بما كانوا يكسبون)
من الثواب العظيم بكظم الغيظ واحتمال المكروه ومعنى قول عمر ليجزي عمر بما صنع ليجزي بصبره واحتماله
وقوله لرسول الله صلى الله عليه وسلم عند نزول الآية والذي بعثك بالحق لا ترى الغضب في وجهي وقرئ
ليجزى قوما أي الله عز وجل وليجزى قوم وليجزى قوما على معنى وليجزى الجزاء قوما (الكتاب) التوراة
(والحكم) الحكمة والفقه أو فصل الخصومات بين الناس لأن الملك كان فيهم والنبوة (من الطيبات) مما
أحل الله لهم وأطاب من الأرزاق (وفضلناهم على العالمين) حيث لم نؤت غيرهم مثل ما آتيناهم
(بينات) آيات ومعجزات (من الأمر) من أمر الدين * فما وقع بينهم الخلاف في الدين (إلا من بعد ما جاءهم)
ما هو موجب لزوال الخلاف وهو العلم * وإنما اختلفوا للبغي حدث بينهم أي للعداوة وحسد (على شريعة) على

وإذا علم من آياتنا شيئاً اتخذها هزواً أولئك
لهم عذاب مهين من
ورائهم جهنم ولا يغني
عنهم ما كسبوا شيئاً
ولا ما اتخذوا من دون
الله أولياء ولهم عذاب
عظيم هذا هدى والذين
كفروا بآيات ربهم لهم
عذاب من رجز أليم
الله الذي سخر لكم
البحر لتجري الفلك فيه
بأمره ولتبتغوا من فضله
ولعلكم تشكرون
وسخر لكم ما في السموات
وما في الأرض جميعا
منه إن في ذلك لآيات
لقوم يتفكرون قل
للذين آمنوا يغفروا للذين
لا يرجون أيام الله
ليجزي قوما بما كانوا
يكسبون من عمل
صالحا فلنفسه ومن
أساء فعليها ثم إلى ربكم
ترجعون ولقد آتينا بني
إسرائيل الكتاب والحكم
والنبوة ورزقناهم من
الطيبات وفضلناهم
على العالمين وآتيناهم
بينات

طريقة ومنهاج (من الامر) من أمر الدين فاتبع شريعتك الثابتة بالدلائل والحجج ولا تتبع ما لا حجة عليه من أهواء الجهال ودينهم المبنى على هوى وبدعة وهم رؤساء قريش حين قالوا ارجع الى دين آبائك * ولا توالهم انما يوالى الظالمين من هو ظالم مثلهم * وأما المتقون فوليهم الله وهم موالوه وما أبين الفصل بين الولايتين (هذا) القرآن (بصائر للناس) جعل ما فيه من معالم الدين والشرائع بمنزلة البصائر فى القلوب كما جعل روحا وحياة وهو هدى من الضلالة ورحمة من العذاب لمن آمن وأيقن وقرئ هذه بصائر أى هذه الآيات (أم) منقطعة ومعنى الهمزة فيها انكار الحسبان * والاجتراح الاكتساب ومنه الجوارح وفلان جارحة أهله أى كاسبهم (أن نجعلهم) أن نصيرهم وهو من جعل المتعدى الى مفعولين فأولهما الضمير والثانى الكاف والجملة التى هى (سواء محياهم ومماتهم) بدل من الكاف لان الجملة تقع مفعولا ثانيا فكانت فى حكم المفرد ألا ترى انك لو قلت أن نجعلهم سواء محياهم ومماتهم كان سديدا كما تقول ظننت زيدا أبوه منطلق ومن قرأ سواء بالنصب أجرى سواء مجرى مستويا وارتفع محياهم ومماتهم على الفاعلية وكان مفردا غير جملة ومن قرأ ومماتهم بالنصب جعل محياهم ومماتهم ظرفين كمقدم الحاج وخفوق النجم أى سواء فى محياهم وفى مماتهم والمعنى انكار أن يستوى المسيئون والمحسنون محيا وأن يستووا مماتا لافتراق أحوالهم أحياء حيث عاش هؤلاء على القيام بالطاعات وأولئك على ركوب المعاصى ومماتا حيث مات هؤلاء على البشرى بالرحمة والوصول الى ثواب الله ورضوانه وأولئك على اليأس من رحمة الله والوصول الى هول ما أعد لهم وقيل معناه انكار أن يستووا فى الممات كما استووا فى الحياة لان المسيئين والمحسنين مستو محياهم فى الرزق والصحة وانما يفترقون فى الممات وقيل سواء محياهم ومماتهم كلام مستأنف على معنى أن محيا المسيئين ومماتهم سواء وكذلك محيا المحسنين ومماتهم كل يموت على حسب ما عاش عليه وعن تميم الدارى رضى الله عنه أنه كان يصلى ذات ليلة عند المقام فبلغ هذه الآية فجعل يبكى ويردد الى الصباح ساء ما يحكمون وعن الفضيل أنه بلغها فجعل يرددها ويبكى ويقول يا فضيل ليت شعرى من أى الفريقين أنت (ولتجزى) معطوف على بالحق لان فيه معنى التعليل أو على معلل محذوف تقديره خلق الله السموات والارض ليدل بها على قدرته ولتجزى كل نفس * أى هو مطواع لهوى النفس يتبع ما تدعوه اليه فكأنه يعبده كما يعبد الرجل الهه وقرئ آلهة هواه لانه كان يستحسن الحجر فيعبده فاذا رأى ما هو أحسن رفضه اليه فكأنه اتخذ هواه آلهة شتى يعبد كل وقت واحدا منها (وأضله الله على علم) وتركه عن الهداية واللطف وخذله على علم عالما بأن ذلك لا يجدى عليه وأنه ممن لا لطف له أو مع علمه بوجوه الهداية واحاطته بأنواع الالطاف المحصلة والمقربة (فمن يهديه من بعد) اضلال (الله) * وقرئ غشاوة بالحركات الثلاث وغشوة بالكسر والفتح * وقرئ تتذكرون (نموت ونحيى) نموت نحن ونحيا أولادنا أو يموت بعض ويحيا بعض أو نكون مواتا نطفا فى الاصلاب ونحيا بعد ذلك أو يصيبنا الامران الموت والحياة يريدون الحياة فى الدنيا والموت بعدها وليس وراء ذلك حياة وقرئ نحيا بضم النون وقرئ الا دهر يمر * وما يقولون ذلك عن علم ولكن عن ظن وتخمين كانوا يزعمون أن مرور الايام والليالى هو المؤثر فى هلاك الانفس وينكرون ملك الموت وقبضه الارواح بأمر الله وكانوا يضيفون كل حادثة تحدث الى الدهر والزمان وترى أشعارهم ناطقة بشكوى الزمان ومنه قوله عليه السلام لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر أى فان الله هو الآتى بالحوادث لا الدهر * وقرئ حجتهم بالنصب والرفع على تقديم خبر كان وتأخيره (فان قلت) لم سمى قولهم حجة وليس بحجة (قلت) لانهم أدلوا به كما يدلى المحتج بحجته وساقوه مساقها فسميت حجة على سبيل التهكم أو لانه فى حسبانهم وتقديرهم حجة أو لانه فى أسلوب قولهم تحية بينهم ضرب وجيع كأنه قيل ما كان حجتهم الا ما ليس بحجة والمراد نفى أن تكون لهم حجة ألبتة * (فان قلت) كيف وقع قوله (قل الله يحييكم) جوابا لقولهم ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين (قلت) لما أنكروا البعث وكذبوا الرسل وحسبوا ان ... قول مبكت ألزموا ما هم مقرون به من أن الله عز وجل هو الذى يحييهم ثم يميتهم وضم الى الزام ... ما هو واجب الاقرار به ان أنصفوا وأصغوا الى داعى الحق وهو جمعهم الى يوم القيامة ومن كان ...

من الامر فاختلفوا الامن بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ان ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون انهم لن يغنوا عنك من الله شيأ وان الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولى المتقين هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون وخلق الله السموات والارض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون أفرأيت من اتخذ الهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون وقالوا ما هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون واذا تتلى عليهم آياتنا بينات ما كان حجتهم الا أن قالوا ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم الى يوم القيامة لا ريب

فيه

ولكن أكثر الناس لا يعلمون ولله ملك السموات والارض ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى الى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون فأما الذين آمنوا وعملوا

الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته ذلك هو الفوز المبين وأما الذين كفروا أفلم تكن آياتي تتلى عليكم فاستكبرتم وكنتم قوما مجرمين واذا قيل ان وعد الله حق والساعة لا ريب فيها قلتم ما ندري ما الساعة ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين وبدا لهم سيئات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين ذلكم بأنكم اتخذتم آيات الله هزوا وغرتكم الحياة الدنيا فاليوم لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون فلله الحمد رب السموات ورب الارض رب العالمين وله الكبرياء في السموات والارض وهو العزيز الحكيم

﴿سورة الاحقاف مكية وهي أربع وثلاثون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ما خلقنا السموات والارض وما بينهما

ماهو ... وأجل مسمى والذين كفروا عما أنذروا معرضون قل أرأيتم ما تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الارض أم لهم شرك في السموات ائتوني بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم ان كنتم صادقين

ذلك كان قادرا على الاتيان بآبائهم وكان أهون شيء عليه * عامل النصب في (يوم تقوم) يخسر و (يومئذ) بدل من يوم تقوم (جاثية) باركة مستوفزة على الركب وقرئ جاذية والجذو أشد استيفازا من الجثو لان الجاذي هو الذي يجلس على أطراف أصابعه وعن ابن عباس رضي الله عنهما جاثية مجتمعة وعن قتادة جماعات من الجثوة وهي الجماعة وجمعها جثى وفي الحديث من جثى جهنم * وقرئ (كل أمة) على الابتداء وكل أمة على الابدال من كل أمة (الى كتابها) الى صحائف أعمالها فاكتفى باسم الجنس كقوله تعالى ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه (اليوم تجزون) محمول على القول (فان قلت) كيف أضيف الكتاب اليهم والى الله عز وجل (قلت) الاضافة تكون للملابسة وقد لابسهم ولابسه أما ملابسته اياهم فلان أعمالهم مثبتة فيه وأما ملابسته اياه فلانه مالكه والآمر ملائكته أن يكتبوا فيه أعمال عباده (ينطق عليكم) يشهد عليكم بما عملتم (بالحق) من غير زيادة ولا نقصان (انا كنا نستنسخ) الملائكة (ما كنتم تعملون) أي نستكتبهم أعمالكم (في رحمته) في جنته وجواب أما محذوف تقديره وأما الذين كفروا فيقال لهم (أفلم تكن آياتي تتلى عليكم) والمعنى ألم يأتكم رسلي فلم تكن آياتي تتلى عليكم فحذف المعطوف عليه * وقرئ والساعة بالنصب عطفا على الوعد وبالرفع عطفا على محل ان واسمها (ما الساعة) أي شيء الساعة (فان قلت) ما معنى ان نظن الا ظنا (قلت) أصله نظن ظنا ومعناه اثبات الظن فحسب فأدخل حرفا النفي والاستثناء ليفاد اثبات الظن مع نفي ما سواه وزيد نفي ما سوى الظن توكيدا بقوله (وما نحن بمستيقنين * سيئات ما عملوا) أي قبائح أعمالهم أو عقوبات أعمالهم السيئات كقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها (ننساكم) نترككم في العذاب كما تركتم عدة (لقاء يومكم هذا) وهي الطاعة أو نجعلكم بمنزلة الشيء المنسي غير المبالى به كما لم تبالوا أنتم بلقاء يومكم ولم تخطروه ببال كالشيء الذي يطرح نسيا منسيا (فان قلت) ما معنى اضافة اللقاء الى اليوم (قلت) كمعنى اضافة المكر في قوله تعالى بل مكر الليل والنهار أي نسيتم لقاء الله في يومكم هذا ولقاء جزائه * وقرئ لا يخرجون بفتح الياء (ولا هم يستعتبون) لا يطلب منهم أن يعتبوا ربهم أي يرضوه (فلله الحمد) فاحمدوا الله الذي هو ربكم ورب كل شيء من السموات والارض والعالمين فان مثل هذه الربوبية العامة يوجب الحمد والثناء على كل مربوب * وكبروه فقد ظهرت آثار كبريائه وعظمته (في السموات والارض) وحق مثله أن يكبر ويعظم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ حم الجاثية ستر الله عورته وسكن روعته يوم الحساب

﴿سورة الاحقاف مكية وهي أربع وثلاثون آية وقيل خمس﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(الا بالحق) الا خلقا ملتبسا بالحكمة والغرض الصحيح (و) بتقدير (أجل مسمى) ينتهي اليه وهو يوم القيامة (والذين كفروا عما أنذروا) من هول ذلك اليوم الذي لا بد لكل خلق من انتهائه اليه (معرضون) لا يؤمنون به ولا يهتمون بالاستعداد له ويجوز أن تكون ما مصدرية أي عن انذارهم ذلك اليوم (بكتاب من قبل هذا) أي من قبل هذا الكتاب وهو القرآن يعني أن هذا الكتاب ناطق بالتوحيد وابطال الشرك وما من كتاب أنزل من قبله من كتب الله الا وهو ناطق بمثل ذلك فأتوا بكتاب واحد منزل من قبله شاهد بصحة ما أنتم عليه من عبادة غير الله (أو أثارة من علم) أو بقية من علم بقيت عليكم من علوم الاولين من قولهم سمنت الناقة على أثارة من شحم أي على بقية شحم كانت بها من شحم ذاهب وقرئ أثرة أي من شيء أوثرتم به وخصصتم من علم لا احاطة به لغيركم وقرئ أثرة بالحركات الثلاث في الهمزة مع سكون الثاء فالاثرة بالكسر بمعنى الاثرة والمرة من مصدر أثر الحديث اذا رواه وأما الاثرة بالضم فاسم ما يؤثر كالخطبة اسم ما يخطب

(والـ ... أحل الله ... (بينات)

(القول في سورة الاحقاف) *(بسم الله الرحمن الرحيم)* قوله تعالى ومن أضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون واذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين (قال فيه استفهام معناه انكار أن يكون في الضلال كلهم أبلغ ضلالا من عبدة الاصنام الخ) قال أحمد وفي قوله الى يوم القيامة نكتة حسنة وذلك انه جعل يوم القيامة غاية لعدم الاستجابة ومن شأن الغاية انتهاء المغيا عندها لكن عدم الاستجابة مستمر بعد هذه الغاية لانهم في القيامة أيضا لا يستجيبون لهم فالوجه والله أعلم انها من الغايات المشعرة بأن ما بعدها وان وافق ما قبلها الا أنه أزيد منه زيادة بينة تلحقه بالثاني حتى كأن الحالتين وان (٣٦٨) كانتا نوعا واحدا لتفاوت ما بينهما كالشيء وضده وذلك ان الحالة الاولى التي جعلت غايتها القيامة لا تزيد على عدم الاستجابة والحالة الثانية التي في القيامة زادت على عدم الاستجابة بالعداوة بالكفر بعبادتهم اياهم فهو من وادي ما تقدم آنفا في سورة الزخرف

ومن أضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون واذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين أم يقولون افتراه قل ان افتريته فلا تملكون لي من الله شيأ هو أعلم بما تفيضون فيه كفى به شهيدا بيني وبينكم وهو الغفور الرحيم

به (ومن أضل) معنى الاستفهام فيه انكار أن يكون في الضلال كلهم أبلغ ضلالا من عبدة الاصنام حيث يتركون دعاء السميع المجيب القادر على تحصيل كل بغية ومرام ويدعون من دونه جمادا لا يستجيب لهم ولا قدرة به على استجابة أحد منهم ما دامت الدنيا والى أن تقوم القيامة * واذا قامت القيامة وحشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا عليهم ضدا فليسوا في الدارين الا على نكد ومضرة لا تتولاهم في الدنيا بالاستجابة وفي الآخرة تعاديهم وتجحد عبادتهم وانما قيل من وهم لانه أسند اليهم ما يسند الى أولي العلم من الاستجابة والغفلة ولانهم كانوا يصفونهم بالتمييز جهلا وغباوة ويجوز أن يريد كل معبود من دون الله من الجن والانس والاوثان فغلب غير الاوثان عليها * قرئ ما لا يستجيب وقرئ يدعو غير الله من لا يستجيب ووصفهم بترك الاستجابة والغفلة طريقه طريق التهكم بها وبعبدتها ونحوه قوله تعالى ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم (بينات) جمع بينة وهي الحجة والشاهد أو واضحات مبينات * واللام في (للحق) مثلها في قوله وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا أي لاجل الحق ولاجل الذين آمنوا والمراد بالحق الآيات وبالذين كفروا المتلو عليهم فوضع الظاهران موضع الضميرين للتسجيل عليهم بالكفر وللمتلو بالحق (لما جاءهم) أي بادهوه بالجحود ساعة أتاهم وأول ما سمعوه من غير اجالة فكر ولا اعادة نظر * ومن عنادهم وظلمهم أنهم سموه سحرا مبينا ظاهرا أمره في البطلان لا شبهة فيه (أم يقولون افتراه) اضراب عن ذكر تسميتهم الآيات سحرا الى ذكر قولهم ان محمدا افتراه ومعنى الهمزة في أم الانكار والتعجيب كأنه قيل دع هذا واسمع قولهم المستنكر المقضي منه العجب وذلك أن محمدا كان لا يقدر عليه حتى يقوله ويفتريه على الله ولو قدر عليه دون أمة العرب لكانت قدرته عليه معجزة لخرقها العادة واذا كانت معجزة كانت تصديقا من الله والحكيم لا يصدق الكاذب فلا يكون مفتريا والضمير للحق والمراد به الآيات (قل ان افتريته) على سبيل الفرض عاجلني الله تعالى لا محالة بعقوبة الافتراء عليه فلا تقدرون على كفه عن معاجلتي ولا تطيقون دفع شئ من عقابه عني فكيف أفتريه وأتعرض لعقابه يقال فلان لا يملك اذا غضب ولا يملك عنانه اذا صمم ومثله فمن يملك من الله شيأ ان أراد أن يهلك المسيح ابن مريم ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيأ ومنه قوله عليه السلام لا أملك لكم من الله شيأ ثم قال (هو أعلم بما تفيضون فيه) أي تندفعون فيه من القدح في وحي الله تعالى والطعن في آياته وتسميته سحرا تارة وفرية أخرى (كفى به شهيدا بيني وبينكم) يشهد لي بالصدق والبلاغ ويشهد عليكم بالكذب والجحود ومعنى ذكر العلم والشهادة وعيد بجزاء افاضتهم (وهو الغفور الرحيم) موعدة بالغفران والرحمة ان رجعوا عن الكفر وتابوا وآمنوا واشعار بحلم الله عنهم مع عظم ما ارتكبوا (فان قلت) فما معنى اسناد الفعل اليهم في قوله تعالى فلا تملكون لي (قلت) كان

في قوله بل متعت هؤلاء وآباءهم حتى جاءهم الحق ورسول مبين ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وانا به كافرون * قوله تعالى واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين أم يقولون افتراه الآية (قال فيه اللام في قوله تعالى للحق نحو اللام في قوله وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه أي لاجل الحق ولاجل الذين آمنوا الخ) قال أحمد هذا الاضراب في بابه مثل الغاية التي قدمتها آنفا في بابها فانه انتقال الى موافق لكنه أزيد من الاول فتنزل لزيادته عليه مع ما تقدمه مما ينقص عنه منزلة المتنافيين كالنفي والاثبات اللذين يضرب عن أحدهما للآخر وذلك ان نسبتهم الآيات الى أنها مفتريات أشد وأبعد من نسبتها الى أنها سحر فاضرب عن ذلك الاول الى ذكر ما هو أغرب منه فيما * قوله تعالى قل ان افتريته فلا تملكون لي من الله شيأ (قال فان قلت ما معنى اسناد الفعل اليهم الخ) قال أحمد فيه نظر من قبل ان الكلام جرى فرضا وتقديرا ومتى فرض الافتراء لا يتصور على تقديره

نصح فان النصح عبارة عن الدعاء الى مافيه نفع ولا ينفع المكلف فى عمل ظاهراً وباطناً الا أن يكون مأموراً به من الله تعالى ولا سبيل الى الاطلاع على ذلك الا من الوحى الحق لا غير فاذا لا يتصور نصح مع الافتراء وانما تم هذا الذى قرره على قاعدة المعتزلة القائلين بان العقل طريق يوصل الى معرفة حكم الله تعالى لانه اذا أمر بطاعة من الطاعات كالتوحيد مثلا وقال ان الله حتم عليكم وجوب التوحيد وأنا رسول الله اليكم ولم يكن مفترياً فانه محق فى الامر بالتوحيد لان العقل دل على وجوبه عندهم وان كان ٣٦٩ مفترياً فى دعوى كونه رسولاً من الله عز وجل وهذه قاعدة قد أفسدتها الادلة القاطعة فيتحصل فى آخر الآية على مذهب أهل السنة أن يكون اسناد الفعل لهم على معنى التنبيه بالشئ على مقابله بطريق المفهوم فالمعنى اذاً ان كنت مفترياً فالله يعاقبه

قل ما كنت بدعاً من الرسل وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم ان أتبع الا ما يوحى الى وما أنا الا نذير مبين قل أرأيتم ان كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم ان الله لا يهدى القوم الظالمين وقال الذين كفروا

فيما أتاهم به النصيحة لهم والاشفاق عليهم من سوء العاقبة وارادة الخير بهم فكأنه قال لهم ان افتريته وأنا أريد بذلك التنصح لكم وصدكم عن عبادة الآلهة الى عبادة الله فما تغنون عنى أيها المنصوحون ان أخذنى الله بعقوبة الافتراء عليه * البدع بمعنى البديع كالخف بمعنى الخفيف وقرئ بدعا بفتح الدال أى ذا بدع ويجوز أن يكون صفة على فعل كقولهم دين قيم ولحم زيم كانوا يقترحون عليه الآيات ويسألونه عما لم يوح به اليه من الغيوب فقيل له (قل ما كنت بدعاً من الرسل) فآتيكم بكل ما تقترحونه وأخبركم بكل ما تسألون عنه من المغيبات فان الرسل لم يكونوا يأتون الا بما آتاهم الله من آياته ولا يخبرون الا بما أوحى اليهم ولقد أجاب موسى صلوات الله عليه عن قول فرعون فما بال القرون الاولى بقوله علمها عند ربى (وما أدرى) لانه لا علم لى بالغيب ما يفعل الله بى وبكم فيما يستقبل من الزمان من أفعاله ويقدر لى ولكم من قضاياه (ان أتبع الا ما يوحى الى) وعن الحسن وما أدرى ما يصير اليه أمرى وأمركم فى الدنيا ومن الغالب منا والمغلوب وعن الكلبى قال له أصحابه وقد ضجروا من أذى المشركين حتى متى نكون على هذا فقال ما أدرى ما يفعل بى ولا بكم أأترك بمكة أم أومر بالخروج الى أرض قد رفعت لى ورأيتها يعنى فى منامه ذات نخيل وشجر وعن ابن عباس ما يفعل بى ولا بكم فى الآخرة وقال هى منسوخة بقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويجوز أن يكون نفياً للدراية المفصلة وقرئ ما يفعل بفتح الياء أى يفعل الله عز وجل (فان قلت) ان يفعل مثبت غير منفى فكان وجه الكلام ما يفعل بى وبكم (قلت) أجل ولكن النفى فى ما أدرى لما كان مشتملاً عليه لتناوله ما وما فى حيزه صح ذلك وحسن ألا ترى الى قوله أولم يروا أن الله الذى خلق السموات والارض ولم يعى بخلقهن بقادر كيف دخلت الباء فى حيز أن وذلك لتناول النفى اياها مع ما فى حيزها * وما فى ما يفعل يجوز أن تكون موصولة منصوبة وأن تكون استفهامية مرفوعة * وقرئ يوحى أى الله عز وجل * جواب الشرط محذوف تقديره ان كان القرآن من عند الله وكفرتم به ألستم ظالمين ويدل على هذا المحذوف قوله تعالى ان الله لا يهدى القوم الظالمين * والشاهد من بنى اسرائيل عبد الله بن سلام لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة نظر الى وجهه فعلم أنه ليس بوجه كذاب وتأمله فتحقق أنه هو النبى المنتظر وقال له انى سائلك عن ثلاث لا يعلمهن الا نبى ما أول أشراط الساعة وما أول طعام يأكله أهل الجنة وما بال الولد ينزع الى أبيه أو الى أمه فقال عليه الصلاة والسلام أما أول أشراط الساعة فنار تحشرهم من المشرق الى المغرب وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد حوت وأما الولد فاذا سبق ماء الرجل نزعه وان سبق ماء المرأة نزعته فقال أشهد أنك رسول الله حقاً ثم قال يا رسول الله ان اليهود قوم بهت وان علموا باسلامى قبل أن تسألهم عنى بهتونى عندك فجاءت اليهود فقال لهم النبى صلى الله عليه وسلم أى رجل عبد الله فيكم فقالوا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا وأعلمنا وابن أعلمنا قال أرأيتم ان أسلم عبد الله قالوا أعاذه الله من ذلك فخرج اليهم عبد الله فقال أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمداً رسول الله فقالوا شرنا وابن شرنا وانتقصوه فقال هذا ما كنت أخاف يا رسول الله وأحذر قال سعد بن أبى وقاص ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لاحد يمشى على وجه الارض انه من أهل الجنة الا لعبد الله بن سلام وفيه نزل (وشهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله) الضمير للقرآن أى على مثله فى المعنى وهو ما فى التوراة من المعانى المطابقة لمعانى القرآن من التوحيد والوعد والوعيد وغير ذلك ويدل عليه قوله

للذين آمنوا لو كان خيراً ما سبقونا اليه واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم

بكم لا أقدر على دفعها عنكم ويشهد لهذا المعنى قوله تعالى قل ان افتريته فعلى اجرامى وأنا برئ مما تجرمون وأمثاله كثيرة والله أعلم * قوله تعالى وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم (قال أحمد وما ذكر فيه حمله على الدراية المفصلة

 يريد بذلك أن تفصيل ما يصير اليه من خير ويصيرون اليه من شر الى آخره) قال أحمد بنى على أن المجرور معطوف على مثله وانهما جميعاً فى صلة موصول واحد ولو قيل ان المجرور الثانى من صلة موصول محذوف معطوف على مثله حتى يكون التقدير وما أدرى ما يفعل بى ولا ما يفعل بكم لكانت لا واقعة مكانة غير مفتقرة الى تأويل وحذف الموصول المعطوف وتفاصيله كثيرة ومنه فمن يهجو رسول الله منكم * ويمدحه وينصره سواء يريد حسان رضى الله عنه أتهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن يمدحه سواء

تعالى وانه لفي زبر الاولين ان هذا لفي الصحف الاولى كذلك يوحي اليك والى الذين من قبلك ويجوز أن يكون المعنى ان كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد على نحو ذلك يعني كونه من عند الله (فان قلت) أخبرني عن نظم هذا الكلام لاقف على معناه من جهة النظم (قلت) الواو الاولى عاطفة لكفرتم على فعل الشرط كما عطفته ثم في قوله تعالى قل أرأيتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به وكذلك الواو الآخرة عاطفة لاستكبرتم على شهد شاهد وأما الواو في وشهد شاهد فقد عطفت جملة قوله شهد شاهد من بني اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم على جملة قوله كان من عند الله وكفرتم به ونظيره قولك ان أحسنت اليك وأسأت وأقبلت عليك وأعرضت عني لم تتفق في أنك أخذت ضربتين فعطفتهما على مثليهما والمعنى قل أخبروني ان اجتمع كون القرآن من عند الله مع كفركم به واجتمع شهادة أعلم بني اسرائيل على نزول مثله وايمانه به مع استكباركم عنه وعن الايمان به ألستم أضل الناس وأظلمهم وقد جعل الايمان في قوله فآمن مسببا عن الشهادة على مثله لانه لما علم أن مثله أنزل على موسى صلوات الله عليه وأنه من جنس الوحي وليس من كلام البشر وأنصف من نفسه فشهد عليه واعترف كان الايمان نتيجة ذلك (للذين آمنوا) لاجلهم وهو كلام كفار مكة قالوا عامة من يتبع محمدا السقاط يعنون الفقراء مثل عمار وصهيب وابن مسعود فلو كان ما جاء به خيرا ما سبقنا اليه هؤلاء وقيل لما أسلمت جهينة ومزينة وأسلم وغفار قالت بنو عامر وغطفان وأسد وأشجع لو كان خيرا ما سبقنا اليه رعاء البهم وقيل ان أمة لعمر أسلمت فكان عمر يضربها حتى يفتر ثم يقول لولا أني فترت لزدتك ضربا وكان كفار قريش يقولون لو كان ما يدعو اليه محمد حقا ما سبقتنا اليه فلانة وقيل كان اليهود يقولونه عند اسلام عبد الله بن سلام وأصحابه (فان قلت) لا بد من عامل في الظرف في قوله (اذ لم يهتدوا به) ومن متعلق لقوله (فسيقولون) وغير مستقيم أن يكون فسيقولون هو العامل في الظرف لتدافع دلالتي المضي والاستقبال فما وجه هذا الكلام (قلت) العامل في اذ محذوف لدلالة الكلام عليه كما حذف من قوله فلما ذهبوا به وقوله حينئذ الآن وتقديره واذ لم يهتدوا به ظهر عنادهم فسيقولون هذا افك قديم فهذا المضمر صح به الكلام حيث انتصب به الظرف وكان قوله فسيقولون مسببا عنه كما صح باضمار أن قوله حتى يقول الرسول لمصادفة حتى مجرورها والمضارع ناصبه وقولهم (افك قديم) كقولهم أساطير الاولين (كتاب موسى) مبتدأ ومن قبله ظرف واقع خبرا مقدما عليه وهو ناصب (اماما) على الحال كقولك في الدار زيد قائما وقرئ ومن قبله كتاب موسى على وآتينا الذي قبله التوراة ومعنى اماما قدوة يؤتم به في دين الله وشرائعه كما يؤتم بالامام (ورحمة) لمن آمن به وعمل بما فيه (وهذا) القرآن (كتاب مصدق) لكتاب موسى أو لما بين يديه وتقدمه من جميع الكتب وقرئ مصدق لما بين يديه و(لسانا عربيا) حال من ضمير الكتاب في مصدق والعامل فيه مصدق ويجوز أن ينتصب عن كتاب لتخصصه بالصفة ويعمل فيه معنى الاشارة وجوز أن يكون مفعولا لمصدق أي يصدق ذا لسان عربي وهو الرسول * وقرئ لينذر بالياء والتاء ولينذر من نذر ينذر اذا حذر (وبشرى) في

الذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون أولئك أصحاب الجنة

---

* قوله تعالى قل أرأيتم ان كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم (قال فيه ان قلت أخبرني عن نظم هذا الكلام لاقف عليه من جهة النظم الخ) قال أحمد انما لم يوجه المعطوف الى جهة واحدة لان التفصيل قد يكون عطف مجموع مفردات على مجموع مفردات كل منهما والآية من هذا النمط ومثلها قوله تعالى وما يستوي الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور وقوله ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الآية وقد تقدم تقرير ذلك في الآيتين فجدد به عهدا * قوله تعالى واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم (قال فيه لا بد من عامل للظرف وغير مستقيم أن يعمل فيه الخ) قال أحمد ان لم يكن مانع من عمل فسيقولون في الظرف الا تنافي دلالتي المضي والاستقبال فهذا غير مانع فان الاستقبال ههنا انما خرج مخرج الاشعار بدوام ما وقع ومضى لان القوم قد حرموا الهداية وقالوا هذا افك قديم وأساطير الاولين وغير ذلك فمعنى الآية اذا وقالوا اذ لم يهتدوا به هذا افك قديم وداموا على ذلك وأصروا عليه فعبر عن وقوعه ثم دوامه بصيغة الاستقبال كما قال ابراهيم الا الذي فطرني فانه سيهدين وقد كانت الهداية واقعة وماضية ولكن أخبر عن وقوعها ثم دوامها فعبر بصيغة الاستقبال وهذا الطريق الجمع بين قوله سيهدين وقوله في الاخرى فهو يهدين ولولا دخول الفاء على الفعل لكان هذا الذي ذكرته هو الوجه ولكن محل الفاء المسببة دلت بدخولها على محذوف هو السبب وقطعت الفعل عن الظرف المتقدم فوجب تقدير المحذوف عاملا فيه لينتظم بتقديره عاملا أمران مصادفة الظرف العامل والفعل المعلل لعلته فتعين ما ذكره الزمخشري لاجل الفاء لا لتنافي الدلالتين والله أعلم
* قوله تعالى وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا (أجاز في نصبه أن يكون حالا عن كتاب لتخصصه بالصفة الخ) قال أحمد وجهان حسنان أحسن منهما ثالث وهو النصب على الاختصاص وهذه الوجوه في قوله تعالى فيها يفرق كل أمر حكيم أمرا من عندنا والله أعلم

* قوله تعالى وأصلح لي في ذريتي (قال فيه فإن قلت ما معنى في ههنا وأجاب بأن المراد جعل ذريته الخ) قال أحمد ومثله قوله تعالى إلا المودة في القربى عدولا عن قوله إلا مودة القربى أو المودة للقربى والله أعلم * قوله تعالى والذي قال لوالديه إلى قوله أولئك الذين حق عليهم القول الآية (قال زعم بعضهم أن المعني بالآية عبد الرحمن بن أبي بكر الخ) قال أحمد ونحن نختار أن المراد الجنس لا عبد الرحمن بن أبي بكر ولكنا لا نختار الرد على قائل ذلك بهذا الوجه فإن له أن يقول أراد عبد الرحمن وأبيه ومثل ذلك قول الله تعالى حكاية عن العزيز يخاطب امرأته إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم فخاطبها وخاطب أمثالها والمقصودة هي وقد عاد إلى خطابها خصوصا بقوله واستغفري لذنبك إنك كنت من الخاطئين ولكن وجه الرد على من زعم أن المراد به

خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأصلح لي في ذريتي إني تبت إليك وإني من المسلمين أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة وعد الصدق الذي كانوا يوعدون والذي قال لوالديه أف لكما

محل النصب معطوف على محل لينذر لأنه مفعول له * قرئ حسنا بضم الحاء وسكون السين وبضمهما وبفتحهما وإحسانا وكرها بالفتح والضم وهما لغتان في معنى المشقة كالفقر والفقر وانتصابه على الحال أي ذات كره أو على أنه صفة للمصدر أي حملا ذا كره (وحمله وفصاله) ومدة حمله وفصاله (ثلاثون شهرا) وهذا دليل على أن أقل الحمل ستة أشهر لأن مدة الرضاع إذا كانت حولين لقوله عز وجل حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة بقيت للحمل ستة أشهر * وقرئ وفصله والفصل والفصال كالفطم والفطام بناء ومعنى (فإن قلت) المراد بيان مدة الرضاع لا الفطام فكيف عبر عنه بالفصال (قلت) لما كان الرضاع يليه الفصال ويلابسه لأنه ينتهي به ويتم سمي فصالا كما سمي المدة بالأمد من قال

كل حي مستكمل مدة العمر ومود إذا انتهى أمده

وفيه فائدة وهي الدلالة على الرضاع التام المنتهي بالفصال ووقته * وقرئ حتى إذا استوى وبلغ أشده وبلوغ الأشد أن يكتهل ويستوفي السن التي تستحكم فيها قوته وعقله وتمييزه وذلك إذا أناف على الثلاثين وناطح الأربعين وعن قتادة ثلاث وثلاثون سنة ووجهه أن يكون ذلك أول الأشد وغايته الأربعين وقيل لم يبعث نبي قط إلا بعد أربعين سنة * والمراد بالنعمة التي استوزع الشكر عليها نعمة التوحيد والإسلام وجمع بين شكري النعمة عليه وعلى والديه لأن النعمة عليهما نعمة عليه * وقيل في العمل المرضي هو الصلوات الخمس (فإن قلت) ما معنى في في قوله (وأصلح لي في ذريتي) (قلت) معناه أن يجعل ذريته موقعا للصلاح ومظنة له كأنه قال هب لي الصلاح في ذريتي وأوقعه فيهم ونحوه * يجرح في عراقيبها نصلي * (من المسلمين) من المخلصين * وقرئ يتقبل ويتجاوز بفتح الياء والضمير فيهما لله عز وجل وقرئا بالنون (فإن قلت) ما معنى قوله (في أصحاب الجنة) (قلت) هو نحو قولك أكرمني الأمير في ناس من أصحابه تريد أكرمني في جملة من أكرم منهم ونظمني في عدادهم ومحله النصب على الحال على معنى كائنين في أصحاب الجنة ومعدودين فيهم (وعد الصدق) مصدر مؤكد لأن قوله يتقبل ويتجاوز وعد من الله لهم بالتقبل والتجاوز وقيل نزلت في أبي بكر رضي الله عنه وفي أبيه أبي قحافة وأمه أم الخير وفي أولاده واستجابة دعائه فيهم وقيل لم يكن أحد من الصحابة من المهاجرين منهم والأنصار أسلم هو ووالداه وبنوه وبناته غير أبي بكر (والذي قال لوالديه) مبتدأ خبره أولئك الذين حق عليهم القول والمراد بالذي قال الجنس القائل ذلك القول ولذلك وقع الخبر مجموعا وعن الحسن هو في الكافر العاق لوالديه المكذب بالبعث وعن قتادة هو نعت عبد سوء عاق لوالديه فاجر لربه وقيل نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر قبل إسلامه وقد دعاه أبوه أبو بكر وأمه أم رومان إلى الإسلام فأفف بهما وقال ابعثوا إلي جدعان بن عمرو وعثمان بن عمرو وهما من أجداده حتى أسألهما عما يقول محمد ويشهد لبطلانه أن المراد بالذي قال جنس القائلين ذلك وأن قوله الذين حق عليهم القول هم أصحاب النار وعبد الرحمن كان من أفاضل المسلمين وسرواتهم وعن عائشة رضي الله عنها إنكار نزولها فيه وحين كتب معاوية إلى مروان بأن يبايع الناس ليزيد قال عبد الرحمن لقد جئتم بها هرقلية أتبايعون لأبنائكم فقال مروان يا أيها الناس هو الذي قال الله فيه والذي قال لوالديه أف لكما فسمعت عائشة فغضبت وقالت والله ما هو به ولو شئت أن أسميه لسميته

الرحمن ما ذكره الزمخشري ثانيا فإن الذين حق عليهم القول هم الخالدون في النار في علم الله تعالى وعبد الرحمن كان من أفاضل المسلمين وسرواتهم ونقل أن معاوية كتب إلى مروان بأن يبايع الناس ليزيد فقال عبد الرحمن لقد جئتم بها هرقلية أتبايعون لأبنائكم فقال مروان أيها الناس إن هذا هو الذي قال الله فيه والذي قال لوالديه الآية فسمعت عائشة فغضبت وقالت والله ما هو به ولو شئت أن أسميه لسميته ولكن الله لعن أباك وأنت في صلبه فأنت فضض من لعنة الله اهـ كلامه (قلت) وفي هذه الآية رد على من زعم أن المفرد الجنسي لا يعم لأنه لا يعامل معاملة الجمع لا في الصفة ولا في الخبر فلا يجوز أن تقول الدينار الصفر خير من الدرهم البيض وهذا مردود بأن خبر الذي الواقع جنسا جاء على نعت ضمير الجموع كما رأيت والله أعلم

* قوله تعالى ويوم يعرض الذين كفروا على النار أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا الآية (قال فيه عرضهم على النار إما من قولهم عرض بنو فلان على السيف الخ) قال أحمد ان كان ٣٧٢ قولهم عرضت الناقة على الحوض مقلوبا فليس قوله يعرض الذين كفروا على النار مقلوبا لان المحوج الى اعتقاد القلب

ولكن الله لمن أبالك وأنت في صلبه فأنت فضض من لعنة الله * وقرئ أف بالكسر والفتح بغير تنوين وبالحركات الثلاث مع التنوين وهو صوت اذا صوّت به الانسان علم أنه متضجر كما اذا قال حس علم منه أنه متوجع واللام للبيان معناه هذا التأفيف لكما خاصة ولأجلكما دون غيركما * وقرئ أتعدانني بنونين وأتعداني باحداهما وأتعدانّي بالادغام وقد قرأ بعضهم أتعدانَني بفتح النون كأنه استثقل اجتماع النونين والكسرتين والياء ففتح الاولى تحريا للتخفيف كما تحراه من أدغم ومن اطرح أحدهما (أن أخرج) ان أبعث وأخرج من الارض وقرئ أخرج (وقد خلت القرون من قبلي) يعني ولم يبعث منهم أحد (يستغيثان الله) يقولان الغياث بالله منك ومن قولك وهو استعظام لقوله (ويلك) دعاء عليه بالثبور والمراد به الحث والتحريض على الايمان لا حقيقة الهلاك (في أمم) نحو قوله في أصحاب الجنة * وقرئ أن بالفتح على معنى آمن بأن وعد الله حق (ولكل) من الجنسين المذكورين (درجات مما عملوا) أي منازل ومراتب من جزاء ما عملوا من الخير والشر ومن أجل ما عملوا منهما (فان قلت) كيف قيل درجات وقد جاء الجنة درجات والنار دركات (قلت) يجوز أن يقال ذلك على وجه التغليب لاشتمال كل على الفريقين (وليوفيهم) وقرئ بالنون تعليل معلله محذوف لدلالة الكلام عليه كأنه قيل وليوفيهم أعمالهم ولا يظلمهم حقوقهم قدر جزاءهم على مقادير أعمالهم فجعل الثواب درجات والعقاب دركات * ناصب الظرف هو القول المضمر قبل (أذهبتم) * وعرضهم على النار تعذيبهم بها من قولهم عرض بنو فلان على السيف اذا قتلوا به ومنه قوله تعالى النار يعرضون عليها ويجوز أن يراد عرض النار عليهم من قولهم عرضت الناقة على الحوض يريدون عرض الحوض عليها فقلبوا ويدل عليه تفسير ابن عباس رضي الله عنه يجاء بهم اليها فيكشف لهم عنها (أذهبتم طيباتكم) أي ما كتب لكم حظ من الطيبات الا ما قد أصبتموه في دنياكم وقد ذهبتم به وأخذتموه فلم يبق لكم بعد استيفاء حظكم شئ منها وعن عمر رضي الله عنه لو شئت لدعوت بصلائق وصناب وكراكر وأسنمة ولكني رأيت الله تعالى نعى على قوم طيباتهم فقال أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا وعنه لو شئت لكنت أطيبكم طعاما وأحسنكم لباسا ولكني أستبقي طيباتي وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه دخل على أهل الصفة وهم يرقعون ثيابهم بالأدم ما يجدون لها رقاعا فقال أأنتم اليوم خير أم يوم يغدو أحدكم في حلة ويروح في أخرى ويغدى عليه بجفنة ويراح عليه بأخرى ويستر بيته كما تستر الكعبة قالوا نحن يومئذ خير قال بل أنتم اليوم خير وقرئ أأذهبتم بهمزة الاستفهام وآذهبتم بألف بين همزتين * الهون الهوان وقرئ عذاب الهوان * وقرئ يفسقون بضم السين وكسرها * الاحقاف جمع حقف وهو رمل مستطيل مرتفع فيه انحناء من احقوقف الشئ اذا اعوج وكانت عاد أصحاب عمد يسكنون بين رمال مشرفين على البحر بأرض يقال لها الشحر من بلاد اليمن وقيل بين عمان ومهرة و(النذر) جمع نذير بمعنى المنذر أو الانذار (من بين يديه) من قبله (ومن خلفه) ومن بعده وقرئ من بين يديه ومن بعده والمعنى أن هودا عليه السلام قد أنذرهم فقال لهم لا تعبدوا الا الله اني أخاف عليكم العذاب وأعلمهم أن الرسل الذين بعثوا قبله والذين سيبعثون بعده كلهم منذرون نحو انذاره وعن ابن عباس رضي الله عنه يعني الرسل الذين بعثوا قبله والذين بعثوا في زمانه ومعنى ومن خلفه على هذا التفسير ومن بعد انذاره هذا اذا علقت وقد خلت النذر بقوله أنذر قومه ولك أن تجعل قوله تعالى وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه اعتراضا بين أنذر قومه وبين (ألا تعبدوا) ويكون المعنى واذكر انذار هود قومه عاقبة الشرك والعذاب العظيم وقد أنذر من تقدمه من الرسل ومن تأخر عنه مثل ذلك فاذكرهم * الافك الصرف يقال أفكه عن رأيه (عن آلهتنا) عن عبادتها (بما تعدنا) من معاجلة العذاب على الشرك (ان كنت) صادقا في وعدك (فان قلت) من أين طابق قوله تعالى (انما العلم عند الله) جوابا لقولهم فأتنا

أتعدانني أن أخرج وقد خلت القرون من قبلي وهما يستغيثان الله ويلك آمن ان وعد الله حق فيقول ما هذا الا أساطير الاولين أولئك الذين حق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين ولكل درجات مما عملوا وليوفيهم أعمالهم وهم لا يظلمون ويوم يعرض الذين كفروا على النار أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون واذكر أخا عاد اذ أنذر قومه بالاحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه ألا تعبدوا الا الله اني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم قالوا أجئتنا لتأفكنا عن آلهتنا فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين قال انما العلم عند الله

[illegible]

لا ادراك للحوض والناقة هي المدركة فهي التي يعرض عليها الحوض حقيقة وأما النار فقد وردت النصوص بأنها مما
حقيقة فهي مدركة ادراك العقلاء بل ادراك أولي العلم فالامر في الآية على ظاهره كقولك عرضت الأسرى على الأمير والله أعلم

*قوله تعالى ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه الخ (قال أحمد بيت المتنبي ليس كما أنشده وانما هو يروى لعمرك ان ما بان منك لضارب *
باقبل مما بان منك لغائب ولا يستقيم الا كذلك لان قبله هو ابن رسول الله وابن صفيه * وشبههما شبهت بعد التجارب
من قصيدة يمدح بها طاهر بن الحسين العلوي ولو أتى أبو الطيب عوض ما بان بلفظ البيت * يرى ان ما ان بان عنك لضارب *
وهذا التكرار أثقل من تكرار ما بلا مراء وانما فنده الزمخشري والزمه استعمال ان عوض ما الاعتقاده ان البيت كما أنشده

بما تعدنا (قلت) من حيث ان قولهم هذا استعجال منهم بالعذاب الا ترى الى قوله تعالى بل هو ما استعجلتم به فقال لهم لا علم عندي بالوقت الذي يكون فيه تعذيبكم حكمة وصوابا انما علم ذلك عند الله فكيف أدعوه بان يأتيكم بعذابه في وقت عاجل تقترحونه أنتم ومعنى (وأبلغكم ما أرسلت به) وقرئ بالتخفيف أن الذي هو شأني وشرطي أن أبلغكم ما أرسلت به من الانذار والتخويف والصرف عما يعرضكم لسخط الله بجهدي ولكنكم جاهلون لا تعلمون أن الرسل لم يبعثوا الا منذرين لا مقترحين ولا سائلين غير ما أذن لهم فيه (فلما رأوه) في الضمير وجهان أن يرجع الى ما تعدنا وأن يكون مبهما قد وضح أمره بقوله (عارضا) اما تمييزا واما حالا وهذا الوجه أعرب وأفصح والعارض السحاب الذي يعرض في أفق السماء ومثله الحبي والعنان من حبا وعن اذا عرض * واضافة مستقبل وممطر مجازية غير معرفة بدليل وقوعهما وهما مضافان الى معرفتين وصفا للنكرة (بل هو) القول قبله مضمر والقائل هود عليه السلام والدليل عليه قراءة من قرأ قال هود بل هو وقرئ قل بل ما استعجلتم به هي ريح أي قال الله تعالى قل (تدمر كل شئ) تهلك من نفوس عاد وأموالهم الجم الكثير فعبر عن الكثرة بالكلية وقرئ يدمر كل شئ من دمر دمار اذا هلك (لا ترى) الخطاب للرائي من كان وقرئ لا يرى على البناء للمفعول بالياء والتاء وتأويل القراءة بالتاء وهي عن الحسن رضي الله عنه لا ترى بقايا ولا أشياء منهم الا مساكنهم ومنه بيت ذي الرمة * وما بقيت الا الضلوع الجراشع * وليست بالقوية * وقرئ لا ترى الا مساكنهم ولا يرى الا مساكنهم وروى أن الريح كانت تحمل الفسطاط والظعينة فترفعها في الجو حتى ترى كأنها جرادة وقيل أول من أبصر العذاب امرأة منهم قالت رأيت ريحا فيها كشهب النار وروى أول ما عرفوا به أنه عذاب أليم رأوا ما كان في الصحراء من رحالهم ومواشيهم تطير به الريح بين السماء والارض فدخلوا بيوتهم وغلقوا أبوابهم فقلعت الريح الابواب وصرعتهم وأمال الله عليهم الاحقاف فكانوا تحتها سبع ليال وثمانية أيام لهم أنين ثم كشفت الريح عنهم فاحتملتهم فطرحتهم في البحر وروى أن هودا لما أحس بالريح خط على نفسه وعلى المؤمنين خطا الى جنب عين تنبع وعن ابن عباس رضي الله عنهما اعتزل هود ومن معه في حظيرة ما يصيبهم من الريح الا ما يلين على الجلود وتلذه الانفس وانها لتمر من عاد بالظعن بين السماء والارض وتدمغهم بالحجارة وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان اذا رأى الريح فزع وقال اللهم اني أسألك خيرها وخير ما أرسلت به وأعوذ بك من شرها وشر ما أرسلت به واذا رأى مخيلة قام وقعد وجاء وذهب وتغير لونه فيقال له يا رسول الله ما تخاف فيقول اني أخاف أن يكون مثل قوم عاد حيث قالوا هذا عارض ممطرنا (فان قلت) ما فائدة اضافة الرب الى الريح (قلت) الدلالة على أن الريح وتصريف أعنتها مما يشهد لعظم قدرته لانها من أعاجيب خلقه وأكابر جنوده وذكر الامر وكونها مأمورة من جهته عز وجل يعضده ذلك ويقويه (ان) نافية أي فيما ما مكناكم فيه الا أن ان أحسن في اللفظ لما في مجامعة ما مثلها من التكرير المستبشع ومثله مجتنب الا ترى أن الاصل في مهما ماما فلبشاعة التكرير قلبوا الالف هاء ولقد أغث أبو الطيب في قوله * لعمرك ما ما بان منك لضارب * وما ضره لو اقتدى بعذوبة لفظ التنزيل فقال لعمرك ما ان بان منك لضارب وقد جعلت ان صلة مثلها فيما أنشده الاخفش

يرجي المرء ما ان لا يراه * وتعرض دون أدناه الخطوب

وتؤول بانا مكناهم في مثل ما مكناكم فيه والوجه هو الاول ولقد جاء عليه غير آية في القرآن هم أحسن أثاثا وريئا كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثارا وهو أبلغ في التوبيخ وأدخل في الحث على الاعتبار (من شئ) أي

وأبلغكم ما أرسلت به ولكني أراكم قوما تجهلون فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم تدمر كل شئ بأمر ربها فأصبحوا لا ترى الا مساكنهم كذلك نجزي القوم المجرمين ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شئ

لعمرك ما ما بان منك لضارب * باقبل مما بان منك لغائب ولم يعرض ان عوض ما كما أصله الزمخشري لزم دخول الباء في خبرها وانما تدخل الباء في خبر ما الحجازية العاملة وان لا تسلط عمل ما على الصحيح فلا يستقيم دخول الباء في خبرها انما عدل المتنبي عن ذلك الا لتعذره عليه من كل وجه على اني لا أبرئ المتنبي من التغزل فانه كان مغرى به مغرما بالتعريب من النظم وتقبل الزمخشري في الا توجها آخر وهو جعلها صلة مثلها في قوله يرجي المرء ما ان لا يراه * وتعرض دون أدناه الخطوب (قال ويكون معناه على هذا مكناهم في مثل ما مكناكم الخ) قلت واحتج بهذه الطائفة قوله تعالى وقالوا من أشد منا قوة أولم يروا ان الله الذي خلقهم هو

أشد منهم قوة وقوله مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم* قوله تعالى فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة (قال فيه أحد مفعولي اتخذ الراجع الى الموصول محذوف الخ) قال أحمد لم يتبين وجه فساد المعنى على هذا الاعراب ونحن نبينه فنقول لو كان قربانا مفعولا ثانيا ومعناه متقربا بهم لصار المعنى الى انهم وبخوا على ترك اتخاذ الله متقربا به لان السيد اذا وبخ عبده وقال اتخذت فلانا سيدا دوني فانما معناه اللوم على نسبة السيادة الى غيره وليس هذا المقصد فان الله تعالى يتقرب اليه ولا يتقرب به لغيره فانما وقع اللوم على نسبة الالوهية الى غير الله تعالى فكان حق الكلام أن يكون آلهة هو المفعول الثاني لا غير* قوله تعالى يا قومنا أجيبوا داعي الله

اذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة بل ضلوا عنهم وذلك افكهم وما كانوا يفترون واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضي ولوا الى قومهم منذرين قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدي الى الحق والى طريق مستقيم يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم

من شيء من الاغناء وهو القليل منه (فان قلت) بم انتصب (اذ كانوا يجحدون) (قلت) بقوله تعالى فما أغنى (فان قلت) لم جرى مجرى التعليل (قلت) لاستواء مؤدى التعليل والظرف في قولك ضربته لاساءته وضربته اذ أساء لانك اذا ضربته في وقت اساءته فانما ضربته فيه لوجود اساءته فيه الا أن اذ وحيث غلبتا دون سائر الظروف في ذلك (ما حولكم) يا أهل مكة (من القرى) من نحو حجر ثمود وقرى قوم لوط وغيرهما والمراد أهل القرى ولذلك قال (لعلهم يرجعون)* القربان ما تقرب به الى الله تعالى أي اتخذوهم شفعاء متقربا بهم الى الله حيث قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله وأحد مفعولي اتخذ الراجع الى الذين المحذوف والثاني آلهة وقربانا حال ولا يصح أن يكون قربانا مفعولا ثانيا وآلهة بدلا منه لفساد المعنى وقرئ قربانا بضم الراء والمعنى فهلا منعهم من الهلاك آلهتهم (بل ضلوا عنهم) أي غابوا عن نصرتهم (وذلك) اشارة الى امتناع نصرة آلهتهم لهم وضلالهم عنهم أي وذلك أثر افكهم الذي هو اتخاذهم اياها آلهة وثمرة شركهم وافترائهم على الله الكذب من كونه ذا شركاء* وقرئ أفكهم والافك والأفك كالحذر والحذر وقرئ وذلك أفكهم أي وذلك الاتخاذ الذي هذا أثره وثمرته صرفهم عن الحق وقرئ أفكهم على التشديد للمبالغة وآفكهم جعلهم آفكين وآفكهم أي قولهم الافك أي ذو الافك كما تقول قول كاذب وذلك افك مما كانوا يفترون أي بعض ما كانوا يفترون من الافك (صرفنا اليك نفرا) أملناهم اليك وأقبلنا بهم نحوك وقرئ صرفنا بالتشديد لانهم جماعة والنفر دون العشرة ويجمع أنفارا وفي حديث أبي ذر رضي الله عنه لو كان ههنا أحد من أنفارنا (فلما حضروه) الضمير (للقرآن) أي فلما كان بمسمع منهم أو لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتعضده قراءة من قرأ فلما قضي أي أتم قراءته وفرغ منها (قالوا) قال بعضهم لبعض (أنصتوا) اسكتوا مستمعين يقال أنصت لكذا واستنصت له روي أن الجن كانت تسترق السمع فلما حرست السماء ورجموا بالشهب قالوا ما هذا الا لنبأ حدث فنهض سبعة نفر أو تسعة من أشراف جن نصيبين أو نينوى منهم زوبعة فضربوا حتى بلغوا تهامة ثم اندفعوا الى وادي نخلة فوافقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم في جوف الليل يصلي أو في صلاة الفجر فاستمعوا لقراءته وذلك عند منصرفه من الطائف حين خرج اليهم يستنصرهم فلم يجيبوه الى طلبته وأغروا به سفهاء ثقيف وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه ما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجن ولا رآهم وانما كان يتلو في صلاته فمروا به فوقفوا مستمعين وهو لا يشعر فأنبأه الله باستماعهم وقيل بل أمر الله رسوله أن ينذر الجن ويقرأ عليهم فصرف اليه نفرا منهم جمعهم له فقال اني أمرت أن أقرأ على الجن الليلة فمن يتبعني قالها ثلاثا فأطرقوا الا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال لم يحضره ليلة الجن أحد غيري فانطلقنا حتى اذا كنا بأعلى مكة في شعب الحجون خط لي خطا وقال لا تخرج منه حتى أعود اليك ثم افتتح القرآن وسمعت لغطا شديدا حتى خفت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وغشيته أسودة كثيرة حالت بيني وبينه حتى ما أسمع صوته ثم انقطعوا كقطع السحاب فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت شيئا قلت نعم رجالا سودا مستثفري ثياب بيض فقال أولئك جن نصيبين وكانوا اثني عشر ألفا والسورة التي قرأها عليهم اقرأ باسم ربك (فان قلت) كيف قالوا (من بعد موسى) (قلت) عن عطاء رضي الله عنه أنهم كانوا على اليهودية وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن الجن لم تكن سمعت بأمر عيسى عليه السلام فلذلك قالت من بعد موسى (فان قلت) لم بعض في قوله (من ذنوبكم) (قلت) لان من الذنوب ما لا يغفر بالايمان كذنوب المظالم ونحوها ونحوه قوله

وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم الآية (قال انما بعض المغفرة لان من الذنوب ما لا يغفره الايمان كذنوب المظالم اهـ كلامه قال أحمد ليس ما أطلقه من ان الايمان لا يغفر المظالم بصحيح عن لان الحربي ينهب الاموال المعصومة ويسفك الدماء المحقونة ثم يحسن اسلامه فيجب الاسلام عنه اثم ما تقدم بلا اشكال ويقال انه ما وعد المغفرة للكافر على تقدير الايمان في كتاب الله تعالى الا مبعضة وهذا منه فان لم يكن لاطراده بذلك سر فما هو الا ان مقام الكافر يقتضي لا يبسط فلذلك لم يبسط رجاءه في مغفرة جملة الذنوب وقد ورد في حق المؤمنين مثله كثيرا والله أعلم

﴿القول في سورة محمد عليه الصلاة والسلام﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قوله تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم
(قال معناه جعلها كالضالة من الابل الخ) قال أحمد هذا المعنى الثاني حسن متمكن على مقابلة قوله والذين آمنوا وعملوا الصالحات ثم قال
كفر عنهم سيآتهم وأصلح بالهم وتحرير المقابلة بينهما ان الكفار ضلت أعمالهم الصالحة في جملة أعمالهم السيئة من الكفر
والمعاصي حتى صار صالحوهم مستهلكا
في غمار سيئهم ومقابله
في المؤمنين ستر الله لأعمالهم السيئة في كنف أعمالهم الصالحة من الايمان والطاعة حتى صار سيئهم مكفرا مغتفرا في جنب صالح
أعمالهم والى هذا التمثيل الحسن في عدم تقبل صالح الكفار والتجاوز عن سيء أعمال المؤمنين وقعت الاشارة بقوله تعالى كذلك
ضرب الله للناس أمثالهم والله أعلم

عز وجل أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون يغفر لكم من ذنوبكم (فان قلت) هل للجن ثواب كالانس (قلت)
اختلف فيه فقيل لا ثواب لهم الا النجاة من النار لقوله تعالى (ويجركم من عذاب أليم) واليه كان يذهب أبو
حنيفة رحمه الله والصحيح أنهم في حكم بني آدم لانهم مكلفون مثلهم (فليس بمعجز في الارض) أي لا ينجي منه
مهرب ولا يسبق قضاءه سابق ونحوه قوله تعالى وانا ظننا أن لن نعجز الله في الارض ولن نعجزه هربا (بقادر)
محله الرفع لانه خبر أن يدل عليه قراءة عبد الله قادر وانما دخلت الباء لاشتمال النفي في أول الآية على أن
وما في حيزها وقال الزجاج لو قلت ما ظننت أن زيدا بقائم جاز كأنه قيل أليس الله بقادر ألا ترى الى وقوع بلى
مقررة للقدرة على كل شيء من البعث وغيره لا لرؤيتهم وقرئ يقدر ويقال عييت بالامر اذا لم تعرف وجهه
ومنه أفعيينا بالخلق الاول (أليس هذا بالحق) محكي بعد قول مضمر وهذا المضمر هو ناصب الظرف وهذا
اشارة الى العذاب بدليل قوله تعالى فذوقوا العذاب والمعنى التهكم بهم والتوبيخ لهم على استهزائهم بوعد الله
ووعيده وقولهم وما نحن بمعذبين (أولوا العزم) أولوا الجد والثبات والصبر و (من) يجوز أن تكون للتبعيض
ويراد بأولي العزم بعض الانبياء قيل هم نوح صبر على أذى قومه كانوا يضربونه حتى يغشى عليه وابراهيم
على النار وذبح ولده واسحق على الذبح ويعقوب على فقد ولده وذهاب بصره ويوسف على الجب والسجن
وأيوب على الضر وموسى قال له قومه انا لمدركون قال كلا ان معي ربي سيهدين وداود بكى على خطيئته
أربعين سنة وعيسى لم يضع لبنة على لبنة وقال انها معبرة فاعبروها ولا تعمروها وقال الله تعالى في آدم
ولم نجد له عزما وفي يونس ولا تكن كصاحب الحوت ويجوز أن تكون للبيان فيكون أولوا العزم صفة
الرسل كلهم (ولا تستعجل) لكفار قريش بالعذاب أي لا تدع لهم بتعجيله فانه نازل بهم لا محالة وان تأخر وانهم
مستقصرون حينئذ مدة لبثهم في الدنيا حتى يحسبوها (ساعة من نهار بلاغ) أي هذا الذي وعظتم به كفاية
في الموعظة أو هذا تبليغ من الرسول عليه السلام (فهل يهلك) الا الخارجون عن الاتعاظ به والعمل بموجبه
* ويدل على معنى التبليغ قراءة من قرأ بلغ فبلغ وقرئ بلاغا أي بلغوا بلاغا وقرئ يهلك بفتح الياء وكسر
اللام وفتحها من هلك وهلك ونهلك بالنون الا القوم الفاسقين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة الاحقاف كتب له عشر حسنات بعدد كل رملة في الدنيا

﴿سورة محمد صلى الله عليه وسلم مدنية عند مجاهد وقال الضحاك وسعيد بن جبير مكية﴾
﴿وهي سورة القتال وهي تسع وثلاثون آية وقيل ثمان﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(وصدوا) وأعرضوا وامتنعوا عن الدخول في الاسلام أو صدوا غيرهم عنه قال ابن عباس رضي الله عنه هم
المطعمون يوم بدر وعن مقاتل كانوا اثني عشر رجلا من أهل الشرك يصدون الناس عن الاسلام ويأمرونهم
بالكفر وقيل هم أهل الكتاب الذين كفروا وصدوا من أرادهم ومن غيرهم أن يدخل في الاسلام وقيل
هو عام في كل من كفر وصد (أضل أعمالهم) أبطلها وأحبطها وحقيقته جعلها ضالة ضائعة ليس لها من
يتقبلها ويثيب عليها كالضالة من الابل التي هي بمضيعة لا رب لها يحفظها ويعتني بأمرها أو جعلها ضالة في
كفرهم ومعاصيهم ومغلوبة بها كما يضل الماء في اللبن وأعمالهم ما عملوه في كفرهم بما كانوا يسمونه مكارم
من صلة الارحام وفك الاسارى وقرى الاضياف وحفظ الجوار وقيل أبطل ما عملوه من الكيد لرسول الله

ويجركم من عذاب أليم
ومن لا يجب داعي الله
فليس بمعجز في الارض
وليس له من دونه أولياء
أولئك في ضلال مبين
أولم يروا أن الله الذي خلق
السموات والارض ولم
يعي بخلقهن بقادر على
أن يحيي الموتى بلى انه
على كل شيء قدير ويوم
يعرض الذين كفروا
على النار أليس هذا
بالحق قالوا بلى وربنا
قال فذوقوا العذاب
بما كنتم تكفرون
فاصبر كما صبر أولوا العزم
من الرسل ولا تستعجل
لهم كأنهم يوم يرون
ما يوعدون لم يلبثوا الا
ساعة من نهار بلاغ
فهل يهلك الا القوم
الفاسقون

﴿سورة القتال مدنية
وهي تسع وثلاثون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

الذين كفروا وصدوا عن
سبيل الله أضل أعمالهم

والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم كذلك يضرب الله للناس أمثالهم فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فإما منا بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها

صلى الله عليه وسلم والصد عن سبيل الله بأن نصره عليهم وأظهر دينه على الدين كله (والذين آمنوا) قال مقاتل هم ناس من قريش وقيل من الأنصار وقيل هم مؤمنو أهل الكتاب وقيل هو عام * وقوله (وآمنوا بما نزل على محمد) اختصاص للإيمان بالمنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين ما يجب به الإيمان تعظيما لشأنه وتعليما لأنه لا يصح الإيمان ولا يتم إلا به وأكد ذلك بالجملة الاعتراضية التي هي قوله (وهو الحق من ربهم) وقيل معناها أن دين محمد هو الحق إذ لا يرد عليه النسخ وهو ناسخ لغيره * وقرئ نزل وأنزل على البناء للمفعول ونزل على البناء للفاعل ونزل بالتخفيف (كفر عنهم سيئاتهم) ستر بإيمانهم وعملهم الصالح ما كان منهم من الكفر والمعاصي لرجوعهم عنها وتوبتهم (وأصلح بالهم) أي حالهم وشأنهم بالتوفيق في أمور الدين وبالتسليط على الدنيا بما أعطاهم من النصرة والتأييد (ذلك) مبتدأ وما بعده خبره أي ذلك الأمر وهو إضلال أعمال أحد الفريقين وتكفير سيئات الثاني كائن بسبب اتباع هؤلاء الباطل وهؤلاء الحق ويجوز أن يكون ذلك خبر مبتدأ محذوف أي الأمر كما ذكر بهذا السبب فيكون محل الجار والمجرور منصوبا على هذا ومرفوعا على الأول و(الباطل) ما لا ينتفع به وعن مجاهد الباطل الشيطان وهذا الكلام يسميه علماء البيان التفسير (كذلك) مثل ذلك الضرب (يضرب الله للناس أمثالهم) والضمير راجع إلى الناس أو إلى المذكورين من الفريقين على معنى أنه يضرب أمثالهم لأجل الناس ليعتبروا بهم (فإن قلت) أين ضرب الأمثال (قلت) في أن جعل اتباع الباطل مثلا لعمل الكفار واتباع الحق مثلا لعمل المؤمنين أو في أن جعل الإضلال مثلا لخيبة الكفار وتكفير السيئات مثلا لفوز المؤمنين (لقيتم) من اللقاء وهو الحرب (فضرب الرقاب) أصله فاضربوا الرقاب ضربا فحذف الفعل وقدم المصدر فأنيب منابه مضافا إلى المفعول وفيه اختصار مع إعطاء معنى التوكيد لأنك تذكر المصدر وتدل على الفعل بالنصبة التي فيه وضرب الرقاب عبارة عن القتل لأن الواجب أن تضرب الرقاب خاصة دون غيرها من الأعضاء وذلك أنهم كانوا يقولون ضرب الأمير رقبة فلان وضرب عنقه وعلاوته وضرب ما فيه عيناه إذا قتله وذلك أن قتل الإنسان أكثر ما يكون بضرب رقبته فوقع عبارة عن القتل وإن ضرب بغير رقبته من المقاتل كما ذكر في قوله بما كسبت أيديكم على أن في هذه العبارة من الغلظة والشدة ما ليس في لفظ القتل لما فيه من تصوير القتل بأشنع صورة وهو حز العنق وإطارة العضو الذي هو رأس البدن وعلوه وأوجه أعضائه ولقد زاد في هذه الغلظة في قوله تعالى فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان (أثخنتموهم) أكثرتم قتلهم وأغلظتموه من الشيء الثخين وهو الغليظ أو أثقلتموهم بالقتل والجراح حتى أذهبتم عنهم النهوض (فشدوا الوثاق) فأسروهم والوثاق بالفتح والكسر اسم ما يوثق به * ومنا وفداء منصوبان بفعليهما مضمرين أي فإما تمنون منا وإما تفدون فداء والمعنى التخيير بعد الأسر بين أن يمنوا عليهم فيطلقوهم وبين أن يفادوهم (فإن قلت) كيف حكم أسارى المشركين (قلت) أما عند أبي حنيفة وأصحابه فأحد أمرين إما قتلهم وإما استرقاقهم أيهما رأى الإمام ويقولون في المن والفداء المذكورين في الآية نزل ذلك في يوم بدر ثم نسخ وعن مجاهد ليس اليوم من ولا فداء وإنما هو الإسلام أو ضرب العنق ويجوز أن يراد بالمن أن يمن عليهم بترك القتل ويسترقوا أو يمن عليهم فيخلوا لقبولهم الجزية وكونهم من أهل الذمة وبالفداء أن يفادى بأساراهم أسارى المشركين فقد رواه الطحاوي مذهبا عن أبي حنيفة والمشهور أنه لا يرى فداءهم لا بمال ولا بغيره خيفة أن يعودوا حربا للمسلمين وأما الشافعي فيقول للإمام أن يختار أحد أربعة على حسب ما اقتضاه نظره للمسلمين وهو القتل والاسترقاق والفداء بأسارى المسلمين والمن ويحتج بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم من على أبي عزة الجمحي وعلى ابن أثال الحنفي وفادى رجلا برجلين من المشركين وهذا كله منسوخ عند أصحاب الرأي وقرئ فدى بالقصر مع فتح الفاء * أوزار الحرب آلاتها وأثقالها التي لا تقوم إلا بها كالسلاح والكراع قال الأعشى

وأعددت للحرب أوزارها * رماحا طوالا وخيلا ذكورا

وسميت أوزارها لأنه لما لم يكن لها بد من جرها فكأنها تحملها وتستقل بها فإذا انقضت فكأنها وضعتها وقيل أوزارها آثامها يعني حتى يترك أهل الحرب وهم المشركون شركهم ومعاصيهم بأن يسلموا (فإن قلت)

حتى

حتى يم تعلقت (قلت) لا تخلو إما أن تتعلق بالضرب والشد أو بالمن والفداء فالمعنى على كلا المتعلقين عند الشافعي رضي الله عنه أنهم لا يزالون على ذلك أبدا الى أن لا يكون حرب مع المشركين وذلك اذا لم يبق لهم شوكة وقيل اذا نزل عيسى بن مريم عليه السلام وعند أبي حنيفة رحمه الله اذا علق بالضرب والشد فالمعنى أنهم يقتلون ويؤسرون حتى تضع جنس الحرب الاوزار وذلك حين لا تبقى شوكة للمشركين واذا علق بالمن والفداء فالمعنى أنه يمن عليهم ويفادون حتى تضع حرب بدر أوزارها الا أن يتأول المن والفداء بما ذكرنا من التأويل (ذلك) أي الامر ذلك أو افعلوا ذلك (لانتصر منهم) لانتقم منهم ببعض أسباب الهلاك من خسف أو رجفة أو حاصب أو غرق أو موت جارف (ولكن) أمركم بالقتال ليبلو المؤمنين بالكافرين بأن يجاهدوا ويصبروا حتى يستوجبوا الثواب العظيم والكافرين بالمؤمنين بأن يعاجلهم على أيديهم ببعض ما وجب لهم من العذاب * وقرئ قتلوا بالتخفيف والتشديد وقتلوا وقاتلوا * وقرئ فلن يضل أعمالهم وتضل أعمالهم على البناء للمفعول ويضل أعمالهم من ضل وعن قتادة أنها نزلت في يوم أحد (عرفها لهم) أعلمها لهم وبينها بما يعلم به كل أحد منزلته ودرجته من الجنة قال مجاهد يهتدي أهل الجنة الى مساكنهم منها لا يخطئون كأنهم كانوا سكانها منذ خلقوا لا يستدلون عليها وعن مقاتل أن الملك الذي وكل بحفظ عمله في الدنيا يمشي بين يديه فيعرفه كل شيء أعطاه الله أو طيبها لهم من العرف وهو طيب الرائحة وفي كلام بعضهم عزف كنوح القماري وعرف كفوح القماري أو حددها لهم فجنة كل أحد محدودة مفرزة عن غيرها من عرف الدار وأرفها والعرف والارف الحدود (ان تنصروا) دين (الله) ورسوله (ينصركم) على عدوكم ويفتح لكم (ويثبت أقدامكم) في مواطن الحرب أو على محجة الاسلام (والذين كفروا) يحتمل الرفع على الابتداء والنصب بما يفسره (فتعسا لهم) كأنه قال أتعس الذين كفروا (فان قلت) علام عطف قوله (وأضل أعمالهم) (قلت) على الفعل الذي نصب تعسا لان المعنى فقال تعسا لهم أو فقضى تعسا لهم وتعسا له نقيض لعا له قال الاعشى فالتعس أولى لها من أن أقول لعا يريد فالعثور والانحطاط أقرب لها من الانتعاش والثبوت وعن ابن عباس رضي الله عنهما يريد في الدنيا القتل وفي الآخرة التردي في النار (كرهوا) القرآن وما أنزل الله فيه من التكاليف والاحكام لانهم قد ألفوا الاهمال واطلاق العنان في الشهوات والملاذ فشق عليهم ذلك وتعاظمهم * دمره أهلكه ودمر عليه أهلك عليه ما يختص به والمعنى دمر الله عليهم ما اختص بهم من أنفسهم وأموالهم وأولادهم وكل ما كان لهم (وللكافرين أمثالها) الضمير للعاقبة المذكورة أو للهلكة لان التدمير يدل عليها أو للسنة لقوله عز وعلا سنة الله في الذين خلوا (مولى الذين آمنوا) وليهم وناصرهم وفي قراءة ابن مسعود ولي الذين آمنوا ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في الشعب يوم أحد وقد فشت فيهم الجراحات وفيه نزلت فنادى المشركون أعل هبل فنادى المسلمون الله أعلى وأجل فنادى المشركون يوم بيوم والحرب سجال ان لنا عزى ولا عزى لكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا الله مولانا ولا مولى لكم ان القتلى مختلفة أما قتلانا فأحياء يرزقون وأما قتلاكم ففي النار يعذبون (فان قلت) قوله تعالى وردوا الى الله مولاهم الحق مناقض لهذه الآية (قلت) لا تناقض بينهما لان الله مولى عباده جميعا على معنى أنه ربهم ومالك أمرهم وأما على معنى الناصر فهو مولى المؤمنين خاصة (يتمتعون) ينتفعون بمتاع الحياة الدنيا أياما قلائل (ويأكلون) غافلين غير متفكرين في العاقبة (كما تأكل الانعام) في مسارحها ومعالفها غافلة عما هي بصدده من النحر والذبح (مثوى لهم) منزل ومقام وقرئ وكائن بوزن كاعن * وأراد بالقرية أهلها ولذلك قال (أهلكناهم) كأنه قال وكم من قوم هم أشد قوة من قومك الذين أخرجوك أهلكناهم * ومعنى أخرجوك كانوا سبب خروجك (فان قلت) كيف قال (فلا ناصر لهم) وانما هو أمر قد مضى (قلت) مجراه مجرى الحال المحكية كأنه قال أهلكناهم فهم لا ينصرون من زين له هم أهل مكة الذين زين لهم الشيطان شركهم وعداوتهم لله ورسوله ومن كان على بينة من ربه أي على حجة من عنده وبرهان وهو القرآن المعجز وسائر المعجزات هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ أمن كان على بينة من ربه وقال تعالى (سوء عمله واتبعوا)

ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم سيهديهم ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم والذين كفروا فتعسا لهم وأضل أعمالهم ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم أفلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الانعام والنار مثوى لهم وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك أهلكناهم فلا ناصر لهم أفمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله واتبعوا أهواءهم

ا ﴿قوله تعالى مثل الجنة التي وعد المتقون الآية﴾ (قال فيه هو كلام في صورة الاثبات ومعناه النفي الخ) قال أحمد قد أكثر الناس في تأويل هذه الآية فلم أر أطلى ولا أحلى من هذه النكت التي ذكرها الا يعوزها الا التنبيه على ان في الكلام محذوفا لابد من تقديره لأنه لا معادلة بين الجنة وبين الخالدين (٣٧٨) في النار الا على تقدير مثل ساكن فيه يقوم وزن الكلام ويتعادل كفتاه * ومن هذا النمط قوله تعالى أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله فانه لابد من تقدير محذوف مع الاول أو الثاني ليتعادل القسمان وبهذا الذي قدرته في الآية ينطبق آخر الكلام على أوله فيكون المقصود تنظير بعد التسوية بين المتمسك بالبينة والراكب للهوى ببعد التسوية بين المنعم في الجنة والمعذب في النار على الصفات المتقابلة المذكورة في الجهتين وهو من وادي تنظير الشيء بنفسه باعتبار حالتين احداهما أوضح في البيان من الاخرى فان المتمسك بالبينة هو المنعم في الجنة الموصوفة والمتبع للهوى هو المعذب في النار المنعوتة ولكن أنكر التسوية بينهما باعتبار الاعمال أولا وأوضح ذلك بانكار التسوية بينهما باعتبار الجزاء ثانيا

مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم كمن هو خالد في النار وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفا أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم فهل ينظرون الا الساعة أن تأتيهم بغتة

المحمول على لفظ من ومعناه (فان قلت) ما معنى قوله تعالى (مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار) كمن هو خالد في النار (قلت) هو كلام في صورة الاثبات ومعنى النفي والانكار لانطوائه تحت حكم كلام مصدر بحرف الانكار ودخوله في حيزه وانخراطه في سلكه وهو قوله تعالى أفمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله فكأنه قيل أمثل الجنة كمن هو خالد في النار أي كمثل جزاء من هو خالد في النار (فان قلت) فلم عرى من حرف الانكار وما فائدة التعرية (قلت) تعريته من حرف الانكار فيها زيادة تصوير لمكابرة من يسوي بين المتمسك بالبينة والتابع لهواه وأنه بمنزلة من يثبت التسوية بين الجنة التي تجري فيها تلك الانهار وبين النار التي يسقى أهلها الحميم ونظيره قول القائل

أفرح أن أرزأ الكرام وأن * أورث ذودا شصائصا نبلا

هو كلام منكر للفرح برزية الكرام ووراثة الذود مع تعريه عن حرف الانكار لانطوائه تحت حكم قول من قال أتفرح بموت أخيك وبوراثة ابله والذي طرح لاجله حرف الانكار ارادة أن يصور قبح ما أزن به فكأنه قال له نعم مثلي يفرح بمرزأة الكرام وبأن يستبدل منهم ذودا يقل طائله وهو من التسليم الذي تحته كل انكار ومثل الجنة صفة الجنة العجيبة الشأن وهو مبتدأ وخبره كمن هو خالد وقوله فيها أنهار داخل في حكم الصلة كالتكرير لها ألا ترى الى صحة قولك التي فيها أنهار ويجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف هي فيها أنهار وكأن قائلا قال وما مثلها فقيل فيها أنهار وأن يكون في موضع الحال أي مستقرة فيها أنهار وفي قراءة علي رضي الله عنه أمثال الجنة أي ما صفاتها كصفات النار * وقرئ اسن يقال أسن الماء وأجن اذا تغير طعمه وريحه وأنشد ليزيد بن معاوية لقد سقتني رضابا غير ذي أسن * كالمسك فت على ماء العناقيد

(من لبن لم يتغير طعمه) كما تتغير ألبان الدنيا فلا يعود قارصا ولا حاذرا ولا ما يكره من الطعوم (لذة) تأنيث لذ وهو اللذيذ أو وصف بمصدر وقرئ بالحركات الثلاث فالجر على صفة الخمر والرفع على صفة الانهار والنصب على العلة أي لاجل لذة الشاربين والمعنى ما هو الا التلذذ الخالص ليس معه ذهاب عقل ولا خمار ولا صداع ولا آفة من آفات الخمر (مصفى) لم يخرج من بطون النحل فيخالطه الشمع وغيره (ماء حميما) قيل اذا دنا منهم شوى وجوههم وانمازت فروة رؤسهم فاذا شربوه قطع أمعاءهم * هم المنافقون كانوا يحضرون مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسمعون كلامه ولا يعونه ولا يلقون له بالا تهاونا منهم فاذا خرجوا قالوا لاولي العلم من الصحابة ماذا قال الساعة على جهة الاستهزاء وقيل كان يخطب فاذا عاب المنافقين خرجوا فقالوا ذلك للعلماء وقيل قالوه لعبد الله بن مسعود وعن ابن عباس أنا منهم وقد سميت فيمن سئل (آنفا) وقرئ أنفا على فعل نصب على الظرف قال الزجاج هو من استأنفت الشيء اذا ابتدأته والمعنى ماذا قال في أول وقت يقرب منا (زادهم) الله (هدى) بالتوفيق (وآتاهم تقواهم) أعانهم عليها أو آتاهم جزاء تقواهم وعن السدي بين لهم ما يتقون وقرئ وأعطاهم وقيل الضمير في زادهم لقول الرسول أو لاستهزاء المنافقين (ان تأتيهم) بدل اشتمال من الساعة نحو أن تطؤهم من قوله رجال مؤمنون ونساء مؤمنات وقرئ ان تأتهم بالوقف على الساعة واستئناف الشرط وهي في مصاحف أهل مكة كذلك (فان قلت) فما جزاء الشرط (قلت) قوله فأنى لهم ومعناه ان تأتهم الساعة فكيف لهم ذكراهم أي تذكرهم واتعاظهم اذا جاءتهم الساعة يعني لا تنفعهم الذكرى حينئذ كقوله تعالى يومئذ يتذكر الانسان وأنى له الذكرى (فان قلت) بم يتصل

قوله (فقد جاء أشراطها) على القراءتين (قلت) باتيان الساعة اتصال العلة بالمعلول كقولك ان أكرمني زيد فأنا حقيق بالاكرام أكرمه والاشراط العلامات قال أبو الاسود

فان كنت قد أزمعت بالصرم بيننا * فقد جعلت أشراط أوله تبدو

وقيل مبعث محمد خاتم الانبياء صلى الله عليه وسلم وعليهم منها وانشقاق القمر والدخان وعن الكلبي كثرة المال والتجارة وشهادة الزور وقطع الارحام وقلة الكرام وكثرة اللئام * وقرئ بغتة بوزن جربة وهي غريبة لم ترد في المصادر أختها وهي مروية عن أبي عمرو وما أخوفني أن تكون غلطة من الراوي على أبي عمرو وأن يكون الصواب بغتة بفتح الغين من غير تشديد كقراءة الحسن فيما تقدم * لما ذكر حال المؤمنين وحال الكافرين قال اذا علمت أن الامر كما ذكر من سعادة هؤلاء وشقاوة هؤلاء فاثبت على ما أنت عليه من العلم بوحدانية الله وعلى التواضع وهضم النفس باستغفار ذنبك وذنوب من على دينك * والله يعلم أحوالكم ومتصرفاتكم ومتقلبكم في معايشكم ومتاجركم ويعلم حيث تستقرون في منازلكم أو متقلبكم في حياتكم ومثواكم في القبور أو متقلبكم في أعمالكم ومثواكم من الجنة والنار ومثله حقيق بأن يخشى ويتقى وأن يستغفر ويسترحم وعن سفيان بن عيينة أنه سئل عن فضل العلم فقال ألم تسمع قوله حين بدأ به فقال فاعلم أنه لا إله الا الله واستغفر لذنبك فأمر بالعمل بعد العلم وقال اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو الى قوله سابقوا الى مغفرة من ربكم وقال واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة ثم قال بعد فاحذروهم وقال واعلموا أنما غنمتم من شئ فأن لله خمسه ثم أمر بالعمل بعد * كانوا يدعون الحرص على الجهاد ويتمنونه بألسنتهم ويقولون (لولا نزلت سورة) في معنى الجهاد (فاذا أنزلت) وأمروا فيها بما تمنوا وحرصوا عليه كاعوا وشق عليهم وسقطوا في أيديهم كقوله تعالى فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس (محكمة) مبينة غير متشابهة لا تحتمل وجها الا وجوب القتال وعن قتادة كل سورة فيها ذكر القتال فهي محكمة وهي أشد القرآن على المنافقين وقيل لها محكمة لان النسخ لا يرد عليها من قبل أن القتال قد نسخ ما كان من الصفح والمهادنة وهو غير منسوخ الى يوم القيامة وقيل هي المحدثة لانها حين يحدث نزولها لا يتناولها النسخ ثم تنسخ بعد ذلك أو تبقى غير منسوخة وفي قراءة عبد الله سورة محدثة وقرئ فاذا نزلت سورة وذكر فيها القتال على البناء للفاعل ونصب القتال (الذين في قلوبهم مرض) هم الذين كانوا على حرف غير ثابتي الاقدام (نظر المغشي عليه من الموت) أي تشخص أبصارهم جبنا وهلعا وغيظا كما ينظر من أصابته الغشية عند الموت (فأولى لهم) وعيد بمعنى فويل لهم وهو أفعل من الولي وهو القرب ومعناه الدعاء عليهم بأن يليهم المكروه (طاعة وقول معروف) كلام مستأنف أي طاعة وقول معروف خير لهم وقيل هي حكاية قولهم أي قالوا طاعة وقول معروف بمعنى أمرنا طاعة وقول معروف وتشهد له قراءة أبي يقولون طاعة وقول معروف (فاذا عزم الامر) أي جد والعزم والجد لاصحاب الامر وانما يسندان الى الامر اسنادا مجازيا ومنه قوله تعالى ان ذلك لمن عزم الامور (فلو صدقوا الله) فيما زعموا من الحرص على الجهاد أو فلو صدقوا في ايمانهم وواطأت قلوبهم فيه ألسنتهم * عسيت وعسيتم لغة أهل الحجاز وأما بنو تميم فيقولون عسى أن تفعل وعسى أن تفعلوا ولا يلحقون الضمائر وقرأ نافع بكسر السين وهو غريب وقد نقل الكلام من الغيبة الى الخطاب على طريقة الالتفات ليكون أبلغ في التوكيد (فان قلت) ما معنى فهل عسيتم أن تفسدوا في الارض (قلت) معناه هل يتوقع منكم الافساد (فان قلت) فكيف يصح هذا في كلام الله عز وعلا وهو عالم بما كان وما يكون (قلت) معناه أنكم لما عهد منكم أحقاء بأن يقول لكم كل من ذاقكم وعرف تمريضكم ورخاوة عقدكم في الايمان يا هؤلاء ما ترون هل يتوقع منكم ان توليتم أمور الناس وتأمرتم عليهم لما تبين منكم من الشواهد ولاح من المخايل (أن تفسدوا في الارض وتقطعوا أرحامكم) تناحرا على الملك وتهالكا على الدنيا وقيل ان أعرضتم وتوليتم عن دين رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته أن ترجعوا الى ما كنتم عليه في الجاهلية من الافساد في الارض بالتغاور والتناهب وقطع الارحام بمقاتلة بعض الاقارب بعضا ووأد البنات وقرئ وليتم وفي قراءة علي بن أبي طالب

فقد جاء أشراطها فأنى لهم اذا جاءتهم ذكراهم فاعلم أنه لا اله الا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والله يعلم متقلبكم ومثواكم ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة فاذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت فأولى لهم طاعة وقول معروف فاذا عزم الامر فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا في الارض وتقطعوا أرحامكم

رضي الله عنه توليتم أي ان تولاكم ولاة غشمة خرجتم معهم ومشيتم تحت لوائهم وأفسدتم بافسادهم * وقرئ
وتقطعوا وتقطعوا من التقطيع والتقطع (أولئك) اشارة الى المذكورين (لعنهم الله) لافسادهم وقطعهم
الارحام فمنعهم ألطافه وخذلهم حتى صموا عن استماع الموعظة وعموا عن ابصار طريق الهدى ويجوز أن
يريد بالذين آمنوا المؤمنين الخلص الثابتين وأنهم يتشوقون الى الوحي اذا أبطأ عليهم فاذا أنزلت سورة في
معنى الجهاد رأيت المنافقين فيما بينهم يضجرون منها (أفلا يتدبرون القرآن) ويتصفحونه وما فيه من
المواعظ والزواجر ووعيد العصاة حتى لا يجسروا على المعاصي ثم قال (أم على قلوب أقفالها) وأم بمعنى بل
وهمزة التقرير للتسجيل عليهم بأن قلوبهم مقفلة لا يتوصل اليها ذكر وعن قتادة اذن والله يجدوا في القرآن
زاجرا عن معصية الله لو تدبروه ولكنهم أخذوا بالمتشابه فهلكوا (فان قلت) لم نكرت القلوب وأضيفت
الاقفال اليها (قلت) أما التنكير ففيه وجهان أن يراد على قلوب قاسية مبهم أمرها في ذلك أو يراد على بعض
القلوب وهي قلوب المنافقين وأما اضافة الاقفال فلانه يريد الاقفال المختصة بها وهي أقفال الكفر التي
استغلقت فلا تنفتح وقرئ أقفالها على المصدر (الشيطان سول لهم) جملة من مبتدا وخبر وقعت خبرا لان
كقولك ان زيدا عمرو مر به سول لهم سهل لهم ركوب العظائم من السول وهو الاسترخاء وقد اشتقه من
السول من لا علم له بالتصريف والاشتقاق جميعا (وأملى لهم) ومد لهم في الآمال والاماني وقرئ وأملي لهم
يعني أن الشيطان يغويهم وأنا أنظرهم كقوله تعالى انما نملي لهم وقرئ وأملي لهم على البناء للمفعول أي
أمهلوا ومد في عمرهم وقرئ سول لهم ومعناه كيد الشيطان زين لهم على تقدير حذف المضاف (فان قلت)
من هؤلاء (قلت) اليهود كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم من بعد ما تبين لهم الهدى وهو نعته في التوراة وقيل
هم المنافقون * الذين قالوا اليهود القائلون اليهود * والذين كرهوا ما نزل الله المنافقون وقيل عكسه وأنه قول
المنافقين لقريظة والنضير لئن أخرجتم لنخرجن معكم * وقيل بعض الامر التكذيب برسول الله صلى الله عليه
وسلم أو بلا اله الا الله أو ترك القتال معه وقيل هو قول أحد الفريقين للمشركين سنطيعكم في التظافر على
عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم والقعود عن الجهاد معه ومعنى (في بعض الامر) في بعض ما تأمرون به
أو في بعض الامر الذي يهمكم (والله يعلم أسرارهم) وقرئ اسرارهم على المصدر قالوا ذلك سرا فيما بينهم
فأفشاه الله عليهم * فكيف يعملون وما حيلتهم حينئذ * وقرئ توفاهم ويحتمل أن يكون ماضيا ومضارعا
قد حذفت احدى تاءيه كقوله تعالى ان الذين توفاهم الملائكة وعن ابن عباس رضي الله عنهما لا يتوفى أحد
على معصية الله الا يضرب من الملائكة في وجهه ودبره (ذلك) اشارة الى التوفي الموصوف (ما أسخط الله)
من كتمان نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم (رضوانه) الايمان برسول الله (أضغانهم) أحقادهم واخراجها
ابرازها لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين واظهارهم على نفاقهم وعداوتهم لهم وكانت صدورهم تغلي
حنقا عليهم (لأريناكهم) لعرفناكهم ودللناك عليهم حتى تعرفهم بأعيانهم لا يخفون عليك (بسيماهم)
بعلامتهم وهو أن يسمهم الله تعالى بعلامة يعلمون بها وعن أنس رضي الله عنه ما خفي على رسول الله صلى الله
عليه وسلم بعد هذه الآية شيء من المنافقين كان يعرفهم بسيماهم ولقد كنا في بعض الغزوات وفيها تسعة من
المنافقين يشكوهم الناس فناموا ذات ليلة وأصبحوا وعلى جبهة كل واحد منهم مكتوب هذا منافق * (فان
قلت) أي فرق بين اللامين في فلعرفتهم ولتعرفنهم (قلت) الاولى هي الداخلة في جواب لو كالتي في لأريناكهم
كررت في المعطوف وأما اللام في ولتعرفنهم فواقعة مع النون في جواب قسم محذوف (في لحن القول) في
نحوه وأسلوبه وعن ابن عباس هو قولهم ما لنا ان أطعنا من الثواب ولا يقولون ما علينا ان عصينا من
العقاب وقيل اللحن أن تلحن بكلامك أي تميله الى نحو من الانحاء ليفطن له صاحبك كالتعريض والتورية
قال
واقد لحنت لكم لكيما تفقهوا * واللحن يعرفه ذوو الالباب
وقيل للمخطئ لاحن لانه يعدل بالكلام عن الصواب (أخباركم) ما يحكى عنكم وما يخبر به عن أعمالكم ليعلم
حسنها من قبيحها لان الخبر على حسب المخبر عنه ان حسنا فحسن وان قبيحا فقبيح * وقرأ يعقوب ونبلو

أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ان الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم وأملى لهم ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم في بعض الامر والله يعلم أسرارهم فكيف اذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم أم حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول والله يعلم أعمالكم ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم ان الذين

* قوله تعالى الشيطان سول لهم (قال فيه هو مشتق من السؤال وهو الاسترخاء أي سول لهم ركوب العظائم قال وقد اشتقه من السول من لا علم له بالتصريف والاشتقاق جميعا) قلت لان السؤال مهموز وسول معتل

قوله تعالى ولا تبطلوا أعمالكم (قال فيه معناه لا تحبطوا الطاعات بالكبائر الخ) قال أحمد قاعدة أهل السنة مؤسسة على أن الكبائر مادون الشرك لا تحبط حسنة مكتوبة لان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما ثم يقولون ان الحسنات يذهبن السيآت كما وعد به الكريم جل وعلا وقاعدة المعتزلة موضوعة على أن كبيرة واحدة تحبط ما تقدمها من الحسنات ولو كانت مثل زبد البحر لانهم يقطعون بخلود الفاسق في النار وسلب سمة الايمان عنه وحتى خلد في النار (٣٨١) لم تنفع طاعاته ولا ايمانه فعلى هذا بنى الزمخشري كلامه وجلب الآثار التي في بعضها موافقة في

بسكون الواو على معنى ونحن نبلو أخباركم * وقرئ وليبلونكم ويعلم ويبلو بالياء وعن الفضيل أنه كان اذا قرأها بكى وقال اللهم لا تبلنا فانك ان بلوتنا فضحتنا وهتكت أستارنا وعذبتنا (وسيحبط أعمالهم) التي عملوها في دينهم يرجون بها الثواب لانها مع كفرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم باطلة وهم قريظة والنضير أو سيحبط أعمالهم التي عملوها والمكايد التي نصبوها في مشاقة الرسول أي سيبطلها فلا يصلون منها الى أغراضهم بل يستنصرون بها ولا يثمر لهم الا القتل والجلاء عن أوطانهم وقيل هم رؤساء قريش والمطعمون يوم بدر (ولا تبطلوا أعمالكم) أي لا تحبطوا الطاعات بالكبائر كقوله تعالى لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي الى أن قال أن تحبط أعمالكم وعن أبي العالية كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرون أنه لا يضر مع الايمان ذنب كما لا ينفع مع الشرك عمل حتى نزلت ولا تبطلوا أعمالكم فكانوا يخافون الكبائر على أعمالهم وعن حذيفة فخافوا أن تحبط الكبائر أعمالهم وعن ابن عمر كنا نرى أنه ليس شئ من حسناتنا الا مقبولا حتى نزل ولا تبطلوا أعمالكم فقلنا ما هذا الذي يبطل أعمالنا فقلنا الكبائر الموجبات والفواحش حتى نزل ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فكففنا عن القول في ذلك فكنا نخاف على من أصاب الكبائر ونرجو لمن لم يصبها وعن قتادة رحمه الله رحم الله عبدا لم يحبط عمله الصالح بعمله السيئ وقيل لا تبطلوها بمعصيتهما وعن ابن عباس رضي الله عنه لا تبطلوها بالرياء والسمعة وعنه بالشك والنفاق وقيل بالعجب فان العجب يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب وقيل ولا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى (ثم ماتوا وهم كفار) قيل هم أصحاب القليب والظاهر العموم (فلا تهنوا) ولا تضعفوا ولا تذلوا للعدو (و) لا (تدعوا الى السلم) وقرئ السلم وهما المسالمة (وأنتم الاعلون) أي الاغلبون الاقهرون (والله معكم) أي ناصركم وعن قتادة لا تكونوا أول الطائفتين ضرعت الى صاحبتها بالموادعة * وقرئ ولا تدعوا من ادعى القوم وتداعوا اذا دعوا نحو قولك ارتموا الصيد وتراموه وتدعوا مجزوم لدخوله في حكم النهي أو منصوب لاضمار أن ونحو قوله تعالى وأنتم الاعلون قوله تعالى انك أنت الاعلى (ولن يتركم) من وترت الرجل اذا قتلت له قتيلا من ولد أو أخ أو حميم أو حربته وحقيقته أفردته من قريبه أو ماله من الوتر وهو الفرد فشبه اضاعة عمل العامل وتعطيل ثوابه بوتر الواتر وهو من فصيح الكلام ومنه قوله عليه السلام من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله أي أفرد عنهما قتلا ونهبا (يؤتكم أجوركم) ثواب ايمانكم وتقواكم (ولا يسألكم أموالكم) أي ولا يسألكم جميعها انما يقتصر منكم على ربع العشر ثم قال (ان يسألكموها فيحفكم) أي يجهدكم ويطلبه كله والاحفاء المبالغة وبلوغ الغاية في كل شئ يقال أحفاه في المسئلة اذا لم يترك شيئا من الالحاح وأحفى شاربه اذا استأصله (تبخلوا ويخرج أضغانكم) أي تضطغنون على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتضيق صدوركم لذلك وأظهرتم كراهتكم ومقتكم لدين يذهب بأموالكم والضمير في يخرج لله عز وجل أي يضغنكم بطلب أموالكم أو للبخل لانه سبب الاضطغان * وقرئ نخرج بالنون ويخرج بالياء والتاء مع فتحهما ورفع أضغانكم (هؤلاء) موصول بمعنى الذين صلته (تدعون) أي أنتم الذين تدعون أو أنتم يا مخاطبون هؤلاء الموصوفون ثم استأنف وصفهم كأنهم قالوا وما وصفنا فقيل تدعون (لتنفقوا في سبيل الله) قيل هي النفقة في الغزو وقيل الزكاة كأنه قيل الدليل على أنه

كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى لن يضروا الله شيئا وسيحبط أعمالهم يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وأنتم الاعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم انما الحياة الدنيا لعب ولهو وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم ولا يسألكم أموالكم ان يسألكموها فيحفكم تبخلوا ويخرج أضغانكم ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله فمنكم من يبخل

الظاهر لعتقده ولا كلام علينا جملة من غير تفصيل لان القاعدة المقدمة ثابتة قطعا بادلة اقتضت ذلك يحاشي كل معتبر في الحل والعقد عن مخالفتها فما ورد من ظاهر يخالفها وجب رده اليها بوجه من التأويل فان كان نصا لا يقبل التأويل فالطريق في ذلك تحسين الظن بالمنقول عنه والتوريك بالغلط على النقلة على أن الاثر المذكور عن ابن عمر وهو أولى بأن يدل ظاهره لاهل السنة فتأمله وأما محل الآية عند أهل الحق فعلى النهي عن الاخلال بشرط من شروط العمل وركن يقتضي بطلانه من أصله لا أنه يبطل بعد اجتماعه شرائط الصحة والقبول

﴿القول في سورة الفتح﴾ (٣٨٣) ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قوله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله الآية (قال فيه جاء الاخبار

لو أحفاكم لبخلتم وكرهتم العطاء واضطغنتم أنكم تدعون الى أداء ربع العشر فمنكم ناس يبخلون به ثم قال (ومن يبخل) بالصدقة وأداء الفريضة فلا يتعداه ضرر بخله (فانما يبخل عن نفسه) يقال بخلت عليه وعنه وكذلك ضننت عليه وعنه * ثم أخبر أنه لا يأمر بذلك ولا يدعو اليه لحاجته اليه فهو الغني الذي تستحيل عليه الحاجات ولكن لحاجتكم وفقركم الى الثواب (وان تتولوا) معطوف على وان تؤمنوا وتتقوا (يستبدل قوما غيركم) يخلق قوما سواكم على خلاف صفتكم راغبين في الايمان والتقوى غير متولين عنهما كقوله تعالى ويأت بخلق جديد وقيل هم الملائكة وقيل الانصار وعن ابن عباس كندة والنخع وعن الحسن العجم وعن عكرمة فارس والروم وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القوم وكان سلمان الى جنبه فضرب على فخذه وقال هذا وقومه والذي نفسي بيده لو كان الايمان منوطا بالثريا لتناوله رجال من فارس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة محمد صلى الله عليه وسلم كان حقا على الله أن يسقيه من أنهار الجنة

﴿سورة الفتح مدنية وهي تسع وعشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* هو فتح مكة وقد نزلت مرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مكة عام الحديبية عدة له بالفتح وجيء به على لفظ الماضي على عادة رب العزة سبحانه في أخباره لانها في تحققها وتيقنها بمنزلة الكائنة الموجودة وفي ذلك من الفخامة والدلالة على علو شأن المخبر ما لا يخفى (فان قلت) كيف جعل فتح مكة علة للمغفرة (قلت) لم يجعل علة للمغفرة ولكن لاجتماع ما عدد من الامور الاربعة وهي المغفرة واتمام النعمة وهداية الصراط المستقيم والنصر العزيز كأنه قيل يسرنا لك فتح مكة ونصرناك على عدوك لنجمع لك عز الدارين وأغراض العاجل والآجل ويجوز أن يكون فتح مكة من حيث انه جهاد للعدو سببا للغفران والثواب والفتح الظفر بالبلد عنوة أو صلحا بحرب أو بغير حرب لانه منغلق ما لم يظفر به فاذا ظفر به وحصل في اليد فقد فتح وقيل هو فتح الحديبية ولم يكن فيه قتال شديد ولكن ترام بين القوم بسهام وحجارة وعن ابن عباس رضي الله عنه رموا المشركين حتى أدخلوهم ديارهم وعن الكلبي ظهروا عليهم حتى سألوا الصلح (فان قلت) كيف يكون فتحا وقد أحصروا فنحروا وحلقوا بالحديبية (قلت) كان ذلك قبل الهدنة فلما طلبوها وتمت كان فتحا مبينا وعن موسى بن عقبة أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية راجعا فقال رجل من أصحابه ما هذا بفتح لقد صدونا عن البيت وصد هدينا فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فقال بئس الكلام هذا بل هو أعظم الفتوح وقد رضي المشركون أن يدفعوكم عن بلادهم بالراح ويسألوكم القضية ويرغبوا اليكم في الامان وقد رأوا منكم ما كرهوا وعن الشعبي نزلت بالحديبية وأصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في تلك الغزوة ما لم يصب في غزوة أصاب أن بويع بيعة الرضوان وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وظهرت الروم على فارس وبلغ الهدي محله وأطعموا نخل خيبر وكان في فتح الحديبية آية عظيمة وذلك أنه نزح ماؤها حتى لم يبق فيها قطرة فتمضمض رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم مجه فيها فدرت بالماء حتى شرب جميع من كان معه وقيل فجاش الماء حتى امتلأت ولم ينفد ماؤها بعد وقيل هو فتح خيبر وقيل فتح الروم وقيل فتح الله له بالاسلام والنبوة والدعوة بالحجة والسيف ولا فتح أبين منه وأعظم وهو رأس الفتوح كلها اذ لا فتح من فتوح الاسلام الا وهو تحته ومتشعب منه وقيل معناه قضينا لك قضاء بينا على أهل مكة أن تدخلها أنت وأصحابك من قابل لتطوفوا بالبيت من الفتاحة وهي الحكومة وكذا عن قتادة (ما تقدم من ذنبك وما تأخر) يريد جميع ما فرط منك وعن مقاتل ما تقدم في الجاهلية وما بعدها وقيل ما تقدم من حديث مارية وما تأخر من امرأة زيد (نصرا عزيزا) فيه عز ومنعة أو وصف بصفة المنصور اسنادا مجازيا أو عزيزا صاحبه (السكينة) السكون كالبهيتة للبهتان أي أنزل الله في قلوبهم السكون والطمأنينة بسبب الصلح والامن ليعرفوا فضل الله عليهم بتيسير الامن

بالفتح على لفظ الماضي وان لم يقع بعد لان المراد فتح مكة والآية نزلت حين رجع عليه الصلاة والسلام من الحديبية قبل عام الفتح وذلك على عادة رب العزة في اخباره لانها لما كانت محققة نزلت منزلة

ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه والله الغني وأنتم الفقراء وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم

(سورة الفتح مدنية وهي تسع وعشرون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما وينصرك الله نصرا عزيزا هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين

الكائنة الموجودة وفي ذلك من الفخامة والدلالة على علو شأن المخبر ما لا يخفى (قلت) ومن الفخامة الالتفات من التكلم الى الغيبة * عاد كلامه (قال) فان قلت كيف جعل فتح مكة علة للمغفرة وأجاب بان ذلك علة لاجتماع ما عدد من الامور الاربعة المغفرة واتمام النعمة والهداية والنصر العزيز كأنه قيل يسرنا لك فتح مكة ونصرناك على عدوك لنجمع لك عز الدارين وأغراض العاجل والآجل * قال ويجوز أن يكون الفتح من حيث كونه جهادا وعبادة سببا للغفران

بعد

بعد الخوف والهدنة غب القتال فيزدادوا يقينا الى يقينهم أو أنزل فيها السكون الى ما جاء به محمد عليه السلام
من الشرائع (ليزدادوا ايمانا) بالشرائع مقرونا الى ايمانهم وهو التوحيد عن ابن عباس رضي الله عنهما ان
أول ما أتاهم به النبي صلى الله عليه وسلم التوحيد فلما آمنوا بالله وحده أنزل الصلاة والزكاة ثم الحج ثم الجهاد
فازدادوا ايمانا الى ايمانهم أو أنزل فيها الوقار والعظمة لله عز وجل ولرسوله ليزدادوا باعتقاد ذلك ايمانا الى
ايمانهم وقيل أنزل فيها الرحمة ليتراحموا فيزداد ايمانهم (ولله جنود السموات والأرض) يسلط بعضها على بعض
كما يقتضيه علمه وحكمته ومن قضيته أن سكن قلوب المؤمنين بصلح الحديبية ووعدهم أن يفتح لهم وانما قضى
ذلك ليعرف المؤمنون نعمة الله فيه ويشكروها فيستحقوا الثواب فيثيبهم ويعذب الكافرين والمنافقين
لما غاظهم من ذلك وكرهوه * وقع السوء عبارة عن رداءة الشيء وفساده والصدق عن جودته وصلاحه فقيل
في الصالح من الأفعال فعل صدق وفي المسخوط الفاسد منها فعل سوء ومعنى (ظن السوء) ظنهم أن
الله لا ينصر الرسول والمؤمنين ولا يرجعهم الى مكة ظافرين فاتحيها عنوة وقهرا (عليهم دائرة السوء) أي
ما يظنونه ويتربصونه بالمؤمنين فهو حائق بهم ودائر عليهم والسوء الهلاك والدمار وقرئ دائرة السوء بالفتح
أي الدائرة التي يذمونها ويسخطونها فهي عندهم دائرة سوء وعند المؤمنين دائرة صدق (فان قلت) هل من
فرق بين السوء والسوء (قلت) هما كالكره والكره والضعف والضعف من ساء الا أن المفتوح غلب في أن
يضاف اليه ما يراد ذمه من كل شيء وأما السوء بالضم فجار مجرى الشر الذي هو نقيض الخير يقال أراد به
السوء وأراد به الخير ولذلك أضيف الظن الى المفتوح لكونه مذموما وكانت الدائرة محمودة فكان حقها أن
لا تضاف اليه الا على التأويل الذي ذكرنا وأما دائرة السوء بالضم فلأن الذي أصابهم مكروه وشدة فصح أن
يقع عليه اسم السوء كقوله عز وعلا ان أراد بكم سوأ أو أراد بكم رحمة (شاهدا) تشهد على أمتك كقوله تعالى
ويكون الرسول عليكم شهيدا (لتؤمنوا) الضمير للناس (وتعزروه) وتقووه بالنصرة (وتوقروه) وتعظموه
(وتسبحوه) من التسبيح أو من السبحة والضمائر لله عز وجل والمراد بتعزير الله تعزير دينه ورسوله صلى الله
عليه وسلم ومن فرق الضمائر فقد أبعد * وقرئ لتؤمنوا وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بالتاء والخطاب لرسول
الله صلى الله عليه وسلم ولأمته * وقرئ وتعزروه بضم الزاي وكسرها وتعزروه بضم التاء والتخفيف وتعززوه
بالزايين وتوقروه من أوقره بمعنى وقره وتسبحوا الله (بكرة وأصيلا) عن ابن عباس رضي الله عنهما صلاة الفجر
وصلاة الظهر والعصر * لما قال (انما يبايعون الله) أكده تأكيدا على طريق التخييل فقال (يد الله فوق
أيديهم) يريد أن يد رسول الله التي تعلو أيدي المبايعين هي يد الله والله تعالى منزه عن الجوارح وعن صفات
الأجسام وانما المعنى تقرير أن عقد الميثاق مع الرسول كعقده مع الله من غير تفاوت بينهما كقوله تعالى من
يطع الرسول فقد أطاع الله والمراد بيعة الرضوان (فانما ينكث على نفسه) فلا يعود ضرر نكثه الا عليه قال
جابر بن عبد الله رضي الله عنه بايعنا رسول الله تحت الشجرة على الموت وعلى أن لا نفر فما نكث أحد منا
البيعة الا جد بن قيس وكان منافقا اختبأ تحت ابط بعيره ولم يسر مع القوم * وقرئ انما يبايعون لله أي
لأجل الله ولوجهه * وقرئ ينكث بضم الكاف وكسرها * وبما عاهد وعهد (فسنؤتيه) بالنون والياء
* يقال وفيت بالعهد وأوفيت به وهي لغة تهامة ومنها قوله تعالى أوفوا بالعقود والموفون بعهدهم * هم
الذين خلفوا عن الحديبية وهم أعراب غفار ومزينة وجهينة وأشجع وأسلم والديل وذلك أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم حين أراد المسير الى مكة عام الحديبية معتمرا استنفر من حول المدينة من الأعراب وأهل
البوادي ليخرجوا معه حذرا من قريش أن يعرضوا له بحرب أو يصدوه عن البيت وأحرم هو صلى الله عليه
وسلم وساق معه الهدي ليعلم أنه لا يريد حربا فتثاقل كثير من الأعراب وقالوا يذهب الى قوم قد غزوه في عقر
داره بالمدينة وقتلوا أصحابه فيقاتلهم وظنوا أنه يهلك فلا ينقلب الى المدينة واعتلوا بالشغل بأهاليهم
وأموالهم وأنه ليس لهم من يقوم بأشغالهم * وقرئ شغلتنا بالتشديد (يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم)
تكذيب لهم في اعتذارهم وأن الذي خلفهم ليس بما يقولون وانما هو الشك في الله والنفاق * وطلبهم

ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم ولله جنود السموات والأرض وكان الله عليما حكيما ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ويكفر عنهم سيئاتهم وكان ذلك عند الله فوزا عظيما ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيرا ولله جنود السموات والأرض وكان الله عزيزا حكيما انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلا ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فانما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما سيقول لك المخلفون من الأعراب شغلتنا أموالنا وأهلونا فاستغفر لنا يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم قل

على طريق التخييل الخ) قال أحمد كلام حسن بعد اسقاط لفظ التخييل وابداله بالتمثيل وقد تقدم أمثاله

* قوله تعالى ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم الى قوله لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما (قال فيه يجوز أن يكون جواب لولا محذوفا الخ) (٣٨٦) قال أحمد وإنما كان مرجعهما ههنا واحدا وإن كانت لولا تدل على امتناع لوجود ولو تدل على امتناع لامتناع وبين هذين تناف ظاهر لأن لولا ههنا دخلت على وجود ولو دخلت على قوله تزيلوا وهو راجع الى عدم وجودهم وامتناع عدم الوجود وجود فآلا الى أمر واحد من هذا الوجه وكان جدي رحمه الله يختار هذا الوجه الثاني ويسميه تطرية وأكثر ما تكون اذا تطاول الكلام وبعد عهد أوله واحتيج الى رد الآخر على الأول فمرة يطرى بلفظه ومرة بلفظ آخر يؤدي مؤداه وقد تقدمت لها أمثال والله أعلم وهو الموفق

مكة ولم يصالحوا وقيل من حلفاء أهل خيبر لغلبوا وانهزموا (سنة الله) في موضع المصدر المؤكد أي سن الله غلبة أنبيائه سنة وهو قوله تعالى لأغلبن أنا ورسلي (أيديهم) أيدي أهل مكة أي قضى بينهم وبينكم المكافة والمحاجزة بعد ما خولكم الظفر عليهم والغلبة وذلك يوم الفتح وبه استشهد أبو حنيفة رحمه الله على أن مكة فتحت عنوة لا صلحا وقيل كان ذلك في غزوة الحديبية لما روي أن عكرمة بن أبي جهل خرج في خمسمائة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم من هزمه وأدخله حيطان مكة وعن ابن عباس رضي الله عنه أظهر الله المسلمين عليهم بالحجارة حتى أدخلوهم البيوت * وقرئ تعملون بالتاء والياء * قرئ والهدى والهدي بتخفيف الياء وتشديدها وهو ما يهدى الى الكعبة بالنصب عطفا على الضمير المنصوب في صدوكم أي صدوكم وصدوا الهدى وبالجر عطفا على المسجد الحرام بمعنى وصدوكم عن نحر الهدى (معكوفا أن يبلغ محله) محبوسا عن أن يبلغ وبالرفع على وصد الهدى ومحله مكانه الذي يحل فيه نحره أي يجب وهذا دليل لأبي حنيفة على أن المحصر محل هديه الحرم (فإن قلت) فكيف حل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه وإنما نحرت هديهم بالحديبية (قلت) بعض الحديبية من الحرم وروي أن مضارب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت في الحل ومصلاه في الحرم (فإن قلت) فإذن قد نحر في الحرم فلم قيل معكوفا أن يبلغ محله (قلت) المراد المحل المعهود وهو منى (لم تعلموهم) صفة للرجال والنساء جميعا و(أن تطؤهم) بدل اشتمال منهم أو من الضمير المنصوب في تعلموهم * والمعرة مفعلة من عره بمعنى عراه اذا دهاه ما يكرهه ويشق عليه و(بغير علم) متعلق بأن تطؤهم يعني أن تطؤهم غير عالمين بهم والوطء والدوس عبارة عن الايقاع والابادة قال

ووطئتنا وطأ على حنق * وطء المقيد ثابت الهرم

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن آخر وطأة وطئها الله بوج والمعنى أنه كان بمكة قوم من المسلمين مختلطون بالمشركين غير متميزين منهم ولا معروفي الأماكن فقيل ولولا كراهة أن تهلكوا أناسا مؤمنين بين ظهراني المشركين وأنتم غير عارفين بهم فيصيبكم باهلاكهم مكروه ومشقة لما كف أيديكم عنهم وحذف جواب لولا لدلالة الكلام عليه ويجوز أن يكون لو تزيلوا كالتكرير للولا رجال مؤمنون لمرجعهما الى معنى واحد ويكون لعذبنا هو الجواب (فإن قلت) أي معرة تصيبهم اذا قتلوهم وهم لا يعلمون (قلت) يصيبهم وجوب الدية والكفارة وسوء قالة المشركين أنهم فعلوا بأهل دينهم مثل ما فعلوا بنا من غير تمييز والمأثم اذا جرى منهم بعض التقصير (فإن قلت) قوله تعالى (ليدخل الله في رحمته من يشاء) تعليل لماذا (قلت) لما دلت عليه الآية وسيقت له من كف الأيدي عن أهل مكة والمنع من قتلهم صونا لمن بين أظهرهم من المؤمنين كأنه قال كان الكف ومنع التعذيب ليدخل الله في رحمته أي في توفيقه لزيادة الخير والطاعة مؤمنيهم أو ليدخل في الاسلام من رغب فيه من مشركيهم (لو تزيلوا) لو تفرقوا وتميز بعضهم من بعض من زاله يزيله وقرئ لو تزايلوا (إذ) يجوز أن يعمل فيه ما قبله أي لعذبناهم أو صدوهم عن المسجد الحرام في ذلك الوقت وأن ينتصب باضمار اذكر * والمراد بحمية الذين كفروا وسكينة المؤمنين والحمية الأنفة والسكينة الوقار ما روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل بالحديبية بعثت قريش سهيل بن عمرو القرشي وحويطب بن عبد العزى ومكرز بن حفص بن الأخيف على أن يعرضوا على النبي صلى الله عليه وسلم أن يرجع من عامه ذلك على أن تخلي له قريش مكة من العام القابل ثلاثة أيام ففعل ذلك وكتبوا بينهم كتابا فقال عليه الصلاة والسلام لعلي رضي الله عنه اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل وأصحابه ما نعرف هذا ولكن اكتب باسمك اللهم ثم قال اكتب هذا ما صالح عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل مكة فقالوا لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله أهل مكة فقال عليه الصلاة
والسلام

سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم وكان الله بما تعملون بصيرا هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدى معكوفا أن يبلغ محله ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطؤهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم ليدخل الله في رحمته من يشاء لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وألزمهم

والسلام اكتب ما يريدون فأنا أشهد أني رسول الله وأنا محمد بن عبد الله فهم المسلمون أن يأبوا ذلك ويشمئزوا منه فأنزل الله على رسوله السكينة فتوقروا وحلموا و (كلمة التقوى) بسم الله الرحمن الرحيم ومحمد رسول الله قد اختارها الله لنبيه وللذين معه أهل الخير ومستحقيه ومن هم أولى بالهداية من غيرهم وقيل هي كلمة الشهادة وعن الحسن رضي الله عنه كلمة التقوى هي الوفاء بالعهد ومعنى إضافتها إلى التقوى أنها سبب التقوى وأساسها وقيل كلمة أهل التقوى * وفي مصحف الحرث بن سويد صاحب عبد الله وكانوا أهلها وأحق بها وهو الذي دفن مصحفه أيام الحجاج رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل خروجه إلى الحديبية كأنه وأصحابه قد دخلوا مكة آمنين وقد حلقوا وقصروا فقص الرؤيا على أصحابه ففرحوا واستبشروا وحسبوا أنهم داخلوها في عامهم وقالوا إن رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم حق فلما تأخر ذلك قال عبد الله بن أبي وعبد الله بن نفيل ورفاعة بن الحرث والله ما حلقنا ولا قصرنا ولا رأينا المسجد الحرام فنزلت ومعنى (صدق الله رسوله الرؤيا) صدقه في رؤياه ولم يكذبه تعالى الله عن الكذب وعن كل قبيح علوا كبيرا فحذف الجار وأوصل الفعل كقوله تعالى صدقوا ما عاهدوا الله عليه (فإن قلت) بم تعلق (بالحق) (قلت) إما بصدق أي صدقه فيما رأى وفي كونه وحصوله صدقا ملتبسا بالحق أي بالغرض الصحيح والحكمة البالغة وذلك ما فيه من الابتلاء والتمييز بين المؤمن المخلص وبين من في قلبه مرض ويجوز أن يتعلق بالرؤيا حالا منها أي صدقه الرؤيا ملتبسة بالحق على معنى أنها لم تكن من أضغاث الأحلام ويجوز أن يكون بالحق قسما إما بالحق الذي هو نقيض الباطل أو بالحق الذي هو من أسمائه و (لتدخلن) جوابه وعلى الأول هو جواب قسم محذوف (فإن قلت) ما وجه دخول (إن شاء الله) في إخبار الله عز وجل (قلت) فيه وجوه أن يعلق عدته بالمشيئة تعليما للعباد أن يقولوا في عداتهم مثل ذلك متأدبين بأدب الله ومقتدين بسنته وأن يريد لتدخلن جميعا إن شاء الله ولم يمت منكم أحد أو كان ذلك على لسان ملك فأدخل الملك إن شاء الله أو هي حكاية ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه وقص عليهم وقيل هو متعلق بآمنين (فعلم ما لم تعلموا) من الحكمة والصواب في تأخير فتح مكة إلى العام القابل (فجعل من دون ذلك) أي من دون فتح مكة (فتحا قريبا) وهو فتح خيبر لتستروح إليه قلوب المؤمنين إلى أن يتيسر الفتح الموعود (بالهدى ودين الحق) بدين الإسلام (ليظهره) ليعليه (على الدين كله) على جنس الدين كله يريد الأديان المختلفة من أديان المشركين والجاحدين من أهل الكتاب ولقد حقق ذلك سبحانه فإنك لا ترى دينا قط إلا وللإسلام دونه العز والغلبة وقيل هو عند نزول عيسى حين لا يبقى على وجه الأرض كافر وقيل هو إظهاره بالحجج والآيات وفي هذه الآية تأكيد لما وعد من الفتح وتوطين لنفوس المؤمنين على أن الله تعالى سيفتح لهم من البلاد ويقيض لهم من الغلبة على الأقاليم ما يستقلون إليه فتح مكة (وكفى بالله شهيدا) على أن ما وعده كائن عن الحسن رضي الله عنه شهد على نفسه أنه سيظهر دينك (محمد) الخبر مبتدأ أي هو محمد لتقدم قوله تعالى هو الذي أرسل رسوله وإما مبتدأ ورسول الله عطف بيان وعن ابن عامر أنه قرأ رسول الله بالنصب على المدح (والذين معه) أصحابه (أشداء على الكفار رحماء بينهم) جمع شديد ورحيم ونحوه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين وأغلظ عليهم بالمؤمنين رؤف رحيم وعن الحسن رضي الله عنه بلغ من تشددهم على الكفار أنهم كانوا يتحرزون من ثيابهم أن تلزق بثيابهم ومن أبدانهم أن تمس أبدانهم وبلغ من ترحمهم فيما بينهم أنه كان لا يرى مؤمن مؤمنا إلا صافحه وعانقه والمصافحة لم تختلف فيها الفقهاء وأما المعانقة فقد كرهها أبو حنيفة رحمه الله وكذلك التقبيل قال لا أحب أن يقبل الرجل من الرجل وجهه ولا يده ولا شيئا من جسده وقد رخص أبو يوسف في المعانقة ومن حق المسلمين في كل زمان أن يراعوا هذا التشدد وهذا التعطف فيتشددوا على من ليس على ملتهم ودينهم ويتحاموه ويعاشروا إخوتهم في الإسلام متعطفين بالبر والصلة وكف الأذى والمعونة والاحتمال والأخلاق الحسنة ووجه من قرأ أشداء ورحماء بالنصب أن ينصبهما على المدح أو على الحال بالمقدر في معه ويجعل تراهم الخبر (سيماهم) علامتهم وقرئ سيمياؤهم وفيها ثلاث لغات هاتان والسيمياء والمراد بها السمة التي تحدث في جبهة السجاد من كثرة السجود وقوله تعالى

كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها وكان الله بكل شيء عليما لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم

(من أثر السجود) يفسرها أي من التأثير الذي يؤثره السجود وكان كل من العليين علي بن الحسين زين العابدين وعلي بن عبد الله بن عباس أبي الاملاك يقال له ذو الثفنات لان كثرة سجودهما أحدثت في مواقعه منهما أشباه ثفنات البعير وقرئ من أثر السجود ومن آثار السجود وكذا عن سعيد بن جبير هي السمة في الوجه (فان قلت) فقد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم لا تعلبوا صوركم وعن ابن عمر رضي الله عنه أنه رأى رجلا قد أثر في وجهه السجود فقال ان صورة وجهك أنفك فلا تعلب وجهك ولا تشن صورتك (قلت) ذلك اذا اعتمد بجبهته على الارض لتحدث فيه تلك السمة وذلك رياء ونفاق يستعاذ بالله منه ونحن فيما حدث في جبهة السجاد الذي لا يسجد الا خالصا لوجه الله تعالى وعن بعض المتقدمين كنا نصلي فلا يرى بين أعيننا شيء ونرى أحدنا الآن يصلي فيرى بين عينيه ركبة البعير فما ندري أثقلت الارؤس أم خشنت الارض وانما أراد بذلك من تعمد ذلك للنفاق وقيل هو صفرة الوجه من خشية الله وعن الضحاك ليس بالندب في الوجوه ولكنه صفرة وعن سعيد بن المسيب ندى الطهور وتراب الارض وعن عطاء رحمه الله استنارت وجوههم من طول ما صلوا بالليل كقوله من كثر صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار (ذلك) الوصف (مثلهم) أي وصفهم العجيب الشأن في الكتابين جميعا ثم ابتدأ فقال (كزرع) يريد هم كزرع وقيل تم الكلام عند قوله ذلك مثلهم في التوراة ثم ابتدئ ومثلهم في الانجيل كزرع ويجوز أن يكون ذلك اشارة مبهمة أوضحت بقوله كزرع أخرج شطأه كقوله تعالى وقضينا اليه ذلك الامر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين * وقرئ الانجيل بفتح الهمزة (شطأه) فراخه يقال أشطأ الزرع اذا فرخ وقرئ شطأه بفتح الطاء وشطاه بتخفيف الهمزة وشطاءه بالمد وشطه بحذف الهمزة ونقل حركتها الى ما قبلها وشطوه بقلبها واوا (فآزره) من المؤازرة وهي المعاونة وعن الاخفش أنه أفعل وقرئ فأزره بالتخفيف والتشديد أي فشد أزره وقواه ومن جعل آزر أفعل فهو في معنى القراءتين (فاستغلظ) فصار من الدقة الى الغلظ (فاستوى على سوقه) فاستقام على قصبه جمع ساق وقيل مكتوب في الانجيل سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وعن عكرمة أخرج شطأه بأبي بكر فآزره بعمر فاستغلظ بعثمان فاستوى على سوقه بعلي وهذا مثل ضربه الله لبدء أمر الاسلام وترقيه في الزيادة الى أن قوي واستحكم لان النبي صلى الله عليه وسلم قام وحده ثم قواه الله بمن آمن معه كما يتقوى الطاقة الاولى من الزرع ما يحتف بها مما يتولد منها حتى يعجب الزراع (فان قلت) قوله (ليغيظ بهم الكفار) تعليل لماذا (قلت) لما دل عليه تشبيههم بالزرع من نمائهم وترقيهم في الزيادة والقوة ويجوز أن يعلل به (وعد الله الذين آمنوا) لان الكفار اذا سمعوا بما أعد لهم في الآخرة مع ما يعزهم به في الدنيا غاظهم ذلك ومعنى (منهم) البيان كقوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفتح فكأنما كان ممن شهد مع محمد فتح مكة

﴿سورة الحجرات مدنية وهي ثمان عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* قدمه وأقدمه منقولان بتثقيل الحشو والهمزة من قدمه اذا تقدمه في قوله تعالى يقدم قومه ونظيرهما معنى ونقلا سلفه وأسلفه وفي قوله تعالى (لا تقدموا) من غير ذكر مفعول وجهان أحدهما أن يحذف ليتناول كل ما يقع في النفس مما يقدم والثاني أن لا يقصد قصد مفعول ولا حذفه ويتوجه بالنهي الى نفس التقدمة كأنه قيل لا تقدموا على التلبس بهذا الفعل ولا تجعلوه منكم بسبيل كقوله تعالى هو الذي يحيي ويميت ويجوز أن يكون من قدم بمعنى تقدم كوجه وبين ومنه مقدمة الجيش خلاف ساقته وهي الجماعة المتقدمة منه وتعضده قراءة من قرأ لا تقدموا بحذف احدى تاءي تتقدموا الا أن الاول أملأ بالحسن وأوجه وأشد

فاسق بنبأ (ذكر فيه من النكت انه تعالى ابتدأ السورة بايجاب أن يكون الامر الذي ينتمي الى الله ورسوله متقدما على الامور كلها من غير تقييد ولا تخصيص) قال أحمد يريد انه لم يذكر المفعول

من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما

﴿سورة الحجرات مدنية وهي ثمان عشرة آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله

الذي يقتضيه تقدموا باطراح ذلك المفعول كقوله يحيي ويميت وعلى الكلام مجاز التمثيل في قوله بين يدي الله ورسوله فائدة ليست في الكلام العريان وهو تصوير الهجنة والشناعة فيما نهوا عنه من الاقدام على أمر دون الاحتذاء على أمثلة الكتاب والسنة وجعل صور ذلك المنهي عنه مثل أن يجلس العبد في الجهتين المسامتتين ليمين سيده ملاءمة
ويساره ويوليه دبره ومعناه أن لا تقدموا على أمر حتى يأذن الله ورسوله فيه فتكونوا مقتدين فيما تأتون وتذرون بكتاب الله وسنة نبيه

ملاءمة لبلاغة القرآن والعلماء له أقبل وقرئ لا تقدموا من القدوم أي لا تقدموا إلى أمر من أمور الدين
قبل قدومهما ولا تعجلوا عليهما * وحقيقة قولهم جلست بين يدي فلان أن يجلس بين الجهتين المسامتتين
ليمينه وشماله قريبا منه فسميت الجهتان يدين لكونهما على سمت اليدين مع القرب منهما توسعا كما يسمى
الشيء باسم غيره إذا جاوره وداناه في غير موضع وقد جرت هذه العبارة ههنا على سنن ضرب من المجاز وهو
الذي يسميه أهل البيان تمثيلا ولجريها هكذا فائدة جليلة ليست في الكلام العريان وهي تصوير الهجنة
والشناعة فيما نهوا عنه من الإقدام على أمر من الأمور دون الاحتذاء على أمثلة الكتاب والسنة والمعنى
أن لا تقطعوا أمرا إلا بعد ما يحكمان به ويأذنان فيه فتكونوا إما عاملين بالوحي المنزل وإما مقتدين برسول الله
صلى الله عليه وسلم وعليه يدور تفسير ابن عباس رضي الله عنه وعن مجاهد لا تفتاتوا على الله شيأ حتى يقصه على
لسان رسوله ويجوز أن يجري مجرى قولك سرني زيد وحسن حاله وأعجبت بعمرو وكرمه وفائدة هذا الأسلوب
الدلالة على قوة الاختصاص ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من الله بالمكان الذي لا يخفى سلك به ذلك
المسلك وفي هذا تمهيد وتوطئة لما نقم منهم فيما يتلوه من رفع أصواتهم فوق صوته لأن من أحظاه الله بهذه
الأثرة واختصه هذا الاختصاص القوي كان أدنى ما يجب له من التهيب والإجلال أن يخفض بين يديه
الصوت ويخافت لديه بالكلام وقيل بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تهامة سرية سبعة وعشرين
رجلا وعليهم المنذر بن عمرو الساعدي فقتلهم بنو عامر وعليهم عامر بن الطفيل إلا ثلاثة نفر نجوا فلقوا
رجلين من بني سليم قرب المدينة فاعتزيا لهم إلى بني عامر لأنهم أعز من بني سليم فقتلوهما وسلبوهما ثم أتوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بئسما صنعتم كانا من سليم والسلب ما كسوتهما فوداهما رسول الله صلى
الله عليه وسلم ونزلت أي لا تعملوا شيأ من ذات أنفسكم حتى تستأمروا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن
مسروق دخلت على عائشة في اليوم الذي يشك فيه فقالت للجارية اسقيه عسلا فقلت إني صائم فقالت قد
نهى الله عن صوم هذا اليوم وفيه نزلت وعن الحسن أن أناسا ذبحوا يوم الأضحى قبل الصلاة فنزلت وأمرهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعيدوا ذبحا آخر وهو مذهب أبي حنيفة رحمه الله إلا أن تزول الشمس
وعند الشافعي يجوز الذبح إذا مضى من الوقت مقدار الصلاة وعن الحسن أيضا لما استقر رسول الله صلى
الله عليه وسلم بالمدينة أتته الوفود من الآفاق فأكثروا عليه بالمسائل فنهوا أن يبتدؤه بالمسألة حتى يكون هو
المبتدئ وعن قتادة ذكر لنا أن ناسا كانوا يقولون لو أنزل في كذا لكان كذا فكره الله ذلك منهم وأنزلها وقيل هي
عامة في كل قول وفعل ويدخل فيه أنه إذا جرت مسئلة في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يسبقوه
بالجواب وأن لا يمشي بين يديه إلا لحاجة وأن يستأني في الافتتاح بالطعام (واتقوا الله) فإنكم إن اتقيتموه
عاقتكم التقوى عن التقدمة المنهي عنها وعن جميع ما تقتضي مراقبة الله تجنبه فإن التقي حذر لا يشافه
أمرا إلا عن ارتفاع الريب وانجلاء الشك في أن لا تبعة عليه فيه وهذا كما تقول لمن يقارف بعض الرذائل
لا تفعل هذا وتحفظ مما يلصق بك العار فتنهاه أولا عن عين ما قارفه ثم تعم وتشيع وتأمره بما لو امتثل فيه أمرك
لم يرتكب تلك الفعلة وكل ما يضرب في طريقها ويتعلق بسببها (إن الله سميع) لما تقولون (عليم) بما تعملون
وحق مثله أن يتقى ويراقب * إعادة النداء عليهم استدعاء منهم لتجديد الاستبصار عند كل خطاب وارد
وتطرية الإنصات لكل حكم نازل وتحريك منهم لئلا يفتروا ويغفلوا عن تأملهم وما أخذوا به عند حضور
مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأدب الذي المحافظة عليه تعود عليهم بعظيم الجدوى في دينهم وذلك
لأن في إعظام صاحب الشرع إعظاما لما ورد به ومستعظم الحق لا يدعه استعظامه أن يألو عملا بما يحدوه
عليه وارتداعا عما يصده عنه وانتهاء إلى كل خير والمراد بقوله (لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي) أنه إذا
نطق ونطقتم فعليكم أن لا تبلغوا بأصواتكم وراء الحد الذي يبلغه بصوته وأن تغضوا منها بحيث يكون كلامه
عاليا لكلامكم وجهره باهرا لجهركم حتى تكون مزيته عليكم لائحة وسابقته واضحة وامتيازه عن جمهوركم
كشية الأبلق غير خاف لا أن تغمروا صوته بلغطكم وتبهروا منطقه بصخبكم * وبقوله ولا تجهروا له بالقول

واتقوا الله إن الله سميع عليم يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي

* قال وقوله واتقوا الله على أثر ذلك بمنزلة قولك للمقارف بعض الرذائل لا تفعل هذا وتحفظ مما يلصق العار بك فتنهاه أولا عن عين ما قارفه ثم تعم وتشيع وتأمره بما لو امتثل أمرك فيه لم يرتكب تلك الفاعلة وكل ما يضرب في طريقها ويتعلق بسببها * وقوله إن الله سميع عليم أي فحقيق أن يتقى ويراقب وقوله لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي جدد النداء عليهم استدعاء لتجديد الاستبصار والتيقظ والتنبه عند كل خطاب وارد وتطرية الإنصات منهم لكل حكم نازل * وقوله لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي أي إذا نطق ونطقتم فلتكن أصواتكم قاصرة عن الحد الذي يبلغه صوته ليكون عاليا

على كلامكم وجهره باهرا لجهركم لا أن تغمروا أصواتكم بلفظكم وتبهروا منطقه بمنطقكم * وقوله ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أي اذا كان صامتا فابتدأتموه (٣٩٠) بالخطاب فإياكم والعدول عما نهيتم عنه من رفع أصواتكم بل عليكم أن لا تبلغوا به الجهر الدائر بينكم * قال ولا يتناول النهي الرفع الذي لا يتأذى به رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ما كان بينهم في حرب أو مجادلة معاند أو ارهاب عدو ونحوه ففي الحديث أنه قال للعباس وكان أجهر الناس صوتا لما انهزم الناس يوم حنين اصرخ بالناس ويروى من جهارة صوت العباس أنه

ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون ان الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك

صاح في غارة يا صباحاه فأسقطت الحوامل وفيه يقول نابغة بني جعدة زجر أبي عروة السباع اذا أشفق أن يختلطن بالغنم وزعمت الرواة أنه كان يزجر السباع عن الغنم فيفتق مرارة السبع في جوفه * قوله تعالى أن تحبط أعمالكم (قال) فيه أنه مفعول له ومتعلقه اما معنى النهي كأنه قال انتهوا كراهية حبوط أعمالكم على حذف مضاف كقوله يبين الله لكم أن تضلوا وأما نفس الفعل فهو المنهي عنه على معنى أعمالكم تنزيل صورة الجهر المنهي عنه الى الحبوط منزلة جعل الحبوط علة في الجهر على التمثيل من وادي ليكون لهم عدوا وحزنا قال وتلخيص الفرق بينهما ان الفعل في الثاني بعد استتمام المفعول من أجله الى الفعل الاول الخ) قال أحمد هو يحوم على شرعته ويشد ابالة ورودها

أنكم اذا كلمتموه وهو صامت فإياكم والعدول عما نهيتم عنه من رفع الصوت بل عليكم أن لا تبلغوا به الجهر الدائر بينكم وأن تعمدوا في مخاطبته القول اللين المقرب من الهمس الذي يضاد الجهر كما تكون مخاطبة المهيب المعظم عاملين بقوله عز اسمه وتعزروه وتوقروه وقيل معنى (ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض) لا تقولوا له يا محمد يا أحمد وخاطبوه بالنبوة قال ابن عباس لما نزلت هذه الآية قال أبو بكر رضي الله عنه يا رسول الله والله لا أكلمك الا السرار أو أخا السرار حتى ألقى الله وعن عمر رضي الله عنه أنه كان يكلم النبي صلى الله عليه وسلم كأخي السرار لا يسمعه حتى يستفهمه وكان أبو بكر اذا قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد أرسل اليهم من يعلمهم كيف يسلمون ويأمرهم بالسكينة والوقار عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس الغرض برفع الصوت ولا الجهر ما يقصد به الاستخفاف والاستهانة لان ذلك كفر والمخاطبون مؤمنون وانما الغرض صوت هو في نفسه والمسموع من جرسه غير مناسب لما يهاب به العظماء ويوقر الكبراء فيتكلف الغض منه ورده الى حد يميل به الى ما يستبين فيه المأمور به من التعزير والتوقير ولم يتناول النهي أيضا رفع الصوت الذي لا يتأذى به رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ما كان منهم في حرب أو مجادلة معاند أو ارهاب عدو أو ما أشبه ذلك ففي الحديث أنه قال عليه الصلاة والسلام للعباس بن عبد المطلب لما انهزم الناس يوم حنين اصرخ بالناس وكان العباس أجهر الناس صوتا يروى أن غارة أتتهم يوما فصاح العباس يا صباحاه فأسقطت الحوامل لشدة صوته وفيه يقول نابغة بني جعدة

زجر أبي عروة السباع اذا * أشفق أن يختلطن بالغنم

زعمت الرواة أنه كان يزجر السباع عن الغنم فيفتق مرارة السبع في جوفه وفي قراءة ابن مسعود لا ترفعوا بأصواتكم والباء مزيدة محذو بها حذو التشديد في قول الأعلم الهذلي

رفعت عيني بالحجا * ز الى أناس بالمناقب

وليس المعنى في هذه القراءة أنهم نهوا عن الرفع الشديد تخيلا أن يكون ما دون الشديد مسوغا لهم ولكن المعنى نهيهم عما كانوا عليه من الجلبة واستجفاؤهم فيما كانوا يفعلون وعن ابن عباس نزلت في ثابت بن قيس بن شماس وكان في أذنه وقر وكان جهوري الصوت فكان اذا تكلم رفع صوته وربما كان يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيتأذى بصوته وعن أنس أن هذه الآية لما نزلت فقد ثابت فتفقده رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبر بشأنه فدعاه فسأله فقال يا رسول الله لقد أنزلت اليك هذه الآية واني رجل جهير الصوت فأخاف أن يكون عملي قد حبط فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لست هناك انك تعيش بخير وتموت بخير وانك من أهل الجنة وأما ما يروى عن الحسن أنها نزلت فيمن كان يرفع صوته من المنافقين فوق صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم فمحمله والخطاب للمؤمنين على أن ينهى المؤمنون ليندرج المنافقون تحت النهي ليكون الأمر أغلظ عليهم وأشق وقيل كان المنافقون يرفعون أصواتهم ليظهروا قلة مبالاتهم فيقتدي بهم ضعفة المسلمين وكاف التشبيه في محل النصب أي لا تجهروا له جهرا مثل جهر بعضكم لبعض وفي هذا أنهم لم ينهوا عن الجهر مطلقا حتى لا يسوغ لهم أن يكلموه الا بالهمس والمخافتة وانما نهوا عن جهر مخصوص مقيد بصفة أعني الجهر المنعوت بمماثلة ما قد اعتادوه منه فيما بينهم وهو الخلو من مراعاة أبهة النبوة وجلالة مقدارها وانحطاط سائر الرتب وان جلت عن رتبتها (أن تحبط أعمالكم) منصوب الموضع على أنه مفعول له وفي متعلقه وجهان أحدهما أن يتعلق بمعنى النهي فيكون المعنى انتهوا عما نهيتم عنه لحبوط

وذلك انه معتقد أن ما دون الكفر ولو كبيرة واحدة تحبط العمل وتوجب الخلود في العذاب المقيم وتخرج المؤمن من اسم الايمان وربقته ومعاذ الله من هذا المعتقد فعليك بعقيدة أهل السنة الموهدة في مواضع من هذا المجموع بفوائد المعتمد بها وهي اعتقاد ان المؤمن لا يخلد في النار وان الجنة له بوعد الله حتم ولو كانت خطاياه ما دون الشرك أو ما يؤدي كزبد البحر وانه لا يحبط حسنة سيئة طارئة كائنة ما كانت سوى الشرك والزمخشري اغتنم الفرصة في ظاهر هذه الآية فنزلها على معتقده ووجه ظهورها فيما يتعمه أن رفع الصوت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم معصية لا تبلغ الشرك وقد أخاف الله عباده من احباطه الاعمال بها ولو كان الاحباط مقطوعا بقبيله لم تستقم الاخافة به وأنى له أن يبلغ من ذلك آماله ونظم الكلام يأباه عند البصير عناه (٣٩١) فنقول المراد في الآية النهي عن رفع الصوت على الاطلاق ومعلوم أن حكم النهي الحذر مما يتوقع في ذلك من ايذاء النبي عليه السلام والقاعدة المختارة أن ايذاءه عليه الصلاة والسلام يبلغ مبلغ الكفر المحبط للعمل باتفاق فورد النهي عما هو مظنة لاذى النبي عليه الصلاة والسلام سواء وجد هذا المعنى أولا حماية للذريعة وحسما للمادة ثم لما كان هذا النهي عنه وهو رفع الصوت منقسما الى ما يبلغ ذلك المبلغ أولا ولا دليل يميز أحد القسمين عن الآخر لزم المكلف أن يكف عن ذلك مطلقا وخوف أن يقع فيما هو محبط للعمل وهو البالغ حد الايذاء اذ لا دليل ظاهر يميزه وان كان فلا يتفق تمييزه في كثير من الاحيان والى التباس أحد القسمين بالآخر وقعت الاشارة بقوله أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون والا فلو كان الامر على ما يعتقده الزمخشري لم يكن لقوله وأنتم لا تشعرون موقع اذ الامر بين أن يكون رفع الصوت مؤذيا فيكون كفرا محبطا قطعا وبين أن يكون غير مؤذ فيكون كبيرة محبطة على رأيه قطعا فعلى كلا حاليه الاحباط به محقق اذا فلا موقع لادغام الكلام بعدم الشعور مع ان الشعور ثابت مطلقا والله أعلم وهذا التقرير الذي ذكرته يدور على مقدمتين كلتاهما صحيحة احداهما ان رفع الصوت من جنس ما يحصل به الايذاء وهذا أمر يشهد به النقل والمشاهدة الآن حتى ان الشيخ ليتأذى برفع التلميذ صوته بين يديه فكيف برتبة النبوة وما يستحقه من الاجلال والاعظام المقدمة الاخرى ان ايذاء النبي صلى الله عليه وسلم كفر وهذا أمر ثابت قد نص عليه أئمتنا وأفتوا بقتل من تعرض لذلك كفرا ولا تقبل توبته فأنا أعظم عند الله قوا كبر والله الموفق

الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم

أعمالكم أي نشبه حبوطها على تقدير حذف المضاف كقوله تعالى يبين الله لكم أن تضلوا والثاني أن يتعلق بنفس الفعل ويكون المعنى أنهم نهوا عن الفعل الذي فعلوه لاجل الحبوط لانه لما كان بصدد الاداء الى الحبوط جعل كأنه فعل لاجله وكأنه العلة والسبب في ايجاده على سبيل التمثيل كقوله تعالى ليكون لهم عدوا (فان قلت) لخص الفرق بين الوجهين (قلت) تلخيصه أن يقدر الفعل في الثاني مضموما اليه المفعول له كأنهما شئ واحد ثم يصب النهي عليهما جميعا صبا وفي الاول يقدر النهي موجها على الفعل على حياله ثم يعلل له منهيا عنه (فان قلت) بأي النهيين تعلق المفعول له (قلت) بالثاني عند البصريين مقدرا اضماره عند الاول كقوله تعالى آتوني أفرغ عليه قطرا وبالعكس عند الكوفيين وأيهما كان فرجع المعنى الى أن الرفع والجهر كلاهما منصوص اداؤه الى حبوط العمل وقراءة ابن مسعود فتحبط أعمالكم أظهر نصا بذلك لان ما بعد الفاء لا يكون الا مسببا عما قبله فيتنزل الحبوط من الجهر منزلة الحلول من الطغيان في قوله تعالى فيحل عليكم غضبي والحبوط من حبطت الابل اذا أكلت الخضر فنفخ بطونها وربما هلكت ومنه قوله عليه الصلاة والسلام وان مما ينبت الربيع لما يقتل حبطا أو يلم ومن أخواته حبجت الابل اذا أكلت العرفج فأصابها ذلك وأحبض عمله مثل أحبطه وحبط الجرح وحبر اذا غفر وهو نكسه وتراميه الى الفساد جعل العمل السيئ في اضراره بالعمل الصالح كالداء والمرض الذي يصاب به أعاذنا الله من حبط الاعمال وخيبة الآمال وقد دلت الآية على أمرين هائلين أحدهما أن فيما يرتكب من يؤمن من الآثام ما يحبط عمله والثاني أن في آثامه ما لا يدري أنه محبط ولعله عند الله كذلك فعلى المؤمن أن يكون في تقواه كالماشي في طريق شائك لا يزال يحترز ويتوقى ويتحفظ (امتحن الله قلوبهم للتقوى) من قولك امتحن فلان لامر كذا وجرب له ودرب للنهوض به فهو مضطلع به غير وان عنه والمعنى أنهم صبر على التقوى أقوياء على احتمال مشاقها أو وضع الامتحان موضع المعرفة لان تحقق الشئ باختباره كما يوضع الخبر موضعها فكأنه قيل عرف الله قلوبهم للتقوى وتكون اللام متعلقة بمحذوف واللام هي التي في قولك أنت لهذا الامر أي كائن له ومختص به قال * أنت لها أحمد من بين البشر * أعداء من اليعملات على الوجى * وهي مع معمولها منصوبة على الحال أو ضرب الله قلوبهم بأنواع المحن والتكاليف الصعبة لاجل التقوى أي لتثبت وتظهر تقواها ويعلم أنهم متقون لان حقيقة التقوى لا تعلم الا عند المحن والشدائد والاصطبار عليها وقيل أخلصها للتقوى من قولهم امتحن الذهب وفتنه اذا أذابه فخلص ابريزه من خبثه ونقاه وعن عمر رضي الله عنه أذهب الشهوات عنها والامتحان افتعال من محنه وهو اختبار بليغ أو بلاء جهيد قال أبو عمرو كل شئ جهدته فقد محنته وأنشد

أتت رذايا باديا كلالها * قد محنت واضطربت آطالها

قيل أنزلت في الشيخين رضي الله عنهما لما كان منهما من غض الصوت والبلوغ به أخا السرار وهذه الآية بنظمها الذي رتبت عليه من ايقاع الغاضين أصواتهم اسما لان المؤكدة وتصيير خبرها جملة من مبتدأ وخبر معرفتين معا والمبتدأ اسم الاشارة واستئناف الجملة المستودعة ما هو جزاؤهم على عملهم وايراد الجزاء نكرة مبهما أمره ناظرة في الدلالة على غاية الاعتداد والارتضاء لما فعل الذين وقروا رسول الله صلى الله عليه وسلم من خفض أصواتهم وفي الاعلام بمبلغ عزة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدر شرف منزلته وفيها تعريض بعظيم ما ارتكب الرافعون أصواتهم واستيجابهم ضد ما استوجب هؤلاء والوراء الجهة التي يواريها عنك الشخص بظله من خلف أو قدام ومن لابتداء الغاية وأن المناداة نشأت من ذلك المكان (فان قلت) أفرق بين الكلامين بين ما ثبتت فيه وما سقطت عنه (قلت) الفرق بينهما أن المنادى والمنادي في أحدهما يجوز أن يجمعهما الوراء وفي الثاني لا يجوز لان الوراء تصير بدخول من مبتدأ الغاية ولا يجتمع على الجهة الواحدة أن تكون مبتدأ ومنتهى لفعل واحد والذي يقول ناداني فلان من وراء الدار لا يريد وجه الدار ولا دبرها ولكن أي قطر من أقطارها الظاهرة كان مطلقا بغير تعيين واختصاص والانكار لم يتوجه عليهم من قبل أن النداء وقع منهم في أدبار الحجرات أو في وجوهها وانما أنكر عليهم أنهم نادوه من البر والخارج مناداة الاجلاف بعضهم لبعض من غير قصد الى جهة دون جهة والحجرة الرقعة من الارض المحجورة بحائط يحوط عليها وحظيرة الابل تسمى الحجرة وهي فعلة بمعنى مفعولة كالغرفة والقبضة وجمعها الحجرات بضمتين والحجرات بفتح الجيم والحجرات بتسكينها وقرئ بهن جميعا والمراد حجرات نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت لكل واحدة منهن حجرة ومناداتهم من ورائها يحتمل أنهم قد تفرقوا على الحجرات متطلبين له فناداه بعض من وراء هذه وبعض من وراء تلك وأنهم قد أتوها حجرة حجرة فنادوه من ورائها وأنهم نادوه من وراء الحجرة التي كان فيها ولكنها جمعت اجلالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولمكان حرمته والفعل وان كان مسندا الى جميعهم فانه يجوز أن يتولاه بعضهم وكان الباقون راضين فكأنهم تولوه جميعا فقد ذكر الاصم أن الذي ناداه عيينة بن حصن والاقرع بن حابس والاخبار عن أكثرهم بأنهم لا يعقلون يحتمل أن يكون فيهم من قصد استثناؤه ويحتمل أن يكون الحكم بقلة العقلاء فيهم قصدا الى نفي أن يكون فيهم من يعقل فان القلة تقع موقع النفي في كلامهم وروي أن وفد بني تميم أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت الظهيرة وهو راقد فجعلوا ينادونه يا محمد اخرج الينا فاستيقظ فخرج ونزلت وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم فقال هم جفاة بني تميم لولا أنهم من أشد الناس قتالا للاعور الدجال لدعوت الله عليهم أن يهلكهم فورود الآية على النمط الذي وردت عليه فيه ما لا يخفى على الناظر من بينات اكبار محل رسول الله صلى الله عليه وسلم واجلاله منها مجيئها على النظم المسجل على الصائحين به بالسفه والجهل لما أقدموا عليه ومنها لفظ الحجرات وايقاعها كناية عن موضع خلوته ومقيله مع بعض نسائه ومنها المرور على لفظها بالاقتصار على القدر الذي تبين به ما استنكر عليهم ومنها التعريف باللام دون الاضافة ومنها أن شفع ذمهم باستجفائهم واستركاك عقولهم وقلة ضبطهم لمواضع التمييز في المخاطبات تهوينا للخطب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتسلية له واماطة لما تداخله من ايحاش تعجرفهم وسوء أدبهم وهلم جرا من أول السورة الى آخر هذه الآية فتأمل كيف ابتدئ بايجاب أن تكون الامور التي تنتمي الى الله ورسوله متقدمة على الامور كلها من غير حصر ولا تقييد ثم أردف ذلك النهي عما هو من جنس التقديم من رفع الصوت والجهر كأن الاول بساط للثاني ووطاء لذكره ثم ذكر ما هو ثناء على الذين تحاموا ذلك فغضوا أصواتهم دلالة على عظيم موقعه عند الله ثم جيء على عقب ذلك بما هو أطم وهجنته أتم من الصياح برسول الله صلى الله عليه وسلم في حال خلوته ببعض حرماته من وراء الجدر كما يصاح بأهون الناس قدرا لينبه على فظاعة ما أجروا اليه وجسروا عليه لان من رفع الله قدره عن أن يجهر له بالقول حتى خاطبه جلة المهاجرين والانصار بأخي السرار كان صنيع هؤلاء من المنكر الذي بلغ من التفاحش مبلغا ومن هذا وأمثاله يقتطف ثمر الالباب وتقتبس محاسن الآداب كما يحكى عن أبي عبيد ومكانه من العلم والزهد وثقة الرواية ما لا

ان الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون

---

* قوله تعالى ان الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون (قال فيه الوراء الجهة التي يواريها عنك الشخص بظله من خلف أو قدام الخ) قال أحمد ولقد اغتر بعضهم في تبكيت بني تميم بما لا تساعده عليه الآية فانها نزلت في المتولين لمناداته عليه الصلاة والسلام أو في الحاضرين حينئذ الراضين بفعل المنادين له وقد سئل عليه الصلاة والسلام عنهم فقال هم جفاة بني تميم وعلى الجملة ولا تزر وازرة وزر أخرى فكيف يسوغ اطلاق اللسان بالسوء في حق أمة عظيمة لان واحدا منهم أو اثنين ارتكب جهالة وجفاء فقد ورد ان المنادي له عليه السلام هو الاقرع هذا مع توارد الاحاديث في فضائل تميم وتعاظمها وجوه الكتب الصحاح

* عاد كلامه (قال وتأمل نظم الآية ومجيئها على النمط المسجل على الصائحين الخ)

* قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين (قال فيه نكر فاسقا ونبأ لقصد الشياع فكأنه قيل أي فاسق جاء بأي نبإ) قال أحمد تسامح بلفظ الشياع والمراد الشمول لأن النكرة إذا وقعت في سياق الشرط تعم كما إذا وقعت في سياق النفي والله أعلم * عاد كلامه قال وعدل عن إذا إلى أن لأن مجيء الفاسق

بالكذب لرسول الله ولأصحابه مما يندر الخ * قوله تعالى واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم ولكن الله حبب إليكم الإيمان الآية (قال فيه الجملة المصدرة بلو لا تكون مستأنفة لأدائه إلى تنافر النظم الخ) قال أحمد من جملة هنات المعتزلة تلهم على عثمان

ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيرا لهم والله غفور رحيم يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الأمر

يعني أنه قال ما دققت بابا على عالم قط حتى يخرج في وقت خروجه (أنهم صبروا) في موضع الرفع على الفاعلية لأن المعنى ولو ثبت صبرهم والصبر حبس النفس عن أن تنازع إلى هواها قال الله تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم وقولهم صبر عن كذا محذوف منه المفعول وهو النفس وهو حبس فيه شدة ومشقة على المحبوس فلهذا قيل للحبس على اليمين أو القتل صبر وفي كلام بعضهم الصبر مر لا يتجرعه إلا حر (فإن قلت) هل من فرق بين (حتى تخرج) وإلى أن تخرج (قلت) إن حتى مختصة بالغاية المضروبة تقول أكلت السمكة حتى رأسها ولو قلت حتى نصفها أو صدرها لم يجز وإلى عامة في كل غاية فقد أفادت حتى بوضعها أن خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم غاية قد ضربت لصبرهم فما كان لهم أن يقطعوا أمرا دون الانتهاء إليه (فإن قلت) فأي فائدة في قوله (إليهم) (قلت) فيه أنه لو خرج ولم يكن خروجه إليهم ولأجلهم للزمهم أن يصبروا إلى أن يعلموا أن خروجه إليهم (لكان خيرا لهم) في كان إما ضمير فاعل الفعل المضمر بعد لو وإما ضمير مصدر صبروا كقولهم من كذب كان شرا له (والله غفور رحيم) بليغ الغفران والرحمة واسعهما فلن يضيق غفرانه ورحمته عن هؤلاء إن تابوا وأنابوا * بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الوليد بن عقبة أخا عثمان لأمه وهو الذي ولاه عثمان الكوفة بعد سعد بن أبي وقاص فصلى بالناس وهو سكران صلاة الفجر أربعا ثم قال هل أزيدكم فعزله عثمان عنهم مصدقا إلى بني المصطلق وكانت بينه وبينهم إحنة فلما شارف ديارهم ركبوا مستقبلين له فحسبهم مقاتليه فرجع وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم قد ارتدوا ومنعوا الزكاة فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم أن يغزوهم فبلغ القوم فوردوا وقالوا نعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله فاتهمهم فقال لتنتهن أو لأبعثن إليكم رجلا هو عندي كنفسي يقاتل مقاتلتكم ويسبي ذراريكم ثم ضرب بيده على كتف علي رضي الله عنه وقيل بعث إليهم خالد بن الوليد فوجدهم منادين بالصلوات متهجدين فسلموا إليه الصدقات فرجع * وفي تنكير الفاسق والنبإ شياع في الفساق والأنباء كأنه قال أي فاسق جاءكم بأي نبإ فتوقفوا فيه وتطلبوا بيان الأمر وانكشاف الحقيقة ولا تعتمدوا قول الفاسق لأن من لا يتحامى جنس الفسوق لا يتحامى الكذب الذي هو نوع منه والفسوق الخروج من الشيء والانسلاخ منه يقال فسقت الرطبة عن قشرها ومن مقلوبه فقست البيضة إذا كسرتها وأخرجت ما فيها ومن مقلوبه أيضا قفست الشيء إذا أخرجته عن يد مالكه مغتصبا له عليه ثم استعمل في الخروج عن القصد والانسلاخ من الحق قال رؤبة

فواسقا عن قصدها جوائرا

وقرأ ابن مسعود فتثبتوا والتثبت والتبين متقاربان وهما طلب الثبات والبيان والتعرف ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم والذين معه بالمنزلة التي لا يجسر أحد أن يخبرهم بكذب وما كان يقع مثل ما فرط من الوليد إلا في الندرة قيل إن جاءكم بحرف الشك وفيه أن على المؤمنين أن يكونوا على هذه الصفة لئلا يطمع فاسق في مخاطبتهم بكلمة زور (أن تصيبوا) مفعول له أي كراهة إصابتكم (قوما بجهالة) حال كقوله تعالى ورد الله الذين كفروا بغيظهم يعني جاهلين بحقيقة الأمر وكنه القصة * والإصباح بمعنى الصيرورة * والندم ضرب من الغم وهو أن تغتم على ما وقع منك تتمنى أنه لم يقع وهو غم يصحب الإنسان صحبة لها دوام ولزام لأنه كلما تذكر المتندم عليه راجعه من الندام وهو لزام الشريب ودوام صحبته ومن مقلوبه أدمن الأمر أدامه ومدن بالمكان أقام به ومنه المدينة وقد تراهم يجعلون الهم صاحبا ونجيا وسميرا وضجيعا وموصوفا بأنه لا يفارق صاحبه * الجملة المصدرة بلو لا تكون كلاما مستأنفا لأدائه إلى تنافر النظم

رضي الله عنه ووقوعهم في الحكم بتعنيف قلته فضم إلى هذا المعتقد غير معرج عليه ما أورده الزمخشري في هذا الموضع من حكايات تولية عثمان لأخيه الوليد الفاعل تلك الفعلة الشنعاء عوضا من سعد بن أبي وقاص أحد الصحابة وما عرض به من أن بعض الصحابة كان يصدر منهم هنات منها مطالبتهم النبي صلى الله عليه وسلم باتباع آرائهم التي من جملتها التصديق للوليد في الإيقاع ببني المصطلق فإذا ضممت هذه النبذة التي ذكرها إرسالا إلى ما علمت من معتقده تبين لك من حاله أعني الزمخشري ما لا أطيق التصريح به لأنه لم يصرح وإنما سلكنا معه سبيل الإنصاف ومحجة الانتصاف نصا بنص وتلويحا بتلويح فنسأل الله العظيم بعد الصلاة على نبيه محمد خاتم النبيين أن يرضى عن أصحابه أجمعين وعنا بهم آمين

بمعاد كلامه (قال ومعنى تحبيب الله وتكريهه اللطف والامداد بالتوفيق الخ) قال أحمد تلجلج والحق أبلج وزاغ والسبيل منهج وقاس الخالق بالواحد الحق وجعل أفعالهم لهم من ايمان وكفر وخير وشر اغترارا بخيال اعتقد اطراده فى الشاهد وهو أن الانسان لا يمدح بفعل غيره وقاس الغائب على الشاهد تحكما وتغافل باتباع هوى مجمامجره ذلك بل جرأه على تأويل الآية وابطال ماذكرته من نسبة تحبيب الايمان الى الله تعالى على (٣٩٤) حقيقته وجعله مجازا لانه يعتقد أنها لو بقيت على ظاهرها لكان خالق الايمان مضافا الى الله

ولكن متصلا بما قبله حالا من أحد الضميرين فى فيكم المستتر المرفوع أو البارز المجرور وكلاهما مذهب سديد والمعنى ان فيكم رسول الله على حالة يجب عليكم تغييرها أو أنتم على حالة يجب عليكم تغييرها وهى أنكم تحاولون منه أن يعمل فى الحوادث على مقتضى ما يعن لكم من رأى واستصواب فعل المطواع لغيره التابع له فيما يرتئيه المحتذى على أمثلته ولو فعل ذلك (لعنتم) أى لوقعتم فى العنت والهلاك يقال فلان يتعنت فلانا أى يطلب ما يؤديه الى الهلاك وقد أعنت العظم اذا هيض بعد الجبر وهذا يدل على أن بعض المؤمنين زينوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم الايقاع ببنى المصطلق وتصديق قول الوليد وأن نظائر ذلك من الهنات كانت تفرط منهم وأن بعضهم كانوا يتصونون ويزعهم جدهم فى التقوى عن الجسارة على ذلك وهم الذين استثناهم بقوله تعالى (ولكن الله حبب اليكم الايمان) أى الى بعضكم ولكنه أغنت عن ذكر البعض صفتهم المفارقة لصفة غيرهم وهذا من ايجازات القرآن ولمحاته اللطيفة التى لا يفطن لها الا الخواص وعن بعض المفسرين هم الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى وقوله (أولئك هم الراشدون) والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أى أولئك المستثنون هم الراشدون بصدق ماقلته (فان قلت) ما فائدة تقديم خبر ان على اسمها (قلت) القصد الى توبيخ بعض المؤمنين على ما استهجن الله منهم من استتباع رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم لآرائهم فوجب تقديمه لانصباب الغرض اليه (فان قلت) فلم قيل يطيعكم دون أطاعكم (قلت) للدلالة على أنه كان فى ارادتهم استمرار عمله على ما يستصوبونه وأنه كلما عن لهم رأى فى أمر كان معمولا عليه بدليل قوله فى كثير من الامر كقولك فلان يقرى الضيف ويحمى الحريم تريد أنه مما اعتاده ووجد منه مستمرا (فان قلت) كيف موقع لكن وشريطتها مفقودة من مخالفة ما بعدها لما قبلها نفيا واثباتا (قلت) هى مفقودة من حيث اللفظ حاصلة من حيث المعنى لان الذين حبب اليهم الايمان قد غايرت صفتهم صفة المتقدم ذكرهم فوقعت لكن فى حاق موقعها من الاستدراك ومعنى تحبيب الله وتكريهه اللطف والامداد بالتوفيق وسبيله الكناية كما سبق وكل ذى لب وراجع الى بصيرة وذهن لا يغبى عليه أن الرجل لا يمدح بغير فعله وحمل الآية على ظاهرها يؤدى الى أن يثنى عليهم بفعل الله وقد نفى الله هذا عن الذين أنزل فيهم ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا (فان قلت) فان العرب تمدح بالجمال وحسن الوجوه وذلك فعل الله وهو مدح مقبول عند الناس غير مردود (قلت) الذى سوغ ذلك لهم أنهم رأوا حسن الرواء ووسامة المنظر فى الغالب يسفر عن مخبر مرضى وأخلاق محمودة ومن ثم قالوا أحسن ما فى الدميم وجهه فلم يجعلوه من صفات المدح لذاته ولكن لدلالته على غيره على أن من محققة الثقات وعلماء المعانى من دفع صحة ذلك وخطأ المادح به وقصر المدح على النعت بامهات الخير وهى الفصاحة والشجاعة والعدل والعفة وما يتشعب منها ويرجع اليها وجعل الوصف بالجمال والثروة وكثرة الحفدة والاعضاد وغير ذلك مما ليس للانسان فيه عمل غلطا ومخالفة عن المعقول * (والكفر) تغطية نعم الله تعالى وغمطها بالجحود (والفسوق) الخروج عن قصد الايمان ومحجته بركوب الكبائر (والعصيان) ترك الانقياد والمضى لما أمر به الشارع والعرق العاصى العاند واعتصت النواة اشتدت * والرشد الاستقامة على طريق الحق مع تصلب فيه من الرشادة وهى الصخرة قال أبو الوازع كل صخرة رشادة وأنشد

وغير مقلد وموشمات * صلين الضوء من صم الرشاد

تعالى والعبد اذا ممدوح بما ليس من فعله وهذا عنده محال فاتبع الآية رأيه الفاسد فاذا عورضت عليه الادلة العقلية على الوحدانية والنقلية على أنه لا خالق الا الله خالق كل شئ وطولب بابقاء الآية على ظاهرها المؤيد بالعقل والنقل فانه يتمسك فى تأويلها بالخيال المذكور فى التحكم بقياس الغائب على الشاهد فما له اذا الا الى تحريف كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من

لعنتم ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه فى قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون

بين يديه ولا من خلفه فالذى نعتقده ثبتنا الله على الحق ان الله تعالى منح ومدح وأعطى وامتن فلا موجود الا الله وصفاته وأفعاله غير أنه تعالى جعل أفعاله بعضها محلا لبعض فسمى المحل فاعلا والحال فعلا فهذا هو التوحيد الذى لا محيص عنه للمؤمن ولا محيد ولا بد أن أطارحه القول فأقول أخبرنى عن ثناء الله على أنبيائه ورسله بما حاصله اصطفاؤه لهم لا اختياره اياهم هل بمكتسب أم بغير مكتسب فلا يسعه أن يقول الا أنه أثنى عليهم بما لم يكتسبوه بل بما وهبه اياهم فاتهبوه وان عرج على القسم الآخر وهو دعوى أنهم أثنى عليهم بمكتسب لهم من رسالة أو نبوة فقد خرج عن أهل الملة وانحرف عن أهل القبلة وهذه النبذة كفاية ان شاء الله تعالى

و (فضلا)

* قوله تعالى أولئك هم الراشدون فضلا من الله ونعمة (أعرب فضلا فى الآية مفعولا من أجله منتصبا عن قوله الراشدون الخ) قال أحمد أورد الاشكال بعد تقرير ان الرشد ليس من فعل الله تعالى وانما هو فعلهم حقيقة على ما هو معتقده ونحن بنينا على ما بيناه ان الرشد من أفعال الله ومخلوقاته فقد وجد شرط انتصاب المفعول له وهو اتحاد فاعل الفعلين على ان الاشكال وارد علينا على تقريرنا على غير الوجه الذى أورده عليه الزمخشرى بل من جهة ان الله تعالى خاطب خلقه بلغتهم المعهودة عندهم ومما يعهدونه ان الفاعل من نسب اليه الفعل وسواء كان ذلك حقيقة أو مجازا حتى يكون زيد فاعلا وانقض الحائط واشباهه كذلك وقد نسب الرشد اليهم على طريقة انهم الفاعلون وان كانت النسبة مجازية باعتبار المعتقد واذا تقرر وروده على هذا الوجه قلت فى الجواب عنه طريقان اما جواب الزمخشرى واما أمكن منه وأبين وهو ان الرشد هنا يستلزم كونه راشدا اذ هو مطاوعه لان الله تعالى أرشدهم فرشدوا وحينئذ يتحد الفاعل على طريقة الصناعة المطابقة للحقيقة وهو عكس قوله يريكم البرق خوفا وطمعا فان الاشكال بعينه وارد فيها اذ الخوف والطمع فعلهم فى أى منسوب اليهم على طريقة أنهم الخائفون الطامعون والفعل الاول لله تعالى لانه [...]بهم ذلك والجواب عنه أنهم مفعولون فى معنى الفاعلين بواسطة استلزام المطاوعة لانه اذا أراهم فقد رأوا وقد سلف هذا الجواب بكماله فصحة الكلام ههنا بتقدير المفعول فاعلا وعكسه آية الحجرات اذ تصحيح الكلام فيها بتقدير الفاعل مفعولا وهذا من دقائق مريبة فتأمله والله الموفق * قوله تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا (قال فيه لم قال اقتتلوا ولم يقل اقتتلتا الخ) قال أحمد قد تقدم فى الضمير انكار النحاة الحمل على لفظ من بعد الحمل على معناها وفى هذه الآية حمل على المعنى بقوله اقتتلوا ثم على اللفظ بقوله بينهما فلا يعتقدان المقول فى من مطرد فى هذا لان المانع لزوم الاجمال والابهام بعد التفسير وههنا لا يلزم ذلك اذ لا ابهام فى الطائفة بل يقع اسما مفردا أبدا ومعناها جمع ابدا وكانت كذلك لاختلاف أحوالها من حيث المعنى مرة جمعا ومرة مفردا فتأمله والله الموفق

فضلا من الله ونعمة والله عليم حكيم وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفئ الى أمر الله فان فاءت

و (فضلا) مفعول له أو مصدر من غير فعله (فان قلت) من أين جاز وقوعه مفعولا له والرشد فعل القوم والفضل فعل الله تعالى والشرط أن يتحد الفاعل (قلت) لما وقع الرشد عبارة عن التحبيب والتزيين والتكريه مسندة الى اسمه تقدست أسماؤه صار الرشد كانه فعله فجاز أن ينتصب عنه أو لا ينتصب عن الراشدون ولكن عن الفعل المسند الى اسم الله تعالى والجملة التى هى أولئك هم الراشدون اعتراض أو عن فعل مقدر كانه قيل جرى ذلك أو كان ذلك فضلا من الله وأما كونه مصدرا من غير فعله فأن يوضع موضع رشدا لان رشدهم فضل من الله لكونهم موفقين فيه والفضل والنعمة بمعنى الافضال والانعام (والله عليم) باحوال المؤمنين وما بينهم من التمايز والتفاضل (حكيم) حين يفضل وينعم بالتوفيق على أفاضلهم * عن ابن عباس رضى الله عنه قال وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على مجلس بعض الانصار وهو على حمار فبال الحمار فأمسك عبد الله بن أبى بأنفه وقال خل سبيل حمارك فقد آذانا نتنه فقال عبد الله بن رواحة والله ان بول حماره لاطيب من مسكك وروى حماره أفضل منك وبول حماره أطيب من مسكك ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وطال الخوض بينهما حتى استبا وتجالدا وجاء قوماهما وهما الاوس والخزرج فتجالدوا بالعصى وقيل بالايدى والنعال والسعف فرجع اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصلح بينهم ونزلت وعن مقاتل قرأها عليهم فاصطلحوا والبغى الاستطالة والظلم واباء الصلح والفئ الرجوع وقد سمى به الظل والغنيمة لان الظل يرجع بعد نسخ الشمس والغنيمة ما يرجع من أموال الكفار الى المسلمين وعن أبى عمرو حتى تفى بغير همز ووجهه أن أبا عمرو خفف الاولى من الهمزتين الملتقيتين فلطفت على الراوى تلك الخلسة فظنه قد طرحها (فان قلت) ما وجه قوله اقتتلوا والقياس اقتتلتا كما قرأ ابن أبى عبلة أو اقتتلا كما قرأ عبيد بن عمير على تأويل الرهطين أو النفرين (قلت) هو مما حمل على المعنى دون اللفظ لان الطائفتين فى معنى القوم والناس وفى قراءة عبد الله حتى يفيئوا الى أمر الله فان فاؤا فخذوا بينهم بالقسط وحكم الفئة الباغية وجوب قتالها ما قاتلت وعن ابن عمر ما وجدت فى نفسى من شئ ما وجدت من أمر هذه الآية ان لم أقاتل هذه الفئة الباغية كما أمرنى الله عز وجل قاله بعد أن اعتزل فاذا كفت وقبضت عن الحرب أيديها تركت واذا تولت عمل بما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال يا ابن أم عبد هل تدرى كيف حكم الله فيمن بغى من هذه الامة قال الله ورسوله أعلم قال لا يجهز على جريحها ولا يقتل أسيرها ولا يطلب هاربها ولا يقسم فيؤها ولا تخلو الفئتان من المسلمين فى اقتتالهما اما أن يقتتلا على سبيل البغى منهما جميعا فالواجب فى ذلك أن يمشى بينهما بما يصلح ذات البين ويثمر المكافة والموادعة فان لم تتحاجزا ولم تصطلحا وأقامتا على البغى صير الى مقاتلتهما واما أن يلتحم بينهما القتال لشبهة دخلت عليهما وكلتاهما عند أنفسهما محقة فالواجب ازالة الشبهة بالحجج النيرة والبراهين القاطعة واطلاعهما على مراشد الحق فان ركبتاه متن اللجاج ولم تعملا على شاكلة ما هديتا اليه ونصحتا به من اتباع

الحق بعد وضوحه لهم افتقد لحقتا بالفئتين الباغيتين واما أن تكون احداهما الباغية على الاخرى فالواجب أن تقاتل فئة البغى الى أن تكف وتتوب فان فعلت أصلح بينها وبين المبغى عليها بالقسط والعدل وفى ذلك تفاصيل ان كانت الباغية من قلة العدد بحيث لا منعة لها ضمنت بعد الفيئة ما جنت وان كانت كثيرة ذات منعة وشوكة لم تضمن الا عند محمد بن الحسن رحمه الله فانه كان يفتى بأن الضمان يلزمها اذا فاءت واما قبل التجمع والتجند أو حين تتفرق عند وضع الحرب أوزارها فما جنته ضمنته عند الجميع فحمل الاصلاح بالعدل فى قوله تعالى (فأصلحوا بينهما بالعدل) على مذهب محمد واضح منطبق على لفظ التنزيل وعلى قول غيره وجهه أن يحمل على كون الفئة قليلة العدد والذى ذكروا أن الغرض اماتة الضغائن وسل الاحقاد دون ضمان الجنايات ليس بحسن الطباق للمأمور به من أعمال العدل ومراعاة القسط (فان قلت) فلم قرن بالاصلاح الثانى العدل دون الاول (قلت) لان المراد بالاقتتال فى أول الآية أن يقتتلا باغيتين معا أو راكبتى شبهة وأيتهما كانت فالذى يجب على المسلمين أن يأخذوا به فى شأنهما اصلاح ذات البين وتسكين الدهماء بارادة الحق والمواعظ الشافية ونفى الشبهة الا اذا أصرتا فحينئذ تجب المقاتلة وأما الضمان فلا يتجه وليس كذلك اذا بغت احداهما فان الضمان متجه على الوجهين المذكورين (وأقسطوا) أمر باستعمال القسط على طريق العموم بعد ما أمر به فى اصلاح ذات البين والقول فيه مثله فى الامر باتقاء الله على عقب النهى عن التقديم بين يديه والقسط بالفتح الجور من القسط وهو اعوجاج فى الرجلين وعود قاسط يابس وأقسطته الرياح وأما القسط بمعنى العدل فالفعل منه أقسط وهمزته للسلب أى أزال القسط وهو الجور * هذا تقرير لما ألزمه من تولى الاصلاح بين من وقعت بينهم المشاقة من المؤمنين وبيان أن الايمان قد عقد بين أهله من السبب القريب والنسب اللاصق ما ان لم يفضل الاخوة ولم يبرز عليها لم ينقص عنها ولم يتقاصر عن غايتها ثم قد جرت عادة الناس على أنه اذا نشب مثل ذلك بين اثنين من اخوة الولاد لزم السائر أن يتناهضوا فى رفعه وازاحته ويركبوا الصعب والذلول مشيا بالصلح وبثا للسفراء بينهما الى أن يصادف ما وهى من الوفاق من يرقعه وما استشن من الوصال من يبله فالاخوة فى الدين أحق بذلك وبأشد منه وعن النبى صلى الله عليه وسلم المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يعيبه ولا يتطاول عليه فى البنيان فيستر عنه الريح الا باذنه ولا يؤذيه بقتار قدره ثم قال احفظوا ولا يحفظ منكم الا قليل (فان قلت) فلم خص الاثنان بالذكر دون الجمع (قلت) لان أقل من يقع بينهم الشقاق اثنان فاذا لزمت المصالحة بين الاقل كانت بين الاكثر ألزم لان الفساد فى شقاق الجمع أكثر منه فى شقاق الاثنين وقيل المراد بالاخوين الاوس والخزرج * وقرئ بين اخوتكم واخوانكم والمعنى ليس المؤمنون الا اخوة وأنهم خلص لذلك متمحضون قد انزاحت عنهم شبهات الاجنبية وأبى لطف حالهم فى التمازج والاتحاد أن يقدموا على ما يتولد منه التقاطع فبادروا قطع ما يقع من ذلك ان وقع واحسموه (واتقوا الله) فانكم ان فعلتم لم تحملكم التقوى الا على التواصل والائتلاف والمسارعة الى اماطة ما يفرط منه * وكان عند فعلكم ذلك وصول رحمة الله اليكم واشتمال رأفته عليكم حقيقا بأن تعقدوا به رجاءكم * القوم الرجال خاصة لانهم القوام بامور النساء قال الله تعالى الرجال قوامون على النساء وقال عليه الصلاة والسلام النساء لحم على وضم الا ما ذب عنه والذابون هم الرجال وهو فى الاصل جمع قائم كصوم وزور فى جمع صائم وزائر أو تسمية بالمصدر عن بعض العرب اذا أكلت طعاما أحببت قوما وأبغضت قوما أى قوما واختصاص القوم بالرجال صريح فى الآية وفى قول زهير * أقوم آل حصن أم نساء * وأما قولهم فى قوم فرعون وقوم عاد هم الذكور والاناث فليس لفظ القوم بمتعاط للفريقين ولكن قصد ذكر الذكور وترك ذكر الاناث لانهن توابع لرجالهن * وتنكير القوم والنساء يحتمل معنيين أن يراد لا يسخر بعض المؤمنين والمؤمنات من بعض وأن تقصد افادة الشياع وأن تصير كل جماعة منهم منهية عن السخرية وانما لم يقل رجل من رجل ولا امرأة من امرأة على التوحيد اعلاما باقدام غير واحد من رجالهم وغير واحدة من نسائهم على السخرية واستفظاعا للشأن الذى كانوا عليه ولان مشهد الساخر لا يكاد يخلو ممن يتلهى ويستضحك على قوله ولا يأتى

فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا ان الله يحب المقسطين انما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم

---

* قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم الآية (قال فيه لم يقل لا يسخر بعض المؤمنين والمؤمنات الخ) قال أحمد ولو عرف فقال لا يسخر المؤمنون بعضهم من بعض لكانت كل جماعة منهم منهية ضرورة شمول النهى ولكن أورد الزمخشرى هذا وانما أراد أن فى التنكير فائدة ان كل جماعة منهية على التفصيل فى الجماعات والتعرض بالنهى لكل جماعة على الخصوص ومع التعريف تحصيل النهى لكن لا على التفصيل بل على الشمول والنهى على التفصيل أبلغ وأوقع * عاد كلامه (قال وانما لم يقل رجل من رجل ولا امرأة من امرأة الاشعار الخ) قال أحمد وهو فى غاية الحسن لامزيد عليه

ما عليه من النهي والانكار فيكون شريك الساخر وتلوه في تحمل الوزر وكذلك كل من يطرق سمعه فيستطيبه ويضحك به فيؤدي ذلك وان أوجده واحد الى تكثير السخرة وانقلاب الواحد جماعة وقوما وقوله تعالى (عسى أن يكونوا خيرا منهم) كلام مستأنف قد ورد مورد جواب المستخبر عن العلة الموجبة لما جاء النهي عنه والا فقد كان حقه أن يوصل بما قبله بالفاء والمعنى وجوب أن يعتقد كل أحد أن المسخور منه ربما كان عند الله خيرا من الساخر لان الناس لا يطلعون الا على ظواهر الاحوال ولا علم لهم بالخفيات وانما الذي يزن عند الله خلوص الضمائر وتقوى القلوب وعلمهم من ذلك بمعزل فينبغي أن لا يجترئ أحد على الاستهزاء بمن تقتحمه عينه اذا رآه رث الحال أو ذا عاهة في بدنه أو غير لبيق في محادثته فلعله أخلص ضميرا وأتقى قلبا ممن هو على ضد صفته فيظلم نفسه بتحقير من وقره الله والاستهانة بمن عظمه الله ولقد بلغ بالسلف افراط توقيهم وتصونهم من ذلك أن قال عمرو بن شرحبيل لو رأيت رجلا يرضع عنزا فضحكت منه خشيت أن أصنع مثل الذي صنعه وعن عبد الله بن مسعود البلاء موكل بالقول لو سخرت من كلب لخشيت أن أحول كلبا * وفي قراءة عبد الله عسوا أن يكونوا وعسين أن يكن فعسى على هذه القراءة هي ذات الخبر كالتي في قوله تعالى فهل عسيتم وعلى الاولى التي لا خبر لها كقوله تعالى وعسى أن تكرهوا شيأ * واللمز الطعن والضرب باللسان وقرئ ولا تلمزوا بالضم والمعنى وخصوا أيها المؤمنون أنفسكم بالانتهاء عن عيبها والطعن فيها ولا عليكم أن تعيبوا غيركم ممن لا يدين بدينكم ولا يسير بسيرتكم ففي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذكروا الفاجر بما فيه كي يحذره الناس وعن الحسن رضي الله عنه في ذكر الحجاج أخرج الي بنانا قصيرة قلما عرقت فيها الاعنة في سبيل الله ثم جعل يطبطب شعيرات له ويقول يا أبا سعيد يا أبا سعيد وقال لما مات اللهم أنت أمته فاقطع سنته فانه أتانا أخيفش أعيمش يخطر في مشيته ويصعد المنبر حتى تفوته الصلاة لا من الله يتقي ولا من الناس يستحي فوقه الله وتحته مائة ألف أو يزيدون لا يقول له قائل الصلاة أيها الرجل الصلاة أيها الرجل هيهات دون ذلك السيف والسوط وقيل معناه لا يعب بعضكم بعضا لان المؤمنين كنفس واحدة فمتى عاب المؤمن المؤمن فكأنما عاب نفسه وقيل معناه لا تفعلوا ما تلمزون به لان من فعل ما استحق به اللمز فقد لمز نفسه حقيقة * والتنابز بالالقاب التداعي بها تفاعل من نبزه وبنو فلان يتنابزون ويتنازبون ويقال النبز والنزب لقب السوء والتلقيب المنهي عنه هو ما يتداخل المدعو به كراهة لكونه تقصيرا به وذما له وشينا فأما ما يحبه مما يزينه وينوه به فلا بأس به روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من حق المؤمن على أخيه أن يسميه بأحب أسمائه اليه ولهذا كانت التكنية من السنة والادب الحسن قال عمر رضي الله عنه أشيعوا الكنى فانها منبهة ولقد لقب أبو بكر بالعتيق والصديق وعمر بالفاروق وحمزة بأسد الله وخالد بسيف الله وقل من المشاهير في الجاهلية والاسلام من ليس له لقب ولم تزل هذه الالقاب الحسنة في الامم كلها من العرب والعجم تجري في مخاطباتهم ومكاتباتهم من غير نكير * روي عن الضحاك أن قوما من بني تميم استهزؤا ببلال وخباب وعمار وصهيب وأبي ذر وسالم مولى حذيفة فنزلت وعن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تسخر من زينب بنت خزيمة الهلالية وكانت قصيرة وعن ابن عباس أن أم سلمة ربطت حقويها بسبيبة وسدلت طرفها خلفها وكانت تجره فقالت عائشة لحفصة انظري ما تجر خلفها كأنه لسان كلب وعن أنس عيرت نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم أم سلمة بالقصر وعن عكرمة عن ابن عباس أن صفية بنت حيي أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان النساء يعيرنني ويقلن يا يهودية بنت يهوديين فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم هلا قلت ان أبي هرون وان عمي موسى وان زوجي محمد وروي أنها نزلت في ثابت بن قيس وكان به وقر وكانوا يوسعون له في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسمع فأتى يوما وهو يقول تفسحوا لي حتى انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لرجل تنح فلم يفعل فقال من هذا فقال الرجل أنا فلان فقال بل أنت ابن فلانة يريد أما كان يعير بها في الجاهلية فخجل الرجل فنزلت فقال ثابت لا أفخر على أحد في الحسب بعدها

عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالالقاب

(قال وقوله عسى أن يكونوا خيرا منهم جواب للمستخبر عن علة النهي الخ) قال أحمد وهو من الطراز الاول

أبدا (الاسم) ههنا بمعنى الذكر من قولهم طار اسمه في الناس بالكرم أو باللؤم كما يقال طار ثناؤه وصيته وحقيقته ما سما من ذكره وارتفع بين الناس ألا ترى الى قولهم أشاد بذكره كأنه قيل بئس الذكر المرتفع للمؤمنين بسبب ارتكاب هذه الجرائر أن يذكروا بالفسق وفي قوله (بعد الايمان) ثلاثة أوجه أحدها استقباح الجمع بين الايمان وبين الفسق الذي يأباه الايمان ويحظره كما تقول بئس الشأن بعد الكبرة الصبوة والثاني أنه كان في شتائمهم لمن أسلم من اليهود يا يهودي يا فاسق فنهوا عنه وقيل لهم بئس الذكر أن تذكروا الرجل بالفسق واليهودية بعد ايمانه والجملة على هذا التفسير متعلقة بالنهي عن التنابز والثالث أن يجعل من فسق غير مؤمن كما تقول للمتحول عن التجارة الى الفلاحة بئست الحرفة الفلاحة بعد التجارة * يقال جنبه الشر اذا أبعده عنه وحقيقته جعله منه في جانب فيعدى الى مفعولين قال الله عز وجل واجنبني وبني أن نعبد الاصنام ثم يقال في مطاوعه اجتنب الشر فتنقص المطاوعة مفعولا والمأمور باجتنابه هو بعض الظن وذلك البعض موصوف بالكثرة ألا ترى الى قوله (ان بعض الظن اثم) (فان قلت) بين الفصل بين كثير حيث جاء نكرة وبينه لو جاء معرفة (قلت) مجيئه نكرة يفيد معنى البعضية وأن في الظنون ما يجب أن يجتنب من غير تبيين لذلك ولا تعيين لئلا يجترئ أحد على ظن الا بعد نظر وتأمل وتمييز بين حقه وباطله بأمارة بينة مع استشعار للتقوى والحذر ولو عرف لكان الامر باجتناب الظن منوطا بما يكثر منه دون ما يقل ووجب أن يكون كل ظن متصف بالكثرة مجتنبا وما اتصف منه بالقلة مرخصا في تظننه والذي يميز الظنون التي يجب اجتنابها عما سواها أن كل ما لم تعرف له أمارة صحيحة وسبب ظاهر كان حراما واجب الاجتناب وذلك اذا كان المظنون به ممن شوهد منه الستر والصلاح وأونست منه الامانة في الظاهر فظن الفساد والخيانة به محرم بخلاف من اشتهره الناس بتعاطي الريب والمجاهرة بالخبائث عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى حرم من المسلم دمه وعرضه وأن يظن به ظن السوء وعن الحسن كنا في زمان الظن بالناس حرام وأنت اليوم في زمان اعمل واسكت وظن بالناس ما شئت وعنه لا حرمة لفاجر وعنه ان الفاسق اذا أظهر فسقه وهتك ستره هتكه الله واذا استتر لم يظهر الله عليه لعله أن يتوب وقد روي من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له * والاثم الذنب الذي يستحق صاحبه العقاب ومنه قيل لعقوبته الاثام فعال منه كالنكال والعذاب والوبال قال

لقد فعلت هذي النوى بي فعلة * أصاب النوى قبل الممات أثامها

والهمزة فيه عن الواو كأنه يثم الاعمال أي يكسرها باحباطه * وقرئ ولا تحسسوا بالحاء والمعنيان متقاربان يقال تجسس الامر اذا تطلبه وبحث عنه تفعل من الجس كما أن التلمس بمعنى التطلب من اللمس لما في اللمس من الطلب وقد جاء بمعنى الطلب في قوله تعالى وانا لمسنا السماء والتحسس التعرف من الحس ولتقاربهما قيل لمشاعر الانسان الحواس بالحاء والجيم والمراد النهي عن تتبع عورات المسلمين ومعايبهم والاستكشاف عما ستروه وعن مجاهد خذوا ما ظهر ودعوا ما ستره الله وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه خطب فرفع صوته حتى أسمع العواتق في خدورهن قال يا معشر من آمن بلسانه ولم يخلص الايمان الى قلبه لا تتبعوا عورات المسلمين فان من تتبع عورات المسلمين تتبع الله عورته حتى يفضحه ولو في جوف بيته وعن زيد بن وهب قلنا لابن مسعود هل لك في الوليد بن عقبة بن أبي معيط تقطر لحيته خمرا فقال ابن مسعود انا قد نهينا عن التجسس فان ظهر لنا شئ أخذنا به * غابه واغتابه كغاله واغتاله والغيبة من الاغتياب كالغيلة من الاغتيال وهي ذكر السوء في الغيبة وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغيبة فقال أن تذكر أخاك بما يكره فان كان فيه فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته وعن ابن عباس رضي الله عنه الغيبة ادام كلاب الناس (أيحب أحدكم) تمثيل وتصوير لما يناله المغتاب من عرض المغتاب على أفظع وجه وأفحشه وفيه مبالغات شتى منها الاستفهام الذي معناه التقرير ومنها جعل ما هو في الغاية من الكراهة موصولا بالمحبة ومنها اسناد الفعل الى أحدكم والاشعار بأن أحدا من الاحدين لا يحب ذلك ومنها أن لم يقتصر على تمثيل الاغتياب بأكل لحم الانسان حتى جعل الانسان أخا ومنها أن لم يقتصر على أكل لحم الاخ حتى جعل ميتا وعن قتادة كما تكره ان وجدت جيفة

بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم

* قوله تعالى بئس الاسم الفسوق بعد الايمان (قال فيه الاسم ههنا الذكر من قولهم طار اسمه في الناس بالكرم كأنه قال بئس الذكر المرتفع للمؤمنين الخ) قال أحمد أقرب الوجوه الثلاثة ملاءمة لقاعدة أهل السنة وأولاها هو أولها ولكن بعد صرف الذم الى نفس الفسق وهو مستقيم لان الاسم هو المسمى ولكن الزمخشري لم يستطع ذلك لجوازا الى قاعدة بصرف الذم الى ارتفاع ذكر الفسق من المؤمن تحوما على ان الاسم التسمية ولا شك ان صرف الذم الى نفس الفسق أولى وأما الوجه الثاني فلا دخل لسر حمل الاسم على التسمية صريحا وأما الثالث فلتصريحه أن الفاسق غير مؤمن وكلا القاعدتين مخالف للسنة فاحذرهما وبالله التوفيق ولقد كشف الله لي عن

ممدودة أن تأكل منها كذلك فاكره لحم أخيك وهو حي * وانتصب (ميتا) على الحال من اللحم ويجوز أن ينتصب عن الاخ وقرئ ميتا * ولما قررهم عز وجل بأن أحدا منهم لا يحب أكل جيفة أخيه عقب ذلك قوله تعالى (فكرهتموه) معناه فقد كرهتموه واستقر ذلك وفيه معنى الشرط أي ان صح هذا فكرهتموه وهي الفاء الفصيحة أي فتحققت بوجوب الاقرار عليكم وبأنكم لا تقدرون على دفعه وانكاره لاباء البشرية عليكم أن تجحدوه كراهتكم له وتقذركم منه فليتحقق أيضا أن تكرهوا ما هو نظيره من الغيبة والطعن في أعراض المسلمين * وقرئ فكرهتموه أي جبلتم على كراهته (فان قلت) هلا عدى بالى كما عدى في قوله وكره اليكم الكفر وأيهما القياس (قلت) القياس تعديه بنفسه لانه ذو مفعول واحد قبل تثقيل حشوه تقول كرهت الشئ فاذا ثقل استدعى زيادة مفعول وأما تعديه بالى فتأول واجراء لكره مجرى بغض لان بغض منقول من بغض اليه الشئ فهو بغيض اليه كقولك حبب اليه الشئ فهو حبيب اليه * والمبالغة في التواب للدلالة على كثرة من يتوب عليه من عباده أو لانه ما من ذنب يقترفه المقترف الا كان معفوا عنه بالتوبة أو لانه بليغ في قبول التوبة منزل صاحبها منزلة من لم يذنب قط لسعة كرمه والمعنى واتقوا الله بترك ما أمرتم باجتنابه والندم على ما وجد منكم منه فانكم ان اتقيتم تقبل الله توبتكم وأنعم عليكم بثواب المتقين التائبين وعن ابن عباس أن سلمان كان يخدم رجلين من الصحابة ويسوي لهما طعامهما فنام عن شأنه يوما فبعثاه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يبغي لهما اداما وكان اسامة على طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما عندي شئ فأخبرهما سلمان بذلك فعند ذلك قالا لو بعثناه الى بئر سميحة لغار ماؤها فلما راحا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهما مالي أرى خضرة اللحم في أفواهكما فقالا ما تناولنا لحما فقال انكما قد اغتبتما فنزلت (من ذكر وأنثى) من آدم وحواء وقيل خلقنا كل واحد منكم من أب وأم فما منكم أحد الا وهو يدلي بمثل ما يدلي به الآخر سواء بسواء فلا وجه للتفاخر والتفاضل في النسب * والشعب الطبقة الاولى من الطبقات الست التي عليها العرب وهي الشعب والقبيلة والعمارة والبطن والفخذ والفصيلة فالشعب يجمع القبائل والقبيلة تجمع العمائر والعمارة تجمع البطون والبطن تجمع الافخاذ والفخذ تجمع الفصائل خزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصي بطن وهاشم فخذ والعباس فصيلة وسميت الشعوب لان القبائل تشعبت منها * وقرئ لتعارفوا ولتعارفوا بالادغام ولتعرفوا أي لتعلموا كيف تتناسبون ولتتعرفوا والمعنى أن الحكمة التي من أجلها رتبكم على شعوب وقبائل هي أن يعرف بعضكم نسب بعض فلا يعتزي الى غير آبائه لا أن تتفاخروا بالآباء والاجداد وتدعوا التفاوت والتفاضل في الانساب * ثم بين الخصلة التي بها يفضل الانسان غيره ويكتسب الشرف والكرم عند الله تعالى فقال (ان أكرمكم عند الله أتقاكم) وقرئ أن بالفتح كأنه قيل لم لا يتفاخر بالانساب فقيل لان أكرمكم عند الله أتقاكم لا أنسبكم وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه طاف يوم فتح مكة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال الحمد لله الذي أذهب عنكم عيبة الجاهلية وتكبرها يا أيها الناس انما الناس رجلان مؤمن تقي كريم على الله وفاجر شقي هين على الله ثم قرأ الآية وعنه عليه السلام من سره أن يكون أكرم الناس فليتق الله وعن ابن عباس كرم الدنيا الغنى وكرم الآخرة التقوى وعن يزيد بن شجرة مر رسول الله صلى الله عليه وسلم في سوق المدينة فرأى غلاما أسود يقول من اشتراني فعلى شرط لا يمنعني عن الصلوات الخمس خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فاشتراه رجل فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يراه عند كل صلاة ففقده يوما فسأل عنه صاحبه فقال محموم فعاده ثم سأل عنه بعد ثلاثة أيام فقال هو لما به فجاءه وهو في ذماله فتولى غسله ودفنه فدخل على المهاجرين والانصار أمر عظيم فنزلت * الايمان هو التصديق مع الثقة وطمأنينة النفس والاسلام الدخول في السلم والخروج من أن يكون حربا للمؤمنين باظهار الشهادتين ألا ترى الى قوله تعالى ولما يدخل الايمان في قلوبكم فاعلم أن ما يكون من الاقرار باللسان من غير مواطأة القلب فهو اسلام وما واطأ فيه القلب اللسان فهو ايمان (فان قلت) ما وجه قوله تعالى (قل لم

أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله ان الله تواب رحيم يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير قالت الاعراب آمنا قل لم

متاصده حتى ما تنقلب له كلمة مصروفة الى فئة البدعة الا اذا أدركها الحق فكلمه اوقفه الخ

قوله تعالى قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا (قال فيه وجه هذا النظم تكذيب دعواهم أولا الخ) قال أحمد ونظير هذا النظم وهي اعادة هذه الا طيفة (٤٠٠) قوله تعالى اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله ثم قال والله يشهد ان المنافقين لكاذبون

تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا) والذي يقتضيه نظم الكلام أن يقال قل لا تقولوا آمنا ولكن قولوا أسلمنا أو قل لم تؤمنوا ولكن أسلمتم (قلت) أفاد هذا النظم تكذيب دعواهم أولا ودفع ما انتحلوه فقيل قل لم تؤمنوا وروعي في هذا النوع من التكذيب أدب حسن حين لم يصرح بلفظه فلم يقل كذبتم ووضع لم تؤمنوا الذي هو نفي ما ادعوا اثباته موضعه ثم نبه على ما فعل من وضعه موضع كذبتم في قوله في صفة المخلصين أولئك هم الصادقون تعريضا بأن هؤلاء هم الكاذبون ورب تعريض لا يقاومه التصريح واستغنى بالجملة التي هي لم تؤمنوا عن أن يقال لا تقولوا آمنا لاستهجان أن يخاطبوا بلفظ مؤداه النهي عن القول بالايمان ثم وصلت بها الجملة المصدرة بكلمة الاستدراك محمولة على المعنى ولم يقل ولكن أسلمتم ليكون خارجا مخرج الزعم والدعوى كما كان قولهم آمنا كذلك ولو قيل ولكن أسلمتم لكان خروجه في معرض التسليم لهم والاعتداد بقولهم وهو غير معتد به (فان قلت) قوله (ولما يدخل الايمان في قلوبكم) بعد قوله تعالى قل لم تؤمنوا يشبه التكرير من غير استقلال بفائدة متجددة (قلت) ليس كذلك فان فائدة قوله لم تؤمنوا هو تكذيب دعواهم وقوله ولما يدخل الايمان في قلوبكم توقيت لما أمروا به أن يقولوه كأنه قيل لهم ولكن قولوا أسلمنا حين لم تثبت مواطأة قلوبكم لألسنتكم لأنه كلام واقع موقع الحال من الضمير في قولوا وما في لما من معنى التوقع دال على أن هؤلاء قد آمنوا فيما بعد (لا يلتكم) لا ينقصكم ولا يظلمكم يقال ألته السلطان حقه أشد الألت وهي لغة غطفان ولغة أسد وأهل الحجاز لاته ليتا وحكى الأصمعي عن أم هشام السلولية أنها قالت الحمد لله الذي لا يفات ولا يلات ولا تصمه الاصوات وقرئ بالغتين لا يلتكم ولا يألتكم ونحوه في المعنى فلا تظلم نفس شيأ * ومعنى طاعة الله ورسوله أن يتوبوا عما كانوا عليه من النفاق ويعقدوا قلوبهم على الايمان ويعملوا بمقتضياته فان فعلوا ذلك تقبل الله توبتهم ووهب لهم مغفرته وأنعم عليهم بجزيل ثوابه وعن ابن عباس رضي الله عنه أن نفرا من بني أسد قدموا المدينة في سنة جدبة فاظهروا الشهادة وأفسدوا طرق المدينة بالعذرات وأغلوا أسعارها وهم يغدون ويروحون على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون أتتك العرب بأنفسها على ظهور رواحلها وجئناك بالأثقال والذراري يريدون الصدقة ويمنون عليه فنزلت * ارتاب مطاوع رابه اذا أوقعه في الشك مع التهمة والمعنى أنهم آمنوا ثم لم يقع في نفوسهم شك فيما آمنوا به ولا اتهام لمن صدقوه واعترفوا بأن الحق منه (فان قلت) ما معنى ثم ههنا وهي للتراخي وعدم الارتياب يجب أن يكون مقارنا للايمان لأنه وصف فيه لما بينت من افادة الايمان معنى الثقة والطمأنينة التي حقيقتها التيقن وانتفاء الريب (قلت) الجواب على طريقين أحدهما أن من وجد منه الايمان ربما اعترضه الشيطان أو بعض المضلين بعد ثلج الصدر فشككه وقذف في قلبه ما يثلم يقينه أو نظر هو نظرا غير سديد يسقط به على الشك ثم يستمر على ذلك راكبا رأسه لا يطلب له مخرجا فوصف المؤمنون حقا بالبعد عن هذه الموبقات ونظيره قوله ثم استقاموا والثاني أن الايقان وزوال الريب لما كان ملاك الايمان أفرد بالذكر بعد تقدم الايمان تنبيها على مكانه وعطف على الايمان بكلمة التراخي اشعارا باستقراره في الأزمنة المتراخية المتطاولة غضا جديدا (وجاهدوا) يجوز أن يكون المجاهد منويا وهو العدو المحارب أو الشيطان أو الهوى وأن يكون جاهد مبالغة في جهد ويجوز أن يراد بالمجاهدة بالنفس الغزو وأن يتناول العبادات بأجمعها وبالمجاهدة بالمال نحو ما صنع عثمان رضي الله عنه في جيش العسرة وأن يتناول الزكوات وكل ما يتعلق بالمال من أعمال البر التي يتعامل فيها الرجل على ماله لوجه الله تعالى (أولئك هم الصادقون) الذين صدقوا في قولهم آمنا ولم يكذبوا كما كذب أعراب بني أسد أو هم الذين ايمانهم ايمان صدق وايمان حق وجد وثبات * يقال ما علمت بقدومك أي ما شعرت به ولا أحطت به ومنه قوله تعالى (أتعلمون الله بدينكم) وفيه تجهيل لهم * يقال من عليه بيد اذا أسداها اليه كقولك أنعم عليه وأفضل عليه والمنة النعمة التي لا يستثيب

ولما كان مؤدى هذا تكذيب الله تعالى لهم في شهادتهم برسالة النبي صلى الله عليه وسلم قدم على ذلك مقدمة تخلص المقصود وتخلصه من حوادث الوهم وتوابعه فقال بين

تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم وان تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيأ ان الله غفور رحيم انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون قل أتعلمون الله بدينكم والله يعلم ما في السموات وما في الارض والله بكل شئ عليم يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا علي اسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان ان كنتم صادقين ان الله يعلم غيب السموات والارض والله بصير بما تعملون

الكلام بقوله والله يعلم انك لرسوله ثم قال بعد ذلك والله يشهد ان المنافقين لكاذبون فتخلص من ذلك أنهم كذبوا فيما ادعوه من شهادة قلوبهم بالحق لان ذلك حقيقة الشهادة لا أنهم كذبوا في أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رسول من الله وكان الخلاص من ذلك قوله جل وعلا والله يعلم انك لرسوله

مستهيا

مسديها من يزلها اليه واشتقاقها من المن الذى هو القطع لانه انما يسديها اليه ليقطع بها حاجته لا غير من
غير أن يعمد لطلب مثوبة ثم يقال من عليه صنيعه اذا اعتده عليه منة وانعاما وسياق هذه الآية فيه لطف
ورشاقة وذلك أن الكائن من الاعراب قد سماه الله اسلاما ونفى أن يكون كما زعموا ايمانا فلما منوا على
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان منهم قال الله سبحانه وتعالى لرسوله عليه السلام ان هؤلاء يعتدون عليك
بما ليس جديرا بالاعتداد به من حدثهم الذى حق تسميته أن يقال له اسلام فقل لهم لا تعتدوا على اسلامكم
أى حدثكم المسمى اسلاما عندى لا ايمانا * ثم قال بل الله يعتد عليكم أن أمدكم بتوفيقه حيث هداكم للايمان
على ما زعمتم وادعيتم أنكم أرشدتم اليه ووفقتم له ان صح زعمكم وصدقت دعواكم الا أنكم تزعمون وتدعون
ما الله عليم بخلافه وفى اضافة الاسلام اليهم وايراد الايمان غير مضاف ما لا يخفى على المتأمل وجواب الشرط
محذوف لدلالة ما قبله عليه تقديره ان كنتم صادقين فى ادعائكم الايمان فلله المنة عليكم * وقرئ ان هداكم
بكسر الهمزة وفى قراءة ابن مسعود رضى الله عنه اذ هداكم * وقرئ تعملون بالتاء والياء وهذا بيان لكونهم
غير صادقين فى دعواهم يعنى أنه عز وجل يعلم كل مستتر فى العالم ويبصر كل عمل تعملونه فى سركم وعلانيتكم
لا يخفى عليه منه شئ فكيف يخفى عليه ما فى ضمائركم ولا يظهر على صدقكم وكذبكم وذلك أن حاله مع كل
معلوم واحدة لا تختلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحجرات أعطى من الاجر بعدد من
أطاع الله وعصاه

﴿سورة ق مكية وهى خمس وأربعون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

ق والقرآن المجيد بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شئ عجيب أئذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد قد علمنا ما تنقص الارض منهم وعندنا كتاب حفيظ بل كذبوا بالحق لما جاءهم

﴿سورة ق مكية وهى خمس وأربعون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* الكلام فى (ق والقرآن المجيد بل عجبوا) نحوه فى ص والقرآن ذى الذكر بل الذين كفروا سواء بسواء
لالتقائهما فى أسلوب واحد والمجيد ذو المجد والشرف على غيره من الكتب ومن أحاط علما بمعانيه وعمل بما فيه
مجد عند الله وعند الناس وهو بسبب من الله المجيد فجاز اتصافه بصفته * قوله بل عجبوا (أن جاءهم منذر
منهم) انكار لتعجبهم مما ليس بعجب وهو أن ينذرهم بالمخوف رجل منهم قد عرفوا وساطته فيهم وعدالته
وأمانته ومن كان على صفته لم يكن الا ناصحا لقومه مترفرفا عليهم خائفا أن ينالهم سوء ويحل بهم مكروه
واذا علم أن مخوفا أظلهم لزمه أن ينذرهم ويحذرهم فكيف بما هو غاية المخاوف ونهاية المحاذير وانكار
لتعجبهم مما أنذرهم به من البعث مع علمهم بقدرة الله تعالى على خلق السموات والارض وما بينهما وعلى
اختراع كل شئ وابداعه واقرارهم بالنشأة الاولى ومع شهادة العقل بأنه لا بد من الجزاء * ثم عول على أحد
الانكارين بقوله تعالى (فقال الكافرون هذا شئ عجيب أئذا متنا) دلالة على أن تعجبهم من البعث أدخل
فى الاستبعاد وأحق بالانكار ووضع الكافرون موضع الضمير للشهادة على أنهم فى قولهم هذا مقدمون على
الكفر العظيم وهذا اشارة الى الرجع واذا منصوب بمضمر معناه أحين نموت ونبلى نرجع (ذلك رجع بعيد)
مستبعد مستنكر كقولك هذا قول بعيد وقد أبعد فلان فى قوله ومعناه بعيد من الوهم والعادة ويجوز أن
يكون الرجع بمعنى المرجوع وهو الجواب ويكون من كلام الله تعالى استبعادا لانكارهم ما أنذروا به من
البعث والوقف قبله على هذا التفسير حسن وقرئ اذا متنا على لفظ الخبر ومعناه اذا متنا بعد أن نرجع
والدال عليه ذلك رجع بعيد (فان قلت) فما ناصب الظرف اذا كان الرجع بمعنى المرجوع (قلت) ما دل عليه
المنذر من المنذر به وهو البعث (قد علمنا) رد لاستبعادهم الرجع لان من لطف علمه حتى تغلغل الى ما تنقص
الارض من أجساد الموتى وتأكله من لحومهم وعظامهم كان قادرا على رجعهم أحياء كما كانوا عن النبى صلى
الله عليه وسلم كل ابن آدم يبلى الا عجب الذنب وعن السدى (ما تنقص الارض منهم) ما يموت فيدفن فى الارض
منهم (كتاب حفيظ) محفوظ من الشياطين ومن التغير وهو اللوح المحفوظ أو حافظ لما أودعه وكتب فيه
(بل كذبوا) اضراب أتبع الاضراب الاول للدلالة على أنهم جاؤا بما هو أفظع من تعجبهم وهو التكذيب

﴿القول في سورة ق﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) * قوله تعالى أفعيينا بالخلق الاول بل هم في لبس من خلق جديد (وقع في النسخة ما أحكيه وصورته فان قلت لم نكر الخلق الجديد الخ) قال أحمد هذا كلام كما تراه غير منتظم والظاهر انه افساد في النسخة والذي يتحرر في الآية وهو مقتضى ان فيها أسئلة ثلاثة لم عرف الخلق الاول ونكر اللبس والخلق الجديد فاعلم ان التعريف لاغرض منه الا تفخيم ما قصد تعريفه وتعظيمه ومنه تعريف الذكور في قوله ويهب لمن يشاء الذكور وهذا المقصد عرف الخلق الاول لان الغرض جعله دليلا على امكان الخلق الثاني بطريق الاولى أي اذا لم يعي تعالى بالخلق الاول على عظمته فالخلق الآخر أولى أن لا يعي به فهذا سر تعريف الخلق الاول وأما التنكير فأمره منقسم فمرة يقصد به تفخيم المنكر من حيث ما فيه من الابهام كأنه أفخم من أن يخاطبه معرفة ومرة يقصد به التقليل من المنكر والوضع منه وعلى الاول سلام قولا من رب رحيم وقوله لهم مغفرة

فهم في أمر مريج أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج والارض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج تبصرة وذكرى لكل عبد منيب ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد والنخل باسقات لها طلع نضيد رزقا للعباد وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون واخوان لوط وأصحاب الايكة وقوم تبع كل كذب الرسل فحق وعيد أفعيينا بالخلق الاول بل هم في لبس من خلق جديد ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب اليه من حبل الوريد

بالحق الذي هو النبوة الثابتة بالمعجزات في أول وهلة من غير تفكر ولا تدبر (فهم في أمر مريج) مضطرب يقال مرج الخاتم في أصبعه وجرج فيقولون تارة شاعر وتارة ساحر وتارة كاهن لا يثبتون على شئ واحد * وقرئ لما جاءهم بكسر اللام وما المصدرية واللام هي التي في قولهم لخمس خلون أي عند مجيئه اياهم وقيل الحق القرآن وقيل الاخبار بالبعث (أفلم ينظروا) حين كفروا بالبعث الى آثار قدرة الله في خلق العالم (بنيناها) رفعناها بغير عمد (من فروج) من فتوق يعني أنها ملساء سليمة من العيوب لا فتق فيها ولا صدع ولا خلل كقوله تعالى هل ترى من فطور (مددناها) دحوناها (رواسي) جبالا ثوابت لولا هي لتكفأت (من كل زوج) من كل صنف (بهيج) يبتهج به لحسنه (تبصرة وذكرى) لتبصر به وتذكر كل (عبد منيب) راجع الى ربه مفكر في بدائع خلقه وقرئ تبصرة وذكرى بالرفع أي خلقها تبصرة (ماء مباركا) كثير المنافع (وحب الحصيد) وحب الزرع الذي من شأنه أن يحصد وهو ما يقتات به من نحو الحنطة والشعير وغيرهما (باسقات) طوالا في السماء وفي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم باصقات بابدال السين صادا لاجل القاف (نضيد) منضود بعضه فوق بعض اما أن يراد كثرة الطلع وتراكمه أو كثرة ما فيه من الثمر (رزقا) على أنبتناها رزقا لان الانبات في معنى الرزق أو على أنه مفعول له أي أنبتناها لنرزقهم (كذلك الخروج) كما حييت هذه البلدة الميتة كذلك تخرجون أحياء بعد موتكم والكاف في محل الرفع على الابتداء * أراد بفرعون قومه كقوله تعالى من فرعون وملئهم لان المعطوف عليه قوم نوح والمعطوفات جماعات (كل) يجوز أن يراد به كل واحد منهم وأن يراد جميعهم الا أنه وحد الضمير الراجع اليه على اللفظ دون المعنى (فحق وعيد) فوجب وحل وعيدي وهو كلمة العذاب وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديد لهم * عيي بالامر اذا لم يهتد لوجه عمله والهمزة للانكار والمعنى انا لم نعجز كما علموا عن الخلق الاول حتى نعجز عن الثاني ثم قال هم لا ينكرون قدرتنا على الخلق الاول واعترافهم بذلك في طيه الاعتراف بالقدرة على الاعادة (بل هم في لبس) أي في خلط وشبهة قد لبس عليهم الشيطان وحيرهم ومنه قول علي رضي الله عنه يا حار انه لملبوس عليك اعرف الحق تعرف أهله ولبس الشيطان عليهم تسويله اليهم أن احياء الموتى أمر خارج عن العادة فتركوا لذلك القياس الصحيح أن من قدر على الانشاء كان على الاعادة أقدر (فان قلت) لم نكر الخلق الجديد وهلا عرف كما عرف الخلق الاول (قلت) قصد في تنكيره الى خلق جديد له شأن عظيم وحال شديد حق من سمع به أن يهتم به ويخاف ويبحث عنه ولا يقعد على لبس في مثله * الوسوسة الصوت الخفي ومنه وسواس الحلي ووسوسة النفس ما يخطر ببال الانسان ويهجس في ضميره من حديث النفس * والباء مثلها في قولك صوت بكذا وهمس به ويجوز أن تكون للتعدية والضمير للانسان أي ما تجعله موسوسا وما مصدرية لانهم يقولون حدث نفسه بكذا كما يقولون حدثته به نفسه قال * وأكذب النفس اذا حدثتها * (ونحن أقرب اليه) مجاز والمراد قرب علمه منه وأنه يتعلق بمعلومه منه ومن أحواله تعلقا لا يخفى عليه شئ من خفياته فكأن ذاته قريبة منه كما يقال الله في كل مكان وقد جل عن الامكنة * وحبل الوريد مثل في فرط القرب كقولهم هو مني مقعد القابلة ومعقد الازار قال ذو الرمة * والموت أدنى لي من الوريد * والحبل العرق شبه بواحد الحبال ألا ترى الى قوله * كأن وريديه رشا آخلب * والوريدان عرقان مكتنفان لصفحتي العنق في مقدمهما متصلان بالوتين يردان من الرأس اليه وقيل سمي وريدا لان الروح ترده (فان قلت) ما وجه اضافة الحبل الى الوريد والشئ لا يضاف الى نفسه (قلت) فيه وجهان أحدهما أن تكون الاضافة للبيان كقولهم بعير سانية والثاني أن يراد حبل العاتق فيضاف الى

الوريد

الوريد كما يضاف الى العاتق لاجتماعهما فى عضو واحد كما لو قيل حبل العلباء مثلا (اذ) منصوب باقرب وساغ ذلك لان المعانى تعمل فى الظرف متقدمة ومتأخرة والمعنى أنه لطيف يتوصل علمه الى خطرات النفس وما لاشئ أخفى منه وهو أقرب من الانسان من كل قريب حين يتلقى الحفيظان ما يتلفظ به ايذانا بان استحفاظ الملكين أمر هو غنى عنه وكيف لا يستغنى عنه وهو مطلع على أخفى الخفيات وانما ذلك لحكمة اقتضت ذلك وهى مافى كتبة الملكين وحفظهما وعرض صحائف العمل يوم يقوم الاشهاد وعلم العبد بذلك مع علمه باحاطة الله بعمله من زيادة لطف له فى الانتهاء عن السيئات والرغبة فى الحسنات وعن النبى صلى الله عليه وسلم ان مقعد ملكيك على ثنيتيك ولسانك قلمهما وريقك مدادهما وأنت تجرى فيما لا يعنيك لا تستحى من الله تعالى ولا منهما ويجوز أن يكون تلقى الملكين بيانا للقرب يعنى ونحن قريبون منه مطلعون على أحواله مهيمنون عليه اذ حفظتنا وكتبتنا موكلون به والتلقى التلقن بالحفظ والكتبة * والقعيد المقاعد كالجليس بمعنى المجالس وتقديره عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد من المتلقيين فترك أحدهما لدلالة الثانى عليه كقوله كنت منه ووالدى بريا (رقيب) ملك يرقب عمله (عتيد) حاضر واختلف فيما يكتب الملكان فقيل يكتبان كل شئ حتى أنينه فى مرضه وقيل لا يكتبان الا مافيه أجر أو وزر ويدل عليه قوله عليه السلام كاتب الحسنات على يمين الرجل وكاتب السيئات على يسار الرجل وكاتب الحسنات أمين على كاتب السيئات فاذا عمل حسنة كتبها ملك اليمين عشرا واذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح أو يستغفر وقيل ان الملائكة يجتنبون الانسان عند غائطه وعند جماعه * وقرئ ما يلفظ على البناء للمفعول لما ذكر انكارهم البعث واحتج عليهم بوصف قدرته وعلمه أعلمهم أن ما أنكروه وجحدوه هم لاقوه عن قريب عند موتهم وعند قيام الساعة ونبه على اقتراب ذلك بأن عبر عنه بلفظ الماضى وهو قوله (وجاءت سكرة الموت بالحق) ونفخ فى الصور وسكرة الموت شدته الذاهبة بالعقل والباء فى بالحق للتعدية يعنى وأحضرت سكرة الموت حقيقة الامر الذى أنطق الله به كتبه وبعث به رسله أو حقيقة الامر وجلية الحال من سعادة الميت وشقاوته وقيل الحق الذى خلق له الانسان من أن كل نفس ذائقة الموت ويجوز أن تكون الباء مثلها فى قوله تنبت بالدهن أى وجاءت ملتبسة بالحق أى بحقيقة الامر أو بالحكمة والغرض الصحيح كقوله تعالى خلق السموات والارض بالحق وقرأ أبو بكر وابن مسعود رضى الله عنهما سكرة الحق بالموت على اضافة السكرة الى الحق والدلالة على أنها السكرة التى كتبت على الانسان وأوجبت له وأنها حكمة والباء للتعدية لانها سبب زهوق الروح لشدتها أو لان الموت يعقبها فكأنها جاءت به ويجوز أن يكون المعنى جاءت ومعها الموت وقيل سكرة الحق سكرة الله أضيفت اليه تفظيعا لشأنها وتهويلا وقرئ سكرات الموت (ذلك) اشارة الى الموت والخطاب للانسان فى قوله ولقد خلقنا الانسان على طريق الالتفات أو الى الحق والخطاب للفاجر (تحيد) تنفر وتهرب وعن بعضهم أنه سأل زيد بن أسلم عن ذلك فقال الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فحكاه لصالح بن كيسان فقال والله ما سن عالية ولا لسان فصيح ولا معرفة بكلام العرب هو للكافر ثم حكاهما للحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس فقال أخالفهما جميعا هو للبر والفاجر (ذلك يوم الوعيد) على تقدير حذف المضاف أى وقت ذلك يوم الوعيد والاشارة الى مصدر نفخ (سائق وشهيد) ملكان أحدهما يسوقه الى المحشر والآخر يشهد عليه بعمله أو ملك واحد جامع بين الامرين كأنه قيل معها ملك يسوقها ويشهد عليها ومحل معها سائق النصب على الحال من كل لتعرفه بالاضافة الى ما هو فى حكم المعرفة * قرئ لقد كنت عنك غطاءك فبصرك بالكسر على خطاب النفس أى يقال لها لقد كنت * جعلت الغفلة كأنها غطاء غطى به جسده كله أو غشاوة غطى بها عينيه فهو لا يبصر شيئا فاذا كان يوم القيامة تيقظ وزالت الغفلة عنه وغطاؤها فيبصر ما لم يبصره من الحق * ورجع بصره الكليل عن الابصار لغفلته حديدا لتيقظه (وقال قرينه) هو الشيطان الذى قيض له فى قوله نقيض له شيطانا فهو له قرين يشهد له قوله تعالى قال قرينه ربنا ما أطغيته (هذا ما لدى عتيد) هذا شئ لدى وفى ملكتى عتيد لجهنم والمعنى أن ملكا يسوقه وآخر يشهد عليه وشيطانا مقرونا به يقول قد أعتدته لجهنم وهيأته لها باغوائى واضلالى (فان قلت) كيف

اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد ونفخ فى الصور ذلك يوم الوعيد وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد لقد كنت فى غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد وقال قرينه هذا ما لدى عتيد

وأجر عظيم وان المتقين فى جنات ونعيم وقوله بايمان ألحقنا بهم ذرياتهم وهو أكثر من أن يحصى والثانى هو الاصل فى التنكير فلا يحتاج الى تمثيله فتنكير اللبس من التعظيم والتفخيم كأنه قال فى لبس أى لبس وتنكير الخلق الجديد للتقليل منه والتهوين لامره بالنسبة الى الخلق الاول ويحتمل أن يكون للتفخيم كأنه أمر أعظم من أن يرضى الانسان بكونه ملتبسا عليه

مع أنه أول ما تبصر فيه تحته ولعل اشارة الزمخشري الى هذا والله أعلم فهذا ما تراه كلام مناسب لاستطراف أسئلة وأجوبة فان يكن
هو ما أراده الزمخشري فذاك والا فالعق العسل ولا تسل * قوله تعالى قال قرينه ربنا ما أطغيته (قال فيه) ان قلت لما طرحت الواو من
هذه الجملة وذكرت في الاولى وأجاب بأنها استؤنفت كما تستأنف الجمل الواقعة في حكاية التقاول كما رأيت في حكاية المقاولة بين موسى
وفرعون (قال) فان قلت أين المقاولة قلت لما قال قرينه هذا ما لدى عتيد وتبعه قوله قال قرينه ربنا ما أطغيته وتلاه لا تختصموا علم أن
ثم مقاولة من الكافر لكنها طرحت للدلالة عليها من السياق كأنه لما قال القرين هذا ما لدى عتيد قال الكافر رب هو أطغاني
فلما قال الكافر ذلك قال القرين ما أطغيته فلما حكى قول القرين والكافر كان قائلا يقول فماذا قال الله تعالى فقيل قال لا تختصموا أي لا تختصموا في دار الجزاء وذكر الواو في
الجملة الاولى لانها اول المقاولة ولا بد من عطفها للدلالة على الجمع بين معناها ومعنى ما قبلها في الحصول أعني مجيء كل نفس مع الملكين وهذه المقاولة الى آخرها (قال) وقوله أحدهما به
وقد قدمت اليكم بالوعيد حال مما اشتمل عليه قوله لا تختصموا وصح ذلك مع أن التقديم في الدنيا والخصومة في الآخرة لان المراد وقد صح
عندكم أني قدمت وصحة ذلك عندهم في الآخرة فاتحد زمان المعنيين الحال والعامل في صاحبه * قوله تعالى وما أنا بظلام للعبيد (قال فيه
ان قلت كيف جاء على لفظ المبالغة الخ) قال أحمد وذكر فيه وجهان آخران أحدهما أن فعالا قد ورد بمعنى فاعل فهذا منه الثاني أن المنسوب
في المعتاد الى الملوك من الظلم تحت ظلمهم ان عظيما فعظيم وان قليلا فقليل فلما كان ملك الله تعالى على كل شيء ملكه قدس ذاته عما يتوهم
عذول والعياذ بالله أنه منسوب اليه من ظلم تحت شمول كل موجود ولتقدير القدرية فتوهموا أن الله تعالى لم يأمر الا بما أراده وبما
هو من خلق العبد بناء على أنه لو كلف على خلاف ما أراد وبما ليس من خلق العبد لكان تكليفا بما لا يطاق واعتقدوا أن ذلك ظلم في

اعراب هذا الكلام (قلت) ان جعلت ما موصوفة فعتيد صفة لها وان جعلتها موصولة فهو بدل أو خبر بعد خبر أو خبر مبتدا محذوف (ألقيا) خطاب من الله تعالى للملكين السائقين السائق والشهيد ويجوز أن يكون خطابا للواحد على وجهين أحدهما قول المبرد ان تثنية الفاعل نزلت منزلة تثنية الفعل لاتحادهما كأنه قيل ألق ألق للتأكيد والثاني أن العرب أكثر ما يرافق الرجل منهم اثنان فكثر على ألسنتهم أن يقولوا خليلي وصاحبي وقفا وأسعدا حتى خاطبوا الواحد خطاب الاثنين عن الحجاج أنه كان يقول يا حرسي اضربا عنقه وقرأ الحسن ألقين بالنون الخفيفة ويجوز أن تكون الالف في ألقيا بدلا من النون اجراء للوصل مجرى الوقف (عنيد) معاند مجانب للحق معاد لاهله (مناع للخير) كثير المنع للمال عن حقوقه جعل ذلك عادة له لا يبذل منه شيأ قط أو مناع لجنس الخير أن يصل الى أهله يحول بينه وبينهم قيل نزلت في الوليد بن المغيرة كان يمنع بني أخيه من الاسلام وكان يقول من دخل منكم فيه لم أنفعه بخير ما عشت (معتد) ظالم متخط للحق (مريب) شاك في الله وفي دينه (الذي جعل) مبتدأ متضمن معنى الشرط ولذلك أجيب بالفاء ويجوز أن يكون الذي جعل منصوبا بدلا من كل كفار ويكون (فألقياه) تكريرا للتوكيد (فان قلت) لم أخليت هذه الجملة عن الواو وأدخلت على الاولى (قلت) لانها استؤنفت كما تستأنف الجمل الواقعة في حكاية التقاول كما رأيت في حكاية المقاولة بين موسى وفرعون (فان قلت) فأين التقاول ههنا (قلت) لما قال قرينه هذا ما لدى عتيد وتبعه قوله قال قرينه ربنا ما أطغيته وتلاه لا تختصموا لدي علم أن ثم مقاولة من الكافر لكنها طرحت لما يدل عليها كأنه قال رب هو أطغاني فقال قرينه ربنا ما أطغيته وأما الجملة الاولى فواجب عطفها للدلالة على الجمع بين معناها ومعنى ما قبلها في الحصول أعني مجيء كل نفس مع الملكين وقول قرينه ما قال له (ما أطغيته) ما جعلته طاغيا وما أوقعته في الطغيان * ولكنه طغى واختار الضلالة على الهدى كقوله تعالى وما كان لي عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لي (قال لا تختصموا) استئناف مثل قوله قال قرينه كأن قائلا قال فماذا قال الله فقيل قال لا تختصموا والمعنى لا تختصموا في دار الجزاء وموقف الحساب فلا فائدة في اختصامكم ولا طائل تحته وقد أوعدتكم بعذابي على الطغيان في كتبي وعلى ألسنة رسلي فما تركت لكم حجة علي * ثم قال لا تطمعوا أن أبدل قولي ووعيدي فأعفيكم عما أوعدتكم به (وما أنا بظلام للعبيد) فأعذب من ليس بمستوجب للعذاب * والباء في بالوعيد مزيدة مثلها في ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة أو معدية على أن قدم مطاوع بمعنى تقدم ويجوز أن يقع الفعل على جملة قوله ما يبدل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد ويكون بالوعيد حالا أي قدمت اليكم هذا ملتبسا بالوعيد مقترنا به أو قدمته اليكم موعدا لكم به (فان قلت) ان قوله وقد قدمت اليكم واقع موقع الحال من لا تختصموا والتقديم بالوعيد في الدنيا والخصومة في الآخرة واجتماعهما في زمان واحد واجب (قلت) معناه لا تختصموا وقد صح عندكم أني قدمت اليكم بالوعيد وصحة ذلك عندهم في الآخرة (فان قلت) كيف قال بظلام على لفظ المبالغة (قلت) فيه وجهان

ألقيا في جهنم كل كفار عنيد مناع للخير معتد مريب الذي جعل مع الله الها آخر فألقياه في العذاب الشديد قال قرينه ربنا ما أطغيته ولكن كان في ضلال بعيد قال لا تختصموا لدي وقد قدمت اليكم بالوعيد ما يبدل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد وأزلفت الجنة للمتقين

الشاهد فلو ثبت في الغائب لكان كما هو في الشاهد ظلما والله تعالى مبرأ من الظلم ألا ترى هذا المعتقد كيف لزمهم عليه ان يكون الله تعالى ظلاما لعبيده تعالى الله عن ذلك لأن الحق الذي قامت بصحته البراهين هو عين ما اعتقدوه ظلما فنفوه فلمثلهم وردت هذه الآية وأشباهها التي تبين للناس ما نزل اليهم ولئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل والله الموفق للصواب * قوله تعالى يوم نقول لجهنم هل امتلأت الآية (قال فيه سؤال جهنم وجوابها من باب التخييل الذي يقصد به تصوير المعنى الخ) قال أحمد قد تقدم انكاري عليه اطلاق التخييل في غير ما موضع والنكير ههنا أشد عليه فان اطلاق التخييل قد مضى له في مثل قوله والأرض جميعا قبضته يوم القيامة وفي مثل قوله بل يداه مبسوطتان وانما أراد به حمل الآية على نوع من المجاز فمعنى كلامه صحيح لانا نعتقد فيهما المجاز وننزه الله بتقديسه عن المفهوم الحقيقي فلا بأس عليه في معنى الطلاقه غير انا مخاطبون باجتناب الالفاظ

الموهمة في حق جلال الله تعالى وان كانت معانيها صحيحة وأي ايهام أشد من ايهام لفظ التخييل ألا ترى كيف استعمله الله فيما أخبر انه سحر وباطل في قوله يخيل اليه من سحرهم انها تسعى فلا يشك في وجوب اجتنابه ثم يعود بنا الكلام الى اطلاقه ههنا فنقول هو منكر لفظا ومعنى

غير بعيد هذا ما توعدون لكل أواب حفيظ من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود لهم ما يشاؤن فيها ولدينا مزيد وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أشد منهم بطشا

أما اللفظ فقد تقدم وأما المعنى فلانا نعتقد ان سؤال جهنم وجوابها حقيقة وان الله تعالى يخلق فيها الادراك بذلك بشرطه وكيف نفرض وقد وردت الاخبار وتظاهرت على ذلك منها هذا ومنها لجاج الجنة والنار ومنها اشتكاؤها الى ربها فأذن لها في نفسين وهذه وان لم تكن نصوصا فظواهر يجب حملها على حقائقها لانا نتعبدون باعتقاد الظاهر ما لم يمنع مانع ولا مانع ههنا فان القدرة صالحة والعقل يجوز والظواهر قاضية بوقوع ما صوره العقل وقد وقع مثل هذا قطعا في الدنيا كتسليم الشجر وتسبيح الحصا في كف النبي صلى الله عليه وسلم وفي يد أصحابه ولو فتح باب المجاز والعدول عن الظاهر في تفاصيل المقالة لاتسع الخرق وضل كثير من الخلق عن الحق وليس هذا كالظواهر الواردة في الالهيات مما لم يجوز العقل اعتقاد ظاهرها فان العدول فيها عن ظاهر الكلام بضرورة الانقياد الى أدلة العقل المرشدة الى المعتقد الحق فاشدد يديك بما فصل في هذا الفصل مما أرشدتك به الى منهج

أحدهما أن يكون من قولك هو ظالم لعبده وظلام لعبيده والثاني أن يراد لو عذبت من لا يستحق العذاب لكنت ظلاما مفرط الظلم فنفى ذلك * قرئ نقول بالنون والياء وعن سعيد بن جبير يوم يقول الله لجهنم وعن ابن مسعود والحسن يقال * وانتصاب اليوم بظلام أو بمضمر نحو اذكر وأنذر ويجوز أن ينتصب بنفخ كأنه قيل ونفخ في الصور يوم نقول لجهنم وعلى هذا يشار بذلك الى يوم نقول ولا يقدر حذف المضاف * وسؤال جهنم وجوابها من باب التخييل الذي يقصد به تصوير المعنى في القلب وتثبيته وفيه معنيان أحدهما أنها تمتلئ مع اتساعها وتباعد أطرافها حتى لا يسعها شيء ولا يزاد على امتلائها لقوله تعالى لأملأن جهنم والثاني أنها من السعة بحيث يدخلها من يدخلها وفيها موضع للمزيد ويجوز أن يكون هل من مزيد استكثارا للداخلين فيها واستبداعا للزيادة عليهم لفرط كثرتهم أو طلبا للزيادة غيظا على العصاة والمزيد اما مصدر كالمحيد والمميد واما اسم مفعول كالمبيع (غير بعيد) نصب على الظرف أي مكانا غير بعيد أو على الحال وتذكيره لأنه على زنة المصدر كالزئير والصليل والمصادر يستوي في الوصف بها المذكر والمؤنث أو على حذف الموصوف أي شيئا غير بعيد ومعناه التوكيد كما تقول هو قريب غير بعيد وعزيز غير ذليل * وقرئ توعدون بالتاء والياء وهي جملة اعتراضية و(لكل أواب) بدل من قوله للمتقين بتكرير الجار كقوله تعالى للذين استضعفوا لمن آمن منهم * وهذا اشارة الى الثواب أو الى مصدر أزلفت * والأواب الرجاع الى ذكر الله تعالى والحفيظ الحافظ لحدوده تعالى و(من خشي) بدل بعد بدل تابع لكل ويجوز أن يكون بدلا عن موصوف أواب وحفيظ ولا يجوز أن يكون في حكم أواب وحفيظ لأن من لا يوصف به ولا يوصف من بين الموصولات الا بالذي وحده ويجوز أن يكون مبتدأ خبره يقال لهم ادخلوها بسلام لأن من في معنى الجمع ويجوز أن يكون منادى كقولهم من لا يزال محسنا أحسن الي وحذف حرف النداء للتقريب (بالغيب) حال من المفعول أي خشيه وهو غائب لم يعرفه وكونه معاقبا الا بطريق الاستدلال أو صفة لمصدر خشي أي خشيه خشية ملتبسة بالغيب حيث خشي عقابه وهو غائب أو خشيه بسبب الغيب الذي أوعده به من عذابه وقيل في الخلوة حيث لا يراه أحد (فان قلت) كيف قرن بالخشية اسمه الدال على سعة الرحمة (قلت) للثناء البليغ على الخاشي وهو خشيته مع علمه أنه الواسع الرحمة كما أثنى عليه بأنه خاش مع أن المخشي منه غائب ونحوه والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة فوصفهم بالوجل مع كثرة الطاعات * ووصف القلب بالانابة وهي الرجوع الى الله تعالى لأن الاعتبار بما ثبت منها في القلب * يقال لهم (ادخلوها بسلام) أي سالمين من العذاب وزوال النعم أو مسلما عليكم يسلم عليكم الله وملائكته (ذلك يوم الخلود) أي يوم تقدير الخلود كقوله تعالى فادخلوها خالدين أي مقدرين الخلود (ولدينا مزيد) هو ما لم يخطر ببالهم ولم تبلغه أمانيهم حتى يشاؤه

وقيل ان السحاب تمر باهل الجنة فتمطرهم الحور فتقول نحن المزيد الذى قال الله عز وجل ولدينا مزيد (فنقبوا) وقرئ بالتخفيف فخرقوا فى البلاد ودوخوا والتنقيب التنقير عن الامر والبحث والطلب قال الحرث ابن حلزة

نقبوا فى البلاد من حذر المو * ت وجالوا فى الارض كل مجال

ودخلت الفاء للتسبيب عن قوله هم أشد منهم بطشا أى شدة بطشهم أبطرتهم وأقدرتهم على التنقيب وقوتهم عليه ويجوز أن يراد فنقب أهل مكة فى أسفارهم ومسايرهم فى بلاد القرون فهل رأوا لهم محيصا حتى يؤملوا مثله لانفسهم والدليل على صحته قراءة من قرأ فنقبوا على الامر كقوله تعالى فسيحوا فى الارض وقرئ بكسر القاف مخففة من النقب وهو أن تنتقب خف البعير قال ما مسها من نقب ولا دبر والمعنى فنقبت أخفاف ابلهم أو حفيت أقدامهم ونقبت كما تنقب أخفاف الابل لكثرة طوفهم فى البلاد (هل من محيص) من الله أو من الموت (ان كان له قلب) أى قلب واع لان من لا يعى قلبه فكأنه لا قلب له * والقاء السمع الاصغاء (وهو شهيد) أى حاضر بفطنته لان من لا يحضر ذهنه فكأنه غائب وقد ملح الامام عبد القاهر فى قوله لبعض من يأخذ عنه

ما شئت من زهزهة والفتى * بمصقلاباذ لسقى الزروع

أو وهو مؤمن شاهد على صحته وأنه وحى من الله أو وهو بعض الشهداء فى قوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس وعن قتادة وهو شاهد على صدقه من أهل الكتاب لوجود نعته عنده وقرأ السدى وجماعة ألقى السمع على البناء للمفعول ومعناه لمن ألقى غيره السمع وفتح له أذنه فحسب ولم يحضر ذهنه وهو حاضر الذهن متفطن وقيل ألقى سمعه أو السمع منه * اللغوب الاعياء وقرئ بالفتح بزنة القبول والولوغ قيل نزلت فى اليهود لعنت تكذيبا لقولهم خلق الله السموات والارض فى ستة أيام أولها الاحد وآخرها الجمعة واستراح يوم السبت واستلقى على العرش وقالوا ان الذى وقع من التشبيه فى هذه الامة انما وقع من اليهود ومنهم أخذ (فاصبر على ما يقولون) أى اليهود ويأتون به من الكفر والتشبيه وقيل فاصبر على ما يقول المشركون من انكارهم البعث فان من قدر على خلق العالم قدر على بعثهم والانتقام منهم وقيل هى منسوخة بآية السيف وقيل الصبر مأمور به فى كل حال (بحمد ربك) حامدا ربك والتسبيح محمول على ظاهره أو على الصلاة فالصلاة (قبل طلوع الشمس) الفجر (وقبل الغروب) الظهر والعصر (ومن الليل) العشاآن وقيل التهجد (وأدبار السجود) التسبيح فى آثار الصلوات والسجود والركوع يعبر بهما عن الصلاة وقيل النوافل بعد المكتوبات وعن على رضى الله عنه الركعتان بعد المغرب وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم من صلى بعد المغرب قبل أن يتكلم كتبت صلاته فى عليين وعن ابن عباس رضى الله عنهما الوتر بعد العشاء والادبار جمع دبر وقرئ وادبار من أدبرت الصلاة اذا انقضت وتمت ومعناه ووقت انقضاء السجود كقولهم آتيك خفوق النجم (واستمع) يعنى واستمع لما أخبرك به من حال يوم القيامة وفى ذلك تهويل وتعظيم لشأن المخبر به والمحدث عنه كما يروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال سبعة أيام لمعاذ بن جبل يا معاذ اسمع ما أقول لك ثم حدثه بعد ذلك (فان قلت) بم انتصب اليوم (قلت) بما دل عليه ذلك يوم الخروج أى يوم ينادى المنادى يخرجون من القبور * ويوم يسمعون بدل من (يوم ينادى) و (المنادى) اسرافيل ينفخ فى الصور وينادى أيتها العظام البالية والاوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء وقيل اسرافيل ينفخ وجبريل ينادى بالحشر (من مكان قريب) من صخرة بيت المقدس وهى أقرب الارض من السماء باثنى عشر ميلا وهى وسط الارض وقيل من تحت أقدامهم وقيل من منابت شعورهم يسمع من كل شعرة أيتها العظام البالية و (الصيحة) النفخة الثانية (بالحق) متعلق بالصيحة والمراد به البعث والحشر للجزاء * قرئ تشقق وتشقق بادغام التاء فى الشين وتشقق على البناء للمفعول وتنشق (سراعا) حال من المجرور (علينا يسير) تقديم الظرف يدل على الاختصاص يعنى لا يتيسر مثل ذلك الامر العظيم الا على القادر الذات الذى لا يشغله شأن عن شأن كما قال تعالى ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة (نحن أعلم بما يقولون) تهديد لهم وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم (بجبار) كقوله تعالى

فنقبوا فى البلاد هل من محيص ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما فى ستة أيام وما مسنا من لغوب فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ومن الليل فسبحه وأدبار السجود واستمع يوم ينادى المناد من مكان قريب يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج انا نحن نحيى ونميت والينا المصير يوم تشقق الارض عنهم سراعا ذلك حشر علينا يسير نحن أعلم بما يقولون وما أنت عليهم بجبار فذكر بالقرآن

القريب والوصل والله الموفق * قوله تعالى من خشى الرحمن بالغيب (قال فيه ان قلت كيف قرن الخشية باسمه الدال على سعة الرحمة الخ) قال أحمد ومن هذا الوادى بالغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الثناء على صهيب بقوله نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه

بمسيطر حتى تقسرهم على الايمان انما أنت داع وباعث وقيل أريد التحلم عنهم وترك الغلظة عليهم ويجوز أن يكون من جبره على الامر بمعنى أجبره عليه أي ما أنت بوال عليهم تجبرهم على الايمان وعلى بمنزلته في قولك هو عليهم اذا كان واليهم ومالك أمرهم (من يخاف وعيد) كقوله تعالى انما أنت منذر من يخشاها لانه لا ينتفع الا فيه دون المصر على الكفر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ق هوّن الله عليه تارات الموت وسكراته

﴿سورة الذاريات مكية وهي ستون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(والذاريات) الرياح لانها تذرو التراب وغيره قال الله تعالى تذروه الرياح وقرئ بادغام التاء في الذال (فالحاملات وقرا) السحاب لانها تحمل المطر وقرئ وقرا بفتح الواو على تسمية المحمول بالمصدر أو على ايقاعه موقع حملا (فالجاريات يسرا) الفلك ومعنى يسرا جريا ذا يسر أي ذا سهولة (فالمقسمات أمرا) الملائكة لانها تقسم الامور من الامطار والارزاق وغيرها أو تفعل التقسيم مأمورة بذلك وعن مجاهد تتولى تقسيم أمر العباد جبريل للغلظة وميكائيل للرحمة وملك الموت لقبض الارواح واسرافيل للنفخ وعن علي رضي الله عنه أنه قال وهو على المنبر سلوني قبل أن لا تسألوني ولا تسألوا بعدي مثلي فقام ابن الكواء فقال ما الذاريات ذروا قال الرياح قال فالحاملات وقرا قال السحاب قال فالجاريات يسرا قال الفلك قال فالمقسمات أمرا قال الملائكة وكذا عن ابن عباس وعن الحسن المقسمات السحاب يقسم الله بها أرزاق العباد وقد حملت على الكواكب السبعة ويجوز أن يراد الرياح لا غير لانها تنشئ السحاب وتقله وتصرفه وتجري في الجو جريا سهلا وتقسم الامطار بتصريف السحاب (فان قلت) ما معنى الفاء على التفسيرين (قلت) أما على الاول فمعنى التعقيب فيها أنه تعالى أقسم بالرياح فبالسحاب الذي تسوقه فبالفلك التي تجريها بهبوبها فبالملائكة التي تقسم الارزاق باذن الله من الامطار وتجارات البحر ومنافعها وأما على الثاني فلانها تبتدئ بالهبوب فتذرو التراب والحصباء فتقل السحاب فتجري في الجو باسطة له فتقسم المطر (انما توعدون) جواب القسم وما موصولة أو مصدرية والموعود البعث ووعد صادق كعيشة راضية والدين الجزاء والواقع الحاصل (الحبك) الطرائق مثل حبك الرمل والماء اذا ضربته الريح وكذلك حبك الشعر آثار تثنيه وتكسره قال زهير

مكلل بأصول النجم تنسجه * ريح خريق لضاحي مائه حبك

والدرع محبوكة لان حلقها مطرق طرائق ويقال ان خلقة السماء كذلك وعن الحسن حبكها نجومها والمعنى أنها تزينها كما تزين الموشى طرائق الوشي وقيل حبكها صفاقتها واحكامها من قولهم فرس محبوك المعاقم أي محكمها واذا أجاد الحائك الحياكة قالوا ما أحسن حبكه وهو جمع حباك كمثال ومثل أو حبيكة كطريقة وطرق وقرئ الحبك بوزن القفل والحبك بوزن السلك والحبك بوزن الجبل والحبك بوزن البرق والحبك بوزن النعم والحبك بوزن الابل (انكم لفي قول مختلف) قولهم في الرسول ساحر وشاعر ومجنون وفي القرآن شعر وسحر وأساطير الاولين وعن الضحاك قول الكفرة لا يكون مستويا انما هو متناقض مختلف وعن قتادة منكم مصدق ومكذب ومقر ومنكر (يؤفك عنه) الضمير للقرآن أو للرسول أي يصرف عنه من صرف الصرف الذي لا صرف أشد منه وأعظم كقوله لا يهلك على الله الا هالك وقيل يصرف عنه من صرف في سابق علم الله أي علم فيما لم يزل أنه مأفوك عن الحق لا يرعوي ويجوز أن يكون الضمير لما توعدون أو للدين أقسم بالذاريات على أن وقوع أمر القيامة حق ثم أقسم بالسماء على أنهم في قول مختلف في وقوعه فمنهم شاك ومنهم جاحد ثم قال يؤفك عن الاقرار بأمر القيامة من هو المأفوك ووجه آخر وهو أن يرجع الضمير الى قول مختلف وعن مثله في قوله ينهون عن أكل وعن شرب أي يتناهون في السمن بسبب الاكل والشرب وحقيقته يصدر تناهيهم في السمن عنهما وكذلك يصدر افكهم عن القول المختلف وقرأ سعيد بن جبير يؤفك عنه من أفك على البناء

﴿سورة الذاريات مكية وهي ستون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

والذاريات ذروا فالحاملات وقرا فالجاريات يسرا فالمقسمات أمرا انما توعدون لصادق وان الدين لواقع والسماء ذات الحبك انكم لفي قول مختلف يؤفك عنه من أفك

﴿القول في سورة الذاريات﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* قوله تعالى يؤفك عنه من أفك (قال فيه يصرف عنه من صرف الصرف الذي لا صرف أشد منه الخ) قال أحمد انما أفاد هذا النظم المعنى الذي ذكره من قبل انك اذا قلت يصرف عنه من صرف علم السامع ان قولك يصرف عنه يغني عن قولك من صرف لانه بمجرده كالتكرار الاول الا ما يستشعر فيه من فائدة تأبى جعله تكرارا وتلك الفائدة انك انما خصصت هذا بانه هو الذي صرف أفهم ان غيره لم يصرف فكانك قلت لا يثبت الصرف في الحقيقة الا لهذا وكل صرف دونه فكلا صرف بالنسبة اليه والله تعالى أعلم

للفاعل أي من أفك الناس عنه وهم قريش وذلك أن الحي كانوا يبعثون الرجل ذا العقل والرأي ليسأل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون له احذره فيرجع فيخبرهم وعن زيد بن علي يأفك عنه من أفك أي يصرف الناس عنه من هو مأفوك في نفسه وعنه أيضا يأفك عنه من أفك أي يصرف الناس عنه من هو أفاك كذاب وقرئ يؤفن عنه من أفن أي يحرمه من حرم من أفن الضرع اذا نهكه حلبا (قتل الخراصون) دعاء عليهم كقوله تعالى قتل الانسان ما أكفره وأصله الدعاء بالقتل والهلاك ثم جرى مجرى لعن وقبح والخراصون الكذابون المقدرون ما لا يصح وهم أصحاب القول المختلف واللام اشارة اليهم كأنه قيل قتل هؤلاء الخراصون وقرئ قتل الخراصين أي قتل الله (في غمرة) في جهل يغمرهم (ساهون) غافلون عما أمروا به (يسئلون) فيقولون (أيان يوم الدين) أي متى يوم الجزاء وقرئ بكسر الهمزة وهي لغة (فان قلت) كيف وقع أيان ظرفا لليوم وانما تقع الاحيان ظروفا للحدثان (قلت) معناه أيان وقوع يوم الدين (فان قلت) فبم انتصب اليوم الواقع في الجواب (قلت) بفعل مضمر دل عليه السؤال أي يقع يوم هم على النار يفتنون ويجوز أن يكون مفتوحا لاضافته الى غير متمكن وهي الجملة (فان قلت) فما محله مفتوحا (قلت) يجوز أن يكون محله نصبا بالمضمر الذي هو يقع ورفعا على هو يوم هم على النار يفتنون وقرأ ابن أبي عبلة بالرفع (يفتنون) يحرقون ويعذبون ومنه الفتين وهي الحرة لان حجارتها كأنها محرقة (ذوقوا فتنتكم) في محل الحال أي مقولا لهم هذا القول (هذا) مبتدأ و(الذي) خبره أي هذا العذاب هو الذي (كنتم به تستعجلون) ويجوز أن يكون هذا بدلا من فتنتكم أي ذوقوا هذا العذاب (آخذين ما آتاهم ربهم) قابلين لكل ما أعطاهم راضين به يعني أنه ليس فيما آتاهم الا ما هو متلقى بالقبول مرضي غير مسخوط لان جميعه حسن طيب ومنه قوله تعالى ويأخذ الصدقات أي يقبلها ويرضاها (محسنين) قد أحسنوا أعمالهم وتفسير احسانهم ما بعده (ما) مزيدة والمعنى كانوا يهجعون في طائفة قليلة من الليل ان جعلت قليلا ظرفا ولك أن تجعله صفة للمصدر أي كانوا يهجعون هجوعا قليلا ويجوز أن تكون ما مصدرية أو موصولة على كانوا قليلا من الليل هجوعهم أو ما يهجعون فيه وارتفاعه بقليلا على الفاعلية وفيه مبالغات لفظ الهجوع وهو الغرار من النوم قال

قد حصت البيضة رأسي فما * أطعم نوما غير تهجاع

وقوله قليلا ومن الليل لان الليل وقت السبات والراحة وزيادة ما المؤكدة لذلك وصفهم بأنهم يحيون الليل متهجدين فاذا أسحروا أخذوا في الاستغفار كأنهم أسلفوا في ليلهم الجرائم وقوله (هم يستغفرون) فيه أنهم هم المستغفرون الاحقاء بالاستغفار دون المصرين فكأنهم المختصون به لاستدامتهم له واطنابهم فيه (فان قلت) هل يجوز أن تكون ما نافية كما قال بعضهم وأن يكون المعنى أنهم لا يهجعون من الليل قليلا ويحيونه كله (قلت) لا لان ما النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها تقول زيدا لم أضرب ولا تقول زيدا ما ضربت * السائل الذي يستجدي (والمحروم) الذي يحسب غنيا فيحرم الصدقة لتعففه وعن النبي صلى الله عليه وسلم ليس المسكين الذي ترده الاكلة والاكلتان واللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان قالوا فما هو قال الذي لا يجد ولا يتصدق عليه وقيل الذي لا ينمى له مال وقيل المحارف الذي لا يكاد يكسب (وفي الارض آيات) تدل على الصانع وقدرته وحكمته وتدبيره حيث هي مدحوة كالبساط لما فوقها كما قال الذي جعل لكم الارض مهادا وفيها المسالك والفجاج للمتقلبين فيها والماشين في مناكبها وهي مجزأة فمن سهل وجبل وبر وبحر وقطع متجاورات من صلبة ورخوة وعذاة وسبخة وهي كالطروقة تلقح بألوان النبات وأنواع الاشجار بالثمار المختلفة الالوان والطعوم والروائح تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل وكلها موافقة لحوائج ساكنيها ومنافعهم ومصالحهم في صحتهم واعتلالهم وما فيها من العيون المتفجرة والمعادن المفتنة والدواب المنبثة في برها وبحرها المختلفة الصور والاشكال والافعال من الوحشي والانسي والهوام وغير ذلك (للموقنين) الموحدين الذين سلكوا الطريق السوي البرهاني الموصل الى المعرفة فهم نظارون

قتل الخراصون الذين هم في غمرة ساهون يسئلون أيان يوم الدين يوم هم على النار يفتنون ذوقوا فتنتكم هذا الذي كنتم به تستعجلون ان المتقين في جنات وعيون آخذين ما آتاهم ربهم انهم كانوا قبل ذلك محسنين كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالاسحار هم يستغفرون وفي أموالهم حق للسائل والمحروم وفي الارض آيات للموقنين

* قوله تعالى كانوا قليلا من الليل ما يهجعون (ذكر) فيه وجهين أن تكون ما زائدة وقليلا ظرف منتصب بيهجعون أى كانوا يهجعون في طائفة قليلة من الليل أو تكون ما مصدرية أو موصولة على كانوا قليلا من الليل هجوعهم أو ما يهجعون فيه وارتفاعه بقليلا على الفاعلية اهـ كلامه (قال أحمد) وجوه مستقيمة خلا جعل ما مصدرية فان قليلا حينئذ واقع على الهجوع لانه فاعله وقوله من الليل لا يستقيم أن يكون صفة القليل ولا بيانا لما له ولا يستقيم أن يكون من صلة المصدر لانه تقدم عليه ٤٠٩ ولا كذلك على انها موصولة فان قليلا حينئذ واقع على الليل كأنه قال قليلا القدر الذي كانوا يهجعون فيه من الليل فلا مانع أن يكون من الليل بيانا للقليل على هذا الوجه وهذا الذي ذكره انما تبع فيه الزجاج وقد ذكر الزمخشري أن تكون

يعون باصرة وأفهام نافذة كلما رأوا آية عرفوا وجه تأملها فازدادوا ايمانا مع ايمانهم وايقانا الى ايقانهم (وفى أنفسكم) فى حال ابتدائها وتنقلها من حال الى حال وفى بواطنها وظواهرها من عجائب الفطر وبدائع الخلق ما تتحير فيه الأذهان وحسبك بالقلوب وما ركز فيها من العقول وخصت به من أصناف المعاني وبالالسن والنطق ومخارج الحروف وما فى تركيبها وترتيبها ولطائفها من الآيات الساطعة والبينات القاطعة على حكمة المدبر مع الاسماع والابصار والاطراف وسائر الجوارح وتأتيها لما خلقت له وما سوى فى الاعضاء من المفاصل للانعطاف والتثنى فانه اذا جسا شئ منها جاء العجز واذا استرخى أناخ الذل فتبارك الله أحسن الخالقين (وفى السماء رزقكم) هو المطر لانه سبب الاقوات وعن سعيد بن جبير هو الثلج وكل عين دائمة منه وعن الحسن أنه كان اذا رأى السحاب قال لاصحابه فيه والله رزقكم ولكنكم تحرمونه بخطاياكم (وما توعدون) الجنة هى على ظهر السماء السابعة تحت العرش أو أراد أن ما ترزقونه فى الدنيا وما توعدون به فى العقبى كله مقدر مكتوب فى السماء * قرئ مثل ما بالرفع صفة للحق أى حق مثل نطقكم وبالنصب على أنه حق حقا مثل نطقكم ويجوز أن يكون فتحا لاضافته الى غير متمكن وما مزيدة بنص الخليل وهذا كقول الناس ان هذا لحق كما أنك ترى وتسمع ومثل ما أنك ههنا وهذا الضمير اشارة الى ما ذكر من أمر الآيات والرزق وأمر النبى صلى الله عليه وسلم أو الى ما توعدون وعن الاصمعى أقبلت من جامع البصرة فطلع أعرابى على قعود له فقال من الرجل قلت من بنى أصمع قال من أين أقبلت قلت من موضع يتلى فيه كلام الرحمن فقال اتل على فتلوت والذاريات فلما بلغت قوله تعالى وفى السماء رزقكم قال حسبك فقام الى ناقته فنحرها ووزعها على من أقبل وأدبر وعمد الى سيفه وقوسه فكسرهما وولى فلما حججت مع الرشيد طفقت أطوف فاذا أنا بمن يهتف بى بصوت دقيق فالتفت فاذا أنا بالاعرابى قد نحل واصفر فسلم على واستقرأ السورة فلما بلغت الآية صاح وقال قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا ثم قال وهل غير ذلك فقرأت فورب السماء والارض انه لحق فصاح وقال يا سبحان الله من ذا الذى أغضب الجليل حتى حلف لم يصدقوه بقوله حتى ألجؤوه الى اليمين قالها ثلاثا وخرجت معها نفسه (هل أتاك) تفخيم للحديث وتنبيه على أنه ليس من علم رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما عرفه بالوحى * والضيف للواحد والجماعة كالزور والصوم لانه فى الاصل مصدر ضافه وكانوا اثنى عشر ملكا وقيل تسعة عاشرهم جبريل وقيل ثلاثة جبريل وميكائيل وملك معهما وجعلهم ضيفا لانهم كانوا فى صورة الضيف حيث أضافهم ابراهيم أو لانهم كانوا فى حسبانه كذلك وأكرامهم أن ابراهيم خدمهم بنفسه وأخدمهم امرأته وعجل لهم القرى أو أنهم فى أنفسهم مكرمون قال الله تعالى بل عباد مكرمون (اذ دخلوا) نصب بالمكرمين اذا فسر باكرام ابراهيم لهم والا فبما فى ضيف من معنى الفعل أو باضمار اذكر (سلاما) مصدر ساد مسد الفعل مستغنى به عنه وأصله نسلم عليكم سلاما * وأما (سلام) فمعدول به الى الرفع على الابتداء وخبره محذوف معناه عليكم سلام للدلالة على ثبات السلام كأنه قصد أن يحييهم بأحسن مما حيوه به أخذا بأدب الله تعالى وهذا أيضا من اكرامه لهم وقرئا مرفوعين وقرئ سلاما قال سلم والسلم السلام وقرئ سلاما قال سلم (قوم منكرون) أنكرهم للسلام الذى هو علم الاسلام أو أراد أنهم ليسوا من معارفه أو من جنس الناس الذين عهدهم كما لو أبصر العرب قوما من الخزر أو رأى لهم حالا وشكلا خلاف حال الناس وشكلهم

وفى أنفسكم أفلا تبصرون وفى السماء رزقكم وما توعدون فورب السماء والارض انه لحق مثل ما أنكم تنطقون هل أتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون

ما نافية وقليلا منصوب بيهجعون على تقدير كانوا ما يهجعون قليلا من الليل واستبعده الحق امتناع تقدم ما فى حيز النفى عليه (قلت) وفيه خلل من حيث المعنى فان طلب قيام جميع الليل غير مستثنى منه الهجوع وان قل غير ثابت فى الشرع ولا معهود ثم قال وصفهم بانهم يحيون الليل

٥ كشاف فى مستغفرين فاذا أسحروا أسرعوا فى الاستغفار كأنهم أسلفوا فى ليلهم الجرائم * قال وقوله هم معناه هم الاحقاء بالاستغفار دون المصرين * قال وفى الآية مبالغات منها لفظ الهجوع وهو الخفيف الغرار من النوم * قال وقوله قليلا وقوله من الليل لانه وقت سبات قال ومنها زيادة ما فى بعض الوجوه (قلت) وفى عدها من المبالغة نظر فانها تؤكد الهجوع وتحققه الا أن يجعلها بمعنى القلة فيحتمل

٣ (قول المحشى قوله تعالى كانوا قليلا الخ) هذه القولة محلها الصحيفة التى قبلها نقلت سهوا ولم يمكن تداركها الا هنا فليتنبه له اهـ

* قوله تعالى فراغ الى أهله (قال فيه اشارة لاختفائه من ضيوفه ومن أدب المضيف أن يخفي أمره الخ) قال أحمد معنى حسن وقد نقل أبو عبيد أنه لا يقال راغ الا اذا ذهب على خفية ونقل أبو عبيد في قوله عليه السلام اذا كفى أحدكم خادمه حر طعامه فليقعده معه

فراغ الى أهله فجاء بعجل سمين فقربه اليهم قال ألا تأكلون فأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم فأقبلت امرأته في صرة فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم قالوا كذلك قال ربك انه هو الحكيم العليم قال فما خطبكم أيها المرسلون قالوا انا أرسلنا الى قوم مجرمين لنرسل عليهم حجارة من طين مسومة عند ربك للمسرفين فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الاليم وفي موسى اذ أرسلناه الى فرعون بسلطان مبين فتولى بركنه وقال ساحر أو مجنون فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم وهو مليم وفي عاد اذ أرسلنا عليهم الريح العقيم ما تذر من شيء أتت عليه الا جعلته كالرميم وفي ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين فعتوا عن أمر ربهم فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون فما استطاعوا من قيام وما كانوا

أو كان هذا سؤالا لهم كأنه قال أنتم قوم منكرون فعرفوني من أنتم (فراغ الى أهله) فذهب اليهم في خفية من ضيوفه ومن أدب المضيف أن يخفي أمره وأن يبادره بالقرى من غير أن يشعر به الضيف حذرا من أن يكفه ويعذره قال قتادة كان عامة مال نبي الله ابراهيم البقر (فجاء بعجل سمين) * والهمزة في (ألا تأكلون) للانكار أنكر عليهم ترك الاكل أو حثهم عليه (فأوجس) فأضمر وانما خافهم لانهم لم يتحرموا بطعامه فظن أنهم يريدون به سوأ وعن ابن عباس وقع في نفسه أنهم ملائكة أرسلوا للعذاب وعن عون بن شداد مسح جبريل العجل بجناحه فقام يدرج حتى لحق بأمه (بغلام عليم) أي يبلغ ويعلم وعن الحسن عليم نبي والمبشر به اسحق وهو أكثر الاقاويل وأصحها لان الصفة صفة سارة لا هاجر وهي امرأة ابراهيم وهو بعلها وعن مجاهد هو اسمعيل (في صرة) في صيحة من صر الجندب وصر القلم والباب ومحله النصب على الحال أي فجاءت صارة قال الحسن أقبلت الى بيتها وكانت في زاوية تنظر اليهم لانها وجدت حرارة الدم فلطمت وجهها من الحياء وقيل فأخذت في صرة كما تقول أقبل يشتمني وقيل صرتها قولها أوه وقيل يا ويلتا وعن عكرمة رنتها (فصكت) فلطمت ببسط يديها وقيل فضربت بأطراف أصابعها جبهتها فعل المتعجب (عجوز) أنا عجوز فكيف ألد (كذلك) مثل ذلك الذي قلنا وأخبرنا به (قال ربك) أي انما نخبرك عن الله والله قادر على ما تستبعدين وروى أن جبريل قال لها انظري الى سقف بيتك فنظرت فاذا جذوعه مورقة مثمرة * لما علم أنهم ملائكة وأنهم لا ينزلون الا باذن الله رسلا في بعض الامور (قال فما خطبكم) أي فما شأنكم وما طلبكم (الى قوم مجرمين) الى قوم لوط (حجارة من طين) يريد السجيل وهو طين طبخ كما يطبخ الآجر حتى صار في صلابة الحجارة (مسومة) معلمة من السومة وهي العلامة على كل واحد منها اسم من يهلك به وقيل أعلمت بأنها من حجارة العذاب وقيل بعلامة تدل على أنها ليست من حجارة الدنيا * سماهم مسرفين كما سماهم عادين لاسرافهم وعدوانهم في عملهم حيث لم يقنعوا بما أبيح لهم * الضمير في (فيها) للقرية ولم يجر لها ذكر لكونها معلومة وفيه دليل على أن الايمان والاسلام واحد وأنهما صفتا مدح قيل هم لوط وابنتاه وقيل كان لوط وأهل بيته الذين نجوا ثلاثة عشر وعن قتادة لو كان فيها أكثر من ذلك لانجاهم ليعلموا أن الايمان محفوظ لا ضيعة على أهله عند الله (آية) علامة يعتبر بها الخائفون دون القاسية قلوبهم قال ابن جريج هي صخر منضود فيها وقيل ماء أسود منتن (وفي موسى) عطف على وفي الارض آيات أو على قوله وتركنا فيها آية على معنى وجعلنا في موسى آية كقوله علفتها تبنا وماء باردا (فتولى بركنه) فازور وأعرض كقوله تعالى ونأى بجانبه وقيل فتولى بما كان يتقوى به من جنوده وملكه وقرئ بركنه بضم الكاف (وقال ساحر) أي هو ساحر (مليم) آت بما يلام عليه من كفره وعناده والجملة مع الواو حال من الضمير في فأخذناه (فان قلت) كيف وصف نبي الله يونس صلوات الله عليه بما وصف به فرعون في قوله تعالى فالتقمه الحوت وهو مليم (قلت) موجبات اللوم تختلف وعلى حسب اختلافها تختلف مقادير اللوم فراكب الكبيرة ملوم على مقدارها وكذلك مقترف الصغيرة ألا ترى الى قوله تعالى وعصوا رسله وعصى آدم ربه لان الكبيرة والصغيرة يجمعهما اسم العصيان كما يجمعهما اسم القبيح والسيئة (العقيم) التي لا خير فيها من انشاء مطر أو القاح شجر وهي ريح الهلاك واختلف فيها فعن علي رضي الله عنه النكباء وعن ابن عباس الدبور وعن ابن المسيب الجنوب * الرميم ما رم أي بلي وتفتت من عظم أو نبات أو غير ذلك (حتى حين) تفسيره قوله تمتعوا في داركم ثلاثة أيام (فعتوا عن أمر ربهم) فاستكبروا عن امتثاله * وقرئ الصعقة وهي المرة من مصدر صعقتهم الصاعقة والصاعقة النازلة نفسها (وهم ينظرون) كانت نهارا يعاينونها وروى أن العمالقة كانوا معهم في الوادي ينظرون اليهم وما ضرتهم (فما استطاعوا من قيام) كقوله تعالى فأصبحوا في دارهم جاثمين وقيل هو من قولهم ما يقوم به

والا فليروغ له لقمة قال أبو عبيد يقال روغ اللقمة وسغبلها وسغسغها أو فرغها اذا غمسها في دسم ويروى سغبلها (قلت) وهو من هذا المعنى لانها اذا ذهب مغموسة في السمن حتى تخفى ومن مقلوبه غور الارض والجرح وسائر مقلوباته قريبة من هذا المعنى والله أعلم

* قوله تعالى ففروا الى الله انى لكم منه نذير مبين (قال فيه معنى ففروا الى الله أى طاعته من معصيته والى ثوابه الخ) قال أحمد حمل الآية مالم تحتمله لانه لا يكاد يخلى سورة حتى يدس فى تفسيرها بيده من معتقده فدس ههنا القطع بوعيد الفساق وبخلودهم كالكفار ولا تحتمل فى الآية لما ذكر فان المناسبة فى قوله ففروا الى الله الفرار الى عبادة الله فقط وحد من لم يعبد الله ثم نهى عابده ان يشرك بعبادة ربه غيره وتوعده على ذلك وفائدة تكرار النذارة الدلالة على انه لا تنفع العبادة مع الاشراك بل حكم المشرك حكم الجاحد المعطل لا كما قال الزمخشري المأمور به فى الاول الطاعة الموظفة بعد الايمان فتوعد تاركها بالوعيد المعروف له وهو الخلود وعلى هذا لا يكون تكرارا على اختلاف الوعيدين (٣) فهو أولى فكيف يحمل الآية على خلاف ما هو أولى بها ليتم الاستدلال بها على معتقده الفاسد نعوذ بالله من ذلك * قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون (قال فيه الا لاجل العبادة ولم أرد ٤١١ من جميعهم الا اياها الخ) قال أحمد من عادته انه اذا استشعر ان ظاهرا موافق لمعتقده نزله على مذهبه بصورة ايراد معتقد أهل السنة سؤالا وايراد معتقده جوابا كذلك صنع ههنا فنقول السؤال الذى أورده عالا يجاب عنه بما ذكره فانه سؤال مقدماته قطعية عقلية فيجب تنزيل الآية عليه وهي ان ظاهر سياق الآية دليل لاهل السنة فانها انما سيقت لبيان عظمته عز وجل وان شأنه مع عبيده لا يقاس به شأن عبيد الخلق معهم فان عبيدهم مطلوبون بالخدمة والتكسب للسادة وبواسطة مكاسب عبيدهم قدر أرزاقهم والله تعالى لا يطلب من عباده رزقا ولا اطعاما وانما يطلب منهم عبادته لا غير وزائدا على كونه لا يطلب منهم رزقا انه هو الذى يرزقهم فهذا المعنى الشريف هو الذى تجلى تحت رابية هذه الآية وله سيقت وبه نطقت ولكن الهوى يعمى ويصم فاصله وما خلقت الجن والانس الا لادعوهم الى عبادتى وهذا مالا يعدل عنه أهل السنة فانه وافق معتقدهم وبالله التوفيق

اذا عجزوا عن دفعه (منتصرين) ممتنعين من العذاب (وقوم) قرئ بالجر على معنى وفى قوم نوح وتقويه قراءة عبد الله وفى قوم نوح وبالنصب على معنى وأهلكنا قوم نوح لان ما قبله يدل عليه أو واذكر قوم نوح (بأيد) بقوة والايد والآد القوة وقد آد يئيد وهو أيد (وانا لموسعون) لقادرون من الوسع وهى الطاقة والموسع القوى على الانفاق وعن الحسن لموسعون الرزق بالمطر وقيل جعلنا بينها وبين الارض سعة (فنعم الماهدون) فنعم الماهدون نحن (ومن كل شئ) أى من كل شئ من الحيوان (خلقنا زوجين) ذكرا وأنثى وعن الحسن السماء والارض والليل والنهار والشمس والقمر والبر والبحر والموت والحياة فعدد أشياء وقال كل اثنين منها زوج والله تعالى فرد لا مثل له (لعلكم تذكرون) أى فعلنا ذلك كله من بناء السماء وفرش الارض وخلق الازواج ارادة أن تتذكروا فتعرفوا الخالق وتعبدوه (ففروا الى الله) أى الى طاعته وثوابه من معصيته وعقابه ووحدوه ولا تشركوا به شيأ وكرر قوله (انى لكم منه نذير مبين) عند الامر بالطاعة والنهى عن الشرك ليعلم أن الايمان لا ينفع الا مع العمل كما أن العمل لا ينفع الا مع الايمان وأنه لا يفوز عند الله الا الجامع بينهما ألا ترى الى قوله تعالى لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى ايمانها خيرا والمعنى قل يا محمد ففروا الى الله (كذلك) الامر أى مثل ذلك وذلك اشارة الى تكذيبهم الرسول وتسميته ساحرا ومجنونا ثم فسر ما أجمل بقوله (ما أتى) ولا يصح أن تكون الكاف منصوبة بأتى لان ما النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها ولو قيل لم يأت لكان صحيحا على معنى مثل ذلك الاتيان لم يأت من قبلهم رسول الا قالوا (أتواصوا به) الضمير للقول يعنى أتواصى الاولون والآخرون بهذا القول حتى قالوه جميعا متفقين عليه (بل هم قوم طاغون) أى لم يتواصوا به لانهم لم يتلاقوا فى زمان واحد بل جمعتهم العلة الواحدة وهى الطغيان والطغيان هو الحامل عليه (فتول عنهم) فأعرض عن الذين كررت عليهم الدعوة فلم يجيبوا وعرفت منهم العناد واللجاج فلا لوم عليك فى اعراضك بعدما بلغت الرسالة وبذلت مجهودك فى البلاغ والدعوة ولا تدع التذكير والموعظة بأيام الله (فان الذكرى تنفع المؤمنين) أى تؤثر فى الذين عرف الله منهم أنهم يدخلون فى الايمان أو يزيد الداخلين فيه ايمانا وروى انه لما نزلت فتول عنهم حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم واشتد ذلك على أصحابه ورأوا أن الوحى قد انقطع وأن العذاب قد حضر فأنزل الله وذكر * أى وما خلقت الجن والانس الا لاجل العبادة ولم أرد من جميعهم الا اياها (فان قلت) لو كان مريدا للعبادة منهم لكانوا كلهم عبادا (قلت) انما أراد منهم أن يعبدوه مختارين للعبادة لا مضطرين اليها لانه خلقهم ممكنين فاختار بعضهم ترك العبادة مع كونه مريدا لها

منتصرين وقوم نوح من قبل انهم كانوا قوما فاسقين والسماء بنيناها بأيد وانا لموسعون والارض فرشناها فنعم الماهدون ومن كل شئ خلقنا زوجين لعلكم تذكرون ففروا الى الله انى لكم منه نذير مبين ولا تجعلوا مع الله الها آخر انى لكم منه نذير مبين كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر أو مجنون أتواصوا به بل هم قوم طاغون فتول عنهم فما أنت بملوم وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون ان الله هو الرزاق ذو القوة

عذاب النار ووهجها ولفحها والسموم الريح الحارة التي تدخل المسام فسميت بها نار جهنم لانها بهذه الصفة (من قبل) من قبل لقاء الله تعالى والمصير اليه يعنون في الدنيا (ندعوه) نعبده ونسأله الوقاية (انه هو البر) المحسن (الرحيم) العظيم الرحمة الذي اذا عبد أثاب واذا سئل أجاب وقرئ أنه بالفتح بمعنى لانه (فذكر) فاثبت على تذكير الناس وموعظتهم ولا يثبطنك قولهم كاهن أو مجنون ولا تبال به فانه قول باطل متناقض لان الكاهن يحتاج في كهانته الى فطنة ودقة نظر والمجنون مغطى على عقله * وما أنت بحمد الله وانعامه عليك بصدق النبوة ورجاحة العقل أحد هذين * وقرئ يتربص به ريب المنون على البناء للمفعول وريب المنون ما يقلق النفوس ويشخص بها من حوادث الدهر قال * أمن المنون وريبه تتوجع * وقيل المنون الموت وهو في الاصل فعول من منه اذا قطعه لان الموت قطوع ولذلك سميت شعوب قالوا ننتظر به نوائب الزمان فيهلك كما هلك من قبله من الشعراء زهير والنابغة (من المتربصين) أتربص هلاككم كما تتربصون هلاكي (أحلامهم) عقولهم وألبابهم ومنه قولهم أحلام عاد والمعنى أتأمرهم أحلامهم بهذا التناقض في القول وهو قولهم كاهن وشاعر مع قولهم مجنون وكانت قريش يدعون أهل الاحلام والنهى (أم هم قوم طاغون) مجاوزون الحد في العناد مع ظهور الحق لهم (فان قلت) ما معنى كون الاحلام آمرة (قلت) هو مجاز لادائها الى ذلك كقوله تعالى أصلواتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا * وقرئ بل هم قوم طاغون (تقوله) اختلقه من تلقاء نفسه (بل لا يؤمنون) فلكفرهم وعنادهم يرمون بهذه المطاعن مع علمهم ببطلان قولهم وأنه ليس بمتقول لعجز العرب عنه وما محمد الا واحد من العرب * وقرئ بحديث مثله على الاضافة والضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومعناه أن مثل محمد في فصاحته ليس بمعوز في العرب فان قدر محمد على نظمه كان مثله قادرا عليه فليأتوا بحديث ذلك المثل (أم خلقوا) أم أحدثوا وقدروا التقدير الذي عليه فطرتهم (من غير شئ) من غير مقدر (أم هم) الذين خلقوا أنفسهم حيث لا يعبدون الخالق (بل لا يوقنون) أي اذا سئلوا من خلقكم وخلق السموات والارض قالوا الله وهم شاكون فيما يقولون لا يوقنون وقيل أخلقوا من أجل لا شئ من جزاء ولا حساب وقيل أخلقوا من غير أب وأم (أم عندهم خزائن) الرزق حتى يرزقوا النبوة من شاؤا أو أعندهم خزائن علمه حتى يختاروا لها من اختياره حكمة ومصلحة (أم هم المسيطرون) الارباب الغالبون حتى يدبروا أمر الربوبية ويبنوا الامور على ارادتهم ومشيئتهم وقرئ المصيطرون بالصاد (أم لهم سلم) منصوب الى السماء يستمعون صاعدين فيه الى كلام الملائكة وما يوحى اليهم من علم الغيب حتى يعلموا ما هو كائن من تقدم هلاكه على هلاكهم وظفرهم في العاقبة دونه كما يزعمون (بسلطان مبين) بحجة واضحة تصدق استماع مستمعهم (المغرم) أن يلتزم الانسان ما ليس عليه أي لزمهم مغرم ثقيل فدحهم فزهدهم ذلك في اتباعك (أم عندهم الغيب) أي اللوح المحفوظ (فهم يكتبون) ما فيه حتى يقولوا لا نبعث وان بعثنا لم نعذب (أم يريدون كيدا) وهو كيدهم في دار الندوة برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالمؤمنين (فالذين كفروا) اشارة اليهم أو أريد بهم كل من كفر بالله (هم المكيدون) هم الذين يعود عليهم وبال كيدهم ويحيق بهم مكرهم وذلك أنهم قتلوا يوم بدر أو المغلوبون في الكيد من كايدته فكدته * الكسف القطعة وهو جواب قولهم أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا يريد أنهم لشدة طغيانهم وعنادهم لو أسقطناه عليهم لقالوا هذا سحاب مركوم بعضه فوق بعض يمطرنا ولم يصدقوا أنه كسف ساقط للعذاب * وقرئ حتى يلقوا ويلقوا (يصعقون) يموتون وقرئ يصعقون يقال صعقه فصعق وذلك عند النفخة الاولى نفخة الصعق (وان للذين ظلموا) وان لهؤلاء الظلمة (عذابا دون ذلك) دون يوم القيامة وهو القتل ببدر والقحط سبع سنين وعذاب القبر وفي مصحف عبد الله دون ذلك قريبا (لحكم ربك) بامهالهم وما يلحقك فيه من المشقة والكلفة (فانك بأعيننا) مثل أي بحيث نراك ونكلؤك وجمع العين لان الضمير بلفظ ضمير الجماعة ألا ترى الى قوله تعالى ولتصنع على عيني * وقرئ بأعينا بالادغام (حين تقوم) من أي مكان قمت وقيل من منامك (وادبار النجوم) واذا أدبرت النجوم من آخر الليل وقرئ وأدبار بالفتح بمعنى في أعقاب النجوم وآثارها اذا غربت والمراد الامر بقول

من قبل ندعوه أنه هو البر الرحيم فذكر فما أنت بنعمت ربك بكاهن ولا مجنون أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون قل تربصوا فاني معكم من المتربصين أم تأمرهم أحلامهم بهذا أم هم قوم طاغون أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين أم خلقوا من غير شئ أم هم الخالقون أم خلقوا السموات والارض بل لا يوقنون أم عندهم خزائن ربك أم هم المسيطرون أم لهم سلم يستمعون فيه فليأت مستمعهم بسلطان مبين أم له البنات ولكم البنون أم تسألهم أجرا فهم من مغرم مثقلون أم عندهم الغيب فهم يكتبون أم يريدون كيدا فالذين كفروا هم المكيدون أم لهم اله غير الله سبحان الله عما يشركون وان يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب مركوم فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئا ولا هم ينصرون وان للذين ظلموا عذابا دون ذلك ولكن أكثرهم لا يعلمون واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا وسبح بحمد ربك حين تقوم ومن الليل فسبحه وادبار النجوم

سبحان الله وبحمده في هذه الاوقات وقيل التسبيح الصلاة اذا قام من نومه ومن الليل صلاة العشاءين وادبار النجوم صلاة الفجر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الطور كان حقا على الله أن يؤمنه من عذابه وأن ينعمه في جنته

﴿سورة والنجم مكية وهي احدى وستون وقيل ثنتان وستون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* النجم الثريا وهو اسم غالب لها قال

اذا طلع النجم عشاء * ابتغى الراعي كساء

أو جنس النجوم قال * فباتت تعد النجم في مستحيرة * يريد النجوم (اذا هوى) اذا غرب أو انتثر يوم القيامة أو النجم الذي يرجم به اذا هوى اذا انقض أو النجم من نجوم القرآن وقد نزل منجما في عشرين سنة اذا هوى اذا نزل أو النبات اذا هوى اذا سقط على الارض وعن عروة بن الزبير أن عتبة بن أبي لهب وكانت تحته بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد الخروج الى الشأم فقال لآتين محمدا فلأوذينه فأتاه فقال يا محمد هو كافر بالنجم اذا هوى وبالذي دنا فتدلى ثم تفل في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ورد عليه ابنته وطلقها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم سلط عليه كلبا من كلابك وكان أبو طالب حاضرا فوجم لها وقال ما كان أغناك يا ابن أخي عن هذه الدعوة فرجع عتبة الى أبيه فأخبره ثم خرجوا الى الشأم فنزلوا منزلا فأشرف عليهم راهب من الدير فقال لهم ان هذه أرض مسبعة فقال أبو لهب لاصحابه أغيثونا يا معشر قريش هذه الليلة فاني أخاف على ابني دعوة محمد فجمعوا جمالهم وأناخوها حولهم وأحدقوا بعتبة فجاء الاسد يتشمم وجوههم حتى ضرب عتبة فقتله وقال حسان

من يرجع العام الى أهله * فما أكيل السبع بالراجع

(ما ضل صاحبكم) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم والخطاب لقريش وهو جواب القسم والضلال نقيض الهدى * والغي نقيض الرشد أي هو مهتد راشد وليس كما تزعمون من نسبتكم اياه الى الضلال والغي * وما أتاكم به من القرآن ليس بمنطق يصدر عن هواه ورأيه * وانما هو وحي من عند الله يوحى اليه ويحتج بهذه الآية من لا يرى الاجتهاد للانبياء ويجاب بأن الله تعالى اذا سوغ لهم الاجتهاد كان الاجتهاد وما يستند اليه كله وحيا لا نطقا عن الهوى (شديد القوى) ملك شديد قواه والاضافة غير حقيقية لانها اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها وهو جبريل عليه السلام ومن قوته أنه اقتلع قرى قوم لوط من الماء الاسود وحملها على جناحه ورفعها الى السماء ثم قلبها وصاح صيحة بثمود فأصبحوا جاثمين وكان هبوطه على الانبياء وصعوده في أوحى من رجعة الطرف ورأى ابليس يكلم عيسى عليه السلام على بعض عقاب الارض المقدسة فنفحه بجناحه نفحة فألقاه في أقصى جبل بالهند (ذو مرة) ذو حصافة في عقله ورأيه ومتانة في دينه (فاستوى) فاستقام على صورة نفسه الحقيقية دون الصورة التي كان يتمثل بها كلما هبط بالوحي وكان ينزل في صورة دحية وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب أن يراه في صورته التي جبل عليها فاستوى له في الافق الاعلى وهو أفق الشمس فملأ الافق وقيل ما رآه أحد من الانبياء في صورته الحقيقية غير محمد صلى الله عليه وسلم مرتين مرة في الارض ومرة في السماء (ثم دنا) من رسول الله صلى الله عليه وسلم (فتدلى) فتعلق عليه في الهواء ومنه تدلت الثمرة ودلى رجليه من السرير والدوالي الثمر المعلق قال * تدلى عليها بين سب وخيطة * ويقال هو مثل القرلي ان رأى خيرا تدلى وان لم يره تولى (قاب قوسين) مقدار قوسين عربيتين والقاب والقيب والقاد والقيد والقيس المقدار وقرأ زيد بن علي قاد وقرئ قيد وقدر وقد جاء التقدير بالقوس والرمح والسوط والذراع والباع والخطوة والشبر والفتر والاصبع ومنه لا صلاة الى أن ترتفع الشمس مقدار رمحين وفي الحديث لقاب قوس أحدكم من الجنة وموضع قده خير من الدنيا وما فيها والقد السوط ويقال بينهما

﴿سورة والنجم مكية وهي احدى وستون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

والنجم اذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى علمه شديد القوى ذو مرة فاستوى وهو بالافق الاعلى ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين

﴿القول في سورة النجم﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) قوله تعالى فكان قاب قوسين (قال فيه تقديره فكان مقدار مسافة قربه مثل قاب قوسين الى آخره) قال أحمد وقد قال بعضهم انه كناية عن المعاهدة على لزوم الطاعة لان الحليفين في عرف العرب اذا تعاقدا على الوفاء والصفاء ألصقا وترى قوسيهما (قلت) وفيه ميل لقوله أو أدنى * قوله تعالى فأوحى الى عبده ما أوحى (قال فيه هذا تفخيم للوحي الذي أوحى الله اليه) قال أحمد التفخيم لما فيه ٤١٦ من الابهام كأنه أعظم من أن يحيط به بيان وهو كقوله اذ يغشى السدرة ما يغشى وقوله فغشيهم من اليم ما غشيهم * قوله تعالى لقد رأى من آيات ربه الكبرى (قال فيه معناه قد رأى من آيات ربه الآيات التي الخ) قال أحمد ويحتمل ان تكون الكبرى صفة آيات ربه لا مفعولا به ويكون المرئي محذوفا للتفخيم

أو أدنى فأوحى الى عبده ما أوحى ما كذب الفؤاد ما رأى أفتمارونه على ما يرى ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى اذ يغشى السدرة ما يغشى ما زاغ البصر وما طغى لقد رأى من آيات ربه الكبرى أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة

خطوات يسيرة وقال وقد جعلتني من خزيمة أصبعا (فان قلت) كيف تقدير قوله فكان قاب قوسين (قلت) تقديره فكان مقدار مسافة قربه مثل قاب قوسين فحذفت هذه المضافات كما قال أبو علي في قوله

وقد جعلتني من خزيمة أصبعا

اي ذا مقدار مسافة أصبع (أو أدنى) أي على تقديركم كقوله تعالى أو يزيدون (الى عبده) الى عبد الله وان لم يجر لاسمه عز وجل ذكر لانه لا يلبس كقوله على ظهرها (ما أوحى) تفخيم للوحي الذي أوحى اليه قيل أوحى اليه أن الجنة محرمة على الانبياء حتى تدخلها وعلى الامم حتى تدخلها أمتك (ما كذب) فؤاد محمد صلى الله عليه وسلم ما رآه ببصره من صورة جبريل عليه السلام أي ما قال فؤاده لما رآه لم أعرفك ولو قال ذلك لكان كاذبا لانه عرفه يعني أنه رآه بعينه وعرفه بقلبه ولم يشك في أن ما رآه حق وقرئ ما كذب أي صدقه ولم يشك أنه جبريل عليه السلام بصورته (أفتمارونه) من المراء وهو الملاحاة والمجادلة واشتقاقه من مرى الناقة كأن كل واحد من المتجادلين يمري ما عند صاحبه وقرئ أفتمرونه أفتغلبونه في المراء من ماريته فمريته ولما فيه من معنى الغلبة عدى بعلى كما تقول غلبته على كذا وقيل أفتمرونه أفتجحدونه وأنشدوا

لئن هجوت أخا صدق ومكرمة * لقد مريت أخا ما كان يمريكا

وقالوا يقال مريته حقه اذا جحدته وتعديته بعلى لا تصح الا على مذهب التضمين (نزلة أخرى) مرة أخرى من النزول نصبت النزلة نصب الظرف الذي هو مرة لان الفعلة اسم للمرة من الفعل فكانت في حكمها أي نزل عليه جبريل عليه السلام نزلة أخرى في صورة نفسه فرآه عليها وذلك ليلة المعراج * قيل في سدرة المنتهى هي شجرة نبق في السماء السابعة عن يمين العرش ثمرها كقلال هجر وورقها كآذان الفيول تنبع من أصلها الانهار التي ذكرها الله في كتابه يسير الراكب في ظلها سبعين عاما لا يقطعها * والمنتهى بمعنى موضع الانتهاء أو الانتهاء كأنها في منتهى الجنة وآخرها وقيل لم يجاوزها أحد واليها ينتهي علم الملائكة وغيرهم ولا يعلم أحد ما وراءها وقيل تنتهي اليها أرواح الشهداء (جنة المأوى) الجنة التي يصير اليها المتقون عن الحسن وقيل تأوي اليها أرواح الشهداء وقرأ علي وابن الزبير وجماعة جنه المأوى أي ستره بظلاله ودخل فيه وعن عائشة انها أنكرته وقالت من قرأ به فأجنه الله (ما يغشى) تعظيم وتكثير لما يغشاها فقد علم بهذه العبارة أن ما يغشاها من الخلائق الدالة على عظمة الله وجلاله أشياء لا يكتنهها النعت ولا يحيط بها الوصف وقد قيل يغشاها الجم الغفير من الملائكة يعبدون الله عندها وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت على كل ورقة من ورقها ملكا قائما يسبح الله وعنه عليه السلام يغشاها رفرف من طير خضر وعن ابن مسعود وغيره يغشاها فراش من ذهب (ما زاغ البصر) بصر رسول الله صلى الله عليه وسلم (وما طغى) أي أثبت ما رآه اثباتا مستيقنا صحيحا من غير أن يزيغ بصره عنه أو يتجاوز أو ما عدل عن رؤية العجائب التي أمر برؤيتها ومكن منها وما طغى وما جاوز ما أمر برؤيته (لقد رأى) والله لقد رأى (من آيات ربه) الآيات التي هي كبراها وعظماها يعني حين رقي به الى السماء فأري عجائب الملكوت (اللات والعزى ومناة) أصنام كانت لهم وهي مؤنثات فاللات كانت لثقيف بالطائف وقيل كانت بنخلة تعبدها قريش وهي فعلة من لوى لانهم كانوا يلوون عليها ويعكفون للعبادة أو يلتوون عليها أي يطوفون وقرئ اللات بالتشديد وزعموا أنه سمي برجل كان يلت عنده السمن بالزيت

الامر وتعظيمه كأنه قال لقد رأى من آيات ربه الكبرى أمورا عظاما لا يحيط بها الوصف والحذف في مثل هذا أبلغ وأهول وهذا والله أعلم أولى من الاول لان فيه تفخيما للآيات الله الكبرى وان فيها ما رآه وفيها ما لم يره وهو على الوجه الاول يكون مقتضاه انه رأى جميع الآيات الكبرى على الشمول والعموم وفيه بعد فان آيات الله تعالى مما لا يحيط أحد علما بجملتها فان قال عام أريد به خاص فقد رجع الى الوجه الذي ذكرنا والله أعلم * قوله تعالى أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى (قال فيه اشتقاق اللات من لوى على كذا اذا أقام عليه لانهم كانوا الخ) قال أحمد الاخرى ما ثبت آخرا ولا شك انه في الاصل مشتق من التأخير الوجودي الا أن العرب عدلت به عن الاستعمال في التأخير الوجودي الى الاستعمال حيث يتقدم ذكر مغاير لا غير حتى سلبته دلالته على المعنى الاصلي بخلاف آخر وآخرة على وزن فاعل وفاعلة فان اشعارهما

ويطعمه

بالتأخير الوجودي ثابت لم يتغير ومن ثم عدلوا عن أن يقولوا ربيع الآخر على وزن الأفعل وجمادى الأخرى الى ربيع الآخر على وزن
فاعل وجمادى الآخرة على وزن فاعلة لأنهم أرادوا أن يفهموا التأخير الوجودي لأن الأفعل والفعلى من هذا الاشتقاق
مسلوب الدلالة على غرضهم فعدلوا عنها الى الآخر والآخرة

ويطعمه الحاج وعن مجاهد كان رجل يلت السويق بالطائف وكانوا يعكفون على قبره فجعلوه وثنا والعزى
كانت لغطفان وهي سمرة وأصلها تأنيث الأعز وبعث إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد
فقطعها فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها داعية ويلها واضعة يدها على رأسها فجعل يضربها بالسيف حتى
قتلها وهو يقول

يا عز كفرانك لا سبحانك * إني رأيت الله قد أهانك

ورجع فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام تلك العزى ولن تعبد أبدا ومناة صخرة كانت
لهذيل وخزاعة وعن ابن عباس رضي الله عنهما لثقيف وقرئ ومناءة وكأنها سميت مناة لأن دماء النسائك
كانت تمنى عندها أي تراق ومناءة مفعلة من النوء كأنهم كانوا يستمطرون عندها الأنواء تبركا بها و (الأخرى)
ذم وهي المتأخرة الوضيعة المقدار كقوله تعالى وقالت أخراهم لأولاهم أي وضعاؤهم لرؤسائهم وأشرافهم
ويجوز أن تكون الأولية والتقدم عندهم للات والعزى * كانوا يقولون إن الملائكة وهذه الأصنام
بنات الله وكانوا يعبدونهم ويزعمون أنهم شفعاؤهم عند الله تعالى مع وأدهم البنات فقيل لهم (ألكم الذكر
وله الأنثى) ويجوز أن يراد أن اللات والعزى ومناة إناث وقد جعلتموهن لله شركاء ومن شأنكم أن تحتقروا
الإناث وتستنكفوا من أن يولدن لكم وينسبن إليكم فكيف تجعلون هؤلاء الإناث أندادا لله وتسمونهن
آلهة (قسمة ضيزى) جائرة من ضازه يضيزه إذا ضامه والأصل ضوزى ففعل بها ما فعل ببيض لتسلم الياء
وقرئ ضئزى من ضأزه بالهمز وضيزى بفتح الضاد (هي) ضمير الأصنام أي ما هي (إلا أسماء) ليس تحتها في
الحقيقة مسميات لأنكم تدعون الإلهية لما هو أبعد شيء منها وأشده منافاة لها ونحوه قوله تعالى ما تعبدون
من دونه إلا أسماء سميتموها أو ضمير الأسماء وهي قولهم اللات والعزى ومناة وهم يقصدون بهذه الأسماء
الآلهة يعني ما هذه الأسماء إلا أسماء سميتموها بهواكم وشهوتكم ليس لكم من الله على صحة تسميتها برهان
تتعلقون به ومعنى (سميتموها) سميتم بها يقال سميته زيدا وسميته بزيد (إن يتبعون) وقرئ بالتاء (إلا الظن)
إلا توهم أن ما هم عليه حق وأن آلهتهم شفعاؤهم وما تشتهيه أنفسهم ويتركون ما جاءهم من الهدى
والدليل على أن دينهم باطل (أم للإنسان ما تمنى) هي أم المنقطعة ومعنى الهمزة فيها الإنكار أي ليس
للإنسان ما تمنى والمراد طمعهم في شفاعة الآلهة وهو تمن على الله في غاية البعد وقيل هو قولهم ولئن رجعت
إلى ربي إن لي عنده للحسنى وقيل هو قول الوليد بن المغيرة لأوتين مالا وولدا وقيل هو تمني بعضهم أن يكون
هو النبي صلى الله عليه وسلم (فلله الآخرة والأولى) أي هو مالكهما فهو يعطي منهما من يشاء ويمنع من يشاء
وليس لأحد أن يتحكم عليه في شيء منهما * يعني أن أمر الشفاعة ضيق وذلك أن الملائكة مع قربتهم وزلفاهم
وكثرتهم واغتصاص السموات بجموعهم لو شفعوا بأجمعهم لأحد لم تغن شفاعتهم عنه شيئا قط ولم تنفع إلا إذا
شفعوا من بعد أن يأذن الله لهم في الشفاعة لمن يشاء الشفاعة له ويرضاه ويراه أهلا لأن يشفع له فكيف
تشفع الأصنام إليه بعبدتهم (ليسمون الملائكة) أي كل واحد منهم (تسمية الأنثى) لأنهم إذا قالوا الملائكة
بنات الله فقد سموا كل واحد منهم بنتا وهي تسمية الأنثى (به من علم) أي بذلك وبما يقولون وفي قراءة أبي بها أي
بالملائكة أو التسمية (لا يغني من الحق شيئا) يعني إنما يدرك الحق الذي هو حقيقة الشيء وما هو عليه بالعلم
والتيقن لا بالظن والتوهم (فأعرض) عن دعوة من رأيته معرضا عن ذكر الله وعن الآخرة ولم يرد إلا الدنيا
ولا تتهالك على إسلامه ثم قال (إن ربك هو أعلم) أي إنما يعلم الله من يجيب ممن لا يجيب وأنت لا تعلم فخفض
على نفسك ولا تتعبها فإنك لا تهدي من أحببت وما عليك إلا البلاغ * وقوله تعالى ذلك مبلغهم من العلم
اعتراض أو فأعرض عنه ولا تقابله إن ربك هو أعلم بالضال والمهتدي وهو مجازيهما بما يستحقان من الجزاء
* قرئ ليجزي ونجزي بالياء والنون فيهما ومعناه أن الله عز وجل إنما خلق العالم وسوى هذه الملكوت لهذا

الأخرى ألكم الذكر وله الأنثى تلك إذا قسمة ضيزى إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى أم للإنسان ما تمنى فلله الآخرة والأولى وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى إن الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الأنثى وما لهم به من علم إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغني من الحق شيئا فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى ولله ما في السموات وما في الأرض ليجزي الذين أساؤا

والتزموا ذلك فيهما وهذا البحث مما كان
 في الشيخ أبو عمرو بن الحاجب رحمه الله تعالى قد حرره آخر مدته وهو الحق إن شاء الله تعالى وحينئذ يكون المراد
الإشعار بتقدم مغاير في الذكر مع ما تقدم من الوفاء بفاصلة رأس الآية والله أعلم

الغرض وهو أن يجازي المحسن من المكلفين والمسيء منهم ويجوز أن يتعلق بقوله هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى لان نتيجة العلم بالضال والمهتدي جزاؤهما (بما عملوا) بعقاب ما عملوا من السوء و(بالحسنى) بالمثوبة الحسنى وهي الجنة أو بسبب ما عملوا من السوء وبسبب الأعمال الحسنى (كبائر الاثم) أي الكبائر من الاثم لان الاثم جنس يشتمل على كبائر وصغائر والكبائر الذنوب التي لا يسقط عقابها الا بالتوبة وقيل التي يكبر عقابها بالاضافة الى ثواب صاحبها (والفواحش) ما فحش من الكبائر كأنه قال والفواحش منها خاصة وقرئ كبير الاثم أي النوع الكبير منه وقيل هو الشرك بالله * واللمم ما قل وصغر ومنه اللمم المس من الجنون واللوثة منه وألم بالمكان اذا قل فيه لبثه وألم بالطعام قل منه أكله ومنه لقاؤه أخلاء الصفاء لماما والمراد الصغائر من الذنوب ولا يخلو قوله تعالى (الا اللمم) من أن يكون استثناء منقطعا أو صفة كقوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله كأنه قيل كبائر الاثم غير اللمم وآلهة غير الله وعن أبي سعيد الخدري اللمم هي النظرة والغمزة والقبلة وعن السدي الخطرة من الذنب وعن الكلبي كل ذنب لم يذكر الله عليه حدا ولا عذابا وعن عطاء عادة النفس الحين بعد الحين (ان ربك واسع المغفرة) حيث يكفر الصغائر باجتناب الكبائر والكبائر بالتوبة (فلا تزكوا أنفسكم) فلا تنسبوها الى زكاء العمل وزيادة الخير وعمل الطاعات أو الى الزكاء والطهارة من المعاصي ولا تثنوا عليها واهضموها فقد علم الله الزكي منكم والتقي أولا وآخرا قبل أن يخرجكم من صلب آدم وقبل أن تخرجوا من بطون أمهاتكم وقيل كان ناس يعملون أعمالا حسنة ثم يقولون صلاتنا وصيامنا وحجنا فنزلت وهذا اذا كان على سبيل الاعجاب أو الرياء فأما من اعتقد أن ما عمله من العمل الصالح من الله وبتوفيقه وتأييده ولم يقصد به التمدح لم يكن من المزكين أنفسهم لان المسرة بالطاعة طاعة وذكرها شكر (وأكدى) قطع عطيته وأمسك وأصله اكداء الحافر وهو أن تلقاه كدية وهي صلابة كالصخرة فيمسك عن الحفر ونحوه أجبل الحافر ثم استعير فقيل اجبل الشاعر اذا أفحم روي أن عثمان رضي الله عنه كان يعطي ماله في الخير فقال له عبد الله بن سعد بن أبي سرح وهو أخوه من الرضاعة يوشك أن لا يبقى لك شيء فقال عثمان ان لي ذنوبا وخطايا واني أطلب بما أصنع رضا الله تعالى وأرجو عفوه فقال عبد الله أعطني ناقتك برحلها وأنا أتحمل عنك ذنوبك كلها فأعطاه وأشهد عليه وأمسك عن العطاء فنزلت * ومعنى تولى ترك المركز يوم أحد فعاد عثمان الى أحسن من ذلك وأجمل (فهو يرى) فهو يعلم أن ما قال له أخوه من احتمال أوزاره حق (وفى) قرئ مخففا ومشددا والتشديد مبالغة في الوفاء أو بمعنى وفر وأتم كقوله تعالى فأتمهن واطلاقه ليتناول كل وفاء وتوفية من ذلك تبليغه الرسالة واستقلاله بأعباء النبوة والصبر على ذبح ولده وعلى نار نمروذ وقيامه بأضيافه وخدمته اياهم بنفسه وأنه كان يخرج كل يوم فيمشي فرسخا يرتاد ضيفا فان وافقه أكرمه والا نوى الصوم وعن الحسن ما أمره الله بشيء الا وفى به وعن الهذيل بن شرحبيل كان بين نوح وبين ابراهيم يؤخذ الرجل بجريرة غيره ويقتل بأبيه وابنه وعمه وخاله والزوج بامرأته والعبد بسيده فأول من خالفهم ابراهيم وعن عطاء بن السائب عهد أن لا يسأل مخلوقا فلما قذف في النار قال له جبريل وميكائيل ألك حاجة فقال أما اليكما فلا وعن النبي صلى الله عليه وسلم وفى عمله كل يوم بأربع ركعات في صدر النهار وهي صلاة الضحى وروي ألا أخبركم لم سمى الله خليله الذي وفى كان يقول اذا أصبح وأمسى فسبحان الله حين تمسون الى حين تظهرون وقيل وفى سهام الاسلام وهي ثلاثون عشرة في التوبة التائبون وعشرة في الاحزاب ان المسلمين وعشرة في المؤمنين قد أفلح المؤمنون وقرئ في صحف بالتخفيف (ألا تزر) أن مخففة من الثقيلة والمعنى أنه لا تزر والضمير ضمير الشأن ومحل أن وما بعدها الجر بدلا من ما في صحف موسى أو الرفع على هو أن لا تزر كأن قائلا قال وما في صحف موسى وابراهيم فقيل أن لا تزر (الا ما سعى) الا سعيه (فان قلت) أما صح في الاخبار الصدقة عن الميت والحج عنه وله الاضعاف (قلت) فيه جوابان أحدهما أن سعي غيره لما لم ينفعه الا مبنيا على سعي نفسه وهو أن يكون مؤمنا صالحا وكذلك الاضعاف كان سعي غيره كأنه سعي نفسه لكونه تابعا له وقائما بقيامه والثاني أن سعي غيره لا ينفعه اذا عمله لنفسه ولكن اذا نواه به فهو بحكم الشرع

بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم ان ربك واسع المغفرة هو أعلم بكم اذ أنشأكم من الارض واذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى أفرأيت الذى تولى وأعطى قليلا وأكدى أعنده علم الغيب فهو يرى أم لم ينبأ بما في صحف موسى وابراهيم الذى وفى ألا تزر وازرة وزر أخرى وأن ليس للانسان الا ما سعى وأن سعيه سوف يرى

كالنائب

* قوله تعالى أضحك وأبكى (قال فيه أي خلق قوتي الضحك والبكاء) قال أحمد وخلق أيضا فعلي الضحك والبكاء على قواعد السنة وعليه دلت الآية غير مثابرة لتحريفه والله الموفق * قوله تعالى وأن عليه النشأة الأخرى (قال فيه إنما قال عليه لأنها واجبة عليه الخ) قال أحمد هذا من فساد اعتقاد المعتزلة الذي يسمونه مراعاة للصلاح والحكمة وأي فساد أعظم مما تؤدي إلى اعتقاد الإيجاب على رب الأرباب تعالى الله عن ذلك ومثل هذه القاعدة التي عفت البراهين القاطعة رسمها وأبطلت حكمها لا يكفي فيها كلمة محتملة هي لو كانت ظاهرة لوجب تنزيلها على ما يوفق بينها وبين القواطع والذي حملت عليه لفظة عليه غير هذا المعنى وهو أن المراد أمر النشأة الأخرى يدور على قدرته عز وجل وإرادته كما يقال دارت قضية فلان على يدي وقولها الهيئتين على يدي دار

كالنائب عنه والوكيل القائم مقامه (ثم يجزاه) ثم يجزى العبد سعيه يقال جزاه الله عمله وجزاه على عمله بحذف الجار وإيصال الفعل ويجوز أن يكون الضمير للجزاء ثم فسره بقوله (الجزاء الأوفى) أو أبدله عنه كقوله تعالى وأسروا النجوى الذين ظلموا (وأن إلى ربك المنتهى) قرئ بالفتح على معنى أن هذا كله في الصحف وبالكسر على الابتداء وكذلك ما بعده والمنتهى مصدر بمعنى الانتهاء أي ينتهي إليه الخلق ويرجعون إليه كقوله تعالى وإلى الله المصير (أضحك وأبكى) خلق قوتي الضحك والبكاء (إذا تمنى) إذا تدفق في الرحم يقال منى وأمنى وعن الأخفش تخلق من منى الماني أي قدر المقدر * قرئ النشأة والنشاءة بالمد وقال عليه لأنها واجبة عليه في الحكمة ليجازي على الإحسان والإساءة (وأقنى) وأعطى القنية وهي المال الذي تأثلته وعزمت أن لا تخرجه من يدك (الشعرى) مرزم الجوزاء وهي التي تطلع وراءها وتسمى كلب الجبار وهما شعريان الغميصاء والعبور وأراد العبور وكانت خزاعة تعبدها سن لهم ذلك أبو كبشة رجل من أشرافهم وكانت قريش تقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم أبو كبشة تشبيها له به لمخالفته إياهم في دينهم يريد أنه رب معبودهم هذا * عاد الأولى قوم هود وعاد الأخرى إرم وقيل الأولى القدماء لأنهم أولى الأمم هلاكا بعد قوم نوح أو المتقدمون في الدنيا الأشراف وقرئ عادا لولى بإدغام التنوين في اللام وطرح همزة أولى ونقل ضمتها إلى لام التعريف (وثمودا) وقرئ وثمود (أظلم وأطغى) لأنهم كانوا يؤذونه ويضربونه حتى لا يكون به حراك وينفرون عنه حتى كانوا يحذرون صبيانهم أن يسمعوا منه وما أثر فيهم دعاؤه قريبا من ألف سنة (والمؤتفكة) والقرى التي ائتفكت بأهلها أي انقلبت وهم قوم لوط يقال أفكه فائتفك وقرئ والمؤتفكات (أهوى) رفعها إلى السماء على جناح جبريل ثم أهواها إلى الأرض أي أسقطها (ما غشى) تهويل وتعظيم لما صب عليها من العذاب وأمطر عليها من الصخر المنضود (فبأي آلاء ربك تتمارى) تتشكك والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو للإنسان على الإطلاق وقد عدد نعما ونقما وسماها كلها آلاء من قبل ما في نقمه من المزاجر والمواعظ للمعتبرين (هذا) القرآن (نذير من النذر الأولى) أي إنذار من جنس الإنذارات الأولى التي أنذر بها من قبلكم أو هذا الرسول منذر من المنذرين الأولين وقال الأولى على تأويل الجماعة (أزفت الآزفة) قربت الموصوفة بالقرب في قوله تعالى اقتربت الساعة (ليس لها) نفس (كاشفة) أي مبينة متى تقوم كقوله تعالى لا يجليها لوقتها إلا هو أو ليس لها نفس كاشفة أي قادرة على كشفها إذا وقعت إلا الله تعالى غير أنه لا يكشفها أو ليس لها الآن نفس كاشفة بالتأخير وقيل الكاشفة مصدر بمعنى الكشف كالعافية وقرأ طلحة ليس لها مما يدعون من دون الله كاشفة وهي على الظالمين ساءت الغاشية (أفمن هذا الحديث) وهو القرآن (تعجبون) إنكارا (وتضحكون) استهزاء (ولا تبكون) والبكاء والخشوع حق عليكم وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لم ير ضاحكا بعد نزولها وقرئ تعجبون تضحكون بغير واو (وأنتم سامدون) شامخون مبرطمون وقيل لاهون لاعبون وقال بعضهم لجارية له اسمدي لنا أي غني لنا (فاسجدوا لله واعبدوا) ولا تعبدوا الآلهة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والنجم أعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد وجحد به بمكة

﴿سورة القمر مكية وهي خمس وخمسون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* انشقاق القمر من آيات رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعجزاته النيرة عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن الكفار سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم آية فانشق القمر مرتين وكذا عن ابن عباس وابن مسعود رضي الله

ثم يجزاه الجزاء الأوفى وأن إلى ربك المنتهى وأنه هو أضحك وأبكى وأنه هو أمات وأحيى وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى من نطفة إذا تمنى وأن عليه النشأة الأخرى وأنه هو أغنى وأقنى وأنه هو رب الشعرى وأنه أهلك عادا الأولى وثمود فما أبقى وقوم نوح من قبل إنهم كانوا هم أظلم وأطغى والمؤتفكة أهوى فغشاها ما غشى فبأي آلاء ربك تتمارى هذا نذير من النذر الأولى أزفت الآزفة ليس لها من دون الله كاشفة أفمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وأنتم سامدون فاسجدوا لله واعبدوا

﴿سورة القمر مكية وهي خمس وخمسون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

اقتربت الساعة وانشق القمر

الحديث أي هو الاصل فيه والسند والله أعلم * القول في سورة القمر * (بسم الله الرحمن الرحيم) * قوله تعالى كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا وقالوا مجنون وازدجر (قال فيه ان قلت ما فائدة كذبوا بعد قوله كذبت قبلهم قوم نوح الخ) قال أحمد قد تقدم كلامه على قوله تعالى وكذب الذين من قبلهم وما بلغوا معشار ما آتيناهم فكذبوا رسلي وأجاب ثم بجوابين أحدهما متعذر هاهنا والآخر ممكن وهو ان ذلك كقول القائل أقدم فلان على الكفر فكفر بمحمد عليه الصلاة والسلام وقد سنح لي جوابان أحدهما يمكن اجراؤه هنا وحاصله منع ورود السؤال لان الاول مطلق والثاني مقيد فليس تكرارا وهو كقوله في هذه السورة فتعاطى فعقر فان تعاطيه هو نفس عقره ولكن ذكره من جهة عمومه ثم من ناحية خصوصه اسهابا وهو بمثابة ذكره مرتين وجواب آخر هنا وهو ان المكذب أولا محذوف دل عليه ذكر نوح فكأنه قال كذبت قوم نوح نوحا ثم كذبوا جاء بتكذيبهم ثانيا مضافا الى قوله عبدنا فوصف نوحا بخصوص العبودية وأضافه اليه اضافة تشريف فالتكذيب المخبر عنه ثانيا أبشع عليهم من المذكور أولا لتلك النكتة والله أعلم

عنهما قال ابن عباس انفلق فلقتين فلقة ذهبت وفلقة بقيت وقال ابن مسعود رأيت حراء بين فلقتي القمر وعن بعض الناس أن معناه ينشق يوم القيامة وقوله (وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر) يرده وكفى به رادا وفي قراءة حذيفة وقد انشق القمر أي اقتربت الساعة وقد حصل من آيات اقترابها أن القمر قد انشق كما تقول أقبل الامير وقد جاء المبشر بقدومه وعن حذيفة أنه خطب بالمدائن ثم قال الا ان الساعة قد اقتربت وان القمر قد انشق على عهد نبيكم * مستمر دائم مطرد وكل شئ قد انقادت طريقته ودامت حاله قيل فيه قد استمر لما رأوا تتابع المعجزات وترادف الآيات قالوا هذا سحر مستمر وقيل مستمر قوي محكم من قولهم استمر مريره وقيل هو من استمر الشئ اذا اشتدت مرارته أي مستبشع عندنا مر على لهواتنا لا نقدر أن نسيغه كما لا يساغ المر الممقر وقيل مستمر مار ذاهب يزول ولا يبقى تمنية لانفسهم وتعليلا وقرئ وان يروا (واتبعوا أهواءهم) وما زين لهم الشيطان من دفع الحق بعد ظهوره (وكل أمر مستقر) أي كل أمر لا بد أن يصير الى غاية يستقر عليها وان أمر محمد سيصير الى غاية يتبين عندها أنه حق أو باطل وسيظهر لهم عاقبته أو وكل أمر من أمرهم وأمره مستقر أي سيثبت ويستقر على حالة خذلان أو نصرة في الدنيا وشقاوة أو سعادة في الآخرة وقرئ بفتح القاف يعني كل أمر ذو مستقر أي ذو استقرار أو ذو موضع استقرار أو زمان استقرار وعن أبي جعفر مستقر بكسر القاف والجر عطفا على الساعة أي اقتربت الساعة واقترب كل أمر مستقر يستقر ويتبين حاله (من الانباء) من القرآن المودع أنباء القرون الخالية أو أنباء الآخرة وما وصف من عذاب الكفار (مزدجر) ازدجار أو موضع ازدجار والمعنى هو في نفسه موضع الازدجار ومظنة له كقوله تعالى لكم في رسول الله أسوة حسنة أي هو أسوة وقرئ مزجر بقلب تاء الافتعال زايا وادغام الزاي فيها (حكمة بالغة) بدل من ما أو على هو حكمة وقرئ بالنصب حالا من ما (فان قلت) ان كانت ما موصولة ساغ لك أن تنصب حكمة حالا فكيف تعمل ان كانت موصوفة وهو الظاهر (قلت) تخصصها الصفة فيحسن نصب الحال عنها (فما تغن النذر) نفي أو انكار وما منصوبة أي فأي غناء تغني النذر (فتول عنهم) لعلمك أن الانذار لا يغني فيهم * نصب (يوم يدع الداعي) بيخرجون أو باضمار اذكر وقرئ باسقاط الياء اكتفاء بالكسرة عنها والداعي اسرافيل أو جبريل كقوله تعالى يوم ينادي المنادي (الى شئ نكر) منكر فظيع تنكره النفوس لانها لم تعهد بمثله وهو هول يوم القيامة وقرئ نكر بالتخفيف ونكر بمعنى أنكر (خاشعا أبصارهم) حال من الخارجين فعل للابصار وذكر كما تقول يخشع أبصارهم وقرئ خاشعة على تخشع أبصارهم وخشعا على يخشعن أبصارهم وهي لغة من يقول أكلوني البراغيث وهم طيئ ويجوز أن يكون في خشعا ضميرهم وتقع أبصارهم بدلا عنه وقرئ خشع أبصارهم على الابتداء والخبر ومحل الجملة النصب على الحال كقوله * وجدته حاضراه الجود والكرم * وخشوع الابصار كناية عن الذلة والانخزال لان ذلة الذليل وعزة العزيز تظهران في عيونهما * وقرئ يخرجون من الاجداث من القبور (كأنهم جراد منتشر) الجراد مثل في الكثرة والتموج يقال في الجيش الكثير المائج بعضه في بعض جاؤا كالجراد وكالدبا منتشر في كل مكان لكثرته (مهطعين الى الداع) مسرعين مادي أعناقهم اليه وقيل ناظرين اليه لا يقلعون بأبصارهم قال

تعبدني نمر بن سعد وقد أرى * ونمر بن سعد لي مطيع ومهطع

(قبلهم) قبل أهل مكة (فكذبوا عبدنا) يعني نوحا (فان قلت) ما معنى قوله تعالى فكذبوا بعد قوله كذبت (قلت) معناه كذبوا فكذبوا عبدنا أي كذبوه تكذيبا على عقب تكذيب كلما مضى منهم قرن مكذب تبعه قرن مكذب أو كذبت قوم نوح الرسل فكذبوا عبدنا أي لما كانوا مكذبين بالرسل جاحدين للنبوة رأسا

وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر وكذبوا واتبعوا أهواءهم وكل أمر مستقر ولقد جاءهم من الانباء ما فيه مزدجر حكمة بالغة فما تغن النذر فتول عنهم يوم يدع الداع الى شئ نكر خشعا أبصارهم يخرجون من الاجداث كأنهم جراد منتشر مهطعين الى الداع يقول الكافرون هذا يوم عسر كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا وقالوا

كذبوا نوحا لانه من جملة الرسل (مجنون) هو مجنون (وازدجر) وانتهروه بالشتم والضرب والوعيد بالرجم في قولهم لتكونن من المرجومين وقيل هو من جملة قيلهم أي قالوا هو مجنون وقد ازدجرته الجن وتخبطته وذهبت بلبه وطارت بقلبه * قرئ أني بمعنى فدعا بأني مغلوب وإني على ارادة القول فدعا فقال اني مغلوب غلبني قومي فلم يسمعوا مني واستحكم اليأس من اجابتهم لي (فانتصر) فانتقم منهم بعذاب تبعثه عليهم وانما دعا بذلك بعد ما طم عليه الامر وبلغ السيل الربا فقد روي أن الواحد من أمته كان يلقاه فيخنقه حتى يخر مغشيا عليه فيفيق وهو يقول اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون * وقرئ ففتحنا مخففا ومشددا * وكذلك وفجرنا (منهمر) منصب في كثرة وتتابع لم ينقطع أربعين يوما (وفجرنا الارض عيونا) وجعلنا الارض كلها كأنها عيون تتفجر وهو أبلغ من قولك وفجرنا عيون الارض ونظيره في النظم واشتعل الرأس شيبا (فالتقى الماء) يعني مياه السماء والارض وقرئ الماآن أي النوعان من الماء السماوي والارضي ونحوه قولك عندي تمران تريد ضربان من التمر برني ومعقلي قال لنا ابلان فيهما ما علمتم وقرأ الحسن الماوان بقلب الهمزة واوا كقولهم علباوان (على أمر قد قدر) على حال قدرها الله كيف شاء وقيل على حال جاءت مقدرة مستوية وهي أن قدر ما أنزل من السماء كقدر ما أخرج من الارض سواء بسواء وقيل على أمر قد قدر في اللوح أنه يكون وهو هلاك قوم نوح بالطوفان (على ذات ألواح ودسر) أراد السفينة وهي من الصفات التي تقوم مقام الموصوفات فتنوب منابها وتؤدي مؤداها بحيث لا يفصل بينها وبينها ونحوه

* ولكن قميصي مسرودة من حديد * أراد ولكن قميصي درع وكذلك * ولو في عيون النازيات بأكرع * أراد ولو في عيون الجراد ألا ترى أنك لو جمعت بين السفينة وبين هذه الصفة أو بين الدرع والجراد وهاتين الصفتين لم يصح وهذا من فصيح الكلام وبديعه والدسر جمع دسار وهو المسمار فعال من دسره اذا دفعه لانه يدسر به منفذه (جزاء) مفعول له لما قدم من فتح أبواب السماء وما بعده أي فعلنا ذلك جزاء (لمن كان كفر) وهو نوح عليه السلام وجعله مكفورا لان النبي نعمة من الله ورحمة قال الله تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين فكان نوح عليه السلام نعمة مكفورة ومن هذا المعنى ما يحكى أن رجلا قال للرشيد الحمد لله عليك فقال ما معنى هذا الكلام قال أنت نعمة حمدت الله عليها ويجوز أن يكون على تقدير حذف الجار وايصال الفعل وقرأ قتادة كفر أي جزاء للكافرين وقرأ الحسن جزاء بالكسر أي مجازاة * الضمير في (تركناها) للسفينة أو للفعلة التي فعلناها آية يعتبر بها وعن قتادة أبقاها الله بأرض الجزيرة وقيل على الجودي دهرا طويلا حتى نظر اليها أوائل هذه الامة * والمدكر المعتبر وقرئ مذتكر على الاصل ومذكر بقلب التاء ذالا وادغام الذال فيها وهذا نحو مذجر * والنذر جمع نذير وهو الانذار (ولقد يسرنا القرآن للذكر) أي سهلناه للادكار والاتعاظ بأن شحناه بالمواعظ الشافية وصرفنا فيه من الوعد والوعيد (فهل من) متعظ وقيل ولقد سهلناه للحفظ وأعناه عليه من أراد حفظه فهل من طالب لحفظه ليعان عليه ويجوز أن يكون المعنى ولقد هيأناه للذكر من يسر ناقته للسفر اذا رحلها ويسر فرسه للغزو اذا أسرجه وألجمه قال

وقمت اليه باللجام ميسرا * هنالك يجزيني الذي كنت أصنع

ويروى أن كتب أهل الاديان نحو التوراة والانجيل لا يتلوها أهلها الا نظرا ولا يحفظونها ظاهرا كالقرآن (ونذر) وانذاراتي لهم بالعذاب قبل نزوله أو وانذاراتي في تعذيبهم لمن بعدهم (في يوم نحس) في يوم شؤم وقرئ في يوم نحس كقوله في أيام نحسات (مستمر) قد استمر عليهم ودام حتى أهلكهم أو استمر عليهم جميعا كبيرهم وصغيرهم حتى لم يبق منهم نسمة وكان في أربعاء في آخر الشهر لا تدور ويجوز أن يريد بالمستمر الشديد المرارة والبشاعة (تنزع الناس) تقلعهم عن أماكنهم وكانوا يصطفون آخذين أيديهم بأيدي بعض ويتدخلون في الشعاب ويحفرون الحفر فيندسون فيها فتنزعهم وتكبهم وتدق رقابهم (كأنهم أعجاز نخل منقعر) يعني أنهم كانوا يتساقطون على الارض أمواتا وهم جثث طوال عظام كأنهم أعجاز نخل وهي أصولها بلا فروع منقعر منقلع عن مغارسه وقيل شبهوا بأعجاز النخل لان الريح كانت تقطع رؤسهم فتبقى أجسادا بلا رؤس وذكر

مجنون وازدجر فدعا ربه أني مغلوب فانتصر ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر وفجرنا الارض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر وحملناه على ذات ألواح ودسر تجري بأعيننا جزاء لمن كان كفر ولقد تركناها آية فهل من مدكر فكيف كان عذابي ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر انا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا في يوم نحس مستمر تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر فكيف كان عذابي ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت ثمود بالنذر

صفة نخل على اللفظ ولو حملها على المعنى لأنث كما قال أعجاز نخل خاوية (أبشرا منا واحدا) نصب بفعل مضمر
يفسره (نتبعه) وقرئ أبشر منا واحد على الابتداء ونتبعه خبره والاول أوجه للاستفهام * كان يقول ان لم
تتبعوني كنتم في ضلال عن الحق وسعر ونيران جمع سعير فعكسوا عليه فقالوا ان اتبعناك كنا اذن كما تقول
وقيل الضلال الخطأ والبعد عن الصواب والسعر الجنون يقال ناقة مسعورة قال

كأن بها سعرا اذا العيس هزها * ذميل وارخاء من السير متعب

(فان قلت) كيف أنكروا أن يتبعوا بشرا منهم واحدا (قلت) قالوا أبشرا انكارا لان يتبعوا مثلهم في الجنسية
وطلبوا أن يكون من جنس أعلى من جنس البشر وهم الملائكة وقالوا منا لانه اذا كان منهم كانت المماثلة
أقوى وقالوا واحدا انكارا لان تتبع الامة رجلا واحدا أو أرادوا واحدا من أفنائهم ليس بأشرفهم وأفضلهم
ويدل عليه قولهم (أألقي الذكر عليه من بيننا) أي أأنزل عليه الوحي من بيننا وفينا من هو أحق منه
بالاختيار للنبوة (أشر) بطر متكبر حمله بطره وشطارته وطلبه التعظم علينا على ادعاء ذلك (سيعلمون غدا)
عند نزول العذاب بهم أو يوم القيامة (من الكذاب الاشر) أصالح أم من كذبه وقرئ ستعلمون بالتاء
على حكاية ما قال لهم صالح مجيبا لهم أو هو كلام الله تعالى على سبيل الالتفات وقرئ الاشر بضم الشين
كقولهم حدث وحدث وحذر وحذر وأخوات لها وقرئ الاشر وهو الابلغ في الشرارة والاخير
والاشر أصل قولهم هو خير منه وشر منه وهو أصل مرفوض وقد حكى ابن الانباري قول العرب هو
أخير وأشر وما أخيره وما أشره (مرسلوا الناقة) باعثوها ومخرجوها من الهضبة كما سألوا (فتنة لهم)
امتحانا لهم وابتلاء (فارتقبهم) فانتظرهم وتبصر ما هم صانعون (واصطبر) على أذاهم ولا تعجل حتى
يأتيك أمري (قسمة بينهم) مقسوم بينهم لها شرب يوم ولهم شرب يوم وانما قال بينهم تغليبا للعقلاء
(محتضر) محضور لهم أو للناقة وقيل يحضرون الماء في نوبتهم واللبن في نوبتها (صاحبهم) قدار بن سالف
أحيمر ثمود (فتعاطى) فاجترأ على تعاطي الامر العظيم غير مكترث له * فأحدث العقر بالناقة وقيل فتعاطى
الناقة فعقرها أو فتعاطى السيف (صيحة واحدة) صيحة جبريل * والهشيم الشجر اليابس المتهشم المتكسر
* والمحتظر الذي يعمل الحظيرة وما يحتظر به ييبس بطول الزمان وتتوطؤه البهائم فيتحطم ويتهشم وقرأ
الحسن بفتح الظاء وهو موضع الاحتظار أي الحظيرة (حاصبا) ريحا تحصبهم بالحجارة أي ترميهم (بسحر)
بقطع من الليل وهو السدس الاخير منه وقيل هما سحران فالسحر الاعلى قبل انصداع الفجر والآخر
عند انصداعه وأنشد * مرت بأعلى السحرين تأتلي * وصرف لانه نكرة ويقال لقيته سحر اذا لقيته
في سحر يومه (نعمة) انعاما مفعول له (من شكر) نعمة الله بايمانه وطاعته (ولقد أنذرهم) لوط عليه
السلام (بطشتنا) أخذتنا بالعذاب (فتماروا) فكذبوا (بالنذر) متشاكين (فطمسنا أعينهم) فمسحناها
وجعلناها كسائر الوجه لا يرى لها شق روي أنهم لما عالجوا باب لوط عليه السلام ليدخلوا قالت الملائكة
خلهم يدخلوا انا رسل ربك لن يصلوا اليك فصفقهم جبريل عليه السلام بجناحه صفقة فتركهم يترددون
لا يهتدون الى الباب حتى أخرجهم لوط (فذوقوا) فقلت لهم ذوقوا على ألسنة الملائكة (بكرة) أول النهار
وباكره كقوله مشرقين ومصبحين وقرأ زيد بن علي رضي الله عنهما بكرة غير مصروفة تقول أتيته بكرة
وغدوة بالتنوين اذا أردت التنكير وبغيره اذا عرفت وقصدت بكرة نهارك وغدوته (عذاب مستقر) ثابت
قد استقر عليهم الى أن يفضي بهم الى عذاب الآخرة (فان قلت) ما فائدة تكرير قوله (فذوقوا عذابي ونذر
ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) (قلت) فائدته أن يجددوا عند استماع كل نبأ من أنباء الاولين
ادكارا واتعاظا وأن يستأنفوا تنبها واستيقاظا اذا سمعوا الحث على ذلك والبعث عليه وأن يقرع لهم العصا
مرات ويقعقع لهم الشن تارات لئلا يغلبهم السهو ولا تستولي عليهم الغفلة وهكذا حكم التكرير كقوله فبأي
آلاء ربكما تكذبان عند كل نعمة عدها في سورة الرحمن وقوله ويل يومئذ للمكذبين عند كل آية أوردها
في سورة والمرسلات وكذلك تكرير الانباء والقصص في أنفسها لتكون تلك العبر حاضرة للقلوب
مصورة للاذهان مذكورة غير منسية في كل أوان (النذر) موسى وهرون وغيرهما من الانبياء لانهما

فقالوا أبشرا منا واحدا
نتبعه انا اذا لفي ضلال
وسعر أألقي الذكر عليه
من بيننا بل هو كذاب
أشر سيعلمون غدا من
الكذاب الاشر انا
مرسلوا الناقة فتنة
لهم فارتقبهم واصطبر
ونبئهم أن الماء قسمة
بينهم كل شرب محتضر
فنادوا صاحبهم فتعاطى
فعقر فكيف كان عذابي
ونذر انا أرسلنا عليهم
صيحة واحدة فكانوا
كهشيم المحتظر ولقد
يسرنا القرآن للذكر
فهل من مدكر كذبت
قوم لوط بالنذر انا أرسلنا
عليهم حاصبا الا آل
لوط نجيناهم بسحر
نعمة من عندنا كذلك
نجزي من شكر ولقد
أنذرهم بطشتنا فتماروا
بالنذر ولقد راودوه
عن ضيفه فطمسنا
أعينهم فذوقوا عذابي
ونذر ولقد صبحهم
بكرة عذاب مستقر
فذوقوا عذابي ونذر
ولقد يسرنا القرآن
للذكر فهل من مدكر
ولقد جاء آل فرعون
النذر

عرضا

قوله تعالى انا كل شيء خلقناه بقدر (قال فيه منصوب بفعل مضمر يفسره الظاهر) قال أحمد كان قياس ما مهده النحاة اختيار رفع كل لكن لم يقرأ بها واحد من السبعة وانما كان كذلك لان الكلام مع الرفع جملة واحدة ومع النصب جملتان فالرفع أخصر مع أنه لا مقتضى للنصب ههنا من أحد الاصناف الستة أعني الامر والنهي الى آخرها ولا أحد هنا مناسب عطف ولا غيره مما يعد دونه من مخال اختيار النصب فاذا تبين ذلك فاعلم أنه انما عدل عن الرفع اجماعا لسر لطيف يعين اختيار النصب وهو أنه لو رفع لوقعت الجملة التي هي خلقناه صفة لشيء ورفع قوله بقدر خبرا عن كل شيء المقيد بالصفة ويحصل الكلام على تقدير انا كل شيء (٤٢٣) مخلوق لنا بقدر فافهم ذلك ان مخلوقا ما يضاف الى غير الله تعالى ليس بقدر وعلى النصب يصير الكلام انا خلقنا كل شيء بقدر فيفيد عموم نسبة كل مخلوق الى الله تعالى فلما كانت هذه الفائدة لا توازيها الفائدة اللطيفة على قراءة الرفع مع ما في الرفع من نقصان المعنى ومع ما في هذه القراءة المستفيضة من مجيء المعنى تاما واضحا كفلق الصبح لا جرم أجمعوا على العدول عن الرفع الى النصب لكن الزمخشري لما كان من قاعدة أصحابه تقسيم المخلوقات الى مخلوق لله ومخلوق لغير الله فيقولون هذا لله بزعمهم وهذا لنا فغرت هذه الآية فاه وقام اجماع القراء حجة عليه فاخذ يستروح الى الشقاء وينقل قراءتها بالرفع فليراجع له ويعرض عليه اعراض القراء السبعة عن هذه الرواية مع أنها هي الاولى في العربية لولا ما ذكرناه أيجوز في حكمه حينئذ الاجماع على خلاف الاولى لفظا ومعنى من غير مقتضى اقتضى ذلك أم لا وهو المخير فيما يحكم به فالى الله ترجع الامور

كذبوا بآياتنا كلها فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر أكفاركم خير من أولئكم أم لكم براءة في الزبر أم يقولون نحن جميع منتصر سيهزم الجمع ويولون الدبر بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر ان المجرمين في ضلال وسعر يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر انا كل شيء خلقناه بقدر وما أمرنا الا واحدة كلمح بالبصر ولقد أهلكنا أشياعكم فهل من مدكر وكل شيء فعلوه في الزبر وكل صغير وكبير مستطر ان المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر

عرضا عليهم ما أنذر به المرسلون أو جمع نذير وهو الانذار (بآياتنا كلها) بالآيات التسع (أخذ عزيز) لا يغالب (مقتدر) لا يعجزه شيء (أكفاركم) يا أهل مكة (خير من أولئكم) الكفار المعدودين قوم نوح وهود وصالح ولوط وآل فرعون أي أهم خير قوة وآلة ومكانة في الدنيا أو أقل كفرا وعنادا يعني أن كفاركم مثل أولئك بل شر منهم (أم) أنزلت عليكم يا أهل مكة (براءة) في الكتب المتقدمة أن من كفر منكم وكذب الرسل كان آمنا من عذاب الله فأمنتم بتلك البراءة (نحن جميع) جماعة أمرنا مجتمع (منتصر) ممتنع لا نرام ولا نضام * وعن أبي جهل أنه ضرب فرسه يوم بدر فتقدم في الصف وقال نحن ننتصر اليوم من محمد وأصحابه فنزلت (سيهزم الجمع) عن عكرمة لما نزلت هذه الآية قال عمر أي جمع يهزم فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يثب في الدرع ويقول سيهزم الجمع عرف تأويلها (ويولون الدبر) أي الادبار كما قال * كلوا في بعض بطنكم تعفوا * وقرئ الادبار (أدهى) أشد وأفظع والداهية الامر المنكر الذي لا يهتدي لدوائه (وأمر) من الهزيمة والقتل والاسر * وقرئ ستهزم الجمع (في ضلال وسعر) في هلاك ونيران أو في ضلال عن الحق في الدنيا ونيران في الآخرة (مس سقر) كقولك وجد مس الحمى وذاق طعم الضرب لان النار اذا أصابتهم بحرها ولحقتهم بايلامها فكأنها تمسهم مسا بذلك كما يمس الحيوان ويباشر بما يؤذي ويؤلم * وذوقوا على ارادة القول * وسقر علم لجهنم من سقرته النار وصقرته اذا لوحته قال ذو الرمة

اذا ذابت الشمس اتقى صقراتها * بأفنان مربوع الصريمة معبل

وعدم صرفها للتعريف والتأنيث (كل شيء) منصوب بفعل مضمر يفسره الظاهر وقرئ كل شيء بالرفع والقدر والقدر التقدير وقرئ بهما أي خلقنا كل شيء مقدرا محكما مرتبا على حسب ما اقتضته الحكمة أو مقدرا مكتوبا في اللوح معلوما قبل كونه قد علمنا حاله وزمانه (وما أمرنا الا واحدة) الا كلمة واحدة سريعة التكوين (كلمح بالبصر) أراد قوله كن يعني أنه اذا أراد تكوين شيء لم يلبث كونه (أشياعكم) أشباهكم في الكفر من الامم (في الزبر) في دواوين الحفظة (وكل صغير وكبير) من الاعمال ومن كل ما هو كائن (مستطر) مسطور في اللوح (ونهر) وأنهار اكتفى باسم الجنس وقيل هو السعة والضياء من النهار وقرئ بسكون الهاء ونهر جمع نهر كأسد وأسد (في مقعد صدق) في مكان مرضي وقرئ في مقاعد صدق (عند مليك مقتدر) مقربين عند مليك مبهم أمره في الملك والاقتدار فلا شيء الا وهو تحت ملكه وقدرته فأي منزلة أكرم من تلك المنزلة وأجمع للغبطة كلها والسعادة بأسرها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القمر في كل غب بعثه الله يوم القيامة ووجهه مثل القمر ليلة البدر

﴿سورة الرحمن مكية وقيل مدنية وقيل فيها مكي ومدني وهي ست وسبعون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿القول في سورة الرحمن﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قوله تعالى الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان الشمس والقمر بحسبان والنجم والشجر يسجدان (قال فيه عدد الله عز وجل آلاءه فاراد أن يقدم أول شئ ماهو أسبق قدما في ضروب آلائه الخ) قال أحمد نغير من هذا الكلام قوله (٤٢٤) ان خلق الانسان كان الغرض فيه أي المراد منه أن يحيط علما بالكتب والوحي ونعوض بان المراد بخلقه أن يسعى الى ذلك لا أن يقع ذلك منه فهذا هو المراد العام ثم منهم من أراد الله منه أن يحيط علما بالدين فيسر له ذلك ومنهم من أراد ضلالته وجهالته فصد عنه ولم يوفق والله الموفق للصواب ﴿عاد كلامه (قال ثم ذكر ماتميز به

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان الشمس والقمر بحسبان والنجم والشجر يسجدان والسماء رفعها ووضع الميزان أن لا تطغوا في الميزان وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان والارض وضعها للانام فيها فاكهة والنخل ذات الاكمام والحب

﴿عدد الله عز وعلا آلاءه فاراد أن يقدم أول شئ ماهو أسبق قدما من ضروب آلائه وأصناف نعمائه وهي نعمة الدين فقدم من نعمة الدين ماهو في أعلى مراتبها وأقصى مراقيها وهو انعامه بالقرآن وتنزيله وتعليمه لانه أعظم وحي الله رتبة وأعلاه منزلة وأحسنه في أبواب الدين أثرا وهو سنام الكتب السماوية ومصداقها والعيار عليها وأخر ذكر خلق الانسان عن ذكره ثم أتبعه اياه ليعلم أنه انما خلقه للدين وليحيط علما بوحيه وكتبه وما خلق الانسان من أجله وكان الغرض في انشائه كان مقدما عليه وسابقا له ثم ذكر ماتميز به من سائر الحيوان من البيان وهو المنطق الفصيح المعرب عما في الضمير و (الرحمن) مبتدأ وهذه الافعال مع ضمائرها أخبار مترادفة واخلاؤها من العاطف لمجيئها على نمط التعديد كما تقول زيد أغناك بعد فقر أعزك بعد ذل كثرك بعد قلة فعل بك مالم يفعل أحد بأحد فما تنكر من احسانه (بحسبان) بحساب معلوم وتقدير سوي (يجريان) في بروجهما ومنازلهما وفي ذلك منافع للناس عظيمة منها علم السنين والحساب (والنجم) والنبات الذي ينجم من الارض لا ساق له كالبقول (والشجر) الذي له ساق ﴿وسجودهما انقيادهما لله فيما خلقا له وأنهما لا يمتنعان تشبيها بالساجد من المكلفين في انقياده (فان قلت) كيف اتصلت هاتان الجملتان بالرحمن (قلت) استغنى فيهما عن الوصل اللفظي بالوصل المعنوي لما علم أن الحسبان حسبانه والسجود له لا لغيره كانه قيل الشمس والقمر بحسبانه والنجم والشجر يسجدان له (فان قلت) كيف أخل بالعاطف في الجمل الاول ثم جيء به بعد (قلت) بكت بتلك الجمل الاول واردة على سنن التعديد ليكون كل واحدة من الجمل مستقلة في تقريع الذين انكروا الرحمن وآلاءه كما يبكت منكر أيادي المنعم عليه من الناس بتعديدها عليه في المثال الذي قدمته ثم رد الكلام الى منهاجه بعد التبكيت في وصل مايجب وصله للتناسب والتقارب بالعاطف (فان قلت) أي تناسب بين هاتين الجملتين حتى وسط بينهما العاطف (قلت) ان الشمس والقمر سماويان والنجم والشجر أرضيان فبين القبيلين تناسب من حيث التقابل وان السماء والارض لا تزالان تذكران قرينتين وان جري الشمس والقمر بحسبان من جنس الانقياد لامر الله فهو مناسب لسجود النجم والشجر وقيل علم القرآن جعله علامة وآية وعن ابن عباس رضي الله عنه الانسان آدم وعنه أيضا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن مجاهد النجم نجوم السماء (والسماء رفعها) خلقها مرفوعة مسموكة حيث جعلها منشأ أحكامه ومصدر قضاياه ومتنزل أوامره ونواهيه ومسكن ملائكته الذين يهبطون بالوحي على أنبيائه ونبه بذلك على كبرياء شأنه وملكه وسلطانه (ووضع الميزان) وفي قراءة عبد الله وخفض الميزان وأراد به كل ما توزن به الاشياء وتعرف مقاديرها من ميزان وقرسطون ومكيال ومقياس أي خلقه موضوعا مخفوضا على الارض حيث علق به أحكام عباده وقضاياهم وما تعبدهم به من التسوية والتعديل في أخذهم واعطائهم (ألا تطغوا) لئلا تطغوا أو هي أن المفسرة وقرأ عبد الله لا تطغوا بغير أن على ارادة القول (وأقيموا الوزن بالقسط) وقوموا وزنكم بالعدل (ولا تخسروا الميزان) ولا تنقصوه أمر بالتسوية ونهى عن الطغيان الذي هو اعتداء وزيادة وعن الخسران الذي هو تطفيف ونقصان وكرر لفظ الميزان تشديدا للتوصية به وتقوية للامر باستعماله والحث عليه ﴿وقرئ والسماء بالرفع ولا تخسروا بفتح التاء وضم السين وكسرها وفتحها يقال خسر الميزان يخسره ويخسره وأما الفتح فعلى أن الاصل ولا تخسروا في الميزان فحذف الجار وأوصل الفعل (وضعها) خفضها مدحوة على الماء (للانام) للخلق وهو كل ما على ظهر الارض من دابة وعن الحسن الانس والجن فهي كالمهاد لهم يتصرفون فوقها (فاكهة) ضروب مما يتفكه به و (الاكمام) كل ما يكم أي يغطى من ليفة وسعفة وكفراة

عن سائر الحيوان من البيان وهو المنطق الفصيح المعرب الخ) قال أحمد وانما خص الجمل الاول بذكرها تبكيتا للانسان لاجل النعمات عليها به ألا ترى أنه متى ذكرتها نطقا أو اضمارا أو حذفا مدلولا عليه في الكلام فهو منطوق به ظاهرا في قوله خلق الانسان ومضمرا في قوله علمه البيان ومدلولا على حذفه وذلك في قوله علم القرآن فانه المفعول الثاني أما قوله الشمس والقمر بحسبان والنجم والشجر يسجدان فليس للانسان فيهما ذكر البتة وجل المقصود من سياقهما التنبيه على عظمة الله تعالى ﴿عاد كلامه قال واعتاض هاتين الجملتين لتناسبهما من حيث التقابل الخ

* قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان (قال فيه ان قلت لم قال منهما وانما يخرجان من الملح الخ) قال أحمد هذا القول الثاني مردود
بالمشاهدة والصواب هو الاول ومثله لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وانما (٤٢٥) أريد احدى القريتين هذه
هو الصحيح الظاهر وتقول فلان من أهل ديار مصر وانما بلده محلة واحدة منها * قوله تعالى ويبقى وجه ربك

وكله منتفع به كما ينتفع بالمكموم من ثمره وجماره وجذوعه وقيل الاكمام أوعية الثمر الواحد كم بكسر الكاف و(العصف) ورق الزرع وقيل التبن (والريحان) الرزق وهو اللب أراد فيها ما يتلذذ به من الفواكه والجامع بين التلذذ والتغذي وهو ثمر النخل وما يتغذى به وهو الحب وقرئ والريحان بالكسر ومعناه والحب ذو العصف الذي هو علف الانعام والريحان الذي هو مطعم الناس وبالضم على وذو الريحان فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه وقيل معناه وفيها الريحان الذي يشم وفي مصاحف أهل الشام والحب ذا العصف والريحان أي وخلق الحب والريحان أو وأخص الحب والريحان ويجوز أن يراد وذا الريحان فيحذف المضاف ويقام المضاف اليه مقامه * والخطاب في (ربكما تكذبان) للثقلين بدلالة الانام عليهما وقوله سنفرغ لكم أيها الثقلان * الصلصال الطين اليابس له صلصلة * والفخار الطين المطبوخ بالنار وهو الخزف (فان قلت) قد اختلف التنزيل في هذا وذلك قوله عز وجل من حمإ مسنون من طين لازب من تراب (قلت) هو متفق في المعنى ومفيد أنه خلقه من تراب جعله طينا ثم حمأ مسنونا ثم صلصالا و(الجان) أبو الجن وقيل هو ابليس * والمارج اللهب الصافي الذي لا دخان فيه وقيل المختلط بسواد النار من مرج الشيء اذا اضطرب واختلط * (فان قلت) فما معنى قوله (من نار) (قلت) هو بيان لمارج كأنه قيل من صاف من نار أو مختلط من نار أو أراد من نار مخصوصة كقوله تعالى فأنذرتكم نارا تلظى * وقرئ رب المشرقين ورب المغربين بالجر بدلا من ربكما وأراد مشرقي الصيف والشتاء ومغربيهما (مرج البحرين) أرسل البحر الملح والبحر العذب متجاورين متلاقيين لا فصل بين الماءين في مرأى العين (بينهما برزخ) حاجز من قدرة الله تعالى (لا يبغيان) لا يتجاوزان حديهما ولا يبغي أحدهما على الآخر بالممازجة * وقرئ يخرج ويخرج من أخرج وخرج ونخرج أي الله عز وجل اللؤلؤ والمرجان بالنصب ونخرج بالنون * واللؤلؤ الدر والمرجان هذا الخرز الأحمر وهو البسذ وقيل اللؤلؤ كبار الدر والمرجان صغاره (فان قلت) لم قال منهما وانما يخرجان من الملح (قلت) لما التقيا وصارا كالشيء الواحد جاز أن يقال يخرجان منهما كما يقال يخرجان من البحر ولا يخرجان من جميع البحر ولكن من بعضه وتقول خرجت من البلد وانما خرجت من محلة من محاله بل من دار واحدة من دوره وقيل لا يخرجان الا من ملتقى الملح والعذب (الجوار) السفن وقرئ الجوار بحذف الياء ورفع الراء ونحوه

لها ثنايا أربع حسان * وأربع فكلها ثمان

و(المنشآت) المرفوعات الشرع وقرئ بكسر الشين وهي الرافعات الشرع أو اللاتي ينشئن الامواج بجريهن * والاعلام جمع علم وهو الجبل الطويل (عليها) على الارض (وجه ربك) ذاته والوجه يعبر به عن الجملة والذات ومساكين مكة يقولون أين وجه عربي كريم ينقذني من الهوان و(ذو الجلال والاكرام) صفة الوجه وقرأ عبد الله ذي على صفة ربك ومعناه الذي يجله الموحدون عن التشبيه بخلقه وعن أفعالهم أو الذي يقال له ما أجلك وأكرمك أو من عنده الجلال والاكرام للمخلصين من عباده وهذه الصفة من عظيم صفات الله ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألظوا بياذا الجلال والاكرام وعنه عليه الصلاة والسلام أنه مر برجل وهو يصلي ويقول ياذا الجلال والاكرام فقال قد استجيب لك (فان قلت) ما النعمة في ذلك (قلت) أعظم النعمة وهو مجيء وقت الجزاء عقيب ذلك * كل من أهل السموات والارض مفتقرون اليه فيسأله أهل السموات ما يتعلق بدينهم وأهل الارض ما يتعلق بدينهم ودنياهم (كل يوم هو في شأن) أي كل وقت وحين يحدث أمورا ويجدد أحوالا كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه تلاها فقيل له وما ذلك الشأن فقال من شأنه أن يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوما ويضع آخرين وعن ابن عيينة الدهر عند الله تعالى يومان أحدها

ذو العصف والريحان فبأي آلاء ربكما تكذبان خلق الانسان من صلصال كالفخار وخلق الجان من مارج من نار فبأي آلاء ربكما تكذبان رب المشرقين ورب المغربين فبأي آلاء ربكما تكذبان مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان فبأي آلاء ربكما تكذبان يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان فبأي آلاء ربكما تكذبان وله الجوار المنشآت في البحر كالاعلام فبأي آلاء ربكما تكذبان كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام فبأي آلاء ربكما تكذبان يسأله من في السموات والارض كل يوم هو في شأن فبأي آلاء ربكما تكذبان

ذو الجلال والاكرام (قال فيه الوجه يعبر عن الذات ومساكين مكة يقولون) قال أحمد المعتزلة ينكرون الصفات الالهية التي دل عليها العقل فكيف بالصفات السمعية على أن من الاشعرية من حمل الوجه واليدين والعينين على نحو ما ذكره وأبي بيانها صفات سمعية * ثم قال فان قلت كيف عد هذا من الآلاء والنعم وحاصله فناء الخلق وأجاب بأن معناه أنهم يفنون ثم يبعثون الى دار الجزاء أي دار النعيم المقيم الحقيقي بأن يكون هو النعيم لا غير

اليوم الذي هو مدة عمر الدنيا فشأنه فيه الامر والنهي والاماتة والاحياء والاعطاء والمنع والآخر يوم القيامة فشأنه فيه الجزاء والحساب وقيل نزلت في اليهود حين قالوا ان الله لا يقضي يوم السبت شيأ وسأل بعض الملوك وزيره عنها فاستمهله الى الغد وذهب كئيبا يفكر فيها فقال غلام له أسود يا مولاي أخبرني ما أصابك لعل الله يسهل لك على يدي فأخبره فقال له أنا أفسرها للملك فأعلمه فقال أيها الملك شأن الله أن يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل ويخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويشفي سقيما ويسقم سليما ويبتلي معافا ويعافي مبتلى ويعز ذليلا ويذل عزيزا ويفقر غنيا ويغني فقيرا فقال الامير أحسنت وأمر الوزير أن يخلع عليه ثياب الوزارة فقال يا مولاي هذا من شأن الله وعن عبد الله بن طاهر أنه دعا الحسين بن الفضل وقال له أشكلت على ثلاث آيات دعوتك لتكشفها لي قوله تعالى فأصبح من النادمين وقد صح أن الندم توبة وقوله تعالى كل يوم هو في شأن وقد صح أن القلم قد جف بما هو كائن الى يوم القيامة وقوله تعالى وأن ليس للانسان الا ما سعى فما بال الاضعاف فقال الحسين يجوز أن لا يكون الندم توبة في تلك الامة ويكون توبة في هذه الامة لان الله تعالى خص هذه الامة بخصائص لم يشاركهم فيها الامم وقيل ان ندم قابيل لم يكن على قتل هابيل ولكن على حمله وأما قوله وأن ليس للانسان الا ما سعى فمعناه ليس له الا ما سعى عدلا ولي أن أجزيه بواحدة ألفا فضلا وأما قوله كل يوم هو في شأن فانها شؤون يبديها لا شؤون يبتدئها فقام عبد الله وقبل رأسه وسوغ خراجه (سنفرغ لكم) مستعار من قول الرجل لمن يتهدده سأفرغ لك يريد سأتجرد للايقاع بك من كل ما يشغلني عنك حتى لا يكون لي شغل سواه والمراد التوفر على النكاية فيه والانتقام منه ويجوز أن يراد ستنتهي الدنيا وتبلغ آخرها وتنتهي عند ذلك شؤون الخلق التي أرادها بقوله كل يوم هو في شأن فلا يبقى الا شأن واحد وهو جزاؤكم فجعل ذلك فراغا لهم على طريق المثل وقرئ سيفرغ لكم أي الله تعالى وسأفرغ لكم وسنفرغ بالنون مفتوحا ومكسورا وفتح الراء وسيفرغ بالياء مفتوحا ومضموما مع فتح الراء وفي قراءة أبي سنفرغ اليكم بمعنى سنقصد اليكم * والثقلان الانس والجن سميا بذلك لانهما ثقلا الارض (يا معشر الجن والانس) كالترجمة لقوله أيها الثقلان (ان استطعتم) أن تهربوا من قضائي وتخرجوا من ملكوتي ومن سمائي وأرضي فافعلوا * ثم قال لا تقدرون على النفوذ (الا بسلطان) يعني بقوة وقهر وغلبة وأنى لكم ذلك ونحوه وما أنتم بمعجزين في الارض ولا في السماء وروي أن الملائكة عليهم السلام تنزل فتحيط بجميع الخلائق فاذا رآهم الجن والانس هربوا فلا يأتون وجها الا وجدوا الملائكة أحاطت به * قرئ شواظ ونحاس كلاهما بالضم والكسر والشواظ اللهب الخالص والنحاس الدخان وأنشد

تضيء كضوء سراج السليـ ـط لم يجعل الله فيه نحاسا

وقيل الصفر المذاب يصب على رؤسهم وعن ابن عباس رضي الله عنهما اذا خرجوا من قبورهم ساقهم شواظ الى المحشر وقرئ ونحاس مرفوعا عطفا على شواظ ومجرورا عطفا على نار وقرئ ونحس جمع نحاس وهو الدخان نحو لحاف ولحف وقرئ ونحس أي ونقتل بالعذاب وقرئ نرسل عليكما شواظا من نار ونحاسا (فلا تنتصران) فلا تمتنعان (وردة) حمراء (كالدهان) كدهن الزيت كما قال كالمهل وهو دردي الزيت وهو جمع دهن أو اسم ما يدهن به كالحزام والادام قال

كأنهما مزادتا متعجل * فريان لما تدهنا بدهان

وقيل الدهان الاديم الاحمر وقرأ عمرو بن عبيد وردة بالرفع بمعنى فحصلت سماء وردة وهو من الكلام الذي يسمى التجريد كقوله

فلئن بقيت لارحلن بغزوة * تحوي الغنائم أو يموت كريم

(انس) بعض من الانس (ولا جان) أريد به ولا جن أي ولا بعض من الجن فوضع الجان الذي هو أبو الجن موضع الجن كما يقال هاشم ويراد ولده وانما وحد ضمير الانس في قوله عن ذنبه لكونه في معنى البعض والمعنى لا يسألون لانهم يعرفون بسيما المجرمين وهي سواد الوجوه وزرقة العيون (فان قلت) هذا خلاف قوله تعالى

سنفرغ لكم أيه الثقلان فبأي آلاء ربكما تكذبان يا معشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والارض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان فبأي آلاء ربكما تكذبان يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران فبأي آلاء ربكما تكذبان فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان فبأي آلاء ربكما تكذبان فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان فبأي آلاء ربكما تكذبان يعرف المجرمون بسيماهم

* قوله تعالى لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان (قال فيه لم يطمث الانسية انسي ولا الجنية جني الخ) قال أحمد يشير الى الرد على من زعم ان الجن المؤمنين لا ثواب لهم وانما جزاؤهم ترك العقوبة وجعلهم ترابا * وقال في قوله ومن دونهما جنتان انما تقاصرت صفة هاتين الجنتين عن صفة الاوليين حتى قال ومن دونهما لانه قال مدهامتان وذلك دون ذواتا أفنان ونضاختان وذلك دون تجريان وفاكهة وذلك دون من كل فاكهة وكذلك صفة الحور

فوربك لنسألنهم أجمعين وقوله وقفوهم انهم مسؤلون (قلت) ذلك يوم طويل وفيه مواطن فيسألون في موطن ولا يسألون في آخر قال قتادة قد كانت مسئلة ثم ختم على أفواه القوم وتكلمت أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون قيل لا يسأل عن ذنبه ليعلم من جهته ولكن يسأل سؤال توبيخ وقرأ الحسن وعمرو بن عبيد ولا جأن فرارا من التقاء الساكنين وان كان على حده (فيؤخذ بالنواصي والأقدام) عن الضحاك يجمع بين ناصيته وقدمه في سلسلة من وراء ظهره وقيل تسحبهم الملائكة تارة تأخذ بالنواصي وتارة تأخذ بالاقدام (حميم آن) ماء حار قد انتهى حره ونضجه أي يعاقب عليهم بين التصلية بالنار وبين شرب الحميم وقيل اذا استغاثوا من النار جعل غياثهم الحميم وقيل ان واديا من أودية جهنم يجتمع فيه صديد أهل النار فينطلق بهم في الأغلال فيغمسون فيه حتى تنخلع أوصالهم ثم يخرجون منه وقد أحدث الله لهم خلقا جديدا * وقرئ يطوفون من التطويف ويطوفون أي يتطوفون ويطافون وفي قراءة عبد الله هذه جهنم التي كنتما بها تكذبان تصليانها لا تموتان فيها ولا تحييان يطوفون بينها * ونعمة الله فيما ذكر من هول العذاب نجاة الناجي منه برحمته وفضله وما في الانذار به من اللطف (مقام ربه) موقفه الذي يقف فيه العباد للحساب يوم القيامة يوم يقوم الناس لرب العالمين ونحوه لمن خاف مقامي ويجوز أن يراد بمقام ربه ان الله قائم عليه أي حافظ مهيمن من قوله تعالى أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت فهو يراقب ذلك فلا يجسر على معصيته وقيل هو مقحم كما تقول أخاف جانب فلان وفعلت هذا لمكانك وأنشد

ذعرت به القطا ونفيت عنه * مقام الذئب كالرجل اللعين

يريد ونفيت عنه الذئب * (فان قلت) لم قال (جنتان) (قلت) الخطاب للثقلين فكأنه قيل لكل خائفين منكما جنتان جنة للخائف الانسي وجنة للخائف الجني ويجوز أن يقال جنة لفعل الطاعات وجنة لترك المعاصي لان التكليف دائر عليهما وأن يقال جنة يثاب بها وأخرى تضم اليها على وجه التفضل كقوله تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة * خص الأفنان بالذكر وهي الغصنة التي تتشعب من فروع الشجرة لانها هي التي تورق وتثمر فمنها تمتد الظلال ومنها تجتنى الثمار وقيل الأفنان ألوان النعم ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين قال

ومن كل أفنان اللذاذة والصبا * لهوت به والعيش أخضر ناضر

(عينان تجريان) حيث شاؤا في الأعالي والأسافل وقيل تجريان من جبل من مسك وعن الحسن تجريان بالماء الزلال احداهما التسنيم والأخرى السلسبيل (زوجان) صنفان قيل صنف معروف وصنف غريب (متكئين) نصب على المدح للخائفين أو حال منهم لان من خاف في معنى الجمع (بطائنها من استبرق) من ديباج ثخين واذا كانت البطائن من الاستبرق فما ظنك بالظهائر وقيل ظهائرها من سندس وقيل من نور (دان) قريب يناله القائم والقاعد والنائم * وقرئ وجنى بكسر الجيم (فيهن) في هذه الآلاء المعدودة من الجنتين والعينين والفاكهة والفرش والجنى أو في الجنتين لاشتمالهما على أماكن وقصور ومجالس (قاصرات الطرف) نساء قصرن أبصارهن على أزواجهن لا ينظرن الى غيرهم * لم يطمث الانسيات منهن أحد من الانس ولا الجنيات أحد من الجن وهذا دليل على أن الجن يطمثون كما يطمث الانس * وقرئ لم يطمثهن بضم الميم قيل هن في صفاء الياقوت وبياض المرجان وصغار الدر أنصع بياضا قيل ان الحوراء تلبس سبعين حلة فيرى مخ ساقها من ورائها كما يرى الشراب الأحمر في الزجاجة البيضاء (هل جزاء الاحسان) في العمل (الا الاحسان) في الثواب وعن محمد بن الحنفية هي مسجلة للبر والفاجر أي مرسلة يعني أن كل من أحسن أحسن اليه وكل من أساء أسيء اليه (ومن دونهما) ومن دون تينك الجنتين الموعودتين للمقربين (جنتان) لمن دونهم من أصحاب اليمين (مدهامتان) قد ادهامتا من شدة الخضرة (نضاختان) فوارتان بالماء والنضخ أكثر من النضح لان النضح غير معجمة مثل الرش (فان قلت) لم عطف النخل والرمان على الفاكهة وهما منها (قلت) اختصاصا لهما وبيانا لفضلهما كأنهما لما لهما من المزية جنسان آخران كقوله تعالى وجبريل وميكائيل أو لأن النخل ثمره فاكهة وطعام والرمان فاكهة ودواء فلم يخلصا للتفكه ومنه قال أبو حنيفة

فيؤخذ بالنواصي والأقدام فبأي آلاء ربكما تكذبان هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن فبأي آلاء ربكما تكذبان ولمن خاف مقام ربه جنتان فبأي آلاء ربكما تكذبان ذواتا أفنان فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان تجريان فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما من كل فاكهة زوجان فبأي آلاء ربكما تكذبان متكئين على فرش بطائنها من استبرق وجنى الجنتين دان فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان فبأي آلاء ربكما تكذبان كأنهن الياقوت والمرجان فبأي آلاء ربكما تكذبان هل جزاء الاحسان الا الاحسان فبأي آلاء ربكما تكذبان ومن دونهما جنتان فبأي آلاء ربكما تكذبان مدهامتان فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان نضاختان فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما فاكهة ونخل ورمان فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهن

رحمه الله اذا حلف لا يأكل فاكهة فأكل رمانا أو رطبا لم يحنث وخالفه صاحباه (خيرات) خيّرات فخففت كقوله
عليه السلام هينون لينون وأما خير الذي هو بمعنى أخير فلا يقال فيه خيرون ولا خيرات وقرئ خيّرات على
الاصل والمعنى فاضلات الاخلاق * حسان الخلق (مقصورات) قصرن في خدورهن يقال امرأة قصيرة
وقصورة ومقصورة مخدرة وقيل ان الخيمة من خيامهن درة مجوفة (قبلهم) قبل أصحاب الجنتين دل عليهم
ذكر الجنتين (متكئين) نصب على الاختصاص والرفرف ضرب من البسط وقيل البسط وقيل الوسائد وقيل
كل ثوب عريض رفرف ويقال لاطراف البسط وفضول الفسطاط رفارف ورفرف السحاب هيدبه *
والعبقري منسوب الى عبقر تزعم العرب أنه بلد الجن فينسبون اليه كل شئ عجيب وقرئ رفارف خضر
بضمتين وعباقري كمدائني نسبة الى عباقر في اسم البلد وروى أبو حاتم عباقري بفتح القاف ومنع الصرف
وهذا الاوجه لصحته (فان قلت) كيف تقاصرت صفات هاتين الجنتين عن الاوليين حتى قيل ومن دونهما
(قلت) مدهامتان دون ذواتا أفنان ونضاختان دون تجريان وفاكهة دون كل فاكهة وكذلك صفة الحور
والمتكأ وقرئ ذو الجلال صفة للاسم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الرحمن أدى شكر ما أنعم
الله عليه

﴿سورة الواقعة مكية وهي سبع وتسعون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(وقعت الواقعة) كقولك كانت الكائنة وحدثت الحادثة والمراد القيامة وصفت بالوقوع لانها تقع لا محالة
فكأنه قيل اذا وقعت التي لا بد من وقوعها ووقوع الامر نزوله يقال وقع ما كنت أتوقعه أي نزل ما كنت أترقب
نزوله (فان قلت) بم انتصب اذا (قلت) بليس كقولك يوم الجمعة ليس لي شغل أو بمحذوف يعني اذا وقعت
كان كيت وكيت أو باضمار اذكر (كاذبة) نفس كاذبة أي لا تكون حين تقع نفس تكذب على الله وتكذب
في تكذيب الغيب لان كل نفس حينئذ مؤمنة صادقة مصدقة وأكثر النفوس اليوم كواذب مكذبات
كقوله تعالى فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده ولا يؤمنون به حتى يروا العذاب الاليم ولا يزال الذين كفروا
في مرية منه حتى تأتيهم الساعة بغتة واللام مثلها في قوله تعالى يا ليتني قدمت لحياتي أو ليس لها نفس
تكذبها وتقول لها لم تكوني كما لها اليوم نفوس كثيرة يكذبنها يقلن لها لن تكوني أو هي من قولهم كذبت فلانا
نفسه في الخطب العظيم اذا شجعته على مباشرته وقالت له انك تطيقه وما فوقه فتعرض له ولا تبال به على
معنى أنها وقعة لا تطاق شدة وفظاعة وان لا نفس حينئذ تحدث صاحبها بما تحدثه به عند عظائم الامور وتزين
له احتمالها واطاقتها لانهم يومئذ أضعف من ذلك وأذل ألا ترى الى قوله تعالى كالفراش المبثوث والفراش
مثل في الضعف وقيل كاذبة مصدر كالعاقبة بمعنى التكذيب من قولك حمل على قرنه فما كذب أي فما جبن
وما تثبط وحقيقته فما كذب نفسه فيما حدثته به من اطاقته له واقدامه عليه قال زهير
اذا ما الليث كذب عن أقرانه صدقا   أي اذا وقعت لم تكن لها رجعة ولا ارتداد (خافضة رافعة) على هي
خافضة رافعة ترفع أقواما وتضع آخرين اما وصفا لها بالشدة لان الواقعات العظام كذلك يرتفع فيها ناس الى
مراتب ويتضع ناس واما لان الاشقياء يحطون الى الدركات والسعداء يرفعون الى الدرجات واما انها تزلزل
الاشياء وتزيلها عن مقارها فتخفض بعضا وترفع بعضا حيث تسقط السماء كسفا وتنتثر الكواكب وتنكدر
وتسير الجبال فتمر في الجو مر السحاب وقرئ خافضة رافعة بالنصب على الحال (رجت) حركت تحريكا شديدا
حتى ينهدم كل شئ فوقها من جبل وبناء (وبست الجبال) وفتت حتى تعود كالسويق أو سيقت من بس الغنم
اذا ساقها كقوله وسيرت الجبال (منبثا) متفرقا وقرئ بالتاء أي منقطعا وقرئ رجت وبست أي ارتجت
وذهبت وفي كلام بنت الخس عينها هاج وصلاها راج وهي تمشي وتفاج (فان قلت) بم انتصب اذا رجت
(قلت) هو بدل من اذا وقعت ويجوز أن ينتصب بخافضة رافعة أي تخفض وترفع وقت رج الارض وبس
الجبال لانه عند ذلك ينخفض ما هو مرتفع ويرتفع ما هو منخفض (أزواجا) أصنافا يقال للاصناف التي

بعضها

خيرات حسان فبأي
آلاء ربكما تكذبان
حور مقصورات في
الخيام فبأي آلاء ربكما
تكذبان لم يطمثهن
انس قبلهم ولا جان
فبأي آلاء ربكما
تكذبان متكئين على
رفرف خضر وعبقري
حسان فبأي آلاء
ربكما تكذبان تبارك
اسم ربك ذي الجلال
والاكرام

﴿سورة الواقعة مكية
وهي سبع وتسعون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

اذا وقعت الواقعة ليس
لوقعتها كاذبة خافضة
رافعة اذا رجت الارض
رجا وبست الجبال بسا
فكانت هباء منبثا
وكنتم أزواجا ثلاثة

(القول في سورة الواقعة)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* قوله تعالى ليس
لوقعتها كاذبة (قال فيه)
كاذبة صفة تقدير
موصوفها نفس كاذبة
الخ

*قوله تعالى فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة والسابقون السابقون أولئك المقربون في جنات النعيم (قال فيه ما تعجب من حال المقربين الخ) قال أحمد اختار ما هو المختار لانه أقعد بالفصاحة (٤٢٩) لكن بقي التنبيه على المخالفة بين المذكورين في السابقين وفي أصحاب اليمين مع أن كل واحد منهما انما أريد به التعظيم والتهويل لحال المذكورين فنقول التعظيم المؤدى بقوله السابقون أبلغ من قرينه وذلك أن مؤدى هذا أن أمر السابقين وعظمة شأنه مالا يكاد يخفى واتضح تقدم السامع فيه مشهور وأما المذكور في قوله وأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة فانه تعظيم على السامع بما ليس عنده منه علم سابق ألا ترى كيف سبق بسط حال السابقين بقوله أولئك المقربون فجمع بين اسم الاشارة المشار به الى معروف وبين الاخبار عنه بقوله المقربون معرفا بالالف واللام العهدية وليس مثل هذا مذكورا في بسط حال أصحاب اليمين فانه مصدر بقوله في سدر مخضود

بعضها مع بعض أو يذكر بعضها مع بعض أزواج (فأصحاب الميمنة) الذين يؤتون صحائفهم بأيمانهم (وأصحاب المشأمة) الذين يؤتونها بشمائلهم أو أصحاب المنزلة السنية وأصحاب المنزلة الدنية من قولك فلان مني باليمين وفلان مني بالشمال اذا وصفتهما بالرفعة عندك والضعة وذلك لتيمنهم بالميامن وتشاؤمهم بالشمائل ولتفاؤلهم بالسانح وتطيرهم من البارح ولذلك اشتقوا لليمين الاسم من اليمن وسموا الشمال الشؤمى وقيل أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة أصحاب اليمن والشؤم لان السعداء ميامين على أنفسهم بطاعتهم والاشقياء مشائيم عليها بمعصيتهم وقيل يؤخذ بأهل الجنة ذات اليمين وبأهل النار ذات الشمال (والسابقون) المخلصون الذين سبقوا الى ما دعاهم الله اليه وشقوا الغبار في طلب مرضاة الله عز وجل وقيل الناس ثلاثة فرجل ابتكر الخير في حداثة سنه ثم داوم عليه حتى خرج من الدنيا فهذا السابق المقرب ورجل ابتكر عمره بالذنب وطول الغفلة ثم تراجع بتوبة فهذا صاحب اليمين ورجل ابتكر الشر في حداثة سنه ثم لم يزل عليه حتى خرج من الدنيا فهذا صاحب الشمال * ما أصحاب الميمنة وما أصحاب المشأمة تعجيب من حال الفريقين في السعادة والشقاوة والمعنى أي شئ هم * والسابقون السابقون يريد والسابقون من عرفت حالهم وبلغك وصفهم كقوله وعبد الله عبد الله وقول أبي النجم وشعري شعري كأنه قال وشعري ما انتهى اليك وسمعت بفصاحته وبراعته وقد جعل السابقون تأكيدا وأولئك المقربون خبرا وليس بذاك ووقف بعضهم على والسابقون وابتدأ السابقون أولئك المقربون والصواب أن يوقف على الثاني لانه تمام الجملة وهو في مقابلة ما أصحاب الميمنة وما أصحاب المشأمة (المقربون في جنات النعيم) الذين قربت درجاتهم في الجنة من العرش وأعليت مراتبهم * وقرئ في جنة النعيم * والثلة الامة من الناس الكثيرة قال

وجاءت اليهم ثلة خندفية * بجيش كتيار من السيل مزبد

وقوله عز وجل وقليل من الآخرين كفى به دليلا على الكثرة وهي من الثل وهو الكسر كما أن الامة من الأم وهو الشج كأنها جماعة كسرت من الناس وقطعت منهم والمعنى أن السابقين من الاولين كثير وهم الامم من لدن آدم عليه السلام الى محمد صلى الله عليه وسلم (وقليل من الآخرين) وهم أمة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل من الاولين من متقدمي هذه الامة ومن الآخرين من متأخريها وعن النبي صلى الله عليه وسلم الثلتان جميعا من أمتي (فان قلت) كيف قال وقليل من الآخرين ثم قال وثلة من الآخرين (قلت) هذا في السابقين وذلك في أصحاب اليمين وأنهم يتكاثرون من الاولين والآخرين جميعا (فان قلت) فقد روي أنها لما نزلت شق ذلك على المسلمين فما زال رسول الله صلى الله عليه وسلم يراجع ربه حتى نزلت ثلة من الاولين وثلة من الآخرين (قلت) هذا لا يصح لامرين أحدهما أن هذه الآية واردة في السابقين ورودا ظاهرا وكذلك الثانية في أصحاب اليمين ألا ترى كيف عطف أصحاب اليمين ووعدهم على السابقين ووعدهم والثاني أن النسخ في الاخبار غير جائز وعن الحسن رضي الله عنه سابقو الامم أكثر من سابق أمتنا وتابعو الامم مثل تابعي هذه الامة وثلة خبر مبتدا محذوف أي هم ثلة (موضونة) مرمولة بالذهب مشبكة بالدر والياقوت قد دوخل بعضها في بعض كما توضن حلق الدرع قال الاعشى * ومن نسج داود موضونة * وقيل متواصلة أدنى بعضها من بعض (متكئين) حال من الضمير في على وهو العامل فيها أي استقروا عليها متكئين (متقابلين) لا ينظر بعضهم في أقفاء بعض وصفوا بحسن العشرة وتهذيب الاخلاق والآداب (مخلدون) مبقون أبدا على شكل الولدان وحد الوصافة لا يتحولون عنه وقيل مقرطون والخلدة القرط وقيل هم أولاد أهل الدنيا لم تكن لهم حسنات فيثابوا عليها ولا سيئات فيعاقبوا عليها روي عن علي رضي الله عنه وعن الحسن وفي الحديث أولاد الكفار خدام أهل الجنة * الاكواب أوان بلا عرى وخراطيم * والاباريق ذوات

فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة والسابقون السابقون أولئك المقربون في جنات النعيم ثلة من الاولين وقليل من الآخرين على سرر موضونة متكئين عليها متقابلين يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس من معين

الخراطيم (لا يصدعون عنها) أي بسببها وحقيقته لا يصدر صداعهم عنها أو لا يفرقون عنها وقرأ مجاهد
لا يصدعون بمعنى لا يتصدعون لا يتفرقون كقوله يومئذ يصدعون ويصدعون أي لا يصدع بعضهم بعضا
لا يفرقونهم (يتخيرون) يأخذون خيره وأفضله (يشتهون) يتمنون * وقرئ ولحوم طير * قرئ وحور عين
بالرفع على وفيها حور عين كبيت الكتاب الا رواكد جمرهن هباء ومشجج أو للعطف على ولدان وبالجر عطفا
على جنات النعيم كأنه قال هم في جنات النعيم وفاكهة ولحم وحور أو على أكواب لأن معنى يطوف عليهم ولدان
مخلدون بأكواب ينعمون بأكواب وبالنصب على ويؤتون حورا (جزاء) مفعول له أي يفعل بهم ذلك كله
جزاء بأعمالهم (سلاما سلاما) إما بدل من قيلا بدليل قوله لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما وإما مفعول به لقيلا
بمعنى لا يسمعون فيها الا أن يقولوا سلاما سلاما والمعنى أنهم يفشون السلام بينهم فيسلمون سلاما بعد سلام
وقرئ سلام سلام على الحكاية * السدر شجر النبق * والمخضود الذي لا شوك له كأنما خضد شوكه وعن
مجاهد الموقر الذي تثني أغصانه كثرة حمله من خضد الغصن إذا ثناه وهو رطب * والطلح شجر الموز وقيل هو
شجر أم غيلان وله نوار كثير طيب الرائحة وعن السدي شجر يشبه طلح الدنيا ولكن له ثمر أحلى من العسل
وعن علي رضي الله عنه أنه قرأ وطلع وما شأن الطلح وقرأ قوله لها طلع نضيد فقيل له أو نحوّلها فقال آي القرآن
لا تهاج اليوم ولا تحوّل وعن ابن عباس نحوه * والمنضود الذي نضد بالحمل من أسفله إلى أعلاه فليست له ساق
بارزة (وظل ممدود) ممتد منبسط لا يتقلص كظل ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس (مسكوب) يسكب لهم
أين شاؤوا وكيف شاؤوا لا يتعنون فيه وقيل دائم الجرية لا ينقطع وقيل مصبوب يجري على الأرض في غير
أخدود (لا مقطوعة) هي دائمة لا تنقطع في بعض الأوقات كفواكه الدنيا (ولا ممنوعة) لا تمنع عن متناولها
بوجه ولا يحظر عليها كما يحظر على بساتين الدنيا * وقرئ وفاكهة كثيرة بالرفع على وهناك فاكهة كقوله
وحور عين (وفرش) جمع فراش وقرئ وفرش بالتخفيف (مرفوعة) نضدت حتى ارتفعت أو مرفوعة على
الأسرة وقيل هي النساء لأن المرأة يكنى عنها بالفراش مرفوعة على الأرائك قال الله تعالى هم وأزواجهم في
ظلال على الأرائك متكئون ويدل عليه قوله تعالى (إنا أنشأناهن إنشاء) وعلى التفسير الأول أضمر لهن لأن
ذكر الفرش وهي المضاجع دل عليهن أنشأناهن إنشاء أي ابتدأنا خلقهن ابتداء جديدا من غير ولادة فإما
أن يراد اللاتي ابتدئ إنشاؤهن أو اللاتي أعيد إنشاؤهن وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أم سلمة رضي
الله عنها سألته عن قول الله تعالى إنا أنشأناهن فقال يا أم سلمة هن اللواتي قبضن في دار الدنيا عجائز شمطا رمصا
جعلهن الله بعد الكبر (أترابا) على ميلاد واحد في الاستواء كلما أتاهن أزواجهن وجدوهن أبكارا فلما
سمعت عائشة رضي الله عنها ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت واوجعاه فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ليس هناك وجع وقالت عجوز لرسول الله صلى الله عليه وسلم ادع الله أن يدخلني الجنة فقال إن الجنة
لا تدخلها العجائز فولت وهي تبكي فقال عليه الصلاة والسلام أخبروها أنها ليست يومئذ بعجوز وقرأ الآية
(عربا) وقرئ عربا بالتخفيف جمع عروب وهي المتحببة إلى زوجها الحسنة التبعل (أترابا) مستويات في السن
بنات ثلاث وثلاثين وأزواجهن أيضا كذلك وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل أهل الجنة الجنة
جردا مردا بيضا جعادا مكحلين أبناء ثلاث وثلاثين * واللام في لأصحاب اليمين من صلة أنشأنا وجعلنا
(في سموم) في حر نار ينفذ في المسام (وحميم) وماء حار متناه في الحرارة (وظل من يحموم) من دخان أسود بهيم
(لا بارد ولا كريم) نفى لصفتي الظل عنه يريد أنه ظل ولكن لا كسائر الظلال سماه ظلا ثم نفى عنه برد الظل
وروحه ونفعه لمن يأوي إليه من أذى الحر وذلك كرمه ليمحق ما في مدلول الظل من الاسترواح إليه والمعنى
أنه ظل حار ضار إلا أن للنفي في نحو هذا شأنا ليس للإثبات وفيه تهكم بأصحاب المشأمة وأنهم لا يستأهلون
الظل البارد الكريم الذي هو لأضدادهم في الجنة وقرئ لا بارد ولا كريم بالرفع أي لا هو كذلك (الحنث)
الذنب العظيم ومنه قولهم بلغ الغلام الحنث أي الحلم ووقت المؤاخذة بالمأثم ومنه حنث في يمينه خلاف
بر فيها ويقال تحنث إذا تأثم وتحرج (أو آباؤنا) دخلت همزة الاستفهام على حرف العطف (فإن قلت) كيف

لا يصدعون عنها ولا
ينزفون وفاكهة مما
يتخيرون ولحم طير
مما يشتهون وحور عين
كأمثال اللؤلؤ المكنون
جزاء بما كانوا يعملون
لا يسمعون فيها لغوا ولا
تأثيما إلا قيلا سلاما
سلاما وأصحاب اليمين
ما أصحاب اليمين في
سدر مخضود وطلح
منضود وظل ممدود
وماء مسكوب وفاكهة
كثيرة لا مقطوعة ولا
ممنوعة وفرش مرفوعة
إنا أنشأناهن إنشاء
فجعلناهن أبكارا عربا
أترابا لأصحاب اليمين ثلة
من الأولين وثلة من
الآخرين وأصحاب
الشمال ما أصحاب الشمال
في سموم وحميم وظل
من يحموم لا بارد
ولا كريم إنهم كانوا
قبل ذلك مترفين وكانوا
يصرون على الحنث
العظيم وكانوا يقولون
أئذا متنا وكنا ترابا
وعظاما أئنا لمبعوثون
أو آباؤنا الأولون قل إن
الأولين والآخرين
لمجموعون

حسن

حسن العطف على المضمر في لمبعوثون من غير تأكيد بنحن (قلت) حسن للفاصل الذي هو الهمزة كما حسن في قوله تعالى ما أشركنا ولا آباؤنا لفصل لا المؤكدة للنفي وقرئ أو آباؤنا * وقرئ لمجمعون (الى ميقات يوم معلوم) الى ما وقتت به الدنيا من يوم معلوم والاضافة بمعنى من كخاتم فضة والميقات ما وقت به الشئ أى حد ومنه مواقيت الاحرام وهى الحدود التى لا يتجاوزها من يريد دخول مكة الا محرما (أيها الضالون) عن الهدى (المكذبون) بالبعث وهم أهل مكة ومن فى مثل حالهم (من شجر من زقوم) من الاولى لابتداء الغاية والثانية لبيان الشجر وتفسيره * وأنث ضمير الشجر على المعنى وذكره على اللفظ فى قوله منها وعليه ومن قرأ من شجرة من زقوم فقد جعل الضميرين للشجرة وانما ذكر الثانى على تأويل الزقوم لانه تفسيرها وهى فى معناه (شرب الهيم) قرئ بالحركات الثلاث فالفتح والضم مصدران وعن جعفر الصادق رضى الله عنه أيام أكل وشرب بفتح الشين وأما المكسور فبمعنى المشروب أى ما يشربه الهيم وهى الابل التى بها الهيام وهو داء تشرب منه فلا تروى جمع أهيم وهيماء قال ذو الرمة

فأصبحت كالهيماء لا الماء مبرد * صداها ولا يقضى عليها هيامها

وقيل الهيم الرمال ووجهه أن يكون جمع الهيام بفتح الهاء وهو الرمل الذى لا يتماسك جمع على فعل كسحاب وسحب ثم خفف وفعل به ما فعل بجمع أبيض والمعنى أنه يسلط عليهم من الجوع ما يضطرهم الى أكل الزقوم الذى هو كالمهل فاذا ملؤا منه البطون يسلط عليهم من العطش ما يضطرهم الى شرب الحميم الذى يقطع أمعاءهم فيشربونه شرب الهيم (فان قلت) كيف صح عطف الشاربين على الشاربين وهما لذوات متفقة وصفتان متفقتان فكان عطفا للشئ على نفسه (قلت) ليستا بمتفقتين من حيث ان كونهم شاربين للحميم على ما هو عليه من تناهى الحرارة وقطع الامعاء أمر عجيب وشربهم له على ذلك كما تشرب الهيم الماء أمر عجيب أيضا فكانتا صفتين مختلفتين * النزل الرزق الذى يعد للنازل تكرمة له وفيه تهكم كما فى قوله تعالى فبشرهم بعذاب أليم وكقول أبى الشعر الضبى

وكنا اذا الجبار بالجيش ضافنا * جعلنا القنا والمرهفات له نزلا

وقرئ نزلهم بالتخفيف (فلولا تصدقون) تحضيض على التصديق اما بالخلق لانهم وان كانوا مصدقين به الا أنهم لما كان مذهبهم خلاف ما يقتضيه التصديق فكأنهم مكذبون به * واما بالبعث لان من خلق أولا لم يمتنع عليه أن يخلق ثانيا (ما تمنون) ما تمنونه أى تقذفونه فى الارحام من النطف وقرأ أبو السمال بفتح التاء يقال أمنى النطفة ومناها قال الله تعالى من نطفة اذا تمنى (تخلقونه) تقدرونه وتصورونه (قدرنا بينكم الموت) تقديرا وقسمناه عليكم قسمة الرزق على اختلاف وتفاوت كما تقتضيه مشيئتنا فاختلفت أعماركم من قصير وطويل ومتوسط وقرئ قدرنا بالتخفيف * سبقته على الشئ اذا أعجزته عنه وغلبته عليه ولم تمكنه منه فمعنى قوله (وما نحن بمسبوقين على أن نبدل أمثالكم) انا قادرون على ذلك لا تغلبوننا عليه وأمثالكم جمع مثل أى على أن نبدل منكم ومكانكم أشباهكم من الخلق وعلى أن (ننشئكم) فى خلق لا تعلمونها وما عهدتم بمثلها يعنى انا نقدر على الامرين جميعا على خلق ما يماثلكم وما لا يماثلكم فكيف نعجز عن اعادتكم ويجوز أن يكون أمثالكم جمع مثل أى على أن نبدل ونغير صفاتكم التى أنتم عليها فى خلقكم وأخلاقكم وننشئكم فى صفات لا تعلمونها * وقرئ النشأة والنشاءة وفى هذا دليل على صحة القياس حيث جهلهم فى ترك قياس النشأة الاخرى على الاولى (أفرأيتم ما تحرثون)ه من الطعام أى تبذرون حبه وتعملون فى أرضه (أأنتم تزرعونه) تنبتونه وتردونه نباتا يرف وينمى الى أن يبلغ الغاية وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقولن أحدكم زرعت وليقل حرثت قال أبو هريرة أرأيتم الى قوله أفرأيتم الآية * والحطام من حطم كالفتات والجذاذ من فت وجذ وهو ما صار هشيما وتحطم (فظلتم) وقرئ بالكسر وفظللتم على الاصل (تفكهون) تعجبون وعن الحسن رضى الله عنه تندمون على تعبكم فيه وانفاقكم عليه أو على ما اقترفتم من المعاصى التى أصبتم بذلك من أجلها * وقرئ تفكنون ومنه الحديث مثل العالم كمثل الحمة يأتيها البعداء ويتركها القرباء فبينا هم

الى ميقات يوم معلوم ثم انكم أيها الضالون المكذبون لآكلون من شجر من زقوم فمالئون منها البطون فشاربون عليه من الحميم فشاربون شرب الهيم هذا نزلهم يوم الدين نحن خلقناكم فلولا تصدقون أفرأيتم ما تمنون أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين على أن نبدل أمثالكم وننشئكم فى ما لا تعلمون ولقد علمتم النشأة الاولى فلولا تذكرون أفرأيتم ما تحرثون أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون لو نشاء لجعلناه حطاما فظلتم تفكهون

أذهبنا ماءها فانتفع بها قوم وبقي قوم يتفكهون أي يتندمون (إنا لمغرمون) لملزمون غرامة ما أنفقنا
أو مهلكون لهلاك رزقنا من الغرام وهو الهلاك (بل نحن) قوم (محرومون) محارفون محدودون لا حظ
لنا ولا بخت لنا ولو كنا مجدودين لما جرى علينا هذا وقرئ أئنا (الماء الذي تشربون) يريد الماء العذب
الصالح للشرب و (المزن) السحاب الواحدة مزنة وقيل هو السحاب الأبيض خاصة وهو أعذب ماء (أجاجا)
ملحا زعاقا لا يقدر على شربه (فإن قلت) لم أدخلت اللام على جواب لو في قوله لجعلناه حطاما ونزعت منه
ههنا (قلت) إن لو لما كانت داخلة على جملتين معلقة ثانيتهما بالأولى تعلق الجزاء بالشرط ولم تكن مخلصة
للشرط كإن ولا عاملة مثلها وإنما سرى فيها معنى الشرط اتفاقا من حيث إفادتها في مضموني جملتيها أن الثاني
امتنع لامتناع الأول افتقرت في جوابها إلى ما ينصب علما على هذا التعلق فزيدت هذه اللام لتكون علما
على ذلك فإذا حذفت بعد ما صارت علما مشهورا مكانه فلأن الشيء إذا علم وشهر موقعه وصار مألوفا ومأنوسا به
لم يبال بإسقاطه عن اللفظ استغناء بمعرفة السامع ألا ترى إلى ما يحكى عن رؤبة أنه كان يقول خير لمن قال له
كيف أصبحت فحذف الجار لعلم كل أحد بمكانه وتساوي حالي حذفه وإثباته لشهرة أمره وناهيك
بقول أوس

حتى إذا الكلاب قال لها * كاليوم مطلوبا ولا طلبا

وحذفه لم أرق فإذن حذفها اختصار لفظي وهي ثابتة في المعنى فاستوى الموضعان بلا فرق بينهما على أن تقدم
ذكرها والمسافة قصيرة مغن عن ذكرها ثانية ونائب عنه ويجوز أن يقال إن هذه اللام مفيدة معنى التوكيد
لا محالة فأدخلت في آية المطعوم دون آية المشروب للدلالة على أن أمر المطعوم مقدم على أمر المشروب
وأن الوعيد بفقده أشد وأصعب من قبل أن المشروب إنما يحتاج إليه تبعا للمطعوم ألا ترى أنك إنما تسقي
ضيفك بعد أن تطعمه ولو عكست قعدت تحت قول أبي العلاء

إذا سقيت ضيوف الناس محضا * سقوا أضيافهم شبما زلالا

وسقي بعض العرب فقال أنا لا أشرب إلا على ثميلة ولهذا قدمت آية المطعوم على آية المشروب (تورون)
تقدحونها وتستخرجونها من الزناد والعرب تقدح بعودين تحك أحدهما على الآخر ويسمون الأعلى الزند
والأسفل الزندة شبهوهما بالفحل والطروقة (شجرتها) التي منها الزناد (تذكرة) تذكيرا لنار جهنم حيث علقنا
بها أسباب المعايش كلها وعممنا بالحاجة إليها البلوى لتكون حاضرة للناس ينظرون إليها ويذكرون
ما أوعدوا به أو جعلناها تذكرة وأنموذجا من جهنم لما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ناركم هذه التي
يوقد بنو آدم جزء من سبعين جزءا من حر جهنم (ومتاعا) ومنفعة (للمقوين) للذين ينزلون القواء وهي القفر أو
الذين خلت بطونهم أو مزاودهم من الطعام يقال أقويت من أيام أي لم آكل شيئا (فسبح باسم ربك) فأحدث
التسبيح بذكر اسم ربك أو أراد بالاسم الذكر أي بذكر ربك و (العظيم) صفة للمضاف أو للمضاف إليه والمعنى أنه
لما ذكر ما دل على قدرته وإنعامه على عباده قال فأحدث التسبيح وهو أن يقول سبحان الله إما تنزيها لله عما
يقول الظالمون الذين يجحدون وحدانيته ويكفرون نعمته وإما تعجبا من أمرهم في غمط آلائه وأياديه
الظاهرة وإما شكرا لله على النعم التي عدها ونبه عليها (فلا أقسم) معناه فأقسم ولا مزيدة مؤكدة مثلها في
قوله لئلا يعلم أهل الكتاب وقرأ الحسن فلأقسم ومعناه فلأنا أقسم اللام لام الابتداء دخلت على جملة من
مبتدأ وخبر وهي أنا أقسم كقولك لزيد منطلق ثم حذف المبتدأ ولا يصح أن تكون اللام لام القسم لأمرين
أحدهما أن حقها أن يقرن بها النون المؤكدة والإخلال بها ضعيف قبيح والثاني أن لأفعلن في جواب
القسم للاستقبال وفعل القسم يجب أن يكون للحال (بمواقع النجوم) بمساقطها ومغاربها ولعل لله تعالى
في آخر الليل إذا انحطت النجوم إلى المغرب أفعالا مخصوصة عظيمة أو للملائكة عبادات موصوفة أو لأنه
وقت قيام المتهجدين والمبتهلين إليه من عباده الصالحين ونزول الرحمة والرضوان عليهم فلذلك أقسم
بمواقعها واستعظم ذلك بقوله (وإنه لقسم لو تعلمون عظيم) أو أراد بمواقعها منازلها ومساريها وله تعالى

إنا لمغرمون بل نحن محرومون أفرأيتم الماء الذي تشربون أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون لو نشاء جعلناه أجاجا فلولا تشكرون أفرأيتم النار التي تورون أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين فسبح باسم ربك العظيم فلا أقسم بمواقع النجوم وإنه لقسم لو تعلمون عظيم

* قوله تعالى فلا أقسم بمواقع النجوم (قال فيه لا زائدة مؤكدة مثلها في قوله لئلا يعلم أهل الكتاب قال وقرأ الحسن فلأقسم واللام فيه للابتداء الخ) قلت تخصيص الوجه الثاني أن سياق الآية يرشد إلى أن القسم بمواقع النجوم واقع ويدل عليه القراءة الأخرى على زيادة لا وتقتضي جعلها جوابا للقسم محذوف أن لا يكون القسم بمواقع النجوم واقعا بل مستقبلا فتتنافى القراءتان والله الموفق للصواب

ذلك من الدليل على عظيم القدرة والحكمة ما لا يحيط به الوصف وقوله وإنه لقسم لو تعلمون عظيم اعتراض في اعتراض لأنه اعترض به بين المقسم والمقسم عليه وهو قوله (إنه لقرآن كريم) واعترض بلو تعلمون بين الموصوف وصفته وقيل مواقع النجوم أوقات وقوع نجوم القرآن أي أوقات نزولها كريم حسن مرضي في جنسه من الكتب أو نفاع جم المنافع أو كريم على الله (في كتاب مكنون) مصون من غير المقربين من الملائكة لا يطلع عليه من سواهم وهم المطهرون من جميع الأدناس أدناس الذنوب وما سواها إن جعلت الجملة صفة لكتاب مكنون وهو اللوح وإن جعلتها صفة للقرآن فالمعنى لا ينبغي أن يمسه إلا من هو على الطهارة من الناس يعني مس المكتوب منه ومن الناس من حمله على القراءة أيضا وعن ابن عمر أحب إلي أن لا يقرأ إلا وهو طاهر وعن ابن عباس في رواية أنه كان يبيح القراءة للجنب ونحوه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه أي لا ينبغي له أن يظلمه أو يسلمه وقرئ المتطهرون والمطهرون بالإدغام والمطهرون من أطهره بمعنى طهره والمطهرون بمعنى يطهرون أنفسهم أو غيرهم بالاستغفار لهم والوحي الذي ينزلونه (تنزيل) صفة رابعة للقرآن أي منزل من رب العالمين أو وصف بالمصدر لأنه نزل نجوما من بين سائر كتب الله تعالى فكأنه في نفسه تنزيل ولذلك جرى مجرى بعض أسمائه فقيل جاء في التنزيل كذا ونطق به التنزيل أو هو تنزيل على حذف المبتدا وقرئ تنزيلا على نزل تنزيلا (أفبهذا الحديث) يعني القرآن (أنتم مدهنون) أي متهاونون به كمن يدهن في الأمر أي يلين جانبه ولا يتصلب فيه تهاونا به (وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون) على حذف المضاف يعني وتجعلون شكر رزقكم التكذيب أي وضعتم التكذيب موضع الشكر وقرأ علي رضي الله عنه وتجعلون شكركم أنكم تكذبون وقيل هي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى وتجعلون شكركم لنعمة القرآن أنكم تكذبون به وقيل نزلت في الأنواء ونسبتهم السقيا إليها والرزق المطر يعني وتجعلون شكر ما يرزقكم الله من الغيث أنكم تكذبون بكونه من الله حيث تنسبونه إلى النجوم وقرئ تكذبون وهو قولهم في القرآن شعر وسحر وافتراء وفي المطر هو من الأنواء ولأن كل مكذب بالحق كاذب ❊ ترتيب الآية فلولا ترجعونها إذا بلغت الحلقوم إن كنتم غير مدينين وفلولا الثانية مكررة للتوكيد والضمير في ترجعونها للنفس وهي الروح وفي أقرب إليه للمحتضر (غير مدينين) غير مربوبين من دان السلطان الرعية إذا ساسهم ❊ ونحن أقرب إليه منكم يا أهل الميت بقدرتنا وعلمنا أو بملائكة الموت والمعنى أنكم في جحودكم أفعال الله تعالى وآياته في كل شيء إن أنزل عليكم كتابا معجزا قلتم سحر وافتراء وإن أرسل إليكم رسولا قلتم ساحر كذاب وإن رزقكم مطرا يحييكم به قلتم صدق نوء كذا على مذهب يؤدي إلى الإهمال والتعطيل فما لكم لا ترجعون الروح إلى البدن بعد بلوغه الحلقوم إن لم يكن ثم قابض وكنتم صادقين في تعطيلكم وكفركم بالمحيي المميت المبدئ المعيد (فأما إن كان) المتوفى (من المقربين) من السابقين من الأزواج الثلاثة المذكورة في أول السورة (فروح) فله استراحة وروت عائشة رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فروح بالضم وقرأ به الحسن وقال الروح الرحمة لأنها كالحياة للمرحوم وقيل البقاء أي فهذان له معا وهو الخلود مع الرزق والنعيم ❊ والريحان الرزق (فسلام لك من أصحاب اليمين) أي فسلام لك يا صاحب اليمين من إخوانك أصحاب اليمين أي يسلمون عليك كقوله تعالى إلا قيلا سلاما سلاما (فنزل من حميم) كقوله تعالى هذا نزلهم يوم الدين وقرئ بالتخفيف (وتصلية جحيم) قرئت بالرفع والجر عطفا على نزل وحميم (إن هذا) الذي أنزل في هذه السورة (لهو حق اليقين) أي الحق الثابت من اليقين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الواقعة في كل ليلة لم تصبه فاقة أبدا

❊ سورة الحديد مكية وهي تسع وعشرون آية ❊

❊ بسم الله الرحمن الرحيم ❊

❊ جاء في بعض الفواتح سبح على لفظ الماضي وفي بعضها على لفظ المضارع وكل واحد منهما معناه أن من شأن

إنه لقرآن كريم في كتاب مكنون لا يمسه إلا المطهرون تنزيل من رب العالمين أفبهذا الحديث أنتم مدهنون وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون فلولا إذا بلغت الحلقوم وأنتم حينئذ تنظرون ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون فلولا إن كنتم غير مدينين ترجعونها إن كنتم صادقين فأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم وأما إن كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين وأما إن كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم إن هذا لهو حق اليقين فسبح باسم ربك العظيم

❊ سورة الحديد مكية وهي تسع وعشرون آية ❊

(بسم الله الرحمن الرحيم)

سبح لله

(ثم قال قوله وإنه لقسم لو تعلمون عظيم اعتراض فيه اعتراض فالجملة الكبرى اعتراض بين القسم والجواب الخ) قال أحمد وعلى هذا القسم يكون جواب القسم مناسبا للقسم مثل قوله حم والكتاب المبين إنا جعلناه قرآنا عربيا ومن واديه ❊ وثناياك إنها إغريض ❊ كما تقدم

القول في سورة الحديد (بسم الله الرحمن الرحيم) * قوله تعالى هو الاول والآخر والظاهر والباطن (قال فيه) ان قلت ما معنى الواو وأجاب بأن المتوسطة بين الاول والآخر للجمع بين معنى الاولية والبقاء الخ * قال ومعنى الظاهر أي بالادلة والباطن أي عن الحواس قال وفي هذا دليل الرد على من زعم انه تعالى يرى في الآخرة بالحاسة (قلت) لا دليل فيه على ذلك فان لنا أن نقول ان المراد عدم الادراك بالحاسة في الدنيا لا في الآخرة ونحن نقول به أو في الآخرة والمراد الكفار والجاحدون للرؤية كالقدرية ألا ترى الى قوله كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون فان قيل تقييد وتخصيص على خلاف الظاهر قلنا والمسئلة قطعية فيكفي الاحتمال وأيضا فتسبيحه لا بد فيه من تخصيص فانه تعالى لم يظهر لجميع خلقه على الادلة الموصلة الى معرفته بل أخفاها عن كثير منهم وحرمهم الفوز بالايمان به عز وجل

ما في السموات والارض وهو العزيز الحكيم له ملك السموات والارض يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم هو الذي خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أين ما كنتم والله بما تعملون بصير له ملك السموات والارض والى الله ترجع الامور يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وهو عليم بذات الصدور آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير ومالكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم وقد أخذ ميثاقكم ان كنتم مؤمنين هو الذي ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم من الظلمات الى النور وان الله بكم لرؤف رحيم (وما

من أسند اليه التسبيح أن يسبحه وذلك هجيراه وديدنه وقد عدى هذا الفعل باللام تارة وبنفسه أخرى في قوله تعالى ويسبحوه وأصله التعدي بنفسه لان معنى سبحته بعدته عن السوء منقول من سبح اذا ذهب وبعد فاللام لا تخلو اما أن تكون مثل اللام في نصحته ونصحت له واما أن يراد يسبح لله أحدث التسبيح لاجل الله ولوجهه خالصا (ما في السموات والارض) ما يتأتى منه التسبيح ويصح (فان قلت) ما محل (يحيي) (قلت) يجوز أن لا يكون له محل ويكون جملة برأسها كقوله له ملك السموات وأن يكون مرفوعا على هو يحيي ويميت ومنصوبا حالا من المجرور في له والجار عاملا فيها ومعناه يحيي النطف والبيض والموتى يوم القيامة ويميت الاحياء (هو الاول) هو القديم الذي كان قبل كل شيء (والآخر) الذي يبقى بعد هلاك كل شيء (والظاهر) بالادلة الدالة عليه (والباطن) لكونه غير مدرك بالحواس (فان قلت) فما معنى الواو (قلت) الواو الاولى معناها الدلالة على انه الجامع بين الصفتين الاولية والآخرية والثالثة على أنه الجامع بين الظهور والخفاء وأما الوسطى فعلى أنه الجامع بين مجموع الصفتين الاوليين ومجموع الصفتين الاخريين فهو المستمر الوجود في جميع الاوقات الماضية والآتية وهو في جميعها ظاهر وباطن جامع الظهور بالادلة والخفاء فلا يدرك بالحواس وفي هذا حجة على من جوز ادراكه في الآخرة بالحاسة وقيل الظاهر العالي على كل شيء الغالب له من ظهر عليه اذا علاه وغلبه والباطن الذي بطن كل شيء أي علم باطنه وليس بذاك مع العدول عن الظاهر المفهوم (مستخلفين فيه) يعني أن الاموال التي في أيديكم انما هي أموال الله بخلقه وانشائه لها وانما مولكم اياها وخولكم الاستمتاع بها وجعلكم خلفاء في التصرف فيها فليست هي بأموالكم في الحقيقة وما أنتم فيها الا بمنزلة الوكلاء والنواب * فانفقوا منها في حقوق الله وليهن عليكم الانفاق منها كما يهون على الرجل النفقة من مال غيره اذا أذن له فيه أو جعلكم مستخلفين عمن كان قبلكم فيما في أيديكم بتوريثه اياكم فاعتبروا بحالهم حيث انتقل منهم اليكم وسينتقل منكم الى من بعدكم فلا تبخلوا به وانفعوا بالانفاق منها أنفسكم (لا تؤمنون) حال من معنى الفعل في مالكم كما تقول مالك قائما بمعنى ما تصنع قائما أي ومالكم كافرين بالله * والواو في (والرسول يدعوكم) واو الحال فهما حالان متداخلتان وقرئ ومالكم لا تؤمنون بالله ورسوله والرسول يدعوكم والمعنى وأي عذر لكم في ترك الايمان والرسول يدعوكم اليه وينبهكم عليه ويتلو عليكم الكتاب الناطق بالبراهين والحجج * وقبل ذلك قد أخذ الله ميثاقكم بالايمان حيث ركب فيكم العقول ونصب لكم الادلة ومكنكم من النظر وأزاح عللكم فاذ لم تبق لكم علة بعد أدلة العقول وتنبيه الرسول فما لكم لا تؤمنون (ان كنتم مؤمنين) لموجب ما فان هذا الموجب لا مزيد عليه * وقرئ أخذ ميثاقكم على البناء للفاعل وهو الله عز وجل (ليخرجكم) الله بآياته من ظلمات الكفر الى نور الايمان أو ليخرجكم الرسول بدعوته (لرؤف) وقرئ لرؤف

فالظاهر اذا مخصص في التخصيص كالثاني طبقا بينه وبين الاول * قوله تعالى والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم وقد أخذ ميثاقكم ان كنتم مؤمنين (قال فيه أخذ الميثاق عبارة عن تركيب العقول فيهم الخ) قال أحمد وما عليه أن يحمل أخذ الميثاق على ما بينه الله في آية غير هذه اذ يقول تعالى واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى ولقد يريني منه انكاره الكثير من مثل هذه الظواهر والعدول بها عن حقائقها مع امكانها عقلا ووقوعها بالسمع قطعا الى ما يتوهمه من تمثيل يسميه تخييلا فالقاعدة التي تعتمد عليها كي لا يضرك ما يوحي الشيطان أن كل ما جوزه العقل وورد بوقوعه السمع وجب حمله على ظاهره والله الموفق

(وما لكم ألا تنفقوا) في أن لا تنفقوا (ولله ميراث السموات والارض) يرث كل شيء فيهما لا يبقى منه باق لاحد من مال وغيره يعني وأي غرض لكم في ترك الانفاق في سبيل الله والجهاد مع رسوله والله مهلككم فوارث أموالكم وهو من أبلغ البعث على الانفاق في سبيل الله * ثم بين التفاوت بين المنفقين منهم فقال (لا يستوي منكم من أنفق) قبل فتح مكة قبل عز الاسلام وقوة أهله ودخول الناس في دين الله أفواجا وقلة الحاجة الى القتال والنفقة فيه ومن أنفق من بعد الفتح فحذف لوضوح الدلالة (أولئك) الذين أنفقوا قبل الفتح وهم السابقون الاولون من المهاجرين والانصار الذين قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه (أعظم درجة) * وقرئ قبل الفتح (وكلا) وكل واحد من الفريقين (وعد الله الحسنى) أي المثوبة الحسنى وهي الجنة مع تفاوت الدرجات وقرئ بالرفع على وكل وعده الله وقيل نزلت في أبي بكر رضي الله عنه لانه أول من أسلم وأول من أنفق في سبيل الله * القرض الحسن الانفاق في سبيله شبه ذلك بالقرض على سبيل المجاز لانه اذا أعطى ماله لوجهه فكأنه أقرضه اياه (فيضاعفه له) أي يعطيه أجره على انفاقه مضاعفا (أضعافا) من فضله (وله أجر كريم) يعني وذلك الاجر المضموم اليه الاضعاف كريم في نفسه وقرئ فيضعفه وقرئا منصوبين على جواب الاستفهام والرفع عطف على يقرض أو على فهو يضاعفه (يوم ترى) ظرف لقوله وله أجر كريم أو منصوب باضمار اذكر تعظيما لذلك اليوم * وانما قال (بين أيديهم وبأيمانهم) لان السعداء يؤتون صحائف أعمالهم من هاتين الجهتين كما أن الاشقياء يؤتونها من شمائلهم ومن وراء ظهورهم فجعل النور في الجهتين شعارا لهم وآية لانهم هم الذين بحسناتهم سعدوا وبصحائفهم البيض أفلحوا فاذا ذهب بهم الى الجنة ومروا على الصراط يسعون سعي بسعيهم ذلك النور جنيبا لهم ومتقدما * ويقول لهم الذين يتلقونهم من الملائكة (بشراكم اليوم) * وقرئ ذلك الفوز (يوم يقول) بدل من يوم ترى (انظرونا) انتظرونا لانهم يسرع بهم الى الجنة كالبروق الخاطفة على ركاب ترف بهم وهؤلاء مشاة أو انظروا الينا لانهم اذا نظروا اليهم استقبلوهم بوجوههم والنور بين أيديهم فيستضيئون به وقرئ أنظرونا من النظرة وهي الامهال جعل اتئادهم في المضي الى أن يلحقوا بهم انظارا لهم (نقتبس من نوركم) نصب منه وذلك أن يلحقوا بهم فيستنيروا به (قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا) طرد لهم وتهكم بهم أي ارجعوا الى الموقف الى حيث أعطينا هذا النور فالتمسوه هنالك فمن ثم يقتبس أو ارجعوا الى الدنيا فالتمسوا نورا بتحصيل سببه وهو الايمان أو ارجعوا خائبين وتنحوا عنا فالتمسوا نورا آخر فلا سبيل لكم الى هذا النور وقد علموا أن لا نور وراءهم وانما هو تخييب واقناط لهم (فضرب بينهم بسور) بين المؤمنين والمنافقين بحائط حائل بين شق الجنة وشق النار قيل هو الاعراف * ولذلك السور (باب) لاهل الجنة يدخلون منه (باطنه) باطن السور أو الباب وهو الشق الذي يلي الجنة (وظاهره) ما ظهر لاهل النار (من قبله) من عنده ومن جهته (العذاب) وهو الظلمة والنار وقرأ زيد بن علي رضي الله عنهما فضرب بينهم على البناء للفاعل (ألم نكن معكم) يريدون موافقتهم في الظاهر (فتنتم أنفسكم) محنتموها بالنفاق وأهلكتموها (وتربصتم) بالمؤمنين الدوائر (وغرتكم الاماني) طول الآمال والطمع في امتداد الاعمار (حتى جاء أمر الله) وهو الموت (وغركم بالله الغرور) وغركم الشيطان بأن الله عفو كريم لا يعذبكم وقرئ الغرور بالضم (فدية) ما يفتدى به (هي مولاكم) قيل هي أولى بكم وأنشد قول لبيد

فغدت كلا الفرجين تحسب أنه * مولى المخافة خلفها وأمامها

وحقيقة مولاكم محراكم ومقمنكم أي مكانكم الذي يقال فيه هو أولى بكم كما قيل هو مئنة الكرم أي مكان لقول القائل انه لكريم ويجوز أن يراد هي ناصركم أي لا ناصر لكم غيرها والمراد نفي الناصر على البتات ونحوه قولهم أصيب فلان بكذا فاستنصر الجزع ومنه قوله تعالى يغاثوا بماء كالمهل وقيل تتولاكم كما توليتم في الدنيا أعمال أهل النار (ألم يأن) من أنى الامر يأني اذا جاء اناه أي وقته وقرئ ألم يئن من آن يئين بمعنى أنى يأني والمايأت قيل كانوا مجدبين بمكة فلما هاجروا أصابوا الرزق والنعمة ففتروا عما كانوا عليه فنزلت

وما لكم ألا تنفقوا في سبيل الله ولله ميراث السموات والارض لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له وله أجر كريم يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الاماني حتى جاء أمر الله وغركم بالله الغرور فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا مأواكم النار هي مولاكم وبئس المصير ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق

وعن ابن مسعود ما كان بين إسلامنا وبين أن عوتبنا بهذه الآية إلا أربع سنين وعن ابن عباس رضي الله
عنهما أن الله استبطأ قلوب المؤمنين فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة من نزول القرآن وعن الحسن رضي الله
عنه أما والله لقد استبطأهم وهم يقرؤن من القرآن أقل مما تقرؤن فانظروا في طول ما قرأتم منه وما ظهر
فيكم من الفسق وعن أبي بكر رضي الله عنه أن هذه الآية قرئت بين يديه وعنده قوم من أهل اليمامة فبكوا
بكاء شديدا فنظر إليهم فقال هكذا كنا حتى قست القلوب * وقرئ نزّل ونزل وأنزل (ولا يكونوا) عطف على
تخشع وقرئ بالتاء على الالتفات ويجوز أن يكون نهيا لهم عن مماثلة أهل الكتاب في قسوة القلوب بعد أن
وبخوا وذلك أن بني إسرائيل كان الحق يحول بينهم وبين شهواتهم وإذا سمعوا التوراة والإنجيل خشعوا لله
ورقت قلوبهم فلما طال عليهم الزمان غلبهم الجفاء والقسوة واختلفوا وأحدثوا ما أحدثوا من التحريف وغيره
(فإن قلت) ما معنى لذكر الله وما نزل من الحق (قلت) يجوز أن يراد بالذكر وبما نزل من الحق القرآن لأنه
جامع للأمرين للذكر والموعظة وأنه حق نازل من السماء وأن يراد خشوعها إذا ذكر الله وإذا تلي القرآن
كقوله تعالى إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا * أراد بالأمد الأجل كقوله إذا
انتهى أمده وقرئ الأمدّ أي الوقت الأطول (وكثير منهم فاسقون) خارجون عن دينهم رافضون لما في
الكتابين (اعلموا أن الله يحيي الأرض بعد موتها) قيل هذا تمثيل لأثر الذكر في القلوب وأنه يحييها كما يحيي
الغيث الأرض (المصدّقين) المتصدقين وقرئ على الأصل والمصدقين من صدّق وهم الذين صدّقوا الله
ورسوله يعني المؤمنين (فإن قلت) علام عطف قوله (وأقرضوا) (قلت) على معنى الفعل في المصدقين لأن
اللام بمعنى الذين واسم الفاعل بمعنى اصّدّقوا كأنه قيل إن الذين اصّدّقوا وأقرضوا * والقرض الحسن أن
يتصدق من الطيب عن طيبة النفس وصحة النية على المستحق للصدقة * وقرئ يضعّف ويضاعف بكسر
العين أي يضاعف الله * يريد أن المؤمنين بالله ورسله هم عند الله بمنزلة الصديقين والشهداء وهم الذين سبقوا
إلى التصديق واستشهدوا في سبيل الله (لهم أجرهم ونورهم) أي مثل أجر الصديقين والشهداء ومثل نورهم
(فإن قلت) كيف يسوّى بينهم في الأجر ولا بد من التفاوت (قلت) المعنى أن الله يعطي المؤمنين أجرهم
ويضاعفه لهم بفضله حتى يساوي أجرهم مع أضعافه أجر أولئك ويجوز أن يكون والشهداء مبتدأ ولهم
أجرهم خبره * أراد أن الدنيا ليست إلا محقرات من الأمور وهي اللعب واللهو والزينة والتفاخر والتكاثر
وأما الآخرة فما هي إلا أمور عظام وهي العذاب الشديد والمغفرة ورضوان الله وشبه حال الدنيا وسرعة
تقضيها مع قلة جدواها بنبات أنبته الغيث فاستوى واكتهل وأعجب به الكفار الجاحدون لنعمة الله فيما
رزقهم من الغيث والنبات فبعث عليه العاهة فهاج واصفر وصار حطاما عقوبة لهم على جحودهم كما فعل
بأصحاب الجنة وصاحب الجنتين وقيل الكفار الزراع * وقرئ مصفارا (سابقوا) سارعوا مسارعة المسابقين
لأقرانهم في المضمار إلى جنة (عرضها كعرض السماء والأرض) قال السدي كعرض سبع السموات وسبع
الأرضين وذكر العرض دون الطول لأن كل ما له عرض وطول فإن عرضه أقل من طوله فإذا وصف عرضه
بالبسطة عرف أن طوله أبسط وأمد ويجوز أن يراد بالعرض البسطة كقوله تعالى فذو دعاء عريض لما
حقر الدنيا وصغر أمرها وعظم أمر الآخرة بعث عباده على المسارعة إلى نيل ما وعد من ذلك وهي المغفرة
المنجية من العذاب الشديد والفوز بدخول الجنة (ذلك) الموعود من المغفرة والجنة (فضل الله) عطاؤه
(يؤتيه من يشاء) وهم المؤمنون * المصيبة في الأرض نحو الجدب وآفات الزروع والثمار وفي الأنفس نحو
الأدواء والموت (في كتاب) في اللوح (من قبل أن نبرأها) يعني الأنفس أو المصائب (إن ذلك) إن تقدير ذلك
وإثباته في كتاب (على الله يسير) وإن كان عسيرا على العباد * ثم علل ذلك وبين الحكمة فيه فقال (لكيلا
تأسوا ولا تفرحوا) يعني أنكم إذا علمتم أن كل شيء مقدر مكتوب عند الله قل أساكم على الفائت وفرحكم
على الآتي لأن من علم أن ما عنده مفقود لا محالة لم يتفاقم جزعه عند فقده لأنه وطن نفسه على ذلك وكذلك
من علم أن بعض الخير واصل إليه وأن وصوله لا يفوته بحال لم يعظم فرحه عند نيله (والله لا يحب كل

مختال

ولا يكونوا كالذين أوتوا
الكتاب من قبل فطال
عليهم الأمد فقست
قلوبهم وكثير منهم
فاسقون اعلموا أن الله
يحيي الأرض بعد موتها
قد بينا لكم الآيات
لعلكم تعقلون إن
المصدقين والمصدقات
وأقرضوا الله قرضا حسنا
يضاعف لهم ولهم أجر كريم
والذين آمنوا بالله ورسله
أولئك هم الصديقون
والشهداء عند ربهم لهم
أجرهم ونورهم والذين
كفروا وكذبوا بآياتنا
أولئك أصحاب الجحيم اعلموا
أنما الحياة الدنيا لعب ولهو
وزينة وتفاخر بينكم
وتكاثر في الأموال
والأولاد كمثل غيث
أعجب الكفار نباته ثم يهيج
فتراه مصفرا ثم يكون
حطاما وفي الآخرة
عذاب شديد ومغفرة من
الله ورضوان وما الحياة
الدنيا إلا متاع الغرور
سابقوا إلى مغفرة من
ربكم وجنة عرضها
كعرض السماء والأرض
أعدت للذين آمنوا بالله
ورسله ذلك فضل الله
يؤتيه من يشاء والله
ذو الفضل العظيم
ما أصاب من مصيبة في
الأرض ولا في أنفسكم
إلا في كتاب من قبل
أن نبرأها إن ذلك على الله
يسير لكيلا تأسوا على
ما فاتكم ولا تفرحوا بما
آتاكم والله لا يحب كل

* قوله تعالى وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم الآية (قال فيه الرهبانية الفعلة المنسوبة للرهبان الخ) قال أحمد وفيه اشكال فان النسب الى الجمع على صيغته غير مقبول عندهم حتى يرد الى مفرده الا أن يقال انه لما صار الرهبان طائفة مخصوصة صار هذا الاسم وان كان جمعا كالعلم لهم فلحق بانصاري ومدائني واعرابي * عاد كلامه (قال وهو منصوب بفعل مضمر الخ) قال أحمد في اعراب هذه الآية تورط أبو علي الفارسي وتحيز الى فئة الفتنة وطائفة البدعة فاعرب ورهبانية على انها منصوبة بفعل مضمر يفسره الظاهر وعلل امتناع العطف فقال ألا ترى ان الرهبانية لا يستقيم جعلها على جعلنا مع وصفها بقوله ابتدعوها لان ما يجعله هو تعالى لا يبتدعونه هم والزمخشري ورد أيضا مورده الذميم وأسلمه شيطانه الرجيم فلما أجاز ما منعه أبو علي من جعلها معطوفة اعتذر لذلك بتحريف الجعل الى التوفيق فرارا مما فر منه أبو علي من اعتقاد ان ذلك مخلوق لله تعالى وجنوحا الى الاشراك واعتقاد أن ما يفعلونه هم لا يفعله الله تعالى ولا يخلقه وكفى بما في هذه الآية دليلا بعد الادلة القطعية والبراهين العقلية على بطلان ما اعتقداه فانه ذكر محل الرحمة والرأفة مع العلم بان محلها القلب فجعل قوله في قلوب الذين اتبعوه تأكيدا لخلقه هذه المعاني وتصويرا لمعنى الخلق بذكر محله ولو كان المراد أمرا غير مخلوق في قلوبهم لله تعالى كما زعما لم يبق لقوله في قلوب الذين اتبعوه موقع ويأبى الله أن يشتمل كتابه الكريم على ما لا موقع له ألهمنا الله الحجة ونهج بنا واضح

مختال فخور الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ومن يتول فان الله هو الغني الحميد لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوي عزيز ولقد أرسلنا نوحا وابراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الانجيل وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها

مختال فخور) لان من فرح بحظ من الدنيا وعظم في نفسه اختال وافتخر به وتكبر على الناس * قرئ بما آتاكم وأتاكم من الايتاء والاتيان وفي قراءة ابن مسعود بما أوتيتم (فان قلت) فلا أحد يملك نفسه عند مضرة تنزل به ولا عند منفعة ينالها أن لا يحزن ولا يفرح (قلت) المراد الحزن المخرج الى ما يذهل صاحبه عن الصبر والتسليم لامر الله ورجاء ثواب الصابرين والفرح المطغي الملهي عن الشكر فأما الحزن الذي لا يكاد الانسان يخلو منه مع الاستسلام والسرور بنعمة الله والاعتداد بها مع الشكر فلا بأس بهما (الذين يبخلون) بدل من قوله كل مختال فخور كأنه قال لا يحب الذين يبخلون يريد الذين يفرحون الفرح المطغي اذا رزقوا مالا وحظا من الدنيا فلحبهم له وعزته عندهم وعظمه في عيونهم يزوونه عن حقوق الله ويبخلون به ولا يكفيهم أنهم بخلوا حتى يحملوا الناس على البخل ويرغبوهم في الامساك ويزينوه لهم وذلك كله نتيجة فرحهم به وبطرهم عند اصابته (ومن يتول) عن أوامر الله ونواهيه ولم ينته عما نهى عنه من الاسى على الفائت والفرح بالآتي فان الله غني عنه * وقرئ بالبخل * وقرأ نافع فان الله الغني وهو في مصاحف أهل المدينة والشام كذلك (لقد أرسلنا رسلنا) يعني الملائكة الى الانبياء (بالبينات) بالحجج والمعجزات (وأنزلنا معهم الكتاب) أي الوحي (والميزان) روي أن جبريل عليه السلام نزل بالميزان فدفعه الى نوح وقال مر قومك يزنوا به (وأنزلنا الحديد) قيل نزل آدم من الجنة ومعه خمسة أشياء من حديد السندان والكلبتان والميقعة والمطرقة والابرة وروي ومعه المر والمسحاة وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى أنزل أربع بركات من السماء الى الارض أنزل الحديد والنار والماء والملح وعن الحسن وأنزلنا الحديد خلقناه كقوله تعالى وأنزل لكم من الانعام وذلك أن أوامره تنزل من السماء وقضاياه وأحكامه (فيه بأس شديد) وهو القتال به (ومنافع للناس) في مصالحهم ومعايشهم وصنائعهم فما من صناعة الا والحديد آلة فيها أو ما يعمل بالحديد (وليعلم الله من ينصره ورسله) باستعمال السيوف والرماح وسائر السلاح في مجاهدة أعداء الدين (بالغيب) غائبا عنهم قال ابن عباس رضي الله عنهما ينصرونه ولا يبصرونه (ان الله قوي عزيز) غني بقدرته وعزته في اهلاك من يريد هلاكه عنهم وانما كلفهم الجهاد لينتفعوا به ويصلوا بامتثال الامر فيه الى الثواب (والكتاب) والوحي وعن ابن عباس الخط بالقلم يقال كتب كتابا وكتابة (فمنهم) فمن الذرية أو من المرسل اليهم وقد دل عليهم ذكر الارسال والمرسلين وهذا تفصيل لحالهم أي فمنهم مهتد ومنهم فاسق والغلبة للفساق * وقرأ الحسن الانجيل بفتح الهمزة وأمره أهون من أمر البرطيل والسكينة فيمن رواهما بفتح الفاء لان الكلمة أعجمية لا يلزم فيها حفظ أبنية العرب * وقرئ رآفة على فعالة أي وفقناهم للتراحم والتعاطف بينهم ونحوه في صفة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رحماء بينهم * والرهبانية ترهبهم في الجبال فارين من الفتنة في الدين مخلصين أنفسهم للعبادة وذلك أن الجبابرة ظهروا على المؤمنين بعد موت عيسى فقاتلوهم ثلاث مرات فقتلوا حتى لم يبق منهم الا القليل فخافوا أن يفتتنوا في دينهم فاختاروا الرهبانية ومعناها الفعلة المنسوبة الى الرهبان وهو الخائف فعلان من رهب كخشيان من خشي * وقرئ ورهبانية بالضم كأنها نسبة الى الرهبان وهو جمع راهب كراكب وركبان وانتصابها بفعل مضمر يفسره الظاهر تقديره وابتدعوا رهبانية ابتدعوها يعني وأحدثوها من عند أنفسهم

ونذروها (ما كتبناها عليهم) لم نفرضها نحن عليهم (الا ابتغاء رضوان الله) استثناء منقطع أي ولكنهم
ابتدعوها ابتغاء رضوان الله (فما رعوها حق رعايتها) كما يجب على الناذر رعاية نذره لانه عهد مع الله لا يحل
نكثه (فآتينا الذين آمنوا) يريد أهل الرحمة والرأفة الذين اتبعوا عيسى (وكثير منهم فاسقون) الذين لم
يحافظوا على نذرهم ويجوز أن تكون الرهبانية معطوفة على ما قبلها وابتدعوها صفة لها في محل النصب
أي وجعلنا في قلوبهم رأفة ورحمة ورهبانية مبتدعة من عندهم بمعنى وفقناهم للتراحم بينهم ولابتداع
الرهبانية واستحداثها ما كتبناها عليهم الا ليبتغوا بها رضوان الله ويستحقوا بها الثواب على أنه كتبها عليهم
وألزمها اياهم ليتخلصوا من الفتن ويبتغوا بذلك رضا الله وثوابه فما رعوها جميعا حق رعايتها ولكن بعضهم
فآتينا المؤمنين المراعين منهم للرهبانية أجرهم وكثير منهم فاسقون وهم الذين لم يرعوها (يا أيها الذين آمنوا)
يجوز أن يكون خطابا للذين آمنوا من أهل الكتاب والذين آمنوا من غيرهم فان كان خطابا لمؤمني أهل
الكتاب فالمعنى يا أيها الذين آمنوا بموسى وعيسى آمنوا بمحمد (يؤتكم) الله (كفلين) أي نصيبين (من رحمته)
لايمانكم بمحمد وايمانكم بمن قبله (ويجعل لكم) يوم القيامة (نورا تمشون به) وهو النور المذكور في قوله يسعى
نورهم (ويغفر لكم) ما أسلفتم من الكفر والمعاصي (لئلا يعلم) ليعلم (أهل الكتاب) الذين لم يسلموا ولا مزيدة
(ألا يقدرون) أن مخففة من الثقيلة أصله أنه لا يقدرون يعني أن الشأن لا يقدرون (على شيء من فضل الله)
أي لا ينالون شيئا مما ذكر من فضل الله من الكفلين والنور والمغفرة لانهم لم يؤمنوا برسول الله فلم ينفعهم
ايمانهم بمن قبله ولم يكسبهم فضلا قط وان كان خطابا لغيرهم فالمعنى اتقوا الله واثبتوا على ايمانكم برسول الله
يؤتكم ما وعد من آمن من أهل الكتاب من الكفلين في قوله أولئك يؤتون أجرهم مرتين ولا ينقصكم من
مثل أجرهم لانكم مثلهم في الايمان لا تفرقون بين أحد من رسله روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعث جعفرا رضي الله عنه في سبعين راكبا الى النجاشي يدعوه فقدم جعفر عليه فدعاه فاستجاب له فقال ناس
ممن آمن من أهل مملكته وهم أربعون رجلا ائذن لنا في الوفادة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأذن لهم
فقدموا مع جعفر وقد تهيأ لوقعة أحد فلما رأوا ما بالمسلمين من خصاصة استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فرجعوا وقدموا بأموال لهم فآسوا بها المسلمين فأنزل الله الذين آتيناهم الكتاب الى قوله ومما رزقناهم
ينفقون فلما سمع من لم يؤمن من أهل الكتاب قوله يؤتون أجرهم مرتين فخروا على المسلمين وقالوا أما من
آمن بكتابكم وكتابنا فله أجره مرتين وأما من لم يؤمن بكتابكم فله أجر كأجركم فما فضلكم علينا فنزلت وروي أن
مؤمني أهل الكتاب افتخروا على غيرهم من المؤمنين بأنهم يؤتون أجرهم مرتين وادعوا الفضل عليهم
فنزلت * وقرئ لكي يعلم ولكيلا يعلم وليعلم ولان يعلم بادغام النون في الياء ولين يعلم بقلب الهمزة ياء وادغام
النون في الياء وعن الحسن ليلا يعلم بفتح اللام وسكون الياء ورواه قطرب بكسر اللام وقيل في وجهها
حذفت همزة أن وأدغمت نونها في لام لا فصار للا ثم أبدلت من اللام المدغمة ياء كقولهم ديوان وقيراط ومن
فتح اللام فعلى أن أصل لام الجر الفتح كما أنشد أريد لانسى ذكرها وقرئ أن لا يقدروا (وأن الفضل بيد الله) في ملكه
وتصرفه واليد مثل (يؤتيه من يشاء) ولا يشاء الا ايتاءه من يستحقه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة الحديد كتب من الذين آمنوا بالله ورسله

﴿سورة المجادلة مدنية وهي ثنتان وعشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(قد سمع الله) قالت عائشة رضي الله عنها الحمد لله الذي وسع سمعه الاصوات لقد كلمت المجادلة رسول الله صلى
الله عليه وسلم في جانب البيت وأنا عنده لا أسمع وقد سمع لها وعن عمر أنه كان اذا دخلت عليه أكرمها وقال قد سمع الله لها
قد سمع لها وقرئ تحاورك أي تراجعك الكلام وتحاولك أي تسائلك وهي خولة بنت ثعلبة امرأة أوس
ابن الصامت أخي عبادة رآها وهي تصلي وكانت حسنة الجسم فلما سلمت راودها فأبت فغضب وكان به خفة
ولمم فظاهر منها فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان أوسا تزوجني وأنا شابة مرغوب في فلما خلا سني

عطاؤه

الا كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم وكثير منهم فاسقون يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم لئلا يعلم أهل الكتاب الا يقدرون على شيء من فضل الله وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم

﴿سورة المجادلة مدنية وهي ثنتان وعشرون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قد سمع الله قول التي تجادلك

(الحمد لله ولي التوفيق وواهب التحقيق)

(اعراب سورة المجادلة)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها (قال فيه قالت عائشة رضي الله عنها الحمد لله الذي وسع سمعه الاصوات الخ) قال أحمد ولقد استدل به بعضهم على عدم لزوم ظهار الذمي وليس بقوي لانه غير المقصود

* عاد كلامه قوله تعالى ثم يعودون لما قالوا (قال فيه يعني والذين كانت عادتهم أن يقولوا هذا القول الخ) قال أحمد وهذا الوجه يلزم الكفارة بمجرد قول الظهار في الاسلام لا غير والقول بوجوبها بمجرد الظهار قول مجاهد من التابعين وسفيان من الفقهاء * عاد كلامه (قال ووجه ثان ثم يعودون لما قالوا ثم يتداركون ما قالوا الخ) قال أحمد وهذا التفسير منزل على أن وجوب الكفارة مشروط بالعود بعد الظهار وهو القول المشهور لفقهاء الامصار ولا يخص هذا التفسير وجها من وجوه العود التي ذكرها العلماء * عاد كلامه (قال ووجه ثالث وهو أن يكون المراد بما قالوا ما الخ) قال أحمد وهذا التفسير يقوي القول بأن العود الوطء نفسه لان حاصله ثم يعودون للوطء وظاهر قول مالك عاد للوطء فعله وحمل العود على الوطء من جملة أقوال مالك رحمه الله فقد تلخص ان كلام المختلفين في العود لعلها آخذ من هذه الآية فاما من لم يقف وجوب الكفارة عنده الا على مجرد الظهار فحمل العود على الظهار وتسميته عودا والحالة هذه باعتبار انه كان في الجاهلية وانقطع في الاسلام فايقاعه بعد الاسلام عود اليه وأما من أوقعها على العود وجعل العود ان يعيد ٤٢٩ لفظ الظهار وهو قول داود فاعتبر ظاهر اللفظ وأما من حمل العود على العزم على الوطء فرأى أن العود الى القول الاول عود بالتدارك لا بالتكرار وتدارك بعضه ببعضه

ونثرت بطني أي كثر ولدي جعلني عليه كأمه وروي أنها قالت له ان لي صبية صغارا ان ضممتهم اليه ضاعوا وان ضممتهم الي جاعوا فقال ما عندي في أمرك شيء وروي انه قال لها حرمت عليه فقالت يا رسول الله ما ذكر طلاقا وانما هو أبو ولدي وأحب الناس الي فقال حرمت عليه فقالت أشكو الى الله فاقتي ووجدي كلما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت عليه هتفت وشكت الى الله فنزلت (في زوجها) في شأنه ومعناه (ان الله سميع بصير) يصح أن يسمع كل مسموع ويبصر كل مبصر (فان قلت) ما معنى قد في قوله قد سمع (قلت) معناه التوقع لان رسول الله صلى الله عليه وسلم والمجادلة كانا يتوقعان أن يسمع الله مجادلتها وشكواها وينزل في ذلك ما يفرج عنها (الذين يظاهرون منكم) في منكم توبيخ للعرب وتهجين لعادتهم في الظهار لانه كان من أيمان أهل جاهليتهم خاصة دون سائر الامم (ما هن أمهاتهم) وقرئ بالرفع على اللغتين الحجازية والتميمية وفي قراءة ابن مسعود بأمهاتهم وزيادة الباء في لغة من ينصب والمعنى أن من يقول لامرأته أنت علي كظهر أمي ملحق في كلامه هذا للزوج بالام وجاعلها مثلها وهذا تشبيه باطل لتباين الحالين (ان أمهاتهم الا اللائي ولدنهم) يريد أن الامهات على الحقيقة انما هن الوالدات وغيرهن ملحقات بهن لدخولهن في حكمهن فالمرضعات أمهات لانهن لما أرضعن دخلن بالرضاع في حكم الامهات وكذلك أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم أمهات المؤمنين لان الله حرم نكاحهن على الامة فدخلن بذلك في حكم الامهات وأما الزوجات فأبعد شيء من الامومة لانهن لسن بأمهات على الحقيقة ولا بداخلات في حكم الامهات فكان قول المظاهر منكرا من القول تنكره الحقيقة وتنكره الاحكام الشرعية وزورا وكذبا باطلا منحرفا عن الحق (وان الله لعفو غفور) لما سلف منه اذا تيب عنه ولم يعد اليه ثم قال (والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا) يعني والذين كانت عادتهم أن يقولوا هذا القول المنكر فقطعوه بالاسلام ثم يعودون لمثله فكفارة من عاد أن يحرر رقبة ثم يماس المظاهر منها لا تحل له مماستها الا بعد تقديم الكفارة ووجه آخر ثم يعودون لما قالوا ثم يتداركون ما قالوا لان المتدارك للامر عائد اليه ومنه المثل عاد غيث على ما أفسد أي تداركه بالاصلاح والمعنى أن تدارك هذا القول وتلافيه بأن يكفر حتى ترجع حالهما كما كانت قبل الظهار ووجه ثالث وهو

في زوجها وتشتكي الى الله والله يسمع تحاوركما ان الله سميع بصير الذين يظاهرون منكم من نسائهم ما هن أمهاتهم ان أمهاتهم الا اللائي ولدنهم وانهم ليقولون منكرا من القول وزورا وان الله لعفو غفور والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا

وهل تقتضيه العزم على الوطء لان الاول امتناع منه أو العزم على الامساك لان العصمة تقتضي الحل وعدم الامتناع ففيه محل خلاف وأما من حمله على الوطء نفسه فرأى أن المراد بالقول المقول فيه وحمل قوله من قبل أن يتماسا أي مرة ثانية وقد اختلف العلماء أيضا فيما اذا قدم الوطء على الكفارة فالمذهب المشهور للعلماء أن ذلك لا يسقط الكفارة ولا يوجب أخرى وذهب مجاهد الى ايجاب أخرى به وذهبت طائفة الى اسقاط الكفارة به أصلا ورأسا وكأن منشأ خلافهم النظر الى قوله من قبل أن يتماسا فرآه أكثر العلماء منعا من الوطء قبل التكفير حتى كأنه قال لا تماس حتى تكفر ورأته الطائفة المسقطة للكفارة بالوطء شرطا في الوجوب فلا جرم اذا عدم انتفى الشرط الذي هو عدم التماس فسقط الوجوب ورآه مجاهد في ايجاب الكفارة فاذا تماسا قبل الكفارة تعددت ثم فيه نظر آخر وهو انه ذكر عدم التماس في كفارتي العتق والصوم وأسقطه في كفارة الاطعام فتلقى أبو حنيفة بذلك الفرق بين الاطعام وبين الآخرين حتى انه لو وطئ في حال الاطعام لم يجب عليه استئناف كفارة بخلاف الآخرين فان الوطء في خلال كل واحدة منهما يوجب ابطالها واستئناف أخرى على أن أبا حنيفة سوى بين الثلاث في تحريم المساس قبل حصولها كاملة كذا نقل الزمخشري عنه ولقائل أن يقول على أبي حنيفة اذا جعلت الفائدة في ذكر عدم التماس في بعضها واسقاطه من بعضها الفرق بين أنواعها فلم صرفت الفرق الى أحد الحكمين وهو ايجاب الاستئناف بالوطء في خلال الكفارة في بعضها دون البعض

دون الحكم الآخر وهو تحريم التماس قبل الشروع في الكفارة فما تخصيص أحد الحكمين دون الآخر الا نوع من التحكم وله أن يقول اتفقنا على التسوية فيه فتعين صرفه الى الآخر هذا منتهى النظر مع أبي حنيفة ورأى القائلون بان الطعام يبطل بتخلل الوطء في أثنائه كالصيام ان فائدة ذكره عدم المماسة ثم اسقاطه التنبيه على التسوية بين التكفير قبل وبعد وتقريره ان ذكره مع الاثنين لا ذكره مع الثالث واطلاق الثالث كاطلاق الاثنين فكأنه قال في الجميع من قبل أن يتماسا ومن بعد وانطوى ايراد الآية على هذا الوجه على ابطال قول من قال ان الامر يختلف بين ما قبل التماس وما بعده فيجب قبل ويسقط بعد وعلى قول من قال يجب قبل كفارة وبعد كفارتان وههنا نظر آخر في أنه لم ذكر عدم التماس مع نوعين منها وقد كان ذكره مع واحد منها مفيدا لهذه الفائدة على التقرير المذكور والجواب عنه ان ذكره مع العتق مقتصر على افادة تحريم الوطء قبل العتق ولا يتصور في العتق الوطء في اثنائه اذ لا

أن يراد بما قالوا ما حرموه على أنفسهم بلفظ الظهار تنزيلا للقول منزلة المقول فيه نحو ما ذكرنا في قوله تعالى ونرثه ما يقول ويكون المعنى ثم يريدون العود للتماس والمماسة الاستمتاع بها من جماع أو لمس بشهوة أو نظر الى فرجها بشهوة (ذلكم) الحكم (توعظون به) لان الحكم بالكفارة دليل على ارتكاب الجناية فيجب أن تتعظوا بهذا الحكم حتى لا تعودوا الى الظهار وتخافوا عقاب الله عليه (فان قلت) هل يصح الظهار بغير هذا اللفظ (قلت) نعم اذا وضع مكان أنت عضوا منها يعبر به عن الجملة كالرأس والوجه والرقبة والفرج أو مكان الظهر عضوا آخر يحرم النظر اليه من الام كالبطن والفخذ أو مكان الام ذات رحم محرم منه من نسب أو رضاع أو صهر أو جماع نحو أن يقول أنت علي كظهر أختي من الرضاع أو عمتي من النسب أو امرأة ابني أو أبي أو أم امرأتي أو بنتها فهو مظاهر وهو مذهب أبي حنيفة وأصحابه وعن الحسن والنخعي والزهري والاوزاعي والثوري وغيرهم نحوه وقال الشافعي لا يكون الظهار الا بالام وحدها وهو قول قتادة والشعبي وعن الشعبي لم ينس الله أن يذكر البنات والاخوات والعمات والخالات اذ أخبر أن الظهار انما يكون بالامهات الوالدات دون المرضعات وعن بعضهم لا بد من ذكر الظهر حتى يكون ظهارا (فان قلت) فاذا امتنع المظاهر من الكفارة هل للمرأة أن ترافعه (قلت) لها ذلك وعلى القاضي أن يجبره على أن يكفر وأن يحبسه ولا شيء من الكفارات يجبر عليه ويحبس الا كفارة الظهار وحدها لانه يضر بها في ترك التكفير والامتناع من الاستمتاع فيلزم ايفاء حقها (فان قلت) فان مس قبل أن يكفر (قلت) عليه أن يستغفر ولا يعود حتى يكفر لما روي أن سلمة بن صخر البياضي قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهرت من امرأتي ثم أبصرت خلخالها في ليلة قمراء فواقعتها فقال عليه الصلاة والسلام استغفر ربك ولا تعد حتى تكفر (فان قلت) أي رقبة تجزئ في كفارة الظهار (قلت) المسلمة والكافرة جميعا لاطلاقها في الآية مطلقة وعند الشافعي لا تجزئ الا المؤمنة لقوله تعالى في كفارة القتل فتحرير رقبة مؤمنة ولا تجزئ أم الولد والمدبر والمكاتب الذي أدى شيئا فان لم يؤد شيئا جاز وعند الشافعي لا يجوز (فان قلت) فان أعتق بعض الرقبة أو صام بعض الصيام ثم مس (قلت) عليه أن يستأنف نهارا مس أو ليلا ناسيا أو عامدا عند أبي حنيفة وعند أبي يوسف ومحمد عتق بعض الرقبة عتق كلها فيجزيه وان كان المس يفسد الصوم استقبل والا بنى (فان قلت) كم يعطي المسكين في الاطعام (قلت) نصف صاع من بر أو صاعا من غيره عند أبي حنيفة وعند الشافعي مدا من طعام بلده الذي يقتات فيه (فان قلت) ما بال التماس لم يذكر عند الكفارة بالاطعام كما ذكر عند الكفارتين (قلت) اختلف في ذلك فعند أبي حنيفة أنه لا فرق بين الكفارات الثلاث في وجوب تقديمها على المساس وانما ترك ذكره عند الاطعام دلالة على أنه اذا وجد في خلال الاطعام لم يستأنف كما يستأنف الصوم اذا وقع في خلاله وعند غيره لم يذكر للدلالة على أن التكفير قبله وبعده سواء (فان قلت)

يتبعض ولا يتفرق فاحتيج الى ذكره مع الصيام الواقع على التوالي ليفيد تحريم الوطء قبل الشروع فيه وبعد الشروع الى التمام اذ لو لم يذكره هنا لتوهم ان الوطء انما

ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل ان يتماسا فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكينا

يحرم قبل الشروع خاصة لا بعد الاتمام في الحالة التي دل عليها التقييد في العتق فلما ذكره مع الصيام الواقع متواليا استغنى عن ذكره مع الطعام لانه مثله في التعدد والتوالي وامكان الوطء في خلاله وهذا التقرير ينزل على ان العتق لا يتجزأ ولا يتبعض وهذا هو المرضي وقد نقل العيني عن ابن القاسم ان من أعتق شقصا من عبد يملك جميعه ثم أعتق بقيته عن الظهار أن ذلك يجزيه وهو خلاف أصله في المدونة وعابه عليه أصبغ وسحنون وابنه (تنبيه) ان قال قائل ارتفاع التحريم بالكفارة لا يخلو اما أن يكون مشروطا فيلزم ان لا يرتفع التحريم بالكفارة التي تقدم على الشروع فيها مساس وان لم يكن مشروطا لزم ارتفاع التحريم بالكفارة التي تخللها المساس وكلاهما غير مقول به عندكم * فالجواب ان المساس مناف لصحة الكفارة واعتبارها في رفع التحريم فان وقع قبل الشروع في الكفارة تعذر الحكم ببطلان الكفارة لان المحل لم يوجد وتعذر ذلك لا يبطل الحكم لكونه منافيا أما ان وقع في أثنائها فالمحل المحكوم فيه بعدم الصحة قائم فوجب اعمال المنافي وهذا كالحدث مناف لصحة الصلاة فان وقع في أثنائها أثر في ابطالها والله تعالى الموفق للصواب

الضمير

الضمير في أن يتماسا الى م يرجع (قلت) الى ما دل عليه الكلام من المظاهر والمظاهر منها (ذلك) البيان والتعليم
للاحكام والتنبيه عليها لتصدقوا (بالله ورسوله) في العمل بشرائعه التي شرعها من الظهار وغيره ورفض
ما كنتم عليه في جاهليتكم (وتلك حدود الله) التي لا يجوز تعديها (وللكافرين) الذين لا يتبعونها ولا يعملون
عليها (عذاب أليم * يحادون) يعادون ويشاقون (كبتوا) أخزوا وأهلكوا (كما كبت) من قبلهم من أعداء
الرسل قيل أريد كبتهم يوم الخندق (وقد أنزلنا آيات بينات) تدل على صدق الرسول وصحة ما جاء به (وللكافرين)
بهذه الآيات (عذاب مهين) يذهب بعزهم وكبرهم (يوم يبعثهم) منصوب بلهم أو بمهين أو باضمار اذكر
تعظيما لليوم (جميعا) كلهم لا يترك منهم أحد غير مبعوث أو مجتمعين في حال واحدة كما تقول حي جميع (فينبئهم
بما عملوا) تخجيلا لهم وتوبيخا وتشهيرا بحالهم يتمنون عنده المسارعة بهم الى النار لما يلحقهم من الخزي على
رؤس الأشهاد (أحصاه الله) أحاط به عددا لم يفته منه شيء (ونسوه) لانهم تهاونوا به حين ارتكبوه لم يبالوا به
لضراوتهم بالمعاصي وانما تحفظ معظمات الامور (ما يكون) من كان التامة وقرئ بالياء والتاء والياء على
أن النجوى تأنيثها غير حقيقي ومن فاصلة أو على أن المعنى ما يكون شيء من النجوى * والنجوى التناجي فلا
تخلو اما أن تكون مضافة الى ثلاثة أي من نجوى ثلاثة نفر أو موصوفة بها أي من أهل نجوى ثلاثة فحذف
الاهل أو جعلوا نجوى في أنفسهم مبالغة كقوله تعالى خلصوا نجيا وقرأ ابن أبي عبلة ثلاثة وخمسة بالنصب
على الحال باضمار يتناجون لان نجوى يدل عليه أو على تأويل نجوى بمتناجين ونصبها من المستكن فيه (فان
قلت) ما الداعي الى تخصيص الثلاثة والخمسة (قلت) فيه وجهان أحدهما أن قوما من المنافقين تحلقوا
للتناجي مغايظة للمؤمنين على هذين العددين ثلاثة وخمسة فقيل ما يتناجى منهم ثلاثة ولا خمسة كما ترونهم
يتناجون كذلك (ولا أدنى من) عدديهم (ولا أكثر الا) والله معهم يسمع ما يقولون فقد روي عن ابن عباس
رضي الله عنه أنها نزلت في ربيعة وحبيب ابني عمرو وصفوان بن أمية كانوا يوما يتحدثون فقال أحدهم
أترى أن الله يعلم ما نقول فقال الآخر يعلم بعضا ولا يعلم بعضا وقال الثالث ان كان يعلم بعضا فهو يعلم كله وصدق
لان من علم بعض الاشياء بغير سبب فقد علمها كلها لان كونه عالما بغير سبب ثابت له مع كل معلوم والثاني أنه
قصد أن يذكر ما جرت عليه العادة من أعداد أهل النجوى والمتخالين للشورى والمندوبون لذلك ليسوا بكل
أحد وانما هم طائفة مجتباة من أولي النهى والاحلام ورهط من أهل الرأي والتجارب وأول عددهم الاثنان
فصاعدا الى خمسة الى ستة الى ما اقتضته الحال وحكم الاستصواب ألا ترى الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه
كيف ترك الامر شورى بين ستة ولم يجاوز بها الى سابع فذكر عز وعلا الثلاثة والخمسة وقال ولا أدنى من ذلك
فدل على الاثنين والاربعة وقال ولا أكثر فدل على ما يلي هذا العدد ويقاربه وفي مصحف عبد الله الا الله رابعهم
ولا أربعة الا الله خامسهم ولا خمسة الا الله سادسهم ولا أقل من ذلك ولا أكثر الا الله معهم اذا انتجوا وقرئ
ولا أدنى من ذلك ولا أكثر بالنصب على أن لا لنفي الجنس ويجوز أن يكون ولا أكثر بالرفع معطوفا على محل
لا مع أدنى كقولك لا حول ولا قوة الا بالله بفتح الحول ورفع القوة ويجوز أن يكونا مرفوعين على الابتداء
كقولك لا حول ولا قوة الا بالله وان يكون ارتفاعهما عطفا على محل من نجوى كأنه قيل ما يكون أدنى ولا أكثر
الا هو معهم ويجوز أن يكونا مجرورين عطفا على نجوى كأنه قيل ما يكون من أدنى ولا أكثر الا هو معهم
وقرئ ولا أكبر بالباء ومعنى كونه معهم أنه يعلم ما يتناجون به ولا يخفى عليه ما هم فيه فكأنه مشاهدهم
ومحاضرهم وقد تعالى عن المكان والمشاهدة * وقرئ ثم ينبئهم على التخفيف * كانت اليهود والمنافقون
يتناجون فيما بينهم ويتغامزون بأعينهم اذا رأوا المؤمنين يريدون أن يغيظوهم فنهاهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم فعادوا لمثل فعلهم وكان تناجيهم بما هو اثم وعدوان للمؤمنين وتواص بمعصية الرسول ومخالفته
* وقرئ ينتجون بالاثم والعدوان بكسر العين ومعصيات الرسول (حيوك بما لم يحيك به الله) يعني أنهم
يقولون في تحيتك السام عليك يا محمد والسام الموت والله تعالى يقول وسلام على عباده الذين اصطفى ويا أيها
الرسول ويا أيها النبي (لولا يعذبنا الله بما نقول) كانوا يقولون ما له ان كان نبيا لا يدعو علينا حتى يعذبنا

ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله وتلك حدود الله وللكافرين عذاب أليم ان الذين يحادون الله ورسوله كبتوا كما كبت الذين من قبلهم وقد أنزلنا آيات بينات وللكافرين عذاب مهين يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه والله على كل شيء شهيد ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الارض ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ان الله بكل شيء عليم ألم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول واذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول

* قوله تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات (قال فيه تعميم ثم تخصيص العلماء الخ) قال أحمد في الجزاء برفع الدرجات ههنا مناسبة للعمل لأن المأمور به تفسح المجالس كيلا يتنافسوا في القرب من المكان الرفيع حوله عليه الصلاة والسلام فيتضايقوا فلما كان الممتثل لذلك يخفض نفسه عما يتنافس فيه من الرفعة امتثالا وتواضعا جوزي على تواضعه برفع الدرجات كقوله من تواضع لله رفعه الله ثم لما علم أن أهل العلم بحيث يستوجبون عند أنفسهم وعند الناس ارتفاع مجالسهم خصهم بالذكر عند الجزاء ليسهل عليهم ترك ما لهم من الرفعة في المجالس تواضعا لله تعالى * عاد كلامه ثم ذكر في فضل العلم فصلا لا أتقنه بعينه) قال روى عن ابن مسعود رضي

حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير يا أيها الذين آمنوا إذا تناجيتم فلا تتناجوا بالإثم والعدوان ومعصيت الرسول وتناجوا بالبر والتقوى واتقوا الله الذي إليه تحشرون إنما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا وليس بضارهم شيئا إلا بإذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم وإذا قيل انشزوا فانشزوا يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة ذلك خير لكم وأطهر فإن لم تجدوا فإن الله غفور رحيم

الله بما نقول فقال الله تعالى (حسبهم جهنم) عذابا (يا أيها الذين آمنوا) خطاب للمنافقين الذين آمنوا بألسنتهم ويجوز أن يكون للمؤمنين أي إذا تناجيتم فلا تتشبهوا بأولئك في تناجيهم بالشر (وتناجوا بالبر والتقوى) وعن النبي صلى الله عليه وسلم إذا كنتم ثلاثة فلا يتناج اثنان دون صاحبهما فإن ذلك يحزنه وروى دون الثالث * وقرئ فلا تناجوا وعن ابن مسعود إذا انتجيتم فلا تنتجوا (إنما النجوى) اللام إشارة إلى النجوى بالإثم والعدوان بدليل قوله تعالى (ليحزن الذين آمنوا) والمعنى أن الشيطان يزينها لهم فكأنها منه ليغيظ الذين آمنوا ويحزنهم (وليس) الشيطان أو الحزن (بضارهم شيئا إلا بإذن الله) (فإن قلت) كيف لا يضرهم الشيطان أو الحزن إلا بإذن الله (قلت) كانوا يوهمون المؤمنين في نجواهم وتغامزهم أن غزاتهم غلبوا وأن أقاربهم قتلوا فقال لا يضرهم الشيطان أو الحزن بذلك الموهم إلا بإذن الله أي بمشيئته وهو أن يقضي الموت على أقاربهم أو الغلبة على الغزاة * وقرئ ليحزن وليحزن (تفسحوا في المجلس) توسعوا فيه وليفسح بعضكم عن بعض من قولهم افسح عني أي تنح ولا تتضاموا وقرئ تفاسحوا والمراد مجلس رسول الله وكانوا يتضامون فيه تنافسا على القرب منه وحرصا على استماع كلامه وقيل هو المجلس من مجالس القتال وهي مراكز الغزاة كقوله تعالى مقاعد للقتال وقرئ في المجالس قيل كان الرجل يأتي الصف فيقول تفسحوا فيأبون لحرصهم على الشهادة وقرئ في المجلس بفتح اللام وهو الجلوس أي توسعوا في جلوسكم ولا تتضايقوا فيه (يفسح الله لكم) مطلق في كل ما يبتغي الناس الفسحة فيه من المكان والرزق والصدر والقبر وغير ذلك (انشزوا) انهضوا للتوسعة على المقبلين أو انهضوا عن مجلس رسول الله إذا أمرتم بالنهوض عنه ولا تملوا رسول الله بالارتكاز فيه أو انهضوا إلى الصلاة والجهاد وأعمال الخير إذا استنهضتم ولا تثبطوا ولا تفرطوا (يرفع الله) المؤمنين بامتثال أوامره وأوامر رسوله والعالمين منهم خاصة (درجات * بما تعملون) قرئ بالتاء والياء عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه كان إذا قرأها قال يا أيها الناس افهموا هذه الآية ولترغبكم في العلم وعن النبي صلى الله عليه وسلم بين العالم والعابد مائة درجة بين كل درجتين حضر الجواد المضمر سبعين سنة وعنه عليه السلام فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وعنه عليه السلام يشفع يوم القيامة ثلاثة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء فأعظم بمرتبة هي واسطة بين النبوة والشهادة بشهادة رسول الله وعن ابن عباس خير سليمان بين العلم والمال والملك فاختار العلم فأعطى المال والملك معه وقال عليه السلام أوحى الله إلى إبراهيم يا إبراهيم إني عليم أحب كل عليم وعن بعض الحكماء ليت شعري أي شيء أدرك من فاته العلم وأي شيء فات من أدرك العلم وعن الأحنف كاد العلماء يكونون أربابا وكل عز لم يوطد بعلم فإلى ذل ما يصير وعن الزبيري العلم ذكر فلا يحبه إلا ذكورة الرجال (بين يدي نجواكم) استعارة ممن له يدان والمعنى قبل نجواكم كقول عمر من أفضل ما أوتيت العرب الشعر يقدمه الرجل أمام حاجته فيستمطر به الكريم ويستنزل به اللئيم يريد قبل حاجته (ذلكم) التقديم (خير لكم) في دينكم (وأطهر) لأن

الصدقة

الله عنه أنه كان إذا تلا هذه الآية قال يا أيها الناس افهموا هذه الآية ولترغبكم في العلم وعنه عليه الصلاة والسلام بين العالم والعابد مائة درجة بين كل درجتين حضر الجواد المضمر سبعين سنة وعنه عليه الصلاة والسلام يشفع يوم القيامة ثلاثة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء فأعظم بمرتبة بين النبوة والشهادة بشهادة النبي عليه الصلاة والسلام وعن ابن عباس خير سليمان عليه الصلاة والسلام بين العلم والملك والمال فاختار العلم فأعطاه الله الملك والمال تبعا له وفي الخبر أن الله تعالى أوحى إلى إبراهيم عليه الصلاة والسلام يا إبراهيم إني عليم أحب كل عليم وعن بعض الحكماء ليت شعري أي شيء أدرك من فاته العلم وأي شيء فات من أدرك العلم وعن الأحنف كاد العلماء يكونون أربابا وكل عز لم يوطد بعلم فإلى ذل ما يصير وعن الزبيري العلم ذكر فلا يحبه إلا ذكورة الرجال والله أعلم

الصدقة طهرة روي أن الناس أكثروا مناجاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بما يريدون حتى أملوه وأبرموه فأريد أن يكفوا عن ذلك فأمروا بأن من أراد أن يناجيه قدم قبل مناجاته صدقة قال علي رضي الله عنه لما نزلت دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما تقول في دينار قلت لا يطيقونه قال كم قلت حبة أو شعيرة قال إنك لزهيد فلما رأوا ذلك اشتد عليهم فارتدعوا وكفوا أما الفقير فلعسرته وأما الغني فلشحه وقيل كان ذلك عشر ليال ثم نسخ وقيل ما كان إلا ساعة من نهار وعن علي رضي الله عنه أن في كتاب الله لآية ما عمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي كان لي دينار فصرفته فكنت إذا ناجيته تصدقت بدرهم قال الكلبي تصدق به في عشر كلمات سألهن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن عمر كان لعلي ثلاث لو كانت لي واحدة منهن كانت أحب إلي من حمر النعم تزويجه فاطمة وإعطاؤه الراية يوم خيبر وآية النجوى قال ابن عباس هي منسوخة بالآية التي بعدها وقيل هي منسوخة بالزكاة (أأشفقتم) أخفتم تقديم الصدقات لما فيه من الإنفاق الذي تكرهونه وأن الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء (فإذ لم تفعلوا) ما أمرتم به وشق عليكم و(تاب الله عليكم) وعذركم ورخص لكم في أن لا تفعلوه * فلا تفرطوا في الصلاة والزكاة وسائر الطاعات (بما تعملون) قرئ بالتاء والياء * كان المنافقون يتولون اليهود وهم الذين غضب الله عليهم في قوله تعالى من لعنه الله وغضب عليه ويناصحونهم وينقلون إليهم أسرار المؤمنين (ما هم منكم) يا مسلمون (ولا منهم) ولا من اليهود كقوله تعالى مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء (ويحلفون على الكذب) أي يقولون والله إنا لمسلمون فيحلفون على الكذب الذي هو ادعاء الإسلام (وهم يعلمون) أن المحلوف عليه كذب بحت (فإن قلت) فما فائدة قوله وهم يعلمون (قلت) الكذب أن يكون الخبر لا على وفاق المخبر عنه سواء علم المخبر أو لم يعلم فالمعنى أنهم الذين يخبرون وخبرهم خلاف ما يخبرون عنه وهم عالمون بذلك متعمدون له كمن يحلف بالغموس وقيل كان عبد الله بن نبتل المنافق يجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يرفع حديثه إلى اليهود فبينا رسول الله في حجرة من حجره إذ قال لأصحابه يدخل عليكم الآن رجل قلبه قلب جبار وينظر بعيني شيطان فدخل ابن نبتل وكان أزرق فقال له النبي صلى الله عليه وسلم علام تشتمني أنت وأصحابك فحلف بالله ما فعل فقال عليه السلام فعلت فانطلق فجاء بأصحابه فحلفوا بالله ما سبوه فنزلت (أعد الله لهم عذابا شديدا) نوعا من العذاب متفاقما (إنهم ساء ما كانوا يعملون) يعني أنهم كانوا في الزمان الماضي المتطاول على سوء العمل مصرين عليه أو هي حكاية ما يقال لهم في الآخرة * وقرئ إيمانهم بالكسر أي اتخذوا أيمانهم التي حلفوا بها أو إيمانهم الذي أظهروه (جنة) أي سترة يستترون بها من المؤمنين ومن قتلهم (فصدوا) الناس في خلال أمنهم وسلامتهم (عن سبيل الله) وكانوا يثبطون من لقوا عن الدخول في الإسلام ويضعفون أمر المسلمين عندهم * فأوعدهم الله العذاب المهين المخزي لكفرهم وصدهم كقوله تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب (من الله) من عذاب الله (شيئا) قليلا من الإغناء روي أن رجلا منهم قال لننصرن يوم القيامة بأنفسنا وأموالنا وأولادنا (فيحلفون) لله تعالى على أنهم مسلمون في الآخرة (كما يحلفون لكم) في الدنيا على ذلك (ويحسبون أنهم على شيء) من النفع يعني ليس العجب من حلفهم لكم فإنكم بشر تخفى عليكم السرائر وإن لهم نفعا في ذلك دفعا عن أرواحهم واستجرارا لفوائد دنيوية وإنهم يفعلونه في دار لا يضطرون فيها إلى علم ما يخفون ولكن العجب من حلفهم لله عالم الغيب والشهادة مع عدم النفع والاضطرار إلى علم ما أنذرتهم الرسل والمراد وصفهم بالتوغل في نفاقهم ومرونهم عليه وأن ذلك بعد موتهم وبعثهم باق فيهم لا يضمحل كما قال ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وقد اختلف العلماء في كذبهم في الآخرة والقرآن ناطق بثباته نطقا مكشوفا كما ترى في هذه الآية وفي قوله تعالى والله ربنا ما كنا مشركين انظر كيف كذبوا على أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون ويحسبون أنهم على شيء من النفع إذا حلفوا استنظارهم المؤمنين ليقتبسوا من نورهم لحسبانهم أن الإيمان الظاهر مما ينفعهم وقيل عند ذلك يختم على أفواههم (ألا إنهم هم الكاذبون) يعني أنهم الغاية التي لا مطمح وراءها في قول الكذب حيث استوت حالهم فيه في الدنيا والآخرة (استحوذ عليهم) استولى عليهم من حاذ الحمار العانة إذا جمعها وساقها غالبا لها

أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات فإذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الله ورسوله والله خبير بما تعملون ألم تر إلى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم ما هم منكم ولا منهم ويحلفون على الكذب وهم يعلمون أعد الله لهم عذابا شديدا إنهم ساء ما كانوا يعملون اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله فلهم عذاب مهين لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شيء ألا إنهم هم الكاذبون استحوذ عليهم

ومنه كان أحوذيا نسيج وحده وهو أحد ما جاء على الاصل نحو استصوب واستنوق أى ملكهم (الشيطان) لطاعتهم له فى كل ما يريده منهم حتى جعلهم رعيته وحزبه (فأنساهم) أن يذكروا الله أصلا لا بقلوبهم ولا بألسنتهم * قال أبو عبيدة حزب الشيطان جنده (فى الاذلين) فى جملة من هو أذل خلق الله لا ترى أحدا أذل منهم (كتب الله) فى اللوح (لاغلبن أنا ورسلى) بالحجة والسيف أو بأحدهما (لا تجد قوما) من باب التخييل خيل ان من الممتنع المحال أن تجد قوما مؤمنين يوالون المشركين والغرض به أنه لا ينبغى أن يكون ذلك وحقه أن يمتنع ولا يوجد بحال مبالغة فى النهى عنه والزجر عن ملابسته والتوصية بالتصلب فى مجانبة أعداء الله ومباعدتهم والاحتراس من مخالطتهم ومعاشرتهم وزاد ذلك تأكيدا وتشديدا بقوله (ولو كانوا آباءهم) وبقوله أولئك كتب فى قلوبهم الايمان وبمقابلة قوله أولئك حزب الشيطان بقوله أولئك حزب الله فلا تجد شيأ أدخل فى الاخلاص من موالاة أولياء الله ومعاداة أعدائه بل هو الاخلاص بعينه (كتب فى قلوبهم الايمان) أثبته فيها بما وفقهم فيه وشرح له صدورهم (وأيدهم بروح منه) بلطف من عنده حييت به قلوبهم ويجوز أن يكون الضمير للايمان أى بروح من الايمان على أنه فى نفسه روح لحياة القلوب به وعن الثورى أنه قال كانوا يرون أنها نزلت فيمن يصحب السلطان وعن عبد العزيز بن أبى رواد أنه لقيه المنصور فى الطواف فلما عرفه هرب منه وتلاها وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان يقول اللهم لا تجعل لفاجر ولا لفاسق عندى نعمة فانى وجدت فيما أوحيت الى لا تجد قوما وروى أنها نزلت فى أبى بكر رضى الله عنه وذلك أن أبا قحافة سب رسول الله صلى الله عليه وسلم فصكه صكة سقط منها فقال له رسول الله أوفعلته قال نعم قال لا تعد قال والله لو كان السيف قريبا منى لقتلته وقيل فى أبى عبيدة بن الجراح قتل أباه عبد الله الجراح يوم أحد وفى أبى بكر دعا ابنه يوم بدر الى البراز وقال لرسول الله دعنى أكن فى الرعلة الاولى قال متعنا بنفسك يا أبا بكر أما تعلم أنك عندى بمنزلة سمعى وبصرى وفى مصعب بن عمير قتل أخاه عبيد بن عمير يوم أحد وفى عمر قتل خاله العاص بن هشام يوم بدر وفى على وحمزة وعبيدة بن الحرث قتلوا عتبة وشيبة ابنى ربيعة والوليد بن عتبة يوم بدر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المجادلة كتب من حزب الله يوم القيامة

﴿سورة الحشر مدنية وهى أربع وعشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* صالح بنو النضير رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن لا يكونوا عليه ولا له فلما ظهر يوم بدر قالوا هو النبى الذى نعته فى التوراة لا ترد له راية فلما هزم المسلمون يوم أحد ارتابوا ونكثوا فخرج كعب بن الاشرف فى أربعين راكبا الى مكة فحالفوا عليه قريشا عند الكعبة فأمر عليه السلام محمد بن مسلمة الانصارى فقتل كعبا غيلة وكان أخاه من الرضاعة ثم صبحهم بالكتائب وهو على حمار مخطوم بليف فقال لهم اخرجوا من المدينة فقالوا الموت أحب الينا من ذلك فتنادوا بالحرب وقيل استمهلوا رسول الله عشرة أيام ليتجهزوا للخروج فدس عبد الله بن أبى المنافق وأصحابه اليهم لا تخرجوا من الحصن فان قاتلوكم فنحن معكم لا نخذلكم ولئن خرجتم لنخرجن معكم فدربوا على الازقة وحصنوها فحاصرهم احدى وعشرين ليلة فلما قذف الله الرعب فى قلوبهم وأيسوا من نصر المنافقين طلبوا الصلح فأبى عليهم الا الجلاء على أن يحمل كل ثلاثة أبيات على بعير ما شاؤا من متاعهم فجلوا الى الشام الى اريحا واذرعات الا أهل بيتين منهم آل ابى الحقيق وآل حيى بن اخطب فانهم لحقوا بخيبر ولحقت طائفة بالحيرة اللام فى لاول الحشر تتعلق باخرج وهى اللام فى قوله تعالى يا ليتنى قدمت لحياتى وقولك جئته لوقت كذا والمعنى أخرج الذين كفروا عند أول الحشر ومعنى أول الحشر أن هذا أول حشرهم

الشيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا ان حزب الشيطان هم الخاسرون ان الذين يحادون الله ورسوله أولئك فى الاذلين كتب الله لاغلبن أنا ورسلى ان الله قوى عزيز لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب فى قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها رضى الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا ان حزب الله هم المفلحون

﴿سورة الحشر مدنية وهى أربع وعشرون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

سبح لله ما فى السموات وما فى الارض وهو العزيز الحكيم هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر

(قال فيه اللام فى قوله لاول الحشر كاللام فى قوله قدمت لحياتى) قال أحمد كانه يريد انها اللام التى تصحب التاريخ كقوله كتبت لعام كذا ولشهر كذا

الى

إلى الشام وكانوا من سبط لم يصبهم جلاء قط وهم أول من أخرج من أهل الكتاب من جزيرة العرب إلى الشام
أو هذا أول حشرهم وآخر حشرهم إجلاء عمر إياهم من خيبر إلى الشام وقيل آخر حشرهم حشر يوم القيامة
لأن المحشر يكون بالشام وعن عكرمة من شك أن المحشر ههنا يعني الشام فليقرأ هذه الآية وقيل معناه
أخرجهم من ديارهم لأول ما حشر لقتالهم لأنه أول قتال قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما ظننتم أن
يخرجوا) لشدة بأسهم ومنعتهم ووثاقة حصونهم وكثرة عددهم وعدتهم * وظنوا أن حصونهم تمنعهم من
بأس الله (فأتاهم) أمر الله (من حيث لم يحتسبوا) من حيث لم يظنوا ولم يخطر ببالهم وهو قتل رئيسهم كعب
بن الأشرف غرة على يد أخيه وذلك مما أضعف قوتهم وفل من شوكتهم وسلب قلوبهم الأمن والطمأنينة
بما قذف فيها من الرعب وألهمهم أن يوافقوا المؤمنين في تخريب بيوتهم ويعينوا على أنفسهم وثبط المنافقين
الذين كانوا يتولونهم عن مظاهرتهم وهذا كله لم يكن في حسبانهم ومنه أتاهم الهلاك (فإن قلت) أي فرق
بين قولك وظنوا أن حصونهم تمنعهم أو مانعتهم وبين النظم الذي جاء عليه (قلت) في تقديم الخبر على المبتدا
دليل على فرط وثوقهم بحصانتها ومنعها إياهم وفي تصيير ضميرهم اسما لأن وإسناد الجملة إليه دليل على
اعتقادهم في أنفسهم أنهم في عزة ومنعة لا يبالى معها بأحد يتعرض لهم أو يطمع في معازتهم وليس ذلك
في قولك وظنوا أن حصونهم تمنعهم * وقرئ فآتاهم الله أي فآتاهم الهلاك والرعب الخوف الذي يرعب
الصدر أي يملؤه * وقذفه إثباته وركزه ومنه قالوا في صفة الأسد مقذف كأنما قذف باللحم قذفا لاكتنازه
وتداخل أجزائه * وقرئ يخربون ويخربون مثقلا ومخففا والتخريب والإخراب الإفساد بالنقض والهدم
والخربة الفساد كانوا يخربون بواطنها والمسلمون ظواهرها لما أراد الله من استئصال شأفتهم وأن لا يبقى لهم
بالمدينة دار ولا منهم ديار والذي دعاهم إلى التخريب حاجتهم إلى الخشب والحجارة ليسدوا بها أفواه الأزقة
وأن لا يتحسروا بعد جلائهم على بقائها مساكن للمسلمين وأن ينقلوا معهم ما كان في أبنيتهم من جيد الخشب
والساج المليح وأما المؤمنون فداعيهم إزالة متحصنهم ومتمنعهم وأن يتسع لهم مجال الحرب (فإن قلت) ما معنى
تخريبهم لها بأيدي المؤمنين (قلت) لما عرضوهم لذلك وكانوا السبب فيه فكأنهم أمروهم به وكلفوهم إياه
(فاعتبروا) بما دبر الله ويسر من أمر إخراجهم وتسليط المسلمين عليهم من غير قتال وقيل وعد رسول الله
صلى الله عليه وسلم المسلمين أن يورثهم الله أرضهم وأموالهم بغير قتال فكان كما قال * يعني أن الله قد عزم على
تطهير أرض المدينة منهم وإراحة المسلمين من جوارهم وتوريثهم أموالهم ولولا أنه كتب عليهم الجلاء
واقتضته حكمته ودعاه إلى اختياره أنه أشق عليهم من الموت (لعذبهم في الدنيا) بالقتل كما فعل بإخوانهم بني
قريظة (ولهم) سواء أجلوا أو قتلوا (عذاب النار) يعني إن نجوا من عذاب الدنيا لم ينجوا من عذاب
الآخرة (من لينة) بيان لما قطعتم ومحل ما نصب بقطعتم كأنه قال أي شيء قطعتم وأنث الضمير الراجع
إلى ما في قوله (أو تركتموها) لأنه في معنى اللينة واللينة النخلة من الألوان وهي ضروب النخل ما خلا العجوة
والبرنية وهما أجود النخيل وياؤها عن واو قلبت لكسرة ما قبلها كالديمة وقيل اللينة النخلة الكريمة كأنهم
اشتقوها من اللين قال ذو الرمة

كأن قتودي فوقها عش طائر * على لينة سوقاء تهفو جنوبها

وجمعها لين وقرئ قوما على أصلها وفيه وجهان أنه جمع أصل كرهن ورهن أو اكتفى فيه بالضمة عن الواو
وقرئ قائما على أصوله ذهابا إلى لفظ ما (فبإذن الله) فقطعها بإذن الله وأمره (وليخزي الفاسقين) وليذل
اليهود ويغيظهم أذن في قطعها وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أمر أن تقطع نخلهم وتحرق قالوا
يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد في الأرض فما بال قطع النخل وتحريقها فكان في أنفس المؤمنين من ذلك
شيء فنزلت يعني أن الله أذن لهم في قطعها ليزيدكم غيظا ويضاعف لكم حسرة إذا رأيتموهم يتحكمون في
أموالكم كيف أحبوا ويتصرفون فيها ما شاؤوا واتفق العلماء أن حصون الكفرة وديارهم لا بأس
بأن تهدم وتحرق وتغرق وترمى بالمجانيق وكذلك أشجارهم لا بأس بقلعها مثمرة كانت أو غير مثمرة وعن ابن

ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الأبصار ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب النار ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله فإن الله شديد العقاب ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله وليخزي الفاسقين

---

* قوله تعالى ما قطعتم من لينة (ذكر فيه تفسيرين أحدهما أنه النخل ما عدا العجوة والبرني وهما خير النخل الخ) قال أحمد والظاهر أن الإذن عام في القطع والترك لأنه جواب الشرط المضمن لهما جميعا ويكون التعليل بإخزاء الفاسقين لهما جميعا وأن القطع يحسرهم على ذهابها والترك يحسرهم على بقائها للمسلمين ينتفعون بها فهم في حسرتين من الأمرين جميعا

* قوله تعالى للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم (قال فيه هو بدل من قوله لذى القربى وما بعده والذى منع الابدال من الله والرسول الخ) قال أحمد مذهب أبي حنيفة ان استحقاق ذوى القربى لسهمهم من الفىء موقوف على الفقر حتى لا يستحقه أغنياؤهم وانما أغلظ الشافعى رضى الله عنه فيما نقله عنه امام الحرمين الرد على هذا المذهب بأن الله تعالى علق الاستحقاق بالقرابة ولم يشرط الحاجة وعدم اعتبار القرابة مضادة ومحادة واعتذر امام الحرمين لابى حنيفة بان الصدقات لما حرمت عليهم كان فائدة ذكرهم في خمس الفىء والغنيمة انه لا يمنع (٤٤٦) صرف ذلك اليهم امتناع صرف الصدقات ثم أتبع هذا العذر بان قال لا ينبغى ان يعبر به فان صيغة الآية ناصة على تعيين الاستحقاق لهم تشريفا لهم وتنبيها على عظم اقدارهم فمن جعل ذلك على جواز الصرف اليهم ثم عارضه هذا الجواز بجواز حرمانهم فقد عطل مقتضى الآية ثم استعظم الامام وقع ذلك عليهم لانهم يذهبون الى اشتراط الايمان فى رقبة الظهار زيادة على النص المعنى فيأتون فى اثبات ذلك بالقياس لانه يستنتج وليس من شأنه الثبوت بالقياس قال فكذلك يلزمهم ان يعتقدوا ان اشتراط الفقر فى القرابة واشتراط الحاجة لقريب ما ذكروه بعرض القريب فأما وان أصلهم المخصوصون من نسب الرسول عليه الصلاة والسلام والتابعون من بعده كالهيئة فلا يبقى مع هذا المذهب وجه انتهى كلام الامام وانما أوردته ليعلم ان معارضته لابى حنيفة على ان اشتراط الحاجة عند أبى حنيفة مستند الى قياس أو نحوه من الاسباب الخارجة عن الآية فلذلك ألزمه أن يكون زيادة على النص فأما وقد تلقى أبو حنيفة اعتبار الحاجة من تعقيبه هذا البدل المذكور فى الآية فانا سالك معه فى واد غير هذا فيقول هو بدل من المساكين

مسعود قطعوا منها ما كان موضع القتال (فان قلت) لم خصت اللينة بالقطع (قلت) ان كانت من الالوان فليستبقوا لانفسهم العجوة والبرنية وان كانت من كرام النخل فليكون غيظ اليهود أشد وأشق وروى أن رجلين كانا يقطعان أحدهما العجوة والآخر اللون فسألهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا تركتها لرسول الله وقال هذا قطعتها غيظا للكفار وقد استدل به على جواز الاجتهاد وعلى جوازه بحضرة الرسول صلى الله عليه وسلم لانهما بالاجتهاد فعلا ذلك واحتج به من يقول كل مجتهد مصيب (أفاء الله على رسوله) جعله له فيأ خاصة * والايجاف من الوجيف وهو السير السريع ومنه قوله عليه السلام فى الافاضة من عرفات ليس البر بايجاف الخيل ولا ايضاع الابل على هينتكم ومعنى فما (أوجفتم عليه) فما أوجفتم على تحصيله وتغنمه خيلا ولا ركابا ولا تعبتم فى القتال عليه وانما مشيتم اليه على أرجلكم والمعنى أن ما خوّل الله رسوله من أموال بنى النضير شئ لم تحصلوه بالقتال والغلبة ولكن سلطه الله عليهم وعلى ما فى أيديهم كما كان يسلط رسله على أعدائهم فالامر فيه مفوض اليه يضعه حيث يشاء يعنى أنه لا يقسم قسمة الغنائم التى قوتل عليها وأخذت عنوة وقهرا وذلك أنهم طلبوا القسمة فنزلت * لم يدخل العاطف على هذه الجملة لانها بيان للاولى فهى منها غير أجنبية عنها بين لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما يصنع بما أفاء الله عليه وأمره أن يضعه حيث يضع الخمس من الغنائم مقسوما على الاقسام الخمسة * والدولة والدولة بالفتح والضم وقد قرئ بهما ما يدول للانسان أى يدور من الجد يقال دالت له الدولة وأديل لفلان ومعنى قوله تعالى كيلا يكون دولة بين الاغنياء منكم) كيلا يكون الفىء الذى حقه أن يعطى الفقراء ليكون لهم بلغة يعيشون بها جدا بين الاغنياء يتكاثرون به أو كيلا يكون دولة جاهلية بينهم ومعنى الدولة الجاهلية أن الرؤساء منهم كانوا يستأثرون بالغنيمة لانهم أهل الرياسة والدولة والغلبة وكانوا يقولون من عز بز والمعنى كيلا يكون أخذه غلبة وأثرة جاهلية ومنه قول الحسن اتخذوا عباد الله خولا ومال الله دولا يريد من غلب منهم أخذه واستأثر به وقيل الدولة ما يتداول كالغرفة اسم ما يغترف يعنى كيلا يكون الفىء شيأ يتداوله الاغنياء بينهم ويتعاورونه فلا يصيب الفقراء والدولة بالفتح بمعنى التداول أى كيلا يكون ذا تداول بينهم أو كيلا يكون امساكه تداولا بينهم لا يخرجونه الى الفقراء وقرئ دولة بالرفع على كان التامة كقوله تعالى وان كان ذو عسرة يعنى كيلا يقع دولة جاهلية ولينقطع أثرها أو كيلا يكون تداول له بينهم أو كيلا يكون شئ متداول بينهم غير مخرج الى الفقراء (وما آتاكم الرسول) من قسمة غنيمة أو فىء (فخذوه وما نهاكم) عن أخذه منها (فانتهوا) عنه ولا تتبعه أنفسكم (واتقوا الله) أن تخالفوه وتتهاونوا بأوامره ونواهيه (ان الله شديد العقاب) لمن خالف رسوله والاجود أن يكون عاما فى كل ما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ونهى عنه وأمر الفىء داخل فى عمومه وعن ابن مسعود رضى الله عنه أنه لقى رجلا محرما وعليه ثيابه فقال له انزع عنك هذا فقال الرجل اقرأ على فى هذا آية من كتاب الله قال نعم فقرأها عليه (للفقراء) بدل من قوله لذى القربى والمعطوف عليه والذى منع الابدال من الله والرسول والمعطوف عليهما وان كان

وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شئ قدير ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كى لا يكون دولة بين الاغنياء منكم وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله ان الله شديد العقاب للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله

لاغير وتقريره انه سبحانه أراد أن يصف المساكين بصفات تؤكد استحقاقهم وتحمل الاغنياء على ايثارهم وأن لا يجدوا في صدورهم حاجة مما أوتوا فلما قصد ذلك وقد فصل بين ذكرهم وبين ما يقصد من ذكر صفاتهم بقوله كيلا يكون دولة بين الاغنياء منكم الى قوله شديد العقاب طرى ذكرهم ليكون توطئة للصفات التالية بعده فذكر بصفة أخرى مناسبة للصفة الاولى مبدلة منها وهي الفقر لتشهد الفطرية على فائدة الجمع لهم بين صفتي المسكنة والفقر ثم تلت صفاتهم على أثر ذلك وهي اخراجهم من ديارهم وأموالهم مهاجرين وابتغاؤهم الفضل والرضوان من الله ونصرهم الله ورسوله وصدقهم في نياتهم الى آخر ذلك فهذا هو الذي يرشد (٤٢٧) اليه السياق مؤيدا بالاصل فان ذوى

لمنى لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله عز وجل أخرج رسوله من الفقراء في قوله وينصرون الله ورسوله وانه يترفع برسول الله عن التسمية بالفقير وأن الابدال على ظاهر اللفظ من خلاف الواجب في تعظيم الله عز وجل (أولئك هم الصادقون) في ايمانهم وجهادهم (والذين تبوؤا) معطوف على المهاجرين وهم الانصار (فان قلت) ما معنى عطف الايمان على الدار ولا يقال تبوؤا الايمان (قلت) معناه تبوؤا الدار وأخلصوا الايمان كقوله علفتها تبنا وماء باردا أي وجعلوا الايمان مستقرا ومتوطنا لهم لتمكنهم منه واستقامتهم عليه كما جعلوا المدينة كذلك أو أراد دار الهجرة ودار الايمان فأقام لام التعريف في الدار مقام المضاف اليه وحذف المضاف من دار الايمان ووضع المضاف اليه مقامه أو سمى المدينة لانها دار الهجرة ومكان ظهور الايمان بالايمان (من قبلهم) من قبل المهاجرين لانهم سبقوهم في تبوؤ دار الهجرة والايمان وقيل من قبل هجرتهم (ولا يجدون) ولا يعلمون في أنفسهم (حاجة مما أوتوا) أي طلب محتاج اليه مما أوتي المهاجرون من الفيء وغيره والمحتاج اليه يسمى حاجة يقال خذ منه حاجتك وأعطاه من ماله حاجته يعني أن نفوسهم لم تتبع ما أعطوا ولم تطمح الى شيء منه يحتاج اليه (ولو كان بهم خصاصة) أي خلة وأصلها خصاص البيت وهي فروجه والجملة في موضع الحال أي مفروضة خصاصتهم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم أموال بني النضير على المهاجرين ولم يعط الانصار الا ثلاثة نفر محتاجين أبا دجانة سماك بن خرشة وسهل بن حنيف والحرث بن الصمة وقال لهم ان شئتم قسمتم للمهاجرين من أموالكم ودياركم وشاركتموهم في هذه الغنيمة وان شئتم كانت لكم دياركم وأموالكم ولم يقسم لكم شيء من الغنيمة فقالت الانصار بل نقسم لهم من أموالنا وديارنا ونؤثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم فيها فنزلت * الشح بالضم والكسر وقد قرئ بهما اللؤم وأن تكون نفس الرجل كزة حريصة على المنع كما قال

يمارس نفسا بين جنبيه كزة * اذا هم بالمعروف قالت له مهلا

وقد أضيف الى النفس لانه غريزة فيها وأما البخل فهو المنع نفسه ومنه قوله تعالى وأحضرت الانفس الشح (ومن يوق شح نفسه) ومن غلب ما أمرته به منه وخالفها بمعونة الله وتوفيقه (فأولئك هم المفلحون) الظافرون بما أرادوا وقرئ ومن يوق (والذين جاؤا من بعدهم) عطف أيضا على المهاجرين وهم الذين هاجروا من بعد وقيل التابعون باحسان (غلا) وقرئ غمرا وهما الحقد (لاخوانهم) الذين بينهم وبينهم أخوة الكفر ولانهم كانوا يوالونهم ويؤاخونهم وكانوا معهم على المؤمنين في السر (ولا نطيع فيكم) في قتالكم أحدا من رسول الله والمسلمين ان حملنا عليه أو في خذلانكم واخلاف ما وعدناكم من النصرة (لكاذبون) أي في مواعيدهم لليهود وفيه دليل على صحة النبوة لانه اخبار بالغيوب (فان قلت) كيف قيل (ولئن نصروهم) بعد الاخبار بأنهم لا ينصرونهم (قلت) معناه ولئن نصروهم على الفرض والتقدير كقوله تعالى لئن أشركت ليحبطن عملك وكما يعلم ما يكون فهو يعلم ما لا يكون لو كان كيف يكون والمعنى ولئن نصر المنافقون اليهود لينهزمن

أولئك هم الصادقون
والذين تبوؤا الدار والايمان
من قبلهم يحبون من
هاجر اليهم ولا يجدون
في صدورهم حاجة مما
أوتوا ويؤثرون على أنفسهم
ولو كان بهم خصاصة
ومن يوق شح نفسه
فأولئك هم المفلحون
والذين جاؤا من بعدهم
يقولون ربنا اغفر لنا
ولاخواننا الذين سبقونا
بالايمان ولا تجعل في
قلوبنا غلا للذين آمنوا
ربنا انك رؤف رحيم
ألم تر الى الذين نافقوا
يقولون لاخوانهم الذين
كفروا من أهل الكتاب
لئن أخرجتم لنخرجن
معكم ولا نطيع فيكم
أحدا أبدا وان قوتلتم
لننصرنكم والله يشهد انهم
لكاذبون لئن أخرجوا
لا يخرجون معهم ولئن
قوتلوا لا ينصرونهم
ولئن نصروهم ليولن
الادبار ثم لا ينصرون

القربى ذكروا نصبة الاطلاق فالاصل بقاؤهم على ذلك حتى يتحقق أنهم مرادون بالتقييد وما ذكرناه من صرف ذلك الى المساكين يلاقي اقامة وزن الكلام فيبقى ذوو القربى على أصل الاطلاق وتلك قاعدة لا يسع الحنفية مدافعتها فانهم يرون الاستثناء المتعقب للجمل يختص بالجملة الاخيرة لان عوده اليها يقيم وزن الكلام ويبقى ما تقدمها على الاصل ولا فرق بين التعقيب بالاستثناء والبدل وكل ما سوى هذا مع أنه لو جعل بدلا من ذوى القربى مع ما بعده لم يكن ابداله من ذوى القربى الا بدل بعض من كل فان ذوى القربى منقسمون الى فقراء وأغنياء ولم يكن ابداله من المساكين الا بدل الشيء من الشيء وهما لعين واحدة فيلزم أن يكون هذا البدل محسوبا بالنوعين المذكورين في حالة واحدة وذلك متعذر لما بين النوعين من الاختلاف والتباين وكل منهما يتقاضى ما يأباه الآخر فهذا القدر كاف ان شاء الله تعالى وعليه

أعرب الزجاج الآية بجعله بدلا من الساكت خاصة والله تعالى الموفق للصواب * قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد (قال فيه معنى يوم القيامة غدا تقريبا له الخ) قال أحمد وقد قيل في قوله تعالى علمت نفس ما أحضرت كقوله يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا انه قيل انه من عكس الكلام الذي يقصد به الافراط فيما يعكس عنه كقوله ربما يود الذين كفروا فمعنى رب ههنا هو معنى كم وأبلغ منه قول القائل (٤٤٨) * قد اترك القرن مصفرا أنامله * الا ان الزمخشري فر من هذا المعنى لان الواقع قلة

المنافقون ثم لا ينصرون بعد ذلك أي يهلكهم الله تعالى ولا ينفعهم نفاقهم لظهور كفرهم أو لينصرن اليهود ثم لا ينفعهم نصرة المنافقين (رهبة) مصدر رهب المبني للمفعول كأنه قيل أشد مرهوبية وقوله (في صدورهم) دلالة على نفاقهم يعني أنهم يظهرون لكم في العلانية خوف الله وأنتم أهيب في صدورهم من الله (فان قلت) كأنهم كانوا يرهبون من الله حتى تكون رهبتهم منهم أشد (قلت) معناه أن رهبتهم في السر منكم أشد من رهبتهم من الله التي يظهرونها لكم وكانوا يظهرون لهم رهبة شديدة من الله ويجوز أن يريد أن اليهود يخافونكم في صدورهم أشد من خوفهم من الله لانهم كانوا قوما أولي بأس ونجدة فكانوا [illegible] ن لهم مع اضمار الخيفة في صد [illegible] م (لا يفقهون) لا يعلمون الله وعظمته حتى يخشوه حق [illegible] (لا يقاتلونكم) لا يقدرون على [illegible] جميعا مجتمعين متساندين يعني اليهود والمنافقين (الا) كائنين (في قرى محصنة) بالخنادق والـ [illegible] جدر) دون أن يصحروا لكم ويبارزوكم لقذف الله الرعب في قلوبهم وأن تأييد الـ [illegible] رئ جدر بالتخفيف وجدار وجدر وجدر وهما الجدار (بأسهم بينهم شديد) [illegible] ذي يوصفون به انما هو بينهم اذا اقتتلوا ولو قاتلوكم لم يبق لهم ذلك البأس والشدة [illegible] ب والعز يزيل شدة محاربة الله ورسوله (تحسبهم جميعا) مجتمعين ذوي ألفة واتحاد (وقلوبهم [illegible] لا ألفة بينها يعني ان بينهم احنا وعداوات فلا يتعاضدون حق التعاضد ولا يرمون عن قوس [illegible] دة وهذا تجسير للمؤمنين وتشجيع لقلوبهم على قتالهم (قوم لا يعقلون) ان تشتت القلوب مما يوهن قواهم ويعين على أرواحهم (كمثل الذين من قبلهم) أي مثلهم كمثل أهل بدر في زمان قريب (فان قلت) بم انتصب (قريبا) (قلت) بمثل على كوجود مثل أهل بدر قريبا (ذاقوا وبال أمرهم) سوء عاقبة كفرهم وعداوتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم من قولهم كلأ وبيل وخيم سيء العاقبة يعني ذاقوا عذاب القتل في الدنيا (ولهم) في الآخرة عذاب النار * ومثل المنافقين في اغرائهم اليهود على القتال ووعدهم اياهم النصر ثم متاركتهم لهم واخلافهم (كمثل الشيطان) اذا استغوى الانسان بكيده ثم تبرأ منه في العاقبة والمراد استغواؤه قريشا يوم بدر وقوله لهم لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم الى قوله اني بريء منكم وقرأ ابن مسعود خالدان فيها على أنه خبر أن وفي النار لغو وعلى القراءة المشهورة الظرف مستقر وخالدين فيها حال * وقرئ أنا بريء وعاقبتهما بالرفع * كرر الامر بالتقوى تأكيدا واتقوا الله في أداء الواجبات لانه قرن بما هو عمل واتقوا الله في ترك المعاصي لانه قرن بما يجري مجرى الوعيد * والغد يوم القيامة سماه باليوم الذي يلي يومك تقريبا له وعن الحسن لم يزل يقربه حتى جعله كالغد ونحوه قوله تعالى كأن لم تغن بالامس يريد تقريب الزمان الماضي وقيل عبر عن الآخرة بالغد كأن الدنيا والآخرة نهاران يوم وغد (فان قلت) ما معنى تنكير النفس والغد (قلت) أما تنكير النفس فاستقلال للانفس النواظر فيما قدمن للآخرة كأنه قال فلتنظر نفس واحدة في ذلك وأما تنكير الغد فلتعظيمه وابهام أمره كأنه قيل لغد لا يعرف كنهه لعظمه وعن مالك بن دينار مكتوب على باب الجنة وجدنا ما عملنا ربحنا ما قدمنا خسرنا ما خلفنا (نسوا الله) نسوا حقه فجعلهم ناسين حق أنفسهم بالخذلان حتى لم يسعوا لها بما ينفعهم عنده أو فأراهم يوم القيامة من الاهوال ما نسوا فيه أنفسهم كقوله تعالى لا يرتد اليهم طرفهم

لأنتم أشد رهبة في صدورهم من الله ذلك بأنهم قوم لا يفقهون لا يقاتلونكم جميعا الا في قرى محصنة أو من وراء جدر بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون كمثل الذين من قبلهم قريبا ذاقوا وبال أمرهم ولهم عذاب أليم كمثل الشيطا [illegible] قال للانسان ا [illegible] كفر قال اني بر [illegible] اني أخاف الله رب [illegible] فكان عاقبتهما أنهما في النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله

النفوس الناظرة في أمر المعاد فنزله على معنى يطابق الواقع ويمكن أن يلاحظ الامر فيسوغ حمله على التكثير هذا النفوس المأمورات بالنظر في المعاد وانما من تقسيم الأوامر حقها أن تمتثل هذا الامر وهو نظر حسن فان الفعل المسند الى النفس ههنا ليس وقوع النظر حتى يستقل واغاه هو طلب النظر وهو عام التعلق بكل نفس والانصاف ان ما ذكره الزمخشري أمكن وأحسن والله الموفق * قوله تعالى نسوا الله فأنساهم أنفسهم (قال فيه جعلهم ناسين بالخذلان) قال أحمد بل خلق فيهم النسيان

*هذا تنبيه للناس وإيذان لهم بأنهم لفرط غفلتهم وقلة فكرهم في العاقبة وتهالكهم على إيثار العاجلة واتباع الشهوات كأنهم لا يعرفون الفرق بين الجنة والنار والبون العظيم بين أصحابهما وأن الفوز مع أصحاب الجنة فمن حقهم أن يعلموا ذلك وينبهوا عليه كما تقول لمن يعق أباه هو أبوك تجعله بمنزلة من لا يعرفه فتنبهه بذلك على حق الأبوة الذي يقتضي البر والتعطف وقد استدل أصحاب الشافعي رضي الله عنه بهذه الآية على أن المسلم لا يقتل بالكافر وأن الكفار لا يملكون أموال المسلمين بالقهر * هذا تمثيل وتخييل كما مر في قوله تعالى إنا عرضنا الأمانة وقد دل عليه قوله وتلك الأمثال نضربها للناس والغرض توبيخ الإنسان على قسوة قلبه وقلة تخشعه عند تلاوة القرآن وتدبر قوارعه وزواجره * وقرئ مصدعا على الإدغام (وتلك الأمثال) إشارة إلى هذا المثل وإلى أمثاله في مواضع من التنزيل (الغيب) المعدوم (والشهادة) الموجود المدرك كأنه يشاهده وقيل ما غاب عن العباد وما شاهدوه وقيل السر والعلانية وقيل الدنيا والآخرة (القدوس) بالضم والفتح وقد قرئ بهما البليغ في النزاهة عما يستقبح ونظيره السبوح وفي تسبيح الملائكة سبوح قدوس رب الملائكة والروح و(السلام) بمعنى السلامة ومنه دار السلام وسلام عليكم وصف به مبالغة في وصف كونه سليما من النقائص أو في إعطائه السلامة و(المؤمن) واهب الأمن وقرئ بفتح الميم بمعنى المؤمن به على حذف الجار كما تقول في قوم موسى من قوله تعالى واختار موسى قومه المختارون بلفظ صيغة المختار و(المهيمن) الرقيب على كل شيء الحافظ له مفيعل من الأمن إلا أن همزته قلبت هاء و(الجبار) القاهر الذي جبر خلقه على ما أراد أي أجبره و(المتكبر) البليغ الكبرياء والعظمة وقيل المتكبر عن ظلم عباده و(الخالق) المقدر لما يوجده و(البارئ) المميز بعضه من بعض بالأشكال المختلفة و(المصور) الممثل وعن حاطب بن أبي بلتعة أنه قرأ البارئ المصور بفتح الواو ونصب الراء أي الذي يبرأ المصور أي يميز ما يصوره بتفاوت الهيئات وقرأ ابن مسعود وما في الأرض عن أبي هريرة رضي الله عنه سألت حبيبي صلى الله عليه وسلم عن اسم الله الأعظم فقال عليك بآخر الحشر فأكثر قراءته فأعدت عليه فأعاد علي فأعدت عليه فأعاد علي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحشر غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر

سورة الممتحنة وهي ثلاث عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

*روي أن مولاة لأبي عمرو بن صيفي بن هاشم يقال لها سارة أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة وهو يتجهز للفتح فقال لها أمسلمة جئت قالت لا قال أفمهاجرة جئت قالت لا قال فما جاء بك قالت كنتم الأهل والموالي والعشيرة وقد ذهبت الموالي تعني قتلوا يوم بدر فاحتجت حاجة شديدة فحث عليها بني عبد المطلب فكسوها وحملوها وزودوها فأتاها حاطب بن أبي بلتعة وأعطاها عشرة دنانير وكساها بردا واستحملها كتابا إلى أهل مكة نسخته من حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة اعلموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدكم فخذوا حذركم فخرجت سارة ونزل جبريل بالخبر فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وعمارا وعمر وطلحة والزبير والمقداد وأبا مرثد وكانوا فرسانا وقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها ظعينة معها كتاب من حاطب إلى أهل مكة فخذوه منها وخلوها فإن أبت فاضربوا عنقها فأدركوها فجحدت وحلفت فهموا بالرجوع فقال علي رضي الله عنه والله ما كذبنا ولا كذب رسول الله وسل سيفه وقال أخرجي الكتاب أو تضعي رأسك فأخرجته من عقاص شعرها وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمن جميع الناس يوم الفتح إلا أربعة هي أحدهم فاستحضر رسول الله حاطبا وقال ما حملك عليه فقال يا رسول الله ما كفرت منذ أسلمت ولا غششتك منذ نصحتك ولا أحببتهم منذ فارقتهم ولكني كنت امرأ ملصقا في قريش وروي عزيزا فيهم أي غريبا ولم أكن من أنفسها وكل من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون أهاليهم وأموالهم غيري فخشيت على أهلي فأردت أن أتخذ عندهم يدا وقد علمت أن الله تعالى ينزل عليهم بأسه وأن كتابي لا يغني عنهم شيئا فصدقه

وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون هو الله الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى يسبح له ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم

سورة الممتحنة وهي ثلاث عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء

*عاد كلامه (قال وقوله لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة تنبيه للناس وإيذان بأنهم لفرط غفلتهم وتهالكهم على الشهوات الخ) *قوله تعالى لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله (قال فيه هذا تخييل وتمثيل كما تقدم الخ) قال أحمد وهذا مما تقدم إنكاري عليه فيه أفلا كان يتأدب بأدب الآية حيث سمى الله هذا مثلا ولم يقل وتلك الخيالات نضربها للناس ألهمنا الله حسن الأدب معه والله الموفق

وقيل عذره فقال عمر دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق فقال وما يدريك يا عمر لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال لهم اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ففاضت عينا عمر وقال الله ورسوله أعلم فنزلت * عدى اتخذ الى مفعوليه وهما عدوى أولياء والعدو فعول من عدا كعفو من عفا ولكنه على زنة المصدر أوقع على الجمع ايقاعه على الواحد (فان قلت) (تلقون) بم يتعلق (قلت) يجوز أن يتعلق بلا تتخذوا حالا من ضميره وبأولياء صفة له ويجوز أن يكون استئنافا (فان قلت) اذا جعلته صفة لأولياء وقد جرى على غير من هو له فأين الضمير البارز وهو قولك تلقون اليهم أنتم بالمودة (قلت) ذلك انما اشترطوه في الأسماء دون الأفعال لو قيل أولياء ملقين اليهم بالمودة على الوصف لما كان بد من الضمير البارز والالقاء عبارة عن ايصال المودة والافضاء بها اليهم يقال ألقى اليه خراشي صدره وأفضى اليه بقشوره * والباء في (بالمودة) اما زائدة مؤكدة للتعدي مثلها في ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة واما ثابتة على أن مفعول تلقون محذوف معناه تلقون اليهم أخبار رسول الله بسبب المودة التي بينكم وبينهم * وكذلك قوله تسرون اليهم بالمودة أي تفضون اليهم بمودتكم سرا أو تسرون اليهم أسرار رسول الله بسبب المودة (فان قلت) (وقد كفروا) حال مماذا (قلت) اما من لا تتخذوا واما من تلقون أي لا تتولوهم أو توادونهم وهذه حالهم (يخرجون) استئناف كالتفسير لكفرهم وعتوهم أو حال من كفروا (أن تؤمنوا) تعليل ليخرجون أي يخرجونكم لايمانكم (ان كنتم خرجتم) متعلق بلا تتخذوا يعني لا تتولوا أعدائي ان كنتم أوليائي وقول النحويين في مثله هو شرط جوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه و(تسرون) استئناف ومعناه أي طائل لكم في اسراركم وقد علمتم أن الاخفاء والاعلان سيان في علمي لا تفاوت بينهما * وأنا مطلع رسولي على ما تسرون (ومن يفعله) ومن يفعل هذا الاسرار فقد أخطأ طريق الحق والصواب وقرأ الجحدري لما جاءكم أي كفروا لأجل ما جاءكم بمعنى أن ما كان يجب أن يكون سبب ايمانهم جعلوه سببا لكفرهم (ان يثقفوكم) ان يظفروا بكم ويتمكنوا منكم (يكونوا لكم أعداء) خالصي العداوة ولا يكونوا لكم أولياء كما أنتم (ويبسطوا اليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء) بالقتال والشتم * وتمنوا لو ترتدون عن دينكم فاذن مودة أمثالهم ومناصحتهم خطأ عظيم منكم ومغالطة لأنفسكم ونحوه قوله تعالى لا يألونكم خبالا (فان قلت) كيف أورد جواب الشرط مضارعا مثله ثم قال (وودوا) بلفظ الماضي (قلت) الماضي وان كان يجري في باب الشرط مجرى المضارع في علم الاعراب فان فيه نكتة كأنه قيل وودوا قبل كل شيء كفركم وارتدادكم يعني أنهم يريدون أن يلحقوا بكم مضار الدنيا والدين جميعا من قتل الأنفس وتمزيق الأعراض وردكم كفارا وردكم كفارا أسبق المضار عندهم وأولها لعلمهم أن الدين أعز عليكم من أرواحكم لأنكم بذالون لها دونه والعدو أهم شيء عنده أن يقصد أعز شيء عند صاحبه (لن تنفعكم أرحامكم) أي قراباتكم (ولا أولادكم) الذين توالون الكفار من أجلهم وتتقربون اليهم محاماة عليهم * ثم قال (يوم القيامة يفصل بينكم) وبين أقاربكم وأولادكم يوم يفر المرء من أخيه الآية فما لكم ترفضون حق الله مراعاة لحق من يفر منكم غدا فخطأ رأيهم في موالاة الكفار بما يرجع الى حال من والوه أولا ثم بما يرجع الى حال من اقتضى تلك الموالاة ثانيا ليريهم أن ما أقدموا عليه من أي جهة نظرت فيه وجدته باطلا وقرئ يفصل ويفصل على البناء للمفعول ويفصل ويفصل على البناء للفاعل وهو الله عز وجل ونفصل ونفصل بالنون وقرئ أسوة واسوة وهو اسم المؤتسى به أي كان فيهم مذهب حسن مرضي بأن يؤتسى به ويتبع أثره وهو قولهم لكفار قومهم ما قالوا حيث كاشفوهم بالعداوة وقشروا لهم العصا وأظهروا البغضاء والمقت وصرحوا بأن سبب عداوتهم وبغضائهم ليس الا كفرهم بالله وما دام هذا السبب قائما كانت العداوة قائمة حتى ان أزالوه وآمنوا بالله وحده انقلبت العداوة موالاة والبغضاء محبة والمقت مقة فأفصحوا عن محض الاخلاص ومعنى (كفرنا بكم) وبما تعبدون من دون الله أنا لا نعتد بشأنكم ولا بشأن آلهتكم وما أنتم عندنا على شيء (فان قلت) مم استثنى قوله (الا قول ابراهيم) (قلت) من قوله أسوة حسنة لأنه أراد بالأسوة الحسنة قولهم الذي حق عليهم أن يأتسوا به ويتخذوه سنة يستنون بها (فان قلت) فان كان قوله (لأستغفرن لك) مستثنى من القول الذي هو أسوة

تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول واياكم أن تؤمنوا بالله ربكم ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرون اليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل ان يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا اليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم يوم القيامة يفصل بينكم والله بما تعملون بصير قد كانت لكم أسوة حسنة في ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده الا قول ابراهيم لابيه لأستغفرن لك

القول في سورة الممتحنة

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* قوله تعالى ان يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا اليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون (قال) فيه ان قلت كيف أورد جواب الشرط مستقبلا مثله ثم قال وودوا بلفظ الماضي الخ

* قوله تعالى فلا ترجعوهن الى الكفار لاهن حل لهم ولاهم يحلون لهن (قال معناه لا حل بين المؤمنة والمشرك اه كلامه) قال

حسنة فما بال قوله (وما أملك لك من الله من شيء) وهو غير حقيق بالاستثناء ألا ترى الى قوله قل فمن يملك لكم من الله شيئا (قلت) أراد استثناء جملة قوله لأبيه والقصد الى موعد الاستغفار له وما بعده مبني عليه وتابع له كأنه قال أنا أستغفر لك وما في طاقتي الا الاستغفار (فان قلت) بم اتصل قوله (ربنا عليك توكلنا) (قلت) بما قبل الاستثناء وهو من جملة الأسوة الحسنة ويجوز أن يكون المعنى قولوا ربنا أمرا من الله تعالى للمؤمنين بأن يقولوه وتعليما منه لهم تتميما لما وصاهم به من قطع العلائق بينهم وبين الكفار والائتساء بابراهيم وقومه في البراءة منهم وتنبيها على الانابة الى الله والاستعاذة به من فتنة أهل الكفر والاستغفار مما فرط منهم * وقرئ برآء كشركاء وبراء كظراف وبراء على ابدال الضم من الكسر كرخال ورباب وبراء على الوصف بالمصدر والبراء والبراءة كالظماء والظماءة * ثم كرر الحث على الائتساء بابراهيم وقومه تقريرا وتأكيدا عليهم ولذلك جاء به مصدرا بالقسم لانه الغاية في التأكيد وأبدل عن قوله (لكم) قوله (لمن كان يرجو الله واليوم الآخر) وعقبه بقوله (ومن يتول فان الله هو الغني الحميد) فلم يترك نوعا من التأكيد الا جاء به * ولما نزلت هذه الآيات تشدد المؤمنون في عداوة آبائهم وأبنائهم وجميع أقربائهم من المشركين ومقاطعتهم فلما رأى الله عز وجل منهم الجد والصبر على الوجه الشديد وطول التمني للسبب الذي يبيح لهم الموالاة والمواصلة رحمهم فوعدهم تيسير ما تمنوه فلما يسر فتح مكة أظفرهم الله بأمنيتهم فأسلم قومهم وتم بينهم من التحاب والتصافي ما تم وقيل تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أم حبيبة فلانت عند ذلك عريكة أبي سفيان واسترخت شكيمته في العداوة وكانت أم حبيبة قد أسلمت وهاجرت مع زوجها عبد الله بن جحش الى الحبشة فتنصر وأرادها على النصرانية فأبت وصبرت على دينها ومات زوجها فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى النجاشي فخطبها عليه وساق عنه اليها مهرها أربعمائة دينار وبلغ ذلك أباها فقال ذلك الفحل لا يقدع أنفه و(عسى) وعد من الله على عادات الملوك حيث يقولون في بعض الحوائج عسى أو لعل فلا تبقى شبهة للمحتاج في تمام ذلك أو قصد به اطماع المؤمنين (والله قدير) على تقليب القلوب وتغيير الأحوال وتسهيل أسباب المودة (والله غفور رحيم) لمن أسلم من المشركين (أن تبروهم) بدل من الذين لم يقاتلوكم وكذلك أن تولوهم من الذين قاتلوكم والمعنى لا ينهاكم عن مبرة هؤلاء وانما ينهاكم عن تولي هؤلاء وهذا أيضا رحمة لهم لتشددهم وجدهم في العداوة متقدمة لرحمته بتيسير اسلام قومهم حيث رخص لهم في صلة من لم يجاهر منهم بقتال المؤمنين واخراجهم من ديارهم وقيل أراد بهم خزاعة وكانوا صالحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن لا يقاتلوه ولا يعينوا عليه وعن مجاهد هم الذين آمنوا بمكة ولم يهاجروا وقيل هم النساء والصبيان وقيل قدمت على أسماء بنت أبي بكر أمها قتيلة بنت عبد العزى وهي مشركة بهدايا فلم تقبلها ولم تأذن لها في الدخول فنزلت فأمرها رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تدخلها وتقبل منها وتكرمها وتحسن اليها وعن قتادة نسختها آية القتال (وتقسطوا اليهم) وتقضوا اليهم بالقسط ولا تظلموهم وناهيك بتوصية الله المؤمنين أن يستعملوا القسط مع المشركين بهم ويتحاموا ظلمهم مترجمة عن حال مسلم يجترئ على ظلم أخيه المسلم (اذا جاءكم المؤمنات) سماهن مؤمنات لتصديقهن بألسنتهن ونطقهن بكلمة الشهادة ولم يظهر منهن ما ينافي ذلك أو لأنهن مشارفات لثبات ايمانهن بالامتحان (فامتحنوهن) فابتلوهن بالحلف والنظر في الأمارات ليغلب على ظنونكم صدق ايمانهن وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول للممتحنة بالله الذي لا اله الا هو ما خرجت من بغض زوج بالله ما خرجت رغبة عن أرض الى أرض بالله ما خرجت التماس دنيا بالله ما خرجت الا حبا لله ولرسوله (الله أعلم بايمانهن) منكم لأنكم لا تكسبون فيه علما تطمئن معه نفوسكم وان استحلفتموهن ورزتم أحوالهن وعند الله حقيقة العلم به (فان علمتموهن مؤمنات) العلم الذي تبلغه طاقتكم وهو الظن الغالب بالحلف وظهور الأمارات (فلا ترجعوهن الى الكفار) فلا تردوهن الى أزواجهن المشركين لانه لا حل بين المؤمنة والمشرك (وآتوهم ما أنفقوا) وأعطوا أزواجهن مثل ما دفعوا اليهن من المهور وذلك أن صلح الحديبية كان على أن

وما أملك لك من الله من شيء ربنا عليك توكلنا واليك أنبنا واليك المصير ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا انك أنت العزيز الحكيم لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ومن يتول فان الله هو الغني الحميد عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون يا أيها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بايمانهن فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار لاهن حل لهم ولاهم يحلون لهن وآتوهم ما أنفقوا ولا جناح

أحمد هذه الآية مما استدل بها على خطاب الكفار بالفروع لانه تعالى قال لاهن حل لهم والضمير الاول للمؤمنات والثاني للكفار والمراد به تحريمهن على الكفار لان قوله متفق على ان المراد به تحريم الكفار على المؤمنات فيكون كل من القبيلين المؤمنات والكفار مخاطبا

بالحرمة ولما كان المذهب المعزي الى أصحاب أبي حنيفة ان الكفار غير المخاطبين سلك الزمخشري بتفسير الآية ما يوافق ذلك فحملها على
أن المراد نفي الحل بين المؤمنة والكافر على الاجمال حتى لا يتعرض نسبة الحرمة الى الكافر وهذا الاختصاص فيه فان الحل المنفي بين
المؤمنة والكافر الى الحرمة لا بد وان يتعلق بفعل أحدهما أو كليهما اذ هو حكم فان تعلق بفعل كل واحد منهما أعني التمكين من المرأة
والفعل من الرجل تحقق خطاب الكافر ٤٥٢ بالحرمة وتعليقه بفعل المرأة دون فعل الرجل يأباه نظم الآية فانه نفى الحل من الجانب
جميعا ولو كان كذلك لكفى قوله ولا هم يحلون لهن والتحقيق المنطبق على قواعد الأصول هو ما نذكره ان شاء الله تعالى فنقول كل من

عليكم أن تنكحوهن اذا آتيتموهن أجورهن ولا تمسكوا بعصم الكوافر واسئلوا ما أنفقتم وليسئلوا ما أنفقوا ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم وان فاتكم شئ من أزواجكم الى الكفار فعاقبتم فآتوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ما أنفقوا واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون يا أيها النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين

فعلى المؤمنة والكافر ينفي عنه أولى بالتفسير اللائق فأما فعل المؤمنة وهو التمكين فلا شك في تعلق الحرمة الشرعية باعتبار أنها مخاطبة بأن لا يحصل في الوجود على
وجه لو حصل لكانت متوعدة على حصوله وأما فعل الكافر وهو الوطء مثلا فنفي حله باعتبار ان الشرع قصد الى مهور
أن لا يحصل الوطء لما يشتمل عليه من المفسدة وللشرع قصد في أن لا يقع الفاسد وليس الكافر مورد الخطاب ولكن الائمة مثلا أومن
يقوم مقامهم مخاطبون بأن يمنعوا الكافر كي لا يقع هذا الفعل المنطوي على المفسدة في نظر الشرع وكلا الفعلين اذا من جانب المرأة
والرجل غرض في أن لا يقع لكن مورد الخطاب المنطوي على السلامة من المفسدة في حق المرأة هي وفي حق الكافر الائمة مثلا ونحو
المتعلقون فيه في خطاب الكفار على ان للشرع غرضا في أن لا تحصل المفاسد في الوجود ألا ترى ان الكافر اذا جهر بالفساد بين المسلمين

من أتاكم من أهل مكة رددتموه اليهم ومن أتى منكم مكة لم يرد اليكم وكتبوا بذلك كتابا وختموه فجاءت سبيعة بنت
الحرث الاسلمية مسلمة والنبي صلى الله عليه وسلم بالحديبية فأقبل زوجها مسافر المخزومي وقيل صيفي بن
الراهب فقال يا محمد اردد على امرأتي فانك قد شرطت لنا أن ترد علينا من أتاك منا وهذه طينة الكتاب لم
تجف فنزلت بيانا لان الشرط انما كان في الرجال دون النساء وعن الضحاك كان بين رسول الله صلى الله عليه
وسلم وبين المشركين عهد أن لا تأتيك منا امرأة ليست على دينك الا رددتها الينا فان دخلت في دينك ولها
زوج أن ترد على زوجها الذى أنفق عليها وللنبي صلى الله عليه وسلم من الشرط مثل ذلك وعن قتادة ثم نسخ
هذا الحكم وهذا العهد براءة فاستحلفها رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلفت فأعطى زوجها ما أنفق وتزوجها
عمر (فان قلت) كيف سمى الظن علما في قوله فان علمتموهن (قلت) ايذانا بان الظن الغالب وما
يفضي اليه الاجتهاد والقياس جار مجرى العلم وأن صاحبه غير داخل في قوله ولا تقف ما ليس لك به علم
(فان قلت) فما فائدة قوله الله أعلم بايمانهن وذلك معلوم لا شبهة فيه (قلت) فائدته بيان أن لا سبيل
لكم الى ما تطمئن به النفس ويثلج به الصدر من الاحاطة بحقيقة ايمانهن فان ذلك مما استأثر به علام الغيوب
وأن ما يؤدي اليه الامتحان من العلم كاف في ذلك وأن تكليفكم لا يعدوه ثم نفى عنهم الجناح في تزوج هؤلاء
المهاجرات اذا آتوهن أجورهن أي مهورهن لان المهر أجر البضع ولا يخلو اما أن يراد بها ما كان يدفع اليهن
ليدفعنه الى أزواجهن فيشترط في اباحة تزوجهن تقديم أدائه واما أن يراد أن ذلك اذا دفع اليهن على سبيل
القرض ثم تزوجن على ذلك لم يكن به بأس واما أن يبين لهم أن ما أعطى أزواجهن لا يقوم مقام المهر وأنه
لا بد من اصداق وبه احتج أبو حنيفة على أن أحد الزوجين اذا خرج من دار الحرب مسلما أو بذمة وبقي
الآخر حربيا وقعت الفرقة ولا يرى العدة على المهاجرة ويبيح نكاحها الا أن تكون حاملا (ولا تمسكوا بعصم
الكوافر) والعصمة ما يعتصم به من عقد وسبب يعني اياكم واياهن ولا تكن بينكم وبينهن عصمة ولا علقة
زوجية قال ابن عباس من كانت له امرأة كافرة بمكة فلا يعتدن بها من نسائه لان اختلاف الدارين
قطع عصمتها منه وعن النخعي هي المسلمة تلحق بدار الحرب فتكفر وعن مجاهد أمرهم بطلاق الباقيات مع
الكفار ومفارقتهن (واسئلوا ما أنفقتم) من مهور أزواجكم اللاحقات بالكفار (وليسئلوا ما أنفقوا)
من مهور نسائهم المهاجرات * وقرئ ولا تمسكوا بالتخفيف ولا تمسكوا بالتثقيل ولا تمسكوا أي ولا تتمسكوا
(ذلكم حكم الله) يعني جميع ما ذكر في هذه الآية (يحكم بينكم) كلام مستأنف أو حال من حكم الله
على حذف الضمير أي يحكمه الله أو جعل الحكم حاكما على المبالغة وروي أنها لما نزلت هذه الآية أدى
المؤمنون ما أمروا به من أداء مهور المهاجرات الى أزواجهن المشركين وأبى المشركون أن يؤدوا شيئا من
مهور الكوافر الى أزواجهن المسلمين فنزل قوله (وان فاتكم) وان سبقكم وانفلت منكم (شئ) من
أزواجكم أحد منهن الى الكفار وهو في قراءة ابن مسعود أحد (فان قلت) هل لايقاع شئ في هذا الموقع
فائدة (قلت) نعم الفائدة فيه أن لا يغادر شئ من هذا الجنس وان قل وحقر غير معوض منه تغليظا في هذا
الحكم وتشديدا فيه (فعاقبتم) من العقبة وهي النوبة شبه ما حكم به على المسلمين والكافرين من أداء هؤلاء

مهور نسائهم أولئك تارة وأولئك مهور نساء هؤلاء أخرى بأمر يتعاقبون فيه كما يتعاقب في الركوب وغيره ومعناه فجاءت عقبتكم من أداء المهر فآتوا من فاتته امرأته الى الكفار مثل مهرها من مهر المهاجرة ولا تؤتوه زوجها الكافر وهكذا عن الزهري يعطى من صداق من لحق بهم وقرئ فأعقبتم فعقبتم بالتشديد فعقبتم بالتخفيف بفتح القاف وكسرها فمعنى أعقبتم دخلتم في العقبة وعقبتم من عقبه اذا قفاه لأن كل واحد من المتعاقبين يقفي صاحبه وكذلك عقبتم بالتخفيف يقال عقبه يعقبه وعقبتم نحو تبعتم وقال الزجاج فعاقبتم فأصبتموهم في القتال بعقوبة حتى غنمتم والذي ذهبت زوجته كان يعطى من الغنيمة المهر وفسر غيرها من القراآت فكانت العقبى لكم أي فكانت الغلبة لكم حتى غنمتم وقيل جميع من لحق بالمشركين من نساء المؤمنين المهاجرين راجعة عن الاسلام ست نسوة أم الحكم بنت أبي سفيان كانت تحت عياض بن شداد الفهري وفاطمة بنت أبي أمية كانت تحت عمر بن الخطاب وهي أخت أم سلمة وبروع بنت عقبة كانت تحت شماس بن عثمان وعبدة بنت عبد العزى بن نضلة وزوجها عمرو بن عبدود وهند بنت أبي جهل كانت تحت هشام بن العاص وكلثوم بنت جرول كانت تحت عمر فأعطاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مهور نسائهم من الغنيمة (ولا يقتلن أولادهن) وقرئ يقتلن بالتشديد يريد وأد البنات (ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن) كانت المرأة تلتقط المولود فتقول لزوجها هو ولدي منك كنى بالبهتان المفترى بين يديها ورجليها عن الولد الذي تلصقه بزوجها كذبا لأن بطنها الذي تحمله فيه بين اليدين وفرجها الذي تلده به بين الرجلين (ولا يعصينك في معروف) فيما تأمرهن به من الحسنات وتنهاهن عنه من القبيحات وقيل كل ما وافق طاعة الله فهو معروف (فان قلت) لو اقتصر على قوله ولا يعصينك فقد علم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يأمر الا بمعروف (قلت) نبه بذلك على أن طاعة المخلوق في معصية الخالق جديرة بغاية التوقي والاجتناب وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فرغ يوم فتح مكة من بيعة الرجال أخذ في بيعة النساء وهو على الصفا وعمر ابن الخطاب رضي الله عنه أسفل منه يبايعهن بأمره ويبلغهن عنه وهند بنت عتبة امرأة أبي سفيان متقنعة متنكرة خوفا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعرفها فقال عليه الصلاة والسلام أبايعكن على أن لا تشركن بالله شيأ فرفعت هند رأسها وقالت والله لقد عبدنا الاصنام وانك لتأخذ علينا أمرا ما رأيناك أخذته على الرجال تبايع الرجال على الاسلام والجهاد فقال عليه الصلاة والسلام ولا يسرقن فقالت ان أبا سفيان رجل شحيح واني أصبت من ماله هنات فما أدري أتحل لي أم لا فقال أبو سفيان ما أصبت من شئ فيما مضى وفيما غبر فهو لك حلال فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفها فقال لها وانك لهند بنت عتبة قالت نعم فاعف عما سلف يا نبي الله عفا الله عنك فقال ولا يزنين فقالت أوتزني الحرة وفي رواية ما زنت منهن امرأة قط فقال عليه الصلاة والسلام ولا يقتلن أولادهن فقالت ربيناهم صغارا وقتلتهم كبارا فأنتم وهم أعلم وكان ابنها حنظلة بن أبي سفيان قد قتل يوم بدر فضحك عمر حتى استلقى وتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ولا يأتين ببهتان فقالت والله ان البهتان لأمر قبيح وما تأمرنا الا بالرشد ومكارم الاخلاق فقال ولا يعصينك في معروف فقالت والله ما جلسنا مجلسنا هذا وفي أنفسنا أن نعصيك في شئ وقيل في كيفية المبايعة دعا بقدح من ماء فغمس فيه يده ثم غمسن أيديهن وقيل صافحهن وكان على يده ثوب قطري وقيل كان عمر يصافحهن عنه وروي أن بعض فقراء المسلمين كانوا يواصلون اليهود ليصيبوا من ثمارهم فقيل لهم (لا تتولوا قوما) مغضوبا عليهم (قد يئسوا) من أن يكون لهم حظ في الآخرة لعنادهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يعلمون أنه الرسول المنعوت في التوراة (كما يئس الكفار) من موتاهم أن يبعثوا ويرجعوا أحياء وقيل (من أصحاب القبور) بيان للكفار أي كما يئس الكفار الذين قبروا من خير الآخرة لأنهم تيقنوا قبح حالهم وسوء منقلبهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الممتحنة كان له المؤمنون والمؤمنات شفعاء يوم القيامة

يتفق على وجوب ردعه عن ذلك ومنعه عنه وما ذاك الا لانهم عن الشرع من طلب سلامة الوجود عن المفاسد وهو رد انتطاب بردع الكافر كي لا يجوم بالفساد ثم الائمة والله الموفق * قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور (قال فيه كان طائفة من ضعفاء المسلمين قد والوا اليهود ليصيبوا من ثمارهم فنزلت هذه الآية

ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك في معروف فبايعهن واستغفر لهن الله ان الله غفور رحيم يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور

والمراد بالكفار المشركون الخ) قال أحمد قد كان الزمخشري ذكر في قوله وما يستوي البحران الى قوله ومن كل تأكلون لحما طريا ان آخر الآية استطراد وهو فن من فنون البيان مبوب عليه عند أهله وآية الممتحنة هذه ممكنة أن تكون من هذا الفن جدا فانه ذم اليهود واستطرد ذمهم بذم المشركين على نوع حسن من النسبة وهذا لا يمكن أن يوجد للفصحاء في الاستطراد أحسن ولا أمكن منه ومما صدروا هذا الفن به قوله

اذا ما اتقى الله الفتى وأطاعه * فليس به بأس وان كان من جرم

وقوله

ان كنت كاذبة التي حدثتني * فنجوت منجى الحرث بن هشام

وقوله تزلت الآية في أن يقاتل دونهم * وشجار أس طمرة ولجام ﴿القول في سورة الصف﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾
قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون (قال فيه هذا من أفصح الكلام وأبلغه في معناه قصد الى التعجب بغير صيغة التعجب لتعظيم الامر الخ) قال أحمد وزائدا على هذه الوجوه الاربعة وجه خامس وهو تكراره لقوله ما لا تفعلون وهو لفظ واحد في كلام واحد ومن فوائد التكرار التهويل والاعظام والا فقد كان الكلام مستقلا لو قيل كبر مقتا عند الله ذلك فما اعادته الا لمكان

هذه الفائدة الثانية والله أعلم * قوله تعالى ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص (قال فيه ذكره هذا عقيب ذكر مقت المخالف دليل الخ) قال أحمد صدق والاول كالمقدمة العامة هذه

﴿سورة الصف مكية وهي أربع عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص واذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذونني

﴿سورة الصف مكية وهي أربع عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(لم) هي لام الاضافة داخلة على ما الاستفهامية كما دخل عليها غيرها من حروف الجر في قولك بم وفيم ومم وعم والام وعلام وانما حذفت الالف لان ما والحرف كشئ واحد ووقع استعمالهما كثيرا في كلام المستفهم وقد جاء استعمال الاصل قليلا والوقف على زيادة هاء السكت أو الاسكان ومن أسكن في الوصل فلاجرائه مجرى الوقف كما سمع ثلاثة أربعة بالهاء والقاء حركة الهمزة عليها محذوفة وهذا الكلام يتناول الكذب واخلاف الموعود وروى أن المؤمنين قالوا قبل أن يؤمروا بالقتال لو نعلم أحب الاعمال الى الله تعالى لعملناه ولبذلنا فيه أموالنا وأنفسنا فدلهم الله تعالى على الجهاد في سبيله فولوا يوم أحد فعيرهم وقيل لما أخبر الله بثواب شهداء بدر قالوا لئن لقينا قتالا لنفرغن فيه وسعنا ففروا يوم أحد ولم يفوا وقيل كان الرجل يقول قتلت ولم يقتل وطعنت ولم يطعن وضربت ولم يضرب وصبرت ولم يصبر وقيل كان قد آذى المسلمين رجل ونكى فيهم فقتله صهيب وانتحل قتله آخر فقال عمر لصهيب أخبر النبي عليه السلام أنك قتلته فقال انما قتلته لله ولرسوله فقال عمر يا رسول الله قتله صهيب قال كذلك يا أبا يحيى قال نعم فنزلت في المنتحل وعن الحسن نزلت في المنافقين * ونداؤهم بالايمان تهكم بهم وبايمانهم هذا من أفصح كلام وأبلغه في معناه * قصد في (كبر) التعجب من غير لفظه كقوله غلت ناب كليب بواؤها ومعنى التعجب تعظيم الامر في قلوب السامعين لان التعجب لا يكون الا من شئ خارج عن نظائره وأشكاله وأسند الى أن تقولوا ونصب (مقتا) على تفسيره دلالة على أن قولهم ما لا يفعلون مقت خالص لا شوب فيه لفرط تمكن المقت منه واختير لفظ المقت لانه أشد البغض وأبلغه ومنه قيل نكاح المقت للعقد على الرابة ولم يقتصر على أن جعل البغض كبيرا حتى جعل أشده وأفحشه و (عند الله) أبلغ من ذلك لانه اذا ثبت كبر مقته عند الله فقد تم كبره وشدته وانزاحت عنه الشكوك وعن بعض السلف أنه قيل له حدثنا فسكت ثم قيل له حدثنا فقال تأمرونني أن أقول ما لا أفعل فأستعجل مقت الله * في قوله (ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله) عقيب ذكر مقت المخلف دليل على أن المقت قد تعلق بقول الذين وعدوا الثبات في قتال الكفار فلم يفوا وقرأ زيد بن علي يقاتلون بفتح التاء وقرئ يقتلون (صفا) صافين أنفسهم أو مصفوفين (كأنهم) في تراصهم من غير فرجة ولا خلل (بنيان) رص بعضه الى بعض ورصف وقيل يجوز أن يريد استواء نياتهم في الثبات حتى يكونوا في اجتماع الكلمة كالبنيان المرصوص وعن بعضهم فيه دليل على فضل القتال راجلا لان الفرسان لا يصطفون على هذه الصفة وقوله صفا كأنهم بنيان حالان متداخلان (واذ) منصوب باضمار اذكر أو وحين قال لهم ما قال كان كذا وكذا (تؤذونني) كانوا يؤذونه بأنواع الاذى من انتقاصه وعيبه في نفسه وجحود آياته وعصيانه فيما تعود اليهم منافعه وعبادتهم البقر وطلبهم رؤية الله جهرة والتكذيب الذي هو تضييع حق الله وحقه

الصفة الخاصة كقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله ان الله سميع عليم يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي فالنهي العام ورد أولا والمقصود اندراج هذا الخاص فيه كما تقول للمقترف جرما معينا لا تفعل ما يلصق العار بك ولا تشاتم زيدا (وفائدة مثل هذا النظم النهي عن الشئ الواحد مرتين مندرجا في العموم ومفردا بالخصوص وهو أولى من النهي عنه على الخصوص مرتين فان ذلك معدود في حيز التكرار وهذا يتكرر مع ما في التعميم من التعظيم والتهويل والله أعلم * عاد كلامه (قال في قوله تعالى ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص حالان متداخلان) قال أحمد يريد أن معنى الاولى مشتمل على معنى الثانية لان التراص هيئة للاصطفاف والله أعلم

قوله تعالى وإذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذونني وقد تعلمون الآية (قال فيه بين أنهم على عكس الصواب حيث قال تؤذونني عالمين الخ) قال أحمد أهل العربية تقول ان قد تصحب الماضي لتقريبه من الحال ومنه قول المؤذن قد قامت الصلاة وتشتمل المصاحبة للماضي أيضا على معنى التوقع فلذلك قال سيبويه قد فعل جواب لما يفعل وقال الخليل هذا الخبر لقوم ينتظرونه وأما مع المضارع فانها تفيد التقليل مثل ربما كقولهم ان الكذوب قد يصدق فاذا كان معناها مع المضارع التقليل وقد دخلت في الآية على مضارع فالوجه والله أعلم أن يكون هذا من الكلام الذي يقصدون به الافراط فيما ينعكس عنه ويكون قد في هذا المعنى نظير رب في قوله ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين فانها في هذا الموضع أبلغ من كم في التكثير فلما أوردت ربما في التكثير على عكس معناه الاصلي في التقليل فكذلك ايراد قد ههنا للتكثير عليهم أي تحقيق تأكيده على عكس معناها الاصلي في تقليل الاصل وعليه ٥٠٠ع * قد أترك القرن مصفرا أنامله * وإنما مدح نفسه بكثرة هذا

وقد تعلمون أني رسول الله اليكم فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم والله لا يهدي القوم الفاسقين وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني اسرائيل اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام والله لا يهدي القوم الظالمين يريدون ليطفؤا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم

(وقد تعلمون) في موضع الحال أي تؤذونني عالمين علما يقينا (أني رسول الله اليكم) وقضية علمكم بذلك وموجبه تعظيمي وتوقيري لا أن تؤذوني وتستهينوا بي لان من عرف الله وعظمته عظم رسوله علما بأن تعظيمه في تعظيم رسوله ولان من آذاه كان وعيد الله لاحقا به (فلما زاغوا) عن الحق (أزاغ الله قلوبهم) بأن منع ألطافه عنهم (والله لا يهدي القوم الفاسقين) لا يلطف بهم لانهم ليسوا من أهل اللطف (فان قلت) ما معنى قد في قوله وقد تعلمون (قلت) معناه التوكيد كأنه قال وتعلمون علما يقينا لا شبهة لكم فيه * قيل انما قال يا بني اسرائيل ولم يقل يا قوم كما قال موسى لانه لا نسب له فيهم فيكونوا قومه والمعنى أرسلت اليكم في حال تصديقي ما تقدمني (من التوراة) وفي حال تبشيري (برسول يأتي من بعدي) يعني أن ديني التصديق بكتب الله وأنبيائه جميعا ممن تقدم وتأخر وقرئ من بعدي بسكون الياء وفتحها والخليل وسيبويه يختاران الفتح وعن كعب أن الحواريين قالوا لعيسى يا روح الله هل بعدنا من أمة قال نعم أمة أحمد حكماء علماء أبرار أتقياء كأنهم من الفقه أنبياء يرضون من الله باليسير من الرزق ويرضى الله منهم باليسير من العمل (فان قلت) بم انتصب مصدقا ومبشرا أبما في الرسول من معنى الارسال أم باليكم (قلت) بل بمعنى الارسال لان اليكم صلة للرسول فلا يجوز أن تعمل شيئا لان حروف الجر لا تعمل بأنفسها ولكن بما فيها من معنى الفعل فاذا وقعت صلات لم تتضمن معنى فعل فمن أين تعمل * وقرئ هذا ساحر مبين * وأي الناس أشد ظلما ممن يدعوه ربه على لسان نبيه الى الاسلام الذي له فيه سعادة الدارين فيجعل مكان اجابته اليه افتراء الكذب على الله بقوله لكلامه الذي هو دعاء عباده الى الحق هذا سحر لان السحر كذب وتمويه * وقرأ طلحة بن مصرف وهو يدعى بمعنى يدعي دعاه وادعاه نحو لمسه والتمسه وعنه يدعي بمعنى يدعو وهو الله عز وجل * وأصله يريدون أن يطفئوا كما جاء في سورة براءة وكأن هذه اللام زيدت مع فعل الارادة تأكيدا له لما فيها من معنى الارادة في قولك جئتك لاكرامك كما زيدت اللام في لا أبا لك تأكيدا لمعنى الاضافة في لا أباك وإطفاء نور الله بأفواههم تهكم بهم في ارادتهم ابطال الاسلام بقولهم في القرآن هذا سحر مثلت حالهم بحال من ينفخ في نور الشمس بفيه ليطفئه (والله متم نوره) أي متم الحق ومبلغه غايته وقرئ بالاضافة (ودين الحق) الملة الحنيفية (ليظهره) ليعليه (على الدين كله) على جميع الاديان المخالفة له ولعمري لقد فعل فما بقي دين من الاديان الا وهو مغلوب مقهور بدين الاسلام وعن مجاهد اذا نزل عيسى لم يكن في الارض الا دين الاسلام * وقرئ أرسل نبيه (تنجيكم) قرئ مخففا ومثقلا و (تؤمنون) استئناف كأنهم قالوا كيف نعمل فقال تؤمنون وهو خبر في معنى

الفعل منه بكسر دينه الاصلي ولا يقال ان حملها في الآية على التكثير متعذر لان العلم معلوم التعلق لا يتكثر ولا يتقلل لانا نقول يعبر عن تمكن الفعل وتحققه وتأكده وبلوغه الغاية في نوعه بما يعبر به عن التكثير وهو تعبير صحيح ألا ترى ان قوله ربما يود الذين كفروا وهو من هذا القبيل فان المراد شدة ودهم لذلك وبلوغه أقصى منتهاه لا غير والله الموفق (قال الزمخشري انما قال يا بني اسرائيل ولم يقل يا قوم لانه لم يكن له صلوات الله على نبينا وعليه نسب فيهم) قال أحمد وهذا نظير قوله تعالى اذ قال لهم شعيب لان شعيبا لم يكن من قوم من أرسل اليهم * عاد كلامه قوله تعالى يريدون أن يطفؤا نور الله بأفواههم (قال فيه) مثلت حالهم بحال من ينفخ في نور الشمس بفيه ليطفئه * قوله تعالى هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله الى قوله خير لكم (قال فيه قوله) تؤمنون استئناف كلام كأنه لما قال الكلام الاول قيل كيف نفعل فقال تؤمنون الخ) قال أحمد انما وجه اعراب الفراء بما ذكر لانه لو جعله جوابا لقوله

هل أدلكم فانكم ان أدلكم على كذا وكذا أغفر لكم فتكون المغفرة حينئذ مترتبة على مجرد دلالته اياهم على الخير وليس كذلك انما تترتب المغفرة على فعلهم لما دلهم عليه لا على نفس الدلالة فلذلك أول هل أدلكم على تجارة بتأويل هل تتجرون بالايمان والجهاد حتى تكون المغفرة مترتبة على فعل الايمان والجهاد لا على الدلالة وهذا التأويل غير محتاج اليه فان حاصل الكلام اذا صار الى هل أدلكم أغفر لكم التحق ذلك بأمثال قوله تعالى قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة فانه رتب فعل الصلاة على الامر بها حتى كأنه قال فانك ان تقل لهم أقيموا يقيموها * وللقائل أن يقول قد قيل لبعضهم أقم الصلاة فتركها فالجواب عنه ان الامر الموجه الى المؤمن الراسخ في الايمان لما كان مظنة لحصول الامتثال جعل كالمحقق وقوعه مرتباً عليه وكذلك ههنا لما كانت دلالة الذين آمنوا على فعل الخير مظنة لامتثالهم وامتثالهم سبباً في المغفرة محققاً عومل معاملة تحقق الامتثال والمغفرة مرتبين على الدلالة

الامر وهذا أجيب بقوله (يغفر لكم) وتدل عليه قراءة ابن مسعود آمنوا بالله ورسوله وجاهدوا (فان قلت) لم جيء به على لفظ الخبر (قلت) للايذان بوجوب الامتثال وكأنه امتثل فهو يخبر عن ايمان وجهاد موجودين ونظيره قول الداعي غفر الله لك ويغفر الله لك جعلت المغفرة لقوة الرجاء كأنها كانت ووجدت (فان قلت) هل لقول الفراء انه جواب هل أدلكم وجه (قلت) وجهه أن متعلق الدلالة هو التجارة والتجارة مفسرة بالايمان والجهاد فكأنه قيل هل تتجرون بالايمان والجهاد يغفر لكم (فان قلت) فما وجه قراءة زيد بن علي رضي الله عنهما تؤمنوا وتجاهدوا (قلت) وجهها أن تكون على اضمار لام الامر كقوله

محمد تفد نفسك كل نفس * اذا ما خفت من أمر تبالا

وعن ابن عباس أنهم قالوا لو نعلم أحب الاعمال الى الله لعملناه فنزلت هذه الآية فمكثوا ما شاء الله يقولون ليتنا نعلم ما هي فدلهم الله عليها بقوله تؤمنون وهذا دليل على أن تؤمنون كلام مستأنف وعلى أن الامر الوارد على النفوس بعد تشوف وتطلع منها اليه أوقع فيها وأقرب من قبولها له مما فوجئت به (ذلكم) يعني ما ذكر من الايمان والجهاد (خير لكم) من أموالكم وأنفسكم (فان قلت) ما معنى قوله (ان كنتم تعلمون) (قلت) معناه ان كنتم تعلمون أنه خير لكم كان خيراً لكم حينئذ لانكم اذا علمتم ذلك واعتقدتموه أحببتم الايمان والجهاد فوق ما تحبون أنفسكم وأموالكم فتخلصون وتفلحون (وأخرى تحبونها) ولكم الى هذه النعمة المذكورة من المغفرة والثواب في الآجلة نعمة أخرى عاجلة محبوبة اليكم ثم فسرها بقوله (نصر من الله وفتح قريب) أي عاجل وهو فتح مكة وقال الحسن فتح فارس والروم وفي تحبونها شيء من التوبيخ على محبة العاجل (فان قلت) علام عطف قوله (وبشر المؤمنين) (قلت) على تؤمنون لانه في معنى الامر كأنه قيل آمنوا وجاهدوا يثبكم الله وينصركم وبشر يا رسول الله المؤمنين بذلك (فان قلت) لم نصب من قرأ نصراً من الله وفتحاً قريباً (قلت) يجوز أن ينصب على الاختصاص أو على تنصرون نصراً ويفتح لكم فتحاً أو على يغفر لكم ويدخلكم جنات ويؤتكم أخرى نصراً من الله وفتحاً قريباً كونوا أنصار الله وأنصاراً لله وقرأ ابن مسعود كونوا أنتم أنصار الله وفيه زيادة حث النصرة عليهم (فان قلت) ما وجه صحة التشبيه وظاهره تشبيه كونهم أنصاراً بقول عيسى صلوات الله عليه (من أنصاري الى الله) (قلت) التشبيه محمول على المعنى وعليه يصح والمراد كونوا أنصار الله كما كان الحواريون أنصار عيسى حين قال لهم من أنصاري الى الله (فان قلت) ما معنى قوله من أنصاري الى الله (قلت) يجب أن يكون معناه مطابقاً لجواب الحواريين (نحن أنصار الله) والذي يطابقه أن يكون المعنى من جندي متوجهاً الى نصرة الله واضافة أنصاري خلاف اضافة أنصار الله فان معنى نحن أنصار الله نحن الذين ينصرون الله ومعنى من أنصاري من الانصار الذين يختصون بي ويكونون معي في نصرة الله ولا يصح أن يكون معناه من ينصرني مع الله لانه لا يطابق الجواب والدليل عليه قراءة من قرأ

ان كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصاري الى الله قال الحواريون نحن أنصار الله

والله أعلم * قوله تعالى ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون (قال فيه معناه ان كنتم تعلمون انه خير لكم كان خيراً لكم الخ) قال أحمد كأنه يجري الشرط على حقيقته وليس بالظاهر لان علمهم لذلك محقق اذ الخطاب مع المؤمنين والظاهر أنه من وادي قوله يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا ان كنتم مؤمنين والمقصود بهذا الشرط التنبيه على المعنى الذي يقتضي الامتثال والهاب الحمية للطاعة كما تقول لمن تأمره بالانتصاف من عدوه ان كنت حراً فانتصر تريد أن تثير منه حمية الانتصار لا غير والله أعلم * قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين (قال ان قلت ما وجه التشبيه وظاهره تشبيه كونهم أنصار الخ) قال أحمد كلام حسن وتمام على الذي أحسن أن يميز بين الاضافتين المذكورتين بأن الاولى محضة والثانية غير محضة فتنبه لها والله الموفق

قرأ من أنصار الله والحواريون أصفياؤه وهم أول من آمن به وكانوا اثني عشر رجلا وحواري الرجل
صفيه وخلصانه من الحور وهو البياض الخالص والحواري الدرمك ومنه قوله عليه الصلاة والسلام
الزبير ابن عمتي وحواري من أمتي وقيل كانوا قصارين يحورون الثياب يبيضونها ونظير الحواري في زنته
الحوالي الكثير الحيلة (فآمنت طائفة) منهم بعيسى (وكفرت) به (طائفة فأيدنا) مؤمنيهم على كفارهم
فظهروا عليهم وعن زيد بن علي كان ظهورهم بالحجة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الصف
كان عيسى مصليا عليه مستغفرا له ما دام في الدنيا وهو يوم القيامة رفيقه

﴿سورة الجمعة مدنية وهي إحدى عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* قرئت صفات الله عز وعلا بالرفع على المدح كأنه قيل هو الملك القدوس ولو قرئت منصوبة لكان وجها
كقول العرب الحمد لله أهل الحمد * الأمي منسوب إلى أمة العرب لأنهم كانوا لا يكتبون ولا يقرؤون من بين
الأمم وقيل بدئت الكتابة بالطائف أخذوها من أهل الحيرة وأهل الحيرة من أهل الأنبار ومعنى (بعث في
الأميين رسولا منهم) بعث رجلا أميا في قوم أميين كما جاء في حديث شعياء أني أبعث أعمى في عميان وأميا في
أميين وقيل منهم كقوله تعالى من أنفسكم يعلمون نسبه وأحواله وقرئ في الأمين بحذف ياء النسب
(يتلو عليهم آياته) يقرؤها عليهم مع كونه أميا مثلهم لم تعهد منه قراءة ولم يعرف بتعلم وقراءة أمي بغير تعلم آية
بينة (ويزكيهم) ويطهرهم من الشرك وخبائث الجاهلية (ويعلمهم الكتاب والحكمة) القرآن والسنة
* وإن في (وإن كانوا) هي المخففة من الثقيلة واللام دليل عليها أي كانوا في ضلال لا ترى ضلالا أعظم منه
(وآخرين) مجرور عطف على الأميين يعني أنه بعثه في الأميين الذين على عهده وفي آخرين من الأميين لم
يلحقوا بهم بعد وسيلحقون بهم وهم الذين بعد الصحابة رضي الله عنهم وقيل لما نزلت قيل من هم يا رسول الله
فوضع يده على سلمان ثم قال لو كان الإيمان عند الثريا لتناوله رجال من هؤلاء وقيل هم الذين يأتون من
بعدهم إلى يوم القيامة ويجوز أن ينتصب عطفا على المنصوب في ويعلمهم أي يعلمهم ويعلم آخرين لأن التعليم
إذا تناسق إلى آخر الزمان كان كله مستندا إلى أوله فكأنه هو الذي تولى كل ما وجد منه (وهو العزيز الحكيم)
في تمكينه رجلا أميا من ذلك الأمر العظيم وتأييده عليه واختياره إياه من بين كافة البشر (ذلك) الفضل
الذي أعطاه محمدا وهو أن يكون نبي أبناء عصره ونبي أبناء العصور الغوابر هو (فضل الله يؤتيه من يشاء)
إعطاءه وتقتضيه حكمته * شبه اليهود في أنهم حملة التوراة وقراؤها وحفاظ ما فيها ثم إنهم غير عاملين بها ولا
منتفعين بآياتها وذلك أن فيها نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم والبشارة به ولم يؤمنوا به بالحمار حمل أسفارا
أي كتبا كبارا من كتب العلم فهو يمشي بها ولا يدري منها إلا ما يمر بجنبيه وظهره من الكد والتعب وكل من
علم ولم يعمل بعلمه فهذا مثله وبئس المثل (بئس) مثلا (مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله) وهم اليهود الذين
كذبوا بآيات الله الدالة على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم * ومعنى حملوا التوراة كلفوا علمها والعمل بها
* ثم لم يحملوها ثم لم يعملوا بها فكأنهم لم يحملوها وقرئ حملوا التوراة أي حملوها ثم لم يحملوها الحقيقة لفقد
العمل * وقرئ يحمل الأسفار (فإن قلت) يحمل ما محله (قلت) النصب على الحال أو الجر على الوصف لأن الحمار
كاللئيم في قوله * ولقد أمر على اللئيم يسبني * هاد يهود إذا تهود (أولياء الله) كانوا يقولون نحن أبناء الله
وأحباؤه أي إن كان قولكم حقا وكنتم على ثقة (فتمنوا) على الله أن يميتكم وينقلكم سريعا إلى دار كرامته التي
أعدها لأوليائه ثم قال (ولا يتمنونه أبدا) بسبب ما قدموا من الكفر وقد قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
والذي نفسي بيده لا يقولها أحد منكم إلا غص بريقه فلولا أنهم كانوا موقنين بصدق رسول الله صلى الله عليه
وسلم لتمنوا ولكنهم علموا أنهم لو تمنوا لماتوا من ساعتهم ولحقهم الوعيد فما تمالك أحد منهم أن يتمنى وهي إحدى
المعجزات وقرئ فتمنوا الموت بكسر الواو تشبيها بلو استطعنا * ولا فرق بين لا ولن في أن كل واحدة منهما

فآمنت طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين

﴿سورة الجمعة مدنية وهي إحدى عشرة آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

يسبح لله ما في السموات وما في الأرض الملك القدوس العزيز الحكيم هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين قل يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين ولا يتمنونه أبدا

(القول في سورة الجمعة)
(بسم الله الرحمن الرحيم)
* قوله تعالى كمثل الحمار يحمل أسفارا (قال فيه إما أن يكون
قوله يحمل حالا كقوله ولقد أمر على اللئيم يسبني) فإن قيل يريد أن المراد فيه الجنس تعريفه وتنكيره سواء

بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين قل ان الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون يا أيها الذين آمنوا اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة

نفي المستقبل الا أن في لن تأكيدا وتشديدا ليس في لا فأتى مرة بلفظ التأكيد ولن يتمنوه ومرة بغير لفظه ولا يتمنونه ثم قيل لهم (ان الموت الذي تفرون منه) ولا تجسرون أن تتمنوه خيفة أن تؤخذوا بوبال كفركم لا تفوتونه وهو ملاقيكم لا محالة (ثم تردون) الى الله فيجازيكم بما أنتم أهله من العقاب وقرأ زيد بن علي رضي الله عنه انه ملاقيكم وفي قراءة ابن مسعود تفرون منه ملاقيكم وهي ظاهرة وأما التي بالفاء فلتضمن الذي معنى الشرط وقد جعل ان الموت الذي تفرون منه كلاما برأسه في قراءة زيد أي ان الموت هو الشيء الذي تفرون منه ثم استؤنف انه ملاقيكم * يوم الجمعة يوم الفوج المجموع كقولهم ضحكة للمضحوك منه ويوم الجمعة بفتح الميم يوم الوقت الجامع كقولهم ضحكة ولعنة ولعبة ويوم الجمعة تثقيل للجمعة كما قيل عسرة في عسرة وقرئ بهن جميعا (فان قلت) من في قوله (من يوم الجمعة) ما هي (قلت) هي بيان لاذا وتفسير له * والنداء الاذان وقالوا المراد به الاذان عند قعود الامام على المنبر وقد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم مؤذن واحد فكان اذا جلس على المنبر اذن على باب المسجد فاذا نزل أقام الصلاة ثم كان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما على ذلك حتى اذا كان عثمان وكثر الناس وتباعدت المنازل زاد مؤذنا آخر فأمر بالتأذين الاول على داره التي تسمى زوراء فاذا جلس على المنبر أذن المؤذن الثاني فاذا نزل أقام الصلاة فلم يعب ذلك عليه وقيل أول من سماها جمعة كعب بن لؤي وكان يقال لها العروبة وقيل ان الانصار قالوا لليهود يوم يجتمعون فيه كل سبعة أيام وللنصارى مثل ذلك فهلموا نجعل لنا يوما نجتمع فيه فنذكر الله فيه ونصلي فقالوا يوم السبت لليهود ويوم الاحد للنصارى فاجعلوه يوم العروبة فاجتمعوا الى سعد بن زرارة فصلى بهم يومئذ ركعتين وذكرهم فسموه يوم الجمعة لاجتماعهم فيه فأنزل الله آية الجمعة فهي أول جمعة كانت في الاسلام وأما أول جمعة جمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم فهي أنه لما قدم المدينة مهاجرا نزل قباء على بني عمرو بن عوف وأقام بها يوم الاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس وأسس مسجدهم ثم خرج يوم الجمعة عامدا المدينة فأدركته صلاة الجمعة في بني سالم بن عوف في بطن واد لهم فخطب وصلى الجمعة وعن بعضهم قد أبطل الله قول اليهود في ثلاث افتخروا بأنهم أولياء الله وأحباؤه فكذبهم في قوله فتمنوا الموت ان كنتم صادقين وبأنهم أهل الكتاب والعرب لا كتاب لهم فشبههم بالحمار يحمل أسفارا وبالسبت وأنه ليس للمسلمين مثله فشرع الله لهم الجمعة وعن النبي صلى الله عليه وسلم خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة وفيه أهبط الى الارض وفيه تقوم الساعة وهو عند الله يوم المزيد وعنه عليه السلام أتاني جبريل وفي كفه مرآة بيضاء وقال هذه الجمعة يعرضها عليك ربك لتكون لك عيدا ولامتك من بعدك وهو سيد الايام عندنا ونحن ندعوه الى الآخرة يوم المزيد وعنه صلى الله عليه وسلم ان لله تعالى في كل جمعة ستمائة ألف عتيق من النار وعن كعب ان الله فضل من البلدان مكة ومن الشهور رمضان ومن الايام الجمعة وقال عليه السلام من مات يوم الجمعة كتب الله له أجر شهيد ووقي فتنة القبر وفي الحديث اذا كان يوم الجمعة قعدت الملائكة على أبواب المسجد بأيديهم صحف من فضة وأقلام من ذهب يكتبون الاول فالاول على مراتبهم وكانت الطرقات في أيام السلف وقت السحر وبعد الفجر مغتصة بالمبكرين الى الجمعة يمشون بالسرج وقيل أول بدعة أحدثت في الاسلام ترك البكور الى الجمعة وعن ابن مسعود أنه بكر فرأى ثلاثة نفر سبقوه فاغتم وأخذ يعاتب نفسه يقول أراك رابع أربعة وما رابع أربعة بسعيد ولا تقام الجمعة عند أبي حنيفة رضي الله عنه الا في مصر جامع لقوله عليه السلام لا جمعة ولا تشريق ولا فطر ولا أضحى الا في مصر جامع والمصر الجامع ما أقيمت فيه الحدود ونفذت فيه الاحكام ومن شروطها الامام أو من يقوم مقامه لقوله عليه السلام فمن تركها وله امام عادل أو جائر الحديث وقوله صلى الله عليه وسلم أربع الى الولاة الفيء والصدقات والحدود والجمعات فان أم رجل بغير اذن الامام أو من ولاه من قاض أو صاحب شرطة لم يجز فان لم يمكن الاستئذان فاجتمعوا على واحد فصلى بهم جاز وهي تنعقد بثلاثة سوى الامام وعند الشافعي بأربعين ولا جمعة على المسافرين والعبيد والنساء والمرضى والزمنى ولا على الاعمى عند أبي حنيفة ولا على الشيخ الذي لا يمشي الا بقائد وقرأ عمر وابن عباس وابن مسعود وغيرهم فامضوا وعن عمر

* قوله تعالى فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع (قال استدل بذلك على مذهب أبي حنيفة رحمه الله الخ) قال أحمد لا دليل فان العرب تسمي الشيء باسم بعض ما يشتمل عليه كما سميت الصلاة مرة قرآنا ومرة سجودا ومرة ركوعا لانها مشتملة على ذلك فكذلك الخطبة لما كانت مشتملة على ذكر الله سميت به ولا يلزم أن يكون كذلك كل ما اشتملت عليه لا سيما والمسمى خطبة عند العرب لا بد وأن يزيد على القدر الذي اكتفى به أبو حنيفة قال بعض أصحاب مالك رحمه الله أقلها حمد الله والصلاة على نبيه وتحذير وتبشير وقرآن (ثم اتبع الزمخشري) الاستدلال على مذهب أبي حنيفة بالآية بأثر عن عثمان وهو انه صعد المنبر فقال ان أبا بكر وعمر كانا يعدان لهذا المقام مقالا وانكم الى امام فعال أحوج منكم الى امام قوال وستأتيكم الخطب ثم نزل وكان ذلك بحضرة الصحابة فلم ينكره عليه أحد انتهى كلامه) قال أحمد أساء بلا اشتباه فان عثمان لم يصدر ذلك منه في خطبة الجمعة وانما كان ذلك في ابتداء خلافته وصعوده المنبر للبيعة وكانت عادة العرب الخطب في المهمات ألا ترى الى قوله وستأتيكم بعد ذلك الخطب فان ذلك يحقق أن مقالته هذه ليست بخطبة ولو كان في الجمعة لكان تاركا للخطبة بالكلية وهي منقولة في التاريخ انه أرتج عليه فقال سيجعل الله بعد عسر يسرا وبعد عي بيانا وانكم الى امام فعال أحوج منكم الى امام قوال وستأتيكم الخطب بعد كلامه (قال ان قلت كيف فسر ذكر الله بالخطبة وفيها ذكر غير الله وأجاب بأن ذكر رسول الله والصحابة والخلفاء الراشدين الخ) قال أحمد الدعاء للسلطان الواجب الطاعة مشروع بكل حال وقد نقل عن بعض السلف أنه دعا لسلطان ظالم فقيل له أتدعو له وهو ظالم فقال اي والله أدعو له ان ما يدفع الله ببقائه أعظم مما يندفع بزواله لا سيما اذا ضمن ذلك الدعاء بصلاحه وسداده وتوفيقه والله الموفق

رضي الله عنه أنه سمع رجلا يقرأ فاسعوا فقال من أقرأك هذا قال أبي بن كعب فقال لا يزال يقرأ بالمنسوخ لو كانت فاسعوا لسعيت حتى يسقط ردائي وقيل المراد بالسعي القصد دون العدو والسعي التصرف في كل عمل ومنه قوله تعالى فلما بلغ معه السعي وأن ليس للانسان الا ما سعى وعن الحسن ليس السعي على الأقدام ولكنه على النيات والقلوب وذكر محمد بن الحسن رحمه الله في موطئه أن ابن عمر سمع الاقامة وهو بالبقيع فأسرع المشي قال محمد وهذا لا بأس به ما لم يجهد نفسه (الى ذكر الله) الى الخطبة والصلاة ولتسمية الله الخطبة ذكر الله قال أبو حنيفة رحمه الله ان اقتصر الخطيب على مقدار يسمى ذكر الله كقوله الحمد لله سبحان الله جاز وعن عثمان أنه صعد المنبر فقال الحمد لله وأرتج عليه فقال ان أبا بكر وعمر كانا يعدان لهذا المقام مقالا وانكم الى امام فعال أحوج منكم الى امام قوال وستأتيكم الخطب ثم نزل وكان ذلك بحضرة الصحابة ولم ينكر عليه أحد وعند صاحبيه والشافعي لا بد من كلام يسمى خطبة (فان قلت) كيف يفسر ذكر الله بالخطبة وفيها ذكر غير الله (قلت) ما كان من ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم والثناء عليه وعلى خلفائه الراشدين وأتقياء المؤمنين والموعظة والتذكير ففي حكم ذكر الله فأما ما عدا ذلك من ذكر الظلمة وألقابهم والثناء عليهم والدعاء لهم وهم أحقاء بعكس ذلك فمن ذكر الشيطان وهو من ذكر الله على مراحل واذا قال المنصت للخطبة لصاحبه صه فقد لغا أفلا يكون الخطيب الغالي في ذلك لاغيا نعوذ بالله من غربة الاسلام ونكد الايام * أراد الأمر بترك ما يذهل عن ذكر الله من شواغل الدنيا وانما خص البيع من بينها لأن يوم الجمعة يوم يهبط الناس فيه من قراهم وبواديهم وينصبون الى المصر من كل أوب ووقت هبوطهم واجتماعهم واغتصاص الاسواق بهم اذا انتفخ النهار وتعالى الضحى ودنا وقت الظهيرة وحينئذ تحر التجارة ويتكاثر البيع والشراء فلما كان ذلك الوقت مظنة الذهول بالبيع عن ذكر الله والمضي الى المسجد قيل لهم بادروا تجارة الآخرة واتركوا تجارة الدنيا واسعوا الى ذكر الله الذي لا شيء أنفع منه وأربح (وذروا البيع) الذي نفعه يسير وربحه مقارب (فان قلت) فاذا كان البيع في هذا الوقت مأمورا بتركه محرما فهل هو فاسد (قلت) عامة العلماء على أن ذلك لا يوجب فساد البيع قالوا لأن البيع لم يحرم لعينه ولكن لما فيه من الذهول عن الواجب فهو كالصلاة في الأرض المغصوبة والثوب المغصوب والوضوء بماء مغصوب وعن بعض الناس أنه فاسد * ثم أطلق لهم ما حظر عليهم بعد قضاء الصلاة من الانتشار وابتغاء الربح مع التوصية باكثار الذكر وأن لا يلهيهم شيء من تجارة ولا غيرها عنه وأن تكون هممهم في جميع أحوالهم وأوقاتهم موكلة به لا ينفضون عنه لأن فلاحهم فيه وفوزهم منوط به وعن ابن عباس لم يؤمروا بطلب شيء من الدنيا انما هو عيادة المرضى وحضور الجنائز وزيارة أخ في الله وعن الحسن وسعيد بن المسيب طلب العلم وقيل صلاة التطوع وعن بعض السلف أنه كان يشغل نفسه بعد الجمعة بشيء من أمور الدنيا نظرا في هذه الآية * روي أن أهل المدينة أصابهم جوع وغلاء شديد فقدم دحية بن خليفة بتجارة من زيت الشام والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة فقاموا اليه خشوا أن يسبقوا اليه فما بقي معه الا يسير قيل ثمانية وأحد عشر واثنا عشر وأربعون فقال عليه السلام والذي نفس محمد بيده لو خرجوا جميعا لأضرم الله عليهم الوادي نارا وكانوا اذا أقبلت العير استقبلوها بالطبل

فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون فاذا قضيت الصلوة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون واذا رأوا تجارة أو لهوا

﴿القول في سورة المنافقين﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ * قوله تعالى اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون (قال انما كذبهم لانهم ادعوا أن شهادتهم بألسنتهم تواطئ لقلوبهم الخ) قال أحمد ومثل هذا من نمطه المليح قوله قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا وقد كان المطابق لقوله ولكن قولوا أسلمنا أن يقال لهم لا تقولوا آمنا ولكنه لما كان موهما النهي عن قول الايمان عدل عنه على ما فيه من الطباق الى ما سلم الكلام فيه من الوهم وذلك أجل وأعظم من فائدة المطابقة لاسيما في مخاطبة هؤلاء الذين كانوا يتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة ألا تراهم كيف غالطوا أنفسهم متغابين وليسوا على شغفهم متجاهلين (٤٤٠) عندما أنزل قوله انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم * عاد كلامه (قال استدلال لأبي حنيفة على أن قول القائل أشهد يمين بقوله اتخذوا أيمانهم جنة ولم يصدر منهم الا قولهم نشهد انك لرسول الله فجعله يمينا) قال أحمد أحد القولين عند مالك رحمه الله اذا قال أشهد وأحلف وأقسم ولم يقل بالله ولا بغيره كما نقل عن أبي حنيفة انه يمين وليس بالمشهور وأما لو نوى بالله وان لم يتلفظ فيمين بلا اشكال وليس فيما ذكره دليل على ما ذكره فان قوله اتخذوا أيمانهم جنة غايته ان ما ذكره يسمى يمينا وليس الخلاف في تسميته يمينا وانما الخلاف هل يكون يمينا منعقدة يلزم بالحنث فيها كفارة أم لا وليس كل ما يسمى حلفا أو قسما يوجب حكما ألا ترى انه لو قال أحلف ولم يقل بالله ولا بغيره فهو من محل الخلاف في وجوب الكفارة به وان كان حلفا لغة باتفاق لانه فعل مشتق منه * عاد كلامه قوله تعالى ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا (قال فيه المنافقون لم يكونوا الا على الكفر الثابت الدائم الخ) قال أحمد ويحتمل وجها رابعا وهو انهم آمنوا به قبل مبعثه على الصفة المذكورة في التوراة لانهم كانوا يسمعونها من جيرانهم اليهود ثم كفروا به بعد مبعثه وموافقة الصفة وأهل في المنافقين يهود وان لم يكن فقد كانت الايمان قبل مبعثه من الفريقين اليهود وعبدة الاوثان من العرب الى نزول قوله لم يكن الذين

والتحقيق فهو المراد باللهو وعن قتادة فعلوا ذلك ثلاث مرات في كل مقدم عير (فان قلت) فان اتفق تفرق الناس عن الامام في صلاة الجمعة كيف يصنع (قلت) ان بقي وحده أو مع أقل من ثلاث فعند أبي حنيفة يستأنف الظهر اذا نفروا عنه قبل الركوع وعند صاحبيه اذا كبروهم معه مضى فيها وعند زفر اذا نفروا قبل التشهد بطلت (فان قلت) كيف قال (اليها) وقد ذكر شيئين (قلت) تقديره اذا رأوا تجارة انفضوا اليها أو لهوا انفضوا اليه فحذف أحدهما لدلالة المذكور عليه وكذلك قراءة من قرأ انفضوا اليه وقراءة من قرأ لهوا أو تجارة انفضوا اليها وقرئ اليهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الجمعة أعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من أتى الجمعة وبعدد من لم يأتها في أمصار المسلمين

﴿سورة المنافقين مدنية وهي احدى عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* أرادوا بقولهم (نشهد انك لرسول الله) شهادة واطأت فيها قلوبهم ألسنتهم فقال الله عز وجل قالوا ذلك (والله يعلم) أن الامر كما يدل عليه قولهم انك لرسول الله والله يشهد انهم لكاذبون في قولهم نشهد وادعائهم فيه المواطأة أو انهم لكاذبون فيه لانه اذا خلا عن المواطأة لم يكن شهادة في الحقيقة فهم كاذبون في تسميته شهادة أو أراد والله يشهد انهم لكاذبون عند أنفسهم لانهم كانوا يعتقدون أن قولهم انك لرسول الله كذب وخبر على خلاف ما عليه حال المخبر عنه (فان قلت) أي فائدة في قوله تعالى والله يعلم انك لرسوله (قلت) لو قال قالوا نشهد انك لرسول الله والله يشهد انهم لكاذبون لكان يوهم أن قولهم هذا كذب فوسط بينهما قوله والله يعلم انك لرسوله ليميط هذا الايهام (اتخذوا أيمانهم جنة) يجوز أن يراد أن قولهم نشهد انك لرسول الله يمين من أيمانهم الكاذبة لان الشهادة تجري مجرى الحلف فيما يراد به من التوكيد يقول الرجل أشهد وأشهد بالله وأعزم وأعزم بالله في موضع أقسم وأولي وبه استشهد أبو حنيفة رحمه الله على أن أشهد يمين ويجوز أن يكون وصفا للمنافقين في استجنانهم بالايمان وقرأ الحسن البصري ايمانهم أي ما أظهروه من الايمان بألسنتهم ويعضده قوله تعالى ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا (ساء ما كانوا يعملون) من نفاقهم وصدهم الناس عن سبيل الله وفي ساء معنى التعجب الذي هو تعظيم أمرهم عند السامعين (ذلك) اشارة الى قوله ساء ما كانوا يعملون أي ذلك القول الشاهد عليهم بأنهم أسوأ الناس أعمالا (ب)سبب (أنهم آمنوا ثم كفروا) أو الى ما وصف من حالهم في النفاق والكذب والاستجنان بالايمان أي ذلك كله بسبب أنهم آمنوا ثم كفروا (فطبع على قلوبهم) فجسروا على كل عظيمة (فان قلت) المنافقون لم يكونوا الا على الكفر الثابت الدائم فما معنى قوله آمنوا ثم كفروا

انفضوا اليها وتركوك قائما قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين

﴿سورة المنافقين مدنية وهي احدى عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله انهم ساء ما كانوا يعملون ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون واذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وان يقولوا تسمع لقولهم

(قلت) فيه ثلاثة أوجه أحدها آمنوا أي نطقوا بكلمة الشهادة وفعلوا كما يفعل من يدخل في الإسلام ثم كفروا ثم ظهر كفرهم بعد ذلك وتبين بما اطلع عليه من قولهم إن كان ما يقوله محمد حقا فنحن حمير وقولهم في غزوة تبوك أيطمع هذا الرجل أن تفتح له قصور كسرى وقيصر هيهات ونحوه قوله تعالى يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم أي وظهر كفرهم بعد أن أسلموا ونحوه قوله تعالى لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم والثاني آمنوا أي نطقوا بالإيمان عند المؤمنين ثم نطقوا بالكفر عند شياطينهم استهزاء بالإسلام كقوله تعالى وإذا لقوا الذين آمنوا إلى قوله تعالى إنما نحن مستهزءون والثالث أن يراد أهل الردة منهم * وقرئ فطبع على قلوبهم وقرأ زيد بن علي فطبع الله * كان عبد الله بن أبي رجلا جسيما صبيحا فصيحا ذلق اللسان وقوم من المنافقين في مثل صفته وهم رؤساء المدينة وكانوا يحضرون مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فيستندون فيه ولهم جهارة المناظر وفصاحة الألسن فكان النبي صلى الله عليه وسلم ومن حضر يعجبون بهياكلهم ويسمعون إلى كلامهم (فإن قلت) ما معنى قوله (كأنهم خشب مسندة) (قلت) شبهوا في استنادهم وما هم إلا أجرام خالية عن الإيمان والخير بالخشب المسندة إلى الحائط ولأن الخشب إذا انتفع به كان في سقف أو جدار أو غيرهما من مظان الانتفاع وما دام متروكا فارغا غير منتفع به أسند إلى الحائط فشبهوا به في عدم الانتفاع ويجوز أن يراد بالخشب المسندة الأصنام المنحوتة من الخشب المسندة إلى الحيطان شبهوا بها في حسن صورهم وقلة جدواهم * والخطاب في رأيتهم وتعجبك لرسول الله أو لكل من يخاطب * وقرئ يسمع على البناء للمفعول وموضع كأنهم خشب رفع على هم كأنهم خشب أو هو كلام مستأنف لا محل له * وقرئ خشب جمع خشبة كبدنة وبدن وخشب كثمرة وثمر وخشب كمدرة ومدر وهي في قراءة ابن عباس وعن اليزيدي أنه قال في خشب جمع خشباء والخشباء الخشبة التي دعر جوفها شبهوا بها في نفاقهم وفساد بواطنهم (عليهم) ثاني مفعولي يحسبون أي يحسبون كل صيحة واقعة عليهم وضارة لهم لجبنهم وهلعهم وما في قلوبهم من الرعب إذا نادى مناد في العسكر أو انفلتت دابة أو أنشدت ضالة ظنوه إيقاعا بهم وقيل كانوا على وجل من أن ينزل الله فيهم ما يهتك أستارهم ويبيح دماءهم وأموالهم ومنه أخذ الأخطل

ما زلت تحسب كل شيء بعدهم * خيلا تكر عليهم ورجالا

يوقف على عليهم ويبتدأ (هم العدو) أي الكاملون في العداوة لأن أعدى الأعداء العدو المداجي الذي يكاشرك وتحت ضلوعه الداء الدوي (فاحذرهم) ولا تغترر بظاهرهم ويجوز أن يكون هم العدو المفعول الثاني كما لو طرحت الضمير (فإن قلت) فحقه أن يقال هي العدو (قلت) منظور فيه إلى الخبر كما ذكر في هذا ربي وأن يقدر مضاف محذوف على يحسبون كل أهل صيحة (قاتلهم الله) دعاء عليهم وطلب من ذاته أن يلعنهم ويخزيهم أو تعليم للمؤمنين أن يدعوا عليهم بذلك (أنى يؤفكون) كيف يعدلون عن الحق تعجبا من جهلهم وضلالتهم (لووا رءوسهم) عطفوها وأمالوها إعراضا عن ذلك واستكبارا قرئ بالتخفيف والتشديد للتكثير روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين لقي بني المصطلق على المريسيع وهو ماء لهم وهزمهم وقتل منهم ازدحم على الماء جهجاه بن سعيد أجير لعمر يقود فرسه وسنان الجهني حليف لعبد الله بن أبي واقتتلا فصرخ جهجاه بالمهاجرين وسنان بالأنصار فأعان جهجاها جعال من فقراء المهاجرين ولطم سنانا فقال عبد الله لجعال وأنت هناك وقال ما صحبنا محمدا إلا لنلطم والله ما مثلنا ومثلهم إلا كما قال سمن كلبك يأكلك أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل عنى بالأعز نفسه وبالأذل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال لقومه ماذا فعلتم بأنفسكم أحللتموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم أما والله لو أمسكتم عن جعال وذويه فضل الطعام لم يركبوا رقابكم ولأوشكوا أن يتحولوا عنكم فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول محمد فسمع بذلك زيد بن أرقم وهو حدث فقال أنت والله الذليل القليل المبغض في قومك ومحمد في عز من الرحمن وقوة من

والبينة النبي صلى الله عليه وسلم * قوله تعالى كأنهم خشب مسندة (قال فيه كانوا يحضرون مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ويستندون في المجلس ولهم جهارة المناظر وفصاحة الألسن الخ) قال أحمد وفيما قال الزمخشري نظر من حيث مقتضى العربية وإلا فهو متمكن المعنى وذلك

كأنهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رءوسهم ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون

أنها قرئت بضم الشين وسكونها فهما قراءتان مستفيضتان ففيه دليل أن أصلها الضم والسكون إنما هو طارئ عليه تخفيفا وهذا يبعد كونها جمع خشباء على وزن فعلاء لأن قياس جمعه فعل بسكون العين كحمراء وحمر ولا يطرأ الضم فلو كان كما قال لم تضم شينها والله تعالى أعلم * قوله تعالى يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو (قال المفعول الثاني عليهم تقديره واقعة عليهم الخ) قال أحمد وغلا المتنبي في المعنى فقال وضاقت الأرض حتى صار هاربهم * إذا رأى غير شيء ظنه رجلا عاد كلامه (قال) ويوقف على قوله عليهم ويبتدأ هم العدو أي الأعداء الكاملون الخ

المسلمين فقال عبد الله اسكت فإنما كنت ألعب فأخبر زيد رسول الله فقال عمر دعني أضرب عنق هذا المنافق يا رسول الله فقال إذن ترعد أنف كثيرة بيثرب قال فإن كرهت أن يقتله مهاجري فأمر به أنصاريا فقال فكيف إذا تحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه وقال عليه الصلاة والسلام لعبد الله أنت صاحب الكلام الذي بلغني قال والله الذي أنزل عليك الكتاب ما قلت شيئا من ذلك وإن زيدا لكاذب فهو قوله تعالى اتخذوا أيمانهم جنة فقال الحاضرون يا رسول الله شيخنا وكبيرنا لا تصدق عليه كلام غلام عسى أن يكون قد وهم وروي أن رسول الله قال له لعلك غضبت عليه قال لا قال فلعله أخطأ سمعك قال لا قال فلعله شبه عليك قال لا فلما نزلت لحق رسول الله زيدا من خلفه فعرك أذنه وقال وفت أذنك يا غلام إن الله قد صدقك وكذب المنافقين ولما أراد عبد الله أن يدخل المدينة اعترضه ابنه حباب وهو عبد الله بن عبد الله غير رسول الله اسمه وقال إن حبابا اسم شيطان وكان مخلصا وقال وراءك والله لا تدخلها حتى تقول رسول الله الأعز وأنا الأذل فلم يزل حبيسا في يده حتى أمره رسول الله بتخليته وروي أنه قال له لئن لم تقر لله ورسوله بالعز لأضربن عنقك فقال ويحك أفاعل أنت قال نعم فلما رأى منه الجد قال أشهد أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين فقال رسول الله لابنه جزاك الله عن رسوله وعن المؤمنين خيرا فلما بان كذب عبد الله قيل له قد نزلت فيك آي شداد فاذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغفر لك فلوى رأسه ثم قال أمرتموني أن أومن فآمنت وأمرتموني أن أزكي مالي فزكيت فما بقي إلا أن أسجد لمحمد فنزلت وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله ولم يلبث إلا أياما قلائل حتى اشتكى ومات (سواء عليهم) الاستغفار وعدمه لأنهم لا يلتفتون إليه ولا يعتدون به لكفرهم أو لأن الله لا يغفر لهم * وقرئ استغفرت على حذف حرف الاستفهام لأن أم المعادلة تدل عليه وقرأ أبو جعفر آستغفرت إشباعا لهمزة الاستفهام للإظهار والبيان لا قلبا لهمزة الوصل ألفا كما في آلسحر وآلله (ينفضوا) يتفرقوا وقرئ ينفضوا من أنفض القوم إذا فنيت أزوادهم وحقيقته حان لهم أن ينفضوا مزاودهم (ولله خزائن السموات والأرض) وبيده الأرزاق والقسم فهو رازقهم منها وإن أبى أهل المدينة أن ينفقوا عليهم ولكن عبد الله وأضرابه جاهلون (لا يفقهون) ذلك فيهذون بما يزين لهم الشيطان * وقرئ ليخرجن الأعز منها الأذل بفتح الياء وليخرجن على البناء للمفعول وقرأ الحسن وابن أبي عبلة لنخرجن بالنون ونصب الأعز والأذل ومعناه خروج الأذل أو إخراج الأذل أو مثل الأذل (ولله العزة) الغلبة والقوة ولمن أعزه الله وأيده من رسوله ومن المؤمنين وهم الأخصاء بذلك كما أن الذلة والهوان للشيطان وذويه من الكافرين والمنافقين وعن بعض الصالحات وكانت في هيئة رثة ألست على الإسلام وهو العز الذي لا ذل معه والغنى الذي لا فقر معه وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما أن رجلا قال له إن الناس يزعمون أن فيك تيها قال ليس بتيه ولكنه عزة وتلا هذه الآية (لا تلهكم) لا تشغلكم (أموالكم) والتصرف فيها والسعي في تدبير أمرها والتهالك على طلب النماء فيها بالتجارة والاغتلال وابتغاء النتاج والتلذذ بها والاستمتاع بمنافعها (ولا أولادكم) وسروركم بهم وشفقتكم عليهم والقيام بمؤنهم وتسوية ما يصلحهم من معايشهم في حياتكم وبعد مماتكم وقد عرفتم قدر منفعة الأموال والأولاد وأنه أهون شيء وأدونه في جنب ما عند الله (عن ذكر الله) وإيثاره عليها (ومن يفعل ذلك) يريد الشغل بالدنيا عن الدين (فأولئك هم الخاسرون) في تجارتهم حيث باعوا العظيم الباقي بالحقير الفاني وقيل ذكر الله الصلوات الخمس وعن الحسن جميع الفرائض كأنه قال عن طاعة الله وقيل القرآن وعن الكلبي الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم * من في (مما رزقناكم) للتبعيض والمراد الإنفاق الواجب (من قبل أن يأتي أحدكم الموت) من قبل أن يرى دلائل الموت ويعاين ما ييأس معه من الإمهال ويضيق به الخناق ويتعذر عليه الإنفاق ويفوت وقت القبول فيتحسر على المنع ويعض أنامله على فقد ما كان متمكنا منه وعن ابن عباس رضي الله عنه تصدقوا قبل أن ينزل عليكم سلطان الموت فلا تقبل توبة ولا ينفع عمل وعنه ما يمنع أحدكم إذا كان له مال أن يزكي وإذا أطاق الحج أن يحج من قبل أن يأتيه الموت فيسأل ربه الكرة فلا يعطاها وعنه أنها نزلت في مانعي الزكاة ووالله لو رأى خيرا لما سأل الرجعة فقيل له أما تتقي الله يسأل

سواء عليهم أستغفرت
لهم أم لم تستغفر لهم
لن يغفر الله لهم إن الله
لا يهدي القوم الفاسقين
هم الذين يقولون
لا تنفقوا على من عند
رسول الله حتى ينفضوا
ولله خزائن السموات
والأرض ولكن
المنافقين لا يفقهون
يقولون لئن رجعنا إلى
المدينة ليخرجن الأعز
منها الأذل ولله العزة
ولرسوله وللمؤمنين
ولكن المنافقين لا يعلمون
يا أيها الذين آمنوا
لا تلهكم أموالكم ولا
أولادكم عن ذكر الله
ومن يفعل ذلك
فأولئك هم الخاسرون
وأنفقوا مما رزقناكم
من قبل أن يأتي أحدكم
الموت فيقول رب

﴿القول في سورة التغابن﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) * قوله تعالى هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن (قال فيه فمنكم آت بالكفر وفاعل له ومنكم آت بالإيمان الخ) قال أحمد لقد ركب عمياء وخبط خبط عشواء واقتحم وعر المسالك فيه هالك والعاثر فيه عاثر وإنما ينصب إلى مهاوي الإشراك ويحوم حول مراتع الأشراك ويحث ولكن على حقيقة نطالعه ونحقق وماهو إلا نتشدق ونحقق وما هو إلا نتسدق وهب أنه أعرض عن الأدلة العقلية والنصوص النقلية المتظافرة على أن الله تعالى خالق كل شئ

لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون

﴿سورة التغابن وهي ثماني عشرة آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

يسبح لله ما في السموات وما في الأرض له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن والله بما تعملون بصير خلق السموات والأرض بالحق وصوركم فأحسن صوركم وإليه المصير يعلم ما في السموات والأرض ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم

المؤمنين ... النكرة قال نعم أنا قرأ عليكم به قرآنا يعني أنها نزلت في المؤمنين وهم المخاطبون بها وكذا عن الحسن ما من أحد لم يزك ولم يصم ولم يحج إلا سأل الرجعة وعن عكرمة أنها نزلت في أهل القبلة (لولا أخرتني) * وقرئ أخرتن يريد هلا أخرت موتي (إلى أجل قريب) إلى زمان قليل (فأصدق) وقرأ أبي فأتصدق على الأصل وقرئ وأكن عطفا على محل فأصدق كأنه قيل إن أخرتني أصدق وأكن ومن قرأ وأكون على النصب فعلى اللفظ وقرأ عبيد بن عمير وأكون على وأنا أكون عدة منه بالصلاح (ولن يؤخر الله) نفي للتأخير على وجه التأكيد الذي معناه منافاة المنفي للحكمة والمعنى أنكم إذا علمتم أن تأخير الموت عن وقته مما لا سبيل إليه وأنه هاجم لا محالة وأن الله عليم بأعمالكم فمجاز عليها من منع واجب وغيره لم تبق إلا المسارعة إلى الخروج عن عهدة الواجبات والاستعداد للقاء الله * وقرئ تعملون بالتاء والياء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المنافقين برئ من النفاق

﴿سورة التغابن مختلف فيها وهي ثماني عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* قدم الظرفان ليدل بتقديمهما على معنى اختصاص الملك والحمد بالله عز وجل وذلك لأن الملك على الحقيقة له لأنه مبدئ كل شئ ومبدعه والقائم به والمهيمن عليه وكذلك الحمد لأن أصول النعم وفروعها منه وأما ملك غيره فتسليط منه واسترعاء وحمده اعتداد بأن نعمة الله جرت على يده (هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن) يعني فمنكم آت بالكفر وفاعل له ومنكم آت بالإيمان وفاعل له كقوله تعالى وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون والدليل عليه قوله تعالى (والله بما تعملون بصير) أي عالم بكفركم وإيمانكم اللذين هما من عملكم والمعنى هو الذي تفضل عليكم بأصل النعم الذي هو الخلق والإيجاد عن العدم فكان يجب أن تنظروا النظر الصحيح وتكونوا بأجمعكم عبادا شاكرين فما فعلتم مع تمكنكم بل تشعبتم شعبا وتفرقتم أمما فمنكم كافر ومنكم مؤمن وقدم الكفر لأنه الأغلب عليهم والأكثر فيهم وقيل هو الذي خلقكم فمنكم كافر بالخلق وهم الدهرية ومنكم مؤمن به (فإن قلت) نعم إن العباد هم الفاعلون للكفر ولكن قد سبق في علم الحكيم أنه إذا خلقهم لم يفعلوا إلا الكفر ولم يختاروا غيره فما دعاه إلى خلقهم مع علمه بما يكون منهم وهل خلق القبيح وخلق فاعل القبيح إلا واحد وهل مثله إلا مثل من وهب سيفا باترا لمن شهر بقطع السبيل وقتل النفس المحرمة فقتل به مؤمنا أما يطبق العقلاء على ذم الواهب وتعنيفه والدق في فروته كما يذمون القاتل بل إلحاقهم اللوائم بالواهب أشد (قلت) قد علمنا أن الله حكيم عالم بقبح القبيح عالم بغناه عنه فقد علمنا أن أفعاله كلها حسنة وخلق فاعل القبيح فعله فوجب أن يكون حسنا وأن يكون له وجه حسن وخفاء وجه الحسن علينا لا يقدح في حسنه كما لا يقدح في حسن أكثر مخلوقاته جهلنا بداعي الحكمة إلى خلقها (بالحق) بالغرض الصحيح والحكمة البالغة وهو أن جعلها مقار المكلفين ليعملوا فيجازيهم (وصوركم فأحسن صوركم) وقرئ صوركم بالكسر لتشكروا (وإليه المصير) فيجازيكم على الشكر والتفريط فيه (فإن قلت) كيف أحسن صورهم (قلت) جعلهم أحسن الحيوان كله وأبهاه بدليل أن الإنسان لا يتمنى أن تكون صورته على خلاف ما يرى من سائر الصور ومن حسن صورته أنه خلق منتصبا غير منكب كما قال عز وجل في أحسن تقويم (فإن قلت) فكم من دميم مشوه الصورة سمج تقتحمه العيون (قلت) لا سماجة ثم ولكن

واطرد له في الشاهد ما ادعاه ومن مذهبه قياس الغائب على الشاهد فقد ألجأه إلى الاعتراف بأن الله خالق العبد الفاعل القبيح وأن خلق العبد الفاعل للقبيح بمثابة إعطاء السيف الباتر للرجل الفاجر وإنا هذا قبيح شاهدا ولا يلزم أن يكون مثله قبيحا في خلق الله تعالى أفلا يجوز أن يكون منطويا على حكمة استأثر الله تعالى بعلمها فأي ثقة منه من دعوى أن أفعال العبد وإن استقبحها العقل لا مخلوقة لله تعالى وفي خلقها حكمة استأثر الله بعلمها وهل الفرق إذا إلا عين التحكم ونفس اتباع الهوى هذا دون تمكنه من اتباع

هذه القواعد أن تمكن من القتاد اخراط ومن الجمل أن يلج في سم الخياط * قوله تعالى واستغنى الله (قال فيه أطلق ليتناول كل شيء
ثم قال فإن قلت كان التولي فيهم الخ) قال أحمد إنما الحق أنه لم يخلق لهم إيمانا ولا قدرة عليه فكان قادرا أن يخلق

بذات الصدور ألم يأتكم
نبأ الذين كفروا من
قبل فذاقوا وبال
أمرهم ولهم عذاب أليم
ذلك بأنه كانت تأتيهم
رسلهم بالبينات فقالوا
أبشر يهدوننا فكفروا
وتولوا واستغنى الله والله
غني حميد زعم الذين
كفروا أن لن يبعثوا قل
بلى وربي لتبعثن ثم
لتنبؤن بما عملتم وذلك
على الله يسير فآمنوا
بالله ورسوله والنور
الذي أنزلنا والله بما
تعملون خبير يوم
يجمعكم ليوم الجمع ذلك
يوم التغابن ومن يؤمن
بالله ويعمل صالحا يكفر
عنه سيئاته ويدخله
جنات تجري من تحتها
الأنهار خالدين فيها أبدا
ذلك الفوز العظيم والذين
كفروا وكذبوا بآياتنا
أولئك أصحاب النار
خالدين فيها وبئس
المصير ما أصاب من
مصيبة إلا بإذن الله ومن
يؤمن بالله يهد قلبه
والله بكل شيء عليم
وأطيعوا الله وأطيعوا
الرسول فإن توليتم فإنما
على رسولنا البلاغ المبين
الله لا إله إلا هو وعلى
الله فليتوكل المؤمنون

الحسن كثيرة من المعاني على طبقات ومراتب فلانحطاط بعض الصور عن مراتب ما فوقها انحطاطا بينا وإضافتها إلى الموفى عليها لا تستملح ولا تذهب داخلة في حيز الحسن غير خارجة عن حده ألا ترى أنك قد تعجب بصورة وتستملحها ولا ترى الدنيا بها ثم ترى أملح وأعلى في مراتب الحسن منها فينبو عن الأولى طرفك وتستثقل النظر إليها بعد افتتانك بها وتهالكك عليها وقالت الحكماء شيئان لا غاية لهما الجمال والبيان * نبه بعلمه ما في السموات والأرض ثم بعلمه ما يسره العباد ويعلنونه ثم بعلمه ذوات الصدور أن شيئا من الكليات والجزئيات غير خاف عليه ولا عازب عنه فحقه أن يتقى ويحذر ولا يجترأ على شيء مما يخالف رضاه وتكرير العلم في معنى تكرير الوعيد وكل ما ذكره بعد قوله تعالى فمنكم كافر ومنكم مؤمن كما ترى في معنى الوعيد على الكفر وإنكار أن يعصى الخالق ولا تشكر نعمته فما أجهل من يمزج الكفر بالخلق ويجعله من جملته والخلق أعظم نعمة من الله على عباده والكفر أعظم كفران من العباد لربهم (ألم يأتكم) الخطاب لكفار مكة و(ذلك) إشارة إلى ما ذكر من الوبال الذي ذاقوه في الدنيا وما أعد لهم من العذاب في الآخرة (بأنه) بأن الشأن والحديث (كانت تأتيهم رسلهم * أبشر يهدوننا) أنكروا أن تكون الرسل بشرا ولم ينكروا أن يكون الله حجرا (واستغنى الله) أطلق ليتناول كل شيء ومن جملته إيمانهم وطاعتهم (فإن قلت) قوله وتولوا واستغنى الله يوهم وجود التولي والاستغناء معا والله تعالى لم يزل غنيا (قلت) معناه وظهر استغناء الله حيث لم يلجئهم إلى الإيمان ولم يضطرهم إليه مع قدرته على ذلك * الزعم ادعاء العلم ومنه قوله عليه السلام زعموا مطية الكذب وعن شريح لكل شيء كنية وكنية الكذب زعموا ويتعدى إلى المفعولين تعدي العلم قال ولم أزعمك عن ذلك معزلا * وأن مع ما في حيزه قائم مقامهما * والذين كفروا أهل مكة و(بلى) إثبات لما بعد لن وهو البعث (وذلك على الله يسير) أي لا يصرفه عنه صارف * وعنى برسوله والنور محمدا صلى الله عليه وسلم والقرآن * وقرئ نجمعكم ونكفر وندخله بالياء والنون (فإن قلت) بم انتصب الظرف (قلت) بقوله لتنبؤن أو بخبير لما فيه من معنى الوعيد كأنه قيل والله معاقبكم يوم يجمعكم أو بإضمار اذكر (ليوم الجمع) ليوم يجمع فيه الأولون والآخرون * التغابن مستعار من تغابن القوم في التجارة وهو أن يغبن بعضهم بعضا لنزول السعداء منازل الأشقياء التي كانوا ينزلونها لو كانوا سعداء ونزول الأشقياء منازل السعداء التي كانوا ينزلونها لو كانوا أشقياء وفيه تهكم بالأشقياء لأن نزولهم ليس بغبن وفي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من عبد يدخل الجنة إلا أري مقعده من النار لو أساء ليزداد شكرا وما من عبد يدخل النار إلا أري مقعده من الجنة لو أحسن ليزداد حسرة ومعنى (ذلك يوم التغابن) وقد يتغابن الناس في غير ذلك اليوم استعظام له وأن تغابنه هو التغابن في الحقيقة لا التغابن في أمور الدنيا وإن جلت وعظمت (صالحا) صفة للمصدر أي عملا صالحا (إلا بإذن الله) إلا بتقديره ومشيئته كأنه أذن للمصيبة أن تصيبه (يهد قلبه) يلطف به ويشرحه للازدياد من الطاعة والخير وقيل هو الاسترجاع عند المصيبة وعن الضحاك (يهد قلبه) حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه وعن مجاهد إن ابتلي صبر وإن أعطي شكر وإن ظلم غفر * وقرئ يهد قلبه على البناء للمفعول والقلب مرفوع أو منصوب ووجه النصب أن يكون مثل سفه نفسه أي يهد في قلبه ويجوز أن يكون المعنى أن الكافر ضال عن قلبه بعيد منه والمؤمن واجد له مهتد إليه كقوله تعالى إن كان له قلب وقرئ نهد قلبه بالنون ويهدأ قلبه بمعنى يهتدي ويهدأ قلبه يطمئن ويهد ويهدا على التخفيف (والله بكل شيء عليم) يعلم ما يؤثر فيه اللطف من القلوب مما لا يؤثر فيه فيمنحه ويمنعه (فإن توليتم) فلا عليه إذا توليتم لأنه لم يكتب عليه طاعتكم إنما كتب عليه أن يبلغ ويبين فحسب (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) بعث لرسول الله صلى الله عليه وسلم على التوكل عليه والتقوي به في أمره حتى ينصره على من كذبه وتولى عنه * إن من الأزواج أزواجا يعادين بعولتهن ويخاصمنهم ويجلبن عليهم ومن الأولاد أولادا

لهم الإيمان والقدرة عليه وإنما أحوج الزمخشري إلى قاعدته

يعادون

﴿القول في سورة الطلاق﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قوله تعالى يا أيها النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن (قال فيه خص النبي صلى الله عليه وسلم بالنداء وعم بالخطاب الخ) قال أحمد وعلى هذا الفرق جرى قوله تعالى حكاية عن فرعون قال فمن ربكما يا موسى فافرد موسى عليه السلام بالنداء لانه كان أجل الاثنين عليهما السلام وعمهما بالخطاب وقد تقدم فيه وجه آخر عاد كلامه (قال ومعنى فطلقوهن مستقبلات لعدتهن الخ) قال أحمد حمل القراءتين المستفيضة والشاذة على (٤٦٥) ان وقت الطلاق هو الوقت الذى تكون العدة مستقبلة بالنسبة اليه وادعى ان ذلك معنى المستقبل فيها ونظير

يعادون آباءهم ويعقونهم ويجرعونهم الغصص والاذى (فاحذروهم) الضمير للعدو أو للازواج والاولاد جميعا أى لما علمتم أن هؤلاء لا يخلون من عدو فكونوا منهم على حذر ولا تأمنوا غوائلهم وشرهم (وان تعفوا) عنهم اذا اطلعتم منهم على عداوة ولم تقابلوهم بمثلها فان الله يغفر لكم ذنوبكم ويكفر عنكم وقيل ان ناسا أرادوا الهجرة عن مكة فثبطهم أزواجهم وأولادهم وقالوا تنطلقون وتضيعونا فرقوا لهم ووقفوا فلما هاجروا بعد ذلك ورأوا الذين سبقوهم قد فقهوا أراد الذين أرادوا أن يعاقبوا أزواجهم وأولادهم فزين لهم العفو وقيل قالوا لهم أين تذهبون وتدعون بلدكم وعشيرتكم وأموالكم فغضبوا عليهم وقالوا لئن جمعنا الله في دار الهجرة لم نصبكم بخير فلما هاجروا منعوهم الخير فحثوا أن يعفوا عنهم ويردوا اليهم البر والصلة وقيل كان عوف بن مالك الاشجعي ذا أهل وولد فاذا أراد أن يغزو تعلقوا به وبكوا اليه ورققوه فكأنه هم بأذاهم فنزلت (فتنة) بلاء ومحنة لانهم يوقعون في الاثم والعقوبة ولا بلاء أعظم منهما الا ترى الى قوله (والله عنده أجر عظيم) وفى الحديث يؤتى برجل يوم القيامة فيقال أكل عياله حسناته وعن بعض السلف العيال سوس الطاعات وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان يخطب فجاء الحسن والحسين وعليهما قميصان أحمران يعثران ويقومان فنزل اليهما فأخذهما ووضعهما في حجره على المنبر فقال صدق الله انما أموالكم وأولادكم فتنة رأيت هذين الصبيين فلم أصبر عنهما ثم أخذ في خطبته وقيل اذا أمكنكم الجهاد والهجرة فلا يفتننكم الميل الى الاموال والاولاد عنهما (ما استطعتم) جهدكم ووسعكم أى ابذلوا فيها استطاعتكم (واسمعوا) ما توعظون به (وأطيعوا) فيما تؤمرون به وتنهون عنه (وأنفقوا) في الوجوه التي وجبت عليكم النفقة فيها (خيرا لانفسكم) نصب بمحذوف تقديره ائتوا خيرا لانفسكم وافعلوا ما هو خير لها وأنفع وهذا تأكيد للحث على امتثال هذه الاوامر وبيان لان هذه الامور خير لانفسكم من الاموال والاولاد وما أنتم عاكفون عليه من حب الشهوات وزخارف الدنيا وذكر القرض تلطف في الاستدعاء (يضاعفه لكم) يكتب لكم بالواحدة عشرا أو سبعمائة الى ما شاء من الزيادة وقرئ يضعفه (شكور) مجاز أى يفعل بكم ما يفعل المبالغ في الشكر من عظيم الثواب وكذلك (حليم) يفعل بكم ما يفعل من يحلم عن المسيء فلا يعاجلكم بالعقاب مع كثرة ذنوبكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة التغابن دفع عنه موت الفجأة

﴿سورة الطلاق مدنية وهى احدى عشرة أو اثنتا عشرة أو ثلاث عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* خص النبي صلى الله عليه وسلم بالنداء وعم بالخطاب لان النبى امام أمته وقدوتهم كما يقال لرئيس القوم وكبيرهم يا فلان افعلوا كيت وكيت اظهارا لتقدمه واعتبارا لترؤسه وأنه مدره قومه ولسانهم والذى يصدرون عن رأيه ولا يستبدون بأمر دونه فكان هو وحده في حكم كلهم وسادا مسد جميعهم ومعنى (اذا طلقتم النساء) اذا أردتم تطليقهن وهممتم به على تنزيل المقبل على الامر المشارف له منزلة الشارع فيه كقوله عليه السلام من قتل قتيلا فله سلبه ومنه كان الماشى الى الصلاة والمنتظر لها في حكم المصلى (فطلقوهن لعدتهن) فطلقوهن مستقبلات لعدتهن كقولك أتيته لليلة بقيت من المحرم أى مستقبلا لها وفى قراءة رسول الله

يا أيها الذين آمنوا ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا فان الله غفور رحيم انما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا وأنفقوا خيرا لانفسكم ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون ان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ويغفر لكم والله شكور حليم عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم

(سورة الطلاق مدنية وهى احدى عشرة آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

يا أيها النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن

اللام فيها باللام في قولك مؤرخا الليلة لليلة بقيت من المحرم وانما

يعنى ان العدة بالحيض كل ذلك تحامل لمذهب أبى حنيفة فى ان الاقراء الحيض ولا يتم له ذلك فقد استدل أصحابنا بالقراءة المستفيضة وأكدوا الدلالة بالشاذة على ان الاقراء الاطهار ووجه الاستدلال لها على ذلك ان الله تعالى جعل العدة وان كانت فى الاصل مصدرا ظرفا للطلاق المأمور به وكثيرا ما تستعمل العرب المصادر ظرفا مثل خفوق النجم ومقدم الحاج واذا كانت العدة ظرفا للطلاق المأمور به وزمانه هو الطهر وفاقا فالطهر عدة اذا ونظير اللام هنا على التحقيق اللام فى قوله يا ليتنى قدمت

طلياتي والغاتني ان لو عمل طلاق في حياته وقراءته عليه السلام في قبل عدتهن تحقق ذلك * فان قيل الشيء جزء منه وداخل فيه وفي صفة مسح الرأس فاقبل بهما وأدبر أي مسح قبل الرأس وهو مقدمها فحينئذ قبل العدة جزء منها وهو الطهر * عاد كلامه (قال والمراد أن يطلقوا في طهر لم يجامعوا فيه الى آخره) قال أحمد الامر كما قاله وضابط السنة عند مالك ان يطلقها في طهر لم

صلى الله عليه وسلم في قبل عدتهن واذا طلقت المرأة في الطهر المتقدم للقرء الاول من أقرائها فقد طلقت مستقبلة لعدتها والمراد أن يطلقن في طهر لم يجامعن فيه ثم يخلين حتى تنقضي عدتهن وهذا أحسن الطلاق وأدخله في السنة وأبعده من الندم ويدل عليه ما روي عن ابراهيم النخعي أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يستحبون أن لا يطلقوا أزواجهم للسنة الا واحدة ثم لا يطلقوا غير ذلك حتى تنقضي العدة وكان أحسن عندهم من أن يطلق الرجل ثلاثا في ثلاثة أطهار وقال مالك بن أنس رضي الله عنه لا أعرف طلاق السنة الا واحدة وكان يكره الثلاث مجموعة كانت أو متفرقة وأما أبو حنيفة وأصحابه فانما كرهوا ما زاد على الواحدة في طهر واحد فأما مفرقا في الاطهار فلا لما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لابن عمر حين طلق امرأته وهي حائض ما هكذا أمرك الله انما السنة أن تستقبل الطهر استقبالا وتطلقها لكل قرء تطليقة وروي أنه قال لعمر مر ابنك فليراجعها ثم ليدعها حتى تحيض ثم تطهر ثم ليطلقها ان شاء فتلك العدة التي أمر الله أن تطلق لها النساء وعند الشافعي رضي الله عنه لا بأس بارسال الثلاث وقال لا أعرف في عدد الطلاق سنة ولا بدعة وهو مباح فمالك يراعي في طلاق السنة الواحدة والوقت وأبو حنيفة يراعي التفريق والوقت والشافعي يراعي الوقت وحده (فان قلت) هل يقع الطلاق المخالف للسنة (قلت) نعم وهو آثم لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أن رجلا طلق امرأته ثلاثا بين يديه فقال أتلعبون بكتاب الله وأنا بين أظهركم وفي حديث ابن عمر أنه قال يا رسول الله أرأيت لو طلقتها ثلاثا فقال له اذن عصيت وبانت منك امرأتك وعن عمر رضي الله عنه أنه كان لا يؤتى برجل طلق امرأته ثلاثا الا أوجعه ضربا وأجاز ذلك عليه وعن سعيد بن المسيب وجماعة من التابعين أن من خالف السنة في الطلاق فأوقعه في حيض أو ثلاث لم يقع وشبهوه بمن وكل غيره بطلاق السنة فخالف (فان قلت) كيف تطلق للسنة التي لا تحيض لصغر أو كبر أو حمل وغير المدخول بها (قلت) الصغيرة والآيسة والحامل كلهن عند أبي حنيفة وأبي يوسف يفرق عليهن الثلاث في الاشهر وخالفهما محمد وزفر في الحامل فقالا لا تطلق للسنة الا واحدة وأما غير المدخول بها فلا تطلق للسنة الا واحدة ولا يراعى الوقت (فان قلت) هل يكره أن تطلق المدخول بها واحدة بائنة (قلت) اختلفت الرواية فيه عن أصحابنا والظاهر الكراهة (فان قلت) قوله اذا طلقتم النساء عام يتناول المدخول بهن وغير المدخول بهن من ذوات الاقراء والآيسات والصغائر والحوامل فكيف صح تخصيصه بذوات الاقراء المدخول بهن (قلت) لا عموم ثم ولا خصوص ولكن النساء اسم جنس للاناث من الانس وهذه الجنسية معنى قائم في كلهن وفي بعضهن فجاز أن يراد بالنساء هذا وذاك فلما قيل فطلقوهن لعدتهن علم أنه أطلق على بعضهن وهن المدخول بهن من المعتدات بالحيض (وأحصوا العدة) واضبطوها بالحفظ وأكملوها ثلاثة أقراء مستقبلات كوامل لا نقصان فيهن (ولا تخرجوهن) حتى تنقضي عدتهن (من بيوتهن) من مساكنهن التي يسكنها قبل العدة وهي بيوت الازواج وأضيفت اليهن لاختصاصها بهن من حيث السكنى (فان قلت) ما معنى الجمع بين اخراجهم وخروجهن (قلت) معنى الاخراج أن لا يخرجهن البعولة غضبا عليهن وكراهة لمساكنتهن أو لحاجة لهم الى المساكن وأن لا يأذنوا لهن في الخروج اذا طلبن ذلك ايذانا بأن اذنهم لا أثر له في رفع الحظر ولا يخرجن بأنفسهن ان أردن ذلك (الا أن يأتين بفاحشة مبينة) قرئ بفتح الياء وكسرها قيل هي الزنا يعني الا أن يزنين فيخرجن لاقامة الحد عليهن وقيل الا أن يطلقن على النشوز والنشوز يسقط حقهن في

يجامعها فيه واحدة وهي غير معتدة والآية تنزل المذهب على تأويل المتقدمين جميعا أما على تأويل الزمخشري وتفسيره القبل بالاستقبال فلان الطلاق المأمور به أي المأذون فيه في الآية مفسوق بوقت تكون العدة مستقبلة بالنسبة اليه وهذا يأبى وقوع

وأحصوا العدة واتقوا الله ربكم لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن الا أن يأتين بفاحشة مبينة وتلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا

الطلاق في أثناء العدة الماضي بعضها وأما على تأويلنا فلانه مفسوق بزمان يكون أول العدة وقبلها وهذا يأبى من وقوعه مرادفا في الطهر الثاني والثالث غير ان البدعة عند مالك

تتفاوت فلا جرم قال ان طلقها في الحيض أجبر على الرجعة فان أبى ارتجع عليه الحاكم وان طلقها في طهر مسها فيه أو أردف الطلاق لم يجبره * قوله تعالى وأحصوا العدة واتقوا الله ربكم لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن الا أن يأتين بفاحشة مبينة قال فيه معناه أكملوا العدة أقراء ثلاثة مستوفاة) قال أحمد وقوله واتقوا الله ربكم توطئة لقوله لا تخرجوهن من بيوتهن حتى كأنه نهى عن الاخراج مرتين منفردا في العموم ومفردا بالخصوص وقد تقدمت أمثاله السكنى

فاذا بلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف وأشهدوا ذوي عدل منكم وأقيموا الشهادة لله ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدرا واللائي يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللائي لم يحضن

السكنى وقيل الا أن يبذون فيحل اخراجهن لبذائهن وتؤكده قراءة أبي "الا أن يفحشن عليكم" وقيل خروجها قبل انقضاء العدة فاحشة في نفسه * الامر الذي يحدثه الله أن يقلب قلبه من بغضها الى محبتها ومن الرغبة عنها الى الرغبة فيها ومن عزيمة الطلاق الى الندم عليه فيراجعها والمعنى فطلقوهن لعدتهن واحصوا العدة لعلكم ترغبون وتندمون فتراجعون (فاذا بلغن أجلهن) وهو آخر العدة وشارفنه فأنتم بالخيار ان شئتم فالرجعة والامساك بالمعروف والاحسان وان شئتم فترك الرجعة والمفارقة واتقاء الضرار وهو أن يراجعها في آخر عدتها ثم يطلقها تطويلا للعدة عليها وتعذيبا لها (وأشهدوا) يعني عند الرجعة والفرقة جميعا وهذا الاشهاد مندوب اليه عند أبي حنيفة كقوله وأشهدوا اذا تبايعتم وعند الشافعي هو واجب في الرجعة مندوب اليه في الفرقة وقيل فائدة الاشهاد أن لا يقع بينهما التجاحد وأن لا يتهم في امساكها ولئلا يموت أحدهما فيدعي الباقي ثبوت الزوجية ليرث (منكم) قال الحسن من المسلمين وعن قتادة من أحراركم (لله) لوجهه خالصا وذلك أن تقيموها لا للمشهود له ولا للمشهود عليه ولا لغرض من الاغراض سوى اقامة الحق ودفع الظلم كقوله تعالى كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم * أي (ذلكم) الحث على اقامة الشهادة لوجه الله ولاجل القيام بالقسط (يوعظ به * ومن يتق الله) يجوز أن تكون جملة اعتراضية مؤكدة لما سبق من اجراء أمر الطلاق على السنة وطريقه الاحسن والابعد من الندم ويكون المعنى ومن يتق الله فطلق للسنة ولم يضار المعتدة ولم يخرجها من مسكنها واحتاط فأشهد (يجعل) الله (له مخرجا) مما في شأن الازواج من الغموم والوقوع في المضايق ويفرج عنه وينفس ويعطه الخلاص (ويرزقه) من وجه لا يخطره بباله ولا يحتسبه ان أوفى المهر وأدى الحقوق والنفقات وقل ماله وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل عمن طلق ثلاثا أو ألفا هل له من مخرج فتلاها وعن ابن عباس أنه سئل عن ذلك فقال لم تتق الله فلم يجعل لك مخرجا بانت منك بثلاث والزيادة اثم في عنقك ويجوز أن يجاء بها على سبيل الاستطراد عند ذكر قوله ذلكم يوعظ به يعني ومن يتق الله يجعل له مخرجا ومخلصا من غموم الدنيا والآخرة وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قرأها فقال مخرجا من شبهات الدنيا ومن غمرات الموت ومن شدائد يوم القيامة وقال عليه السلام اني لاعلم آية لو أخذ الناس بها لكفتهم ومن يتق الله فما زال يقرؤها ويعيدها وروي أن عوف بن مالك الاشجعي أسر المشركون ابنا له يسمى سالما فأتى رسول الله فقال أسر ابني وشكا اليه الفاقة فقال ما أمسى عند آل محمد الا مد فاتق الله واصبر وأكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله ففعل فبينما هو في بيته اذ قرع ابنه الباب ومعه مائة من الابل تغفل عنها العدو فاستاقها فنزلت هذه الآية (بالغ أمره) أي يبلغ ما يريد لا يفوته مراد ولا يعجزه مطلوب وقرئ بالغ أمره بالاضافة وبالغ أمره بالرفع أي نافذ أمره وقرأ المفضل بالغا أمره على أن قوله (قد جعل الله) خبر ان وبالغا حال (قدرا) تقديرا وتوقيتا وهذا بيان لوجوب التوكل على الله وتفويض الامر اليه لانه اذا علم أن كل شيء من الرزق ونحوه لا يكون الا بتقديره وتوقيته لم يبق الا التسليم للقدر والتوكل * روي أن ناسا قالوا قد عرفنا عدة ذوات الاقراء فما عدة اللائي لا يحضن فنزلت فمعنى (ان ارتبتم) ان أشكل عليكم حكمهن وجهلتم كيف يعتددن فهذا حكمهن وقيل ان ارتبتم في دم البالغات مبلغ اليأس وقد قدروه بستين سنة وبخمس وخمسين أهو دم حيض أو استحاضة (فعدتهن ثلاثة أشهر) واذا كانت هذه عدة المرتاب بها فغير المرتاب بها أولى بذلك (واللائي لم يحضن) هن الصغائر والمعنى فعدتهن ثلاثة أشهر فحذف لدلالة المذكور عليه * اللفظ مطلق في أولات الاحمال فاشتمل على المطلقات والمتوفى عنهن

* قوله تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ أمره (قال فيه قوله بالغ أمره بيان لوجوب التوكل على الله وتفويض الامر اليه الخ) قال أحمد ليس بمسلم فلا يرجى ابراء القدري وأين التسليم للقدر وليس هذا دينه ولا معتقده من تقسيم الحوادث ثلاثة أقسام فمنها ما يريد الله تعالى وجوده وهو المأمورات ولا يقع أكثرها ومنها ما يريد عدمه وهو المنهيات فيوجد أكثرها على خلاف مراده ومنها ما لا يريد عدمه ولا وجوده فان وجد فبغير ارادته عز وجل وان عدم فكذلك فيتحصل من هذا الهذيان الذي لا يتصور ان الكائنات انما تقع ارادة الخالق لانها لا تقع الا بها فان وافقت ارادة الله تعالى فليس وقوعها تابعا لها الا انها وقعت بدونها وان خالفت ارادة الله تعالى لم يكن لمخالفتها للارادة الربانية تأثير في منع وقوعها فمن يتوغل في أدغال هذا الضلال كيف له بالتوكل الذي يتوقف على اعتقاد ان الكائنات جميعها انما تتوقف على ارادة الله عز وجل فمهما أراده وقع ومهما لم يرده لم يقع شاء العبد أو أبى فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن والعبد مجرى لحدوث الكائنات الواقعة بقدرة الله تعالى وارادته لا غير لا راد لأمره ولا معقب لحكمه فما القدري من هذا المقام الشريف الا على مراحل لا يقربه اليها الا رواحله

الانصاف وزاد التقوى ودليل التوفيق والله حسبنا ونعم الوكيل * قوله تعالى أسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم الى قوله وان كن
أولات حمل الآية (قال أحمد) لا يخفى على المتأمل لهذه الآي أن المبتوتة غير الحامل لا نفقة لها لان الآي سيقت لبيان الواجب
فأوجب السكنى لكل معتدة تقدم ذكرها ولم يوجب سواها ثم استثنى الحوامل فخصهن بايجاب النفقة لهن حتى يضعن حملهن وليس
بعد هذا البيان بيان والقول بعد ذلك بوجوب النفقة لكل معتدة مبتوتة حاملا أو غير حامل لا يخفى منافرته لنظم الآية
والزمخشري نصر مذهب أبي حنيفة فقال فائدة تخصيص الحوامل بالذكر ان الحمل ربما طال أمده فيتوهم متوهم ان النفقة
لا تجب بطوله فخصت بالذكر تنبيها على قطع هذا الوهم وغرض الزمخشري بذلك أن يحمل التخصيص على هذه الفائدة كيلا يكون له مفهوم في
اسقاط النفقة لغير الحوامل لان أبا حنيفة يسوي بين الجميع في وجوب النفقة * عاد كلامه

وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا ذلك أمر الله أنزله اليكم ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا أسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن وان كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن فان أرضعن لكم فآتوهن أجورهن وأتمروا بينكم بمعروف وان تعاسرتم فسترضع له أخرى

وكان ابن مسعود وأبيّ وأبو هريرة وغيرهم لا يفرقون وعن عليّ وابن عباس عدة الحامل المتوفى عنها أبعد الأجلين وعن عبد الله من شاء لاعنته ان سورة النساء القصرى نزلت بعد التي في البقرة يعني أن هذا اللفظ مطلق في الحوامل وروت أم سلمة أن سبيعة الاسلمية ولدت بعد وفاة زوجها بليال فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها قد حللت فانكحي (يجعل له من أمره يسرا) ييسر له من أمره ويحلل له من عقده بسبب التقوى (ذلك أمر الله) يريد ما علم من حكم هؤلاء المعتدات والمعنى ومن يتق الله في العمل بما أنزل الله من هذه الأحكام وحافظ على الحقوق الواجبة عليه مما ذكر من الاسكان وترك الضرار والنفقة على الحوامل وايتاء أجر المرضعات وغير ذلك استوجب تكفير السيئات والأجر العظيم (أسكنوهن) وما بعده بيان لما شرط من التقوى في قوله ومن يتق الله كأنه قيل كيف نعمل بالتقوى في شأن المعتدات فقيل أسكنوهن (فان قلت) من في (من حيث سكنتم) ما هي (قلت) هي من التبعيضية مبعضها محذوف معناه أسكنوهن مكانا من حيث سكنتم أي بعض مكان سكناكم كقوله تعالى يغضوا من أبصارهم أي بعض أبصارهم قال قتادة ان لم يكن الا بيت واحد فأسكنها في بعض جوانبه (فان قلت) فقوله (من وجدكم) (قلت) هو عطف بيان لقوله من حيث سكنتم وتفسير له كأنه قيل أسكنوهن مكانا من مسكنكم مما تطيقونه والوجد الوسع والطاقة وقرئ بالحركات الثلاث والسكنى والنفقة واجبتان لكل مطلقة وعند مالك والشافعي ليس للمبتوتة الا السكنى ولا نفقة لها وعن الحسن وحماد لا نفقة لها ولا سكنى لحديث فاطمة بنت قيس ان زوجها أبتّ طلاقها فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم لا سكنى لك ولا نفقة وعن عمر رضي الله عنه لا ندع كتاب ربنا وسنة نبينا لقول امرأة لعلها نسيت أو شبه لها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لها السكنى والنفقة (ولا تضاروهن) ولا تستعملوا معهن الضرار (لتضيقوا عليهن) في المسكن ببعض الأسباب من انزال من لا يوافقهن أو يشغل مكانهن أو غير ذلك حتى تضطروهن الى الخروج وقيل هو أن يراجعها اذا بقي من عدتها يومان ليضيق عليها أمرها وقيل هو أن يلجئها الى أن تفتدي منه (فان قلت) فاذا كانت كل مطلقة عندكم تجب لها النفقة فما فائدة الشرط في قوله (وان كن أولات حمل فأنفقوا عليهن) (قلت) فائدته ان مدة الحمل ربما طالت فظن ظان ان النفقة تسقط اذا مضى مقدار عدة الحائل فنفى ذلك الوهم (فان قلت) فما تقول في الحامل المتوفى عنها (قلت) مختلف فيها فأكثرهم على أنه لا نفقة لها لوقوع الاجماع على أن من أجبر الرجل على النفقة عليه من امرأة أو ولد صغير لا يجب أن ينفق عليه من ماله بعد موته فكذلك الحامل وعن علي وعبد الله وجماعة أنهم أوجبوا نفقتها (فان أرضعن لكم) يعني هؤلاء المطلقات ان أرضعن لكم ولدا من غيرهن أو منهن بعد انقطاع عصمة الزوجية (فآتوهن أجورهن) فحكمهن في ذلك حكم الاظآر ولا يجوز عند أبي حنيفة وأصحابه رضي الله عنهم الاستئجار اذا كان الولد منهن ما لم يبن ويجوز عند الشافعي * الائتمار بمعنى التآمر كالاشتوار بمعنى التشاور يقال ائتمر القوم وتآمروا اذا أمر بعضهم بعضا والمعنى وليأمر بعضكم بعضا والخطاب للآباء والأمهات (بمعروف) بجميل وهو المسامحة وأن لا يماكس الأب ولا تعاسر الأم لأنه ولدهما معا وهما شريكان فيه وفي وجوب الاشفاق عليه (وان تعاسرتم فسترضع له أخرى) فستوجد ولا تعوز مرضعة غير الأم ترضعه وفيه طرف من معاتبة الأم على المعاسرة كما تقول لمن تستقضيه حاجة فيتوانى سيقضيها

غيرك

(قال وفي قوله وان تعاسرتم فسترضع له أخرى معاتبة للأم على المعاسرة كما تقول لمن تستقضيه حاجة الخ) قال أحمد وخص الأم بالمعاتبة لأن المبذول من جهتها هو لبنها لولدها وهو غير متمول ولا مضنون به في العرف وخصوصا في الأم على الولد ولا كذلك المبذول من جهة الأب فانه المال المضنون به عادة فالأم اذا أجدر باللوم وأحق بالعتب والله أعلم

* قوله تعالى قد أنزل الله إليكم ذكرا رسولا (ذكر فيه ستة أوجه إبدال الرسول من الذكر لأن إنزاله في معنى إنزال الذكر الخ) قال أحمد وعلى هذين الوجهين الأخيرين يكون مفعولا إما بالفعل المحذوف أو بالمصدر وعلى الأربعة المتقدمة بدلا والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿القول في سورة التحريم﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) *قوله تعالى يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضات

لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها سيجعل الله بعد عسر يسرا وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله فحاسبناها حسابا شديدا وعذبناها عذابا نكرا فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسرا أعد الله لهم عذابا شديدا فاتقوا الله يا أولي الألباب الذين آمنوا قد أنزل الله إليكم ذكرا رسولا يتلو عليكم آيات الله مبينات ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات إلى النور ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا قد أحسن الله له رزقا الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما

﴿سورة التحريم مدنية وهي ثنتا عشرة آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

غيرك تريد أن تبقى غير مقضية وأنت ملوم وقوله له أي للأب أي سيجد الأب غير معاسرة ترضع له ولده إن عاسرته أمه (لينفق) كل واحد من الموسر والمعسر ما بلغه وسعه يريد ما أمر به من الإنفاق على المطلقات والمرضعات كما قال ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره وقرئ لينفق بالنصب أي شرعنا ذلك لينفق * وقرأ ابن أبي عبلة قدر (سيجعل الله) موعد لفقراء ذلك الوقت بفتح أبواب الرزق عليهم أو لفقراء الأزواج إن أنفقوا ما قدروا عليه ولم يقصروا (عتت عن أمر ربها) أعرضت عنه على وجه العتو والعناد (حسابا شديدا) بالاستقصاء والمناقشة (عذابا نكرا) وقرئ نكرا منكرا عظيما والمراد حساب الآخرة وعذابها وما يذوقون فيها من الوبال ويلقون من الخسر وجيء به على لفظ الماضي كقوله تعالى ونادى أصحاب الجنة ونادى أصحاب النار ونحو ذلك لأن المنتظر من وعد الله ووعيده ملقى في الحقيقة وما هو كائن فكأن قد وقوله (أعد الله لهم عذابا شديدا) تكرير للوعيد وبيان لكونه مترقبا كأنه قال أعد الله لهم هذا العذاب فليكن لكم ذلك (يا أولي الألباب) من المؤمنين لطفا في تقوى الله وحذر عقابه ويجوز أن يراد إحصاء السيئات واستقصاؤها عليهم في الدنيا وإثباتها في صحائف الحفظة وما أصيبوا به من العذاب في العاجل وأن يكون عتت وما عطف عليه صفة للقرية وأعد الله لهم جوابا لكأين (رسولا) هو جبريل صلوات الله عليه أبدل من ذكرا لأنه وصف بتلاوة آيات الله فكان إنزاله في معنى إنزال الذكر فصح إبداله منه أو أريد بالذكر الشرف من قوله وإنه لذكر لك ولقومك فأبدل منه كأنه في نفسه شرف إما لأنه شرف للمنزل عليه وإما لأنه ذو مجد وشرف عند الله كقوله تعالى عند ذي العرش مكين أو جعل لكثرة ذكره لله وعبادته كأنه ذكر أو أريد ذا ذكر أي ملكا مذكورا في السموات وفي الأمم كلها أو دل قوله أنزل الله إليكم ذكرا على أرسل فكأنه قيل أرسل رسولا أو أعمل ذكرا في رسولا إعمال المصدر في المفاعيل أي أنزل الله أن ذكر رسولا أو ذكره رسولا وقرئ رسول على هو رسول * أنزله (ليخرج الذين آمنوا) بعد إنزاله أي ليحصل لهم ما هم عليه الساعة من الإيمان والعمل الصالح لأنهم كانوا وقت إنزاله غير مؤمنين وإنما آمنوا بعد الإنزال والتبليغ أو ليخرج الذين عرف منهم أنهم يؤمنون قرئ يدخله بالياء والنون (قد أحسن الله له رزقا) فيه معنى التعجب والتعظيم لما رزق المؤمن من الثواب (الله الذي خلق) مبتدأ وخبر * وقرئ مثلهن بالنصب عطفا على سبع سموات وبالرفع على الابتداء وخبره من الأرض قيل ما في القرآن آية تدل على أن الأرضين سبع إلا هذه وقيل بين كل سماءين مسيرة خمسمائة عام وغلظ كل سماء كذلك والأرضون مثل السموات (يتنزل الأمر بينهن) أي يجري أمر الله وحكمه بينهن وملكه ينفذ فيهن وعن قتادة في كل سماء وفي كل أرض خلق من خلقه وأمر من أمره وقضاء من قضائه وقيل هو ما يدبر فيهن من عجائب تدبيره وقرئ ينزل الأمر وعن ابن عباس أن نافع بن الأزرق سأله هل تحت الأرضين خلق قال نعم قال فما الخلق قال إما ملائكة أو جن (لتعلموا) قرئ بالتاء والياء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الطلاق مات على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم

﴿سورة التحريم مدنية وتسمى سورة النبي عليه السلام وهي ثنتا عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خلا بمارية في يوم عائشة وعلمت بذلك حفصة فقال لها اكتمي علي وقد حرمت مارية على نفسي وأبشرك أن أبا بكر وعمر يملكان بعدي أمر أمتي فأخبرت به عائشة وكانتا

أزواجك (نقل في سبب نزولها أنه عليه السلام خلا بمارية في يوم عائشة وعلمت بذلك حفصة فقال لها اكتمي علي وقد حرمت مارية على نفسي الخ) قال أحمد ما أطلقه الزمخشري في حق النبي صلى الله عليه وسلم تقول وافتراء والنبي صلى الله عليه وسلم منه براء وذلك أن تحريم ما أحل الله على وجهين اعتقاد ثبوت حكم التحريم فيه فهذا بمثابة اعتقاد حكم التحليل فيما حرمه الله عز وجل وكلاهما محظور

لا يصدر من المسلمين بصفة الإيمان وإن صدر سلب المؤمن حكم الإيمان واسم الثاني الامتناع مما أحله عز وجل وحمل التحريم بمجرده
صحيح لقوله وحرمنا عليه المراضع من قبل أي منعناه لا غير وقد يكون مؤكدا باليمين مع اعتقاد حله وهذا مباح صرف وحلال محض
ولو كان على المنع ترك المباح والامتناع منه غير مباح استحالت حقيقة الحلال بلا إشكال فإذا علمت بون ما بين القسمين فعلى القسم الثاني
تنزل الآية والتفسير الصحيح يعضده فإن النبي صلى الله عليه وسلم حلف بالله لا أقرب مارية ولما نزلت الآية كفر عن يمينه
وبال عليه قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم وقال مالك في المدونة عن زيد بن أسلم إنما كفر النبي صلى الله عليه وسلم في تحريمه أم ولده لأنه حلف أن لا يقربها ومثله عن الشعبي وهذا المقدار مباح ليس في ارتكابه جناح وإنما قيل له لم تحرم ما أحل الله لك رفقا به وشفقة عليه وتنويها لقدره ولمنصبه صلى الله عليه وسلم أن يراعي مرضات أزواجه بما يشق عليه جريا على ما ألف من لطف الله تعالى بنبيه ورفعه عن أن يحرج بسبب أحد من البشر الذين هم أتباعه ومن أجله خلقوا ليظهر الله كمال نبوته بظهور نقصانهم عنه والزمخشري قطعا لم يحمل التحريم على هذا الوجه لأنه جعله زلة فيلزمه أن يحمله على المحمل الأول ومعاذ الله مارية
وحاش لله وإن آحاد المؤمنين يتحاشى عن أن يعتقد تحريم ما أحل الله فكيف لا يربأ بمنصب النبي عليه السلام عما يرتفع عنه منصب
عامة الأمة وما هذه من الزمخشري إلا جراءة على الله ورسوله وإطلاق القول من غير تحرير وإبراز الرأي الفاسد بلا تخمير نعوذ بالله من
ذلك وهو المسؤول أن يجعل وسيلتنا إليه تعظيم نبينا صلوات الله عليه وأن يجنبنا خطوات الشيطان ويقيلنا من عثرات اللسان آمين

يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضات أزواجك والله غفور رحيم قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم والله مولاكم وهو العليم الحكيم وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثا

متصادقتين وقيل خلا بها في يوم حفصة فأرضاها بذلك واستكتمها فلم تكتم فطلقها واعتزل نساءه ومكث تسعا وعشرين ليلة في بيت مارية وروي أن عمر قال لها لو كان في آل الخطاب خير لما طلقك فنزل جبريل عليه السلام وقال راجعها فإنها صوامة قوامة وإنها لمن نسائك في الجنة وروي أنه شرب عسلا في بيت زينب بنت جحش فتواطأت عائشة وحفصة فقالتا له إنا نشم منك ريح المغافير وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره التفل فحرم العسل فمعناه (لم تحرم ما أحل الله لك) من ملك اليمين أو العسل و (تبتغي) إما تفسير لتحرم أو حال أو استئناف وكان هذا زلة منه لأنه ليس لأحد أن يحرم ما أحل الله لأن الله عز وجل إنما أحل ما أحل لحكمة ومصلحة عرفها في إحلاله فإذا حرم كان ذلك قلب المصلحة مفسدة (والله غفور) قد غفر لك ما زللت فيه (رحيم) قد رحمك فلم يؤاخذك به (قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم) فيه معنيان أحدهما قد شرع الله لكم الاستثناء في أيمانكم من قولك حلل فلان في يمينه إذا استثنى فيها ومنه حلا أبيت اللعن بمعنى استثن في يمينك إذا أطلقتها وذلك أن يقول إن شاء الله عقيبها حتى لا يحنث والثاني قد شرع الله لكم تحلتها بالكفارة ومنه قوله عليه السلام لا يموت لرجل ثلاثة أولاد فتمسه النار إلا تحلة القسم وقول ذي الرمة قليلا كتحليل الألى (فإن قلت) ما حكم تحريم الحلال (قلت) قد اختلف فيه فأبو حنيفة يراه يمينا في كل شيء ويعتبر الانتفاع المقصود فيما يحرمه فإذا حرم طعاما فقد حلف على أكله أو أمة فعلى وطئها أو زوجة فعلى الإيلاء منها إذا لم يكن له نية وإن نوى الظهار فظهار وإن نوى الطلاق فطلاق بائن وكذلك إن نوى ثنتين وإن نوى ثلاثا فكما نوى وإن قال نويت الكذب دين فيما بينه وبين الله تعالى ولا يدين في القضاء بإبطال الإيلاء وإن قال كل حلال علي حرام فعلى الطعام والشراب إذا لم ينو وإلا فعلى ما نوى ولا يراه الشافعي يمينا ولكن سببا في الكفارة في النساء وحدهن وإن نوى الطلاق فهو رجعي عنده وعن أبي بكر وعمر وابن عباس وابن مسعود وزيد رضي الله عنهم أن الحرام يمين وعن عمر إذا نوى الطلاق فرجعي وعن علي رضي الله عنه ثلاث وعن زيد واحدة بائنة وعن عثمان ظهار وكان مسروق لا يراه شيئا ويقول ما أبالي أحرمتها أم قصعة من ثريد وكذلك عن الشعبي قال ليس بشيء محتجا بقوله تعالى ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام وقوله تعالى لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم وما لم يحرمه الله تعالى فليس لأحد أن يحرمه ولا أن يصير بتحريمه حراما ولم يثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لما أحله الله هو حرام علي وإنما امتنع من مارية ليمين تقدمت منه وهو قوله عليه السلام والله لا أقربها بعد اليوم فقيل له لم تحرم ما أحل الله لك أي لم تمتنع منه بسبب اليمين يعني أقدم على ما حلفت عليه وكفر عن يمينك ونحوه قوله تعالى وحرمنا عليه المراضع أي منعناه منها وظاهر قوله تعالى قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم أنه كانت منه يمين (فإن قلت) هل كفر رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك (قلت) عن الحسن أنه لم يكفر لأنه كان مغفورا له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وإنما هو تعليم للمؤمنين وعن مقاتل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعتق رقبة في تحريم مارية (والله مولاكم) سيدكم ومتولي أموركم (وهو العليم) بما يصلحكم فيشرعه لكم (الحكيم) فلا يأمركم ولا ينهاكم إلا بما توجبه الحكمة وقيل مولاكم أولى بكم من أنفسكم فكانت نصيحته أنفع لكم من نصائحكم لأنفسكم (بعض أزواجه) حفصة والحديث الذي أسر إليها حديث

مارية وامامة الشيخين (نبأت به) أفشته الى عائشة وقرئ أنبأت به (وأظهره) واطلع النبي عليه السلام (عليه) على الحديث أي على افشائه على لسان جبريل وقيل أظهر الله الحديث على النبي صلى الله عليه وسلم من الظهور (عرف بعضه) أعلم ببعض الحديث تكرما قال سفيان ما زال التغافل من فعل الكرام وقرئ عرف بعضه أي جازى عليه من قولك للمسيء لأعرفن لك ذلك وقد عرفت ما صنعت ومنه أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم وهو كثير في القرآن وكان جزاؤه تطليقه اياها وقيل المعرف حديث الامامة والمعرض عنه حديث مارية وروي أنه صلى الله عليه وسلم قال لها ألم أقل لك اكتمي علي قالت والذي بعثك بالحق ما ملكت نفسي فرحا بالكرامة التي خص الله بها أباها (فان قلت) هلا قيل فلما نبأت به بعضهن وعرفها بعضه (قلت) ليس الغرض بيان من المذاع اليه ومن المعرف وانما هو ذكر جناية حفصة في وجود الانباء به وافشائه من قبلها وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم بكرمه وحلمه لم يوجد منه الا الاعلام ببعضه وهو حديث الامامة ألا ترى أنه لما كان المقصود في قوله (فلما أنبأها به قالت من أنبأك هذا) ذكر المنبأ كيف أتى بضميره (ان تتوبا) خطاب لحفصة وعائشة على طريقة الالتفات ليكون أبلغ في معاتبتهما وعن ابن عباس لم أزل حريصا على أن أسأل عمر عنهما حتى حج وحججت معه فلما كان ببعض الطريق عدل وعدلت معه بالاداوة فسكبت الماء على يده فتوضأ فقلت من هما فقال عجبا يا ابن عباس كأنه كره ما سألته عنه ثم قال هما حفصة وعائشة (فقد صغت قلوبكما) فقد وجد منكما ما يوجب التوبة وهو ميل قلوبكما عن الواجب في مخالصة رسول الله صلى الله عليه وسلم من حب ما يحبه وكراهة ما يكرهه وقرأ ابن مسعود فقد زاغت (وان تظاهرا) وان تعاونا (عليه) بما يسوءه من الافراط في الغيرة وافشاء سره فلن يعدم هو من يظاهره وكيف يعدم المظاهر من الله مولاه أي وليه وناصره وزيادة هو ايذان بأن نصرته عزيمة من عزائمه وأنه يتولى ذلك بذاته (وجبريل) رأس الكروبيين وقرن ذكره بذكره مفردا له من بين الملائكة تعظيما له واظهارا لمكانته عنده (وصالح المؤمنين) ومن صلح من المؤمنين يعني كل من آمن وعمل صالحا وعن سعيد بن جبير من برئ منهم من النفاق وقيل الانبياء وقيل الصحابة وقيل الخلفاء منهم (فان قلت) صالح المؤمنين واحد أم جمع (قلت) هو واحد أريد به الجمع كقولك لا يفعل هذا الصالح من الناس تريد الجنس كقولك لا يفعله من صلح منهم ومثله قولك كنت في السامر والحاضر ويجوز أن يكون أصله صالحو المؤمنين بالواو فكتب بغير واو على اللفظ لأن لفظ الواحد والجمع واحد فيه كما جاءت أشياء في المصحف متبوع فيها حكم اللفظ دون وضع الخط (والملائكة) على تكاثر عددهم وامتلاء السموات من جموعهم (بعد ذلك) بعد نصرة الله وناموسه وصالحي المؤمنين (ظهير) فوج مظاهر له كأنهم يد واحدة على من يعاديه فما يبلغ تظاهر امرأتين على من هؤلاء ظهراؤه (فان قلت) قوله بعد ذلك تعظيم للملائكة ومظاهرتهم وقد تقدمت نصرة الله وجبريل وصالح المؤمنين ونصرة الله تعالى أعظم وأعظم (قلت) مظاهرة الملائكة من جملة نصرة الله فكأنه فضل نصرته تعالى بهم وبمظاهرتهم على غيرها من وجوه نصرته تعالى لفضلهم على جميع خلقه وقرئ تظاهرا وتتظاهرا وتظهرا * قرئ يبدله بالتخفيف والتشديد للكثرة (مسلمات مؤمنات) مقرات مخلصات (سائحات) صائمات وقرئ سيحات وهي أبلغ وقيل للصائم سائح لأن السائح لا زاد معه فلا يزال ممسكا الى أن يجد ما يطعمه فشبه به الصائم في امساكه الى أن يجيء وقت افطاره وقيل سائحات مهاجرات وعن زيد بن أسلم لم تكن في هذه الامة سياحة الا الهجرة (فان قلت) كيف تكون المبدلات خيرا منهن ولم تكن على وجه الأرض نساء خير من أمهات المؤمنين (قلت) اذا طلقهن رسول الله لعصيانهن له وايذائهن اياه لم يبقين على تلك الصفة وكان غيرهن من الموصوفات بهذه الأوصاف مع الطاعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم والنزول على هواه ورضاه خيرا منهن وقد عرض بذلك في قوله قانتات لأن القنوت هو القيام بطاعة الله وطاعة الله في طاعة رسوله (فان قلت) لم أخليت الصفات كلها عن العاطف ووسط بين الثيبات والأبكار (قلت) لأنهما صفتان متنافيتان لا يجتمعن فيهما اجتماعهن في

فلما نبأت به وأظهره الله عليه عرف بعضه وأعرض عن بعض فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا قال نبأني العليم الخبير ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير عسى ربه ان طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وأبكارا يا أيها الذين آمنوا

* قوله تعالى فلما نبأت به وأظهره الله عليه عرف بعضه وأعرض عن بعض (قال فيه ان قلت هلا (471) قيل فلما نبأت به بعضهن وعرفها بعضه وأجاب بأنه ليس الغرض بيان من المذاع اليه ومن المعرف الخ * قوله تعالى ان تتوبا الى الله قوله والملائكة بعد ذلك ظهير (قال فيه جاء على طريقة الالتفات ليكون أبلغ في معاتبتهما الخ * قوله تعالى عسى ربه ان طلقكن الآية (قال فيه ان قلت لم أخليت هذه الصفات من العاطف الخ) قال أحمد وقد ذكر لي الشيخ أبو عمرو بن الحاجب رحمه الله ان القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني الكاتب رحمه الله كان يعتقد أن الواو في الآية هي الواو التي سماها بعض ضعفة النحاة واو الثمانية لأنها ذكرت مع الصفة الثامنة فكان الفاضل يتبجح باستخراجها زائدة على المواضع الثلاثة المشهورة أحدها التي في الصفة الثامنة من قوله التائبون

الساجدون عند قوله والناهون عن المنكر والثانية في قوله وثامنهم كلبهم والثالثة في قوله وفتحت أبوابها قال الشيخ أبو عمرو بن الحاجب ولم يزل الفاضل يستحسن ذلك من نفسه الى أن ذكره يوما بحضرة أبي الجود النحوي المقرى فبين له أنه واهم في عدها من ذلك القبيل وأحال البيان على المعنى الذى ذكره (٤٧٢) الزمخشرى من دعاء الضرورة الى الاتيان بها هنا لامتناع اجتماع الصنفين في موصوف

سائر الصفات فلم يكن بد من الواو (قوا أنفسكم) بترك المعاصى وفعل الطاعات (وأهليكم) بأن تأخذوهم بما تأخذون به أنفسكم وفي الحديث رحم الله رجلا قال يا أهلاه صلاتكم صيامكم زكاتكم مسكينكم يتيمكم جيرانكم لعل الله يجمعهم معه في الجنة وقيل ان أشد الناس عذابا يوم القيامة من جهل أهله وقرئ وأهلوكم عطفا على واو قوا وحسن العطف للفاصل (فان قلت) أليس التقدير قوا أنفسكم وليق أهلوكم أنفسهم (قلت) لا ولكن المعطوف مقارن في التقدير للواو وأنفسكم واقع بعده فكأنه قيل قوا أنتم وأهلوكم أنفسكم لما جمعت مع المخاطب الغائب غلبته عليه فجعلت ضميرهما معا على لفظ المخاطب (نارا وقودها الناس والحجارة) نوعا من النار لا يتقد الا بالناس والحجارة كما يتقد غيرها من النيران بالحطب وعن ابن عباس رضى الله عنه هي حجارة الكبريت وهي أشد الاشياء حرا اذا أوقد عليها وقرئ وقودها بالضم أى ذو وقودها (عليها) يلي أمرها وتعذيب أهلها (ملائكة) يعنى الزبانية التسعة عشر وأعوانهم (غلاظ شداد) في أجرامهم غلظة وشدة أى جفاء وقوة أو في أفعالهم جفاء وخشونة لا تأخذهم رأفة في تنفيذ أوامر الله والغضب له والانتقام من أعدائه (ما أمرهم) في محل النصب على البدل أى لا يعصون ما أمر الله أى أمره كقوله تعالى أفعصيت أمرى أو لا يعصونه فيما أمرهم (فان قلت) أليست الجملتان في معنى واحد (قلت) لا فان معنى الاولى أنهم يتقبلون أوامره ويلتزمونها ولا يأبونها ولا ينكرونها ومعنى الثانية أنهم يؤدون ما يؤمرون به لا يتثاقلون عنه ولا يتوانون فيه (فان قلت) قد خاطب الله المشركين المكذبين بالوحى بهذا بعينه في قوله تعالى فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة وقال أعدت للكافرين فجعلها معدة للكافرين فما معنى مخاطبته به المؤمنين (قلت) الفساق وان كانت دركاتهم فوق دركات الكفار فانهم مساكنون الكفار في دار واحدة فقيل للذين آمنوا قوا أنفسكم باجتناب الفسوق مساكنة الكفار الذين أعدت لهم هذه النار الموصوفة ويجوز أن يأمرهم بالتوقى من الارتداد والندم على الدخول في الاسلام وأن يكونوا خطابا للذين آمنوا بألسنتهم وهم المنافقون ويعضد ذلك قوله تعالى على أثره (يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم انما تجزون ما كنتم تعملون) أى يقال لهم ذلك عند دخولهم النار لا تعتذروا لانه لا عذر لكم أو لانه لا ينفعكم الاعتذار (توبة نصوحا) وصفت التوبة بالنصح على الاسناد المجازى والنصح صفة التائبين وهو أن ينصحوا بالتوبة أنفسهم فيأتوا بها على طريقها متداركة للفرطات ماحية للسيئات وذلك أن يتوبوا عن القبائح لقبحها نادمين عليها مغتمين أشد الاغتمام لارتكابها عازمين على أنهم لا يعودون في قبيح من القبائح الى أن يعود اللبن في الضرع موطنين أنفسهم على ذلك وعن على رضى الله تعالى عنه أنه سمع أعرابيا يقول اللهم انى أستغفرك وأتوب اليك فقال يا هذا ان سرعة اللسان بالتوبة توبة الكذابين قال وما التوبة قال يجمعها ستة أشياء على الماضى من الذنوب الندامة وللفرائض الاعادة ورد المظالم واستحلال الخصوم وأن تعزم على أن لا تعود وأن تذيب نفسك في طاعة الله كما ربيتها في المعصية وأن تذيقها مرارة الطاعات كما أذقتها حلاوة المعاصى وعن حذيفة بحسب الرجل من الشر أن يتوب عن الذنب ثم يعود فيه وعن شهر بن حوشب أن لا يعود ولو حز بالسيف وأحرق بالنار وعن ابن السماك أن تنصب الذنب الذى أقللت فيه الحياء من الله أمام عينك وتستعد لمنتظرك وقيل توبة لا يتاب منها وعن السدى لا تصح التوبة الا بنصيحة النفس والمؤمنين لان من صحت توبته أحب أن يكون الناس مثله وقيل نصوحا من نصاحة الثوب

واحد وواو الثمانية ان ثبتت فانما ترد حيث لا حاجة اليها الا للاشعار بتمام نهاية العدد الذى هو السبعة فأنصفه الفاضل رحمه الله واستحسن ذلك منه وقال أرشدتنا يا أبا الجود * عاد كلامه (قال في قوله تعالى قوا أنفسكم وأهليكم نارا قرئ وأهلوكم) قال أحمد

قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم انما تجزون ما كنتم تعملون يا أيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا

ولكن المعطوف مقارن في التقدير الواو وأنفسكم واقع بعده كأنه قال قوا أنتم وأهلوكم أنفسكم ولكن لما اجتمع ضمير المخاطب والغائبين غلب ضمير الخطاب على ضمير الغيبة (ثم قال فان قلت قوله لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون أليس الجملتان في معنى واحد وأجاب بأن معنى الاولى انهم يلتزمون الاوامر ولا يأبونها الخ) قال أى أحمد جوابه الاول مفرع على قاعدته الفاسدة في اعتقاد خلود الفساق في جهنم ولعله انما أورد السؤال ليتكلف عنه بجواب ينفس في نفسه عما لا يليق كتمانه من هذا الباطل نعوذ بالله منه والا فالسؤال غير وارد فانه لا يمتنع أن المؤمن يحذر من عذاب الكافر أن ينال على الايمان كقوله في آل عمران خطابا للمؤمنين واتقوا النار التى أعدت للكافرين وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون

أي توبة ترفو خروقك في دينك وترم خللك وقيل خالصة من قولهم عسل ناصح إذا خلص من الشمع ويجوز أن
يراد توبة تنصح الناس أي تدعوهم إلى مثلها لظهور أثرها في صاحبها واستعماله الجد والعزيمة في العمل على
مقتضياتها وقرأ زيد بن علي توبا نصوحا وقرئ نصوحا بالضم وهو مصدر نصح والنصح والنصوح كالشكر
والشكور والكفر والكفور أي ذات نصوح أو تنصح نصوحا أو توبوا لنصح أنفسكم على أنه مفعول له (عسى
ربكم) إطماع من الله لعباده وفيه وجهان أحدهما أن يكون على ما جرت به عادة الجبابرة من الإجابة
بعسى ولعل ووقوع ذلك منهم موقع القطع والبت والثاني أن يجيء به تعليما للعباد وجوب الترجح بين
الخوف والرجاء والذي يدل على المعنى الأول وأنه في معنى البت قراءة ابن أبي عبلة ويدخلكم بالجزم عطفا على
محل عسى أن يكفر كأنه قيل توبوا يوجب لكم تكفير سيئاتكم ويدخلكم (يوم لا يخزي الله) نصب بيدخلكم
ولا يخزي تعريض بمن أخزاهم الله من أهل الكفر والفسوق واستحماد إلى المؤمنين على أنه عصمهم من
مثل حالهم (يسعى نورهم) على الصراط (أتمم لنا نورنا) قال ابن عباس يقولون ذلك إذا طفئ نور المنافقين
إشفاقا وعن الحسن الله متممه لهم ولكنهم يدعون تقربا إلى الله كقوله تعالى واستغفر لذنبك وهو مغفور له
وقيل يقوله أدناهم منزلة لأنهم يعطون من النور قدر ما يبصرون به مواطئ أقدامهم لأن النور على قدر
الأعمال فيسألون إتمامه تفضلا وقيل السابقون إلى الجنة يمرون مثل البرق على الصراط وبعضهم كالريح
وبعضهم حبوا وزحفا أولئك الذين يقولون ربنا أتمم لنا نورنا (فإن قلت) كيف يشفقون والمؤمنون آمنون
أم من يأتي آمنا يوم القيامة لا خوف عليهم لا يحزنهم الفزع الأكبر أو كيف يتقربون وليست الدار دار
تقرب (قلت) أما الإشفاق فيجوز أن يكون على عادة البشرية وإن كانوا معتقدين الأمن وأما التقرب فلما
كانت حالهم كحال المتقربين حيث يطلبون ما هو حاصل لهم من الرحمة سماه تقربا (جاهد الكفار) بالسيف
(والمنافقين) بالاحتجاج * واستعمل الغلظة والخشونة على الفريقين فيما تجاهدهما به من القتال والمحاجة
وعن قتادة مجاهدة المنافقين لإقامة الحدود عليهم وعن مجاهد بالوعيد وقيل بإفشاء أسرارهم * مثل الله
عز وجل حال الكفار في أنهم يعاقبون على كفرهم وعداوتهم للمؤمنين معاقبة مثلهم من غير إبقاء ولا محاباة
ولا ينفعهم مع عداوتهم لهم ما كان بينهم وبينهم من لحمة نسب أو وصلة صهر لأن عداوتهم لهم وكفرهم بالله
ورسوله قطع العلائق وبت الوصل وجعلهم أبعد من الأجانب وأبعد وإن كان المؤمن الذي يتصل به الكافر
نبيا من أنبياء الله بحال امرأة نوح وامرأة لوط لما نافقتا وخانتا الرسولين لم يغن الرسولان عنهما بحق ما بينهما
وبينهما من وصلة الزواج إغناء ما من عذاب الله (وقيل) لهما عند موتهما أو يوم القيامة (ادخلا النار مع) سائر
(الداخلين) الذين لا وصلة بينهم وبين الأنبياء أو مع داخليها من إخوانكما من قوم نوح وقوم لوط * ومثل
حال المؤمنين في أن وصلة الكافرين لا تضرهم ولا تنقص شيئا من ثوابهم وزلفاهم عند الله بحال امرأة فرعون
ومنزلتها عند الله تعالى مع كونها زوجة أعدى أعداء الله الناطق بالكلمة العظمى ومريم ابنة عمران وما
أوتيت من كرامة الدنيا والآخرة والاصطفاء على نساء العالمين مع أن قومها كانوا كفارا وفي طي هذين
التمثيلين تعريض بأمي المؤمنين المذكورتين في أول السورة وما فرط منهما من التظاهر على رسول الله صلى
الله عليه وسلم بما كرهه وتحذير لهما على أغلظ وجه وأشده لما في التمثيل من ذكر الكفر ونحوه في التغليظ
قوله تعالى ومن كفر فإن الله غني عن العالمين وإشارة إلى أن من حقهما أن تكونا في الإخلاص والكمال فيه
كمثل هاتين المؤمنتين وأن لا تتكلا على أنهما زوجا رسول الله فإن ذلك الفضل لا ينفعهما إلا مع كونهما
مخلصتين والتعريض بحفصة أرجح لأن امرأة لوط أفشت عليه كما أفشت حفصة على رسول الله وأسرار
التنزيل ورموزه في كل باب بالغة من اللطف والخفاء حدا يدق عن تفطن العالم ويزل عن تبصره (فإن قلت)
ما فائدة قوله من عبادنا (قلت) لما كان مبنى التمثيل على وجود الصلاح في الإنسان كائنا من كان وأنه وحده
هو الذي يبلغ به الفوز وينال ما عند الله قال عبدين من عبادنا صالحين فذكر النبيين المشهورين العلمين
بأنهما عبدان لم يكونا إلا كسائر عبادنا من غير تفاوت بينهما وبينهم إلا بالصلاح وحده إظهارا وإبانة لأن

عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأت نوح وامرأت لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأت فرعون إذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني

* عاد كلامه في قوله ضرب الله مثلا للذين كفروا الآية (قال فيه) مثل الله حال الكفار في أنهم يعاقبون على كفرهم أغلظ عقاب وأشده من غير إبقاء الخ

عبدا من العباد لا يرجح عنده الا بالصلاح لا غير وأن ما سواه مما يرجح به الناس عند الناس ليس بسبب للرجحان عنده (فان قلت) ما كانت خيانتهما (قلت) نفاقهما وابطانهما الكفر وتظاهرهما على الرسولين فامرأة نوح قالت لقومه انه مجنون وامرأة لوط دلت على ضيفانه ولا يجوز أن يراد بالخيانة الفجور لانه سمج في الطباع نقيصة عند كل أحد بخلاف الكفر فان الكفار لا يستسمجونه بل يستحسنونه ويسمونه حقا وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما بغت امرأة نبي قط وامرأة فرعون آسية بنت مزاحم وقيل هي عمة موسى عليه السلام آمنت حين سمعت بتلقف عصا موسى الافك فعذبها فرعون عن أبي هريرة أن فرعون وتد امرأته بأربعة أوتاد واستقبل بها الشمس وأضجعها على ظهرها ووضع رحى على صدرها وقيل أمر بأن تلقى عليها صخرة عظيمة فدعت الله فرقي بروحها فالقيت الصخرة على جسد لا روح فيه وعن الحسن فنجاها الله أكرم نجاة فرفعها الى الجنة فهي تأكل وتشرب وتتنعم فيها وقيل لما قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة أريت بيتها في الجنة يبنى وقيل انه من درة وقيل كانت تعذب في الشمس فتظلها الملائكة (فان قلت) ما معنى الجمع بين عندك وفي الجنة (قلت) طلبت القرب من رحمة الله والبعد من عذاب أعدائه ثم بينت مكان القرب بقولها في الجنة أو أرادت ارتفاع الدرجة في الجنة وأن تكون جنتها من الجنان التي هي أقرب الى العرش وهي جنات المأوى فعبرت عن القرب الى العرش بقولها عندك (من فرعون وعمله) من عمل فرعون أو من نفس فرعون الخبيثة وسلطانه الغشوم وخصوصا من عمله وهو الكفر وعبادة الاصنام والظلم والتعذيب بغير جرم (ونجني من القوم الظالمين) من القبط كلهم وفيه دليل على أن الاستعاذة بالله والالتجاء اليه ومسئلة الخلاص منه عند المحن والنوازل من سير الصالحين وسنن الانبياء والمرسلين فافتح بيني وبينهم فتحا ونجني ومن معي من المؤمنين ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين ونجنا برحمتك من القوم الكافرين (فيه) في الفرج وقرأ ابن مسعود فيها كما قرئ في سورة الانبياء والضمير للجملة وقد مر لي في هذا الظرف كلام ومن بدع التفاسير أن الفرج هو جيب الدرع ومعنى أحصنته منعته جبريل وأنه جمع في التمثيل بين التي لها زوج والتي لا زوج لها تسلية للارامل وتطييبا لانفسهن (وصدقت) قرئ بالتشديد والتخفيف على أنها جعلت الكلمات والكتب صادقة يعني وصفتها بالصدق وهو معنى التصديق بعينه (فان قلت) فما كلمات الله وكتبه (قلت) يجوز أن يراد بكلماته صحفه التي أنزلها على ادريس وغيره سماها كلمات لقصرها وبكتبه الكتب الاربعة وأن يراد جميع ما كلم الله به ملائكته وغيرهم وجميع ما كتبه في اللوح وغيره وقرئ بكلمة الله وكتابه أي بعيسى وبالكتاب المنزل عليه وهو الانجيل (فان قلت) لم قيل (من القانتين) على التذكير (قلت) لان القنوت صفة تشمل من قنت من القبيلين فغلب ذكوره على اناثه ومن للتبعيض ويجوز أن يكون لابتداء الغاية على أنها ولدت من القانتين لانها من أعقاب هرون أخي موسى صلوات الله عليهما وعن النبي صلى الله عليه وسلم كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا أربع آسية بنت مزاحم امرأة فرعون ومريم ابنة عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد ... ما روى أن عائشة سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف سمى الله المسلمة ولم يسم الكافرة فقال بغضا لها قالت وما اسمها قال اسم امرأة نوح واعلة واسم امرأة لوط واهلة فحديث ... ولقد سمى الله تعالى جماعة من الكفار باسمائهم وكناهم ولو كانت التسمية للبغض لسماهم ... آسية وقد قرن بينها وبين مريم في التمثيل للمؤمنين وأبى الله الا أن يجعل للمصنوع أمارة ... الله صلى الله عليه وسلم أحكم وأسلم من ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة التحريم آتاه الله توبة نصوحا

(سورة

* قوله تعالى وصدقت بكلمات ربها وكتبه (قال فيه يجوز أن يراد بالكلمات الصحف التي أنزلها الله تعالى على ادريس وغيره سماها كلمات لقصرها الخ) قال أحمد هو يعتقد حدوث كلام الله ويجحد الكلام القديم فلا جرم ان كلامه لا يعدو الاشعار بان كلمات الله متناهية لانه في الوجه الاول جعلها مجموعة جمع قلة لقصرها وفي الثاني حصرها بقوله جميع وأين وصفها بالقصر والحصر من الآيتين التوأمتين اللتين احداهما قوله قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي والاخرى قوله ولو أن ما في الارض من شجرة أقلام الآية من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين ومريم ابنت عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين وما هو في الحقيقة الا غير مؤمن بكلمات الله تعالى فالحق ان كلام الله تعالى صفة من صفات كماله أزلية أبدية غير متناهية فهكذا آمنت امرأة فرعون التي نساؤها في كتاب الله العزيز ثبتنا الله على الايمان ووقانا الخذلان والله المستعان * عاد كلامه

(قال) وامرأة فرعون اسمها آسية بنت مزاحم وما نقل في الحديث ان عائشة قالت يا رسول الله لم سمى الله المؤمنة ولم يسم الكافرة فقال بغضا لها الخ

﴿القول سورة الملك﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قوله تعالى هو الذي خلق الموت والحياة (قال أي ما يوجب كون الشيء حيا أو ما يصح بوجوده الإحساس والموت عدم ذلك الخ) قال أحمد أخطأ في تفسير الموت وديدنه المعروف أن يفسر ويتبع التفسير آراءه القدرية ومنها قطع الله ذكرها أن الموت عدم وهو خطأ صراح ومعتقد أهل السنة أنه أمر وجودي يضاد الحياة وكيف يكون العدم بهذه المثابة ولو كان العدم مخلوقا حادثا وعدم الحوادث مقرر أزلا للزم قطع الحوادث أزلا وذلك أدهى من القول بقدم العالم فانظر إلى هذا الهوى أين مؤداه وكيف أهوى بصاحبه فأرداه نعوذ بالله من الزلل والخطل * عاد كلامه قوله ليبلوكم أيكم أحسن عملا (قال فيه أين تعلق قوله أيكم أحسن عملا بفعل البلوى وأجاب بأن معناه ليعلمكم أيكم أحسن عملا لأن البلوى تتضمن العلم الخ) قال أحمد التعليق عن أحد المفعولين مختلف فيه بين النحاة والأصح ما أجازه وهو في هذا الفن يمشي وفيه يدرج ويدري كيف يدخل فيه ويخرج

﴿سورة الملك مكية وهي ثلاثون آية وتسمى الواقية والمنجية لأنها تقي وتنجي قارئها من عذاب القبر﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(تبارك) تعالى وتعاظم عن صفات المخلوقين (الذي بيده الملك) على كل موجود (وهو على كل) ما لم يوجد مما يدخل تحت القدرة (قدير) وذكر اليد مجاز عن الإحاطة بالملك والاستيلاء عليه * والحياة ما يصح بوجوده الإحساس وقيل ما يوجب كون الشيء حيا وهو الذي يصح منه أن يعلم ويقدر * والموت عدم ذلك فيه ومعنى خلق الموت والحياة إيجاد ذلك المصحح وإعدامه والمعنى خلق موتكم وحياتكم أيها المكلفون (ليبلوكم) وسمى علم الواقع منهم باختيارهم بلوى وهي الخبرة استعارة من فعل المختبر ونحوه قوله تعالى ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم (فإن قلت) من أين تعلق قوله (أيكم أحسن عملا) بفعل البلوى (قلت) من حيث إنه تضمن معنى العلم فكأنه قيل ليعلمكم أيكم أحسن عملا وإذا قلت علمته أزيد أحسن عملا أم هو كانت هذه الجملة واقعة موقع الثاني من مفعوليه كما تقول علمته هو أحسن عملا (فإن قلت) أتسمي هذا تعليقا (قلت) لا إنما التعليق أن توقع بعده ما يسد مسد المفعولين جميعا كقولك علمت أيهما عمرو وعلمت أزيد منطلق ألا ترى أنه لا فصل بعد سبق أحد المفعولين بين أن يقع ما بعده مصدرا بحرف الاستفهام وغير مصدر به ولو كان تعليقا لافترقت الحالتان كما افترقتا في قولك علمت أزيد منطلق وعلمت زيدا منطلقا أحسن عملا قيل أخلصه وأصوبه لأنه إذا كان خالصا غير صواب لم يقبل وكذلك إذا كان صوابا غير خالص فالخالص أن يكون لوجه الله تعالى والصواب أن يكون على السنة وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه تلاها فلما بلغ قوله أيكم أحسن عملا قال أيكم أحسن عقلا وأورع عن محارم الله وأسرع في طاعة الله يعني أيكم أتم عقلا عن الله وفهما لأغراضه والمراد أنه أعطاكم الحياة التي تقدرون بها على العمل وتستمكنون منه وسلط عليكم الموت الذي هو داعيكم إلى اختيار العمل الحسن على القبيح لأن وراءه البعث والجزاء الذي لا بد منه وقدم الموت على الحياة لأن أقوى الناس داعيا إلى العمل من نصب موته بين عينيه فقدم لأنه فيما يرجع إلى الغرض المسوق له الآية أهم (وهو العزيز) الغالب الذي لا يعجزه من أساء العمل (الغفور) لمن تاب من أهل الإساءة (طباقا) مطابقة بعضها فوق بعض من طابق النعل إذا خصفها طبقا على طبق وهذا وصف بالمصدر أو على ذات طباق أو على طوبقت طباقا (من تفاوت) وقرئ من تفوت ومعنى البناءين واحد كقولهم تظاهروا من نسائهم وتظهروا وتعاهدته وتعهدته أي من اختلاف واضطراب في الخلقة ولا تناقض إنما هي مستوية مستقيمة وحقيقة التفاوت عدم التناسب كأن بعض الشيء يفوت بعضا ولا يلائمه ومنه قولهم خلق متفاوت وفي نقيضه متناصف (فإن قلت) كيف موقع هذه الجملة مما قبلها (قلت) هي صفة مشايعة لقوله طباقا وأصلها ما ترى فيهن من تفاوت فوضع مكان الضمير قوله خلق الرحمن تعظيما لخلقهن وتنبيها على سبب سلامتهن من التفاوت وهو أنه خلق الرحمن وأنه بباهر قدرته هو الذي يخلق مثل ذلك الخلق المتناسب والخطاب في ما ترى للرسول أو لكل مخاطب وقوله تعالى (فارجع البصر) متعلق به على معنى التسبيب أخبره بأنه لا تفاوت في خلقهن ثم قال فارجع البصر حتى يصح عندك ما أخبرت به بالمعاينة ولا تبقى معك شبهة فيه (هل ترى من فطور) من صدوع وشقوق جمع فطر وهو الشق يقال فطره فانفطر ومنه فطر ناب البعير كما يقال شق وبزل ومعناه شق اللحم فطلع * وأمره بتكرير البصر فيهن متصفحا ومتتبعا يتلمس عيبا وخللا (ينقلب إليك) أي إن رجعت البصر وكررت النظر لم يرجع إليك بصرك بما التمسته من رؤية الخلل وإدراك العيب بل يرجع إليك بالخسوء والحسور أي بالبعد عن إصابة الملتمس كأنه يطرد عن ذلك طردا بالصغار والقماءة وبالإعياء والكلال لطول الإجالة والترديد (فإن قلت) كيف ينقلب البصر خاسئا حسيرا

﴿سورة الملك مكية وهي ثلاثون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور الذي خلق سبع سموات طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير ولقد زينا السماء

* قوله تعالى ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير (قال فيه لم خص الكرتين فأجاب بأن معنى التثنية هنا التكثير الخ) قال أحمد وفى قوله ينقلب اليك البصر وضع للظاهر موضع المضمر وفيه من الفائدة التنبيه على أن الذى يرجع خاسئا حسيرا غير مدرك الفطور هو الآلة التى (٤٧٦) يلتمس بها ادراك ما هو كائن فاذا لم يدرك شيئا دل على أنه لا شئ ومن هذا القبيل قوله
خلق سبع سموات طباقا ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت وأصله ما ترى فى خلقهن من تفاوت ولكنه ذكرهن منسوبات لخلق الرحمن تنبيها على السبب الذى

الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين وأعتدنا لهم عذاب السعير وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير اذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقا وهى تفور تكاد تميز من الغيظ كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شئ ان أنتم الا فى ضلال كبير وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير فاعترفوا

يرجعه كرتين اثنتين (قلت) معنى التثنية التكرير بكثرة كقولك لبيك وسعديك تريد اجابات كثيرة بعضها فى أثر بعض وقولهم فى المثل دهدرين سعد القين من ذلك أى بعد باطل (فان قلت) فما معنى ثم ارجع (قلت) أمره برجع البصر ثم أمره بأن لا يقتنع بالرجعة الاولى وبالنظرة الحمقاء وأن يتوقف بعدها ويجم بصره ثم يعاود ويعاود الى أن يحسر بصره من طول المعاودة فانه لا يعثر على شئ من فطور (الدنيا) القربى لانها أقرب السموات الى الناس ومعناه السماء الدنيا منكم * والمصابيح السرج سميت بها الكواكب والناس يزينون مساجدهم ودورهم بأثقاب المصابيح فقيل ولقد زينا سقف الدار التى اجتمعتم فيها (بمصابيح) أى بأى مصابيح لا توازيها مصابيحكم اضاءة وضممنا الى ذلك منافع أخر أنا (جعلناها رجوما) لأعدائكم (الشياطين) الذين يخرجونكم من النور الى الظلمات وتهتدون بها فى ظلمات البر والبحر قال قتادة خلق الله النجوم لثلاث زينة للسماء ورجوما للشياطين وعلامات يهتدى بها فمن تأول فيها غير ذلك فقد تكلف ما لا علم له به وعن محمد بن كعب والله ما لاحد من أهل الارض فى السماء نجم ولكنهم يتخذون الكهانة ويتخذون النجوم علة والرجوم جمع رجم وهو مصدر سمى به ما يرجم به ومعنى كونها مراجم للشياطين أن الشهب التى تنقض لرمى المسترقة منهم منفصلة من نار الكواكب لا أنهم يرجمون بالكواكب أنفسها لانها قارة فى الفلك على حالها وما ذاك الا كقبس يؤخذ من نار والنار ثابتة كاملة لا تنقص وقيل من الشياطين المرجومة من يقتله الشهاب ومنهم من يخبله وقيل معناه وجعلناها ظنونا ورجوما بالغيب لشياطين الانس وهم المنجمون (وأعتدنا لهم عذاب السعير) فى الآخرة بعد عذاب الاحراق بالشهب فى الدنيا وللذين كفروا بربهم أى ولكل من كفر بالله من الشياطين وغيرهم (عذاب جهنم) ليس الشياطين المرجومون مخصوصين بذلك وقرئ عذاب جهنم بالنصب عطفا على عذاب السعير (اذا ألقوا فيها) أى طرحوا كما يطرح الحطب فى النار العظيمة ويرمى به ومثله قوله تعالى حصب جهنم (سمعوا لها شهيقا) اما لاهلها ممن تقدم طرحهم فيها أو من أنفسهم كقوله لهم فيها زفير وشهيق واما للنار تشبيها لحسيسها المنكر الفظيع بالشهيق (وهى تفور) تغلى بهم غليان المرجل بما فيه * وجعلت كالمغتاظة عليهم لشدة غليانها بهم ويقولون فلان يتميز غيظا ويتقصف غضبا وغضب فطارت منه شقة فى الارض وشقة فى السماء اذا وصفوه بالافراط فيه ويجوز أن يراد غيظ الزبانية (ألم يأتكم نذير) توبيخ يزدادون به عذابا الى عذابهم وحسرة الى حسرتهم * وخزنتها مالك وأعوانه من الزبانية (قالوا بلى) اعتراف منهم بعدل الله واقرار بأن الله عز وعلا أزاح عللهم ببعثة الرسل وانذارهم ما وقعوا فيه وأنهم لم يؤتوا من قدرة كما تزعم المجبرة وانما أتوا من قبل أنفسهم واختيارهم خلاف ما اختار الله وأمر به وأوعد على ضده (فان قلت) (ان أنتم الا فى ضلال كبير) من المخاطبون به (قلت) هو من جملة قول الكفار وخطابهم للمنذرين على أن النذير بمعنى الانذار والمعنى ألم يأتكم أهل نذير أو وصف منذروهم لغلوهم فى الانذار كأنهم ليسوا الا انذارا وكذلك فقد جاءنا نذير ونظيره قوله تعالى انا رسول رب العالمين أى حاملا رسالته ويجوز أن يكون من كلام الخزنة للكفار على ارادة القول أرادوا حكاية ما كانوا عليه من ضلالهم فى الدنيا أو أرادوا بالضلال الهلاك أو سموا عقاب الضلال باسمه أو من كلام الرسل لهم حكوه للخزنة أى قالوا لنا هذا فلم نقبله (لو كنا نسمع) الانذار سماع طالبين للحق * أو نعقله عقل متأملين وقيل انما جمع بين السمع والعقل لان مدار التكليف على أدلة السمع والعقل

ويأبى على الفطور والتفاوت * قوله تعالى وجعلناها رجوما للشياطين وأعتدنا لهم عذاب السعير (حمل الشياطين على ظاهره ونقل عن بعضهم أن معناها وجعلناها ظنونا ورجوما بالغيب الخ) قال أحمد وهذا من الاستطراد لما ذكر وعيد الشياطين استطرد ذلك وعيد الكافرين عموما والله أعلم * قوله تعالى لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير (قال فيه معناه لو كنا نسمع الانذار سماع طالبى الحق الخ) قال أحمد ان عنى ان الاحكام الشرعية تستفاد من العقل كما تستفاد من السمع بناء على قاعدة التحسين والتقبيح فهو غير بريء من أصحاب السعير وان عنى ان العقل يرشد الى العقائد الصحيحة والسمع يختص بالاحكام الشرعية فهو مع أهل السنة

*وعادكلامه (قال ومن بدع التفاسير ان المراد لو كنا على مذهب أصحاب الحديث أو على مذهب أصحاب الرأي الخ) قال أحمد ولو تفطن لنبيه هذه الآية لعدها دليلا على تفضيل السمع على البصر فانه قد استدل على ذلك بأخفى منها * قوله تعالى ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير (قال فيه أنكر أن لا يحيط علما بالسر والجهر من خلق ذلك الخ) قال أحمد هذه الآية ترد على المعتزلة وتصحح الطريق التي يسلكها أهل السنة في الرد عليهم فان أهل السنة يستدلون على ان العبد لا يخلق أفعاله بأنه لا يعلمها وهو استدلال بنفي اللازم الذي هو العلم على نفي الملزوم الذي هو الخلق وبهذه الملازمة دلت الآية فان الله تعالى أرشد الى الاستدلال على ثبوت العلم له عز وجل بثبوت الخلق وهو استدلال بوجود الملزوم على وجود اللازم فهو نور واحد يقتبس منه ثبوت العلم للباري عز وجل وابطال خلق العبد لافعاله واعراب الآية يتنزل على هذا المعنى فان الوجه فيها أن يكون من فاعلا مرادا به الخالق ومفعول العلم محذوف تقديره ذلك اشارة الى السر والجهر ومفعول خلق محذوف ضميره عائد الى ذلك والتقدير في الجميع ألا يعلم السر والجهر من خلقهما ومتى حدنا عن هذا الوجه من الاعراب ألقانا الى مضايق التكلف والتعسف في الحمل أن يكون من مفعوله واقعة على فاعل السر والجهر والتقدير ألا يعلم الله المسرين والجاهرين وليس مطابقا للفصل فانه لم يقع على ذوات الفاعلين وانما وقع على أفعالهم من السر والجهر وعليه وقع الاستدلال ويحتمل غير ذلك أبعد منه والاول هو الاولى لفظا ومعنى والله الموفق * قوله تعالى أولم يروا الى الطير فوقهم صافات ويقبضن (قال فيه معناه باسطات أجنحتهن اذا بسطنها صففن قوادمها الخ) قال أحمد ويلاحظ هذا المعنى في قوله والطير محشورة بعد قوله انا سخرنا الجبال معه يسبحن ولم يقل مسبحات مثل محشورة لقربه من هذا التقدير ولقد أحسن فيه كل الاحسان

بذنبهم فسحقا لاصحاب السعير ان الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير وأسروا قولكم أو اجهروا به انه عليم بذات الصدور ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير هو الذي جعل لكم الارض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الارض فاذا هي تمور أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا فستعلمون كيف نذير ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف كان نكير أولم يروا الى الطير فوقهم صافات ويقبضن

بالسعير قيل ومن بدع التفاسير أن المراد لو كنا على مذهب أصحاب الحديث أو على مذهب أصحاب الرأي كأن هذه الآية نزلت بعد ظهور هذين المذهبين وكأن سائر أصحاب المذاهب والمجتهدين قد أنزل الله وعيدهم وكأن من كان من هؤلاء فهو من الناجين لا محالة وعدة المبشرين من الصحابة عشرة لم يضم اليهم حادي عشر وكأن من يجوز على الصراط أكثرهم لم يسمعوا باسم هذين الفريقين (بذنبهم) بكفرهم في تكذيبهم الرسل (فسحقا) قرئ بالتخفيف والتثقيل أي فبعدا لهم اعترفوا أو جحدوا فان ذلك لا ينفعهم * ظاهره الامر بأحد الامرين الاسرار والاجهار ومعناه ليستو عندكم اسراركم واجهاركم في علم الله بهما * ثم انه علله (انه عليم بذات الصدور) أي بضمائرها قبل أن تترجم الالسنة عنها فكيف لا يعلم ما تكلم به * ثم أنكر أن لا يحيط علما بالمضمر والمسر والمجهر (من خلق) الاشياء وحاله انه اللطيف الخبير المتوصل علمه الى ما ظهر من خلقه وما بطن ويجوز أن يكون من خلق منصوبا بمعنى ألا يعلم مخلوقه وهذه حاله وروي أن المشركين كانوا يتكلمون فيما بينهم بأشياء فيظهر الله رسوله عليها فيقولون أسروا قولكم لئلا يسمعه اله محمد فنبه الله على جهلهم (فان قلت) قدرت في ألا يعلم مفعولا على معنى ألا يعلم ذلك المذكور مما أضمر في القلب وأظهر باللسان من خلق فهلا جعلته مثل قولهم هو يعطي ويمنع وهلا كان المعنى ألا يكون عالما من هو خالق لان الخلق لا يصح الا مع العلم (قلت) أبت ذلك الحال التي هي قوله وهو اللطيف الخبير لانك لو قلت ألا يكون عالما من هو خالق وهو اللطيف الخبير لم يكن معنى صحيحا لان ألا يعلم معتمد على الحال والشئ لا يوقت بنفسه فلا يقال ألا يعلم وهو عالم ولكن ألا يعلم كذا وهو عالم بكل شئ * المشي في مناكبها مثل لفرط التذليل ومجاوزته الغاية لان المنكبين وملتقاهما من الغارب أرق شئ من البعير وأنباه عن أن يطأه الراكب بقدمه ويعتمد عليه فاذا جعلها في الذل بحيث يمشي في مناكبها لم يترك وقيل مناكبها جبالها قال الزجاج معناه سهل لكم السلوك في جبالها فاذا أمكنكم السلوك في جبالها فهو أبلغ التذليل وقيل جوانبها * والمعنى واليه نشوركم فهو مسائلكم عن شكر ما أنعم به عليكم (من في السماء) فيه وجهان أحدهما من ملكوته في السماء لانها مسكن ملائكته وثم عرشه وكرسيه واللوح المحفوظ ومنها تنزل قضاياه وكتبه وأوامره ونواهيه والثاني انهم كانوا يعتقدون التشبيه وأنه في السماء وأن الرحمة والعذاب ينزلان منه وكانوا يدعونه من جهتها فقيل لهم على حسب اعتقادهم أأمنتم من تزعمون أنه في السماء وهو متعال عن المكان أن يعذبكم بخسف أو بحاصب كما تقول لبعض المشبهة أما تخاف من فوق العرش أن يعاقبك بما تفعل اذا رأيته يركب بعض المعاصي (فستعلمون) قرئ بالتاء والياء (كيف نذير) أي اذا رأيتم المنذر به علمتم كيف انذاري حين لا ينفعكم العلم (صافات) باسطات أجنحتهن في الجو عند طيرانها لانهن اذا بسطنها صففن قوادمها صفا (ويقبضن)

ويضممنها اذا ضربن بها جنوبهن (فان قلت) لم قيل ويقبضن ولم يقل وقابضات (قلت) لان الاصل في الطيران هو صف الاجنحة لان الطيران في الهواء كالسباحة في الماء والاصل في السباحة مد الاطراف وبسطها وأما القبض فطارئ على البسط للاستظهار به على التحرك فجيء بما هو طار غير أصل بلفظ الفعل على معنى أنهن صافات ويكون منهن القبض تارة بعد تارة كما يكون من السابح (ما يمسكهن الا الرحمن) بقدرته وبما دبر لهن من القوادم والخوافي وبنى الاجسام على شكل وخصائص قد تأتى منها الجري في الجو (انه بكل شيء بصير) يعلم كيف يخلق وكيف يدبر العجائب (أمن) يشار اليه من الجموع ويقال (هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون) الله ان أرسل عليكم عذابه (أمن) يشار اليه ويقال (هذا الذي يرزقكم ان أمسك رزقه) وهذا على التقدير ويجوز أن يكون اشارة الى جميع الاوثان لاعتقادهم أنهم يحفظون من النوائب ويرزقون ببركة آلهتهم فكأنهم الجند الناصر والرازق ونحوه قوله تعالى أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا (بل لجوا في عتو ونفور) بل تمادوا في عناد وشراد عن الحق لثقله عليهم فلم يتبعوه * يجعل أكب مطاوع كبه يقال كببته فأكب من الغرائب والشواذ ونحوه قشعت الريح السحاب فأقشع وما هو كذلك ولا شيء من بناء أفعل مطاوعا ولا يتقن نحو هذا الا حملة كتاب سيبويه وانما أكب من باب أنفض وألأم ومعناه دخل في الكب وصار ذا كب وكذلك أقشع السحاب دخل في القشع ومطاوع كب وقشع انكب وانقشع (فان قلت) ما معنى (يمشي مكبا على وجهه) وكيف قابل يمشي سويا على صراط مستقيم (قلت) معناه يمشي معتسفا في مكان معتاد غير مستو فيه انخفاض وارتفاع فيعثر كل ساعة فيخر على وجهه مكبا فحاله نقيض حال من يمشي سويا أي قائما سالما من العثور والخرور أو مستوي الجهة قليل الانحراف خلاف المعتسف الذي ينحرف هكذا وهكذا على طريق مستو ويجوز أن يراد الاعمى الذي لا يهتدي الى الطريق فيعتسف فلا يزال ينكب على وجهه وأنه ليس كالرجل السوي الصحيح البصر الماشي في الطريق المهتدي له وهو مثل للمؤمن والكافر وعن قتادة الكافر أكب على معاصي الله تعالى فحشره الله يوم القيامة على وجهه وعن الكلبي عنى به أبو جهل بن هشام وبالسوي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل حمزة بن عبد المطلب (فلما رأوه) الضمير للوعد والزلفة القرب وانتصابها على الحال أو الظرف أي رأوه ذا زلفة أو مكانا ذا زلفة (سيئت وجوه الذين كفروا) أي ساءت رؤية الوعد وجوههم بأن علتها الكآبة وغشيها الكسوف والقترة وكلحوا وكما يكون وجه من يقاد الى القتل أو يعرض على بعض العذاب (وقيل) القائلون الزبانية (تدعون) تفتعلون من الدعاء أي تطلبون وتستعجلون به وقيل هو من الدعوى أي كنتم بسببه تدعون أنكم لا تبعثون وقرئ تدعون وعن بعض الزهاد أنه تلاها في أول الليل في صلاته فبقي يكررها وهو يبكي الى أن نودي لصلاة الفجر ولعمري انها لوقادة ان تسورت الحالة وتأملها كان كفار مكة يدعون على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين بالهلاك فأمر بأن يقول لهم نحن مؤمنون متربصون لاحدى الحسنيين اما أن نهلك كما تتمنون فننقلب الى الجنة أو نرحم بالنصرة والادالة للاسلام كما نرجو فأنتم ما تصنعون من يجيركم وأنتم كافرون من عذاب النار لا بد لكم منه يعني أنكم تطلبون لنا الهلاك الذي هو استعجال للفوز والسعادة وأنتم في أمر هو الهلاك الذي لا هلاك بعده وأنتم غافلون لا تطلبون الخلاص منه أو ان أهلكنا الله بالموت فمن يجيركم بعد موت هداتكم والآخذين بحجزكم من النار وان رحمنا بالامهال والغلبة عليكم وقتلكم فمن يجيركم فان المقتول على أيدينا هالك أو ان أهلكنا الله في الآخرة بذنوبنا ونحن مسلمون فمن يجير الكافرين وهم أولى بالهلاك لكفرهم وان رحمنا بالايمان فمن يجير من لا ايمان له (فان قلت) لم أخر مفعول آمنا وقدم مفعول توكلنا (قلت) لوقوع آمنا تعريضا بالكافرين حين ورد عقيب ذكرهم كأنه قيل آمنا ولم نكفر كما كفرتم ثم قال وعليه توكلنا خصوصا لم نتكل على ما أنتم متكلون عليه من رجالكم وأموالكم (غورا) غائرا ذاهبا في الارض وعن الكلبي لا تناله الدلاء وهو وصف بالمصدر كعدل ورضا وعن بعض الشطار أنها تليت عنده فقال تجيء به الفؤوس والمعاول فذهب ماء عينيه نعوذ بالله من الجراءة على الله وعلى

آياته

ما يمسكهن الا الرحمن
انه بكل شيء بصير أمن
هذا الذي هو جند لكم
ينصركم من دون الرحمن
ان الكافرون الا في
غرور أمن هذا الذي
يرزقكم ان أمسك
رزقه بل لجوا في عتو
ونفور أفمن يمشي مكبا
على وجهه أهدى أمن
يمشي سويا على صراط
مستقيم قل هو الذي
أنشأكم وجعل لكم السمع
والابصار والافئدة
قليلا ما تشكرون
قل هو الذي ذرأكم في
الارض واليه تحشرون
ويقولون متى هذا
الوعد ان كنتم صادقين
قل انما العلم عند الله
وانما أنا نذير مبين فلما
رأوه زلفة سيئت
وجوه الذين كفروا
وقيل هذا الذي كنتم به
تدعون قل أرأيتم ان
أهلكني الله ومن معي
أو رحمنا فمن يجير
الكافرين من عذاب
أليم قل هو الرحمن
آمنا به وعليه توكلنا
فستعلمون من هو في
ضلال مبين قل أرأيتم
ان أصبح ماؤكم غورا
فمن يأتيكم بماء معين

آياته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الملك فكأنما أحيا ليلة القدر

﴿سورة ن مكية وهي ثنتان وخمسون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* قرئ ن والقلم بالبيان والادغام وبسكون النون وفتحها وكسرها كما في ص والمراد هذا الحرف من حروف المعجم وأما قولهم هو الدواة فما أدري أهو وضع لغوي أم شرعي ولا يخلو إذا كان اسما للدواة من أن يكون جنسا أو علما فإن كان جنسا فأين الاعراب والتنوين وإن كان علما فأين الاعراب وأيهما كان فلا بد له من موقع في تأليف الكلام فإن قلت هو مقسم به وجب إن كان جنسا أن تجره وتنونه ويكون القسم بدواة منكرة مجهولة كأنه قيل ودواة والقلم وإن كان علما أن تصرفه وتجره أو لا تصرفه وتفتحه للعلمية والتأنيث وكذلك التفسير بالحوت إما أن يراد نون من النينان أو يجعل علما للبهموت الذي يزعمون والتفسير باللوح من نور أو ذهب والنهر في الجنة نحو ذلك وأقسم بالقلم تعظيما له لما في خلقه وتسويته من الدلالة على الحكمة العظيمة ولما فيه من المنافع والفوائد التي لا يحيط بها الوصف (وما يسطرون) وما يكتب من كتب وقيل ما يسطره الحفظة وما موصولة أو مصدرية ويجوز أن يراد بالقلم أصحابه فيكون الضمير في يسطرون لهم كأنه قيل وأصحاب القلم ومسطوراتهم أو وسطرهم ويراد بهم كل من يسطر أو الحفظة * (فإن قلت) بم يتعلق الباء في (بنعمة ربك) وما محله (قلت) يتعلق بمجنون منفيا كما يتعلق بعاقل مثبتا في قولك أنت بنعمة الله عاقل مستويا في ذلك الاثبات والنفي استواءهما في قولك ضرب زيد عمرا وما ضرب زيد عمرا تعمل الفعل مثبتا ومنفيا إعمالا واحدا ومحله النصب على الحال كأنه قال ما أنت مجنون منعما عليك بذلك ولم تمنع الباء أن يعمل مجنون فيما قبله لأنها زائدة لتأكيد النفي والمعنى استبعاد ما كان ينسبه إليه كفار مكة عداوة وحسدا وأنه من إنعام الله عليه بحصافة العقل والشهامة التي يقتضيها التأهيل للنبوة بمعزل (وإن لك) على احتمال ذلك وإساغة الغصة فيه والصبر عليه (لأجرا) لثوابا (غير ممنون) غير مقطوع كقوله عطاء غير مجذوذ أو غير ممنون عليك به لأنه ثواب تستوجبه على عملك وليس بتفضل ابتداء وإنما تمن الفواضل لا الأجور على الأعمال * استعظم خلقه لفرط احتماله الممضات من قومه وحسن مخالقته ومداراته لهم وقيل هو الخلق الذي أمره الله تعالى به في قوله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وعن عائشة رضي الله عنها أن سعد بن هشام سألها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القرآن ألست تقرأ القرآن قد أفلح المؤمنون (المفتون) المجنون لأنه فتن أي محن بالجنون أو لأن العرب يزعمون أنه من تخبيل الجن وهم الفتان للفتاك منهم * والباء مزيدة أو المفتون مصدر كالمعقول والمجلود أي بأيكم الجنون أو بأي الفريقين منكم المجنون أبفريق المؤمنين أم بفريق الكافرين أي في أيهما يوجد من يستحق هذا الاسم وهو تعريض بأبي جهل بن هشام والوليد بن المغيرة وأضرابهما وهذا كقوله تعالى سيعلمون غدا من الكذاب الأشر (إن ربك هو أعلم) بالمجانين على الحقيقة وهم الذين ضلوا عن سبيله (وهو أعلم) بالعقلاء وهم المهتدون أو يكون وعيدا ووعدا وأنه أعلم بجزاء الفريقين (فلا تطع المكذبين) تهييج والهاب للتصميم على معاصاتهم وكانوا قد أرادوه على أن يعبد الله مدة وآلهتهم مدة ويكفوا عنه غوائلهم (لو تدهن) لو تلين وتصانع (فيدهنون) (فإن قلت) لم رفع فيدهنون ولم ينصب بإضمار أن وهو جواب التمني (قلت) قد عدل به إلى طريق آخر وهو أن جعل خبر مبتدأ محذوف أي فهم يدهنون كقوله تعالى فمن يؤمن بربه فلا يخاف على معنى ودوا لو تدهن فهم يدهنون حينئذ أو ودوا ادهانك فهم الآن يدهنون لطمعهم في ادهانك قال سيبويه وزعم هرون أنها في بعض المصاحف ودوا لو تدهن فيدهنوا (حلاف) كثير الحلف في الحق والباطل وكفى به مزجرة لمن اعتاد الحلف ومثله قوله تعالى ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم (مهين) من المهانة وهي القلة والحقارة يريد القلة في الرأي والتمييز أو أراد الكذاب لأنه حقير عند الناس (هماز) عياب طعان وعن الحسن يلوي شدقيه في أقفية الناس (مشاء بنميم) مضرب نقال للحديث من قوم إلى قوم على وجه السعاية والافساد بينهم والنميم والنميمة السعاية وأنشدني بعض العرب

﴿سورة ن مكية وهي ثنتان وخمسون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

ن والقلم وما يسطرون ما أنت بنعمة ربك بمجنون وإن لك لأجرا غير ممنون وإنك لعلى خلق عظيم فستبصر ويبصرون بأيكم المفتون إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين فلا تطع المكذبين ودوا لو تدهن فيدهنون ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم

﴿القول في سورة ن والقلم﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* قوله تعالى وإن لك لأجرا غير ممنون (قال معناه غير مقطوع كقوله عطاء غير مجذوذ الخ) قال أحمد ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يرضى من الزمخشري بتفسير الآية هكذا وهو صلى الله عليه وسلم يقول لا يدخل أحد منكم الجنة بعمله قيل ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا إلا أن يتغمدني الله بفضل منه ورحمة ولقد بلغ بالزمخشري سوء الأدب إلى حد يوجب الحد وحاصل قوله أن الله لا منة له على أحد ولا فضل في دخول الجنة لأنه قام بواجب عليه نعوذ بالله من الجرأة عليه

*قوله تعالى عتل بعد ذلك زنيم (قال العتل الجافي والزنيم الدعي وكذلك كان الوليد بن المغيرة المخزومي استلحقه المغيرة بعد ثمان عشرة من مولده الخ) قال أحمد وانما أخذ كون هذين أشد معايبه من قوله بعد ذلك فانه يعطي تراخي المرتبة فيما بين المذكور أولا والمذكور بعده في الشر والخير ونظيره في الخير قوله تعالى والملائكة بعد ذلك ظهير ومن ثم استعملت ثم لتراخي المراتب وان أعطت عكس الترتيب الوجودي *قوله تعالى انا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة الى آخر الآيات (قال فيه أصحاب الجنة قوم من أهل الصلاة كان لأبيهم هذه الجنة دون صنعاء بفرسخين الخ) قال أحمد وفائدة التنكير الابهام تعظيما لما أصابها ومعنى كالصريم أي هلك ثمرها وقيل الصريم الليل لأنها احترقت واسودت وقيل النهار أي خالية

مناع الخير معتد أثيم عتل بعد ذلك زنيم أن كان ذا مال وبنين اذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين سنسمه على الخرطوم انا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة اذ أقسموا ليصرمنها مصبحين ولا يستثنون فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون فأصبحت كالصريم فتنادوا

فارغة من قولهم بيض الاناء اذا فرغه (قلت) ومنه البياض من الأرض أي الخالية من الشجر ورد في الحديث ويستعمله الفقهاء في المساقاة ومعنى صارمين حاصدين قال وانما عدل عن الى في قوله على حرثكم لأن غدوهم كان ليصرموه فهو غدو عليه ومعنى يتخافتون يسرون حديثهم خيفة من ظهور المساكين عليهم وقوله لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين مثل لا أرينك ههنا والحرد من حاردت السنة اذا منعت خيرها والمعنى وغدوا على نكد ومنع غير عاجزين عن النفع وقيل الحرد السرعة أي غدوا مسارعين نشطين للما عزموا عليه من الحرمان ومعنى قادرين على هذا التأويل عند أنفسهم وقيل حرد اسم الجنة المذكورة وقولهم انا لضالون قالوه في بديهة أمرهم دهشا لما رأوا ما لم يعهدوه فاعتقدوا انهم ضلوا عنها وانها ليست هي ثم لما تبينوا وأيقنوا انها هي اضربوا عن الأول الى قولهم بل نحن محرومون

تمشي تشبب الغيمه * تمشي بها زهر الى تميمه

(مناع للخير) بخيل والخير المال أو مناع أهله الخير وهو الاسلام فذكر الممنوع منه دون الممنوع كأنه قال مناع من الخير قيل هو الوليد بن المغيرة المخزومي كان موسرا وكان له عشرة من البنين فكان يقول لهم ولحمته من أسلم منكم منعته رفدي عن ابن عباس وعنه أنه أبو جهل وعن مجاهد الاسود بن عبد يغوث وعن السدي الاخنس بن شريق أصله في ثقيف وعداده في زهرة ولذلك قيل زنيم (معتد) متجاوز في الظلم حده (أثيم) كثير الآثام (عتل) غليظ جاف من عتله اذا قاده بعنف وغلظة (بعد ذلك) بعد ما عدّ له من المثالب والنقائص (زنيم) دعي قال حسان

وأنت زنيم نيط في آل هاشم * كما نيط خلف الراكب القدح الفرد

وكان الوليد دعيا في قريش ليس من سنخهم ادعاه أبوه بعد ثمان عشرة من مولده وقيل بغت أمه ولم يعرف حتى نزلت هذه الآية جعل جفاءه ودعوته أشد معايبه لانه اذا جفا وغلظ طبعه قسا قلبه واجترأ على كل معصية ولان الغالب أن النطفة اذا خبثت خبث الناشئ منها ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة ولد الزنا ولا ولده ولا ولد ولده وبعد ذلك نظير ثم في قوله ثم كان من الذين آمنوا وقرأ الحسن عتل رفعا على الذم وهذه القراءة تقوية لما يدل عليه بعد ذلك والزنيم من الزنمة وهي الهنة من جلد الماعزة تقطع فتخلى معلقة في حلقها لانه زيادة معلقة بغير أهله (أن كان ذا مال) متعلق بقوله ولا تطع يعني ولا تطعه مع هذه المثالب لان كان ذا مال أي ليساره وحظه من الدنيا ويجوز أن يتعلق بما بعده على معنى لكونه متمولا مستظهرا بالبنين كذب آياتنا ولا يعمل فيه قال الذي هو جواب اذا لان ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله ولكن ما دلت عليه الجملة من معنى التكذيب وقرئ أأن كان على الاستفهام على أألأن كان ذا مال وبنين كذب أو أتطيعه لان كان ذا مال وروى الزبيري عن نافع ان كان بالكسر والشرط للمخاطب أي لا تطع كل حلاف شارطا يساره لانه اذا أطاع الكافر لغناه فكأنه اشترط في الطاعة الغنى ونحو صرف الشرط الى المخاطب صرف الترجي اليه في قوله تعالى لعله يتذكر الوجه أكرم موضع في الجسد والانف أكرم موضع من الوجه لتقدمه له ولذلك جعلوه مكان العز والحمية واشتقوا منه الانفة وقالوا الانف في الانف وحمي أنفه وفلان شامخ العرنين وقالوا في الذليل جدع أنفه ورغم أنفه فعبر بالوسم على الخرطوم عن غاية الاذلال والاهانة لان السمة على الوجه شين واذالة فكيف بها على أكرم موضع منه ولقد وسم العباس أباعره في وجوهها فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أكرموا الوجوه فوسمها في جواعرها وفي لفظ الخرطوم استخفاف به واستهانة وقيل معناه سنعلمه يوم القيامة بعلامة مشوهة يبين بها عن سائر الكفرة كما عادى رسول الله صلى الله عليه وسلم عداوة بان بها عنهم وقيل خطم يوم بدر بالسيف فبقيت سمة على خرطومه وقيل سنشهره بهذه الشتيمة في الدارين جميعا فلا تخفى كما لا تخفى السمة على الخرطوم وعن النضر بن شميل ان الخرطوم الخمر وأن معناه سنحده على شربها وهو تعسف وقيل للخمر الخرطوم كما قيل لها السلافة وهي ما سلف من عصير العنب أو لانها تطير في الخياشيم *انا بلوناهم أهل مكة بالقحط والجوع بدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم (كما بلونا أصحاب الجنة) وهم قوم من أهل الصلاة كانت لأبيهم هذه الجنة دون صنعاء بفرسخين فكان يأخذ منها قوت سنته ويتصدق بالباقي وكان يترك

للمساكين ما أخطأه المنجل وما في أسفل الاكداس وما أخطأه القطاف من العنب وما بقي على البساط
الذي يبسط تحت النخلة اذا صرمت فكان يجتمع لهم شئ كثير فلما مات قال بنوه ان فعلنا ما كان يفعل أبونا
ضاق علينا الامر ونحن أولو عيال فحلفوا ليصرمنها مصبحين في السدف خفية عن المساكين ولم يستثنوا في
يمينهم فأحرق الله جنتهم وقيل كانوا من بني اسرائيل (مصبحين) داخلين في الصبح مبكرين (ولا يستثنون) ولا
يقولون ان شاء الله (فان قلت) لم سمي استثناء وانما هو شرط (قلت) لانه يؤدي مؤدى الاستثناء من حيث
ان معنى قولك لاخرجن ان شاء الله ولا أخرج الا أن يشاء الله واحد (فطاف عليها) بلاء أو هلاك (طائف)
كقوله تعالى وأحيط بثمره وقرئ طيف (فأصبحت كالصريم) كالمصرومة لهلاك ثمرها وقيل الصريم الليل
أي احترقت فاسودت وقيل النهار أي يبست وذهبت خضرتها أو لم يبق شئ فيها من قولهم بيض الاناء اذا
فرغه وقيل الصريم الرمال (صارمين) حاصدين (فان قلت) هلا قيل اغدوا الى حرثكم وما معنى على (قلت)
لما كان الغدو اليه ليصرموه ويقطعوه كان غدوا عليه كما تقول غدا عليهم العدو ويجوز أن يضمن الغدو
معنى الاقبال كقولهم يغدى عليه بالجفنة ويراح أي فأقبلوا على حرثكم باكرين (يتخافتون) يتسارون فيما
بينهم وخفي وخفت وخفد ثلاثتها في معنى الكتم ومنه الخفدود للخفاش (أن لا يدخلنها) أن مفسرة وقرأ
ابن مسعود بطرحها باضمار القول أي يتخافتون يقولون لا يدخلنها والنهي عن الدخول للمسكين نهي لهم
عن تمكينه منه أي لا تمكنوه من الدخول حتى يدخل كقولك لا أرينك ههنا * الحرد من حاردت السنة
اذا منعت خيرها وحاردت الابل اذا منعت درها والمعنى وغدوا قادرين على نكد لا غير عاجزين عن النفع يعني
أنهم عزموا أن يتنكدوا على المساكين ويحرموهم وهم قادرون على نفعهم فغدوا بحال فقر وذهاب مال
لا يقدرون فيها الا على النكد والحرمان وذلك أنهم طلبوا حرمان المساكين فتعجلوا الحرمان والمسكنة أو
وغدوا على محاردة جنتهم وذهاب خيرها قادرين بدل كونهم قادرين على اصابة خيرها ومنافعها أي غدوا
حاصلين على الحرمان مكان الانتفاع أو لما قالوا اغدوا على حرثكم وقد خبثت نيتهم عاقبهم الله بأن حاردت
جنتهم وحرموا خيرها فلم يغدوا على حرث وانما غدوا على حرد و(قادرين) من عكس الكلام للتهكم أي
قادرين على ما عزموا عليه من الصرام وحرمان المساكين وعلى حرد ليس بصلة قادرين وقيل الحرد بمعنى
الحرد وقرئ على حرد أي لم يقدروا الا على حنق وغضب بعضهم على بعض كقوله تعالى يتلاومون وقيل الحرد
القصد والسرعة يقال حردت حردك وقال

أقبل سيل جاء من أمر الله * يحرد حرد الجنة المغله

وقطا حراد سراع يعني وغدوا قاصدين الى جنتهم بسرعة ونشاط قادرين عند أنفسهم يقولون نحن نقدر على
صرامها وزي منفعتها عن المساكين وقيل حرد علم للجنة أي غدوا على تلك الجنة قادرين على صرامها عند
أنفسهم أو مقدرين أن يتم لهم مرادهم من الصرام والحرمان (قالوا) في بديهة وصولهم (انا لضالون) أي
ضللنا جنتنا وما هي بها لما رأوا من هلاكها فلما تأملوا وعرفوا أنها هي قالوا (بل نحن محرومون) حرمنا
خيرها لجنايتنا على أنفسنا (أوسطهم) أعدلهم وخيرهم من قولهم هو من سطة قومه وأعطني من سطات
مالك ومنه قوله تعالى أمة وسطا (لولا تسبحون) لولا تذكرون الله وتتوبون اليه من خبث نيتكم كان
أوسطهم قال لهم حين عزموا على ذلك اذكروا الله وانتقامه من المجرمين وتوبوا عن هذه العزيمة الخبيثة من
فوركم وسارعوا الى حسم شرها قبل حلول النقمة فعصوه فعيرهم والدليل عليه قولهم سبحان ربنا انا كنا
ظالمين فتكلموا بما كان يدعوهم الى التكلم به على أثر مقارفة الخطيئة ولكن بعد خراب البصرة وقيل
المراد بالتسبيح والاستثناء لالتقائهما في معنى التعظيم لله لان الاستثناء تفويض اليه والتسبيح تنزيه له وكل
واحد من التفويض والتنزيه تعظيم وعن الحسن هو الصلاة كأنهم كانوا يتوانون في الصلاة والا لنهتهم عن
الفحشاء والمنكر ولكانت لهم لطفا في أن يستثنوا ولا يحرموا (سبحان ربنا) سبحوا الله ونزهوه عن الظلم
وعن كل قبيح ثم اعترفوا بظلمهم في منع المعروف وترك الاستثناء (يتلاومون) يلوم بعضهم بعضا لان منهم

مصبحين أن اغدوا على حرثكم ان كنتم صارمين فانطلقوا وهم يتخافتون أن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين وغدوا على حرد قادرين فلما رأوها قالوا انا لضالون بل نحن محرومون قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون قالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون قالوا ياويلنا انا كنا طاغين

من قرين ومنهم من قبل ومنهم من أمر بالكف وعذر ومنهم من عصى الآمر ومنهم من سكت وهو راض (أن يبدلنا) قرئ بالتشديد والتخفيف (انا الى ربنا راغبون) طالبون منه الخير راجون لعفوه (كذلك العذاب) مثل ذلك العذاب الذي بلوناهم به أهل مكة وأصحاب الجنة عذاب الدنيا (ولعذاب الآخرة) أشد وأعظم منه وسئل قتادة عن أصحاب الجنة أهم من أهل الجنة أم من أهل النار فقال لقد كلفتني تعبا وعن مجاهد تابوا فأبدلوا خيرا منها وروي عن ابن مسعود رضي الله عنه بلغني أنهم أخلصوا وعرف الله منهم الصدق فأبدلهم بها جنة يقال لها الحيوان فيها عنب يحمل البغل منه عنقودا (عند ربهم) أي في الآخرة (جنات النعيم) ليس فيها الا التنعم الخالص لا يشوبه ما ينغصه كما يشوب جنان الدنيا * كان صناديد قريش يرون وفور حظهم من الدنيا وقلة حظوظ المسلمين منها فاذا سمعوا بحديث الآخرة وما وعد الله المسلمين قالوا ان صح أنا نبعث كما يزعم محمد ومن معه لم تكن حالهم وحالنا الا مثل ما هي في الدنيا والا لم يزيدوا علينا ولم يفضلونا وأقصى أمرهم أن يساوونا فقيل أنحيف في الحكم فنجعل المسلمين كالكافرين * ثم قيل لهم على طريقة الالتفات (ما لكم كيف تحكمون) هذا الحكم الأعوج كأن أمر الجزاء مفوض اليكم حتى تحكموا فيه بما شئتم (أم لكم كتاب) من السماء (تدرسون) في ذلك الكتاب ان ما تختارونه وتشتهونه لكم كقوله تعالى أم لكم سلطان مبين فأتوا بكتابكم والأصل تدرسون أن لكم ما تخيرون بفتح أن لأنه مدروس فلما جاءت اللام كسرت ويجوز أن تكون حكاية للمدروس كما هو كقوله وتركنا عليه في الآخرين سلام على نوح في العالمين * وتخير الشيء واختاره أخذ خيره ونحوه تنخله وانتخله اذا أخذ منخوله * لفلان علي يمين بكذا اذا ضمنته منه وحلفت له على الوفاء به يعني أم ضمنا منكم وأقسمنا لكم بأيمان مغلظة متناهية في التوكيد (فان قلت) بم يتعلق (الى يوم القيامة) (قلت) بالمقدر في الظرف أي هي ثابتة لكم علينا الى يوم القيامة لا نخرج عن عهدتها الا يومئذ اذا حكمناكم وأعطيناكم ما تحكمون ويجوز أن يتعلق ببالغة على أنها تبلغ ذلك اليوم وتنتهي اليه وافرة لم تبطل منها يمين الى أن يحصل المقسم عليه من التحكيم وقرأ الحسن بالغة بالنصب على الحال من الضمير في الظرف (ان لكم لما تحكمون) جواب القسم لأن معنى أم لكم أيمان علينا أم أقسمنا لكم (أيهم بذلك) الحكم (زعيم) أي قائم به وبالاحتجاج لصحته كما يقوم الزعيم المتكلم عن القوم المتكفل بأمورهم (أم لهم شركاء) أي ناس يشاركونهم في هذا القول ويوافقونهم عليه ويذهبون مذهبهم فيه (فليأتوا) بهم (ان كانوا صادقين) في دعواهم يعني أن أحدا لا يسلم لهم هذا ولا يساعدهم عليه كما أنه لا كتاب لهم ينطق به ولا عهد لهم به عند الله ولا زعيم لهم يقوم به * الكشف عن الساق والابداء عن الخدام مثل في شدة الأمر وصعوبة الخطب وأصله في الروع والهزيمة وتشمير المخدرات عن سوقهن في الهرب وابداء خدامهن عند ذلك قال حاتم

أخو الحرب ان عضت به الحرب عضها * وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا

وقال ابن الرقيات

تذهل الشيخ عن بنيه وتبدي * عن خدام العقيلة العذراء

فمعنى (يوم يكشف عن ساق) في معنى يوم يشتد الأمر ويتفاقم ولا كشف ثم ولا ساق كما تقول للأقطع الشحيح يده مغلولة ولا يد ثم ولا غل وانما هو مثل في البخل وأما من شبه فلضيق عطنه وقلة نظره في علم البيان والذي غره منه حديث ابن مسعود رضي الله عنه يكشف الرحمن عن ساقه فأما المؤمنون فيخرون سجدا وأما المنافقون فتكون ظهورهم طبقا طبقا كأن فيها السفافيد ومعناه يشتد أمر الرحمن ويتفاقم هوله وهو الفزع الأكبر يوم القيامة ثم كان من حق الساق أن تعرف على ما ذهب اليه المشبه لأنها ساق مخصوصة معهودة عنده وهي ساق الرحمن (فان قلت) فلم جاءت منكرة في التمثيل (قلت) للدلالة على أنه أمر مبهم في الشدة منكر خارج عن المألوف كقوله يوم يدع الداع الى شيء نكر كأنه قيل يوم يقع أمر فظيع هائل ويحكى هذا التشبيه عن مقاتل وعن أبي عبيدة خرج من خراسان رجلان أحدهما شبه حتى مثل وهو مقاتل بن سليمان

---

* قوله تعالى ما لكم كيف تحكمون (٤٨٢) أم لكم كتاب فيه تدرسون ان لكم فيه لما تخيرون (قال هذا خطاب على وجه الالتفات لأهل مكة اذا اعتقدوا أنهم في الآخرة أكثر نعيما من المؤمنين الخ)

عسى ربنا أن يبدلنا خيرا منها انا الى ربنا راغبون كذلك العذاب ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون ان للمتقين عند ربهم جنات النعيم أفنجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون أم لكم كتاب فيه تدرسون ان لكم فيه لما تخيرون أم لكم أيمان علينا بالغة الى يوم القيامة ان لكم لما تحكمون سلهم أيهم بذلك زعيم أم لهم شركاء فليأتوا بشركائهم ان كانوا صادقين يوم يكشف عن ساق ويدعون الى السجود فلا يستطيعون خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة وقد كانوا يدعون الى السجود وهم سالمون فذرني ومن يكذب بهذا الحديث سنستدرجهم

قال أحمد ولما كان الدرس قولا كسرها * قوله أم لكم أيمان علينا بالغة الى يوم القيامة (قال) فيه تعلق الى يوم القيامة بالمقدر في الظرف أي هي ثابتة لكم علينا الى يوم القيامة لا نخرج عن عهدتها الا يومئذ اذا أعطيناكم ما تحكمون به قال أو يتعلق ببالغة أي تبلغ ذلك اليوم وتنتهي اليه وافرة لم يبطل منها يمين الى أن يحصل المقسم عليه

والآخر

والأشعري حتى عطل وهو جهم بن صفوان ومن أحس بعظم مضار فقد هذا العلم علم مقدار عظم منافعه وقرئ يوم نكشف بالنون وتكشف بالتاء على البناء للفاعل والمفعول جميعا والفعل للساعة أو للحال أي يوم تشتد الحال أو الساعة كما تقول كشفت الحرب عن ساقها على المجاز وقرئ تكشف بالتاء المضمومة وكسر الشين من أكشف اذا دخل في الكشف ومنه أكشف الرجل فهو مكشف اذا انقلبت شفته العليا وناصب الظرف فليأتوا أو اضمار اذكر أو يوم يكشف عن ساق كان كيت وكيت فحذف للتهويل البليغ وان ثم من الكوائن ما لا يوصف لعظمه * عن ابن مسعود رضي الله عنه تعقم أصلابهم أي ترد عظاما بلا مفاصل لا تنثني عند الرفع والخفض وفي الحديث وتبقى أصلابهم طبقا واحدا أي فقارة واحدة (فان قلت) لم يدعون الى السجود ولا تكليف (قلت) لا يدعون اليه تعبدا وتكليفا ولكن توبيخا وتعنيفا على تركهم السجود في الدنيا مع اعقام أصلابهم والحيلولة بينهم وبين الاستطاعة تحسيرا لهم وتنديما على ما فرطوا فيه حين دعوا الى السجود وهم سالمو الاصلاب والمفاصل ممكنون مزاحو العلل فيما تعبدوا به * يقال ذرني واياه يريدون كله الي فاني أكفيكه كأنه يقول حسبك ايقاعا به أن تكل أمره الي وتخلي بيني وبينه فاني عالم بما يجب أن يفعل به مطيق له والمراد حسبي مجازيا لمن يكذب بالقرآن فلا تشغل قلبك بشأنه وتوكل علي في الانتقام منه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديدا للمكذبين * استدرجه الى كذا اذا استنزله اليه درجة فدرجة حتى يورطه فيه واستدراج الله العصاة أن يرزقهم الصحة والنعمة فيجعلوا رزق الله ذريعة ومتسلقا الى ازدياد الكفر والمعاصي (من حيث لا يعلمون) أي من الجهة التي لا يشعرون أنه استدراج وهو الانعام عليهم لانهم يحسبونه ايثارا لهم وتفضيلا على المؤمنين وهو سبب لهلاكهم (وأملي لهم) وأمهلهم كقوله تعالى انما نملي لهم ليزدادوا اثما والصحة والرزق والمد في العمر احسان من الله وافضال يوجب عليهم الشكر والطاعة ولكنهم يجعلونه سببا في الكفر باختيارهم فلما تدرجوا به الى الهلاك وصف المنعم بالاستدراج وقيل كم من مستدرج بالاحسان اليه وكم من مفتون بالثناء عليه وكم من مغرور بالستر عليه * وسمى احسانه وتمكينه كيدا كما سماه استدراجا لكونه في صورة الكيد حيث كان سببا للتورط في الهلكة ووصفه بالمتانة لقوة أثر احسانه في التسبب للهلاك * المغرم الغرامة أي لم تطلب منهم على الهداية والتعليم أجرا فيثقل عليهم حمل الغرامات في أموالهم فيثبطهم ذلك عن الايمان (أم عندهم الغيب) أي اللوح (فهم يكتبون) منه ما يحكمون به (لحكم ربك) وهو امهالهم وتأخير نصرتك عليهم (ولا تكن كصاحب الحوت) يعني يونس عليه السلام (اذ نادى) في بطن الحوت (وهو مكظوم) مملوء غيظا من كظم السقاء اذا ملأه * والمعنى لا يوجد منك ما وجد منه من الضجر والمغاضبة فتبتلى ببلائه * حسن تذكير الفعل لفصل الضمير في تداركه وقرأ ابن عباس وابن مسعود تداركته وقرأ الحسن تداركه أي تتداركه على حكاية الحال الماضية بمعنى لولا أن كان يقال فيه تتداركه كما يقال كان زيد سيقوم فمنعه فلان أي كان يقال فيه سيقوم والمعنى كان متوقعا منه القيام * ونعمة ربه أن أنعم عليه بالتوفيق للتوبة وتاب عليه وقد اعتمد في جواب لولا على الحال أعني قوله (وهو مذموم) يعني أن حاله كانت على خلاف الذم حين نبذ بالعراء ولولا توبته لكانت حاله على الذم * روي أنها نزلت بأحد حين حل برسول الله صلى الله عليه وسلم ما حل به فأراد أن يدعو على الذين انهزموا وقيل حين أراد أن يدعو على ثقيف وقرئ رحمة من ربه (فاجتباه ربه) فجمعه اليه وقربه بالتوبة عليه كما قال ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى (فجعله من الصالحين) أي من الانبياء وعن ابن عباس رد الله اليه الوحي وشفعه في نفسه وقومه * ان مخففة من الثقيلة واللام علمها وقرئ ليزلقونك بضم الياء وفتحها وزلقه وأزلقه بمعنى ويقال زلق الرأس وأزلقه حلقه وقرئ ليزهقونك من زهقت نفسه وأزهقها يعني أنهم من شدة تحديقهم ونظرهم اليك شزرا بعيون العداوة والبغضاء يكادون يزلون قدمك أو يهلكونك من قولهم نظر الي نظرا يكاد يصرعني ويكاد يأكلني أي لو أمكنه بنظره الصرع أو الأكل لفعله قال

يتقارضون اذا التقوا في موطن * نظرا يزل مواطئ الأقدام

من حيث لا يعلمون
وأملي لهم ان كيدي
متين أم تسألهم
أجرا فهم من مغرم
مثقلون أم عندهم
الغيب فهم يكتبون
فاصبر لحكم ربك ولا
تكن كصاحب الحوت
اذ نادى وهو مكظوم
لولا أن تداركه نعمة
من ربه لنبذ بالعراء وهو
مذموم فاجتباه ربه
فجعله من الصالحين
وان يكاد الذين كفروا
ليزلقونك بأبصارهم

وقيل كانت العين في بني أسد فكان الرجل منهم يتجوّع ثلاثة أيام فلا يمر به شيء فيقول فيه لم أر كاليوم مثله الا عانه فأريد بعض العيانين على أن يقول في رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ذلك فقال لم أر كاليوم رجلا فعصمه الله وعن الحسن دواء الاصابة بالعين أن تقرأ هذه الآية (لما سمعوا الذكر) أي القرآن لم يملكوا أنفسهم حسدا على ما أوتيت من النبوة (ويقولون انه لمجنون) حيرة في أمره وتنفيرا عنه والا فقد علموا أنه أعقلهم والمعنى أنهم جننوه لاجل القرآن (وما هو الا ذكر) وموعظة (للعالمين) فكيف يجنن من جاء بمثله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القلم أعطاه الله ثواب الذين حسن الله أخلاقهم

﴿سورة الحاقة احدى وخمسون آية وهي مكية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(الحاقة) الساعة الواجبة الوقوع الثابتة المجيء التي هي آتية لا ريب فيها أو التي فيها حواق الامور من الحساب والثواب والعقاب أو التي تحق فيها الامور أي تعرف على الحقيقة من قولك لا أحق هذا أي لا أعرف حقيقته جعل الفعل لها وهو لاهلها وارتفاعها على الابتداء وخبرها (ما الحاقة) والاصل الحاقة ما هي أي أي شيء هي تفخيما لشأنها وتعظيما لهولها فوضع الظاهر موضع المضمر لانه أهول لها (وما أدراك) وأي شيء أعلمك (ما الحاقة) يعني أنك لا علم لك بكنهها ومدى عظمها على أنه من العظم والشدة بحيث لا يبلغه دراية أحد ولا وهمه وكيفما قدرت حالها فهي أعظم من ذلك وما في موضع الرفع على الابتداء وأدراك معلق عنه لتضمنه معنى الاستفهام * القارعة التي تقرع الناس بالافزاع والاهوال والسماء بالانشقاق والانفطار والارض والجبال بالدك والنسف والنجوم بالطمس والانكدار ووضعت موضع الضمير لتدل على معنى القرع في الحاقة زيادة في وصف شدتها ولما ذكرها وفخمها أتبع ذكر ذلك ذكر من كذب بها وما حل بهم بسبب التكذيب تذكيرا لاهل مكة وتخويفا لهم من عاقبة تكذيبهم (بالطاغية) بالواقعة المجاوزة للحد في الشدة واختلف فيها فقيل الرجفة وعن ابن عباس الصاعقة وعن قتادة بعث الله عليهم صيحة فأهمدتهم وقيل الطاغية مصدر كالعافية أي بطغيانهم وليس بذاك لعدم الطباق بينها وبين قوله (بريح صرصر) والصرصر الشديدة الصوت لها صرصرة وقيل الباردة من الصر كأنها التي كرر فيها البرد وكثر فهي تحرق لشدة بردها (عاتية) شديدة العصف والعتو استعارة أو عتت على عاد فما قدروا على ردها بحيلة من استتار ببناء أو لياذ بجبل أو اختفاء في حفرة فانها كانت تنزعهم من مكامنهم وتهلكهم وقيل عتت على خزانها فخرجت بلا كيل ولا وزن وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أرسل الله سفية من ريح الا بمكيال ولا قطرة من مطر الا بمكيال الا يوم عاد ويوم نوح فان الماء يوم نوح طغى على الخزان فلم يكن لهم عليه سبيل ثم قرأ انا لما طغى الماء حملناكم في الجارية وان الريح يوم عاد عتت على الخزان فلم يكن لهم عليها سبيل ثم قرأ بريح صرصر عاتية ولعلها عبارة عن الشدة والافراط فيها الحسوم لا يخلو من أن يكون جمع حاسم كشهود وقعود أو مصدرا كالشكور والكفور فان كان جمعا فمعنى قوله حسوما نحسات حسمت كل خير واستأصلت كل بركة أو متتابعة هبوب الرياح ما خفتت ساعة حتى أتت عليهم تمثيلا لتتابعها بتتابع فعل الحاسم في اعادة الكي على الداء كرة بعد أخرى حتى ينحسم وان كان مصدرا فاما أن ينتصب بفعله مضمرا أي تحسم حسوما بمعنى تستأصل استئصالا أو يكون صفة كقولك ذات حسوم أو يكون مفعولا له أي سخرها عليهم للاستئصال وقال عبد العزيز بن زرارة الكلابي

ففرق بين بينهم زمان * تتابع فيه أعوام حسوم

وقرأ السدي حسوما بالفتح حالا من الريح أي سخرها عليهم مستأصلة وقيل هي أيام العجوز وذلك أن عجوزا من عاد توارت في سرب فانتزعتها الريح في اليوم الثامن فأهلكتها وقيل هي أيام العجز وهي آخر الشتاء وأسماؤها الصن والصنبر والوبر والآمر والمؤتمر والمعلل ومطفئ الجمر وقيل مكفئ الظعن ومعنى (سخرها عليهم) سلطها عليهم كما شاء (فيها) في مهابها أو في الليالي والايام * وقرئ أعجاز نخيل (من باقية) من بقية أو من

لما سمعوا الذكر ويقولون انه لمجنون وما هو الا ذكر للعالمين

﴿سورة الحاقة مكية وهي احدى وخمسون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحاقة ما الحاقة وما أدراك ما الحاقة كذبت ثمود وعاد بالقارعة فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية فهل ترى لهم من باقية وجاء فرعون

(القول في سورة الحاقة)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* قوله تعالى الحاقة ما الحاقة وما أدراك ما الحاقة (قال) معناه الحاقة ما أدراك ما هي تعظيما لها وتفخيما الخ

نفس باقية أو من بقاء كالطاغية بمعنى الطغيان (ومن قبله) يريد ومن عنده من تباعه وقرئ ومن قبله أى ومن تقدمه وتعضد الاولى قراءة عبد الله وأبى ومن معه وقراءة أبى موسى ومن تلقاءه (والمؤتفكات) قرى قوم لوط (بالخاطئة) بالخطا أو بالفعلة أو الافعال ذات الخطا العظيم (رابية) شديدة زائدة فى الشدة كما زادت قبائحهم فى القبح يقال ربا الشئ يربو اذا زاد ليربو فى أموال الناس (حملناكم) حملنا آباءكم (فى الجارية) فى سفينة نوح لانهم اذا كانوا من نسل المحمولين الناجين كان حمل آبائهم منة عليهم وكأنهم هم المحمولون لان نجاتهم سبب ولادتهم (لنجعلها) الضمير للفعلة وهى نجاة المؤمنين واغراق الكفرة (تذكرة) عظة وعبرة (أذن واعية) من شأنها أن تعى وتحفظ ما سمعت به ولا تضيعه بترك العمل وكل ما حفظته فى نفسك فقد وعيته وما حفظته فى غير نفسك فقد أوعيته كقولك أوعيت الشئ فى الظرف وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال لعلى رضى الله عنه عند نزول هذه الآية سألت الله أن يجعلها أذنك يا على قال على رضى الله عنه فما نسيت شيأ بعد وما كان لى أن أنسى (فان قلت) لم قيل أذن واعية على التوحيد والتنكير (قلت) للايذان بأن الوعاة فيهم قلة ولتوبيخ الناس بقلة من يعى منهم وللدلالة على أن الاذن الواحدة اذا وعت وعقلت عن الله فهى السواد الاعظم عند الله وأن ما سواها لا يبالى بهم بالة وان ملؤا ما بين الخافقين وقرئ وتعيها بسكون العين للتخفيف شبه تعى بكبد * أسند الفعل الى المصدر وحسن تذكيره للفصل * وقرأ أبو السمال نفخة واحدة بالنصب مسندا الفعل الى الجار والمجرور (فان قلت) هما نفختان فلم قيل واحدة (قلت) معناه أنها لا تثنى فى وقتها (فان قلت) فأى النفختين هى (قلت) الاولى لان عندها فساد العالم وهكذا الرواية عن ابن عباس وقد روى عنه أنها الثانية (فان قلت) أما قال بعد يومئذ تعرضون والعرض انما هو عند النفخة الثانية (قلت) جعل اليوم اسما للحين الواسع الذى تقع فيه النفختان والصعقة والنشور والوقوف والحساب فلذلك قيل يومئذ تعرضون كما تقول جئته عام كذا وانما كان مجيئك فى وقت واحد من أوقاته (وحملت) ورفعت من جهاتها بريح بلغت من قوة عصفها أنها تحمل الارض والجبال أو بخلق من الملائكة أو بقدرة الله من غير سبب * وقرئ وحملت بتشديد الميم وهو أحد الثلاثة (فدكتا) فدكت الجملتان جملة الارضين وجملة الجبال فضرب بعضها ببعض حتى تندق وترجع كثيبا مهيلا وهباء منبثا والدك أبلغ من الدق وقيل فبسطتا بسطة واحدة فصارتا أرضا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا من قولك اندك السنام اذا انفرش وبعير أدك وناقة دكاء ومنه الدكان (فيومئذ وقعت الواقعة) فحينئذ نزلت النازلة وهى القيامة (واهية) مسترخية ساقطة القوة جدا بعد ما كانت محكمة مستمسكة * يريد والخلق الذى يقال له الملك ورد اليه الضمير مجموعا فى قوله فوقهم على المعنى (فان قلت) ما الفرق بين قوله والملك وبين أن يقال والملائكة (قلت) الملك أعم من الملائكة ألا ترى أن قولك ما من ملك الا وهو شاهد أعم من قولك ما من ملائكة (على أرجائها) على جوانبها الواحد رجا مقصور يعنى أنها تنشق وهى مسكن الملائكة فينضوون الى أطرافها وما حولها من حافاتها (ثمانية) أى ثمانية منهم وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم هم اليوم أربعة فاذا كان يوم القيامة أيدهم الله بأربعة آخرين فيكونون ثمانية وروى ثمانية أملاك أرجلهم فى تخوم الارض السابعة والعرش فوق رؤسهم وهم مطرقون مسبحون وقيل بعضهم على صورة الانسان وبعضهم على صورة الاسد وبعضهم على صورة الثور وبعضهم على صورة النسر وروى ثمانية أملاك فى خلق الاوعال ما بين أظلافها الى ركبها مسيرة سبعين عاما وعن شهر بن حوشب أربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك وأربعة يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك وعن الحسن الله أعلم كم هم أثمانية أم ثمانية آلاف وعن الضحاك ثمانية صفوف لا يعلم عددهم الا الله ويجوز أن تكون الثمانية من الروح أو من خلق آخر فهو القادر على كل خلق سبحان الذى خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون * العرض عبارة عن المحاسبة والمساءلة شبه ذلك بعرض السلطان العسكر لتعرف أحواله وروى أن فى يوم القيامة ثلاث عرضات فأما عرضتان فاعتذار واحتجاج وتوبيخ وأما الثالثة ففيها تنتشر الكتب فيأخذ الفائز كتابه بيمينه والهالك كتابه بشماله (خافية) سريرة وحال كانت تخفى فى الدنيا بستر الله

ومن قبله والمؤتفكات بالخاطئة فعصوا رسول ربهم فأخذهم أخذة رابية انا لما طغى الماء حملناكم فى الجارية لنجعلها لكم تذكرة وتعيها أذن واعية فاذا نفخ فى الصور نفخة واحدة وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة فيومئذ وقعت الواقعة وانشقت السماء فهى يومئذ واهية والملك على أرجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية

---

* قوله تعالى وتعيها أذن واعية (قال فيه يقال وعيته أى حفظته فى نفسك الخ) قال أحمد هو مثل قوله ولتنظر نفس ما قدمت لغد وقد ذكر ان فائدة التنكير والتوحيد فيه الاشعار بقلة الناظرين * قوله تعالى فاذا نفخ فى الصور نفخة واحدة (قال فيه ان قلت لم قال واحدة وهما نفختان الخ) قال أحمد واما فائدة الاشعار بعظم هذه النفخة ان المؤثر لدك الارض والجبال وخراب العالم هى وحدها غير محتاجة الى أخرى * قوله تعالى والملك على أرجائها (قال) أى على حافاتها الانها تنشق فتهوى الملائكة الذين هى مساكنهم الى أدنائها الخ قال

عليكم (فأما) تفصيل للعرض * ها صوت يصوّت به فيفهم منه معنى خذ كاف وحس وما أشبه ذلك و (كتابيه) منصوب بهاؤم عند الكوفيين وعند البصريين باقرؤا لأنه أقرب العاملين وأصله هاؤم كتابي اقرؤا كتابي فحذف الأول لدلالة الثاني عليه ونظيره آتوني أفرغ عليه قطرا قالوا ولو كان العامل الأول لقيل اقرؤه وأفرغه والهاء للسكت في كتابيه وكذلك في حسابيه وماليه وسلطانيه وحق هذه الهاآت أن تثبت في الوقف وتسقط في الوصل وقد استحب ايثار الوقف ايثارا لثباتها لثباتها في المصحف وقيل لا بأس بالوصل والاسقاط وقرأ ابن محيصن باسكان الياء بغير هاء وقرأ جماعة باثبات الهاء في الوصل والوقف جميعا لاتباع المصحف (ظننت) علمت وانما أجرى الظن مجرى العلم لأن الظن الغالب يقام مقام العلم في العادات والأحكام ويقال أظن ظنا كاليقين أن الأمر كيت وكيت (راضية) منسوبة الى الرضا كالدارع والنابل والنسبة نسبتان نسبة بالحرف ونسبة بالصيغة أو جعل الفعل لها مجازا وهو لصاحبها (عالية) مرتفعة المكان في السماء أو رفيعة الدرجات أو رفيعة المباني والقصور والأشجار (دانية) ينالها القاعد والنائم يقال لهم (كلوا واشربوا هنيئا) أكلا وشربا هنيئا أو هنيتم هنيئا على المصدر (بما أسلفتم) بما قدمتم من الأعمال الصالحة (في الأيام الخالية) الماضية من أيام الدنيا وعن مجاهد أيام الصيام أي كلوا واشربوا بدل ما أمسكتم عن الأكل والشرب لوجه الله وروي يقول الله عز وجل يا أوليائي طالما نظرت اليكم في الدنيا وقد قلصت شفاهكم عن الأشربة وغارت أعينكم وخمصت بطونكم فكونوا اليوم في نعيمكم وكلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الأيام الخالية * الضمير في (ياليتها) للموتة يقول ياليت الموتة التي متها (كانت القاضية) أي القاطعة لأمري فلم أبعث بعدها ولم ألق ما ألقى أو للحالة أي ليت هذه الحالة كانت الموتة التي قضت علي لأنه رأى تلك الحالة أبشع وأمر مما ذاقه من مرارة الموت وشدته فتمناه عندها (ما أغنى) نفي أو استفهام على وجه الانكار أي أي شيء أغنى عني ما كان لي من اليسار (هلك عني سلطانيه) ملكي وتسلطي على الناس وبقيت فقيرا ذليلا وعن ابن عباس أنها نزلت في الأسود بن عبد الأشد وعن فناخسرة الملقب بالعضد أنه لما قال

عضد الدولة وابن ركنها * ملك الأملاك غلاب القدر

لم يفلح بعده وجن فكان لا ينطلق لسانه الا بهذه الآية وقال ابن عباس ضلت عني حجتي ومعناه بطلت حجتي التي كنت أحتج بها في الدنيا (ثم الجحيم صلوه) ثم لا تصلوه الا الجحيم وهي النار العظمى لأنه كان سلطانا يتعظم على الناس يقال صلي النار وصلاه النار سلكه في السلسلة أن تلوى على جسده حتى تلتف عليه أثناؤها وهو فيما بينها مرهق مضيق عليه لا يقدر على حركة * وجعلها سبعين ذراعا ارادة الوصف بالطول كما قال ان تستغفر لهم سبعين مرة يريد مرات كثيرة لأنها اذا طالت كان الارهاق أشد والمعنى في تقديم السلسلة على السلك مثله في تقديم الجحيم على التصلية أي لا تسلكوه الا في هذه السلسلة كأنها أفظع من سائر مواضع الارهاق في الجحيم ومعنى ثم الدلالة على تفاوت ما بين الغل والتصلية بالجحيم وما بينها وبين السلك في السلسلة لا على تراخي المدة (انه) تعليل على طريق الاستئناف وهو أبلغ كأنه قيل ماله يعذب هذا العذاب الشديد فأجيب بذلك وفي قوله (ولا يحض على طعام المسكين) دليلان قويان على عظم الجرم في حرمان المسكين أحدهما عطفه على الكفر وجعله قرينة له والثاني ذكر الحض دون الفعل ليعلم أن تارك الحض بهذه المنزلة فكيف بتارك الفعل وما أحسن قول القائل

اذا نزل الأضياف كان عذورا * على الحي حتى تستقل مراجله

يريد حضهم على القرى واستعجالهم وتشاكس عليهم وعن أبي الدرداء أنه كان يحض امرأته على تكثير

أحد كلاهما مرفي تعريف الجنس فالواحد والجمع سواء في العموم * عاد كلامه (قال وحق هذه الهاآت يعني في كتابيه وحسابيه وماليه وسلطانيه الخ) قال أحمد تعليل القراءة باتباع المصحف عجيب مع ان المعتقد الحق ان القراآت السبع بتفاصيلها منقولة تواترا عن النبي صلى الله عليه وسلم فالذي أثبت الهاء في الوصل انما أثبتها من التواتر عن قراءة النبي صلى الله عليه وسلم اياها كذلك قبل أن تكتب المصحف وما تمس هؤلاء الادخال الاجتهاد في القراآت المستفيضة واعتقاد أن فيها ما أخذ بالاختيار النظري وهذا خطأ

فأما من أوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرؤا كتابيه اني ظننت أني ملاق حسابيه فهو في عيشة راضية في جنة عالية قطوفها دانية كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الأيام الخالية وأما من أوتي كتابه بشماله فيقول ياليتني لم أوت كتابيه ولم أدر ما حسابيه ياليتها كانت القاضية ما أغنى عني ماليه هلك عني سلطانيه خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه انه كان لا يؤمن بالله العظيم ولا يحض على طعام المسكين فليس له اليوم

لا ينبغي فتح بابه فانه ذريعة الى ما هو أكبر منه والقسم بيني وبين الشيخ أبي عمرو رحمه الله مفاوضة في قوله ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه على قراءة حفص انتهت الى ان ألزم الرد على من أثبت الهاء في الوصل في كلمات سورة الحاقة لا في حجته باثبات القراء المرقي الشاعر لها كذلك فتعجبت من ورود ذلك ما فهمه من كلام الزمخشري ههنا ولم أقبله منه رحمه الله فتراجع عنه وكانت هذه المفاوضة بمكاتبة بيني وبينه وهي آخر ما كتب من العلوم على ما أخبرني به خاصته وذلك صحيح لأنها كانت في أوائل مرضه رحمه الله والله أعلم

الرق لاجل المساكين وكان يقول خلعنا نصف السلسلة بالايمان أفلا نخلع نصفها الآخر وقيل هو منع الكفار وقولهم أنطعم من لو يشاء الله أطعمه والمعنى على بذل طعام المسكين (حميم) قريب يدفع عنه ويحزن عليه لانهم يتحامونه ويفرون منه كقوله ولا يسأل حميم حميما والغسلين غسالة أهل النار وما يسيل من أبدانهم من الصديد والدم فعلين من الغسل (الخاطئون) الآثمون أصحاب الخطايا وخطئ الرجل اذا تعمد الذنب وهم المشركون عن ابن عباس وقرئ الخاطيون بابدال الهمزة ياء والخاطون بطرحها وعن ابن عباس ما الخاطون كلنا نخطو وروى عنه أبو الاسود الدؤلي ما الخاطون انما هو الخاطئون ما الصابون انما هو الصابئون ويجوز أن يراد الذين يتخطون الحق الى الباطل ويتعدون حدود الله * هو اقسام بالاشياء كلها على الشمول والاحاطة لانها لا تخرج من قسمين مبصر وغير مبصر وقيل الدنيا والآخرة والاجسام والارواح والانس والجن والخلق والخالق والنعم الظاهرة والباطنة ان هذا القرآن (لقول رسول كريم) أي يقوله ويتكلم به على وجه الرسالة من عند الله (وما هو بقول شاعر) ولا كاهن كما تدعون والقلة في معنى العدم أي لا تؤمنون ولا تذكرون البتة والمعنى ما أكفركم وما أغفلكم (تنزيل) هو تنزيل بيانا لانه قول رسول نزل عليه (من رب العالمين) وقرأ أبو السمال تنزيلا أي نزل تنزيلا وقيل الرسول الكريم جبريل عليه السلام وقوله وما هو بقول شاعر دليل على أنه محمد صلى الله عليه وسلم لان المعنى على اثبات أنه رسول لا شاعر ولا كاهن التقول افتعال القول لان فيه تكلفا من المفتعل * وسمى الاقوال المتقولة أقاويل تصغيرا بها وتحقيرا كقولك الاعاجيب والاضاحيك كأنها جمع أفعولة من القول والمعنى ولو ادعى علينا شيئا لم نقله لقتلناه صبرا كما يفعل الملوك بمن يتكذب عليهم معاجلة بالسخط والانتقام فصور قتل الصبر بصورته ليكون أهول وهو أن يؤخذ بيده وتضرب رقبته * وخص اليمين عن اليسار لان القتال اذا أراد أن يوقع الضرب في قفاه أخذ بيساره واذا أراد أن يوقعه في جيده وأن يكفحه بالسيف وهو أشد على المصبور لنظره الى السيف أخذ بيمينه ومعنى (لأخذنا منه باليمين) لأخذنا بيمينه كما أن قوله (لقطعنا منه الوتين) لقطعنا وتينه وهذا بين والوتين نياط القلب وهو حبل الوريد اذا قطع مات صاحبه * وقرئ ولو تقول على البناء للمفعول قيل (حاجزين) في وصف أحد لانه في معنى الجماعة وهو اسم يقع في النفي العام مستويا فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث ومنه قوله تعالى لا نفرق بين أحد من رسله لستن كأحد من النساء والضمير في عنه للقتل أي لا يقدر أحد منكم أن يحجزه عن ذلك ويدفعه عنه أو لرسول الله أي لا تقدرون أن تحجزوا عنه القاتل وتحولوا بينه وبينه والخطاب للناس وكذلك في قوله تعالى (وانا لنعلم أن منكم مكذبين) وهو ايعاد على التكذيب وقيل الخطاب للمسلمين والمعنى أن منهم ناسا سيكفرون بالقرآن (وانه) الضمير للقرآن (لحسرة) على الكافرين به المكذبين له اذا رأوا ثواب المصدقين به أو للتكذيب وان القرآن لليقين حق اليقين كقولك هو العالم حق العالم وجد العالم والمعنى لعين اليقين ومحض اليقين (فسبح) الله بذكر اسمه العظيم وهو قوله سبحان الله واعبده شكرا على ما أهلك له من ايحائه اليك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحاقة حاسبه الله حسابا يسيرا

﴿سورة المعارج مكية وهي أربع وأربعون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* ضمن سأل معنى دعا فعدي تعديته كأنه قيل دعا داع (بعذاب واقع) من قولك دعا بكذا اذا استدعاه وطلبه ومنه قوله تعالى يدعون فيها بكل فاكهة وعن ابن عباس رضي الله عنه هو النضر بن الحرث قال ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم وقيل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم استعجل بعذاب للكافرين وقرئ سال سائل وهو على وجهين اما أن يكون من السؤال وهي لغة قريش يقولون سلت تسال وهما يتسايلان وأن يكون من السيلان ويؤيده قراءة ابن عباس سال سيل والسيل مصدر في معنى السائل كالغور بمعنى الغائر والمعنى اندفع عليهم وادي عذاب فذهب بهم وأهلكهم وعن قتادة

وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون تنزيل من رب العالمين ولو تقول علينا بعض الاقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من أحد عنه حاجزين وانه لتذكرة للمتقين وانا لنعلم أن منكم مكذبين وانه لحسرة على الكافرين وانه لحق اليقين فسبح باسم ربك العظيم

(سورة المعارج مكية وهي أربع وأربعون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

سال سائل بعذاب واقع

* قوله تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل (قال فيه التقول افتعال القول لان فيه تكلفا الخ) قال أحمد وبناء أفعولة من القول وهي معتل كأنه غريب عن القياس المصرفي ويحتمل أن تكون الاقاويل جمع الجمع كالاناعيم جمع أقوال وأنعام وهو الظاهر والله أعلم

(القول في سورة المعارج)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* قوله تعالى سأل سائل بعذاب واقع (قال) فيه سأل بمعنى دعا كقوله يدعون فيها بكل فاكهة آمنين الخ

سأل سائل عن عذاب الله على من ينزل وبمن يقع فنزلت وسأل عن هذا الوجه مضمن معنى عني واهتم (فان قلت) بم يتصل قوله (للكافرين) (قلت) هو على القول الاول متصل بعذاب صفة له أي بعذاب واقع كائن للكافرين أو بالفعل أي دعا للكافرين بعذاب واقع أو بواقع أي بعذاب نازل لاجلهم وعلى الثاني هو كلام مبتدأ جواب للسائل أي هو للكافرين (فان قلت) فقوله (من الله) بم يتصل (قلت) يتصل بواقع أي واقع من عنده أو بدافع بمعنى ليس له دافع من جهته اذا جاء وقته وأوجبت الحكمة وقوعه (ذي المعارج) ذي المصاعد جمع معرج ثم وصف المصاعد وبعد مداها في العلو والارتفاع فقال (تعرج الملائكة والروح اليه) الى عرشه وحيث تهبط منه أوامره (في يوم كان مقداره) كمقدار مدة (خمسين ألف سنة) مما يعد الناس والروح جبريل عليه السلام أفرده لتميزه بفضله وقيل الروح خلق هم حفظة على الملائكة كما أن الملائكة حفظة على الناس (فان قلت) بم يتعلق قوله (فاصبر) (قلت) بسأل سائل لان استعجال النضر بالعذاب انما كان على وجه الاستهزاء برسول الله صلى الله عليه وسلم والتكذيب بالوحي وكان ذلك مما يضجر رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر بالصبر عليه وكذلك من سأل عن العذاب لمن هو فانما سأل على طريق التعنت وكان من كفار مكة ومن قرأ سأل سائل أو سيل فمعناه جاء العذاب لقرب وقوعه فاصبر فقد شارفت الانتقام وقد علق في يوم من صلة واقع أي يقع في يوم طويل مقداره خمسون ألف سنة من سنيكم وهو يوم القيامة اما أن يكون استطالة له لشدته على الكفار واما لانه على الحقيقة كذلك قيل فيه خمسون موطنا كل موطن ألف سنة وما قدر ذلك على المؤمن الا كما بين الظهر والعصر الضمير في (يرونه) للعذاب الواقع أو ليوم القيامة فيمن علق في يوم بواقع أي يستبعدونه على جهة الاحالة (و) نحن (نراه قريبا) هينا في قدرتنا غير بعيد علينا ولا متعذر فالمراد بالبعيد البعيد من الامكان وبالقريب القريب منه نصب (يوم تكون) بقريبا أي يمكن ولا يتعذر في ذلك اليوم أو باضمار يقع لدلالة واقع عليه أو يوم تكون السماء كالمهل كان كيت وكيت أو هو بدل عن في يوم فيمن علقه بواقع (كالمهل) كدردي الزيت وعن ابن مسعود كالفضة المذابة في تلونها (كالعهن) كالصوف المصبوغ ألوانا لان الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود فاذا بست وطيرت في الجو أشبهت العهن المنفوش اذا طيرته الريح (ولا يسئل حميم حميما) أي لا يسأله بكيف حالك ولا يكلمه لان بكل أحد ما يشغله عن المسائلة (يبصرونهم) أي يبصر الاحماء الاحماء فلا يخفون عليهم فما يمنعهم من المسائلة أن بعضهم لا يبصر بعضا وانما يمنعهم التشاغل وقرئ يبصرونهم وقرئ ولا يسئل على البناء للمفعول أي لا يقال لحميم أين حميمك ولا يطلب منه لانهم يبصرونهم فلا يحتاجون الى السؤال والطلب (فان قلت) ما موقع يبصرونهم (قلت) هو كلام مستأنف كأنه لما قال ولا يسأل حميم حميما قيل لعله لا يبصره فقيل يبصرونهم ولكنهم لتشاغلهم لم يتمكنوا من تساؤلهم (فان قلت) لم جمع الضميران في يبصرونهم وهما للحميمين (قلت) المعنى على العموم لكل حميمين لا لحميمين اثنين ويجوز أن يكون يبصرونهم صفة أي حميما مبصرين معرفين اياهم * قرئ يومئذ بالجر والفتح على البناء للاضافة الى غير متمكن ومن عذاب يومئذ بتنوين عذاب ونصب يومئذ وانتصابه بعذاب لانه في معنى تعذيب (وفصيلته) عشيرته الادنون الذين فصل عنهم (تؤويه) تضمه انتماء اليها أو لياذا بها في النوائب (ينجيه) عطف على يفتدي أي يود لو يفتدي ثم لو ينجيه الافتداء أو من في الارض وثم لاستبعاد الانجاء يعني تمنى لو كان هؤلاء جميعا تحت يده وبذلهم في فداء نفسه ثم ينجيه ذلك وهيهات أن ينجيه (كلا) ردع للمجرم عن الودادة وتنبيه على انه لا ينفعه الافتداء ولا ينجيه من العذاب ثم قال (انها) والضمير للنار ولم يجر لها ذكر لان ذكر العذاب دل عليها ويجوز أن يكون ضميرا مبهما ترجم عنه الخبر أو ضمير القصة و (لظى) علم للنار منقول من اللظى بمعنى اللهب ويجوز أن يراد اللهب و (نزاعة) خبر بعد خبر لان أو خبر للظى ان كانت الهاء ضمير القصة أو صفة له ان أردت اللهب والتأنيث لانه في معنى النار أو رفع على التهويل أي هي نزاعة وقرئ نزاعة بالنصب على الحال المؤكدة أو على انها متلظية نزاعة أو على الاختصاص للتهويل * والشوى الاطراف أو جمع شواة وهي جلدة الرأس تنزعها نزعا فتبتكها ثم تعاد (تدعوا) مجاز عن احضارهم كأنها

تدعوهم

للكافرين ليس له دافع من الله ذي المعارج تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة فاصبر صبرا جميلا انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا يوم تكون السماء كالمهل وتكون الجبال كالعهن ولا يسئل حميم حميما يبصرونهم يود المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه وصاحبته وأخيه وفصيلته التي تؤويه ومن في الارض جميعا ثم ينجيه كلا انها لظى نزاعة للشوى تدعوا

قوله تعالى ولا يسأل حميم حميما يبصرونهم الآية (قال فيه معناه يبصر الاصدقاء أصدقاءهم فيعرفونهم الخ) قال أحمد وفيه دليل على ان الفاعل والمفعول الواقعين في سياق النفي يعم كالمستغرق في والله لا أشرب ماء من اداوة أنه عام في المياه والاداوات خلافا لبعضهم في الاداوات

قوله تعالى ان الانسان خلق هلوعا الآية (قال فيه جعل الانسان لايثاره الجزع والمنع ورسوخهما فيه كأنه الخ) قال أحمد هو يشرك نمطا لنزه ظاهرا فينفي كون الهلع الذي هو موجود للآدمي مخلوقا لله تعالى تنزيها له عن ذلك ويثبت خالقا مع الله ويتعالى عن اقتضاء نظم الآية لذلك فانك اذا قلت بريت القلم رقيقا فقد نسبت اليك الحال وهو ترقيقه كما نسبت اليك البري وكذلك ٤٨٩ الآية وأما قوله والله لا يأمر

من أدبر وتولى وجمع فأوعى ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا الا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم والذين يصدقون بيوم الدين والذين هم من عذاب ربهم مشفقون ان عذاب ربهم غير مأمون والذين هم لفروجهم حافظون الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون والذين هم بشهاداتهم قائمون والذين هم على صلاتهم يحافظون أولئك في جنات مكرمون فمال الذين كفروا قبلك مهطعين عن اليمين وعن الشمال عزين أيطمع كل امرئ منهم أن يدخل جنة نعيم كلا انا خلقناهم مما يعلمون فلا أقسم برب المشارق والمغارب انا لقادرون على أن نبدل خيرا منهم وما نحن بمسبوقين فذرهم يخوضوا ويلعبوا

تدعوهم فتحضرهم ونحوه قول ذي الرمة تدعو أنفه الريب وقوله ليالي اللهو يطبيني فأتبعه وقول أبي النجم تقول للرائد أعشبت انزل وقيل تقول لهم الي الي يا كافر يا منافق وقيل تدعو المنافقين والكافرين بلسان فصيح ثم تلتقطهم التقاط الحب فيجوز أن يخلق الله فيها كلاما كما يخلقه في جلودهم وأيديهم وأرجلهم وكما خلقه في الشجرة ويجوز أن يكون دعاء الزبانية وقيل تدعو تهلك من قول العرب دعاك الله أي أهلكك قال دعاك الله من رجل بأفعى (من أدبر) عن الحق (وتولى) عنه (وجمع) المال فجعله في وعاء وكنزه ولم يؤد الزكاة والحقوق الواجبة فيه وتشاغل به عن الدين وزهى باقتنائه وتكبرا أريد بالانسان الناس فلذلك استثنى منه الا المصلين * والهلع سرعة الجزع عند مس المكروه وسرعة المنع عند مس الخير من قولهم ناقة هلواع سريعة السير وعن أحمد بن يحيى قال لي محمد بن عبد الله بن طاهر ما الهلع فقلت قد فسره الله ولا يكون تفسير أبين من تفسيره وهو الذي اذا ناله شر أظهر شدة الجزع واذا ناله خير بخل به ومنعه الناس * والخير المال والغنى والشر الفقر أو الصحة والمرض اذا صح الغني منع المعروف وشح بماله واذا مرض جزع وأخذ يوصي والمعنى ان الانسان لايثاره الجزع والمنع وتمكنهما منه ورسوخهما فيه كأنه مجبول عليهما مطبوع وكأنه أمر خلقي وضروري غير اختياري كقوله تعالى خلق الانسان من عجل والدليل عليه أنه حين كان في البطن والمهد لم يكن به هلع ولأنه ذم والله لا يذم فعله والدليل عليه استثناء المؤمنين الذين جاهدوا أنفسهم وحملوها على المكاره وظلفوها عن الشهوات حتى لم يكونوا جازعين ولا مانعين وعن النبي صلى الله عليه وسلم شر ما أعطي ابن آدم شح هالع وجبن خالع (فان قلت) كيف قال (على صلاتهم دائمون) ثم على صلاتهم يحافظون (قلت) معنى دوامهم عليها أن يواظبوا على أدائها لا يخلون بها ولا يشتغلون عنها بشيء من الشواغل كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أفضل العمل أدومه وان قل وقول عائشة كان عمله ديمة ومحافظتهم عليها أن يراعوا اسباغ الوضوء لها ومواقيتها ويقيموا أركانها ويكملوها بسننها وآدابها ويحفظوها من الاحباط باقتراف المآثم فالدوام يرجع الى أنفس الصلوات والمحافظة الى أحوالها (حق معلوم) هو الزكاة لانها مقدرة معلومة أو صدقة يوظفها الرجل على نفسه يؤديها في أوقات معلومة * السائل الذي يسأل (والمحروم) الذي يتعفف عن السؤال فيحسب غنيا فيحرم (يصدقون بيوم الدين) تصديقا بأعمالهم واستعدادهم له ويشفقون من عذاب ربهم واعترض بقوله (ان عذاب ربهم غير مأمون) أي لا ينبغي لأحد وان بالغ في الطاعة والاجتهاد أن يأمنه وينبغي أن يكون مترجحا بين الخوف والرجاء * قرئ بشهادتهم وبشهاداتهم والشهادة من جملة الامانات وخصها من بينها ابانة لفضلها لان في اقامتها احياء الحقوق وتصحيحها وفي زيها تضييعها وابطالها * كان المشركون يحتفون حول النبي صلى الله عليه وسلم حلقا حلقا وفرقا فرقا يستمعون ويستهزئون بكلامه ويقولون ان دخل هؤلاء الجنة كما يقول محمد فلندخلنها قبلهم فنزلت (مهطعين) مسرعين نحوك مادي أعناقهم اليك مقبلين بأبصارهم عليك (عزين) فرقا شتى جمع عزة وأصلها عزوة كأن كل فرقة تعتزي الى غير من تعتزي اليه الاخرى فهم مفترقون قال الكميت

ونحن وجندل باغ تركنا * كتائب جندل شتى عزينا

وقيل كان المستهزئون خمسة أرهط (كلا) ردع لهم عن طمعهم في دخول الجنة ثم علل ذلك بقوله (انا خلقناهم مما يعلمون) الى آخر السورة وهو كلام دال على انكارهم البعث فكأنه قال كلا انهم منكرون للبعث والجزاء

خلقه فالله تعالى له الحمد على كل حال وانما المذموم العبد بحجة انه جعل فيه اختيارا يفرق به بالضرورة بين الاختياريات والقسريات لأن لله الحجة البالغة والله أعلم * قوله تعالى الذين هم على صلاتهم دائمون (قال أي لا يتركونها في وقت ولا يحبطونها الخ) قال أحمد حفظها من الاحباط نص عند أهل السنة على حفظها من الكفر خاصة فلا يحبط ما سواه خلافا للقدرية وقد تقدمت أمثاله والله أعلم

فمن أين يطمعون في دخول الجنة (فان قلت) من أي وجه دل هذا الكلام على انكار البعث (قلت) من حيث انه احتجاج عليهم بالنشأة الاولى كالاحتجاج بها عليهم في مواضع من التنزيل وذلك قوله خلقناهم مما يعلمون أي من النطف وبالقدرة على أن يهلكهم ويبدل ناسا خيرا منهم وأنه ليس بمسبوق على ما يريد تكوينه لا يعجزه شئ والغرض أن من قدر على ذلك لم تعجزه الاعادة ويجوز أن يراد انا خلقناهم مما يعلمون أي من النطفة المذرة وهي منصبهم الذي لا منصب أوضع منه ولذلك أبهم وأخفى اشعارا بانه منصب يستحيا من ذكره فمن أين يتشرفون ويدعون التقدم ويقولون لندخلن الجنة قبلهم وقيل معناه انا خلقناهم من نطفة كما خلقنا بني آدم كلهم ومن حكمنا أن لا يدخل أحد منهم الجنة الا بالايمان والعمل الصالح فلم يطمع أن يدخلها من ليس له ايمان وعمل وقرئ برب المشرق والمغرب ويخرجون ويخرجون ومن الاجداث سراعا بالاظهار والادغام ونصب ونصب وهو كل ما نصب فعبد من دون الله (يوفضون) يسرعون الى الداعي مستبقين كما كانوا يستبقون الى أنصابهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة سأل سائل أعطاه الله ثواب الذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون

﴿سورة نوح مكية وهي تسع أو ثمان وعشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(أن أنذر) أصله بأن أنذر فحذف الجار وأوصل الفعل وهي أن الناصبة للفعل والمعنى أرسلناه بأن قلنا له أنذر أي أرسلناه بالامر بالانذار ويجوز أن تكون مفسرة لان الارسال فيه معنى القول وقرأ ابن مسعود أنذر بغير أن على ارادة القول و (ان اعبدوا) نحو أن أنذر في الوجهين (فان قلت) كيف قال (ويؤخركم) مع اخباره بامتناع تأخير الاجل وهل هذا الا تناقض (قلت) قضى الله مثلا ان قوم نوح ان آمنوا عمرهم ألف سنة وان بقوا على كفرهم أهلكهم على رأس تسعمائة فقيل لهم آمنوا يؤخركم الى اجل مسمى أي الى وقت سماه الله وضربه أمدا تنتهون اليه لا تتجاوزونه وهو الوقت الاطول تمام الالف * ثم أخبر انه اذا جاء ذلك الاجل الامد لا يؤخر كما يؤخر هذا الوقت ولم تكن لكم حيلة فبادروا في أوقات الامهال والتأخير (ليلا ونهارا) دائبا من غير فتور مستغرقا به الاوقات كلها (فلم يزدهم دعائي) جعل الدعاء فاعل زيادة الفرار والمعنى على أنهم ازدادوا عنده فرارا لانه سبب الزيادة ونحوه فزادتهم رجسا الى رجسهم فزادتهم ايمانا (لتغفر لهم) ليتوبوا عن كفرهم فتغفر لهم فذكر المسبب الذي هو حظهم خالصا ليكون أقبح لاعراضهم عنه * سدوا مسامعهم عن استماع الدعوة (واستغشوا ثيابهم) وتغطوا بها كأنهم طلبوا أن تغشاهم ثيابهم أو تغشيهم لئلا يبصروه كراهة النظر الى وجه من ينصحهم في دين الله وقيل لئلا يعرفهم ويعضده قوله تعالى ألا انهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه ألا حين يستغشون ثيابهم * الاصرار من أصر الحمار على العانة اذا صر أذنيه وأقبل عليها يكدمها ويطردها استعير للاقبال على المعاصي والاكباب عليها (واستكبروا) وأخذتهم العزة من اتباع نوح وطاعته * وذكر المصدر تأكيد ودلالة على فرط استكبارهم وعتوهم (فان قلت) ذكر أنه دعاهم ليلا ونهارا ثم دعاهم جهارا ثم دعاهم في السر والعلن فيجب أن تكون ثلاث دعوات مختلفات حتى يصح العطف (قلت) قد فعل عليه الصلاة والسلام كما يفعل الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر في الابتداء بالاهون والترقي في الاشد فالاشد فافتتح بالمناصحة في السر فلما لم يقبلوا ثنى بالمجاهرة فلما لم تؤثر ثلث بالجمع بين الاسرار والاعلان ومعنى ثم الدلالة على تباعد الاحوال لان الجهار أغلظ من الاسرار والجمع بين الامرين أغلظ من افراد أحدهما و (جهارا) منصوب بدعوتهم نصب المصدر لان الدعاء أحد نوعيه الجهار فنصب به نصب القرفصاء بقعد لكونها أحد أنواع القعود أو لانه أراد بدعوتهم جاهرتهم ويجوز أن يكون صفة لمصدر دعا بمعنى دعاء جهارا أي مجاهرا

حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون يوم يخرجون من الاجداث سراعا كأنهم الى نصب يوفضون خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون

﴿سورة نوح مكية وهي تسع وعشرون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

انا أرسلنا نوحا الى قومه أن أنذر قومك من قبل أن يأتيهم عذاب أليم قال يا قوم اني لكم نذير مبين أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون يغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى أجل مسمى ان أجل الله اذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون قال رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا فلم يزدهم دعائي الا فرارا واني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبارا ثم اني دعوتهم جهارا ثم اني أعلنت لهم وأسررت لهم اسرارا فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم

به

اذا جاء لا يؤخر (قال فيه) ان قلت كيف قال ويؤخركم مع اخباره بامتناع التأخير الخ

أو مصدر في موضع الحال أي مجاهرا * أمرهم بالاستغفار الذي هو التوبة عن الكفر والمعاصي وقدم
اليهم الوعد بما هو أوقع في نفوسهم وأحب اليهم من المنافع الحاضرة والفوائد العاجلة ترغيبا في الايمان
وبركاته والطاعة ونتائجهما من خير الدارين كما قال وأخرى تحبونها نصر من الله ولو أن أهل القرى آمنوا
واتقوا لفتحنا عليهم بركات ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل وما أنزل اليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم وأن
لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم وقيل لما كذبوه بعد طول تكرير الدعوة حبس الله عنهم القطر
وأعقم أرحام نسائهم أربعين سنة وروى سبعين فوعدهم أنهم ان آمنوا رزقهم الله تعالى الخصب ودفع عنهم
ما كانوا فيه وعن عمر رضي الله عنه أنه خرج يستسقي فما زاد على الاستغفار فقيل له ما رأيناك استسقيت فقال
لقد استسقيت بمجاديح السماء التي يستنزل بها القطر شبه الاستغفار بالانواء الصادقة التي لا تخطئ وعن
الحسن أن رجلا شكا اليه الجدب فقال استغفر الله وشكا اليه آخر الفقر وآخر قلة النسل وآخر قلة ريع
أرضه فأمرهم كلهم بالاستغفار فقال له الربيع بن صبيح أتاك رجال يشكون أبوابا ويسألون أنواعا فأمرتهم
كلهم بالاستغفار فتلا له هذه الآية * والسماء المظلة لأن المطر منها ينزل الى السحاب ويجوز أن يراد السحاب
أو المطر من قوله * اذا نزل السماء بأرض قوم * والمدرار الكثير الدرور ومفعال مما يستوي فيه المذكر
والمؤنث كقولهم رجل أو امرأة معطار ومتفال (جنات) بساتين (لا ترجون لله وقارا) لا تأملون له توقيرا أي
تعظيما والمعنى ما لكم لا تكونون على حال تأملون فيها تعظيم الله اياكم في دار الثواب ولله بيان للموقر ولو تأخر
لكان صلة للوقار وقوله (وقد خلقكم أطوارا) في موضع الحال كأنه قال ما لكم لا تؤمنون بالله والحال هذه
وهي حال موجبة للايمان به لانه خلقكم أطوارا أي تارات خلقكم أولا ترابا ثم خلقكم نطفا ثم خلقكم علقا
ثم خلقكم مضغا ثم خلقكم عظاما ولحما ثم أنشأكم خلقا آخر أولا تخافون لله حلما وترك معاجلة العقاب
فتؤمنوا أو قيل ما لكم لا تخافون لله عظمة وعن ابن عباس لا تخافون لله عاقبة لان العاقبة حال استقرار
الامور وثبات الثواب والعقاب من وقر اذا ثبت واستقر * نبههم على النظر في أنفسهم أولا لانها أقرب
منظور فيه منهم ثم على النظر في العالم وما سوى فيه من العجائب الشاهدة على الصانع الباهر قدرته وعلمه
من السموات والارض والشمس والقمر (فيهن) في السموات وهو في السماء الدنيا لان بين السموات ملابسة
من حيث انها طباق فجاز أن يقال فيهن كذا وان لم يكن في جميعهن كما يقال في المدينة كذا وهو في بعض نواحيها
وعن ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهما أن الشمس والقمر وجوههما مما يلي السماء وظهورهما مما يلي
الارض (وجعل الشمس سراجا) يبصر أهل الدنيا في ضوئها كما يبصر أهل البيت في ضوء السراج
ما يحتاجون الى ابصاره والقمر ليس كذلك انما هو نور لم يبلغ قوة ضياء الشمس ومثله قوله تعالى هو الذي
جعل الشمس ضياء والقمر نورا والضياء أقوى من النور * استعير الانبات للانشاء كما يقال زرعك الله للخير
وكانت هذه الاستعارة أدل على الحدوث لانهم اذا كانوا نباتا كانوا محدثين لا محالة حدوث النبات ومنه قيل
للحشوية النابتة والنوابت لحدوث مذهبهم في الاسلام من غير أولية لهم فيه ومنه قولهم نجم فلان لبعض
المارقة والمعنى أنبتكم فنبتم نباتا أو نصب بأنبتكم لتضمنه معنى نبتم (ثم يعيدكم فيها) مقبورين ثم (يخرجكم)
يوم القيامة * وأكده بالمصدر كأنه قال يخرجكم حقا ولا محالة * جعلها بساطا مبسوطة تتقلبون عليها
كما يتقلب الرجل على بساطه (فجاجا) واسعة منفجة (واتبعوا) رؤساءهم المقدمين أصحاب الاموال والاولاد
وارتسموا ما رسموا لهم من التمسك بعبادة الاصنام * وجعل أموالهم وأولادهم التي لم تزدهم الا وجاهة
ومنفعة في الدنيا زائدة (خسارا) في الآخرة وأجرى ذلك مجرى صفة لازمة لهم وسمة يعرفون بها تحقيقا له
وتثبيتا وابطالا لما سواه * وقرئ وولده بضم الواو وكسرها (ومكروا) معطوف على لم يزده وجمع الضمير
وهو راجع الى من لانه في معنى الجمع والماكرون هم الرؤساء ومكرهم احتيالهم في الدين وكيدهم لنوح
وتحريش الناس على أذاه وصدهم عن الميل اليه والاستماع منه وقولهم لهم لا تذرن آلهتكم الى عبادة
رب نوح (مكرا كبارا) قرئ بالتخفيف والتثقيل والكبار أكبر من الكبير والكبار أكبر من الكبار ونحوه

جنات ويجعل لكم أنهارا
ما لكم لا ترجون لله وقارا
وقد خلقكم أطوارا
ألم تروا كيف خلق الله
سبع سموات طباقا وجعل
القمر فيهن نورا وجعل
الشمس سراجا والله
أنبتكم من الارض نباتا
ثم يعيدكم فيها ويخرجكم
اخراجا والله جعل لكم
الارض بساطا لتسلكوا
منها سبلا فجاجا قال نوح
رب انهم عصوني واتبعوا
من لم يزده ماله وولده
الا خسارا ومكروا مكرا
كبارا وقالوا لا تذرن
آلهتكم

* قوله تعالى ما لكم لا ترجون لله وقارا (قال فيه ما لكم لا تكونون على حال يكون فيها تعظيم الله تعالى الخ) قال أسعد وهذا التفسير يبقي الرجاء على بابه ونقل قولا آخر حمله على الخوف أي لا تخافون لله عظمة وعن ابن عباس أن الوقار العاقبة لاستقرار الثواب وثبات العقاب من وقر اذا ثبت * قوله تعالى وجعل القمر فيهن نورا (قال فيه وانما هو في السماء الدنيا لان بين السموات وبين السماء الدنيا مناسبة) قال أسعد ويلاحظ يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان

وضع كذبا موضع تقولا ولم يجعله صفة لان التقول لا يكون الا كذبا * الرهق غشيان المحارم والمعنى أن الانس
باستعاذتهم بهم زادوهم كبرا وكفرا وذلك أن الرجل من العرب كان اذا أمسى في واد قفر في بعض مسايره
وخاف على نفسه قال أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه يريد الجن وكبيرهم فاذا سمعوا بذلك استكبروا
وقالوا سدنا الجن والانس فذلك رهقهم أو فزاد الجن الانس رهقا باغوائهم واضلالهم لاستعاذتهم بهم
(وانهم) وأن الانس (ظنوا كما ظننتم) وهو من كلام الجن يقوله بعضهم لبعض وقيل الآيتان من جملة الوحي
والضمير في وانهم ظنوا للجن والخطاب في ظننتم لكفار قريش * اللمس المس فاستعير للطلب لان الماس
طالب متعرف قال

مسسنا من الآباء شيأ وكلنا * الى نسب في قومه غير واضح

يقال لمسه والتمسه وتلمسه كطلبه واطلبه وتطلبه ونحوه الجس وقولهم جسوه بأعينهم وتجسسوه والمعنى طلبنا
بلوغ السماء واستماع كلام أهلها * والحرس اسم مفرد في معنى الحراس كالخدم في معنى الخدام ولذلك وصف
بشديد ولو ذهب الى معناه لقيل شدادا ونحوه أخشى رجيلا أو ركيبا عاديا لان الرجل والركب مفردان
في معنى الرجال والركاب * والرصد مثل الحرس اسم جمع للراصد على معنى ذوي شهاب راصدين بالرجم وهم
الملائكة الذين يرجمونهم بالشهب ويمنعونهم من الاستماع ويجوز أن يكون صفة للشهاب بمعنى الراصد
أو كقوله ومعى جياعا يعني يجد شهابا راصدا له ولاجله (فان قلت) كان الرجم لم يكن في الجاهلية وقد قال الله
تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين فذكر فائدتين في خلق الكواكب التزيين
ورجم الشياطين (قلت) قال بعضهم حدث بعد مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو احدى آياته
والصحيح أنه كان قبل المبعث وقد جاء ذكره في شعر أهل الجاهلية قال بشر بن أبي خازم

والعير يرهقها الغبار وجحشها * ينقض خلفهما انقضاض الكوكب

وقال أوس بن حجر

وانقض كالدري يتبعه * نقع يثور تخاله طنبا

وقال عوف بن الخرع

يرد علينا العير من دون انفه * أو الثور كالدري يتبعه الدم

ولكن الشياطين كانت تسترق في بعض الاحوال فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كثر الرجم وزاد
زيادة ظاهرة حتى تنبه لها الانس والجن ومنع الاستراق أصلا وعن معمر قلت للزهري أكان يرمى بالنجوم
في الجاهلية قال نعم قلت أرأيت قوله تعالى وانا كنا نقعد فقال غلظت وشدد أمرها حين بعث النبي صلى الله
عليه وسلم وروى الزهري عن علي بن الحسين عن ابن عباس رضي الله عنهما بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
جالس في نفر من الانصار اذ رمي بنجم فاستنار فقال ما كنتم تقولون في مثل هذا في الجاهلية فقالوا كنا نقول
يموت عظيم أو يولد عظيم وفي قوله ملئت دليل على أن الحادث هو الملء والكثرة وكذلك قوله نقعد منها مقاعد
أي كنا نجد فيها بعض المقاعد خالية من الحرس والشهب والآن ملئت المقاعد كلها وهذا ذكر ما حملهم على
الضرب في البلاد حتى عثروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم واستمعوا قراءته * يقولون لما حدث هذا
الحادث من كثرة الرجم ومنع الاستراق قلنا ما هذا الا لامر أراده الله بأهل الارض ولا يخلو من أن يكون شرا
أو رشدا أي خيرا من عذاب أو رحمة أو من خذلان أو توفيق (منا الصالحون) منا الابرار المتقون (ومنا دون
ذلك) ومنا قوم دون ذلك فحذف الموصوف كقوله وما منا الا له مقام معلوم وهم المقتصدون في الصلاح غير
الكاملين فيه أو أرادوا الطالحين (كنا طرائق قددا) بيان للقسمة المذكورة أي كنا ذوي مذاهب متفرقة
مختلفة أو كنا في اختلاف أحوالنا مثل الطرائق المختلفة أو كنا في طرائق مختلفة كقوله
* كما عسل الطريق الثعلب * أو كانت طرائقنا طرائق قددا على حذف المضاف الذي هو الطرائق واقامة
الضمير المضاف اليه مقامه والقدد من قد كالقطعة من قطع ووصف الطرائق بالقدد لدلالتها على معنى
التقطع والتفرق (في الارض) و (هربا) حالان أي لن نعجزه كائنين في الارض أينما كنا فيها ولن نعجزه هاربين
منها الى السماء وقيل لن نعجزه في الارض ان أراد بنا أمرا ولن نعجزه هربا ان طلبنا * والظن بمعنى اليقين
وهذه صفة أحوال الجن وما هم عليه من أحوالهم وعقائدهم منهم أخيار وأشرار ومقتصدون وانهم

يعتقدون

وانهم ظنوا كما ظننتم أن
لن يبعث الله أحدا وانا
لمسنا السماء فوجدناها
ملئت حرسا شديدا وشهبا
وانا كنا نقعد منها مقاعد
للسمع فمن يستمع الآن
يجد له شهابا رصدا وانا
لا ندري أشر أريد بمن في
الارض أم أراد بهم ربهم
رشدا وانا منا الصالحون
ومنا دون ذلك كنا
طرائق قددا وانا ظننا
أن لن نعجز الله في الارض
ولن نعجزه هربا

(القول في سورة الجن)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله تعالى وانا لمسنا السماء
فوجدناها ملئت حرسا
شديدا وشهبا (قال فيه
ان قلت كان الرجم
لم يكن في الجاهلية وقد
قال تعالى ولقد زينا
السماء الدنيا بمصابيح
وجعلناها رجوما
للشياطين فذكر فائدتين
التزيين والرجم الخ) قال
أحمد ومن عقائدهم ان
الرشد والضلال جميعا
من ارادة الله تعالى بقوله
وانا لا ندري أشر أريد بمن
في الارض أم أراد بهم
ربهم رشدا ولقد أحسنوا
الادب في ذكر ارادة
الشر محذوفة الفاعل
والمراد بالمريد هو الله
عز وجل وابرازهم
لاسمه عند ارادة الخير
والرشد فجمعوا بين
العقيدة الصحيحة
والآداب المليحة

يعتقدون أن الله عز وجل عزيز غالب لا يفوته مطالب ولا ينجي عنه مهرب (لما سمعنا الهدى) هو سماعهم القرآن * وإيمانهم به (فلا يخاف) فهو لا يخاف أي فهو غير خائف ولأن الكلام في تقدير مبتدإ وخبر دخلت الفاء ولولا ذلك لقيل لا يخف (فإن قلت) أي فائدة في رفع الفعل وتقدير مبتدإ قبله حتى يقع خبراً له ووجوب إدخال الفاء وكان ذلك كله مستغنى عنه بأن يقال لا يخف (قلت) الفائدة فيه أنه إذا فعل ذلك فكأنه قيل فهو لا يخاف فكان دالاً على تحقيق أن المؤمن ناج لا محالة وأنه هو المختص بذلك دون غيره وقرأ الأعمش فلا يخف على النهي (بخساً ولا رهقاً) أي جزاء بخس ولا رهق لأنه لم يبخس أحداً حقاً ولا رهق ظلم أحد فلا يخاف جزاءهما وفيه دلالة على أن من حق من آمن بالله أن يجتنب المظالم ومنه قوله عليه الصلاة والسلام المؤمن من أمنه الناس على أنفسهم وأموالهم ويجوز أن يراد فلا يخاف أن يبخس بل يجزى الجزاء الأوفى ولا أن ترهقه ذلة من قوله عز وجل وترهقهم ذلة (القاسطون) الكافرون الجائرون عن طريق الحق وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه أن الحجاج قال له حين أراد قتله ما تقول في قال قاسط عادل فقال القوم ما أحسن ما قال حسبوا أنه يصفه بالقسط والعدل فقال الحجاج يا جهلة إنه سماني ظالماً مشركاً وتلا لهم قوله وأما القاسطون وقوله تعالى ثم الذين كفروا بربهم يعدلون وقد زعم من لا يرى للجن ثواباً أن الله تعالى أوعد قاسطيهم وما وعد مسلميهم وكفى به وعداً أن قال فأولئك تحروا رشداً فذكر سبب الثواب وموجبه والله أعدل من أن يعاقب القاسط ولا يثيب الراشد (وأن لو استقاموا) أن مخففة من الثقيلة وهو من جملة الموحى والمعنى وأوحي إلي أن الشأن والحديث لو استقام الجن على الطريقة المثلى أي لو ثبت أبوهم الجان على ما كان عليه من عبادة الله والطاعة ولم يستكبر عن السجود لآدم ولم يكفر وتبعه ولده على الإسلام لأنعمنا عليهم ولوسعنا رزقهم وذكر الماء الغدق وهو الكثير بفتح الدال وكسرها وقرئ بهما لأنه أصل المعاش وسعة الرزق (لنفتنهم فيه) لنختبرهم فيه كيف يشكرون ما خولوا منه ويجوز أن يكون معناه وأن لو استقام الجن الذين استمعوا على طريقتهم التي كانوا عليها قبل الاستماع ولم ينتقلوا عنها إلى الإسلام لوسعنا عليهم الرزق مستدرجين لهم لنفتنهم فيه لتكون النعمة سبباً في اتباعهم شهواتهم ووقوعهم في الفتنة وازديادهم إثماً أو لنعذبهم في كفران النعمة (ومن يعرض عن ذكر ربه) عن عبادته أو عن موعظته أو عن وحيه (يسلكه) وقرئ بالنون مضمومة ومفتوحة أي ندخله (عذاباً) والأصل نسلكه في عذاب كقوله ما سلككم في سقر فعدي إلى مفعولين إما بحذف الجار وإيصال الفعل كقوله واختار موسى قومه وإما بتضمينه معنى ندخله يقال سلكه وأسلكه قال حتى إذا أسلكوهم في قتائده * والصعد مصدر صعد يقال صعد صعداً وصعوداً فوصف به العذاب لأنه يتصعد المعذب أي يعلوه ويغلبه فلا يطيقه ومنه قول عمر رضي الله عنه ما تصعدني شيء ما تصعدتني خطبة النكاح يريد ما شق علي ولا غلبني (وأن المساجد) من جملة الموحى وقيل معناه ولأن المساجد (لله فلا تدعوا) على أن اللام متعلقة بلا تدعوا أي فلا تدعوا (مع الله أحداً) في المساجد لأنها لله خاصة ولعبادته وعن الحسن يعني الأرض كلها لأنها جعلت للنبي صلى الله عليه وسلم مسجداً وقيل المراد بها المسجد الحرام لأنه قبلة المساجد ومنه قوله تعالى ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وعن قتادة كان اليهود والنصارى إذا دخلوا بيعهم وكنائسهم أشركوا بالله فأمرنا أن نخلص لله الدعوة إذا دخلنا المساجد وقيل المساجد أعضاء السجود السبعة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أسجد على سبعة آراب وهي الجبهة والأنف واليدان والركبتان والقدمان وقيل هي جمع مسجد وهو السجود (عبد الله) النبي صلى الله عليه وسلم (فإن قلت) هلا قيل رسول الله أو النبي (قلت) لأن تقديره وأوحي إلي أنه لما قام عبد الله فلما كان واقعاً في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نفسه جيء به على ما يقتضيه التواضع والتذلل أو لأن المعنى أن عبادة عبد الله ليست بأمر مستبعد عن العقل ولا مستنكر حتى يكونوا عليه لبداً * ومعنى قام يدعوه قام يعبده يريد قيامه لصلاة الفجر بنخلة حين أتاه الجن فاستمعوا القراءة صلى الله عليه وسلم (كادوا يكونون عليه لبداً) أي يزدحمون عليه متراكمين تعجباً مما رأوا من عبادته واقتداء أصحابه به قائماً وراكعاً

وأنا لما سمعنا الهدى آمنا به فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخساً ولا رهقاً وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون فمن أسلم فأولئك تحروا رشداً وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقاً لنفتنهم فيه ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذاباً صعداً وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبداً

وساجدا أو الصلاة باللام من القرآن لأنهم رأوا ما لم يروا مثله وسمعوا ما لم يسمعوا بنظيره وقيل معناه لما قام رسولا
يعبد الله وحده مخالفا للمشركين في عبادتهم الآلهة من دونه كاد المشركون لتظاهرهم عليه وتعاونهم على
عداوته يزدحمون عليه متراكبين لبدا جمع لبدة وهو ما تلبد بعضه على بعض ومنها لبدة الأسد وقرئ لبدا
واللبدة في معنى اللبدة ولبدا جمع لابد كساجد وسجد ولبدا بضمتين جمع لبود كصبور وصبر وعن قتادة
تلبدت الإنس والجن على هذا الأمر ليطفؤه فأبى الله إلا أن ينصره ويظهره على من ناواه ومن قرأ وأنه
بالكسر جعله من كلام الجن قالوه لقومهم حين رجعوا إليهم حاكين ما رأوا من صلاته وازدحام أصحابه عليه
في ائتمامهم به (قال) للمتظاهرين عليه (إنما أدعو ربي) يريد ما أتيتكم بأمر منكر إنما أعبد ربي وحده (ولا
أشرك به أحدا) وليس ذاك مما يوجب إطباقكم على مقتي وعداوتي أو قال الجن عند ازدحامهم متعجبين ليس
ما ترون من عبادته الله ورفضه الإشراك به بأمر يتعجب منه إنما يتعجب ممن يدعو غير الله ويجعل له شريكا
أو قال الجن لقومهم ذلك حكاية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (ولا رشدا) ولا نفعا أو أراد بالضر الغي ويدل
عليه قراءة أبي غيا ولا رشدا والمعنى لا أستطيع أن أضركم وأن أنفعكم إنما الضار والنافع الله أو لا أستطيع
أن أقسركم على الغي والرشد إنما القادر على ذلك الله عز وجل و(إلا بلاغا) استثناء منه أي لا أملك إلا بلاغا
من الله و(قل إني لن يجيرني) جملة معترضة اعترض بها لتأكيد نفي الاستطاعة عن نفسه وبيان عجزه على معنى
أن الله إن أراد به سوءا من مرض أو موت أو غيرهما لم يصح أن يجيره منه أحد أو يجد من دونه ملاذا يأوي
إليه والملتحد الملتجأ وأصله المدخل من اللحد وقيل محيصا ومعدلا * وقرئ قال لا أملك أي قال عبد الله
للمشركين أو للجن ويجوز أن يكون من حكاية الجن لقومهم وقيل بلاغا بدل من ملتحدا أي لن أجد من دونه
منجى إلا أن أبلغ عنه ما أرسلني به وقيل إلا هي إن لا ومعناه إن لا أبلغ بلاغا كقولك إن لا قياما فقعودا
(ورسالاته) عطف على بلاغا كأنه قيل لا أملك لكم إلا التبليغ والرسالات والمعنى إلا أن أبلغ عن الله فأقول
قال الله كذا ناسبا القول إليه وأن أبلغ رسالاته التي أرسلني بها من غير زيادة ولا نقصان (فإن قلت) ألا يقال
بلغ عنه ومنه قوله عليه الصلاة والسلام بلغوا عني بلغوا عني (قلت) من ليست بصلة للتبليغ إنما هي بمنزلة
من في قوله براءة من الله بمعنى بلاغا كائنا من الله * وقرئ فأن له نار جهنم على فجزاؤه أن له نار جهنم كقوله
فأن لله خمسه أي فحكمه أن لله خمسه وقال (خالدين) حملا على معنى الجمع في من (فإن قلت) بم تعلق حتى
وجعل ما بعده غاية له (قلت) بقوله يكونون عليه لبدا على أنهم يتظاهرون عليه بالعداوة ويستضعفون
أنصاره ويستقلون عددهم (حتى إذا رأوا ما يوعدون) من يوم بدر وإظهار الله له عليهم أو من يوم القيامة
(فسيعلمون) حينئذ أنهم (أضعف ناصرا وأقل عددا) ويجوز أن يتعلق بمحذوف دلت عليه الحال من
استضعاف الكفار له واستقلالهم لعدده كأنه قال لا يزالون على ما هم عليه حتى إذا رأوا ما يوعدون * قال
المشركون متى يكون هذا الموعود إنكارا له فقيل (قل) إنه كائن لا ريب فيه فلا تنكروه فإن الله قد وعد ذلك
وهو لا يخلف الميعاد وأما وقته فما أدري متى يكون لأن الله لم يبينه لما رأى في إخفاء وقته من المصلحة
(فإن قلت) ما معنى قوله (أم يجعل له ربي أمدا) والأمد يكون قريبا وبعيدا ألا ترى إلى قوله تود لو أن بينها

قال إنما أدعو ربي ولا أشرك به أحدا قل إني لا أملك لكم ضرا ولا رشدا قل إني لن يجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحدا إلا بلاغا من الله ورسالاته ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبدا حتى إذا رأوا ما يوعدون فسيعلمون من أضعف ناصرا وأقل عددا قل إن أدري أقريب ما توعدون أم يجعل له ربي أمدا

(قوله تعالى قل إني لا أملك لكم ضرا ولا رشدا (قال فيه معناه أي لا أستطيع أن أنفعكم أو أضركم إنما النافع والضار الله عز وجل الخ) قال أحمد في الآية دليل بين على أن الله تعالى هو الذي يملك لعباده الرشد والغي أي يخلقهما لا غير فإن النبي صلى الله عليه وسلم إنما سلب ذلك عن قدرته ليمحض إضافته إلى قدرة الله وحده وفطن الزمخشري لذلك فأخذ يعمل الحيل فتارة يحمل الرشد على مطلق النفع فيضيف ذلك إلى الله تعالى وتارة يكتم عنه لأن فيه إبطال الخصوصية الرشد المنصوص عليه في الآية فيتورك من تقليده الرأي الفاسد ثم تصرفه عن الحق وعن اعتقاد أن الله تعالى ٤٩٦ هو الذي يخلق الرشد لعبيده مقارنا لاختيارهم فيدخل زيادة التعمر لأن معنى ما ورد من إضافة الرشد إلى قدرة الله تعالى عندهم أنه يخلق أن تضرب بها الرقاب فيخلق العبد لنفسه عند ظهوره رشدا فيضاف إلى قدرة الله تعالى لأنه خلق السبب وهو في الحقيقة مخلوق بقدرة العبد فهذه قاعدة القدرية وعقيدتهم وما الجن بعد هذا إلا أوفر منهم عقلا وأسد منهم نظرا لأنهم قالوا وأنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا فأضافوا الرشد نفسه إلى إرادة الله عز وجل وقدرته * عاد كلامه قوله تعالى قل إني لن يجيرني من الله أحد الآية (قال فيه هو اعتراض وقوله إلا بلاغا وبيده استثناء من قوله لا أملك أي لا أملك لكم إلا بلاغا وقيل بلاغا بدل من ملتحدا الخ) قال أحمد فيكون تقدير الكلام بلاغا من الله مستفادا من قوله قل إن أدري أقريب ما توعدون أم يجعل له ربي أمدا (قال) إن قلت ما معنى التقسيم والأمد يكون قريبا وبعيدا لقوله تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا وأجاب بأنه كان صلى الله عليه وسلم يستقرب الموعد وكأنه قال ما أدري هل هو حال متوقع في كل ساعة أم له غاية مضروبة

* قوله تعالى عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول (قال فيه ابطال الكرامات لانه حصر ذلك في المرتضى من الرسل والولي وان كان من المرتضين الخ) ادعى عاما واستدل خاصا فان دعواه ابطال الكرامات بجميع أنواعها والمدلول عليه بالآية ابطال اطلاع الولي على الغيب خاصة ولا يكون كرامة وخارق العادة الا الاطلاع على الغيب لا غير وما القدرية الا لهم شبهة في ابطالها وذلك ان الله عز وجل لا يتخذ منهم وليا أبدا وهم لم يحدثوا بذلك عن أشياعهم قط فلا جرم انهم يستمرون على الانكار ولا يعلمون ان شرط الكرامة الولاية وهي مسلوبة عنهم اتفاقا وأما سلب الايمان فمسألة خلاف فالطمع من يكون ايمانه مسألة خلاف وهو يريد الكرامة لانه لم يؤتها والله الموفق * القول في سورة المزمل * (بسم الله الرحمن الرحيم) (٤٩٧) * قوله تعالى يا أيها المزمل قم الليل الا قليلا (قال فيه هو المتلفف في ثيابه كالمدثر ونودي بما يهجن اليه الخ) قال أحمد أما قوله الاول ان نداءه بذلك تهجين للحالة التي ذكر انه كان عليها واستشهاده بالابيات المذكورة

ويبلغه أمدا بعيدا (قلت) كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستقرب الوعد فكأنه قال ما أدري أهو حال متوقع في كل ساعة أم مؤجل ضربت له غاية * أي هو (عالم الغيب فلا يظهر) فلا يطلع و(من رسول) تبيين لمن ارتضى يعني أنه لا يطلع على الغيب الا المرتضى الذي هو مصطفى للنبوة خاصة لا كل مرتضى وفي هذا ابطال الكرامات لان الذين تضاف اليهم وان كانوا أولياء مرتضين فليسوا برسل وقد خص الله الرسل من بين المرتضين بالاطلاع على الغيب وابطال الكهانة والتنجيم لان أصحابهما أبعد شيء من الارتضاء وأدخله في السخط (فانه يسلك من بين يديه) يدي من ارتضى للرسالة (ومن خلفه رصدا) حفظة من الملائكة يحفظونه من الشياطين يطردونهم عنه ويعصمونه من وساوسهم وتخاليطهم حتى يبلغ ما أوحي به اليه وعن الضحاك ما بعث نبي الا ومعه ملائكة يحرسونه من الشياطين أن يتشبهوا بصورة الملك (ليعلم) الله (أن قد أبلغوا رسالات ربهم) يعني الانبياء وحد أولا على اللفظ في قوله من بين يديه ومن خلفه ثم جمع على المعنى كقوله فان له نار جهنم خالدين والمعنى ليبلغوا رسالات ربهم كما هي محروسة من الزيادة والنقصان وذكر العلم كما ذكر في قوله تعالى حتى نعلم المجاهدين وقرئ ليعلم على البناء للمفعول (وأحاط بما لديهم) بما عند الرسل من الحكم والشرائع لا يفوته منها شيء ولا ينسى منها حرفا فهو مهيمن عليها حافظ لها (وأحصى كل شيء عددا) من القطر والرمل وورق الاشجار وزبد البحار فكيف لا يحيط بما عند الرسل من وحيه وكلامه وعددا حال أي وضبط كل شيء معدودا محصورا أو مصدر في معنى احصاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الجن كان له بعدد كل جني صدق محمدا صلى الله عليه وسلم وكذب به عتق رقبة

﴿سورة المزمل مكية وهي تسع عشرة أو عشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(المزمل) المتزمل وهو الذي تزمل في ثيابه أي تلفف بها بادغام التاء في الزاي ونحوه المدثر في المتدثر وقرئ المتزمل على الاصل والمزمل بتخفيف الزاي وفتح الميم وكسرها على أنه اسم فاعل أو مفعول من زمله وهو الذي زمله غيره أو زمل نفسه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم نائما بالليل متزملا في قطيفة فنبه ونودي بما يهجن اليه الحالة التي كان عليها من التزمل في قطيفته واستعداده للاستثقال في النوم كما يفعل من لا يهمه أمر ولا يعنيه شأن ألا ترى الى قول ذي الرمة

وكائن تخطت ناقتي من مفازة * ومن نائم عن ليلها متزمل

يريد الكسلان المتقاعس الذي لا ينهض في معاظم الامور وكفايات الخطوب ولا يحمل نفسه المشاق والمتاعب ونحوه

فأتت به حوش الفؤاد مبطنا * سهدا اذا ما نام ليل الهوجل

عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عددا

﴿سورة المزمل مكية وهي تسع عشرة آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

يا أيها المزمل قم الليل الا قليلا

تخطأ وسوء أدب ومن اعتبر عادة خطاب الله تعالى له في الاكرام والاحترام علم بطلان ما تخيله الزمخشري فقد قال العلماء انه لم يخاطب باسمه نداء وان ذلك من خصائصه دون سائر الرسل اكراما له وتشريفا فأين نداؤه بصيغة مهجنة من ندائه باسمه واستشهاده على ذلك بابيات قيلت ذما في جفاة جفاة من الرعاة فأنا أبرأ الى الله من ذلك وأربأ به صلى الله عليه وسلم ولقد ذكرت بقوله * أوردها سعد وسعد مشتمل * ما وقفت عليه من كلام ابن خروف النحوي يرد على الزمخشري ويخطئ رأيه في تصنيفه المفصل واجحافه في الاختصار بمعاني كلام سيبويه حتى سماه ابن خروف البرنامج وأنشد عليه

أوردها سعد وسعد مشتمل * ما هكذا تورد يا سعد الابل

وأما ما نقله ان ذلك كان في مرط عائشة رضي الله عنها فبعيد فان السورة مكية وبنى النبي صلى الله عليه وسلم على عائشة رضي الله عنها بالمدينة والصحيح في الآية ما ذكره آخرا ان ذلك كان في بيت خديجة عندما لقيه جبريل أول مرة فبذلك وردت الاحاديث الصحيحة والله أعلم

وفي أمثالهم: أوردها سعد وسعد مشتمل * ما هكذا تورد يا سعد الإبل

فذمه بالاشتمال بكسائه وجعل ذلك خلاف الجلد والكيس وأمر بأن يختار على الهجود التهجد وعلى التزمل التشمر والتخفف للعبادة والمجاهدة في الله لا جرم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تشمر لذلك مع أصحابه حق التشمر وأقبلوا على إحياء لياليهم ورفضوا له الرقاد والدعة وتجاهدوا فيه حتى انتفخت أقدامهم واصفرت ألوانهم وظهرت السيمى في وجوههم وترامى أمرهم إلى حد رحمهم له ربهم فخفف عنهم وقيل كان متزملا في مرط لعائشة يصلي فهو على هذا ليس بتهجين بل هو ثناء عليه وتحسين لحاله التي كان عليها وأمر بأن يدوم على ذلك ويواظب عليه وعن عائشة رضي الله عنها أنها سئلت ما كان تزميله قالت كان مرطا طوله أربع عشرة ذراعا نصفه علي وأنا نائمة ونصفه عليه وهو يصلي فسئلت ما كان قالت والله ما كان خزا ولا قزا ولا مرعزيا ولا إبريسما ولا صوفا كان سداه شعرا ولحمته وبرا وقيل دخل على خديجة وقد جئث فرقا أول ما أتاه جبريل وبوادره ترعد فقال زملوني زملوني وحسب أنه عرض له فبينا هو على ذلك إذ ناداه جبريل يا أيها المزمل وعن عكرمة أن المعنى يا أيها الذي زمل أمرا عظيما أي حمله والزمل الحمل وازدمله احتمله * وقرئ قم الليل بضم الميم وفتحها قال عثمان بن جني الغرض بهذه الحركة التبلغ بها هربا من التقاء الساكنين فبأي الحركات تحرك فقد وقع الغرض (نصفه) بدل من الليل وإلا قليلا استثناء من النصف كأنه قال قم أقل من نصف الليل * والضمير في منه وعليه للنصف والمعنى التخيير بين أمرين بين أن يقوم أقل من نصف الليل على البت وبين أن يختار أحد الأمرين وهما النقصان من النصف والزيادة عليه وإن شئت جعلت نصفه بدلا من قليلا وكان تخييرا بين ثلاث بين قيام النصف بتمامه وبين قيام الناقص منه وبين قيام الزائد عليه وإنما وصف النصف بالقلة بالنسبة إلى الكل وإن شئت قلت لما كان معنى قم الليل إلا قليلا نصفه إذا أبدلت النصف من الليل قم أقل من نصف الليل رجع الضمير في منه وعليه إلى الأقل من النصف فكأنه قيل قم أقل من نصف الليل أو قم أنقص من ذلك الأقل أو أزيد منه قليلا فيكون التخيير فيما وراء النصف بينه وبين الثلث ويجوز إذا أبدلت نصفه من قليلا وفسرته به أن تجعل قليلا الثاني بمعنى نصف النصف وهو الربع كأنه قيل أو انقص منه قليلا نصفه وتجعل المزيد على هذا القليل أعني الربع نصف الربع كأنه قيل أو زد عليه قليلا نصفه ويجوز أن تجعل الزيادة لكونها مطلقة تتمة الثلث فيكون تخييرا بين النصف والثلث والربع (فإن قلت) أكان القيام فرضا أم نفلا (قلت) عن عائشة رضي الله عنها أن الله جعله تطوعا بعد أن كان فريضة وقيل كان فرضا قبل أن تفرض الصلوات الخمس ثم نسخ بهن إلا ما تطوعوا به وعن الحسن كان قيام ثلث الليل فريضة وكانوا على ذلك سنة وقيل كان واجبا وإنما وقع التخيير في المقدار ثم نسخ بعد عشر سنين وعن الكلبي كان يقوم الرجل حتى يصبح مخافة أن لا يحفظ ما بين النصف والثلث والثلثين ومنهم من قال كان نفلا بدليل التخيير في المقدار ولقوله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك * ترتيل القرآن قراءته على ترسل وتؤدة بتبيين الحروف وإشباع الحركات حتى يجيء المتلو منه شبيها بالثغر المرتل وهو المفلج المشبه بنور الأقحوان وأن لا يهذه هذا ولا يسرده سردا كما قال عمر رضي الله عنه شر السير الحقحقة وشر القراءة الهذرمة حتى يشبه المتلو في تتابعه الثغر الألص وسئلت عائشة رضي الله عنها عن قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لا كسردكم هذا لو أراد السامع أن يعد حروفه لعدها و(ترتيلا) تأكيد في إيجاب الأمر به وأنه ما لا بد منه للقارئ * هذه الآية اعتراض ويعني بالقول الثقيل القرآن وما فيه من الأوامر والنواهي التي هي تكاليف شاقة ثقيلة على المكلفين خاصة على رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه متحملها بنفسه ومحملها أمته فهي أثقل عليه وأبهظ له وأراد بهذا الاعتراض أن ما كلفه من قيام الليل من جملة التكاليف الثقيلة الصعبة التي ورد بها القرآن لأن الليل وقت السبات والراحة والهدو فلا بد لمن أحياه من مضادة لطبعه ومجاهدة لنفسه وعن ابن عباس رضي الله عنه كان إذا نزل عليه الوحي ثقل عليه وتربد له جلده وعن عائشة رضي الله عنها رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليرفض عرقا

نصفه أو انقص منه قليلا أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا

(قوله الحقحقة الخ) كتب عليه بالهامش أن الحقحقة شدة السير والهذرمة بمعنى الهذ والألص متقارب الأسنان وقوله يهذه وتربد معناه وتغير اهـ مصححه

وعن

وعن الحسن ثقيل في الميزان وقيل ثقيل على المنافقين وقيل كلام له وزن ورجحان ليس بالسفساف (ناشئة الليل) النفس الناشئة بالليل التي تنشأ من مضجعها الى العبادة أي تنهض وترتفع من نشأت السحابة اذا ارتفعت ونشأ من مكانه ونشز اذا نهض قال

نشأنا الى خوص برى نيها السرى * وألصق منها مشرفات القماحد

وقيام الليل على أن الناشئة مصدر من نشأ اذا قام ونهض على فاعلة كالعاقبة ويدل عليه ما روى عن عبيد بن عمير قلت لعائشة رجل قام من أول الليل أتقولين له قام ناشئة قالت لا انما الناشئة القيام بعد النوم ففسرت الناشئة بالقيام عن المضجع أو العبادة التي تنشأ بالليل أي تحدث وترتفع وقيل هي ساعات الليل كلها لانها تحدث واحدة بعد أخرى وقيل الساعات الاول منه وعن علي بن الحسين رضي الله عنهما أنه كان يصلي بين المغرب والعشاء ويقول أما سمعتم قول الله تعالى ان ناشئة الليل هذه ناشئة الليل (هي أشد وطأ) هي خاصة دون ناشئة النهار أشد مواطأة يواطئ قلبها لسانها ان أردت النفس أو يواطئ فيها قلب القائم لسانه ان أردت القيام أو العبادة أو الساعات أو أشد موافقة لما يراد من الخشوع والاخلاص وعن الحسن أشد موافقة بين السر والعلانية لانقطاع رؤية الخلائق وقرئ أشد وطأ بالفتح والكسر والمعنى أشد ثبات قدم وأبعد من الزلل أو أثقل وأغلظ على المصلي من صلاة النهار من قوله عليه السلام اللهم اشدد وطأتك على مضر (وأقوم قيلا) وأسد مقالا وأثبت قراءة لهدو الاصوات وعن أنس رضي الله عنه أنه قرأ وأصوب قيلا فقيل له يا أبا حمزة انما هي وأقوم فقال ان أقوم وأصوب وأهيأ واحد وروى أبو زيد الانصاري عن أبي سرار الغنوي أنه كان يقرأ فحاسوا خلال الديار بالحاء غير معجمة فقيل له انما هو جاسوا بالجيم فقال جاسوا وحاسوا واحد (سبحا) تصرفا وتقلبا في مهماتك وشواغلك ولا تفرغ الا بالليل فعليك بمناجاة الله التي تقتضي فراغ البال وانتفاء الشواغل وأما القراءة بالخاء فاستعارة من سبخ الصوف وهو نفشه ونشر أجزائه لانتشار الهم وتفرق القلب بالشواغل كلفه قيام الليل ثم ذكر الحكمة فيما كلفه منه وهو أن الليل أعون على المواطأة وأسد للقراءة لهدو الرجل وخفوت الصوت وأنه أجمع للقلب وأضم لنشر الهم من النهار لانه وقت تفرق الهموم وتوزع الخواطر والتقلب في حوائج المعاش والمعاد وقيل فراغا وسعة لنومك وتصرفك في حوائجك وقيل ان فاتك من الليل شئ فلك في النهار فراغ تقدر على تداركه فيه (واذكر اسم ربك) ودم على ذكره في ليلك ونهارك واحرص عليه وذكر الله يتناول كل ما كان من ذكر طيب تسبيح وتهليل وتكبير وتمجيد وتوحيد وصلاة وتلاوة قرآن ودراسة علم وغير ذلك مما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغرق به ساعات ليله ونهاره (وتبتل اليه) وانقطع اليه (فان قلت) كيف قيل (تبتيلا) مكان تبتلا (قلت) لان معنى تبتل بتل نفسه فجيء به على معناه مراعاة لحق الفواصل (رب المشرق والمغرب) قرئ مرفوعا على المدح ومجرورا على البدل من ربك وعن ابن عباس على القسم باضمار حرف القسم كقولك الله لافعلن وجوابه (لا اله الا هو) كما تقول والله لا أحد في الدار الا زيد وقرأ ابن عباس رب المشارق والمغارب (فاتخذه وكيلا) مسبب عن التهليل لانه هو وحده هو الذي يجب لتوحده بالربوبية أن توكل اليه الامور وقيل وكيلا كفيلا بما وعدك من النصر والاظهار * الهجر الجميل أن يجانبهم بقلبه وهواه ويخالفهم مع حسن المخالقة والمداراة والاغضاء وترك المكافأة وعن أبي الدرداء رضي الله عنه انا لنكشر في وجوه قوم ونضحك اليهم وان قلوبنا لتقليهم وقيل هو منسوخ بآية السيف * اذا عرف الرجل من صاحبه أنه مستهم بخطب يريد أن يكفاه أو بعدو يشتهي أن ينتقم له منه وهو مضطلع بذلك مقتدر عليه قال ذرني واياه أي لا تحتاج الى الظفر بمرادك ومشتهاك الا أن تخلي بيني وبينه بأن تكل أمره الي وتستكفينيه فان في ما يفرغ بالك ويجلي همك وليس ثم مانع حتى يطلب اليه أن يذره واياه الا ترك الاستكفاء والتفويض كأنه اذا لم يكل أمره اليه فكأنه منعه منه فاذا وكله اليه فقد أزال المنع وتركه واياه وفيه دليل على الوثوق بأنه يتمكن من الوفاء بأقصى ما تدور حوله أمنية المخاطب وبما يزيد عليه * النعمة بالفتح التنعم وبالكسر الانعام وبالضم المسرة يقال نعم ونعمة عين وهم صناديد قريش وكانوا أهل تنعم وترفه (ان لدينا)

ان ناشئة الليل هي أشد وطأ وأقوم قيلا ان لك في النهار سبحا طويلا واذكر اسم ربك وتبتل اليه تبتيلا رب المشرق والمغرب لا اله الا هو فاتخذه وكيلا واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا وذرني والمكذبين أولي النعمة ومهلهم قليلا ان لدينا

---

* قوله تعالى ان ناشئة الليل هي أشد وطأ (قال فيه قيل الناشئة النفس القائمة بالليل التي تنشأ من مضجعها الخ) قال أحمد فان حملت الناشئة على النفس فاضافة المواطأة اليها حقيقة وان حملتها على الساعات أو المصدر فهو من الاتساع المجازي

ما يضاد تنعمهم * من أنكال وهي القيود الثقال عن الشعبي اذا ارتفعوا استفلت بهم الواحد نكل ونكل * ومن جحيم وهي النار الشديدة الحر والاتقاد * ومن طعام ذي غصة وهو الذي ينشب في الحلوق فلا يساغ يعني الضريع وشجر الزقوم * ومن عذاب أليم من سائر العذاب فلا ترى موكولا اليه أمرهم موذورا بينه وبينهم ينتقم منهم بمثل ذلك الانتقام وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية فصعق وعن الحسن أنه أمسى صائما فأتى بطعام فعرضت له هذه الآية فقال ارفعه ووضع عنده الليلة الثانية فعرضت له فقال ارفعه وكذلك الليلة الثالثة فأخبر ثابت البناني ويزيد الضبي ويحيى البكاء فجاؤا فلم يزالوا به حتى شرب شربة من سويق (يوم ترجف) منصوب بما في لدينا والرجفة الزلزلة والزعزعة الشديدة * والكثيب الرمل المجتمع من كثب الشيء اذا جمعه كأنه فعيل بمعنى مفعول في أصله ومنه الكثبة من اللبن قالت الضائنة أجز جفالا وأحلب كثبا عجالا أي كانت مثل رمل مجتمع هيل هيلا أي نثر وأسيل * الخطاب لاهل مكة (شاهدا عليكم) يشهد عليكم يوم القيامة بكفركم وتكذيبكم (فان قلت) لم نكر الرسول ثم عرف (قلت) لانه أراد أرسلنا الى فرعون بعض الرسل فلما أعاده وهو معهود بالذكر أدخل لام التعريف اشارة الى المذكور بعينه (وبيلا) ثقيلا غليظا من قولهم كلأ وبيل وخم لا يستمرأ لثقله والوبيل العصا الضخمة ومنه الوابل للمطر العظيم (يوما) مفعول به أي فكيف تقون أنفسكم يوم القيامة وهوله ان بقيتم على الكفر ولم تؤمنوا وتعملوا صالحا ويجوز أن يكون ظرفا أي فكيف لكم بالتقوى في يوم القيامة ان كفرتم في الدنيا ويجوز أن ينتصب بكفرتم على تأويل جحدتم أي فكيف تتقون الله وتخشونه ان جحدتم يوم القيامة والجزاء لان تقوى الله خوف عقابه و (يجعل الولدان شيبا) مثل في الشدة يقال في اليوم الشديد يوم يشيب نواصي الاطفال والاصل فيه أن الهموم والاحزان اذا تفاقمت على الانسان أسرع فيه الشيب قال أبو الطيب

والهم يخترم الجسيم نحافة * ويشيب ناصية الصبي ويهرم

وقد مر بي في بعض الكتب أن رجلا أمسى فاحم الشعر كحنك الغراب وأصبح وهو أبيض الرأس واللحية كالثغامة فقال أريت القيامة والجنة والنار في المنام ورأيت الناس يقادون في السلاسل الى النار فمن هول ذلك أصبحت كما ترون ويجوز أن يوصف اليوم بالطول وأن الاطفال يبلغون فيه أوان الشيخوخة والشيب (السماء منفطر به) وصف لليوم بالشدة أيضا وأن السماء على عظمها وأحكامها تنفطر فيه فما ظنك بغيرها من الخلائق وقرئ منفطر ومتفطر والمعنى ذات انفطار أو على تأويل السماء بالسقف أو على السماء شيء منفطر والباء في به مثلها في قولك فطرت العود بالقدوم فانفطر به يعني أنها تنفطر لشدة ذلك اليوم وهوله كما ينفطر الشيء بما يفطر به ويجوز أن يراد السماء مثقلة به اثقالا يؤدي الى انفطارها لعظمه عليها وخشيتها من وقوعه كقوله ثقلت في السموات والارض (وعده) من اضافة المصدر الى المفعول والضمير لليوم ويجوز أن يكون مضافا الى الفاعل وهو الله عز وعلا ولم يجر له ذكر لكونه معلوما (ان هذه) الآيات الناطقة بالوعيد الشديد (تذكرة) موعظة (فمن شاء) اتعظ بها واتخذ سبيلا الى الله بالتقوى والخشية ومعنى اتخاذ السبيل اليه التقرب والتوسل بالطاعة (أدنى من ثلثي الليل) أقل منهما وانما استعير الادنى وهو الاقرب للاقل لان المسافة بين الشيئين اذا دنت قل ما بينهما من الاحياز واذا بعدت كثر ذلك * وقرئ ونصفه وثلثه بالنصب على أنك تقوم أقل من الثلثين وتقوم النصف والثلث وهو مطابق لما مر في أول السورة من التخيير بين قيام النصف بتمامه وبين قيام الناقص منه وهو الثلث وبين قيام الزائد عليه وهو الادنى من الثلثين وقرئ ونصفه وثلثه بالجر أي تقوم أقل من الثلثين وأقل من النصف والثلث وهو مطابق للتخيير بين النصف وهو أدنى من الثلثين والثلث وهو أدنى من النصف والربع وهو أدنى من الثلث وهو الوجه الاخير (وطائفة من الذين معك) ويقوم ذلك جماعة من أصحابك (والله يقدر الليل والنهار) ولا يقدر على تقدير الليل والنهار ومعرفة مقادير ساعاتهما الا الله وحده وتقديم اسمه عز وجل مبتدأ مبنيا عليه يقدر هو الدال على معنى الاختصاص بالتقدير والمعنى انكم لا تقدرون عليه * والضمير في (لن تحصوه) لمصدر يقدر أي علم أنه لا يصح

منكم

أنكالا وجحيما وطعاما
ذا غصة وعذابا أليما
يوم ترجف الأرض
والجبال وكانت الجبال
كثيبا مهيلا انا أرسلنا
اليكم رسولا شاهدا
عليكم كما أرسلنا الى
فرعون رسولا فعصى
فرعون الرسول
فأخذناه أخذا وبيلا
فكيف تتقون ان كفرتم
يوما يجعل الولدان
شيبا السماء منفطر به
كان وعده مفعولا ان
هذه تذكرة فمن شاء
اتخذ الى ربه سبيلا ان
ربك يعلم أنك تقوم
أدنى من ثلثي الليل
ونصفه وثلثه وطائفة
من الذين معك والله
يقدر الليل والنهار علم
أن لن تحصوه

منكم ضبط الاوقات ولا يتأتى حسابها بالتعديل والتسوية الا أن تأخذوا بالاوسع للاحتياط وذلك شاق عليكم بالغ منكم (فتاب عليكم) عبارة عن الترخيص في ترك القيام المقدر كقوله فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن والمعنى أنه رفع التبعة في تركه عنكم كما يرفع التبعة عن التائب * وعبر عن الصلاة بالقراءة لانها بعض أركانها كما عبر عنها بالقيام والركوع والسجود يريد فصلوا ما تيسر عليكم ولم يتعذر من صلاة الليل وهذا ناسخ للاول ثم نسخا جميعا بالصلوات الخمس وقيل هي قراءة القرآن بعينها قيل يقرأ مائة آية ومن قرأ مائة آية في ليلة لم يحاجه القرآن وقيل من قرأ مائة آية كتب من القانتين وقيل خمسين آية * وقد بين الحكمة في النسخ وهي تعذر القيام على المرضى والضاربين في الارض للتجارة والمجاهدين في سبيل الله وقيل سوّى الله بين المجاهدين والمسافرين لكسب الحلال وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أيما رجل جلب شيأ الى مدينة من مدائن المسلمين صابرا محتسبا فباعه بسعر يومه كان عند الله من الشهداء وعن عبد الله بن عمر ما خلق الله موتة أموتها بعد القتل في سبيل الله أحب الي من أن أموت بين شعبتي رحل أضرب في الارض أبتغي من فضل الله و (علم) استئناف على تقدير السؤال عن وجه النسخ (وأقيموا الصلوة) يعني المفروضة * والزكاة الواجبة وقيل زكاة الفطر لانه لم يكن بمكة زكاة وانما وجبت بعد ذلك ومن فسرها بالزكاة الواجبة جعل آخر السورة مدنيا (وأقرضوا الله قرضا حسنا) يجوز أن يريد سائر الصدقات وأن يريد أداء الزكاة على أحسن وجه من اخراج أطيب المال وأعوده على الفقراء ومراعاة النية وابتغاء وجه الله والصرف الى المستحق وأن يريد كل شيء يفعل من الخير مما يتعلق بالنفس والمال (خيرا) ثاني مفعولي وجد وهو فصل وجاز وان لم يقع بين معرفتين لان أفعل من أشبه في امتناعه من حرف التعريف المعرفة وقرأ أبو السمال هو خير وأعظم أجرا بالرفع على الابتداء والخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المزمل دفع الله عنه العسر في الدنيا والآخرة

﴿سورة المدثر مكية وهي ست وخمسون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(المدثر) لابس الدثار وهو ما فوق الشعار وهو الثوب الذي يلي الجسد ومنه قوله عليه الصلاة والسلام الانصار شعار والناس دثار وقيل هي أول سورة نزلت وروى جابر بن عبد الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت على جبل حراء فنوديت يا محمد انك رسول الله فنظرت عن يميني ويساري فلم أر شيأ فنظرت فوقي فرأيت شيأ وفي رواية عائشة فنظرت فوقي فاذا به قاعد على عرش بين السماء والارض يعني الملك الذي ناداه فرعبت ورجعت الى خديجة فقلت دثروني دثروني فنزل جبريل وقال يا أيها المدثر وعن الزهري أول ما نزل سورة اقرأ باسم ربك الى قوله ما لم يعلم فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل يعلو شواهق الجبال فأتاه جبريل فقال انك نبي الله فرجع الى خديجة وقال دثروني وصبوا علي ماء باردا فنزل يا أيها المدثر وقيل سمع من قريش ما كرهه فاغتم فتغطى بثوبه مفكرا كما يفعل المغموم فأمر أن لا يدع انذارهم وان أسمعوه وآذوه وعن عكرمة أنه قرأ على لفظ اسم المفعول من دثره وقال دثرت هذا الامر وعصب بك كما قال في المزمل قم من مضجعك أو قم قيام عزم وتصميم (فأنذر) فحذر قومك من عذاب الله ان لم يؤمنوا والصحيح أن المعنى فافعل الانذار من غير تخصيص له بأحد (وربك فكبر) واختص ربك بالتكبير وهو الوصف بالكبرياء وأن يقال الله أكبر ويروى أنه لما نزل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله أكبر فكبرت خديجة وفرحت وأيقنت أنه الوحي وقد يحمل على تكبير الصلاة ودخلت الفاء لمعنى الشرط كأنه قيل وما كان فلا تدع تكبيره (وثيابك فطهر) أمر بأن تكون ثيابه طاهرة من النجاسات لان طهارة الثياب شرط في الصلاة لا تصح الا بها وهي الاولى والاحب في غير الصلاة وقبيح بالمؤمن الطيب أن يحمل خبثا وقيل هو أمر بتقصيرها ومخالفة العرب في تطويلهم الثياب وجرهم الذيول وذلك مما لا يؤمن معه اصابة النجاسة وقيل هو أمر بتطهير النفس عما يستقذر من الافعال ويستهجن من العادات يقال فلان طاهر الثياب وطاهر الجيب والذيل والاردان اذا

فتاب عليكم فاقرؤا ما تيسر من القرآن علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله فاقرؤا ما تيسر منه وأقيموا الصلاة وآتوا الزكوة وأقرضوا الله قرضا حسنا وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا واستغفروا الله ان الله غفور رحيم

﴿سورة المدثر مكية وهي ست وخمسون آية﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر وثيابك فطهر

وصفوه بالنقاء من المعايب ومدانس الاخلاق وفلان دنس الثياب الغادر وذلك لان الثوب يلابس
الانسان ويشتمل عليه فكني به عنه ألا ترى الى قولهم أعجبني زيد ثوبه كما يقولون أعجبني زيد عقله وخلقه
ويقولون المجد في ثوبه والكرم تحت حلته ولان الغالب أن من طهر باطنه ونقاه عني بتطهير الظاهر وتنقيته
وأبى الا اجتناب الخبث وايثار الطهر في كل شئ (والرجز) قرئ بالكسر والضم وهو العذاب ومعناه اهجر
ما يؤدي اليه من عبادة الاوثان وغيرها من المآثم والمعنى الثبات على هجره لانه كان بريئا منه * قرأ الحسن
ولا تمنن وتستكثر مرفوع منصوب المحل على الحال أي ولا تعط مستكثرا رائيا لما تعطيه كثيرا أو طالبا للكثير
نهي عن الاستغزار وهو أن يهب شيئا وهو يطمع أن يتعوض من الموهوب له أكثر من الموهوب وهذا
جائز ومنه الحديث المستغزر يثاب من هبته وفيه وجهان أحدهما أن يكون نهيا خاصا برسول الله صلى
الله عليه وسلم لان الله تعالى اختار له أشرف الآداب وأحسن الاخلاق والثاني أن يكون نهي تنزيه لا تحريم
له ولامته وقرأ الحسن تستكثر بالسكون وفيه ثلاثة أوجه الابدال من تمنن كأنه قيل ولا تمنن لا تستكثر
على أنه من المن في قوله عز وجل ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى لان من شأن المنان بما يعطي أن يستكثره
أي يراه كثيرا ويعتد به وأن يشبه ثرو بعضد فيسكن تخفيفا وأن يعتبر حال الوقف وقرأ الاعمش بالنصب
باضمار أن كقوله * ألا أيهذا الزاجري أحضر الوغى * وتؤيده قراءة ابن مسعود ولا تمنن أن تستكثر ويجوز
في الرفع أن تحذف أن ويبطل عملها كما روي أحضر الوغى بالرفع (ولربك فاصبر) ولوجه الله فاستعمل الصبر
وقيل على أذى المشركين وقيل على أداء الفرائض وعن النخعي على عطيتك كأنه وصله بما قبله وجعله صبرا على
العطاء من غير استكثار والوجه أن يكون أمرا بنفس الفعل وأن يتناول على العموم كل مصبور عليه
ومصبور عنه ويراد الصبر على أذى الكفار لانه أحد ما يتناوله العام * والفاء في قوله (فاذا نقر) للتسبيب كأنه
قال اصبر على أذاهم فبين أيديهم يوم عسير يلقون فيه عاقبة أذاهم وتلقى فيه عاقبة صبرك عليه * والفاء في
(فذلك) للجزاء (فان قلت) بم انتصب اذا وكيف صح أن يقع يومئذ ظرفا ليوم عسير (قلت) انتصب اذا بما دل
عليه الجزاء لان المعنى اذا نقر في الناقور عسر الامر على الكافرين والذي أجاز وقوع يومئذ ظرفا ليوم عسير
أن المعنى فذلك وقت النقر وقوع يوم عسير لان يوم القيامة يأتي ويقع حين ينقر في الناقور واختلف في أنها
النفخة الاولى أم الثانية ويجوز أن يكون يومئذ مبنيا مرفوع المحل بدلا من ذلك ويوم عسير خبر كأنه قيل
فيوم النقر يوم عسير (فان قلت) فما فائدة قوله (غير يسير) وعسير مغن عنه (قلت) لما قال على
الكافرين فقصر العسر عليهم قال غير يسير ليؤذن بأنه لا يكون عليهم كما يكون على المؤمنين يسيرا هينا
ليجمع بين وعيد الكافرين وزيادة غيظهم وبشارة المؤمنين وتسليتهم ويجوز أن يراد أنه عسير لا يرجى
أن يرجع يسيرا كما يرجى تيسر العسير من أمور الدنيا (وحيدا) حال من الله عز وجل على معنيين
أحدهما ذرني وحدي معه فأنا أجزيك في الانتقام منه عن كل منتقم والثاني خلقته وحدي لم يشركني
في خلقه أحد أو حال من المخلوق على معنى خلقته وهو وحيد فريد لا مال له ولا ولد كقوله ولقد
جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة المخزومي وكان يلقب في قومه
بالوحيد ولعله لقب بذلك بعد نزول الآية فان كان ملقبا به قبل فهو تهكم به وبلقبه وتغيير له عن الغرض
الذي كانوا يؤمونه من مدحه والثناء عليه بأنه وحيد قومه لرياسته ويساره وتقدمه في الدنيا الى وجه
الذم والعيب وهو أنه خلق وحيدا لا مال له ولا ولد فآتاه الله ذلك فكفر بنعمة الله وأشرك به واستهزأ
بدينه (ممدودا) مبسوطا كثيرا أو ممدا بالنماء من مد النهر ومده نهر آخر قيل كان له الزرع والضرع والتجارة
وعن ابن عباس هو ما كان له بين مكة والطائف من صنوف الاموال وقيل كان له بستان بالطائف
لا ينقطع ثماره صيفا وشتاء وقيل كان له ألف مثقال وقيل أربعة آلاف وقيل تسعة آلاف وقيل
ألف ألف وعن ابن جريج غلة شهر بشهر (وبنين شهودا) حضورا معه بمكة لا يفارقونه للتصرف في
عمل أو تجارة لانهم مكفيون لوفور نعمة أبيهم واستغنائهم عن التكسب وطلب المعاش بأنفسهم فهو
مستأنس بهم لا يشتغل قلبه بغيبتهم وخوف معاطب السفر عليهم ولا يحزن لفراقهم والاشتياق اليهم

والرجز فاهجر ولا تمنن
تستكثر ولربك فاصبر
فاذا نقر في الناقور
فذلك يومئذ يوم عسير
على الكافرين غير
يسير ذرني ومن خلقت
وحيدا وجعلت له مالا
ممدودا وبنين شهودا

ويجوز

ويجوز أن يكون معناه أنهم رجال يشهدون معه المجامع والمحافل أو تسمع شهاداتهم فيما يتحاكم فيه وعن مجاهد كان له عشرة بنين وقيل ثلاثة عشر وقيل سبعة كلهم رجال الوليد بن الوليد وخالد وعمارة وهشام والعاص وقيس وعبد شمس أسلم منهم ثلاثة خالد وهشام وعمارة (ومهدت له تمهيدا) وبسطت له الجاه العريض والرياسة في قومه فأتممت عليه نعمتي المال والجاه واجتماعهما هو الكمال عند أهل الدنيا ومنه قول الناس أدام الله تأييدك وتمهيدك يريدون زيادة الجاه والحشمة وكان الوليد من وجهاء قريش وصناديدهم ولذلك لقب الوحيد وريحانة قريش (ثم يطمع) استبعاد واستنكار لطمعه وحرصه يعني أنه لا مزيد على ما أوتي سعة وكثرة وقيل إنه كان يقول إن كان محمد صادقا فما خلقت الجنة إلا لي (كلا) ردع له وقطع لرجائه وطمعه (إنه كان لآياتنا عنيدا) تعليل للردع على وجه الاستئناف كأن قائلا قال لم لا يزاد فقيل إنه عاند آيات المنعم وكفر بذلك نعمته والكافر لا يستحق المزيد ويروى أنه ما زال بعد نزول هذه الآية في نقصان من ماله حتى هلك (سأرهقه صعودا) سأغشيه عقبة شاقة المصعد وهو مثل لما يلقى من العذاب الشاق الصعب الذي لا يطاق وعن النبي صلى الله عليه وسلم يكلف أن يصعد عقبة في النار كلما وضع عليها يده ذابت فإذا رفعها عادت وإذا وضع رجله ذابت فإذا رفعها عادت وعنه عليه السلام الصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفا ثم يهوي فيه كذلك أبدا (إنه فكر) تعليل للوعيد كأن الله تعالى عاجله بالفقر بعد الغنى والذل بعد العز في الدنيا لعناده ويعاقبه في الآخرة بأشد العذاب وأفظعه لبلوغه بالعناد غايته وأقصاه في تفكيره وتسميته القرآن سحرا ويجوز أن تكون كلمة الردع متبوعة بقوله سأرهقه صعودا ردا لزعمه أن الجنة لم تخلق إلا له وإخبارا بأنه من أشد أهل النار عذابا ويعلل ذلك بعناده ويكون قوله إنه فكر بدلا من قوله إنه كان لآياتنا عنيدا بيانا لكنه عناده ومعناه فكر ماذا يقول في القرآن (وقدر) في نفسه ما يقوله وهيأه (فقتل كيف قدر) تعجيب من تقديره وإصابته فيه المحز ورميه الغرض الذي كان تنحيه قريش أو ثناء عليه على طريقة الاستهزاء به أو هي حكاية لما كرروه من قولهم قتل كيف قدر تهكما بهم وبإعجابهم بتقديره واستعظامهم لقوله ومعنى قول القائل قتله الله ما أشجعه وأخزاه الله ما أشعره الإشعار بأنه قد بلغ المبلغ الذي هو حقيق بأن يحسد ويدعو عليه حاسده بذلك روي أن الوليد قال لبني مخزوم والله لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق وإنه يعلو وما يعلى فقالت قريش صبأ والله الوليد والله ليصبأن قريش كلهم فقال أبو جهل أنا أكفيكموه فقعد إليه حزينا وكلمه بما أحماه فقام فأتاهم فقال تزعمون أن محمدا مجنون فهل رأيتموه يخنق وتقولون إنه كاهن فهل رأيتموه يتكهن وتزعمون أنه شاعر فهل رأيتموه يتعاطى شعرا قط وتزعمون أنه كذاب فهل جربتم عليه شيئا من الكذب فقالوا في كل ذلك اللهم لا ثم قالوا فما هو ففكر فقال ما هو إلا ساحر أما رأيتموه يفرق بين الرجل وأهله وولده ومواليه وما الذي يقوله إلا سحر يأثره عن مسيلمة وعن أهل بابل فارتج النادي فرحا وتفرقوا معجبين بقوله متعجبين منه (ثم نظر) في وجوه الناس ثم قطب وجهه ثم زحف مدبرا وتشاوس مستكبرا لما خطرت بباله الكلمة الشنعاء وهم بأن يرمي بها وصف أشكاله التي تشكل بها حتى استنبط ما استنبط استهزاء به وقيل قدر ما يقوله ثم نظر فيه ثم عبس لما ضاقت عليه الحيل ولم يدر ما يقول وقيل قطب في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم (ثم أدبر) عن الحق (واستكبر) عنه فقال ما قال وثم نظر عطف على فكر وقدر والدعاء اعتراض بينهما (فإن قلت) ما معنى ثم الداخلة في تكرير الدعاء (قلت) الدلالة على أن الكرة الثانية أبلغ من الأولى ونحوه قوله ألا يا اسلمي ثم اسلمي ثمت اسلمي (فإن قلت) ما معنى المتوسطة بين الأفعال التي بعدها (قلت) الدلالة على أنه قد تأنى في التأمل وتمهل وكان بين الأفعال المتناسقة تراخ وتباعد (فإن قلت) فلم قيل (فقال إن هذا) بالفاء بعد عطف ما قبله بثم (قلت) لأن الكلمة لما خطرت بباله بعد التطلب لم يتمالك أن نطق بها من غير تلبث (فإن قلت) فلم يوسط حرف العطف بين الجملتين (قلت) لأن الأخرى جرت من الأولى مجرى التوكيد من المؤكد (سأصليه سقر) بدل من سأرهقه صعودا (لا تبقي) شيئا يلقى فيها إلا أهلكته وإذا هلك لم تذره هالكا

ومهدت له تمهيدا ثم يطمع أن أزيد كلا إنه كان لآياتنا عنيدا سأرهقه صعودا إنه فكر وقدر فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر ثم نظر ثم عبس وبسر ثم أدبر واستكبر فقال إن هذا إلا سحر يؤثر إن هذا إلا قول البشر سأصليه سقر وما أدراك ما سقر لا تبقي ولا تذر

القول في سورة المدثر

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى ثم يطمع أن أزيد (قال دخلت ثم استبعادا لطمعه وحرصه على الزيادة واستنكارا لذلك فرد الله طمعه خائبا الخ) قال أحمد لأن الكلمة الشنعاء لما خطرت بباله بعد إعماله النظر لم يتمالك أن نطق بها من غير تلبث (قال) فإن قلت لم لم يوسط بين الجملتين عاطفا وأجاب بأن الثانية أخرجها مخرج التوكيد للأولى

* قوله تعالى وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة وما جعلنا عدتهم الآية (قال فيه إن قلت قد جعل افتتان الكافرين بعدة الزبانية سببا الخ) قال أحمد ما جعل افتتانهم بالعدة سببا لذلك وإنما العدة نفسها هي التي جعلت سببا لأن المراد وما جعلنا عدتهم إلا تسعة عشر فوضع فتنة للذين كفروا موضع ذلك لأن حال هذه العدة الناقصة واحدا من العشرين أن يفتتن بها من لا يؤمن بالله وبحكمته ولا يذعن وإن خفي عليه وجه الحكمة كأنه قيل ولقد جعلنا (٥٠٤) عدتهم عدة من شأنها أن يفتتن بها لأجل استيقان المؤمنين وحيرة الكافرين واستيقان أهل الكتاب

* قال أحمد السائل يجعل الفتنة التي هي في تقدير الصفة للعدة المذكورة في الكلام ذات الفتنة سببا فيما بعدها والمجيب يجعل العدة التي عرضت لها هذه الصفة سببا لا باعتبار عروض الصفة لها ويجوز أن يكون ليستيقن راجعا إلى الواحدة للبشر عليها تسعة عشر وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيمانا ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا ما قبل الاستثناء كأنه قيل جعلنا عدتهم سببا لفتنة الكافرين وسببا ليقين المؤمنين وهذا الوجه أقرب مما ذكره الزمخشري وإنما ألجأه إليه اعتقاد أن الله تعالى ما فتنهم ولكنهم فتنوا أنفسهم بناء على قاعدة التبعيض في المشيئة وبئست القاعدة فاحذرها فإنها عادة كلامه (قال وقوله الارتياب تعالى ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب بعد قوله ليستيقن ليحصل لهم فائدة الجمع بين إثبات اليقين الخ) قال أحمد أطلق الغرض على الله عز وجل مع أنه موهم ولم يرد فيه سماع وأورد السؤال على قاعدته بعد ذلك كله في أن الله لم يرد من المنافقين والكافرين أقوالهم وإنما قالوا على خلاف ما أراد وقد عرفت فساد القاعدة فأرح فكرك من هذا السؤال فالكل مراد وحسبك تتمة الآية كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء

حتى يعاد أو لا تبقي على شيء ولا تدعه من الهلاك بل كل ما يطرح فيها هالك لا محالة (لواحة) من لوح الهجير قال

تقول ما لاحك يا مسافر * يا ابنة عمي لاحني الهواجر

قيل تلفح الجلد لفحة فتدعه أشد سوادا من الليل * والبشر أعالي الجلود وعن الحسن تلوح للناس كقوله ثم لترونها عين اليقين * وقرئ لواحة نصبا على الاختصاص للتهويل (عليها تسعة عشر) أي يلي أمرها ويتسلط على أهلها تسعة عشر ملكا وقيل صنفا من الملائكة وقيل صفا وقيل نقيبا وقرئ تسعة عشر بسكون العين لتوالي الحركات في ما هو في حكم اسم واحد وقرئ تسعة أعشر جمع عشير مثل يمين وأيمن وجعلهم ملائكة لأنهم خلاف جنس المعذبين من الجن والإنس فلا يأخذهم ما يأخذ المجانس من الرأفة والرقة ولا يستروحون إليهم ولأنهم أقوم خلق الله بحق الله وبالغضب له فتؤمن هوادتهم ولأنهم أشد الخلق بأسا وأقواهم بطشا عن عمرو بن دينار واحد منهم يدفع بالدفعة الواحدة في جهنم أكثر من ربيعة ومضر وعن النبي صلى الله عليه وسلم كأن أعينهم البرق وكأن أفواههم الصياصي يجرون أشعارهم لأحدهم مثل قوة الثقلين يسوق أحدهم الأمة وعلى رقبته جبل فيرمي بهم في النار ويرمي بالجبل عليهم وروي أنه لما نزلت عليها تسعة عشر قال أبو جهل لقريش ثكلتكم أمهاتكم أسمع ابن أبي كبشة يخبركم أن خزنة النار تسعة عشر وأنتم الدهم أيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا برجل منهم فقال أبو الأشد بن أسيد بن كلدة الجمحي وكان شديد البطش أنا أكفيكم سبعة عشر فاكفوني أنتم اثنين فأنزل الله (وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة) أي ما جعلناهم رجالا من جنسكم يطاقون (فإن قلت) قد جعل افتتان الكافرين بعدة الزبانية سببا لاستيقان أهل الكتاب وزيادة إيمان المؤمنين واستهزاء الكافرين والمنافقين فما وجه صحة ذلك (قلت) ما جعل افتتانهم بالعدة سببا لذلك وإنما العدة نفسها هي التي جعلت سببا وذلك أن المراد بقوله (وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا) وما جعلنا عدتهم إلا تسعة عشر فوضع فتنة للذين كفروا موضع تسعة عشر لأن حال هذه العدة الناقصة واحدا من عقد العشرين أن يفتتن بها من لا يؤمن بالله وبحكمته ويعترض ويستهزئ ولا يذعن إذعان المؤمن وإن خفي عليه وجه الحكمة كأنه قيل ولقد جعلنا عدتهم عدة من شأنها أن يفتتن بها لأجل استيقان المؤمنين وحيرة الكافرين واستيقان أهل الكتاب لأن عدتهم تسعة عشر في الكتابين فإذا سمعوا بمثلها في القرآن أيقنوا أنه منزل من الله وازدياد المؤمنين إيمانا لتصديقهم بذلك كما صدقوا بسائر ما أنزل ولما رأوا من تسليم أهل الكتاب وتصديقهم أنه كذلك (فإن قلت) لم قال (ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون) والاستيقان وازدياد الإيمان دالا على انتفاء الارتياب (قلت) لأنه إذا جمع لهم إثبات اليقين ونفي الشك كان آكد وأبلغ لوصفهم بسكون النفس وثلج الصدر ولأن فيه تعريضا بحال من عداهم كأنه قال ولتخالف حالهم حال الشاكين المرتابين من أهل النفاق والكفر (فإن قلت) كيف ذكر الذين في قلوبهم مرض وهم المنافقون والسورة مكية ولم يكن بمكة نفاق وإنما نجم بالمدينة (قلت) معناه وليقول المنافقون الذين ينجمون في مستقبل الزمان بالمدينة بعد الهجرة (والكافرون) بمكة (ماذا أراد الله بهذا مثلا) وليس في ذلك إلا إخبار بما سيكون كسائر الإخبارات بالغيوب وذلك لا يخالف كون السورة مكية ويجوز أن يراد بالمرض الشك والارتياب لأن أهل مكة كان أكثرهم شاكين وبعضهم قاطعين بالكذب (فإن قلت) قد علل جعلهم تسعة عشر بالاستيقان وانتفاء

الارتياب وقول المنافقين والكافرين ما قالوا فهب أن الاستيقان وانتفاء الارتياب يصح أن يكونا غرضين فكيف صح أن يكون قول المنافقين والكافرين غرضا (قلت) أفادت اللام معنى العلة والسبب ولا يجب في العلة أن تكون غرضا الا ترى الى قولك خرجت من البلد لمخافة الشر فقد جعلت المخافة علة لخروجك وماهي بغرضك (مثلا) تمييز لهذا أو حال منه كقوله هذه ناقة الله لكم آية (فان قلت) لم سموه مثلا (قلت) هو استعارة من المثل المضروب لانه مما غرب من الكلام وبدع استغرابا منهم لهذا العدد واستبداعا له والمعنى أي شئ أراد الله بهذا العدد العجيب وأي غرض قصد في أن جعل الملائكة تسعة عشر لا عشرين سواء ومرادهم انكاره من أصله وأنه ليس من عند الله وأنه لو كان من عند الله لما جاء بهذا العدد الناقص * الكاف في (كذلك) نصب وذلك اشارة الى ما قبله من معنى الاضلال والهدى أي مثل ذلك المذكور من الاضلال والهدى يضل الكافرين ويهدي المؤمنين يعني يفعل فعلا حسنا مبنيا على الحكمة والصواب فيراه المؤمنون حكمة ويذعنون له لاعتقادهم أن أفعال الله كلها حسنة وحكمة فيزيدهم ايمانا وينكره الكافرون ويشكون فيه فيزيدهم كفرا وضلالا (وما يعلم جنود ربك) وما عليه كل جند من العدد الخاص من كون بعضها على عقد كامل وبعضها على عدد ناقص وما في اختصاص كل جند بعدده من الحكمة (الا هو) ولا سبيل لاحد الى معرفة ذلك كما لا يعرف الحكمة في أعداد السموات والارضين وأيام السنة والشهور والبروج والكواكب وأعداد النصب والحدود والكفارات والصلوات في الشريعة أو وما يعلم جنود ربك لفرط كثرتها الا هو فلا يعز عليه تتميم الخزنة عشرين ولكن له في هذا العدد الخاص حكمة لا تعلمونها وهو يعلمها وقيل هو جواب لقول أبي جهل أما لرب محمد أعوان الا تسعة عشر وما جعلنا أصحاب النار الى قوله الا هو اعتراض وقوله (وماهي الا ذكرى) متصل بوصف سقر وهي ضميرها أي وما سقر وصفتها الا تذكرة (للبشر) أو ضمير الآيات التي ذكرت فيها (كلا) انكار بعد أن جعلها ذكرى أن تكون لهم ذكرى لانهم لا يتذكرون أو ردع لمن ينكر أن تكون احدى الكبر نذيرا و(دبر) بمعنى أدبر كقبل بمعنى أقبل ومنه صاروا كأمس الدابر وقيل هو من دبر الليل النهار اذا خلفه وقرئ اذ أدبر (انها لاحدى الكبر) جواب القسم أو تعليل لكلا والقسم معترض للتوكيد والكبر جمع الكبرى جعلت ألف التأنيث كتائها فلما جمعت فعلة على فعل جمعت فعلى عليها ونظير ذلك السوافي في جمع السافياء والقواصع في جمع القاصعاء كأنها جمع فاعلة أي لاحدى البلايا أو الدواهي الكبر ومعنى كونها احداهن أنها من بينهن واحدة في العظم لا نظيرة لها كما تقول هو أحد الرجال وهي احدى النساء و(نذيرا) تمييز من احدى على معنى انها لاحدى الدواهي انذارا كما تقول هي احدى النساء عفافا وقيل هي حال وقيل هو متصل بأول السورة يعني قم نذيرا وهو من بدع التفاسير وفي قراءة أبي نذير بالرفع خبر بعد خبر لان أو بحذف المبتدأ (أن يتقدم) في موضع الرفع بالابتداء ولمن شاء خبر مقدم عليه كقولك لمن توضأ أن يصلي ومعناه مطلق لمن شاء التقدم أو التأخر أن يتقدم أو يتأخر والمراد بالتقدم والتأخر السبق الى الخير والتخلف عنه وهو كقوله فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ويجوز أن يكون لمن شاء بدلا من للبشر على أنها منذرة للمكلفين الممكنين الذين ان شاؤا تقدموا ففازوا وان شاؤا تأخروا فهلكوا (رهينة) ليست بتأنيث رهين في قوله كل امرئ بما كسب رهين لتأنيث النفس لانه لو قصدت الصفة لقيل رهين لان فعيلا بمعنى مفعول يستوي فيه المذكر والمؤنث وانما هي اسم بمعنى الرهن كالشتيمة بمعنى الشتم كأنه قيل كل نفس بما كسبت رهن ومنه بيت الحماسة

أبعد الذي بالنعف نعف كويكب * رهينة رمس ذي تراب وجندل

كأنه قال رهن رمس والمعنى كل نفس رهن بكسبها عند الله غير مفكوك (الا أصحاب اليمين) فانهم فكوا عنه رقابهم بما أطابوه من كسبهم كما يخلص الراهن رهنه بأداء الحق وعن علي رضي الله عنه أنه فسر أصحاب اليمين بالاطفال لانهم لا أعمال لهم يرتهنون بها وعن ابن عباس رضي الله عنه هم الملائكة (في جنات) أي

كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وما يعلم جنود ربك الا هو وماهي الا ذكرى للبشر كلا والقمر والليل اذ أدبر والصبح اذا أسفر انها لاحدى الكبر نذيرا للبشر لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر كل نفس بما كسبت رهينة الا أصحاب اليمين في جنات

* قوله تعالى كل نفس بما كسبت رهينة (قال وليست بتأنيث رهين الخ) قال أحمد لانه فعيل بمعنى مفعول يستوي مذكره ومؤنثه كقتيل وجديد * عاد كلامه قال وانما هي اسم بمعنى الرهن كالشتيمة بمعنى الشتم الخ

* قوله تعالى في جنات يتساءلون عن المجرمين ما سلككم في سقر الآية (قال فيه يتساءلون يعني يسأل بعضهم بعضا عنهم الخ) قال أحمد إنما أورد السؤال ذريعة وحيلة لتحميل الآية الدالة على أن فساق المسلمين تاركي الصلاة مثلا يسلكون في النار مخلدين مع الكفار فجعل كل واحدة من الخلال الأربع توجب ما توجب الأخرى من الخلود والصحيح في معنى الآية أنها خاصة بالكفار ومعنى قولهم لم نك من المصلين لم نك من أهل الصلاة وكذلك الى آخرها لأنهم يكذبون بيوم الدين والمكذب لا يصح منه طاعة من هذه الطاعات ولو فعلها لم تنفعه وقدرت كالعدم وإذا تساقطوا على ترك فعل هو نافعهم * قال وفي تشبيههم بالحمر تهجين لهم وشهادة عليهم بالبلادة وأيضا المقصود تشبيه إدبارهم عن الحق وتسارعهم إلى الإعراض لا عنه بنفار حمر الوحش وعادة العرب أنها تشبه في السرعة بعدو الحمر وخصوصا إذا أحست بقانص تجري على ما عهد منه والله أعلم

يتساءلون عن المجرمين ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين حتى أتانا اليقين فما تنفعهم شفاعة الشافعين فما لهم عن التذكرة معرضين كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفا منشرة كلا بل لا يخافون الآخرة كلا إنه تذكرة فمن شاء ذكره وما يذكرون إلا أن يشاء الله

هم في جنات لا يكتنه وصفها (يتساءلون عن المجرمين) يسأل بعضهم بعضا عنهم أو يتساءلون غيرهم عنهم كقولك دعوته وتداعيناه (فإن قلت) كيف طابق قوله (ما سلككم) وهو سؤال للمجرمين قوله يتساءلون عن المجرمين وهو سؤال عنهم وإنما كان يتطابق ذلك لو قيل يتساءلون المجرمين ما سلككم (قلت) ما سلككم ليس ببيان للتساؤل عنهم وإنما هو حكاية قول المسؤلين عنهم لأن المسؤلين يلقون إلى السائلين ما جرى بينهم وبين المجرمين فيقولون قلنا لهم ما سلككم (في سقر قالوا لم نك من المصلين) إلا أن الكلام جيء به على الحذف والاختصار كما هو نهج التنزيل في غرابة نظمه * الخوض الشروع في الباطل وما لا ينبغي (فإن قلت) لم يسألونهم وهم عالمون بذلك (قلت) توبيخا لهم وتحسيرا وليكون حكاية الله ذلك في كتابه تذكرة للسامعين وقد عضد بعضهم تفسير أصحاب اليمين بالأطفال أنهم إنما سألوهم لأنهم ولدان لا يعرفون موجب دخول النار (فإن قلت) أيريدون أن كل واحد منهم بمجموع هذه الأربع دخل النار أم دخلها بعضهم بهذه وبعضهم بهذه (قلت) يحتمل الأمرين جميعا (فإن قلت) لم أخر التكذيب وهو أعظمها (قلت) أرادوا أنهم بعد ذلك كله كانوا مكذبين بيوم الدين تعظيما للتكذيب كقوله ثم كان من الذين آمنوا (اليقين) الموت ومقدماته * أي لو شفع لهم الشافعون جميعا من الملائكة والنبيين وغيرهم لم تنفعهم شفاعتهم لأن الشفاعة لمن ارتضاه الله وهم مسخوط عليهم وفيه دليل على أن الشفاعة تنفع يومئذ لأنها تزيد في درجات المرتضين (عن التذكرة) عن التذكير وهو العظة يريد القرآن أو غيره من المواعظ و(معرضين) نصب على الحال كقولك ما لك قائما * والمستنفرة الشديدة النفار كأنها تطلب النفار من نفوسها في جمعها له وحملها عليه وقرئ بالفتح وهي المنفرة المحمولة على النفار * والقسورة جماعة الرماة الذين يتصيدونها وقيل الأسد يقال ليوث قساورة وهي فعولة من القسر وهو القهر والغلبة وفي وزنه الحيدرة من أسماء الأسد وعن ابن عباس ركز الناس وأصواتهم وعن عكرمة ظلمة الليل شبههم في إعراضهم عن القرآن واستماع الذكر والموعظة وشرادهم عنه بحمر جدت في نفارها مما أفزعها وفي تشبيههم بالحمر مذمة ظاهرة وتهجين لحالهم بين كما في قوله كمثل الحمار يحمل أسفارا وشهادة عليهم بالبله وقلة العقل ولا ترى مثل نفار حمير الوحش واطرادها في العدو إذا رابها رائب ولذلك كان أكثر تشبيهات العرب في وصف الإبل وشدة سيرها بالحمر وعدوها إذا وردت ماء فأحست عليه بقانص (صحفا منشرة) قراطيس تنشر وتقرأ كالكتب التي يتكاتب بها أو كتبا كتبت في السماء ونزلت بها الملائكة ساعة كتبت منشرة على أيديها غضة رطبة لم تطو بعد وذلك أنهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لن نتبعك حتى تأتي كل واحد منا بكتب من السماء عنوانها من رب العالمين إلى فلان بن فلان نؤمر فيها باتباعك ونحوه قوله ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه وقال ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بأيديهم الآية وقيل قالوا إن كان محمد صادقا فليصبح عند رأس كل رجل منا صحيفة فيها براءته وأمنه من النار وقيل كانوا يقولون بلغنا أن الرجل من بني إسرائيل كان يصبح مكتوبا على رأسه ذنبه وكفارته فأتنا بمثل ذلك وهذا من الصحف المنشرة بمعزل إلا أن يراد بالصحف المنشرة الكتابات الظاهرة المكشوفة وقرأ سعيد بن جبير صحفا منشرة بتخفيفهما على أن أنشر الصحف ونشرها واحد كأنزله ونزله * ردعهم بقوله (كلا) عن تلك الإرادة وزجرهم عن اقتراح الآيات ثم قال (بل لا يخافون الآخرة) فلذلك أعرضوا عن التذكرة لا لامتناع إيتاء الصحف ثم ردعهم عن إعراضهم عن التذكرة وقال (إنه تذكرة) يعني تذكرة بليغة كافية مبهم أمرها في الكفاية (فمن شاء) أن يذكره ولا ينساه ويجعله نصب عينه فعل فإن نفع ذلك راجع إليه والضمير في إنه و(ذكره) للتذكرة في قوله فما لهم عن التذكرة معرضين وإنما ذكر لأنها في معنى الذكر أو القرآن (وما يذكرون إلا أن يشاء الله) يعني إلا أن يقسرهم على الذكر ويلجئهم إليه لأنهم مطبوع على قلوبهم معلوم أنهم

لا يؤمنون اختيارا (هو أهل التقوى وأهل المغفرة) هو حقيق بأن يتقيه عباده ويخافوا عقابه فيؤمنوا ويطيعوا وحقيق بأن يغفر لهم إذا آمنوا وأطاعوا وروى أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو أهل أن يتقى وأهل أن يغفر لمن اتقاه * وقرئ يذكرون بالياء والتاء مخففا ومشددا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المدثر أعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد وكذب به بمكة

﴿سورة القيامة مكية وهي تسع وثلاثون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* إدخال لا النافية على فعل القسم مستفيض في كلامهم وأشعارهم قال امرؤ القيس

لا وأبيك ابنة العامري * لا يدعي القوم أني أفر

وقال غوية بن سلمى

ألا نادت أمامة باحتمال * لتحزنني فلا بك ما أبالي

وفائدتها توكيد القسم وقالوا إنها صلة مثلها في لئلا يعلم أهل الكتاب وفي قوله في بئر لا حور سرى وما شعر واعترضوا عليه بأنها إنما تزاد في وسط الكلام لا في أوله وأجابوا بأن القرآن في حكم سورة واحدة متصل بعضه ببعض والاعتراض صحيح لأنها لم تقع مزيدة إلا في وسط الكلام ولكن الجواب غير سديد ألا ترى إلى امرئ القيس كيف زادها في مستهل قصيدته والوجه أن يقال هي للنفي والمعنى في ذلك أنه لا يقسم بالشيء إلا إعظاما له يدلك عليه قوله تعالى فلا أقسم بمواقع النجوم وإنه لقسم لو تعلمون عظيم فكأنه بإدخال حرف النفي يقول إن إعظامي له بإقسامي به كلا إعظام يعني أنه يستأهل فوق ذلك وقيل إن لا نفي لكلام ورد قبل القسم كأنهم أنكروا البعث فقيل لا أي ليس الأمر على ما ذكرتم ثم قيل أقسم بيوم القيامة (فإن قلت) قوله تعالى فلا وربك لا يؤمنون والأبيات التي أنشدتها المقسم عليه فيها منفي فهلا زعمت أن لا التي قبل القسم زيدت موطئة للنفي بعده ومؤكدة له وقدرت المقسم عليه المحذوف ههنا منفيا كقولك لا أقسم بيوم القيامة لا تتركون سدى (قلت) لو قصر الأمر على النفي دون الإثبات لكان لهذا القول مساغ ولكنه لم يقصر ألا ترى كيف لقي لا أقسم بهذا البلد بقوله لقد خلقنا الإنسان وكذلك فلا أقسم بمواقع النجوم بقوله إنه لقرآن كريم وقرئ لأقسم على أن اللام للابتداء وأقسم خبر مبتدأ محذوف معناه لأنا أقسم قالوا ويعضده أنه في الإمام بغير ألف (بالنفس اللوامة) بالنفس المتقية التي تلوم النفوس فيه أي في يوم القيامة على تقصيرهن في التقوى أو بالتي لا تزال تلوم نفسها وإن اجتهدت في الإحسان وعن الحسن أن المؤمن لا تراه إلا لائما نفسه وأن الكافر يمضي قدما لا يعاتب نفسه وقيل هي التي تتلوم يومئذ على ترك الازدياد إن كانت محسنة وعلى التفريط إن كانت مسيئة وقيل هي نفس آدم لم تزل تتلوم على فعلها الذي خرجت به من الجنة وجواب القسم ما دل عليه قوله (أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه) وهو لتبعثن وقرأ قتادة أن لن يجمع عظامه على البناء للمفعول والمعنى نجمعها بعد تفرقها ورجوعها رميما ورفاتا مختلطا بالتراب وبعد ما سفتها الرياح وطيرتها في أباعد الأرض وقيل إن عدي بن أبي ربيعة ختن الأخنس بن شريق وهما اللذان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فيهما اللهم اكفني جاري السوء قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد حدثني عن يوم القيامة متى يكون وكيف أمره فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو عاينت ذلك اليوم لم أصدقك يا محمد ولم أومن به أو يجمع الله العظام فنزلت (بلى) أوجبت ما بعد النفي وهو الجمع فكأنه قيل بلى نجمعها و(قادرين) حال من الضمير في نجمع أي نجمع العظام قادرين على تأليف جميعها وإعادتها إلى التركيب الأول إلى أن نسوي بنانه أي أصابعه التي هي أطرافه وآخر ما يتم به خلقه أو على أن نسوي بنانه ونضم سلامياته على صغرها ولطافتها بعضها إلى بعض كما كانت أولا من غير نقصان ولا تفاوت فكيف بكبار العظام وقيل معناه بلى نجمعها ونحن قادرون على أن نسوي أصابع يديه ورجليه أي نجعلها مستوية شيئا واحدا كخف البعير وحافر الحمار لا تفرق بينها فلا يمكنه أن يعمل بها شيئا مما يعمل بأصابعه

هو أهل التقوى وأهل المغفرة

﴿سورة القيامة مكية وهي تسع وثلاثون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه بلى قادرين على أن نسوي بنانه

(القول في سورة القيامة)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* قوله تعالى لا أقسم (قال إدخال لا النافية على فعل القسم مستفيض الخ) قال أحمد إن لا التي قبل القسم زيدت توطئة للنفي بعده وقدرت المقسم عليه المحذوف ههنا منفيا تقديره لا أقسم بيوم القيامة لا تتركون سدى وأجاب بأنه لو قصر الأمر على النفي دون الإثبات لكان له مساغ ولكنه ليس بقاصر عليه ألا ترى كيف لقي لا أقسم بهذا البلد بقوله لقد خلقنا الإنسان في كبد وقوله لا أقسم بمواقع النجوم بقوله إنه لقرآن كريم

المفرقة ذات المفاصل والانامل من فنون الاعمال والبسط والقبض والتأتى لما يريد من الحوائج وقرئ قادرون أى نحن قادرون (بل يريد) عطف على أيحسب فيجوز أن يكون مثله استفهاما وأن يكون ايجابا على أن يضرب عن مستفهم عنه الى آخر أو يضرب عن مستفهم عنه الى موجب (ليفجر أمامه) ليدوم على فجوره فيما بين يديه من الاوقات وفيما يستقبله من الزمان لا ينزع عنه وعن سعيد بن جبير رضى الله عنه يقدم الذنب ويؤخر التوبة يقول سوف أتوب سوف أتوب حتى يأتيه الموت على شر أحواله وأسوأ أعماله (يسئل) سؤال متعنت مستبعد لقيام الساعة فى قوله (أيان يوم القيامة) ونحوه ويقولون متى هذا الوعد (برق البصر) تحير فزعا وأصله من برق الرجل اذا نظر الى البرق فدهش بصره وقرئ برق من البريق أى لمع من شدة شخوصه وقرأ أبو السمال بلق اذا انفتح وانفرج يقال بلق الباب وأبلقته وبلقته فتحته (وخسف القمر) وذهب ضوءه أو ذهب بنفسه وقرئ وخسف على البناء للمفعول (وجمع الشمس والقمر) حيث يطلعهما الله من المغرب وقيل وجمعا فى ذهاب الضوء وقيل يجمعان أسودين مكورين كأنهما ثوران عقيران فى النار وقيل يجمعان ثم يقذفان فى البحر فيكون نار الله الكبرى (المفر) بالفتح المصدر وبالكسر المكان ويجوز أن يكون مصدرا كالمرجع وقرئ بهما (كلا) ردع عن طلب المفر (لا وزر) لا ملجأ وكل ما التجأت اليه من جبل أو غيره وتخلصت به فهو وزرك (الى ربك) خاصة (يومئذ) مستقر العباد أى استقرارهم يعنى أنهم لا يقدرون أن يستقروا الى غيره وينصبوا اليه أو الى حكمه ترجع أمور العباد لا يحكم فيها غيره كقوله لمن الملك اليوم أو الى ربك مستقرهم أى موضع قرارهم من جنة أو نار أى مفوض ذلك الى مشيئته من شاء أدخله الجنة ومن شاء أدخله النار (بما قدم) من عمل عمله (و) بما (أخر) منه لم يعمله أو بما قدم من ماله فتصدق به وبما أخره فخلفه أو بما قدم من عمل الخير والشر وبما أخر من سنة حسنة أو سيئة فعمل بها بعده وعن مجاهد بأول عمله وآخره ونحوه فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه (بصيرة) حجة بينة وصفت بالبصارة على المجاز كما وصفت الآيات بالابصار فى قوله فلما جاءتهم آياتنا مبصرة أو عين بصيرة والمعنى أنه ينبأ بأعماله وان لم ينبأ ففيه ما يجزئ عن الانباء لانه شاهد عليها بما عملت لان جوارحه تنطق بذلك يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون (ولو ألقى معاذيره) ولو جاء بكل معذرة يعتذر بها عن نفسه ويجادل عنها وعن الضحاك ولو أرخى ستوره وقال المعاذير الستور واحدها معذار فان صح فلانه يمنع رؤية المحتجب كما تمنع المعذرة عقوبة المذنب (فان قلت) أليس قياس المعذرة أن تجمع معاذر لا معاذير (قلت) المعاذير ليس بجمع معذرة انما هو اسم جمع لها ونحوه المناكير فى المنكر ۞ الضمير فى (به) للقرآن وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا لقن الوحى نازع جبريل القراءة ولم يصبر الى أن يتمها مسارعة الى الحفظ وخوفا من أن يتفلت منه فأمر بأن يستنصت له ملقيا اليه بقلبه وسمعه حتى يقضى اليه وحيه ثم يقفيه بالدراسة الى أن يرسخ فيه والمعنى لا تحرك لسانك بقراءة الوحى ما دام جبريل صلوات الله عليه يقرأ (لتعجل به) لتأخذه على عجلة ولئلا يتفلت منك ثم علل النهى عن العجلة بقوله (ان علينا جمعه) فى صدرك واثبات قراءته فى لسانك (فاذا قرأناه) جعل قراءة جبريل قراءته ۞ والقرآن القراءة (فاتبع قرآنه) فكن مقفيا له فيه ولا تراسله وطأ من نفسك أنه لا يبقى غير محفوظ فنحن فى ضمان تحفيظه (ثم ان علينا بيانه) اذا أشكل عليك شىء من معانيه كأنه كان يعجل فى الحفظ والسؤال عن المعنى جميعا كما ترى بعض الحراص على العلم ونحوه ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه (كلا) ردع لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن عادة العجلة وانكار لها عليه وحث على الاناة والتؤدة وقد بالغ فى ذلك باتباعه قوله (بل تحبون العاجلة) كأنه قال بل أنتم يا بنى آدم لانكم خلقتم من عجل وطبعتم عليه تعجلون فى كل شىء ومن ثم تحبون العاجلة (وتذرون الآخرة) وقرئ بالياء وهو أبلغ (فان قلت) كيف اتصل قوله لا تحرك به لسانك الى آخره بذكر القيامة (قلت) اتصاله به من جهة هذا التخلص منه الى التوبيخ بحب العاجلة وترك الاهتمام بالآخرة

بل يريد الانسان ليفجر أمامه يسئل أيان يوم القيامة فاذا برق البصر وخسف القمر وجمع الشمس والقمر يقول الانسان يومئذ أين المفر كلا لا وزر الى ربك يومئذ المستقر ينبأ الانسان يومئذ بما قدم وأخر بل الانسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم ان علينا بيانه كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة

وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ووجوه يومئذ باسرة تظن أن يفعل بها فاقرة كلا اذا بلغت التراقي وقيل من راق وظن أنه الفراق والتفت الساق بالساق الى ربك يومئذ المساق فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى ثم ذهب الى أهله يتمطى أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى أيحسب الانسان أن يترك سدى ألم يك نطفة من مني يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى

(سورة الانسان مكية وهي احدى وثلاثون آية)

*الوجه عبارة عن الجملة *والناضرة من نضرة النعيم (الى ربها ناظرة) تنظر الى ربها خاصة لا تنظر الى غيره وهذا معنى تقديم المفعول ألا ترى الى قوله الى ربك يومئذ المستقر الى ربك يومئذ المساق الى الله تصير الامور والى الله المصير واليه ترجعون عليه توكلت واليه أنيب كيف دل فيها التقديم على معنى الاختصاص ومعلوم أنهم ينظرون الى أشياء لا يحيط بها الحصر ولا تدخل تحت العدد في محشر يجتمع فيه الخلائق كلهم فان المؤمنين نظارة ذلك اليوم لانهم الآمنون الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فاختصاصه بنظرهم اليه لو كان منظورا اليه محال فوجب حمله على معنى يصح معه الاختصاص والذي يصح معه أن يكون من قول الناس أنا الى فلان ناظر ما يصنع بي تريد معنى التوقع والرجاء ومنه قول القائل

واذا نظرت اليك من ملك * والبحر دونك زدتني نعما

وسمعت سروية مستجدية بمكة وقت الظهر حين يغلق الناس أبوابهم ويأوون الى مقائلهم تقول عيينتي نويظرة الى الله واليكم والمعنى انهم لا يتوقعون النعمة والكرامة الا من ربهم كما كانوا في الدنيا لا يخشون ولا يرجون الا اياه *والباسر الشديد العبوس والباسل أشد منه ولكنه غلب في الشجاع اذا اشتد كلوحه (تظن) تتوقع (أن يفعل بها) فعل هو في شدته وفظاعته (فاقرة) داهية تقصم فقار الظهر كما توقعت الوجوه الناضرة أن يفعل بها كل خير (كلا) ردع عن ايثار الدنيا على الآخرة كأنه قيل ارتدعوا عن ذلك وتنبهوا على ما بين أيديكم من الموت الذي عنده تنقطع العاجلة عنكم وتنتقلون الى الآجلة التي تبقون فيها مخلدين *والضمير في (بلغت) للنفس وان لم يجر لها ذكر لان الكلام الذي وقعت فيه يدل عليها كما قال حاتم

أماوي ما يغني الثراء عن الفتى * اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر

وتقول العرب أرسلت يريدون جاء المطر ولا تكاد تسمعهم يذكرون السماء (التراقي) العظام المكتنفة لثغرة النحر عن يمين وشمال ذكرهم صعوبة الموت الذي هو أول مراحل الآخرة حين تبلغ الروح التراقي ودنا زهوقها وقال حاضرو صاحبها وهو المحتضر بعضهم لبعض (من راق) أيكم يرقيه مما به وقيل هو من كلام ملائكة الموت أيكم يرقى بروحه أملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب (وظن) المحتضر (أنه الفراق) أن هذا الذي نزل به هو فراق الدنيا المحبوبة (والتفت) ساقه بساقه والتوت عليها عند علز الموت وعن قتادة ماتت رجلاه فلا تحملانه وقد كان عليهما جوالا وقيل شدة فراق الدنيا بشدة اقبال الآخرة على أن الساق مثل في الشدة وعن سعيد بن المسيب هما ساقاه حين تلفان في أكفانه (المساق) أي يساق الى الله والى حكمه (فلا صدق ولا صلى) يعني الانسان في قوله أيحسب الانسان أن لن نجمع عظامه ألا ترى الى قوله أيحسب الانسان أن يترك سدى وهو معطوف على يسأل أيان يوم القيامة أي لا يؤمن بالبعث فلا صدق بالرسول والقرآن ولا صلى ويجوز أن يراد فلا صدق ماله بمعنى فلا زكاه وقيل نزلت في أبي جهل (يتمطى) يتبختر وأصله يتمطط أي يتمدد لان المتبختر يمد خطاه وقيل هو من المطا وهو الظهر لانه يلويه وفي الحديث اذا مشت أمتي المطيطاء وخدمتهم فارس والروم فقد جعل بأسهم بينهم يعني كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم وتولى عنه وأعرض ثم ذهب الى قومه يتبختر افتخارا بذلك (أولى لك) بمعنى ويل لك وهو دعاء عليه بأن يليه ما يكره (فخلق) فقدر (فسوى) فعدل (منه) من الانسان (الزوجين) الصنفين (أليس ذلك) الذي أنشأ هذا الانشاء (بقادر) على الاعادة وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا قرأها قال سبحانك بلى وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القيامة شهدت له أنا وجبريل يوم القيامة أنه كان مؤمنا بيوم القيامة

﴿سورة الانسان مكية وهي احدى وثلاثون آية﴾

* قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة (قال الوجوه كناية عن الجملة وقدم الى ربها ليفيد الحصر الخ) قال أحمد ما أقصر لسانه عند هذه الآية فكم له يدندن ويطيل في جحد الرؤية ويشقق القباء ويكثر ويتعمق فلما فغرت هذه الآية فاه صنع في مصادمتها الاستدلال على أنه لو كان المراد الرؤية لما انحصرت بتقديم المفعول لانها حينئذ غير منحصرة على تقدير رؤية الله تعالى وما يعلم أن المتمتع برؤية جمال وجه الله تعالى لا يصرف عنه طرفه ولا يؤثر عليه غيره ولا يعدل به عز وعلا منظورا سواه وحقيق له أن يحصر رؤيته الى من ليس كمثله شيء ونحن نشاهد العاشق في الدنيا اذا أظفرته برؤية محبوبه لم يصرف عنه لحظه ولم يؤثر عليه فكيف بالمحب لله عز وجل اذا أحظاه النظر الى وجهه الكريم نسأل الله العظيم أن لا يصرف عنا وجهه وأن يعيذنا من زلات البدعة وزلات الشبهة وهو حسبنا ونعم الوكيل

﴿القول في سورة الانسان﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ * قوله تعالى هل أتى على الانسان (قال) هل بمعنى قد في الاستفهام والاصل أهل الخ * قوله تعالى انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا (قال فيه هما حالان من الهاء في هديناه الخ) قال أحمد هذا من تحريفه المنكر وهو عند أهل السنة على ظاهره * عاد كلامه (قال أو يكون معناه انا دعوناه الى الايمان كان معلوما منه الخ) قال أحمد واستحسانه لقراءة أبي السمال لتخيله ان في التقسيم اشعارا بعرضه الفاسد وليس كذلك فان التقسيم يحتمل الجزاء أما شاكرا فاثاب وأما كفورا فعاقب ويرشد اليه ذكر واجزاء الفريقين بعد * قوله تعالى سلاسل وأغلالا (قال فيه قرئ بتنوين سلاسل فوجهه أن تكون هذه النون بدلا من ألف الاطلاق الخ) قال أحمد وهذا من الطراز الاول لان معتقده ان القراءة المستفيضة غير موقوفة على النقل المتواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم في تفاصيلها وانها موكولة الى اجتهاد القراء واختيارهم بمقتضى نظرهم كما مر له وطم على

ذلك ههنا فجعل تنوين سلاسل من قبيل الغلط الذي يسبق اليه اللسان في غير موضعه الي يتعليه في موضعه والحق ان جميع الوجوه المستفيضة منقولة تواترا عنه صلى الله عليه وسلم وتنوين هذا على لغة من يصرف في نثر الكلام جميع ما لا ينصرف الا أفعل والقراآت مشتملة على اللغات المختلفة وأما قوارير قوارير فقرئ بترك تنوينهما وهو الاصل وتنوين الاول خاصة بدلا من ألف الاطلاق لانها فاصلة وتنوين الثانية كالاولى اتباعا لها ولم يقرأ أحد بتنوين الثانية وترك تنوين الاولى فانه عكس ان يترك تنوين الفاصلة مع الحاجة الى المجانسة وتنوين غيرها من غير حاجة * قوله تعالى ان الابرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا عينا يشرب بها عباد الله (قال فيه كافورا عين في الجنة اسمها كذلك في لون الكافور ورائحته وبرده الخ) قال أحمد هذا الجواب على القولين الاولين وأما على القولين الآخرين وهو ان العين بدل من الكأس ومعنى مزاجها بالكافور اما اشتمالها على أوصافه واما أن يكون الكافور المعهود كما تقدم فلا يتم الجواب المذكور فيجاب عن السؤال بانه لما ذكر الشراب أولا باعتبار الوقوع في الوجود ذكره ثانيا مضمنا الالتذاذ به وكأنه

منه

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* هل بمعنى قد في الاستفهام خاصة والاصل أهل بدليل قوله * أهل رأونا بسفح القاع ذي الأكم * فالمعنى أقد أتى على التقرير والتقريب جميعا أي أتى على الانسان قبل زمان قريب (حين من الدهر لم يكن) فيه (شيئا مذكورا) أي كان شيئا منسيا غير مذكور نطفة في الاصلاب والمراد بالانسان جنس بني آدم بدليل قوله انا خلقنا الانسان من نطفة * حين من الدهر طائفة من الزمن الطويل الممتد (فان قلت) ما محل لم يكن شيئا مذكورا (قلت) محله النصب على الحال من الانسان كأنه قيل هل أتى عليه حين من الدهر غير مذكور أو الرفع على الوصف لحين كقوله يوما لا يجزي والد عن ولده وعن بعضهم أنها تليت عنده فقال ليتها تمت أراد ليت تلك الحالة تمت وهي كونه شيئا غير مذكور ولم يخلق ولم يكلف (نطفة أمشاج) كبرمة أعشار وبرد أكياش وهي ألفاظ مفردة غير جموع ولذلك وقعت صفات للافراد ويقال أيضا نطفة مشج قال الشماخ

طوت أحشاء مرتجة لوقت * على مشج سلالته مهين

ولا يصح أمشاج أن يكون تكسيرا له بل هما مثلان في الافراد لوصف المفرد بهما ومشجه ومزجه بمعنى والمعنى من نطفة قد امتزج فيها الماآن وعن ابن مسعود هي عروق النطفة وعن قتادة أمشاج ألوان وأطوار يريد أنها تكون نطفة ثم علقة ثم مضغة (نبتليه) في موضع الحال أي خلقناه مبتلين له بمعنى مريدين ابتلاءه كقولك مررت برجل معه صقر صائدا به غدا تريد قاصدا به الصيد غدا ويجوز أن يراد ناقلين له من حال الى حال فسمى ذلك ابتلاء على طريق الاستعارة وعن ابن عباس نصرفه في بطن أمه نطفة ثم علقة وقيل هو في تقدير التأخير يعني فجعلناه سميعا بصيرا لنبتليه وهو من التعسف * شاكرا وكفورا حالان من الهاء في هديناه أي مكناه وأقدرناه في حالتيه جميعا أو دعوناه الى الاسلام بأدلة العقل والسمع كان معلوما منه أنه يؤمن أو يكفر لالزام الحجة ويجوز أن يكونا حالين من السبيل أي عرفناه السبيل اما سبيلا شاكرا واما سبيلا كفورا كقوله وهديناه النجدين ووصف السبيل بالشكر والكفر مجاز وقرأ أبو السمال بفتح الهمزة في أما وهي قراءة حسنة والمعنى أما شاكرا فبتوفيقنا وأما كفورا فبسوء اختياره * ولما ذكر الفريقين أتبعهما الوعيد والوعد * وقرئ سلاسل غير منون وسلاسلا بالتنوين وفيه وجهان أحدهما أن تكون هذه النون بدلا من حرف الاطلاق ويجري الوصل مجرى الوقف والثاني أن يكون صاحب القراءة به ممن ضرى برواية الشعر ومرن لسانه على صرف غير المنصرف (الابرار) جمع بر أو بار كرب وأرباب وشاهد وأشهاد وعن الحسن هم الذين لا يؤذون الذر * والكأس الزجاجة اذا كانت فيها خمر وتسمى الخمر نفسها كأسا (مزاجها) ما تمزج به (كافورا) ماء كافور وهو اسم عين في الجنة ماؤها في بياض الكافور ورائحته وبرده و (عينا) بدل

(بسم الله الرحمن الرحيم)

هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا انا أعتدنا للكافرين سلاسل وأغلالا وسعيرا ان الابرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا عينا

منه وعن قتادة تمزج لهم بالكافور وتختم لهم بالمسك وقيل تخلق فيها رائحة الكافور وبياضه وبرده فكأنها مزجت بالكافور وعينا على هذين القولين بدل من محل من كأس على تقدير حذف مضاف كأنه قيل يشربون فيها خمرا خمر عين أو نصب على الاختصاص (فان قلت) لم وصل فعل الشرب بحرف الابتداء أولا وبحرف الالصاق آخرا (قلت) لان الكأس مبدأ شربهم وأول غايته وأما العين فبها يمزجون شرابهم فكأن المعنى يشرب عباد الله بها الخمر كما تقول شربت الماء بالعسل (يفجرونها) يجرونها حيث شاؤا من منازلهم (تفجيرا) سهلا لا يمتنع عليهم (يوفون) جواب من عسى يقول ما لهم يرزقون ذلك والوفاء بالنذر مبالغة في وصفهم بالتوفر على أداء الواجبات لان من وفى بما أوجبه هو على نفسه لوجه الله كان بما أوجبه الله عليه أوفى (مستطيرا) فاشيا منتشرا بالغا أقصى المبالغ من استطار الحريق واستطار الفجر وهو من طار بمنزلة استنفر من نفر (على حبه) الضمير للطعام أى مع اشتهائه والحاجة اليه ونحوه وآتى المال على حبه لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وعن الفضيل بن عياض على حب الله (وأسيرا) عن الحسن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بالاسير فيدفعه الى بعض المسلمين فيقول أحسن اليه فيكون عنده اليومين والثلاثة فيؤثره على نفسه وعند عامة العلماء يجوز الاحسان الى الكفار في دار الاسلام ولا تصرف اليهم الواجبات وعن قتادة كان أسيرهم يومئذ المشرك وأخوك المسلم أحق أن تطعمه وعن سعيد بن جبير وعطاء هو الاسير من أهل القبلة وعن أبي سعيد الخدري هو المملوك والمسجون وسمى رسول الله صلى الله عليه وسلم الغريم أسيرا فقال غريمك أسيرك فأحسن الى أسيرك (انما نطعمكم) على ارادة القول ويجوز أن يكون قولا باللسان منعا لهم عن المجازاة بمثله أو بالشكر لان احسانهم مفعول لوجه الله فلا معنى لمكافأة الخلق وأن يكون قولهم لهم لطفا وتفقيها وتنبيها على ما ينبغي أن يكون عليه من أخلص لله وعن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تبعث بالصدقة الى أهل بيت ثم تسأل الرسول ما قالوا فاذا ذكر دعاءهم دعت لهم بمثله ليبقى ثواب الصدقة لها خالصا عند الله ويجوز أن يكون ذلك بيانا وكشفا عن اعتقادهم وصحة نيتهم وان لم يقولوا شيأ وعن مجاهد أما انهم ما تكلموا به ولكن علمه الله منهم فأثنى عليهم * والشكور والكفور مصدران كالشكر والكفر (انا نخاف) يحتمل أن احساننا اليكم للخوف من شدة ذلك اليوم لا لارادة مكافأتكم وانا لا نريد منكم المكافأة لخوف عقاب الله تعالى على طلب المكافأة بالصدقة * ووصف اليوم بالعبوس مجاز على طريقين أن يوصف بصفة أهله من الاشقياء كقولهم نهارك صائم روى أن الكافر يعبس يومئذ حتى يسيل من بين عينيه عرق مثل القطران وأن يشبه في شدته وضرره بالاسد العبوس أو بالشجاع الباسل * والقمطرير الشديد العبوس الذي يجمع ما بين عينيه قال الزجاج يقال اقمطرت الناقة اذا رفعت ذنبها وجمعت قطريها وزمت بأنفها فاشتقه من القطر وجعل الميم مزيدة قال أسد بن ناعصة

واصطليت الحروب في كل يوم * باسل الشر قمطرير الصباح

(ولقاهم نضرة وسرورا) أى أعطاهم بدل عبوس الفجار وحزنهم نضرة في الوجوه وسرورا في القلوب وهذا يدل على أن اليوم موصوف بعبوس أهله (بما صبروا) بصبرهم على الايثار وعن ابن عباس رضي الله عنه أن الحسن والحسين مرضا فعادهما رسول الله صلى الله عليه وسلم في ناس معه فقالوا يا أبا الحسن لو نذرت على ولدك فنذر علي وفاطمة وفضة جارية لهما ان برئا مما بهما أن يصوموا ثلاثة أيام فشفيا وما معهم شئ فاستقرض علي من شمعون الخيبري اليهودي ثلاث أصوع من شعير فطحنت فاطمة صاعا واختبزت خمسة أقراص على عددهم فوضعوها بين أيديهم ليفطروا فوقف عليهم سائل فقال السلام عليكم أهل بيت محمد مسكين من مساكين المسلمين أطعموني أطعمكم الله من موائد الجنة فآثروه وباتوا لم يذوقوا الا الماء وأصبحوا صياما فلما أمسوا ووضعوا الطعام بين أيديهم وقف عليهم يتيم فآثروه ووقف عليهم أسير في الثالثة ففعلوا مثل ذلك فلما أصبحوا أخذ علي رضي الله عنه بيد الحسن والحسين وأقبلوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أبصرهم وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع قال ما أشد ما يسوءني ما أرى بكم وقام فانطلق معهم فرأى فاطمة في

يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا انا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا وجزاهم

قال فيشربون منها فيلتذون بها وعليه حماله أو شبهه * عاد كلامه (قال) قوله تعالى يفجرونها تفجيرا أى سهلا لا يمتنع عليهم الخ

محرابها قد التصق ظهرها ببطنها وغارت عيناها فساءه ذلك فنزل جبريل وقال خذها يا محمد هنأك الله في أهل بيتك فأقرأه السورة (فان قلت) ما معنى ذكر الحرير مع الجنة (قلت) المعنى وجزاهم بصبرهم على الايثار وما يؤدي اليه من الجوع والعري بستانا فيه مأكل هني وحريرا فيه ملبس بهي يعني أن هواءها معتدل لا حر شمس يحمي ولا شدة برد تؤذي وفي الحديث هواء الجنة سجسج لا حر ولا قر وقيل الزمهرير القمر وعن ثعلب أنه في لغة طيء وأنشد

وليلة ظلامها قد اعتكر * قطعتها والزمهرير ما زهر

والمعنى أن الجنة ضياء فلا يحتاج فيها الى شمس وقمر (فان قلت) (ودانية عليهم ظلالها) علام عطفت (قلت) على الجملة التي قبلها لانها في موضع الحال من المجزيين وهذه حال مثلها عنهم لرجوع الضمير منها اليهم في عليهم الا أنها اسم مفرد وتلك جملة في حكم مفرد تقديره غير رائين فيها شمسا ولا زمهريرا ودانية عليهم ظلالها ودخلت الواو للدلالة على أن الامرين مجتمعان لهم كأنه قيل وجزاهم جنة جامعين فيها بين البعد عن الحر والقر ودنو الظلال عليهم وقرئ ودانية بالرفع على أن ظلالها مبتدأ ودانية خبر والجملة في موضع الحال والمعنى لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا والحال أن ظلالها دانية عليهم ويجوز أن تجعل متكئين ولا يرون ودانية كلها صفات لجنة ويجوز أن يكون ودانية معطوفة على جنة أي وجنة أخرى دانية عليهم ظلالها على أنهم وعدوا جنتين كقوله ولمن خاف مقام ربه جنتان لانهم وصفوا بالخوف انا نخاف من ربنا (فان قلت) فعلام عطف (وذللت) (قلت) هي اذا رفعت ودانية جملة فعلية معطوفة على جملة ابتدائية واذا نصبتها على الحال فهي حال من دانية أي تدنو ظلالها عليهم في حال تذليل قطوفها لهم أو معطوفة عليها على ودانية عليهم ظلالها ومذللة قطوفها واذا نصبت ودانية على الوصف فهي صفة مثلها ألا ترى أنك لو قلت جنة ذللت قطوفها كان صحيحا وتذليل القطوف أن تجعل ذللا لا تمتنع على قطافها كيف شاؤا أو تجعل ذليلة لهم خاضعة متقاصرة من قولهم حائط ذليل اذا كان قصيرا (قوارير قوارير) قرئا غير منونين وبتنوين الاول وبتنوينهما وهذا التنوين بدل من ألف الاطلاق لانه فاصلة وفي الثاني لاتباعه الاول ومعنى قوارير من (فضة) أنها مخلوقة من فضة وهي مع بياض الفضة وحسنها في صفاء القوارير وشفيفها (فان قلت) ما معنى كانت (قلت) هو من يكون في قوله كن فيكون أي تكونت قوارير بتكوين الله تفخيما لتلك الخلقة العجيبة الشأن الجامعة بين صفتي الجوهرين المتباينين ومنه كان في قوله كان مزاجها كافورا وقرئ قوارير من فضة بالرفع على هي قوارير (قدروها) صفة لقوارير من فضة ومعنى تقديرهم لها أنهم قدروها في أنفسهم أن تكون على مقادير وأشكال على حسب شهواتهم فجاءت كما قدروا وقيل الضمير للطائفين بها دل عليهم قوله ويطاف عليهم على أنهم قدروا شرابها على قدر الري وهو ألذ للشارب لكونه على مقدار حاجته لا يفضل عنها ولا يعجز وعن مجاهد لا تفيض ولا تغيض وقرئ قدروها على البناء للمفعول ووجهه أن يكون من قدر منقولا من قدر تقول قدرت الشيء وقدرنيه فلان اذا جعلك قادرا له ومعناه جعلوا قادرين لها كما شاؤا وأطلق لهم أن يقدروا على حسب ما اشتهوا * سميت العين زنجبيلا لطعم الزنجبيل فيها والعرب تستلذه وتستطيبه قال الاعشى

كأن القرنفل والزنجبيـ * ـل باتا بفيها وأريا مشورا

وقال المسيب بن علس

وكأن طعم الزنجبيل به * اذ ذقته وسلافة الخمر

و (سلسبيلا) لسلاسة انحدارها في الحلق وسهولة مساغها يعني أنها في طعم الزنجبيل وليس فيها لذعه ولكن نقيض اللذع وهو السلاسة يقال شراب سلسل وسلسال وسلسبيل وقد زيدت الباء في التركيب حتى صارت الكلمة خماسية ودلت على غاية السلاسة قال الزجاج السلسبيل في اللغة صفة لما كان في غاية السلاسة وقرئ سلسبيل على منع الصرف لاجتماع العلمية والتأنيث وقد عزوا الى علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن معناه سل سبيلا اليها وهذا غير مستقيم على ظاهره الا أن يراد أن جملة قول القائل سل سبيلا جعلت علما للعين كما قيل تأبط شرا وذرى حبا وسميت بذلك لانه لا يشرب منها الا من سأل اليها سبيلا بالعمل الصالح وهو مع استقامته في العربية تكلف وابتداع وعزوه الى مثل علي رضي الله عنه أبدع وفي شعر بعض المحدثين

جامعين والجنة وحريرا متكئين فيها على الارائك لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلا ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب كانت قواريرا قوارير من فضة قدروها تقديرا ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا عينا فيها تسمى سلسبيلا

سل سبيلا فيها الى راحة النفس * براح كأنها سلسبيل

*و(عينا) بدل من زنجبيلا وقيل تمزج كأسهم بالزنجبيل بعينه أو يخلق الله طعمه فيها و(عينا) على هذا القول مبدلة من كأسا كأنه قيل ويسقون فيها كأسا كأس عين أو منصوبة على الاختصاص * شبهوا في حسنهم وصفاء ألوانهم وانبثاثهم في مجالسهم ومنازلهم باللؤلؤ المنثور وعن المأمون أنه ليلة زفت اليه بوران بنت الحسن بن سهل وهو على بساط منسوج من ذهب وقد نثرت عليه نساء دار الخلافة اللؤلؤ فنظر اليه منثورا على ذلك البساط فاستحسن المنظر وقال لله در أبي نواس كأنه أبصر هذا حيث يقول

كأن صغرى وكبرى من فواقعها * حصباء در على أرض من الذهب

وقيل شبهوا باللؤلؤ الرطب اذا نثر من صدفه لأنه أحسن وأكثر ماء (رأيت) ليس له مفعول ظاهر ولا مقدر ليشيع ويعم كأنه قيل واذا أوجدت الرؤية ثم ومعناه أن بصر الرائي أينما وقع لم يتعلق ادراكه الا بنعيم كثير وملك كبير و(ثم) في موضع النصب على الظرف يعني في الجنة ومن قال معناه ما ثم فقد أخطأ لأن ثم صلة لما ولا يجوز اسقاط الموصول وترك الصلة (كبيرا) واسعا وهنيئا يروى أن أدنى أهل الجنة منزلة ينظر في ملكه مسيرة ألف عام يرى أقصاه كما يرى أدناه وقيل لا زوال له وقيل اذا أرادوا شيأ كان وقيل يسلم عليهم الملائكة ويستأذنون عليهم * قرئ عاليهم بالسكون على أنه مبتدأ خبره (ثياب سندس) أي ما يعلوهم من لباسهم ثياب سندس وعاليهم بالنصب على أنه حال من الضمير في يطوف عليهم أو في حسبتهم أي يطوف عليهم ولدان عاليا للمطوف عليهم ثياب أو حسبتهم لؤلؤا عاليا لهم ثياب ويجوز أن يراد رأيت أهل نعيم وملك عاليهم ثياب وعاليتهم بالرفع والنصب على ذلك وعليهم * وخضر واستبرق بالرفع حملا على الثياب وبالجر على السندس وقرئ واستبرق نصبا في موضع الجر على منع الصرف لأنه أعجمي وهو غلط لأنه نكرة يدخله حرف التعريف تقول الاستبرق الا أن يزعم ابن محيصن أنه قد يجعل علما لهذا الضرب من الثياب وقرئ واستبرق بوصل الهمزة والفتح على أنه سمي باستفعل من البريق وليس بصحيح أيضا لأنه معرب مشهور تعريبه وأن أصله استبره (وحلوا) عطف على ويطوف عليهم (فان قلت) ذكر ههنا أن أساورهم من فضة وفي موضع آخر أنها من ذهب (قلت) هب أنه قيل وحلوا أساور من ذهب ومن فضة وهذا صحيح لا اشكال فيه على أنهم يسورون بالجنسين اما على المعاقبة واما على الجمع كما تزاوج نساء الدنيا بين أنواع الحلي وتجمع بينها وما أحسن بالمعصم أن يكون فيه سواران سوار من ذهب وسوار من فضة (شرابا طهورا) ليس برجس كخمر الدنيا لأن كونها رجسا بالشرع لا بالعقل وليست الدار دار تكليف أو لأنه لم يعصر فتمسه الأيدي الوضرة وتدوسه الأقدام الدنسة ولم يجعل في الدنان والأباريق التي لم يعن بتنظيفها أو لأنه لا يؤول الى النجاسة لأنه يرشح عرقا من أبدانهم له ريح كريح المسك * أي يقال لأهل الجنة (ان هذا) وهذه اشارة الى ما تقدم من عطاء الله لهم ما جوزيتم به على أعمالكم وشكر به سعيكم والشكر مجاز * تكرير الضمير بعد ايقاعه اسما لان تأكيد على تأكيد لمعنى اختصاص الله بالتنزيل ليتقرر في نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه اذا كان هو المنزل لم يكن تنزيله على أي وجه نزل الا حكمة وصوابا كأنه قيل ما نزل عليك القرآن تنزيلا مفرقا منجما الا أنا لا غيري وقد عرفتني حكيما فاعلا لكل ما أفعله بدواعي الحكمة ولقد دعتني حكمة بالغة الى أن أنزل عليك الأمر بالمكافة والمصابرة وسأنزل عليك الأمر بالقتال والانتقام بعد حين (فاصبر لحكم ربك) الصادر عن الحكمة وتعليقه الأمور بالمصالح بتأخير نصرتك على أعدائك من أهل مكة ولا تطع منهم أحدا قلة صبر منك على أذاهم وضجرا من تأخر الظفر * وكانوا مع افراطهم في العداوة والايذاء له ولمن معه يدعونه الى أن يرجع عن أمره ويبذلون له أموالهم وتزويج أكرم بناتهم ان أجابهم (فان قلت) كانوا كلهم كفرة فما معنى القسمة في قوله (آثما أو كفورا) (قلت) معناه ولا تطع منهم راكبا لما هو اثم داعيا لك اليه أو فاعلا لما هو كفر داعيا لك اليه لأنهم اما أن يدعوه الى مساعدتهم على فعل هو اثم أو كفر أو غير اثم ولا كفر فنهي أن يساعدهم على الاثنين دون الثالث وقيل الآثم عتبة والكفور الوليد لأن عتبة كان ركابا للمآثم متعاطيا لأنواع

ويطوف عليهم ولدان
مخلدون اذا رأيتهم
حسبتهم لؤلؤا منثورا
واذا رأيت ثم رأيت
نعيما وملكا كبيرا
عاليهم ثياب سندس
خضر واستبرق وحلوا
أساور من فضة
وسقاهم ربهم شرابا
طهورا ان هذا كان
لكم جزاء وكان سعيكم
مشكورا انا نحن نزلنا
عليك القرآن تنزيلا
فاصبر لحكم ربك ولا
تطع منهم آثما أو كفورا

---

* قوله تعالى عاليهم ثياب سندس خضر (قال فيه قرئ بالسكون على أنه مبتدأ خبره ثياب الخ) قال أحمد في هذا الوجه الأخير نظر فانه يجعله داخلا في مضمون الحسبان وكيف يكون ذلك وهم لابسون السندس حقيقة لا على وجه التشبيه باللؤلؤ بخلاف كونهم لؤلؤا فانه على طريق التشبيه اقتضى لقرب شبههم باللؤلؤ الى أن يحسبوا لؤلؤا ويحتمل أن يصح هذا الوجه لكن بعد تكلف مستغنى عنه بالأول

* قوله تعالى وما تشاؤن الا أن يشاء الله (قال فيه معناه وما تشاؤن الطاعة الا أن يشاء الله الخ) قال أحمد وهذا من تحريفاته للنصوص وتسوره على خزائن الكتاب العزيز كدأب الشطار واللصوص فانقطع بحجته التي أعدها وذلك حكم هذه السرقة وحدها فنقول الله تعالى نفى وأثبت على سبيل الحصر الذي لا حصر ولا نص أوضح منه ألا ترى ان كلمة التوحيد اقتصر بها على النفي والاثبات لان هذا النظم أعلق شئ بالحصر (٥١٤) وأدله عليه فنفى الله تعالى ان يفعل العبد شيأ له فيه اختيار ومشيئة الا ان يكون الله تعالى قد شاء ذلك الفعل فمقتضاه ما لم يشأ الله وقوعه من العبد لا يقع من العبد وما شاء منه وقوعه وقع وهو رديف ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وانظر ادخاله القسر في تعطيل الآية لا تأويلها كيف الله ناقض به فان معنى الآية عنده ان مشيئة العبد الفعل لا تكون الا اذا قسره الله عليها والقسر مناف للمشيئة فصار الحاصل ان مشيئة العبد لا توجد الا اذا انتفت فاذا لا مشيئة للعبد البتة ولا اختيار وما هو الا فر من اثبات قدرة للعبد غير مؤثرة ومشيئة غير خالقة ليتم له اثبات قدرة ومشيئة مؤثرتين فوقع في سلب القدرة والمشيئة أصلا ورأسا وحيث لزم الحيد عن الاعتزال انحرف بالكلية الى الطرف الاقصى متحيزا الى الجبر فيا بعدما توجه بسوء نظره والله الموفق

الفسوق وكان الوليد غاليا في الكفر شديد الشكيمة في العتو (فان قلت) معنى أو ولا تطع أحدهما فهلا جيء بالواو ليكون نهيا عن طاعتهما جميعا (قلت) لو قيل ولا تطعهما جاز أن يطيع أحدهما واذا قيل لا تطع أحدهما علم أن الناهي عن طاعة أحدهما عن طاعتهما جميعا أنهى كما اذا نهى أن يقول لأبويه أف علم أنه منهي عن ضربهما على طريق الاولى (واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا) ودم على صلاة الفجر والعصر (ومن الليل فاسجد له) وبعض الليل فصل له أو يعني صلاة المغرب والعشاء وأدخل من على الظرف للتبعيض كما دخل على المفعول في قوله يغفر لكم من ذنوبكم (وسبحه ليلا طويلا) وتهجد له هزيعا طويلا من الليل ثلثيه أو نصفه أو ثلثه (ان هؤلاء) الكفرة (يحبون العاجلة) يؤثرونها على الآخرة كقوله بل تؤثرون الحياة الدنيا (وراءهم) قدامهم أو خلف ظهورهم لا يعبؤن به (يوما ثقيلا) استعير الثقل لشدته وهوله من الشئ الثقيل الباهظ لحامله ونحوه ثقلت في السموات والارض * الاسر الربط والتوثيق ومنه أسر الرجل اذا أوثق بالقد وهو الاسار وفرس مأسور الخلق وترس مأسور بالعقب * والمعنى شددنا توصيل عظامهم بعضها ببعض وتوثيق مفاصلهم بالاعصاب ومثله قولهم جارية معصوبة الخلق وجدولته (واذا شئنا) أهلكناهم و (بدلنا أمثالهم) في شدة الاسر يعني النشأة الاخرى وقيل معناه بدلنا غيرهم ممن يطيع ٣ وحقه أن يجيء بان لا باذا كقوله وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ان يشأ يذهبكم (هذه) اشارة الى السورة أو الى الآيات القريبة (فمن شاء) فمن اختار الخير لنفسه وحسن العاقبة * واتخاذ السبيل الى الله عبارة عن التقرب اليه والتوسل بالطاعة (وما تشاؤن) الطاعة (الا أن يشاء الله) بقسرهم عليها (ان الله كان عليما) بأحوالهم وما يكون منهم (حكيما) حيث خلقهم مع علمه بهم * وقرئ تشاؤن بالتاء (فان قلت) ما محل أن يشاء الله (قلت) النصب على الظرف وأصله الا وقت مشيئة الله وكذلك قراءة ابن مسعود الا ما يشاء الله لان ما مع الفعل كأن معه (يدخل من يشاء) هم المؤمنون * ونصب (الظالمين) بفعل يفسره أعد لهم نحو أوعد وكافأ وما أشبه ذلك وقرأ ابن مسعود وللظالمين على وأعد للظالمين وقرأ ابن الزبير والظالمون على الابتداء وغيرها أولى لذهاب الطباق بين الجملة المعطوفة والمعطوف عليها فيها مع مخالفتها للمصحف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة هل أتى كان جزاؤه على الله جنة وحريرا

﴿سورة المرسلات مكية وهي خمسون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* أقسم سبحانه بطوائف من الملائكة أرسلهن بأوامره فعصفن في مضيهن كما تعصف الرياح تخففا في امتثال أمره وبطوائف منهم نشرن أجنحتهن في الجو عند انحطاطهن بالوحي أو نشرن الشرائع في الارض أو نشرن النفوس الموتى بالكفر والجهل بما أوحين ففرقن بين الحق والباطل فألقين ذكرا الى الانبياء (عذرا) للمحقين (أو نذرا) للمبطلين أو أقسم برياح عذاب أرسلهن فعصفن وبرياح رحمة نشرن السحاب في الجو ففرقن بينه كقوله ويجعله كسفا أو بسحائب نشرن الموات ففرقن بين من يشكر لله تعالى وبين من يكفر كقوله لأسقيناهم ماء غدقا لنفتنهم فيه فألقين ذكرا اما عذرا للذين يعتذرون الى الله بتوبتهم واستغفارهم اذا رأوا نعمة

واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا ان هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوما ثقيلا نحن خلقناهم وشددنا أسرهم واذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلا ان هذه تذكرة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا وما تشاؤن الا أن يشاء الله ان الله كان عليما حكيما يدخل من يشاء في رحمته والظالمين أعد لهم عذابا أليما

﴿سورة المرسلات مكية وهي خمسون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا عذرا أو نذرا

انما توعدون لواقع فاذا النجوم طمست واذا السماء فرجت واذا الجبال نسفت واذا الرسل أقتت لاى يوم أجلت ليوم الفصل وما أدراك ما يوم الفصل ويل يومئذ للمكذبين ألم نهلك الاولين ثم نتبعهم الآخرين كذلك نفعل بالمجرمين ويل يومئذ للمكذبين ألم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه فى قرار مكين الى قدر معلوم فقدرنا فنعم القادرون ويل يومئذ للمكذبين ألم نجعل الارض كفاتا أحياء وأمواتا وجعلنا فيها رواسى شامخات وأسقيناكم ماء فراتا ويل يومئذ للمكذبين

﴿القول فى سورة المرسلات﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* قوله تعالى ألم نجعل الارض كفاتا أحياء وأمواتا (قال) وهى كفات الاحياء والاموات الخ

الله فى الغيث ويشكرونها واما انذار الذين يغفلون الشكر لله وينسبون ذلك الى الانواء وجعلن ملقيات للذكر لكونهن سببا فى حصوله اذا شكرت النعمة فيهن أو كفرت (فان قلت) ما معنى عرفا (قلت) متتابعة كشعر العرف يقال جاؤا عرفا واحدا وهم عليه كعرف الضبع اذا تألبوا عليه ويكون بمعنى العرف الذى هو نقيض النكر وانتصابه على أنه مفعول له أى أرسلن للاحسان والمعروف والاول على الحال وقرئ عرفا على التثقيل نحو نكر فى نكر (فان قلت) قد فسرت المرسلات بملائكة العذاب فكيف يكون ارسالهم معروفا (قلت) ان لم يكن معروفا للكفار فانه معروف للانبياء والمؤمنين الذين انتقم الله لهم منهم (فان قلت) ما العذر والنذر وبما انتصبا (قلت) هما مصدران من عذر اذا محا الاساءة ومن أنذر اذا خوف على فعل كالكفر والشكر ويجوز أن يكون جمع عذير بمعنى المعذرة وجمع نذير بمعنى الانذار أو بمعنى العاذر والمنذر وأما انتصابهما فعلى البدل من ذكرا على الوجهين الاولين أو على المفعول له وأما على الوجه الثالث فعلى الحال بمعنى عاذرين أو منذرين وقرئا مخففين ومثقلين * ان الذى توعدونه من مجىء يوم القيامة لكائن نازل لا ريب فيه وهو جواب القسم وعن بعضهم ان المعنى ورب المرسلات (طمست) محيت ومحقت وقيل ذهب بنورها ومحق ذواتها موافق لقوله انتثرت وانكدرت ويجوز أن يمحق نورها ثم تنتثر ممحوقة النور (فرجت) فتحت فكانت أبوابا قال الفارسى باب الامير المبهم (نسفت) كالحب اذا نسف بالمنسف ونحوه وبست الجبال بسا وكانت الجبال كثيبا مهيلا وقيل أخذت بسرعة من أماكنها من انتسفت الشئ اذا اختطفته * وقرئت طمست وفرجت ونسفت مشددة * قرئ أقتت ووقتت بالتشديد والتخفيف فيهما والاصل الواو ومعنى توقيت الرسل تبيين وقتها الذى يحضرون فيه للشهادة على أممهم * والتأجيل من الاجل كالتوقيت من الوقت (لأى يوم أجلت) تعظيم لليوم وتعجيب من هوله (ليوم الفصل) بيان ليوم التأجيل وهو اليوم الذى يفصل فيه بين الخلائق والوجه أن يكون معنى وقتت بلغت ميقاتها الذى كانت تنتظره وهو يوم القيامة وأجلت أخرت (فان قلت) كيف وقع النكرة مبتدأ فى قوله (ويل يومئذ للمكذبين) (قلت) هو فى أصله مصدر منصوب ساد مسد فعله ولكنه عدل به الى الرفع للدلالة على معنى ثبات الهلاك ودوامه للمدعو عليه ونحوه سلام عليكم ويجوز ويلا بالنصب ولكنه لم يقرأ به يقال ويلا له وويلا كيلا * قرأ قتادة نهلك بفتح النون من هلكه بمعنى أهلكه قال العجاج ومهمه هالك من تعرجا (ثم نتبعهم) بالرفع على الاستئناف وهو وعيد لاهل مكة يريد ثم نفعل بأمثالهم من الآخرين مثل ما فعلنا بالاولين ونسلك بهم سبيلهم لانهم كذبوا مثل تكذيبهم ويقويها قراءة ابن مسعود ثم سنتبعهم وقرئ بالجزم للعطف على نهلك ومعناه أنه أهلك الاولين من قوم نوح وعاد وثمود ثم أتبعهم الآخرين من قوم شعيب ولوط وموسى (كذلك) مثل ذلك الفعل الشنيع (نفعل) بكل من أجرم انذارا وتحذيرا من عاقبة الجرم وسوء أثره (الى قدر معلوم) الى مقدار من الوقت معلوم قد علمه الله وحكم به وهو تسعة الاشهر أو ما دونها أو ما فوقها (فقدرنا) فقدرنا ذلك تقديرا (فنعم القادرون) فنعم المقدرون له نحن أو فقدرنا على ذلك فنعم القادرون عليه نحن والاول أولى لقراءة من قرأ فقدرنا بالتشديد ولقوله من نطفة خلقه فقدره * الكفات من كفت الشئ اذا ضمه وجمعه وهو اسم ما يكفت كقولهم الضمام والجماع لما يضم ويجمع يقال هذا الباب جماع الابواب وبه انتصب (أحياء وأمواتا) كأنه قيل كافتة أحياء وأمواتا أو بفعل مضمر يدل عليه وهو تكفت والمعنى تكفت أحياء على ظهرها وأمواتا فى بطنها وقد استدل بعض أصحاب الشافعى رحمه الله على قطع النباش بأن الله تعالى جعل الارض كفاتا للاموات فكان بطنها حرزا لهم فالنباش سارق من الحرز (فان قلت) لم قيل أحياء وأمواتا على التنكير وهى كفات الاحياء والاموات جميعا (قلت) هو من تنكير التفخيم كأنه قيل تكفت أحياء لا يعدون وأمواتا لا يحصرون على أن أحياء الانس وأمواتهم ليسوا بجميع الاحياء والاموات ويجوز أن يكون المعنى تكفتكم أحياء وأمواتا فينتصبا على الحال من الضمير لانه قد علم أنها كفات الانس (فان قلت) فالتنكير فى (رواسى شامخات) و(ماء فراتا) (قلت) يحتمل افادة التبعيض لان فى السماء جبالا قال الله تعالى وينزل

من السماء من جبال فيها من برد وفيها ماء فرات أي صالح هي معدنه ومصبه وأن يكون للتفخيم * أي يقال لهم
انطلقوا الى ما كذبتم به من العذاب وانطلقوا الثاني تكرير وقرئ انطلقوا على لفظ الماضي اخبارا بعد
الامر عن عملهم بموجبه لانهم مضطرون اليه لا يستطيعون امتناعا منه (الى ظل) يعني دخان جهنم كقوله
وظل من يحموم (ذي ثلاث شعب) يتشعب لعظمه ثلاث شعب وهكذا الدخان العظيم تراه يتفرق ذوائب
وقيل يخرج لسان من النار فيحيط بالكفار كالسرادق ويتشعب من دخانها ثلاث شعب فتظلهم حتى يفرغ
من حسابهم والمؤمنون في ظل العرش (لا ظليل) تهكم بهم وتعريض بأن ظلهم غير ظل المؤمنين (ولا يغني)
في محل الجر أي وغير مغن عنهم من حر اللهب شيأ (بشرر) وقرئ بشرار (كالقصر) أي كل شررة كالقصر من
القصور في عظمها وقيل هو الغليظ من الشجر الواحدة قصرة نحو جمرة وجمر وقرئ كالقصر بفتحتين وهي
أعناق الابل أو أعناق النخل نحو شجرة وشجر وقرأ ابن مسعود كالقصر بمعنى القصور كرهن ورهن وقرأ
سعيد بن جبير كالقصر في جمع قصرة كحاجة وحوج (جمالات) جمع جمال أو جمالة جمع جمل شبهت بالقصور
ثم بالجمال لبيان التشبيه ألا تراهم يشبهون الابل بالافدان والمجادل وقرئ جمالات بالضم وهي قلوس
الجسور وقيل قلوس سفن البحر الواحدة جمالة وقرئ جمالة بالكسر بمعنى جمال وجمالة بالضم وهي
القلس وقيل (صفر) لارادة الجنس وقيل صفر سود تضرب الى الصفرة وفي شعر عمران بن حطان الخارجي

دعتهم بأعلى صوتها ورمتهم * بمثل الجمال الصفر نزاعة الشوى

وقال أبو العلاء
حمراء ساطعة الذوائب في الدجى * ترمي بكل شرارة كطراف

فشبهها بالطراف وهو بيت الادم في العظم والحمرة وكأنه قصد بخبثه أن يزيد على تشبيه القرآن ولتبجحه بما
سول له من توهم الزيادة جاء في صدر بيته بقوله حمراء توطئة لها ومناداة عليها وتنبيها للسامعين على مكانها ولقد
عمي جمع الله له عمى الدارين عن قوله عز وعلا كأنه جمالات صفر فانه بمنزلة قوله كبيت أحمر وعلى أن في
التشبيه بالقصر وهو الحصن تشبيها من جهتين من جهة العظم ومن جهة الطول في الهواء وفي التشبيه
بالجمالات وهي القلوس تشبيه من ثلاث جهات من جهة العظم والطول والصفرة فأبعد الله اغرابه في طرافه
وما نفخ شدقيه من استطرافه * قرئ بنصب اليوم ونصبه الاعمش أي هذا الذي قص عليكم واقع يومئذ ويوم
القيامة طويل ذو مواطن ومواقيت ينطقون في وقت ولا ينطقون في وقت ولذلك ورد الامران في القرآن
أو جعل نطقهم كلا نطق لانه لا ينفع ولا يسمع (فيعتذرون) عطف على يؤذن منخرط في سلك النفي والمعنى ولا
يكون لهم اذن واعتذار متعقب له من غير أن يجعل الاعتذار مسببا عن الاذن ولو نصب لكان مسببا عنه
لا محالة (جمعناكم والاولين) كلام موضح لقوله هذا يوم الفصل لانه اذا كان يوم الفصل بين السعداء والاشقياء
وبين الانبياء وأممهم فلا بد من جمع الاولين والآخرين حتى يقع ذلك الفصل بينهم (فان كان لكم كيد فكيدون)
تقريع لهم على كيدهم لدين الله وذويه وتسجيل عليهم بالعجز والاستكانة (كلوا واشربوا) في موضع الحال من
ضمير المتقين في الظرف الذي هو في ظلال أي هم مستقرون في ظلال مقولا لهم ذلك و (كلوا وتمتعوا) حال
من المكذبين أي الويل ثابت لهم في حال ما يقال لهم كلوا وتمتعوا (فان قلت) كيف يصح أن يقال لهم ذلك في
الآخرة (قلت) يقال لهم ذلك في الآخرة ايذانا بأنهم كانوا في الدنيا أحقاء بأن يقال لهم وكانوا من أهله
تذكيرا بحالهم السمجة وبما جنوا على أنفسهم من ايثار المتاع القليل على النعيم والملك المخلد وفي طريقته
قوله
اخوتي لا تبعدوا أبدا * وبلى والله قد بعدوا

يريد كنتم أحقاء في حياتكم بأن يدعى لكم بذلك * وعلل ذلك بكونهم مجرمين دلالة على أن كل مجرم ماله
الا الاكل والتمتع أياما قلائل ثم البقاء في الهلاك أبدا ويجوز أن يكون كلوا وتمتعوا كلاما مستأنفا خطابا
للمكذبين في الدنيا (اركعوا) اخشعوا لله وتواضعوا له بقبول وحيه واتباع دينه واطرحوا هذا الاستكبار
والنخوة لا يخشعون ولا يقبلون ذلك ويصرون على استكبارهم وقيل ما كان على العرب أشد من الركوع
والسجود وقيل نزلت في ثقيف حين أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصلاة فقالوا لا نجبي فانها مسبة

علينا

انطلقوا الى ما كنتم به
تكذبون انطلقوا الى
ظل ذي ثلاث شعب
لا ظليل ولا يغني من
اللهب انها ترمي بشرر
كالقصر كأنه جمالات
صفر ويل يومئذ
للمكذبين هذا يوم
لا ينطقون ولا يؤذن
لهم فيعتذرون ويل
يومئذ للمكذبين هذا
يوم الفصل جمعناكم
والاولين فان كان لكم
كيد فكيدون ويل
يومئذ للمكذبين ان
المتقين في ظلال وعيون
وفواكه مما يشتهون
كلوا واشربوا هنيئا بما
كنتم تعملون انا كذلك
نجزي المحسنين ويل
يومئذ للمكذبين كلوا
وتمتعوا قليلا انكم
مجرمون ويل يومئذ
للمكذبين واذا قيل لهم
اركعوا لا يركعون ويل
يومئذ للمكذبين فبأي

حديث

علينا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا خير في دين ليس فيه ركوع ولا سجود (بعده) بعد القرآن يعني أن القرآن من بين الكتب المنزلة آية مبصرة ومعجزة باهرة فحين لم يؤمنوا به فبأي كتاب بعده (يؤمنون) وقرئ تؤمنون بالتاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والمرسلات كتب له أنه ليس من المشركين

﴿سورة عم يتساءلون مكية وتسمى سورة النبأ وهي أربعون أو احدى وأربعون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(عم) أصله عما على أنه حرف جر دخل على ما الاستفهامية وهو في قراءة عكرمة وعيسى بن عمر قال حسان رضي الله عنه

على ما قام يشتمني لئيم * كخنزير تمرغ في رماد

والاستعمال الكثير على الحذف والاصل قليل ومعنى هذا الاستفهام تفخيم الشأن كأنه قال عن أي شأن يتساءلون ونحوه ما في قولك زيد ما زيد جعلته لانقطاع قرينه وعدم نظيره كأنه شيء خفي عليك جنسه فأنت تسأل عن جنسه وتفحص عن جوهره كما تقول ما الغول وما العنقاء تريد أي شيء هو من الاشياء هذا أصله ثم جرد للعبارة عن التفخيم حتى وقع في كلام من لا تخفى عليه خافية (يتساءلون) يسأل بعضهم بعضا أو يتساءلون غيرهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين نحو يتداعونهم ويتراءونهم والضمير لاهل مكة كانوا يتساءلون فيما بينهم عن البعث ويتساءلون غيرهم عنه على طريق الاستهزاء (عن النبأ العظيم) بيان للشأن المفخم وعن ابن كثير أنه قرأ عمه بهاء السكت ولا يخلو إما أن يجري الوصل مجرى الوقف وإما أن يقف ويبتدئ يتساءلون عن النبأ العظيم على أن يضمر يتساءلون لأن ما بعده يفسره كشيء يبهم ثم يفسر (فإن قلت) قد زعمت أن الضمير في يتساءلون للكفار فما تصنع بقوله (هم فيه مختلفون) (قلت) كان فيهم من يقطع القول بانكار البعث ومنهم من يشك وقيل الضمير للمسلمين والكافرين جميعا وكانوا جميعا يسألون عنه أما المسلم فليزداد خشية واستعدادا وأما الكافر فليزداد استهزاء وقيل المتساءل عنه القرآن وقيل نبوة محمد صلى الله عليه وسلم * وقرئ يساءلون بالادغام وستعلمون بالتاء (كلا) ردع للمتسائلين هزؤا و(سيعلمون) وعيد لهم بأنهم سوف يعلمون أن ما يتساءلون عنه ويضحكون منه حق لانه واقع لا ريب فيه وتكرير الردع مع الوعيد تشديد في ذلك ومعنى (ثم) الاشعار بأن الوعيد الثاني أبلغ من الاول وأشد (فإن قلت) كيف اتصل به قوله (ألم نجعل الارض مهادا) (قلت) لما أنكروا البعث قيل لهم ألم يخلق من يضاف اليه البعث هذه الخلائق العجيبة الدالة على كمال القدرة فما وجه انكار قدرته على البعث وما هو إلا اختراع كهذه الاختراعات أو قيل لهم ألم يفعل هذه الافعال المتكاثرة والحكيم لا يفعل فعلا عبثا وما تنكرونه من البعث والجزاء مؤد الى أنه عابث في كل ما فعل * مهادا فراشا وقرئ مهدا ومعناه أنها لهم كالمهد للصبي وهو ما يمهد له فينوم عليه تسمية للممهود بالمصدر كضرب الامير أو وصفت بالمصدر أو بمعنى ذات مهد أي أرسيناها بالجبال كما يرسى البيت بالاوتاد (سباتا) موتا والمسبوت الميت من السبت وهو القطع لانه مقطوع عن الحركة والنوم أحد التوفيين وهو على بناء الادواء * ولما جعل النوم موتا جعل اليقظة معاشا أي حياة في قوله وجعلنا النهار معاشا أي وقت معاش تستيقظون فيه وتتقلبون في حوائجكم ومكاسبكم وقيل السبات الراحة (لباسا) يستركم عن العيون اذا أردتم هربا من عدو أو بياتا له أو اخفاء ما لا تحبون الاطلاع عليه من كثير من الامور

وكم لظلام الليل عندك من يد * تخبر أن المانوية تكذب

(سبعا) سبع سموات (شدادا) جمع شديدة يعني محكمة قوية الخلق لا يؤثر فيها مرور الازمان (وهاجا) متلألئا وقادا يعني الشمس وتوهجت النار اذا تلظت فتوهجت بضوئها وحرها * المعصرات السحائب اذا أعصرت أي شارفت أن تعصرها الرياح فتمطر كقولك أجز الزرع اذا حان له أن يجز ومنه أعصرت الجارية

تفخيم الشأن كأنه قيل عن أي شيء يتساءلون ونحوه ما في قولك الخ) قال أحمد وقد كثرت أم زرع من هذا التفخيم في قولها وأبو زرع ما أبو زرع الى آخر حديثها * عاد كلامه (قال هذا أصله ثم جرد للدلالة على التفخيم الخ) قال أحمد لأن بعضهم شك في البعث وبعضهم

بعده تؤمنون

﴿سورة النبأ مكية وهي أربعون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

عم يتساءلون عن النبأ العظيم الذي هم فيه مختلفون كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون ألم نجعل الارض مهادا والجبال أوتادا وخلقناكم أزواجا وجعلنا نومكم سباتا وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا وبنينا فوقكم سبعا شدادا وجعلنا سراجا وهاجا وأنزلنا من المعصرات ماء

يشبه النفي ومن ثم قيل الضمير للمسلمين والكافرين فسؤال المسلمين ليزدادوا خشية وانما سؤال الكفار زيادة الاستهزاء والكفر (ثم قال فان قلت كيف اتصال قوله ألم نجعل الارض مهادا بما قبله الخ) قال أحمد جوابه الاول سديد وأما الثاني فغير مستقيم فانه مفرع على المذهب الاعوج في وجوب رعاية الصلاح والاصلح واعتقاد أن الجزاء واجب على الله تعالى عقلا ثوابا وعقابا بمقتضى ايجاب الحكمة وقد فرغ من ابطال هذه القاعدة

إذا دنت أن تحيض وقرأ عكرمة بالمعصرات وفيه وجهان أن تراد الرياح التي حان لها أن تعصر السحاب وأن تراد السحائب لأنه إذا كان الإنزال منها فهو بها كما تقول أعطى من يده درهما وأعطى بيده وعن مجاهد المعصرات الرياح ذوات الأعاصير وعن الحسن وقتادة هي السموات وتأويله أن الماء ينزل من السماء إلى السحاب فكأن السموات يعصرن أي يحملن على العصر ويمكن منه (فإن قلت) فما وجه من قرأ من المعصرات وفسرها بالرياح ذوات الأعاصير والمطر لا ينزل من الرياح (قلت) الرياح هي التي تنشئ السحاب وتدر أخلافه فصح أن تجعل مبدأ للإنزال وقد جاء أن الله تعالى يبعث الرياح فتحمل الماء من السماء إلى السحاب فإن صح ذلك فالإنزال منها ظاهر (فإن قلت) ذكر ابن كيسان أنه جعل المعصرات بمعنى المغيثات والعاصر هو المغيث لا المعصر يقال عصره فاعتصر (قلت) وجهه أن يريد اللاتي أعصرن أي حان لها أن تعصر أي تغيث (ثجاجا) منصبا بكثرة يقال ثجه وثج بنفسه وفي الحديث أفضل الحج العج والثج أي رفع الصوت بالتلبية وصب دماء الهدي وكان ابن عباس مثجا يسيل غربا يعني يثج الكلام ثجا في خطبته وقرأ الأعرج ثجاحا ومثاجح الماء مصابه والماء ينثجح في الوادي (حبا ونباتا) يريد ما يتقوت من نحو الحنطة والشعير وما يعتلف من التبن والحشيش كما قال كلوا وارعوا أنعامكم والحب ذو العصف والريحان (ألفافا) ملتفة ولا واحد له كالأوزاع والأخياف وقيل الواحد لف وقال صاحب الإقليد أنشدني الحسن بن علي الطوسي

جنة لف وعيش مغدق * وندامى كلهم بيض زهر

وزعم ابن قتيبة أنه لفاء ولف ثم ألفاف وما أظنه واجدا له نظيرا من نحو خضر وأخضار وحمر وأحمار ولو قيل هو جمع ملتفة بتقدير حذف الزوائد لكان قولا وجيها (كان ميقاتا) كان في تقدير الله وحكمه حدا توقت به الدنيا وتنتهي عنده أو حدا للخلائق ينتهون إليه (يوم ينفخ) بدل من يوم الفصل أو عطف بيان (فتأتون أفواجا) من القبور إلى الموقف أمما كل أمة مع إمامهم وقيل جماعات مختلفة وعن معاذ رضي الله عنه أنه سأل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا معاذ سألت عن أمر عظيم من الأمور ثم أرسل عينيه وقال تحشر عشرة أصناف من أمتي بعضهم على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكسون أرجلهم فوق وجوههم يسحبون عليها وبعضهم عميا وبعضهم صما بكما وبعضهم يمضغون ألسنتهم فهي مدلاة على صدورهم يسيل القيح من أفواههم يتقذرهم أهل الجمع وبعضهم مقطعة أيديهم وأرجلهم وبعضهم مصلبون على جذوع من نار وبعضهم أشد نتنا من الجيف وبعضهم ملبسون جبابا سابغة من قطران لازقة بجلودهم فأما الذين على صورة القردة فالقتات من الناس وأما الذين على صورة الخنازير فأهل السحت وأما المنكسون على وجوههم فأكلة الربا وأما العمي فالذين يجورون في الحكم وأما الصم البكم فالمعجبون بأعمالهم وأما الذين يمضغون ألسنتهم فالعلماء والقصاص الذين خالف قولهم أعمالهم وأما الذين قطعت أيديهم وأرجلهم فهم الذين يؤذون الجيران وأما المصلبون على جذوع من نار فالسعاة بالناس إلى السلطان وأما الذين هم أشد نتنا من الجيف فالذين يتبعون الشهوات واللذات ومنعوا حق الله في أموالهم وأما الذين يلبسون الجباب فأهل الكبر والفخر والخيلاء * وقرئ وفتحت بالتشديد والتخفيف والمعنى كثرت أبوابها المفتحة لنزول الملائكة كأنها ليست إلا أبوابا مفتحة كقوله وفجرنا الأرض عيونا كأن كلها عيون تتفجر وقيل الأبواب الطرق والمسالك أي تكشط فينفتح مكانها وتصير طرقا لا يسدها شيء (فكانت سرابا) كقوله فكانت هباء منبثا يعني أنها تصير شيئا كلا شيء لتفرق أجزائها وانبثاث جواهرها * المرصاد الحد الذي يكون فيه الرصد والمعنى أن جهنم هي حد الطاغين الذي يرصدون فيه للعذاب وهي مآبهم أو هي مرصاد لأهل الجنة ترصدهم الملائكة الذين يستقبلونهم عندها لأن مجازهم عليها وهي مآب للطاغين وعن الحسن وقتادة نحوه قالا طريقا وممرا لأهل الجنة وقرأ ابن يعمر أن جهنم بفتح الهمزة على تعليل قيام الساعة بأن جهنم كانت مرصادا للطاغين كأنه قيل كان ذلك لإقامة الجزاء * قرئ لابثين ولبثين واللبث أقوى لأن اللابث من وجد منه اللبث ولا يقال لبث إلا لمن شأنه اللبث كالذي يجثم بالمكان لا يكاد ينفك منه (أحقابا) حقبا بعد حقب كلما

ثجاجا لنخرج به حبا ونباتا وجنات ألفافا إن يوم الفصل كان ميقاتا يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا وفتحت السماء فكانت أبوابا وسيرت الجبال فكانت سرابا إن جهنم كانت مرصادا للطاغين مآبا لابثين فيها أحقابا

مضى حقب تبعه آخر الى غير نهاية ولا يكاد يستعمل الحقب والحقبة الا حيث يراد تتابع الازمنة وتواليها والاشتقاق يشهد لذلك ألا ترى الى حقيبة الراكب والحقب الذى وراء التصدير وقيل الحقب ثمانون سنة ويجوز أن يراد لابثين فيها أحقابا غير ذائقين فيها بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا ثم يبدلون بعد الاحقاب غير الحميم والغساق من جنس آخر من العذاب وفيه وجه آخر وهو أن يكون من حقب عامنا اذا قل مطره وخيره وحقب فلان اذا أخطأه الرزق فهو حقب وجمعه أحقاب فينتصب حالا عنهم يعنى لابثين فيها حقبين جحدين وقوله (لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا) تفسير له * والاستثناء منقطع يعنى لا يذوقون فيها بردا وروحا ينفس عنهم حر النار ولا شرابا يسكن من عطشهم ولكن يذوقون فيها حميما وغساقا وقيل البرد النوم وأنشد

فلو شئت حرمت النساء سواكم * وان شئت لم أطعم نقاخا ولا بردا

وعن بعض العرب منع البرد البرد * وقرئ غساقا بالتخفيف والتشديد وهو ما يغسق أى يسيل من صديدهم (وفاقا) وصف بالمصدر أو ذا وفاق وقرأ أبو حيوة وفاقا فعال من وفقه كذا (كذابا) تكذيبا وفعال فى باب فعل كله فاش فى كلام فصحاء من العرب لا يقولون غيره وسمعنى بعضهم أفسر آية فقال لقد فسرتها فسارا ما سمع بمثله وقرئ بالتخفيف وهو مصدر كذب بدليل قوله

فصدقتها وكذبتها * والمرء ينفعه كذابه

وهو مثل قوله أنبتكم من الارض نباتا يعنى وكذبوا بآياتنا فكذبوا كذابا أو تنصبه بكذبوا لانه يتضمن معنى كذبوا لان كل مكذب بالحق كاذب وان جعلته بمعنى المكاذبة فمعناه وكذبوا بآياتنا فكاذبوا مكاذبة أو كذبوا بها مكاذبين لانهم اذا كانوا عند المسلمين كاذبين وكان المسلمون عندهم كاذبين فبينهم مكاذبة أو لانهم يتكلمون بما هو افراط فى الكذب فعل من يغالب فى أمر فيبلغ فيه أقصى جهده وقرئ كذابا وهو جمع كاذب أى كذبوا بآياتنا كاذبين وقد يكون الكذاب بمعنى الواحد البليغ فى الكذب يقال رجل كذاب كقولك حسان وبخال فيجعل صفة لمصدر كذبوا أى تكذيبا كذابا مفرطا كذبه وقرأ أبو السمال وكل شئ أحصيناه بالرفع على الابتداء (كتابا) مصدر فى موضع احصاء أو أحصيناه فى معنى كتبناه لالتقاء الاحصاء والكتبة فى معنى الضبط والتحصيل أو يكون حالا فى معنى مكتوبا فى اللوح وفى صحف الحفظة والمعنى احصاء معاصيهم كقوله أحصاه الله ونسوه وهو اعتراض وقوله (فذوقوا) مسبب عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم الآيات وهى آية فى غاية الشدة وناهيك بلن نزيدكم وبدلالته على أن ترك الزيادة كالمحال الذى لا يدخل تحت الصحة وبمجيئها على طريقة الالتفات شاهدا على أن الغضب قد تبالغ وعن النبى صلى الله عليه وسلم هذه الآية أشد ما فى القرآن على أهل النار (مفازا) فوزا وظفرا بالبغية أو موضع فوز وقيل نجاة مما فيه أولئك أو موضع نجاة وفسر المفاز بما بعده * والحدائق البساتين فيها أنواع الشجر المثمر * والاعناب الكروم * والكواعب اللاتى فلكت ثديهن وهن النواهد * والاتراب اللدات * والدهاق المترعة وأدهق الحوض ملأه حتى قال قطنى * وقرئ ولا كذابا بالتشديد والتخفيف أى لا يكذب بعضهم بعضا ولا يكذبه أو لا يكاذبه وعن على رضى الله عنه انه قرأ بتخفيف الاثنين (جزاء) مصدر مؤكد منصوب بمعنى قوله ان للمتقين مفازا كأنه قال جازى المتقين بمفاز و (عطاء) نصب بجزاء نصب المفعول به أى جزاهم عطاء و (حسابا) صفة بمعنى كافيا من أحسبه الشئ اذا كفاه حتى قال حسبى وقيل على حسب أعمالهم وقرأ ابن قطيب حسابا بالتشديد على ان الحساب بمعنى المحسب كالدراك بمعنى المدرك * قرئ رب السموات والرحمن بالرفع على هو رب السموات الرحمن أو رب السموات مبتدأ والرحمن صفة ولا يملكون خبر أو هما خبران وبالجر على البدل من ربك وبجر الاول ورفع الثانى على أنه مبتدأ خبره لا يملكون أو هو الرحمن لا يملكون * والضمير فى (لا يملكون) لاهل السموات والارض أى ليس فى أيديهم مما يخاطب به الله ويأمر به فى أمر الثواب والعقاب خطاب واحد يتصرفون فيه تصرف الملاك فيزيدون فيه أو ينقصون منه أو لا يملكون أن يخاطبوه بشئ من نقص العذاب أو زيادة فى الثواب الا أن يهب لهم ذلك ويأذن لهم فيه و (يوم يقوم) متعلق بلا يملكون أو بلا يتكلمون والمعنى ان الذين هم

لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا جزاء وفاقا انهم كانوا لا يرجون حسابا وكذبوا بآياتنا كذابا وكل شئ أحصيناه كتابا فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا ان للمتقين مفازا حدائق وأعنابا وكواعب أترابا وكأسا دهاقا لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا جزاء من ربك عطاء حسابا رب السموات والأرض وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطابا يوم يقوم

الكبائر وقد صرح بع تقدمت

أفضل الخلائق وأشرفهم وأكثرهم طاعة وأقربهم منه وهم الروح والملائكة لا يملكون التكلم بين يديه فما ظنك بمن عداهم من أهل السموات والارض * والروح أعظم خلقا من الملائكة وأشرف منهم وأقرب من رب العالمين وقيل هو ملك عظيم ما خلق الله بعد العرش خلقا أعظم منه وقيل ليسوا بالملائكة وهم يأكلون وقيل جبريل * هما شريطتان أن يكون المتكلم منهم مأذونا له في الكلام وأن يتكلم بالصواب فلا يشفع لغير مرتضى لقوله تعالى ولا يشفعون الا لمن ارتضى (المرء) هو الكافر لقوله تعالى انا أنذرناكم عذابا قريبا والكافر ظاهر وضع موضع الضمير لزيادة الذم ويعني (ما قدمت يداه) من الشرك لقوله وذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت أيديكم ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق ذلك بما قدمت يداك ع بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين وما يجوز أن تكون استفهامية منصوبة بقدمت أي ينظر أي شيء قدمت يداه وموصولة منصوبة بينظر يقال نظرته بمعنى نظرت اليه والراجع من الصلة محذوف وقيل المرء عام وخصص منه الكافر وعن قتادة هو المؤمن (ياليتني كنت ترابا) في الدنيا فلم أخلق ولم أكلف أو ليتني كنت ترابا في هذا اليوم فلم أبعث وقيل يحشر الله الحيوان غير المكلف حتى يقتص للجماء من القرناء ثم يرده ترابا فيود الكافر حاله وقيل الكافر ابليس يرى آدم وولده وثوابهم فيتمنى أن يكون الشيء الذي احتقره حين قال خلقتني من نار وخلقته من طين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة عم يتساءلون سقاه الله برد الشراب يوم القيامة

﴿سورة والنازعات مكية وهي خمس أو ست وأربعون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* أقسم سبحانه بطوائف الملائكة التي تنزع الارواح من الاجساد وبالطوائف التي تنشطها أي تخرجها من نشط الدلو من البئر اذا أخرجها وبالطوائف التي تسبح في مضيها أي تسرع فتسبق الى ما أمروا به فتدبر أمرا من أمور العباد مما يصلحهم في دينهم أو دنياهم كما رسم لهم (غرقا) اغراقا في النزع أي تنزعها من أقاصي الاجساد من أناملها وأظفارها أو أقسم بخيل الغزاة التي تنزع في أعنتها نزعا تغرق فيه الاعنة لطول أعناقها لانها عراب والتي تخرج من دار الاسلام الى دار الحرب من قولك ثور ناشط اذا خرج من بلد الى بلد والتي تسبح في جريها فتسبق الى الغاية فتدبر أمر الغلبة والظفر واسناد التدبير اليها لانها من أسبابه أو أقسم بالنجوم التي تنزع من المشرق الى المغرب واغراقها في النزع أن تقطع الفلك كله حتى تنحط في أقصى المغرب والتي تخرج من برج الى برج والتي تسبح في الفلك من السيارة فتسبق فتدبر أمرا من علم الحساب وقيل النازعات أيدي الغزاة أو أنفسهم تنزع القسي باغراق السهام والتي تنشط الاوهاق والمقسم عليه محذوف وهو لتبعثن لدلالة ما بعده عليه من ذكر القيامة و(يوم ترجف) منصوب بهذا المضمر و(الراجفة) الواقعة التي ترجف عندها الارض والجبال وهي النفخة الاولى وصفت بما يحدث بحدوثها (تتبعها الرادفة) أي الواقعة التي تردف الاولى وهي النفخة الثانية ويجوز أن تكون الرادفة من قوله تعالى قل عسى أن يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون أي القيامة التي يستعجلها الكفرة استبعادا لها وهي رادفة لهم لاقترابها وقيل الراجفة الارض والجبال من قوله يوم ترجف الارض والجبال والرادفة السماء والكواكب لانها تنشق وتنتثر كواكبها على أثر ذلك (فان قلت) ما محل تتبعها (قلت) الحال أي ترجف تابعتها الرادفة (فان قلت) كيف جعلت يوم ترجف ظرفا للمضمر الذي هو لتبعثن ولا يبعثون عند النفخة الاولى (قلت) المعنى لتبعثن في الوقت الواسع الذي يقع فيه النفختان وهم يبعثون في بعض ذلك الوقت الواسع وهو وقت النفخة الاخرى ودل على ذلك أن قوله تتبعها الرادفة جعل حالا عن الراجفة ويجوز أن ينتصب يوم ترجف بما دل عليه (قلوب يومئذ

له ويتلق ذلك من أنها مخصوصة بالمرتضين وذوو الكبائر ليسوا مرتضين ومن ثم أخطأ قال الله عز وجل

الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من أذن له الرحمن وقال صوابا ذلك اليوم الحق فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا انا أنذرناكم عذابا قريبا يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ويقول الكافر ياليتني كنت ترابا

﴿سورة والنازعات مكية وهي خمس وأربعون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا فالمدبرات أمرا يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة قلوب يومئذ

ما خصهم بالايمان والتوحيد ووفقهم عليه الا وقد ارتضاهم لذلك بدليل قوله تعالى ولا يرضى لعباده الكفر وان تشكروا يرضه لكم بفضل الشكر يعني الايمان القابل للكفر مرضيا لله تعالى وصاحبه مرتضى منه ﴿القول في سورة والنازعات﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قوله تعالى والنازعات غرقا الآيات (قال فيه) اما أن يكون المراد الملائكة فالنازعات يعني للارواح ومعنى غرقا اغراقا

في يوم ترجف وجفت القلوب (واجفة) شديدة الاضطراب والوجيب والوجيف أخوان (خاشعة) ذليلة (فإن قلت) كيف جاز الابتداء بالنكرة (قلت) قلوب مرفوعة بالابتداء وواجفة صفتها وأبصارها خاشعة خبرها فهو كقوله ولعبد مؤمن خير من مشرك (فإن قلت) كيف صح إضافة الأبصار إلى القلوب (قلت) معناه أبصار أصحابها بدليل قوله يقولون (في الحافرة) في الحالة الأولى يعنون الحياة بعد الموت (فإن قلت) ما حقيقة هذه الكلمة (قلت) يقال رجع فلان في حافرته أي في طريقه التي جاء فيها فحفرها أي أثر فيها بمشيه فيها جعل أثر قدميه حفرا كما قيل حفرت أسنانه حفرا إذا أثر الأكال في أسناخها والخط المحفور في الصخر وقيل حافرة كما قيل عيشة راضية أي منسوبة إلى الحفر والرضا أو كقولهم نهارك صائم ثم قيل لمن كان في أمر فخرج منه ثم عاد إليه رجع إلى حافرته أي إلى طريقته وحالته الأولى قال

أحافرة على صلع وشيب * معاذ الله من سفه وعار

يريد أرجوعا إلى حافرة وقيل النقد عند الحافرة يريدون عند الحالة الأولى وهي الصفقة وقرأ أبو حيوة في الحفرة والحفرة بمعنى المحفورة يقال حفرت أسنانه فحفرت حفرا وهي حفرة وهذه القراءة دليل على أن الحافرة في أصل الكلمة بمعنى المحفورة * يقال نخر العظم فهو نخر وناخر كقولك طمع فهو طمع وطامع وفعل أبلغ من فاعل وقد قرئ بهما وهو البالي الأجوف الذي تمر فيه الريح فيسمع له نخير (إذا) منصوب بمحذوف تقديره أئذا كنا عظاما نرد ونبعث (كرة خاسرة) منسوبة إلى الخسران أو خاسر أصحابها والمعنى أنها إن صحت فنحن إذا خاسرون لتكذيبنا بها وهذا استهزاء منهم (فإن قلت) بم تعلق قوله (فإنما هي زجرة واحدة) (قلت) بمحذوف معناه لا تستصعبوها فإنما هي زجرة واحدة يعني لا تحسبوا تلك الكرة صعبة على الله عز وجل فإنها سهلة هينة في قدرته ما هي إلا صيحة واحدة يريد النفخة الثانية (فإذا هم) أحياء على وجه الأرض بعد ما كانوا أمواتا في جوفها من قولهم زجر البعير إذا صاح عليه * والساهرة الأرض البيضاء المستوية سميت بذلك لأن السراب يجري فيها من قولهم عين ساهرة جارية الماء وفي ضدها نائمة قال الأشعث بن قيس

وساهرة يضحي السراب مجللا * لأقطارها قد جبتها متلثما

أو لأن سالكها لا ينام خوف الهلكة وعن قتادة فإذا هم في جهنم (اذهب) على إرادة القول وفي قراءة عبد الله أن اذهب لأن في النداء معنى القول * هل لك في كذا وهل لك إلى كذا كما تقول هل ترغب فيه وهل ترغب إليه (إلى أن تزكى) إلى أن تتطهر من الشرك وقرأ أهل المدينة تزكى بالإدغام (وأهديك إلى ربك) وأرشدك إلى معرفة الله وأنبهك عليه فتعرفه (فتخشى) لأن الخشية لا تكون إلا بالمعرفة قال الله تعالى إنما يخشى الله من عباده العلماء أي العلماء به وذكر الخشية لأنها ملاك الأمر من خشي الله أتى منه كل خير ومن أمن اجترأ على كل شر ومنه قوله عليه السلام من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل بدأ مخاطبته بالاستفهام الذي معناه العرض كما يقول الرجل لضيفه هل لك أن تنزل بنا وأردفه الكلام الرفيق ليستدعيه بالتلطف في القول ويستنزله بالمداراة من عتوه كما أمر بذلك في قوله فقولا له قولا لينا (الآية الكبرى) قلب العصا حية لأنها كانت المقدمة والأصل والأخرى كالتبع لها لأنه كان يتقيها بيده فقيل له أدخل يدك في جيبك أو أرادهما جميعا إلا أنه جعلهما واحدة لأن الثانية كأنها من جملة الأولى لكونها تابعة لها (فكذب) بموسى والآية الكبرى وسماها ساحرا وسحرا (وعصى) الله تعالى بعد ما علم صحة الأمر وأن الطاعة قد وجبت مبتدأ و(أدبر يسعى) أي لما رأى الثعبان أدبر مرعوبا يسعى يسرع في مشيته قال الحسن كان رجلا طياشا أنه ممتدا أي عن موسى يسعى ويجتهد في مكايدته أو أريد ثم أقبل يسعى كما تقول أقبل فلان يفعل كذا بمعنى أنشأ يفعل فوضع أدبر موضع أقبل لئلا يوصف بالإقبال (فحشر) فجمع السحرة كقوله فأرسل فرعون في المدائن فنزيد (فنادى) في المقام الذي اجتمعوا فيه معه أو أمر مناديا فنادى في الناس بذلك وقيل قام فيهم خطيبا فقال هذه العظيمة * وعن ابن عباس كلمته الأولى ما علمت لكم من إله غيري والآخرة أنا ربكم الأعلى

تلك إذا كرة خاسرة فإنما هي زجرة واحدة فإذا هم بالساهرة هل أتاك حديث موسى إذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى اذهب إلى فرعون إنه طغى فقل هل لك إلى أن تزكى وأهديك إلى ربك فتخشى فأراه الآية الكبرى فكذب وعصى ثم أدبر يسعى فحشر فنادى فقال أنا ربكم الأعلى فأخذه الله

* قوله تعالى فإنما هي زجرة واحدة فإذا هم بالساهرة (قال فيه إن قلت كيف اتصل بما قبله وأجاب أنهم أنكروا الإعادة الخ) قال أحمد وما أحسن تسهيل أمر الإعادة بقوله زجرة عوضا من صيحة لأن الزجرة أخص من الصيحة وبقوله واحدة أي غير محتاجة إلى مثنوية وهو يحقق لك ما أجبت به من السؤال الوارد عند قوله تعالى فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة حيث قيل كيف وحدها وهما نفختان فتدبره تجده * قوله تعالى ثم أدبر يسعى (قال فيه أي لما رأى الثعبان ولى هاربا مذعورا الخ) قال أحمد وهذا الوجه الأخير حسن لطيف جدا وهو على هذا من أمثال القافية

(قال وقوله نكال الآخرة والاولى يعني الاغراق في الدنيا والاحراق في الآخرة الخ) قال أحمد فعلى الاول يكون قريبا من اضافة الموصوف الى الصفة لان الآخرة والاولى صفات للكلمتين وعلى الثاني لا يكون كذلك * قوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها أخرج (قال فان قلت هلا أدخل العاطف على (٥٢٢) أخرج الخ) قال أحمد والاول أحسن وهو مناسب لقوله السماء بناها لانه لما قال أأنتم أشد خلقا أم السماء ثم الكلام لكن مجملا ثم بين التفاوت ففسر كيف خلقها فقال بناها بغير عاطف ثم فسر البنا فقال رفع سمكها بغير

(نكال) هو مصدر مؤكد كوعد الله وصبغة الله كانه قيل نكل الله به نكال الآخرة والاولى والنكال بمعنى التنكيل كالسلام بمعنى التسليم يعني الاغراق في الدنيا والاحراق في الآخرة وعن ابن عباس نكال كلمتيه الآخرة وهي قوله أنا ربكم الاعلى والاولى وهي قوله ما علمت لكم من اله غيري وقيل كان بين الكلمتين أربعون سنة وقيل عشرون * الخطاب لمنكري البعث يعني (أأنتم) أصعب (خلقا) وانشاء (أم السماء) ثم بين كيف خلقها فقال (بناها) ثم بين البناء فقال (رفع سمكها) أي جعل مقدار ذهابها في سمت العلو مديدا رفيعا مسيرة خمسمائة عام (فسواها) فعدلها مستوية ملساء ليس فيها تفاوت ولا فطور أو فتممها بما علم أنها تتم به وأصلحها من قولك سوى فلان أمر فلان * غطش الليل وأغطشه الله كقولك ظلم وأظلمه ويقال أيضا أغطش الليل كما يقال أظلم (وأخرج ضحاها) وأبرز ضوء شمسها يدل عليه قوله تعالى والشمس وضحاها يريد وضوءها وقولهم وقت الضحى للوقت الذي تشرق فيه الشمس ويقوم سلطانها وأضيف الليل والشمس الى السماء لان الليل ظلها والشمس هي السراج المثقب في جوها (ماءها) عيونها المتفجرة بالماء (ومرعاها) ورعيها وهو في الاصل موضع الرعي ونصب الارض والجبال باضمار دحا وأرسى وهو الاضمار على شريطة التفسير وقرأهما الحسن مرفوعين على الابتداء (فان قلت) هلا أدخل حرف العطف على أخرج (قلت) فيه وجهان أحدهما أن يكون معنى دحاها بسطها ومهدها للسكنى ثم فسر التمهيد بما لا بد منه في تأتي سكناها من تسوية أمر المأكل والمشرب وامكان القرار عليها والسكون باخراج الماء والمرعى وارساء الجبال واثباتها أوتادا لها حتى تستقر ويستقر عليها والثاني أن يكون أخرج حالا باضمار قد كقوله أو جاؤكم حصرت صدورهم وأراد بمرعاها ما يأكل الناس والانعام واستعير الرعي للانسان كما استعير الرتع في قوله نرتع ونلعب وقرئ نرتع من الرعي ولهذا قيل دل الله سبحانه بذكر الماء والمرعى على عامة ما يرتفق به ويتمتع مما يخرج من الارض حتى الملح لانه من الماء (متاعا لكم) فعل ذلك تمتيعا لكم (ولانعامكم) لان منفعة ذلك التمهيد واصلة اليهم والى أنعامهم (الطامة) الداهية التي تطم على الدواهي أي تعلو وتغلب وفي أمثالهم جرى الوادي فطم على القرى وهي القيامة لطمومها على كل هائلة وقيل هي النفخة الثانية وقيل الساعة التي تساق فيها أهل الجنة الى الجنة وأهل النار الى النار (يوم يتذكر) بدل من اذا جاءت يعني اذا رأى أعماله مدونة في كتابه تذكرها وكان قد نسيها كقوله أحصاه الله ونسوه * وما في (ما سعى) موصولة أو مصدرية (وبرزت) أظهرت وقرأ أبو نهيك وبرزت (لمن يرى) للرائين جميعا أي لكل أحد يعني أنها تظهر اظهارا بينا مكشوفا يراها أهل الساهرة كلهم كقوله قد بين الصبح لذي عينين يريد لكل من له بصر وهو مثل في الامر المنكشف الذي لا يخفى على أحد وقرأ ابن مسعود لمن رأى وقرأ عكرمة لمن ترى والضمير للجحيم كقوله اذا رأتهم من مكان بعيد وقيل لمن ترى يا محمد (فأما) جواب فاذا أي فاذا جاءت الطامة فان الامر كذلك * والمعنى فان الجحيم مأواه كما تقول للرجل غض الطرف تريد طرفك وليس الالف واللام بدلا من الاضافة ولكن لما علم أن الطاغي هو صاحب المأوى وأنه لا يغض الرجل طرف غيره تركت الاضافة ودخول حرف التعريف في المأوى والطرف للتعريف لانهما معروفان و (هي) فصل أو مبتدأ (ونهى النفس) الامارة بالسوء (عن الهوى) المردي وهو اتباع الشهوات وزجرها عنه وضبطها بالصبر والتوطين على ايثار الخير وقيل الآيتان نزلتا في أبي عزيز بن عمير ومصعب بن عمير وقد قتل مصعب أخاه أبا عزيز يوم أحد ووقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه حتى نفذت المشاقص في جوفه (أيان مرساها) متى ارساؤها أي اقامتها أراد ومتى يقيمها الله ويثبتها ويكونها وقيل أيان منتهاها ومستقرها كما أن مرسى السفينة مستقرها

نكال الآخرة والاولى ان في ذلك لعبرة لمن يخشى أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها رفع سمكها فسواها وأغطش ليلها وأخرج ضحاها والارض بعد ذلك دحاها أخرج منها ماءها ومرعاها والجبال أرساها متاعا لكم ولانعامكم فاذا جاءت الطامة الكبرى يوم يتذكر الانسان ما سعى وبرزت الجحيم لمن يرى فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فان الجحيم هي المأوى وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى يسئلونك عن الساعة أيان مرساها

عاطف أيضا * قوله تعالى وبرزت الجحيم لمن يرى (قال فيه يعني أنها برزت اظهارا بينا مكشوفا الخ) قال أحمد وفائدة هذا النظم الاشعار بانه أمر ظاهر لا يتوقف ادراكه الا على البصر خاصة أي لا شئ يحجبه ولا بعد يمنع رؤيته ولا قرب مفرط الى حيث غير ذلك من موانع الرؤية * قوله تعالى يسئلونك عن الساعة أيان مرساها فيم أنت من ذكراها (قال فيه مرساها أي مستقرها الخ) قال أحمد وفيه اشعار بثقل اليوم كقوله ويذرون وراءهم يوما ثقيلا ألا تراهم لا يستعملون الارساء الا فيما له ثقل كرسي

حيث تنتهي اليه (فيم أنت) في أي شيء أنت من أن تذكر وقتها لهم وتعلمهم به يعني ما أنت من ذكرها لهم وتبيين وقتها في شيء وعن عائشة رضي الله عنها لم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الساعة ويسأل عنها حتى نزلت فهو على هذا تعجب من كثرة ذكره لها كانه قيل في أي شغل واهتمام أنت من ذكرها والسؤال عنها والمعنى أنهم يسألونك عنها فلحرصك على جوابهم لا تزال تذكرها وتسأل عنها ثم قال (الى ربك منتهاها) أي منتهى علمها لم يؤت علمها أحدا من خلقه وقيل فيم انكار لسؤالهم أي فيم هذا السؤال ثم قيل أنت من ذكراها أي ارسالك وأنت خاتم الانبياء وآخر الرسل المبعوث في نسم الساعة ذكر من ذكرها وعلامة من علاماتها فكفاهم بذلك دليلا على دنوها ومشارفتها ووجوب الاستعداد لها ولا معنى لسؤالهم عنها (انما أنت منذر من يخشاها) أي لم تبعث لتعلمهم بوقت الساعة الذي لا فائدة لهم في علمه وانما بعثت لتنذر من أهوالها من يكون انذارك لطفا له في الخشية منها وقرئ منذر بالتنوين وهو الاصل والاضافة تخفيف وكلاهما يصلح للحال والاستقبال فاذا أريد الماضي فليس الا الاضافة كقولك هو منذر زيد أمس * أي كانهم لم يلبثوا في الدنيا وقيل في القبور (الا عشية أو ضحاها) (فان قلت) كيف صحت اضافة الضحى الى العشية (قلت) لما بينهما من الملابسة لاجتماعهما في نهار واحد (فان قلت) فهلا قيل الا عشية أو ضحى وما فائدة الاضافة (قلت) الدلالة على أن مدة لبثهم كانها لم تبلغ يوما كاملا ولكن ساعة منه عشيته أو ضحاه فلما ترك اليوم أضافه الى عشيته فهو كقوله لم يلبثوا الا ساعة من نهار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والنازعات كان ممن حبسه الله في القبر والقيامة حتى يدخل الجنة قدر صلاة المكتوبة

﴿سورة عبس مكية وهي احدى وأربعون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن أم مكتوم وأم مكتوم أم أبيه واسمه عبد الله بن شريح بن مالك بن ربيعة الفهري من بني عامر بن لؤي وعنده صناديد قريش عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأبو جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وأمية بن خلف والوليد بن المغيرة يدعوهم الى الاسلام رجاء أن يسلم باسلامهم غيرهم فقال يا رسول الله أقرئني وعلمني مما علمك الله وكرر ذلك وهو لا يعلم تشاغله بالقوم فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم قطعه لكلامه وعبس وأعرض عنه فنزلت فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرمه ويقول اذا رآه مرحبا بمن عاتبني فيه ربي ويقول له هل لك من حاجة واستخلفه على المدينة مرتين وقال أنس رأيته يوم القادسية وعليه درع وله راية سوداء وقرئ عبّس بالتشديد للمبالغة ونحوه كلح في كلح (أن جاءه) منصوب بتولى أو بعبس على اختلاف المذهبين ومعناه عبس لان جاءه الاعمى وأعرض لذلك وقرئ آأن جاءه بهمزتين وبألف بينهما وقف على عبس وتولى ثم ابتدئ على معنى ألأن جاءه الاعمى فعل ذلك انكارا عليه وروي انه ما عبس بعدها في وجه فقير قط ولا تصدى لغني وفي الاخبار عما فرط منه ثم الاقبال عليه بالخطاب دليل على زيادة الانكار كمن يشكو الى الناس جانيا جنى عليه ثم يقبل على الجاني اذا حمي في الشكاية مواجها له بالتوبيخ والزام الحجة وفي ذكر الاعمى نحو من ذلك كانه يقول قد استحق عنده العبوس والاعراض لانه أعمى وكان يجب أن يزيده لعماه تعطفا وترؤفا وتقريبا وترحيبا ولقد تأدب الناس بأدب الله في هذا تأدبا حسنا فقد روي عن سفيان الثوري رحمه الله أن الفقراء كانوا في مجلسه أمراء (وما يدريك) وأي شيء يجعلك داريا بحال هذا الاعمى (لعله يزكى) أي يتطهر بما يتلقن من الشرائع من بعض أوضار الاثم (أو يذكر) أو يتعظ (فتنفعه) ذكراك أي موعظتك وتكون له لطفا في بعض الطاعات والمعنى أنك لا تدري ما هو مترقب منه من تزك أو تذكر ولو دريت لما فرط ذلك منك وقيل الضمير في لعله للكافر يعني أنك طمعت

السفينة وارساء الجبال * عاد كلامه (قال ومعنى فيم أنت أي في أي شيء أنت من أن تذكر وقتها الخ) قال أحمد وفي هذا الوجه نظر فان الآية الاخرى ترده وهي قوله يسئلونك كأنك حفي عنها أي انك لا تحتفي بالسؤال عنها ولا تهتم بذلك وهم يسئلونك كما يسئل الحفي عن الشيء أي الكثير السؤال عنه فالوجه الاول أصوب * عاد كلامه (قال وقيل فيم انكار لسؤالهم أي فيم هذا السؤال الخ) قال

فيم أنت من ذكراها الى ربك منتهاها انما أنت منذر من يخشاها كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية أو ضحاها

(سورة عبس مكية وهي احدى وأربعون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

عبس وتولى أن جاءه الاعمى وما يدريك لعله يزكى أو يذكر فتنفعه الذكرى أما من استغنى فانت له

أحمد فعلى هذا ينبغي أن يوقف على قوله فيم ليفصل بين الكلامين

(القول في سورة عبس)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* قوله تعالى عبس وتولى أن جاءه الاعمى الى قوله فانت له تصدى (ذكر سبب الآية وهو ان ابن أم مكتوم الاعمى الخ) قال أحمد وانما أخذ الاختصاص من تصدير الجملة بضمير المخاطب وجعله مبتدأ مخبرا عنه وهو كثيرا ما يتلقى الاختصاص من ذلك ولقد غلط في تفسير الآية وما كان له أن يبلغ ذلك

في أن يتزكى بالاسلام أو يذكر فتقربه الذكرى الى قبول الحق وما يدريك أن ما طمعت فيه كائن وقرئ فتنفعه بالرفع عطفا على يذكر وبالنصب جوابا للعل كقوله فاطلع الى اله موسى (تصدى) تتعرض بالاقبال عليه والمصاداة المعارضة وقرئ تصدى بالتشديد بادغام التاء في الصاد وقرأ أبو جعفر تصدى بضم التاء أي تعرض ومعناه يدعوك داع الى التصدى له من الحرص والتهالك على اسلامه وليس عليك بأس في أن لا يتزكى بالاسلام ان عليك الا البلاغ (يسعى) يسرع في طلب الخير (وهو يخشى) الله أو يخشى الكفار وأذاهم في اتيانك وقيل جاء وليس معه قائد فهو يخشى الكبوة (تلهى) تتشاغل من لهى عنه والتهى وتلهى وقرأ طلحة بن مصرف تتلهى وقرأ أبو جعفر تلهى أي يلهيك شأن الصناديد (فان قلت) قوله فأنت له تصدى فأنت عنه تلهى كأن فيه اختصاصا (قلت) نعم ومعناه انكار التصدى والتلهى عليه أي مثلك خصوصا لا ينبغي له أن يتصدى للغني ويتلهى عن الفقير (كلا) ردع عن المعاتب عليه وعن معاودة مثله (انها تذكرة) أي موعظة يجب الاتعاظ بها والعمل بموجبها (فمن شاء ذكره) أي كان حافظا له غير ناس وذكر الضمير لان التذكرة في معنى الذكر والوعظ (في صحف) صفة لتذكرة يعني أنها مثبتة في صحف منتسخة من اللوح (مكرمة) عند الله (مرفوعة) في السماء أو مرفوعة القدار (مطهرة) منزهة عن أيدي الشياطين لا يمسها الا أيدي ملائكة مطهرين (سفرة) كتبة ينتسخون الكتب من اللوح (بررة) أتقياء وقيل هي صحف الانبياء كقوله ان هذا لفي الصحف الاولى وقيل السفرة القراء وقيل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم (قتل الانسان) دعاء عليه وهي من أشنع دعواتهم لان القتل قصارى شدائد الدنيا وفظائعها و (ما أكفره) تعجب من افراطه في كفران نعمة الله ولا ترى أسلوبا أغلظ منه ولا أخشن مسا ولا أدل على سخط ولا أبعد شوطا في المذمة مع تقارب طرفيه ولا أجمع للائمة على قصر متنه * ثم أخذ في وصف حاله من ابتداء حدوثه الى أن انتهى وما هو مغمور فيه من أصول النعم وفروعها وما هو غارز فيه رأسه من الكفران والغمط وقلة الالتفات الى ما يتقلب فيه والى ما يجب عليه من القيام بالشكر (من أي شئ خلقه) من أي شئ حقير مهين خلقه ثم بين ذلك الشئ بقوله (من نطفة خلقه فقدره) فهيأه لما يصلح له ويختص به ونحوه وخلق كل شئ فقدره تقديرا * نصب السبيل باضمار يسر وفسره بيسر والمعنى ثم سهل سبيله وهو مخرجه من بطن أمه أو السبيل الذي يختار سلوكه من طريقي الخير والشر باقداره وتمكينه كقوله انا هديناه السبيل وعن ابن عباس رضي الله عنهما بين له سبيل الخير والشر (فأقبره) فجعله ذا قبر يوارى فيه تكرمة له ولم يجعله مطروحا على وجه الارض جزرا للسباع والطير كسائر الحيوان يقال قبر الميت اذا دفنه وأقبره الميت اذا أمره أن يقبره ومكنه منه ومنه قول من قال للحجاج أقبرنا صالحا (أنشره) أنشأه النشأة الاخرى وقرئ نشره (كلا) ردع للانسان عما هو عليه (لما يقض) لم يقض بعد مع تطاول الزمان وامتداده من لدن آدم الى هذه الغاية (ما أمره) الله حتى يخرج عن جميع أوامره يعني أن انسانا لم يخل من تقصير قط * ولما عدد النعم في نفسه أتبعه ذكر النعم فيما يحتاج اليه فقال (فلينظر الانسان الى طعامه) الى مطعمه الذي يعيش به كيف دبرنا أمره (انا صببنا الماء) يعني الغيث قرئ بالكسر على الاستئناف وبالفتح على البدل من الطعام وقرأ الحسين ابن علي رضي الله عنهما أنى صببنا بالامالة على معنى فلينظر الانسان كيف صببنا الماء * وشققنا من شق الارض بالنبات ويجوز أن يكون من شقها بالكراب على البقر وأسند الشق الى نفسه اسناد الفعل الى السبب * والحب كل ما حصد من نحو الحنطة والشعير وغيرهما * والقضب الرطبة والمقضاب أرضه سمي بمصدر قضبه اذا قطعه لانه يقضب مرة بعد مرة (وحدائق غلبا) يحتمل أن يجعل كل حديقة غلباء فيريد تكاثفها وكثرة أشجارها وعظمها كما تقول حديقة ضخمة وأن يجعل شجرها غلبا أي عظاما غلاظا والاصل في الوصف بالغلب الرقاب فاستعير قال عمرو بن معديكرب

تصدى وما عليك ألا يزكى وأما من جاءك يسعى وهو يخشى فأنت عنه تلهى كلا انها تذكرة فمن شاء ذكره في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بأيدي سفرة كرام بررة قتل الانسان ما أكفره من أي شئ خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره ثم أماته فأقبره ثم اذا شاء أنشره كلا لما يقض ما أمره فلينظر الانسان الى طعامه انا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا فأنبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة وأبا متاعا لكم ولانعامكم فاذا جاءت

* عاد كلامه (قال) وفي قوله يسعى (٥٢٤) وهو يخشى تنبيه على وجوب حق ابن أم مكتوم الخ * قوله تعالى قتل الانسان ما أكفره الى قوله ثم شققنا الارض شقا (دعاء عليه وهي من أشنع دعائهم الخ) قال أحمد ما رأيت كاليوم قط عبدا ينازع ربه الله تعالى يقول ثم شققنا فيضيف فعله الى ذاته حقيقة كما أضاف بقية أفعاله من عند قوله من نطفة خلقه وهلم جرا والزمخشري يجعل الاضافة مجازية من باب اسناد الفعل الى سببه فيجعل اضافة الفعل الى الله تعالى من باب اضافة الشق الى الحارث لانه السبب قتل القدري ما أكفره على قول وما أضله على آخر واذا جعل شق الارض مضافا الى الحارث حقيقة والى الله مجازا فما يمنعه أن يجعل الحراث هو الذي صب الماء وأنبت الحب والعنب والقضب حقيقة وهل هذا الا واحد

عيثى

يمشي بها غلب الرقاب كأنهم * بزل كسين من الكحيل جلالا

* والأب المرعى لأنه يؤب أي يؤم وينتجع والأب والأم أخوان قال

جذمنا قيس ونجد دارنا * ولنا الأب به والمكرع

وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه سئل عن الأب فقال أي سماء تظلني وأي أرض تقلني إذا قلت في كتاب الله ما لا علم لي به وعن عمر رضي الله عنه أنه قرأ هذه الآية فقال كل هذا قد عرفنا فما الأب ثم رفض عصا كانت بيده وقال هذا لعمر الله التكلف وما عليك يا ابن أم عمر أن لا تدري ما الأب ثم قال اتبعوا ما تبين لكم من هذا الكتاب وما لا فدعوه (فإن قلت) فهذا يشبه النهي عن تتبع معاني القرآن والبحث عن مشكلاته (قلت) لم يذهب إلى ذلك ولكن القوم كانت أكبر همتهم عاكفة على العمل وكان التشاغل بشيء من العلم لا يعمل به تكلفا عندهم فأراد أن الآية مسوقة في الامتنان على الإنسان بمطعمه واستدعاء شكره وقد علم من فحوى الآية أن الأب بعض ما أنبته الله للإنسان متاعا له أو لأنعامه فعليك بما هو أهم من النهوض بالشكر لله على ما تبين لك ولم يشكل مما عدد من نعمه ولا تتشاغل عنه بطلب معنى الأب ومعرفة النبات الخاص الذي هو اسم له واكتف بالمعرفة الجملية إلى أن يتبين لك في غير هذا الوقت ثم وصى الناس بأن يجروا على هذا السنن فيما أشبه ذلك من مشكلات القرآن * يقال صخ لحديثه مثل أصاخ له فوصفت النفخة بالصاخة مجازا لأن الناس يصخون لها (يفر) منهم لاشتغاله بما هو مدفوع إليه ولعلمه أنهم لا يغنون عنه شيئا * وبدأ بالأخ ثم بالأبوين لأنهما أقرب منه ثم بالصاحبة والبنين لأنهم أقرب وأحب كأنه قال يفر من أخيه بل من أبويه بل من صاحبته وبنيه وقيل يفر منهم حذرا من مطالبتهم بالتبعات يقول الأخ لم تواسني بمالك والأبوان قصرت في برنا والصاحبة أطعمتني الحرام وفعلت وصنعت والبنون لم تعلمنا ولم ترشدنا وقيل أول من يفر من أخيه هابيل ومن أبويه إبراهيم ومن صاحبته نوح ولوط ومن ابنه نوح (يغنيه) يكفيه في الاهتمام به وقرئ يعنيه أي يهمه (مسفرة) مضيئة متهللة من أسفر الصبح إذا أضاء وعن ابن عباس رضي الله عنهما من قيام الليل لما روي في الحديث من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار وعن الضحاك من آثار الوضوء وقيل من طول ما اغبرت في سبيل الله (غبرة) غبار يعلوها (قترة) سواد كالدخان ولا ترى أوحش من اجتماع الغبرة والسواد في الوجه كما ترى من وجوه الزنوج إذا اغبرت وكأن الله عز وجل يجمع إلى سواد وجوههم الغبرة كما جمعوا الفجور إلى الكفر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة عبس وتولى جاء يوم القيامة ووجهه ضاحك مستبشر

﴿سورة التكوير مكية وهي تسع وعشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* في التكوير وجهان أن يكون من كورت العمامة إذا لففتها أي يلف ضوءها لفا فيذهب انبساطه وانتشاره في الآفاق وهو عبارة عن إزالتها والذهاب بها لأنها ما دامت باقية كان ضياؤها منبسطا غير ملفوف أو يكون لفها عبارة عن رفعها وسترها لأن الثوب إذا أريد رفعه لف وطوي ونحوه قوله يوم نطوي السماء وأن يكون من طعنه فجوره وكوره إذا ألقاه أي تلقى وتطرح عن فلكها كما وصفت النجوم بالانكدار (فإن قلت) ارتفاع الشمس على الابتداء أو الفاعلية (قلت) بل على الفاعلية رافعها فعل مضمر يفسره كورت لأن إذا يطلب الفعل لما فيه من معنى الشرط (انكدرت) انقضت قال أبصر خربان فضاء فانكدر ويروى في الشمس والنجوم أنها تطرح في جهنم ليراها من عبدها كما قال إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم (سيرت) أي عن وجه الأرض وأبعدت أو سيرت في الجو تسيير السحاب كقوله وهي تمر مر السحاب * والعشار في جمع عشراء كالنفاس في جمع نفساء وهي التي أتى على حملها عشرة أشهر ثم هو اسمها إلى أن تضع لتمام السنة وهي أنفس ما تكون عند أهلها وأعزها عليهم (عطلت) تركت مسيبة مهملة وقيل عطلها

الصاخة يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة أولئك هم الكفرة الفجرة

﴿سورة التكوير مكية وهي تسع وعشرون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

إذا الشمس كورت وإذا النجوم انكدرت وإذا الجبال سيرت وإذا العشار عطلت وإذا الوحوش

* عاد كلامه في قوله يوم يفر المرء من أخيه الآية (نقل) في التفسير أن أول من يفر من أخيه هابيل وأول من يفر من أبويه إبراهيم وأول من يفر من صاحبته نوح ولوط وأول من يفر من ابنه نوح

حشرت وإذا البحار سجرت وإذا النفوس زوجت وإذا الموؤدة سئلت بأي ذنب قتلت وإذا الصحف نشرت وإذا السماء كشطت وإذا الجحيم سعرت وإذا الجنة أزلفت

أهلها عن الحلب والصر لاشتغالهم بأنفسهم وقرئ عطلت بالتخفيف (حشرت) جمعت من كل ناحية قال قتادة يحشر كل شيء حتى الذباب للقصاص وقيل إذا قضي بينها ردت ترابا فلا يبقى منها إلا ما فيه سرور لبني آدم وإعجاب بصورته كالطاوس ونحوه وعن ابن عباس رضي الله عنهما حشرها موتها يقال إذا أجحفت السنة بالناس وأموالهم حشرتهم السنة وقرئ حشرت بالتشديد (سجرت) قرئ بالتخفيف والتشديد من سجر التنور إذا ملأه بالحطب أي ملئت وفجر بعضها إلى بعض حتى تعود بحرا واحدا وقيل ملئت نيرانا تضطرم لتعذيب أهل النار وعن الحسن يذهب ماؤها فلا تبقى فيها قطرة (زوجت) قرنت كل نفس بشكلها وقيل قرنت الأرواح بالأجساد وقيل بكتبها وأعمالها وعن الحسن هو كقوله وكنتم أزواجا ثلاثة وقيل نفوس المؤمنين بالحور ونفوس الكافرين بالشياطين * وأد يئد مقلوب من آد يؤود إذا أثقل قال الله تعالى ولا يؤوده حفظهما لأنه إثقال بالتراب كان الرجل إذا ولدت له بنت فأراد أن يستحييها ألبسها جبة من صوف أو شعر ترعى له الإبل والغنم في البادية وإن أراد قتلها تركها حتى إذا كانت سداسية فيقول لأمها طيبيها وزينيها حتى أذهب بها إلى أحمائها وقد حفر لها بئرا في الصحراء فيبلغ بها البئر فيقول لها انظري فيها ثم يدفعها من خلفها ويهيل عليها التراب حتى تستوي البئر بالأرض وقيل كانت الحامل إذا أقربت حفرت حفرة فتمخضت على رأس الحفرة فإذا ولدت بنتا رمت بها في الحفرة وإن ولدت ابنا حبسته (فإن قلت) ما حملهم على وأد البنات (قلت) الخوف من لحوق العار بهم من أجلهن أو الخوف من الإملاق كما قال الله تعالى ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق وكانوا يقولون إن الملائكة بنات الله فألحقوا البنات به فهو أحق بهن وصعصعة بن ناجية ممن منع الوأد فيه افتخر الفرزدق في قوله

ومنا الذي منع الوائدات * فأحيا الوئيد فلم توأد

(فإن قلت) فما معنى سؤال الموؤدة عن ذنبها الذي قتلت به وهلا سئل الوائد عن موجب قتله لها (قلت) سؤالها وجوابها تبكيت لقاتلها نحو التبكيت في قوله تعالى لعيسى أأنت قلت للناس إلى قوله سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق وقرئ سألت أي خاصمت عن نفسها وسألت الله أو قاتلها وإنما قيل قتلت بناء على أن الكلام إخبار عنها ولو حكي ما خوطبت به حين سئلت لقيل قتلت أو كلامها حين سئلت لقيل قتلت وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما قتلت على الحكاية وقرئ قتلت بالتشديد وفيه دليل بين على أن أطفال المشركين لا يعذبون وعلى أن التعذيب لا يستحق إلا بالذنب وإذا بكت الله الكافر ببراءة الموؤدة من الذنب فما أقبح به وهو الذي لا يظلم مثقال ذرة أن يكر عليها بعد هذا التبكيت فيفعل بها ما تنسى عنده فعل المبكت من العذاب الشديد السرمد وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سئل عن ذلك فاحتج بهذه الآية (نشرت) قرئ بالتخفيف والتشديد يريد صحف الأعمال تطوى صحيفة الإنسان عند موته ثم تنشر إذا حوسب عن قتادة صحيفتك يا ابن آدم تطوى على عملك ثم تنشر يوم القيامة فلينظر رجل ما يملي في صحيفته وعن عمر رضي الله عنه أنه كان إذا قرأها قال إليك يساق الأمر يا ابن آدم وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يحشر الناس عراة حفاة فقالت أم سلمة كيف بالنساء فقال شغل الناس يا أم سلمة قالت وما شغلهم قال نشر الصحف فيها مثاقيل الذر ومثاقيل الخردل ويجوز أن يراد نشرت بين أصحابها أي فرقت بينهم وعن مرثد بن وداعة إذا كان يوم القيامة تطايرت الصحف من تحت العرش فتقع صحيفة المؤمن في يده في جنة عالية وتقع صحيفة الكافر في يده في سموم وحميم أي مكتوب فيها ذلك وهي صحف غير صحف الأعمال (كشطت) كشفت وأزيلت كما يكشط الإهاب عن الذبيحة والغطاء عن الشيء وقرأ ابن مسعود قشطت واعتقاب الكاف والقاف كثير يقال لبكت الثريد ولبقته والكافور والقافور (سعرت) أوقدت إيقادا شديدا وقرئ سعرت بالتشديد للمبالغة قيل سعرها غضب الله تعالى وخطايا بني آدم (أزلفت) أدنيت من المتقين كقوله تعالى وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد قيل هذه اثنتا عشرة خصلة ست منها في الدنيا وست في الآخرة وعلمت هو عامل النصب في إذا الشمس كورت وفيما عطف عليه (فإن قلت) كل نفس تعلم ما أحضرت كقوله يوم تجد كل نفس ما عملت من خير

محضرا

﴿القول في سورة التكوير﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) * قوله تعالى فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس والليل اذا عسعس والصبح اذا تنفس (لم يتعرض في تفسيره العامل الخ) قال أحمد هذا الجواب لا يستمر لاجل ظهور الفعل والثاني في قوله فلا أقسم بالخنس ولا أعضل الجواب عن هذا السؤال في سورة التكوير التزم الشيخ أبو عمرو بن الحاجب اجازة العطف على عاملين واتخذ هذه الآية وزره ومعتضده في مخالفة سيبويه ورد على الزمخشري جوابه في سورة الشمس وتحاماه الا انه لم يطرد له ههنا وكان على رده يستحسن تيقظ فطنته في استنباطه ونحن والله الموفق نلتزم مذهب سيبويه في امتناع العطف على عاملين في جعل الواو الثانية عاطفة ويجري جواب الزمخشري ههنا وينفصل عن هذه الآية فنقول قوله والليل اذا عسعس هذه الواو الاولى ابتداء قسم والواو في قوله والصبح اذا تنفس عاطفة فيطرد ما قال الزمخشري * فان قيل فقد خالفتم سيبويه فانه لا يرى الواو المتعقبة للقسم ابتداء قسم بل عاطفة وقد جعلتم الواو الاولى وهي متعقبة للقسم ابتداء قسم * قلنا انما تكلم سيبويه في الواو المتعقبة للقسم بالواو وأما الآية فالقسم الاول فيها بالباء والفعل فجعلنا الواو بعد ذلك قسما وتبعناه وهو أبلغ كأنه أقسم قسمين بشيئين مختلفين * فان قيل أجل انما تكلم سيبويه على الواو المتعقبة للقسم بالواو فما الفرق بين المتعقبة للقسم بالواو والمتعقبة للقسم بالباء وما هما الا سواء فان كل واحد منهما آلة له والتاء تدل على الباء فحكمهما واحد * قلنا ليستا سواء فان القسم متى صدر بالواو ولم يله واو أخرى بجعلها قسما الا وفيه تكرار مستكره اذ الآلة (٥٢٧) واحدة ولا كذلك اذا اختلفت الآلة فان عامة التكرار مأمونة اذا ألا ترى أنه لو صدر القسم بالواو ثم تلاه قسم بالباء لتحتم جعلهما قسمين مستقلين فكذلك لو خولف هذا الترتيب وأيضا فانه ان كان المانع لسيبويه من جعل الواو الثانية قسما مستقلا مجيء الجواب واحدا واحتياج الواو الاولى الى محذوف فالعطف يغني عن تقدير محذوف فيتعين فلا يلزم اطراده في الباء لانها أصل القسم لاستيعابها التصريح بفعل القسم ثم تأكيده بزيادة لا فان في مجموع ذلك ما يغني عن افراده بجواب مذكور ولا كذلك الواو فانها ضعيفة المكنة في باب القسم بالنسبة الى الباء فلا يلزم من حذف جواب تمكنت الدلالة عليه حذف جواب دونه في الوضوح * وأختم الكلام على هذا السؤال بنكتة بديعة فأقول انما خصصت ايراد السؤال بالواو الثانية في قوله والليل اذا عسعس دون الثالثة لانه غير متوجه عليها الا ترى انك لو جعلتها عاطفة لم يلزمك العطف على عاملين لانك تجعلها نائبة عن الباء وتجعل اذا فيها منصوبة بالفعل مباشرة اذ لم يتقدم في جملة الفعل ظرف تعطف عليه اذا فتصير بمثابة قولك مررت بزيد وعمرو اليوم فاليوم منصوب بالفعل مباشرة وافهم من المثال ان مرورك بزيد مطلق غير مقيد بظرف وانما المقيد باليوم مرورك بعمرو خاصة فلكن يطابق الآية فان الظرف فيها وان عمل فيه الفعل مباشرة فهو مقيد للقسم بالليل لا للقسم بالخنس * قوله تعالى انه لقول رسول كريم الآية (قال فيه المراد بالرسول الكريم جبريل عليه السلام وقوله عند ذي العرش ليدل على عظم منزلته ومكانته وثم اشارة الى الظرف المذكور يعني عند ذي العرش الخ) قال أحمد ما كان جبريل صلوات الله عليه يرضى منه هذا التفسير المنطوي على التقصير في حق البشير النذير عليه أفضل الصلاة والسلام ولقد أتبع الزمخشري هواه في تمهيد أصول مذهبه الفاسد فأخطأ على الاصل والفرع جميعا ونحن نبين ذلك بحول الله وقوته فنقول أولا اختلف أهل التفسير فذهب منهم العلم الغفير الى أن المراد بالرسول الكريم ههنا

علمت نفس ما أحضرت فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس والليل اذا عسعس والصبح اذا تنفس انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين

تحضر الا نفس واحدة فما معنى قوله (علمت نفس) (قلت) هو من عكس كلامهم الذي يقصدون به الافراط فيما يعكس عنه ومنه قوله عز وجل ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ومعناه معنى كم وأبلغ منه وقول القائل قد أترك القرن مصفرا أنامله وتقول لبعض قواد العساكر كم عندك من الفرسان فيقول رب فارس عندي أو لا تعدم عندي فارسا وعنده المقانب وقصده بذلك التمادي في تكثير فرسانه ولكنه أراد اظهار براءته من التزيد وأنه ممن يقلل كثير ما عنده فضلا أن يتزيد فجاء بلفظ التقليل ففهم منه معنى الكثرة على الصحة واليقين وعن ابن مسعود رضي الله عنه ان قارئا قرأها عنده فلما بلغ علمت نفس ما أحضرت قال وانقطاع ظهرياه (الخنس) الرواجع بينا ترى النجم في آخر البرج اذ كر راجعا الى أوله و(الجوارى) السيارة و(الكنس) الغيب من كنس الوحشي اذا دخل كناسه قيل هي الدراري الخمسة بهرام وزحل وعطارد والزهرة والمشتري تجري مع الشمس والقمر وترجع حتى تخفى تحت ضوء الشمس فخنوسها رجوعها وكنوسها اختفاؤها تحت ضوء الشمس وقيل هي جميع الكواكب تخنس بالنهار فتغيب عن العيون وتكنس بالليل أي تطلع في أماكنها كالوحش في كنسها * عسعس الليل وسعسع اذا أدبر قال العجاج

حتى اذا الصبح لها تنفسا * وانجاب عنها ليلها وعسعسا

وقيل عسعس اذا أقبل ظلامه (فان قلت) ما معنى تنفس الصبح (قلت) اذا أقبل الصبح أقبل باقباله روح ونسيم فجعل ذلك نفسا له على المجاز وقيل تنفس الصبح (انه) الضمير للقرآن (لقول رسول كريم) هو جبريل صلوات الله عليه (ذي قوة) كقوله تعالى شديد القوى ذو مرة لما كانت حال المكانة على حسب حال الممكن قال (عند ذي العرش) ليدل على عظم منزلته ومكانته (ثم) اشارة الى الظرف المذكور أعني عند ذي العرش

الى آخر النعوت محمد صلى الله عليه وسلم فان يكن كذلك والله أعلم فذلك فضل الله المعتاد على نبيه وان كان المراد جبريل عليه السلام فقد اختلف الناس فى المفاضلة بين الملائكة والرسل والمشهور عن أبى الحسن تفضيل الرسل ومذهب المعتزلة تفضيل الملائكة الا أن المختلفين أجمعوا على أنه لا نسوغ تفضيل أحد القبيلين الجليلين بما يتضمن تنقيص معين من الملائكة ومعين من الرسل لان التفضيل وان كان ثابتا الا أن فى التعيين ايذاء للمفضول وعليه حمل الحذاق قوله صلى الله عليه وسلم لا تفضلونى على يونس بن متى أى لا تعينوا مفضولا على التخصيص لان التفضيل على التعميم ثابت باجماع المسلمين أى تفضيل النبى صلى الله عليه وسلم على النبيين أجمعين وكان جدى رحمه الله يوضح ذلك بمثال فيقول لو قلت بحضرة جماعة من الفقهاء فلان أفضل أهل عصره لكان فى الجماعة احتمال لهذا التفضيل وان لزم اندراجهم فى المفضولين ولو عينت واحدا منهم وقلت فلان أفضل منك وأتقى لله لاسرع به الاذى الى بغضك واذا تقرر لك أنه لا يلزم من اعتقاد التفضيل على التعميم جواز اطلاق التفضيل على التخصيص علمت أن الزمخشرى أخطأ على أصله لانه بتقدير أن يكون الملائكة أفضل كما يعتقد لا يجوز أن يقال (٥٢٨) عن أحد من الملائكة على التخصيص أنه أفضل من أحد الانبياء على التخصيص لا سيما فى سيد ولد آدم عليه أفضل الصلاة والسلام ثم يعود الكلام على الآية بعد تسليم ان المراد جبريل وبعد ان نكله فى تعيينه النبى صلى الله عليه وسلم وعده منقولا الى الله فنقول لم يذكر فيها نعت الا والنبى صلى الله عليه وسلم مثله أولها رسول كريم فقد قال فى حقه صلى الله عليه وسلم فى آخر سورة الحاقة انه لقول رسول كريم وقد قيل أيضا ان المراد جبريل الآنه يأباه قوله وما هو بقول شاعر وقد وافق الزمخشرى فى على ذلك فيما تقدم فهذا أول النعوت وأعظمها وأما قوله ذى قوة فليس محل الخلاف اذ لا نزاع فى ان لجبريل عليه السلام فضل القوة والجسمية ومن يقتلع المدائن بريشة من جناحه لا مراء فى فضل قوته على قوة البشر وقد قيل هذا فى تفسير قوله ذو مرة فاستوى وقوله عند ذى العرش مكين مطاع ثم فقد ثبت طاعة الملائكة أيضا لنبينا صلى الله عليه وسلم وورد أن جبريل عليه السلام قال للنبى صلى الله عليه وسلم ان الله يقرئك السلام وقد أمر ملك الجبال أن يطيعك عندما آذته قريش فسلم عليه الملك وقال ان أمرتنى أن أطبق عليهم الاخشبين فعلت فصبر النبى صلى الله عليه وسلم واحتسب وأعظم من ذلك وأشرف مقامه المحمود فى الشفاعة الكبرى يوم لا يتقدمه أحد اذ يقول الله تعالى له ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعطه واشفع تشفع وأما أمين فقد قال وهو الصادق المصدوق والله انى لامين فى الارض أمين فى السماء وحسبك قوله وما هو على الغيب بضنين ان قرأته بالظاء فمعناه أنه صلى الله عليه وسلم أمين على الغيب غير متهم وان قرأته بالضاد رجع الى الكرم فكيف يذهب الى التفضيل بالنعوت المشتركة بين الفاضل والمفضول سواء ومالى مباحثة فى أصل المسئلة ولكن الرد عليه فى خطئه على كل قول يتعين والا فالمسئلة فى غير هذا الكتاب فنسأل الله أن يثبتنا على الايمان به وملائكته وكتبه ورسله وعلى القول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة وان يعمر قلوبنا بحبهم وان يجعل توسلنا اليه بهم وهو حسبنا ونعم الوكيل

وما صاحبكم بمجنون ولقد رآه بالافق المبين وما هو على الغيب بظنين وما هو بقول شيطان رجيم فأين تذهبون ان هو الا ذكر للعالمين

على أنه عند الله مطاع فى ملائكته المقربين يصدرون عن أمره ويرجعون الى رأيه وقرئ ثم تعظيما للامانة وبيانا لانها أفضل صفاته المعدودة (وما صاحبكم) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (بمجنون) كما تبهته الكفرة وناهيك بهذا دليلا على جلالة مكان جبريل عليه السلام وفضله على الملائكة ومباينة منزلته لمنزلة أفضل الانس محمد صلى الله عليه وسلم اذا وازنت بين الذكرين حين قرن بينهما وقايست بين قوله انه لقول رسول كريم ذى قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثم أمين وبين قوله وما صاحبكم بمجنون (ولقد رآه) ولقد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل (بالافق المبين) بمطلع الشمس الاعلى (وما هو) وما محمد على ما يخبر به من الغيب من رؤية جبريل والوحى اليه وغير ذلك (بظنين) بمتهم من الظنة وهى التهمة وقرئ بضنين من الضن وهو البخل أى لا يبخل بالوحى فيزوى بعضه غير مبلغه أو يسأل تعليمه فلا يعلمه وهو فى مصحف عبد الله بالظاء وفى مصحف أبى بالضاد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بهما واتقان الفصل بين الضاد والظاء واجب ومعرفة مخرجيهما مما لا بد منه للقارئ فان أكثر العجم لا يفرقون بين الحرفين وان فرقوا ففرقا غير صواب وبينهما بون بعيد فان مخرج الضاد من أصل حافة اللسان وما يليها من الاضراس من يمين اللسان أو يساره كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه أضبط يعمل بكلتا يديه وكان يخرج الضاد من جانبى لسانه وهى أحد الاحرف الشجرية أخت الجيم والشين وأما الظاء فمخرجها من طرف اللسان وأصول الثنايا العليا وهى أحد الاحرف الذولقية أخت الذال والثاء ولو استوى الحرفان لما ثبتت فى هذه الكلمة قراءتان اثنتان واختلاف بين جبلين من جبال العلم والقراءة ولما اختلف المعنى والاشتقاق والتركيب (فان قلت) فان وضع المصلى أحد الحرفين مكان صاحبه (قلت) هو كواضع الذال مكان الجيم والثاء مكان الشين لان التفاوت بين الضاد والظاء كالتفاوت بين أخواتهما (وما هو) وما القرآن (بقول شيطان رجيم) أى بقول بعض المسترقة للسمع وبوحيهم الى أوليائهم من الكهنة (فأين تذهبون) استضلال لهم كما يقال لتارك الجادة اعتسافا أو ذهابا

الى نيات الطريق أن تذهب مثلت حالهم بحاله في تركهم الحق وعدولهم عنه الى الباطل (لمن شاء منكم) بدل من للعالمين وانما أبدلوا منهم لان الذين شاؤا الاستقامة بالدخول في الاسلام هم المنتفعون بالذكر فكانه لم يوعظ به غيرهم وان كانوا موعوظين جميعا (وما تشاؤن) الاستقامة يا من يشاؤها الا بتوفيق الله ولطفه أو وما تشاؤنها أنتم يا من لا يشاؤها الا بقسر الله والجائه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة اذا الشمس كورت أعاذه الله أن يفضحه حين تنشر صحيفته

﴿سورة الانفطار مكية وهي تسع عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(انفطرت) انشقت (فجرت) فتح بعضها الى بعض فاختلط العذب بالملح وزال البرزخ الذي بينهما وصارت البحار بحرا واحدا وروى أن الارض تنشف الماء بعد امتلاء البحار فتصير مستوية وهو معنى التسجير عند الحسن وقرئ فجرت بالتخفيف وقرأ مجاهد فجرت على البناء للفاعل والتخفيف بمعنى بغت لزوال البرزخ نظرا الى قوله تعالى لا يبغيان لان البغي والفجور أخوان * بعثر وبحثر بمعنى وهما مركبان من البعث والبحث مع راء مضمومة اليهما والمعنى بحثت وأخرج موتاها وقيل لبراءة المبعثرة لانها بعثرت أسرار المنافقين (فان قلت) ما معنى قوله (ما غرك بربك الكريم) وكيف طابق الوصف بالكريم انكار الاغترار به وانما يغتر بالكريم كما يروى عن علي رضي الله عنه أنه صاح بغلام له كرات فلم يلبه فنظر فاذا هو بالباب فقال له ما لك لم تجبني قال لثقتي بحلمك وأمني من عقوبتك فاستحسن جوابه وأعتقه وقالوا من كرم الرجل سوء أدب غلمانه (قلت) معناه أن حق الانسان أن لا يغتر بتكرم الله عليه حيث خلقه حيا لينفعه وبتفضله عليه بذلك حتى يطمع بعد ما مكنه وكلفه فعصى وكفر النعمة المتفضل بها أن يتفضل عليه بالثواب وطرح العقاب اغترارا بالتفضل الاول فانه منكر خارج من حد الحكمة ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تلاها غره جهله وقال عمر رضي الله عنه غره حمقه وجهله وقال الحسن غره والله شيطانه الخبيث أي زين له المعاصي وقال له افعل ما شئت فربك الكريم الذي تفضل عليك بما تفضل به أولا وهو متفضل عليك آخرا حتى ورطه وقيل للفضيل بن عياض ان أقامك الله يوم القيامة وقال لك ما غرك بربك الكريم ماذا تقول قال أقول غرني ستورك المرخاة وهذا على سبيل الاعتراف بالخطا في الاغترار بالستر وليس باعتذار كما يظنه الطماع ويظن به قصاص الحشوية ويروون عن أئمتهم انما قال بربك الكريم دون سائر صفاته ليلقن عبده الجواب حتى يقول غرني كرم الكريم وقرأ سعيد بن جبير ما أغرك اما على التعجب واما على الاستفهام من قولك غر الرجل فهو غار اذا غفل من قولك بيتهم العدو وهم غارون وأغره غيره جعله غارا (فسواك) فجعلك سويا سالم الاعضاء (فعدلك) فصيرك معتدلا متناسب الخلق من غير تفاوت فيه فلم يجعل احدى اليدين أطول ولا احدى العينين أوسع ولا بعض الاعضاء أبيض وبعضها أسود ولا بعض الشعر فاحما وبعضه أشقر أو جعلك معتدل الخلق تمشي قائما لا كالبهائم وقرئ فعدلك بالتخفيف وفيه وجهان أحدهما أن يكون بمعنى المشدد أي عدل بعض أعضائك ببعض حتى اعتدلت والثاني فعدلك فصرفك يقال عدله عن الطريق يعني فعدلك عن خلقة غيرك وخلقك خلقة حسنة مفارقة لسائر الخلق أو فعدلك الى بعض الاشكال والهيآت * ما في (ما شاء) مزيدة أي ركبك في أي صورة اقتضتها مشيئته وحكمته من الصور المختلفة في الحسن والقبح والطول والقصر والذكورة والانوثة والشبه ببعض الاقارب وخلاف الشبه (فان قلت) هلا عطفت هذه الجملة كما عطف ما قبلها (قلت) لانها بيان لعدلك (فان قلت) بم يتعلق الجار (قلت) يجوز أن يتعلق بركبك على معنى وضعك في بعض الصور ومكنك فيه وبمحذوف أي ركبك حاصلا في بعض الصور ومحله النصب على الحال ان علق بمحذوف ويجوز أن يتعلق بعدلك ويكون في أي معنى التعجب أي فعدلك في صورة عجيبة ثم قال ما شاء ركبك أي ركبك ما شاء من التراكيب يعني تركيبا حسنا (كلا) ارتدعوا عن الاغترار بكرم الله

(قال فيه ان قلت قوله ما غرك بربك الكريم ما معناه وكيف يطابق الوصف بالكريم الخ) قال أحمد حجة الزمخشري ههنا فارغة فان الآيتان انما وردت في الكفار بدليل قوله كلا بل تكذبون بالدين ونحن نوافقه على خلودهم وانقطاع

ان شاء منكم أن يستقيم وما تشاؤن الا أن يشاء الله رب العالمين

﴿سورة الانفطار مكية وهي تسع عشرة آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

اذا السماء انفطرت واذا الكواكب انتثرت واذا البحار فجرت واذا القبور بعثرت علمت نفس ما قدمت وأخرت يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك في أي صورة ما شاء ركبك كلا

معاذيرهم لا على ان تخليدهم واجب على الله تعالى بمقتضى الحكمة فان الله لا يجب عليه شيء ويجوز عقلا ان يثيب الكافر ويخلده في الجنة وبالعكس في المؤمن ولولا ورود السمع باثابة المؤمنين وعذاب الكافرين فيتعين المصير اليه لكان ماذكرناه في الجواز والاحتمال فان الله عز وجل يفعل ما يشاء و يحكم ما يريد

والتعلق به وهو موجب الشكر والطاعة الى عكسهما الذي هو الكفر والمعصية ثم قال (بل تكذبون بالدين) أصلا وهو الجزاء أو دين الاسلام فلا تصدقون ثوابا ولا عقابا وهو شر من الطمع المنكر (وان عليكم لحافظين) تحقيق لما يكذبون به من الجزاء يعني أنكم تكذبون بالجزاء والكاتبون يكتبون عليكم أعمالكم لتجازوا بها وفي تعظيم الكتبة بالثناء عليهم تعظيم لأمر الجزاء وأنه عند الله من جلائل الامور ولولا ذلك لما وكل بضبط ما يحاسب عليه ويجازى به الملائكة الكرام الحفظة الكتبة وفيه انذار وتهويل وتشوير للعصاة ولطف للمؤمنين وعن الفضيل أنه كان اذا قرأها قال ما أشدها من آية على الغافلين (وما هم عنها بغائبين) كقوله وما هم بخارجين منها ويجوز أن يراد يصلون النار يوم الدين وما يغيبون عنها قبل ذلك يعني في قبورهم وقيل أخبر الله في هذه السورة أن لابن آدم ثلاث حالات حال الحياة التي يحفظ فيها عمله وحال الآخرة التي يجازى فيها وحال البرزخ وهو قوله وما هم عنها بغائبين * يعني أن أمر يوم الدين بحيث لا تدرك دراية دار كنهه في الهول والشدة وكيفما تصورته فهو فوق ذلك وعلى أضعافه والتكرير لزيادة التهويل ثم أجمل القول في وصفه فقال (يوم لا تملك نفس لنفس شيأ) أي لا تستطيع دفعا عنها ولا نفعا لها بوجه ولا أمر الا لله وحده من رفع فعلى البدل من يوم الدين أو على هو يوم لا تملك ومن نصب فباضمار يدانون لان الدين يدل عليه أو باضمار اذكر ويجوز أن يفتح لاضافته الى غير متمكن وهو في محل الرفع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ اذا السماء انفطرت كتب الله له بعدد كل قطرة من السماء حسنة وبعدد كل قبر حسنة

﴿سورة المطففين مختلف فيها وهي ست وثلاثون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* التطفيف البخس في الكيل والوزن لان ما يبخس شيء طفيف حقير وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وكانوا من أخبث الناس كيلا فنزلت فأحسنوا الكيل وقيل قدمها وبها رجل يعرف بأبي جهينة ومعه صاعان يكيل بأحدهما ويكتال بالآخر وقيل كان أهل المدينة تجارا يطففون وكانت بياعاتهم المنابذة والملامسة والمخاطرة فنزلت فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأها عليهم وقال خمس بخمس قيل يا رسول الله وما خمس بخمس قال ما نقض قوم العهد الا سلط الله عليهم عدوهم وما حكموا بغير ما أنزل الله الا فشا فيهم الفقر وما ظهرت فيهم الفاحشة الا فشا فيهم الموت ولا طففوا الكيل الا منعوا النبات وأخذوا بالسنين ولا منعوا الزكاة الا حبس عنهم القطر وعن علي رضي الله عنه أنه مر برجل يزن الزعفران وقد أرجح فقال له أقم الوزن بالقسط ثم أرجح بعد ذلك ما شئت كأنه أمره بالتسوية أولا ليعتادها ويفصل الواجب من النفل وعن ابن عباس انكم معشر الاعاجم وليتم أمرين بهما هلك من كان قبلكم المكيال والميزان وخص الاعاجم لانهم يجمعون الكيل والوزن جميعا وكانا مفرقين في الحرمين كان أهل مكة يزنون وأهل المدينة يكيلون وعن ابن عمر أنه كان يمر بالبائع فيقول له اتق الله وأوف الكيل فان المطففين يوقفون يوم القيامة لعظمة الرحمن حتى ان العرق ليلجمهم وعن عكرمة أشهد أن كل كيال ووزان في النار فقيل له ان ابنك كيال أو وزان فقال أشهد أنه في النار وعن أبي رضي الله عنه لا تلتمس الحوائج ممن رزقه في رؤس المكاييل وألسن الموازين * لما كان اكتيالهم من الناس اكتيالا يضرهم ويتحامل فيه عليهم أبدل على مكان من الدلالة على ذلك ويجوز أن يتعلق على بيستوفون ويقدم المفعول على الفعل لافادة الخصوصية أي يستوفون على الناس خاصة فأما أنفسهم فيستوفون لها وقال الفراء من وعلى يعتقبان في هذا الموضع لانه حق عليه فاذا قال اكتلت عليك فكأنه قال أخذت ما عليك واذا قال اكتلت منك فكقوله استوفيت منك * والضمير في (كالوهم أو وزنوهم) ضمير منصوب راجع الى الناس وفيه وجهان أن يراد كالوا لهم

او

بل تكذبون بالدين وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم يصلونها يوم الدين وما هم عنها بغائبين وما أدراك ما يوم الدين ثم ما أدراك ما يوم الدين يوم لا تملك نفس لنفس شيأ والامر يومئذ لله

﴿سورة المطففين وهي ست وثلاثون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم أو وزنوهم

* قوله تعالى الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون (قال م لما كان اكتيالهم على الناس اكتيالا يضرهم الخ) قال أحمد لا منافرة فيه ولا يحمل هذا القائل الضمير الا على مباشرة ولا اشعار أيضا فيه بذلك وانما يكون نظم الكلام على هذا الوجه اذا كان الكيل من جهة غيرهم استوفوه واذا كان الكيل من جهتهم خاصة أخسروه سواء باشروه أولا وهذا أنظم كلام وأحسنه والله أعلم والذي يدلك على ان الضمير لا يعطي مباشرة الفعل ان لك ان تقول الامراء هم الذين يقيمون الحدود لا السوقة ولست تعني انهم يباشرون ذلك بأنفسهم وانما معناه ان فعل ذلك من جهتهم خاصة

وزنوا لهم فحذف الجار وأوصل الفعل كما قال

ولقد جنيتك أكمؤا وعساقلا * ولقد نهيتك عن بنات الأوبر

الحريص يصيدك لا الجواد بمعنى جنيت لك ويصيد لك وأن يكون على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه
مقامه والمضاف هو المكيل أو الموزون ولا يصح أن يكون ضميرا مرفوعا للمطففين لأن الكلام يخرج به إلى
نظم فاسد وذلك أن المعنى إذا أخذوا من الناس استوفوا وإذا أعطوهم أخسروا وإن جعلت الضمير للمطففين
انقلب إلى قولك إذا أخذوا من الناس استوفوا وإذا تولوا الكيل أو الوزن هم على الخصوص أخسروا وهو
كلام متنافر لأن الحديث واقع في الفعل لا في المباشر والتعلق في إبطاله بخط المصحف وأن الألف التي تكتب
بعد واو الجمع غير ثابتة فيه ركيك لأن خط المصحف لم يراع في كثير منه حد المصطلح عليه في علم الخط على أني
رأيت في الكتب المخطوطة بأيدي الأئمة المتقنين هذه الألف مرفوضة لكونها غير ثابتة في اللفظ والمعنى
جميعا لأن الواو وحدها معطية معنى الجمع وإنما كتبت هذه الألف تفرقة بين واو الجمع وغيرها في نحو قولك
هم لم يدعوا وهو يدعو فمن لم يثبتها قال المعنى كاف في التفرقة بينهما وعن عيسى بن عمر وحمزة أنهما كانا
يرتكبان ذلك أي يجعلان الضميرين للمطففين ويقفان عند الواوين وقيفة يبينان بها ما أرادا (فإن قلت)
هلا قيل أو اتزنوا كما قيل أو وزنوهم (قلت) كأن المطففين كانوا لا يأخذون ما يكال ويوزن إلا بالمكاييل دون
الموازين لتمكنهم بالاكتيال من الاستيفاء والسرقة لأنهم يدعدعون ويحتالون في الملء وإذا أعطوا كالوا
أو وزنوا لتمكنهم من البخس في النوعين جميعا (يخسرون) ينقصون يقال خسر الميزان وأخسره (ألا يظن)
إنكار وتعجيب عظيم من حالهم في الاجتراء على التطفيف كأنهم لا يخطرون ببالهم ولا يخمنون تخمينا (أنهم
مبعوثون) ومحاسبون على مقدار الذرة والخردلة وعن قتادة أوف يا ابن آدم كما تحب أن يوفى لك واعدل كما
تحب أن يعدل لك وعن الفضيل بخس الميزان سواد الوجه يوم القيامة وعن عبد الملك بن مروان أن أعرابيا
قال له قد سمعت ما قال الله في المطففين أراد بذلك أن المطفف قد توجه عليه الوعيد العظيم الذي سمعت به
فما ظنك بنفسك وأنت تأخذ أموال المسلمين بلا كيل ولا وزن وفي هذا الإنكار والتعجيب وكلمة الظن
ووصف اليوم بالعظم وقيام الناس فيه لله خاضعين ووصفه ذاته برب العالمين بيان بليغ لعظم الذنب وتفاقم
الإثم في التطفيف وفيما كان في مثل حاله من الحيف وترك القيام بالقسط والعمل على السوية والعدل في كل
أخذ وإعطاء بل في كل قول وعمل وقيل الظن بمعنى اليقين والوجه ما ذكر * ونصب (يوم يقوم) بمبعوثون
وقرئ بالجر بدلا من يوم عظيم وعن ابن عمر أنه قرأ هذه السورة فلما بلغ قوله يوم يقوم الناس لرب العالمين
بكى نحيبا وامتنع من قراءة ما بعده (كلا) ردعهم عما كانوا عليه من التطفيف والغفلة عن ذكر البعث
والحساب ونبههم على أنه مما يجب أن يتاب عنه ويندم عليه ثم أتبعه وعيد الفجار على العموم * وكتاب الفجار
ما يكتب من أعمالهم (فإن قلت) قد أخبر الله عن كتاب الفجار بأنه في سجين وفسر سجينا بكتاب مرقوم
فكأنه قيل إن كتابهم في كتاب مرقوم فما معناه (قلت) سجين كتاب جامع هو ديوان الشر دون الله فيه أعمال
الشياطين وأعمال الكفرة والفسقة من الجن والإنس وهو كتاب مرقوم مسطور بين الكتابة أو معلم يعلم
من رآه أنه لا خير فيه فالمعنى أن ما كتب من أعمال الفجار مثبت في ذلك الديوان وسمي سجينا فعيلا من
السجن وهو الحبس والتضييق لأنه سبب الحبس والتضييق في جهنم أو لأنه مطروح كما روي تحت الأرض
السابعة في مكان وحش مظلم وهو مسكن إبليس وذريته استهانة به وإذالة وليشهده الشياطين المدحورون
كما يشهد ديوان الخير الملائكة المقربون (فإن قلت) فما سجين أصفة هو أم اسم (قلت) بل هو اسم علم منقول
من وصف كحاتم وهو منصرف لأنه ليس فيه إلا سبب واحد وهو التعريف (الذين يكذبون) مما وصف به
للذم لا للبيان كقولك فعل ذلك فلان الفاسق الخبيث (كلا) ردع للمعتدي الأثيم عن قوله (ران على قلوبهم)
ركبها كما يركب الصدأ وغلب عليها وهو أن يصر على الكبائر ويسوف التوبة حتى يطبع على قلبه فلا يقبل
الخير ولا يميل إليه وعن الحسن الذنب بعد الذنب حتى يسود القلب يقال ران عليه الذنب وغان عليه رينا

يخسرون ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين كلا إن كتاب الفجار لفي سجين وما أدراك ما سجين كتاب مرقوم ويل يومئذ للمكذبين الذين يكذبون بيوم الدين وما يكذب به إلا كل معتد أثيم إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون

* عاد كلامه (قال) والتعلق في إبطال هذا بخط المصحف لعدم الألف بعد الواو ركيك الخ

* قوله تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون (قال فيه كونهم محجوبين عنه تمثيل الخ) قال أحمد هذا عند أهل السنة على ظاهره من أدلة الرؤية فان الله تعالى لما خص الفجار بالحجاب

كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم انهم لصالوا الجحيم ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون كلا ان كتاب الابرار لفي عليين وما أدراك ما عليون كتاب مرقوم يشهده المقربون ان الابرار لفي نعيم على الارائك ينظرون تعرف في وجوههم نضرة النعيم يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ومزاجه من تسنيم عينا يشرب بها المقربون ان الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون واذا مروا بهم يتغامزون واذا انقلبوا الى أهلهم انقلبوا فكهين واذا رأوهم قالوا ان هؤلاء لضالون وما أرسلوا عليهم حافظين فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون على الارائك ينظرون هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون

وغينا والغين الغيم ويقال ران فيه النوم رسخ فيه ورانت به الخمر ذهبت به وقرئ بادغام اللام في الراء وبالاظهار والادغام أجود وأميلت الالف وفخمت (كلا) ردع عن الكسب الرائن على قلوبهم * وكونهم محجوبين عنه تمثيل للاستخفاف بهم واهانتهم لانه لا يؤذن على الملوك الا للوجهاء المكرمين لديهم ولا يحجب عنهم الا الادنياء المهانون عندهم قال

اذا اعتروا باب ذي عبية رجبوا * والناس من بين مرجوب ومحجوب

وعن ابن عباس وقتادة وابن أبي مليكة محجوبين عن رحمته وعن ابن كيسان عن كرامته (كلا) ردع عن التكذيب * وكتاب الابرار ما كتب من أعمالهم * وعليون علم لديوان الخير الذي دون فيه كل ما عملته الملائكة وصلحاء الثقلين منقول من جمع على فعيل من العلو كسجين من السجن سمي بذلك اما لانه سبب الارتفاع الى أعالي الدرجات في الجنة واما لانه مرفوع في السماء السابعة حيث يسكن الكروبيون تكريما له وتعظيما وروى ان الملائكة لتصعد بعمل العبد فيستقلونه فاذا انتهوا به الى ما شاء الله من سلطانه أوحى اليهم أنتم الحفظة على عبدي وأنا الرقيب على ما في قلبه وانه أخلص عمله فاجعلوه في عليين فقد غفرت له وانها لتصعد بعمل العبد فيزكونه فاذا انتهوا به الى ما شاء الله أوحى اليهم أنتم الحفظة على عبدي وأنا الرقيب على ما في قلبه وانه لم يخلص لي عمله فاجعلوه في سجين (الارائك) الاسرة في الحجال (ينظرون) الى ما شاؤا مد أعينهم اليه من مناظر الجنة والى ما أولاهم الله من النعمة والكرامة والى أعدائهم يعذبون في النار وما تحجب الحجال أبصارهم عن الادراك (نضرة النعيم) بهجة التنعم وماءه ورونقه كما ترى في وجوه الاغنياء وأهل الترفه وقرئ تعرف على البناء للمفعول ونضرة النعيم بالرفع * الرحيق الشراب الخالص الذي لا غش فيه (مختوم) تختم أوانيه من الاكواب والاباريق بمسك مكان الطينة وقيل (ختامه مسك) مقطعه رائحة مسك اذا شرب وقيل يمزج بالكافور ويختم مزاجه بالمسك وقرئ خاتمه بفتح التاء وكسرها أي ما يختم به ويقطع (فليتنافس المتنافسون) فليرتغب المرتغبون (تسنيم) علم لعين بعينها سميت بالتسنيم الذي هو مصدر سنمه اذا رفعه اما لانها أرفع شراب في الجنة واما لانها تأتيهم من فوق على ما روى أنها تجري في الهواء متسنمة فتنصب في أوانيهم * و(عينا) نصب على المدح وقال الزجاج نصب على الحال وقيل هي للمقربين يشربونها صرفا وتمزج لسائر أهل الجنة * هم مشركو مكة أبو جهل والوليد بن المغيرة والعاص بن وائل وأشياعهم كانوا يضحكون من عمار وصهيب وخباب وبلال وغيرهم من فقراء المؤمنين ويستهزؤن بهم * وقيل جاء علي بن أبي طالب رضي الله عنه في نفر من المسلمين فسخر منهم المنافقون وضحكوا وتغامزوا ثم رجعوا الى أصحابهم فقالوا رأينا اليوم الاصلع فضحكوا منه فنزلت قبل أن يصل علي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم (يتغامزون) يغمز بعضهم بعضا ويشيرون بأعينهم (فكهين) ملتذين بذكرهم والسخرية منهم أي ينسبون المسلمين الى الضلال (وما أرسلوا) على المسلمين (حافظين) موكلين بهم يحفظون عليهم أحوالهم ويهيمنون على أعمالهم ويشهدون برشدهم وضلالهم وهذا تهكم بهم أو هو من جملة قول الكفار وأنهم اذا رأوا المسلمين قالوا ان هؤلاء لضالون وانهم لم يرسلوا عليهم حافظين انكارا لصدهم اياهم عن الشرك ودعائهم الى الاسلام وجدهم في ذلك (على الارائك ينظرون) حال من يضحكون أي يضحكون منهم ناظرين اليهم والى ما هم فيه من الهوان والصغار بعد العزة والكبر ومن ألوان العذاب بعد النعيم والترفه وهم على الارائك آمنون وقيل يفتح للكفار باب الى الجنة فيقال لهم اخرجوا اليها فاذا وصلوا اليها أغلق دونهم يفعل ذلك بهم مرارا فيضحك المؤمنون منهم * ثوبه وأثابه بمعنى اذا جازاه قال أوس

سأجزيك أو يجزيك عني مثوب * وحسبك أن يثني عليك وتحمدي

وقرئ بادغام اللام في الثاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المطففين سقاه الله من الرحيق المختوم يوم القيامة

دل على ان المؤمنين الابرار مرفوع عنهم الحجاب ولا معنى لرفع الحجاب الا الادراك بالعين والا فالحجاب على الله تعالى بغير هذا التفسير محال هذا هو الحق وما بعد الحق الا الضلال وما أرى من يجحد الرؤية المدلول عليها بقواطع الكتاب والسنة يحظى بها والله المسؤل في العصمة

﴿سورة انشقت مكية وهي خمس وعشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

حذف جواب إذا ليذهب المقدر كل مذهب أو اكتفاء بما علم في مثلها من سورتي التكوير والانفطار وقيل جوابها ما دل عليه فملاقيه أي إذا السماء انشقت لاقى الإنسان كدحه ومعناه إذا انشقت بالغمام كقوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام وعن علي رضي الله عنه تنشق من المجرة * أذن له استمع له ومنه قوله عليه السلام ما أذن الله لشيء كأذنه لنبي يتغنى بالقرآن وقول جحاف بن حكيم أذنت لكم لما سمعت هريركم والمعنى أنها فعلت في انقيادها لله حين أراد انشقاقها فعل المطواع الذي إذا ورد عليه الأمر من جهة المطاع أنصت له وأذعن ولم يأب ولم يمتنع كقوله أتينا طائعين (وحقت) من قولك هو محقوق بكذا وحقيق به يعني وهي حقيقة بأن تنقاد ولا تمتنع ومعناه الإيذان بأن القادر الذات يجب أن يتأتى له كل مقدور ويحق ذلك (مدت) من مد الشيء فامتد وهو أن تزال جبالها وآكامها وكل أمت فيها حتى تمتد وتنبسط ويستوي ظاهرها كما قال تعالى قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا وعن ابن عباس رضي الله عنهما مدت مد الأديم العكاظي لأن الأديم إذا مد زال كل انثناء فيه وأمت واستوى أو من مده بمعنى أمده أي زيدت سعة وبسطة (وألقت ما فيها) ورمت بما في جوفها مما دفن فيها من الموتى والكنوز (وتخلت) وخلت غاية الخلو حتى لم يبق شيء في باطنها كأنها تكلفت أقصى جهدها في الخلو كما يقال تكرم الكريم وترحم الرحيم إذا بلغا جهدهما في الكرم والرحمة وتكلفا فوق ما في طبعهما (وأذنت لربها) في إلقاء ما في بطنها وتخليها * الكدح جهد النفس في العمل والكد فيه حتى يؤثر فيها من كدح جلده إذا خدشه ومعنى (كادح إلى ربك) جاهد إلى لقاء ربك وهو الموت وما بعده من الحال الممثلة باللقاء (فملاقيه) فملاق له لا محالة لا مفر لك منه وقيل الضمير في ملاقيه للكدح (يسيرا) سهلا هينا لا يناقش فيه ولا يعترض بما يسوءه ويشق عليه كما يناقش أصحاب الشمال وعن عائشة رضي الله عنها هو أن يعرف ذنوبه ثم يتجاوز عنه وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من يحاسب يعذب فقيل يا رسول الله فسوف يحاسب حسابا يسيرا قال ذلكم العرض من نوقش في الحساب عذب (إلى أهله) إلى عشيرته إن كانوا مؤمنين أو إلى فريق المؤمنين أو إلى أهله في الجنة من الحور العين (وراء ظهره) قيل تغل يمناه إلى عنقه وتجعل شماله وراء ظهره فيؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره وقيل تخلع يده اليسرى من وراء ظهره (يدعو ثبورا) يقول يا ثبوراه والثبور الهلاك * وقرئ ويصلى سعيرا كقوله وتصلية جحيم ويصلى بضم الياء والتخفيف كقوله ونصله جهنم (في أهله) فيما بين ظهرانيهم أو معهم على أنهم كانوا جميعا مسرورين يعني أنه كان في الدنيا مترفا بطرا مستبشرا كعادة الفجار الذين لا يهمهم أمر الآخرة ولا يفكرون في العواقب ولم يكن كئيبا حزينا متفكرا كعادة الصلحاء والمتقين وحكاية الله عنهم إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين (ظن أن لن يحور) لن يرجع إلى الله تعالى تكذيبا بالمعاد يقال لا يحور ولا يحول أي لا يرجع ولا يتغير قال لبيد * يحور رمادا بعد إذ هو ساطع * وعن ابن عباس ما كنت أدري ما معنى يحور حتى سمعت أعرابية تقول لبنية لها حوري أي ارجعي (بلى) إيجاب لما بعد النفي في لن يحور أي بلى ليحورن (إن ربه كان به بصيرا) وبأعماله لا ينساها ولا تخفى عليه فلا بد أن يرجعه ويجازيه عليها وقيل نزلت الآيتان في أبي سلمة ابن عبد الأشد وأخيه الأسود بن عبد الأشد * الشفق الحمرة التي ترى في المغرب بعد سقوط الشمس وبسقوطه يخرج وقت المغرب ويدخل وقت العتمة عند عامة العلماء إلا ما روي عن أبي حنيفة رضي الله عنه في إحدى الروايتين أنه البياض وروى أسد بن عمرو أنه رجع عنه سمي لرقته ومنه الشفقة على الإنسان رقة القلب عليه (وما وسق) وما جمع وضم يقال وسقه فاتسق واستوسق قال مستوسقات لو يجدن سائقا ونظيره في وقوع افتعل واستفعل مطاوعين اتسع واستوسع ومعناه وما جمعه وستره وآوى إليه من الدواب وغيرها (إذا اتسق) إذا اجتمع واستوى ليلة أربع عشرة * قرئ لتركبن على خطاب الإنسان في يا أيها الإنسان ولتركبن بالضم على خطاب الجنس لأن النداء للجنس ولتركبن بالكسر على خطاب النفس وليركبن بالياء على

﴿سورة الانشقاق مكية وهي خمس وعشرون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

إذا السماء انشقت وأذنت لربها وحقت وإذا الأرض مدت وألقت ما فيها وتخلت وأذنت لربها وحقت يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا وينقلب إلى أهله مسرورا وأما من أوتي كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثبورا ويصلى سعيرا إنه كان في أهله مسرورا إنه ظن أن لن يحور بلى إن ربه كان به بصيرا فلا أقسم بالشفق والليل وما وسق والقمر إذا اتسق

﴿القول في سورة الانشقاق﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* قوله تعالى وأذنت لربها وحقت (قال فيه معنى أذنت استمعت الخ) قال أحمد نص تفسير الآية بقوله القادر بالذات وماله لا يقول القادر الذي عمت قدرته الكائنات حتى لا كون إلا بقدرته حقيق أن يسمع له ويطاع فيثبت

﴿القول في سورة البروج﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) * قوله تعالى فعال لما يريد (قال فيه إنما قال فعال لأن ما يريد ويفعل في الكثرة) قال أحمد ما قدروا الله حق قدره هلا قال لأنه لا فاعل إلا هو وهل المخالف لذلك إلا مشرك وكم أراد الله تعالى (٥٣٦)
معتقد القدرية من فعل ما لم يفعله وهب أنا أطرحنا النظر في مقتضى مبالغة الصيغة أليس قد دل بقوله لما يريد على عموم فعله في جميع مراده فأرده إلى النصوص لا النكوص عن النصوص * عاد كلامه (قال) في قوله

ليبطش بهم إذ لم يشكروا نعمة الإبداء وكذبوا بالإعادة وقرئ يبدأ (الودود) الفاعل بأهل طاعته ما يفعله الودود من إعطائهم ما أرادوا * وقرئ ذي العرش صفة لربك * وقرئ المجيد بالجر صفة للعرش ومجد الله عظمته ومجد العرش علوه وعظمته (فعال) خبر مبتدأ محذوف وإنما قيل فعال لأن ما يريد ويفعل في غاية الكثرة (فرعون وثمود) بدل من الجنود وأراد بفرعون إياه وآله كما في قوله من فرعون وملئهم والمعنى قد عرفت تكذيب تلك الجنود للرسل وما نزل بهم لتكذيبهم (بل الذين كفروا) من قومك (في تكذيب) أي تكذيب واستيجاب للعذاب والله عالم بأحوالهم وقادر عليهم وهم لا يعجزونه * والإحاطة بهم من ورائهم مثل لأنهم لا يفوتونه كما لا يفوت فائت الشيء المحيط به * ومعنى الإضراب أن أمرهم أعجب من أمر أولئك لأنهم سمعوا بقصصهم وبما جرى عليهم ورأوا آثار هلاكهم ولم يعتبروا وكذبوا أشد من تكذيبهم (بل هو) أي بل هذا الذي كذبوا به (قرآن مجيد) شريف عالي الطبقة في الكتب وفي نظمه وإعجازه * وقرئ قرآن مجيد بالإضافة أي قرآن رب مجيد * وقرأ يحيى بن يعمر في لوح واللوح الهواء يعني اللوح فوق السماء السابعة الذي فيه اللوح (محفوظ) من وصول الشياطين إليه * وقرئ محفوظ بالرفع صفة للقرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة البروج أعطاه الله بعدد كل يوم جمعة وكل يوم عرفة يكون في الدنيا عشر حسنات

﴿سورة الطارق مكية وهي سبع عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(النجم الثاقب) المضيء كأنه يثقب الظلام بضوئه فينفذ فيه كما قيل درىء لأنه يدرؤه أي يدفعه ووصف بالطارق لأنه يبدو بالليل كما يقال للآتي ليلا طارق أو لأنه يطرق الجني أي يصكه والمراد جنس النجوم أو جنس الشهب التي يرجم بها (فإن قلت) ما يشبه قوله وما أدراك ما الطارق النجم الثاقب إلا ترجمة كلمة بأخرى فبين لي أي فائدة تحته (قلت) أراد الله عز من قائل أن يقسم بالنجم الثاقب تعظيما له لما عرف فيه من عجيب القدرة ولطيف الحكمة وأن ينبه على ذلك فجاء بما هو صفة مشتركة بينه وبين غيره وهو الطارق ثم قال وما أدراك ما الطارق ثم فسره بقوله النجم الثاقب كل هذا إظهار لفخامة شأنه كما قال فلا أقسم بمواقع النجوم وإنه لقسم لو تعلمون عظيم * روي أن أبا طالب كان عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فانحط نجم فامتلأ ما ثم نورا فجزع أبو طالب وقال أي شيء هذا فقال عليه السلام هذا نجم رمي به وهو آية من آيات الله فعجب أبو طالب فنزلت (فإن قلت) ما جواب القسم (قلت) (إن كل نفس لما عليها حافظ) لأن إن لا تخلو فيمن قرأ لما مشددة بمعنى إلا أن تكون نافية وفيمن قرأها مخففة على أن ما صلة أن تكون مخففة من الثقيلة وأيتهما كانت فهي مما يتلقى به القسم حافظ مهيمن عليها رقيب وهو الله عز وجل وكان الله على كل شيء رقيبا وكان الله على كل شيء مقيتا وقيل ملك يحفظ عملها ويحصي عليها ما تكسب من خير وشر وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم وكل بالمؤمن مائة وستون ملكا يذبون عنه كما يذب عن قصعة العسل الذباب ولو وكل العبد إلى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين (فإن قلت) ما وجه اتصال قوله (فلينظر) بما قبله (قلت) وجه اتصاله به أنه لما ذكر أن على كل نفس حافظا أتبعه توصية الإنسان بالنظر في أول أمره ونشأته الأولى حتى يعلم أن من أنشأه قادر على إعادته وجزائه فيعمل ليوم الإعادة والجزاء ولا يملي على حافظه إلا ما يسره في عاقبته (مم خلق) استفهام جوابه (خلق من ماء دافق) والدفق صب فيه دفع ومعنى دافق النسبة إلى الدفق الذي هو مصدر دفق كاللابن والتامر أو الإسناد المجازي والدفق في الحقيقة لصاحبه ولم يقل ماءين لامتزاجهما في الرحم

الودود ذو العرش المجيد فعال لما يريد هل أتاك حديث الجنود فرعون وثمود بل الذين كفروا في تكذيب والله من ورائهم محيط بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ

﴿سورة الطارق مكية وهي سبع عشرة آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

والسماء والطارق وما أدراك ما الطارق النجم الثاقب إن كل نفس لما عليها حافظ فليظر الإنسان مم خلق خلق من ماء دافق يخرج

تعالى هل أتاك حديث الجنود الخ معناه قد عرفت تكذيب تلك الجنود للرسل الخ

(القول في سورة الطارق)

(بسم الله الرحمن الرحيم) قوله تعالى والسماء والطارق وما أدراك ما الطارق النجم الثاقب (قال) الثاقب المضيء كأنه يثقب الظلام بضوئه فينفذ فيه الخ

وامتزاجهما

اذ هو أصل ابتدئ في خلقه (من بين الصلب والترائب) من بين صلب الرجل وترائب المرأة وهي عظام
الصدر حيث تكون القلادة وقرئ الصلب بفتحتين والصلب بضمتين وفيه أربع لغات صلب وصلب وصلب
وصالب قال العجاج * في صلب مثل العنان المؤدم * وقيل العظم والعصب من الرجل واللحم والدم من
المرأة (انه) الضمير للخالق لدلالة خلق عليه ومعناه أن ذلك الذي خلق الانسان ابتداء من نطفة (على رجعه)
على اعادته خصوصا (لقادر) لبين القدرة لا يلتاث عليه ولا يعجز عنه كقوله انني لفقير (يوم تبلى) منصوب
برجعه ومن جعل الضمير في رجعه للماء وفسره برجعه الى مخرجه من الصلب والترائب أو الاحليل أو الى
الحالة الاولى نصب الظرف بمضمر (السرائر) ما أسر في القلوب من العقائد والنيات وغيرها وما أخفي من
الاعمال وبلاؤها تعرفها وتصفحها والتمييز بين ما طاب منها وما خبث وعن الحسن أنه سمع رجلا ينشد

سيبقى لها في مضمر القلب والحشا * سريرة ود يوم تبلى السرائر

فقال ما أغفله عما في والسماء والطارق (فما له) فما للانسان (من قوة) من منعة في نفسه يمتنع بها
(ولا ناصر) ولا مانع يمنعه * سمي المطر رجعا كما سمي أوبا قال

ربّاء شماء لا يأوي لقلتها * الا السحاب والا الأوب والسبل

تسمية بمصدري رجع وآب وذلك أن العرب كانوا يزعمون أن السحاب يحمل الماء من بحار الارض ثم يرجعه
الى الارض أو أرادوا التفاؤل فسموه رجعا وأوبا ليرجع ويؤوب وقيل لان الله يرجعه وقتا فوقتا قالت الخنساء
كالرجع في المدجنة السارية * والصدع ما يتصدع عنه الارض من النبات (انه) الضمير للقرآن (فصل)
فاصل بين الحق والباطل كما قيل له فرقان (وما هو بالهزل) يعني انه جد كله لا هوادة فيه ومن حقه وقد وصفه
الله بذلك أن يكون مهيبا في الصدور معظما في القلوب يترفع به قارئه وسامعه أن يلم بهزل أو يتفكه بمزاح
وأن يلقي ذهنه الى أن جبار السموات يخاطبه فيأمره وينهاه ويعده ويوعده حتى ان لم يستفزه الخوف
ولم تتبالغ فيه الخشية فأدنى أمره أن يكون جادا غير هازل فقد نعى الله ذلك على المشركين في قوله وتضحكون
ولا تبكون وأنتم سامدون والغوا فيه (انهم) يعني أهل مكة يعملون المكايد في ابطال أمر الله واطفاء نور
الحق وأنا أقابلهم بكيدي من استدراجي لهم وانتظاري بهم الميقات الذي وقته للانتصار منهم (فمهل
الكافرين) يعني لا تدع بهلاكهم ولا تستعجل به (أمهلهم رويدا) أي امهالا يسيرا وكرر وخالف بين
اللفظين لزيادة التسكين منه والتصبير * عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الطارق أعطاه الله
بعدد كل نجم في السماء عشر حسنات

(سورة سبح اسم ربك الاعلى مكية وهي تسع عشرة آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

تسبيح اسمه عز وعلا تنزيهه عما لا يصح فيه من المعاني التي هي الحاد في أسمائه كالجبر والتشبيه ونحو ذلك
مثل أن يفسر الاعلى بمعنى العلو الذي هو القهر والاقتدار لا بمعنى العلو في المكان والاستواء على العرش
حقيقة وأن يصان عن الابتذال والذكر لا على وجه الخشوع والتعظيم * ويجوز أن يكون الاعلى صفة للرب
والاسم * وقرأ علي رضي الله عنه سبحان ربي الاعلى * وفي الحديث لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلوها في ركوعكم فلما نزل سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها في سجودكم وكانوا
يقولون في الركوع اللهم لك ركعت وفي السجود اللهم لك سجدت (خلق فسوى) أي خلق كل شيء فسوى
خلقه تسوية ولم يأت به متفاوتا غير ملتئم ولكن على احكام واتساق ودلالة على أنه صادر عن عالم وأنه صنعة
حكيم (قدر فهدى) قدر لكل حيوان ما يصلحه فهداه اليه وعرفه وجه الانتفاع به يحكى أن الافعى اذا أتت
عليها ألف سنة عميت وقد ألهمها الله أن مسح العين بورق الرازيانج الغض يرد اليها بصرها فربما كانت في برية
بينها وبين الريف مسيرة أيام فتطوي تلك المسافة على طولها وعلى عماها حتى تهجم في بعض البساتين على

من بين الصلب والترائب انه على رجعه لقادر يوم تبلى السرائر فما له من قوة ولا ناصر والسماء ذات الرجع والارض ذات الصدع انه لقول فصل وما هو بالهزل انهم يكيدون كيدا وأكيد كيدا فمهل الكافرين أمهلهم رويدا

(سورة سبح مكية وهي تسع عشرة آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

سبح اسم ربك الاعلى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى

﴿القول في سورة الأعلى﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) * قوله تعالى أخرج المرعى فجعله غثاء أحوى (قال) فيه وجهان أحدهما أن أحوى

صفة لغثاء أي جعله بعد خضرته ورقيقه غثاء أحوى الخ * قوله تعالى ويتجنبها الأشقى الذي يصلى النار الكبرى (قال

الكافر لأنه أشقى من الفاسق والنار الكبرى السفلى من أطباق النار) قال أحمد دخيل أن يتساوى الفاسق مع الكافر في أسافل النار والفاسق أعلى منه كما تقدم له التصريح بذلك كثيرا * عاد كلامه قال وقوله لا يموت فيها ولا يحيى لأن الترجح بين الحياة

والذي أخرج المرعى فجعله غثاء أحوى سنقرئك فلا تنسى إلا ما شاء الله إنه يعلم الجهر وما يخفى ونيسرك لليسرى فذكر إن نفعت الذكرى سيذكر من يخشى ويتجنبها الأشقى الذي يصلى النار الكبرى ثم لا يموت فيها ولا يحيى قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى

والموت أفظع من الصلي الخ * قوله تعالى قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى (نقل عن علي أنه قال هو التصدق بصدقة الفطر وقال لا أبالي أن لا أجد في كتابي غيرها الخ) قال أحمد في نائق هذين المكانين الآخرين من الآية تكلف أما الأول فلأن العطف وإن اقتضى المغايرة فيقال بوجهها فمن إن قلنا إن تكبيرة الإحرام جزء من الصلاة فالجزء مغاير للكل فلا غرو أن يعطف عليه والمغايرة مع الجزئية ثابتة والحالة هذه وأما الثاني فلأن الاسم معرف بالإضافة وتعريف الإضافة عهدي عند محققي الفن حتى أن القائل إذا قال جاءني غلام زيد وله غلامان فإنما يفهم من قوله معينا منهم بسابق

شجرة الزرائج لا تخطئها فتكحل بها عينيها وترجع باصرة بإذن الله وهدايات الله للإنسان إلى ما لا يحد من مصالحه وما لا يحصر من حوائجه في أغذيته وأدويته وفي أبواب دنياه ودينه وإلهامات البهائم والطيور وهوام الأرض باب واسع وشوط بطين لا يحيط به وصف واصف فسبحان ربي الأعلى * وقرئ قدر بالتخفيف * أحوى صفة لغثاء أي (أخرج المرعى) أنبته (فجعله) بعد خضرته ورفيفه (غثاء أحوى) دريناً أسود ويجوز أن يكون أحوى حالاً من المرعى أي أخرجه أحوى أسود من شدة الخضرة والري فجعله غثاء بعد حويه * بشره الله بإعطاء آية بينة وهي أن يقرأ عليه جبريل ما يقرأ عليه من الوحي وهو أمي لا يكتب ولا يقرأ فيحفظه ولا ينساه (إلا ما شاء الله) فذهب به عن حفظه برفع حكمه وتلاوته كقوله أو ننسها وقيل كان يعجل بالقراءة إذا لقنه جبريل فقيل لا تعجل فإن جبريل مأمور بأن يقرأه عليك قراءة مكررة إلى أن تحفظه لا تنساه إلا ما شاء الله ثم تذكره بعد النسيان أو قال إلا ما شاء الله يعني القلة والندرة كما روي أنه أسقط آية في قراءته في الصلاة فحسب أبي أنها نسخت فسأله فقال نسيتها أو قال إلا ما شاء الله والغرض نفي النسيان رأساً كما يقول الرجل لصاحبه أنت سهيمي فيما أملك إلا فيما شاء الله ولا يقصد استثناء شيء وهو من استعمال القلة في معنى النفي وقيل قوله فلا تنسى على النهي والألف مزيدة للفاصلة كقوله السبيلا يعني فلا تغفل قراءته وتكريره فتنساه إلا ما شاء الله أن ينسيكه برفع تلاوته للمصلحة (إنه يعلم الجهر) يعني أنك تجهر بالقراءة مع قراءة جبريل عليه السلام مخافة التفلت والله يعلم جهرك معه وما في نفسك مما يدعوك إلى الجهر فلا تفعل فأنا أكفيك ما تخافه أو يعلم ما أسررتم وما أعلنتم من أقوالكم وأفعالكم وما ظهر وبطن من أحوالكم وما هو مصلحة لكم في دينكم ومفسدة فيه فينسي من الوحي ما يشاء ويترك محفوظاً ما يشاء (ونيسرك لليسرى) معطوف على سنقرئك وقوله إنه يعلم الجهر وما يخفى اعتراض ومعناه ونوفقك للطريقة التي هي أيسر وأسهل يعني حفظ الوحي وقيل للشريعة السمحة التي هي أيسر الشرائع وأسهلها مأخذا وقيل نوفقك لعمل الجنة (فإن قلت) كان الرسول صلى الله عليه وسلم مأموراً بالذكرى نفعت أو لم تنفع فما معنى اشتراط النفع (قلت) هو على وجهين أحدهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استفرغ مجهوده في تذكيرهم وما كانوا يزيدون على زيادة الذكرى إلا عتواً وطغياناً وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتلظى حسرة وتلهفاً ويزداد جداً في تذكيرهم وحرصاً عليه فقيل له وما أنت عليهم بجبار فذكر بالقرآن من يخاف وعيد وأعرض عنهم وقل سلام وذكر إن نفعت الذكرى وذلك بعد إلزام الحجة بتكرير التذكير والثاني أن يكون ظاهره شرطاً ومعناه ذماً للمذكرين وإخباراً عن حالهم واستبعاداً لتأثير الذكرى فيهم وتسجيلاً عليهم بالطبع على قلوبهم كما تقول للواعظ عظ المكاسين إن سمعوا منك قاصداً بهذا الشرط استبعاد ذلك وأنه لن يكون (سيذكر) فيقبل التذكرة وينتفع بها (من يخشى) الله وسوء العاقبة فينظر ويفكر حتى يقوده النظر إلى اتباع الحق فأما هؤلاء فغير خاشين ولا ناظرين فلا تأمل أن يقبلوا منك (ويتجنبها) ويتجنب الذكرى ويتحاماها (الأشقى) الكافر لأنه أشقى من الفاسق أو الذي هو أشقى الكفرة لتوغله في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة (النار الكبرى) السفلى من أطباق النار وقيل الكبرى نار جهنم والصغرى نار الدنيا * وقيل (ثم) لأن الترجح بين الحياة والموت أفظع من الصلي فهو متراخ عنه في مراتب الشدة والمعنى لا يموت فيستريح ولا يحيى حياة تنفعه (تزكى) تطهر من الشرك والمعاصي أو تطهر للصلاة أو تكثر من التقوى من الزكاة وهو النماء أو تفعل من الزكاة كتصدق من الصدقة (فصلى) أي الصلوات الخمس نحو قوله وأقام الصلاة وآتى الزكاة وعن ابن مسعود رحم الله امرأ تصدق وصلى وعن علي رضي الله عنه

تصدق بصدقة الفطر وقال لا أبالي أن لا أجد في كتابي غيرها لقوله قد أفلح من تزكى أي أعطى زكاة الفطر فتوجه الى المصلى فصلى صلاة العيد وذكر اسم ربه فكبر تكبيرة الافتتاح وبه يحتج على وجوب تكبيرة الافتتاح وعلى أنها ليست من الصلاة لان الصلاة معطوفة عليها وعلى أن الافتتاح جائز بكل اسم من أسمائه عز وجل وعن ابن عباس رضي الله عنه ذكر معاده وموقفه بين يدي ربه فصلى له وعن الضحاك وذكر اسم ربه في طريق المصلى فصلى صلاة العيد (بل تؤثرون الحياة الدنيا) فلا تفعلون ما تفلحون به وقرئ يؤثرون على الغيبة ويعضد الاولى قراءة ابن مسعود بل أنتم تؤثرون (خير وأبقى) أفضل في نفسها وأنعم وأدوم وعن عمر رضي الله عنه ما الدنيا في الآخرة الا كنفجة أرنب (هذا) اشارة الى قوله قد أفلح الى أبقى يعني أن معنى هذا الكلام وارد في تلك الصحف وقيل الى ما في السورة كلها وروي عن أبي ذر رضي الله عنه أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم كم أنزل الله من كتاب فقال مائة وأربعة كتب منها على آدم عشر صحف وعلى شيث خمسون صحيفة وعلى أخنوخ وهو ادريس ثلاثون صحيفة وعلى ابراهيم عشر صحائف والتوراة والانجيل والزبور والفرقان وقيل ان في صحف ابراهيم ينبغي للعاقل أن يكون حافظا للسانه عارفا بزمانه مقبلا على شأنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الاعلى أعطاه الله عشر حسنات بعدد كل حرف أنزله الله تعالى على ابراهيم وموسى ومحمد وكان اذا قرأها قال سبحان ربي الاعلى وكان علي وابن عباس يقولان ذلك وكان يحبها وقال أول من قال سبحان ربي الاعلى ميكائيل

﴿سورة الغاشية مكية وهي ست وعشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* الغاشية الداهية التي تغشى الناس بشدائدها وتلبسهم أهوالها يعني القيامة من قوله يوم يغشاهم العذاب وقيل النار من قوله وتغشى وجوههم النار ومن فوقهم غواش (يومئذ) يوم اذ غشيت (خاشعة) ذليلة (عاملة ناصبة) تعمل في النار عملا تتعب فيه وهو جرها السلاسل والاغلال وخوضها في النار كما تخوض الابل في الوحل وارتقاؤها دائبة في صعود من نار وهبوطها في حدور منها وقيل عملت في الدنيا أعمال السوء والتذت بها وتنعمت فهي في نصب منها في الآخرة وقيل عملت ونصبت في أعمال لا تجدي عليها في الآخرة من قوله وقدمنا الى ما عملوا من عمل وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا أولئك الذين حبطت أعمالهم وقيل هم أصحاب الصوامع ومعناه أنها خشعت لله وعملت ونصبت في أعمالها من الصوم الدائب والتهجد الواصب وقرئ عاملة ناصبة على الشتم * قرئ تصلى بفتح التاء وتصلى بضمها وتصلى بالتشديد وقيل المصلى عند العرب أن يحفروا حفيرا فيجمعوا فيه جمرا كثيرا ثم يعمدوا الى شاة فيدسوها وسطه فأما ما يشوى فوق الجمر أو على المقلى أو في التنور فلا يسمى مصليا (آنية) متناهية في الحر كقوله وبين حميم آن * الضريع يبيس الشبرق وهو جنس من الشوك ترعاه الابل ما دام رطبا فاذا يبس تحامته الابل وهو سم قاتل قال أبو ذؤيب

رعى الشبرق الريان حتى اذا ذوى * وعاد ضريعا بان عنه النحائص

وقال

وحبسن في هزم الضريع فكلها * حدباء دامية اليدين حرود

(فان قلت) كيف قيل (ليس لهم طعام الا من ضريع) وفي الحاقة ولا طعام الا من غسلين (قلت) العذاب ألوان والمعذبون طبقات فمنهم أكلة الزقوم ومنهم أكلة الغسلين ومنهم أكلة الضريع لكل باب منهم جزء مقسوم (لا يسمن) مرفوع المحل أو مجروره على وصف طعام أو ضريع يعني أن طعامهم من شئ ليس من مطاعم الانس وانما هو شوك والشوك مما ترعاه الابل وتتولع به وهذا نوع منه تنفر عنه ولا تقربه ومنفعتا

لو ... بينه هذا مع تعريف الاضافة والمعهود في افتتاح الصلاة انما اشتهر النبي صلى الله عليه وسلم على العمل به قولا وفعلا وهو التكبير المعروف ولو قدرنا على انه في الآية مطلق فالحصر في قوله تحريمها التكبير يقيد اطلاقه * عاد كلامه (ونقل) عن الضحاك أن المراد ذكر الله بالتكبير في طريق المصلى يصلي صلاة العيد

﴿القول في سورة الغاشية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* قوله تعالى هل أتاك حديث الغاشية وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة (قال فيه معناه بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى ان هذا لفي الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى

﴿سورة الغاشية مكية وهي ست وعشرون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

هل أتاك حديث الغاشية وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة تصلى نارا حامية تسقى من عين آنية ليس لهم طعام الا من ضريع لا يسمن ولا يغني من جوع وجوه يومئذ

ذليلة تعمل في النار عملا تتعب فيه وهو جرها السلاسل الخ) قال أحمد الوجه الاول متعين لان الظرف المذكور وهو قوله يومئذ مقطوع عن الجملة المضاف اليها تقديرها يوم اذ غشيت وذلك في الآخرة بلا اشكال وهو ظرف لجميع الصفات المخبر بها أعني خاشعة عاملة ناصبة فكيف يتناول أعمال الدنيا * عاد كلامه * قوله تعالى ليس لهم طعام الا من ضريع لا يسمن ولا يغني من جوع (قال فيه الضريع يبيس الشبرق وهو جنس

الغذاء منتفيتان عنه وهما اماطة الجوع وافادة القوة والسمن في البدن أو أريد أن لا طعام لهم أصلا لان الضريع ليس بطعام للبهائم فضلا عن الانس لان الطعام ما أشبع أو أسمن وهو منهما بمعزل كما تقول ليس لفلان ظل الا الشمس تريد نفي الظل على التوكيد وقيل قالت كفار قريش ان الضريع لتسمن عليه ابلنا فنزلت لا يسمن فلا يخلو اما أن يتكذبوا ويتعنتوا بذلك وهو الظاهر فيرد قولهم بنفي السمن والشبع واما أن يصدقوا فيكون المعنى أن طعامهم من ضريع ليس من جنس ضريعكم انما هو من ضريع غير مسمن ولا مغن من جوع (ناعمة) ذات بهجة وحسن كقوله تعرف في وجوههم نضرة النعيم أو متنعمة (لسعيها راضية) رضيت بعملها لما رأت ما أداهم اليه من الكرامة والثواب (عالية) من علو المكان أو المقدار (لا تسمع) يا مخاطب أو الوجوه (لاغية) أي لغوا أو كلمة ذات لغو أو نفسا تلغو فلا يتكلم أهل الجنة الا بالحكمة وحمد الله على ما رزقهم من النعيم الدائم * وقرئ لا تسمع على البناء للمفعول بالتاء والياء (فيها عين جارية) يريد عيونا في غاية الكثرة كقوله علمت نفس (مرفوعة) من رفعة المقدار أو السمك ليرى المؤمن بجلوسه عليها جميع ما خوله ربه من الملك والنعيم وقيل مخبوءة لهم من رفع الشيء اذا خبأه (موضوعة) كلما أرادوها وجدوها موضوعة بين أيديهم عتيدة حاضرة لا يحتاجون الى أن يدعوا بها أو موضوعة على حافات العيون معدة للشرب ويجوز أن يراد موضوعة عن حد الكبار أوساط بين الصغر والكبر كقوله قدروها تقديرا (مصفوفة) بعضها الى جنب بعض مساند ومطارح أينما أراد أن يجلس جلس على مسورة واستند الى أخرى (وزرابي) وبسط عراض فاخرة وقيل هي الطنافس التي لها خمل رقيق جمع زربية (مبثوثة) مبسوطة أو مفرقة في المجالس (أفلا ينظرون الى الابل) نظر اعتبار (كيف خلقت) خلقا بديعا دالا على تقدير مقدرها شاهدا بتدبير مدبرها حيث خلقها للنهوض بالاثقال وجرها الى البلاد الشاحطة فجعلها تبرك حتى تحمل عن قرب وتنهض بما حملت وسخرها منقادة لكل من اقتادها بأزمتها لا تعاز ضعيفا ولا تمانع صغيرا وبرأها طوال الاعناق لتنوء بالاوقار وعن بعض الحكماء أنه حدث عن البعير وبديع خلقه وقد نشأ في بلاد لا ابل بها ففكر ثم قال يوشك أن تكون طوال الاعناق وحين أراد بها أن تكون سفائن البر صبرها على احتمال العطش حتى ان أظماءها لترتفع الى العشر فصاعدا وجعلها ترعى كل شيء نابت في البراري والمفاوز مما لا يرعاه سائر البهائم وعن سعيد بن جبير قال لقيت شريحا القاضي فقلت أين تريد قال أريد الكناسة قلت وما تصنع بها قال أنظر الى الابل كيف خلقت (فان قلت) كيف حسن ذكر الابل مع السماء والجبال والارض ولا مناسبة (قلت) قد انتظم هذه الاشياء نظر العرب في أوديتهم وبواديهم فانتظمها الذكر على حسب ما انتظمها نظرهم ولم يدع من زعم أن الابل السحاب الى قوله الا طلب المناسبة ولعله لم يرد أن الابل من أسماء السحاب كالغمام والمزن والرباب والغيم والغين وغير ذلك وانما رأى السحاب مشبها بالابل كثيرا في أشعارهم فجوز أن يراد بها السحاب على طريق التشبيه والمجاز (كيف رفعت) رفعا بعيد المدى بلا امساك وبغير عمد (كيف نصبت) نصبا ثابتا فهي راسخة لا تميل ولا تزول (كيف سطحت) سطحا بتمهيد وتوطئة فهي مهاد للمتقلب عليها * وقرأ علي بن أبي طالب رضي الله عنه خلقت ورفعت ونصبت وسطحت على البناء للفاعل وتاء الضمير والتقدير فعلتها فحذف المفعول وعن هرون الرشيد أنه قرأ سطحت بالتشديد والمعنى أفلا ينظرون الى هذه المخلوقات الشاهدة على قدرة الخالق حتى لا ينكروا اقتداره على البعث فيسمعوا انذار الرسول صلى الله عليه وسلم ويؤمنوا به ويستعدوا للقائه * أي لا ينظرون فذكرهم ولا تلح عليهم ولا يهمنك أنهم لا ينظرون ولا يذكرون (انما أنت مذكر) كقوله ان عليك الا البلاغ (لست عليهم بمسيطر) بمتسلط كقوله وما أنت عليهم بجبار وقيل هو في لغة تميم مفتوح الطاء على أن سيطر متعد عندهم وقولهم تسيطر يدل عليه (الا من تولى) استثناء منقطع أي لست بمستول عليهم ولكن من تولى (وكفر) منهم فان لله الولاية والقهر فهو يعذبه (العذاب الاكبر) الذي هو عذاب جهنم وقيل هو استثناء من قوله فذكر أي فذكر الا من انقطع طمعك من ايمانه وتولى فاستحق العذاب الاكبر وما بينهما اعتراض وقرئ ألا من تولى على التنبيه وفي قراءة ابن مسعود فانه يعذبه

ناعمة لسعيها راضية في جنة عالية لا تسمع فيها لاغية فيها عين جارية فيها سرر مرفوعة وأكواب موضوعة ونمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت والى الجبال كيف نصبت والى الارض كيف سطحت فذكر انما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر الا من تولى وكفر فيعذبه الله العذاب الاكبر ان الينا ايابهم ثم ان علينا حسابهم

من الشوك ترعاه الابل ما دام رطبا الخ) قال أحمد في الوجه الاول [illegible]

وقرئ

وعن أبي جعفر المدني إيابهم بالتشديد ووجهه أن يكون فيعالا مصدر أيب فيعل من الإياب أو أن يكون فوعالا من أوب ثم قيل إيوابا كديوان في دوان ثم فعل به ما فعل بأصل سيد وميت (فإن قلت) ما معنى تقديم الظرف (قلت) معناه التشديد في الوعيد وأن إيابهم ليس إلا إلى الجبار المقتدر على الانتقام وأن حسابهم ليس بواجب إلا عليه وهو الذي يحاسب على النقير والقطمير ومعنى الوجوب الوجوب في الحكمة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الغاشية حاسبه الله حسابا يسيرا

﴿سورة الفجر مكية وهي تسع وعشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

أقسم بالفجر كما أقسم بالصبح في قوله والصبح إذا أسفر والصبح إذا تنفس وقيل بصلاة الفجر وأراد بالليالي العشر عشر ذي الحجة (فإن قلت) فما بالها منكرة من بين ما أقسم به (قلت) لأنها ليال مخصوصة من بين جنس الليالي العشر بعض منها أو مخصوصة بفضيلة ليست لغيرها (فإن قلت) فهلا عرفت بلام العهد لأنها ليال معلومة معهودة (قلت) لو فعل ذلك لم تستقل بمعنى الفضيلة الذي في التنكير ولأن الأحسن أن تكون اللامات متجانسة ليكون الكلام أبعد من الإلغاز والتعمية وبالشفع والوتر إما الأشياء كلها شفعها ووترها وإما شفع هذه الليالي ووترها ويجوز أن يكون شفعها يوم النحر ووترها يوم عرفة لأنه تاسع أيامها وذاك عاشرها وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه فسرهما بذلك وقد أكثروا في الشفع والوتر حتى كادوا يستوعبون أجناس ما يقعان فيه وذلك قليل الطائل جدير بالتلهي عنه وبعدما أقسم بالليالي المخصوصة أقسم بالليل على العموم (إذا يسر) إذا يمضي كقوله والليل إذ أدبر والليل إذا عسعس وقرئ والوتر بفتح الواو وهما لغتان كالحبر والحبر في العدد وفي الترة الكسر وحده وقرئ والوتر بفتح الواو وكسر التاء ورواها يونس عن أبي عمرو وقرئ والفجر والوتر ويسر بالتنوين وهو التنوين الذي يقع بدلا من حرف الإطلاق وعن ابن عباس وليال عشر بالإضافة يريد وليال أيام عشر ويسر بحذف في الدرج اكتفاء عنها بالكسرة وأما في الوقف فتحذف مع الكسرة وقيل معنى يسري يسرى فيه (هل في ذلك) أي فيما أقسمت به من هذه الأشياء (قسم) أي مقسم به (لذي حجر) يريد هل يحق عنده أن تعظم بالإقسام بها أو هل في إقسامي بها إقسام لذي حجر أي هل هو قسم عظيم يؤكد بمثله المقسم عليه والحجر العقل لأنه يحجر عن التهافت فيما لا ينبغي كما سمي عقلا ونهية لأنه يعقل وينهى وحصاة من الإحصاء وهو الضبط وقال الفراء يقال إنه لذو حجر إذا كان قاهرا لنفسه ضابطا لها والمقسم عليه محذوف وهو ليعذبن يدل عليه قوله ألم تر إلى قوله فصب عليهم ربك سوط عذاب * قيل لعقب عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح عاد كما يقال لبني هاشم هاشم ثم قيل للأولين منهم عاد الأولى وإرم تسمية لهم باسم جدهم ولمن بعدهم عاد الأخيرة قال ابن الرقيات

مجدا تليدا بناه أوله * أدرك عادا وقبلها إرما

(إرم) في قوله (بعاد إرم) عطف بيان لعاد وإيذان بأنهم عاد الأولى القديمة وقيل إرم بلدتهم وأرضهم التي كانوا فيها ويدل عليه قراءة ابن الزبير بعاد إرم على الإضافة وتقديره بعاد أهل إرم كقوله واسأل القرية ولم تنصرف قبيلة كانت أو أرضا للتعريف والتأنيث وقرأ الحسن بعاد إرم مفتوحتين وقرئ بعاد إرم بسكون الراء على التخفيف كما قرئ بورقكم وقرئ بعاد إرم ذات العماد بإضافة إرم إلى ذات العماد والإرم العلم يعني بعاد أهل أعلام ذات العماد و(ذات العماد) اسم المدينة وقرئ بعاد أرم ذات العماد أي جعل الله ذات العماد رميما بدلا من فعل ربك وذات العماد إذا كانت صفة للقبيلة فالمعنى أنهم كانوا بدويين أهل عمد أو طوال الأجسام على تشبيه قدودهم بالأعمدة ومنه قولهم رجل معمد وعمدان إذا كان طويلا وقيل ذات البناء الرفيع وإن كانت صفة للبلدة فالمعنى أنها ذات أساطين وروي أنه كان لعاد ابنان شداد وشديد فملكا وقهرا ثم مات شديد وخلص الأمر لشداد فملك الدنيا ودانت له ملوكها فسمع بذكر الجنة فقال أبني مثلها فبنى إرم في بعض صحاري عدن في ثلثمائة سنة وكان عمره تسعمائة سنة وهي مدينة عظيمة قصورها من الذهب والفضة

﴿سورة الفجر مكية وهي تسع وعشرون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

والفجر وليال عشر والشفع والوتر والليل إذا يسر هل في ذلك قسم لذي حجر ألم تر كيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد التي

* قوله تعالى إن إلينا إيابهم ثم إن علينا حسابهم (قال فيه إن قلت ما معنى تقديم الظرف وأجاب بأن معناه التشديد في الوعيد الخ) قال أحمد ومعنى ثم الدلالة على أن الحساب أشد من الإياب لأنه موجب العذاب وبادرته ... (قال ومعنى الوجوب وجوب الحكمة) قال أحمد أخطأ على عادته ليس على الله واجب وقد تقدم مثل هذا في غير موضع والله أعلم

يوم يتذكر ويبين وأنى له الذكرى تناف وتناقض (قدمت لحياتي) هذه وهي حياة الآخرة أو وقت حياتي في الدنيا كقولك جئته لعشر ليال خلون من رجب وهذا أبين دليل على أن الاختيار كان في أيديهم ومعلقا بقصدهم وإرادتهم وأنهم لم يكونوا محجوبين عن الطاعات مجبرين على المعاصي كمذهب أهل الأهواء والبدع والإفهام معنى التحسر * قرئ بالفتح يعذب ويوثق وهي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أبي عمرو أنه رجع إليها في آخر عمره * والضمير للإنسان الموصوف وقيل هو أبي بن خلف أي لا يعذب أحد مثل عذابه ولا يوثق بالسلاسل والأغلال مثل وثاقه لتناهيه في كفره وعناده أو لا يحمل عذاب الإنسان أحد كقوله ولا تزر وازرة وزر أخرى وقرئ بالكسر والضمير لله تعالى أي لا يتولى عذاب الله أحد لأن الأمر لله وحده في ذلك اليوم أو للإنسان أي لا يعذب أحد من الزبانية مثل ما يعذبونه (يا أيتها النفس) على إرادة القول أي يقول الله للمؤمن يا أيتها النفس إما أن يكلمه إكراما له كما كلم موسى صلوات الله عليه أو على لسان ملك و(المطمئنة) الآمنة التي لا يستفزها خوف ولا حزن وهي النفس المؤمنة أو المطمئنة إلى الحق التي سكنها ثلج اليقين فلا يخالجها شك ويشهد للتفسير الأول قراءة أبي بن كعب يا أيتها النفس الآمنة المطمئنة (فإن قلت) متى يقال لها ذلك (قلت) إما عند الموت وإما عند البعث وإما عند دخول الجنة على معنى ارجعي إلى موعد ربك (راضية) بما أوتيت (مرضية) عند الله (فادخلي في عبادي) في جملة عبادي الصالحين وانتظمي في سلكهم (وادخلي جنتي) معهم وقيل النفس الروح ومعناه فادخلي في أجساد عبادي وقرأ ابن عباس فادخلي في عبدي وقرأ ابن مسعود في جسد عبدي وقرأ أبي ائتي ربك راضية مرضية ادخلي في عبدي وقيل نزلت في حمزة بن عبد المطلب وقيل في خبيب بن عدي الذي صلبه أهل مكة وجعلوا وجهه إلى المدينة فقال اللهم إن كان لي عندك خير فحول وجهي نحو قبلتك فحول الله وجهه نحوها فلم يستطع أحد أن يحوله والظاهر العموم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفجر في الليالي العشر غفر له ومن قرأها في سائر الأيام كانت له نورا يوم القيامة

﴿سورة البلد مكية وهي عشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* أقسم سبحانه بالبلد الحرام وبما بعده على أن الإنسان خلق مغمورا في مكابدة المشاق والشدائد واعترض بين القسم والمقسم عليه بقوله (وأنت حل بهذا البلد) يعني ومن المكابدة أن مثلك على عظم حرمتك يستحل بهذا البلد الحرام كما يستحل الصيد في غير الحرم عن شرحبيل يحرمون أن يقتلوا بها صيدا ويعضدوا بها شجرة ويستحلون إخراجك وقتلك وفيه تثبيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعث على احتمال ما كان يكابد من أهل مكة وتعجيب من حالهم في عداوته أو سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقسم ببلده على أن الإنسان لا يخلو من مقاساة الشدائد واعترض بأن وعده فتح مكة تتميما للتسلية والتنفيس عنه فقال وأنت حل بهذا البلد يعني وأنت حل به في المستقبل تصنع فيه ما تريد من القتل والأسر وذلك أن الله فتح عليه مكة وأحلها له وما فتحت على أحد قبله ولا أحلت له فأحل ما شاء وحرم ما شاء قتل ابن خطل وهو متعلق بأستار الكعبة ومقيس بن صبابة وغيرهما وحرم دار أبي سفيان ثم قال إن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض فهي حرام إلى أن تقوم الساعة لم تحل لأحد قبلي ولن تحل لأحد بعدي ولم تحل لي إلا ساعة من نهار فلا يعضد شجرها ولا يختلى خلاها ولا ينفر صيدها ولا تحل لقطتها إلا لمنشد فقال العباس يا رسول الله إلا الإذخر فإنه لقيوننا وقبورنا وبيوتنا فقال صلى الله عليه وسلم إلا الإذخر (فإن قلت) أين نظير قوله وأنت حل في معنى الاستقبال (قلت) قوله عز وجل إنك ميت وإنهم ميتون ومثله واسع في كلام العباد تقول لمن تعده الإكرام والحباء أنت مكرم محبو وهو في كلام الله أوسع لأن الأحوال المستقبلة عنده كالحاضرة المشاهدة وكفاك دليلا قاطعا على أنه للاستقبال وأن تفسيره بالحال محال أن السورة بالاتفاق مكية وأين الهجرة عن وقت

نزولها

يا ليتني قدمت لحياتي فيومئذ لا يعذب عذابه أحد ولا يوثق وثاقه أحد يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي

﴿سورة البلد مكية وهي عشرون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

لا أقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد ووالد وما ولد لقد خلقنا الإنسان في كبد أيحسب

(القول في سورة البلد)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* قوله تعالى لا أقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد (قال) أقسم سبحانه بالبلد الحرام وما بعده على أن الإنسان خلق مغمورا في الم

نزولها فيها بالفتح (فإن قلت) ما المراد بوالد وما ولد (قلت) رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن ولده أقسم ببلده الذي هو مسقط رأسه وحرم أبيه إبراهيم ومنشأ أبيه إسمعيل وبمن ولده وبه (فإن قلت) لم نكر (قلت) للإبهام المستقل بالمدح والتعجب (فإن قلت) هلا قيل ومن ولد (قلت) فيه ما في قوله والله أعلم بما وضعت أي بأي شيء وضعت يعني موضوعا عجيب الشأن وقيل هما آدم وولده وقيل كل والد وولده * والكبد أصله من قولك كبد الرجل كبدا فهو أكبد إذا وجعت كبده وانتفخت فاتسع فيه حتى استعمل في كل تعب ومشقة ومنه اشتقت المكابدة كما قيل كبته بمعنى أهلكه وأصله كبده إذا أصاب كبده قال لبيد

يا عين هلا بكيت أربد إذ * قمنا وقام الخصوم في كبد

أي في شدة الأمر وصعوبة الخطب والضمير في (أيحسب) لبعض صناديد قريش الذين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكابد منهم ما يكابد والمعنى أيظن هذا الصنديد القوي في قومه المتضعف للمؤمنين أن لن تقوم قيامة ولن يقدر على الانتقام منه وعلى مكافأته بما هو عليه ثم ذكر ما يقوله في ذلك اليوم وأنه يقول (أهلكت مالا لبدا) يريد كثرة ما أنفقه فيما كان أهل الجاهلية يسمونها مكارم ويدعونها معالي ومفاخر (أيحسب أن لم يره أحد) حين كان ينفق ما ينفق رئاء الناس وافتخارا بينهم يعني أن الله كان يراه وكان عليه رقيبا ويجوز أن يكون الضمير للإنسان على أن يكون المعنى أقسم بهذا البلد الشريف ومن شرفه أنك حل به مما يقترفه أهله من المآثم متحرج بريء فهو حقيق بأن أعظمه بقسمي به لقد خلقنا الإنسان في كبد أي في مرض وهو مرض القلب وفساد الباطن يريد الذين علم الله منهم حين خلقهم أنهم لا يؤمنون ولا يعملون الصالحات وقيل الذي يحسب أن لن يقدر عليه أحد هو أبو الأشد وكان قويا يبسط له الأديم العكاظي فيقوم عليه ويقول من أزالني عنه فله كذا فلا ينزع إلا قطعا ويبقى موضع قدميه وقيل الوليد بن المغيرة * لبدا قرئ بالضم والكسر جمع لبدة ولبدة وهو ما تلبد يريد الكثرة وقرئ لبدا بضمتين جمع لبود وأبدا بالتشديد جمع لابد (ألم نجعل له عينين) يبصر بهما المرئيات (ولسانا) يترجم به عن ضمائره (وشفتين) يطبقهما على فيه ويستعين بهما على النطق والأكل والشرب والنفخ وغير ذلك (وهديناه النجدين) أي طريقي الخير والشر وقيل الثديين (فلا اقتحم العقبة) يعني فلم يشكر تلك الأيادي والنعم بالأعمال الصالحة من فك الرقاب وإطعام اليتامى والمساكين ثم بالإيمان الذي هو أصل كل طاعة وأساس كل خير بل غمط النعم وكفر بالمنعم والمعنى أن الإنفاق على هذا الوجه هو الإنفاق المرضي النافع عند الله لا أن يهلك مالا لبدا في الرياء والفخار فيكون مثله كمثل ريح فيها صر أصابت حرث قوم الآية (فإن قلت) قلما تقع لا الداخلة على الماضي إلا مكررة ونحو قوله فأي أمر سيء لا فعله لا يكاد يقع فما لها لم تكرر في الكلام الأفصح (قلت) هي متكررة في المعنى لأن معنى فلا اقتحم العقبة فلا فك رقبة ولا أطعم مسكينا ألا ترى أنه فسر اقتحام العقبة بذلك وقال الزجاج قوله ثم كان من الذين آمنوا يدل على معنى فلا اقتحم العقبة ولا آمن * والاقتحام الدخول والمجاوزة بشدة ومشقة والقحمة الشدة وجعل الصالحة عقبة وعملها اقتحاما لها لما في ذلك من معاناة المشقة ومجاهدة النفس وعن الحسن عقبة والله شديدة مجاهدة الإنسان نفسه وهواه وعدوه الشيطان وفك الرقبة تخليصها من رق أو غيره وفي الحديث أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم دلني على عمل يدخلني الجنة فقال تعتق النسمة وتفك الرقبة قال أوليسا سواء قال لا إعتاقها أن تنفرد بعتقها وفكها أن تعين في تخليصها من قود أو غرم والعتق والصدقة من أفاضل الأعمال وعن أبي حنيفة رضي الله عنه أن العتق أفضل من الصدقة وعند صاحبيه الصدقة أفضل والآية أدل على قول أبي حنيفة لتقديم العتق على الصدقة وعن الشعبي في رجل عنده فضل نفقة أيضعه في ذي قرابة أو يعتق رقبة قال الرقبة أفضل لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال من فك رقبة فك الله بكل عضو منها عضوا منه من النار * وقرئ فك رقبة أو أطعم على هل فك رقبة أو إطعام وقرئ فك رقبة أو أطعم على الإبدال من اقتحم العقبة وقوله (وما أدراك ما العقبة) اعتراض ومعناه أنك لم تدر كنه صعوبتها على النفس وكنه ثوابها عند الله * والمسغبة والمقربة والمتربة مفعلات من سغب إذا جاع وقرب

أن لن يقدر عليه أحد
يقول أهلكت مالا لبدا
أيحسب أن لم يره أحد
ألم نجعل له عينين ولسانا
وشفتين وهديناه
النجدين فلا اقتحم العقبة
وما أدراك ما العقبة
فك رقبة أو إطعام في
يوم ذي مسغبة يتيما ذا
مقربة أو مسكينا ذا
متربة

(القول في سورة الشمس) (بسم الله الرحمن الرحيم) *قوله تعالى والسماء وما بناها والأرض وما طحاها ونفس وما سوّاها (قال) فيه جعلها بعضهم مصدرية في الثلاث وليس بالوجه الخ * قوله تعالى فألهمها فجورها وتقواها (قال فيه معنى الهام الفجور والتقوى افهامهما واعقالهما وان (٢٤٦) أحدهما حسن والآخر قبيح وتمكينه الخ) قال أحمد بين في هذا الكلام نوعين من الباطل أحدهما في قوله معنى الهام الفجور والتقوى افهامهما واعقالهما وان أحدهما حسن والآخر قبيح والذي يكنه في هذه الكلمات اعتقاد أن الحسن

في النسب يقال فلان ذو قرابتي وذو مقربتي وترب اذا افتقر ومعناه التصق بالتراب وأما أترب فاستغنى أي صار ذا مال كالتراب في الكثرة كما قيل أثرى وعن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله ذا متربة الذي مأواه المزابل ووصف اليوم بذي مسغبة نحو ما يقول النحويون في قولهم هم ناصب ذو نصب وقرأ الحسن ذا مسغبة نصبه باطعام ومعناه أو اطعام في يوم من الأيام ذا مسغبة (ثم كان من الذين آمنوا) جاء بثم لتراخي الايمان وتباعده في الرتبة والفضيلة عن العتق والصدقة لا في الوقت لأن الايمان هو السابق المقدم على غيره ولا يثبت عمل صالح الا به * والمرحمة الرحمة أي أوصى بعضهم بعضا بالصبر على الايمان والثبات عليه أو بالصبر عن المعاصي وعلى الطاعات والمحن التي يبتلى بها المؤمن وبأن يكونوا متراحمين متعاطفين أو بما يؤدي الى رحمة الله الميمنة والمشأمة اليمين والشمال أو اليمن والشؤم أي الميامين على أنفسهم والمشائيم عليهن * قرئ مؤصدة بالواو والهمزة من أوصدت الباب وآصدته اذا أطبقته وأغلقته وعن أبي بكر بن عياش لنا امام يهمز مؤصدة فأشتهي أن أسد أذني اذا سمعته * عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ لا أقسم بهذا البلد أعطاه الله الأمان من غضبه يوم القيامة

(سورة الشمس مكية وهي خمس عشرة آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

ضحاها ضوؤها اذا أشرقت وقام سلطانها ولذلك قيل وقت الضحى وكأن وجهه شمس الضحى وقيل الضحوة ارتفاع النهار والضحى فوق ذلك والضحاء بالفتح والمد اذا امتد النهار وكرب أن ينتصف (اذا تلاها) طالعا عند غروبها آخذا من نورها وذلك في النصف الأول من الشهر وقيل اذا استدار فتلاها في الضياء والنور (اذا جلاها) عند انتفاخ النهار وانبساطه لأن الشمس تنجلي في ذلك الوقت تمام الانجلاء وقيل الضمير للظلمة أو للدنيا أو للأرض وان لم يجر لها ذكر كقولهم أصبحت باردة يريدون الغداة وأرسلت يريدون السماء اذا يغشاها فتغيب وتظلم الآفاق (فان قلت) الأمر في نصب اذا معضل لأنك لا تخلو اما أن تجعل الواوات عاطفة فتنصب بها وتجر فتقع في العطف على عاملين في نحو قولك مررت أمس بزيد واليوم عمرو واما أن تجعلهن للقسم فتقع فيما اتفق الخليل وسيبويه على استكراهه (قلت) الجواب فيه أن واو القسم مطرح معها ابراز الفعل اطراحا كليا فكان لها شأن خلاف شأن الباء حيث أبرز معها الفعل وأضمر فكانت الواو قائمة مقام الفعل والباء سادة مسدهما معا والواوات العواطف نوائب عن هذه الواو فحققن أن يكن عوامل على الفعل والجار جميعا كما تقول ضرب زيد عمرا وبكر خالدا فترفع بالواو وتنصب لقيامها مقام ضرب الذي هو عاملهما * جعلت ما مصدرية في قوله وما بناها وما طحاها وما سواها وليس بالوجه لقوله فألهمها وما يؤدي اليه من فساد النظم والوجه أن تكون موصولة وانما أوثرت على من لارادة معنى الوصفية كأنه قيل والسماء والقادر العظيم الذي بناها ونفس والحكيم الباهر الحكمة الذي سواها وفي كلامهم سبحان ما سخركن لنا (فان قلت) لم نكرت النفس (قلت) فيه وجهان أحدهما أن يريد نفسا خاصة من بين النفوس وهي نفس آدم كأنه قال وواحدة من النفوس والثاني أن يريد كل نفس وينكر للتكثير على الطريقة المذكورة في قوله علمت نفس * ومعنى الهام الفجور والتقوى افهامهما واعقالهما وأن أحدهما حسن والآخر قبيح وتمكينه من

ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة أولئك أصحاب الميمنة والذين كفروا بآياتنا هم أصحاب المشأمة عليهم نار مؤصدة

(سورة الشمس مكية وهي خمس عشرة آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

والشمس وضحاها والقمر اذا تلاها والنهار اذا جلاها والليل اذا يغشاها والسماء وما بناها والأرض وما طحاها ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها

والقبح مدركان بالعقل ألا ترى الى قوله اعقالهما أي خلق العقل الموصل الى معرفة حسن الحسن وقبح القبيح وانما اغتنم في هذا فرصة اشعار الالهام بذلك فانه ربما يخفى أن اطلاقه على العلم المستفاد من السمع بعيد والذي يقطع دابر هذه النزغة أنا وان قلنا ان الحسن والقبح لا يدركان الا بالسمع لأنهما راجعان الى الأحكام الشرعية التي ليست عندنا بصفات الأفعال فانا لا ننفي حظ العقل من ادراك الأحكام الشرعية بل لا بد في علم كل حكم شرعي من المقدمتين عقلية وهي الموصلة الى العقيدة وسمعية مفرعة عليها وهي الدالة على خصوص الحكم على أن تعلقه بظاهره لو سلمنا ظهوره في قاعدة قطعية تعول عن الصواب * النزغة الثانية وهي التي كشف القناع في ابراز هاتين النزغتين

اختيار

وقسيمهما البتة أولى لله تعالى بل الشركة المعتزلة وإنما أنا رضيت في الظاهر من فحوى الآية على أنه لم يذكر وجها في الرد على من قال أن الضمير لله تعالى وإنما اقتصر على الدعوى مقرونة بسفاهة على أهل السنة فنقول لا مراء في احتمال عود الضمير إلى الله تعالى وإلى ذي النفس لكن عوده إلى الله تعالى أولى لوجهين أحدهما أن الجمل سيقت سياقا واحدا من قوله والسماء وما بناها والأرض وما طحاها ونفس وما سواها فألهمها والضمائر فيما تقدم من هذين الفعلين عائدة إلى الله تعالى بالاتفاق ولم يجر لغير الله تعالى ذكر وإن قيل بعود الضمير إلى غيره فإنما يتعين لجوازه بدلالة الكلام ضمنا واستلزاما لا ذكرا ونطقا وما جرى ذكره أولى أن يعود الضمير عليه الثاني أن الفعل المستعمل في الآية التي استدل بها في قوله قد أفلح من تزكى تفعل ولا شك أن تفعل مطاوع فعل فهذا أن يدل لنا أولى من أن يدل له لأن الكلام عنده ناقص قد أفلح من زكاه الله فتزكى وعنده الفاعل في الاثنين واحد أضاف إليه الفعلين المختلفين ويحتاج في تصحيح الكلام إلى تعديد باعتبار وجهين ونحن عنه في غنية على أنا لا نأبى أن تضاف التزكية والتدسية إلى العبد على طريقة أنه الفاعل كما تضاف إليه الصلاة والصيام وغير ذلك من أفعال الطاعات لأن له عندنا اختيارا وقدرة مقارنة وإن منعنا البرهان العقلي الدال على وحدانية الله تعالى ونفي التشريك أن نجعل قدرة العبد مؤثرة خالقة فهذا جوابنا على الآية تنزلا وإلا فلم يذكر وجها من الرد فيلزمنا الجواب عنه وأما جوابنا عن سفاهته على أهل السنة فالسكوت والله الموفق * عاد كلامه (قال) وجواب القسم محذوف تقديره ليدمدمن عليهم أي على أهل مكة إلخ

قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها كذبت ثمود بطغواها إذ انبعث أشقاها فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها فكذبوه فعقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها ولا يخاف عقباها

اختيار ما شاء منهما بدليل قوله (قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها) فجعله فاعل التزكية والتدسية ومتوليهما والتزكية الإنماء والإعلاء بالتقوى والتدسية النقص والإخفاء بالفجور وأصل دسى دسس كما قيل في تقضض تقضى وسئل ابن عباس عنه فقال أتقرأ (قد أفلح من زكى وقد خاب من دسى) وأما قول من زعم أن الضمير في زكى ودسى لله تعالى وأن تأنيث الراجع إلى من لأنه في معنى النفس فمن تعكيس القدرية الذين يوركون على الله قدرا هو بريء منه ومتعال عنه ويحيون لياليهم في تمحل فاحشة ينسبونها إليه (فإن قلت) فأين جواب القسم (قلت) هو محذوف تقديره ليدمدمن الله عليهم أي على أهل مكة لتكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما دمدم على ثمود لأنهم كذبوا صالحا وأما قد أفلح من زكاها فكلام تابع لقوله فألهمها فجورها وتقواها على سبيل الاستطراد وليس من جواب القسم في شيء * الباء في (بطغواها) مثلها في كتبت بالقلم والطغوى من الطغيان فصلوا بين الاسم والصفة في فعلى من بنات الياء بأن قلبوا الياء واوا في الاسم وتركوا القلب في الصفة فقالوا امرأة خزيا وصديا يعني فعلت التكذيب بطغيانها كما تقول ظلمني بجرأته على الله وقيل كذبت بما أوعدت به من عذابها ذي الطغوى كقوله فأهلكوا بالطاغية وقرأ الحسن بطغواها بضم الطاء كالحسنى والرجعى في المصادر (إذ انبعث) منصوب بكذبت أو بالطغوى و(أشقاها) قدار بن سالف ويجوز أن يكونوا جماعة والتوحيد لتسويتك في أفعل التفضيل إذا أضفته بين الواحد والجمع والمذكر والمؤنث وكان يجوز أن يقال أشقوها كما تقول أفاضلهم * والضمير في (لهم) يجوز أن يكون للأشقين والتفضيل في الشقاوة لأن من تولى العقر وباشره كانت شقاوته أظهر وأبلغ و(ناقة الله) نصب على التحذير كقولك الأسد الأسد والصبي الصبي بإضمار ذروا أو احذروا عقرها (وسقياها) فلا تزووها عنها ولا تستأثروا بها عليها (فكذبوه) فيما حذرهم منه من نزول العذاب إن فعلوا (فدمدم عليهم) فأطبق عليهم العذاب وهو من تكرير قولهم ناقة مدمومة إذا ألبسها الشحم (بذنبهم) بسبب ذنبهم وفيه إنذار عظيم بعاقبة الذنب فعلى كل مذنب أن يعتبر ويحذر (فسواها) الضمير للدمدمة أي فسواها بينهم لم يفلت منها صغيرهم ولا كبيرهم (ولا يخاف عقباها) أي عاقبتها وتبعتها كما يخاف كل معاقب من الملوك فيبقي بعض الإبقاء ويجوز أن يكون الضمير لثمود على معنى فسواها بالأرض أو في الهلاك ولا يخاف عقبى هلاكها وفي مصاحف أهل المدينة والشام فلا يخاف وفي قراءة النبي صلى الله عليه وسلم ولم يخف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الشمس فكأنما تصدق بكل شيء طلعت عليه الشمس والقمر

﴿سورة والليل مكية وهي إحدى وعشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى وما خلق الذكر والأنثى إن سعيكم

* المغشي إما الشمس من قوله والليل إذا يغشاها وإما النهار من قوله يغشي الليل النهار وإما كل شيء يواريه بظلامه من قوله إذا وقب (تجلى) ظهر بزوال ظلمة الليل أو تبين وتكشف بطلوع الشمس (وما خلق) والقادر العظيم القدرة الذي قدر على خلق الذكر والأنثى من ماء واحد وقيل هما آدم وحواء وفي قراءة النبي صلى

ة الليل ﴾ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ * قوله تعالى وما خلق الذكر والانثى (قال فيه) يدل على أن الخنثى المشكل
ون عند الله من أحد القبيلين ولا يكون عنده نوعا ثالثا الخ * قوله تعالى فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى
سرى (قال فيه التيسير لليسرى خلق الالطاف الخ) قال أحمد الا بطيل لسانه هو هنا على أهل السنة ولكن قصر الطلق
كلام بل يمطله لانه مجد له مالا يعتقده وعلى كلامه في أمثالها روعة السارق الخائف * قوله تعالى فأنذرتكم نارا تلظى
شقى الذى كذب وتولى وسيجنبها الاتقى الذى الخ (قال فان قلت كيف قال لا يصلاها الا الاشقى وسيجنبها الاتقى وقد علم
ها الخ) قال أحمد لا شك ان السائل بنى سؤاله على التمسك بعموم الآية لورودها بصيغة التخصيص فحاصل جواب
التخصيص هو الفائدة أخرى غير النفي عما عدا المخصص وتلك الفائدة المقابلة وحيث عرض الك السؤال والجواب فهو
افعي رحمه الله في قوله تعالى قل لا أجد فيما أوحى الى محرما على طاعم يطعمه فانه لم يقل بعمومه وحصرها وجعلها على ان
قابلة بالرد لاحكام (٥٤٨) الجاهلية لا لنفي ما عدا المحصور على ان الزمخشري انما ضيق عليه الخناق في هذه الآية

الله عليه وسلم والذكر والانثى وقرأ ابن مسعود والذى خلق الذكر والانثى وعن الكسائى وما خلق الذكر
والانثى بالجر على أنه بدل من محل ما خلق بمعنى وما خلقه الله أى ومخلوق الله الذكر والانثى وجاز اضمار اسم
الله لانه معلوم لانفراده بالخلق اذ لا خالق سواه وقيل ان الله لم يخلق خلقا من ذوى الارواح ليس بذكر ولا
أنثى والخنثى وان أشكل أمره عندنا فهو عند الله غير مشكل معلوم بالذكورة أو الانوثة فلو حلف بالطلاق
انه لم يلق يومه ذكرا ولا أنثى وقد لقى خنثى مشكلا كان حانثا لانه فى الحقيقة اما ذكر أو أنثى وان كان
مشكلا عندنا (شتى) جمع شتيت أى ان مساعيكم أشتات مختلفة وبيان اختلافها فيما فصل على أثره
(أعطى) يعنى حقوق ماله (واتقى) الله فلم يعصه (وصدق بالحسنى) بالخصلة الحسنى وهى الايمان أو بالملة
الحسنى وهى ملة الاسلام أو بالمثوبة الحسنى وهى الجنة (فسنيسره لليسرى) فسنهيؤه لها من يسر الفرس
للركوب اذا أسرجها وألجمها ومنه قوله عليه السلام كل ميسر لما خلق له والمعنى فسنلطف به ونوفقه حتى
تكون الطاعة أيسر الامور عليه وأهونها من قوله فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام (واستغنى)
وزهد فيما عند الله كأنه مستغن عنه فلم يتقه أو استغنى بشهوات الدنيا عن نعيم الجنة لانه فى مقابلة واتقى
(فسنيسره للعسرى) فسنخذله ونمنعه الالطاف حتى تكون الطاعة أعسر شئ عليه وأشده من قوله يجعل
صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد فى السماء أو سمى طريقة الخير باليسرى لان عاقبتها اليسر وطريقة الشر
العسرى لان عاقبتها العسر أو أراد بهما طريقى الجنة والنار أى فسنهديهما فى الآخرة للطريقين وقيل
نزلتا فى أبى بكر رضى الله عنه وفى أبى سفيان بن حرب (وما يغنى عنه) استفهام فى معنى الانكار أو نفى (تردى)
تفعل من الردى وهو الهلاك يريد الموت أو تردى فى الحفرة اذا قبر أو تردى فى قعر جهنم (ان علينا للهدى)
ان الارشاد الى الحق واجب علينا بنصب الدلائل وبيان الشرائع (وان لنا للآخرة والاولى) أى ثواب
الدارين للمهتدى كقوله وآتيناه أجره فى الدنيا وانه فى الآخرة لمن الصالحين * وقرأ أبو الزبير تتلظى * (فان
قلت) كيف قال (لا يصلاها الا الاشقى * وسيجنبها الاتقى) وقد علم أن كل شقى يصلاها وكل تقى يجنبها لا يختص
بالصلى أشقى الاشقياء ولا بالنجاة أتقى الاتقياء وان زعمت أنه نكر النار فأراد نارا بعينها مخصوصة بالاشقى فما

سؤال
تعالى
...
تخصيص
عطى
شتى
سرى
تقى
شى
سرى
له اذا
ردى
الاولى
الطى
شقى
...
نزلت
السنة
نقول

يخص واستقر التخصيص فيه حيث أكثر ثم يعدو الى شأنه فيخصه الحسنة ومطابقته بين اطباق الما فأما تصحيح
أو على أتقى على الشقوة فليس بصلى وهذا التفسير يتعين عليه الزمخشرى ونقله عن أهل اللغة فى سورة الغاشية
باليعد كتهم فاذا عرفت معنى التصلية لغة وأنها أشد أنواع الاحراق بالنار وقد علمت أن الناس عند أهل السنة ثلاثة
صالح فائز ومؤمن عاص وكافر وان المؤمن الفائز يمر على النار فيطفئ نورها ولا يؤلمه البتة والتعاير دها فئة
ن شاء الله تعذيبه وجازاه فانما يعذب على وجه النار فى الطبقة الاولى باتفاق حتى انهم من تبلغ النار الى كعبه
الى موضع سجوده فحصه ولا يعذب أحد من المؤمنين بين أطباقها البتة وعد الله تعالى والكافر هو المعذب بين
أن النار لا يصلاها أى يعذب بين أطباقها كما علمت تفسيره فى اللغة الا الكافر وهو الاشقى لان المؤمن العاصى

أشقى بقوله وسيجنبها الأتقى فقد علم أن أشقى المسلمين يجنب تلك النار المخصوصة لا الأتقى منهم خاصة (قلت) الآية واردة في الموازنة بين حالتي عظيم من المشركين وعظيم من المؤمنين فأريد أن يبالغ في صفتيهما المتناقضتين فقيل الأشقى وجعل مختصا بالصلي كأن النار لم تخلق إلا له وقيل الأتقى وجعل مختصا بالنجاة كأن الجنة لم تخلق إلا له وقيل هما أبو جهل أو أمية بن خلف وأبو بكر رضي الله عنه (يتزكى) من الزكاء أي يطلب أن يكون عند الله زاكيا لا يريد به رياء ولا سمعة أو يتفعل من الزكاة (فإن قلت) ما محل يتزكى (قلت) هو على وجهين إن جعلته بدلا من يؤتي فلا محل له لأنه داخل في حكم الصلة والصلات لا محل لها وإن جعلته حالا من الضمير في يؤتي فمحله النصب (ابتغاء وجه ربه) مستثنى من غير جنسه وهو النعمة أي ما لأحد عنده نعمة إلا ابتغاء وجه ربه كقولك ما في الدار أحد إلا حمارا وقرأ يحيى بن وثاب إلا ابتغاء وجه ربه بالرفع على لغة من يقول ما في الدار أحد إلا حمار وأنشد في اللغتين قول بشر بن أبي خازم

أضحت خلاء قفارا لا أنيس بها * إلا الجآذر والظلمان تختلف

وقول القائل

وبلدة ليس بها أنيس * إلا اليعافير وإلا العيس

ويجوز أن يكون ابتغاء وجه ربه مفعولا له على المعنى لأن معنى الكلام لا يؤتي ماله إلا ابتغاء وجه ربه لا لمكافأة نعمة (ولسوف يرضى) موعد بالثواب الذي يرضيه ويقر عينه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والليل أعطاه الله حتى يرضى وعافاه من العسر ويسر له اليسر

﴿سورة والضحى مكية وهي إحدى وعشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

المراد بالضحى وقت الضحى وهو صدر النهار حين ترتفع الشمس وتلقي شعاعها وقيل إنما خص وقت الضحى بالقسم لأنها الساعة التي كلم فيها موسى عليه السلام وألقي فيها السحرة سجدا لقوله وأن يحشر الناس ضحى وقيل أريد بالضحى النهار بيانه قوله أن يأتيهم بأسنا ضحى في مقابلة بياتا (سجى) سكن وركد ظلامه وقيل ليلة ساجية ساكنة الريح وقيل معناه سكون الناس والأصوات فيه وسجا البحر سكنت أمواجه وطرف ساج ساكن فاتر (ما ودعك) جواب القسم ومعناه ما قطعك قطع المودع وقرئ بالتخفيف يعني ما تركك قال

وثم ودعنا آل عمرو وعامر * فرائس أطراف المثقفة السمر

والتوديع مبالغة في الودع لأن من ودعك مفارقا فقد بالغ في تركك روي أن الوحي قد تأخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أياما فقال المشركون إن محمدا ودعه ربه وقلاه وقيل إن أم جميل امرأة أبي لهب قالت له يا محمد ما أرى شيطانك إلا قد تركك فنزلت * حذف الضمير من قلى كحذفه من الذاكرات في قوله والذاكرين الله كثيرا والذاكرات يريد والذاكراته ونحوه فآوى فهدى فأغنى وهو اختصار لفظي لظهور المحذوف (فإن قلت) كيف اتصل قوله (وللآخرة خير لك من الأولى) بما قبله (قلت) لما كان في ضمن نفي التوديع والقلى أن الله مواصلك بالوحي إليك وأنك حبيب الله ولا ترى كرامة أعظم من ذلك ولا نعمة أجل منه أخبره أن حاله في الآخرة أعظم من ذلك وأجل وهو السبق والتقدم على جميع أنبياء الله ورسله وشهادة أمته على سائر الأمم ورفع درجات المؤمنين وإعلاء مراتبهم بشفاعته وغير ذلك من الكرامات السنية (ولسوف يعطيك ربك فترضى) موعد شامل لما أعطاه في الدنيا من الفلج والظفر بأعدائه يوم بدر ويوم فتح مكة ودخول الناس في الدين أفواجا والغلبة على قريظة والنضير وإجلائهم وبث عساكره وسراياه في بلاد العرب وما فتح على خلفائه الراشدين في أقطار الأرض من المدائن وهدم بأيديهم من ممالك الجبابرة وأنهبهم من كنوز الأكاسرة وما قذف في قلوب أهل الشرق والغرب من الرعب وتهيب الإسلام وفشو الدعوة واستيلاء المسلمين ولما ادخر له من الثواب الذي لا يعلم كنهه إلا الله قال ابن عباس رضي الله عنهما له في الجنة ألف قصر من لؤلؤ أبيض ترابه المسك (فإن قلت) ما هذه اللام الداخلة على سوف (قلت) هي لام الابتداء المؤكدة لمضمون

بشكر ويقدر والله أعلم

وسيجنبها الأتقى الذي يؤتي ماله يتزكى وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى ولسوف يرضى

﴿سورة والضحى مكية وهي إحدى وعشرون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

والضحى والليل إذا سجى ما ودعك ربك وما قلى وللآخرة خير لك من الأولى ولسوف يعطيك ربك فترضى

(القول في سورة الضحى)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله تعالى وللآخرة خير لك من الأولى (قال إن قلت كيف اتصل بما قبله وأجاب بأنه لما كان في ضمن التوديع والقلى أن الله مواصلك بالوحي إليك الخ) قال أحمد وإخراج أهل الكبائر من النار بشفاعته مضاف إلى ذلك مما ذكره (قال) ثم وعده بقوله ولسوف يعطيك ربك فترضى وعدا شاملا لجميع ما أعطاه في الدنيا من الفتوحات والنصر وغير ذلك

ألم يجدك يتيما فآوى ووجدك ضالا فهدى ووجدك عائلا فأغنى فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر وأما بنعمة ربك فحدث

﴿سورة ألم نشرح مكية وهي ثماني آيات﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

ألم نشرح لك صدرك

الجملة والمبتدأ محذوف تقديره ولأنت سوف يعطيك كما ذكرنا في لا أقسم أن المعنى لأنا أقسم وذلك أنها لا تخلو من أن تكون لام قسم أو ابتداء فلام القسم لا تدخل على المضارع إلا مع نون التأكيد فبقي أن تكون لام ابتداء ولام الابتداء لا تدخل إلا على الجملة من المبتدأ والخبر فلا بد من تقدير مبتدأ وخبر وأن يكون أصله ولأنت سوف يعطيك (فإن قلت) ما معنى الجمع بين حرفي التوكيد والتأخير (قلت) معناه أن العطاء كائن لا محالة وإن تأخر لما في التأخير من المصلحة * عدد عليه نعمه وأياديه وأنه لم يخله منها من أول تربيه وابتداء نشئه ترشيحا لما أراد به ليقيس المترقب من فضل الله على ما سلف منه لئلا يتوقع إلا الحسنى وزيادة الخير والكرامة ولا يضيق صدره ولا يقل صبره و (ألم يجدك) من الوجود الذي بمعنى العلم والمنصوبان مفعولا وجد والمعنى ألم تكن يتيما وذلك أن أباه مات وهو جنين قد أتت عليه ستة أشهر وماتت أمه وهو ابن ثمان سنين فكفله عمه أبو طالب وعطفه الله عليه فأحسن تربيته ومن بدع التفاسير أنه من قولهم درة يتيمة وأن المعنى ألم يجدك واحدا في قريش عديم النظير فآواك * وقرئ فأوى وهو على معنيين إما من أواه بمعنى آواه سمع بعض الرعاة يقول أين آوي هذه الموقسة وإما من أوى له إذا رحمه (ضالا) معناه الضلال عن علم الشرائع وما طريقه السمع كقوله ما كنت تدري ما الكتاب وقيل ضل في صباه في بعض شعاب مكة فرده أبو جهل إلى عبد المطلب وقيل أضلته حليمة عند باب مكة حين فطمته وجاءت به لترده على عبد المطلب وقيل ضل في طريق الشام حين خرج به أبو طالب * فهداك فعرفك القرآن والشرائع أو فأزال ضلالك عن جدك وعمك ومن قال كان على أمر قومه أربعين سنة فإن أراد أنه كان على خلوهم عن العلوم السمعية فنعم وإن أراد أنه كان على دينهم وكفرهم فمعاذ الله والأنبياء يجب أن يكونوا معصومين قبل النبوة وبعدها من الكبائر والصغائر الشائنة فما بال الكفر والجهل بالصانع ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء وكفى بالنبي نقيصة عند الكفار أن يسبق له كفر (عائلا) فقيرا وقرئ عيلا كما قرئ سيحات وعديما (فأغنى) فأغناك بمال خديجة أو بما أفاء عليك من الغنائم قال عليه السلام جعل رزقي تحت ظل رمحي وقيل قنعك وأغنى قلبك (فلا تقهر) فلا تغلبه على ماله وحقه لضعفه وفي قراءة ابن مسعود فلا تكهر وهو أن يعبس في وجهه وفلان ذو كهرورة عابس الوجه ومنه الحديث فبأبي وأمي هو ما كهرني النهر والنهم الزجر وعن النبي صلى الله عليه وسلم إذا رددت السائل ثلاثا فلم يرجع فلا عليك أن تزبره وقيل أما إنه ليس بالسائل المستجدي ولكن طالب العلم إذا جاءك فلا تنهره التحديث بنعمة الله شكرها وإشاعتها يريد ما ذكره من نعمة الإيواء والهداية والإغناء وما عدا ذلك وعن مجاهد بالقرآن فحدث أقرئه وبلغ ما أرسلت به وعن عبد الله بن غالب أنه كان إذا أصبح يقول رزقني الله البارحة خيرا قرأت كذا وصليت كذا فإذا قيل له يا أبا فراس مثلك يقول مثل هذا قال يقول الله تعالى وأما بنعمة ربك فحدث وأنتم تقولون لا تحدث بنعمة الله وإنما يجوز مثل هذا إذا قصد به اللطف وأن يقتدي به غيره وأمن على نفسه الفتنة والستر أفضل ولو لم يكن فيه إلا التشبه بأهل الرياء والسمعة لكفى به وفي قراءة علي رضي الله عنه فخبر والمعنى أنك كنت يتيما وضالا وعائلا فآواك الله وهداك وأغناك فمهما يكن من شيء وعلى ما خيلت فلا تنس نعمة الله عليك في هذه الثلاث واقتد بالله فتعطف على اليتيم وآوه فقد ذقت اليتم وهوانه ورأيت كيف فعل الله بك وترحم على السائل وتفقده بمعروفك ولا تزجره عن بابك كما رحمك ربك فأغناك بعد الفقر وحدث بنعمة الله كلها ويدخل تحته هدايته الضلال وتعليمه الشرائع والقرآن مقتديا بالله في أن هداه من الضلال عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والضحى جعله الله فيمن يرضى لمحمد أن يشفع له وعشر حسنات يكتبها الله له بعدد كل يتيم وسائل

﴿سورة ألم نشرح مكية وهي ثماني آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* استفهم عن انتفاء الشرح على وجه الإنكار فأفاد إثبات الشرح وإيجابه فكأنه قيل شرحنا لك صدرك

وانما عطف عليه وضعنا اعتبارا للمعنى ومعنى شرحنا صدرك فسحناه حتى وسع هموم النبوة ودعوة الثقلين
جميعا أو حتى احتمل المكاره التي يتعرض لك بها كفار قومك وغيرهم أو فسحناه بما أودعناه من العلوم
والحكم وأزلنا عنه الضيق والحرج الذي يكون مع العمى والجهل وعن الحسن ملئ حكمة وعلما وعن أبي
جعفر المنصور أنه قرأ ألم نشرح بفتح الحاء وقالوا لعله بين الحاء وأشبعها في مخرجها فظن السامع أنه فتحها
* والوزر الذي أنقض ظهره أي حمله على النقيض وهو صوت الانتقاض والانفكاك لثقله مثل لما كان
يثقل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويغمه من فرطاته قبل النبوة أو من جهله بالأحكام والشرائع أو من
تهالكه على اسلام أولي العناد من قومه وتلهفه * ووضعه عنه أن غفر له أو علم الشرائع أو مهد عذره بعد ما بلغ
وبالغ وقرأ أنس وحللنا وحططنا وقرأ ابن مسعود وحللنا عنك وقرك * ورفع ذكره أن قرن بذكر الله في
كلمة الشهادة والأذان والإقامة والتشهد والخطب وفي غير موضع من القرآن والله ورسوله أحق أن يرضوه
ومن يطع الله ورسوله وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وفي تسميته رسول الله ونبي الله ومنه ذكره في كتب
الأولين والأخذ على الأنبياء وأممهم أن يؤمنوا به (فان قلت) أي فائدة في زيادة لك والمعنى مستقل بدونه
(قلت) في زيادة لك ما في طريقة الإبهام والإيضاح كأنه قيل ألم نشرح لك ففهم أن ثم مشروحا ثم قيل صدرك
فأوضح ما علم مبهما وكذلك لك ذكرك وعنك وزرك (فان قلت) كيف تعلق قوله (فان مع العسر يسرا) بما
قبله (قلت) كان المشركون يعيرون رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بالفقر والضيقة حتى سبق الى
وهمه أنهم رغبوا عن الاسلام لافتقار أهله واحتقارهم فذكره ما أنعم به عليه من جلائل النعم ثم قال فان مع
العسر يسرا كأنه قال خولناك ما خولناك فلا تيأس من فضل الله فان مع العسر الذي أنتم فيه يسرا (فان
قلت) ان مع للصحبة فما معنى اصطحاب اليسر والعسر (قلت) أراد أن الله يصيبهم بيسر بعد العسر الذي كانوا
فيه بزمان قريب فقرب اليسر المترقب حتى جعله كالمقارن للعسر زيادة في التسلية وتقوية القلوب (فان قلت)
ما معنى قول ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما لن يغلب عسر يسرين وقد روي مرفوعا أنه خرج صلى الله
عليه وسلم ذات يوم وهو يضحك ويقول لن يغلب عسر يسرين (قلت) هذا عمل على الظاهر وبناء على قوة
الرجاء وأن موعد الله لا يحمل الا على أوفى ما يحتمله اللفظ وأبلغه والقول فيه أنه يحتمل أن تكون الجملة الثانية
تكريرا للأولى كما كرر قوله ويل يومئذ للمكذبين لتقرير معناها في النفوس وتمكينها في القلوب وكما يكرر
المفرد في قولك جاءني زيد زيد وأن تكون الأولى عدة بأن العسر مردوف بيسر لا محالة والثانية عدة مستأنفة
بأن العسر متبوع بيسر فهما يسران على تقدير الاستئناف وانما كان العسر واحدا لأنه لا يخلو اما أن يكون
تعريفه للعهد وهو العسر الذي كانوا فيه فهو هو لأن حكمه حكم زيد في قولك ان مع زيد مالا ان مع زيد مالا
واما أن يكون للجنس الذي يعلمه كل أحد فهو هو أيضا وأما اليسر فمنكر متناول لبعض الجنس فاذا كان
الكلام الثاني مستأنفا غير مكرر فقد تناول بعضا غير البعض الأول بغير اشكال (فان قلت) فما المراد
باليسرين (قلت) يجوز أن يراد بهما ما تيسر لهم من الفتوح في أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم وما تيسر لهم
في أيام الخلفاء وأن يراد يسر الدنيا ويسر الآخرة كقوله تعالى قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين وهما
حسنى الظفر وحسنى الثواب (فان قلت) فما معنى هذا التنكير (قلت) التفخيم كأنه قيل ان مع العسر يسرا
عظيما وأي يسر وهو في مصحف ابن مسعود مرة واحدة (فان قلت) فاذا ثبت في قراءته غير مكرر فلم قال
والذي نفسي بيده لو كان العسر في جحر لطلبه اليسر حتى يدخل عليه انه لن يغلب عسر يسرين (قلت) كأنه
قصد باليسرين ما في قوله يسرا من معنى التفخيم فتأوله بيسر الدارين وذلك يسران في الحقيقة (فان قلت)
فكيف تعلق قوله (فاذا فرغت فانصب) بما قبله (قلت) لما عدد عليه نعمه السالفة ووعده الآتية بعثه على
الشكر والاجتهاد في العبادة والنصب فيها وأن يواصل بين بعضها وبعض ويتابع ويحرص على أن لا يخلي
وقتا من أوقاته منها فاذا فرغ من عبادة ذنبها بأخرى وعن ابن عباس فاذا فرغت من صلاتك فاجتهد في الدعاء
وعن الحسن فاذا فرغت من الغزو فاجتهد في العبادة وعن مجاهد فاذا فرغت من دنياك فانصب في صلاتك

ووضعنا عنك وزرك
الذي أنقض ظهرك
ورفعنا لك ذكرك فان
مع العسر يسرا ان
مع العسر يسرا فاذا
فرغت فانصب

﴿القول في سورة ألم نشرح﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* قوله تعالى ألم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذي أنقض ظهرك (قال فيه ان قلت ما فائدة لك مع أن الاضافة تغني عنه الخ) قال أحمد وقد تقدم عند الكلام على نظيرها في قوله تعالى رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري قريب من هذا المعنى والله أعلم

وعن الشعبي أنه رأى رجلا يشيل حجرا فقال ليس بهذا أمر الفارغ وقعود الرجل فارغا من غير شغل أو اشتغاله بما لا يعنيه في دينه أو دنياه من سفه الرأي وسخافة العقل واستيلاء الغفلة ولقد قال عمر رضي الله عنه إني لأكره أن أرى أحدكم فارغا سبهللا لا في عمل دنيا ولا في عمل آخرة وقرأ أبو السمال فرغت بكسر الراء وليست بفصيحة ومن البدع ما روي عن بعض الرافضة أنه قرأ فانصب بكسر الصاد أي فانصب عليا للإمامة ولو صح هذا للرافضي لصح للناصبي أن يقرأ هكذا ويجعله أمرا بالنصب الذي هو بغض علي وعداوته (وإلى ربك فارغب) واجعل رغبتك إليه خصوصا ولا تسأل إلا فضله متوكلا عليه وقرئ فرغب أي رغب الناس إلى طلب ما عنده. عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ ألم نشرح فكأنما جاءني وأنا مغتم ففرج عني

﴿سورة والتين مكية وهي ثمان آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* أقسم بهما لأنهما عجيبان من بين أصناف الأشجار المثمرة روي أنه أهدي لرسول الله صلى الله عليه وسلم طبق من تين فأكل منه وقال لأصحابه كلوا فلو قلت إن فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذه لأن فاكهة الجنة بلا عجم فكلوها فإنها تقطع البواسير وتنفع من النقرس ومر معاذ بن جبل بشجرة الزيتون فأخذ منها قضيبا واستاك به وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول نعم السواك الزيتون من الشجرة المباركة يطيب الفم ويذهب بالحفرة وسمعته يقول هي سواكي وسواك الأنبياء قبلي وعن ابن عباس رضي الله عنه هو تينكم هذا وزيتونكم وقيل جبلان من الأرض المقدسة يقال لهما بالسريانية طور تينا وطور زيتا لأنهما منبتا التين والزيتون وقيل التين جبال ما بين حلوان وهمذان والزيتون جبال الشام لأنها منابتهما كأنه قيل ومنابت التين والزيتون * وأضيف الطور وهو الجبل إلى سينين وهي البقعة ونحو سينون بيرون في جواز الإعراب بالواو والياء والإقرار على الياء وتحريك النون بحركات الإعراب * والبلد مكة حماها الله * والأمين من أمن الرجل أمانة فهو أمين وقيل أمان كما قيل كرام في كريم وأمانته أنه يحفظ من دخله كما يحفظ الأمين ما يؤتمن عليه ويجوز أن يكون فعيلا بمعنى مفعول من أمنه لأنه مأمون الغوائل كما وصف بالأمن في قوله تعالى حرما آمنا بمعنى ذي أمن ومعنى القسم بهذه الأشياء الإبانة عن شرف البقاع المباركة وما ظهر فيها من الخير والبركة بسكنى الأنبياء والصالحين فمنبت التين والزيتون مهاجر إبراهيم ومولد عيسى ومنشؤه والطور المكان الذي نودي منه موسى ومكة مكان البيت الذي هو هدى للعالمين ومولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومبعثه (في أحسن تقويم) في أحسن تعديل لشكله وصورته وتسوية لأعضائه * ثم كان عاقبة أمره حين لم يشكر نعمة تلك الخلقة الحسنة القويمة السوية أن رددناه أسفل من سفل خلقا وتركيبا يعني أقبح من قبح صورة وأشوهه خلقة وهم أصحاب النار أو أسفل من سفل من أهل الدركات أو ثم رددناه بعد ذلك التقويم والتحسين أسفل من سفل في حسن الصورة والشكل حيث نكسناه في خلقه فقوس ظهره بعد اعتداله وابيض شعره بعد سواده وتشنن جلده وكان بضا وكل سمعه وبصره وكانا حديدين وتغير كل شيء منه فمشيه دليف وصوته خفات وقوته ضعف وشهامته خرف وقرأ عبد الله أسفل السافلين (فإن قلت) فكيف الاستثناء على المذهبين (قلت) هو على الأول متصل ظاهر الاتصال وعلى الثاني منقطع يعني ولكن الذين كانوا صالحين من الهرمى فلهم ثواب دائم غير منقطع على طاعتهم وصبرهم على ابتلاء الله بالشيخوخة والهرم وعلى مقاساة المشاق والقيام بالعبادة على تخاذل نهوضهم (فإن قلت) (فما يكذبك) من المخاطب به (قلت) هو خطاب للإنسان على طريقة الالتفات أي فما يجعلك كاذبا بسبب الدين وإنكاره بعد هذا الدليل يعني أنك تكذب إذا كذبت بالجزاء لأن كل مكذب بالحق فهو كاذب فأي شيء يضطرك إلى أن تكون كاذبا بسبب تكذيب الجزاء والباء مثلها في قوله تعالى الذين يتولونه والذين هم به مشركون والمعنى أن خلق الإنسان من نطفة وتقويمه بشرا سويا وتدريجه في مراتب الزيادة إلى أن يكمل ويستوي ثم تنكيسه إلى أن يبلغ أرذل العمر

لا ترى

والى ربك فارغب

﴿سورة والتين مكية وهي ثمان آيات﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الأمين لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون فما يكذبك بعد بالدين

(القول في سورة والتين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* قوله تعالى لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين (قال فيه) خلقناه في أحسن تعديل لشكله وصورته وتسوية أعضائه الخ

لا ترى دليلا أوضح منه على قدرة الخالق وأن من قدر من الانسان على هذا كله لم يعجز عن اعادته فما سبب تكذيبك أيها الانسان بالجزاء بعد هذا الدليل القاطع وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم (أليس الله بأحكم الحاكمين) وعيد للكفار وأنه يحكم عليهم بما هم أهله وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان اذا قرأها قال بلى وأنا على ذلك من الشاهدين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والتين أعطاه الله خصلتين العافية واليقين ما دام في دار الدنيا واذا مات أعطاه الله من الاجر بعدد من قرأ هذه السورة

﴿سورة العلق مكية وهي تسع عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

عن ابن عباس ومجاهد هي أول سورة نزلت وأكثر المفسرين على أن الفاتحة أول ما نزل ثم سورة القلم * محل (باسم ربك) النصب على الحال أي اقرأ مفتتحا باسم ربك قل بسم الله ثم اقرأ (فان قلت) كيف قال (خلق) فلم يذكر له مفعولا ثم قال (خلق الانسان) (قلت) هو على وجهين اما أن لا يقدر له مفعول وأن يراد أنه الذي حصل منه الخلق واستأثر به لا خالق سواه واما أن يقدر ويراد خلق كل شيء فيتناول كل مخلوق لانه مطلق فليس بعض المخلوقات أولى بتقديره من بعض وقوله خلق الانسان تخصيص للانسان بالذكر من بين ما يتناوله الخلق لان التنزيل اليه وهو أشرف ما على الارض ويجوز أن يراد الذي خلق الانسان كما قال الرحمن علم القرآن خلق الانسان فقيل الذي خلق مبهما ثم فسره بقوله خلق الانسان تفخيما لخلق الانسان ودلالة على عجيب فطرته (فان قلت) لم قال (من علق) على الجمع وانما خلق من علقة كقوله من نطفة ثم من علقة (قلت) لان الانسان في معنى الجمع كقوله ان الانسان لفي خسر (الاكرم) الذي له الكمال في زيادة كرمه على كل كريم ينعم على عباده النعم التي لا تحصى ويحلم عنهم فلا يعاجلهم بالعقوبة مع كفرهم وجحودهم لنعمه وركوبهم المناهي واطراحهم الاوامر ويقبل توبتهم ويتجاوز عنهم بعد اقتراف العظائم فما لكرمه غاية ولا أمد وكأنه ليس وراء التكرم بافادة الفوائد العلمية تكرم حيث قال الاكرم (الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم) فدل على كمال كرمه بأنه علم عباده ما لم يعلموا ونقلهم من ظلمة الجهل الى نور العلم ونبه على فضل علم الكتابة لما فيه من المنافع العظيمة التي لا يحيط بها الا هو وما دونت العلوم ولا قيدت الحكم ولا ضبطت أخبار الاولين ومقالاتهم ولا كتب الله المنزلة الا بالكتابة ولولا هي لما استقامت أمور الدين والدنيا ولو لم يكن على دقيق حكمة الله ولطيف تدبيره دليل الا أمر القلم والخط لكفى به ولبعضهم في صفة القلم

ورواقم رقش كمثل أراقم * قطف الخطا نيالة أقصى المدى
سود القوائم ما يجد مسيرها * الا اذا لعبت بها بيض المدى

وقرأ ابن الزبير علم الخط بالقلم (كلا) ردع لمن كفر بنعمة الله عليه بطغيانه وان لم يذكر لدلالة الكلام عليه (أن رآه) أن رأى نفسه يقال في أفعال القلوب رأيتني وعلمتني وذلك بعض خصائصها ومعنى الرؤية العلم ولو كانت بمعنى الابصار لامتنع في فعلها الجمع بين الضميرين و(استغنى) هو المفعول الثاني (ان الى ربك الرجعى) واقع على طريقة الالتفات الى الانسان تهديدا له وتحذيرا من عاقبة الطغيان والرجعى مصدر كالبشرى بمعنى الرجوع وقيل نزلت في أبي جهل وكذلك (أرأيت الذي ينهى) وروي أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أتزعم أن من استغنى طغى فاجعل لنا جبال مكة فضة وذهبا لعلنا نأخذ منها فنطغى فندع ديننا ونتبع دينك فنزل جبريل فقال ان شئت فعلنا ذلك ثم ان لم يؤمنوا فعلنا بهم ما فعلنا بأصحاب المائدة فكف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدعاء ابقاء عليهم وروي عنه لعنه الله أنه قال هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم قالوا نعم قال فوالذي يحلف به لئن رأيته توطأت عنقه فجاءه ثم نكص على عقبيه فقالوا له ما لك يا أبا الحكم فقال ان بيني وبينه لخندقا من نار وهولا وأجنحة فنزلت أرأيت الذي ينهى ومعناه أخبرني عمن ينهى بعض عباد الله عن صلاته ان كان ذلك الناهي على طريقة سديدة فيما ينهى عنه من عبادة الله أو كان آمرا بالمعروف والتقوى فيما

(أليس الله بأحكم الحاكمين)

﴿سورة العلق مكية وهي تسع عشرة آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم كلا ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى ان الى ربك الرجعى أرأيت الذي ينهى عبدا اذا صلى أرأيت ان كان على الهدى أو أمر بالتقوى أرأيت ان كذب وتولى

﴿القول في سورة اقرأ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله تعالى ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى (قال) الرؤية ههنا من رؤية القلب ودل على ذلك انها لو كانت بمعنى الابصار لامتنع الخ

يأمره به من عبادة الأوثان كما يعتقد وكذلك إن كان على التكذيب للحق والتولي عن الدين الصحيح كما نقول نحن (ألم يعلم بأن الله يرى) ويطلع على أحواله من هداه وضلاله فيجازيه على حسب ذلك وهذا وعيد (فإن قلت) ما متعلق أرأيت (قلت) الذي ينهى مع الجملة الشرطية وهما في موضع المفعولين (فإن قلت) فأين جواب الشرط (قلت) هو محذوف تقديره إن كان على الهدى أو أمر بالتقوى ألم يعلم بأن الله يرى وإنما حذف لدلالة ذكره في جواب الشرط الثاني (فإن قلت) فكيف صح أن يكون ألم يعلم جوابا للشرط (قلت) كما صح في قولك إن أكرمتك أتكرمني وإن أحسن إليك زيد هل تحسن إليه (فإن قلت) فما أرأيت الثانية وتوسطها بين مفعولي أرأيت (قلت) هي زائدة مكررة للتوكيد وعن الحسن أنه أمية بن خلف كان ينهى سلمان عن الصلاة (كلا) ردع لأبي جهل وخسوء له عن نهيه عن عبادة الله تعالى وأمره بعبادة اللات ثم قال (لئن لم ينته) عما هو فيه (لنسفعا بالناصية) لنأخذن بناصيته ولنسحبنه بها إلى النار والسفع القبض على الشيء وجذبه بشدة قال عمرو بن معدي كرب

قوم إذا يقع الصريخ رأيتهم * من بين ملجم مهره أو سافع

وقرئ لنسفعن بالنون المشددة وقرأ ابن مسعود لأسفعا وكتبتها في المصحف بالألف على حكم الوقف ولما علم أنها ناصية المذكور اكتفى بلام العهد عن الإضافة (ناصية) بدل من الناصية وجاز بدلها عن المعرفة وهي نكرة لأنها وصفت فاستقلت بفائدة وقرئ ناصية على هي ناصية وناصية بالنصب وكلاهما على الشتم * ووصفها بالكذب والخطأ على الإسناد المجازي وهما في الحقيقة لصاحبها وفيه من الحسن والجزالة ما ليس في قولك ناصية كاذب خاطئ * والنادي المجلس الذي ينتدي فيه القوم أي يجتمعون والمراد أهل النادي كما قال جرير * لهم مجلس صهب السبال أذلة * وقال زهير * وفيهم مقامات حسان وجوههم * والمقامة المجلس روي أن أبا جهل مر برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي فقال ألم أنهك فأغلظ له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أتهددني وأنا أكثر أهل الوادي ناديا فنزلت * وقرأ ابن أبي عبلة سيدعى الزبانية على البناء للمفعول والزبانية في كلام العرب الشرط الواحد زبنية كعفرية من الزبن وهو الدفع وقيل زبني وكأنه نسب إلى الزبن ثم غير للنسب كقولهم أمسي وأصله زباني فقيل زبانية على التعويض والمراد ملائكة العذاب وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو دعا ناديه لأخذته الزبانية عيانا (كلا) ردع لأبي جهل (لا تطعه) أي اثبت على ما أنت عليه من عصيانه كقوله فلا تطع المكذبين (واسجد) ودم على سجودك يريد الصلاة (واقترب) وتقرب إلى ربك وفي الحديث أقرب ما يكون العبد إلى ربه إذا سجد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة العلق أعطي من الأجر كأنما قرأ المفصل كله

﴿سورة القدر مختلف فيها وهي خمس آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* عظم القرآن من ثلاثة أوجه أحدها أن أسند إنزاله إليه وجعله مختصا به دون غيره والثاني أنه جاء بضميره دون اسمه الظاهر شهادة له بالنباهة والاستغناء عن التنبيه عليه والثالث الرفع من مقدار الوقت الذي أنزل فيه روي أنه أنزل جملة واحدة في ليلة القدر من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا وأملاه جبريل على السفرة ثم كان ينزله على رسول الله صلى الله عليه وسلم نجوما في ثلاث وعشرين سنة وعن الشعبي المعنى إنا ابتدأنا إنزاله في ليلة القدر واختلفوا في وقتها فأكثرهم على أنها في شهر رمضان في العشر الأواخر في أوتارها وأكثر القول أنها السابعة منها ولعل الداعي إلى إخفائها أن يحيي من يريدها الليالي الكثيرة طلبا لموافقتها فتكثر عبادته ويتضاعف ثوابه وأن لا يتكل الناس عند إظهارها على إصابة الفضل فيها فيفرطوا في غيرها * ومعنى ليلة القدر ليلة تقدير الأمور وقضائها من قوله تعالى فيها يفرق كل أمر حكيم وقيل سميت بذلك لخطرها وشرفها على سائر الليالي (وما أدراك ما ليلة القدر) يعني ولم تبلغ درايتك غاية فضلها ومنتهى علو قدرها ثم بين له

ذلك

ألم يعلم بأن الله يرى كلا لئن لم ينته لنسفعا بالناصية ناصية كاذبة خاطئة فليدع ناديه سندع الزبانية كلا لا تطعه واسجد واقترب

﴿سورة القدر خمس آيات﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

إنا أنزلناه في ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر تنزل الملائكة

القول في سورة القدر

بسم الله الرحمن الرحيم

إنا أنزلناه في ليلة القدر (قال) فيه عظم الله القرآن فيها من ثلاثة أوجه الأول أنه أحال تنزيله إليه وجعله مختصا به الخ

لملكها بأنها خير من ألف شهر وسبب ارتقاء فضلها الى هذه الغاية ما يوجد فيها من المصالح الدينية التي ذكرها من تنزل الملائكة والروح وفصل كل أمر حكيم وذكر في تخصيص هذه المدة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر رجلا من بني اسرائيل لبس السلاح في سبيل الله ألف شهر فعجب المؤمنون من ذلك وتقاصرت اليهم أعمالهم فأعطوا ليلة هي خير من مدة ذلك الغازي وقيل ان الرجل فيما مضى ما كان يقال له عابد حتى يعبد الله ألف شهر فأعطوا ليلة ان أحيوها كانوا أحق بأن يسموا عابدين من أولئك العباد (تنزل) الى السماء الدنيا وقيل الى الأرض (والروح) جبريل وقيل خلق من الملائكة لا تراهم الملائكة الا تلك الليلة (من كل أمر) أي تتنزل من أجل كل أمر قضاه الله لتلك السنة الى قابل وقرئ من كل امرئ أي من أجل كل انسان قيل لا يلقون مؤمنا ولا مؤمنة الا سلموا عليه في تلك الليلة (سلام هي) ما هي الا سلامة أي لا يقدر الله فيها الا السلامة والخير ويقضي في غيرها بلاء وسلامة أو ما هي الا سلام لكثرة ما يسلمون على المؤمنين وقرئ مطلع بفتح اللام وكسرها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القدر أعطي من الأجر كمن صام رمضان وأحيا ليلة القدر

﴿سورة القيمة مكية وقيل مدنية وهي ثمان آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

كان الكفار من الفريقين أهل الكتاب وعبدة الأصنام يقولون قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم لا ننفك مما نحن عليه من ديننا ولا نتركه حتى يبعث النبي الموعود الذي هو مكتوب في التوراة والانجيل وهو محمد صلى الله عليه وسلم فحكى الله تعالى ما كانوا يقولونه ثم قال وما تفرق الذين أوتوا الكتاب يعني أنهم كانوا يعدون اجتماع الكلمة والاتفاق على الحق اذا جاءهم الرسول ثم ما فرقهم عن الحق ولا أقرهم على الكفر الا مجيء الرسول صلى الله عليه وسلم ونظيره في الكلام أن يقول الفقير الفاسق لمن يعظه لست بمنفك مما أنا فيه حتى يرزقني الله الغنى فيرزقه الله الغنى فيزداد فسقا فيقول واعظه لم تكن منفكا عن الفسق حتى توسر وما غمست رأسك في الفسق الا بعد اليسار يذكره ما كان يقوله توبيخا والزاما وانفكاك الشيء من الشيء أن يزايله بعد التحامه به كالعظم اذا انفك من مفصله والمعنى أنهم متشبثون بدينهم لا يتركونه الا عند مجيء البينة و(البينة) الحجة الواضحة و(رسول) بدل من البينة وفي قراءة عبد الله رسولا حالا من البينة (صحفا) قراطيس (مطهرة) من الباطل (فيها كتب) مكتوبات (قيمة) مستقيمة ناطقة بالحق والعدل والمراد بتفرقهم تفرقهم عن الحق وانقشاعهم عنه أو تفرقهم فرقا فمنهم من آمن ومنهم من أنكر وقال ليس به ومنهم من عرف وعاند (فان قلت) لم جمع بين أهل الكتاب والمشركين أولا ثم أفرد أهل الكتاب في قوله (وما تفرق الذين أوتوا الكتاب) (قلت) لأنهم كانوا على علم به لوجوده في كتبهم فاذا وصفوا بالتفرق عنه كان من لا كتاب له أدخل في هذا الوصف (وما أمروا) يعني في التوراة والانجيل الا بالدين الحنيفي ولكنهم حرفوا وبدلوا (وذلك دين القيمة) أي دين الملة القيمة وقرئ وذلك الدين القيمة على تأويل الدين بالملة (فان قلت) ما وجه قوله وما أمروا الا ليعبدوا الله (قلت) معناه وما أمروا بما في الكتابين الا لأجل أن يعبدوا الله على هذه الصفة وقرأ ابن مسعود الا أن يعبدوا بمعنى بأن يعبدوا وقرأ نافع البريئة بالهمزة والقراء على التخفيف والنبي والبرية مما استمر الاستعمال على تخفيفه ورفض الأصل وقرئ خيار البرية جمع خير كجياد وطياب في جمع جيد وطيب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ لم يكن كان يوم القيامة مع خير البرية مساء ومقيلا

﴿سورة الزلزلة مختلف فيها وهي تسع آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(زلزالها) قرئ بكسر الزاي وفتحها فالمكسور مصدر والمفتوح اسم وليس في الأبنية فعلال بالفتح الا في المضاعف (فان قلت) ما معنى زلزالها بالاضافة (قلت) معناه زلزالها الذي تستوجبه في الحكمة ومشيئة الله

والروح فيها باذن ربهم من كل أمر سلام هي حتى مطلع الفجر

﴿سورة القيمة مكية وهي ثمان آيات﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة رسول من الله يتلو صحفا مطهرة فيها كتب قيمة وما تفرق الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكوة وذلك دين القيمة ان الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه

(سورة الزلزلة تسع آيات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

اذا زلزلت الأرض زلزالها وأخرجت الأرض أثقالها الآيات (قال فيه)

كان الكفار من الفريقين أهل الكتاب وعبدة الأوثان يقولون قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم لا ننفك مما نحن عليه الخ

(القول في سورة الزلزلة) (بسم الله الرحمن الرحيم) قوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره (قال فيه إن قلت حسنات الكافر محبطة بالكفر الخ) قال أحمد السؤال مبني على قاعدتين إحداهما أن حسنات الكافر محبطة بالكفر وهذه فيها نظر فإن حسنات الكافر محبطة أي لا يثاب عليها ولا ينعم وأما تخفيف العذاب بسببها فغير منكر فقد وردت به الأحاديث الصحيحة وقد ورد أن حاتما يخفف (٥٥٦) الله عنه لكرمه ومعروفه وورد ذلك في حق غيره كأبي طالب أيضا فحينئذ لحسنات الكافر أثر ما في تخفيف العذاب فيمكن أن يكون المرئي هو ذلك الأثر والله أعلم وأما القاعدة الثانية وهي القول بأن اجتناب الكبائر يوجب تمحيص الصغائر ويكفرها عن المؤمن فمردودة عند أهل السنة فإن الصغائر عندهم حكمها في التكفير حكم الكبائر تكفر بأحد أمرين إما بالتوبة النصوح المقبولة وإما بالمشيئة لا غير ذلك وأما اجتناب الكبيرة فعندهم فلا يوجب التكفير للصغيرة فالسؤال إذاً ساقط عن أهل السنة ولكن الزمخشري التزم الجواب عنه لالتزامه على قاعدته الفاسدة والله الموفق

وقال الإنسان ما لها يومئذ تحدث أخبارها بأن ربك أوحى لها يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره

﴿سورة والعاديات وهي إحدى عشرة آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

والعاديات ضبحا

وهو الزلزال الشديد الذي ليس بعده، ونحوه قولك أكرم التقي إكرامه وأهن الفاسق إهانته تريد ما يستوجبانه من الإكرام والإهانة أو زلزالها كله وجميع ما هو ممكن منه * الأثقال جمع ثقل وهو متاع البيت وتحمل أثقالكم جعل ما في جوفها من الدفائن أثقالا لها (وقال الإنسان ما لها) زلزلت هذه الزلزلة الشديدة ولفظت ما في بطنها وذلك عند النفخة الثانية حين تزلزل وتلفظ أمواتها أحياء فيقولون ذلك لما يبهرهم من الأمر الفظيع كما يقولون من بعثنا من مرقدنا وقيل هذا قول الكافر لأنه كان لا يؤمن بالبعث فأما المؤمن فيقول هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون (فإن قلت) ما معنى تحديث الأرض والإيحاء لها (قلت) هو مجاز عن إحداث الله تعالى فيها من الأحوال ما يقوم مقام التحديث باللسان حتى ينظر من يقول ما لها إلى تلك الأحوال فيعلم لم زلزلت ولم لفظت الأموات وأن هذا ما كانت الأنبياء ينذرونه ويحذرون منه وقيل ينطقها الله على الحقيقة وتخبر بما عمل عليها من خير وشر وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تشهد على كل أحد بما عمل على ظهرها (فإن قلت) إذا ويومئذ ما ناصبهما (قلت) يومئذ بدل من إذا وناصبهما تحدث ويجوز أن ينتصب إذا بمضمر ويومئذ بتحدث (فإن قلت) أين مفعولا تحدث (قلت) قد حذف أولهما والثاني أخبارها وأصله تحدث الخلق أخبارها إلا أن المقصود ذكر تحديثها الأخبار لا ذكر الخلق تعظيما لليوم (فإن قلت) بم تعلقت الباء في قوله (بأن ربك) (قلت) بتحدث معناه تحدث أخبارها بسبب إيحاء ربك لها وأمره إياها بالتحديث ويجوز أن يكون المعنى يومئذ تحدث بتحديث أن ربك أوحى لها أخبارها على أن تحديثها بأن ربك أوحى لها تحديث بأخبارها كما تقول نصحتني كل نصيحة بأن نصحتني في الدين ويجوز أن يكون بأن ربك بدلا من أخبارها كأنه قيل يومئذ تحدث بأخبارها بأن ربك أوحى لها لأنك تقول حدثته كذا وحدثته بكذا (أوحى لها) بمعنى أوحى إليها وهو مجاز كقوله أن نقول له كن فيكون قال

* أوحى لها القرار فاستقرت *

وقرأ ابن مسعود تنبئ أخبارها وسعيد بن جبير تنبي بالتخفيف * يصدرون عن مخارجهم من القبور إلى الموقف (أشتاتا) بيض الوجوه آمنين وسود الوجوه فزعين أو يصدرون عن الموقف أشتاتا يتفرق بهم طريقا الجنة والنار * ليروا جزاء أعمالهم وفي قراءة النبي صلى الله عليه وسلم ليروا بالفتح * وقرأ ابن عباس وزيد بن علي يره بالضم ويحكى أن أعرابيا أخر خيرا يره فقيل له قدمت وأخرت فقال

خذا بطن هرشى أو قفاها فإنه * كلا جانبي هرشى لهن طريق

* والذرة النملة الصغيرة وقيل الذر ما يرى في شعاع الشمس من الهباء (فإن قلت) حسنات الكافر محبطة بالكفر وسيئات المؤمن معفوة باجتناب الكبائر فما معنى الجزاء بمثاقيل الذر من الخير والشر (قلت) المعنى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا من فريق السعداء ومن يعمل مثقال ذرة شرا من فريق الأشقياء لأنه جاء بعد قوله يصدر الناس أشتاتا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة إذا زلزلت أربع مرات كان كمن قرأ القرآن كله

﴿سورة والعاديات مختلف فيها وهي إحدى عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* أقسم بخيل الغزاة تعدو فتضبح * والضبح صوت أنفاسها إذا عدون وعن ابن عباس أنه حكاه فقال أح أح

قال (القول في سورة والعاديات) (بسم الله الرحمن الرحيم) قوله تعالى والعاديات ضبحا الآية (قال أقسم بخيل الغزاة تعدو فتضبح والضبح صوت أنفاسها الخ) قال أحمد وفي ذكر حكمة الإتيان بالفعل معطوفا على الاسم فنقول إنما عطف أثرن على الاسم الذي هو العاديات وما بعده لأنها أسماء فاعلين تعطي معنى الفعل وحكمة مجيء هذا المعطوف فعلا عن اسم فاعل تصوير هذه الأفعال في النفس فإن التصوير

قال عنترة

والخيل تكدح حين تضبح في حياض الموت ضبحا

وانتصاب ضبحا على يضبحن ضبحا أو بالعاديات كأنه قيل والضابحات لأن الضبح يكون مع العدو أو على الحال أي ضابحات (فالموريات) تورى نار الحباحب وهي ما ينقدح من حوافرها (قدحا) قادحات صاكات بحوافرها الحجارة والقدح الصك والإيراء إخراج النار تقول قدح فأورى وقدح فأصلد وانتصب قدحا بما انتصب به ضبحا (فالمغيرات) تغير على العدو (صبحا) في وقت الصبح (فأثرن به نقعا) فهيجن بذلك الوقت غبارا (فوسطن به) بذلك الوقت أو بالنقع أي وسطن النقع الجمع أو فوسطن ملتبسات به (جمعا) من جموع الأعداء ووسطه بمعنى توسطه وقيل الضمير لمكان الغارة وقيل للعدو الذي دل عليه والعاديات ويجوز أن يراد بالنقع الصياح من قوله عليه السلام ما لم يكن نقع ولا لقلقة وقول لبيد فمتى ينقع صراخ صادق أي فهيجن في المغار عليهم صياحا وجلبة وقرأ أبو حيوة فأثرن بالتشديد بمعنى فأظهرن به غبارا لأن التأثير فيه معنى الإظهار أو قلب ثورن إلى وثرن وقلب الواو همزة وقرئ فوسطن بالتشديد للتعدية والباء مزيدة للتوكيد كقوله وأتوا به وهي مبالغة في وسطن وعن ابن عباس كنت جالسا في الحجر فجاء رجل فسألني عن العاديات ضبحا ففسرتها بالخيل فذهب إلى علي وهو تحت سقاية زمزم فسأله وذكر له ما قلت فقال ادعه لي فلما وقفت على رأسه قال تفتي الناس بما لا علم لك به والله إن كانت لأول غزوة في الإسلام بدر وما كان معنا إلا فرسان فرس للزبير وفرس للمقداد العاديات ضبحا الإبل من عرفة إلى المزدلفة ومن المزدلفة إلى منى فإن صحت الرواية فقد استعير الضبح للإبل كما استعير المشافر والحافر للإنسان والشفتان للمهر والثفر للثور وما أشبه ذلك وقيل الضبح لا يكون إلا للفرس والكلب والثعلب وقيل الضبح بمعنى الضبع يقال ضبحت الإبل وضبعت إذا مدت أضباعها في السير وليس بثبت وجمع هو المزدلفة (فإن قلت) علام عطف فأثرن (قلت) على الفعل الذي وضع اسم الفاعل موضعه لأن المعنى واللاتي عدون فأورين فأغرن فأثرن الكنود الكفور وكند النعمة كنودا ومنه سمي كندة لأنه كند أباه ففارقه وعن الكلبي الكنود بلسان كندة العاصي وبلسان بني مالك البخيل وبلسان مضر وربيعة الكفور يعني أنه لنعمة ربه خصوصا لشديد الكفران لأن تفريطه في شكر نعمة غير الله تفريط قريب لمقاربة النعمة لأن أجل ما أنعم به على الإنسان من مثله نعمة أبويه ثم إن عظماها في جنب أدنى نعمة الله قليلة ضئيلة (وإنه) وإن الإنسان (على ذلك) على كنوده (لشهيد) يشهد على نفسه ولا يقدر أن يجحده لظهور أمره وقيل وإن الله على كنوده لشاهد على سبيل الوعيد (الخير) المال من قوله تعالى إن ترك خيرا والشديد البخيل الممسك يقال فلان شديد ومتشدد قال طرفة

أرى الموت يعتام الكرام ويصطفي * عقيلة مال الفاحش المتشدد

يعني وإنه لأجل حب المال وأن إنفاقه يثقل عليه لبخيل ممسك أو أراد بالشديد القوي وإنه لحب المال وإيثار الدنيا وطلبها قوي مطيق وهو لحب عبادة الله وشكر نعمته ضعيف متقاعس تقول هو شديد لهذا الأمر وقوي له إذا كان مطيقا له ضابطا أو أراد أنه لحب الخيرات غير هش منبسط ولكنه شديد منقبض (بعثر) بعث وقرئ بحثر وبحث وبحثر وبعثر على بنائه للفاعل وحصل بالتخفيف ومعنى حصل جمع في الصحف أي أظهر محصلا مجموعا وقيل ميز بين خيره وشره ومنه قيل للمنخل المحصل ومعنى علمه بهم يوم القيامة مجازاته لهم على مقادير أعمالهم لأن ذلك أثر خبره بهم وقرأ أبو السمال إن ربهم بهم يومئذ خبير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والعاديات أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من بات بالمزدلفة وشهد جمعا

﴿سورة القارعة مكية وهي عشر آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

الظرف نصب بمضمر دلت عليه القارعة أي تقرع (يوم يكون الناس كالفراش المبثوث) شبههم بالفراش في الكثرة والانتشار والضعف والذلة والتطاير إلى الداعي من كل جانب كما يتطاير الفراش إلى النار قال جرير

فالموريات قدحا فالمغيرات صبحا فأثرن به نقعا فوسطن به جمعا إن الإنسان لربه لكنود وإنه على ذلك لشهيد وإنه لحب الخير لشديد أفلا يعلم إذا بعثر ما في القبور وحصل ما في الصدور إن ربهم بهم يومئذ لخبير

﴿سورة القارعة مكية وهي عشر آيات﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

القارعة ما القارعة وما أدراك ما القارعة يوم يكون الناس كالفراش المبثوث

يتصل بإيراد الفعل بعد الاسم لما فيهما من التخالف وهو أبلغ من التصوير بالأسماء المتناسقة وكذلك التصوير بالمضارع بعد الماضي وقد تقدمت له شواهد منها قول ابن معد يكرب

بأني قد لقيت الغول تهوي

بسهب كالصحيفة صحصحان

فأضربها بلا دهش فخرت

صريعا لليدين وللجران

﴿القول في سورة القارعة﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* قوله تعالى يوم يكون الناس كالفراش المبثوث (قال فيه) شبهوا حينئذ بالفراش لكثرتهم وانتشارهم الخ

ان الفرزدق ما علمت وقومه * مثل الفراش غشين نار المصطلي

وفي أمثالهم أضعف من فراشة وأذل وأجهل وسمي فراشا لتفرشه وانتشاره * وشبه الجبال بالعهن وهو الصوف المصبغ ألوانا لانها ألوان وبالمنفوش منه لتفرق أجزائها وقرأ ابن مسعود كالصوف * الموازين جمع موزون وهو العمل الذي له وزن وخطر عند الله أو جمع ميزان * وثقلها رجحانها ومنه حديث أبي بكر لعمر رضي الله عنهما في وصيته له وانما ثقلت موازين من ثقلت موازينهم يوم القيامة باتباعهم الحق وثقله في الدنيا وحق لميزان لا يوضع فيه الا الحسنات أن يثقل وانما خفت موازين من خفت موازينه لاتباعهم الباطل وخفته في الدنيا وحق لميزان لا يوضع فيه الا السيآت أن يخف (فأمه هاوية) من قولهم اذا دعوا على الرجل بالهلكة هوت أمه لانه اذا هوى أي سقط وهلك فقد هوت أمه ثكلا وحزنا قال

هوت أمه ما يبعث الصبح غاديا * وماذا يرد الليل حين يؤوب

فكأنه قيل وأما من خفت موازينه فقد هلك وقيل هاوية من أسماء النار وكأنها النار العميقة لهوي أهل النار فيها مهوى بعيدا كما روي يهوي فيها سبعين خريفا أي فأواه النار وقيل للمأوى أم على التشبيه لان الام مأوى الولد ومفزعه وعن قتادة فأمه هاوية أي فأم رأسه هاوية في قعر جهنم لانه يطرح فيها منكوسا (هيه) ضمير الداهية التي دل عليها قوله فأمه هاوية في التفسير الاول أو ضمير هاوية والهاء للسكت واذا وصل القارئ حذفها وقيل حقه أن لا يدرج لئلا يسقطها الادراج لانها ثابتة في المصحف وقد أجيز اثباتها مع الوصل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القارعة ثقل الله بها ميزانه يوم القيامة

﴿سورة التكاثر مكية وهي ثماني آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* ألهاه عن كذا وأقهاه اذا شغله و(التكاثر) التباري في الكثرة والتباهي بها وأن يقول هؤلاء نحن أكثر وهؤلاء نحن أكثر روي أن بني عبد مناف وبني سهم تفاخروا أيهم أكثر عددا فكثرهم بنو عبد مناف فقالت بنو سهم ان البغي أهلكنا في الجاهلية فعادونا بالاحياء والاموات فكثرتهم بنو سهم والمعنى أنكم تكاثرتم بالاحياء حتى اذا استوعبتم عددهم صرتم الى المقابر فتكاثرتم بالاموات * عبر عن بلوغهم ذكر الموتى بزيارة المقابر تهكما بهم وقيل كانوا يزورون المقابر فيقولون هذا قبر فلان وهذا قبر فلان عند تفاخرهم والمعنى ألهاكم ذلك وهو مما لا يعنيكم ولا يجدي عليكم في دنياكم وآخرتكم عما يعنيكم من أمر الدين الذي هو أهم وأعنى من كل مهم أو أراد ألهاكم التكاثر بالاموال والاولاد الى أن متم وقبرتم منفقين أعماركم في طلب الدنيا والاستباق اليها والتهالك عليها الى أن أتاكم الموت لا هم لكم غيرها عما هو أولى بكم من السعي لعاقبتكم والعمل لآخرتكم وزيارة القبور عبارة عن الموت قال

لن يخلص العام خليل عشرا * ذاق الضماد أو يزور القبرا

وقال

زار القبور أبو مالك * فأصبح ألأم زوارها

وقرأ ابن عباس أألهاكم على الاستفهام الذي معناه التقرير (كلا) ردع وتنبيه على أنه لا ينبغي للناظر لنفسه أن تكون الدنيا جميع همه ولا يهتم بدينه (سوف تعلمون) انذار ليخافوا فيتنبهوا عن غفلتهم * والتكرير تأكيد للردع والانذار عليهم و(ثم) دلالة على أن الانذار الثاني أبلغ من الاول وأشد كما تقول للمنصوح أقول لك ثم أقول لك لا تفعل والمعنى سوف تعلمون الخطأ فيما أنتم عليه اذا عاينتم ما قدامكم من هول لقاء الله وأن هذا التنبيه نصيحة لكم ورحمة عليكم * ثم كرر التنبيه أيضا وقال (لو تعلمون) محذوف الجواب يعني لو تعلمون ما بين أيديكم علم الامر اليقين أي كعلمكم ما تستيقنونه من الامور التي وكلتم بعلمها هممكم لفعلتم ما لا يوصف ولا يكتنه ولكنكم ضلال جهلة ثم قال (لترون الجحيم) فبين لهم ما أنذرهم منه وأوعدهم به وقد مر ما في ايضاح الشيء بعد ابهامه من تفخيمه وتعظيمه وهو جواب قسم محذوف والقسم لتوكيد الوعيد وأن ما أوعدوا

وتكون الجبال كالعهن المنفوش فأما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية وأما من خفت موازينه فأمه هاوية وما أدراك ماهيه نار حامية

﴿سورة التكاثر مكية وهي ثماني آيات﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون كلا لو تعلمون

* قوله تعالى فأمه هاوية (قال فيه) اذا دعوا على الرجل بالهلكة قالوا هوت أمه الخ) قال أحمد والاول أظهر لانه مثل معروف كقولهم لامه الهبل

(القول في سورة التكاثر)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* قوله تعالى كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون كلا لو تعلمون (ذكر فيه) مبالغة من وجوه ثلاثة أوجه الاول انه كرر الانذار الخ

بما لا مدخل فيه للريب وكرره معطوفاً بثم تغليظاً في التهديد وزيادة في التهويل * وقرئ لترؤن بالهمز وهي مستكرهة (فإن قلت) لم استكرهت والواو المضمومة قبلها همزة قياس مطرد (قلت) ذاك في الواو التي ضمتها لازمة وهذه عارضة لالتقاء الساكنين * وقرئ لترون ولترونها على البناء للمفعول (عين اليقين) أي الرؤية التي هي نفس اليقين وخالصته ويجوز أن يراد بالرؤية العلم والإبصار (عن النعيم) عن اللهو والتنعم الذي شغلكم الالتذاذ به عن الدين وتكاليفه (فإن قلت) ما النعيم الذي يسئل عنه الإنسان ويعاتب عليه فما من أحد إلا وله نعيم (قلت) هو نعيم من عكف همته على استيفاء اللذات ولم يعش إلا ليأكل الطيب ويلبس اللين ويقطع أوقاته باللهو والطرب لا يعبأ بالعلم والعمل ولا يحمل نفسه مشاقهما فأما من تمتع بنعمة الله وأرزاقه التي لم يخلقها إلا لعباده وتقوى بها على دراسة العلم والقيام بالعمل وكان ناهضاً بالشكر فهو عن ذلك بمعزل وإليه أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روي أنه أكل هو وأصحابه تمراً وشربوا عليه ماء فقال الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين * عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ ألهاكم التكاثر لم يحاسبه الله بالنعيم الذي أنعم به عليه في دار الدنيا وأعطي من الأجر كأنما قرأ ألف آية

﴿سورة والعصر مكية وهي ثلاث آيات﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* أقسم بصلاة العصر لفضلها بدليل قوله تعالى والصلاة الوسطى صلاة العصر في مصحف حفصة وقوله عليه الصلاة والسلام من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله ولأن التكليف في أدائها أشق لتهافت الناس في تجاراتهم ومكاسبهم آخر النهار واشتغالهم بمعايشهم أو أقسم بالعشي كما أقسم بالضحى لما فيهما جميعاً من دلائل القدرة أو أقسم بالزمان لما في مروره من أصناف العجائب * والإنسان للجنس * والخسر الخسران كما قيل الكفر في الكفران والمعنى أن الناس في خسران من تجاراتهم إلا الصالحين وحدهم لأنهم اشتروا الآخرة بالدنيا فربحوا وسعدوا ومن عداهم تجروا خلاف تجارتهم فوقعوا في الخسارة والشقاوة (وتواصوا بالحق) بالأمر الثابت الذي لا يسوغ إنكاره وهو الخير كله من توحيد الله وطاعته واتباع كتبه ورسله والزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة (وتواصوا بالصبر) عن المعاصي وعلى الطاعات وعلى ما يبلو الله به عباده * عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والعصر غفر الله له وكان ممن تواصى بالحق وتواصى بالصبر

﴿سورة الهمزة مكية وهي تسع آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* الهمز الكسر كالهزم واللمز الطعن يقال لمزه ولهزه طعنه والمراد الكسر من أعراض الناس والغض منهم واغتيابهم والطعن فيهم وبناء فعلة يدل على أن ذلك عادة منه قد ضري بها ونحوهما اللعنة والضحكة قال

وإن أغيب فأنت الهامز اللمزه

* وقرئ ويل للهمزة اللمزة * وقرئ ويل لكل همزة لمزة بسكون الميم وهو المسخرة الذي يأتي بالأوابد والأضاحيك فيضحك منه ويشتم وقيل نزلت في الأخنس بن شريق وكانت عادته الغيبة والوقيعة وقيل في أمية بن خلف وقيل في الوليد بن المغيرة واغتيابه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وغضه منه ويجوز أن يكون السبب خاصاً والوعيد عاماً ليتناول كل من باشر ذلك القبيح وليكون جارياً مجرى التعريض بالوارد فيه فإن ذلك أزجر له وأنكى فيه (الذي) بدل من كل أو نصب على الذم * وقرئ جمع بالتشديد وهو مطابق لقوله وعدده وقيل عدده جعله عدة لحوادث الدهر * وقرئ وعدده أي جمع المال وضبط عدده وأحصاه أو جمع ماله وقومه الذين ينصرونه من قولك فلان ذو عدد وعدد إذا كان له عدد وافر من الأنصار وما يصلحهم وقيل وعدده معناه وعده على فك الإدغام نحو ضننوا (أخلده) وخلده بمعنى أي طول المال أمله ومناه الأماني البعيدة حتى أصبح لفرط غفلته وطول أمله يحسب أن المال تركه خالداً في الدنيا لا يموت أو يعمل من

عين اليقين لترون الجحيم ثم لترونها عين اليقين ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم

﴿سورة والعصر مكية وهي ثلاث آيات﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر

﴿سورة الهمزة مكية وهي تسع آيات﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

ويل لكل همزة لمزة الذي جمع مالاً وعدده يحسب أن ماله أخلده

(القول في سورة الهمزة)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* قوله تعالى ويل لكل همزة لمزة (قال المراد بالهمزة المكثر من الطعن على الناس والقدح فيهم الخ) قال أحمد وما أحسن مقابلة الهمزة اللمزة بالحطمة فإنه لما وسمه بهذه السمة بصيغة تشعر بأنها راسخة فيه ومتمكنة منه أتبع المبالغة بوعيده بالنار التي سماها بالحطمة لما يلقى فيها وما اشتق تمييزها صيغة مبالغة على وزن الصيغة التي ضمن الذنب حتى يحصل

تشييد البنيان الموثق بالصخر والآجر وغرس الأشجار وعمارة الأرض عمل من يظن أن ماله أبقاه حياً أو هو تعريض بالعمل الصالح وأنه هو الذي أخلد صاحبه في النعيم فأما المال فما أخلد أحداً فيه وروي أنه كان للأخنس أربعة آلاف دينار وقيل عشرة آلاف وعن الحسن أنه عاد موسراً فقال ما تقول في ألوف لم أفتد بها من لئيم ولا تفضلت على كريم قال ولكن لماذا قال لنبوة الزمان وجفوة السلطان ونوائب الدهر ومخافة الفقر قال إذن تدعه لمن لا يحمدك وترد على من لا يعذرك (كلا) ردع له عن حسبانه * وقرئ لينبذان أي هو وماله ولينبذن بضم الذال أي هو وأنصاره ولينبذنه (في الحطمة) في النار التي من شأنها أن تحطم كل ما يلقى فيها ويقال للرجل الأكول إنه لحطمة وقرئ الحاطمة يعني أنها تدخل في أجوافهم حتى تصل إلى صدورهم وتطلع على أفئدتهم وهي أوساط القلوب ولا شيء في بدن الإنسان ألطف من الفؤاد ولا أشد تألماً منه بأدنى أذى يمسه فكيف إذا اطلعت عليه نار جهنم واستولت عليه ويجوز أن يخص الأفئدة لأنها مواطن الكفر والعقائد الفاسدة والنيات الخبيثة ومعنى اطلاع النار عليها أنها تعلوها وتغلبها وتشتمل عليها أو تطالع على سبيل المجاز معادن موجبها (مؤصدة) مطبقة قال

تحن إلى أجبال مكة ناقتي * ومن دونها أبواب صنعاء مؤصده

* وقرئ في عمد بضمتين وعمد بسكون الميم وعمد بفتحتين والمعنى أنه يؤكد يأسهم من الخروج وتيقنهم بحبس الأبد فتؤصد عليهم الأبواب وتمدد على الأبواب العمد استيثاقاً في استيثاق ويجوز أن يكون المعنى أنها عليهم مؤصدة موثقين في عمد ممددة مثل المقاطر التي تقطر فيها اللصوص اللهم أجرنا من النار يا خير مستجار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الهمزة أعطاه الله عشر حسنات بعدد من استهزأ بمحمد وأصحابه

﴿سورة الفيل مكية وهي خمس آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* روي أن أبرهة بن الصباح الأشرم ملك اليمن من قبل أصحمة النجاشي بنى كنيسة بصنعاء وسماها القليس وأراد أن يصرف إليها الحاج فخرج رجل من كنانة فقعد فيها ليلاً فأغضبه ذلك وقيل أججت رفقة من العرب ناراً فحملتها الريح فأحرقتها فحلف ليهدمن الكعبة فخرج بالحبشة ومعه فيل له اسمه محمود وكان قوياً عظيماً واثنا عشر فيلاً غيره وقيل ثمانية وقيل كان معه ألف فيل وكان وحده فلما بلغ المغمس خرج إليه عبد المطلب وعرض عليه ثلث أموال تهامة ليرجع فأبى وعبأ جيشه وقدم الفيل فكانوا كلما وجهوه إلى الحرم برك ولم يبرح وإذا وجهوه إلى اليمن أو إلى غيره من الجهات هرول فأرسل الله طيراً سوداً وقيل خضراً وقيل بيضاً مع كل طائر حجر في منقاره وحجران في رجليه أكبر من العدسة وأصغر من الحمصة وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه رأى منها عند أم هانئ نحو قفيز مخططة بحمرة كالجزع الظفاري فكان الحجر يقع على رأس الرجل فيخرج من دبره وعلى كل حجر اسم من يقع عليه ففروا وهلكوا في كل طريق ومنهل وروي أن أبرهة تساقطت أنامله وآرابه وما مات حتى انصدع صدره عن قلبه وانفلت وزيره أبو يكسوم وطائر يحلق فوقه حتى بلغ النجاشي فقص عليه القصة فلما أتمها وقع عليه الحجر فخر ميتاً بين يديه وقيل كان أبرهة جد النجاشي الذي كان في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربعين سنة وقيل بثلاث وعشرين سنة وعن عائشة رضي الله عنها رأيت قائد الفيل وسائسه أعميين مقعدين يستطعمان وفيه أن أبرهة أخذ لعبد المطلب مائتي بعير فخرج إليه فيها فعظمه وكان رجلاً جسيماً وسيماً وقيل هذا سيد قريش وصاحب عير مكة الذي يطعم الناس في السهل والوحوش في رؤس الجبال فلما ذكر حاجته قال سقطت من عيني جئت لأهدم البيت الذي هو دينك ودين آبائك وعصمتكم وشرفكم في قديم الدهر فألهاك عنه ذود أخذ لك فقال أنا رب الإبل وللبيت رب سيمنعه ثم رجع وأتى باب البيت فأخذ بحلقته وهو يقول

لاهم إن المرء يمنع رحله فامنع رحالك * لا يغلبن صليبهم * ومحالهم أبداً محالك

كلا لينبذن في الحطمة وما أدراك ما الحطمة نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة إنها عليهم مؤصدة في عمد ممددة

التعادل بين الذنب والجزاء فهمزة التي ضرى بالذنب جزاؤه هذه الحطمة التي هي ضارية بحطم كل ما يلقى إليها ضراوة كلامه (قال) وخص الأفئدة لأنها ألطف ما في الإنسان والألم عليها أشد منه الخ

إن كنت تاركهم وكعـ ـبتنا فأمر ما بدا لك * يا رب لا أرجو لهم سواكا * يا رب فامنع منهم حماكا
فالتفت وهو يدعو فإذا هو بطير من نحو اليمن فقال والله إنها لطير غريبة ما هي بنجدية ولا تهامية وفيه أن
أهل مكة قد احتووا على أموالهم وجمع عبد المطلب من جواهرهم وذهبهم الجور وكان سبب يساره وعن
أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه سئل عن الطير فقال حمام مكة منها وقيل جاءت عشية ثم صبحتهم وعن
عكرمة من أصابته جدرته وهو أول جدري ظهر * قرئ ألم تر بسكون الراء للجد في إظهار أثر الجازم والمعنى
إنك رأيت آثار فعل الله بالحبشة وسمعت الأخبار به متواترة فقامت لك مقام المشاهدة و(كيف) في موضع
نصب بفعل ربك لا بألم تر لما في كيف من معنى الاستفهام (في تضليل) في تضييع وإبطال يقال ضلل كيده
إذا جعله ضالا ضائعا ومنه قوله تعالى وما كيد الكافرين إلا في ضلال وقيل لامرئ القيس الملك الضليل لأنه
ضلل ملك أبيه أي ضيعه يعني أنهم كادوا البيت أولا ببناء القليس وأرادوا أن ينسخوا أمره بصرف وجوه
الحاج إليه فضلل كيدهم بإيقاع الحريق فيه وكادوه ثانيا بإرادة هدمه فضلل بإرسال الطير عليهم (أبابيل)
حزائق الواحدة إبالة وفي أمثالهم ضغث على إبالة وهي الحزمة الكبيرة شبهت الحزقة من الطير في تضامها
بالإبالة وقيل أبابيل مثل عباديد وشماطيط لا واحد لها * وقرأ أبو حنيفة رحمه الله يرميهم أي الله تعالى
أو الطير لأنه اسم جمع مذكر وإنما يؤنث على المعنى * وسجيل كأنه علم للديوان الذي كتب فيه عذاب الكفار كما
أن سجينا علم لديوان أعمالهم كأنه قيل بحجارة من جملة العذاب المكتوب المدون واشتقاقه من الإسجال وهو
الإرسال لأن العذاب موصوف بذلك وأرسل عليهم طيرا فأرسلنا عليهم الطوفان وعن ابن عباس رضي الله
عنهما من طين مطبوخ كما يطبخ الآجر وقيل هو معرب من سنككل وقيل من شديد عذابه ورأيت
ابن مقبل ضربا تواصت به الأبطال سجيلا * وإنما هو سجينا والقصيدة نونية مشهورة في ديوانه وشبهوا بورق
الزرع إذا أكل أي وقع فيه الأكال وهو أن يأكله الدود أو بتبن أكلته الدواب وراثته ولكنه جاء على ما عليه
آداب القرآن كقوله كانا يأكلان الطعام أو أريد أكل حبه فبقي صفرا منه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة الفيل أعفاه الله أيام حياته من الخسف والمسخ

﴿سورة قريش مكية وهي أربع آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(لإيلاف قريش) متعلق بقوله (فليعبدوا) أمرهم أن يعبدوه لأجل إيلافهم الرحلتين (فإن قلت) فلم
دخلت الفاء (قلت) لما في الكلام من معنى الشرط لأن المعنى إما لا فليعبدوه لإيلافهم على معنى أن نعم الله
عليهم لا تحصى فإن لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لهذه الواحدة التي هي نعمة ظاهرة وقيل المعنى عجبوا
لإيلاف قريش وقيل هو متعلق بما قبله أي فجعلهم كعصف مأكول لإيلاف قريش وهذا بمنزلة التضمين
في الشعر وهو أن يتعلق معنى البيت بالذي قبله تعلقا لا يصح إلا به وهما في مصحف أبي سورة واحدة بلا فصل
وعن عمر أنه قرأهما في الثانية من صلاة المغرب وقرأ في الأولى والتين والمعنى أنه أهلك الحبشة الذين
قصدوهم ليتسامع الناس بذلك فيتهيبوهم زيادة تهيب ويحترموهم فضل احترام حتى ينتظم لهم الأمن في
رحلتيهم فلا يجترئ أحد عليهم وكانت لقريش رحلتان يرحلون في الشتاء إلى اليمن وفي الصيف إلى الشام
فيمتارون ويتجرون وكانوا في رحلتيهم آمنين لأنهم أهل حرم الله وولاة بيته فلا يتعرض لهم والناس غيرهم
يتخطفون ويغار عليهم والإيلاف من قولك آلفت المكان أولفه إيلافا إذا ألفته فأنا مؤلف قال

من المؤلفات الرهو غير الأوارك

وقرئ لئلاف قريش أي لمؤالفة قريش وقيل يقال ألفته إلفا وإلافا
وقرأ أبو جعفر لإلف قريش وقد جمعهما من قال

زعمتم أن إخوتكم قريش * لهم إلف وليس لكم إلاف

وقرأ عكرمة ليألف قريش إلفهم رحلة الشتاء والصيف * وقريش ولد النضر بن كنانة سموا بتصغير القرش

﴿سورة الفيل مكية وهي خمس آيات﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ألم يجعل كيدهم في تضليل وأرسل عليهم طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول

﴿سورة قريش مكية وهي أربع آيات﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

لإيلاف قريش

(القول في سورة الفيل)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* قوله تعالى ألم يجعل كيدهم في تضليل وأرسل عليهم طيرا أبابيل (قال) معناه في ضياع ومنه امرئ القيس الملك الضليل الخ

(القول في سورة قريش)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* قوله تعالى لإيلاف قريش (قال) فيه اللام متعلقة بقوله فليعبدوا أمرهم أن يعبدوه لأجل إيلافهم الرحلتين فإن قلت لما دخلت الفاء الخ

وهو دابة عظيمة في البحر تعبث بالسفن ولا تطاق إلا بالنار وعن معاوية أنه سأل ابن عباس رضي الله عنهما بم سميت قريش قال بدابة في البحر تأكل ولا تؤكل وتعلو ولا تعلى وأنشد

وقريش هي التي تسكن البحر * بها سميت قريش قريشا

والتصغير للتعظيم وقيل من القرش وهو الكسب لأنهم كانوا كسابين بتجاراتهم وضربهم في البلاد * أطلق الإيلاف ثم أبدل عنه المقيد بالرحلتين تفخيما لأمر الإيلاف وتذكيرا بعظيم النعمة فيه ونصب الرحلة بإيلافهم مفعولا به كما نصب يتيما بإطعام * وأراد رحلتي الشتاء والصيف فأفرد لأمن الإلباس كقوله كلوا في بعض بطنكم وقرئ رحلة بالضم وهي الجهة التي يرحل إليها * والتنكير في جوع وخوف لشدتهما يعني أطعمهم بالرحلتين من جوع شديد كانوا فيه قبلهما وآمنهم من خوف عظيم وهو خوف أصحاب الفيل أو خوف التخطف في بلدهم ومسايرهم وقيل كانوا قد أصابتهم شدة حتى أكلوا الجيف والعظام المحرقة وآمنهم من خوف الجذام فلا يصيبهم ببلدهم وقيل ذلك كله بدعاء إبراهيم صلوات الله عليه ومن بدع التفاسير وآمنهم من خوف من أن تكون الخلافة في غيرهم وقرئ من خوف بإخفاء النون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة لإيلاف قريش أعطاه الله عشر حسنات بعدد من طاف بالكعبة واعتكف بها

﴿سورة أرأيت مكية وقيل مدنية وهي سبع آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* قرئ أريت بحذف الهمزة وليس بالاختيار لأن حذفها مختص بالمضارع ولم يصح عن العرب ريت ولكن الذي سهل من أمرها وقوع حرف الاستفهام في أول الكلام ونحوه

صاح هل ريت أو سمعت براع * رد في الضرع ما قرى في العلاب

وقرأ ابن مسعود أرأيتك بزيادة حرف الخطاب كقوله أرأيتك هذا الذي كرمت علي والمعنى هل عرفت الذي يكذب بالجزاء من هو إن لم تعرفه (فذلك الذي) يكذب بالجزاء هو الذي (يدع اليتيم) أي يدفعه دفعا عنيفا بجفوة وأذى ويرده ردا قبيحا بزجر وخشونة وقرئ يدع أي يترك ويجفو (ولا يحض) ولا يبعث أهله على بذل طعام المسكين جعل علم التكذيب بالجزاء منع المعروف والإقدام على إيذاء الضعيف يعني أنه لو آمن بالجزاء وأيقن بالوعيد لخشي الله تعالى وعقابه ولم يقدم على ذلك فحين أقدم عليه علم أنه مكذب فما أشده من كلام وما أخوفه من مقام وما أبلغه في التحذير من المعصية وإنها جديرة بأن يستدل بها على ضعف الإيمان ورخاوة عقد اليقين ثم وصل به قوله (فويل للمصلين) كأنه قال فإذا كان الأمر كذلك فويل للمصلين الذين يسهون عن الصلاة قلة مبالاة بها حتى تفوتهم أو يخرج وقتها أو لا يصلونها كما صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم والسلف ولكن ينقرونها نقرا من غير خشوع وإخبات ولا اجتناب لما يكره فيها من العبث باللحية والثياب وكثرة التثاؤب والالتفات لا يدري الواحد منهم عن كم انصرف ولا ما قرأ من السور وكما ترى صلاة أكثر من ترى الذين عادتهم الرياء بأعمالهم ومنع حقوق أموالهم والمعنى أن هؤلاء أحق بأن يكون سهوهم عن الصلاة التي هي عماد الدين والفارق بين الإيمان والكفر والرياء الذي هو شعبة من الشرك ومنع الزكاة التي هي شقيقة الصلاة وقنطرة الإسلام علما على أنهم مكذبون بالدين وكم ترى من المتسمين بالإسلام بل من العلماء منهم من هو على هذه الصفة فيا مصيبتاه وطريقة أخرى أن يكون فذلك عطفا على الذي يكذب إما عطف ذات على ذات أو صفة على صفة ويكون جواب أرأيت محذوفا لدلالة ما بعده عليه كأنه قيل أخبرني وما تقول فيمن يكذب بالجزاء وفيمن يؤذي اليتيم ولا يطعم المسكين أنعم ما يصنع ثم قال فويل للمصلين أي إذا علم أنه مسيء فويل للمصلين على معنى فويل لهم إلا أنه وضع صفتهم موضع ضميرهم لأنهم كانوا مع التكذيب وما أضيف إليهم ساهين عن الصلاة مرائين غير مزكين أموالهم (فإن قلت) كيف جعلت المصلين قائما مقام ضمير الذي يكذب وهو واحد (قلت) معناه الجمع لأن المراد به الجنس (فإن قلت) أي فرق بين قوله عن صلاتهم وبين قولك في

صلاتهم

لإيلافهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف

﴿سورة أرأيت مكية وهي سبع آيات﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

أرأيت الذي يكذب بالدين فذلك الذي يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون

(القول في سورة الماعون)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله تعالى أرأيت الذي يكذب بالدين فذلك الذي يدع اليتيم (قال) فيه المعنى هل عرفت الذي يكذب بالجزاء الخ

صلاتهم (قلت) معنى عن أنهم ساهون عنها سهو ترك لها وقلة التفات إليها وذلك فعل المنافقين أو الفسقة الشطار من المسلمين ومعنى في أن السهو يعتريهم فيها بوسوسة شيطان أو حديث نفس وذلك لا يكاد يخلو منه مسلم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقع له السهو في صلاته فضلا عن غيره ومن ثم أثبت الفقهاء باب سجود السهو في كتبهم وعن أنس رضي الله عنه الحمد لله على أن لم يقل في صلاتهم وقرأ ابن مسعود لاهون (فإن قلت) ما معنى المراآة (قلت) هي مفاعلة من الإراءة لأن المرائي يرى الناس عمله وهم يرونه الثناء عليه والإعجاب به ولا يكون الرجل مرائيا بإظهار العمل الصالح إن كان فريضة فمن حق الفرائض الإعلان بها وتشهيرها لقوله عليه الصلاة والسلام ولا غمة في فرائض الله لأنها أعلام الإسلام وشعائر الدين ولأن تاركها يستحق الذم والمقت فوجب إماطة التهمة بالإظهار وإن كان تطوعا فحقه أن يخفى لأنه مما لا يلام بتركه ولا تهمة فيه فإن أظهره قاصدا للاقتداء به كان جميلا وإنما الرياء أن يقصد بالإظهار أن تراه الأعين فيثنى عليه بالصلاح وعن بعضهم أنه رأى رجلا في المسجد قد سجد سجدة الشكر وأطالها فقال ما أحسن هذا لو كان في بيتك وإنما قال هذا لأنه توسم فيه الرياء والسمعة على أن اجتناب الرياء صعب إلا على المرتاضين بالإخلاص ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرياء أخفى من دبيب النملة السوداء في الليلة المظلمة على المسح الأسود (الماعون) الزكاة قال الراعي

قوم على الإسلام لما يمنعوا * ماعونهم ويضيعوا التهليلا

وعن ابن مسعود ما يتعاور في العادة من الفأس والقدر والدلو والمقدحة ونحوها وعن عائشة الماء والنار والملح وقد يكون منع هذه الأشياء محظورا في الشريعة إذا استعيرت عن اضطرار وقبيحا في المروءة في غير حال الضرورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة أرأيت غفر الله له إن كان للزكاة مؤديا

﴿سورة الكوثر مكية وهي ثلاث آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

في قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم إنا أنطيناك بالنون وفي حديثه صلى الله عليه وسلم وأنطوا الثبجة والكوثر فوعل من الكثرة وهو المفرط الكثرة قيل لأعرابية رجع ابنها من السفر بم آب ابنك قالت آب بكوثر وقال

وأنت كثير يا ابن مروان طيب * وكان أبوك ابن العقائل كوثرا

وقيل الكوثر نهر في الجنة وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قرأها حين أنزلت عليه فقال أتدرون ما الكوثر إنه نهر في الجنة وعدنيه ربي فيه خير كثير وروي في صفته أحلى من العسل وأشد بياضا من اللبن وأبرد من الثلج وألين من الزبد حافتاه الزبرجد وأوانيه من فضة عدد نجوم السماء وروي لا يظمأ من شرب منه أبدا أول وارديه فقراء المهاجرين الدنسو الثياب الشعث الرؤس الذين لا يزوجون المنعمات ولا تفتح لهم أبواب السدد يموت أحدهم وحاجته تتلجلج في صدره لو أقسم على الله لأبره وعن ابن عباس أنه فسر الكوثر بالخير الكثير فقال له سعيد بن جبير إن ناسا يقولون هو نهر في الجنة فقال هو من الخير الكثير (والنحر) نحر البدن وعن عطية هي صلاة الفجر بجمع والنحر بمنى وقيل صلاة العيد والتضحية وقيل هي جنس الصلاة والنحر وضع اليمين على الشمال والمعنى أعطيت ما لا غاية لكثرته من خير الدارين الذي لم يعطه أحد غيرك ومعطي ذلك كله أنا إله العالمين فاجتمعت لك الغبطتان السنيتان إصابة أشرف عطاء وأوفره من أكرم معط وأعظم منعم فاعبد ربك الذي أعزك بإعطائه وشرفك وصانك من منن الخلق مراغما لقومك الذين يعبدون غير الله وانحر لوجهه وباسمه إذا نحرت مخالفا لهم في النحر للأوثان (إن) من أبغضك من قومك لمخالفتك لهم (هو الأبتر) لا أنت لأن كل من يولد إلى يوم القيامة من المؤمنين فهم أولادك وأعقابك وذكرك مرفوع على المنابر والمنار وعلى لسان كل عالم وذاكر إلى آخر الدهر يبدأ بذكر الله ويثنى بذكرك ولك في الآخرة ما لا يدخل تحت الوصف فمثلك لا يقال له أبتر وإنما الأبتر هو شانئك المنسي في الدنيا والآخرة وإن ذكر ذكر باللعن وكانوا يقولون إن محمدا صنبور إذا مات مات ذكره وقيل نزلت في العاص بن وائل وقد سماه الأبتر

الذين هم يراؤن ويمنعون الماعون

﴿سورة الكوثر مكية وهي ثلاث آيات﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر إن شانئك هو الأبتر

(القول في سورة الكوثر)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله تعالى إنا أعطيناك الكوثر) قال أي جمعنا لك الغبطتين السنيتين أحدهما إصابة أشرف عطاء وهو الكوثر الخ) قال أحمد جعل الزمخشري توسط الضمير بين الجزأين مفيدا للاختصاص لأن إفادته هو الذي بينه مكشوفة * عاد كلامه (قال) لأن النبي صلى الله عليه وسلم ذكره مرفوع على المنابر وعلى لسان عالمي أمته الذين هم في الحقيقة أعقابه الخ)

قوله في سورة الكافرين ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون (قال معناه في المستقبل لأن لا لا تدخل المستقبل ولا أنتم عابدون ما أعبد كذلك ولا أنا عابد ما عبدتم أي فيما سلف الخ) قال أحمد هذا الذي قاله خطأ على الأصل والفرع جميعا أما على أصله القدري فانه وإن كان مقتضاه أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن قبل البعث على دين نبي قبله لاعتقاد القدرية أن ذلك غيرة في منصبه ومنفر من اتباعه (٥٦٤) فيستحيل وقوعه بالنسبة إلا أنهم يعتقدون أن الناس كلهم متعبدون بمقتضى العقل بوجوب النظر في آيات الله تعالى وأدلة توحيده ومعرفته وأن وجوب النظر بالعقل لا بالسمع فتلك عبادة قبل البعث يلزمهم أن لا يخلو النبي صلى الله عليه وسلم عن الاشتغال بها حينئذ

والأبتر الذي لا عقب له ومنه الحمار الأبتر الذي لا ذنب له. عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكوثر سقاه الله من كل نهر في الجنة ويكتب له عشر حسنات بعدد كل قربان قربه العباد في يوم النحر أو يقربونه

سورة الكافرين مكية وهي ست آيات ويقال لها ولسورة الإخلاص المقشقشتان أي المبرئتان من النفاق

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* المخاطبون كفرة مخصوصون قد علم الله منهم أنهم لا يؤمنون روي أن رهطا من قريش قالوا يا محمد هلم فاتبع ديننا ونتبع دينك تعبد آلهتنا سنة ونعبد إلهك سنة فقال معاذ الله أن أشرك بالله غيره فقالوا فاستلم بعض آلهتنا نصدقك ونعبد إلهك فنزلت فغدا إلى المسجد الحرام وفيه الملأ من قريش فقام على رؤوسهم فقرأها عليهم فأيسوا (لا أعبد) أريد به العبادة فيما يستقبل لأن لا لا تدخل إلا على مضارع في معنى الاستقبال كما أن ما لا تدخل إلا على مضارع في معنى الحال ألا ترى أن لن تأكيد فيما تنفيه لا وقال الخليل في لن إن أصله لا أن والمعنى لا أفعل في المستقبل ما تطلبونه مني من عبادة آلهتكم ولا أنتم فاعلون فيه ما أطلب منكم من عبادة إلهي (ولا أنا عابد ما عبدتم) أي وما كنت قط عابدا فيما سلف ما عبدتم فيه يعني لم تعهد مني عبادة صنم في الجاهلية فكيف ترجى مني في الإسلام (ولا أنتم عابدون ما أعبد) أي وما عبدتم في وقت ما أنا على عبادته (فإن قلت) فهلا قيل ما عبدت كما قيل ما عبدتم (قلت) لأنهم كانوا يعبدون الأصنام قبل المبعث وهو لم يكن يعبد الله تعالى في ذلك الوقت (فإن قلت) فلم جاء على ما دون من (قلت) لأن المراد الصفة كأنه قال لا أعبد الباطل ولا تعبدون الحق وقيل إن ما مصدرية أي لا أعبد عبادتكم ولا تعبدون عبادتي (لكم دينكم ولي دين) لكم شرككم ولي توحيدي والمعنى أني نبي مبعوث إليكم لأدعوكم إلى الحق والنجاة فإذا لم تقبلوا مني ولم تتبعوني فدعوني كفافا ولا تدعوني إلى الشرك. عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكافرين فكأنما قرأ ربع القرآن وتباعدت منه مردة الشياطين وبرئ من الشرك ويعافى من الفزع الأكبر

﴿سورة النصر مدنية وهي ثلاث آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(إذا) منصوب بسبح وهو لما يستقبل والإعلام بذلك قبل كونه من أعلام النبوة روي أنها نزلت في أيام التشريق بمنى في حجة الوداع (فإن قلت) ما الفرق بين النصر والفتح حتى عطف عليه (قلت) النصر الإغاثة والإظهار على العدو ومنه نصر الله الأرض غاثها والفتح فتح البلاد والمعنى نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم على العرب أو على قريش وفتح مكة وقيل جنس نصر الله المؤمنين وفتح بلاد الشرك عليهم وكان فتح مكة لعشر مضين من شهر رمضان سنة ثمان ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة آلاف من المهاجرين والأنصار وطوائف العرب وأقام بها خمس عشرة ليلة ثم خرج إلى هوازن وحين دخلها وقف على باب الكعبة ثم قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ثم قال يا أهل مكة ما ترون أني فاعل بكم قالوا خيرا أخ كريم وابن أخ كريم قال اذهبوا فأنتم الطلقاء فأعتقهم رسول الله صلى الله عليه

﴿سورة الكافرين مكية وهي ست آيات﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد ولا أنا عابد ما عبدتم ولا أنتم عابدون ما أعبد لكم دينكم ولي دين

﴿سورة النصر مدنية وهي ثلاث آيات﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون

يقتضي أصلهم أنه كان قبل البعث يعبد الله تعالى فالزمخشري حافظ على الوفاء بأصله في عدم اتباعه لنبي سابق فأخل بالتفريع على أصله الآخر في وجوب العبادة بالعقل والحق أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتعبد قبل الوحي ويتحنث في غار حراء فان كانت هي قوله لأن الماضي لم يحصل فيه هذه العبادة المرادة في الآية فيحمل الأمر فيها والله أعلم على نوع العبادات الخاصة التي لم تعلم إلا بالوحي لا على مجرد توحيد الله تعالى ومعرفته فان ذلك لم يزل ثابتا له صلى الله عليه وسلم قبل البعث والله أعلم أو يكون حينئذ مضارعا لقصد تصوير عبادته في نفس السامع وتمكينها من فهمه كقوله ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة والأصل فأصبحت والتعدل عنه للمعنى المذكور وهو وجه حسن فتأمله والله أعلم

وسلم وقد كان الله تعالى أمكنه منهم وقابوهم عنوة وكانوا له فيئاً فلذلك سمى أهل مكة الطلقاء ثم بايعوه على الاسلام
(في دين الله) في ملة الاسلام التي لا دين له يضاف اليه غيرها ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه
(أفواجاً) جماعات كثيفة كانت تدخل فيه القبيلة بأسرها بعدما كانوا يدخلون فيه واحداً واحداً واثنين
اثنين وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أنه بكى ذات يوم فقيل له فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول دخل الناس في دين الله أفواجاً وسيخرجون منه أفواجاً وقيل أراد بالناس أهل اليمن قال أبو هريرة
لما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله أكبر جاء نصر الله والفتح وجاء أهل اليمن قوم رقيقة قلوبهم
الايمان يمان والفقه يمان والحكمة يمانية وقال أجد نفس ربكم من قبل اليمن وعن الحسن لما فتح رسول
الله صلى الله عليه وسلم مكة أقبلت العرب بعضها على بعض فقالوا أما اذ ظفر بأهل الحرم فليس به يدان وقد كان
الله أجارهم من أصحاب الفيل وعن كل من أرادهم فكانوا يدخلون في الاسلام أفواجاً من غير قتال وقرأ
ابن عباس فتح الله والنصر وقرئ يدخلون على البناء للمفعول (فان قلت) ما محل يدخلون (قلت) النصب
اما على الحال على أن رأيت بمعنى أبصرت أو عرفت أو هو مفعول ثان على أنه بمعنى علمت (فسبح بحمد ربك)
فقل سبحان الله حامداً له أي فتعجب لتيسير الله ما لم يخطر ببالك وبال أحد من أن يغلب أحد على أهل الحرم
واحمده على صنعه أو فاذكره مسبحاً حامداً زيادة في عبادته والثناء عليه لزيادة انعامه عليك أو فصل له روت
أم هانئ أنه لما فتح باب الكعبة صلى صلاة الضحى ثماني ركعات وعن عائشة كان عليه الصلاة والسلام
يكثر قبل موته أن يقول سبحانك اللهم وبحمدك أستغفرك وأتوب اليك والأمر بالاستغفار مع التسبيح
تكميل للأمر بما هو قوام أمر الدين من الجمع بين الطاعة والاحتراس من المعصية وليكون أمره بذلك مع
عصمته لطفاً لأمته ولأن الاستغفار من التواضع لله وهضم النفس فهو عبادة في نفسه وعن النبي صلى الله
عليه وسلم اني لأستغفر في اليوم والليلة مائة مرة وروي أنه لما قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه
استبشروا وبكى العباس فقال صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا عم قال نعيت اليك نفسك قال
انها لكما تقول فعاش بعدها سنتين لم ير فيهما ضاحكاً مستبشراً وقيل ان ابن عباس هو الذي قال ذلك فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد أوتي هذا الغلام علماً كثيراً وروي أنها لما نزلت خطب رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال ان عبداً خيره الله بين الدنيا وبين لقائه فاختار لقاء الله فعلم أبو بكر رضي الله عنه فقال
فديناك بأنفسنا وأموالنا وآبائنا وأولادنا وعن ابن عباس أن عمر رضي الله عنهما كان يدنيه ويأذن له مع
أهل بدر فقال عبد الرحمن أتأذن لهذا الفتى معنا وفي أبنائنا من هو مثله فقال انه ممن قد علمتم قال ابن عباس
فأذن لهم ذات يوم وأذن لي معهم فسألهم عن قول الله تعالى اذا جاء نصر الله ولا أراه سألهم الا من أجلي فقال
بعضهم أمر الله نبيه اذا فتح عليه أن يستغفره ويتوب اليه فقلت ليس كذلك ولكن نعيت اليه نفسه فقال
عمر ما أعلم منها الا مثل ما تعلم ثم قال كيف تلومونني عليه بعدما ترون وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه دعا
فاطمة رضي الله عنها فقال يا بنتاه انه نعيت الي نفسي فبكت فقال لا تبكي فانك أول أهلي لحوقاً بي وعن
ابن مسعود أن هذه السورة تسمى سورة التوديع (كان تواباً) أي كان في الأزمنة الماضية منذ خلق
المكلفين تواباً عليهم اذا استغفروا فعلى كل مستغفر أن يتوقع مثل ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة اذا جاء نصر الله أعطي من الأجر كمن شهد مع محمد يوم فتح مكة

﴿سورة تبت مكية وهي خمس آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

التباب الهلاك ومنه قولهم أشابة أم تابة أي هالكة من الهرم والتعجيز والمعنى هلكت يداه لأنه فيما يروى
أخذ حجراً ليرمي به رسول الله صلى الله عليه وسلم (وتب) وهلك كله أو جعلت يداه هالكتين والمراد هلاك
جملته كقوله تعالى بما قدمت يداك ومعنى وتب وكان ذلك وحصل كقوله

في دين الله أفواجاً فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان تواباً

﴿سورة تبت خمس آيات وهي مكية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

تبت يدا أبي لهب وتب

(القول في سورة النصر)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله تعالى فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان تواباً (قال) معناه فتعجب من تيسير الله ما لم يخطر ببالك الخ

(القول في سورة تبت)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

تبت يدا أبي لهب وتب قال هذا دعاء عليه بالتباب وهو الخسران والهلاك

جزاني جزاه الله شر جزائه * جزاء الكلاب العاويات وقد فعل

ويدل عليه قراءة ابن مسعود وقد تب. وروي أنه لما نزل وأنذر عشيرتك الأقربين رقي الصفا وقال يا صباحاه فاستجمع إليه الناس من كل أوب فقال يا بني عبد المطلب يا بني فهر إن أخبرتكم أن بسفح هذا الجبل خيلا أكنتم مصدقي قالوا نعم قال فإني نذير لكم بين يدي الساعة فقال أبو لهب تبا لك ألهذا دعوتنا فنزلت (فإن قلت) لم كناه والتكنية تكرمة (قلت) فيه ثلاثة أوجه أحدها أن يكون مشتهرا بالكنية دون الاسم فقد يكون الرجل معروفا بأحدهما ولذلك تجري الكنية على الاسم أو الاسم على الكنية عطف بيان فلما أريد تشهيره بدعوة السوء وأن تبقى سمة له ذكر الأشهر من علميه ويؤيد ذلك قراءة من قرأ يدا أبو لهب كما قيل علي ابن أبو طالب ومعاوية بن أبو سفيان لئلا يغير منه شيء فيشكل على السامع ولفليتة بن قاسم أمير مكة ابنان أحدهما عبد الله بالجر والآخر عبد الله بالنصب وكان بمكة رجل يقال له عبد الله بجرة الدال لا يعرف إلا هكذا. والثاني أنه كان اسمه عبد العزى فعدل عنه إلى كنيته. والثالث أنه لما كان من أهل النار ومآله إلى النار ذات اللهب وافقت حاله كنيته فكان جديرا بأن يذكر بها ويقال أبو لهب كما يقال أبو الشر للشرير وأبو الخير للخير وكما كنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا المهلب أبا صفرة بصفرة في وجهه وقيل كني بذلك لتلهب وجنتيه وإشراقهما فيجوز أن يذكر بذلك تهكما به وبافتخاره بذلك. وقرئ أبي لهب بالسكون وهو من تغيير الأعلام كقولهم شمس بن مالك بالضم (ما أغنى) استفهام في معنى الإنكار ومحله النصب أو نفي (وما كسب) مرفوع وما موصولة أو مصدرية بمعنى ومكسوبه أو وكسبه والمعنى لم ينفعه ماله وما كسب بماله يعني رأس المال والأرباح أو ماشيته وما كسب من نسلها ومنافعها وكان ذا سابياء أو ماله الذي ورثه من أبيه والذي كسبه بنفسه أو ماله التالد والطارف. وعن ابن عباس ما كسب ولده وحكي أن بني أبي لهب احتكموا إليه فاقتتلوا فقام يحجز بينهم فدفعه بعضهم فوقع فغضب فقال أخرجوا عني الكسب الخبيث. ومنه قوله عليه السلام إن أطيب ما يأكل الرجل من كسبه وإن ولده من كسبه. وعن الضحاك ما ينفعه ماله وعمله الخبيث يعني كيده في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم. وعن قتادة عمله الذي ظن أنه منه على شيء كقوله وقدمنا إلى ما عملوا من عمل. وروي أنه كان يقول إن كان ما يقول ابن أخي حقا فأنا أفتدي منه نفسي بمالي وولدي (سيصلى) قرئ بفتح الياء وبضمها مخففا ومشددا والسين للوعيد أي هو كائن لا محالة وإن تراخى وقته (وامرأته) هي أم جميل بنت حرب أخت أبي سفيان وكانت تحمل حزمة من الشوك والحسك والسعدان فتنثرها بالليل في طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل كانت تمشي بالنميمة ويقال للمشاء بالنمائم المفسد بين الناس يحمل الحطب بينهم أي يوقد بينهم النائرة ويورث الشر قال

من البيض لم تصطد على ظهر لأمة * ولم تمش بين الحي بالحطب الرطب

جعله رطبا ليدل على التدخين الذي هو زيادة في الشر ورفعت عطفا على الضمير في سيصلى أي سيصلى هو وامرأته و(في جيدها) في موضع الحال أو على الابتداء وفي جيدها الخبر. وقرئ حمالة الحطب بالنصب على الشتم وأنا أستحب هذه القراءة وقد توسل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بجميل من أحب شتم أم جميل وقرئ حمالة للحطب وحمالة للحطب بالتنوين والرفع والنصب. وقرئ ومريئته بالتصغير. المسد الذي فتل من الحبال فتلا شديدا من ليف كان أو جلد أو غيرهما قال ومسد أمر من أيانق ورجل ممسود الخلق مجدوله والمعنى في جيدها حبل مما مسد من الحبال وأنها تحمل تلك الحزمة من الشوك وتربطها في جيدها كما يفعل الحطابون تخسيسا لحالها وتحقيرا لها وتصويرا لها بصورة بعض الحطابات من المواهن لتمتعض من ذلك ويمتعض بعلها وهما في بيت العز والشرف وفي منصب الثروة والجدة ولقد عير بعض الناس الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب بحمالة الحطب فقال

ماذا أردت إلى شتمي ومنقصتي * أم ما تعير من حمالة الحطب

غراء شادخة في المجد غرتها * كانت سليلة شيخ ثاقب الحسب

ويحتمل أن يكون المعنى أن حالها تكون في نار جهنم على الصورة التي كانت عليها حين كانت تحمل حزمة

الشوك

ما أغنى عنه ماله وما كسب سيصلى نارا ذات لهب وامرأته حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد

(قال ويؤيد ذلك قراءة من قرأ يدا أبو لهب) قال أحمد وفي هذا دليل لأن الرفع أسبق وجوه الإعراب وأولاها ألا تراهم لما حافظوا على صيغته التي بها اشتهر الاسم وكانت أول أحواله هذا كلامه (قال) ولأمير مكة ولدان أحدهما عبد الله بالنصب والآخر عبد الله بالجر فلا يعرف كل واحد منهما إلا بذلك الخ

الشوك فلا تزال على ظهرها حزمة من حطب النار من شجرة الزقوم أو من الضريع وفي جيدها حبل
مما مسد من سلاسل النار كما يعذب كل مجرم بما يجانس حاله في جرمه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة تبت رجوت أن لا يجمع الله بينه وبين أبي لهب في دار واحدة

﴿سورة الإخلاص مكية وقيل مدنية وهي أربع آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(هو) ضمير الشأن و(الله أحد) هو الشأن كقولك هو زيد منطلق كأنه قيل الشأن هذا وهو أن الله واحد لا ثاني له (فإن قلت) ما محل هو (قلت) الرفع على الابتداء والخبر الجملة (فإن قلت) فالجملة الواقعة خبرا لا بد فيها من راجع إلى المبتدا فأين الراجع (قلت) حكم هذه الجملة حكم المفرد في قولك زيد غلامك في أنه هو المبتدأ في المعنى وذلك أن قوله الله أحد هو الشأن الذي هو عبارة عنه وليس كذلك زيد أبوه منطلق فإن زيدا والجملة يدلان على معنيين مختلفين فلا بد مما يصل بينهما وعن ابن عباس قالت قريش يا محمد صف لنا ربك الذي تدعونا إليه فنزلت يعني الذي سألتموني وصفه هو الله وأحد بدل من قوله الله أو على هو أحد وهو بمعنى واحد وأصله وحد فقلبت الواو همزة وقرأ عبد الله وأبي هو الله أحد بغير قل وفي قراءة النبي صلى الله عليه وسلم الله أحد بغير قل هو وقال من قرأ الله أحد كان بعدل القرآن وقرأ الأعمش قل هو الله الواحد وقرئ أحد الله بغير تنوين أسقط لملاقاته لام التعريف ونحوه ولا ذاكر الله إلا قليلا والجيد هو التنوين وكسره لالتقاء الساكنين و(الصمد) فعل بمعنى مفعول من صمد إليه إذا قصده وهو السيد المصمود إليه في الحوائج والمعنى هو الله الذي تعرفونه وتقرون بأنه خالق السموات والأرض وخالقكم وهو واحد متوحد بالإلهية لا يشارك فيها وهو الذي يصمد إليه كل مخلوق لا يستغنون عنه وهو الغني عنهم (لم يلد) لأنه لا يجانس حتى تكون له من جنسه صاحبة فيتوالدا وقد دل على هذا المعنى بقوله أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة (ولم يولد) لأن كل مولود محدث وجسم وهو قديم لا أول لوجوده وليس بجسم ولم يكافئه أحد أي لم يماثله ولم يشاكله ويجوز أن يكون من المكافأة في النكاح نفيا للصاحبة سألوه أن يصفه لهم فأوحى إليه ما يحتوي على صفاته فقوله هو الله إشارة لهم إلى من هو خالق الأشياء وفاطرها وفي طي ذلك وصفه بأنه قادر عالم لأن الخلق يستدعي القدرة والعلم لكونه واقعا على غاية إحكام واتساق وانتظام وفي ذلك وصفه بأنه حي سميع بصير وقوله أحد وصف بالوحدانية ونفي الشركاء وقوله الصمد وصف بأنه ليس إلا محتاجا إليه وإذا لم يكن إلا محتاجا إليه فهو غني وفي كونه غنيا مع كونه عالما أنه عدل غير فاعل للقبائح لعلمه بقبح القبيح وعلمه بغناه عنه وقوله لم يولد وصف بالقدم والأولية وقوله لم يلد نفي للشبه والمجانسة وقوله ولم يكن له كفوا أحد تقرير لذلك وبت للحكم به (فإن قلت) الكلام العربي الفصيح أن يؤخر الظرف الذي هو لغو غير مستقر ولا يقدم وقد نص سيبويه على ذلك في كتابه فما باله مقدما في أفصح كلام وأعربه (قلت) هذا الكلام إنما سيق لنفي المكافأة عن ذات الباري سبحانه وهذا المعنى مصبه ومركزه هو هذا الظرف فكان لذلك أهم شيء وأعناه وأحقه بالتقدم وأحراه وقرئ كفؤا بضم الكاف والفاء وبضم الكاف وكسرها مع سكون الفاء (فإن قلت) لم كانت هذه السورة بعدل القرآن كله على قصر متنها وتقارب طرفيها (قلت) لأمر ما يسود من يسود وما ذاك إلا لاحتوائها على صفات الله تعالى وعدله وتوحيده وكفى دليلا من اعترف بفضلها وصدق بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها أن علم التوحيد من الله تعالى بمكان وكيف لا يكون كذلك والعلم تابع للمعلوم يشرف بشرفه ويتضع بضعته ومعلوم هذا العلم هو الله تعالى وصفاته وما يجوز عليه وما لا يجوز فما ظنك بشرف منزلته وجلالة محله وإنافته على كل علم واستيلائه على قصب السبق دونه ومن ازدراه فلضعف علمه بمعلومه وقلة تعظيمه له وخلوه من خشيته وبعده من النظر لعاقبته اللهم احشرنا في زمرة العالمين بك العاملين لك القائلين بعدلك وتوحيدك الخائفين من وعيدك وتسمى سورة الأساس لاشتمالها على أصول الدين وروى أبي وأنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أسست السموات السبع والأرضون السبع على قل هو الله أحد يعني ما خلقت

﴿سورة الإخلاص مكية وهي أربع آيات﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد

﴿القول في سورة الإخلاص﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله تعالى ولم يكن له كفوا أحد (قال إن قلت الكلام العربي الفصيح أن يؤخر الظرف وقد نص سيبويه على ذلك) قال أحمد نقل سيبويه أنه سمع بعض الجفاة من العرب يقرأ ولم يكن له كفو أحد وجرى هذا الجلف على عادته فجفا طبعه عن لطف المعنى الذي لأجله اقتضى تقديم الظرف مع الخبر على الاسم وذلك أن الغرض الذي سيقت له الآية نفي المكافأة والمساواة عن ذات الله تعالى فكان تقديم المكافأة المقصود بأن يسلب عنه أولى ثم لما قدمت لتسلب ذكر معها الظرف ليبين الذات المقدسة بسلب المكافأة والله أعلم

(القول في سورة الفلق) (بسم الله الرحمن الرحيم) * قوله تعالى قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق (قال معناه من شر خلقه أي من شر ما يفعله المكلفون الخ) قال أحمد لا يسعه على قاعدته الفاسدة التي هي من جملة ما يدخل تحت هذه الاستعاذة الا صرف الشر الى ما يعتقده خلقا لا فعالا له (٥٦٨) أو لما هو غير فاعل له البتة كالموت وأما صرف الاستعاذة الى ما يفعله الله تعالى بعباده من أنواع المحن والبلايا وغير ذلك لانه يعتقد أن الله لا يخلق أفعال الحيوانات وانما هم يخلقونها لانها شر والله تعالى لا يخلق الشر وكل ذلك تفريع على قاعدة الصلاح والاصلح التي وضح فسادها حتى حرف بعض القدرية الآية فقرأ من شر ما خلق

الا الشاكون دلائل على توحيد الله ومعرفة صفاته التي نطقت بها هذه السورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سمع رجلا يقرأ قل هو الله أحد فقال وجبت قيل يا رسول الله وما وجبت قال وجبت له الجنة

﴿سورة الفلق مختلف فيها وهي خمس آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* الفلق والفرق الصبح لان الليل يفلق عنه ويفرق فعل بمعنى مفعول يقال في المثل هو أبين من فلق الصبح ومن فرق الصبح ومنه قولهم سطع الفرقان اذا طلع الفجر وقيل هو كل ما يفلقه الله كالارض عن النبات والجبال عن العيون والسحاب عن المطر والارحام عن الاولاد والحب والنوى وغير ذلك وقيل هو واد في جهنم أو جب فيها من قولهم لما اطمأن من الارض الفلق والجمع فلقان وعن بعض الصحابة أنه قدم الشام فرأى دور أهل الذمة وما هم فيه من خفض العيش وما وسع عليهم من دنياهم فقال لا أبالي أليس من ورائهم الفلق فقيل وما الفلق قال بيت في جهنم اذا فتح صاح جميع أهل النار من شدة حره (من شر ما خلق) من شر خلقه وشرهم ما يفعله المكلفون من الحيوان من المعاصي والمآثم ومضارة بعضهم بعضا من ظلم وبغي وقتل وضرب وشتم وغير ذلك وما يفعله غير المكلفين منه من الاكل والنهش واللدغ والعض كالسباع والحشرات وما وضعه الله في الموات من أنواع الضرر كالاحراق في النار والقتل في السم والغاسق الليل اذا اعتكر ظلامه من قوله تعالى الى غسق الليل ومنه غسقت العين امتلأت دمعا وغسقت الجراحة امتلأت دما ووقوبه دخول ظلامه في كل شيء ويقال وقبت الشمس اذا غابت وفي الحديث لما رأى الشمس قد وقبت قال هذا حين حلها يعني صلاة المغرب وقيل هو القمر اذا امتلأ وعن عائشة رضي الله عنها أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فأشار الى القمر فقال تعوذي بالله من شر هذا فانه الغاسق اذا وقب ووقوبه دخوله في الكسوف واسوداده ويجوز أن يراد بالغاسق الاسود من الحيات ووقبه ضربه ونقبه والوقب النقب ومنه وقبة الثريد والتعوذ من شر الليل لان انبثاث الشر فيه أكثر والتحرز منه أصعب ومنه قولهم الليل أخفى للويل وقولهم أغدر الليل لانه اذا أظلم كثر فيه الغدر وأسند الشر اليه لملابسته له من حدوثه فيه (النفاثات) النساء أو النفوس أو الجماعات السواحر اللاتي يعقدن عقدا في خيوط وينفثن عليها ويرقين والنفث النفخ مع ريق ولا تأثير لذلك اللهم الا اذا كان ثم اطعام شيء ضار أو سقيه أو اشمامه أو مباشرة المسحور به على بعض الوجوه ولكن الله عز وجل قد يفعل عند ذلك فعلا على سبيل الامتحان الذي يتميز به الثبت على الحق من الحشوية والجهلة من العوام فينسبه الحشو والرعاع اليهن والى نفثهن والثابتون بالقول الثابت لا يلتفتون الى ذلك ولا يعبؤون به (فان قلت) فما معنى الاستعاذة من شرهن (قلت) فيها ثلاثة أوجه أحدها أن يستعاذ من عملهن الذي هو صنعة السحر ومن اثمهن في ذلك والثاني أن يستعاذ من فتنتهن الناس بسحرهن وما يخدعنهم به من باطلهن والثالث أن يستعاذ مما يصيب الله به من الشر عند نفثهن ويجوز أن يراد بهن النساء الكيادات من قوله ان كيدكن عظيم تشبيها لكيدهن بالسحر والنفث في العقد أو اللاتي يفتن الرجال بتعرضهن لهم وعرضهن محاسنهن كأنهن يسحرنهم بذلك (اذا حسد) اذا ظهر حسده وعمل بمقتضاه من بغي الغوائل للمحسود لانه اذا لم يظهر أثر ما أضمره فلا ضرر يعود منه على من حسده بل هو الضار لنفسه لاغتمامه بسرور غيره وعن عمر بن عبد العزيز لم أر ظالما أشبه بالمظلوم من حاسد ويجوز أن

﴿سورة الفلق وهي خمس آيات﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق ومن شر غاسق اذا وقب ومن شر النفاثات في العقد ومن شر حاسد اذا حسد

بتنوين شر ويجعل ما نافية * قوله تعالى ومن شر النفاثات في العقد (قال هن النساء أو النفوس السواحر اللاتي يعقدن الخيوط وينفثن عليها الخ) قال أحمد وقد تقدم أن قاعدة القدرية انكار حقيقة السحر على أن الكتاب والسنة قد وردا بوقوعه والامر بالتعوذ منه وقد سحر صلى الله عليه وسلم في مشط ومشاطة في جف طلعة ذكر والحديث مشهور وانما الزمخشري استفزه الهوى حتى أنكر ما عرف وما به الآن يتبع اعتزاله ويغطي بكفه وجه الغزالة عادة كلامه (قال فان قلت ما معنى الاستعاذة من شرهن وأجاب الخ) قال أحمد وهذا من الطراز الاول فعد عنه جانبا ولو غير النفاثات في العقد بالخيلات من النساء ولسن ساحرات حتى يتم انكار وجود السحر لعده من بدع التفاسير

بشر الحاسد إثمه وسماجة حاله في وقت حسده وإظهاره أثره (فإن قلت) قوله من شر ما خلق تعميم لما استعاذ منه فما معنى الاستعاذة بعده من الغاسق والنفاثات والحاسد (قلت) قد خص شر هؤلاء من كل شر لخفاء أمره وأنه يلحق الإنسان من حيث لا يعلم كأنما يغتال به وقالوا شر العداة المداجي الذي يكيدك من حيث لا تشعر (فإن قلت) فلم عرف بعض المستعاذ منه ونكر بعضه (قلت) عرفت النفاثات لأن كل نفاثة شريرة ونكر غاسق لأن كل غاسق لا يكون فيه الشر إنما يكون في بعض دون بعض وكذلك كل حاسد لا يضر ورب حسد محمود وهو الحسد في الخيرات ومنه قوله عليه الصلاة والسلام لا حسد إلا في اثنتين وقال أبو تمام وما حاسد في المكرمات بحاسد وقال إن العلا حسن في مثلها الحسد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ المعوذتين فكأنما قرأ الكتب التي أنزلها الله تعالى كلها

﴿سورة الناس مختلف فيها وهي ست آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قرئ قل أعوذ بحذف الهمزة ونقل حركتها إلى اللام ونحوه فخذ أربعة (فإن قلت) لم قيل (برب الناس) مضافا إليهم خاصة (قلت) لأن الاستعاذة وقعت من شر الموسوس في صدور الناس فكأنه قيل أعوذ من شر الموسوس إلى الناس بربهم الذي يملك عليهم أمورهم وهو إلههم ومعبودهم كما يستغيث بعض الموالي إذا اعتراهم خطب بسيدهم ومخدومهم ووالي أمرهم (فإن قلت) (ملك الناس إله الناس) ما هما من رب الناس (قلت) هما عطف بيان كقولك سيرة أبي حفص عمر الفاروق بين بملك الناس ثم زيد بيانا بإله الناس لأنه قد يقال لغيره رب الناس كقوله اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله وقد يقال ملك الناس وأما إله الناس فخاص لا شركة فيه فجعل غاية للبيان (فإن قلت) فهلا اكتفى بإظهار المضاف إليه الذي هو الناس مرة واحدة (قلت) لأن عطف البيان للبيان فكان مظنة للإظهار دون الإضمار (الوسواس) اسم بمعنى الوسوسة كالزلزال بمعنى الزلزلة وأما المصدر فوسواس بالكسر كزلزال والمراد به الشيطان سمي بالمصدر كأنه وسوسة في نفسه لأنها صنعته وشغله الذي هو عاكف عليه أو أريد ذو الوسواس والوسوسة الصوت الخفي ومنه وسواس الحلي (الخناس) الذي عادته أن يخنس منسوب إلى الخنوس وهو التأخر كالعواج والبتات لما روي عن سعيد بن جبير إذا ذكر الإنسان ربه خنس الشيطان وولى فإذا غفل وسوس إليه (الذي يوسوس) يجوز في محله الحركات الثلاث فالجر على الصفة والرفع والنصب على الشتم ويحسن أن يقف القارئ على الخناس ويبتدئ الذي يوسوس على أحد هذين الوجهين (من الجنة والناس) بيان للذي يوسوس على أن الشيطان ضربان جني وإنسي كما قال شياطين الإنس والجن وعن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال لرجل هل تعوذت بالله من شيطان الإنس ويجوز أن يكون من متعلقا بيوسوس ومعناه ابتداء الغاية أي يوسوس في صدورهم من جهة الجن ومن جهة الناس وقيل من الجنة والناس بيان للناس وأن اسم الناس ينطلق على الجنة واستدلوا بنفر ورجال في سورة الجن وما أحقه لأن الجن سموا جنا لاجتنانهم والناس ناسا لظهورهم من الإيناس وهو الإبصار كما سموا بشرا ولو كان يقع الناس على القبيلين وصح ذلك وثبت لم يكن مناسبا لفصاحة القرآن وبعده من التصنع وأجود منه أن يراد بالناس الناسي كقوله يوم يدع الداع وكما قرئ من حيث أفاض الناس ثم يبين بالجنة والناس لأن الثقلين هما النوعان الموصوفان بنسيان حق الله عز وجل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد أنزلت علي سورتان ما أنزل مثلهما وإنك لن تقرأ سورتين أحب ولا أرضى عند الله منهما يعني المعوذتين ويقال للمعوذتين المقشقشتان * قال عبد الله الفقير إليه أنا أعوذ به وألوذ بجميع كلمات الله الكاملة التامة * وألوذ بكنف رحمته الشاملة العامة * من كل ما يكلم الدين * ويثلم اليقين * أو يعود في العاقبة بالندم * أو يقدح في الإيمان المسوط باللحم والدم * وأسأله بخضوع العنق وخشوع البصر * ووضع الخد لجلالة الأعظم الأكبر * مستشفعا إليه بنور الذي هو الشيبة في

﴿سورة الناس وهي ست آيات﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قل أعوذ برب الناس ملك الناس إله الناس من شر الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس

(القول في سورة الناس)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* قوله تعالى قل أعوذ برب الناس (قال إن قلت لم أضاف اسمه تعالى إليهم خاصة وهو رب كل شيء الخ) قال أحمد وفي التخصيص جرى على عادة الاستعطاف فافهمه انتهى كلامه (قال) وإله الناس عطف بيان ملك الناس أو كلاهما عطف بيان للأول والثاني أبين لأن ملك الناس قد يطلق لغير الله تعالى وأما إله الناس فلا يطلق إلا له عز وجل فجعل غاية البيان وزيد البيان بتكرار ظاهر غير مضمر والله سبحانه وتعالى أعلم هذا ما يسر الله من القول وأتبرأ إلى الله تعالى من القوة والحول والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الاسلام متوسلا بالتوبة الممحصة للآثام * وبما عنيت به من مواحق اليه وتجاوزني * ومن ابدا
ومصارف * على تواكل من القوى * وتخاذل من الخطا * ثم اسأله بحق صراطه المستقيم * وقرآنه
الكريم * وبما لقيت من كدح اليمين * وعرق الجبين * في عمل الكشاف عن حقائقه * الخاص عن مضا
المطلع على غوامضه * المثبت في مداحضه * الملخص لنكته ولطائف نظمه * المقرر عن فقره ووجوه
علمه * المكتنز بالفوائد المفتنة التي لا توجد الا فيه * المحيط بما لا يكتنه من بدع الفاظه ومعانيه
الايجاز الحاذف للفضول * وتجنب المستكره المملول * ولو لم يكن في مضمونه الا ايراد كل شيء على ق
لكفى به ضالة ينشدها محققة الاحبار * وجوهرة يتمنى العثور عليها غاصة البحار * وبما شرفني به و
واختصني بكرامته وتوحدني * من ارتفاعه على يدي في مهبط الشأن ايواته ومتنزل آياته وو
من البلد الامين بين ظهراني الحرم * وبين يدي البيت المحرم * حتى وقع التأويل * حيث وجد التنزيل
أن يهب لي خاتمة الخير * ويقيني مصارع السوء * ويتجاوز عن فرطاتي يوم التناد * ولا يفضحني على
الاشهاد * ويحلني دار المقامة من فضله * بواسع طوله وسابغ نواله * انه الجواد الكريم * الرؤف الرحيم *

* في نسخة ما نصه *

في اصل المصنف بخطه رحمه الله تعالى وهذه النسخة هي نسخة الاصل الاولى التي نقلت من السو
وهي ام الكشاف الحرمية المباركة المسمح بها المحقوقة أن تستنزل بها بركات السماء ويستمطر بها
السنة الشهباء فرغت منها يد المصنف تجاه الكعبة في جناح دار السليمانية التي على باب أجياد الموسوم
بالمدرسة العلائية ضحوة يوم الاثنين الثالث والعشرين من ربيع الآخر في عام ثمانية وعشرين وخمسمائة
والحمد لله على إتمام كرمه وصلى على عبده ورسوله وعلى آله واصحابه أجمعين

﴿نبذة من ترجمة المؤلف رحمه الله تعالى﴾

للاستاذ الفاضل الشيخ ابراهيم الدسوقى مصحح دار الطباعة المصرية البهية سابقا رحمه الله جملة من
آداب الكشاف ذيل بها النسخة التى جرى عليها الطبع فاستحسن نقلها بنصها لتكون مرآة للاطلاع
على ما للمؤلف من رفيع المزايا وحميد السجايا ولسان صدق فى الآخرين وانموذجا لفضله المتين
هو امام الائمة وهادى هداة هذه الامة أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمى
الزمخشرى من هو بأعلى النعوت حرى صاحب التآليف الزاهرة والتصانيف الفائقة الباهرة
الكثيرة فى الحديث والتفسير والنحو واللغة والمعانى والبيان وغيرها بلا تمانى كان امام عصره
بلا مدافع تشد اليه الرحال من كل مكان شاسع أخذ الادب عن شيخه منصور أبى مضر وصنف
التصانيف البديعة الغريبة منها هذا الكتاب فى تفسير القرآن ولم يدرك شأوه فيه انسان والمحاجاة
بالمسائل النحوية والمفرد والمركب فى العربية والفائق فى تفسير الحديث ولم ير مثله فى القديم ولا فى
الحديث وأساس البلاغة فى اللغة ولم يبلغ كتاب قبله فى التمييز مبلغه وربيع الابرار وفصوص الاخبار
ومتشابه أسامى الرواة والنصائح الكبار والنصائح الصغار وضالة الناشد والرائض فى علم الفرائض
والمفصل فى النحو وهو كتاب كبير وقد اعتنى بشرحه خلق كثير والانموذج فى علم العربية والمفرد
والمؤلف فى المسائل النحوية ورؤس المسائل الفقهية والمستقصى فى الامثال العربية والبدور
السافرة فى الامثال السائرة والكتاب الجليل المسمى بديوان التمثيل وشقائق النعمان فى حقائق
النعمان وشافى العى من كلام الشافعى والقسطاس فى العروض ومعجم الحدود والمنهاج فى الاصول
ومقدمة الادب فى اللغة وديوان الرسائل وديوان الشعر والرسائل الناصحة والامالى الراجحة فى كل
فن وغير ذلك وكان شروعه فى تأليف المفصل فى غرة شهر رمضان سنة ٥١٣ ثلاث عشرة وخمسمائة
وفرغ منه فى غرة المحرم سنة ٥١٥ خمس عشرة وخمسمائة وكان قد سافر الى مكة حرسها الله تعالى
وجاور بها زمانا فصار يقال له جار الله لذلك وكان هذا الاسم علما عليه وقد اشتهر أن احدى رجليه كانت
ساقطة وأنه كان يمشى فى جاون من خشب واختلف فى سبب سقوطها فقيل انه كان فى بعض أسفاره ببلاد
خوارزم أصابه ثلج كثير وبرد شديد فى الطريق فسقطت منه رجله وأنه كان بيده محضر فيه شهادة خلق
كثير ممن اطلعوا على حقيقة ذلك خوفا من أن يظن من لم يعلم صورة الحال أنها قطعت لريبة والثلج والبرد
كثيرا ما يؤثر فى الاطراف فى تلك البلاد فتسقط خصوصا خوارزم فانها فى غاية البرودة ومنها خلق كثير
سقطت أطرافهم بهذا السبب فلا يستبعده من لا يعرفه وقيل ان الزمخشرى لما دخل بغداد واجتمع
بالفقيه الحنفى الدامغانى سأله عن سبب قطع رجله فقال دعاء الوالدة وذلك أنى كنت فى صباى أمسكت
عصفورا وربطته بخيط فى رجله فأفلت من يدى فأدركته وقد دخل فى خرق فجذبته فانقطعت رجله فى
الخيط فتألمت والدتى لذلك وقالت قطع الله رجل الابعد كما قطعت رجله فلما وصلت الى سن الطلب رحلت
الى بخارى لطلب العلم فسقطت عن الدابة فانكسرت رجلى وعملت على عملا أوجب قطعها والله أعلم بالصحة
وكان الحافظ أبو الطاهر أحمد بن محمد السلفى قد كتب اليه من الاسكندرية وهو يومئذ مجاور بمكة حرسها الله
يستجيزه فى مسموعاته ومصنفاته فرد جوابه بما لا يشفى الغليل فلما كان فى العام الثانى كتب اليه أيضا مع
الحاج استجازة أخرى اقترح فيها مقصوده ثم قال فى آخرها ولا يحوج أدام الله توفيقه الى المراجعة فالمسافة
بعيدة وقد كاتبته فى السنة الماضية فلم يجب بما يشفى الغليل وله فى ذلك الاجر الجزيل فكتب اليه
الزمخشرى ما لم يكن له فى حساب ولولا خوف التطويل لذكرت الاستدعاء والجواب لكن لا بأس
بذكر بعض الجواب وهو ما مثلى مع أعلام العلماء الا كمثل السهى مع مصابيح السماء والجهام الصفر
من الرهام مع الغوادى الغامرة للقيعان والآكام والسكيت المخلف مع خيل السباق والبغاث مع
الطير العتاق وما التلقيب بالعلامة الا شبه الرقم بالعلامة والعلم مدينة أحد بابيها الدراية والثانى

الرواية وأنا في كلا البابين ذو بضاعة مزجاة ظلي فيه أقلص من ظل حصاة أما الرواية فحديثة الميلاد قريبة الإسناد لم تستند إلى علماء نحارير ولا إلى أعلام مشاهير وأما الدراية فثمد لا يبلغ أفواه ما يبل شفاها ولا يغرنك قول فلان في وفلان وعدد جماعة من الشعراء والفضلاء مدحوه بقصائد الشعر وأوردها كلها ولو سردناها لطال الخطاب ثم قال فإن ذلك اغترار منهم بالظاهر المموه وجهل بالمشوه ولعل الذي غرهم مني ما رأوا من حسن النصح للمسلمين وإيصال الشفقة إلى المستفيدين وقطع المطامع عنهم وإفاضة المبار والصنائع عليهم وعزة النفس والربء بها عن السفاسف الدنيات و على ذويها تيهي والإعراض عما لا يعنيني فجللت في عيونهم وغلطوا في ونسبوني إلى ما لست منه ولا دبير وما أنا فيما أقول بهاضم لنفسي كما قال الحسن البصري رحمه الله تعالى في قول أبي بكر رضوان الله عليه وليتكم ولست بخيركم إن المؤمن ليهضم نفسه وإنما صدقت الفاحص عني روايتي ودرايتي ومن لقيت وأخذت عنه وما بلغ علمي وقصارى فضلي وأطلعته طلع أمري و أفضيت إليه بخبيئة سري وألقيت إليه عجري وبجري وأعلمته نجمي وشجري وأما المولد فقرية مجهولة من قرى خوارزم تسمى زمخشر وسمعت أبي رحمه الله تعالى يقول اجتاز بها أعرابي فسأل عن اسمها واسم كبيرها فقيل له زمخشر فقال لا خير في شر ورد ولم يلمم بها ووقت الميلاد شهر الله الأصم في عام سبع وأربعمائة والله المحمود والمصلى على سيدنا محمد وآله وأصحابه هذا آخر الإجازة وقد أطال الكلام ولم يصرح له بمقصوده فيها ولا يعلم هل أجازه بعد ذلك أو لا ومن شعره السائر قوله وقد ذكره السمعاني في قال أنشدني أحمد بن محمود الخوارزمي إملاء بسمرقند قال أنشدنا محمود بن عمر الزمخشري لنفسه بخوا

ألا قل لسعدى ما لنا فيك من وطر * وما تطبينا النجل من أعين البقر
فإنا اقتصرنا بالذين تضايقت * عيونهم والله يجزي من اقتصر
مليح ولكن عنده كل جفوة * ولم أر في الدنيا صفاء بلا كدر
ولم أنس إذ غازلته قرب روضة * إلى جنب حوض فيه للماء منحدر
فقلت له جئني بورد وإنما * أردت به ورد الخدود وما شعر
فقال انتظرني رجع طرف أجئ به * فقلت له هيهات ما لي منتظر
فقال ولا ورد سوى الخد حاضر * فقلت له إني قنعت بما حضر

ومن شعره يرثي شيخه أبا مضر المذكور أولا

وقائلة ما هذه الدرر التي * تساقط من عينيك سمطين سمطين
فقلت هو الدر الذي كان قد حشا * أبو مضر أذني تساقط من عيني

(ومما أنشده لغيره) في كتابه الكشاف عند تفسير قوله تعالى في سورة البقرة إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها

يا من يرى مد البعوض جناحها * في ظلمة الليل البهيم الأليل
ويرى عروق نياطها في نحرها * والمخ في تلك العظام النحل
اغفر لعبد تاب عن فرطاته * ما كان منه في الزمان الأول

وقيل إن الزمخشري أوصى أن تكتب على لوح قبره هذه الأبيات

(ومن كلامه رضي الله عنه)

زمان كل حب فيه خب * وطعم الخل خل لو يذاق
لهم سوق بضاعته نفاق * فنافق فالنفاق له نفاق

(ومن كلامه)

سهري لتنقيح العلوم ألذ لي * من وصل غانية وطيب عناق

وتمايلي طربا لحل عويصة * أشهى وأحلى من مدامة ساقي
وصرير أقلامي على أوراقها * أحلى من الدوكاه العشاق
وألذ من نقر الفتاة لدفها * نقري لألقي الرمل عن أوراقي
أأبيت سهران الدجى وتبيته * نوما وتبغي بعد ذاك لحاقي

﴿ومن كلامه﴾

إذا سألوا عن مذهبي لم أبح به * وأكتمه كتمانه لي أسلم
فإن حنفيا قلت قالوا بأنني * أبيح الطلا وهو الشراب المحرم
وإن مالكيا قلت قالوا بأنني * أبيح لهم أكل الكلاب وهم هم
وإن شافعيا قلت قالوا بأنني * أبيح نكاح البنت والبنت تحرم
وإن حنبليا قلت قالوا بأنني * ثقيل حلولي بغيض مجسم
وإن قلت من أهل الحديث وحزبه * يقولون تيس ليس يدري ويفهم
تعجبت من هذا الزمان وأهله * فما أحد من ألسن الناس يسلم
وأخرني دهري وقدم معشرا * على أنهم لا يعلمون وأعلم
ومذ أفلح الجهال أيقنت أنني * أنا الميم والأيام أفلح أعلم

وكانت ولادة الزمخشري يوم الأربعاء السابع والعشرين من شهر رجب سنة سبع وستين وأربعمائة بزمخشر وتوفي رحمه الله تعالى ليلة عرفة سنة ٥٣٨ ثمان وثلاثين وخمسمائة بجرجانية خوارزم بعد رجوعه من مكة رحمه الله تعالى ورثاه بعضهم بأبيات من جملتها

فأرض مكة تذري الدمع مقلتها * حزنا لفرقة جار الله محمود

وزمخشر بفتح الزاي والميم وسكون الخاء وفتح الشين المعجمتين وبعدها راء قرية كبيرة من قرى خوارزم وجرجانية بضم الجيم الأولى وفتح الثانية وسكون الراء بينهما وبعد الألف نون مكسورة وبعدها ياء مثناة من تحتها مفتوحة مشددة ثم هاء ساكنة وهي قصبة خوارزم قال ياقوت الحموي في معجم البلدان يقال لها بلغتهم كركانج فعربت وقيل لها الجرجانية وهي على شاطئ جيحون انتهى ما ذكره الأستاذ الدسوقي رحمه الله تعالى

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

حمداً لمن أنزل الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه بأساليب راقت بعجز كل
استيعاب وصفه المتحدى بأقصر سورة منه جميع البشر المودع من بديع الأسرار ما لا يحيط به
القوى والقدر والصلاة والسلام على من أيده الله بالقرآن وأعطاه أعلى الفصاحة والبيان و
الهادين إلى الصراط المستقيم وأصحابه الموعودين بالمغفرة والأجر العظيم ﴿وبعد﴾ فقد تم طبع
الكشاف المسفر عن دقائق التنزيل ولذا لم يجهل شأنه المملوء بالنكات البديعة والاستنباطات
والأفهام العجيبة والاستظهارات الغريبة كيف لا وهو تأليف فخر خوارزم العلامة أفضل هم
فهامة من هو بالذكر الجميل حري الإمام محمود بن عمر الزمخشري فلقد أبدع في ذلك التصنيف و
في هذا التأليف وأودعه من رموز المعاني والبيان وكنوز الكشف والتبيان ما لم يستخرجه
سواه ولم تطمح عين إلى نحو مرماه إلا أنه تعصب لمذهبه فوقعت منه فرطات وزعبات تنذر بأن الحس
يذهبن السيئات فطبع بهامشه الحاشية المسماة بالانتصاف من صاحب الكشاف للعلامة الأ
والفهامة الفريد علم الفضل الأشهر سيدي أحمد بن المنير فلقد نصب أعلام السنة على شواهق ا
وصوب الأسنة نحو نحور الشبهات حتى هزم جيش الاعتزال فجزاه الله الجزاء الجزيل وشكر له
المسعى الجميل هذا ولعموم الفائدة والانتفاع وتشوف الطلاب إلى مواد الكشاف لأجل الاطلاع
استحسن عموم الطبع حاشيته الجليلة ذات النفائس الجزيلة للعلامة وقته الآخذ من كل فن بأوفى
الراعي لمعاليه بكل سهم مصيب الحائز لأعلى شرف العلم والنسب مفخر العجم والعرب صاحب التآ
في النحو واللغة والبيان والمعاني العلامة الفاضل السيد الشريف الجرجاني فجرت الثلاثة كلها
أعز من بيض الأنوق وأبعد تناولاً من الثريا أو العيوق فأتاح الله لها من أحسن إتمامها الطبع بهـ
تطبع فيها الثلاثة والتي هي قرع خصوصاً منها بالمطبعة العامرة التي بجوار القطب
الدردير من القاهرة تعلق المستعين بمولاه فضيلتلو سعادتلو حضرة
محمد مصطفى أفندي أحسن الله أحواله وختم بالصالحات أعماله
وقد فاح مسك الختام وتم سلك النظام في أواخر شهر
شعبان المعظم سنة ١٣٠٨ من هجرة السيد
الأعظم عليه وعلى آله أزكى صلوات
وأنمى تحيات ما هبت
نسمات وهدأت
حركات

فهرست الجزء الثاني من ا